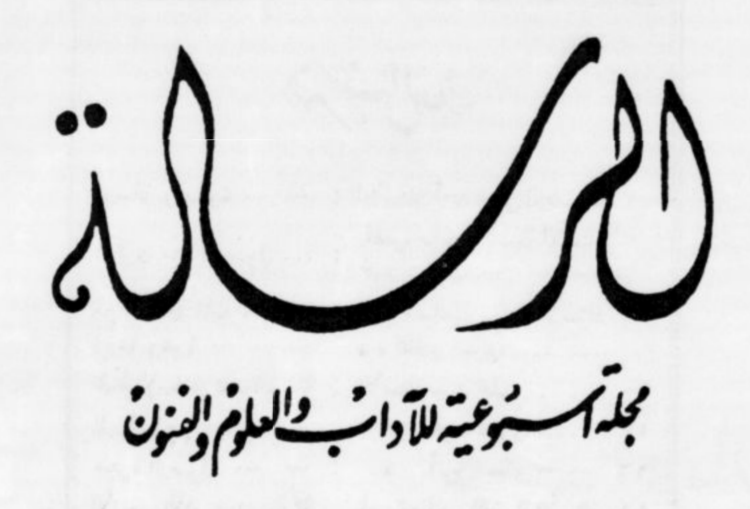
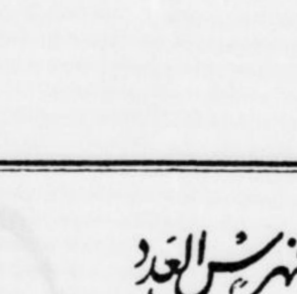


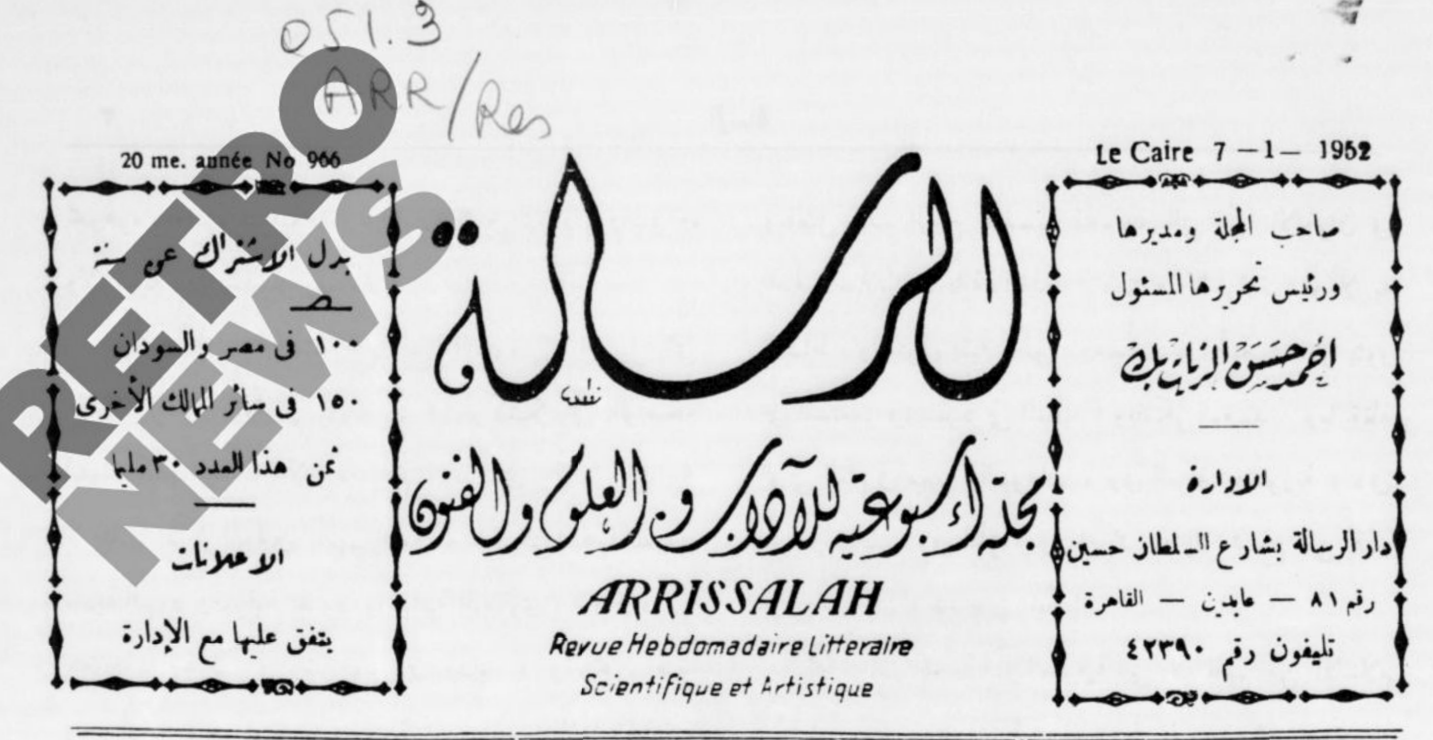


عدد ممتاز

العدد ٩٦٦ — ٧ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد



العدد ٩٦٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٧ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والدعوة



تستقبل الرسالة بهذا العدد عامها العشرين وهى تحمد الله على أن فسح لها فى العمر حتى رأت أكثر ما دعت إليه يتحقق رأت الوحدة بين أمم العرب فى الشعور والهوى والرأى والأمل والغرض قد تمت بفضل الصحافة والثقافة والأدب . فهم يتآلفون فى القرب ، ويتعاطفون فى البعد ، ويتناصفون فى الخلاف ، ويتحالفون فى الكريهة ، ويشد بعضهم بعضا فى مجاهدة العادى ومجالدة الباغى . والوحدة بين دولهم توشك أن تبلغ التمام لولا ما يعوقها الحين بعد الحين من وساوس يلقيها شيطان خادع من الإنجليز ، فى صدر إنسان مخدوع من العرب ! ووسوسة الشيطان ، لا تبقى مع الإيمان . وإيمان العرب بربهم وبأنفسهم قواه الوعى حتى غلب على إيمانهم بأصنام السياسة وطواغيت الحكم . فهيهات بعد اليوم أن يستكينوا لزعيم متَّهم ، أو يستنيموا لخصيم مخاتل !

ثم رأت الرسالة فيما رأت تباشير الجامعة الإسلامية تلوح فى أفق باكستان . ولن تلبث هذه التباشير أن تسفر فى آفاق الشرق المحمدى كله ، فيتصل نور بنور ، ويمتزج شعور بشعور ، وتتحد قوة بقوة . ولباكستان إذا تكاملت العربية خطر خطير فى مستقبل الأمة الإسلامية . إنها قبلة رجاء الإسلام كما أن مصر قبلة رجاء العروبة . وهى للمسلمين خير العوض من تركية الذاهبة !

وأجل ما رأته الرسالة فى سنواتها القريبة انبعاث الإسلام الصحيح الخالص فى قلوب المثقفين من أهله . كان الإسلام منذ ضعف فى العالمين سلطانه ، واستعجم على أشباه المسلمين قرآنه ، قد أصبح رسما محيلا فى قلوب بعض ، وصورة شوهاء فى أذهان بعض . فالخاصة قنعوا بمظهره ، ثم جعلوا شرعهم غير شرعه ، ودستورهم غير دستوره ، وقبلتهم غير قبلته . والعامة عبثوا

بجوهره ، فقلبوه صوفية حمقاء خرقاء لاصلة بين شعوذتها وعباداته، ولا نسبة بين سلبيتها ومعاملاته

وكانت (الرسالة) منذ حملت أمانة الدعوة إلى السبيل التى عناها الرسول الأعظم بقوله : « تركتكم على الواضحة ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها بعدى إلا هالك » ما فتئت تذكر المسلمين بأنهم الأمة الوسط التي نزهها الله عن مادية اليهود وصوفية الهنود ورهبانية النصارى ، « وأن دينهم مصحف وسيف ، وشرعهم دين ودنيا ، وتاريخهم فتح وحضارة ، وحربهم جهاد وشهادة ، وزعامتهم خلافة وقيادة ، وحياتهم عمل وعبادة»[1] حتى أراد الله لدينه أن يستبين ولطريقه أن يتضح ولحبله أن يتجدد ، فتألفت (الإخوان المسلمون) على موثق الدعوة الكبرى ، وأخذوا يدعون إلى الله على بصيرة . فى أيمانهم المصحف للعقل ، وفى شمائلهم السيف للهوى ؛ ويحاولون أن يبعثوا فى الهيكل الواهن المنحل روح الإسلام الفتية القوية التى نقلت البدو الجفاة الحفاة من بوادى الجزيرة رعاة غنم ، إلى حواضر الدنيا قادة أمم

فالإخوان المسلمون الذين يسمون أنفسهم رهبان الليل وفرسان النهار ، هم وحدهم الذين يمثلون فى هذا المجتمع الممسوخ عقيدة الإسلام الخالص ، وعقلية المسلم الحق

إنهم لايفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة ، ولاالدنيا على أنها سوق منفصلة ؛ وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق ، وأن السوق عمارة المسجد . وكيف تفترق الروح عن الجسد إلا فى الموت ، وينقطع الهادى عن الركب إلا فى الضلال ، وينفصل الدين عن الدنيا إلا فى الكفر ؟ لذلك كان للاخوان المسلمين فى الإرشاد لسان ، وفى الاقتصاد يد ، وفى الجهاد سلاح ، وفى السياسة رأى

وهم لا يؤمنون بالحدود السياسية والجغرافية فى وطن الاسلام الأكبر ! إنما يبسطون تآخيهم على كل رقعة من الأرض يذكر فيها اسم الله . فلهم فى كل بلد من البلاد العربية أتباع ، وفى كل قطر من الأقطار الاسلامية أشياع .

وبفضل هذه الروح القدسية المحمدية التى بثها الاخوان فى العالم الاسلامى بالدعاية والقدوة ، دبت فيه الحرارة ، وغلا به النشاط ، واستولى عليه القلق ، وعصفت به الحمية ؛ فهو يثور على المستعمر ، ويتمرد على المستبد ، ويتنكر للمفسد . وما يقظة الوعى العام فى مصر والسودان ، وفى العراق وسورية ، وفى اليمن والحجاز ، وفى الجزائر ومراكش ، إلا شعاع من هذه الروح سيكون له بعد حين نبأ !

أما الجماعات الدينية أو الصوفية التى لا تفهم من الاسلام إلا أنه أوراد تتلى ، وأذكار تقام ، ولحى تعفى ، وشوارب تحفى ، وعذبات ترسل ، فهى من الشوائب المخدرة السامة التى علقت بالاسلام حين صده الجهل والضعف عن سبيله ، فتراجع فيضه وسكن تياره . والماء إذا ركد تأسن وفشت فيه الجراثيم . ودعوة الإخوان عسية أن تزيل حواجز الباطل من وجه التيار ، وأن تنقى مشارع الحق من هذه الأكدار

كذلك رأت الرسالة فى عامها المنصرم مظهرا من مظاهر الوعى الاسلامى تجلى فى ثلاثة أحداث جسام روعت الساسة وفزعت الجيوش وشغلت المجالس : تأميم البترول فى إيران ، وإلغاء المعاهدة فى مصر ، وقيام الدولة العربية الثامنة فى ليبيا ! شئ جديد فى حياة العرب والمسلمين لم يكن لهم به فى التاريخ الحديث عهد !

من كان يظن أن إيران تصفع قذال الأسد ، وأن مصر تبصق فى وجهه ، وهما الدولتان اللتان خضعتا طويلا لنفوذه خضوع العبد لوليه ، أو القاصر لوصيه ؟ لقد مزقت الدولتان عرض (جون بول) يوم مزق (مصدق) عقد الاستغلال ، ومزق (النحاس) عهد الاحتلال . ولم يمزقهما الرجلان بقوة الجيش وسلاحه ، وإنما مزقاهما بإرادة الشعب وكفاحه ! إنه الروح الذى أرهب الموت ! وإنه الوعى الذى أذهب الغفلة !

هذه بسمة الأمل فى أول العام عبرت عنها بهذه الكلمة شكرا لله على تحقيقه ، وطلبا للمزيد من عونه وتوفيقه

احمد حسن الزيات

---

[1] افتتاحية الرسالة لعدد ٥ يناير سنة ١٩٤٨

ذكرى مولد الرسول

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت

عضو جماعة كبار العلماء وعضو مجمع فؤاد الأول



فى شهر ربيع الأول من كل عام يقيم المسلمون حفلات الذكرى لميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فينصبون السرادقات ، ويرفعون الأعلام ، ويلقون الخطب ، ويذيعون الأحاديث ، ويكتبون الفصول ، يشرحون للناس فيما يخطبون ويذيعون ويكتبون سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أو ناحية من نواحى سيرته ، ويذكرون تشريعه وأحكامه وطريقته فى التأديب وإنهاض النفوس وتهذيب الأخلاق . يذكرون أطواره التى مر بها فى حياته قبل البعثة وهو طفل رضيع فى بادية بنى سعد ، وهو غلام حدث يرعى الغنم بمكة ، وهو شاب قوى جلد يسافر ويتجر ، ويحضر حرب الفجار وحلف الفضول ، ثم يذكرون دعوته وكيف بدأت سرية ثم كانت جهرية ، ويذكرون ما ناله من أذى قومه واضطهادهم له ، وتضييقهم عليه حتى أخرجوه من دياره وأمواله إلى المدينة ، فكانت الهجرة ، وكانت الحروب ، إلى أن نزل قوله تعالى بعد ثلاث وعشرين سنة من مبعثه « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »

* * *

على هذا النحو يحتفل المسلمون بذكرى ميلاد الرسول فى يوم أو أيام ويقولون إنها ذكرى « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » . ولقد كان المسلمون فى عصورهم الأولى لا يعرفون احتفالا خاصا يقيمونه فى مثل هذه الأيام بقصد إحياء ذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا يرون أن عظمته ليست من جنس هذه العظمات التى يألفها الناس فى أفذاذهم ورجالهم ، والتى يخشى عليها من الضياع والتلاشى فى بطون التاريخ فيحتاج بقاؤها فى أذهان الناس إلى ما يذكرهم بها فى كل عام .

كانوا يؤمنون أن عظمته خالدة ، تظل دائما قارة فى النفوس ، ماثلة فى القلوب ، ممتزجة بالدماء ، مؤاخية للعقيدة ، تظهر فى أقوالهم إذا نطقوا ، وفى حركاتهم إذا تحركوا ، وسكونهم إذا سكنوا . تظهر فى جميع شئونهم الفردية والاجتماعية ، السرية والعلنية ، الدنيوية والأخروية ، إلى يوم البعث والجزاء ، بل وفى النعيم الباقى الذى لا يفنى ولا يزول ؛ فهى عظمة قد رسمت لهم باطن الحياة وظاهرها ، وحدودها ودوائرها ، لم تقف عند ناحية من نواحى الحياة ، بل لم تقف عند حدود هذه الحياة الفانية فشملت جميع نواحى الحياة ، وامتدت إلى الحياة الآخرة فكشفت عن حجب غيبها وصورت ما يكون فيها للمحسن من نعيم ، وما يكون فيها للمسئ من شقاء

لم تكن عظمته بانتصار فى معركة ، ولا برأى فى علم ، ولا بنظرية فى أرض أو سماء ، وإنما كانت عظمته عامة شاملة

بهذا آمن المسلمون فى عصورهم الأولى يوم كان الإيمان قويا فى النفوس ، تشتعل جذوته فتلتهب الجوارح وتبذل الأنفس ، ويضحى بالدماء فى سبيل ترسم خطى تلك العظمة والجد فى معرفتها وتبينها من مصادرها ونشرها على العالم مهذبة نقية ، كى تحيا بها النفوس وتطمئن إليها القلوب ؛ وبذلك كانت جميع أيامهم ، وجميع أوقاتهم ذكرى عملية لهذه العظمة

ذكرى عملية يتمثلون فيها مبادئه وأحكامه ، وارشاداته الحكيمة ، ويسيرون على نهجها فكانت أحوالهم مثالا صادقا ، ومرآة صافية ترى منها عظمة الرسول لمن أراد من غيرهم معرفة عظمة الرسول

كانوا يرون أن النبى صلى الله عليه وسلم وقد كرم الله قدره ورفع ذكره أرفع قدرا وأعلى شأنا من أن يكرم كما يكرم آحاد الناس بخطبة تلقى ، أو حديث يذاع ، أو فصل يكتب . كانوا يرون أن الله قد كرمه وليس بعد تكريم الله تكريم : خلد اسمه

في كتابه الخالد ؛ فذكره باسمه الصريح ، وذكره بوصف الرسالة، وذكره بوصف العبودية لله الواحد ، وذكره بعظمة خلقه ، وذكره برحمته المؤمنين ، وبرحمته للناس أجمعين ، وذكره بأنه المزكى للنفوس المعلم للكتاب والحكمة ؛ وذكره بكل هذا كما ذكره بأنه شهيد على أمته ، وبأنه صاحب المقام المحمود . ثم جعل محبته من محبته ، وطاعته من طاعته ، وبيعته من بيعته

لم يقف التكريم الإلهي لمحمد صلى الله عليه وسلم عند هذا الحد ، بل جعل له ذكرا في الأولين إذ كتبه في التوراة والإنجيل، وجعل له ذكرا في الآخرين إذ قرن بينه وبين اسمه الكريم في كلمة التوحيد التي يكون بها المرء مسلما ، والتي هي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ، وإذ جعل المناداة باسمه جزءا من الأذان الذي يقرر في كل يوم خمس مرات بصوت مسموع إيذانا بالصلوات المفروضة وجمعا المسلمين على عبادة الله . لم يكن بعد هذا كله ما يلتمس أن يكون تكريما لمحمد . ومتى كانت هذه العظمة تنسى حتى يذكر بها ؟ ومتى كان هذا التكريم يخفى حتى نعمل على إظهاره ؟

* * *

آمن الأوائل بهذا كله فآمنوا بأن تمجيد رسولهم وتكريمه إنما يكون عن طريق اتباعه وإحياء سنته ، والتحلي بأخلاقه، وإقامة شرعه ودينه . آمنوا بهذا وعلموا أن الإيمان الحق يثمر المحبة الصادقة ، والمحبة الصادقة حقوق وعليها تبعات ، فمن حقوقها المتابعة لمن تحب ، والرضا لما يرضيه ، والغضب لما يغضبه . ومن تبعاتها تحمل المشاق والتضحية بالنفس في سبيل رضا المحبوب «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره»

ظل المسلمون كذلك حتى خف ميزان الإيمان من قلوبهم وانطفأ عنهم نور تلك العظمة وأقفرت بصائرهم من أسرارها ولم يبق لهم منها إلا صور مرسومة بحروف في الصحف والكتب يرجعون إليها كلما عاودتهم ذكرى تلك العظمة ؛ وكلما تذكروها بشهر ربيع ، فوضعوها في مستوى العظمات الأخرى وجاروا الناس في تكريم عظمائهم فكرموا بأساليبهم . كرموه بالأناشيد ، بالأزجال ، بالأنغام ، وتفننوا في المحاكاة حتى صاغوا عظمة محمد في أسلوب روائي قصصي وقالوا : قصة المولد الشريف . وما كان لعظمة محمد أن تكون قصة وهي الحقيقة الخالدة . ولكن هكذا ابتدع هذا الأسلوب في تكريم محمد كأثر من آثار الضعف حينما ابتلي المسلمون بالقول دون العمل ، وحينما انقطعت الصلة العملية بينهم وبين شريعته صلى الله عليه وسلم

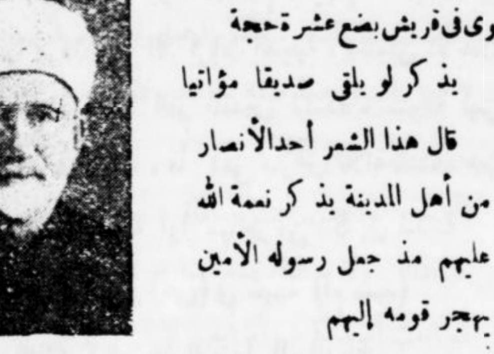
ابتدع هذا الأسلوب من التكريم بعد أن لم يكن ، فهل بحث الناس عن سبب ابتداعه ؟ وهل تساءلوا عن السر في أنه لم يكن في العصور الماضية ، عصور القوة والإيمان ، ثم كان في عصورهم ؟ هل انصرفوا إلى هذا الجانب الذي كان يرجى أن يعرفوا منه أسباب الضعف الذي انتاب المسلمين وأن يعملوا على تلافيها وإعادة الإسلام إلى مجده وقوته ؟ كلا ولكنهم انصرفوا إلى البحث في أنه بدعة أو ليس بدعة ؟ وإذا كان بدعة فهل هي بدعة حسنة أو بدعة غير حسنة ؟ وهكذا اختلفت مذاهبهم وتعددت آراؤهم وظلوا إلى يومنا هذا بين محبذ ومنكر ، شأنهم في كل شيء تناولوه بروح الجدل الذي صرفهم عن العمل . وما ابتليت أمة في حياتها بشر من كثرة القول وقلة العمل . فقد ابتلي المسلمون بالجدل في كل شيء ، فصرفهم عن العمل بقدر ما جادلوا : جادلوا في العقائد ، جادلوا في الأحكام ، جادلوا فيما ليس من العقائد والأحكام ، جادلوا في الكلمات والألفاظ ، جادلوا حتى في القواعد التي وضعوها للجدل ! وهكذا صار الجدل شغلهم الشاغل فتلهوا به عن فهم الإسلام ، وعظمة الإسلام ، وسر دعوة الإسلام . تلهوا به عن إدراك مقومات الحياة ، فوقعت كل الشعوب الإسلامية في قبضة المستعمرين وتحت راياتهم . وما من شعب إسلامي اليوم إلا وتسمع مر شكواه وصرخة أنينه

* * *

كان جديرا بالمسلمين أن يعملوا جاهدين على دوام التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتزام رسالته التي لم تترك سبيلا للسعادة إلا شرعته ودعت إليه ، ولا سبيلا للشقاء إلا منعته ونفرت منه . أصلحت العقيدة ، وكرمت بذلك عقل

من مشاهد الهجرة ما فيه روعة وعبرة

لصاحب الفضيلة الأستاذ عبد القادر المغربي
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية



ثوى فى قريش بضع عشرة حجة
يذكر لو يلقى صديقا مؤاتيا

قال هذا الشعر أحد الأنصار من أهل المدينة يذكر نعمة الله عليهم مذ جعل رسوله الأمين يهجر قومه إليهم

فهو يقول إنه (ص) لبث فى قومه قريش ثلاث عشرة سنة يذكرهم ويدعوهم إلى الإسلام وهم لا يزدادون إلا عتوا واستكبارا

فرأى أخيرا أن هذا العناد من قومه يحول بينه وبين حريته فى نشر دعوته ، وأنه إذا بقى فى مكة قريبا من المشركين سهل عليهم أمر مراقبته وإسكاته وخنق دعوته ، فلا تخلص إلى سائر العرب بيسر وسهولة

وأنه إذا أراد رفع الصوت بها ، والنجاح فى تبليغها ، واجتماع كلمة العرب عليها ، كان عليه أن يهجر مكة إلى مكان آخر يأمن فيه على نفسه ويكون حرا فى تبليغ دعوته ، وأداء رسالته

لما رأى (ص) كل هذا وجد من الحزم أن يستعين بقوة خارجية ، أى بقوة من جزيرة العرب غير قومه قريش الواقفين له بالمرصاد . وساعده على الاتصال بالقوة الخارجية أن العرب يفدون كل سنة إلى موسم الحج . فاغتنم هذه الفرصة وعرض نفسه فى أحد المواسم على القبائل ، فكانوا يستهزئون به ؛ حتى اتفق له فى بعض المواسم أن اجتمع بطائفة من أهل يثرب (وهو اسم المدينة المنورة فى زمن الجاهلية) وكانوا مشركين .. يحجون إلى البيت كسائر العرب ، ويشاركهم فى سكنى يثرب قوم من اليهود نزلوها منذ القديم ، فعرض (ص) دعوته عليهم فأصغوا

الإنسان وأزالت عنه وصمة الشرك والعبودية لغير الله ، ثم أمدتها بمدد دائم روحى لا ينقطع :

أمدتها بالصلوات التى تصل بين العبد وربه ، وتذكره بخالقه ومنشئه ، وتنهاه عن الفحشاء والمنكر . أمدتها بالصوم تمرينا على الصبر ، وتعويدا على الطاعة ، ومراقبة الله فى السر والعلن . أمدتها بالزكاة تمرينا على العطف والبر والرحمة والرفق بالمحتاجين . وجعل منها نظاما يحفظ الغنى من الطغيان ، والفقير من الحرمان

ثم نظرت إلى أن المجتمع الصالح إنما يقوم على العلم والمال والأسرة ونظام الدولة والصحة العامة ، والقوة ، والعدل ، وفى هذه الدوائر رسمت برنامج إصلاحها الشامل ، فحثت على العلم ووضعت نظاما للتعامل من شأنه أن يبطل النزاع ويزيل الفساد ، ويقضى على أسباب الفتن ، ووضعت نظاما للأسرة يقيها الانحلال ويربطها بميثاق المحبة والتعاون . وضعت أصول الحكم وبينت مصادر التشريع ، وحثت على اتخاذ الحيطة وإعداد القوة ، وأمرت بالرحمة والعدل فى كل شئ إلى آخر ما جاءت به هذه الرسالة التى سايرت مقتضيات الطبيعة البشرية ، واستطاعت أن ترد العالم فى فترة وجيزة عن طغيانه وأن تخرجه من الظلمات إلى النور ، واستطاعت أن توجد من رعاة الشاة والإبل عباد الأصنام والكواكب ، عباد الأهواء والشهوات ، أمة قوية تؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، لها الكلمة المسموعة والسلطان النافذ

أما بعد

فهذا هو مجال ذكرى محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى المسلمين إذا أرادوا تصحيح نسبتهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وإلى رسالته أن يخلعوا أنفسهم مما هم فيه من اللهو واللعب وأن يتخذوا العدة لتهيئة النفوس بالإيمان الحق والخلق الفاضل ، ثم يخلصوا أحكامها مما غشاها ، ويحصنوا بها حياتهم ، وعندئذ تكون ذكرى الرسول فيما بينهم كما كانت ذكراه فيما بين أسلافهم إيمانا وخلقا ، وعلما وحكمة ، وعزة وقوة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

محمود شلتوت

إليه بحرص وانتباه . وكانوا يسمعون من اليهود أن الله سيرسل إلى العرب ومن العرب نبيا ينقذهم من الضلالة . فقبلوا الدعوة منه (مبدئيا) ، وكانوا ستة رجال ، وقالوا له إنهم لا يقدمون على قبول الإسلام ما لم يرجعوا إلى يثرب . ويراجعوا قومهم بالأمر . وكان قومهم قبيلتين : الأوس والخزرج ، وهم الذين سموا فيما بعد بالأنصار ، وإخوانهم الذين هاجروا إليها سموا المهاجرين

وفي ثاني موسم أقبل اليثربيون واجتمعوا به (ص) في مكان اشتهر اسمه بالعقبة ، وهو المكان الذي اجتمعوا به فيه بالموسم الماضي . فالاجتماع الأول سمي (العقبة الأولى) والثاني (العقبة الثانية) . وكانوا هذه المرة اثني عشر رجلا : اثنان من الأوس وعشرة من الخزرج . فعرض عليهم (ص) الإسلام وشرح لهم الغرض من إنزاله . وبشرهم بالقرآن . فشرح الله صدورهم إليه وأسلموا ، وكتموا إسلامهم ريثما يعودوا في الموسم المقبل ويأتوا بأهل الرأي والرياسة من قومهم . فعادوا ثالث مرة إلى المكان نفسه ، وهذه هي (العقبة الثالثة) ، وأتوا معهم بامرأتين وكانوا هم ثلاثة وسبعين رجلا : فالمرأة المسلمة ركن في نهوض الإسلام ، ويجب أن يكون لها رأي في معظم (حركاته) . فأسلموا كلهم على شروط شرطها النبي (ص) عليهم وهي :

١ — توحيد الله

٢ — طاعة النبي (صلى الله عليه وسلم)

٣ — قول الحق

٤ — ترك المحرمات

٥ — احترام المرأة وعدم وأدها

فرضوا بذلك ورجعوا إلى المدينة فرحين مستبشرين بالإسلام وبشروا قومهم به . وأخبروهم أن النبي (ص) قادم إليهم . وسيقيم بين ظهرانيهم

أما النبي (ص) فرجع إلى مكة مصمما على الهجرة كما وعدهم واستأذن ربه بها . فأذن له بالرحيل :

إلى أين ؟

إلى يثرب . إلى المدينة المنورة

حتى إذا جاء الميعاد : وهو اليوم الذي عينه للرحيل ، خرج من دار صاحبه أبي بكر ومعه أبو بكر وحده ، ظهر يوم الاثنين الواقع في غرة شهر ربيع الأول

ولما صار خارج مكة التفت إليها مودعا قائلا : (ما أطيبك من بلد ! وما أحبك إلي ! ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت)

وقد وقع له صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدينة حوادث عجيبة ، في سردها روعة الأفلام السينمائية ، ولها في نفوس سامعيها هزة تحيي الذكريات الدينية ، وتنعش الأحلام القومية . ومشاهد هذا الفلم المقدس متعددة متنوعة ليس باستطاعتي أن أعرضها كلها . فأكتفي بعرض ثلاثة مشاهد منها

(المشهد الأول) قصة أول مهاجر من مكة إلى المدينة

(المشهد الثاني) النبي (ص) في خيمة (أم معبد)

(المشهد الثالث) مهرجان الوصول إلى المدينة

وسأورد على القراء هذه المشاهد الثلاثة بطريقة تغنيني عن التعليق عليها وغمرها بالاستنتاجات ، إذ أنها تعرب عن مغزاها وتنطق بنتائجها . بل إن مجرد سماعها مبسوطة هذا البسط ينبه في النفوس الشعور بخطورة الهجرة وعظم شأنها ، وجلال أثرها . وإنها أشد الأحداث تأثيرا في ظهور أمر النبي (ص) ونقل دعوته من طور إلى طور : من طور القول إلى طور العمل ، ومن طور العرض إلى طور التنفيذ

كان خبر عزم النبي على الهجرة بلغ قريشا فأخذوا يفكرون في أمرها وصد النبي عنها ، بينا هو كان يفكر في إعداد وسائلها ، وتهيئة أدواتها . غير أن بعض كرام صحابته أحبوا أن يتعجلوا السفر إلى يثرب فرارا بدينهم من المشركين وأذى القساة القلوب من أهليهم وذوي قرابتهم

* * *

هاهي ذي مكة ساكنة هادئة ، وقريش وادعون في بيوتهم في وقت لا ينشط الناس فيه إلى حركة ولا ممارسة عمل . فماذا ترى ؟

ترى في بعض أزقة مكة رجلا وامرأة قد أناخا بعيرا ، وأخذا يحملان على ظهره أمتعتهما وأدوات سفرهما . وكان يجول حولهما صغير لهما يطلب الركوب على البعير بدلال ولجاج

حتى إذا فرغا من عملهما أركب الرجل زوجته على رحل البعير ، ووضع ابنها الصغير بين يديها . ثم نهض البعير فأمسك الزوج بخطامه يريد الخروج من مكة متكلا على الله . وكان هؤلاء المسافرون يتكلمون همسا ، وكأنهم كانوا يريدون أن يخفوا أصواتهم فلا يشعر برحيلهم أحد ، لولا أن البعير برغائه وزرزته فضح أمرهم ، ونبه أهلهم وجيرانهم إليهم . فتألبوا عليهم . وحاولوا منعهم من السفر . فجعل الرجل يجادلهم بالمعروف ، ويقول إنهم لا حق لهم في معارضته . وليس لأحد منهم دين في ذمته . فانبرى له رجل منهم قائلا :

يا أبا سلمة ، اذهب أنت وحدك ؛ أما زوجتك (أم سلمة) فهي قريبتنا ولا ندعك تسير بها في البلاد

فصاحت أم سلمة : وأنا أيضا لا أدع زوجي يسافر وحده وأبقى عندكم سجينة ، وأخذت في مجادلة أهلها وتوبيخهم على صنيعهم الفضولي

وفي آخر الأمر تغلب أهلها عليها فانتزعوها من زوجها بالقهر عنها وعنه

عندها تقدم أهل أبي سلمة وكانوا إلى ذلك الحين ملازمين الصمت فقالوا لأهل أم سلمة : إذا كنتم ولا بد آخذين ابنتكم فإن ابنها الصغير (سلمة) لا نسلمكم إياه ، ولا نسمح لكم بأخذه ؛ فإنه ابننا لا ابنكم

ثم عمدوا إلى الصبي فأمسكوا بذراعه ، وكان أخواله ممسكين باليد الأخرى ، وما زالوا يتجاذبونه حتى خلعوا كتفه . فأعولت أمه واشتدت الضوضاء . وأخيرا غلب أهل الزوج وأخذوا الطفل

كل هذا يجري والبعير يرغو ، والصغير تارة يبكي وطورا يلغو ، وأبو سلمة المسكين ينظر إلى الفريقين أهله وأهل زوجته حائرا لا يدري كيف يصنع . ثم صمم على الرحيل تاركا ابنه وزوجته إلى كلاءة الله . وامتطى راحلته وولى وجهه شطر المدينة معتمدا على ربه ، مسلما وجهه إليه بجميع شراشر قلبه

وبقيت (أم سلمة) في مكة عند أهلها . أما ابنها ففي بيت أعمامه . وكانت في كل صباح تخرج إلى الأبطح حيث يجتمع الناس للنزهة والحديث فتندب حظها ، وتبكي شجوها ، صارخة : وازوجاه ! واولداه !

ولبثت على ذلك سنة حتى مر بها رجل من بني عمها فرحمها ورثى لحالها . وذهب إلى قومها . فقال لهم : ويحكم أما ترحمون هذه المسكينة ؟ فرقتم بينها وبين ابنها وزوجها ! فخجلوا . وقالوا لها الحقي بزوجك

قالت أم سلمة : فلم أكد أسمع هذه الكلمة منهم حتى هرولت إلى بيت أهل زوجي فأخذت ابني وأركبته أمامي على البعير وانطلقت أقصد يثرب وحدي لا يرافقني أحد . حتى بلغت التنعيم (وهو منزل على ثلاثة أميال من مكة) فصادفت هناك عثمان بن طلحة الحجبي وكان مشركا على دين قومه ، ثم أسلم رضي الله عنه ، فقال لي إلى أين ؟ وكان بلغه خبري ، فقلت إلى زوجي في المدينة . قال أو ما معك أحد؟ قلت لا، إلا الله وابني هذا . فقال والله لا أدعك تسيرين وحدك . ثم أخذ بخطام بعيري وسار بي . وكنا إذا أردنا النزول أناخ البعير واستأخر عني ، فأنزل وأنزل ابني ، فيجيء ويأخذ البعير فيحط عنه رحله وأداته ؛ ثم يربطه بشجرة ؛ ثم يذهب ناحية فيضطجع . وحين الرواح يقوم إلى البعير فيضع عليه رحله ويستأخر . فأتقدم وأركب . وأضع طفلي أمامي ثم نسير على بركات الله

ولم نزل هكذا حتى وافينا المدينة ، وإذا أناس ، وإذا بينهم زوجي . فقال لي عثمان: يا أم سلمة، هذا زوجك أبو سلمة . فما كان أشد فرحنا بتلاقينا !

وكانت أم سلمة بعد ذلك إذا حدثت عن هجرتها تقول : ما رأيت قط صاحبا في سفر أكرم من عثمان بن طلحة

• • •

ندع أم سلمة وزوجها في المدينة قريري العين ، بجمع الشمل بعد البين ، ثم نرجع في الحافرة : (أي في الطريق التي جئنا منها) ولا نزال نجد السير حتى نبلغ منتصف الطريق فماذا نرى ؟

نرى خيمة قد نصبت على قارعة الطريق . وهي خيمة (أم معبد) . وأم معبد هذه امرأة برزة جليلة (والمرأة البرزة في لغة العرب هي التي تبرز إلى الرجال فتجالسهم وتحادثهم) وقد اتخذت أم معبد في منتصف الطريق بين مكة والمدينة خيمة أعدت فيها

كل ما تستطيع تقديمه لراحة المسافرين . فكان المسافرون الذين يتعبهم السير ، والطريق طويل والحر حر الحجاز ، يعرجون على خيمة (أم معبد) فيجدون فيها ماهم فى حاجة إليه من طعام وشراب واستجمام وحديث عذب نزيه تطارفهم به صاحبة الخيمة

فكانت خيمتها أشبه بمحطة من محطات سكك الحديد أو فندق من فنادق المسافرين التى تقام فى الطرقات الشاسعة ، وأم معبد هى مديرة ذلك الفندق المتواضع

ولما أشرفنا على أم معبد رأيناها منهمكة فى تهيئة ما يلزم لركب كريم نزل بها : سيدان وخادمان . وأحد السيدين يمتاز فى حسن سمته ، وجلالة قدره ، وبجمال طلعته . وكنا نرى رفاقه الثلاثة يحيطون به : يرفهون عنه ، ويبتغون راحته ، ويسارعون فى خدمته

أما (أم معبد) فكانت موزعة الفكر ، ذاهلة اللب ، كأنها مأخوذة بمهابة ذلك السيد الذى نزل بها . وما كانت تعرف من هو

ولكن نحن عرفناه : هو نبينا محمد (ص) ومعه صاحبه (أبو بكر الصديق) و(عامر بن فهيرة) خادم أبى بكر ، و(عبد الله بن أريقط) دليلهم فى طريق هجرتهم إلى المدينة

وإذا أبو بكر ينادى : يا أم معبد ، أما لديك ما نأكله وندعو لك ؟

— بلى ياسيدى : وأسرعت فقدمت إليهم لبنا . لكنه — واخجلتاه — دون كفايتهم . وأخذت تعتذر لضيوفها بأن السنة سنة جدب وقحط

وحانت من النبى (ص) التفاتة فرأى شاة رابضة فى جانب الخيمة وهى جافة الضرع مهزولة الجسم ، فقام إليها ومسح ضرعها ، وأم معبد تتعجب وتقول فى نفسها : ماذا عساه يفعل ؟!

وإذا هو يحلب الشاة ، وإذا هى تدر باللبن . فشربوا حتى إذا ارتووا واستراحوا هبوا مجلين إلى ركائبهم فامتطوها . واستبقوا طريقهم إلى المدينة وتركوا أم معبد فى دهشة من أمرهم

وبعد هنيهة قدم عليها زوجها أبو معبد فرآها مضطربة متغيرة اللون . ورأى فى جنبات الخيمة آثار أكل وشرب . ورغد وخصب

يا أم معبد ما الخبر ؟ وما هذا الذى أراه ؟

فأخبرته بخبر المسافرين الذين نزلوا بها ، وأن واحدا منهم قام إلى نعجتها هذه العجفاء الجافة الضرع فحلبها فدرت لبنا غزيرا

يا أم معبد ، صفى لى هذا الرجل العجيب ! فقالت :

(إنه ظاهر الوضاءة ، مليح الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة . فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف . أحور ، أكحل ، أزج ، أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سطع ، وفى لحيته كثاثة . إذا صمت فعليه الوقار . وإذا تكلم سما وعلاه البهاء . كأن منطقه خرزات نظمن ثم تحدرن . حلو المنطق . لا نزر ولا هذر . أجهر الناس إذا تكلم وأجملهم من بعد . وأحلاهم وأحسنهم من قريب . ربعة . لا تشنؤه العين من طول ، ولا تقتحمه من قصر . غصن بين غصنين . له رفقاء يحفون به . إذا قال يستمعون لقوله ، وإذا أمر يتبادرون لأمره . محفود ، محشود ، لا هو عابس ولا مفند) (١)

فلما سمع أبو معبد هذا الوصف قال وقد ملاه الوجوم : ويحك يا أم معبد ! هذا هو صاحب قريش الذين ما زالوا يطلبونه . وقد بذلوا جعلا لمن يرده إليهم . ثم تركها وأخذ يشتد فى أثر الركب حتى أدرك النبى (ص) فأسلم ورجع إلى قبيلته يبشرهم بالإسلام

وجعل رجال القبيلة الذين بلغهم خبر مرور النبى (ص) بأم معبد يفدون على خيمتها : يستوصفونها صفة النبى ، وهى تصفه لهم . حتى قال لها بعضهم : (يا أم معبد ! ما بال وصفك للرسول أوفى وأتم من وصفنا له لو رأيناه نحن معشر الرجال ؟

فقالت : (أما علمتم أن المرأة إذا نظرت إلى الرجل كان نظرها أشفى من نظر الرجل إلى الرجل ؟) ومعنى (أشفى) أدق

(١) تفسير ما فى هذه القطعة من غريب اللغة : (الوضاءة) الحسن (ثجلة) كبر البطن (صعلة) صغر الرأس (دعج) سواد العين مع سعتها (وطف) طول الأهداب . (أزج) رقيق الحاجبين طويلها (سطع) طول (كثاثة) كثافة أى ليس بكوسج . (لا نزر ولا هذر) لا قليل الكلام ولا كثيره . (أجهر الناس) أى أرفعهم صوتا (ربعة) مربوع القامة (لا تشنؤه العين) أى لا تكرهه ولا تنفر منه (لا تقتحمه) أى لا تحتقره ولا تزدريه (محفود) يسارعون إلى خدمته (محشود) يحتشد الناس حوله لاستماع كلامه (ولا مفند) أى لا يكثر لوم جلسائه

وأكثر استقصاء وانتباها

أحسنت فيما قلت يا أم معبد ! غير أن علماء الحديث اعترضوا عليك فى قولك إن النبى كان (أقرن) أى مقرون الحاجبين مع أن الذين وصفوه من الصحابة غيرك قالوا إنه كان (أفرق) أى مفروق الحاجبين متباعدهما لا مقرونهما . وقولهم هو الصحيح فى وصفه

وعندى أن (أم معبد) لم تخطئ فى الوصف كما زعموا، ولم تقل (أقرن) وإنما قالت (أفرق) لكن النساخ هم الذين حرفوا كلتها وما أسهل وقوع التحريف بين (أفرق) و (أقرن)

* * *

ندع خيمة أم معبد وننطلق مسرعين إلى يثرب

فماذا نرى ؟

نرى المدينة المشرفة قد تألقت وتأرجت حتى أصبحت تحكى باقة زهر ، أو ابتسامة ثغر ، وقد برز سكانها إلى ساحاتها وضواحيها ، وأخذوا يروحون ويغدون بينها وبين (قبا) . و (قبا) قرية تبعد نحو أربعة كيلو مترات عن المدينة

ونسمع فئات من الفتيان يتجادلون فى النبى (ص) هل يبيت فى (قبا) أو أنه بعد أن يستريح فيها يجئ المدينة ؟

وكانوا يتواصفونه ويذكرون من جماله وهيبته . فقال بعضهم اسمعوا : جئت الآن من (قبا) وقد رأيت أبا بكر واقفا على باب البيت الذى فيه النبى فحسبته النبى نفسه . وذلك لما رأيت من مهابته ، وجلال قدره ، والشيب الظاهر فى لحيته . فتراميت عليه مرحبا متبركا ، وإذا هو يمسكنى بيدى ويقودنى إلى داخل البيت ويقول لى هذا هو نبيك . فإذا لحيته الشريفة سوداء ليس فيها شيب . مع أنه أكبر من أبى بكر بثلاث سنوات . وكان النبى فى نحو الخمسين من عمره

ولما خرج النبى من قبا متهيئا للسير إلى المدينة وقف أبو بكر يظلله بردائه وقاية له من حر الشمس . فعرفه الناس حينئذ . وجعلوا يهتفون إليه بالتحية والترحيب والإجلال والتعظيم

ثم ركب النبى ناقته وأردف أبا بكر خلفه . وأخذ طريقه إلى المدينة . وانساب الناس حواليه فرحين مستبشرين حتى دخلوها فإذا أجاجيرها (أى شرفات سطوحها) مزدحمات بالنساء فما رأين شخص النبى حتى علت أصواتهن بالزغردة والأناشيد

وكان صغار الصبيان والجوارى يمشون زرافات بين يدى النبى يضربون بالدفوف ويغنون النشيد الذى يصلح أن نسميه (نشيد الهجرة) وأوله :

طلع البـدر علينا من ثنيات الوداع

وكان الرجال يتحمسون عند سماع زغردة النساء فيترامون على ناقة النبى ويتجاذبون زمامها يريد كل منهم أن يكون هو قائدها . وتفرق الغلمان والخدم فى سكك المدينة ينادون (جاء محمد رسول الله . الله أكبر . جاء محمد رسول الله) وأشباه ذلك من كلمات الغبطة والفرح والتنويه بقدره الشريف . وعلى جوانب الطريق كان جماعات الجيش يرقصون ويغنون ويلعبون بالحراب فرحا بقدوم النبى

ولما تخلل الموكب دور المدينة جعل سكانها يقفون فى وجه الناقة ويضرعون إلى النبى أن ينزل ضيفا عليهم . وكانوا أحيانا يمسكون بزمام الناقة ويميلون رأسها إلى جهة بيوتهم ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . وكانت الناقة تنظر يمينا وشمالا كأنها كانت تفتش عن دار تختارها لنزولها

وأخيرا بركت على باب (أبى أيوب النجارى (الأنصارى) وأرزمت (أى حنت الناقة حنينا طويلا) . عندها نزل النبى عنها ودخل الدار قائلا (رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) فاستقبله أهل الدار بالترحيب ، وبرز من داخل البيت جويريات بأيديهن دفوف وجعلن يغنين :

(نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمـد من جار)

قال أنس خادم النبى : (إننى لم أر يوما فى عمرى أحسن ولا أضوأ من ذلك اليوم الذى دخل فيـه النبى المدينة ونزل دار أبى أيوب)

* * *

رأيتم أيها السادة القراء كيف أن الإسلام نشأ فى قلة، وتكون من ضعف ؛ ثم استحال الضعف إلى قوة ما لها حد ، والقلة إلى كثرة لا يحصى لها عد

عربى فرد (صلى الله عليه وسلم) بعد عشر سنين من هجرته

العالم الإسلامي حقيقة واقعة

للأستاذ سيد قطب

الذين يتحدثون اليوم عن «العالم الإسلامي» بوصفه كتلة ثالثة عليك أن تلعب دوراً أساسياً في سياسة العالم، وعليك أن يكون لها وضع خاص متميز لا يرتبط بسياسة الكتلة الشرقية ولا بسياسة الكتلة الغربية.

هؤلاء لا يتحدثون عن مسألة تاريخية قد انقضى أوانها، ولا يتحدثون عن أمل في ضمير الغيب البعيد يتملق به الخيال .. إنما يتحدثون عن حقيقة واقعة . حقيقة قائمة ، لا سبيل إلى إنكارها ، ولا سبيل إلى المغالطة فيها . .

إنها حقيقة تاريخية ، وحقيقة جغرافية ، وحقيقة اقتصادية ، وحقيقة فكرية وشعورية.. فلها كل مقومات الحقائق الواقعة التي لا تجدى في دفعها المغالطة والنكران . . .

إنها حقيقة تاريخية .. فالعالم الإسلامي كان كتلة واحدة ذات ثقل واحد في ميزان التاريخ ، وميزان الاتجاه العالمي ، وميزان السياسة الدولية ، وميزان الأحداث الإنسانية ..ولقد ظل كذلك منذ القرن السابع إلى أوائل القرن التاسع عشر . أي حوالى ألف ومائتي عام على الرغم من كل ما حاق به من محن ، وكل ما أصابه من ويلات ، وكل ما دب في كيانه من تمزق . والفترة الوحيدة التي خف فيها وزن الكتلة الإسلامية هي هذه الفترة الأخيرة التي لا تتجاوز قرنا واحداً من الزمان

وهي حقيقة جغرافية ؛ فالكتلة الإسلامية تمتد في حدود متصلة أو شبه متصلة من مراكش إلى تونس ، إلى الجزائر ، إلى طرابلس ، إلى وادى النيل ، إلى فلسطين ، إلى سوريا ولبنان ، إلى شرق الأردن والعراق ، إلى نجد والحجاز ، إلى اليمن ، إلى إيران ، إلى تركيا ، إلى أفغانستان ، إلى باكستان ، إلى أندنيسيا. وتكون حاجزاً كاملا يفصل بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، بحيث يصعب تصور أي التحام بين هاتين الكتلتين لا يمر بذلك الحاجز الطويل العريض المتصل الحدود .

وهي حقيقة اقتصادية ؛ فهذه الرقعة الفسيحة من الأرض تحوى من الخامات والموارد الطبيعية والانتاجية ما يكفي لتكوين وحدة اقتصادية متكاملة ، تكاد تكفي نفسها بنفسها . فإذا احتاجت

أخضع مائة ألف عربي لحكمه ، ومائة الألف عربي بعد نحو سبعين سنة أخضعوا ملايين وملايين من البشر واستولوا على ممالك العالم المعروف في ذلك الزمن !

قال علماؤنا رضى الله عنهم : يجب على الأب والأم أن يلقنا طفلهما الصغير حينما يعقل هذا التعليم البسيط وهو : (يا بنى إن نبينا محمداً ولد في مكة ، وهاجر إلى المدينة فدفن فيها)

فإذا انتقل الصغير من دور الطفولة إلى دور النشوء (أو دور التعليم الابتدائي) فما هو أول ما ينبغي للمعلمين أن يلقنوه إياه ؟

أرى أن يلقنوه بيتا من الشعر قاله أبو تمام وهو :

الصين منظوم بأندلس إلى جدران رومية فملك ذمار

(وذمار) اسم قديم لليمن . يقول أبو تمام في هذا البيت إن ممالك الإسلام في زمنه (أي في حدود المائتين للهجرة) كان يحدها شرقاً الصين ، وغرباً بلاد الأندلس ، وشمالا روما (وكان المسلمون اقتربوا منها وهددوها) ، وجنوبا بلاد اليمن الواقعة في جنوب البحر الأحمر ! فما أعجب هذا البيت السحرى الذى جمع فيه أبو تمام دنيا الإسلام بحدودها الأربعة !

وهكذا كانت عاقبة الهجرة النبوية : وثب الإسلام بعدها من عسر إلى يسر ، ومن ضيق إلى سعة : فهو لم يكد يخرج من ضيق خيمة (أم معبد) حتى دخل من سعة بلاد الله خيمة يحدها الخافقان ، ويأوى إلى ظلها الثقلان !

دمشق المغربي

الى شيء فهى تملك أن تقدم نظيره ، ويبقى الميزان الاقتصادى العام فى صالحها . وقد برهنت الحرب العالمية الماضية على صحة هذه الحقيقة ؛ حينما تعذر الاستيراد من أوربا أو أمريكا لمنطقة الشرق الأوسط ، وأقيم بها مركز تموين لتحقيق كفاية نفسها بنفسها .. فاذا أضيفت الى منطقة الشرق الأوسط تلك المساحات الإسلامية من الشرق الأقصى تمت الكفاية الذاتية ، وثبتت تلك الوحدة الكاملة الاقتصادية .

وهى حقيقة فكرية وشعورية ؛ فهذه الكتلة المترامية الأطراف يجمع بينها رباط فكرى واحد ورباط شعورى واحد . رباط العقيدة الإسلامية ، والتفكير المنبعث منها ، والنظام الاجتماعى المتأثر بهذه العقيدة ، حتى بعد أن طغت عليها النظم الغربية ، وبعد ما بعد الكثير من حكوماتها عن حكم الإسلام وتعاليم الإسلام . وما تزال هذه الكتلة تملك ذلك الرباط الواحد الذى تستمسك به جميعا

إن هذه المقومات المتعددة المتكاملة لا يجتمع مثلها لواحدة من الكتلتين الشرقية أو الغربية . فهذه أو تلك تملك بعض هذه المقومات ، ولكنها لا تملكها مجتمعة ، كما تملكها الكتلة الإسلامية ، أو العالم الإسلامى . . وإذن فلا مجال للتشكيك فى قوة المقومات التى تملكها هذه الكتلة ، ولا فى قيمتها ، ولا فى أنها مقومات طبيعية ، غير مصطنعة ولا متكلفة . وليست ناشئة من مجرد الرغبة فى تكوين كتلة ثالثة ؛ وإنما هى تفرض نفسها فرضا ، وتحتم قيام هذه الكتلة المستوفية لكل شروطها ومقوماتها

هذه بديهية واضحة لأنها تعتمد على الواقع المشهود . . ولكن الكثيرين يحاولون التشكيك فيها بشتى الوسائل . ففريق يزعم بأن العالم اليوم ينقسم الى كتلتين اثنتين : الشيوعية فى جانب ، والرأسمالية فى جانب . ويزعم أن لا سبيل الى اختيار طريق ثالث ، فإما أن ننضم الى الكتلة الشرقية أو أن ننضم الى الكتلة الغربية . . وليس أكذب من هذا الزعم ولا أبعد منه عن الحقيقة الواقعة التى ينطق بها الواقع المجرد من وجود كتلة ثالثة لها كل مقوماتها ، ولها كل إمكانياتها .

وفريق يزعم أن الكتل لا تقوم على أساس الوحدة الجغرافية ، ولا الوحدة الفكرية والشعورية .. إنما تقوم على أساس النظم الاجتماعية . والنظم الاجتماعية التى يعرفها العالم هى الشيوعية فى الشرق والرأسمالية فى الغرب . ولا سبيل الى الحديث عن أى نظام اجتماعى آخر . فالا تكن الشيوعية فهى إذن الرأسمالية ولا ثالثة لهما . . وليس أبعد من الحقيقة عن هذا الزعم القائم على الجهل ، وإن كان يلبس ثوب العلم ! فهناك نظام اجتماعى ثالث مستقل كل الاستقلال عن النظام الرأسمالى وعن النظام الشيوعى . نظام كامل شامل ، له رأيه فى الحكم ، ورأيه فى توزيع الثروة ، ورأيه فى العلاقات بين العمال وأصحاب العمل ، وبين الملاك والفلاحين ، ورأيه فى علاقة الأفراد بعضهم ببعض ، وعلاقة الأفراد مع الدولة ، وعلاقة الدولة بالدول الأخرى . . وهو يصدر فى كل هذا عن فكرة مستقلة غير الفكرة الرأسمالية وغير الفكرة الشيوعية . وقد يلتقى بهذه أو بتلك فى بعض الجزئيات ، ولكن له فى النهاية هيكله الخاص ، وفلسفته الخاصة ، وتنظيماته الخاصة .. وهو حين يقاس الى الرأسمالية أو الى الشيوعية تبدو هذه كما تبدو تلك نظما متخلفة بالقياس الى النظام الإسلامى الاجتماعى . مشحونة بالأخطاء والمظالم والتعسفات . كما تبدو أقل قدرة على التطور وعلى مسايرة نمو البشرية من النظام الإسلامى .

وفريق يزعم أن هذه الكتلة الإسلامية من الضعف اليوم بحيث لا تملك أن تصبح كتلة ثالثة تقف تجاه الكتلتين أو إحديهما . وأن العالم الإسلامى قد أدى دوره قديما ولم يعد له دور جديد . . وهذا الزعم قد يكون مفهوما حين تردده إحدى الكتلتين المتعاديتين . لأن الكتلة الغربية المستعمرة تردده اتقتل كل محاولة للتخلص من ربقة الاستعمار البغيض . والكتلة الشرقية تردده كى تفهم الشعوب الإسلامية المستعمرة أن وسيلتها الوحيدة للتخلص من الاستعمار هى الارتماء فى أحضان الشيوعية ، وأنه لا أمل فى أن يكون لها هى نفسها كيان خاص مستقل .. هذا مفهوم . . فأما حين نردده نحن ، أو حين نؤمن به ، فهذا هو العجب المنافى للرغبة البشرية الطبيعية فى أن يكون المرء كيان خاص ، ومركز خاص ، واحترام خاص . وإن هو إلا المسخ الذى يصيب الفطرة . وما يقول بهذا إلا الممسوخون الذين حولتهم دعاية هذه الكتلة أو تلك إلى فتات آدمى وحطام !

إن العالم الإسلامى حقيقة واقعة . وإن كانت هذه الحقيقة

قد خف وزنها فترة من الزمن ، أصاب الكتلة الإسلامية فيها ما أصابها من الوهن والضعف ، حتى وقعت فى قبضة الاستعمار.. فإن كل الدلائل تشير اليوم الى أن هذه الفترة قد انقضت ، وأن البعث قد آن أوانه ، وأن القوة الكامنة فى هذه العقيدة ما تزال تعمل ؛ وأن هذه القوة لم تمت ولم تنطفىء ، ولكنها كانت تجتاز فترة تكون وتجمع . وقد اجتازتها الآن . .

لقد انبعثت دول إسلامية جديدة ، ولقد نهضت أمم إسلامية وشعوب . ولقد انبعثت الشعلة المقدسة تضيء من أقصى العالم الإسلامى إلى أقصاه . واقد تنادت شعوب العالم الإسلامى كله كتلة واحدة ، وراحت تتجمع تحت راية واحدة . . الراية التى أظلتهم أول مرة ، فاندفعوا تحتها إلى أقطار الأرض جميعا . .

ولقد خفتت أو كادت تلك الأصوات المنكرة التى كانت تدعو الى القومية الهزيلة الضيقة وراء الحدود الصغيرة المصطنعة . وتبين للغالبية الساحقة أن القومية الإسلامية هى القومية الحقيقية التى تجمع بين هذه الشعوب . وان حدود الوطن الإسلامى هى الحدود الحقيقية ، وما عداها كله فخاخ وضعها الاستعمار ليقع فيها الغافلون والمغرضون . ثم يتفرق الوطن الإسلامى الى دويلات صغيرة ضئيلة عاجزة . تحت عنوانات القومية ! ثم لا يفيد من هذا أحد كما يفيد المستعمرون الذين واجهوا العالم الإسلامى وما يزالون يواجهونه بروح صليبية وبسياسة صليبية ، يتابعهم فيها أعداء هذا العالم الإسلامى فى الشرق والغرب سواء .

إن العالم الإسلامى حقيقه واقعة . وما عاد يجدى أحد أن يقف فى طريق بروزها بعد اليوم . والكتلة الثالثة ضرورة إنسانية ، قبل أن تكون تكتلا إسلاميا . . ضرورة إنسانية لتحقيق غرضين أساسيين من أغراض البشرية فى هذا الطور من التاريخ :

الغرض الاول :

هو تحقيق استقلال جميع الشعوب المستعمرة ، والقضاء على الظل الاستعمارى البغيض فى الأرض . فلقد استطاع الاستعمار أن يتصيد الشعوب الإسلامية واحدا واحدا، حينما تمزقت وحدتها الكبرى ، وضعفت عن حماية أنفسها فرادى . فاذا ارتدت اليوم الى نوع من الوحدة فى صورة تكتل ذى كيان جغرافى واقتصادى واجتماعى . . ثم عسكرى أمكن أن تصمد للاستعمار ، وان تتخلص من براثنه ، دون ان ترتمى فى احضان الشيوعية. . وإن كان هـذا لا ينفي ان تمد يدها الى الكتلة الشرقية من الناحية السياسية لا الناحية الاجتماعية ، فيما تتفق فيه مصالحهما. ومصالحهما تتفق عند مكافحة الاستعمار . وفى هذا المجال تستطيع الكتلتان الشيوعية والإسلامية ان تؤديا دورا مشتركا فى هذا المجال وحده . وفيه الكفاية والخلاص من الاستعمار

الغرض الثانى :

هو تجنيب البشرية ويلات حرب ثالثة — اوعلى الأقل تأخيرها الى اطول امد ممكن . فالكتلتان المتعاديتان اليوم إنما تتنازعان على ارض الكتلة الثالثة وخاماتها ومواردها . والذين يقولون عن إحدى الكتلتين : إنها مجموعة من الملائكة ذوات الأجنحة البيض التى لا تبغى فى الأرض إلا السلام البرىء ، بلا مصلحة ولا غاية ، إلا غايات القديسين والملائكة الأبرار . . إنما يحتقرون عقولهم أو عقول الناس . وإنما يقولون كلاما سخيفا لا يصدقه حتى الأطفال . . وحين تبرز إلى الوجود كتلة العالم الإسلامى. ستفكر كل من الكتلتين مرتين قبل الإقدام على الحرب . لأن أرض الكتلة الثالثة ومواردها لن تكون يومئذ صيدا رخيصا سهلا ، يسيل له لعاب الشرقيين أو الغربيين . فضلا عن أن هذه الكتلة الثالثة تملك إيجاد التوازن بين القوتين ، وتملك أن تهدد الفئة الباغية بأنها ستكون ضدها . وان تقدم على الحرب كتلة تقف لها كتلة العالم الإسلامى بالمرصاد ، وتنضم إلى خصومها فترجح الكفة ترجيحا لا شك فيه .

وبعد فأحب أن أقرر فى نهاية الأمر أن الحديث اليوم عن الكتلة الثالثة ليس دعوة لقيامها ، ولكنه تقرير لوجودها . وجودها الذى لن يملك أحد ولا قوة أن تمدمه . لأن طبائع الأشياء ، وتطورات التاريخ ، وضرورات الإنسانية . . كلها تدعو إليه وتنادى به . . والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

سيد قطب

إلى السلاح .. يا عرب

للأستاذ علي الطنطاوي

يا أيها القراء! إني ما جئت أصب في أعصابكم قوة ليست فيها، ولكن جئت أثير القوة التي نامت في أعصابكم وما جئت لأجعلكم خيراً مما أنتم عليه، ولكن جئت لأفهمكم أنكم خير مما أنتم عليه. جئت أضرم جمرة الحماسة التي غطاها في نفوسكم رماد الكسل. فأعينوني على نفوسكم باستعادة الثقة بها، وبسلائق العروبة التي ورثتها، وبعزة الإسلام التي كانت لها. واعلموا أنكم إن فقدتم عزتكم، وأضعتم سلائقكم، لم تكونوا جديرين بمحمد، ولم يكن لكم الحق في الاحتفال بمولد محمد!

يا سادة! إن الأمم كالأفراد: ألا يكون الرجل منكم رائحاً من عمله، خائر الجسم، واني العزم، كل أمانيه أن يصل إلى الدار فيلقي بنفسه على أول مقعد يلقاه، قبل أن يستنفد الجهد قواه، فيجد في الدار بشارة بأنه رفع درجة، أو نال جائزة، أو هبط عليه إرث ضخم، من قريب منسي، فيحس بأنه انتفض كما ينتفض العصفور بلله القطر، وانتعش كما ينتعش النبات أرواه الماء، ونشط كما ينشط الجمل أطلق من عقال؟

ألا يكون أحدكم مرخى الأعصاب، خامل الجسد، قد خدره النعاس حتى ما يقدر أن يفتح عينيه، فيعدو عليه عاد، أو يطرقه لص، أو يحقره إنسان، فيشعل الغضب في دمه ناراً، ويشد من أعصابه أوتاراً، فيثب يريد أن يقتحم الجدار، أو يخوض النار؟

ألا يكون أحدكم تعبان كسلان، يجر قدميه من الونى جراً، يظن أنه سيسقط من كلاله على الأرض، فيلحقه عدو فاجر، أو يطارده وحش كاسر. فإذا هو ينطلق انطلاق القذيفة من فم المدفع، ويعدو عدو الغزال المروع؟

هذه أيها الناس القوة المدخرة في أعصاب الإنسان، يظهرها الأمل، ويبديها الغضب، ويبعثها الخوف. وفي الأمم قوة كهذه القوة. وما الأمة إلا الأفراد. الأمة أنا وأنت وهو وهم وهن، أفلا تحس إن غضبت أو فرحت أو جزعت أن نبضك يسرع، وقلبك يخفق، ووجهك يصفر أو يحمر، وجسدك كله يتبدل ويتغير؟ فكذلك الأمم، تكون نائمة آمنة، قد غلب عليها الخمول، وشملها الارتخاء؛ فما هي إلا أن يبعث الله لها القائد العبقري، يصرخ فيها ينذرها خطراً، أو يحذرها عدواً، أو يعدها نصراً مؤزراً، حتى تثب كما يثب الجندي المستريح إلى سلاحه: فتعمل العجائب، وتصنع المعجزات، وتدع التاريخ حائراً من فعلها مشدوهاً

وهذه هي الأمثلة تملأ العصور، وتترع صفحات التاريخ، الأمثلة من الشرق والغرب، من القديم والحديث، حيثما تلفتم وجدتم مثالاً

هذه مصر! كانت على عهد المماليك، بلد الجهل والافتراق والضعف والتخاذل، فما هي إلا أن بعث الله لها محمداً علياً، حتى نهضت نهضة الأسد، فكانت لها المدارس والصحف والصروح والمصانع ومعامل السلاح، وكان لها الجيش الذي فتح الشام، وقهر الأتراك سادة الجحافل، وأبطال الميادين، وكاد (لولا مكر انكلترا وغدرها) يهد عرش آل عثمان. وكان لها الأسطول الضخم الذي كاد (لولا تلك الجريمة التي لم يحاسب عليها بعد مجرموها) يعيد البحر المتوسط، بحر العرب، كما كان أيام عز العرب

وهذه جماعة الأتراك من آل عثمان! كانت قبيلة بدوية تسكن القفار، وترعى الأبقار، ليست في عير ولا نفير؛ فلما بعث الله لها عثمان وشرفه بالإسلام، صارت به وبخلفائه الأولين؛ مراد والفاتح وسليم وسليمان، صاحبة القسطنطينية، ومالكة ما بين خراسان وأسوار فينا، وصار البحر المتوسط بحيرة في أملاكها

وهذه فرنسا! ماذا كانت فرنسا في أعقاب ثورتها؟ أمة الفوضى والانحلال، والحيرة والضلال، والتبدل من حال إلى حال! فما هي إلا أن جاءها نابليون حتى ملكت تحت لوائه أوربة

كلها ، وصارت أمة الأمم

وهذه روسيا ! كانت بلادا أدنى إلى الهمجية والجهالة ، فما هى إلا أن جاءها بطرس حتى غدت به بلدا أوربيا من بلاد المدنية والعمران

بل هـذا هو المثل الأغر المحجل ، الذى لا تدانيه الأمثلة ، ولا تضارعه فى سمو النهضات

هذه القرية التى كانت متمددة وراء الرمال ، نائمة فى ظلمات من الجهل والفقر والجدب فوق ظلمات ، لا تدرى بهـا المدن الـكبار ، ولم يسمع بها التاريخ ، هزها بيمينه سيد العبقريين ، وأعظم العظماء ، من كان فى الأرض سفير السماء ، وكان إمام الرسل وأفضل الأنبياء : محمد

هزها ، فإذا هذه الرمال المحرقة التى لا تعيش فيها الحيـاة ، تنبت السهول الخصاب ، والرياض والجنات ! وإذا هـذه القرية الضائمة تلد المدن العظام : الـكوفة والبصرة وبغداد والقاهرة والقيروان ! وإذا هذه القبائل المتفرقة تخرج الجيش الذى فتح الشرق والغرب ، وملك ثلثى العالم المتمدن فى ثلث قرن ! وإذا هذه الأمة الجاهلية تنجب الأساتذة الذين علموا الدنيا ، وأرشدوا أهلها ، وأقاموا أعظم حضارة عرفها البشر ، حضارة خير وحق وجمال ، ليست حضارة قتل وتدمير ، ومصائب وانكليز ، ويهود وبارود، وقنبلة ذرية ...

وأمامكم من هذه الأمثلة مئات

بل إننـا نستطيع اليوم فى كل قطر عربى أن نضرب من أنفسنا الأمثال

إنه لا ينقصنا لنعز ونسود ، ونسير على سنن الجدود ، إلا حرب تنبه ، أو زعيم عبقرى يقود . إننا لا نريد إلا أن يتحمس العرب ، أو يغضب العرب ، أو يخاف العرب ، فتوقظهم الحماسة ، أو يثيرهم الغضب ، أو يحركهم الخوف ، فيرجعوا إلى مكان الصدارة بين الأمم

إن سوريا الصغيرة تستطيع أن تـكون من الدول الأوائل على وجه الأرض حضارة وعلما وقوة ومالا

لا . لا تقولوا نحن قليل ، فاليهود أقل منا

لا تقولوا : نحن قليل ، فإن أرقى دول أوربة رقيا ، وأفضلها حضارة ، هى أقلها ناسا ، وأضيقها رقعة : سويسرا وهولندا ودول الشمال . ونحن أحسن من بعضها موقعا من الأرض ، وبلادنا أوسع ، وخيراتها أكثر ، ونحن أسرع سيرا فى طريق النجاح

ألا ترون ما صنعنا من (يوم الجلاء) إلى اليوم ؟

أما عملنا فى خمس سنين ما لم نعمل مثله فى خمسين سنة ؟

أما صار لنا جيش ؟ أما غدت لنا جامعة ؟ أما أقيمت فى بلدنا (معامل الشركة الخماسية) التى شهد كل من رآها بأن الحضارة لم توجد اليوم أعظم منها ؟ أما استبدلنا بالمحاريث التى كانت تجرها البقر أضخم الآلات فزادت زراعتنا أضعافا ؟

هل لأمة مثل ما لنا من الحزم والعزم ، وركوب الفلوات ، واقتحام اللجج ، والضرب فى الأرض ؟ هل على ظهر هـذه الـكرة بلد ليس فيه رجال منا ، نزلوه فقراء فصاروا فيـه من كبار الأغنياء ؟ أليس فى الأمريكتين وفى أوربة كلها وفى السنغال وفى الـكونغو وفى الـكاب وفى شنغهاى وفى اليابان رجال من الشام يجاهدون للمال ، ويعملون للغنى ، ويدهشون أهل كل بلد نزلوه ، بتلك الهمم وهاتيك العزائم ؟

هل نزل اليهود بلدا فلم يكونوا أرباب المال فيه ، إلا الشام ، فما كان اليهودى فى الشام إلا متجرا بعتيق الثياب ، يدور بهـا على الأبواب ، أو منظفا لمجارى الـكنف تحت الأرض ؟ ذلك لأن أهل الشام أبصر بالعمل ، وأعرف بطرق جمع المـال من اليهود

وهذا والله فخر لهم ، وإن عده ناس طمنا عليهم

أفيعيينا (معشر العرب) ولنـا هذى السجايا ، أن نتقلد السلاح ، ونرجع أمجاد الأجداد ؟ أتعجزنا حرب إسرائيل ؟

أهؤلاء الزعانف أوشاب الأمم ، أم دول أوربا لمـا رمتنا عن قوس واحدة أيام الصليبيين ؟

أهؤلاء أم سيول التتر ، لما قادهم إلينا هولاكو فخطوا علينا خط الجراد ؟

أهذه (الدويلة ..) بنت ثلاث سنين . أم دول الصليبيين التى شاخت فى أرضنا إذ عاشت فيها أكثر من مئة سنة ؟

أهذه الدويلة ... ونحن بالجيش والسلاح ، ولنا الاستقلال ، ومعنا المال ، أم فرنسا ذات الحول والطول ، لما حاربها رجال منا بأيديهم ، لا يملكون إلا السلاح الذى أخذوه من جنود فرنسا ؟ فوقفت فرنسا بدباباتها ومدافعها عند جسر تورا سنتين لا تستطيع أن تجتازه ، وما عرض النهر إلا خمسة أمتار ، وما يحميه إلا عشرات من الثوار

أما نصرنا الله فى أيام أشد من هذه الأيام ؟

أضاعت ثقتنا بالله ثم بأنفسنا وبماضينا وبأمجادنا ؟

ألا ترونها تتلظى فى العروق الدماء ، وتتفجر فى الرؤوس الحماسة ؟ أما ترون شباب مصر ، طلاب الجامعة ، وتلاميذ المدارس ، وعمال المصانع ، يزلزلون الأرض ، لا يطلبون إلا أن يفتح لهم الطريق ، ليمشوا إلى حرب انكلترا ؟

إنهم لا يحفلون جندها ، ولا يبالون سلاحها ، ولا يخشون حديدها ونارها . ولو فتح الطريق لنساء مصر ، لمشت إلى حرب انكلترا نساء مصر !

إن ها هنا شعبا يريد أن يموت ليحيا وطنه ، فهل تستطيع انكلترا أن تبيد الشعب كله ؟

فيا أيها الحاكون فى بلاد العرب ، لا تطفئوا هذه الحماسة . لا تزهقوا هذه الروح

يا أيها الحاكون ، اجعلوا كل ميدان فى البلد ساحة تدريب ، وكل قادر على الحركة جنديا . دربوهم وخلوا طريقهم ، فإنكم لا تدرون متى تحتاجون إليهم . (جندوا) كل يافع وكل كهل وكل عجوز ، لا أقول ألبسوهم جميعا بزة القتال ، وسوقوهم إلى المعركة ، لا ، فليس الجيش هو الذى يحارب فقط ، ولكن أقول سوقوهم إلى الأسواق وإلى المصانع وإلى الحقول ، حتى لا يبقى فى البلاد كلها عاطل ولا خامل ولا سائل ، ولا يبقى فى البلاد كلها شبر واحد مقفر أو خال . أقلوا عدد الموظفين ، وزهدوا التلاميذ فى (الوظائف) ، وربوهم على حب العمل ، وكراهية الكسل ، وأقيموا النهضة على أساس شامل كامل ، واجعلوا للبلاد دستورا اقتصاديا مبنيا على أساس العلم ودواعى الحاجة ، وعدلوا أسلوب الموازنة ، وقوانين الضرائب ، فإنه لا يجوز فى شرعة العصر أن يدفع تسعة أعشار الضرائب الفقراء ، ويفلت منها كبار الأغنياء . واستفيدوا من خيرات الأرض وبركات الوطن ؛ فإن هذا البترول العربى لو أنفق ثمنه فى أسباب القوة ، وفى سبيل الإصلاح ، ولم ينفق على الإثم والفسوق ومعصية الرسول ، لكانت به كل مدينة عربية ، مدينة أمريكية !

ثم استنهضوا همم الرجال، واستثيروا بذل الأغنياء ، وحرموا إنفاق المال فى وجوه السرف ، وألوان الترف ، وأنفقوا كل ما اجتمع لكم من مال فى السلاح والعتاد . دربوا الناس على القتال ، واجعلوا من الشباب جنودا مستعدين ليوم الكريهة ، وانشروا فى الشعب علم النجاة من الغارات والهجمات ، وسخروا الصحف والإذاعات لبث القوة والرجولة فى صدور الرجال

إلى السلاح — يا عرب !

إلى السلاح — فنحن فى حرب ما بقى فى فلسطين يهودى واحد

إلى السلاح — فنحن فى حرب ما بقى فى القناة انكليزى واحد

إلى السلاح — فنحن فى حرب ما بقى فى تونس أو مراكش أو أى قطر عربى أجنبى واحد

إلى السلاح — يا عرب

على الطنطاوى
قاضى دمشق

هجرة الرسول

للأستاذ أنور العطار

« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى . وقلة حيلتى . وهوانى على الناس . يا أرحم الراحمين إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى . أم إلى قريب ملكته أمرى ؟ إن لم تكن ساخطا على فلا أبالى . أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له السموات والأرض ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن تحل على غضبك ، أو تنزل على سخطك . ولك العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بالله »

ـ من أدعية الرسول قبل الهجرة ـ



ياسيد الخلق يانورالوجود سرت ... بأضلعى اليوم من نجواك أصداء
رفت حياتى بها بشرا وزغردة ... فالقلب تسبيحة فى الثغر سجواء
من جود كفيك أنغامى وأخيلتى ... ومن سخائك للعافين إغناء
حبيت فيك قريضى حين قربنى ... إلى حماك فشعرى منك إدناء
وبحت بالحب فى سرى وفى علنى ... ولذ لى فى هواك السمح إفشاء
لولا هواك لما أبدعت قافية ... والكون لولا الهوى بهماء جرداء
والقلب لو لم يعذب لم يصغ نغما ... إن العذاب لمتلاف ومعطاء
وأنت أيقظت فى الحب فانتشرت ... على محياى أفراح وآلاء
وأنت أغنيتنى حسا وعاطفة ... كأنما أنا إلهام وإيحاء
وأنت فجرتنى حبا ومرحمة ... فليس يعلق بى حقد وبغضاء
وأنت صفيتنى كالنبع منسكبا ... والنبع مذ كان أنغام وصهباء
وأنت أزهدتنى فى الناس كلهم ... فهجر أطماعهم للنفس إبراء
والبعد عنهم نجاة من أذيتهم ... وما يطاق الأذى ، والبعد إنجاء
ما ارتاح قلبى إلى غشيان عالمهم ... كأنهم محن سود وأرزاء
ولا ارتضت مهجتى دنياهم سكنا ... وقد علتها شكايات وضوضاء
هم علموا القلب أن ينأى مطامعهم ... فما لدنياهم زهو وإغراء
كأنما هى دار لا أنيس بها ... فآدم اليوم صدت عنه حواء
خذ يا فؤادى حذرا من مفاتنها ... ولا تغرنك فالرقطاء رقطاء
من ظن فى سمها الترياق حاق به ... من جرعة السم إهلاك وإفناء
مالى وللناس لا أحيا بألفتهم ... وإنما أنت لى بعث وإحياء
مذ هام قلبى بكم ما اختار غيركم ... ولا صبا ، وقلوب الناس أهواء
أقضى ليالى فى نجواك منفطرا ... كما تفطر يوم الوحى سيناء
كأنما خاطرى شدو وهينمة ... وجنة من جنان الخلد غناء
شدت لها الورق ألحانا مسلسلة ... فصفقت فى شعاب الدوح أحناء
ظلت تنغم فى صدرى وفى خلدى ... قصيدة من دموع القلب عصماء
الكون ما الكون ؟ شطر من روائعها ... والمصطفى روحها والناس أجزاء
رنت إليها الدرارى فى مباهجها ... وفاض منها على الأيام نعماء
وبش فى الفجر إصباح بعور سنا ... وهش فى عتبات الليل إمساء
تلكم رغادة دنيا قد كلفت بها ... أولت نداها وكم للسعد إبلاء
أملت على بليغ القول محكمه ... إن البلاغة إيحاء وإملاء
كانت بصدرى أسرارا مغلقة ... ما إن يعاودها بوح وإفضاء
ما أفصح الشعر عنها حين أعلنها ... وكيف يفصح تلميح وإيماء

* * *

يا هجرة لك فاضت همة وعلى ... يشدها خافق بالعزم مضاء
تركت مكة والأحلام تغمرها ... وللطفولة أطياب وأشذاء
والقلب رهن الحى ما انفك مدلها ... به وللأرض أشواق وأصباء
إن غبت عنها براها الشوق واحتدمت ... نيرانه واستفاق الجرح والداء
وعشت دهرك فى تذكارها وترا ... له الهوى نغم فى الصدر بكاء
كلا كما ذاب تهياما بصاحبه ... والأرض أم وأهل الأرض أبناء
والمرء ما زال حنانا إلى وطن ... وإنما وطن القلب الأحباء

إن عاش عاش بهم حتى إذا رحلوا … فإنما هو أصداء وأنباء

* * *

وأنت في الغار والصديق ثانيكما … من جانب الله تثبيت وإرساء

مشت عناكب تحميه مناسجها … وتدفع البغي . والعدوان مشاء

وأرسلت سرحة أفنانها فنمت … على مداخـله فالغار أفياء

وأقبلت من بنات الدوح ساجعة … كأنما الغار عش فيه ورقاء

لا الظن حام على الغار الحبيب ولا … بدت من الشك للسارين سيماء

وكان يحميه من بغي العدا قدر … تدرع الطهر إن الطهر أباء

من كان يعلم أن الظبية انتشحت … بما ينوء به العد الأشداء

ففي النهار غدت عينا مراقبة … ما حاكه في غمار الكفر أعداء

وفي المساء استحالت رحمة وندى … على النطاقين منها الزاد والماء

بالنفس والأهل والدنيا وما حفلت … جناتها من مجالي السحر أسماء

ذات النطاقين أسماها الرسول بما … أسدت يداها ، وللاحسان إسداء

باتت على الغار ترعاه وتحرسه … كأنها مقلة بالسهد كحلاء

أغفت عيون الدراري في مطالعها … وما لعين الهوى والحب إغفاء

حتى إذا غمر الليل الشعاب ولم … يبن على الرمل في الليل الأدلاء

نشطت للسير والصديق في ملأ … من الملائك ، والإيمان حداء

يرعاكما الله في حل ومرتحل … ويثرب القصد ، والأهل الأوداء

وحين أشرفت ماجت بالسرور كما … تلألأت بفريد الموج دأماء

هبت تلقاك أنجادا وأودية … وكم تشوقك أنجاد وأوداء

مشى إليك بنوها والهوى ضرم … وكل نفس من الأشواق رمضاء

يستقبلونك أرواحا وأفئـدة … ويفتدونك والأجساد أنضاء

ذاب الحنين على أفواههم نغما … وفي عيونك للشادين إرواء

على الشفاه أناشيد مزغردة … وفي العيون من الأفراح لألاء

أذكى الهوى أنفسا للحب قد خلقت … وللصبابة في العشاق إذكاء

أبكاهم الوجد في اللقيا وأضحكهم … إن التوجد إضحاك وإبكاء

أصغت إليهم عيون الليل رانية … وكم بطيب إلى الأحباب إصغاء

وشت تسابيحهم للحب أعلة … والحب مذ كان وشاح ووشاء

طوبى ليثرب ضمت خير من سطعت … على محياه أنوار وأضواء

طوبى لها أن حمت جارا وأن طلعت … رسالة الله منهـا وهي غراء

طافت على الأرض نورا للألى فقدوا … أنوار أنفسهم ، والكفر ظلماء

كأن كل سبيل من ضلالتهم … صحراء كالحة الأعطاف غبراء

ضجت جفاء وعجت وحشة وبلى … كأنها القبر فاضت منه أشلاء

نامت عليها الدياجي وهي جاهمة … ومقلة الفجر فيها الدهر عمياء

* * *

لله شرعك شرعا واضحا جددا … ما في تضاعيفه ريب وإخفاء

أنقى من الزهر في فينان نضرته … وقد جلته يد للحسن بيضاء

ما زال غضا على الأيام مؤتلقا … كالخلد ليس له ند وأكفاء

كم طهر القلب من بغي ومن دنس … وكم صفت بصفاء القلب حوباء

والدين يمن وإحسان وميسرة … وفرحة تسع الدنيـا وأنداء

من ضاق بالعيش ذرعا أوجفته منى … فالدين تعزية كبرى وتأسـاء

من صد عن بابه لم يرتشف أملا … وعاودته من الكفران غماء

ولا اطمأنت له نفس ولا هدأت … وكيف تهدأ في الطغيان أنواء

يطوي الحياة جحيما لا نعيم بها … كأنما هي أوجاع وأدواء

يا هجرة فجرت حبا ومرحمـة … فالقوم فيها الأحباء الأخلاء

تقاسموا نعميات العيش وائتلفوا … كما تآلف في الأجساد أعضاء

كل يرى لأخيه الخير أجمعه … والخير موطنه الرهط الأعزاء

جرى الإخاء عليهم بهجة وسنا … فاستعذبوه ، ودنيا الود فيحاء

كأن ألفتهم للأعين شجـا … وطعنة في صميم الكفر نجلاء

وطيبة الخير بيت ضم شملهم … جـلاله الدهر أبناء وآباء

لو أن قومي وعوا أسرار هجرته … لما تنادى بهم بغض وشحناء

إن الحياة إذا يسرتها يسرت … كأن إمرارها في الطعم إحلاء

وإن أردت بها شؤما ومعسرة … فإنما هي أثقـال وأعباء

خلت من البهجة الكبرى جوانبها … كأن إضحاكها في العين إبكاء

كل له ما يرى فليتعظ فطن … فمسرها اليسر والبأساء مسراء

والحب أغنى ما امتار الفؤاد بها … وفيه للنفس إحيـاء وإعلاء

فقل ليعرب إما رمت مكرمة … فوثق الحب إن الحب بناء

دمشق

أنور العطار

الأزهر الآن

يعيش برئة واحدة

لصاحب الفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني



« الجامع الأزهر هو المعهد الديني العلمي الإسلامي الأكبر ، والغرض منه : (١) القيام على حفظ الشريعة الغراء أصولها وفروعها ، واللغة العربية ، وعلى نشرهما (٢) وتخريج علماء يوكل إليهم تعليم علوم الدين واللغة في مختلف المعاهد والمدارس ، ويلون الوظائف الشرعية في الدولة »

هذا هو نص المادة الأولى من قانون الأزهر الساري عليه الآن ، وهو التعبير الصحيح عما تفهمه الأمة الإسلامية من مهمة هذا المعهد العتيق منذ أنشأه المعز لدين الله الفاطمي إلى هذا العهد الفاروقي السعيد ، ثم إلى ما شاء الله من عهود

وأقول : « التعبير الصحيح عما تفهمه الأمة الإسلامية من مهمته » لأني لا أريد أن أدخل في تعرف النيات التي كان يبطنها الحكام والسلطون وتدل عليها سياساتهم وأفاعيلهم في توجيه أهله وتصريف شأنه

ومن هذا النص الذي يفصح عما استقر في ضمير الأمة يتبين أن المهمة الأولى للأزهر هي القيام على هذا التراث الخالد الذي أورثنا إياه بناة مجدنا الأولون ، والذي كنا به خير أمة أخرجت للناس ، وأن تخرج هذا المعهد الإسلامي الأكبر للمعلمين أو القضاة أو الموظفين هو أمر يأتي في المرتبة الثانية

وقد تقلبت على الأزهر في تاريخه الطويل أحوال ودول ، فاستقام على الصراط السوي أحيانا ، وانحرف عنه أحيانا ، وكان تارة قويا فلابا يعرف رسالته ، ويفرض إرادته ، ويلون الحياة بلونه ، ويحمل الحاكمين والمتسلطين على ما يرى في حزم وصرامه . وتارة ضعيفا عاجزا مغلوبا على أمره ، يمشي في ركاب غيره ، ويستوحي خطاه وصوره ممن لا يدر كون رسالته ، ولا يعبأون بأمره ، بل لقد حفظ التاريخ فيما حفظ أن الأزهر قد عطل تعطيلا تاما عشرات من السنين في بعض العهود فلم يكن به درس ولا كتاب ، ولا علم ولا علماء

وإذا أردنا أن نفرق بين العصور الذهبية للأزهر ، والعصور التي اضمحل فيها شأنه وأقفر واديه ؛ فإننا نستطيع أن نقرر أن عصوره الذهبية هي التي كان فيها موجها للحياة مضطلعا برسالته الكبرى في القيام على حفظ الشريعة واللغة عن طريق التفرغ لها علما وعملا ، وأن عصور ضعفه واضمحلاله هي العصور التي تصور فيها أنه مدرسة للتعليم والتخريج فحسب

* * *

من تأمل رسالة الإسلام وعرف أنها رسالة الرحمة العامة لهذا العالم كله ، أدرك أن الأمة الإسلامية قد حملت أمانة إلهية غالية ، ليست هي مجرد أن يؤمنوا بهذا الدين ويتناسلوا نسلا مؤمنا به ، ولكن أن يبلغوا هذه الأمانة الإلهية تبليغا واضحا إلى كل ذي عقل في كل زمان ومكان ، فإن هذه الرسالة هي أساس استقامة العالم ورشاده وعتمه بالخير والسعادة ، ولم ينزلها الله للعرب فقط وإنما أنزلها رحمة للناس كافة

« يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا » فإذا آمن المسلمون بذلك ، وأخذوا أنفسهم بمقتضياته ، فقد عرفوا أنفسهم ، وأدركوا قيمتهم في هذا العالم . وإذا جهلوا ذلك أو نكصوا عنه ، فقد تخلوا عن شرف عظيم شرفهم الله به ، وخسروا دينهم ودنياهم وأنفسهم وذلك هو الخسران المبين

يقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فقد بين لنا أن مرجع هذه الخيرية هو اضطلاعنا فى الناس بمهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أى مهمة الاصلاح العام والدعوة إلى الاستقامة على سنن الرشاد ، والإيمان بالله . ويقول عز وجل فى موضع آخر « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » والمعنى فى قوله « ولتكن منكم أمة » على التجريد ، أى : ولتكونوا أمة هذا شأنها ، وهذه رسالتها فى الحياة وغايتها ، تدعو إلى الخير الذى دعا الله إليه ويكون لها أثر فعال ، ورأى عام قوى فى إلزام الناس بالمعروف ، وصرفهم عن المنكر ، فإذا كنتم هذه الأمة ، فقد ضمن الله لكم الفلاح ، وإلا قضيتم أيام دهركم ضعفاء لاقيمة لكم بين الناس

وأول الوسائل التى تتوسل بها الأمة إلى الاحتفاظ بهذه الأمانة الإلهية الغالية وأدائها كما أمر الله إلى أهلها ، أن تعنى أكبر العناية بحملة التراث الأسلامى العظيم ، وأن تعمل جاهدة على تمكينهم من التقوى فيه ، والتفرغ له ، ونشره بين الأمم فى أحسن صورة وأقربها إلى القبول

إن الأمم الناهضة تخصص للدراسات العلمية طوائف من أبنائها المبرزين فيها ، وتجعلهم فى معاهد مستقلة لا هم لها إلا التوفير على هذه الدراسات والتفرغ لها ، معيشتهم مضمونة ، وأمورهم ميسرة ، وقد كفوا شأن التفكير فى أنفسهم وأهليهم وشئون حياتهم ، ولذلك نراهم يثمرون ثمرات طيبة فيما انقطعوا له ، ويعطون أممهم من العلم والشرف أضعاف ما تعطيهم من المادة والعناية . فهل نطمع من الدولة فى أن تمين الأزهر مثلا على إنشاء معهد للبحث والدرس يتعمق فى أصول الشريعة الغراء وفروعها ، ويدنى للناس ثمارها الطيبة ، فيقدم للمشتغلين بالقانون نظريات مستقيمة تنسيهم نظرياتهم ، ويقدم لأصحاب الدراسات الفلسفية نوعا جديدا من القضايا الفكرية يغذى عقولهم وقلوبهم ، ويحيى ألوانا من العلم والتفكير فى إحيائها الخير كل الخير ؟ هل نطمع فى أن تمين الدولة الأزهر على إنشاء مثل هذا المعهد ؟

إن الأزهر الآن لا يعدو أن يكون مدرسة دينية نظامية لتخريج معلمين أو قضاة شرعيين أو وعاظ ومرشدين ، وذلك هو أدنى الشطرين من مهمته التى يبينها قانونه ، ويتطلع إليه الملدون أن يحققها . أما الشطر الأعظم فإنه معطل ، وإذا كان أهل الأزهر مسئولين عن تعطيله فإن الدولة تحمل قسطا من هذه المسئولية ، لأن الأزهر مرفق هام من مرافقها ، عليها أن تعنى به وأن تعمل السر فى عدم قيامه بأداء رسالته على الوجه الأكمل ، وأن تأخذ بيده إلى الطريق الصحيح إذا حاد عنه ، وأن تعينه على السير فيه إذا عرفه وعجز عن سلوكه

إن أزمة الأزهر فى الحقيقة ترجع إلى أمرين :

أحدهما : أن مصر قد نسيت أو أوشكت أن تنسى مكانة الأزهر فى العالم كله شرقيه وغربيه ، وأنه من أهم أسباب زعامتها الدينية والفكرية على الدول الإسلامية ، وأنها تستطيع به أن تكون فى مقام عالمى كريم ، إذ تجعله مصدرا قويا لدعوة عامة إلى مبادئ تغزو بها العقول والقلوب فى عالم كثرت فيه الشرور والمطامع وأنهكته حروب الجشع والاستعمار ، وأصبح أهله فى حاجة إلى دعوة قوية صادقة تصرفه عن الشر إلى الخير ، وعن الفساد إلى الصلاح ، وما هذه الدعوة إلا دعوة الإسلام

الثانى : أن الغرب أثر فينا تأثيرا سيئا وصل الأمر فيه إلى حد الاستخفاف بديننا ، وقياسه على غيره من الأديان ، فقد أخذنا عن أوربا فيما أخذنا أن الدين يجب أن يكون بعيدا عن ميدان السياسة والحكم ، وأن يقصر على الأخلاق والتهذيب والأمور الروحية ، وإذا صح أن يقال عن دين من الأديان ، فإنه لا يقال عن الإسلام دين العلم والعقل والعزة والقوة ، وقد تكفل بوضع منهاج صالح للحياة السعيدة بشهادة أعدائه وأصدقائه

هذان هما الأمران اللذان يرجع إليهما ما نراه من إهمال للأزهر ، واكتفاء بأدنى غايتيه ، وهو أن يكون معهدا للتعليم والتخريج ، دون أن يكون حاميا للشريعة واللغة ، مبلغا تراثهما إلى الناس أجمعين . وما مثل الأزهر على هذه الحال إلا كمثل مريض يعيش بإحدى رئتيه ، فليس العجب أن يعيش ضعيفا عاجزا ، وإنما العجب فى أن يطول على ذلك بقاؤه ، ولكل أجل كتاب

محمد محمد المدنى
من علماء الأزهر

دين العزة

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى



الإسلام يمكن أن يوصف بأوصاف كثيرة كلها حق. فهو – فى غير حصر لأوصافه – دين الحق ودين العدل ودين الإحسان ودين الإخلاص ودين التوبة ودين العمل ودين الجهاد ودين الإخاء ودين التعاون؛ ولكن هذا كله يتصل من ناحية أو من أخرى بصفة من صفات الإسلام البارزة هى أنه دين العزة، عزة الفرد وعزة المجموع وعزة الشرع الذى يدينان به ويستمدان عزتهما من عزته. والعزات الثلاث متصل بعضها ببعض ومتوقف بعضها فى الحياة العملية على بعض

وأول ما يبدؤك من عزة الإسلام أنه ليس دين صومعة وعزلة، ولكن دين حكم ودولة. الحكم فى دولته لله وقانونها شرع الله، ليس للانسان فيه إلا الفهم والفقه وحسن التطبيق. فالقوانين الوضعية منكرة فى الإسلام، وكل هذه القوانين المستمدة من الغرب أو من قدماء اليونان والرومان مردودة فى الإسلام ما خالفت أحكام الله. وليس بالمسلمين إليها من حاجة إن وافقت. وما حاجة المسلمين بل ما حاجة الناس إلى حكم إن خالف حكم الله فهو خطأ وقى الله الناس بالمشرع شره، وإن وافق حكم الله اتفاقا كان التماسه فى غير الشرع إثما للمسلم وذلة. كان إثما لأنه انصراف عن شرع الله وسوء ظن به وافتراض نقص فيه يلتمس سده فى غيره؛ وكان ذلة لأن المسلم حين يحتكم إلى غير دين الله ويرضى بحكم من يعلم أنه لا يؤمن بما أنزل الله فقد خلع عن نفسه رداء العزة الذى أضفاه الله عليه حين أنزل الله له شرعا جمع له فيه وبه الخير والصواب، وحرره به من الخضوع فى قول أو عمل أو نية لغير الله.

وهذا الإستسلام لله وحده هو أصل عزة الفرد المسلم، لأنه ينزع من صدره كل خشية ورهبة لغير الله. فهو إذا أطاع الحاكم المسلم إنما يطيعه طاعة لله، وإذا شكر المحسن إنما يشكره طاعة لله الذى أمره بشكر من يحسن إليه، وهلم جرا فى سلسلة الطاعات والالتزامات التى يلتزم فيها المسلم طاعة غيره من الناس. والمسلم مأمور ألا يسمع لمخلوق ولا يطيعه فيما فيه معصية لله؛ فهو عبد الله وحده قد تحرر بالإسلام من العبودية والخضوع لكل ما سواه. فنفسه قد برئت من خشية غير الله أو رجائه بقدر ما أوتيت من الإســـلام. وهذه البراءة تجتث من نفس المسلم الذلة من أصلها باجتثاثها الذلة التى يشعر بها فى نفسه كل ذليل ولو لم يطلع عليها غيره من الناس. وكم من عزيز فى رأى الناس هو فى ذاته ذليل ذلة يعرفها هو من نفسه بما يجد من رهبة أو رغبة عندما يلقى من يرهبه أو يرجوه من عدو ينافقه، أو رئيس يمالقه، أو صديق يحابيه.

وهذه العزة النفسية التى يمنحها الإسلام المسلم الصادق تزداد رسوخا بالتحرر من سلطان الوهم الذى حرر الإسلام منه نفس البصير وعقله. فالإسلام حين طالب المسلم بالخضوع لله وحده قد كفاه شر الخضوع لغير الله باسم الخضوع لله بما بين له ووضح من الأوامر والنواهى، ومن سبل الطاعة وسبل المعصية، ومن الرشد والغى، وما هو فرض وما هو ندب، وما هو مكروه وما هو مباح، وما هو متروك للاستنباط والقياس. كل ذلك ممـــا بينه الكتاب الكريم والسنة المطهرة يسد الطريق على الخرافات والأوهام أن يكون لها سلطان على المسلم إذا عرف دينه كما ينبغى وتشرب حقا بروح الاسلام.

وقد صان الاسلام عزة الفرد فى الجماعة الاسلامية بما قرره

من مبدأ المساواة بين الأفراد على اختلاف ألسنتهم وألوانهم من غير نظر إلى نسب أو نشب أو جاه ، وبما أقامه من ميزان الحق والعدل في الأحكام . فالقوى في الجماعة الاسلامية ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، والضعيف فيهـا قوى حتى يؤخذ الحق له .
كذلك أكد الخليفة الأول في أول خطبة خطبها في خلافته الراشدة . ولم يكن ذلك مبدأ وضعه الصديق رضي الله عنه وإنما هو تعبير صادق عن أصل كبير من أصول الحكم في الاسلام يتجلى في آيات الكتاب المجيد وفي أعمال الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وفي تنفيذ هذا الأصل من أصول الاسلام في الحكم لا يلحق أي المتقاضيين ذلة من حكم القاضي . فالمحكوم عليه إنما يخضع لحكم الله لا لحكم أحد ، ولا غضاضة على أحد في الخضوع لحكم الله . أما المحكوم له فليس يخشى عليه إلا أن تأخذه عزة بإثم إن أساء فهم معنى الحكم ، ونظر إليه من زاوية غير التي ينبغي أن ينظر منها المسلم إلى الأحكام المبنية على الشرع سواء أكانت له أم عليه .

حتى ذلة الفقر وذلة الدين قد وقى الاسلام المسلم شرهما بما جعل له من حق الزكاة عند العجز ، وبما حرم من الربا عند التداين وفي التعامل ، وبما تكفل به ولى الأمر من سداد الدين عن المدين الذي يموت وليس فيما ترك سداد لدينه . وهذا أمر عجيب تفرد به الإسلام بين الشرائع يحفظ به لذي الحق حقه ، ويخفف به حساب الآخرة عن المدين ، ويدفع به ذلة الدين حتى عن ورثته . والنص في ذلك وارد في أكثر من موضع من الصحاح . من ذلك ما ورد في كتاب الفرائض من الجزء الثامن من صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم . فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلينا قضاؤه » . وهذا طبعا تشريع يلزم كل من يحكم المسلمين بسنة الرسول .

هذا كله في البلاد العربية التي للاسلام فيها دولة وحكم نافذ . أما حيث لا سلطان للاسلام يكفل للمسلم العزة كلها فقد كفل له الإسلام العزة النفسية حين أمره بالهجرة من كل بلد يستضعف فيه إلى بلد يعز فيه ، أو يستطيع على الأقل أن يسلم فيه بدينه ولو اضطر أن ينزل بالهجرة عن بعض ماله ، لأن الأصل في الإسلام أن الدين فوق كل شيء من نفس وولد ومال . فإن عجز عن الهجرة لأمر مانع ، كان عليه ألا يجيز لنفسه سماع ما يشعره بالذلة في نفسه من طعن أو لمز في دينه ، لأنه من غير شك يستطيع الخروج من مجلس يهان دينه فيه إن لم يستطع خروجا من بلد لا يملك فيه انتصارا لدينه . وهذا كان الحكم في العهد المكي وأوائل العهد المدني من الرسالة قبل أن يصير للاسلام دولة . وهو حكم يسرى في عهدنا هذا في كل بلد يقضى فيه بغير حكم الإسلام . ودليل ذلك كله قريب في الكتاب الكريم : في قوله تعالى من سورة الأنعام المكية :
(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) وفي قوله تعالى من سورة النساء المدنية قبل أن تشتد دولة الإسلام : (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذن مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) ، وليس بعد تشبيه المسلم المتهاون المتساهل في ذلك بالمنافق والكافر تهديد ولا وعيد

وعزة الفرد هي أساس عزة الجماعة . لكن الاسلام قد أحاط عزة الجماعة المسلمة بسياج من الأحكام والنظم التي تضمن للمسلمين استمرار العزة وازديادها على الدهر إذا عملوا بتلك النظم والأحكام

والأصل الشامل في ذلك مبدأ الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله . وأعجب ما فيه ، وهو أكثر ما يجهله المسلمين اليوم أن المسلمين جميعا يأثمون بترك جهاد العدو إن لم تقم به طائفة كافية لصده والتغلب عليه . وقد اكتفى المسلمون بالشطر الأول ونسوا الشطر الثاني ، اكتفوا بقيام طائفة منهم للعدو ممثلة في الجيش ، ونسوا الشرط الأساسي ، شرط أن يكون الجيش في

عدده وعدده، كافيا للتغلب والظهور على العدو وإلا كان الجهاد فرضا على كل مسلم يأثم بتركه حتى تتحقق للجيش تلك الكفاية وتتحقق العزة للمسلمين

لم يكن للمسلمين فى أيام النبى وأيام الخلافة الراشدة ولحقبة طويلة بعدها جيش معين محدود، وإنما كان كل مسلم يحمل عبء الجهاد بالسلاح حين ينتدب له فى السرية أو الجيش الذى يؤلف حسبما يقتضيه الظرف الداعى له، والمسلمون بعد ذلك من وراء الجيش مدد له . وكان المسلم القادر يقوم بنفقة نفسه وتجهيزها وقد يتحمل تجهيز غيره . فالجماعة الإسلامية كانت كلها جيشا واحدا بالفعل أو بالقوة والاستعداد . فالاستعداد الفردى كان عاما والخروج فى الجيش بالفعل كان بين التطوع والإلزام، أو بالأخرى كان إلزاما فى صورة تطوع ، حقق الله به للجماعة العزة وللفرد فضيلة الجهاد عن رغبة واختيار تحقيقا للعزة النفسية عند الفرد حتى فى العمل بذلك الأصل العظيم فى الدين أصل الجهاد فى سبيل الله

ولم يترك أمر الاستعداد بالسلاح للفرد وحده ولكن أمرت الجماعة كلها بالاستعداد والبلوغ به أقصى مداه . وهذا هو الأصل الثانى الذى صينت به عزة المجتمع الإسلامى أن تذهب أو تنهار . نزلت بهذا الأصل العظيم سورة الأنفال فى قوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم) وهذا الأمر وإن وجه إلى الجماعة موجه إلى الفرد أيضا كما يشهد الحديث الشريف . فالجماعة المسلمة والفرد المسلم كل مخاطب بتلك الآية الجامعة ، وكل مأمور أن يعين على الاحتفاظ بالعزة للإسلام وأهله بأن يبلغ من القوة والاستعداد أقصى ما يستطاع

ومن عجيب مظاهر العزة فى الدولة الإسلامية ما أوجبه الإسلام على المسلم من حماية الذمى يبذل فى سبيل حمايته دمه من غير أن يكلفه قتالا أو معونة إلا مبلغا يسيرا يستطيعه كل سنة مقابل تلك الحماية ، حتى إن بعض أمراء جيوش المسلمين فى الفتوح الأولى رد على قوم جزيتهم بعد أخذها بأيام لما أراد الارتحال لأن ارتحاله سيحول بينه وبين حمايتهم من عدو إن طرقهم ، فبين بذلك مبلغ إنصاف الإسلام لمن يدخلون فى ذمته

من غير المسلمين . فالعزة فى الأرض لله وللمؤمنين الخاضعين بحكم الله . أما غير المؤمنين الداخلون فى ذمة الله ورسوله والمؤمنين فيحرمون من حمل الله ، ويحميهم المسلمون كما يحمون أنفسهم وذراريهم ، ولهم فيما عدا ذلك ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . وهذا تشريع عجيب جمع الله به للمسلمين بين عزة أنفسهم وإنصاف غيرهم انصافا لم يسبق الاسلام إليه ولم يلحق فيه

فاعجب إذن من أمة دينها دين العزة ثم تهمله لتصير إلى ما صار إليه المسلمون اليوم !

محمد احمد الغمراوى

الرسالة في عامها العشرين
للأستاذ محمد رجب البيومي

أستاذي الزيات

هذا خطاب أوجهه على صفحات الرسالة الغراء إلى زميلي الأستاذ محرز أحمد خفاجي المدرس بالمدارس الثانوية. إعترافا بما للرسالة علينا من فضل كبير في التربية والتثقيف. وأعتقد صادقا أنه يعبر عن عواطف المئات من الأدباء الذين تعهدتهم بجلستكم العظيمة بالتوجيه والتعليم. فأدت بذلك رسالتها الخالدة في الحياة. وأرجو ألا يحذف منه حرف واحد. فقد تعودتم أن تغفلوا كل ما يخصكم من ثناء. ونحن هنا نسجل تاريخا لا يجوز فيه الحذف والإغفال بحال وتفضلوا بقبول فائق احترامي

محمد رجب البيومي

صديقي العزيز

حين تناولت القلم لأكتب إليك، تذكرت أن الرسالة تستقبل عامها العشرين، فرأيت أن يكون حديث اليوم عن تلك المجلة الحبيبة التي عقدت أواصر الصداقة بيننا، إذ لولا الرسالة لما كنا من سبعة عشر عاما مضت إلى اليوم صديقين حيمين كأحسن ما يكون الأصدقاء.

أذكر أني كنت أجلس معك في حجرة واحدة بمعهد دمياط الابتدائي، وقد لمحت في يدك مجلة تتصفحها في سرور وبهجة، فاستأذنتك في قراءتها، فخفت أن أكون عنها رأيا خاطئا لأول مرة، فدعوتني إلى الجلوس جوارك، وقلت في اهتمام: هذه أحسن مجلة أطالعها في مصر. ويجب على جميع الطلاب أن يتابعوا قراءتها باعتناء، فهي الصحيفة التي تهذب الأسلوب، وتثقف العقل. ثم مددت يدك إلى القمطر، وأخرجت كراسة الإنشاء لتريني درجاتك العالية في التعبير، ناسبا تفوقك الجيد إلى الرسالة فهي وحدها صاحبة الفضل في هذه الدرجات!!

وأذكر أن درجاتك الممتازة، قد جذبت اهتمامي إليك وإلى الرسالة فخرجت من الدراسة متجها إلى بائع الجرائد، وأخذت نسخة من الرسالة، وقضيت بقية اليوم، وجزءا غير قصير من الليل أتصفحها ورقة ورقة؛ ففهمت أكثر ما تحتويه من مقالات وقصص، وقصائد، وشمرت بإكبار وإجلال نحو مالم أفهمه من البحوث العلمية الدقيقة، متملا بقرب اليوم الحبيب الذي ستتسع فيه ملكة الفهم لدي، فأستوعب جميع ما في الرسالة الحبيبة، من الغلاف إلى الغلاف!!

ورجعت إليك في اليوم الثاني لحدثتك عما فهمته ومالم أفهمه، فوجدتك تشاركني الرأي وتقف من موضوعات الرسالة موقفي منها سواء بسواء. ومن هذا اليوم بدأنا نجلس معا على قطر واحد، ونتنزه معا إذا أردنا النزهة، ثم لا نترك الحديث يوما واحدا عن الرسالة، فنحن إذا أتى العدد الأسبوعي نطالعه بجد ويقظة، ثم نتقابل ليذكر كل منا ما علق بذهنه من الأفكار الجديدة، والأبواب الطريفة؛ وبدأنا نكون لنا آراء خاصة عن الأدباء من كتاب وشعراء. وكنا نفترق في بعض الأحيان فأفضل كاتبا ترى غيره أحق منه، وأميل إلى شاعر تميل عنه، ولكل منا براهينه المسهبة، ودفاعه الطويل

وجاءت العطلة الصيفية فلم نحزن لشيء حزننا على انقطاع حديثنا الأدبي عن الرسالة. ثم اتفقنا على أن نتراسل أسبوعيا، فأكتب إليك وتكتب إلي، وكان الحديث لا يتجاوز الرسالة في أكثر سطوره. وما زلت أذكر حملاتنا الصاخبة في رسائلنا السالفة — على الأستاذ الكبير سيد قطب إذ كان يهاجم الرافعي، وقد خيل إلينا في طور اليفاعة أن قطبا متجن أكثر التجني، وأن الرافعي أكبر من أن يتوجه إليه النقد بشيء!! والغريب أننا الآن نرفع الأستاذ سيد قطب إلى قمة شاهقة، ونراه رائد جيل في الإصلاح، وصاحب مذهب في النقد والأدب، وداعية أمة إلى الإسلام!! فانظر بربك إلى المدى الشاسع بين النظرتين، نظرة اليفاعة المتسرعة، ونظرة الشباب البصير. وكان مما يبهج خاطرينا معا أن نرى المدرسين يرمقوننا دون الزملاء بعين الإعجاب والاهتمام، فإذا تقدم أحدنا برأي في موضوع، أو ناقش فكرة لكاتب، وجد العيون مفتحة، والعقول منتبهة، وسمع الرد مشفوعا بالإطراء والتقريظ. وكنا نرجع ذلك إلى الرسالة وحدها، فهي التي دفعت بتفكيرنا إلى الأمام، وتناولته بالصقل والتهذيب!!

ولا أزال أذكر أنك قلت لى ذات عشية : يجب أن نشترى الكتب الأدبية النفيسة . فقلت لك وكيف نشترى الكتاب قبل أن نتأكد من صلاحيته ؟ فأسرعت تقول : لنا ميزان لا يخطئ ، فإذا كان المؤلف من كتاب الرسالة فعلينا أن نسارع إلى اقتناء كتابه . وإذا لم يكن من كتابها وقد نشرت عنه الرسالة فى صحيفة الكتب تعريفا أو نقدا ، فعلينا أن نحدد موقفنا منه على ضوء هذا التعريف . وإذا لم يكن هذا وذاك فلن نبعثر نقودنا فى الهواء . وكان رأيك هذا بقبولا لدى فى ذلك الحين ، فلم أشذ عنه فى كثير أو قليل

أين الأيام السالفة ياصديقى العزيز ، وأين أحاديثها الأدبية المشتهاة ؟ ليتنا قمنا بتسجيلها برغم ما تتسم به من عجلة واندفاع ، ففيها ما يعجب ويروق ، وفيها ما يضحك ويدهش !! لقد كان لنا عن كل كاتب وشاعر حديث عريض نقطع به الوقت الطويل . ولا أذكر أن كاتبا اغتصب أكثر أحاديثنا فى فترة الدراسة الثانوية كما اغتصبها الدكتور زكي مبارك ، فقد وقف فى ميدان الرسالة كما يقف الملاكم فى ميدان الرياضة ، يصارع هذا فى عنف ، ويناقش ذاك فى حدة ، ويثير فى الأفق الأدبى عواصف شديدة عاتية . وكنا نعجب بسلاسته واندفاعه ، وكانت روحه الفتية تحلق بنا فى أوج شاهق . وكم يدركنا الأسف الآن إذ نشهد زكيا قد نزل عن سمائه بعد أن ترك الرسالة ، فنراه يقف الآن فى آخر الصفوف ، وكنا نرقب له الغد المشرق البهيج !

لقد قلت لك ذات مرة إن الدكتور زكى مبارك يكتب الحديث ذا شجون ببعض الصحف فاترا مضطربا ، وكان حديثه فى الرسالة بهجة العين وأنس الفؤاد ؛ فكيف يتفق ذلك مع اتحاد الكاتب والموضوع ؟ فقلت فى سرعة بادهة : إذا اتحد الكاتب والموضوع فلن تتحد الصحيفتان ! وكانت إجابة موفقة أكدت ما نجله للرسالة من تقدير وإعجاب

ونحن الآن نشعر بحب طاغ للدولة العربية ، ونشيد بعظمائها من الزعماء والأدباء ، ونحس أن مصر والعراق ولبنان وسوريا وتونس والجزائر واليمن والحجاز وسائر الأمم العربية وحدة لا تنقصم ، فمن أكد فى نفوسنا هذا الحب الأكيد ؟ إنها الرسالة ياصديقى العزيز ، فلطالما طالعتنا بقضايا الدول العربية السياسية ، وعالجت أمامنا مشاكلها الاجتماعية والخلقية ، وأفسحت صدرها للنخبة المختارة من أدبائها ونقادها ، فكانت بحق ديوان العرب المشترك ، وسجلهم الحافل بأنبائهم وأخبارهم ، والقرب لأفكارهم واتجاهاتهم ، بل لم تكتف الرسالة بقضايا الدول العربية وحدها ! فتجاوزتها إلى الممالك الإسلامية قاطبة . وكم قرأنا فى صفحاتها أبحاثا هامة عن إيران وتركيا والباكستان وأندونسيا وبلاد القوقاز ؛ وطالعنا لكتاب من أبناء هذه البلاد كلمات خالدة فى الوحدة الإسلامية ، والإخاء المحمدى ، مما نرجو أن يكون حقيقة واقعة فى العاجل القريب . ولعلك تذكر أننا قرأنا فى الرسالة ذات أسبوع بحثا هاما عن الفقه الرومانى وعلاقته بالفقه الإسلامى لكاتب مصرى ، ثم أعجبنا أن نجد الردود تتدفق على الرسالة من سنغافورة ودمشق وحضرموت والعراق دائرة حول هذا الموضوع ، فكأن الرسالة قد أهابت بكل باحث فى شتى الأمم الإسلامية ، أن يلقى دلوه فى الدلاء ، فتقدم هؤلاء الأفاضل مسرعين . فإذا ما رأينا اليوم أبناء الأمم الإسلامية متكاتفين متساندين ، فيجب أن نذكر الرسالة الحبيبة وكفاحها المجيد !

ثم دارت الأيام ومضت بنا الدراسة الثانوية إلى الدراسة العالية بكلية اللغة العربية ، وسمعنا أساتذتنا يلقون علينا الدروس العلمية فى تاريخ الأدب والنقد وفقه اللغة والنحو والعروض ، فكنا نجد من يسمو بعقولنا — فى محاضراته وأبحاثه — إلى أفق رفيع ، ومن يعكف على مراجعه القديمة ليقدم خلاصتها دون أن يلم بما تمخضت عنه الأبحاث الأدبية فى العصر الحديث . وكنا لا نفتأ نواجه هذا النوع من الأساتذه بما اكتسبناه من الرسالة وغيرها من نقد وتحليل ، غير عابثين بعد ذلك بما يكون من تبرم وضيق . ولعلك تذكر بالخير شيخ أساتذة الأدب بالكلية ، وسيد علمائها الأستاذ الكبير أحمد شفيع السيد فقد كان يذكر لنا الرسالة دائما بين مصادره العديدة فى تاريخ الأدب العربى ، وقد ينقل بعض أبحاثها الأدبية عن الشعراء الأقدمين معقبا بما يعن له من نقد أو توجيه . وكنا نسمع محاضراته فى شوق وإعجاب يزيدان عن الوصف . وحين أدرك اهتمامنا بالرسالة ، غمرنا بوده ، وذلل لنا كثيرا من العقاب فصرنا لا ندرى أنتقدم إليه بالشكر ، أم إلى مجلة الرسالة التى تربط بين قلوب المتأدبين من أساتذه وطلاب برباط وثيق

ولن أفادتنا الرسالة فائدة تامة فى الدراسة العالية بالكلية ، فقد كان هذا أمرا نتوقعه لما بين أبحاث المجلة ودروس الكلية من ارتباط ، بل من يدرى ؟ ربما تكون الرسالة هى التى وجهتنا إلى كلية اللغة دون أن نشعر ، لما غرسته فى نفوسنا من حب للأدب وهيام بتاريخه ورسائله . ولكن الذى لم نكن نتوقعه بحال ، أن نجد الرسالة الغراء تأخذ بأيدينا فى معهد التربية العالى للمعلمين وتعيننا على استكناه مسائل التربية الحديثة ، وتفهم علم النفس بما نشرته من أبحاث فى هذين العلمين . وأذكر جيدا أنى جعلت الرسالة بين مصادرى العلمية حين كتبت مقالاتى فى امتحان الدبلوم فقد اعتمدت على ما كتبه الدكتور عبد العزيز عبد المجيد والدكتور فضل أبو بكر فى الذكاء والطفولة بأعداد الرسالة ، لأن الزيات الحصيف كان — ولا يزال — يولى الأبحاث الغربية الحديثة ، ومن بينها علم النفس والتربية ، عناية فائقة لينأى بالفكر العربى عن جموده وقيوده ، ويطلق أمامه الباحات الرحيبة للسير ، والأجواء الفسيحة للتحليق . ونحن الآن وقد جاوزنا التعلم إلى التعليم ، وانتقلنا إلى تدريس اللغة العربية بالمدارس الثانوية نجد تلاميذنا فى حاجة ماسة إلى مجلة أدبية تقيم الألسنة المعوجة ، وتشد التفكير الواهن ، وترفع الخيال الهابط ، ولن تكون هذه المجلة غير الرسالة ، فقد نجحت تجربتنا معها — ومع الآلاف من قرائها — أتم نجاح ، وكانت نعم الناصر المعين

لقد أطلت الحديث عن أثر الرسالة فى الأدب والثقافة ، وتركت أثرها فى الأخلاق والسلوك ، وما أظنك تجهله ، فقد انتشرت المجلات الخليعة التى تتملق الغرائز ، ووقفت الرسالة أمام التيار الجارف تدعو إلى المثل العليا والأخلاق القويمة ، وتشن الحرب على التخنث والمجون ، وقد حاربت الأدب المكشوف محاربة منتصرة ، فدحضت حجة هؤلاء الذين لا يرون فى الأدب والشعر غير الحديث عن الفضائح والمخزيات ، متشبثين بما تذيعه الصحف الملوثة عن فضائح بودلير وفلوبير وجيد ولورنس ! وكأن هؤلاء لم يرزقوا البيان الناصع إلا لشذوذهم الوضيع وإسفافهم الشائن ، فى رأى جماعة من المحررين ، وقد ساهم مع الزيات فى إيجاد أدب خلق رفيع صفوة من أصدقائه وحوارييه ، وعلت فى سماء الرسالة صيحات الرافعى وعزام والزيات وفريد وجدى والطنطاوى وخلاف وقطب وأضرابهم من حماة الفضيلة والأخلاق . ولا زلت أذكر أن الأستاذ الزيات قد كتب مقالا عن تاجر يحاول أن يتحلل من قيود الخلق والكرامة لينجح فى تجارته ، مدعيا أن الغش والنفاق هما طريق زملائه إلى الثراء . وما كاد الزيات يفضحه أمام القراء حتى انبرى عبد الوهاب عزام وأمين الخولى وعلى الطنطاوى والزيات مرة أخرى ينتصرون للفضيلة فى مقالات حارة تهدى إلى طريق النجاح ، وأنا — بكل صراحة — حين أعلل اندفاعى إلى جماعة الإخوان المسلمين أجد الرسالة ذات أثر غير مباشر فى ذلك ، فقد غرست فى نفسى حب العروبة ونصرة الإسلام ، وبغض الاحتلال ، كما رسمت بأقلام كتابها صورا واضحة المسلم الأبى الغيور ، وقد وجدت أهداف الاخوان لا تخرج عن ذلك . بل أذكر أنى حضرت ذات ليلة مجلس الأستاذ الزيات فى ندوة الرسالة فسمعته يتحدث عن محاربة الاستعمار للشرق والإسلام بكل سلاح مدمر غير مشروع ، ثم انتقلت عقب ذلك إلى مجلس المغفور له الأستاذ حسن البنا ، فوجدت الحديث متصلا يندد بفضائح الاستعمار ومحاربة الإسلام !! وكأنى لم أنتقل من مكان إلى مكان ، فرحم الله المرشد الشهيد ، وكتب للزيات عمرا فسيحا يسعد به الشرق والإسلام

أرى أن الحديث عن الرسالة يذهب بى كل مذهب ! حتى لأعجز أن ألم بأطرافه ، فهو حديث الصبا والشباب والآمال ، وحديث الخلق والعروبة والإسلام ! ولو كنت معى الآن لحدثتك بما يزدحم فى صدرى من الخواطر عن الرسالة ، ولكن القدر الذى جمعنا أثناء الدراسة فى معهد واحد ، وأجلسنا على مقعد واحد ، قد باعد ما بيننا أثناء التدريس ، فأصبحت أدعوك من مكان بعيد ، راجيا لك السعادة والصفاء

فهيهات العقيق ! وكيف يدنو ؟
وهيهات الغداة فتى العقيق

(أبو تيج) محمد رجب البيومى

من وحى غزوة بدر

منطق السيف

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كان المسلمون يوم « بدر » قلة ، وكانوا أذلة . . . ولكن الله نصرهم لأنهم أرادوا أن ينصروه . فقلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة بعد صبر جيل ، وجهاد طويل « والله مع الصابرين » .

وكانت « بدر » أول غزوة انتصف فيها الإسلام من أعدائه « بالسيف » ، الذى كان علاج الأمر ، حين لا يغنى الكلام عن الحسام ، وحين لا يجزىء « البيان » ، عن طعن « السنان » ...



يا غزوة خلدت فى القرآن ... فضمنت خلدك فى مدى الأزمان
كانت على الإسلام بدء تحرر ... من ربقة الأصنام والأوثان
السيف فيها بالحقيقة ناطق ... والحق فيها ساطع البرهان
لا خير فى حق إذا لم يحمه ... حلق الحديد وألسن النيران..
من لم يصنه من العداوة سلمه ... صانته قوته من العدوان ...

• • •

تلك العصائب من قريش لم تزل ... فى الإثم غارقة وفى الطغيان
نفروا إلى حرب يضيق بيأسها ... صدر الكماة وأنفس الشجعان
الكفر يجمعهم على راياته ... والشرك يدفعهم إلى الميدان
لا الحق يجرى فى عروقهم ، ولا ... صوت الهدى ينصب فى الآذان
ألقو أعنتهم إلى شيطانهم ... يا ويل من لجأوا إلى الشيطان

• • •

مهلا (أبا جهل) فإنك عائد ... بالخزى من مسعاك والخسران
هلا رجعت إلى مقالة « عتبة » ... وإلى النصيحة من « أبى سفيان »
أغرتك بالإسلام قلة أهله ... بين افتقار الصحب والأعوان
ماذا يضير المسلمين إذا غزوا ... فى قلة موفورة الإيمان ؟
إيمانكم بالله قوى بينكم ... لحم العرى وأواصر البنيان
كانت ملائكة السماء تعينكم ... وعدوكم بالله غير معان
يا قلة بالله كانت كثرة ... بشراكمو بنبوة القرآن
الله ألقى الرعب بين عدوكم ... وأشاع فيه دلائل الخذلان
تخذوا السيوف إلى الحتوف وأبشروا ... بالنصر موعودا من الرحمن
من كان ناصره الإله فإنه ... هيهات يخذل من بنى الإنسان

• • •

يا رائع الأركان بين جماعة ... كانت بلا أس ولا أركان
الله جارك قاذفا بكتيبة ... والله حسبك طاعنا بسنان
المسلمون على ضآلة جمعهم ... خذلوا لواء الإفك والبهتان
شاهت وجوه الشرك حين قذفتها ... بحصى ، وزاغت أيما زوغان
لك فى جهادك معجزات جمة ... يا معجز الآيات والتبيان

محمد عبد الغنى حسن

عيش العبيد

للأستاذ ابراهيم الوائلي



لا .. لا أريد عيش العبيد
الصاغرين الخاضعين لكل جبار عنيد
الراسفين فلا حراك لهم وقد صدئ الحديد
التائهين مع الظلام فمن شريد أو طريد
النائمين على الطوى والذل والعسف الشديد
الساكتين عن الطغاة تدوسهم دوس الحصيد
الراكعين لكل من غنى له الزمن البليد
فإذا السياط على المتون مخضبات بالصديد
يلهو بها متنمر أقسى من القدر المبيد

* * *

من ذا يريد عيش العبيد ؟
الحالمين يمللون النفس بالأمل البعيد !
بين الخرائب والصخور وبين أكوام الجريد
والسيد الطاغي تواكبه الحياة كما يريد
بين الكئوس المترعات وبين ألحان وعود
مغف على النغم المذاب يحوطه نهد وجيد !
والقصر يحفل بالرياش من القديم إلى الجديد
أما العبيد فحسبهم في العيش أنهم عبيد
خلقوا ليشقوا في الحياة وينعم القصر المشيد

* * *

لا .. لا أطيق عيش الرقيق
الحائرين فمن طريق يركضون إلى طريق
بين المصانع والحقول وكل منحدر سحيق
فيد تدير النول يربطها به الخيط الدقيق
ويد مع المحراث بانت وهي في عهد وثيق
ولمن تراهم يكدحون وعيشهم نكد وضيق !
ألكل سكير يعب كما يشاء ولا يفيق ؟
أم للصدور الناعمات يشع منهن البريق ؟
أم للبطون ترهلت فإذا التجشؤ كالنهيق

* * *

من ذا يطيق عيش الرقيق ؟
عيش الحفاة الجائعين فلا مغيث ولا شفيق
الكادحون فمن مضيق يدفعون إلى مضيق
هم يغرسون وللطغاة الزرع والشجر الوريق
ودماؤهم .. إن الدماء لكل غانية رحيق
وقلوبهم .. قطع تذوب على البنفسج والشقيق
ما للعبيد سوى الشقاء لينعم الحر الطليق
أمل يذوب مع الضباب كأنه أمل الغريق
أن يحطم القيد المجلجل ميت لا يستفيق

العراق ابراهيم الوائلي

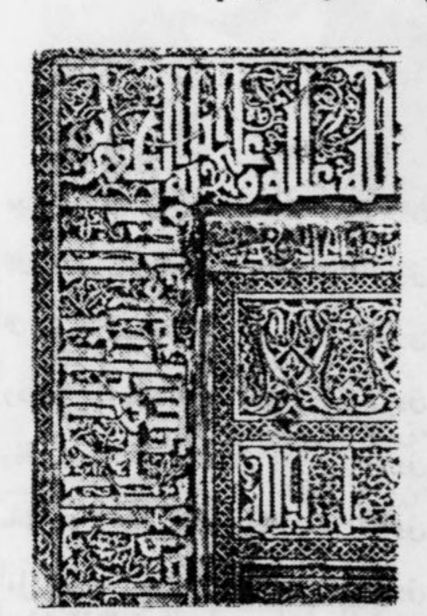
آيات من الفن الإسلامي

للدكتور احمد موسى



ظهر الإسلام في جزيرة العرب وانتشر في مشارق الأرض ومغاربها بفضلهم ، وقامت الإمبراطورية الإسلامية بجهودهم وحسن بلائهم ، ولذلك فان الفن الذي انتشر في تلك الإمبراطورية كان له شأنه الخاص في كل بلد ظهر فيـه

فلم يكن شرقيا ولا مغربيا ، كما أنه لم يكن إيرانيا صرفا ولا تركيا خالصا ولا هنديا بحت ، وعلى ذلك نجد أن الفن الإسلامي فن ظهر في العصر الإسلامي في كل هذه الأرجاء حاملا طابع البلاد التي انتسب إليها



جزء من محراب جصي باسم الأفضل (العصر الفاطمي) بجامع ابن طولون

وكان لتسامح العرب وحسن استعدادهم وإقبالهم على استخدام الفنانين ورجال الصناعات الفنية في البلاد التي فتحوها فضل عظيم على ازدهار الفن ، فوجد في مصر والشام أساليب مسيحية شرقية، وفي العراق وإيران أساليبهما المتقاربة ، فكان الفن الإسلامي مزيج من هذا كله نشأ عن التقاء الفنون المسيحية الشرقية ، والإغريقية والهندية . امتزجت كلها امتزاجا عجيبا أخرج لنا منها تراثا عظيما خالدا ، هو تراث الفنون الإسلامية



صندوق من الخشب المطعم بالعاج صناعة صقلية . القرن الثاني عشر الميلادي

ولا غرابة إذن أن نجد الفن الاسلامي أكثر فنون الأرض انتشارا بالقياس إلى المساحات الشاسعة التي شغلتها الامبراطورية الاسلامية من الهند شرقا إلى الأندلس غربا ، ومن القوقاز وصقلية شمالا إلى بلاد اليمن جنوبا ، وأطولها عمرا بالقياس إلى الفنون الأخرى فيما عدا الفن المصري القديم والفن الصيني



قصر الحمراء بغرناطة . القرن الرابع عشر الميلادي



بلاط من القاشانى من آسيا الصغرى . القرن السابع عشر الميلادى



« الضرب بالفلقة » للمصور محمد قاسم الإيرانى أوائل القرن السابع عشر



صورة أمير (تصوير إيرانى) . القرن السادس عشر الميلادى

وقد بدأ الفن الاسلامى فى الظهور منذ القرن الأول الهجرى وأخذ ينمو رويدا رويدا حتى بلغ النضوج فى القرن الرابع عشر الميلادى



الفنان المبتدىء (تصوير فارسي) القرن السابع عشر

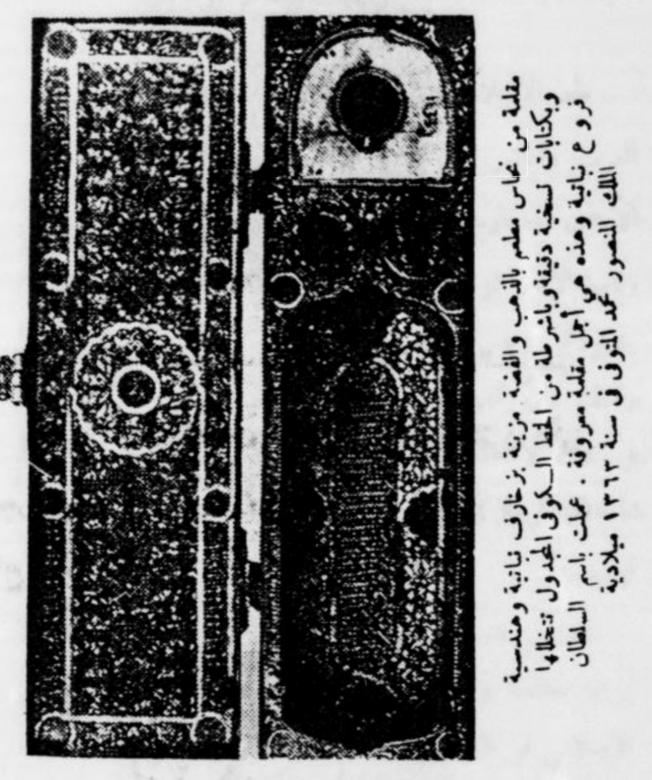


طير وورد (جزء من لوحة خسرو وشيرين) القرن الخامس عشر الميلادى

ويعنينا هنا أن نلم ببعض آياته الخالدة على الزمن قبل أن يتأثر المسلمون بالفنون الغربية ، ويقبلون على تقليدها

وبالنظر إلى اتساع الامبراطورية الاسلامية ، فانه كانت

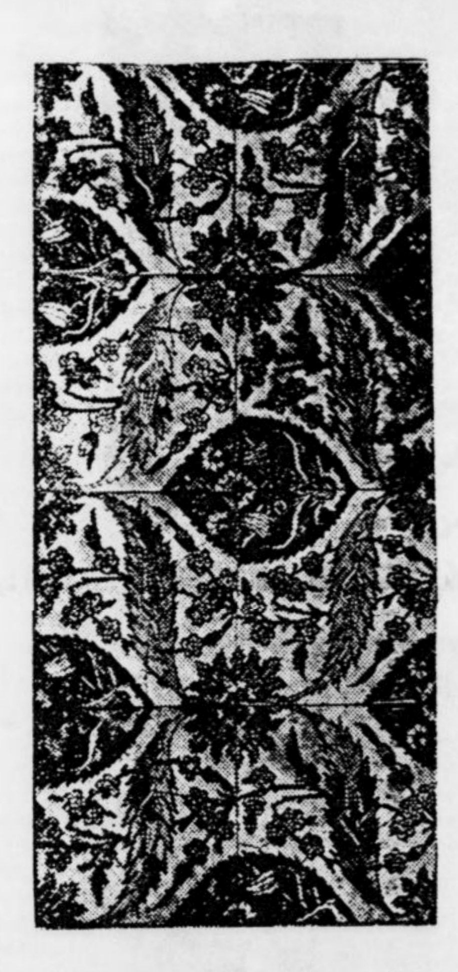
لهم فنون سميت بأسماء البلاد التى نشأت فيها كما سبق القول ، كما اختلفت طرزه بالنظر إلى طـول الزمن الذى استغرقه هذا الفن



مقلمة من نحاس مطعم بالذهب والفضة مزينة بزخارف نباتية وهندسية وبكتابات نسخية دقيقة وبأشرطة من الخط الكوفى المجدول تتخللها فروع نباتية وهذه من أجمل مقلمة معروفة . عملت باسم السلطان الملك المنصور محمد الثانى فى سنة ١٣٦٣ ميلادية

وقد بقيت الحرف والصناعات الفنية ردحا من الزمن بعد الفتح الاسلامى فى أيدى أهل الصنعة فى البلاد المفتوحة مما جعل الأساليب المحلية متصلة الحلقات فى كل إقليم مع علائم التجديد التى تطلبها الوضع الجديد للبلاد ، أو مع ما يتفق وما أحضره العرب من الأقاليم الأخرى الخاضعة لأمبراطوريتهم . ومن هنا نجد اتفاق الفنون الاسلامية فى الغاية ، وتشابهها فى مجملها وإن اختلفت فى أجزاء تكوينها اختلافا قد يصعب إدراكه على غير المتخصصين

وقد تطورت الفنون الاسلامية بتطور العصور وتأثرت بالأحداث الاجتماعية والسياسية شأنها فى ذلك شأن كل الفنون ولعل العمارة الاسلامية من أبرز الفنون تأييدا لما نقول ، ذلك لأن فن البناء أ كثر الفنون تعبيرا عن الاقليم الذى ينشأ فيه ، فهو خاضع للموقع الجغرافى متأثر بالوسط الجيولوجى إلى جانب الحالة الجوية والمدنية ، هذا عدا ما يبدو فى تفصيل العمائر من اختلاف الأعمدة وتيجانها وعقودها ومآذنها وقبابها وزخارفها فضلا عن تغطية جدرانها بوسائل مختلفة ، على حين نجد أن تبادل الأنماط والأساليب أ كثر يسرا وأسهل نقلا من الأعمال الفنية الأخرى كالمنتجات الصناعية التى انتقلت من إقليم إلى آخر على يد التجار الذين جابوا الامبراطورية شرقا وغربا



لوحة من قاشانى مزينة بفروع وأوراق نباتية وأزهار من ورد وقرنفل - القرن السادس عشر الميلادى . دار الآثار العربية

بدأ الفن الاسلامى فى عصر الخلفاء الراشدين بسيطا بعيدا عن المعنى المصطلح عليه فى عصرنا الحاضر ، ولم يكن هـذا غريبا مادام المسلمون وقتئذ كانوا متفرغين للجهاد والفتح والعمل

على نشر الدين



إناء من خزف مزين بزخارف من زهور كبيرة مفتحة الأوراق ذات ألوان زاهية . القرن السابع عشر الميلادى، دار الآثار العربية

ثم تطور الحال بالفتوحات الاسلامية ، فرأينا المساجد الشاهقة والقصور الفاخرة والفنون الصغرى تظهر تباعا نتيجة الاتصال بالأمم ذات الحضارات القديمة ومعاينة آثارها وما فيها من جمال الفن ، فضلا عن صادق رغبتهم فى ألا يظهر المسلمون فقراء فى عمائرهم بسطاء فى مظهرهم وهم سادة البلاد

وظهرت الطرز حاملة اسم الدولة الحاكمة فظهر الطراز الأموى والطراز العباسى والفاطمى وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكره تفصيلا

وتشتمل الفنون الإسلامية عدا العمارة فنونا أخرى لا تقل خطرا فالنحت المعمارى وإن يكن تابعا للعمارة إلا أنه لعب دورا له قيمته كعمل فنى مستقل ، وجاء الحفر فى الخشب وأشغال العاج والعظم والتحف المعدنية والزجاج والبلور والأشغال الخزفية والمنسوجات والسجاد وهذه كلها لها قيمتها الفنية العظيمة

ثم هناك فن مستقل آخر هو فن التصوير فى الكتب ويدخل ضمنه فن التذهيب والخط والزخارف الكتابية التى تتصل كثيرا بالزخارف الهندسية المعمارية والزخارف البنائية

ونحن إذ نقدم بعض النماذج لآيات الفن الإسلامى نرجو أن يلمس القارئ ناحية من نواحى الحضارة الإسلامية العظيمة جديرة بالعناية والدرس

أحمد موسى



من قراء كتاب الله

الشاطبي

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

المدرس بكلية دار العلوم

هو القاسم بن فيره (١) بن خلف الرعيني الشاطبي، ولد في آخر سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بشاطبة إحدى بلاد الأندلس، فاقد البصر، فحفظ ببلدته القرآن، وقرأ بها القراءات



وأتقنها، ثم رحل إلى بلنسية بالقرب من بلده، حيث عرض ما درسه من القراءات على بعض أساتذتها، وأعاد درس كتاب التيسير للداني، ودرس الحديث والنحو والأدب والفقه والتفسير، فقرأ الكتاب لسيبويه، والكامل للمبرد، وأدب الكاتب لابن قتيبة. وربما قرأ بها كتاب الظمآن في تفسير القرآن، على مؤلفه أبي الحسن بن النعمة، كما روى تفسير عبد الحق بن عطية. وقد أوتي استعدادا خاصا، منحه النبوغ في كل مادة درسها. وكان قوي الحافظة، فكان عالما بكتاب الله قراءة وتفسيرا، مبرزا في حديث رسول الله، إذا قرئ عليه البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه، ويملي أمالي على الموطأ في المواضع المحتاج إليها، إماما في النحو واللغة ورواية الأدب، إلا أن السليقة الأدبية كانت تنقصه، فجاء شعره معقدا صعبا، تنقصه حرارة العاطفة وروح الفن، ومن ذلك قوله:

يلومونني إذ ما وجدت ملائما ... ومالي سليم حين شمت الأكارما

وقالوا: تعلم، للملوم نفاقها ... بسحر نفاق تستخف المزاعما

وهي قصيدة طويلة. وله:

بكى الناس قبلي، لا كمثل مصائبي ... بدمع مطيع كالسحاب الصوائب

وكنا جميعا ثم شتت شملنا ... تفرق أهواء عراض المواكب

ولكن ذلك لا ينقص من قدره عالما كبيرا

ويقول ابن خلكان وصاحب نفح الطيب: إنه قد خطب ببلده مع صغر سنه. أما أبو شامة في ذيل الروضتين فيروى أن سبب انتقاله إلى مصر أنه أريد أن يتولى الخطابة ببلده فاحتج بأنه قد وجب عليه الحج وأنه عازم عليه، فتركها ولم يرجع إليها، تورعا مما كان الأمراء يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصاف لم يرها سائغة شرعا. وربما يكون قد أقيم في الخطابة، ثم فر منها. وترك الأندلس سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، يريد الحج، فدخل مصر في ذلك العام. ولست أدري إن كان قد أتم فريضة الحج أو لم يتمها، وألقى عصا التسيار في مصر عندما جاء إليها مستوفيا حظه من الثقافة التي تتصل بالقرآن، ولكنه رأى أن يستكمل دراسته للحديث، فسمع بالإسكندرية الحافظ السلفي. ثم جاء إلى القاهرة تسبقه إليها شهرته، فطلبه القاضي الفاضل للاقراء بمدرسته، فأجاب بعد شروط اشترطها عليه، على ما كان فيه من الفقر. ولست أدري عن هذه الشروط شيئا، ولكن القاضي الفاضل، فضلا عن قبول هذه الشروط، أنزله على الرحب والسعة، وعظمه تعظيما كبيرا وجعله شيخ مدرسته. وظل الشاطبي بهذه المدرسة متصدرا لإقراء القرآن الكريم وقراءاته، والنحو واللغة، ولم يفارق القاهرة سوى مرة واحدة، زار فيها بيت المقدس، فصام هناك رمضان، واعتكف سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وهنأ صلاح الدين بفتحه، ثم عاد إلى مدرسته التي انتهى إليه فيها رياسة الإقراء، وكان

---

(١) فيره بكسر الفاء وسكون الياء وتشديد الراء وضمها معناه في لغة أعاجم الأندلس: الحديد، والرعيني نسبة إلى ذي رعين أحد أقيال اليمن وقيل اسمه أبو القاسم، وكنيته اسمه، ولكن في إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم، كما رآها ابن خلكان

يعرف مذهب الشافعي ومالك ولذا نراه في طبقات الشافعية والمالكية ؛ فضلا عن أن شروط مدرس الفاضلية أن يكون ملما بالمذهبين ؛ وثابر على الإقراء بمدرسته ، فكان يصلي فيها الصبح بغلس ، ثم يجلس للاقراء ، فكان الناس يتسابقون السرى إليه ليلا . وكان إذا قعد لا يزيد على قوله : من جاء أولا فليقرأ . وظل خادما للقرآن الكريم حتى توفي يوم الأحد بعد صلاة عصر اليوم الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة ، ودفن بمقبرة القاضي الفاضل ، وخلف ابنا هو محمد الذي روى قصيدة أبيه في القراءات

أما مواهب هذا الرجل وأخلاقه فقد أكبرها معاصروه ومؤرخوه . قالوا : كان أعجوبة في الذكاء ، يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر لذكائه ، وأنه لا يبدو منه ما يدل على العمى . زاهدا عابدا ، مخلصا فيما يقول ويفعل ، منقطعا للعلم والعمل ، يتجنب فضول الكلام ، ولا ينطق إلا بما تدعو إليه الضرورة ، ولا يجلس للاقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة ، وخشوع واستكانة ، وكان يعتل العلة الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه . وما كان يرى التقرب إلى الأمراء ، ولا النفاق والزلفى إليهم . حكي أن الأمير عز الدين موسك ، الذي كان والد ابن الحاجب حاجبا له ، بعث إلى الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده ، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه :

قل للأمير نصيحة: لا يركنن إلى فقيه
إن الفقيه إذا أتى أبوابكم لا خير فيه

وكان من تلاميذه طائفة من البرزين ، نذكر منهم أبا الحسن السخاوي ، وهو أجل أصحابه ، وابن الحاجب وغيرهما ، وقد بارك الله في أصحابه ، فكلهم قد أنجب ، وكلهم كان يضمر لأستاذه أسمى آيات الحب والإجلال ، حتى أنشد أبو شامة القدسي من نظمه في ذلك :

رأيت جماعة فضلاء فازوا برؤية شيخ مصر الشاطبي
وكلهم يعظمه ويثني كتعظيم الصحابة للنبي

وترك لنا القاسم أربع قصائد ، عرفت الأولى بالشاطبية ، واسمها حرز الأماني ووجه التهاني . والثانية رائية ، والثالثة دالية . والرابعة تدعى : تتمة الحرز من قراءة أئمة الكنز

أما الأولى فأشهر ما خلف ، وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتا . قال عنها ابن خلكان : لقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة قراء هذا الزمان في نقلهم ؛ فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق إلى أسلوبها . أما ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣ هـ فيقول : ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصا اللامية (الشاطبية) التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها ، فإنه لا يعرف مقدارها إلا من نظم على منوالها ، أو قابل بينها وبين ما نظم على طريقها . ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول مالا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفن ، بل أكاد أن أقول ، ولا في غير هذا الفن ، فإنني لا أحسب أن بلدا من بلاد الإسلام يخلو منه ، بل لا أظن أن بيت طالب علم يخلو من نسخة به . ولقد تنافس الناس فيه ، ورغبوا في اقتناء النسخ الصحاح منه ، حتى إنه كانت عندي نسخة اللامية والرائية بخط الحجيج صاحب السخاوي مجلدة ، فأعطيت بوزنها فضة ، فلم أقبل . ولقد بالغ الناس في التغالي فيها ، وأخذ أقوالها مسلمة ، واعتبار ألفاظها منطوقا ومفهوما ، حتى خرجوا بذلك أن تكون لغير معصوم ، وتجاوز بعض الحد فزعم أن ما فيها هو القراءات السبع ، وأن ما عدا ذلك شاذ ، لا يجوز القراءة به ، وقال بعضهم يصف الشاطبية :

جلا الرعيني علينا ضحى عروسه البكر ، ويا ما جلا
لو رامها مبتكر غيره قالت قوافيها له الكل : لا

ولقيت هذه القصيدة عناية كبرى من الشراح الذين حلوا رموزها ، ووضحوا مراميها . وأول من شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ ، وقد قرأ القصيدة على أستاذه ، وسمى شرحه : فتح الوصيد ، في شرح القصيد . وشرحها أبو شامة القدسي المتوفى سنة ٦٦٥ هـ شرحا سماه إبراز المعاني . قال في كشف الظنون ، وهو تأليف متوسط لا بأس به ، ثم اختصره في كتاب سماه إحراز المعاني (بدار الكتب رقم ٣٤ قراءات) وشرحها غير هذين الرجلين شروحا كثيرة تجدها في كشف الظنون ، أفضلها وأدقها شرح برهان الدين الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، واسمه كنز المعاني (بدار الكتب رقم ١٤٩ قراءات)

وقام باختصار هـذه القصيدة جمال الدين بن مالك النحوى المتوفى سنة ٦٧٢ هـ فى قصيدة سماها : حوز المعانى فى اختصار حرز الأمانى ؛ والمختصرة من بحر الشاطبية وقافيتها . كما قام باكمالها أحمد بن على المحلى الضرير شيخ القراء بالقاهرة المتوفى سنة ٦٧٣ هـ وكان الشاطبى نفسه قد أتمها من قبـل فى قصيدة سماها تتمة الحرز من قراء أئمة الـكنز ، وهى فى رواة القراءات السبعة

وقد ساعد الشاطبى على نجاحه فى رموزه وإشاراته ذهن يحب الإلغاز ويميل إليه ، قالوا : إنه كان كثيرا ما ينشد هـذا اللغز ، وهو للخطيب الحصكفى فى نعش الموتى :

أتعرف شيئا فى السماء نظيره إذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا ، وتلقاه راكبا وكل أمير يعتليه أسـيـر
يحض على التقوى ، ويكره قربه وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة فى زيارة ولـكن على رغم المزور يزور

وقد ألف الشاطبى قصيدته حرز الأمانى بالقاهرة ، وعرفنا أن مصدرها كتب أبى عمرو الدانى التى درسها القاسم بن فيره . أما الرموز والإشارات التى بها فمن بنات أفكاره

ونظم فى القاهرة أيضا قصيدته الرائية فى فن الرسم ، وهى نظم لـكتاب آخر فى هذا الفن لأبى عمرو الدانى ، قال ابن خلدون : وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضا ، وهى أوضاع حروف القرآن فى المصحف ورسومه الخطية لأن فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط ، كزيادة الياء فى (بأييد) ، وزيادة الألف فى (لا أذبحنه) و (لاأوضعوا) والواو فى (جزاؤ الظالمين) وحذف الألفـات فى مواضع دون أخرى ، وما رسم فيه من التاءات ممدودا ، والأصل فيه مربوط على شكل الهاء ، وغير ذلك . فلما جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج إلى حصرها ، فكتب الناس فيها أيضا ، وانتهت بالمغرب إلى أبى عمرو الدانى ، فكتب فيها كتبا من أشهرها كتاب المقنع ، وأخـذ به الناس ، وعولوا عليه ، ونظمه القـاسم الشاطبى فى قصيدته المشهورة على روى الراء ، وولع الناس بحفظها ، وسمى الشـاطبى قصيدته الرائية : عقيلة أتراب القصائد ، فى أسنى المقـاصد (بدار الـكتب رقم ب ٢١٤٤٦) وشرحهـا كذلك شارح حرز الأمانى إبراهيم الجمبرى وغيره

أما القصيدة الرابعة فدالية تبلغ خمسمائة بيت ، أحاطت بما فى كتاب التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد للحافظ ابن عبد البر ، وضمه فى الفقه والحديث

وللشاطبى كذلك كتـاب الاعتصـام وهو فى الفقـه على ما يبدو مما نقله عنه الأستاذ محمد كرد على فى كتابه : الإسلام والحضارة العربية (جـ ٢ ص ٣٣) ، ومنظومة رائيـة فى بيان المدنى والمـكى من الآيات والسور ، عدد أبياتها مائتان وسبعة وتسعون بيتا . (بدار الـكتب رقم ب ٢٣٥٣٥)

وبعد فإنه لا يضير الشاطبى أنه استقى مؤلفـاته من كتب غيره ، فإنه انفرد بنظمها ، ووضع رموزها وإشاراتها ، وتقريب العلم بها لطلبة العلم وحفاظه ، وقد أصبحت كتبه ملاذ طلاب هذه الفنون ، أكثر من الأصول التى أخذت عنها

أحمد أحمد بدوى

حاجة الإسلام إلى زعيم

للدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول



نعم ! الإسلام بحاجة اليوم إلى زعيم يلم شعثه ، ويجمع متفرقه ، ويوجهه نحو الخير ، ويجعله حقا قوة من قوى العالم الحى الذى يسير قدما إلى الأمام ، ويسهم بذلك فى سعادة البشرية

فى الإسلام ، باعتباره دينا له عقائده وتشاريعه ومثله العليا ، قوى مذخورة لابد من الإفادة منها فى قيادة العالم ، وكل ما علينا هو أن نستخلصها منه . وفى الأمم الإسلامية ، إن وجدت الزعيم الموجه القادر المخلص ، قوى مادية ومعنوية لا غناء عنها للبشرية . هذا كله بدهى لا يحتاج إلى بيان ، وهذا كله يحسه كل منا ويعلو به فمه حين يتحدث إلى أخيه فى الدين أو الوطن

لو لم يكن العالم فى ماضيه وحاضره ومستقبله بحاجة إلى الإسلام ، ما اتصلت السماء بالأرض لتوحى به وبرسالته ، فإن هذا الاتصال ، وهو خرق لقوانين الطبيعة ، لا يكون إلا حين تدعو الحاجة الملحة والضرورة المطلقة . وكذلك كان الأمر حين نزل وحى السماء بدين جديد يوائم الإنسانية وقد بلغت رشدها ، بعد أن استنفدت كل من اليهودية فالمسيحية أغراضها ، ويوائم أيضا الإنسانية فى جميع ما تمر به من مراحل وأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها

ولكن هذا الدين على حاجة العالم له ، ومع قيام نهضة أوربا على كثير مما جاء به ومما خلد على الزمن من تفكير أعلامه ، صار الآن مهملا من أصحابه ، وصارت دوله نهب الطامعين ، وصاروا لا شأن لهم فى كثير من أمورهم بله أمور العالم عامة ! لماذا ؟ لأن الأمة الإسلامية لا تجد منذ زمن طويل الزعيم المؤمن حقا بإسلامه ورسالته ، فيأخذ بيدها إلى الأمام لتفتقد مقاعد العز والمجد بين الأمم المختلفة

نحن لا نشكو القلة فى العلماء والمفكرين ؛ فعندنا بحمد الله علماء مبرزون فى التشريع ، والتاريخ ، والآداب ، والفنون ، وعندنا كذلك كتاب مشاهير ، وخطباء مصاقع ، وأطباء نطاسيون ، ومهندسون بارعون ، ودهاقنة فى أمور المال والاقتصاد ، إلى أمثال هؤلاء وأولئك ممن يقوم عليهم بناء الأمة ولا تستغنى عنهم الدولة

ولكن ، مع هذا كله ، نرى البلاد الإسلامية لا تسير على الجادة المستقيمة ، ولا تكاد تسير برأيها الخاص وفق تقاليدها الخاصة فى موكب العالم . ذلك ، ونكررها مرة أخرى ، بأن العالم الإسلامى فقد منذ زمن طويل « الزعيم » المؤمن بدينه وشريعته ، الفاهم لرسالته ، المخلص لدينه ولقوميته ؛ الزعيم الذى يجعل همه من حياته بيان طريق الخير وحمل أمته عليه ، والأخذ بيدها للسير فيه ، سر ذلك الغرب أو ساءه

نحن بحاجة إلى زعيم يفكر فى الغاية التى يجب أن نصل إليها ، ويقدر الوسائل التى يجب اصطناعها ، ولو قلب فى هذا السبيل نظم التعليم مثلا رأسا على عقب لتستطيع المدرسة خلق الشباب المسلم ، ويعمل على حمل قومه على الإسلام الصحيح عقيدة وقولا وعملا قبل محاولة حمل الآخرين عليه

إن نظام التعليم الحديث ، فى الأزهر والجامعة على السواء ، قد فشل فى أداء رسالته ، وهى تخريج جيل يحسن الإفادة بما تلقن من علم وحاز من ثقافة صالحة ، جامعا إلى هذا الاعتزاز بدينه وقوميته ووطنه وضميره وكرامته . إن هذا النظام قد أخرج ، ولا يزال ، لنا من الشباب من يقول ولا يفعل ، ويدعى ولا يحقق ، ويتمنى ولا يريد ، أو يريد ولا يصمم على بلوغ ما يريد ، ومن يعرف الدين دون أن يخالط الإيمان الحق

قلبه فينزل دائماً عليه فى حكمه ، ومن يعتز بأوربا ويفتتن بكل ما رأى فيها دون تفرقة بين الحق والباطل والنافع والضار !

إن ممن تخرجوا على نظام هـذا التعليم — حتى من الأوربيين — يفهم كيف تسخر الكهرباء والبخار وسائر قوى الطبيعة ، للطيران فى الهواء والسباحة فى الماء ، ولكنه مع هذا كله لا يحسن أن يمشى على الأرض !

ونظام هذا قصاراه ، وتلك نتائجه ، يجب التغيير منه ، إن لم نقل تغييره كله من أساسه ، ليقوم على أسس جديدة تجعله يخلق الشاب المؤمن الكامل فى طباعه وخلقه ، الفاهم حقاً لرسالته التى تجمع بين عز الدنيا وسعادة الآخرة

نحن بحاجة إلى زعيم يعتقد مع شاعر الإسلام السيد « محمد إقبال » أن مقام المسلم فى هـذا العالم[1] مقام كبير خطير ؛ مقام الإمامة والتوجيه ، لا مقام التقليد والاتباع ، فإنه لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويساير الركب البشرى حيث يتجه ويسير ؛ بل خلق ليوجه المجتمع البشرى والعالم والمدنية ، ويفرض على البشرية اتجاهه وعلى عليها إرادته ، لأنه صاحب الرسالة والعلم اليقين ، ولأنه المسئول عن هـذا العالم وسيره واتجاهاته . إن هذا المسلم ليس له ، إذا تنكر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة ، أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسالم الدهر ، بل عليـه أن يثور عليه وينازله ويظل فى صراع معه حتى يقضى الله فى أمره . وما أحسن ما يقول السيد « محمد إقبال » حرفيا ، متمثلا فى هذا المقام : « سألنى ربى هل ناسبك هذا العصر وانسجم مع عقيدتك ورسالتك ؟ قلت : لا ، يارب ! قال : فحطمه ولا تبال ! »

نريد زعيماً يرى أيضاً مع شاعر الإسلام أن الخضوع للأحوال القاسرة والأوضاع القاهرة ، والاعتذار بالقضاء والقدر ، من شأن الضعفاء والأقزام ؛ أما المؤمن القوى ، فهو بنفسه قضاء الله الغالب ، وقدره الذى لا يرد . وفى ذلك يقول « إقبال » حرفيا : « إذا أحسن المؤمن تربية شخصيته ، وعرف قيمة نفسه ، لم يقع فى العالم إلا ما يرضاه ويحبه »

نريد زعيماً يرى ، مع هذا كله ، أن الدنيا لا قيمة لها لديه ، لا يهمه منها إلا ما يعينه على أداء رسالته . كما يوقن أن من نعدهم كبراء وعظماء ليسوا من ذلك فى شئ إذا وزناهم بالميزان الصحيح ، وأن هذا الميزان هو مقدار ما يقدمونه للدين والوطن والإنسانية من خير ، وأن الإسلام لا يعرف احترام الرجل لنسبه أو جاهه أو ماله فحسب

ولكن ، من لنا بهذا الزعيم وقد أكثرنا من تعداد خصائصه ؟ إنه لم يكن صاحب رسالة إلا وقد صنعه الله على عينه وأعده لأداء رسالته ، وقد ختم الله رسالاته ورسله ؛ ولكنه ترك لنا بعد هـذا ما إن تركناه لن نضل ، وهو القرآن العظيم ، والخير — كما يقول الرسول الأعظم — لا يزال فى أمته إلى آخر الدهر ، فلماذا لا نلتمس هذا الزعيم التماساً فى البيئات الصالحة لإنباته وإعداده وهى البيئة الدينية ؟

إن النـاس لا يزالون بحمد الله ينقادون بعامل الدين واسمه ، أكثر من أى عامل آخر ، لأن الإنسان متدين بطبعه كما يقولون ، ولنـا فى « آية الله كاشانى » على ما نقول دليل أى دليل !

إن لنا إذاً أن ننتظر ظهور هذا « الزعيم » من البيئة الدينية الوحيدة عندنا وهى الأزهر ، لو أحسن القائمون على الأزهر اكتشاف العناصر الصالحة من أبنائه ، وأحسنوا بعد هذا القيام عليهم ؛ ليكون منهم فيما بعـد الدعاة الأقوياء للدين ورسالته ، لا يعيشون إلا لهذا المهم الكبير ؛ وليكونوا رجالا يسمع لهم حين يتكلمون ، وقادة تلتف حولهم الأمة حين يتحركون . والله هو المستعان ، الموفق للصراط المستقيم

محمد يوسف موسى
أستاذ بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول

---

(١) اقتباس من رسالة : « شاعر الإسلام الدكتور محمد اقبال » للأستاذ الهندى المجاهد أبو الحسن على الحسنى الندوى

من دموع اللاجئين

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« الى تلك الفضيحة الإنسانية التي سيخلد
عارها . غدر الساسة .. ولؤم الحضارة .
ووحشية الإنسان ! »



أخى .. قد مزقت ريح الدجى بيتى وأيامى
وساقتنى على الأرض بهـذا الهيكل الدامى
وهذا الشبح المطرود فى هذا الأمى الطامى
ينادى ... أين ملك الله تخبط فيه أقدامى ؟
وأين الأرض تحملنى ، وتدفن بعض آلامى ؟
وبعض خطاى فى هذا الدجى المتفجر الهامى ..

* * *

هنـا فى كبوة الأقدار بين السيل والوبل
وبين عواء شيطان طريد الجن مختـل
يقعقع للرعود السود مأخوذا من الهول
سمعت فحيح ثعبان على رأتى منسل
تدفق جسمه المغرور بين حفائر السل
وبين شتاء بستان بدفء الموت مخضل ..

* * *

هنا فى خيمة البهتان والطغيان والزور ..
لدى مأوى كلحد الميت ، فى النسيان محفور
رُميت كدعوة وقفت على درب المقـادير
يصب التيه فى خلدى خطا الظلمـات فى النور
فأشرب حيرتى وبكاى من كف الأعاصير
وأذرف أدمعى الخرساء فى صمت الدياجير ..

* * *

أخى .. قد غال ذئب الجوع أطفالى مع الفجر
وبعثرهم جنون السيل بين مـداخل الصخر
فلا أدرى لهم شجنا على نعش ولا قبر
كما كانوا هنا .. عادوا ، بلا سكن ولا عمر
ظللت أنوح .. ياربّاه ! بعض نداك للجمر ..
فجاء الموت يفغر فاه للظلمات والقفر !

* * *

أخى .. فى عزلة حمراء بين ستائر الحان
وتحت جناح مصباح بغى الضوء نشوان
سمعت صداك من قدح إلى الشهوات ظمآن
تدور به على جسد بسحر العار ريان ..
وحولك أمة سـكرى على رشفات طغيان
يدور بها على فلك شقى الخطو حيران ..

* * *

ضباب الذل غشانا وصوت العـار أحزانا
ولم يترك لنا الطاغون شيئا فوق دنيانا
أذاقونا عـذاب التيه ، والتشريد ألوانا
إذا صحنا من الجوع أكلنا القوت حرمانا

الكتلة الإسلامية والسلام العالمي

للأستاذ أبو الفتوح عطيفه

تحتل البلاد الإسلامية بقعة كبيرة من سطح الكرة الأرضية ، فهي تمتد من بلاد الصين شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا وتضم بين دفتيها ، الباكستان وأفغانستان وإيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والمملكة السعودية العربية واليمن وعدن وعمان والكويت والبحرين — وانخرج من حسابنا تركيا لأنها قد أخرجت نفسها من مجموعة الشعوب الإسلامية وآثرت الانضمام إلى الدول الغربية — ويضاف إلى هذه المجموعة السابقة من الدول الأسيوية إندونسيا

هذا في آسيا أما في أفريقيا فتوجد مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش وبلاد الصومال

وسكان العالم الاسلامي يزيد تعدادهم على أربعمائة مليون من الأنفس وهو عدد يزيد على عدد سكان القارة الأوربية بأسرها وهو عدد له خطره وقيمته

وفي العصر الحاضر انقسم العالم إلى كتلتين : إحداهما شرقية تتزعمها روسيا وتدين بالشيوعية ، والأخرى غربية وتتزعمها إنجلترا وأمريكا وفرنسا وتدين بالديمقراطية والاشتراكية . وبين الكتلتين نزاع ونضال . صحيح أنه في سنة ١٩٤١ أي في خلال الحرب العالمية الثانية اتفقت الكتلتان وتحالفتا للقضاء على عدوتهما المشتركة ألمانيا، فلما قضى الأمر وانتهت الحرب بانتصارهما اعتقد الناس أن العالم سينعم بفترة من السلام عقب هذه الحرب الضروس ، ولكن خاب أملهم ، فسرعان ما شب النضال وقامت الحرب الباردة بين حلفاء الأمس ، ويتجلى هذا النزاع واضحا جليا في الخلافات المستمرة بين روسيا وبين إنجلترا وأمريكا في هيئة الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن وكذلك في الحرب القائمة في كوريا

ولعلك تسألني ماسر هذا النزاع وهذا النضال بين الكتلتين وما سببه ؟ وأنا أجيبك في صراحة أن كلا من الكتلتين تبغى السيادة على العالم . وهذا يدفعنا إلى أن نبحث موقف العالم الإسلامي إزاء الكتلتين ، والسياسة التي يجب أن تسير عليها شعوبه ، ولكن يجدر بنا قبل ذلك أن نحاول معرفة سياسة الكتلتين إزاء الشرق الأوسط ، أو الوطن الاسلامي

إن كلا من الكتلتين تبغى السيادة على العالم الإسلامي ، وأكثر من هذا إن دول الكتلة الغربية تسيطر فعلا على الدول الاسلامية : ففرنسا تحتل تونس والجزائر ومراكش ، وتسوم أهلها الخسف والعذاب . وبلغ من ظلم فرنسا وقسوتها في الجزائر أن حرمت تدريس اللغة العربية والدين بمدارسها ، بل زادت

وإن نحنا من العرى لبسنا الموت أكفانا
وإن رمنا ندى الناس وجدنا الناس ذؤبانا ...

• • •

سلوهم .. واسألوا ما شئتم الإسلام ، والعربا ..
وكيف على تراب الذل لم يتمزقوا غضبا !
وكيف غدت « فلسطين » بهم تتجرع النوبا
تنوح على سياستهم وتشكو القيد واللهبا
وهم لمذابح الشهوات ساقوا اللهو واللعبا ..
وقالوا : الشرق ! قلت : محا على أفواهكم كذبا ..

محمود حسن إسماعيل

فانتهكت الأعراض، وحاولت خلق أمة جديدة تختلط فيها الأنساب وتضيع الجنسيات، ولكن طاش سهمها وخاب رجاؤها

وقد حاولت مصر فتح معهد فاروق الأول للدراسات الاسلامية بمدينة الجزائر، ولكن فرنسا لم توافق. وقد رد على ذلك معالى الوزير الحر والأديب العالم الدكتور طه حسين باشا فأمر بوقف نشاط الهيئات العلمية والأثرية الفرنسية فى مصر، وهو عمل نحمده لهذا الوزير الخطير

وتحتل إنجلترا ليبيا، وبرغم أن استقلال ليبيا قد أعلن فإن انجلترا وأمريكا وفرنسا تحاول أن تبقى قوات احتلالها فى ليبيا إلى ما لا نهاية

وفى مصر والسودان ترفض إنجلترا الجلاء وتقف حائلا أمام وحدة مصر والسودان، وهى وحدة تبررها العوامل الدينية واللغوية والجغرافية والتاريخية والاقتصادية. ولا غرابة فى هذا فإن إنجلترا التى تسمى بالوقيعة لافساد اتحاد أبناء البيت الواحد، لا تتعفف عن الوقيعة بين أبناء الشمال وأبناء الجنوب من سكان وادى النيل

وإن انجلترا وأمريكا هما الدولتان اللتان ارتكبتا أشنع جريمة فى القرن العشرين، إذ مكنتا لاسرائيل أن تقوم وسط العالم العربى لتهدد أمنه وسلامته. وفى سبيل ذلك شردت الدولتان مليونا من العرب، وأخرجتاهم من ديارهم وأوطانهم، وألقى بهم فى العراء فى بادية قفر حيث كتب عليهم أن يقيموا ليكونوا شاهدا على ظلم الانسان للانسان، ودليلا على أن الأمة التى تتهاون فى شأنها ستلاقى نفس المصير ونفس الهوان. ولكن ليعلم الناس جميعا أن الأمم الاسلامية لن يهدأ لها بال حتى يرد العرب إلى أوطانهم

وتحتل إنجلترا شرق الأردن وعدن وعدة سلطنات على البحر العربى، وبينها وبين سلطنة عمان وإمارة البحرين وإمارة الكويت معاهدات تحالف!

وبين إنجلترا والعراق معاهدة تبيح لانجلترا أن تنزل قواتها فى أرض العراق إذا تعرض العراق لخطر أجنبى، وهذا الخطر لن يأتى إلا من جانب روسيا

وكانت انجلترا إلى وقت قريب تسيطر على البترول الإيرانى وتجنى من ذلك أرباحا طائلة بلغت قيمتها ١٩٥٠ ١١٥ مليونا من الجنيهات، ولكن إيران أممت بترولها وطردت الإنجليز من بلادها، ومع هذا فلم تسكت انجلترا بل عمدت إلى شن حرب اقتصادية على إيران

والباكستان تدخل فى نطاق الكومنولث أو مجموعة الشعوب البريطانية وهى بهذا الوضع مرتبطة بالسياسة البريطانية الخارجية والاقتصادية

وقد ألقت أمريكا أخيرا بدلوها فى الدلاء، والاستعمار الأمريكى استعمار اقتصادى؛ والاستعمار الاقتصادى من أشد أنواع الاستعمار فتكا بالشعوب. وهى لهذا تحاول أن تسيطر اقتصاديا على شعوب الشرق الأوسط. وقد أخذت من الحكومة العربية السعودية امتيازا باستخراج البترول من منطقة الظهران الواقعة على الخليج الفارسى

وهكذا نرى أن الدول الغربية تسيطر فعلا على العالم الإسلامى رغم كثرة عدد سكانه ورغم رخائه وكثرة موارده، تدعى دول الكتلة الغربية أنها لا تريد بدول الشرق الأوسط شرا وتبرر احتلالها لكثير من بقاعه بأنها تحميه من الخطر الروسى. وتذهب انجلترا فى تبرير احتلالها لمنطقة قنال السويس إلى أن مصر قلب العالم الإسلامى وأنها ستكون هدفا للغزو الروسى

هذا هو موقف دول الكتلة الغربية من العالم الإسلامى. أما روسيا فإنها تحاول السيطرة على العالم وهى لهذا تحاول أن تزلزل الأرض تحت أقدام الكتلة الغربية وتعمد إلى إقامة روابط الود مع دول الشرق الأوسط. وتفزع الدول الغربية وتشفق على دول العالم الإسلامى من الوقوع فى براثن الشيوعية وهى إنما تخاف على نفسها وتشفق على سيادتها

وهنا يجب علينا أن نوضح حقيقة موقف الكتلة الإسلامية

إزاء الكتلتين . لقد ضاق العالم العربي ذرعا بسيادة الدول الغربية عليه وهو لا يريد منها إلا أن تذهب غير مأسوف عليها وأن تتركه حرا وهو سيترغم على ذلك إرغاما بالطرق السلمية إن أمكن وبالكفاح والجلاء إن لم تجد الطرق السلمية

أما روسيا فليست خطرا على العالم الإسلامى لأن هذا العالم غنى بمبادئه عن مبادئ روسيا الشيوعية ، وقد كفل له الأسلام سلامته وسعادته

فالإسلام يأمر المسلمين بأداء زكاة أموالهم وردها على فقرائهم (خذ من أموالهم صدقة تزكيهم وتطهرهم بها) (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)

وإنى أحب أن أضرب للناس المثل الآتى ليتبينوا أن الشيوعية ليست خطرا مطلقا على المسلمين

كلنا يعلم أن قريشا رفضت أن تعتنق الإسلام وحاولت أن تفتن المسلمين الأوائل عن دينهم وأن تردهم إلى شركها وكفرها بالتعذيب والتهديد وغير ذلك من الوسائل ولكنهم صبروا على الأذى والعدوان واستعذبوا ما لاقوا من هوان فى سبيل دينهم . واضطروا أخيرا أن يهجروا أوطانهم وأن يهاجروا إلى المدينة فرارا بدينهم وتركوا ديارهم وأموالهم

ويروى صاحب السيرة أن صهيب بن سنان حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ! فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ! ربح صهيب !

وهكذا ذهب المهاجرون إلى المدينة وقد تركوا أموالهم وديارهم بمكة . ماذا فعل الرسول الكريم ؟ آخى بين المهاجرين والأنصار . وماذا فعل الأنصار ؟ نزل كل منهم عن نصف ما يملك لأخيه المهاجر . وما أظن أن فى التاريخ الحديث بمبادئه الشيوعية والاشتراكية أروع من هذا المثل

والإسلام دين الديمقراطية : كان النبى يشاور أصحابه دائما (وأمرهم شورى بينهم) ، وكان الرسول لا يقضى أمرا دون مشورة . انظر إليه صلوات الله عليه قبيل غزوة بدر وقد اتخذ مكانا فجاءه الحباب بن المنذر وقال : يارسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يارسول الله فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال الرسول : لقد أشرت بالرأى . ونفذ ما أشار به الحباب والأمثلة على ديمقراطية الرسول كثيرة لا يحصيها العد

واستمع إلى قول أبى بكر الصديق حين بويع بالخلافة : أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن كنت على حق فأعينونى ، وإن كنت على باطل فقومونى . « الخليفة يطلب من الرعية أن تقومه !! أرأيت أروع من هذا مثلا فى الديمقراطية ؟

والإسلام دين المساواة والحرية . (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى)

والإسلام دين العمل . (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) (والعصر إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

والإسلام دين التعاطف والتواد والتراحم . استمع إلى قول رسول الله (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وقوله (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر أعضائه بالسهر والحمى .)

والإسلام دين العزة يأبى على أتباعه الذلة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) ، وهو لهذا يأمر أتباعه دائما بالجهاد :

(يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون) (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون)

وقد أقام الإسلام فيما مضى أمة سادت الدنيا وكانت أقوى أمم الأرض جميعا ، وكانت دول الغرب جميعا ترهبها وتخشى بأسها . وقد بلغ من اتساع رقعتها وامتداد مساحتها أن كان الخليفة هرون الرشيد ينظر إلى السحابة ويقول « امطرى حيث شئت يأتنى خراجك . »

وهكذا نجد أن العالم الإسلامي غنى بمبادئه الإسلامية عن الكتلة الشرقية وعن الكتلة الغربية . وهنا حقيقة أحب أن أذكرها وهى أن العالم أجمع يجب أن يتعاون في النهضة العلمية التى تهدف إلى خير الإنسان . وعلى الشرقيين أن ينهضوا علميا حتى يلحقوا بالغرب؛ فإن الغرب لم يسد ولم يتفوق إلا بالعلم . ولذا أرى واجبا على أهل الشرق أن يدرسوا علوم الغرب وأن يحاول علماؤهم القيام بنصيبهم فى حمل أعباء النهضة العلمية . وليس فى هذا ضير فهذه الحضارة التى يفخر بها الغرب إنما هى مأخوذة فى أساسها عن حضارة العرب

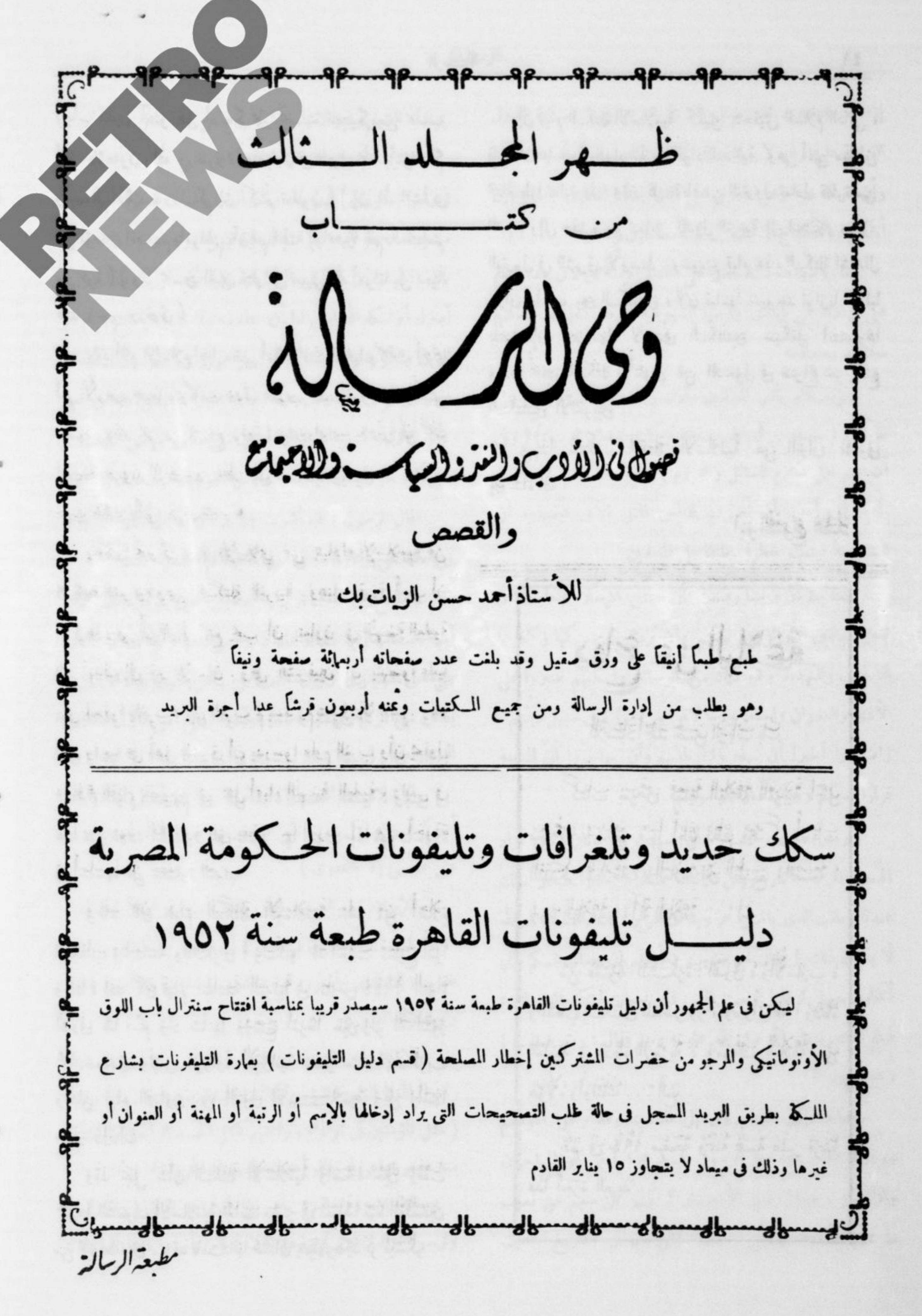
و لقد كان قيام الكتلة الإسلامية حلما من أحلام الكتاب والساسة والمفكرين ؛ ولكنها قد أخذت تصبح أمرا واقعا ، فقد كان قيام الجامعة العربية فى مارس ١٩٤٤ النواة الأولى لها ، ثم زاد شأنها ووضح أمرها حين زار الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة الإيرانية مصر منذ عهد قريب وأعلن قيام التعاون بين الدول الاسلامية وعلى رأسها مصر وإيران

وقد تجلى شأن الكتلة الاسلامية واضحا حين وقفت مجموعة الشعوب الاسلامية بجانب مصر فى نضالها ضد المغتصبين من البريطانيين . وقد قامت الباكستان بمجهود يذكر فيشكر

إن قيام الكتلة الاسلامية كفيل بتحقيق السلام العالمى ، فإن بلادها غنية بالمواد الخام والمواد الغذائية . وهى أغنى مناطق العالم طرا بالبترول؛ وإن كل نقطة من البترول تعادل قطرة من الدم ، وإلى هذا يرجع تسابق الدول الغربية إلى احتكار موارد البترول فى الشرق الأوسط . وسيمنع قيام هذه الكتلة اشتعال نيران الحرب بين الكتلتين ، لأن قيامها سيوجد توازنا دوليا بينهما فإن انضمامها لاحدى الكتلتين سيكفل انتصارها وإذن تحجم الكتلة الأخرى عن الدخول فى صراع حربى مع الكتلتين الأخريين

وبهذا ستكون الكتلة الاسلامية هى الميزان الدولى إن شاء الله

ابو الفتوح عطيفة



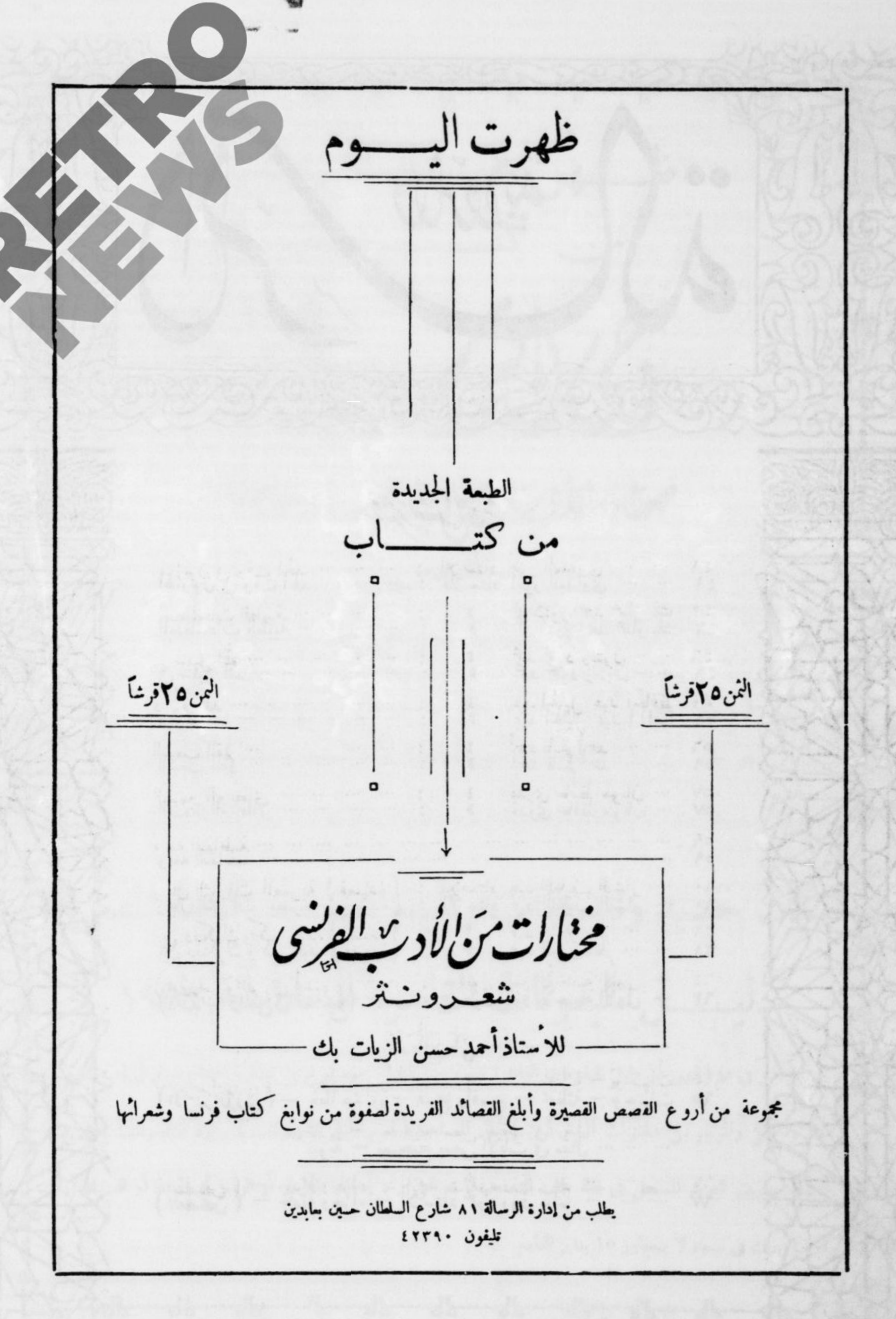
مطبعة الرسالة



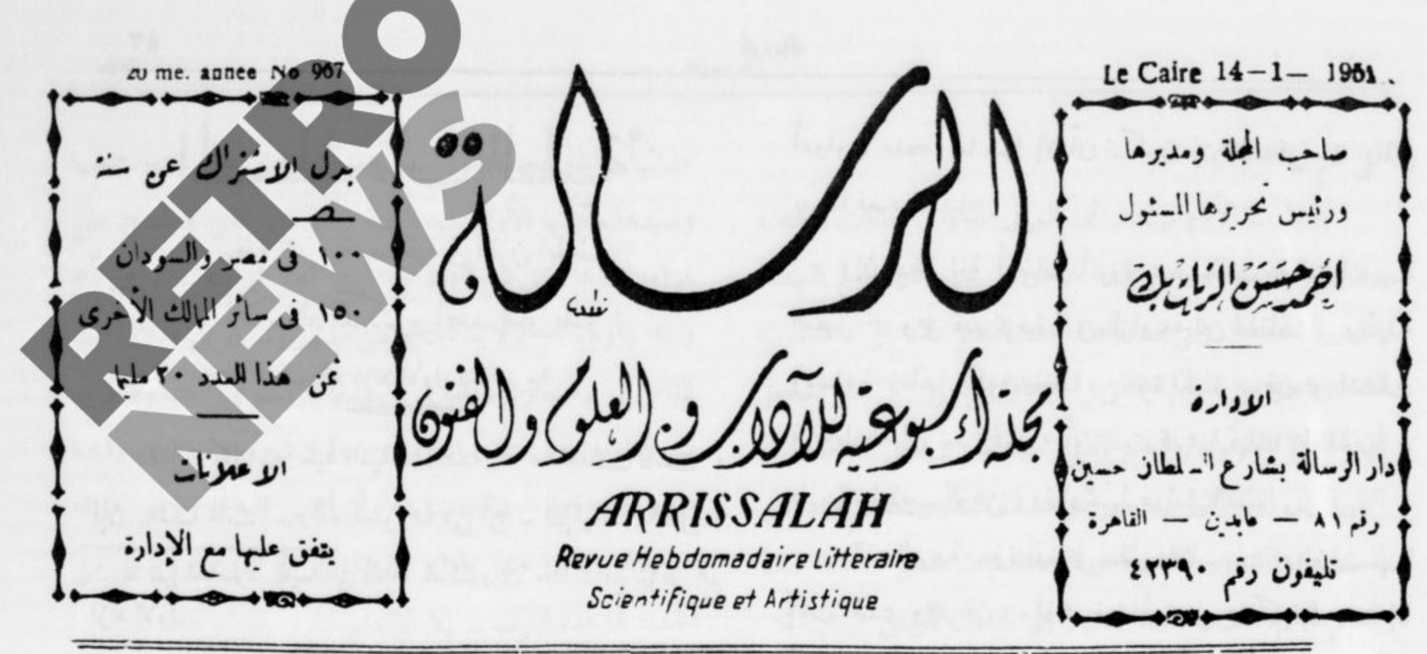


فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



ظهرت اليـــوم
الطبعة الجديدة
من كتـــاب
الثمن ٢٥ قرشاً
الثمن ٢٥ قرشاً
مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها
يطلب من إدارة الرسالة ٨١ شارع السلطان حسين بعابدين
تليفون ٤٢٣٩٠



العدد ٩٦٧ «القاهرة في يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ١٤ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الهازلون في وقت الجد!

للأستاذ أنور المعداوي

في ليلة السبت ٥ يناير عام ١٩٥٢ سهرت السويس حتى الصباح، وكذلك سهرت القاهرة.. كانت السويس البائسة تضج بالألم وهي تستمع لصوت الرصاص؛ وكانت القاهرة السعيدة تفيض باللذة وهي تستمع لصوت أم كلثوم! كان هناك مأتم وكان هنا عرس. كانت هناك دماء وكان هنا غناء.. السويس والقاهرة إن لم تكن تملم قطعتان أصيلتان من أرض مصر؛ مصر التي يقال عنها إنها تنظر إلى المأساة بعين واحدة، وتتلقى أبناءها بشعور واحد!

في تلك الليلة، ليلة السبت ٥ يناير عام ١٩٥٢، كان المجاهدون من أبناء السويس وحدهم في المركة، يواجهون قوى الشر والغدر والطغيان.. دماؤهم فوق أسنة الحراب، وأجسادهم تحت أقدام اللصوص، وعيونهم أبدا إلى الأفق البعيد! أما القاهرة فقد تلقت الأنباء المفجعة في الساعة الثامنة والنصف، ومع ذلك فقد بدت في التاسعة والنصف وكأنها لم تسمع شيئا ولم تشعر بشيء.. واعذروها فقد كانت في غمرة الطرب ونشوة الأنغام؛ كانت تنصت لأم كلثوم وتصفق لأم كلثوم!

ماذا يقول الناس عن هذه العاصمة السعيدة المرحة التي لا تعرف الحياء؟ العاصمة التي لا يضيرها أن تطرب وهناك من يئن، وأن تسمد وهناك من يشقى، وأن تضحك وهناك من يبكي، وأن تحيا وهناك من يموت؟!

شهيد واحد من شهدائنا تستقر في رأسه مائة رصاصة..

ترى هل استحالت الرءوس في نظر الأنذال إلى حصون وقلاع؟ إن تلك الرصاصات المائة لكفيلة بأن تشعل في النفوس نار الأسى على الشهيد الذاهب، ونار الحقد على العدو الظالم، ونار التطلع إلى انتقام سريع.. إنها لكفيلة بأن تقض المضاجع، وأن تؤرق الجفون، وأن تجعلنا ساهرين حتى الصباح! ولقد فعلنا ذلك منذ أيام.. غنت كوكب الشرق، وصفق السكارى والعربدون، واشتركت في المهزلة محطة الإذاعة الحكومية؛ تلك المحطة التي لا يشرف عليها غير أصحاب الثقافة القاصرة والشعور البليد!

ترى هل قدر لمدن القنال أن تعيش وحدها في الجحيم، وأن تحمل وحدها العبء الفادح، وأن تخوض وحدها غمار المركة، دون أن يجد أهلها من يشاركهم في الشعور إن لم يقاسمهم المصير؟ لقد كنت أنتظر حين تجرح بورسعيد أن تضمد جراحها الإسكندرية، وحين تبكي السويس أن تكفكف دموعها القاهرة، وأن تؤلف بين نفوسنا وحدة الدم وأن تربط بين قلوبنا صرخة الوطن، في هذا الوقت الذي نواجه فيه سطو اللصوص على كل ما نملك من رصيد الشرف والكرامة.. كنت أنتظر هذا كله وما هو أكثر منه، ولكن القاهرة

المصطلحات الطبية*

ونهضة العربية بصوغها فى القرن الحاضر

للأستاذ الدكتور أحمد عمار بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اللغات كائنات حية نامية متجددة – ما تجددت عاشت ، فإن جمدت ماتت . ولقد تمتورها من آفات الإفراط والتفريط أدواء لا منجاة لها منها إلا أن تكون بين ذلك قواما ، وتلزم بينهما قصد السبيل

وإن لكل لغة أوضاعا مأثورة ، ومطالب يقتضيها منها العصر – وعلى قدر توفيقها فى المزاوجة بين الحفاظ على تراثها ، ومسايرة زمانها يكون حظها من قوة الحياة . فان هى اشتطت فى المحافظة إلى حد الجمود ، أو نبذت قديمها تهافتا على الجديد ، دب إليها دبيب الوهن ، وتناوشتها عوامل الفناء

وللغة العربية ميزة فذة على سائر اللغات – إذ تنزلت بها آيات الهدى والفرقان ، وإذ شرفها الله تعالى بمحكم قوله : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » وبصادق وعده : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

ولغة هذا شأن تراثها – بل شأوه من التقديس – لا عجب إذا هى انقادت ببديهتها ، فغلت فى المحافظة حذر التجديد . . ولكنها إن أعملت رويتها ، أدركت أنها إن تغل فى الحذر – فن مأمنه قد يؤتى الحذر ، وأنها إن تجمد على القديم ، تفد على الأيام لغة قصاراها الدين ، بعد إذ كانت فى عنفوانها لغة الدنيا والدين ، وتتنكر بذلك لتراثها ذاته ، بل لسنة الحياة لا تبديل لها ، وهى أن ما ينفع الناس يمكث فى الأرض . فتلك سنة لا تند عنها اللغات ؛ فهى إنما تمكث فى الأرض بما توفره من منافع للناس فى شتى ضروب تواصلهم فى أمور معاشهم . وإنا لتعاصرنا لغات موفورة الحياة ، لا تكف عن التجدد ليل نهار ، لتلاحق فيوض القرائح وأفانين الابتكار ، فلا يلحقها من هذا التجدد ضير ، بل لا يزيدها التجدد إلا قوة ونماء

ولقد وسمت لغتنا فى ريعانها من مطالب الحضارة أعلاها مرتقى ، وأصعبها شماسا ، ومن بينها الطب ، إذ بلغ شأوها فيه أن تلقاه عليها الغرب ، وتدارسه فى كتبها حقبا طوالا . وما كان ذلك إلا لأن أسلافنا لم يبتلوا بذلك الداء الدوى ، وهو فرط الحذر ، ولم يخشوا فى النقل عمن سبقهم من الأمم لومة لائم ، بل أقبلوا عليه إقبالا لعلهم كانوا فيه إلى العجلة والاندفاع أقرب منهم إلى التؤدة والأناة ، فما أضر بهم ولا بلغتهم قليل الاندفاع ، ولو أنهم أسرفوا فى الحذر – لما خلد لهم فى التاريخ ذكر ولا

* نص المحاضرة القيمة التى ألقاها الدكتور فى حفلة افتتاح مؤتمر مجمع فؤاد الأول

الماجنة قد تقلقلى من عالم الخيال الجميل إلى عالم الواقع الدميم ، حين أرسلت ضحكاتها الصاخبة عبر الفضاء لتحيى بها أنين الضحايا على ضفاف القنال !

إن الدم ليفور فى عروق وأنا أبحث عن الرجل الذى يملك سوط الجلاد فلا أجده ؛ الرجل الذى يلهب ظهور اللاهين فى ساعة الجد ، والعابثين فى وقت الشدة ، والهازلين ورحى المعركة تدور . . أين هذا الرجل ليرد أصحاب الغفلة إلى الوعى ، وأين سوطه ليعلم أصحاب المجون معنى الوقار ؟! ما أشد حاجتنا إلى هذا الرجل ما دام الذوق قد تحجر ، وما دام الحس قد تبلد ، وما دام الضمير قد مات !!

لو وجد هذا الرجل لما امتلأت القهوات بالفارغين ، ولما ازدحمت الشوارع بالمتسكعين ، ولما ضاقت الأندية على سعتها بالرقعاء من لاعبى القمار . . لو وجد هذا الرجل لساق هؤلاء جميعا إلى هناك ، إلى تلك البقعة المجاهدة ليتلقوا فى رحابها الدروس ؛ دروس العزة والبذل والتضحية وإنكار الذات !

لو وجد هذا الرجل لساقهم سوق العبيد ليفهموا معنى الحرية ، ولأخذهم أخذ الأذلاء ليدركوا شرف الكرامة ، ولأيقظهم بصوت القوى القاهر من هذا السبات العميق !!

إنهم فى هذه المحنة القاسية وفى هذه اللحظة الحاسمة ، محتاجون حقا إلى من يقنعهم بأن زمن اللهو قد انقضى وبأن وقت الهزل قد فات ، ولن يقنعهم على التحقيق غير شئ واحد هو سوط الجلاد . . وما أشد افتقارنا إليه فى مثل هذه الأيام !!

أنور المعداوى

بقي لهم في العلم أثر

ثم دارت الأيام بهـذا المجد العربي المؤثل ، فدالت دولته ، وطال باللغة تخلفها عن قافلة الزمان ، حتى كان مبزغ النهضة المصرية الحديثة التي تصدرها المجدد العظيم محمد علي ، فأخذت اللغة تصحو من سباتها الطويل . وكان من بوا كير هذا الصحو أن تعاون القائمون بالتعليم الطبي حينذاك على نقل المصطلحات الطبية إلى اللغة العربية ، وأثمر هـذا التعاون معجم التونسي المسمى « الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية » — ذلك المعجم الذي ألقت به عصا التسيار إلى متحف باريس ، ثم نقلت عنه صورتان شمسيتان إلى دار الكتب المصرية . وهـذا المعجم يشتمل على مفردات عربيـة مشروحة لا تقابلها مرادفاتها الأجنبية ، ويقع في اثني عشر جزءا ، لم يقدر لها أن تنشر ، فيما عدا مائة صفحة منها عني المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك بنشر مفرداتها مترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية . ومن أسف أن هذا الجهد الذي كان خليقا بالنفع لم يمض إلى غايته . وحبذا لو عني مجمعنا الموقر بتزويد مكتبته بصورة من ذلك المعجم الحبيس ، انتفاعا بكثرة ما حوى من مفردات صالحة للاقتباس العلمي ، مستخرجة من معاجم عدة

على أن هذه النهضة العربية في القرن الماضي ، ما لبثت أن منيت بمثل ما منيت به النهضة السياسية من عثار لم يكن منـه مقيل حتى مطلع المشرين ، حين قيض الله للمصطلحات الطبية العربية طبيبا كبيرا : هو المرحوم الدكتور محمد شرف بك ، ملك عليه حب العربية مشاعره ، فبذل لها من فـكره وجهده ، ومن ماله ووقته ، ما تنوء به العصبة أولو القوة ؛ غير مشفق من أن يحمل وحده أمانة تؤود رهطا من الأثبات إذ أخرج للنـاس معجمه الضخم الذي ينتظم سبعين ألفا من المصطلحات ، لا في الطب بمختلف فروعه فحسب ، بل في كل ما يمت له بصلة من سائر العلوم . وبحسب هذا المعجم أن يكون الأول من نوعه في العربية ، وأن يقوم شاهدا على ما تستطيعه الهمة الشماء إذا ما تجشمت جلائل الأمور

ثم أذن الله للغة العربية أن تسترد مجدها التليد بإنشاء هـذا المجمع الموقر الذي يضم صفوة من أئمة اللغة وفقهائها ، وجهابذة علمائها ، الخبراء بمختلف حاجاتها ، البصراء بمـا يجدد شبابها ويعيدها سيرتها الأولى قوية فتية موفورة . فحقق بما استن من قواعد ، وبما وثق من ألفاظ ، بشرى أهل العربية به ، على أتم وجه وأوفاه — لولا ما اعتاقه من قصور وسائله في إعلان عمله للناس ، وافتقاره لطائفة من أمهات المراجع ، واحتياجه لمزيد من العاملين في مختلف اللجان — ولولا شيء آخر ، أرى واجبا علي وقد شرفني المجمع بعضويته ، أن أهمس إليه به ، وهو حيرته التي طالت سبعة عشر عاما ، بين إشفاق على القديم ، ووجل من الجديد فما عدة النهضات إلا الإقدام

ولئن شئنا أن نشفق فلنشفق من الجمود والاندفاع على السواء . أو فلنشفق من الجمود أكثر مما نشفق من الاندفاع ، ولنتوسط بينهما السداد ما استطعنا إليـه سبيلا . فلقد جاء في الأثر الشريف « خير هـذه الأمة النمط الأوسط : يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي » ، وإنا لهذا النمط الأوسط لمتبعون . ولنضرب لذلك الأمثال :

من قواعد صوغ المصطلحات العلمية عامة، والطبية خاصة ، أن يحبس المصطلح على معنى بذاته منعا من التباسه بأي معنى سواه . ولذا لجأت اللغات الأجنبية إلى اللغـات القديمة كاليونانية واللاتينية فاستمدت منهما أكثر مصطلحات العلوم متوسلة إلى ذلك بأية مناسبة ، وإن كانت واهية ، من مناسبات المعنى المراد

فالمرض الجلدي المعروف بالإكزيما مثـلا — من علامات دور من أدواره ظهور نفطات أو حويصلات مليئة بما يشبه الماء على ظاهر الجلد . فمن المشابهة البعيدة بين هذه النفطات وما يظهر من فقاعات على سطح الماء عند غليانه : استمدت لتسمية المرض كلمة « إكزيما » وهي كلـة لاتينية تفيد معنى الغليان ، وحبست على المرض فأصبحت علما عليـه لا تنصرف إلى شيء سواه

فما عسى أن نترجم به هـذا المصطلح إلى العربية ؟ إن أول ما ينبغي أن نتوخاه هو أن يكون لفظنا مفردا كنظيره الأجنبي . ذلك لأن من ضرورات استعماله أن نسوقه في صيغة صفة أو مصدر أو إضافة أو نسبة — في نحو قولنا : جلد متأكزم ، أو اكزيما الوجه ، أو التغيرات الاكزيمية

فها نحن أولاء قد استخدمنا المصطلح الأجنبى على جهة التعريب فأوفى بالغاية . أفنوثق هـذا التعريب من فورنا غير متحرجين ، أم نتمهل لعلنا نظفر ببغيتنا من سبيل الاشتقاق ؟ لقد سبق أن ترجم هذا المصطلح اشتقاقا « بالغليان » على المقابلة بأصل المعنى اللاتينى . فهل تفى هذه الكلمة بالمراد ؟ إذا قلنا « الغليان » أمكن أن ينصرف المعنى فى ذهن السامع إلى ذلك المرض الجلدى ؟ فإن قلنا « داء الغليان » — ففضلا عن أننا تجاوزنا عن مقابلة اللفظ المفرد بمفرد مثله ممـا هو مستحب — فقد أوجبنا التساؤل : أداء اجتماعى هو أم فردى ؟ أو نفسانى هو أم جثمانى ؟ وأى الأعضاء يصيب ؟ فإن قلنا « غليان الجلد » فقد أوقعنا القول فى الذهن موقع حيرة وغرابة : إذ كيف يغلى الجلد ؟ وأى جلد ذاك الذى يغلى ؟

وإنما الذى أوجب كل هذه الحيرة : هو أننا استخدمنا لفظا شائعا لمعنى علمى ، فلا نحن تركناه لمعناه الشائع ، ولا نحن استطعنا أن نحبسه على المعنى العلمى المراد بعـد أن انتزعناه من استعماله العام . ومن ثم فقد سلبنا اللغة لفظا من رصيدها المتداول دون أن ننتفع به فتيلا . وهـذا ما تفاداه الاصطلاح الأجنبى باستمداد الكلمة من لغة دارسة ، مما لا سبيل لنا إليـه إلا أن نستمد من لفظ عربى مهجور

فإذا لم نوفق إلى مقابل لـكلمة « إكزيما » عن طريق الاشتقاق على النحو الذى أوضحناه ، فلم لا نلبى من فورنا حاجة الاستعمال العاجلة باللجوء إلى التعريب ، بأن نمهد فى غير تردد بكلمة « الاكزيما » لذوى الملكات المطبوعة من رجال اللغة ، ليوثقوها كما هى أو ليصقلوها بما يتسق مع الذوق العربى ، كأن يقولوا « الأقزيم » أو « الأكزيم » حسبما يرون ، فى غير إغراب أو ابتعاد بالنطق عن اللفظ الأجنبى

وهبنا بعد إذ وثقنا الكلمة بالتعريب ، جاءنا من يقول إنه وجد فى مادة « كزم » كلمة « التكزيم » بمعنى التقفيع ، وفى مادة « قفع » كلمة « القفعاء » بمعنى الأذن التى كأنما أصابتها نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها ، ثم كلمة « القفاعى » بمعنى الأحمر ينقشر أنفه لشدة حمرته ، وأحمر قفاعى لغية فى فقاعى مقدمة الفاء ، وهو قفاع لماله : لا ينفقه

وذكر القائل بعد ذلك أنه زعيم بأن القفاعة إنما سميت لذلك لأنها تحتجن ماءها كما يحتجن القفاع ماله فلا ينفقه ، وأن ما تشبه الفقاعات فى الإكزيما إن هو إلا دور من أدوارها يسبقه دور احمرار لك أن تصف حمرته بالأحمر القفاعى ، وأن الانقشار دور من أدوار الإكـزيما كذلك ، وأن الأذن التى أصابتهـــا نار فتزوت من أعلاها إلى أسفلها لتوحى بالأذن التى أصابتها الأكـزيما بالتهاب كلذعة النار وتورم تتزوى منه أى تعوج . وخلص القائل من تفسيره هذا الذى أدهشنا أشد الدهش إلى أن من حق لغتنا علينا ألا نستعير لهـا الألفاظ ، وإنما لنحويها .

فهل من ضير يضيرنا إذا نحن عدنا إلى الاشتقاق بعـــد التعريب ؟ ولـماذا لا نترخص فى الاشتقاق من مناداة « كـزم » هذه ، فنقول « كـزمة » مثلا لاسم المرض ، « ونكزم » للفعل ، « ومكزما » للصفة ، و « تـكزيما » للمصدر . ولم لا يحق لنا أن نكمل تصريفها قياسا على مادة تشبهها ، لغير قيود لا موجب لها فى لفظ مهجور رآه مدونو المعاجم أنفسهم غير جدير باستيفاء التعريب .

وأيهما أحفظ لتراث اللغة : أأن ندخل عليها لفظا أعجميا مهما صقلناه بدا فى لغتنا كالرقعة المختلفة عن نسيج الثوب — أم أن نرقع ثوبنا من نسيجه نفسه فتتسق رقعتنا مع الثوب ؟

وما بالنا إذا ما تأبت علينا قواعد الاشتقاق لا تقبل الكلمة المقترحة على أى جهة من جهات القبول ؟ بل ما بالنا إذا ما اختلفنا فى المفاضلة بين إكزيما وكزمة ، لا نوثق الكلمتين معا ، تاركين للذوق العام أن يستقر على تخير إحـداهما بمقتضى مزاياها فى الاستعمال . وهاهنا تتضح أمامنا معالم الطريق ؛ فإن أول ما يجب أن نتجه إليه فى صوغ المصطلح العلمى ، هو البحث عما إذا كان لمعناه فى لغتنا لفظ يقابله ويؤدى معناه فى غير لبس ولا ثقل ؛ فإن وجدناه فذاك ، وإلا بحثنا فى مهجور الألفاظ عن لفظ يمت معناه للمعنى المراد بصلة دالة مميزة ، فإن استيسرت لنا بضعة ألفاظ تمت للمعنى بمختلف الصلات ، كان أولاها بالاختيار أقربها معنى وأنسبها لفظا للمصطلح الأجنبى . وليس حتما أن يكون اللفظ خفيفا وجيزا إن كان مقابله الأجنبى ثقيلا طويلا . على أنه من التوفيق أن يخف اللفظ ويقصر ، ومن غاية التوفيق

أن تكون بينه وبين مقابله مناسبة شبه فى نطق ، أو وزن ، أو مخرج ، أو حرف غالب ، مما يزيده مواءمة للأصل ، وسهولة فى الحفظ ، وطلاوة فى الاستعمال — ومن ثم جدارة بالتداول .

والآن فلندع مثلنا الأول — وهو الا كزيما — بعد إذ أفضنا فيه توضيحا لبداية الطريق ، ولنضرب مزيدا من الأمثال الموجزة للاشتقاق ، فالتعريب ، فالنحت — توضيحا لسائر الطريق .

فكلمة « الأوذيما » التى عربها الرئيس ابن سينا لمقابلة الكلمة الأجنبية التى تنطق « إديما » — والتى تعنى ارتشاح الماء تحت الجلد لم يعربها « إديما » كما هى بدلا من « أوذيما » التى لا تطابق فى نطقها الذوق العربى ؟ .

وماالذى يفيدنا بتعريب الأولين إن لم نجد مايوجبه؟ بل لماذا لا نشتق لهذا المعنى كلمة مثل « ديمة » من مادة « دأم » — وقد تضمنت : تدأم الماء الشيء : غمره ، بل لماذا لا نقلب هذه الكلمة فنقول « إدمة » والقلب جائز فى الاشتقاق ؟ لعل ابن سينا نفسه ، لولا تعجله بالتعريب ، ملاحقة للعلم ، لوجد فى مثلنا هذا مندوحة عن التعريب بالاشتقاق !

ومما يؤخذ على بعض الأقدمين فى تعريبهم — ولعهم بالأغراب الشديدفيما عربوادون ماحكمة فيه . فكلمة Taraxacum مثلا ، وهو نبات يشبه نبات اليمضيد ، التى يمكن أن تعرب بكلمة « طرقساق » قد عربها الاقدمون — ومن بينهم ابن سينا وابن البيطار وداود الأنطاكى والطبرى — عما ينيف على الثلاثين تعريبا ، تشترك جيما بل تتبارى فى الثقل والأغراب على تفاوت ذلك مابين « طرخشقون » و « تلخشكوك » و « تلحسكوك » و « طليخم » و « تلخ » !

لقد أسرف قدماؤنا فى التعريب حتى كادوا يهملون ما هو أحفظ منه للغة وأدل منه على محاسنها وهو الاشتقاق ، فعربوا — مغربين فى التعريب — حيث كان يسهل بل يجزل الاشتقاق . فعلم الحساب مثلا عربوه : « أرثماطيقا » ، والتحليل : « أنا لوطيقا » وما وراء الطبيعة : « ميتا فيزيقا » .

ولعل مرد إسرافهم هذا فى التعريب إلى ثلاثة أمور : أولها جهلهم بما لأصول المصطلحات من المعانى فى قديم اللغات التى ما كانوا ليعنوا بدراستها . وثانيها مراعاتهم مقتضى الدقة العلمية بحبس المصطلح العلمى على معناه الخصيص لكى يحتفظوا بالصلة العلمية بين لغتهم وسائر اللغات . وثالثها إيثارهم سهولة التعريب وسرعته على صعوبة الاشتقاق وبطئه ، تلهفا منهم على ملاحقة عصرهم فيما نقلوه إلى لغتهم من مختلف العلوم .

ووجه العجب فى الأمر أن يكون هذا منزع قدمائنا إلى التجديد ، بينما نقف نحن حيارى نتردد ما بين المحافظة والتجديد فيلاحقوا هم عصرهم البطىء وانبين ، ونخلد نحن فى عصرنا الوثاب إلى الهوينى !

فلقد ترجمنا الفزيولوجيا مثلا بالوظائف ، وسمينا المشتغل بها « الوظائفى » . فأية وظائف هى ؟ أهى وظائف الحكومة وغيرها بالمعنى المتعارف الآن ، أم هي المرتبات على المعنى اللغوى الصحيح ؟ أإذا أردنا أن نعد ميزانية لقسم الفزيولوجيا بكلية الطب مثلا قلنا : الوظائف لقسم الوظائف تنقسم إلى وظائف وظائفيين ، ووظائف موظفين غير وظائفيين ؟ ولنقس على هذه الأمثلة ماشئنا فى سائر العلوم .

أية مفارقة هذه بين موقفنا وموقف الغابرين : إذ نتأبى نحن على التعريب حيثما يكاد يستوجب ، بينما ترخصوا هم فيه حيث لهم ممدوحة عنه . ولماذا لانعرب غير هيا بين حيثما يستعصى علينا ، أو ربما ينقاد لنا ، الاشتقاق ؟ وأية غضاضة فى أن نعرب الفزيولوجيا وما جرى مجراها بأسمائها كاملة أومحورة أو موجزة ، كأن نقول « فزلفة » للفزيولوجى ، و « بثلفة » للباثولوجى ، كما قلنا فلسفة وجغرافيا وغيرهما ؟ أليست هذه التسمية أحبس فى الدلالة على المعنى المراد من أية تسمية أخرى يمكن أن نهتدى اليها اشتقاقا ؟

ولقد أقر المجمع الموقر لكل نوع من أنواع الآلات صيغة من صيغها الثلاث ، تقصر عليه ليتميز بها من النوعين الآخرين ، فلم لا نقتاس بذلك فى صيغ الأمراض : وهي فعال وفعيل وفعل بل لم لانضيف اليها بالاستعارة غيرها من الصيغ كفعلان . فنقابل بكل من هذه الصيغ ما يناسبها من صيغ الأمراض فى الأجنبية مثل « Itis » و « Osis » و « Rrhea » و « Algia » وسائر ما جرى مجراها ؟ ولم لا نتوخى طريقة منظمة فى صوغ المصطلحات ، بأن نبدأ أولا بترجمة أدوات التصدير والألحاق

في سبيـــــل الله !

للأستاذ محمد محمود زيتون

> قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم ، وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ؛ وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره . والله لا يهدى القوم الفاسقين »
> قرآن كريم

القتال غريزة في البشر ، لا معدى عنها ، ولا مفر منها ، ولو تركت الغرائز وشأنها انهدم سلم التربية ، وارتكست الإنسانية في مهاوى الضلال من غير أن تقوم لها قائمة ، ولكن الإسلام الحنيف كفل للنفس منافذ الطموح إلى العزة والشرف ، فهذب الغرائز ، وارتفع بها على خير وجه مسنون

وليس أدل على ذلك من علاجه لغريزة القتال ، وتوجيهها نحو المثل الأعلى لصالح الفرد والجماعة ، فلم يترك أمامها باب شر إلا أوصده ، ولا منفذ خير إلا سلكه ، وصدق الله العظيم : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم »

ومن هنا كان القتال الإسلامي ذا صبغة خاصة لم تعهد لها شبيها في الأمم قديما وحديثا ، وذلك لأنه لا ينتهج سبيل الفتك والطغيان ، ولا يتذرع بالعصبية والحزبية ، بل يمضي في خط مستقيم لا عوج فيه ، سليما في بدايته ونهايته ، شريفا في مبرراته وغاياته، سديدا في خطواته ومشكلاته، فلا عجب أن يكون « الجهاد » معهدا عاليا للتربية المثلى ، تبذل فيها النفس جهودا شاقة بكل ما لديها من جوارح ، وتمتحن فيها الغرائز الأخرى مجتمعة ومفترقة : من تملك للدنيا ، وتمسك بزخرفها ، إلى الحرص على صلة الدم من عصابة وقرابة وجوار

وذلك السبيل لن يكون فريدا إلا إذا تناسقت هذه القوى سالبها وموجبها على سواء بحيث تنأى عن النقص والهون ، وتنهض على أساس من التضحية والتملية والفداء والصبر . وهذا هو الجهاد في سبيل الله ، وهو شريعة لها خصائصها وميزاتها ، ودعوة لها فلسفتها ومناهجها ، تقوم الأجيال وتقعد

منتقلين إلى ترجمة طائفة فطائفة من المصطلحات التي تشترك في أصل الاشتقاق وتختلف في المضافات ، عامدين بعد ذلك إلى النحت فيما لا يترجم إلا بوسيلة من المصطلحات الأجنبية المنحوتة ؟ كأن نترجم مثلا كاسعة « Ology » التي تنتهي بها أسماء أكثر العلوم في اللغات الأجنبية باستعارة الأصل العربي لكلمة لغة ، وهو لغو أو لغى . أو باستعارة لغة نفسها متذرعين لذلك بأن اللغة قوام العلم ، إذ ما من علم إلا بلغة .

ثم نترجم أداة التذييل الدالة على مشتغل بعلم أو ما في حكمه في مثل « Botanist » و « Zoologist » بحرفي الياء والتاء المنتهية بهما كلتا عفريت ونفريت ، مبالغة من عفرونفر ، فنقول مثلا « نباتيت » و « حيوانيت » بدلا من عالم بعلم النبات أو عالم بعلم الحيوان ، الذي لا نستطيع بداهة أن نسميه « حيوانيا » وإن لنا إن شئنا أن ننسج على هذا المنوال عند الاقتضاء لمجالا فسيحا .

أيها السادة :

لنضع نصب أعيننا في اضطلاعنا بما نحمل من أمانة اللغة أقوالا ثلاثة حكيمة : أولها قول الجاحظ : ما على الناس شيء أضر من قولهم : ماترك الأول للآخر شيئاً . وثانيها قول أبي عثمان المازني : إذا قال العالم قولا متقدما فللمتعلم الاقتداء به ، والانتصار له ، والاحتجاج بخلافه إذا وجد إلى ذلك سبيلا ، وثالثها ما جاء في كتاب نقد النثر : كل من استخرج علما أو استنبط شيئا وأراد أن يضع له اسما من عنده ، ويواطىء عليه من يخرجه اليه ، فله أن يفعل ذلك .

والله مهتدانا إلى قصد السبيل .

أحمد عمار

وما تزال للجهاد الإسلامي روعته وقوته ، ومهما ترتد الأذهان الـكليلة الهزيلة إلى القصد والرشاد

ولو حشدنا أمام الإسلام جيشا جرارا قوامه كل ماقى اللغات من كلمات استفهامية تدور بالخلد سرا وجهرا للتزود من ذخيرة هذا الجهاد ، ولتثبيت الإنسان الـكريم على قواعد العزة لـكان للاسلام المـكانة التي لا يتطاول إليها رأى أو مبدأ أو فلسفة أو زعامة ولو كان أصحابها بعضهم لبعض ظهيرا

متى نجاهد ؟ وكيف ؟ وبمن ؟ ومن . . وبكم ؟ وفيم ؟ وبم ؟ ولم ؟ وأى فى سبيل الله ؟ . . هذه كلها يستجيب لها الإسلام فى هدوء ومضاء ومن غير تمثر

والاسلام يتمشى مع طبيعة الأشياء حين يفترض فى الجهاد أن يتصل ولا ينفصل ، وأن يدوم مع الحياة الفردية والجماعية من المهد إلى اللحد . وهذا ما يؤكده منطوق الآية الـكريمة فى حكمها المطلق « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقوله تعالى « يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال »

والارهاب هنا أمر مفروض ، وصفة لازمة لا تبرح المسلم أبدا ، ولا ينبغى له أن يتخلى عنها يوما دون آخر ، ولا يأتيها لظرف طارئ ويدعها من بعده ، وتصدق فى هذا أحاديث النبى الـكريم «الجهاد ماض إلى يوم القيامة » والجهاد هنا على العكس من الهجرة ، إذ يقول الرسول الأعظم . « لا هجرة بعد الفتح ولـكن نية وجهاد » ولقد حسب المسلمون — بعد تبوك — أن الجهاد قد انقطع فأخذوا يبيعون أسلحتهم لأهل الغنى والفضل ، فنهاهم عن ذلك رسول الله وقال « لا تزال عصابة من أمتى ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال » ولن يخرج الدجال إلا فى آخر هذا الزمان ، يوم يرث الله الأرض ومن عليهـــا

ذلك بأن الجهاد من أشد مظاهر الايمان لصوقا بهذا الدين المتين ، وهو — على التحديد — أقرب ما يكون إلى دستوره ومصدر تشريعه ، فالنبي يقول « من تعلم القرآن ثم نسيه فليس منى » وكذلك يقول « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله . فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه » ويقول « علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل »

هذا الجهاد إذن لا مقطوع ولا ممنوع ، بل هو موصول غير مفصول ، وذلك ما تقتضيه قوانين علم النفس فيما يتعلق بخصائص الغريزة ، وهى التى لا سبيل مطلقا إلى هدمهـا أو تعطيلها لأنها قوة محركة للسلوك ، ولن يظفر الانسان بنعمة « العافية الاجتماعية » إذا تخلى عن قوة الدفاع عن النفس ، وهذا ما يجرى فى دمه ، وهو يدفع جيوش الميكروبات الوافدة ، ويصدها عن كيانه الحصين

والمجتمع كالفرد كلاهما لا غنى له عن الدفاع ضمانا للبقاء ، ويوم يتخلى الـكائن الحى عن مقومات صراعه مع الفناء ، تنمحى مظاهر وجوده وتنهدم أسباب حقيقته ، فلا عجب إذا كان الجهاد من ألزم ما يلزم المجتمع السليم الذى دعائمه الراسخة حقائق دين الله

والجهاد يستجيب لدواعى الخلود حين يستخف المجاهدين إلى جنة عرضها السموات والأرض ، فيها الثواب المدخر ، والجزاء المنتظر ، لـكل من خاص نفسه من مثقلاتها ومموقاتها ، ولن تستقيم دعوة إلى خير وحق إلا إذا اقترنت بالترضية والجزاء الوفاق ، والتخويف من الرتع الوخم الذى تتردى فيه الشهوات بأصحاب الرذيلة ، وهذا الإعلاء فى غريزة القتال هو ما يسميه رسول الله بالجهاد الأكبر ، وما أشقه على النفس

وتحرير الوطن من الغاصبين من صميم رسالة الجهاد فى الاسلام « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف » والتمـكين فى الأرض مقرون بالعقيدة العلمية والعملية ، الدافعة الرافعة معا « ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم : ابعث لنا ملـكا نقاتل فى سبيل الله . قال : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ، قالوا : ومالنا ألا نقاتل فى سبيل الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا . فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »

ولقد أعد الله تعالى للشهداء فى سبيل الله الجزاء الأوفى .

بعد أن اتجروا مع الله وباعوا له أنفسهم وأنفقوا فى سبيله أموالهم « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »

والحرص على الحياة لا ينتفع بها عما تردت فيه ، ولهذا قيل « احرص على الموت توهب لك الحياة » من غير مبالاة بشىء من هذا الحطام الفانى . كما يقول الشاعر المجاهد فى سبيل الله :

ولست أبالى حين أقتل مسلما   على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله، وإن يشأ   يبارك على أجزاء شلو ممزع

وهذا عبد الله بن الزبير يتلقى الدرس من أمه أسماء بنت الصديق ، وهو فى طريقه إلى قتال الحجاج بن يوسف ، فرعون زمانه ، إذ دخل ابن الزبير على أمه يوم مقتله ، وقد رأى خذلان الناس له فقال لها :

يا أمه ، خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ؛ والقوم يعطوننى من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت ذات النطاقين لابنها :

يا بنى ، أنت والله أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، واليه تدعو ، فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن رقبتك يتلعب بها غلمان بنى أمية . وإن كنت أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ! أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك . وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابه ضعفت ، فليس هذا من فعل الأحرار ولا أهل الدين . وكم خلودك فى الدنيا ؟ .. القتل أحسن

قال عبد الله : إنى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى .

فقالت : يابنى إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها

فدنا منها وقبل رأسها وقال :

هذا والله رأيى والذى قمت به داعيا إلى يومى هذا ، ما ركنت إلى الدنيا ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعانى إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه ، ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة مع بصيرتى ، فانظرى يا أمه ، إنى مقتول من يومى هذا فلا يشتد حزنك ، وسلمى الأمر لله فان ابنك لم يتعمد إتيان منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى أمان ، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته ، ولم يكن شىء آثر عندى من رضا ربى . اللهم إنى لا أقول هذا تزكية منى لنفسى . أنت أعلم بى ولكن أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى .

فقالت أمه : إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى ؛ وإن تقدمتك ففى نفسى حرج حتى أنظر إلام يصير أمرك .

فقال ابن الزبير : جزاك الله خيرا ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد

فقالت : لا أدعه أبدا ، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق . اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة ، وبره بأبيه وبى . اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيت بما قضيت ، فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين

وقاتل عبد الله بن الزبير حتى قتل ومعه صفوة من أصحابه ، قطعت رءوسهم جميعا ، وبعث بها إلى الحجاج فى المدينة ، ونصبت للناس وعبثت بها الأيدى الملوثة

وفى الجهاد الإسلامى تنطلق النفس من عقال الحياة لتسبح فى ملكوت حر فسيح ، كما أنها تنبثق من طاقة خصبة هى الحق ولا شىء سواه

هذا ما يستمسك به الزبير بن العوام وهو فى موقعة صفين إذ يقول :

« والله لو هزمونا حتى أوصلونا سعفات هجر ، لعرفنا أننا على الحق وأنهم على الباطل » وهذا عمر بن الخطاب ، وهو ما يزال حديث عهد بالإسلام ، والنبى ما يبرح مستخفيا بدعوته فى دار الأرقم فيقول :

يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا ؟ فيقول النبى : « بلى ، والذى نفسى بيده ، إنكم على الحق إن متم وإن

حبيبتم » فيقول عمر : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق ، ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف . والذى بعثك بالحق لنخرجن . يا رسول الله . لا ينبغى أن نكتم هذا الدين ، أظهر دينك ، والله لا نعبد الله سرا بعد اليوم

وخرج الرعيل الأول من المسلمين وعدتهم أربعون فى صفين يتقدمهما حمزة وعمر ، كلاهما متوشح سيفه ، والغبار يثور حولها ، وللجمع كديد ككديد الطحين ، وهم يطوفون بالكعبة ، يرهبون عدو الله وعدوهم ، وقد أخزاه الله بعد أن رأى ما رأى ، وأصبحت القلة التى على الحق تقرأ القرآن جهرة ، وتصلى بالمسجد علنا ، وأنف الكثرة فى الرغام

سأل أعرابى رسول الله : إن الرجل يقاتل للذكر ، ويقاتل ليحمد ، ويقاتل ليغنم ، ويقاتل ليرى مكانه ، فأيهم فى سبيل الله؟ فيقول عليه السلام : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

الحق إذن هو الباعث على الجهاد وهو بالتالى غايته ومرماه ؛ أى أنه يدفع بأصحاب الدين إلى أعلى ، ويجذب أصحاب الدنيا من أسفل، لهذا فهو وحدة تامة لا تتوزع ولا تتعدد ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال » ، وليس من الجهاد أن نقاتل عن حسب أو نسب أو عصبية ، بل ما ارتضاه هذا الدين لأهله من الاتحاد « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص »

من أجل هذا الصف المتسق الملتصق . . حكم رسول الله على « قزمان » بأنه من أهل النار ؛ وهو عديد بنى ظفر وقد حرضته نساؤهم على القتال مع المسلمين يوم أحد ، فأخذ سلاحه ، وجاء من خلف الصفوف حتى كان فى الطليعة وظفر بعشرة من أصحاب الألوية المشركة صرعهم جميعا واحدا بعد الآخر ، وأخذ يقول « دافعوا عن الأحساب والأنساب » ولما أثبتته الجراحة بشره المجاهدون بالجنة فسخر منهم وقال « والله ما قاتلت على دين ، ما قاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا حتى تطأ سعفنا . ويقول : يا للأوس ، قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثلما أصنع ، وأخيرا انتحر منافقا ، فلما ذكر للنبى قال « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »

ومن أجل هذا الصف المتساند المتعاضد . . يصمد مصعب ابن عمير أمام الفئة الباغية يوم أحد وقد تفرق شمل المسلمين وأشاع ابن قميئة أن محمدا قد قتل ، وانفض عنه من كان معه ، فيدعوهم مصعب فيتذرعون بقتل محمد للفرار فيقول لهم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » ويتنزل بذلك القرآن الكريم

ومن أجل هذا الصف الواحد المتحد « يأبى النبى كتيبة خشناء لابن أبى بن سلول قوامها أمثاله من المنافقين وأحلافه من يهود ، فيردها النبى قائلا : « لا نستعين بأهل الشرك على أهل الشرك » والله تعالى يؤيده « يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين »

ومن أجل هذا الصف المنتظم المنسجم . . يرد النبى يوم بدر خبيب بن يساف ، وقيس بن الحارث عن القتال فى صفوف المسلمين ، لأنهما على غير دين الله ، ولا يبغيان غير الغنيمة ، وهما فى القتال أعظم غناء وأشد نكاية ، ولكن النبى يقول لهما « لا يخرجن معنا رجل ليس على ديننا » ويأبى عليهما القتال حتى يسلما . فلما أسلم خبيب قال له النبى : امض ، أما قيس فقد تأخر إسلامه إلى أحد »

ومن أجل هذا الصف المتشابك المتماسك . . يؤخر النبى — يوم بدر — الأنصار ليقدم المهاجرين السابقين إلى الإسلام وهم عشيرته ، ويقول لهم « يا بنى هاشم قوموا فقاتلوا عن دينكم الذى بعث الله به نبيكم ، إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا به نور الله » فوثبوا إلى الجنة سراعا ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم

ومن أجل هذا الصف المرابط المترابط . . يسابق المسلم أخاه وأباه وابنه وخاله إلى الجنة . فينافس سعد بن خيثمة أباه ، ومعوذ بن الحارث أخاه عوف وهما غلامان على جانبى عبد الرحمن ابن عوف يوم بدر يتربصان لأبى جهل فرعون العرب . ويركض عمرو بن الجوح بعرجته وعبثا يحاول أولاده الأربعة أن يثنوه عن عزمه وقد عذره الله ، ولكنه يتوق إلى الجنة ويسأل الله أن

يرزقه الشهادة وألا يرده إلى أهله خائبا . ويستأذن أبو بكر قائده فى أن يقتل ابنه عبد الرحمن ، وعبد الله ابن رأس النفاق يسأل النبى أن يسمح له بقتل أبيه ، وسعيد بن العاص يتجلد إذ يرى أباه صريع الشرك ، وعمر بن الخطاب يصرع خاله العاص بن هشام ، ومصعب بن عمير يأمر بالتشديد فى فداء أخيه الأسير فى يد المسلمين ، وسعد بن أبى وقاص تراوده أمه عن إسلامه وتمتنع عن الطعام والشراب حتى يكفر ، فلا يعبأ بها وهو لها الابن البار « وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما »

ومن أجل هذا الصف المتكامل غير المتفاضل .. يقف أصغر المجاهدين على بن أبى طالب إلى جانب أكبرهم سنا أبى عبيدة ابن الحارث ، ولا فارق بين حمزة القرشى وبلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى ، ولا بين المهاجرى والأنصارى ، كل وبلاؤه « إن كان فى الساقة كان فى الساقة ، وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة » والأنفال تقسم بما أمر الله بين الضعفاء والأقوياء على السواء ، لكل منها نصيب حسب جهاده ، فالشاة والرماة والسقاة ، والقادة والسادة ، والركبان والمبدان جميعا فى درجات مرتبة فى الحياة والموت ، فقد كان النبى يقدم فى دفن الشهداء أعلمهم بدين الله وأقرأهم للقرآن

ومن أجل هذا الصف الزاحف الجارف .. كانت المرأة تسق الجرحى ، وتضمدهم وتمونهم بالذخيرة ، وتترى عن رسول الله ، وتحمى الظهور ، وتدفع بأفلاذ كبدها إلى الفردوس الأعلى ، وتحتسبهم جميعا عند الله ، ولا يهمها إلا أن تسأل عن سلامة رسول الله ، وجيش حزب الله

ويدعو النبى إلى الجهاد بينما عمير بن الحمام بيده تمرات يأكلها ، فيخشى أن تموقه عن الجنة ، فيرميها ويقول : ويحكن ، والله إن بقيت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة ، ويرتجز :

ركضا إلى الله بغير زاد إلى التقى وعمل المعاد
وكل زاد عرضة النفاد غير التقى والبر والرشاد

وفى سبيل الله . . يتعطل ركن من أركان الدين ، كما أمر النبى بالإفطار فى رمضان وهو فى غزوة بدر ، وأمر بتأخير العصر حتى يدرك بنى قريظة فى غزوة الأحزاب

وفى سبيل الله . . تتحرك الفئة المؤمنة لتقاتل الكثرة المشركة ، « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ويقاتل المسلم بما معه والله ناصره ، فقد رمى سعد بن أبى وقاص يرجون فارتد سيفا ؛ وكذلك عبد الله بن جحش وعكاشة بن محصن ، والعبرة بالإيمان لا بالسلاح ، إذ تعجب المسلمون من سيف الزبير بن العوام يوم الخندق وقد ضرب بسيفه نوفل بن عبد الله بن المغيرة فشقه نصفين ووصلت الضربة إلى كاهل فرسه فقال : والله ما هو السيف ولكنها الساعد

وثبت الله المجاهدين فى سبيله بالملائكة والريح والمطر والنعاس أمنة منه وظلوا على الحق ظاهرين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، إذ يقول نبى الجهاد « لا يبقين دينان بأرض العرب » ومن أجل هذا يكون الجهاد فى سبيل الله

محمد محمود زيتون

دعوة محمد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

العرب :

كان العرب أمة جاهلية عزيزة الجانب تعيش فى بلاد كريمة ، وكأنما الله قد خلق البلاد وأهلها على وفاق بينهما ، فهناك شبه غريب بين صلابة أخلاق هؤلاء العرب ووعورتها ، وبين صلابة البلاد ووعورة مسالكها ، وبين أقفار البلاد وجفاء طباع أهلها . ولكن كان يخفف من حدة صلابة البلاد ووعورتها ، قيعان ذات أمواه ورياض فيحاء ، وكلأ أخضر نضير ، كما كان يلطف من صلابة نفوس العرب وقسوة قلوبهم ، مزاج من اللين والدماثة ورقة الطبع .

كان العرب يعيشون فى بلاد خرساء ، تحيط بهم صحراء قفراء ، تمتد إلى مدى البصر ، فتخالها بحرا من الرمل . يصطلى العربى حره طول النهار ويكافح قره طول الليل ، وقد ترك فيه هذا الجو أثرا ظاهرا ، فكنت تراه يؤثر الصمت فلا يتكلم إلا فيما له صلة به ومساس بقومه .

وإن قوما هذا شأنهم ينفردون وسط البيد ، ويتنقلون بين الرمال والجبال ، يناجون الطبيعة أسرارها ، ويشاركونها أعاصيرها وجمالها ، لا بد أنهم يكونون خفاف الحركة ، ثاقبي النظر ، حداد الخواطر ، أذكياء القلوب . وفوق ذلك فهم أقوياء النفوس متينو الأخلاق ، لهم من شدة حزمهم وقوة إرادتهم ، حصن منيع وحاجز يقيهم تقلبات الأخلاق عند غيرهم من الأمم ، وهذا ولا شك منتهى الشرف وذروة الفضائل ، وما بالك بقوم يضيف أحدهم ألد أعدائه ، فيكرم مثواه ، وينحر له ويقدم له أطايب الطعام ، ويؤثره بأفضل ما عنده ، فاذا أزمع الضيف الرحيل ، شيعه وخلع عليه مما تملك يداه ، وحمله ما يستطيع أن يجود به . فاذا لقيه فى مكان بعيد عن داره وقومه ، لا يحجم عن مقاتلته أخذا بثأره ، رغم ما قضياه من صحبة .

٭ ٭ ٭

يزعم البعض أن العرب من عنصر اليهود ، ولكن هذا زعم باطل ، لا يقيمه دليل ولا ينهضه برهان ، والحقيقة أنهم شاركوا اليهود فى بعض الصفات ، وامتازوا عليهم ببعضها . فقد شاركوهم مرارة الحد ، وامتازوا عليهم ، برقة الطبع وحلاوة الشمائل والوفاء بالعهد ونصرة الضعيف ، وأريحية القلب والمعية القريحة ، فان العربى رغم أنه طول وقته يظل صامتا كما قلت ، إلا أنه إذا تكلم تدفق فصاحة وقوة ، وكان ذلك يظهر جليا فى منافساتهم الشعرية التى كانوا يعقدونها فى جنوب البلاد ، حيث تقام أسواق التجارة ، فاذا انفضت الأسواق اجتمع العرب بسوق عكاظ وتناشدوا الشعر طلبا للجوائز التى كانت تعطى لمن جاد قوله وحسن قريضه . وكان هؤلاء الأعراب غلاظ الأكباد جفاة الطباع ، ينصتون المنشد فيجدون لرناته أثرا قويا فى نفوسهم ، ويرتاحون لنغماته التى تأخذ طريقها الى شغاف قلوبهم .

وأرى لهؤلاء العرب فضيلة تفوق كل الفضائل ، وتجمع المحامد كلها ، ألا وهى فضيلة التدين ، فالعرب شديدو التمسك بدينهم ، مهما كان لا يقبلون فيه طعنا ولا يسكتون على تجريحه ، ولأنهم كانوا يعيشون فى الصحراء يشاهدون مظاهر الكون ، فكان أكثرهم يعبدون الكواكب وغيرها من كائنات الكون ويرون فيها مظاهر الخالق ودلائل عظمته .

وقد كان لهؤلاء العرب أنبياء سابقون جاءوهم من عند الله ، كما كان لهم أساتذة ومرشدون فى كل قبيلة ، يلتف حوله أهلها يقدرونه حسبما يبلغ من العلم والدراية وحصافة الرأى .

وكان مما اتصف به العرب المفكرون ، الحكمة البليغة والرأى السديد ، فقد اتفق النقاد على أن « سفر أيوب » أحد أجزاء التوراة ، كتب فى بلادهم ، والدليل على هذا ما يمتاز به من فضل وشرف وحكمة . فهو أبرع ما سطر وأبلغ ما كتب ، وبما فيه من عمومية الأفكار التى تخالف التعصب البغيض الذى يمتاز به العبرانيون . وسموها وشرف مقاصدها ، ويكفى أنك تجد بهذا

الكتاب اتصالا بكل نفس وأنه يمت إلى كل قلب ، وأنه كالبيت المريق والمجد الأثيل ، يفضى إليه منتهى السبل ، ويتجمع فيه الأرج الضائع ، وتحاول الانتساب إليه جميع الأنوق ، فيه من الحزن الشريف آيات بينات ، ومن التوكل الحسن الجميل دلائل ناصعة على قدرة الله وتدبيره الكون . وما بالك بكتاب يكون أول ما جاءنا عن مسألة المسائل . حياة الانسان وما يكون له من نصيب فى هذه الدار وفى الدار الآخرة ، وما يكافىء الله به الإنسان على عمله ، كل ذلك فى يسر وسهولة ونصاعة بيان ، إنه الحق من حيث أنبته ، والنظر الثاقب والعلم الراسب فى قرارة كل شىء وصميم كل أمر ، مادى روحانى . وإن دل كل هذا على شىء فانما يدل على فهم غزير وبصيرة نافذة .

ما قرأت فيه يوما إلا امتلأت نفسى سموا ورفعة ، وأحس كأن قلب الإنسانية يترنم شجى ووجدا ، ودمعها بفيض حرقة وكدا . إنها الرقة فى شدة والرأفة فى قوة ، وما أشبهها إلا بسحر الليلة الصائفة ، نسيم عليل والوجود فى جلال مشهد جليل عظيم . بل ما أشبهه بالكون وكل ما فيه من ليل ونهار وأنجم وبحار وحيوان وأطيار ، ولن أكون مغاليا إذا قلت : إنه ليس فى جميع أجزاء التوراة جزء يعادله قيمة وفضلا وقوة وبلاغة .

محمد النبى :

فى هذه البلاد وبين هؤلاء العرب الذين ذكرت لك بعض صفاتهم . ولد محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة ٥٧١ ميلادية من قبيلة قريش ، أعز القبائل جانبا وأرفعها شأنا ، ومن أعرق أسرها نسبا وهى أسرة بنى هاشم . واشتهر محمد بالجمال والعقل والفضل على صغر سنه ، وقد أبصرت عين جده المرحمة ابنه عبد الله الذى كان حبيبا الى قلبه فى صورة حفيده محمد فأحبه بملء قلبه ، وكان يقول : بحسن العناية بهذا الصبى فانى أرى أنه سيفوق كل أفراد الأسرة والقبيلة فضلا وحسنا ؛ وعندما أحس الشيخ بدنو أجله عهد إلى ابنه أبى طالب الذى يعتبر أكبر الأسرة ، والذى سيتولى مكان عبد المطلب ، وكان رجلا عاقلا ، بالعناية بمحمد ، والقيام على تربيته أحسن القيام ، فكان أبو طالب عند حسن ظن أبيه ، فقد أولى الغلام عناية فائقة .

فلما اشتد عود محمد وترعرع ، صار يرافق عمه فى أسفاره فى التجارة ، وكان لهذه الأسفار أثر كبير فى نفسه وفى حياته ، فقد حدث فى إحدى رحلاته إلى بلاد الشام ، عندما بلغ حوال الخامسة عشر ، أن وجد نفسه فى عالم ذاخر ، إزاء مسألة عظيمة الأهمية جليلة الخطر فى نظره ، وهى المسيحية التى تحدث عنها أمامه الراهب سرجاس (بحيرا) يوم سكن معه محمد هو وعمه

كان محمد لا يعرف إلا لغته ، فلم يكن ما يراه من أحوال الشام ومشاهدها إلا مزيجا من أمور لا يفهم لها معنى ، غير أنه كان يرى بعينه الثاقبة النافذة ، وعكس نظره على لوح فؤاده أمورا وأشياء كثيرة ، رسبت فى أعماق ضميره ، وإن يكن لم يفهم منها شيئا ، ولكنها بقيت ريثما يفسرها له الزمن وتجلوها الأيام ، لتخرج آراء ونظرات نافذة وعقائد راسخة ، فكانت هذه الرحلة لمحمد بمثابة فاتحة خير كثير وفوائد عظيمة فى عالم الرسالة التى أمر بتبليغها

لم يكن حظ بلاد العرب من العلم فى ذلك العصر موفورا فقد كانوا حديثى عهد بصناعة الخط ، فنشأ محمد كغيره من أبناء البلاد لا يعرف القراءة ولا الكتابة وبالتالى لم يتلق دروسا عن أستاذ أو معلم ، بل تلقى علومه من الصحراء وأحوالها ووديانها وهضابها ، واستطاع بقلبه أن يتلقى من هذا الكون اللانهائى درسا من أعظم الدروس فائدة وأكثرها عمقا ، دفعه إلى تدقيق النظر فى معبودات قومه ، فوجدها أحجارا لا تنفع ولا تضر ولا تدفع شرا ولا تجلب خيرا

لا ضير على محمد أنه لم يكن يعرف علوم الأرض كلها وما يضطرب فيه العالم . فقد كان فى غنى عن ذلك كله بنفسه ونظره الثاقب وقلبه الكبير . إنه لم يقتبس من نور أى إنسان غيره ، ولم ينهل من منهل أحد ، فلم يكن كغيره من الأنبياء والعظماء الذين سبقوه ، والذين استعانوا بغيرهم يتلقون عنهم ويتعلمون منهم ، وإنما نشأ وعاش فى كبد الصحراء بين الوهاد والجبال والاعاصير والرياح ، بعيدا عن كل شىء إلا عن الطبيعة الفياضة وأفكاره الدافقة . والذى يعرف تاريخ محمد منذ نشأته يرى أنه منذ صباه كان دائم التفكير ، يتجه ببصره نحو الكون العجيب ، فلما

بلغ مبلغ الشباب أخذ يعتزل الناس شهرا كل سنة — وهو شهر رمضان الذى يصومه المسلمون الآن — فينقطع عن الناس مؤتنساً بالوحدة والسكون. متأملا فى هذا العالم الواسع الذى لا نهاية له ، كان يخلو إلى نفسه يناجى ضميره بين الجبال الصماء ، متجها بقلبه وعقله لأصوات الكون الغامضة الخفية يستطلعها أسرار الكون ، ويستجليها ماغمض عليه . حتى إذا بلغ الأربعين من عمره وأقبل شهر رمضان ، خلا إلى نفسه بجبل حراء قرب مكة ، وقد استصحب معه هذه المرة زوجته خديجة وأنزلها فى مكان قريب من الغار .

وبينما هو يتعبد ذات يوم ، نزل عليه الملك الأعظم وأخبره بما كان يحير فكره وجلا له غامض الأسرار ، وأرشده إلى ما يبحث عنه ، فخرج إلى خديجة يخبرها أن الله تفضل عليه فأنار له الشبهة وجلا الشك ، ثم أخبرها أن جميع هذه الأصنام التى يعبدها قومه ليست إلا أخشابا وأحجارا حقيرة لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، وأن الحقيق بالعبادة هو الله الذى لا إله إلا هو ، وأن سائر الكائنات ليست إلا ظلا له ودليلا على عظمته وقدرته ، إنه النور الأبدى والسر السرمدى . الله أكبر ولله الحمد

أصغت إليه زوجته فى دهشة واستغراب ، ولكنها مالبثت أن آمنت به وصدقته وقالت « إى وربى إنه الحق » وقد رأى محمد فى إيمانها بكلمته ، جميلا يفوق كل جميل ، فشكرها على هذا الصنيع وعرف لها هذا الجميل طوال حياتها ، فكان يذكرها دائما بالخير والثناء ، حتى أن زوجته عائشة التى اشتهرت بالفضائل بين المسلمين طول حياتها ، وبما لها عند محمد من مكانة ، سألته مرة : « ألست الآن أفضل من خديجة ؟ هل كانت إلا أرملة قد ذهب جمالها ، وأرى أنك تخصها بالحب أكثر » فرد عليها محمد فى شىء من الغضب « لا ! والله لست أفضل منها وكيف تكونين آثر منها عندى وهى التى آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها أولادا إذ حرمنى أولاد النساء » .

لقد عرف محمد لخديجة صنيعها ، فليس أروح لنفس المرء وأثلج لصدره من أن يجد له شريكا ينضم إليه فى اعتقاده ويقف بجانبه وقت المحنة والشدة ، ولقد قال نوفاليس : « ما رأيت شيئا قط أوثق لاعتقادى وآكد ليقينى من أن ينضم إلى إنسان آخر يوافقنى رأيى ويعتقد عقيدتى » .

جهاد محمد :

خرج محمد إلى قومه يذكر لهم رسالته ويدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأصنام ، فكان يصادف جموداً من قومه وسخرية لاذعة ، كفيلة بأن ترد أى إنسان عن أعز شىء عنده وأن تحطم أقوى الأعصاب صلابة وقوة ، فقد قضى أعواما ثلاثة فى جهاد متواصل فلم يؤمن بدعوته إلا ثلاثة عشر رجلا ، فهل هذا يعد تشجيعا ؟ إن كان يعتبر هذا تشجيعا ، فبئس هذا التشجيع ، ولكنه المنتظر فى كل دعوة كدعوة محمد ، فى قوم لهم عقائد وعبادات يعتزون بها ويتمسكون .

وبعد هذه الأعوام الثلاثة جمع أربعين رجلا من ذوى قرابته ، وقام فيهم خطيبا ، ذكر لهم دعوته ، وما أوحى الله به إليه وأنه يريد أن ينشرها بين الناس وفى أنحاء الكون ، فمن منهم على استعداد لأن يمد له يده ويأخذ بناصره وهم أهله وعشيرته . فدهش القوم وعلتهم العجب وسادهم صمت رهيب ، وبينما هم فى صمتهم ، هب من بينهم شاب فى السادسة عشرة من عمره وقد غاظه سكوتهم ، فصاح بصوت كأنه الرعد ، إنه ذاك النصير والظهير ، هذا الشاب هو على بن أبى طالب . فسخر القوم منه وانفضوا ضوا ضاحكين ، ولكن الأمر لم يكن مما يسخر منه بل كان فى غاية الجد والخطر .

لقد كان فى عمل محمد ، إساءة لقريش ، سدنة الكعبة وخدمة الأصنام ، فسرى أمره ببطء شديد لا يشجع أحد ولكنه كان سريانا على كل حال

ودأب محمد يؤدى رسالته إلى كل من يصغى إليه ، فكان ينتهز مواسم الحج فيذكر دعوته بين الحجيج مدة إقامتهم بمكة ويستميل الاتباع هنا وهناك ، وهو فى أثناء ذلك يلقى مجاهرة بالشر ، ومناصبة بالعداء ومنابذة ومناوءة فى كل مكان ، فاستقر رأيه هو وأصحابه على الهجرة إلى الحبشة . فلما علمت قريش بذلك ساءها الأمر وتضاعف غيظها من محمد وحنقها عليه فأقسمت بآلهتها لتقتلنه بأيديها ، وشددوا عليه النكير فلم يستطع تنفيذ

خطته ، وصار موقفه حرجا فى غاية الحرج وخصوصا بعد موت زوجته خديجة وعمه أبو طالب اللذان كانا له نعم المعين ونعم النصير ، فجعل يختبئ فى الكهوف وقومه يطاردونه من مكان إلى مكان ، تتوعد المهالك وتتهدده الحتوف ، وتفغر له المنايا أفواهها ، ويقف محمد يتلفت فلا يجد ناصرا ولا مجيرا ، ولكن الأمر الذى جاوبه ذلك الأمر العظيم ، لم يكن لينتهى على مثل تلك الحال ، ومحمد ذلك الصابر القوى الإرادة الثابت العزيمة ، لم يكن ليوهن من عزمه كل ذلك الاضطهاد والمطاردة ، ليتوقف عن أداء رسالته

فلما اشتد أذى الكفار له وحنقهم عليه وكان قد انقضى ثلاث عشرة سنة على دعوته لقومه ووجد أعداءه يتربصون به جميعا ، وقد تجمع منهم أربعون رجلا يمثلون جميع القبائل ليقتلوه ، عرف أن مقامه بمكة أصبح مستحيلا ، لا يستطيع معه أداء مهمته ، هاجر إلى يثرب حيث استجاب لدعوته أهلها الذين سموا بالأنصار وسميت البلاد بالمدينة . أى مدينة محمد

وكان محمد إذ ذاك قد صار شيخا كبيرا فقد بلغ الثالثة والخمسين من عمره ، ولكن أهل مكة ما إن علموا بمكانه حتى أخذوا يلاحقونه برسائلهم وغاراتهم وكيدهم وعدائهم ، فرأى أنه لا سبيل إلى الحياة ونشر الدعوة إلا إذا امتشق الحسام ، الذى يزيل حدة كالحات المحن ، فقد كان أمامه سبيل وعر وخطة نكراء وقوم يملأ العناد قلوبهم ، فإذا لم يجد من نفسه قوة على مجالدتهم ، كان مصير دعوته الزوال ، وهكذا شأن كل إنسان فى مثل هذه الأحوال . والحق أقول ، لقد كان محمد يريد أن ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكن ما حيلته إزاء هذه الصعاب ، فعزم ابن الصحراء على أن يدافع عن نفسه وعن دينه دفاع رجل ثم دفاع عربى حر كريم . وكأنى أسمعه يقول : أما وقد أبت قريش إلا الحرب ، فلينظروا أى فتيان هيجاء نحن

وحقا رأى وحسنا فعل فإن أولئك القوم الذين صموا آذانهم عن سماع كلمة الحق وغلفوا قلوبهم عن شريعة الصدق ، وأبوا إلا الاستمرار فى ضلالاتهم ، يسلبون وينهبون ويقتلون النفس التى حرم الله قتلها ، ويستبيحون المحرمات ويهتكون الحرمات ، ويفاخرون بإتيان الأثم والمنكر ، قد جاءهم نور من الله وكتاب مبين يدعوهم بالرفق والأناة ، فأبوا إلا عتوا وطغيانا . فما على محمد إلا أن يجعل الفاصل بينه وبينهم المسند والوشيج والمقوم ، وإلى كل سابحة جرداء ومسرودة حصداء ، حتى تلين قناتهم

وهكذا امتشق محمد وأصحابه الذين باعوا أنفسهم فى سبيله وفى سبيل دعوته ، سيوفهم عشر سنوات فى حرب وجهاد لم يهدأوا لحظة ولم يستريحوا غمضة عين وهو يقودهم من نصر إلى نصر كأعظم ما يكون القائد العبقرى وكأشجع ما يكون المقاتل ، فقد كان يقف وسط المعركة لا يهاب ولا يخشى ، بل كان أصحابه يلوذون به فى كثير من الأحيان ، وبذلك استطاع أن ينشر دينه بين أبناء الصحراء وأن يفتح مكة التى خرج منها خائفا يترقب

الطبيعة تنصر الحق :

تحدث كثيرون عن نشر محمد دينه بحد السيف ، واتخذوا هذا دليلا على كذبه وأنه واحد من أولئك الطغاة المتجبرين الذين يريدون المجد والحياة ونشر مبادئهم بالقوة سواءاً كانت صالحة أم ضارة ، ولكنهم مخطئون كل الخطأ وشد ما يتعسفون فى هذا القول . فهم يقولون : (إنه لولا السيف والحرب لما انتشر دين محمد ولما وجد أنصارا) ولكن فاتهم أن قوة هذا الدين هى التى أوجدت السيف ، هذا الدين الذى نشأ فى رأس واحد فقط وهو محمد ، الذى وقف ضد العالم أجمع ، فإذا تناول هذا الإنسان سيفه وقام فى وجه الدنيا ليسمع العالم صوته القوى وحجته الدامغة ودعوته الصادقة ، نعتناه بالكذب ووصفناه بالطغيان والجبروت وانتقصنا منه ومن دعوته ، إنه وربكم أيها المنكرون ما انتصر هذا الدين إلا أنه الحق ، فقلما يضيع إنسان يدعو دعوة الحق والصدق ، إذ أن الحق ينشر نفسه بأنه طريقة مهما كان نوعها

لقد كانت النصرانية لا تتوانى فى استخدام السيف فى كثير من الأحيان ، وحسب هؤلاء الطاغين ما فعله شرلمان بقبائل السكسون ، فلا ضير على الحق أن ينتشر سواء كان باللسان أم

بالسيف أم بأى نوع من الأنواع ، لأن الحقائق يجب أن تنتشر ويظلل سلطانها كل مكان سواء. كان ذلك بالخطابة والكتابة أم بالحديد والنار

اندع الحق يكافح ويجاهد بالأظافر والأيدى والأرجل ، وسنرى بعد ذلك أنه سيخرج من المعركة منتصرا مهما كانت شدتها ومهما طال مداها . وأنه سيفنى كل ما هو أحط وأدنأ ، إن الحرب بين الحق والباطل حرب لا حكم فيها إلا للطبيعة ، ونعم الحكم ما أعدله وما أقسطه . ونحن لا نخشى على الحق الانهزام لأنه أعمق جذورا وأكثر إعراقا فى الطبيعة ، أو التهريج والجلبة والضوضاء فلا حياة لها ولا مقام أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

لقد قلت إن الحكم بين الحق والباطل للطبيعة وما أقسط وأعدل هذا الحكم بل ما أرأف وأرحم . ألستم ترون أننا نأخذ الحبوب فنجعلها فى جوف الأرض وكثيرا ما تكون هذه الحبوب مختلطة بالتبن والقمامة والتراب وغير ذلك من الأقذار ، إننا نلق الحبوب بجميع ما يخالطها من القذى والأوشاب فى بطن الأرض العادلة الرحيمة ، فلا تلبث أن تخرج لنا نباتا نقيا خالصا ، أما القذى والأوشاب فإنها تفنيه فى باطنها وتطوى كشحا عنه ولا تذكر عنه شيئا . وهذا هو عمل الطبيعة فى جميع أحوالها وشئونها فهى حق لا باطل فيه ، وهى عادلة رحيمة حنون عظيمة ، وهى مع ذلك لا تتطلب من الشىء إلا أن يكون حر المعدن صادق اللباب ، وهى كفيلة بحمايته وحراسته .

أما إذا كان دخيلا عليها ردىء المعدن فإنها تلفظه وتلقى به إلى الأنواء والأعاصير فلا يلبث أن يندثر ويذهب هباء .

إننا نرى أن لكل شىء تحتضنه الطبيعة وتحميه روحا من الحق والصدق ، فإن شأن الطبيعة مع كل حقيقة كبرى جاءت إلى هذا العالم أو يقدر لها المجىء إليه ، شأنها شأن الأرض مع بذور الحبوب ، فالحقائق خليط من نور وظلام وحق وباطل وصدق وكذب ، وهى تأتينا فى صور قضايا منطقية ونظريات عملية ، ثم لا تلبث أن يختفى خطؤها ويتغلب النور على الظلام ويظهر الحق على الباطل ، فتموت الحقيقة ويفنى جسمها لأنها كائن ، ولكن روحها يبقى أبد الدهر ، ويتخذ ثوبا أنقى وبدنا أطهر ، ولا يزال ينتقل من جيد إلى أجود ومن حسن إلى أحسن ، سنة الطبيعة التى لا تتبدل ، ولن تجد لسنة الطبيعة تبديلا .

إن جوهر الحقيقة وروحها لا يدركه الفناء ولا يعدو عليه الزمن ، ولكن الشىء العام والأمر الوحيد هو هل روح الحقيقة وجوهرها حق وصوت من أعماق الطبيعة ؟

إن ما نسميه ببقاء الشىء أو عدم بقائه ، ليس بذى أهمية عند الطبيعة ، إنما الأمر المهم عندها ، هو هل هذا الشىء فيه جوهر حق وروح صدق أم لا .

فإذا تقدمت أنت مثلا أيها الإنسان إلى الطبيعة لتصدر حكمها فيك فإنها لا تسألك أفيك أكدار وشوائب أم فيك صفاء ونقاء ، وإنما تسألك أفيك روح وجوهر ، أفيك حق وصدق ؟

فإن كان فيك حق وروح ، فإنها تصدر الحكم لك ، واعلم أنك خالد أبد الدهر باق رغم تقلب الأعاصير والأنواء .

إن كثيرين من الناس يقولون لك إنك نقى نظيف ، وربما تقول لك الطبيعة ، نعم إنك نقى ولكنك قشر ، وباطل وكذب وزور وجسم بلا جوهر ولا روح ، وإنك مجرد اصطلاح وليس بينك وبين الحق صلة ولا سبب وإنها منك براء . وعند ذلك فقد كتب عليك الفناء مهما امتد بك الزمن ، لأن الطبيعة تقول إن البقاء للجوهر والروح .

« أسيوط » عبد الحافظ عبد الموجود

الشعب المقلم

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

لا أعتقد أن هناك شعباً وهب الحيوية الدافقة ، والاستعداد الشره للتطور والرقي ، والعقلية الساعية للتجديد والابتكار ، ومسايرة ركب الحضارة والتمدن ، مثل ما وهب ذلك الشعب المكروب ... شعب مصر ... !

ولا أعتقد أن هناك ظلما وقع على هذه القوى الحية الدافقة عند أى شعب من شعوب الأرض ، مثل الظلم الذى وقع عليها عند هذا الشعب المنكوب .. شعب مصر ... !

ذهب قصار النظر فى ميادين الاجتماع ، ودراسة نفسيات الشعوب ، إلى اتهامه بما يشين ولا يشرف . قالوا إنه شعب ألف الخنوع والمذلة ، واستنام إلى الضعة والمهانة ، وآثر حلاوة اللقمة مع لذعات السوط ، على مرارة الكفاح مع عقبي الحرية ... وهذه هى الفرية التى ظنها الاستعمار حقيقة ، فراح يستهين به أى استهانة ، ويلهو بأفراده أى لهو .

فهم القطيع العامل إن احتاج إلى العاملين ...

وهم الطعام السائغ لرصاص أعدائه إن اشتدت به الكربة فى الميادين ، وهم اللهاة السائغة إن رغب فى التفرج عن جنوده المكدودين . ومن هنا قال قائلهم : إن ثورة المصريين جذوة تطفئها بصقة ... ! ولكن الحقيقة الهائلة كانت تكمن وراء ذلك . كانت تستقر فى أعماق كل فرد من أبناء هذا الشعب ... كان الشعور بالحرية والسيادة ليس عنصرا دخيلا على نفسه ، بل كان تراثا ممجونا فيما ورثه عن آبائه وأسلافه ، وعن طريقه نهض يدفع ويدافع ، ويبذل ويضحى فى كل ثورة ثارها ، حمل لواءها وأوقد نارها ، واستدارت عينا الدخيل دهشة وعجبا ، وتراءت له الحقيقة سافرة ، تصرخ فى وجهه فى قوة وجبروت ، أو تهزأ من ظنه فى سخرية واحتقار ... وبانت له الهوة العميقة التى عاش فى قرارها ردحا من الزمن ، يألف أن يحس الخماد ، ولا ينفى أن يشتمل الرماد ، ولكن لا يسمح لظنه وخياله أن يسبغا على الحملان الوديعة يوما صفة الثورة للكرامة ، والمزعة للسيادة .

وذهب يتحسس طريقه بعيون عاشية ، وأبصار زائغة ، ونفوس هائمة ، فأقبل بالحيلة والمكر ، يقدم الاستقلال فى طبق المعاهدة ، فيحيله من غذاء نافع إلى سم ناقع ، ومن حقيقة زاهية إلى أكذوبة واهية ، ينخدع لها السذج الأغرار ... وجازت الحيلة على الزعماء فأقبلوا على الوجبة المسمومة بشهية مفتوحة ... ! وطفق الإنجليز يستعدون لملاقاة الشعب من جديد .

أشرفوا على الجيش فنكبوه وأماتوه ... وساعدهم المتزعمون بالرضا والتشجيع ، فتركوا قوانينهم الزرق توثق الشعب باليمين والشمال : فالإعفاء من الجندية للدافع والحافظ ...

وحمل السلاح محظور ... والاجتماعات لها عندهم نصوص وعقوبات ... ! وهكذا التفت الشعب فوجد أن ما بذل من دم وعرق ، عاد عليه قيدا يغل ، وسيفا يرهب ، وتشريعا يجور ... !

وهكذا نشأ الجيل الحاضر : جيلا لا يعرف كيف يمسك سكينا ، ولا يصوب بندقية ، ولا يرمى قنبلة ...

نشأ جيلا له الأصابع وليست له الأظافر ، له الفم وليس له الناب ، له القوة ولكن لها ما يحطمها ، لها الحشيش والأفيون والكوكايين والهيروين . تخدر الأعصاب فلا تحس برواعد النذر تدوى كل يوم حول آذان لا تسمع ، وتبرق كل آن أمام نواظر لا ترى ... ورضى — هذا الجيل — لنفسه أن تسمح لغيرها — فى الحرب الثانية — بالدفاع عن أرضه ... ناسيا أنها سبة لا تغسلها إلا هبة ، وعار لا تمحوه إلا نار ... !

واستنام الإنجليز للمرة الثانية ؛ فقد استطاعوا أن يمدوا أيديهم إلى مواطن القوة فى الشعب فخنقوها ، وإلى الغدة التى تنزو بالعزة والأباء فى النفوس فجففوها ... وباتوا وأصبحوا ... فإذا قطيع يضرب ولا ثغاء ، ويحلب ولا استعصاء ، ويستحث ولا إبطاء ... ورقصت الفرحة فى عيونهم رقصة النصر ... !

ولكن الجفاف الذى أصاب الغدة كان طارئا فزال، ومؤقتا فانقشع ، وعادت تنزو من جديد ... ! وعربدت فى الصدور نوازع الشمم ، عنيفة كأقسى ما يكون العنف ، قوية كأعنف ما تكون القوة ، وآثر — القطيع — هذه المرة أن يكون حذرا

الضمير البريطاني

للأستاذ قدري حافظ طوقان

أعلنت مصر في ٨ تشرين الأول سنة ١٩٥١ إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واتفاقيتي سنة ١٨٩٩ على لسان رفعة رئيس وزرائها في بيانه الحاسم الجامع في مجلس النواب المصري . وقد استقبل الناس هذا النبأ بالدهشة والوجوم في إنكلترا ، وبالسرور والتقدير في الأقطار الشرقية وبعض الأقطار الأوربية والأمريكية المحبة للسلام والديمقراطية ، ففي هذا الإلغاء معنى رائع من معاني الوعي واليقظة ، كما أن لهذا الإلغاء نتائج خطيرة ذات أثر بعيد في حياة الشعوب التي لا تزال تقاسي من المستعمرين والاستعمار ألوانا من الضغط والإرهاق وأنواعا من الظلم والعذاب

في هذا الإلغاء دليل قاطع على رغبة الشعوب الشرقية في التحرر والانطلاق وعلى أنها لم تعد تصبر على الأساليب التي كانت تسير عليها دول الاستعمار في القرن التاسع عشر من ادعاء مسؤولية المحافظة على الأمن والنظام في البلاد المتأخرة ومن انتحال التبعات في تمدين الشرق وترقيته ، وعلى أساس هذه التعليلات كان المستعمرون (وفي مقدمتهم بريطانيا) يقاومون الحقوق الوطنية والنهضات القومية

لقد أقدمت مصر على الإلغاء والتخلص من قيود الاستعمار بعد أن صبرت طويلا ، وبعد أن قامت بمداولات واتصالات متعددة ومفاوضات متكررة ، ولكن الجانب البريطاني — وقد سار بعقلية القرن التاسع عشر — أبى أن يخضع للحق الصراح والحجج الدامغات ؛ كما أبى أن يدرك أن حق الشعوب في الحياة الحرة الكريمة حق مقدس قامت على أساسه مبادئ هيئة الأمم المتحدة ، أقول : لقد أبى الجانب البريطاني أن يخضع وأبى أن يدرك أن الشعوب في القرن العشرين لا تحكم بعقلية القرن التاسع عشر ، ولا بالأساليب الرجعية ، فكان هذا التمرد على الاستعمار وقيوده في الهند وإيران والملايو ومصر ، وكانت هذه الثورات على الظلم والطغيان

لقد استهترت بريطانيا بحقوق الشعوب واستهانت بكراماتهم ولم تقيد نفسها بما توجبه عليها المعاهدات من التزامات وواجبات بل راحت تسير في معاملة مصر على أساس الاستغلال والاستعباد والاستخفاف بالعقول والحقوق

وقد يسأل أحد الناس : ألم يدرك الشعب البريطاني — وقد بلغ شأواً بعيداً في التقدم المادي والثقافي — أن الأساليب

واعيا ، وأن يجتث الشر من أصوله . لقد رأى المعاهدة تفرض على كل يد قيدا ، وعلى كل عين غطاء ، وعلى كل كتف نيرا ، فألغاها . ورأى الاحتلال يسيمه خسفا ، ويقتله جوعا ، ويرفع على ظهره سوطا ، وأيقن أنه لا يدفع بيد عارية ، وأفواه خاوية ، فهب يدفع كل ذلك عنه ، ثم بدا وفي كفه المخلب ، وفي فمه الناب ، وفي قلبه العزم .

بدا وفي يده المدفع ، وفي جيبه القنبلة ، وفي منطقته الرصاص ، وتحت إبطه اللغم ... !

وزحف إلى هناك .. إلى القتال ... وفي هدوء وسكينة ، راح يشعل اللغم تلو اللغم ، ويستقبل الفزعين من أعدائه بالمدفع ويطارد فلولهم بالقنبلة ... ! يقتحم الشوك ويجتاز الترع ، ويلاقيهم وجها لوجه ، قوة لقوة ، وسلاحا لسلاح . وعنده فوق ذلك الإيمان بالحق ... والإيمان بالنصر ...

وعندهم دون ذلك الإحساس بالتطفل ، والشعور بالحرج والحجة التي سقطت من بين أيديهم ، والفزع الذي وقع في قلوبهم ... !

لم يكن ما يأتيه هذا الشعب اليوم المعجب أو ضريبه ، قدر ما كان استجابة صادقة لتلك النوازع الأصيلة الموروثة في أعماقه ... ألا فليشهد العالم وليسمع إن رغب عن أن يشهد ، وليعلم إن رغب عن كلا الأمرين ، أن كل مصري يقول اليوم : أنا مصر ... ومصر أنا ... لا ذلة ولا هوان ، ومرحبا بالقوة التي تحاول إرغامي على إنكار هذه الحقيقة ... مرحبا بها ... فالمدفع في يدي ... والقنبلة في جيبي ... والذخيرة في جعبتي ، واللغم تحت إبطي ... والله معي ... والفداء ... أنا ... !

أحمد قاسم أحمد

الاستعمارية لم يعد يحتملها أو يصبر عليها أحد ؟ وما هو التعليل لعدم يقظة الضمير البريطاني ولوقوفه جامدا أمام الأساليب التحكمية والاستعمارية التي سارت عليها الحكومات الانكليزية؟ وهل ما يجرى في المستعمرات وفي البلاد التي ابتليت بالانتداب يتماشى مع روح العصر وتقدم الأفكار ويقظة الضمائر ؟

إن الشعب الذى يستسيغ مأســاة فلسطين وإقامة دولة إسرائيل بعد أن مهدت حكومته لتشريد مليون عربي وسلب أموالهم وحقهم في الحياة في بلادهم ، ويستسيغ المظالم التي صبها الاستعمار البريطاني في الهند وإيران والتي لا يزال يصبها في بلاد العرب والملايو - أقول إن هذا الشعب الذى يستسيغ كل ذلك ، ولا يوقف الأساليب الباغية التي تلجأ إليها حكوماته لهو شعب ناقص التربية جامد الضمير

ذلك لأن التربية التي لا تنمي في الشعب روح العدل الشامل وروح الخير العام وروح النفور من الظلم والاعتداء لهي تربية ناقصة قد طغت عليها المادية والنفعية فأعمت (الشعب) عن الحق والحقائق فضاق أفقه وأصبح لا ينظر إلى القضايا والمشاكل إلا من زاوية مصالحه الخاصة

ومن يدرس مذاهب بعض الفلاسفة الانكليز يتبين له السر في جمود الضمير البريطاني ؛ فمذاهب الفلاسفة الاخلاقية توضح لنا المثل الأعلى الذى كان لهذا الشعب أو ذاك ، ويمكن اتخاذها مقياساً لتقدم الضمير الانساني لقد برز في انكلترا في القرن التاسع عشر الفيلسوف (جون ستيوارت مل) وهو صاحب مذهب خاص في الأخــلاق يطلق عليه مذهب النفعية (يوتيليتريا نزم) ويقوم هذا المذهب (أو هذه النظرية الأخلاقية) على اعتبار المنفعة أساسا للأخلاق . وقد أتى (مل) في شرح ذلك على بيان تحليل غريزة حب المنفعة وإرجاع الفضائل إليها مستعينا في هذا بعلم النفس والاجتماع . وليس المجال الآن مجال تفصيل هذا البيان ، ولكن يمكن القول أن مذهب (مل) في النفعية لم ينته إلى الغاية التي أرادها له بعض الفلاسفة ، بل جنى على الأخلاق ونزل بها عن مستواها العالي بجعله (المنفعة) أساس كل عمل وإرجاعه الأعمال الأخلاقية إلى بعض الغرائز والقوى النفسية . وعلى هذا تسير الأخلاق على ضوء الغرائز والميول بدلا من أن تضبط الأخلاق وما في الإنسان من غرائز جامحة وميول عنيفة

لقد تأثر الانكليز بهذا المذهب فساروا في أخلاقهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم على أساس (النفعية) وسايروا ميولهم وغرائزهم وكيفوا أخلاقهم عليها ، فكان هذا الطابع الذى تميز به الانكليز على سواهم وهو (مصلحة بريطانيا فوق جميع المصالح) حتى ولو كان في ذلك الاضرار بالناس والاستهتار بحقوق الشعوب والاستهانة بالمكرمات

ولهذا لم يعد مجال للدهشة أو العجب من الخلق الإنكليزى ومن تسييره في الطرق المؤدية إلى المصلحة الذاتية أو الخاصة ، ولا من عدم تقدم الضمير البريطاني على الرغم من التقدم الكبير الذى أصابه الانكليز في سائر ميادين الحياة . فسياسة الانكليز الخارجيه واتجاهاتهم الخلقيــة تتحرك كلها في دائرة النفعية والاستغلال . وهم ينظرون إلى حقوق الشعوب الأخرى ومصالحها وإلى الإنسانية من زوايا مصالحهم ومنافعهم . وقد نجحت هذه السياسة وهذا السلوك بعض الوقت في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، ولكن بعد أن تقدم العلم هذا التقدم العجيب وبعد أن استيقظت الشعوب فهبت من غفلتها أصبح من المستحيل على بريطانيا أن تنجح في أساليبها وخططها الاستغلالية

وهذا ما يجب أن يدركه الانكليز حكومة وشعبا

ويقولون إن العقلية البريطانية تمتاز (بالمرونة) ، ولكنها (كما يبدو لي) مرونة بطيئة جامدة لا تساير روح العصر ولا تتحرك في إطار التقدمية . وعلى ذلك فقد فشلت السياسة البريطانية في الشرق في هذه الأيام ، فتتابعت عليها النكسات مما يهدد مصالحها ويؤدى إلى القضاء على نفوذها وهيبتها

فدرى حافظ طوقان

وجـــه للمقاطعة

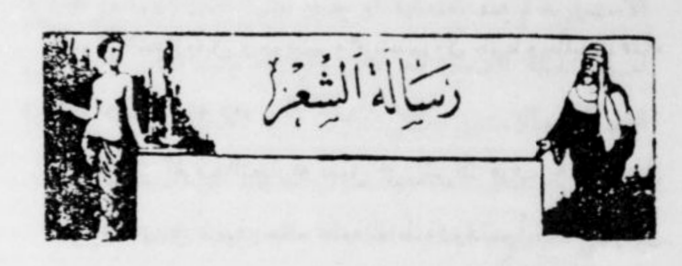
لتاجر أديب

لنترك الفدائيين الذين وهبوا حياتهم لله والوطن يصولون فى ميادين الجهاد ويجولون . ولنترك الحكومة تعمل أعمال التؤدة والترصن حسبما تقتضيه ظروف الحال وتقلبات السياسة . ولنترك الغرف التجارية فى سيرها السلحفائى تتدارس أمر مقاطعة التجار الإنجليز والتحول عنهم إلى أسواق أمم تجارها أقل ضررا علينا من أعدائنا . ولندع الأمة جانبا فان الهبة التى تهبها بين فترة من الزمان وفترة ، إنما مردها الآن الى عدوان جديد يقترفه الجيش البريطانى ضد البلاد وأهلها فى القنال ، والى انتقام يقوم به أبناؤنا البررة فيذيقون أجناد الإنجليز مرارة الموت ، ويعلمونهم معنى القتال بين مؤمن بالله وبوطنه وبالرغبة فى الحياة ، وبين مؤمن آخر إيمانا وثيقا بأن مصير إمبراطوريته الى الانكسار والزوال لأنها أدركت سن الشيخوخة وهى آيلة الى الموت القريب ، سنة الله فى الشيوخ الفانين .

أيقنت بعد أن أهبت بغرفتنا التجارية أن تحرض التجار المستوردين أن يلغوا الطلبات التى طلبوها من التجار الانجليز . وأن يقفوا التعامل معهم ، وأن يفعلوا ذلك دفعة واحدة وفى يوم واحد حتى تكون مظاهرة التجار أبعد أثرا وأكثر نفعاً من يوم اشتركت فيه جميع طبقات الأمة فى التظاهر والاحتجاج على عدوان الإنجليز . أقول أيقنت أن الحكومة ستظاهر الغرف التجارية وتعضدها فى إبراز فكرة المقاطعة إلى حيز الوجود ؛ لكنها — سامحها الله — سلكت سبيل الدبلوماسية أو سبيل المواربة فى عمل كان يجب أن يكون عاجلا ، لأن إجماع تجار مصر المستوردين على رفض جميع الطلبات من انجلترا لا يساوى فقط حبس ستين مليون جنيه تدفعهـــا مصر إلى انجلترا ثمنا لسلع تشتريها من أسواقها التجارية ، بل هى تدفع مئات من التجار الإنجليز إلى الوقوف فى وجه حكومتهم يسألون عن معنى إقفال هذه السوق التجارية فى وجوههم وهم يتضورون جوعا ويطلبون غذاء يستردون عافيتهم ومركزهم المالى المزعزع

لنترك الغرف التجارية تعمل على إشراك غرف تجارة الدول العربية معها فى كيفية إحكام حلقة المقاطعة، ولنقنع أنفسنا بأن رجال الغرفة التجارية حسنو النية ، وأنهم لا يقلون وطنية فى ميدان المال عن وطنية أبنائنا الذين يجودون بأرواحهم، ومن أبناء الاسماعيلية والسويس الذين يحملون العبء بجلد المؤمن وصبر المجاهد . لنترك هؤلاء جانبا لنطالب — استغفر الله العظيم — فأنى كدت أطاوع قلمى فيسطر مطالبة لأغنياء بأن يمدوا يد المونة إلى عائلات الشهداء أو إلى مساندة رجال الكتائب أو الفدائيين ، ولكنى أستدرك هذا الأمر المظيم لعلمى بأن أغنياءنا — حفظهم الله — قد استنفدت مصايف أوربا وموائدها الخضراء والحمراء فى صيف هذا العام أكثر ما ربحوه من بيع أقطانهم ، وأن ما تبقى لهم من أثمان محاصيلهم الأخرى قد تسدد مطالبهم الضرورية من اشباع المعد وإمتاع الجسد وسواهما ، ولكنى أطالب طبقة متوسطى الحال من موظفين وتجار وأطباء ومن يضارعهم ومن السيدات والآنسات من الطبقة الوسطى أيضا، إنى أطالبهم بل أطلب منهم أن يلقوا نظرة على صوان ملابسهم فيجدون فيه أكثر من بدلة واحدة لفصل الشتاء وأكثر منها لفصل الصيف ؛ أما السيدات فان لديهم فساتين لكل فصل وكل صبح وكل مساء وحفلات . فما ضر هؤلاء السادة والسيدات لو عقدوا العزم على الاكتفاء بما لديهم من ملابس ؟ ما ضرهم لو صمموا فيما بينهم وبين نفوسهم على الاستغناء عن الكماليات فضلا عن الضروريات؟ ماضرهم لو يعلنون هذا التصميم على الاكتفاء بما لديهم من لباس بين إخوانهم ومعارفهم وأندادهم فتسرى عدوى حب مقاطعة الأجنبى بين الجميع ؟

ليس عارا أن أظهر أمام الناس ببدلة واحدة ألبسها طوال العام ، ولكن من الحقارة لنفسى أن لا أعمل عملا واحدا يشعرها بأنى أشارك جميع طبقات الشعب فى إظهار العـــداء لمغتصبى بلادنا ، وسارق خيرات أرضنا ، وقاتلى أولادنا



صور وتماثيل لرجال الجيل :

رجال الثورات المصرية

١ — محمد بك الألفي في دمنهور

للأستاذ عبد اللطيف النشار

في دمنهور أمة تكره البغي   وكانت ولم تزل مستقله

إن قرشا واحدا أضن به على الإنجليزي إنما هو لقمة انتزعها من حلقه ، فما بالك بستين مليونا من الجنيهات تدفعها مصر ثمنا لبضائع تشتريها من مصانع الإنجليز ؟

ليس في الطبقة الوسطى والحمد لله من مستوزر أو طامع بكرسي الوزارة حتى يجن جنون ذلك الرجل الذي قيل لنا أنه لما نزلت به نازلة الوزارة وتبوأ أريكة الحكم ذهب إلى أحد مشاهير الخياطين فأمره أن يخيط له ستين « بدلة »

أي والله ستون بدلة اشتراها صاحب المعالي لأن مقام الوزير لا يبرز في العظمة إلا ببدلات تستبدل في ساعات الصباح والمساء مرة ومرات ! !

° ° °

لي كلمة أخرى أوجهها إلى الأطباء والصيادلة وتجار المستحضرات الطبية والكيميائية وتجار الآلات الزراعية والبخارية وأدوات الري على أنواعها أرجئها إلى فرصة قريبة

ناهر

أقصت الأجنبي عنها فولى   مستعيذا منها يسابق ظله
سابحا في الوجود يطلب مثله   كل شكل منهم يوائم شكله
حيث نلقاه فالنقائص طرا   لم تدر بعده ولم تعش قبله
والمخازي مصائد وضعتها   لبني الشرق أمة محتله
قبل .إدراكها وبعد ومن   عهد بعيد والبغي دين وملة
ارجعوا عن مجالنا مائة الأعوام نبصر برهانهم والأدله
في المماليك واحد يطلب الملك نوات هذي المدينة خذله
ما أفاد الألفي مما جناه   في دمنهور غير بؤس وذله
راسل الإنكليز يطلب عونا   ولدى القوم دونه ألف عله
ولدى القوم منذ كانوا وعود   كاذبات لمن يريدون ختله
ولمن لا يحاولون أذاه   غمروا بالمواعد الكون كله
عبثا أن نعدها حسنات   فيه داعي المدى ليخذل أهله
كان أهلا لولا الوثوق بخصم   ظاهر الغدر أن يناهض دوله
الكفايات كلها مجتواة   في نفوس بغيرها مستظله
وصديق للانكليز عدو   لبني مصر بل وللشرق جمله
لو أرادوا أن يصدقوا ما استطاعوا   خلق الكذب عندهم في الجبله
وعدوه من قبل أن ينصروه   وغبين مستنجز الوغد بذله
ليس من دأب باسط الكف يستجدي نوالا أن يلمس الناس فضله
أمة لا تكف تطلب شيئا   طلبا تنكر الفضيلة شكله
إن تنله غصبا فغصبا وإن لم   تستطعه خفت تحاول نشله
أمة لا تعف عن أي شيء   تنكر الأنفس الشريفة فعله
والبغي الألفي يبغي نداها   واقفا خيله هناك ورجله
العيون الزرقاء في الأوجه السود   مثال لمن تشبه مطله
والعيون الزرقاء في الأوجه السود   مثال للأمة المعتله
زعمت أن للخليفة عهدا   ووفاء العهود للحر خله
ثم قالوا نعم سنبعث جيشا   فانتظر حيث أنت تسعين ليله
صدق الكاذبين وانتظر الجيش ومستمرئ الأكاذيب أبله
ودمنهور في نطاق من الجند   وفي حالتي جفاف وقله
لم يعنها ولا الذي ناصرته   وأبت في الشقاء أن تستغله
هجمت هجمة الأسود على الألفي   نبغي في ساحة الحرب قتله

مزقت جيشه فلولا ولم تبق لداعى الطغاة إلا أقله
فى ثلاثين ليلة شردوه خيبوا فى عوالم الوهم فأله
مستعز بالإنكليز جدير بالذى نال من عواقب غفله
أنقذ الهارب الفرار ولولا لعانى المغرور أقبح قتله
ودمنهور لا تزال كما كانت فخورا بنجومها والأهله
راية النيل لم تكن من قماش راية النيل تشمل النيل كله
كل معنى يلقى على الجو ضوءا كل جسم يلقى على الأرض ظله
راية النيل فى دمنهور روح تلمن الأجنبى فيها ورحله

٢ — محمد شريف باشا

ما أصدق اسما على مسمى يا رجل الجيل يا شريف
مدبر قادر نبيل مسالم حازم عفيف
والمجد أن تكمل المزايا لم تغن عن جذعها القطوف
حولك ذو صولة وجاه لكن بنيانه ضعيف
ينهار إما بدا رجاء أو لاح فى جوه مخوف
وذو طموح بغير وعى نصيبه فى الحجى ضعيف
وصادق العزم لم يمحص آراءه ناصح حصيف
وماكر همه هواه ضميره شارد يطوف
يا رجل الجيل يا شريف ضحى بنا ذلك اللفيف
وأنت ما بينهم سراج يحمله مرشد كفيف
قد ضل فى التيه قوم موسى حتى عفا الراحم الرؤوف
إن يعبد العجل قوم موسى فبيننا يعبد الحليف
وأصلح القوم نصح موسى ونحن نبراسنا شريف
إن ساد دستورنا نجونا ووحدت بيننا الصفوف
لكنه الصدق فى النوايا والجد والقصد والسيوف
أخوة فى ظلال حكم يحب حبا ولا يخيف
برنامج لم تزده حرفا يا بطل الجيل يا شريف

عبد اللطيف النشار

بين دنكرك وكفر عبده

للأستاذ عبد العزيز مطر

سلوا «دنكرك» عن جبن الجبان تنبئكم بألوان الهوان
تنبئكم بأن «الحر» فروا من الميدان مسلوبى الجنان
سلوا «دنكرك» ثم سلوا بلادا يرفرف فوقها علم الأمان
لعل جوابها يشفى غليلى ويكشف عن فؤادى ما دهانى

* * *

سلوا السيمين بيتا قد غزوها بآلاف من الجيش الجبان
فهل حسبوا البيوت قلاع حرب وخالوا فى يد العزل اليمانى ؟
ألا مرحى .. ألا مرحى لجيش أجاد رجاله نسف المبانى
ولو برز الكماة لهم لفروا وخافوا من بريق الهندوانى
همو شبه الرجال ولا رجال هم الجبناء فى الحرب العوان
لهم فى السلم جمجمة تدوى ولا تلقاهمو يوم الطعان
على المستضعفين أسود غاب نعام فى عجاج المعمعان
ألا فافخر تشرشل أى فخر وسق لرجال جيشكم التهانى
وشد على يد الأبطال واهنأ فقد خاضوا معارك ذات شان
ألا تعسا «أرسكين» وسحقا «لتشرشل» من عجوز ثعلبان
كفاكم أيها القرصان بغيا كفى وطنى مساوئكم كفانى

* * *

شباب النيل هبوا من رقاد فداء النيل لم يخلق لوانى
شباب النيل هيا للمعالى وروموا المجد فى أسمى مكان
دم الشهداء ناداكم فلبوا وذودوا عن حماكم ما يعانى
«وصبرا فى مجال الموت صبرا» فتلك سبيل تحقيق الأمانى

عبد العزيز مطر

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

س وج حول اللغة الأجنبية الأولى :

قرأت بإنعام كلمتكم المنشورة فى الرسالة الغراء تحت عنوان (أصبح الشعب حرا فى اختيار اللغة الأجنبية الأولى) وقد بدا لى واستبد بلفيف من المعجبين بكم أن نتقدم إليكم بالأسئلة الآتية راجين التفضل بالإجابة مشكورين

(١) إن قرار حضرة صاحب المعالى وزير المعارف فرض على الشعب أن يختار الفرنسية أو الانكليزية لغة أصلية . وأن يختار إحدى اللغات الثلاث الباقيات لغة إضافية . فهل أتاح هذا القرار فرصة للشعب فى أن يكون حرا فى اختيار اللغة التى يرضاها أصلية واللغة التى يريدها إضافيـــة من غير فرض ولا تحديد ؟

(٢) إن القرار وضع اللغة الانكليزية فى الدرجة الأولى بين اللغات . وبحكم هذا الوضع يتعين بلا جدال أن اللغة الانجليزية إن لم تكن أصلية فهى بلا مراء إضافية — فهل هذا ما قصد إليه القرار ؟

(٣) تقول حضرتكم بأن هذا القرار أتاح الفرصة للشعب نفسه أن يكون حرا فى اختيار ما يريد . فماذا تقصدون بالشعب ؟

أهو الكلية ، أم أولياء أمورهم ، أم الشعب ممثلا فى لجنة تشكل لهذ الغرض ، أم الشعب ممثلا فى البرلمان ؟

(٤) إن اللغة الأصلية يلاحظ فيها مدى مصلحة الشعب منها ثقافيا وماليا وتجاريا وسياسيا . فأى لغة من هذه اللغات الأربع أحق بالتقدمة وأنفع للشعب في معترك الحياة ؟

(٥) إذا تركنا الشعب حرا فى اختيار ما يشاء من اللغات فهل وزارة المعارف مستعدة لأن تفى كل المدارس حاجتها من المدرسين فى كل لغة ، أم أنها ستخصص مدارس لكل لغة . وإذا كان ذلك كذلك فكيف يتفق الشعب فى ثقافة تربطه بنفسه وتحدد أغراضه فى حياته . هذا ولحضرتكم منا أطيب تحية وأروح سلام

البدالى أحمد السكرى

بكفر الشيخ فؤادية

ج ١ — قصدت بحرية الشعب فى اختيار اللغة الأجنبية الأولى ، أن اللغة الانجليزية أصبحت غير مفروضة عليه ، وبهذا تخلص من وضع من الأوضاع الاستعمارية التى يعمل للتحرر منها ، فالحقيقة التى لا شك فيها أننا ما كنا نحل اللغة الانجليزية المحل الذى أخذته عندنا لولا أن الانجليز احتلوا بلادنا . وذلك ما رميت إليه بما كتبت فى هذا الموضوع ، وحسبنا أن بلغناه ، وليكن بعد ذلك ما يكون من تحديد أو إطلاق

ج ٢ — القرار وضع الإنجليزية فى الدرجة الأولى حقا ، ولكنه أتاح الفرصة لتركها أصلية أو إضافية ، فإن الطالب عند ما يختار الفرنسية أصلية تصبح الانجليزية بالنسبة إليه كالألمانية والإيطالية يختار من الثلاث ما يشاء

ج ٣ — الشعب المقصود هو الطلبة بالاشتراك مع أولياء أمورهم

ج ٤ — جواب هذا السؤال موضح فى كلمتى الأولى (الرسالة عدد ٩٥٧)

ج ٥ — الشطر الأول من السؤال يتعلق بإجراءات التطبيق والتنفيذ . والمفروض أن تدبر الوزارة الأمر بما يتفق والغرض من القرار . أما التقاء الشعب فهو فى مجرى ثقافتنا الأصيل — الواقع أو المنشود — وما اللغات الأجنبية وثقافاتها إلا روافد

انا فى مرآة قارئ :

تلقيت رسالة بتوقيع « سعد أبو سالم — قليوب البلد » تشتمل على مسألتين ، الأولى خاصة باستعمالى كلمة « مثل » إذ طلبت من الأستاذ بربرى فى موضوع « اللحن الفصيح » أن يأتى بمثل للطلب قبل فاء السببية المغاير للأمر والنهى وبقية الأشياء

التى ذكرها . فقد أخذ على كاتب الرسالة استعمال لفظة « مثل » فى هذا المعنى مفرقا بينها وبين كلة « مثال » وردى على ذلك أن مما يدل عليه لفظ « مثل » الوصف ، وكذلك « مثال » فيقال مثل الشئ ومثاله ، أى وصفه وصورته . والمقصود — على ذلك — من « مثل للطلب » جملة تبين حقيقته وهل هو شئ آخر غير الأشياء التى ذكرها

أما المسألة الثانية فهى أنه وصفنى بصفات لست أدرى هل هى حقيقية أو هى مما يدل عليه وصف نفسه فى ختام الرسالة بقوله : « وختاما إليك منى تحية تلميذ أحمق .. »

قال السيد أبو سالم الذى أعتقد أنه « عاقل » على الرغم مما وصف به نفسه : « وأود أن أحدث الأستاذ عما أفهمه وأستسيغه حول كلتى مثل ومثال ، وله بعد ذلك أن يعدنى غبيا أو جاهلا كما هى عادته مع عشاق الأدب واللغة . . وإلا فما كان يقول ردا على الأستاذ البربرى « ولكن ما حيلتى » والحق أنها ياسيدى طريقة طريفة لم نعهدها فى النقاد من الأدباء ، ولو كانت طريقة النقد هى الردع والزجر لأصبح الأدباء فى صراع جاف خاف خال من روح الأدب ... الخ

والحق أنى سررت من هذه العبارات وغيرها مما تضمنته رسالة السيد سعد أبو سالم .. سررت منها ، لأنى ألفيتها مرآة تعكس صورة .. إن تكن تطابق منهجى فى الكتابة فإني أقومه . لأنى لا أرضى لقلمى أن يخط صراعا خاليا من روح الأدب !

وإن لم تكن الصورة مطابقة فلا شك أن المرآة من تلك المرايا التى كنا نراها فى « لونا برك » تشوه الصفحات وتبعث الضحكات ...

كشكول الأسبوع

□ تلقى معالى الدكتور طه حسين باشا كتابا من المستشرق الانجليزى « جب » عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، يعتذر فيه من عدم الحضور إلى مصر للاشتراك فى دورة مؤتمر المجمع الحالية ، لأمرين : الأول زواج ابنه واضطراره إلى حضور حفلات الزواج ، والثانى الحالة الحاضرة بين مصر وانجلترا ، ويقول الأستاذ جب فى كتابه هذا أنه يقدر موقف مصر وطالما سعى لأن يغير الساسة البريطانيون موقفهم فلم يجد سعيه

□ قال معالى وزير المعارف فى جلسة مجلس التعليم الأعلى عند مناقشة حصص القرآن فى المدارس . إن حفظ القرآن الكريم يعتبر من وسائل تنمية المواهب وتربية الملكات لأنه يصقل اللسان ويقوى الذاكرة

□ أصدر مجمع فؤاد الأول للغة العربية الجزء السادس من مجلته

□ أنشأت المفوضية السورية فى الأرجنتين معهدا لتعليم اللغة العربية هناك

□ قرر معالى وزير المعارف ترقية الأديب المعروف الأستاذ مفيد الشوباشى مدير إدارة التأليف إلى مراقب للتشريع والشؤون القانونية بالوزارة . وهذا من مظاهر عناية العميد بالأدباء وحياطتهم بحدبه ورعايته . والأستاذ مفيد جدير بالتقدير لأدبه الحى وثقافته الممتازة

□ سئل أحدهم : ما أصلب الأشياء ؟ فقال : ثلاثة : قرن الثور وحافر الفرس ووجه الانجليزى ! وأردف قائلا : لأن هذا الوجه وقح .. وفى اللغة . وقح حافر الدابة أى صلب

مصطفى لمى :

أشرت فى الأسبوع الأسبق إلى محاضرة الدكتور أحمد عمار بمؤتمر المجمع اللغوى عن اللغة العربية والمصطلحات الطبية ، وأوردت نبذا منها تتضمن رأيه فى وضع تلك المصطلحات وهو التوسط بين المحافظة والأقدام . وكنت أريد أن أورد نبذا أخرى تتضمن آراء لأخرى ، ولكن الرسالة أحسنت صنعا فنشرتها كاملة فى موضع آخر من هذا العدد

عباس خضر

بيان رابطة الكتاب السوريين :

نشر فريق من شباب الكتاب فى سورية بيانا بتأليف رابطة لهم نقتطف منه هذه الفقرة التى تشرح الغاية من هذه الرابطة والطريق التى يسلكها المرتبطون لبلوغ هذه الغاية

... كان يجب أن توجد هذه الرابطة للكتاب السوريين منذ أمد طويل ، ولكنا لسنا هنا فى مجال اللوم والندم ، وإنما نحن فى ميدان الإنشاء والعمل . إن هذه الرابطة لم توجد من قبل وكان يجب أن توجد ، وها نحن أولاء نفعل

(رابطة الكتاب السوريين) اسم بسيط

يتألف من ثلاث كلمات، ولكنه ضخم كالقومية الكبيرة، لم نحاول فيه أن نفتش عن الرمز البراق بقدر ما أردنا أن نضع اللفظة نفسها

نحن لا نمثل الكتاب السوريين أجمعين. هذه حقيقة لا ننكرها، ولكن لا يضير الإسم ألا يجمع الكل إذا استطاع أن يجمع البعض، فاتحا الباب لمن يشاء من المنتجين المحسنين. نحن جماعة لنا في العيش مهن مختلفة، ولكن شيئا واحدا يجمعنا، هو أننا نحمل قلما لا نستطيع حبسه عن الورق، أو كما قال جبران: من هؤلاء الذين إذا لم يكتبوا ماتوا. كذلك نحن. مهما تنوعت أعمالنا في الحياة، فإن عملا واحدا لا نستطيع التخلى عنه، يجمعنا ويقرب أيدينا بعضها إلى بعض. ولسنا نزعم أننا إذ نطلق على أنفسنا لفظة كتاب، أن الكتابة — شعرا كانت أم نثرا — قد أصبحت في أيدينا ناضجة كاملة كعناقيد العنب في أيلول. إن اتحادنا مدرسة بقدر ما هو رابطة، نتكاتف فيه ونتعلم في وقت واحد. وليس بعيدا أن يصبح الحصرم عنبا إذا ظل على أمه، ينمو في ضوء الشمس ويبهر العيون بجماله

هؤلاء نحن. أما ماذا نريد، وكيف سنعمل؟ فتلك أشياء يجب أن نصوب نحوها الأشعة قليلا، تاركين للعمل ذاته، فيما بعد، أن يشرح ويتكلم..

أدخل ذات يوم مكتبة، في أي بلد سوري، واسأل صاحبها، أو استقرىء فهارسها عن بضاعة الدكان، تجد أن سورية أفقر البلاد العربية انتاجا في ميادين الفكر والفن. ثم حاول أن تعد في ذهنك أسماء لشعراء أو لقصاصين أو لكتاب آخرين، تجد أن رأسك كالصحراء الخاوية، إلا من بضع واحات، وقبضة من أشجار النخيل، بينما في لبنان، تتبادر لذهنك الاسماء على الفور كثيرة منتجة، وفي العراق نهضة مباركة، أما في مصر فان إنتاجها يغمر أسواقنا، ترى ما هو السبب؟ ولكنه حديث طويل ذو شجون، فلنطو بساطه في هذه العجالة ولنحاول أن نكون عمليين، فنصل إلى المشكلة فورا ونبدأ حلها ... ...

نحن كتاب تقدميون بكل ما في الكلمة من خصب، تقدميون لأننا نستهدف أبدا أن نمشي إلى الأمام حيث يتلامح هدفنا أننا نؤمن بأمتنا، ونؤمن بأننا نستطيع خدمتها، وأننا لن نكون كتابا إذا لم نحي حياة أمتنا. إن هدفنا هو أن نعمل للشعب لأننا منه، ولأن الفن الصحيح هو الفن الذي ينبع من حياة المجموعة. إن الآثار العظيمة الباقية هي الآثار التي غيرت وجه الحياة فأغنتها وأكسبتها أشياء صالحة جديدة. لم يعد هناك — كما يقول بعضهم — من فن للفن ولا من زهر للزهر. إن الفن هو للناس، كما أن الزهر هو للعيون التي تراه والأنوف التي تشمه. والزهرة لا تكون جميلة إلا إذا استطاعت أن تؤدى إلى شيئا يتصل بذاتي وخدمة تحسن حياتي. نحن مع القائلين بأن الفن هو تعبير جميل عن الحياة، ولكن التعبير لا يكون جميلا إذا لم يعبر عن الحياة الحقة، حياة المجموعة. نحن لا نطالب أن يذوب الفرد في الجماعة، لأن مجموعة الأصفار لا تساوى أكثر من صفر، وإنما نطالبه أن يعيش مجتمعه، ويشارك فيه، وينطلق بعد ذلك كما يشاء، فهو لن يضل ولن يبتعد عنا كثيرا. الفرد الواحد المستقل عن الجماعة غير موجود. كذلك العاطفة الواحدة المفردة غير موجودة، فاذا استطعت أن توجدها وأن تعبر عنها فأنت تصطنع الحياة، وبالتالي فانت تصنع الفن ... .

تلك هي طريقتنا، أما وسائلنا فهي إنتاجنا الخاص ككتاب تقدميين، وعنايتنا بالنتاج الفكرى العربي القديم الذي يتصل بقضايا الحرية والسلام، ونشره على الناس، كما نبرهن لهم أن هذه القضايا كانت تهم الإنسان من قبلنا بكثير من العهود. كما أننا سوف نعمل على أن نخرج من القوقعة التي نعيش فيها هنا، فلا نقرأ إلا نوعا معينا من الأدب، ولا نطلع إلا على زاوية واحدة من الثقافة. إن قضايا العالم الآن أصبحت قضية واحدة، ولن يستقر السلام في دولة واحدة إذا كانت الدول الأخرى يهددها غول الحرب. لذلك صارت كل محاولة لعزلنا عن التيارات الفكرية الحديثة في العالم محاولة دنيئة، يريدون بها أن يربطوا عيوننا بعصابة كي ندور في مكان واحد، والسوق الفكرية العربية أحوج ما تكون لأن تصبح ملتقى هذه التيارات، كي ندركها جماء، والبقاء بعدئذ للأصلح

أما إنتاجنا فلن يظل بعد الآن مبعثرا في كل واد، إننا سنكتب، ولكن في الموضوعات التي نرغب، وبالأسلوب الذي نحبه، وفي الصحف المخلصة الحرة

ليان ديراني، مواهب الكيالي، شحاده الخوري، حنا مينه، سعيد حورانية، غسان رفاعي، نبيه عاقل، أنطون حمصي، ممدوح فاخوري
حبيب الكيالي، شوقي بغدادي، صلاح دهني — دمشق



١ — خطأ مشهور

نشرت جريدة الأهرام كلمة للأستاذ الشاعر عبد الغنى سلامة بمناسبة ذكرى مولد الرسول ، تحت عنوان « ضاقت يارسول الله جاء فيها : « ضاقت الصحف ... عن أن تفى ذكراك المطرة حقا بسبب أزمة الورق » فعدى ، الفعل « تفى » إلى مفعولين ، وهذا تعبير شائع لا يرى مستعملوه حرجا فى استعماله ، ولا يخالج نفوسهم شك فى صحته فى اللغة العربية وهو مجانب لما جرى عليه الإستعمال العربى ، مخالف له ؛ لأن « يفى » مضارع « وفى » المجرد وقد جرى العرب على لزوم هذا الفعل ، فقالوا : وفى الشىء أى تم . ووفى بعهده ووعده وفاء فهو وفى . وهذا الشىء لا يفى بذلك ، أى يقصر عنه ولا يوازيه

أما الفعل المتعدى فهو « وفى » بالتضعيف ؛ فني « أقرب الموارد » : « وفى فلاناً حقه أعطاه إياه وافيا تاما » ، وفى التنزيل « ووجد الله عنده فوفاه حسابه » ومضارعه « يوفى » قال تعالى : « وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم » .

فينبغى إذن تصحيحا للعبارة أن يقال : « ضاقت الصحف عن أن توفى ذكراك المطرة حقها ... »

٢ — فسح وأفسح

خطأ الأستاذ محمد محمد الأبشيهى بالعدد (٩٦٤) من الرسالة الأستاذ محمد رجب البيومى فى قوله : (وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل) ، وذكر أن الصواب : (وفسح لنا ..) ، واستدل بقوله تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم)

فهو يدعى دعوين ، إحداهما : أن الفعل (فسح) قد ورد عن العرب متعديا ، والثانية أن (أفسح) لم يصح فى اللغة العربية ، وكلتا الدعويين باطلة قام الدليل على عكسهما . أما الأولى فلأن (فسح) لم يأت فى الأسلوب العربى إلا لازما[1] ؛ فى محيط المحيط : (يقال فسح له فى المجلس يفسح فسحا وسع وخرج له عن مكان يسعه) ، وفى (المصباح المنير) : (فسحت له فى المجلس فسحا ... وفسح المكان -- بالضم — فهو فسيح .. ويتعدى بالتضعيف فيقال فسحته) ، وفى التنزيل : (فافسحوا يفسح الله لكم) . وأما الثانية فلأن (فسح) يتعدى بالتضعيف — كما سبق — ويتعدى أيضا بالهمزة ، وهذا مقيس فى كل ثلاثى لازم ، فلك أن تأتى فى أوله بالهمزة فيصير متعديا لواحد بعد أن كان لازما . ولم يفعل الأستاذ « البيومى » أكثر من ذلك فهو قد أتى بالفعل (فسح) ثم أدخل عليه الهمزة فصار (أفسح) . وهذا ما تجيزه قواعد اللغة ، وأقره المجمع اللغوى

احمد مختار عمر

« تخطئة » :

نقل إلينا البريد الأدبى لرسالة القراء فى العدد ٩٦٠ كلاما للأستاذ محمد سعيد الجنيدى العلوى ملخصه : أن كلمة « سائر » لا تستعمل إلا بمعنى « البعض والبقية » وأورد لذلك ما ذكره القاموس المحيط وغيره من كتب الفقه . وبالرجوع إلى القاموس المحيط وجدنا أن الأستاذ لم ينقل الينا ماجاء فيه نقلا أمينا ولذا رأيت أن أذكر هنا ماقاله لنتبين وجه الخطأ والصواب فى كلام الاستاذ ، قال القاموس المحيط فى مادة « السؤر » . « وفيه سورة أى بقية شباب . وسورة من القرآن لغة فى سورة والسائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له ومنه قول الأحوص .

حملتها لنا لبابة لما وقذ النوم سائر الحراس

وضاف اعرابى قوما فأمروا الجارية بتطييبه فقال : بطنى عطرى ، وسائرى ذرى . وأغير على قوم فاستصرخوا بنى عمهم

---

(١) أعنى باللازم ما لا يتعدى إلى المفعول بنفسه ، أعم من أن يكون قد تعدى بحرف الجر أو لم يتعد أصلا

فأبطؤا عنهم حتى أسروا وذهب بهم ثم جؤا يسألون عنهم فقال لهم المسئول : أسائر اليوم وقد زال الظهر؟ أى أتطمعون فيما تفتقر وقد تبين لكم اليأس لأن من كانت حاجته اليوم بأسره وقد زال الظهر وجب أن ييأس كما ييأس منها « بالغروب » ومن هنا نعلم أن كلمة « سائر » تستعمل بمعنى « البعض والبقية » كثيرا وبمعنى « كل وجميع » قليلا ؛ وإنما حملنى على نقل هذه العبارات ما رأيته من تخطئة الأستاذ للكتاب فى استعمالهم لها بالمعنى الثانى وادعاؤه أنها لا تستعمل إلا بمعنى « البعض والبقية » وللأستاذ منى تحية عطرة

أبوه محمد حسب الله

توجيهات نبوية :

نشرت مكتبة الآداب بدرب الجماميز هذا الكتاب الجديد للأستاذ عبد المتعال الصعيدى ، وهو كغيره من كتبه جديد فى موضوعه ، فقد اختار فيه أربعين حديثا نبوية مناسبة لعصرنا ، ثم قام بشرحها وبيان ما فيها من التوجيهات النبوية فى الدين والعلم والاجتماع والأدب والأخلاق ، وما أحوج المسلمين فى عصرنا إلى الاستفادة من هذه التوجيهات فى دينهم ودنياهم ، لأنها تنير لهم الطريق فى حوالك هذه الظلم ، وتبين لهم السبيل الصحيح لاستعادة مجدهم وعظمتهم ، وتطلعهم على الأسرار التى كان بها الإسلام حقيقة خير الأديان ، وهى الأسرار التى كان المسلمون الأولون يفهمونها على حقيقتها ، وكانت آثارها تظهر فى أفعالهم قبل أقوالهم ، حتى كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكانوا بأفعالهم وأقوالهم حجة للاسلام على غيرهم ، فدخل الناس بها فى دين الله أفواجا ، لأنهم لم يروا من أقوالهم وأفعالهم ما يزهدهم فى دينهم

وها نحن أولاء قد انحرفنا عن ديننا فى أفعالنا وأقوالنا ، حتى صرنا حجة على ديننا ، فنحن فى أشد حاجة إلى أمثال ذلك الكتاب ، ليبصرنا بأسرار هذا الدين الحنيف ، ويوجهنا فيه التوجيه الصحيح

على حسه

تصحيح بعض الآيات فى مقال :

استشهد الأستاذ كامل السوافيرى فى مقاله « القوة فى نظر الإسلام » المنشور فى العدد ٩٦٥ من الرسالة بآيات من الكتاب الكريم مستدلا بها على وجوب الجهاد وفرضيته على المسلمين فذكر آية من سورة البقرة وصورها بقوله تعالى فى آية أخرى « يأيها الذين آمنوا ذكر بعدها مباشرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم .. الخ » الآية ٢١٥ بقرة وصحة الآية « كتب عليكم .. الخ » بدون يأيها الذين آمنوا . واستشهد بآية ثانية من سورة محمد فقال « محمد والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الآية ٢٨ من سورة محمد وصحتها « محمد رسول الله والذين آمنوا .. الخ »

ولا أدرى أكان الأستاذ حافظا فخانته ملكته أم مستشهدا بآيات سمعها عفوا فذكرها محرفة !! وإذا كان الأستاذ لا يحفظ القرءان جيدا فلماذا لا يستعين بالمصحف لينقل إلينا الآيات لا زيادة فيها ولا نقصان كما وردت فى كتاب الله

صلاح الدين حسه على



فانصوه الغورى

سلطان مصر الشهير

حادثة وجزاء

للأستاذ محمود رزق سليم

جلس الشاعر « شهاب الدين » فى إحدى الليالى القريبة يقص على أصدقائه تفاصيل حادثة « المشالى » وأسرارها ، فقال :

يالها من حادثة ! كانت خافية مستورة ، فأصبحت بلماء مشهورة ، وكانت فردية شخصية ، فأضحت مسألة اجتماعية ..! حادثة اتحد على وقوعها ، عقلة ضاربة ، وحب جارف ، وخيانة دنيئة ، وغيرة قاتلة . وخوف مستقر ، وصداقة عمياء . . ولم يستطع العلم — أو قل العلماء — أن يشخصوا لعلاجها دواء شافيا ، حتى تقدمت القوة ، فحسمت داءها وعجلت شفاءها ... حادثة يتضح منها أن جلالا و كبرياء قد يستخذيان حينا ، ويخور عزمهما حينا يتكشف ما يدخران فى أطوائهما من سيء الأخلاق وأن الرذيلة إذا تحكمت فى النفوس فلن يجتث جذورها حرمة علم أو رفعة منزلة . . .

تلك هى حادثة « المشالى » التى ارتج لها ضمير السلطان الغورى ، واضطرب لها علماء الدولة ، وسخرت منها القوة ، وعزل بسببها قضاة الشرع الأربعة ، وحرمت البلاد قضاءها فعطلت الأحكام بضعة أيام

تعلمون أنه منذ عهد الملك الظاهر بيبرس ، رسم بأن يكون للبلاد أربعة قضاة شرعيين . لكل مذهب قاض ، وهو يعين من قبله قضاة ينوبون عنه فى الحكم . وكان « نور الدين على المشالى » أحد نواب الشافعية . وكان يسكن إحدى نواحى القاهرة . وله صديق من نواب الحنفية يدعى « غرس الدين خليلا » جمعت بينهما جامعة العلم ، وربطت قلبيهما رابطة الزمالة . وعقدت بينهما أواصر الصداقة

كانا يتزاوران بغير ريبة . ويتسامران فى جو من الثقة والطمأنينة . . وفى هذا الجو وقعت الحادثة . :

كان لغرس الدين زوجة حسناء فاتنة . معتزة بما لها من جمال ومحاسن ، مدلة بما لها من رقة ومفاتن . . وكانت حينما تغادر منزلها تتبرج وتزدان ، وتبالغ فى التطرية ، فتلفت بذلك الأنظار وتسترعى العيون وتثير الرغبات فتمشى وتخلف فى كل قلب لوعة ، وفى كل فؤاد جذوة

وكان أشد الناس ولها بها والتفاتا إليها ومراقبة لها واجتراء عليها ، شاب يدعى « شميسا » وهو ابن أخت القاضى نور الدين الدمياطى . وكان « شميس » قاطنا على مقربة من دارها ، فكان يرقب أحوالها ويتفقد أعمالها بدافع من حبه لها ورغبته فيها وغيرته عليها . فعرض لها مرارا ، وتودد إليها تكرارا ، فتأبت عليه ، وصعرت له خدها ، ومشت فى طريقها من دونه مرحا . والدل ملء إهابها ، والزهو فى جلبابها ...

التهبت نفس « شميس » حنقا عليها ، وثارت سميا فى سبيل الانتقام منها . وأيقن بغريزته أن امرأة لعوبا على غرارها ، لا تصفو لزوجها ، وبخاصة لأن زوجها فيه طيبة قلب يأباها الرجل اليقظ . . . ولا بد أن يكون وراء الأكة ما وراءها . ولا بد أن يكون لها خليل ملك عليها قلبها وأسر لبها واختصته بصادق حبها .

ورأى أن « المشالى » أكثر الزوار ورودا إلى دارها ، وأنه حينما يفد إلى الدار تتبدى بها حركة غير عادية . كأنما هو ضيف لا كالضيوف ، وزائر لا كالزوار .. فوقع فى نفس «شميس» أنه لا بد من وجود صلة لا تطيب لها النفس الكريمة، ولا تطمئن إليها الضمائر الحية . فشدد عليهما فى الرقابة حتى صدق حدسه ، وحانت له فيهما فرصة . .

فى يوم صفت جواؤه وتكشف سماؤه ، عنت « لغرس الدين خليل » زوج هذه الحسناء ، حاجة ، اضطر فى سبيلها إلى أن يخرج من القاهرة إلى جهة الإمام الليث — رضى الله عنه — فامتطى دابة وأخبر امرأته أنه سيقضى ليلته هناك . ويبدو أن شميسا قد علم بخروج غرس الدين وبالناحية التى خرج إليها . فأثارته الغيرة إلى أن يقصد للعاشقين بالمرصاد

أرسلت الحسناء خلف عشيقها فأسرع إلى اللقاء ، ومعه

ما لذ وطاب من طعام وشراب . وجاء وفى حركته توجس وفى وجهه خيفة ، وفى تلفته ريب ، ويكاد يقول : خذونى . . . واندفع إلى الدار وغلق من خلفه أبوابها . .

اعتلى شميس من فوره ، راحلة عجل بها إلى مكان الزوج ، واعلمه الخبر ، فصمت وامتقع لونه ، وعاد إلى داره فى وحى وعجلة فرأى الجريمة رأى العين .

خار الرجل واضطرب وحار بين زوجة عابثة وصديق غادر . وثار ثورة الانتقام ، وتنبهت فى نفسه حينذاك قسوة جارفة كادت تقضى على المجرمين . . لولا مسكة من طيبة ، وبقية من ضعف . فرأى أن يسلمهما لولاة الأمور ليعاقباهما العقاب المشروع

خجل « المشالى » من صديقه ، وأكب على قدميه يقبلهما ، ويسأله العفو والمغفرة ، وعرض عليه بعض المال يشترى به رضاه وينقذ نفسه من عقوبة لا ريب فيها ، وفضيحة لا فرار منها . . وتقدمت المرأة بنفس محتالة ودموع سيالة وألفاظ ختالة وضعف يستدر العطف ، إلى زوجها تستجديه أن يسترها . . ووهبت له جميع ما فى البيت من المتاع . فأبت نفسه أن تلين لزلتهما . وأشهد عليهما ، وأقفل الباب وذهب إلى حاجب الحجاب . .

كان هناك رجل يكاد يطفر قلبه ويثب شماتة واشتفاء . ذلك هو « شميس » كان يرقب القصة وفصولها عن كثب . فلما ذهب الزوج . حرس هو الباب ومعه عصابة من إخوانه ، حتى وفدت جنود الحاجب فساقوا الجانيين إلى داره . وهناك أمام الحاجب لم يجدا مفرا من الإقرار بجريمتهما . واستقدم الحاجب القاضى « شمس الدين بن وحيش » أحد نواب الشافعية ومن زملاء « نور الدين » فسمع إقرار زميله على نفسه ، وكتب بذلك محضرا موقعا عليه منه

أخذت النخوة حاجب الحجاب ، ورأى أن يعاقب الجانى المعترف ، عقابا ما ، فنزع عنه ثيابه وضربه ضربا مبرحا حتى كاد يهلك . أما المرأة فقد حملت على أكتاف المشاعلية وضربت ضربا موجعا حتى كادت تموت . ثم أركب كل منهما حمارا ، ركوبا معكوسا . وطيف بهما فى شوارع القاهرة وأزقة الصليبية وحارات قناطر السباع . فملأ فضيحتهما أفواه الناس . وأصبحا عبرة للمعتبين ثم أعيدا إلى سجن حاجب الحجاب

إلى هنا كاد الستار يسدل على هذه القصة ، لولا أن حاجب الحجاب فرض على المرأة غرما ماليا مقداره مائة جنيه ليطلق سراحها ، فأنكرت أنها تملك مالا . فطلب الغرم من « غرس الدين » فأبى أن يدفعه . فاقتيدا إلى السجن حتى تؤدى الغرامة . وهنا بدأ الستار يرتفع للمرة الثانية . .

كان للخليل — الزوج — ولد صغير يقرأ بأبواب السلطان فى الدهيشة ، وهو من الصغار المقربين إلى السلطان . . فهاله أن يقبض على أبيه بغير جريرة ، فأنهى الخبر إلى السلطان فى سذاجة . .

هنا اتسع الخرق على الراقع ، وخرجت المسألة إلى نطاقها الواسع . وضخم أمر الجرم فى نظر السلطان ، وهاله الأمر ، وهز فى نفسه أن يجترئ أحد نواب الحكم على اقتراف هذا الجرم . .

جمع السلطان قضاة الشرع الأربعة ، وقرعهم تقريعا جارحا . وهو يقول : هنيئا لكم يا قضاة الشرع ، تمالئتم فى البناء وأغرتكم زخارف الدنيا . وأصبحتم وديدنكم الزهو والفخار . ونوابكم منهم من يشرب الخمر ، ومن يقترف الزنا ، ومن يبيع الوقف ، ولا يخشى الله . .

ثم عرض المحضر الذى كتبه القاضى «شمس الدين بن وحيش» وطلب إلى هذا القاضى إبداء رأيه فى الموضوع . فحكم بالرجم ... فوقع هذا الحكم من نفس السلطان موقع الرضا والقبول . وطلب من (ابن وحيش) أن يصدق على هذا الحكم حتى يأمر بتنفيذه . فتوقف (ابن وحيش) عن التصديق ، منتظرا أن يجيزه به قاضى قضاة الشافعية . فأجازه القاضى — وهو كمال الدين ابن الطويل — وهيئ الحكم للتنفيذ

شغل السلطان بعد ذلك بأمر الحجاج وخروج المحمل ، فأمر بإيداع المجرمين فى السجن حتى يتفرغ لهما ، ويعذبهما بجرمهما عذابا يكتب فى تاريخ عدالته . . وهنا بدأ الفصل الثالث من فصول هذه الرواية

كان (المشالى) صديق حميم وخل وفى كريم ، من نواب الشافعية ، دفعته الصداقة ومقتضياتها ، والزمالة ودواعيها إلى إنقاذ زميله من موت محقق وعقاب منكر ، واخذ يستجدى ذكاءه وحيلته، حتى ابتكر مخرجا شرعيا بارعا، يرجم به هذا الأثيم .. ذلك الصديق هو القاضى شمس الدين الزنكلونى

ذلك أن الزانى المعترف على نفسه يحد ويرجم . فإذا رجع عن اعترافه قبل الرجم ، لا يرجم لقيام شبهة فى الجريمة وهي جريمة زنا ، والحدود تدرأ بالشبهات

أوعز (الزنكلونى) إلى صديقه (الشالى) أن يرجع عن اعترافه، فرجع .. وسطر الزنكلونى سؤالا بهذا المعنى يستفتى فيه العلماء فى حق الزانى فى الرجوع عن اعترافه، وسقوط حده تبعا لذلك ودار بهذا السؤال على أبوابهم، فأفتى له برهان الدين أبي شريف القدسى — وهو قاضى قضاة الشافعية السابق — بجواز ذلك. ثم أفتى له جماعة من العلماء آخرون

وبلغ أمر الفتوى مسامع السلطان، فاهتاج وركبه الغيظ والحنق، وثار مرجل غضبه. وجمع توا مجلسا علميا حاشدا، فيه قضاة الشرع الأربعة والقضاة المنفصلون من القضاء، وعدد من جلة علماء العصر وبينهم القاضى الأجل الشيخ زكريا الأنصارى، والقاضى ابن أبي شريف

عرض السلطان عليهم تفاصيل المسألة. وأنكر عليهم إنكارا شديدا أن يضبط نائب من نوابهم فى فراش زميله ثم يعترف ويقر بالجريمة، ويكتب اعترافه بخطه ويحكم عليه، ثم يقال بعد ذلك إن له حق الرجوع عن الاعتراف .. فلا يحد. وقال: هذا أمر عجيب وحكم جائر وسبة لا يرضاها رجل عادل

فقال له برهان الدين ابن أبي شريف. (إن هذا حكم الله وشرعه. واليك يامولانا ما قاله السلف فى هذا الوضوع. وطفق يطلعه على المراجع والنقول. فلم يلتفت إليه السلطان، وقال له: أنا ولى الأمر، ولى النظر العام فى ذلك. وأ كيف المسألة حسبما أراه مطابقا للعدل، فقال ابن أبى شريف: نعم! ولكن بما يوافق الشرع الشريف. وإن قلتها تلزمك ديتان عنهما. فحنق عليه السلطان وكاد يبطش به

ثم التفت إلى الشيخ زكريا الأنصارى وهو رأس الشافعية فى ذلك الوقت، فقال له: ما تقول فى هذه المسألة؟ فقال الشيخ زكريا: له حق الرجوع بعد الاعتراف. وإذا رجع سقط عنه الحد. فقال له السلطان وهو مغيظ: أتتحمل جريرة هذه الفتوى؟ فرد عليه قائلا: ومن أنا حتى أتحملها، فليتحملها الإمام الشافعى صاحب المذهب. فقال له السلطان: إنك رجل قد كبرت وشاخ عقلك، وأصبحت لا تصلح للفتوى

ثم التفت السلطان إلى الشيخ نور الدين المحلى يسأله عن رأيه فرد عليه قائلا: إن ما يقوله لك يا مولانا مشايخ الإسلام، هو نص ما قاله الإمام الشافعى وغيره من علماء الأمة

فقال السلطان نرجو أن نرزأ بمثل هذه الحادثة فى بيتك ..

فوجم الشيخ وقال: عافانا الله من ذلك

وأخذ السلطان يتفرس وجوه قضاته وعلمائه واحدا واحدا، لعله يجد فى وجه واحد منهم من الاشارات ما يريحه ويرضيه.. ولكنه وجدهم جميعا على قلب رجل واحد؛ فصاح فيهم حانقا، وتنور غيظه يفور، وطردهم من مجلسه شر طردة؛ وهنا يبدأ الدور الرابع من هذه الرواية

لم يستجب السلطان الغورى لنير ضميره، وغير صوت العدالة التى رآها. فبدأ بعزل الدميرى قاضى قضاة المالكية. وحرم ابن أبي شريف من مشيخة مدرسة السلطان ونفاه إلى القدس. أما قاضى قضاة الحنفية عبد البر بن الشحنه، الذى كان من السلطان بمنزلة جعفر البرمكى من هرون الرشيد، فقد كاد يبطش به، ولفظه من صحبته.. ثم أقال القضاة جميعا من مناصبهم. وقبض على القاضى شمس الدين الزنكلونى، مبتدع الفتوى، وقال له: «فليبطل حكمى، وليقض بحكمك» وأمر ببطحه بين يديه أرضا فضرب بحوالف عصا. وضرب ولداه كذلك نحو ستمائة عصا؛ إذ كانا يسميان فيما يسمى إليه أبوهما. ونقام السلطان، فخرجوا هائمين على دوابهم، والدماء تسيل من أبدانهم.. ثم أشيع أن الزنكلونى مات من هول ما أصيب به

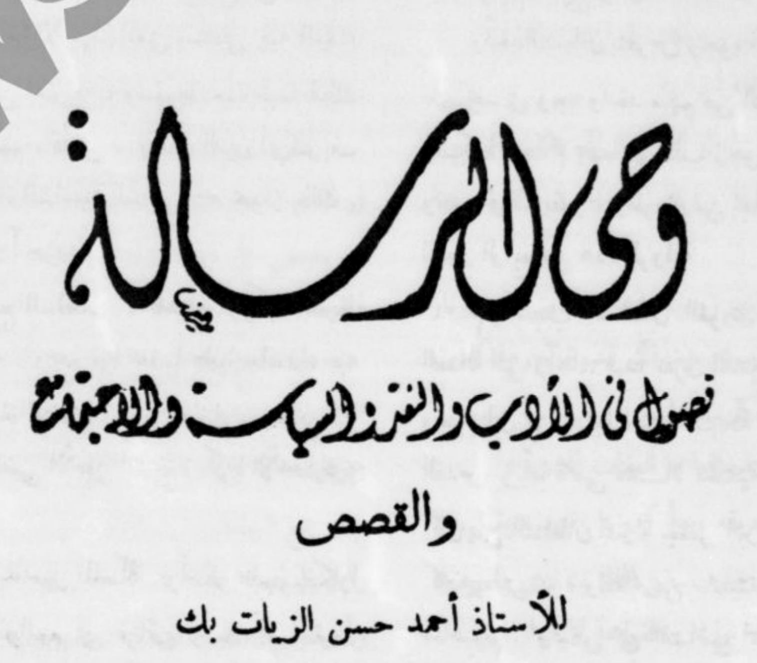
واشتد حنق السلطان على الفقهاء، حتى أمر والى القاهرة بأن يقبض على كل من رآه منهم سكران، ورصد له خلعة سنية وفرسا مسرجا جائزة له إذا قبض على واحد منهم. وحرم على المباشرين المتعممين أن يدخلوا عليه فكانوا يحتالون على ذلك، بلبس مخافيف الجراكسة

أما المذنبان فقد أمر السلطان بشنقهما على باب بيت القاضى ابن أبي شريف مبالغة فى النكاية به. فلما نصبت المشنقة على بابه — وكان منفيا — ظن أبناؤه وأسرته أنه هو الذى سيشنق فأعولوا واشتد بكاؤهم عليه

اجتمع الناس فى ذلك الصباح الباكر، وجيء بالرجل والمرأة ووضعا معا وجها لوجه، وشنقا بحبل واحد.. وارخى الستار

انتهى شهاب الدين الشاعر من قصته، وإخوانه بين معجب به ومعجب بالسلطان، وبين ناقم عليه أومتحير فى أمره. وكانت هذه القصة محورا لأحاديث طريفة دارت كئوسها بينهم حوارا وجدلا، حتى أعوا سمرهم، وحان موعد انصرافهم، فانصرفوا — كعادتهم — على ميعاد

محمود رزق سليم



والقصص

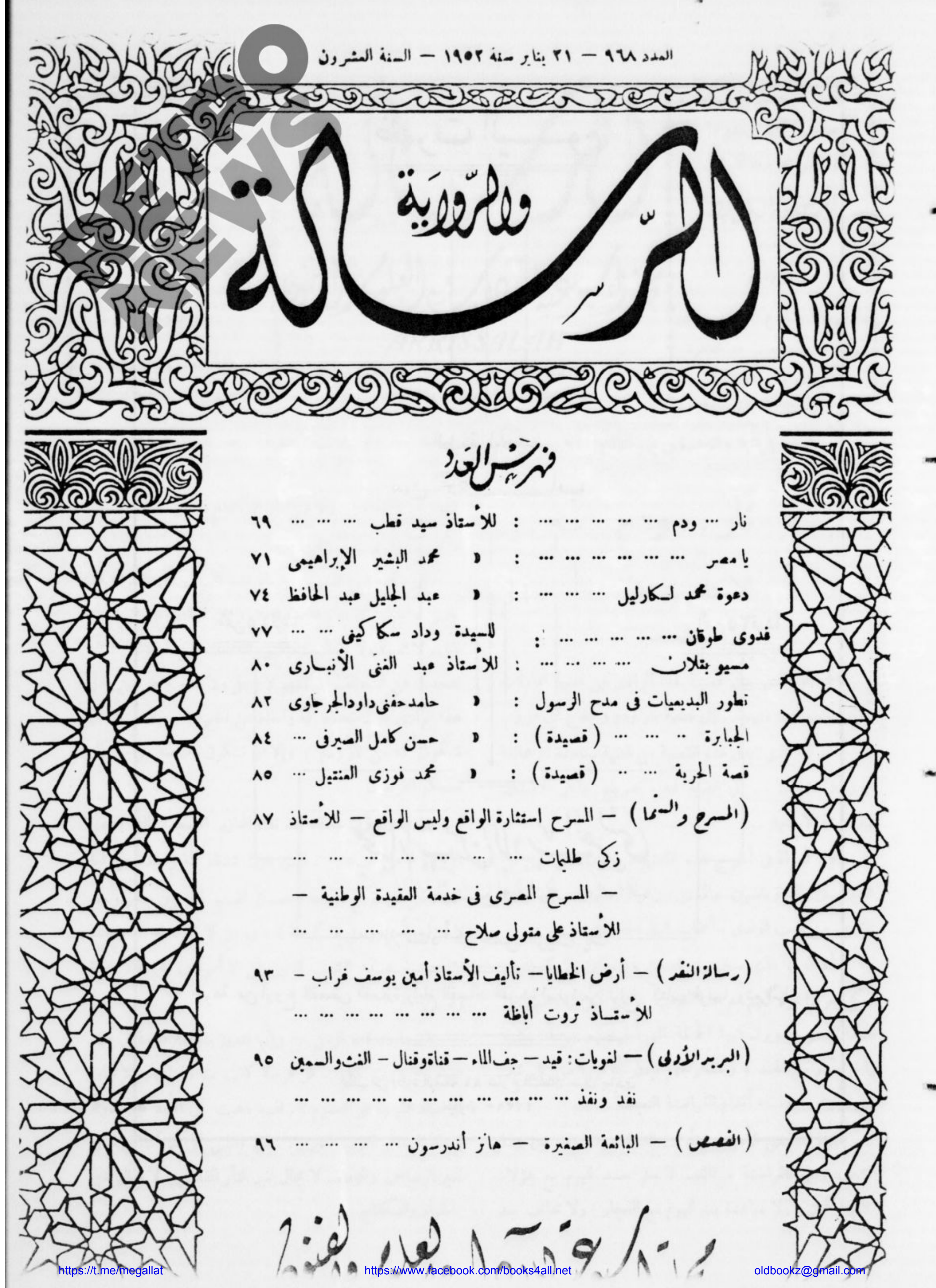
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

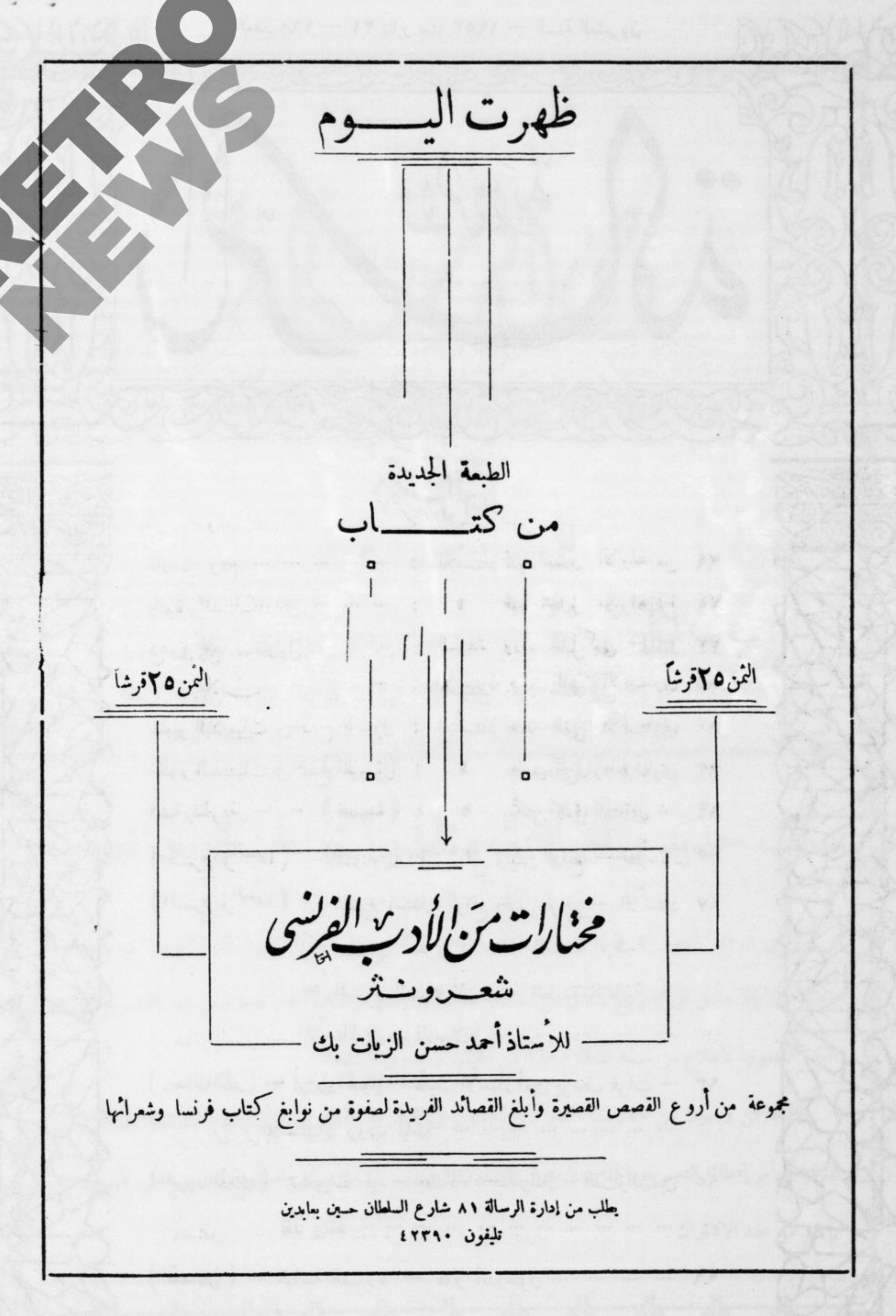


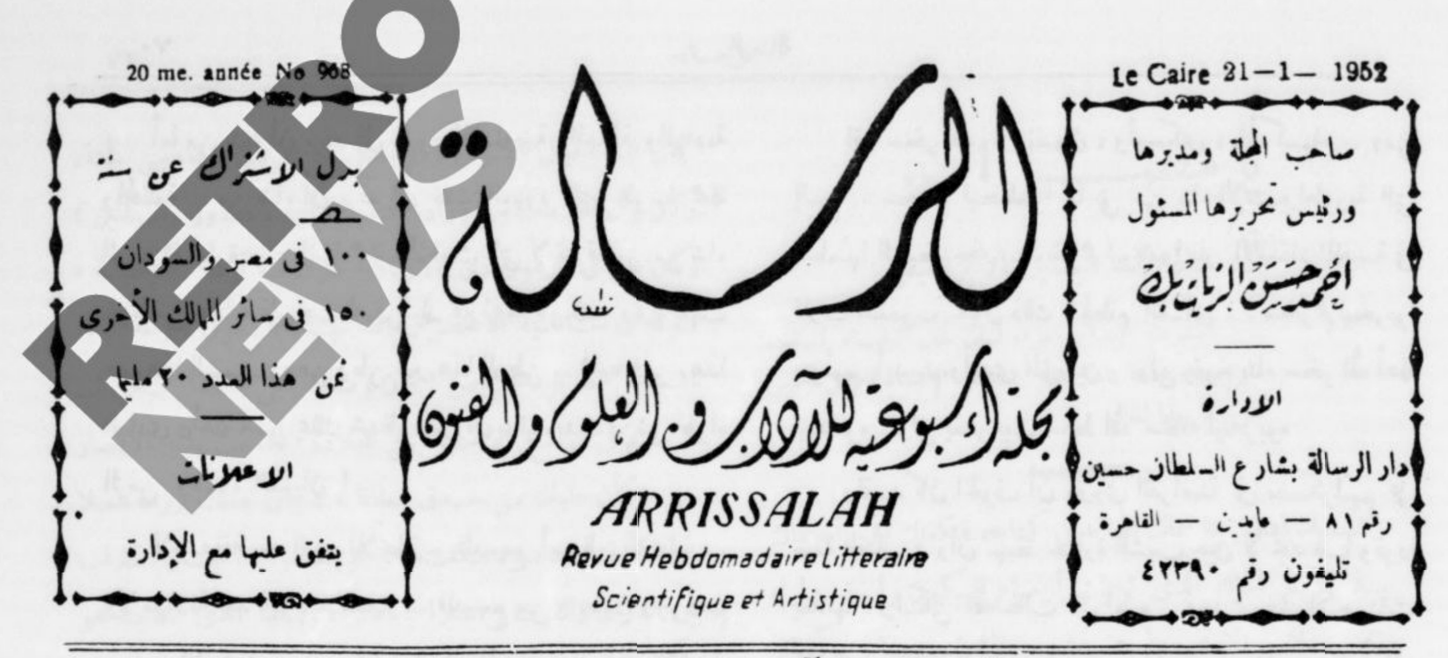


العدد ٩٦٨ — ٢١ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد


ظهرت اليـــوم
الطبعة الجديدة
من كتـــــاب
الثمن ٢٥ قرشاً
الثمن ٢٥ قرشاً
مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها
يطلب من إدارة الرسالة ٨١ شارع السلطان حسين بعابدين
تليفون ٤٢٣٩٠


20 me. année No 968
Le Caire 21—1— 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
عن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٨ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢١ يناير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

نار .. ودم

للأستاذ سيد قطب

الحمد لله الذي بدل قضية هذا الوادي من قضية محادثات ومفاوضات ذليلة مهينة .. إلى قضية نار ودم وكفاح أبي عزيز ..

الحمد لله الذي بدل هذه القضية من قضية معاهدة أو محالفة أو دفاع مشترك .. إلى قضية عداء صريح جاهر للاستعمار وقراصنة الاستعمار ..

الحمد لله الذي أخرج هذه القضية من أيدي نفر قليل من السياسيين والدبلوماسيين والمستوزرين والرأسماليين .. إلى أيدي الملايين من شعب الوادي ، أصحاب البلاد الحقيقيين !

الحمد لله ، الذي سخر روبرتسون وإرسكين وأكسهام ، لكي يحرقوا مراكبهم مع هذا الشعب ، ويركبوا رءوسهم على هذا النحو ، ويرتكبوا الحماقة التي أخرجتهم من أمريكا ، وأخرجتهم من الهند ، وستخرجهم بإذن الله قريبا من كل شبر من الأرض ، دنسته أقدام القراصنة النجسة ..

اليوم قد قضى الأمر ، وتأرثت الثارات والأحقاد بين هذا الشعب وبين القراصنة ، فاللهم لا سلم بعد اليوم مع هؤلاء السفاكين : ولا معاهدة بعد اليوم مع الفجار ، ولا تحالف بعد اليوم مع الأعداء .. ولا شيء إلا الكفاح الدامي ، وإلا الدماء والنار ، بيننا وبين الأوغاد

اليوم قد قضى الأمر ، وقطع الدم المهراق كل قنطرة وكل جسر ، يمكن أن تقام عليه صلة ما ، بين الوادي وجلاديه .. فاللهم لا همسة ولا نأمة بعد اليوم تتحدث عن الصداقة ، أو تتحدث عن التحالف . اللهم لا رجل ولا شبه رجل من أهل هذا الوادي يلوك شدقاه كلمة واحدة عن الجبهة الغربية ، إلا أن تكون كلمة من نار ودم ، وإلا أن تكون رصاصة موجهة إلى معسكر القرصان

إن الذي يلوك شدقاه بعد تلك المجازر الهمجية التي يقيمها الأوغاد لأهل البلاد .. الذي يلوك شدقاه كلمة واحدة عن أية صلة ، من أي نوع ، تربطنا بمعسكر الهمج الغربيين ، لهو رجل لا عرض له ، ورجل لا كرامة له ، ورجل لا نخوة له .. وحاشا أن يستمع هذا الشعب النبيل لمن لا أعراض لهم ولا نخوة ولا كرامة

لقد دارت عجلة الزمن — وإنها لتدور سريعة عنيفة في هذه الأيام — دارت فطوت كل فرصة كانت متاحة لعباد الإنجليز أو لعباد الغرب على العموم .. لقد ذهبت إلى الأبد كل محاولة لربطنا بمعسكر الغرب المتبربر .. لقد انتهى كل شيء ، فلا مجال لغير الرصاص والدماء . لا مجال لغير الثأر المقدس ، لا مجال لغير الجهاد والكفاح

أما من شاء أن يرتد إلى عهود المفاوضة والمسالمة والمهادنة والمحالفة .. من شاء أن يرتد إلى تلك العهود التى طوتها عجلة الزمن السيارة . وفاتتها عجلة الحوادث التى لا تتوقف .. من شاء شيئا من هذا ، فليبحث له عن بلد غير هذا البلد ، وعن شعب غير هذا الشعب ، وعن وطن غير هذا الوطن .. فما عاد من هذا الوادى وأهله ، من يملك شدقاه الدوران ، ليتحدث عن شيء طواه الزمن وغشاه النسيان !

لا صداقة بعد اليوم للانجليز .. فليسمع أصدقاء الانجليز .. ولا مهادنة بعد اليوم للاستعمار .. فليسمع من يربطون وجودهم بوجود الاستعمار .. مجرد الحديث عن الهدنة بيننا وبين الانجليز جريمة . مجرد التفكير فى أن يضمنا ويضمهم معسكر واحد خيانة . مجرد المحاولة لإطفاء النار المؤججة بيننا وبينهم طعنة من الخلف للفدائيين والشهداء الأبرار

فليخرج الانجليز من بلادنا ، وليخرج معهم كل من لا تعجبه هذه الحالة . ليرحل عن هذا الوطن كل من يفكر فى عقد صلة بيننا وبين الانجليز من جديد .. إن الشعب سيسقط اعتبار كل من يرفع رأسه ويحرك شدقه ليقول فى هذا كلمة واحدة . ان الشعب سيسحق هذه المخلوقات الشائهة الذليلة ، والتى لا يثير نخوتها عرض يهتك ، أو دم يهرق ، أو جريمة شنعاء ، مما يرتكبه القراصنة كل يوم فى ضفة القنال .

ولا يحسبن أحد أنه أقوى من هذا الشعب ، ولا أكبر من هذا الشعب ، ولا أرفع من هذا الشعب ، ولا أعلى من هذا الشعب . ولا يحسبن أحد أنه من الدهاء بحيث يخدع هذا الشعب عن أهدافه الواضحة المرسومة ، ولا أنه من الحيلة بحيث يصرف هذا الشعب عن ثاراته المقدسة ، ولا من القوى بحيث يقف فى وجه التيار .

إن الغرور وحده هو الذى يصور لفرد أو عشرات من الأفراد أو مئات .. أنهم قادرون على أن يحولوا الدماء ماء ، والنار بردا وسلاما ، وعلى أن يصلوا مرة أخرى بين الشعب وجلاديه ، وعلى أن ينسوا هذا الشعب دماء أبنائه الأطهار ، وقد كاد أن يكون فى كل بيت ثأر ، وفى كل قلب جرح .. هيهات هيهات ! لقد فات الأوان !

لقد سخر الله روبرتسون ، وأرسكين ، وأكسهام .. ومن إليهم .. سخرهم ليحطموا ما بقى من بناء الإمبراطورية التى حطمتها الشيخوخة . . سخرهم ليوقدوا نار الأحقاد المقدسة فى قلوب الشعوب حول ذلك الحطام الفانى . . سخرهم ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين . ولن يقوم بناء سخر الله أهله ليهدموه . ولن يعمر بيت ساط الله سكانه ليخربوه

ولقد كان الخوف أن يتروى القراصنة فى معسكراتهم على ضفة القنال ؛ وأن تهبط حرارة الشعب حين لا تجد لها وقودا يغذيها ؛ ولكن الله غالب على أمره . وها هى ذى الأحداث تجبرهم إجبارا على الخروج من صياصيهم المحصنة . وها هم أولاء يوسعون نطاق القرصنة ، ويوسعون دائرة الجريمة . ها هم أولاء يصلون إلى التل الكبير . وغدا يسوقهم الله بأقدامهم إلى الجزرة حين ينتشرون فى أراضى الشرقية الواسعة ، ويقعون فى فخاخ الفدائيين على مساحات واسعة . . فاللهم سقهم إلينا بأقدامهم . اللهم زدهم حماقة على حماقة ! اللهم هيئ للفخاخ المنصوبة صيدا من أعدائك وأعداء الإنسانية ، وأعداء هذا الوادى . . !

...

وبعد فهنالك كلمة أخرى .. ومن كان له أذنان للسمع فليسمع . لقد خاض الشعب معركة التحرير وحده حتى اليوم . خاضها بالدماء والأرواح . وإن زهرة أبنائه ليتساقطون فى ميدان الشرف غير هيابين . . فما هو دور السادة يا ترى ؟ أجل ما هو دور السادة الذين يكدح هذا الشعب كله لهم ، وينفق عصارة قلبه ودمه ليخرج لهم من الأرض ذهبا وفضة !

إن الشعب لا يطلب من أولئك المترفين المترهلين السادرين فى لذائذهم أن يؤدوا ضريبة الدم لهذا الوادى كما يؤديها الكادحون الذين لا يملكون فى هذا الوادى شيئا ! إنه لا يطلب إليهم أن يضحوا بدمائهم الغالية ! ولا أن يموتوا كما يموت الشهداء !

كلا ! كلا ! إن الأمر لأهون من هذا بكثير . إن هذا الشعب الطيب القلب ، المتواضع القانع . . لا يطلب إلى السادة إلا ضريبة المال . لا يطلب إلا أن يساهموا بتزويد الفدائيين

يا مصــــر ! ..

للأستاذ محمد البشير الابراهيمى

أصدرت البصائر الغراء لسان حال العلماء المسلمين الجزائريين عددا خاصا بمصر افتتحه الأستاذ الجليل رئيس تحريرها بهذا المقال

نسميك يامصر بما سماك الله به فى كتابه، فيكفاك فخرا أنه سماك بهـذا الاسم الخالد الذى تبدلت أوضاع الـكون ولم يتبـدل ، وتغيرت ملامح الأرض ولم يتغير ؛ وحسبك تيهـــا على أقطار الأرض أنه سماك ووصفها ، فقال فى فلسطين: « الأرض المقدسة » و « القرى التى باركنا فيها » وقال فى أرض سبأ : « بلدة طيبة » ولم يسم إلا الطور وهو جبل ، ومكة وهى مدينة، ويثرب وهى قرية. فتيهى واخرى بهذه الملاءة التى كساكيها الله، وخذى منها الفأل على أنك منه بعين عناية لا تنام ، وبذمة رعاية لا تخفر ، وبجوار أمن لا يخزى جاره . .

* * *

نأسى لك — يا مصر — أن أنزلتك الأقدار بهـذه المنزلة التى جلبت لك البلاء ، وجرت عليك الشقاء ؛ وأن حبتك هذا الجمال الذى جذب إليك خطـاب السوء من الأقوياء الطامحين ، والقواد الفاتحين ؛ وأن أجرى فيك هـذا الوادى العذب الذى

كان فتنة الخيال البشرى ، فلم يقنع لمائه إلا بأن ينبطه من الجنة، وكان وثن القـدماء من ورائه فتقربوا إليه بالنـذور والقرابين ؛ وكان طغوى فرعون ذى الأوتاد ، فحرك فيه نزعة الألوهيـة ، فتوهم أن شـاطئيه الأخضرين هما نهـاية الـكون ، وأنه كفاء لملك الله الطويل العريض ؛ وأن وضعك من هـذا الـكوكب الأرضى فى موضع الواسطة من القلادة ، فتعلقت بك الأبصار حتى « كأن عليك من حـدق نطاقا » ؛ وأن جعلك برزخا فاصلا بين الشرق والغرب ، فكنت — على الدهر — مجـال احتراب بين الشرق والغرب . فصبرا يا مصر ، فهـذا الذى تعانينه هو مغارم الجمال والشرف والسلطة

* * *

سموك « عروس الشرق » فكأنما أغروا بك الخطـاب ، وهجهجوا فيك لآسـاد الغلاب . ووسموك « بمنارة الشرق » ملفتوا إليك الأعـين الخزر ، ولووا نحوك الأعناق الغلب ؛ ولو دعوك « لبؤة الشرق » لأثاروا — بهذا الاسم — فى النفوس معانى رهيبة ، منها دق الأعناق وقصم الظهور وتزييل الأعضاء . وقديما سموا بغداد « دار السلام » فجنوا عليها وكأنما دلوا عليها المغيرين ؛ ولو سموها دار الحرب لأوحى الاسم وحده ما تنخلع منه قلوب الطامعين ، وتخنس له عزائمهم ، وتنكسر لتصوره الجيوش اللجبة . فنفرا — يامصر — فما هذه الأسماء إلا من هيام الشعراء

* * *

وما زلت — منذ كنت — مهوى أفئدة العظماء الفاتحين ، فأخذوك اقتســارا وصلحا ، وحازوك طوعا وكرها ، وما منهم إلا من مهرك المهر الغالى ، وساق إليك الثمين المدخر ، بما خلد فيك من آثاره ، وبما خلف فيك من سمات قومـه ومعانيهم : حازك الاسكندر فخلد فيك الاسكندرية ، وملـكك قمبيز فخلف فيك شيات من فخار فارس وخيلائها ، وحل فيك بطليموس فخلف فيك أثارة من حكمة يونان ؛ وداعبك قياصرة الرومان فخلفوا فيك أثرا من عظمـة الرومان ؛ وفتحك عمرو فمهرك بيان العرب كله ، وهداية الإسلام كلها . ففخرا — يامصر — فهذه المخايل اللائحة على صفحاتك هى بقايا مهورك الغالية . وإن أثمنها قيمة — وحقك — وأثبتها أثرا ، وأبقاها بقاء ، وأشبهها

بالسلاح والمال . لا يطلب إلا قسطا ممــا ينفق على موائد الخمر وسهرات الليل ، وما يراق على أقدام الغوانى من ثراء !

وما يمكن أن يمضى الشعب فى كفاحه ، وأن يريق فى كل يوم دماءه وأرواحه ، وهؤلاء السادة سادرون فيما هم فيه !

إن لـكل شيئا حدا . ومحال أن تسير الأمور على هذا النحو بلا نهاية . . فهى النصيحة الخالصة إذن نزجيها ، قبل فوات الأوان !

إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد

سيد قطب

بشمائلك - لمهر عمرو ... فما زلت منذ تفيأت ظل الإسلام الظليل تجدين منه فى كل داجية نجما، ووراء كل داجية فجرا. وما زلت كلما شكوت ضرا فى دينك يخف إليك من يكشفه؛ وكلما شكوت شرا فى دنياك يخف إليك من يدفعه

خف إليك «جوهر» حين لحقتك علامة التأنث، وتقلب على فراشك المبيد. وخف إليك «صلاح الدين» حين امتهن فيك الدين. وخف إليك «سليم» حين لعبت بك أهواء المماليك. وخف إليك «على» حين تحكم فيك الصمانيك: تأخروا بركبك عن زمانك، فألحقك بزمنك، وبالقوافل السائرة من بنى زمنك، وأرادلك أن يكون محلك من الغرب أماما، وأن تكونى من الشرق أما وأمة وإماما، فما عابوك، ولكنهم هابوك، فنصبوا لك فى كل حفرة عاثورا، ووضعوا لك فى كل فج فخا، وأجمعوا على أن لا تكون لك جارية فى بحر، ولا سارية فى بر، فمن بعض ذلك كل ما تعانين

لئن كانت أزماتك فى التاريخ كثيرة، فكلهـا إلى انفراج عاجل. ومن المؤلم أن تطول بك المحنة فى هذه الدورة من أدوار الفلك، وأن تبتلى بخصم لئيم الخصومة والكيد، يمدهما زمنه بالقوة والأيد، وأن يستحل حرماتك غاصب غريب لا تجمعك به نسبة الشرق، ولا يلتقى منكما - إلى آدم - عرق بعرق، فيجعل منك أداة لكيده، وجارحة لصيده، ومطية للصوصيته، وطريقا لمظالمه وظلامه ... فلو أن المسالك، تشترك فى الاجرام مع السالك - لكان لك شرك فى كل ما حمل الاعجاز من أوزار، ولحملك العدل كفلا من مآثمهم فى الشرقيين ... إذ لولا قناتك ما ثبتت له على أديم الشرق قدم. فليتك تمامرت بالأمس فى حفر هذه القناة! أو ليتك تصنعين بها اليوم ما صنع العرب بعناة، فتوسعين هذه ردما، كما أوسعوا تلك هدما ... حتى إذا ملكت أمرك حفرت ما يرويك، لا مالا يرديك. وما فضل ماء استنبطته يداك، لينتفع به عداك؟ وما ذاد الأباة عن الحياض إلا لتكون لهم وردا

* * *

لا توحشنك غربة ... إن مئات الملايين من القلوب رفافة على جنباتك، حائمة على مواردك، هائمة بحبك، تقطع الآنات فى التفكير فيك، ولا تقطع الآنات من الامتعاض لك. وإن مئات الملايين من الألسنة رطبة بذكرك، متحركة بحمدك، ناطقة بفضلك، متغنية بمحاسنك. وإن هذا لرأس مال عظيم، لم تظافر به قبلك يدان ...

أنت اليوم مثابة العروبة، فى تراك حبى بيانهـا، وبسقت أفنانها؛ وفى رياضك تفتحت أزهارها، وغردت بلابلها. فنى ذمة كل عربى حر الدم لك دين واجب الوفاء، وهذا أجل الوفاء

وأنت اليوم قبلة المسلمين، يولون وجوههم إليك كلما حزبهم أمر، أو حلت بهم معضلة، وينفرون إلى معاهدك، يمتارون العلم منهـا، وإلى كتبك يصححون الفكر والرأى عنها، وإلى علمائك يتلقون الفتيا الفاصلة بين الدين والدنيا عنهم. فلك - بذلك - على كل مسلم حق، وهذا أوان الحاجة إليه

وأنت اليوم مأزر الإسلام، فكلما سيم الهوان فى قطر، أو رماه زنديق بنقيصة، فزع إليك واستجارك، يلتمس الغوث، ويستمد الدفاع. فلك على المسلمين فى المشارق والمغارب فضل الحماية لدينهم، وعليهم أن يطيروا خفافا وثقالا لنصرتك، ثم لا منة لهم عليك ولا جميل

وكيف بك - مع هذا - لو كنت مظهرا للاسلام الصحيح، ولمثله العليا فى العقائد والأعمال والأحكام؟ - إذن لكنت قدوة فى إحياء سنته التى أماتتها البدع، وفى إقامة أعلامه التى طمستها الجهالات، وفى بعث آدابه التى غطت عليها سخافات الغرب، وفى نشر هدايته التى طوتها الضلالات؛ وإذن لحييت وأحييت. ومن الغريب أنك قادرة على تغيير ما بك من عهد الأدران ثم لم تفعلى؛ وأنك قادرة على إعادة الإسلام إلى رسومه الأولى ثم لم تفعلى. ويمينا برة لو فعلت لما حل بك ما حل. ولو فعلت لقدت المسلمين بزمام، ولكنت - بهم - للعالم كله إماما أى إمام

وسبحان من قسم الحظوظ بين الجماعات فأعطى كل جماعة حظا لا تعدوه، وفرق الخصائص على البقاع فخص كل بقعة بسر لا يعدوها، فما زلنا نستجلى من صنع الله لك وللاسلام لطيفة سماوية، وهى أنه كلما رثت جدة الإسلام، وخالطته المحدثات، سطع فى أفق من آفاقه نجم يهدى السارين إلى سوائه، وارتفع صوت بالدعوة إلى أصول هدايته، ثم لا يلبث ذلك النجم أن

يخبو ، وذلك الصوت أن يخفت ؛ إلا نجما طلع فى أفقك، وصوتا ارتفع فى أرجائك . وقد ارتفعت أصوات بالإصلاح الدينى فى أقطار الإسلام ، وفى حقب معروفة من تاريخه ، فضاعت بين ضجيج المبطلين ، وعجيج الضالين ، إلا صوت « محمد عبده » فانه اخترق الحدود وكسر السدود

عهدك التاريخ صخرة من ممدن الحق ، تنكسر عليها أمواج الباطل ، فكونى أصلب مما كنت ، وأرسخ قواعد مما كنت ، تنحسر الأمواج وأنت أنت

أقدمت فصممى .. وبدأت فتممى ... وحذار من التراجع ، فان أسمه الصحيح «هزيمة» . وحذار من التردد، فانه سوس الهزيمة

إنك فائزة هذه المرة بأقصى المطلوب، لأنك أردت فصممت، وانما يمين الله من مخلوقاته المصممين . وإذا كان المطلوب حقا ، وكان الطلب عدلا ، فأ كبر الأعوان على نيله التصميم ، فصممى ثم صممى

إن قلبى يحدثنى حديثا كأنما استقاه من عين اليقين ، وهو أنك فائزة منتصرة ظافرة فى هذه المعركة ، لأنك استعملت فيها سلاحا كنت تنشدينه فلا تجدينه ، وهو الإرادة يحدوها التصميم، يمدها الإيمان بالحق ، يربط ثلاثتهما الاجماع على الحق

إنك فائزة فى هذا اليوم بالأمنية التى عملت لها قرونا ، وإن فوزك فوز للعرب وللاسلام وللشرق . فيا ويح دعاة الوطنيات الضعيفة المحدودة ، إذا أقدم الأبطال نكصوا ، وإذا زاد الناس نقصوا . ويحهم ، إن المستعمر سارق ، وإن السارق الحاذق لا يسرق إلا فى الظلمة أو فى الغفلة ، فإذا انحسر الظلام ، أو انقشعت الغفلة ولى مدبرا بالخيبة والخسارة ، وإن مصر لفى فجر صادق ، وإنها لفى يقظة صاحية ، فأى موضع يسع السارق فيها ؟

صممى ، وأقدمى ؛ ولا تخدعنك وعد ، ولا يزعجنك وعيد ، ولا تلهينك المفاوضات والمخابرات ، فكلها تضييع للوقت ، وإطالة للذل . ولقد جربت ولدغت من حجر واحد مرارا

ان الخصوم — كما علمت — لئام ، فاقطعى عنهم الماء والطعام . وإن اللؤم والجبن توأمان منذ طبع الله الطباع ، فحركى فى وجوههم تلك القوى الكامنة فى بنيك يرتدعوا

صممى وقولى للمتعاقلين الذين يعذلونك على الإقدام : «وأضيع شىء ما تقول العواذل »

انثرى كنانتك — يا كنانة الله — فإن لم تجدى فيها سلاح الحديد والنار فلا تراعى . واحرصى على أن تجدى فيها السلاح الذى يفل الحديد وهو العزائم ، والسادة التى تطفئ النار وهى اتحاد الصفوف ، والسن الذى يشحذ هذين وهو العفة والصبر . فلعمرك — يا مصر — إنهم لم يقاتلوك بالحديد والنار ، إلا ساعة من نهار ؛ ولكنهم قاتلوك فى الزمن كله بالأستاذ الذى يفسد الفكر ، وبالكتاب الذى يزرع الشك ، وبالعلم الذى يمرض اليقين ، وبالصحيفة التى تنشر الرذيلة ، وبالقلم الذى يزين الفاحشة ، وبالبغى التى تخرب البيت ، وبالحشيش الذى يهدم الصحة ، وبالممثلة التى تمثل الفجور ، وبالراقصة التى تغرى بالتخنث ، وبالهازل التى تقتل الجد والشهامة ، وبالخمر التى تذهب بالدين والبدن والعقل والمال ، وبالشهوات التى تفسد الرجولة ، وبالكماليات التى تثقل الحياة ، وبالعادات التى تناقض فطرة الله ، وبالمعانى الكافرة التى تطرد المعانى المؤمنة من القلوب . فإن شئت أن تذيبى هذه الأسلحة كلها فى أيدى أصحابها فما أمرك إلا واحدة ، وهى أن تقولى : إنى مسلمة ... ثم تصومى عن هذه المطاعم الخبيثة كلها ... إن القوم تجار سوء ، فقاطعيهم تنتصرى عليهم ... وقابلى أسلحتهم كلها بسلاح واحد وهو التعفف عن هذه الأسلحة كلها ... فإذا أيقنوا أنك لا حاجة لك بهم ، أيقنوا أنهم لا حاجة لهم فيك ، وانصرفوا .. وماذا يصنع « المرابى » فى بلدة لا يجد فيها من يتعامل معه بالربا ؟

نعمة من الله عليك أن امتحنك بهذه المحنة ، وأنت فى مفترق الطرق . ولو تأخرت المحنة قليلا لخشينا أن تسلكى أضل السبل

فرصة من فرص الدهر ، هيأها لك القدر للرجوع إلى هدى محمد ، ومحامد العرب ، وروحانية الشرق . فإن انتهزتها محوت آية الغرب ، وجعلت آية الشرق مبصرة

ويا مصر ، نحن وأنت سواء فى طلب الحق ومطاردة غاصبه . ونحن وأنت مستبقون إلى غاية واحدة فى ظلام دامس ؛ ولكنك أصبحت ، فيا بشراك ، ويا بشرانا بك ، ولم نزل نحن فى قطع من الليل ، نرقب الفجر أن يتبلج نوره ، وما الفجر منا ببعيد

محمد البشير الابراهيمى

٢ـ دعوة محمد

لتوماس كارليل
الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الكعبة :

إنها أقدم المعبودات وأشرفها ، فقد ذكر المؤرخ الروماني (سيسلاني) أنها كانت في مدته أشرف المعابد في العالم وأقدمها طرا ، وذلك كان قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من خمسين عاما . وتتكون الكعبة من البناء الذي رفع قواعده ابراهيم واسماعيل ليحج إليه الناس ذاكرين ربهم ، (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

والحجر الأسود الذي يعتقد بعض المؤرخين أنه ربما كان من رجوم السماء ، فإذا صح هذا الاعتقاد ، فلا بد أن يكون قد بصر به أحد وهو نازل من الجو . والبئر زمزم التي تنبع من بين الصخر . وأي منظر ؛ منظر الماء ينبجس من بين الحجر الصخري الأصم كأنه الحياة من الموت ! وقد اشتق لها اسمها (زمزم) من صوت تفجرها وهدير مياهها . ويتفق أكثر المؤرخين على أنها قد تفجرت من تحت أقدام هاجر زوجة إبراهيم وابنها اسماعيل بعد أن أشرفا على الهلاك ، فكانت لهم حياة وشفاء من الله

وقد عظم العرب الكعبة وقدسوا البئر والحجر الأسود منذ آلاف السنين ، إذ كانوا يحجون إليها تقربا إلى الله وعبادة له . وكان من حج القبائل أن انشئت مدينة مكة وسط هضاب مقفرة وتلال من الرمال مجدبة وعلى مسافة من البحر بعيدة ، إذ كان كثير من الحجاج يطلبون المأوى فلا يجدونه ، فأنشأوا هذه المدينة ليأووا إليها زمن الحج ، فكانت تلتقي فيها التجارة من أول يوم يلتقي فيه الحجاج . وعلى مر الأيام وجد جماعة من العرب أنفسهم مجتمعين لأغراض كثيرة تتركز كلها حول الكعبة ، فأنشأوا لهم مساكن حولها وأقاموا متيمنين ببركتها محتمين بحرمتها ، ومن هذا الوقت أصبحت مكة أهم أسواق البلاد العربية بأجمعها والمركز التجاري المهم بين الشام ومصر وبين الهند ، بل بين الشرق والغرب . ولأهميتها في ذلك الوقت بلغ عدد سكانها في بعض الأحيان أكثر من مائة ألف ، بين تجار ومشترين وموردين للبضائع وسكان أصليين . وكان يتولى أمرها جمهورية ارستقراطية عليها سمة (دينية) فقد كان سكانها يختارون لها جماعة من عشرة رجال ، من إحدى القبائل ليكونوا حكامها وحراسا للكعبة وسدنتها ، وكانت هذه لاشك طريقة غير سليمة . وقد انتهى هذا الأمر في أواخر الأيام السابقة لظهور النبي إلى قبيلة قريش التي منها أسرة محمد إذ أنها كانت هي التي تسكن مكة . أما بقية القبائل الأخرى ، فكانت متفرقة في أنحاء الصحراء تفصلها الواحدة عن الأخرى مسافات بعيدة من البيد والقفار ، وكانت كل قبيلة تختار لها أميرا وربما كان هذا الأمير راعيا ، بل وكثيرا ما يكون لا عمل له إلا قطع الطريق والإغارة على القبائل الأخرى المجاورة . وكثيرا ما كانت الحرب تستمر سجالا بين القبائل عدة سنوات ، ولكنهم على رغم تباعدهم وشتات شملهم وما بينهم من عداوة وبغضاء ، كانوا يلتقون حول الكعبة فيجتمعون رغم اختلاف عقائدهم ، على مذهب واحد ، وهو تقديس الكعبة وتعظيمها . على أنه كان هناك شيء يجب علينا ألا ننساه وهو أنه كان بين العرب رابطة قوية ، ألا وهي رابطة الدم واللغة التي تفوق كل الروابط والتي توحد المشاعر وتسهل التفاهم وتثمر بالتقارب

* * *

على هذا المنوال عاش العرب قرونا عديدة خاملي الشأن لا أثر لهم في الحيـــاة ولا ذكر لهم في العالم ؛ فقد وصل بهم الاضمحلال والسقوط ، أن كان يستخدمهم الفرس والرومان في محاربة بعضهم البعض في الدفاع عن مصالح تلك الأمم . غير أنه في أواخر أيامهم حدثت بينهم دواعي اختلاط ، أخذت تربطهم وتقرب بينهم ، ثم أخذت تتسرب إليهم أنباء من أكبر حادثة

وقمت فى ذلك الوقت على وجه البسيطة — وأقصد بها حياة المسيح ودعوته — فأحدثت هذه الدعوة تأثيرا ملموسا فى الأمة العربية وجمعت بين كثير من قبائلها ، وكأنما أراد الله أن يكون هذا العمل إرهاصا للدعوة الكبرى واليوم المشهود الذى ينتظره هؤلاء العرب ليعلو ذكرهم ويرتفع فى الآفاق شأنهم

* * *

ما أعجب أمر الكعبة وأعظم شأنها ! فهى التى جمعت بين شتات العرب ووحدت بين مشاربهم ، وكانت فى هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة الشريفة التى يرسلها لها السلطان كل عام والتى توقد فيها المصابيح فى ليلة الهجرة لتشرف تحت النجوم المشرقة، هى أجل أثر من آثار الماضى وخير ميراث من الغابر

هذه هى الكعبة التى يولى شطرها ملايين عديدة من المسلمين وجوههم من أقاصى الشرق إلى أقاصى الغرب من دلهى إلى مراكش ، كل يوم خمس مرات . تهفو إليها قلوبهم وتشخص أبصارهم . إنها والله لمن أجل مراكز المعمورة وأشرف أركانها

الإسلام :

ما هو الإسلام ؟ كثيرون هم الذين لا يعرفون ما هو الإسلام ، أو يتساءلون مستهزئين هذا السؤال . أما الأولون فهم معذورون وأما الآخرون فهم حاقدون . ولهؤلاء وأولئك أقول

الإسلام هو أن نذعن لأمر الله ونسلم الأمر له ونتوكل عليه ، ونعلم أن القوة كل القوة هى فى الخضوع لحكمه والاستنامة لحكمته والرضا بما قسمه لنا فى الدنيا والآخرة . ومهما يصيبنا من شئ ، فلنعلم أنه من الله ويجب علينا أن نتقبله بنفس راضية ووجه باش ونعلم أنه الخير ولولا ذلك لما اختاره الله لنا . (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقد قال شاعر ألمانيا « جوته » عندما عرف أن هذا هو الإسلام : « إذا كان هذا هو الإسلام وهذه تعاليمه فكلنا إذن مسلمون » نعم هذا قول حق لأن كل من كان شريفا فاضلا كريم الخلق قوى اليقين فهو مسلم . وقد قيل : « إن منتهى العقل والحكمة ليس فى مجرد الأذعان للضرورة ، لأن الضرورة تجعل المرء يخضع لها رغم أنفه ، فلا يكون له فضل فيما يأتيه ، وكيف يكون للانسان فضل فيما يعمله مكرها ؟ ولكن منتهى العقل وعين الحكمة هى اليقين بأن ما ينزل بالإنسان من حوادث الزمن هى الخير له ، وأن لله فى ذلك حكمة تلطف عن أفهامنا نحن البشر وتدق عن عقولنا ، وأنه من الخطل والسخف أن يعتقد الإنسان فى نفسه القوة ويجعل من عقله الضئيل ميزانا للعالم وما يجرى فيه من أعمال ، فيضع الأشياء فى غير مواضعها الحقيقية ، بل يجب عليه أن يعتقد أن للكون قانونا عادلا وإن غاب عن إدراكه وعجز عن فهمه ، وأن الخير هو أساس الكون، والنفع هو روح الوجود، والصلاح لباب الحياة، عليه أن يعرف هذا ويعتقده ويتبعه فى سكون وتقوى حتى لا يضل الطريق إلى الله . وهذا هو الإسلام

* * *

إن الإنسان يكون مصيبا وظافرا ، سائرا على الطريق الأقوم والخطة المثلى والمذهب الأشرف الأطهر ، مادام معتصما بحبل الله متمسكا بقانون الطبيعة الأكبر ، غير مبال بالقوانين الوضعية السطحية والظاهرات الوقتية . إن المؤمن هو الذى يتبع القانون الجوهرى الكبير ، ذلك القانون السماوى الذى يعتبر قطب الرحى ومحور النظام فى الكون

وأول وسيلة يجب على من يريد أن يسير على نهج القانون الأعظم إتباعها ، الاعتقاد بوجوده وبأنه أصلح القوانين للحياة ولا قانون غيره يصلح لتنظيم الكون وقيادة العالم إلى الأمن والسلام مما يضعه البشر لأنهم قاصرون عاجزون . هذا هو جوهر الإسلام وروحه . وهو أيضا كان روح النصرانية من قبل ، يوم أن كان أهلها يعتقدون هذا الاعتقاد

الإسلام والنصرانية دينان سماويان. ويجب علينا أن نفهم أن الأديان السماوية تأمرنا بالتوكل على الله قبل كل شئ وأن نعظمه بقدر عظمة الكون الذى خلقه ، وتبعا لذلك يجب أن نزجر النفس عن الشهوات ونهى القلب عن الهوى والزيغ ، وأن نتعود الصبر على الأذى والأسى وأن نرضى بما قسم الله لنا وكل

ما يأتينا به الله إن هو إلا يد بيضاء من الله علينا ونعمة غراء من نعمه على الكون التي يجب أن نحمدها ونخر له ساجدين شكراً ، نحمده على كل حال ولو كان ضرراً يلحق بنا فقد يكون فيه شفاء لنفوسنا وتطهير لقلوبنا مما بها من الشوائب والأدران (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

علينا أن نعرف موقنين أن عقولنا قاصرة عن معرفة شئ من أسرار هذا الكون الواسع ، وتبارك الله ذو الفضل والجلال ، وما أحرانا أن نقول دائماً : « إننا بقسمة الله راضون ولو كان ما قسم لنا المنون »

* * *

لو تأملنا سرعة انتشار الإسلام ودخوله إلى القلوب وشده امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في العروق ، وتجردنا من عصبيتنا البغيضة ، لتحققنا من أنه خير من النصرانية وأفضل تلك التي كانت منتشرة وقت ظهور الإسلام في كثير من بلاد العالم كالشام واليونان وغيرها ، تلك النصرانية التي كانت تصدع الرأس ويحول بطلانها بين القلوب وبين الحياة الصحيحة ، فقد كانت قلوب معتنقيها قفراً يباباً من المعاني السامية والروحية القوية التي يمتاز بها الإسلام . لقد كان في النصرانية عنصر من الحق ، غير أنه كان ضئيلاً جداً وهذا هو السبب الذي جعل الناس يؤمنون بها ، لأن الناس مهما كانوا فهم يريدون الحق ويسمون إليه ، ولكن ما إن وجد الإسلام حتى أصبحت النصرانية على حالها هذا كالدعي بجانب الأصيل

فقد جاء الإسلام والنصارى فرق وشيع يقيمون أسواق الجدال ، يخطئ كل فريق منهم الآخر بالحجج الجائرة والبراهين المصطنعة الباطلة . فكانوا بهذا يطعنون دينهم بأنفسهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون حباً في شهوة النصر كمن يقال فيهم (يخربون بيوتهم بأيديهم) جاء الإسلام على الملل الباطلة والنحل الكاذبة والعبادات الضالة فسحقها ، وحق له أن يسحقها لأنها باطل وهو حقيقة خارجة من قلب الطبيعة الصادقة . إن الإسلام ما كاد يظهر حتى زالت وثنيات العرب واختفت من الوجود واحترقت جدليات النصرانية وذهب كل ما لم يكن حقاً ، وصار حطباً التهمته نار الإسلام لحولته رماداً ذهب والنار لم تذهب على مر العصور

* * *

نظر محمد ببصره النافذ إلى ما وراء معبودات العرب الكاذبة ومذاهبهم التي لا تقوم على أساس صحيح ، ونظر إلى اليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم وإلى النصرانية وجدلياتها . نظر إلى هذا وغيره بعينه الثاقبة وقلبه البصير الصادق وفكره المتوقد إلى جوهر الأمر وصميمه ، فقال في نفسه : ما هذه الأصنام التي تصقل بالزيت وتدهن فيقع عليها الذباب فلا تستطيع رده ، إنها خشب مسندة لا تضر ولا تنفع ، إنها باطل ومنكر فظيع وإغراق في الكفر بالله خالق الكون ومسيره ، ولكن الحق هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، الذي خلقنا وهو الذي يحيينا ويميتنا ثم يحيينا ، ويطعمنا ويسقينا ، وهو أرأف بنا منا إنه هو الرءوف الرحيم ، الذي خلق لنا ما في الأرض جميعاً لننتفع به ونشهد على أنه هو الواحد القادر الذي يجب أن يعبد ، لا إله غيره

لقد آمن العرب بالإسلام ودخلوا فيه أفواجاً راغبين غير مكرهين ، وإن ديناً آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمسكوه بقلوبهم وعضوا عليه بنواجذهم لجدير بأن يكون حقاً وأن يصدق به لأنه حق لا مراء فيه

لقد اشتمل الإسلام على مبادئ عظيمة وقواعد جليلة ، وإن الشئ الوحيد الذي يجب على الإنسان أن يلحظه في الإسلام ، هو اشتماله على روح الأديان جميعاً ، هذه الروح التي تلبس أثواباً مختلفة وتتشكل بأشكال متعددة ، ولكنها في الحقيقة شئ واحد

وباتباع قواعد الإسلام والتمسك بروحه يصبح الإنسان إماماً كبيراً لهذا المعبد الأكبر (الكون)

على الإنسان إذا أراد الهداية ، أن يسير على قواعد الخالق تابعاً لقوانينه لا يحاول أن يقاومها أو يدافعها أو يعبث بها لأنه سيبوء بالفشل لا محالة لأن الله هو الذي يحفظها « إنا نحن

فدوي طوقان

شاعرة الوجد والحنين

للسيدة وداد سكاكيني

عند كلامي على شاعراتنا المعاصرات تطوف بالخواطر ترانيم شاعرة الإغريق سافو التي أنبتتها لسبوس بلدة الفن والأدب . ولقد كانت حياتها وآثارها نغما شرودا ولحنا غريبا . ويقتحم الفكر بعدها اسم الخنساء الذي شاع في دنيا العرب قديما ، فقد ظهرت هذه النابغة الكريمة شاعرة عز مثلها في الرجال . ولما فجعها الموت في أخيها صخر ، وكان يبرها ويؤثرها بحنانه وإحسانه سكبت دمعها رثاء له وحزنا عليه حتى تركت ديوانها مثل عين فياضة بالدموع

ولست أدرى حين أقرأ الشاعرة المعاصرة فدوى طوقان كيف آخذ لها الوصف من هاتين الشاعرتين المختلفتين طبيعة ومزاجا ، ففي شعرها من الأولى ألحان وتناغم ، ومن الثانية صور اللوعة والفجيعة ، فأعجب لتشابه النصيب والمصيبة

لقد فجر الحزن قريحة الخنساء وحصها فبكت أخاها بشعر يموج فيه النوح والعويل ، وطال وجدها وأساها ، فهي تبكي أخاها وترثيه لطلوع الشمس وغروبها . وكأنما تحرق شعورها واستبدت بها الحرقة فراحت تنفس عنها هذه المراثي النداية التي طبعت شعرها بطابع عرفت به ودل عليها

أما فدوى طوقان الفتاة الحضرية الأصيلة التي تثقفت في بيت عريق المجد والجاه في مدينة نابلس بفلسطين حيث يشرف جبل النار على هذا الحي المنكوب فقد تعهد أدبها وثقافتها أخوها « إبراهيم » ، وإبراهيم كان حلما من أحلام عبقر ، وعلما من أعلام الشباب الوطني رف طيفه وطاف شعره منذ عشرين عاما في آفاق الشام والعراق ، وكان بشرى التجديد والإبداع في الشعر العربي المعاصر ، ولكن سرعان ما غيب الموت هذا الشاعر فأسفت أشد الأسف شقيقته فدوى ، وكانت قد أوتيت مثل أخيها موهبة

نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ولم أجد قط تعريفا للواجب خيرا من هذا

ولا يكون الإنسان مصيبا إلا إذا سار على منهاج الإسلام ، وهو الدين القويم ، لأن الفلاح في اتباعه (إذا كان منهاج الدنيا طريق الفلاح)

* * *

إن من فضائل الإسلام التضحية بالنفس والمال في سبيل الله ، وهذا لا شك أعظم وأشرف ما نزل من السماء على بني البشر في الأرض . إن الإسلام نور الله قد ظهر في روح محمد ذلك الرجل العظيم ، فأنار الدنيا وبدد ظلماتها ، تلك الظلمات التي كانت تنذر بالهلاك والخسران المبين

وقد جاء به من عند الله ملك عظيم سماه (محمد) وحيا ، وقد صدق إذ سماه هذا الإسم ، فمن منا يستطيع أن يسميه اسما آخر ، ألم يجئ في الإنجيل (أن وحى الله يهبنا الفهم والإدراك) ولا شك أن العلم ببواطن الأمور والنفاذ إلى جوهر الأشياء لسر غامض وأمر خطير لا يكاد المنطقيون يلمسون منه إلا قشوره ، وقد قال نوفاليس : أليس الإيمان هو المعجزة الحقة الدالة على الله به . »

إن شعور النبي محمد الذي ضاءت روحه بنور الحقيقة الساطعة ، بأن هذه الحقيقة أهم ما يجب على الناس أن يعلموه ويؤمنوا به ، لم يكن إلا أمرا بديهيا . وما دام الله تعالى قد اختصه بها وكشفها له ونجاه من الضلال والتردى في الباطل فهو مضطر إلى نشرها بين الناس وإظهارها للعالم أجمع ، وهذا كله معنى كلمة « محمد رسول الله » وهذا هو الحق الجلي والصدق المبين وهو روح الإسلام وجوهره

فهل بعد هذا يستطيع المكابرون أن ينكروا فضله ويجحدون مزاياه ثم يقولون ما هو الإسلام

عبد الموجود عبد الحافظ

الشعر فراحت تبكيه وترثيه بقصيد أعاد إلى الخواطر ذكرى الخنساء. وما أكثر ماقالت فدوى فى وجدها ولوعتها وكأنما كان فيه عندليب يبكى عندليبا، فمنه قولها :

واشقيقاه ما أجل مصابى ... كيف أودى الردى بزين الشباب
واشقيقاه مات فى عمر الورد ... غضير الصبى نضير الإهاب
أين منى أخى ؟ فلى الله ما خلاه ... عنى ما عاقه عن جوابى
حر قلبى « لجعفر وغريب »[1] ... وهما يرقبان يوم الإياب
كلما استشعرا إليك حنينا ... هاج فى الصدر من طويل الغياب
هتفا باسمك الحبيب وباتا ... رهن هم ووحشة واغتراب

ويدعو الشاعرة فقد أخيها إلى أن تسأل القدر عما وراء الغيب وعن عالم صار إليه أخوها . وقد سأل قبلها الشعراء عن هذا المصير فما أجابهم إلا صدى يرن فى ظلمات العدم فتقول :

ليت شعرى ما عالم صرت فيه ... عن عيون الأحياء خلف حجاب
أهو شط الأمان للنفس بعد ... الخوض فى مزبدات طامى العباب

ويمر عام تزداد فيه هواجس الشاعرة وتستبد بها شجونها فتقول :

لا كان عام ظللت يا سكنى ... فيه وراء الحياة والزمن
مستوحشا فى الضريح منفردا ... مرتهنا بالتراب والكفن
لو أننى قمت بالوفاء أخى ... ما ظل روحى يجول فى بدنى

لقد بكر الحزن على فدوى وطمى، فقالت فيه أكثر شعرها قبل أن يكون منها شعر من ضرب آخر ، بل كان هذا الحزن مثيرا لآلامها وهمومها التى لونت حسها وخيالها بتلاوين الوحشة والكآبة وجعلتها تقول الشعر تعبيرا عن نفسها وتصويرا لهواجسها ، فكانت مراثيها شجوا ودمعا ، ثم ظهرت قصيدتها « خريف ومساء » مواجة بالحيرة والزهادة

ويمسح الزمن بعد حين بيده السحرية على وجوم فدوى ووجدها وتتصدى لها رسالة الشعر فتناغيها وتناجيها ، وتهدهد مواجعها بالرجاء والعزاء ، وتستجيب لها الشاعرة فتحاول الخروج من هيكلها القاتم الذى طال وقوفها فيه بين الحسرات والزفرات

كان صنع الشاعرة الطوقانية وهى تفلت من شجوها كصنع الناسك القديس الذى يترك محرابه للتطواف فى حديقة أو رحبة ناسيا ركعاته الطوال أمام المذبح ، أو كما فعل الناسك الذى صوره أندريه جيد فى السمفونية الرعائية . والشاعرة السادرة فى تفلتها حينا بعد حين من حزنها تتخفف من السواد الذى كان عالقا بألفاظها ومعانيها ، فتؤثر التأمل وتلتمس الفلسفة فى الشعر الذى سارت به على غرار الأوائل. وكنت أتمنى لو انفردت فدوى بلمسات خاصة كالتى ظهرت فى شعرها الأخير حين رمت بطرفها على شاطئ الوجود

أما أنوثة الشاعرة فأمر لا ينبغى أن يغيب فى دراسة الأدب المعاصر ، وفى هذه المرحلة من التحليل النفسى الحديث ، الذى يتناوله نقاد الأدب فى الغرب على نحو من التصريح لا التلميح ، ولم يتهيب الكلام نقادنا القدامى حين حللوا شعر النساء وأولوا لفظه ومعناه . فكأى من شاعرة أو مغنية فى العصرين العباسى والأندلسى كانت تعرب عن شكواها وجواها ولا ترى حرجا فى أن تتدله أو تتغزل . ولا أدرى ما يحول بين ناقد الأدب المعاصر وبين تحليله شعر المرأة والمضى وراء مراميها إلى حيث ترف أجنحتها الشعرية فى آفاقها البعيدة ؟

على أن السائد من تقاليدنا ما يزال يجعلنا متحفظين متحرزين فى التعبير عن حقيقة إحساسنا ومنازعنا ، فلا الشاعرة ولا الأديبة تستطيع مع هذا التحرج أن تصور هواجسها وخلجات قلبها ، ولا الناقد يستطيع النفوذ إلى ماوراء الكلام ، ولهذا فإنى حين نظرت إلى طائفة من شعر فدوى قالت أكثره فى التعبير العاطفى والشوق المقيد والقلق المستبد عزوته إلى هذا التحفظ النسوى. غير أن فدوى إذا قيست بشاعراتنا المعاصرات كانت أصدقهن تمثيلا للعاطفة الصحيحة والشعور الذى يخامر الأنثى . وليس معنى هذا أن شعرها مقصور على الوجد والحنين فإن لها تأملات روحية وصورا حسية منوعة دلت على تتبعها وتعمقها فى فهم الكون والحياة والمضى مع تيارات الفكر الحديث . والشعر عند فدوى فن يرفده حس مرهف وقريحة متفتقة لم تقنع من الفطرة بالوحى والإلهام . وقارئ قصيدتها أية كانت يشعر أن وراء هذا الشعر من تقوله وقد ملكت

(١) هما ولدا الشاعر إبراهيم طوقان

مواهبه وأسبابه

ولعل الشاعرة الطوقانية قد تأثرت بتعاليم المعرى والخيام ، فتوقانها إلى الانعتاق من الحياة ولا سيما انطلاق الروح من الجسم فكرة علائية أكثر المعرى من ذكرها فى لزومياته ، وحنينها إلى الينبوع الإلهى نزعة صوفية . أما أملها فى أن تبعث من تربتها زيتونة مثمرة فهذه لمة خيامية تلوح فى قولها :

يا رب إما حان حين الردى وانعتقت روحى من هيكلى
وأعنقت نحوك مشتاقة تهفو إلى ينبوعها الأول
وبات هذا الجسم رهن الثرى لقى على أيدى البلى الجائره
فلتبعث القدرة من تربتى زيتونة ملهمة شاعره
حتى إذا يا خالق أفعمت عناصرى أعصابها والجذور
انتفضت تهتز أوراقها من وقدة الحس ووهج الشعور

ويطغى على فدوى حس مبهم مجنح يماود مثله الشعراء الذين ينطلقون وراء المثل العليا أو يلوبون على حقائق يتوهمونهـا وينشدونها ، إنهم فى عالمهم الخاص يبدعون شخوصا وأشياء ثم يضفون عليها من ألوان الوجود ، فاذا هم يناجون ويهتفون وليس بين أيديهم إلا هذه المثل المائعة المدومة فى آفاقها البعيدة . وهذا سر تفوقهم فى متع الخيال وتهاويل الباطن ! والشاعرة الطوقانية لم تنحرف عن سنة هؤلاء؛ فى شعرها الذى قالته بعد الرثاء لمحات ظمأ وحنين، ونفحات فن وإحساس عنيف، فيها حل لها على الانفلات من قيود عزلتها ووحشتها، وقد عبرت عنها بالشوق إلى المجهول .

ولا يحسبن بعض الملمين بشعر فدوى أن هذا المجهول الذى تعنى وراءه متلهفة حيرى هو المحبوب أو الزوج أو الولد ، إن هذا لمن أنفه ما يصبو إليه الشعر. وإنما تنفذ الشاعرة تأملاتهـا وشطحات شوقها وراء الغيوب ، فى السديم المثالى لعالم الشعر الذى لا يفنى . وقد أحس هـذا الاحساس كثير من الشعراء والشاعرات وكانوا متزوجين ولهم أولاد وحفدة ، وما نسينا تحليق شيخ الشعراء بفرنسا « فيكتور هوغو » حين نشر جناحيه فى سموات هذا المجهول الشارد بأكثر قصائده التى وضمها بديوانه المسمى « كيف يصير المرء جدا » ومرد ذلك عندى إلى الألم العميق، فإن هوغو فقد بنته وزوجها غرقاً فبق محزونا عليهما ، وقال ذلك الشعر الذى يهفو إلى المجهول بسائق من هذا الأسى القيم . و كذلك أرد شعر فدوى فى هذا الصدد ، فلولا موت أخيها الذى ضمضمها ، وهذه الهواجس التى ألمت بنفسها لما سمت روحها نحو هذه المثل البعيدة .

وإذا كان لقولى هذا ختام على إيجازه فى الشاعرة الطوقانية فأجل ما ينبغى أن يكون الكلام فيه على شعرها الوطنى . وهل ذهب ذاهب إلى أن فدوى التى هزها الأسى على أخيها إبراهيم لم تكن ذات شعر وطنى ؟ هيهات هيهات ! فان جبل النار الذى يغلى حمية وحرية هو الذى تحدرت من قممه فدوى ، وطبعها على هذا الشعر الذى رددته وكأنه أغاريد بطولة وجرس سلاح .

إن لفدوى طوقان فى فلسطين النكوبة المغصوبة شعرا لم يقل مثله الرجال . وسيظهر هذا الشعر فى ديوانها ملتهباً بالدم مشبوبا بالشمم ، فن قولها فيه :

ياهذه الأقدار لا ترحمى فرائس الضعف بقايا الرمم
ستنجلى الغمرة يا موطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم
لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفى دم الأحرار تغلى النقم

وإذا كانت تلوح اليوم فى الآفاق العربيـــة بشائر الشعر النسوى الحديث كما كانت تلوح فى هبات التألق الأدبى الذى كان فى العصرين الأموى والعباسى ، وفى الاندلس ، فان طائفا من الالهام الإلهى والفن المطبوع قد تخير فدوى طوقان لتحمل رسالة هذا الشعر فى جيلنا المعاصر ، بمكنها من ذلك تضلعها من الفصحى وتمرسها بالبيان. وإنها لتجود بالشعر من نفسها وحسها غير منسحبة على التكلف والتقليد، ولامرددة لشعر مصنوع تفوح منه الترجمة والاقتباس ، وإن لها لأمداً بعيداً هى منطلقة نحوه وقد انشق أمامها الطريق .

القاهرة وداد سكاكينى

مسيو بتلان

بقلم الأديب عبد الغنى الأنبارى

مسيو بتلان بطل مسرحية فرنسية ظهرت فى القرن الخامس عشر ، وقد لاقت نجاحا منقطع النظير ، ولا زالت تلاقى إقبالا عند تمثيلها . أما مؤلفها فقد تضاربت الآراء فى معرفته . ومسيو بتلان بطل المسرحيه محام ولكنه يمثل الشخص الخبيث الماكر الذى يوجه ذكاءه ونشاطه لخدمة مآربه الشخصية . ويطلق الفرنسيون اسم بتلان على كل إنسان يتصف بهذه الصفة . والعرض الذى أقدمه للمسرحية هو عن اللغة الإنجليزية

نحن الآن فى الفصل الأول من المسرحية حيث نرى مسيو بتلان بطلها وقد التزم داره ، آنسه إنسان مغرور يظهر على سيماه الخبث والمخادعة ، وهو كسول فى نفس الوقت ، لا يريد أن يكلف نفسه مشقة الخروج للبحث عن مورد أو دعوى يتوكل فيها . وقد أزعجت حالته هـذه زوجته « جيميت » — ولعلها أخبث منه — فآلمها ما يبدو من زوجها من التراخى والكسل إذ لا يبدو عليه أى اهتمام بحلول العيد وما يتطلب من ملابس جديدة . فتأخذ فى انتهاره وإيذائه بقارص الكلم وتوجه إليه لوما وتقريعاً قائلةله : ما الفائدة فى أن يكون محاميا عظيما كما يدعى ، بينما هو يعجز عن تدبير المـال الكافى لشراء ملابس العيد ؟ وكأنها بهذا الكلام أى بوصفها إياه ... محاميا عظيما — قد مست فيـه الوتر الحساس من نفسه المغرورة . فهتف بهـا أنه نعم لا زال ذلك القانونى والمحامى ذو الاسم اللامع فى عالم القضاء ، وسيريها الى أى حد سيوفق فى يومه هذا .

ثم يأخذ نفسه بالحزم والشـدة فيلبس ملابسه ويخرج . الى أين ؟ لا يدرى . وأخذ يقدح فكره طوال الطريق . من أين يدبر المال اللازم وأين السبيل الى ذلك ؟ أين يجد ذلك المخلوق الأبله الذى يرضى أن يوكله فى قضيتـه ، وهو ذلك المحامى الذى عرف بالخسة وضعة النفس فضلا عن أنه محام فاشل .

وما زال بأفـكاره هذه حتى بلغ السوق ، وانتهى بتفـكيره الى أن رغبة زوجته تنحصر فى الحصول على الملابس فقط . ولا يهمها إن كان محاميا عظيما أو فاشلا ، كما لا يهمها مطلقا المصـدر الذى يحصل به على القماش المطلوب .

إذن فالمسألة هينـة الى حد بعيـد . هداه تفـكيره الى رأى عزم على تنفيذه ، إذ كان قد وصل الى حانوت بائع للاقمشة اسمه « جيوم جوكوم » . أما جيوم هـذا فقد عرف عنـه أنه رجل حريص شـديد البخل . فاقترب منـه بتلان وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة ملؤها الثقة بخبثه ، فسلم على جيوم وحياه وأخذ يصافحه بشـدة وإخلاص ، متظاهرا بأنه صـديق مخلص له عزيز عليه . فأخذ جيوم بهذه المفاجأة ودهش إذ أن هذا السيد يدعى أنه يعرفه ويدعى أكثر من هـذا أنه صديق عزيز عليه ، فيبعد جيوم قليـلا من حذره الذى عوده إياه بخـله الشديد وسوء ظنه بالناس ، وتتفتح نفسه رويدا لهذا الإخلاص العميق الذى يبديه بتلان . ولا يزال به بتلان هاتفا هاشا باشا حتى يضطر جيوم الى دعوته إلى الجلوس ، فيتحدث بتلان عن الصحة والمزاج والأحوال ثم ينتقل الى الحديث عن العائلة وعن المرحوم الوالد العزيز الذى كان صديقا مخلصا له ، ثم أخذ يتحدث عن علاقته بالراحل الكريم وكيف أن جيوم كان لا يزال صغيرا عند ما كان هو يزورهم ، ثم يزيد مؤكدا كيف أنه — أى جيوم — يشـبه أباه فى حركاته وفى ملامحه وفى رقة أخلاقه أيضا . ومايزال كذلك حتى يتحول الحديث فجأة إلى القماش قائلا : ياله من قماش بديع وجميل ! ولكنه فى هذا لا يظهر أنه جاد فى حديثه عن القماش فينتقل ثانية سائلا عن عائلة جيوم ويقول : إن زوجتى يسرها جدا أن تزورنا بل أن تتفضل بالغداء معنا . ولكن جيوم وقد تحركت فيـه نفسية التاجر فيعود بالحديث عن القماش مطنبا ومادحا لهذا القماش الثمين فيؤيـده بتلان فى ذلك وإن كان قد أظهر عدم المبالاة ، ومع هذا فانه يقول إنه سيرى نفسـه مضطرا أن ينزل عن عشرين جنيها ثمنا لما سيشتريه اليوم من صديقه العزيز . ثم يعود للحديث عن الوليمة التى ستقيمها زوجته لصديقه جيوم ، وفى هذه الأثناء يمد يده الى قطعة أخرى ويختبرها ويقول : كيف أن القماش الفاخر يجتذب الزبائن اجتـذابا ، وكيف يستولى على النقود فيسلبها من

أصحابها راضين بذلك . ولكنه يقول بالأسف لقد نسيت محفظة النقود فى البيت . ولكن هذا لا يهم وإن كان الخير فى ذلك ، لأن جيوم سيستلم أثمان القماش عند حضوره للغداء ، ويتفقان على القماش . وعندها يساور جيوم حذره وحرصه على النقود فيطلب أن يأتى هو بالقماش معه عندما يحضر للغداء ، ولكن صديقه الكريم بتلان لا يرضى بهذا العناء إذ كيف يكلف صديقه العزيز جدا بحمل ما يخصه ؟ ومايزال به حتى يرضخ جيوم للأمر ممنيا نفسه بغداء دسم مع استلام النقود .

وترى بتلان فى الفصل الثانى وقد عاد الى بيته متأبطا القماش الفاخر فتفرح بذلك زوجته فيحدثها عن القصة وعن كيفية الحصول على القماش ، ثم يطلب منها أن تتكفل بالباقى فقد جاء دورها ، إذ أن جيوم سيحضر مطالبا بثمن القماش عند الغداء .

وهنا يظهر خبث الزوجة فاذا هى أبرع من زوجها وكأنهما شن وطبقة ، فيتفقان على أن يتظاهر بتلان بالمرض وتدعى هى أنه مريض منذ أيام ولم يخرج أبدا ، ويبدآن بتنفيذ الخطة فيخلع بتلان ملابسه ويستلقى على السرير . وعندها يطرق الباب فيعلمان أنه جيوم بائع الأقمشة والضيف الكريم ، فتذهب جيميت الى باب الدار وقد أخذت تسير على أطراف أصابعها متصنعة الاهتمام فتفتح الباب وتبدأ مهمتها فترحب بجيوم على أنه الطبيب وتدعوه للدخول وهى تشغله بالحديث عن المريض وكيف أنه يتألم وكيف أنه لا يدعها تذوق طعم الراحة .

فيدهش جيوم قائلا إن بتلان كان معه قبيل نصف ساعة ، وأنه اشترى منه قماشا وأنه مدعو للغداء ، فتصرخ فيه جيميت : أى قماش وأى غداء ؟ هو إذن هو ليس بالطبيب المنتظر وإنما شخص غريب جاء يدعى أن زوجها المسكين قد خرج واشترى وعاد . ما هذا الهراء ؟ ولكن جيوم يؤكد لها أن مسيو بتلان كان فى دكانه قبل مدة وجيزة ، وأنه جاء يريد ثمن القماش ، فصاحت به أن يقتنع عن هذا الهذيان وعن هذا الاتهام وليلزم الصمت لكى لا يقلق راحة المريض ، ثم يصلان الى غرفة بتلان فاذا هو يتقلب على فراشه متألما . ويحدث جيوم على اعتبار أنه الطبيب ويشكو اليه حاله وما يصيبه من الآلام ، فيتوسل اليه جيوم أن يتذكره ويتوسل اليه أن يعطيه ثمن القماش ، ولكن جيميت تصيح به وتدفعه بعيدا عن المريض . فيعرف جيوم أخيرا أنه وقع ضحية محتالين ، فيخرج مسرعا الى دكانه ليتأكد من طول القماش ، فيقيسه فيجد أنه حقيقة قد قطع منه بضعة أمتار ، فيعود مسرعا مرة أخرى الى دار مسيو بتلان ويدخل مؤكدا صدق مطالبه وملحا أن يأخذ ثمن القماش أو يستعيده . ولكن بتلان لا يجيبه إلا بالتأوهات ، وعندها تعود جيميت إلى انتهاره واتهامه باقلاق راحة المريض ، فيخرج جيوم متوعدا أنه سيشكوهم الى القضاء .

وفى الفصل الثالث نرى التاجر جيوم وقد خرج متوعدا ، ويتفق أن يلاقى الراعى توما . أما توما هذا فانه يشتغل راعيا لأغنام المسيو جيوم ، ويعرف توما بالأبله ولكنه خبيث أيضا وماكر ، استغل أمانة سيده لأغنامه فأخذ يبيع بعضها ويتصرف بثمنها فشكاه جيوم الى القضاء ، وترى توما الراعى قادما الى دار المحامى بتلان لكى يوكله عنه .

وهنا يظهر خبث المحامى بتلان على أروع صورة فيتفق مع الراعى توما أن يدعى أنه أخرس ولا يجيب على أسئلة القاضى إلا بـ «آآآ» أى بمثل أصوات الغنم

والمنظر الآن فى المحكمة حيث الفصل الأخير وقد ظهر القاضى والتاجر جيوم . وعندها ينادى الحاجب الراعى توما فيتقدم هذا إلى القاضى فيسأله عن اسمه فلا يجيب إلا (آآآ) فيتملك جيوم الغيظ والغضب وينكر أن يكون توما الراعى أخرس . وعندها يطلب القاضى بمناداة وكيله ومحاميه فينادى الحاجب (المحامى بتلان) فيستغرب جيوم أن يكون بتلان حاضرا إذ قد تركه منذ وقت ليس بالبعيد مريضا أو متمارضا على الأصح . ولكنه يفاجأ بل يكاد يصعق عند ما يرى الباب يفتح ويدخل مسيو بتلان، فيثور ويترك مسألة الغنم والراعى توما ويشكو بتلان إلى القاضى متهما إياه بالسرقة فيدهش القاضى ؛ ولكن جيوم يقول إن المحامى بتلان محتال ومخادع وماكر كان قد أخذ منه قماشا عند الصباح وعند ما جاء ليأخذ ثمنه فى البيت أنكره عليه وكان يدعى المرض بل كان مستلقيا على الفراش وأنه قد اتفق مع الراعى توما على انتهاك حرمة ماله . ثم يعود فيشكو الراعى توما إلى القاضى وكيف أنه سرق أغنامه وتصرف بها كما يشاء ؛ ثم ينتقل

بمناسبة المولد النبوى :

تطور البديعيات
في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفنى داود الجرجاوى

كان للقرآن فى صدر الإسلام معجزته الكبرى حين نشأت علوم اللغة والأدب لتفسر وجوه إعجازه وتوضح بلاغه آياته وسوره . وبسبب هـذه الأجواء العلمية — التى حا كها حولها ونسج خيوطها بين يديه فى بلاغته الساحرة وآياته الباهرة — كان الغاية الكبرى التى تنتهى إليها هذه العلوم وتدرس من أجلها هذه الفنون ؛ وقد كانت الوسائل القوية والوشائج المتينة التى تصل بالدارس إلى معانى القرآن وفهم أسراره وكشف مقاصده ، فاللغة والنحو والصرف والبلاغة وغيرها من علوم الأدب — مضافا إليها علوم الشريعة وعلوم الحقيقة — وجدت من هذه الغاية الكبرى مبدأ لتكوينها وسببا قويا لنشأتها ، كما أنها جميعا وجدت من تطور الدراسات القرآنية خطوطا أولية تمثل تطور حياتها وترسم طريق مستقبلها

ولم يكد القرآن ينتهى من أداء هذه الرسالة الإعجازية حتى تضافرت معه قوة جديدة تصور نفس الغاية هى (المدائح النبوية) فقد كان لهذه الأخيرة صداها منذ القرن الأول حين نظم كعب ابن زهير (٢٦ هـ) قصيدة « البردة » بين يدى الرسول الأعظم ، فكانت قصيدته أول قصيدة كلاسيكية تقليدية فى مدح الرسول . ثم جاءت على إثرها قصائد الشعراء فى القرون المتعاقبة

وفى القرن الثامن اشتقت المدائح النبوية طريقا خاصا بهـا حيث اصطبغت بالصنلعة اللفظية وعنى واضعوها بوجوه المحسنات البديعية . ومن هنا حلت المدائح النبوية الرسالة العلمية التى حمل مثلها القرآن فى علوم الأدب منذ سبعة قرون مضت . وبينما كانت « رسالة القرآن » رسالة عامة انتفعنا من ورائها فى إحياء علوم الدين وعلوم الأدب كانت « رسالة المدائح النبوية » رسالة خاصة انتفعنا بها فى تطور علوم البلاغة وفيما أحدثه الشعراء من ضروب البديع التى اصطنعوها فى مدائحهم

* * *

فى هـذه الحقبة من القرن الثامن أخذ القوم يخرجون مدائحهم النبوية فى قالب خاص من علوم البديع حتى سميت « البديعيات » . وكانت هـذه البديعيات أشبه بكتب مفردة سجلت فيها فنون البديع وأنواعه ومصطلحاته ، وظلت هـذه البديعيات دستور البديع وديوان فنونه وسجل مصطلحاته فى سائر القرون التى تلت القرن الثامن حتى وصلت إلى عصرنا هذا

وأول بديعية وصل إليها تحقيقنا فى القرن الثـامن هى التى نظمها صفى الدين الحلى المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، شرحها صاحبها فى كتاب خاص سمـاه « النتائج الإلهية فى شرح الكافية البديعية » . قال ابن حجر العسقلانى : « . . . وبديعيته مشهورة وكذا شرحها ، وذكر فيه أنه استمدها من مائة وأربعين

إلى الكلام عن بتلان وما زال ينتقل من بتلان إلى توما ومن الأغنام إلى القماش حتى ضجر القاضى وطلب إليـه السكوت . وهنا تظهر براعة المحامى بتلان ويظهر خبثه ومكره ويستند إلى حالة جيوم النفسية وما ظهر عليـه من اضطراب ويتأسف بأن تسمع المحكمة الموقرة إلى مثل هذا المجنون الذى يخلط فى كلامه ويتهم النـاس الأشراف . فيحتد جيوم ويصرخ مطالبا بقماشه ومطالبا بأغنامه ويظهر اضطرابه فى كلامه ، فينتهره القاضى ويطلب إليـه بل يأمر بإخراجه من قاعة المحكمة فقد سقطت دعواه لسخافته

وهنا ينتصر المحامى بتلان وتبرئ المحكمة ساحة الراعى توما ويخرج الظافران . ثم يأخذالمحامى بتلان الراعي توما ناحية ويطلب إليه أن يسلمه ثمن أتعابه ، فيقهقه الراعى توما ويجيبه كما أجاب القاضى مقلدا صوت الأغنام « ٣٣٣ » فيجن بتلان من الغيظ ويحتد مزمجرا ويطلب ثمن الأتعاب فلا يجاوبه الراعى الخبيث إلا « ٣٣٣ »

عبد الغنى الأنبارى
جامعة فؤاد الأول كلية الآداب

كتابا » (١) وبدأ الحلى بديعيته مستهلها ما جاء ببردة « البوصيرى » من ذكر الأماكن الحجازية كذى سلم وسلع والعلم فقال :

إن جئت سلعا فسل عن جيرة العلم ... واقر السلام على عرب بذى سلم

وذلك تقليد قديم احتذاه الشعراء من قبل صفى الدين الحلى ثم أصبح نظاما تقليديا استنه الشعراء لأنفسهم من بعده . وفى هذا البيت يشير الشاعر إلى براعة المطلع والتجنيس المركب والمطلق . ثم ينتقل بك إلى تجنيس التلفيق فى البيت الثانى :

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم ... لهم ولم أستطع من ذاك منع دم

ويستمر صفى الدين فى هذا النحو حتى ينتهى من بديعيته فى مائة وخمسة وأربعين بيتا ، يذكر فيها سائر فنون البديع التى عرفت فى زمنه : كالذيل واللاحق ، والتام والمطرف ، والمصحف والمحرف ، واللفظى والمقلوب ، والمعنوى ، والطباق ، والاستطراد ، والتوشيح ، والمقابلة ، واللف والنشر ، والتبديل ، والالتفات ، والهزل الذى يراد به الجد ، وعتاب المرء نفسه ، ورد المعجز على الصدر . . . وهكذا يسير فى بديعيته المشهورة حتى يذكر لنا مائة وخمسة وأربعين فنا من فنون البديع ، فيخص كل بيت منها بفن من هذه الفنون . ويختم بديعيته ببراعة الختام فيقول فى البيت الأخير منها :

فان سعدت فمدحى فيك موجبه ... وإن شقيت فذنبى موجب النقم (٢)

ومن ذلك نعلم أن المدائح النبوية خدمت علوم البلاغة فكانت حافزا قويا على نمائها وتطورها فوصلت إلى هذا العدد الذى ذكره الحلى فى بديعيته . وقد كانت للحلى مدرسة تبعه فيها تلاميذه فى تدبيج البديعيات كالصلاح الصفدى (٧٦٤ هـ) وابن جابر الأندلسى (٧٨٠ هـ) الذى وضع بديعيته فى مائة وسبعة وسبعين بيتا (٣) وعز الدين الموصلى (٧٨٩هـ) الذى وضع بديعية فى مائة وخمسة وثلاثين بيتا . (٤)

* * *

وفى القرن التاسع كان لابن حجة الحموى المتوفى سنة ٨٣٧هـ من الشأن ما كان لسلفه الحلى فى القرن الثامن ، فكلاهما كان زعيم حلبة الشعراء الناهلين من بحور البديع ، وكلاهما كان ذا خطوة فى الأدب واطلاع واسع فى فنون البلاغة ؛ إلا أن ابن حجة كان كما يحدثنا : ابن العماد الحنبلى والأستاذ بروكلمان — مزريا بغيره من الشعراء ، ينظر إلى شعراء عصره كأحد تلامذته. (١) ولقد ولقد كان لديوانه « ثمرات وثمار الأوراق » شأن كبير . (٢) وتسمى بديعيته « بديعية ابن حجة الحموى أو تقديم أبى بكر » سار فيها على طريقة الحلى ، ونقع فى مائة وعشرين بيتا. ثم شرحها فى كتاب آخر سماه « خزانة الأدب وغاية الأدب » .

ونحا هذا النحو شرف الدين ابن المقرى (٨٣٧هـ) الذى وضع بديعية أخرى تقع فى مائه واثنين وربعين بيتاً ، شرحها فى كتاب سماه « شرح الفريدة الجامعة للمعانى الرائعة » (٣)

* * *

ثم كان من نتيجة دراسة المدائح الدينية فى هذه الصورة التى لمسناها خلال القرنين الثامن والتاسع أن تعمق القوم فى دراسة البديع دراسة تحليلية خاصة . وبذلك كانت دراسة البديع فى القرن العاشر خطوة واسعة تمثل تطور البديعيات فى ذلك القرن. فظهرت « الطريقة التحليلية » فى دراستها فى شخصية عظيمة عرفت بالأبحاث الخاصة والمؤلفات المفردة بالفنون المختلفة — هى شخصية جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

وقد بدأ السيوطى بديعيته على عادة الشعراء ببراعة الاستهلال فقال :

من العقيق ومن تذكار ذى سلم ... براعة العين فى استهلالها بدم (٤)

واختتمها بقوله :

واكتب مدا الدهر فى الدنيا الناحسنا ... حتى أرى عند موتى حسن مختتمى

هى بديعية رصينة تقع فى مائة وثلاثة وثلاثين بيتاً عارض فيها بديعية ابن حجة الحموى المسماة « تقديم أبى بكر » . ويلمس

---

(١) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٦٩ س ١٣

(٢) بديعية الحلى (انظر ١٢٨ بلاغة ـ مخطوط قديم بدار الكتب)

(٣) بديعية ابن جابر (انظر ٦٨٠ بلاغة)

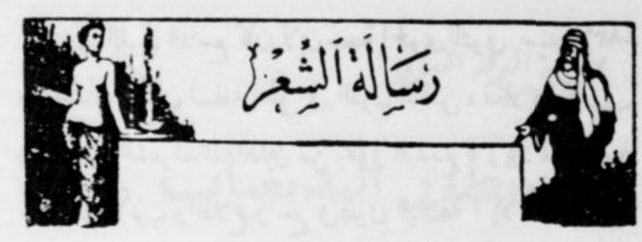
(٤) لآلىء الترصيع فى علم البديع ص ٢٤٦

(١) شذرات الذهب ٧ / ٢١٩

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١ / ١٣٥

(٣) الفريدة الجامعة (انظر ٣٠٠ بلاغة ـ مخطوط قديم بدار الكتب)

(٤) بديعية السيوطى ص ٢ س ٩



الجبابرة

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

أسد القناة اليوم ! مر   حى بالبطولة عن قريب !
أسد القناة ! وإنهـا   سخرية القدر العجيب
تتربصون بكل أعـ   زل مطمئن فى الدروب
تتشجعون على الطفو   لة وهى فى الحلم الرطيب
وعلى النســاء الهانئا   ت المحصنات عن الغريب
وعلى الشيوخ الرهقيـن   الوادعين مع الشيب !
هذى البطولة أين كا   نت فى الشدائد والخطوب !؟
كنتم جبـابرة الحرو   ب أمام جبار الحروب
كنتم نعاجا سائميـن   أمام راعية غضوب
متنقلين من المدا   ئن ، للصحارى ، للسهوب
مستقبلين مع الشرو   ق هزيمة ، ومع الغروب
مستسلمين إلى الكهو   ف ليالى الذعر العصيب
مستنجدين بكل مفـ   تول الذراع فتى صليب
ومحـاربون مدرعيـ   ن وراء أحرار الشعوب !

• • •

أنسيتم عهد الدمو   ع أمام محراب الصليب
وصياح ذلكم العجو   ز بكل ميثاق خلوب ؟
أنسيتم « دنكرك » ذا   ت الهول فى اليوم القطوب
ونسيتم الرعب المجسـ   م فوق ظلكم الكئيب
سابقتم الأمواج فيـ   ها فى التقهقر والهروب
فى « طبرق » الحمراء كنـ   تم شر منهزم سليب
تتراجمون إلى الورا   ء على نشيدكم الحبيب :
« فى خطة مرسومة »   بأنامل البطل النجيب
وتركتمو فيها الجنو   د لكل منطلق مصيب
لولا الكتائب من شعو   ب الأرض خافقة القلوب
تتقـدم المتأخريـ   ن الى الخطوب بلا لغوب
ما كنتم إلا روا   ية : « كان فى الزمن القريب .. » !

• • •

قارئها صوراً من طريقته التحليلية . وأنت تحس كثيرا من إعجابه بنفسه حين تقرأ له شرح البيت الأول . قال : « وما أحسن التورية الواقعة فى التسمية حيث جعلت براعة المعين فى استهلالها البكاء بالدم بدل الدمع مع إكثار ذكرها للعقيق وبكائها حتى غلبت الحمرة على الدمع مجانسة للعقيق -- ثم قال : وانظر بذوقك ما الفرق بينه وبين قول ابن حجة .... (٥)

وجاء بعد السيوطى جماعة كثيرون تأثروا بروحه التحليلية وأشربوا طريقته فعكفوا على التأليف وأحيوا صناعة التصنيف فى علوم البلاغة . فعائشة الباعونية (٩٢٣ هـ) وشيخ الإسـلام زكريا الأنصارى (٩٢٧ هـ) وابن كمال باشا الحنفى (٩٤٠ هـ) يعدون جميعا فى نظر « المنهج العلمى » تلاميذ السيوطى — حكما — وإن لم يحظوا بالجلوس فى حلقته والحضور عليه . ولكنهم تأثروا بالأصداء العلمية التى تركها السيوطى فى عصره ولحناها فى شخصيته

وليس أدل على ذلك من أن عائشة الباعونية التى كانت معاصرة للسيوطى سافرت من دمشق إلى القاهرة لتغترف من بحار العلوم والمعارف حتى أجيزت بالافتاء والتدريس . (١) ووضعت على الطريقة التحليلية التى استنها أستاذها السيوطى بديعيتها التى تسمى « الباعونية » فى مائة وثلاثين بيتا سارت فيها على طريقة السيوطى . كما وضعت أخرى تسمى « الفتح المبين فى مدح الأمين » فى مائة وسبعة وأربعين بيتا ، منتهجة طريقة السيوطى فى الإكثار من البديعيات والعناية بتحليلها وشرحها . وهكذا كان السيوطى وتلاميذه يعنون فى بديعياتهم بالتكثير والمقارنة وضرب الشواهد والشرح لكل ما يذكرونه من فنون البديع .

البقية فى العـدد القادم   **حامد حفنى داود الجرجاوى**

(٥) بديعية السيوطى ص ٢

حمر الوجوه المضرما ت من امتصاص دم الشعوب!
سود الصحائف ـ منذ كا ن لكم صحائف ـ من ذنوب!
كانت شكاوا كم تجو ب الأرض مشجية النحيب
صورتمو فيها العــدو بكل تصوير معيب
والله يعـــلم أن ما صورتمو دعوى كذوب
لم يخطف الألمان والا طليان ساعات الجيوب..!
لطختمو شرف الجيو ش بكل ألوان العيوب!..

. . .

مهلا « أرسكين » المظيم ، وقائد الظبي الربيب
الفار بات أقل ما يهدى إلى البطل الطروب
المنتشى يوم الشهيـــد بكف رعديد نخيب
ومزلزل « الكفر » العتيـــد بجيشه اللجب الرهيب
المستبيـــد بأمره فى غفلة الزمن الجديب
أنت المظفر فى السلا م رفلت فى الثوب القشيب!
لم . ندر موضعك العظيـ م زمان كنتم فى الكروب
قل لى بربك ، والحديـــث يطيب فى المجد الحسيب:
من أى ميدان جمعـ ت كتائب الجيش الوثوب
الهاجين على الخضا ر، الساقطين على الحليب!
بدائم الأسد الهصو ر على شمارکم الخضيب
ذئبا يغير مع الظلا م على النيام أحط ذيب!

. . .

مهـلا « أرسكين » العظيـ م ، وما لفنك من ضريب
هذى الشجاعة نلتها من أى داهية أريب
ترغى وتزبد فى القنا ة كعاصف اليم الغضوب
قل للجنود الدارعيـــن الكاشفى زرق النيوب
يترقبون خطى الطريـــق ويجزعون من الدبيب
ويفاجئون الآمنيـــن بطمنة اللص المريب:
هلا انتقلتم بالعتا د الضخم فى وسط اللهيب!
هـــلا دفعتم للحليـ فة بعض دينكم القريب!
ميدان « كوريا » فيه متســـع لأبطال الحروب!...

حسن كامل الصيرفى

« قصة الحرية »

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور
فى انتفاض الغصون .. فى عاصف الريح ، فى فورة اللظى المسجور
رن لحن مخضب يتنزى .. فى جنون مستكبر .. مقهور ..
فى صدور الأمواج يطفر .. مشبوبا .. ويرغى كالصدى المذعور..

. . .

حملته الرياح للأفق الغاضب ، للبحر ، للذرى ، للنسور
فكأنى أحس دمدمة الماضى وصوت الأجيال تحت الصخور
تحطم القيد فى جنون وتمضى خافقات الجناح فوق الأثير
إنها قصة الحياة لشعب أبدى الخلود مثل الدهور ..

قصة الدمع والدم . قصة البعث والخلود
قصة الأمة التى حطمت صخرة القيود
طلع الفجر فاروها للربا واعزف النشيد

. . .

أنفس حرة .. تصفق للموت .. وتنهار فى اللظى المجتاح
وقلوب تدق .. فى موكب النصر .. وتحنو على الدم النضاح
حطمت هيكل الظلام .. وطارت .. مطلقات جناحها للصباح
حطمت قيدها العتى .. وهبت .. تنشر الهول فى الربى والبطاح
فإذا البحر مارج من دماء .. ظامئات إلى اللقاء المتاح
وعلى الأفق روضه من ورود ... قانيات ... ترف فوق الجراح
وكأن السحاب شب حريقا .. يتهاوى على عزيف الرياح
إنها قصة الكفاح لشعب ... باركته السماء يوم الكفاح

عاصف جن فارعى فى شعاب الردى الكئيب
أشعل الحق روحه فتأبى على الخطوب
ومضى ينسج اللظى وانثنى يغزل اللهيب

. . .

... ومضى الركب ... والحتوف حواليه ... جحيم يطير فى أجوائه
وهتاف الأحرار فى مسمع الكون ... نشيد مخضب بدمائه

ولهيب المنون يزحف فى الشاطئ ... ظمآن كالحريق التائه ...

. . .

وقف الدهر ضارعا لأسى طفل شهيد ملفع بنقائه
فى اللظى المشرئب ... عانقه الصبح ... فذابت أشواقه فى ضيائه
هجر الروض ... والعصافير ... والنهر ... وحلما يرف فى أحنائه
ومضى والنهار ... وهم بيمينيه ... كطيف الغروب عند انطفائه

ظامئ القلب الهنى ... لأغاريده ... لعرسه
حن للزهر ... والربى ... فسقاه الردى بكأسه
أطلق الموت أسره ... وغدا يومه كأمسه

. . .

لست طفلا . . فأنت طيف جميل . . عبر الأفق عازفا أنغامه
لست طفلا . . فأنت روح نبي . . غادر الأرض . . حاملا آلامه
صفقت روحه الطروبة للموت ... وضجت أفراحه المستهامة
وبيمينيه للصباح ... حنين ... كرفيف الأزاهر البسامة
وربيع الخلود فى قلبه الضاحك ... روض ... وجدول ... وغمامه
فى ظلال الغصون . . نامت لياليه . . وغطت أوراقها أيامه . .
صافح الشاطئ الحبيب . . وأغفى . . وعلى ثغره خيال ابتسامه
وغدا ... قصة الدموع سترو ى : للاله العظيم ... يوم القيامه

. . .

ومضى الركب طاويا ... شاطئ الدمع ... والنواح ...
بين قلب ممزق ... ذاب فى ثورة الرماح ...
ويد تحجب الردى . . ويد تغسل الجراح ...

. . .

عبر الشاطئ الجريح فرنت ... صدحات البلابل المحزونه
وتعطى النسيم فى مئزر الروض ... وهبت عطوره المفتونه
واستطار النشيد ، كالتفت النهر ... وثارت أشواقه المجنونه
وانحنى فوق زهرة عانقته ... وتهاوت أوراقها مستكينه
إنها الزهرة الشهيدة تروى ... قصة الروض للضفاف الحزينه
نسجت عطرها الخفى جناحا ... أطلقته على ضباب السكينه

. . .

أيها النهر بين جنبيك قلب ... مستهام الرؤى يذيب أنينه
إنها الزهرة الشهيدة فانضح قلبها بالندى ... وأطفئ شجونه

ذاب فى عطرها الأسى ... مات فى روحها الأنين
عبرت شاطئ الردى ... بجناح ... من الظنون
هى رمز مقدس ... سوف يبقى على السنين

. . .

سمها ما تشاء لست أراها ... فى فنون الأسماء ... والأوصاف
هى معنى فى خاطرى للبطولات ... وللمجد ... والخلود الضافى
هى إن شئت ابنة النيل . . شبت . . فى الرياض المذراء فوق الضفاف
فى رفيف الضياء ... أنبتها الفجر ... على شاطئ الغدير الصافى
وسقاها النبع الإلهى ... خمرا ... من عبير الخمائل الرفاف
فسرى لحنها المعطر ... روحا ... ذاب فى خفقة النسيم الغافى

. . .

زهرة النيل ... وابنة الشاطئين ... ونجوى الحمام المصفاف
وهبت عمرها ... لمجدك يا مصر ... لمجد الأجيال ... والأسلاف

. . .

ودنا الفجر فاحتمى ... شبح الليل بالغصون
وسرت نفحة الربا ... تنشر العطر ... والفتون
ومضى الركب سابحا ... فى رؤى الشاطئ الحزين

. . .

أشرق الفجر بالضياء ... وطيف الليل يحبو على الضفاف الحبيبه
وتهادى النشيد ... فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى ... الرهيبه
عانق النهر ... والخمائل ... وهنا فتغنت به المروج القشيبه
ودنا موكب الصباح ... وهبت نسمات ... مرنحات ... رطيبه
بعد أن ذابت النفوس حنينا واستبدت بها الظنون المريبه
أيها الطائر المحوم ... صفق بجناحيك ... للدماء السكيبه ...
حان يوم الخلاص فابسط ذراعيك للأفق ... للسماء الرحيبه
إن هذى الدماء ... معبر شعب يسترد الحرية المغصوبه

محمد فوزى العنتيل



المسرح استثارة الواقع..
وليس الواقع..

الأستاذ زكى طليمات

إنه موضع نظر، ماذكره الأستاذ الدوياني وتفضل بالتعقيب عليه محبذا الأستاذ أنور المداوى، وذلك بشأن مرسم من مراسم العرض التمثيلي، وهو رفع الستار بعد هبوطه في نهاية كل فصل من فصول المسرحية، إذ يقف الممثلون يحيون الجمهور المصفق ويردون تحية إعجابه بما يناسبها من إبداء علامات الشكر والامتنان، هذا المرسم الذى وصفه كل من الأستاذين بأنه خروج على الواقع وأنه يعمل على هدم التجاوب الشعورى الذى يسود الممثل والمشاهد

حق أن هذا لموضع نظر، بل إنها لمسألة شائكة يتجدد فيها القول ويطول، كلما حلا لنا أن نغلو فى مهمة المسرح من حيث النقلة التى ينتقل اليها الجمهور المشاهد بوساطته، فنأبى إلا أن نطالب المسرح بأن يقدم لنا صورة من الواقع تتجسد فى الاطار المادى للمسرحية وفى شخوصها

تقليد مسرحي سائد :

أما عن هذا المرسم، وإن شئت فقل هذه الحالة الشكلية التى يتخذها ممثلو المسرحية استجابة لتصفيق الجمهور، فأقول إنه لا حيلة للمسرح المصرى فى الأخذ بها، لأنها وليدة تقليد مسرحى صاحب العرض التمثيلي منذ أن أقام الرومان — وليس الأغريق — ذلك الستار الذى يفصل بين المسرح ومكان النظارة، والذى يهبط بانتهاء كل فصل من فصول المسرحية، وقد ساير هذا التقليد العرض التمثيلي فى جميع مراحل نموه وتطوره حتى اليوم

فإذا صح أن نطلق على هذا التقليد اسم (تقليمة) لنبوه عن المعقول، كما يذهب الأستاذ المداوى — والمعقول مسألة نسبية تتفاوت درجاته وتتباين مقاديره بتباين وجهات النظر إلى الشيء الواحد — إذا صح هذا لدى بعض النقاد الذين ينشدون الكمال المطلق ولا يبالون بتحميل الأشياء أكثر مما قدر لها أن تحمل، وهذا جميل على كل حال لأنه وجهة نظر مثالية — فإن يجمل بنا — نحن رجال المسرح — أن نراه كذلك . لأننا أدرى الناس بأن المسرح ليس الواقع بحذافيره وإنما هو استثارة للواقع

أقول إن هذا التقليد، جاء الينا من الغرب، إذ أننا فى مسرحنا ... ولا سيما فى هذه المرحلة، مرحلة النقل والاستساغة واستخلاص الكيان الذاتى لمسرحنا الناشيء — مازلنا نتبع المسرح الغربي، وخاصة المسرح اللاتيني . وما أظن أن الإستاذ المداوى ينكر أن هذا (للتقليد) أو (التقليمة) يجرى كل ليلة بأكثر مسارح العالم، وفى دار الأوبرا الملكية حيث تقدم الفرق الغربية الكبرى أعيان المسرحيات فى أبرع عرض تمثيلي

بيد أن واجب إنزال الأمور منازلها الصحيحة يقضي بأن نقرر أن هذا التقليد، قد تختلف مظاهر تطبيقه تبعا للمزاج العام الذى عليه كل أمة، وإن كان لا مفر من الأخذ به

فأكثر الفرق الانجليزية والالمانية والدانيمركية مثلا تباشر هذا التقليد على وجه آخر ... فبدلا من أن يحيى الممثلون الجمهور عقب كل فصل من فصول المسرحية، يكتفي باتيان هذا الأمر مرة واحدة، وذلك فى نهاية المسرحية، فترى جميع ممثلى الرواية كبيرهم وصغيرهم، وقد انتظموا صفا واحدا، يحيون الجمهور بما يتناسب وحرارة إعجابه وتأثره

هذا لدى الشعوب الشمالية وهي شعوب تتسم بالمستوى الذهنى الرفيع، وبالرزانة العاطفية وبالاعتدال فى التعبير ... ولا أقول (بالبرود)

وإنى أميل إلى الأخذ بهذا لأنه أجدر بالممثلين وأكرم للجمهور وأحفظ لرواء الفن وليس لأى سبب آخر مما يتصل بهدم الواقع أو سواه، بل لقد أخذت به فعلا فى النادر من المسرحيات التى قدمتها فى أول عهدى بالاخراج المسرحى، ولكننى لم أوفق إلى إرضاء الجمهور والممثلين، فأقلعت عما أخذت به والأسباب معلومة معروفة ... ولا عجب ... فنحن شعب يستخفنا الطرب أيما استخفاف، وتطير بلبنا الهزة لأننا فطرنا على الاستجابة السريعة للبادرة التى يبطنها طبع صاحب حاد

هذا ما يحضرنى قوله فى هذا التقليد ، وهو تقليد أراه يرتفع إلى مرتبة الرأسم ، لأنه مستمد من طبيعة فن الممثل نفسه ومن مزاج الجمهور الشاهد

فالممثل ، وهو عراض ماهر لمختلف المشاعر الانسانية عن طريق المحاكاة ومحاولة الفناء فى شخصية الدور الذى يؤديه يستهويه أن يرى أثر مايعرضه على الجمهور الجالس أمامه والشاخص اليه بكل جوارحه، بل إن الممثل ليستهدى فى أكثر مواقف دوره بهذا الأثر الذى يبديه الجمهور ليتابع أسلوبه فى الأداء ، أوليبدل فيه أو ليطرق أسلوبا آخر

والجمهور بدوره ، وقد حضر التمثيل ، مغرى بأن يستجيب إلى الأثر ينسجه الممثلون عليه ، مدفوع إلى أن يبدى إعجابه وعجبه بمن يرى ، فكأننا والحالة هذه أمام استجابة حارة متبادلة بين الممثلين والنظارة، فلا حيلة — والأمر ههنا وههنا ماقررنا — أن تغير من طبيعة الممثل والجمهور . وإن صح لنا أن نضع لهذا ولذاك معالم وحدودا بحيث لا يجفوها منطق العرض التمثيلى ولا (معقوليته) المرنة السمحة . وقد وضع الأقدمون من فقهاء المسرح هذه المعالم والحدود ، فجاء هذا التقليد الذى أسلفنا ذكره وأوضحنا مظاهره المختلفة لدى (اللاتينيين) ولدى أهل الشمال

وإنه ليطيب لى بعد هذا أن أسأل الأستاذ المداوى ، وأن أسأله مخلصا — لأننى أحب دائما أن أتعلم — أسأله ماالذى يقترحه فى هذا الصدد . هذا مع اعترافى بأننى لم أر ولم أسمع ان هناك تقليدا مسرحيا يقضى بأن لا يرفع الستار عقب انتهاء أحد فصول المسرحية أو فى نهاية فصولها ليستجيب فيه الممثلون إلى تصفيق الجمهور وهتافه فيظهرون أمامه وقد محوا عنهم مسوح الأدوار التى كانوا يتقمصونها وأخذوا يردون التحية بما يناسبها

المسرح استثارة الواقع :

قلت إنه يحلو لنا أحيانا أن نرى فيما يقدمه المسرح أحياء كاملة من الواقع … ولا سيما فى مصر ، وذلك لأن العرض التمثيلى فيها ، جاءها فى العقد الثامن من القرن الماضى ،متأثرا بالمدرسة الرومانسية وهى واقعية التاريخ ، وهى أيضا غلبة العاطفة على العقل ، وهى المدرسة التى كانت تسود عالم الأدب والفن فى فرنسا. ثم تلا ذلك تأثير المدرسة الواقعية التى اشتط اصحابها فى مهمة المسرح فحاولوا أن يجعلوا منه (قطعة من الحياة) ، ولكن هذه وتلك ، مدرستان لم يبق لهما فى الأدب والفن كبير أثر ، ولا سيما بعد أن أخذت مكانهما اتجاهات أدبية وفنية جديدة

هل المسرح هو الواقع ؟ هل المسرح هو الحياة؟ ولكن أى واقع وأية حياة ؟ ومتى كان الفن لهذا قادرا ومقدرا ؟ هذا مالا يعلمه أكثر الجمهور ، ولكن الذى أعلمه أن النقد المسرحى فى مصر يجرى حسابه تبعا لهذا الشمار … ومن هنا يأتى نقد الأستاذ الدوبانى ، وهو نقد يتلخص فى أن رفع الستار مرة أخرى بعد اسداله عقب انتهاء كل فصل يؤدى إلى (اللانفعالية المفاجئة لدى النظارة ، مما يحول بينهم وبين التعاطف والاندماج فى اللحظة التى أوشك أن يتم فيها التعاطف والاندماج)

فالأستاذ الدوبانى قد اقتعد مكانه فى الصالة وهو موقن بأنه سيرى الحياة منقولة فوق المسرح نقلا كاملا ، فإذا تأثر بما يرى فلا يصح أن يقطع عليه تأثره تصفيق من الجمهور ولا ستار يرفع بعد أن يسدل ليظهر الممثلون بمعذلات يحيون الجمهور . فإذا وقع هذا جاءت نقلته منغصة عليه مزاجه … وكان له أن يحتج ، وفى الحق أنه غير ملوم فى شعوره هذا

غير أننى أعتقد أنه كان يرى هذا شيئا عاديا لو أنه اتخذ مكانه فى الصالة وهو موقن أنه سيشاهد (تمثيلا) أى مظهرا من مظاهر فن التمثيل ، وعرف أن فن التمثيل ، وشأنه شأن سائر الفنون ، لا يقدم (الطبيعة) وإنما يقدم مظاهر (الوجود) ، وأن كل فن جميل يتخذ من الحياة ركازا ، ولكنه لا يعطى حقيقة الحياة كما هى … وأن الفن إذا أحيا الواقع على المسرح ، فإنما يكون هذا بطريق الاستثارة لا النقل ، ولو أراد الفنان أن ينسخ الواقع نسخا دقيقا لأعجزته الوسائل . وإذا افترضنا أن واتته تلك الوسائل فإن نتاجه يكون غير رفيع لأن كل عمل فنى إنما يقوم على التركيز (synthése) والتركيز ليس من الواقع ، وكل عمل فنى يخضع لقيم ومعايير ، إن استلهمت من الطبيعة فإنها ليست الطبيعة منقولة منسوخة بعينها . ومما لا شك فيه أن العمل الفنى لو جاء صورة فوتغرافية من الواقع ، لزهد الناس فى مطالعته ، ولاستغنوا عنه بالواقع المبذول أمامهم

وواقعية المسرح ، وهى مناط القول فى هذا ، خاضعة بدورها لما تقدم ذكره ، ويزيد عليها أن إمكانيات المسرح فى نقل الواقع قاصرة محدودة ، فالمسرح مناظره من القماش أو

الورق المصور، وهذا غير الواقع، وهذا غير حقيقة الأشياء كما هي في الحياة

ويمثل دور (هملت) قد يكون مصريا أو انجليزيا ، ويلعب دوره باللغة التي يتكلمها ، هـذا في حين أن (هملت) دانمركي المولد والنشأة ولا يتكلم غير اللغة الدانمركية

وفوق هذا ، فإن المسرحية نفسها لا يتتابع فيها الحوار ولا ينعقد كما يتتابع في الحياة ، إذ ليس من الحياة الواقعية أن تنتظم مشاهد الرواية كما أوردها مؤلفها بعد أن أخذ بالتركيز والإجمال، والتقديم والتأخير، والحذف والإثبات، ابتغاء الوصول إلى هدفه في الحدود التي ترسمها شروط فن كتابة المسرحية

وعليه يمكننا أن نقرر أن كل ما فوق المسرح إنما هو مظاهر لعناصر مستلهمة من الحيـاة والواقع تشابكت لإحياء صورة من الوجود (exsitauce) وتعاونت لاستثارة الواقع وليس لنقله ونسخه ، وهي في كل هـذا تنسخ تأثيرها علينا بطريق التمويه أو الإيهام (illusion)

والتمويه يشعرك بوجود الشيء ولكن بطريق عرض مظاهر وجوده، وليس بعرضه على حقيقته وواقعيته في الحياة

وما دمنا أمام المسرح ، نعيش في عالم الاستثارة والتمويه ، فلن يعمل ارتفاع الستار بعد سدله في نهاية كل فصل من فصول الرواية وظهور الممثلين يحيون الشاهدين، ان يعمل هذا على قطع التعاطف والاندماج بيننا وبين الممثلين، لأن هذا وذاك قائم فينا منذ بداية الرواية

ولو صح هذا في المسرح، وأردنا تطبيقه على فن التصوير، لـكان علينا أن نعلق اللوحات المصورة في الهواء وبلا إطار ، بدعوى أن رؤية الحائط الذي علقت عليه الصورة، وأن مطالعة الإطار الخشبي الذي يحوطها ، يقطعان علينا تيار الانفعال الذي يكون قد سرى فينا ، إذا اندمجنا بكليتنا فيما أجرته ريشة المصور

وأعود إلى المسرح فأتساءل من الذي جعل الستار يرتفع بعد هبوطه ودفع بالممثلين إلى مقدمة المسرح يحيون الجمهور ؟ أليس هو الجمهور نفسه وقد أخذ يصفق ويهتف مطالبا برؤيتهم ؟ ولماذا فعل هذا ؟

فعل هـذا لأن الممثلين استطاعوا أن يموهوا عليه بتسجيل مظاهر الحياة والوجود للشخصيات التي يلعبونها ، لأنهم قدروا أن يؤثروا فيه بأدائهم المتقن ، فأعجب بمقدرتهم بعـد أن سرت إليه الهزة التي أحسوها وهم متقمصون شخصيات أدوارهم . فعل هذا لأنه ، على تأثره بما رأى ، يعلم أنه يشاهد تمثيلا ، لا واقع حياة ، وإلا لما ألهب يديه بالتصفيق ، لأننا في الحيـاة الواقعية لا نصفق لما ننفعل به

ويسعدني أن أزيد على ما تقدم ، أن المسرح في تطوره الأخير ، ولا سيما بعد أن قامت السينما تنازعه البقاء وتم لها الفوز في أن تنقل الحياة نقلا فوتغرافيا في أشرطتها ، أصبح المسرح يلوذ بمصادره الأولى القائمة على الرمز والإيحاء والتركيز المبالغ فيه ، ثم إشعار المشاهد بأن ما يشاهده إنمـا هو مسرح وليس (الواقع) حتى ينفرد المسرح بطابع لا يستطيع أن ينتزعه منـه الفن السينمائي

ففي روسيا — ومنها تأتي أحدث الاتجاهات في الإخراج المسرحي — تجد أعيان المخرجين أمثال (تايروف) و (فاجتنجوف) يعمدون إلى وسائل جديدة في سبيل هذا وإلى القارئ صورة من العرض التمثيلي في (المسرح الأكاديمي بموسكو) وهو المسرح الرسمي

المسرح عار من الستار ... أي الستار الذي في المقدمة كما هو الحال عندنا ، والظلام يغمر هذا المسرح بحيث لا يرى المشاهد شيئا مما يحتويه ، فإذا جاء ميعاد التمثيل أضيء المسرح تدريجيا فإذا بنا نرى عمال المسرح يقيمون المنظر ، وينظمون الأثاث الخ ، فإذا انتهوا ، ظهر جميع ممثلي الرواية وهم ينظمون ثيابهم ويثبتون شعورهم المستعارة ، وقد يوجهون إلى الجمهور حديثا عن الرواية ، ثم يسود الظلام المسرح مرة ثانية ، وبمعاودة إضاءته يبـدأ تمثيل الرواية

قد تعجب من هـذا لأننا أرقاء الواقع ، إذ خفيت عنا مصادر العرض التمثيلي في مراحله السابقة ، قبل أن تأتي هـذه المدرسة الواقعية التي أصبحت الآن لا تتحكم بمؤثراتها القاصرة إلا في البلاد التي عرفت التمثيل في أواخر القرن الماضي

وبعد ، فأرجو أن أكون وفقت بعض الشيء في أن أجملت ما يحتاج الإسهاب فيه إلى مقالات طويلة

وشكري مزدوج للأستاذ المداوي إذ أتاح لي فرصة الحديث في هذا ، وإذخصني بشارة من ثقته التي سأعتز بها دائما . وارجو أن يكون المسرح المصري نصيب من قلمه المنصف ومن لفتاته البارعة

زكي طليمات

المسرح المصرى
فى خدمة العقيدة الوطنية

الى الأستاذ زكى طليمات

للأستاذ على متولى صلاح

آفتان خطيرتان من آفات النقد يبدوان فى الأغلب الأعم مما يكتب عندنا: أولاهما الانحراف بالنقد إلى الناحية الشخصية والجنوح به نحو التهكم والتجريح. وأخراهما تحميل الكلام مالا يحمل والذهاب به إلى أبعد مما يقصد الكاتب ثم مؤاخذته على هذا المدى البعيد الذى أنشأه المؤاخذ نفسه من نسج خياله!

هاتان الآفتان ركبهما معى الأستاذ الجليل زكى طليمات فى تعقيبه على الكلمة البريئة التى كتبتها فى العدد الأسبق من «الرسالة» أحدد فيها مدى إسهام مسرحيتى «مسمار جحا» و «دنشواى الحديثة» فى خدمة العقيدة الوطنية

أما ما كتبه الأستاذ عن شخصى وما تفضل فرمانى به من نقص وهوى وجور وإقساط وما إلى ذلك فسأسقطه من حسابى فشخصى أهون شئ على، وللأستاذ الفاضل أن يرمى منه فى كلأ مباح!

وأما ما كتبه فى الموضوع مناقشاً به الرأى الذى ذهبت إليه فى مدى تعبير هاتين المسرحيتين عن العقيدة الوطنية، وفى مدى قيام مذهب «الفن للفن» l'art pour l'art فى حياتنا الراهنة اليوم، فذلك ما سأقصر الحديث عليه فى إيجاز:

١ — يأبى الأستاذ إلا أن يقرر أن مذهب «الفن للفن» ما زال موجوداً فى الحياة، وأن الحرب ما زالت قائمة بينه وبين مذهب «الفن للحياة» ويؤكد أن الغلبة لم تكتب لأحدهما حتى الآن ... ولا أفهم معنى لهذا التشبث بذلك الرأى وقد انقضى مذهب «الفن للفن» بانقضاء القرن التاسع عشر، وصار مفهوما — كما قلت فى كلمتى السابقة — أن الفن «الخالص» مرادف تماما للفن «الفارغ»! والشواهد قائمة من حولنا فى كل ما يكتب الكتاب المعاصرون فقد أوغلوا فى الحياة يتناولون مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من كافة نواحيها، وانتهى تماما عهد الأدب الذى لا يقوم إلا على الزينة اللفظية والمواكب البلاغية، وصارت هذه الأشياء بمثابة المحفوظات التى نراها فى المتاحف ودور الآثار! ونزل السادة الأدباء من أبراجهم العاجية وانهارت هذه الأبراج وغشوا الأسواق وجابوا الطرقات يلتمسون الإنسان فى صورته العادية النابضة بالحياة. ولا أدرى أين هم الكتاب (الذين ما برحوا يعالجون الآداب من أبراجهم العاجية) كما يقول الأستاذ الجليل؟ أين هم؟ وما آثارهم تلك؟ إننا — وفوق كل ذى علم عليم — لا نعرف واحداً فرداً له احترامه أو مكانته فى عالم الأدب اليوم من هذا النوع العاجى الذى لم يهبط الأرض ولم يمس ثراها بقدميه الناعمتين! ويذهب الأستاذ الجليل إلى أن هذين المذهبين يعالجان (أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره) والذى أعلمه أن الفرق بين هذين المذهبين ليس فى الأسلوب والتعبير، وأن كلا منهما لا يقوم على طريقة خاصة فى الكتابة، بل إنه لا علاقة لهما بتاتاً بالأسلوب والتعبير ولكنهما يقومان على طريقة فى التفكير والوضوع: فأولهما يقوم على فكرة أن الفن لا علاقة له بالأخلاق وأنه لا يجوز أن يوضع الفن فى خدمة المجتمع لأن الفن فى ذاته غاية لا وسيلة، وأن واجب الفنان (هو البحث عن الجمال وحبس هذا الجمال فى إطار) كما يقول أسكار وايلد

وثانيهما يقوم على أن الفن وسيلة كبرى من وسائل إصلاح الحياة وعلى أن رجال الفن والأدب مسئولون عن كل ما فى الحياة من نقص وظلم وفساد، وأن عليهم تقع — أول ما تقع — تبعة ذلك جميعه وأن الفن الذى لا يعالج أدران الحياة هو فن فارغ لا معنى له ولا نفع فيه

فأين الأسلوب والتعبير من هذا؟

٢ — ولا أدرى لماذا لا يختار الأستاذ فى حديثه عن (الوجودية) إلا ما قاله أشد الناس عداوة لها؟ ولماذا يرميها بأنها «نظريات فلسفية قائمة ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالوادية الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الملحنية» ... وهى ليست من

كل ذلك فى شئ ؟ لماذا يقف منها هذا الموقف وهو العليم بعناصرها الطيبة الكريمة وبقواعدها السليمة الصحيحة ؟ أيكون ذلك من الأستاذ الجليل لمجرد أن يدحض رأينا ويفند قولنا ؟ إن كان ذلك فما أحب إلى نفوسنا أن يكون لسانه عليها وقلبه معها ! إن الأستاذ يعلم دون شك أن الوجودية تقوم على الحرية العريضة لبنى البشر ، وتحميل الإنسان — مادامت له هذه الحرية — المسئولية كاملة غير منقوصة ، وأنها تقوم على الرجولة والصراحة ونبذ النفاق والضعف ... وإن زعيمها « جان بول سارتر » ليسمى جاهدا لتكوين الفلسفة والأدب « خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذى يصمدون بالعيش فيه . . وعلى توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضونها لأنفسهم »(١)

ليست « الوجـــودية » شذوذا وانحرافا كما يرميها بذلك أعداؤها الألداء الذين أعيذ الأستاذ الكبير أن يكون منهم ؛

وإن شرح مافى هـذا المذهب من المزايا الجليلة يطول . ولو تفضل الأستاذ فقرأ كلتين كتبتهما عن هذا المذهب فى العددين ٩٣٩ ، ٩٤٣ من « الرسالة » لعدل من رأيه كثيرا ولآمن بأنه مذهب ينبغى الالتفات إليه ودراسته

ثم إن « الوجودية » لم تقم (على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية بعد الحرب الكبرى الماضية) ولعل الأستاذ يقصد « السوريالية » لا « الوجودية » فهى التى قامت على أنقاض هذه الحرب الكبرى منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ م تقريبا ... قامت على أنقاضها وبسببها وفى ذلك يقول « أندريه بريتون » وهو من زعمائها الأولين « قامت الحركة السوريالية على فكرة تبغيض الحرب وتثبيط همم الرجال عن القيام بها إن دفع بهم المجتمع يوما إلى خوض غمارها »

٣ — أما ما قرره الأستاذ الجليل من أن كلامى « ينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ويهـدف باطنه إلى النيل من فرقة المسرح المصرى الحديث » فالحق أن هذه تهمة خطيرة كنت أود أن يقف الأستاذ طويلا قبل أن يرمينى بها هكذا فى يسر وسهولة استجابة منه لوشاية حقيرة صغيرة . ولو أنى كنت ذا هوى لـكان هواى مع هذه الفرقة لاعليها ، فلى بها من الصلات ما يعلم أمره الأستاذ الجليل ، وما أرانى إلا عضوا فى أسرتها ، ولبنة فى صرحها الذى أرجو أن يعمق ويطول

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وليعلم الأستاذ الجليل أننى لست ممن تشترى نفوسهم وأقلامهم ، ولست من الذين إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

ولعل كاتبا لم يكتب فى الاشادة بهذه الفرقة مثل الذى كتبت عنها . وليس أقطع فى ذلك من أن أحيل الأستاذ الجليل على ما كتبت فى « الرسالة » بعددها الرقيم ٩٣٨ الصادر فى ٢٥ يونيو الماضى عند حديثى عن مسرحية « حورية من الريخ » فقد قلت محييا هذه الفرقة ما نصه : —

« تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة من فوق منبر « الرسالة » ونعنى بها فرقة « المسرح الحديث » التى ظهرت خلال هذا الوسم كما تظهر بوا كير الندى وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس اشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ، ومن أين للظبى الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد الهصور

ولـكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين معجبين عندما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع لـكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور • وتنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لـكان فى الأمة من هو أحق من امير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ومعنى نـكران الذات ، فما رأينا واحدا منهم حاول فى موقف له أن يسطو على حساب زملائه أو أن يسلب أخاه مجدا يراه حقا له . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما لقنوه من ثقافة ومعرفة حرمها الـكثير من رجال المسرح الأقدمين

(١) الـكلام الذى بين الأقواس منقولا من مقدمة رواية الندم أو الذباب لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمد القصاص

فهل من الانصاف أن يقال عن رجل يصدر عنه هـــذا الـكلام إنه يريد النيل من هذه الفرقة ؟

على أن الأستاذ الجليل يستطرد فيتهكم بى ويغمزنى غمزة يحسبها تنال منى إذ يقول « إن هذه أول مرة يطالع لى كلاما عن المسرح » ! وليس عجيبا ألا يقرأ الأستاذ شيئا مما أكتب من فصول فى الأدب والنقد والشعر منذ سنوات بعيدة ، ولـكن العجب كل العجب ألا يقرأ — على الأقل — هذا الـكلام الذى قدمت وهو يمسه ويمس فرقته مسا مباشرا

ولولا أنى أمقت أن أتحدث عن نفسى لدللت الأستاذ على مئات ومئات من الكلمات التى كتبت هنا وهناك منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ولـكن هذا انحدار بقدرى لا أرضاه لنفسى

ويزيد الأستاذ فيأخذ على أننى لم أحاسب الفرقة الأخرى التى لم تقدم شيئا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور ، وهو يعنى بها فرقة الأستاذ يوسف وهبى . وهذا كلام له خبىء ! فأرجو أن يعلم الأستاذ أننى لا تربطنى بواحد فرد من أعضاء هذه الفرقة أقل رابطة ، ولو أن هذه الفرقة ادعت أنها قامت بشىء فى سبيل خدمة العقيدة الوطنية لـكان حسابنا لها عسيرا ، ولـكنها لم تفعل ، وليس فى وسعنا أن نأخذ الناس بغير ما يأخذون به أنفسهم . على أنها فى ذلك مقصرة مسرفة فى التقصير دون شك

٤ — ونعود بعد هذا إلى موضوع المسرحيتين اللتين يذكر الأستاذ عنهما أنهما « من أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذى يدق فى قلب كل مصرى فجاءت كل مسرحية منهما تعكس فى مشاهدها صورا ورؤى مما يعمر رؤوسنا فى هذه الفترة العصيبة من حياة مصر » ولست أعيد هنا ما قلته فى كلمتى الأولى من أن كلتيهما لا تعبر تعبيرا صادقا تاما عن هذه المعانى ؛ ولـكنى أزيد فأقرر بأننى عندما أعلنت رأيى هـــذا للصديق الـكريم مؤلف « مسمار جحا » ذكر لى أنه لم يؤلف مسرحيته فى هذه الأيام ولـكنه ألفها منذ عام ، وأنها بين يدى الفرقة منذ ألفها ، وأنه لم يكن يقدر عند تأليفها أن الأمور ستجرى فى مصر على هذا النحو الذى جرت عليه من إلغاء المعاهدة وما تبعه ، بل إنه لآسف أن يقع تمثيلها بعد إلغاء المعاهدة وهو إنما أراد بها أن تمثل قبل إلغائها ! وتفضل فاستمع لرأيى هذا فى رضى وقبول حسن .

فهل حقا كانت بين يدى الفرقة فى هذا الوقت الذى يقرر مؤلفها الفاضل أم إنه أراد بها أن يعكس ما يعمر رؤوسنا فى هذه الفترة العصيبة ؟

وأما الثانية فقد أخبرنى مؤلفها الفاضل بأنها ليست جديدة ولـكنها كانت تمثيلية إذاعية ، فطلب اليه الأستاذ الجليل زكى طليمات أن يجعلها مسرحية للتمثيل وحدد لها مدى لا يعدوه وجعله خمسة عشر يوما فقط ! وذكر لى الأستاذ المؤلف عندما تفضل فدعانى لشهودها فى « اللوج » الخاص به فى أول ليلة قدمت فيها ، قال لى على ملأ الناس ما يكاد يكون نصه : إنك ماض الليلة لترانى فى أسوأ حالاتى ! فهل كنت متجنيا ظالما فى هذا الرأى الهادىء الذى أعلنته عن المسرحيتين فى لطف وعدم إسراف ؟

ولم أشأ أن أقول ياسيدى الأستاذ عن هذه المسرحية — مثلا — إنها تصور المرأة المصرية تصويرا سيئا إذ تجعلها تـكف ولدها عن النضال وتمنعه من الاشتراك فى كتائب التحرير وتصرخ وتولول عندما يأذن له أبوه بذلك !

لم أشأ أن أقول هذا أو غيره وهو كثير أشار إلى بعضـــه صديقنـــا الأستاذ عبد الفتاح البارودى ، ولـكن الأستاذ الجليل زكى طليمات يرمينى بأنى أعتسف النقد اعتسافا وذلك فى الحق منه تجن كبير ، اللهم إلا إذا صح مايقوله البعض من أن الاستاذ قد أجرى فيها من التعديل والتغيير ما جعله يحس — بينه وبين نفسه — أن تأليفها معزو إليه ، فهو إذن يدافع عن نفسه لا عن المؤلف الذى يعرف الناس أنهاله

ومعاذ الحق أن نجمع بين هاتين الروايتين إلا فى المعنى الذى قدمت ، أما دون ذلك فبينهما فرق بعيد .

فالأولى ... وأعنى بها مسمار جحا — فن وأصالة وأناة

والثانية — وأعنى دنشواى الحديثة — عرض وسرد وحكاية وزجل لطيف ونقل « فوتوغرافى » كما وصفها بحق صديقنا البارودى

وأغلب الظن أن مؤلف الثانية انتفع كثيرا بالأولى فى بعض الحوادث والأشخاص ، فالباحث المدقق يلمح ذلك جيـــدا وللاستاذ عذره فى هذا فقد ألزم زمنا غير فسيح

رسالة النقد

في ميزان النقد :

أرض الخطايا

تأليف الأستاذ أمين يوسف غراب

الأستاذ ثروت أباظة

هى مجموعة أقاصيص للقصاص الفنان الأستاذ أمين يوسف غراب. والأستاذ أمين عريق فى فن الأقصوصة خبير بأهدافها ذو قلم قوى ... قادر دائما على أن يظهر الملامح الرئيسية التى يريد لها الأستاذ أن تظهر . وتمتاز المجموعة أن أغلب أقاصيصها تهدف كل منها إلى فكرة اجتماعية معينة ، والقصاص ذو الفكرة الاجتماعية جرىء ، والقصاص الذى يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته دون أن يعلن هذا الهدف بالتصريح بل هو يعلنه بالقصة نفسها وبحوادثها وبالحوار فيها، هذا القصاص قدير ... والأستاذ أمين صاحب فكرة اجتماعية، والأستاذ أمين يستطيع أن يصل إلى هدفه بقصته حيث يديرها غير مقيم من نفسه خطيبا اجتماعيا هو قصاص ذو فكرة إذن .

ان أستطيع أن ألم بأقاصيصه جميعا فهى كثيرة لا أستطيع هذه الكلمات الإحاطة بها ، ولكننى سأتناول بعضا من الاقاصيص الهادفة إلى فكرة . وقبل هذا التناول لا بد لى أن اذكر أن الأستاذ أمين من الذين يضعون القدر فوق كل شىء ، ويلقون اليه بكل مسئولية ؛ وهو بعد هذا يهاجمه أشد هجوم . ولقد ساق لنا من الأقاصيص ما يجعلنا نجزع من هول ما يصنع هذا القدر . فلقد قتل الأستاذ أمين أمامنا أرواحا بريئة، نعلم براءتها . وقتل دون أن يهدف بقتلها إلى فكرة إجتماعية ، إلا أن القدر غلاب . وأعتقد أن الإصرار على هذا يقعد بنا قعودا كاملا عن محاولة الاصلاح ، فاذا بيدنا نحن المخلوقات الضعيفة أمام القدر الباطش السفاك ؟ ما الاصلاح الذى يريده الأستاذ أمين بأقصوصته «الدم الأبيض» مثلا ... وما الإصلاح الذى يريده « براعى الغنم »؟ أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه كلها هادفة إلى غرض إجتماعى معين ، ولكننى أطلب اليه وأصر أن لا يعرض علينا هذه الصور الموغلة فى السواد ، فالقصاص على أتم حرية أن لا يهدف إلى إصلاح إجتماعى ، ولكنه لا يملك مطلق الحرية فى أن يلقى على أيامنا السواد . وليس على شىء من الحرية فى أن يهتف بنا كلما رام أحدنا إصلاحا : أن قفوا فالقدر من ورائكم هادم ما تريدون اقامته ، مذل منكم الأعناق . أنا لا أطلب اليه أن يجعل أقاصيصه ذات هدف اجتماعى اصلاحى ولكننى أطلب اليه ألا يذكرنا بهذا القدر فتقعد همة تحاول أن تهب ، وتخور عزيمة توشك أن تثب

وللأستاذ أمين أقاصيص بلغت من الكمال مكانا وهى مع ذلك لم تهدف إلى إصلاح إلا أن تطمئن النفس العاملة أن لها أجرها ، وإلا أن تبشر من بلاه الله بتشويه فى خلقته ، أن جمال الروح أثمن من جمال الوجه كما فى أقصوصة « حكمة القدر » التى لا بد لقارئها حينما ينتهى منها أن يشعر بأن القدر القاسم الصلب قد يكون رءوفا كريما . . هى أقصوصة قدرية ولكنها لا تشوه أمامنا القدر ولا تقعد بذى الهمة ولا تخيب صاحب العزيمة :

ياسيدى الأستاذ الجليل :

أرجو أن أخلص من هذه الكلمة وقد استقر لديك أننى لا أنطوى إلا على الحب لك ، وأننى أصلب عودا من أن أستتر وأستخفى وأهرب من تبعة ما أقول ، وأننى لست من هؤلاء الذين يستذلهم الغرض فيكتبون بيمين وينظرون بالعين الأخرى إلى بريقه الوهاج .

والسلام عليك ورحمة الله .

على متولى صلاح

لا بد لى بعد هذا أن أتناول بعضا من تلك الأقاصيص التى هدف فيها الأستاذ أمين إلى فكرة معينة. وإنى لأشايعه فى بعض من هذه الأفكار وأعارضه فى بعض منها آخر؛ ولكننى عجبت من أربعة مواضع تعارض فيها مع نفسه تعارضا واضحا؛ فهو فى أقصوصة «وفار التنور» يذكر مقدار الحاجة الملحة للمال وكيف دفعت هذه الحاجة الخباز حارس الفرن أن يلتهم ديكا كان يعد لأحد الباشوات ثم حرق نفسه بعد أكلته.. هو فى هذه الأقصوصة جعل الرجل يدفع حياته كلها فى سبيل أكلة.. الفكرة غريبة بعض الشىء لأن الجوع كان من نفسه سيؤدى بالرجل إلى الموت، كما أننى أعتقد أن سرقة ديك لا يعاقب عليها بالاعدام الذى حكم به الرجل على نفسه. على أية حال كان الرجل معدما فى أشد الحاجة إلى المال ليأكل، فسرق وأكل وانتحر.. فى هذه الأقصوصة أظهر لنا عظمة المال وجبروته. ولكنه فى قصة أخرى هى «آفة السعادة» جعل آفة السعادة هى المال نفسه. والحياة بين اثنتين، إما وجود المال أو عدمه، فإن كان وجوده تعاسة وإعدامه موتا. فماذا يرى الأستاذ؟

أما الوضعان الآخران فهما أشد غرابة فى تعارضهما؛ فهو فى أغلب أقاصيصه كان يهدف — كما قلت — إلى فكرة اجتماعية جليلة، ومعنى هذا أنه يرى أن الفن أداة للاصلاح الاجتماعى؛ بل هو يذهب إلى أبعد من هذا فيعمل بفنه فى سبيل الإصلاح الاجتماعى ولا يمكن أن يكون مصلحا اجتماعيا إلا إذا كان إنسانا يأكل ويشرب ويتزوج. هو إذن من أنصار النظرية السائدة اليوم أن الفن للمجتمع وليس للفن، وأن الفنان من المجتمع وإلى المجتمع، ولكننا بعد هذا نراه فى أقصوصة «ثورة الآلهة» وهى أقصوصة رمزية عن فنانة إنسانة. نرى الأستاذ يوسف يحرمها الزواج ويرفعها إلى مصاف الآلهة، ويريدها فنانة للفن، وللفن فقط ممثلا فى المجتمع. وهكذا التوت القصة على نفسها فهى إن كانت تعيش للمجتمع فلا بد أن تحس به لتنقل؛ وإن كانت تعيش للفن فلا بد أن تنقطع عن المجتمع وتستلهم الوحى وحده — إن وجد — وهكذا أيضا تتعارض الأقصوصة مع روح الأستاذ أمين

وقد يقول الأستاذ أمين إنه قصاص ينقل ولا شأن له بالمجتمع وهذا الكلام معقول لولم تتجه أغلب أقاصيصه إلى ناحية اجتماعية معينة. وهذا القول بطبيعة الحال لا ينطبق مطلقا على الأقصوصة الرمزية، لأن القصة الرمزية فى أصلها فكرة مجردة فى ذهن القصاص، وأراد أن يعبر فعبر عنها بقصة فهو رمز، وهى بخلاف الأقصوصة الواقعية التى هى فى الأصل صورة من الحياة تنقل نقلا، أو صورة ترسم رسما لتشابه صور الحياة

وبعد فالمجموعة تضم أقاصيص بلغت غاية الروعة. ولا ينقص المجموعة هذه المآخذ الهينة التى أحاول أن آخذها على الأستاذ أمين غراب، فأقصوصة «المذياع الحكيم» و «مائة دجاجة وديك» و «الفناجين الحمر» وغيرها، كلها أقاصيص تؤكد أن الاسم الذى يتمتع به الأستاذ أمين يوسف غراب إنما يدل على أن صاحبه يستحقه، ويستحق معه كل إكبار وتجلة

ثروت أباظة

البريد الأدبي

لغويات :

كثيرا ما يجرى عن الأقلام ، ويتردد على الألسن ، ويقع فى الأسماع والأبصار كلمات لا تنهج نهج أصول اللغة ، ويلهج بها اللاهجون ، وينقلها الخلف عن السلف فى غير ما تحقيق وهو منهم قاب قوسين أو أدنى :

١ — قيد :

جاء فى كتاب (نشوء اللغة العربية) تأليف الأب أنستاس مارى الكرملى ص ٢ قوله « وممن قال به ولم يحد عنه (قيد) شمرة » بالفتح وصوابه الكسر تقول (قيد) شمرة — بالكسر — أى قدر شمرة ، كما تقول « غلوة رمح (أى مقدار رمح ، وهى كلها من ألفاظ القياس المكانى . وأما « القيد » بالفتح فبمعنى « رهن » . قال الشاعر . (.. قيد الأوابد هيكل) وهى أيضا واحد القيود من تقييد الدابة أى عقلها ؛ وفى الحديث « اعقلها وتوكل »

٢ — جف الماء :

تعبير خاطىء يقع فيه فطاحل الكتاب ولا يلتفتون إلى موضع الخطأ فيه ؛ يقال « جف العود أو الغصن » أى صار من الليونة والمرونة إلى الخشونة والصلابة والجفاف . واستعمال « جف الماء » بمعنى نشف أو تبخر وزال بلله استعمال خاطىء لا تسمح به اللغة ، وإنما يجوز أن يفهم على معنى صيرورته من المائية إلى الصلابة بصورة « جليد » لأن هذا الأخير هو الماء جف — أى صلب — فصار جليدا متماسكا

والصواب فى استعمال « الجفاف » أن يقال (جف الثوب أو الإناء) أى ذهبت نداوته وأثر الماء فيه . ويقال (جف النهر إذا زال عن قاعه وجانبيه البلل و(غاض) فيه الماء أى نقص أو زال

٣ — قناة وقنال :

هذان اللفظان يستعمل كل فى معناه المقصود منه ، فأحيانا يقولون ويكتبون (قناة السويس) وأحيانا أخرى (قنال السويس) (١) . والأصوب لفة (قنال) باللام وهى لام التعريف فى المضاف إليه فى قولهم (قنا البحر أو قنا الماء) أى مجراه ، ومن لفظ المضاف ولام المضاف إليه نحتت لفظة (قنال)

أما « القناة » فقد تستعمل بمعنى القنال وإن كانت هذه أصح منها . وهى بمعنى الغصن أو الرمح . قال المتنبي وما أصدق ما قال:

وإذا أنبت الزمان قناة   ركب المرء فى القناة سنانا

٤ — الغث والسمين :

هذان اللفظان توأمان إذا قيل الأول تبعه الثانى فى أغلب الأحيان كأنه له الظل . والغث لغة الردىء والمهزول وضده السمين من السمن وهو الاكتناز الحما والتطبيق شحما .. ويخطىء المخطئون فيقولون (الغث والثمين) بالثاء فى الثانية ، وهذا قد يصح استعماله على وجه ويجوز ، ولكن الاستعمال الأول « السمين » بالسين أصح وأصوب لرجحان الضدية والتوأمية فيه وهو المستعمل من قديم

قال تعالى فى كتابه العزيز « فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين » وهو ضد الغث وهو المهزول الضاوى

وقال الشاعر العربى :

فإما أن تكون أخى بحق   فأعرف منك غثي من سميني

أى الردىء من الحسن ..

٥ — نفد ونفذ :

يخطىء الكبير والصغير فى استعمال هذين اللفظين ويخلطون بينهما الخلط الذريع وتشاركهم المطبعة العربية — تصحيفا — فى هذا الخلط . فالفعل بالمهملة بمعنى انتهى وفنى . قال تعالى « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد

(١) شد الله أزر إخوان الفداء ورحم الله الشهداء .



البائعة الصغيرة

للكاتب الداغركي هانز أندرسون

كان البرد يشتد ، والثلج ينهمل ، والظلام يحلولك ، والليل يسدف لينبلج عن صبح عام جديد . وكانت تضرب فى بهمة

يعد هانز كرستيان عميد الأدب الدانمركي بغير منازع . وقد ذهب صيته فيما وراء وطنه . واشتهر بين كتاب الغرب قصصيا له مذهب خاص فى القصة . وكثير من النقاد يحذف « الخرافة » من القصة . إلا ما كتب أندرسون ، وقليلون غيره ، فى هذا الباب . « والبائعة الصغيرة » على الرغم من قصرها قطعة رائعة من الأدب ، ومثال دقيق من فن ذلك الأديب .

الليل وصبارة القر فتاة حاسرة الرأس عارية القدمين : كانت تنتعل خفين عندما غادرت منزلها ، ولكنهما كانتا واسعتين فقد كانتا قبل لأمها . وبينا هي تعبر الطريق أمام عربتين مسرعتين أضاعت خفيها . فأما الأولى فلم تجد لها أثرا ، وأما الأخرى فقد خطفها طفل وجرى . فراحت الطفلة تجوب الطرقات وقد تعرت قدماها ، واحمرتا من برد وازرقتا . وكانت تحمل فى جيب ثوبها العتيق حزما من الثقاب ، وفى يسراها حزما ، وقد أدبر النهار وما باعت منها شيئا ، ولا حصلت ليومها فلسا

كانت تقضقض من البرد وترتعد من الجوع ،وتسير متحاملة على نفسها تجر قدميها جرا ... كانت صورة من التعاسة تلك الفتاة المسكينة ! وقد تغطى بالثلج شعرها الأصفر المسترسل الجميل ، وتدلت منه خصلات ناست على جيدها الأبيض الناعم . ولكن تلك الفكرة لم تكن لتطيف بذهنها إذ ذاك ؛ فقد كان النور يشع من النوافذ ، ورائحة الأوز المشوى تفوح فى الفضاء مؤذنة بميلاد

كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا » . وقال الشاعر :

أرى العيش كنزاً ناقصا كل ليلة ... وما تنقص الأيام والدهر ينفد

ومنه قولهم « فلان خصم منافد » وهو الذى يستفرغ جهده فى الخصومة واللدد. وفى الحديث « إن نافدتهم نافدوك(٢) »

أما الفعل بالمجمة فبمعنى شق « لج من هنا ليخرج من هناك كقولهم « نفذ السهم من الرمية » . قال تعالى « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان »

وقال الشاعر العربى :

حتى استكانوا وهم منى على مضض ... والقول ينفذ مالا تنفذ الإبر

وكذلك يخلط الكتاب بين (الشذر والشزر) وبين (النذر والنزر) وبين كل متشابهين متجانسين يجوز فيهما التصحيف ولا أقول التحريف

وبعد : فتلكم هنوات لغوية عرضت لها عابرا رغبة فى التذكير — والدهر ينسى — وذكر فإن الذكرى تنفع اللغويين كما تنفع المؤمنين وهم مؤمنون . والسلام

(الزيتون) عرفان

سهو

نحن طلبة الأرتريين نأسف كل الأسف لعدم ذكر إرتريا المسلمة فى المقال المنشور بعنوان « الكتلة الاسلامية والسلام العالمى » بقلم الأستاذ القدير أبو الفتوح عطيفة فى العدد الخاص بمناسبة العام الجديد لمجلة الرسالة الغراء

كيف ينسى هذا القطر المسلم الذى يتطلع إلى الحرية والاستقلال ، لقد أرسل مندوبين عنه ليمثلاه فى المؤتمر الاسلامى فى إحدى جلساته بكرتشى

فالرجاء منكم إخطار الأستاذ بذلك مشكورين

عن الطلبة الأرتريين

عبد الله خيار

---

(٢) وتروى أيضا بالقاف .

عام جديد . فانتبذت ركناً منزوياً فجثت على ركبتيها ، وتقبعت في مكانها ، والبرد يسري في أعضائها قارساً لذاعاً . ولكنها لم تكن لتجرؤ على الذهاب إلى منزلها ، وما باعت من ثقابها شيئاً ، فعصا الأب تترقب ، وسقف البيت مهدم خاو تعبث به الريح ، ويصفر فيه الهواء

كان البرد يخدر يديها الصغيرتين ، فتفكر في عود من الثقاب تأخذه من الحزمة ، فتشعله في الحائط ، فتدفئ يديها على لهبه وما عالكت أن فعلت فأضاء العود بلهب ساطع كنور الشمعة ، فخيل للفتاة أنها جالسة بإزاء موقد ذي ألوان ، له قاعدة من نحاس وغطاء من نحاس لامع . ما أجمل النار تبعث الدفء في الأطراف ، والطمأنينة في النفس ! ولكن اللهب الضئيل لم يلبث إلا قليلا حتى خبا ، فتبخر في الهوى موقدها النحاسي اللامع ، ولم يبق بيدها سوى رماد العود المحترق . فأشعلت عوداً ثانياً ، فالتهب فوقع نوره على الحائط ، فصيره كقناع شف استطاعت أن ترى الحجرة من خلاله . رأت مائدة بسط عليها قماش أبيض صفت عليه آنية العشاء ، وتوسطته أوزة مشوية يفوح منها بخار له نكهة وطيب ، ويملأ جوفها تفاح وبرقوق مجفف . ثم ياللعجب! لقد قفزت الأوزة من الطبق وتهادت على أرض الحجرة ثم أقبلت على الطفلة وفي صدرها شوكة وسكين ! ثم انطفأ العود فلم تبصر الفتاة إلا حائطاً رطباً سميكاً بارداً ، فأشعلت عوداً ثالثاً فإذا هي جالسة تحت شجرة جميلة من أشجار عيد الميلاد تشتمل على أوراقها آلاف من الشموع ، فتغمر بنورها صوراً ملونة جذابة كتلك التي كانت تراها في المكتبات ، فمدت الفتاة يديها نحوها فانطفأ العود ، وارتفعت أنوار عيد العام ، فرأتها الفتاة نجوماً في السماء ، سقط أحدها فرسم خطاً طويلاً من النار ، ففكرت الفتاة الصغيرة : الآن يموت أحد . فكذلك علمتها جدتها العجوز التي درجت إلى القبر وما كان للطفلة غيرها يحبها ويرعاها . وأشعلت الفتاة عوداً رابعاً ، فسطع النور مرة أخرى ، فتمثلت لها جدتها تشع نوراً وحناناً . فصاحت الطفلة : « جدتاه ، خذيني معك ، سوف تذهبين إذا ما خبا نور الثقاب ، وبزول طيفك الحبيب مثلما ذوت النار الدافئة ، والأوزة الشهية ، وشجرة عيد الميلاد » ، وأقبلت على الثقاب تشعله كيلا تذهب جدتها ، فتلتهب بنور أسطع من الشمس وضحاها ، وتتمثل لها جدتها أبهى مما كانت وأجل . ثم أقبلت الجدة على الطفلة فاحتضنتها ، وطارت بها في عالم من البهاء والسرور ، وحلقت بها في السموات العلى ، وحملتها من الأرض حيث لا برد ولا جوع

غير أن الطفلة كانت تجلس في ركنها ، مستندة إلى الحائط وقد احمرت وجنتاها ، وانفجرت شفتاها عن ابتسامة سعيدة . هناك كانت ترقد أيبسها القر ، وقد احترقت علبة من ثقابها ، فقال الناس : « لقد أرادت أن تدفىء نفسها » وما علم الناس أي جمال رأت ، ولا بأي احتفال حملت إلى السماء ليلة العيد ...

ش . ع



والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

ليكن فى علم الجمهور أنه طبقا لنصوص عقد الإشتراك لا يجوز استعمال التليفون لغير المشترك ومستخدميه وعائلته إلا إذا حصل على تصريح كتابى من المصلحة وعليه أن يلصق فى مكان ظاهر صورة من هذا التصريح بجوار العدة التليفونية لاطلاع من يهمه الاطلاع عليه من الجمهور ومندوبى المصلحة .

فالرجا لمن يرغبون من حضرات المشتركين الحصول على التصريح المشار إليه أن يتقدم للمصلحة بطلب كتابى للنظر فى أمر إعطائه التصريح الخاص باستعمال التليفون للجمهور حتى لا تضطر المصلحة لتطبيق نص البندين ١٦ و ١٩ من عقد الاشتراك .

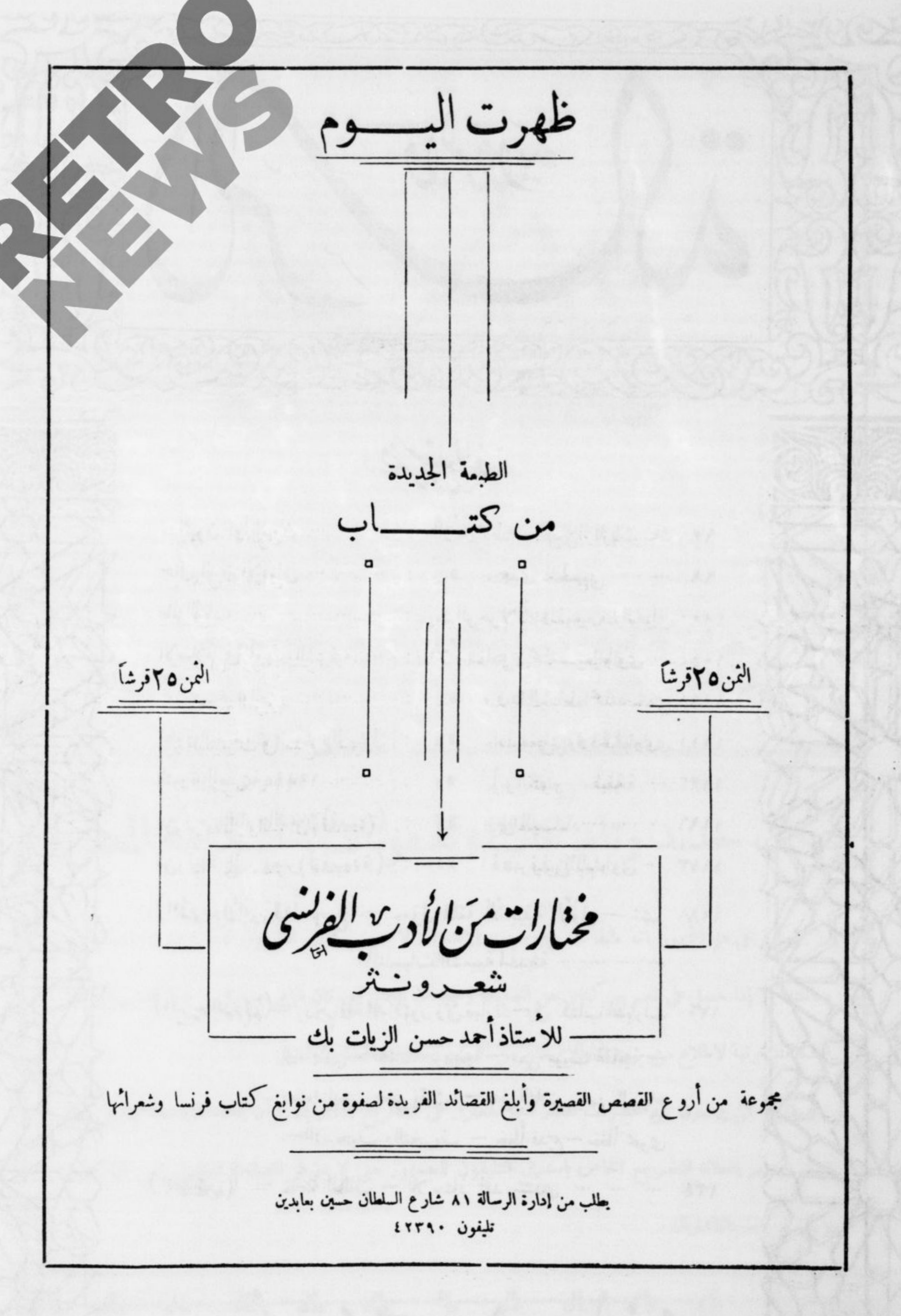
مطبعة الرسالة

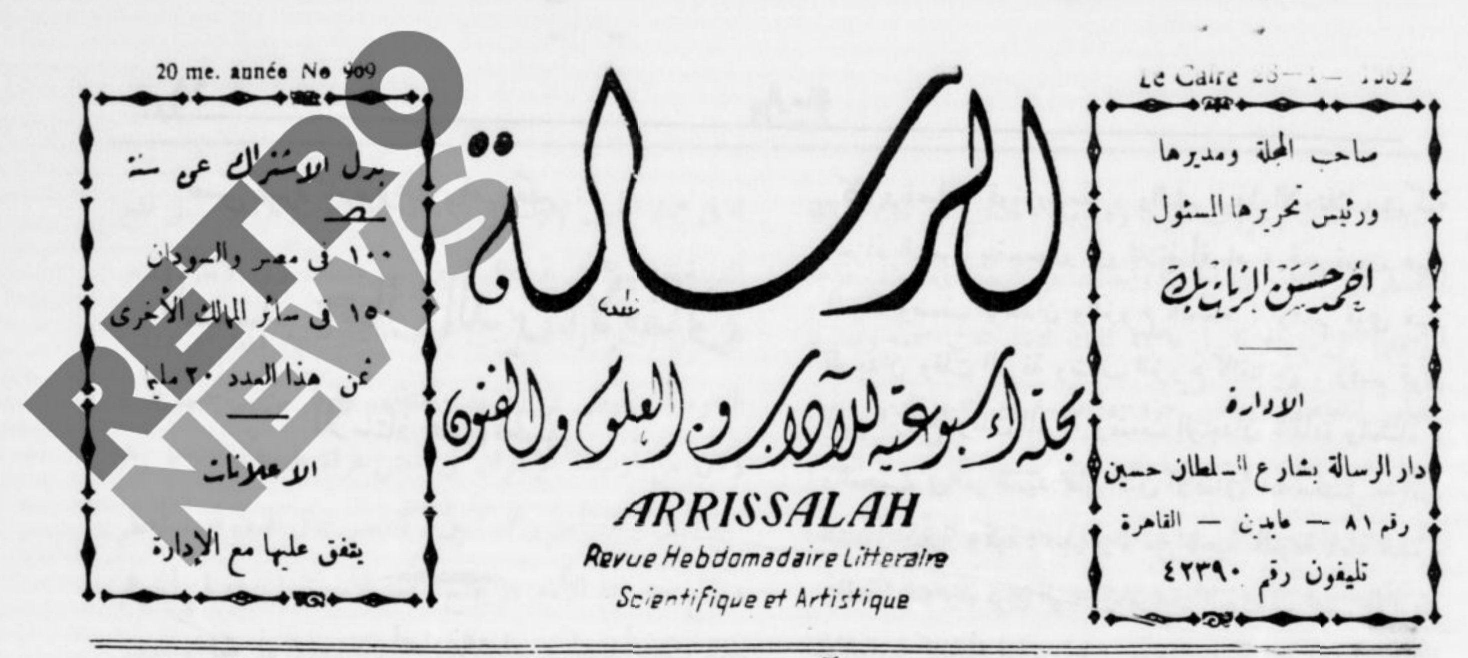




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


ظهرت اليـــوم
الطبعة الجديدة
من كتـــــاب
الثمن ٢٥ قرشاً
الثمن ٢٥ قرشاً
مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها
يطلب من إدارة الرسالة ٨١ شارع السلطان حسين بعابدين
تليفون ٤٢٣٩٠


20 me. année No 969 — Le Caire 28-1-1952

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ — ٢٨ يناير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

فدائيون وأنانيون . . .

ما أشبه بني آدم بنبات الأرض ! يتفق في التربة والغذاء والجو ، ويختلف في اللون والطعم والمزية . في الحقل الواحد تجد الطيب والخبيث ، والحلو والمر ، والنافع والضار ، والصلب والهش ، والمستقيم والمعوج ، والمثمر والعقيم . وهذا الاتفاق وذلك الاختلاف تجدهما في بني الإنسان على أوضح صورة . ها نحن أولاء ، طينتنا من ثرى الوادي ، وغذاؤنا من خير النيل ، وهواؤنا من جو مصر ؛ ولكن فينا من يؤلم ولا يلذ كالعوسج ، ومن يروق ولا يثمر كالصفصاف ، ومن يضر ولا ينفع كالهالوك ، ومن يرتفع ولا يستحق كالعليق . أما المصطفون الأخيار فهم كالفواكه والرياحين قلة قليلة . . منا العيون التي تتجسس للعدو ، والأيدي التي تعمل مع العدو ، والألسن التي تدعو إلى العدو . ومنا الأوغاد الذين يقضون أيامهم اللاهية عكفا على الفحش ينفقون أموالهم التي استقطروها من عرق الفلاح ودمه ، في الخمر والقمر والنساء ، وأبناؤنا الشباب يقاتلون العدو وجها لوجه وهم جياع ! ومنا الأنذال الذين كسبوا المال وخسروا الشرف ، وشروا الجاه وباعوا الضمير ، فظلوا بيننا تماثيل للؤم والبلادة ، يسمعون عن فظائع الإنجليز في القنال ، وعن فجائع الفدائيين في القتال ، وكأن القنال ليس من أرض الوطن ، وكأن الفدائيين ليسوا من شباب الأمة ! أما البررة الأطهار فهم صفوة الخير المغلوب بين هذا الشر الغالب ! هم أولئك الشباب الجامعيون الذين نذروا دماءهم الزكية لله ولمصر . يَقتلون مستبسلين ، ويُقتلون مستشهدين ، لا يبتغون عرض الحياة لأنهم يستقبلون وجه الموت ، ولا يطمعون في جزاء الدنيا لأنهم يقنعون بثواب الآخرة

هم أولئك الفدائيون المترفون الذين ربأوا بوطنهم أن يُحتل ، وبشعبهم أن يُذل ، فزهدوا في نعيم العيش ، ورغبوا عن سلام الأمن ، وعاشوا مع الفلاحين في قرى القنال ، يطعمون أغلظ الطعام ، ويشربون أكدر الشراب ، ويفرشون أخشن الفراش ، ويستعيضون عن العطور والدهن بالشحم يطلون به أجسادهم المرهفة ليقيها برد الماء وقر الشتاء ، ثم يكمنون للعدو الباغي عراة في قنوات الحقول وأخاديد الأرض ؛ حتى إذا شاء القدر أن يسخر من الامبراطورية العجوز ، ساق قطيعا من أغنامها الحمر إلى الجزرة الفدائية الجائمة ، فيلتقى الإيمان والكفر ، والشجاعة والجبن ، والفداء والأثرة ؛ وتغلب الفئة القليلة الفئة الكثيرة بإذن الله ، فيفزع (أرسكين) ، ويجزع (تشرشل) ، وتسيل شوارع المدن ومسالك القرى بالدبابات والمصفحات والجنود ؛ ثم تكون عاقبة هذا الجيش العرمرم والعتاد الضخم هزيمة مخزية تشبه الصفعة على القفا العريض ، أو البصقة على الوجه الصفيق !

هؤلاء المجاهدون الأبطال الذين أقضوا مضجع انجلترا وأيدوا حق مصر ، لا يرجون من قومهم غير السلاح ! فهل يستجيب أغنياؤنا الطاخفون لهذا الرجاء ؟ إنك لا تحيي الموتى ولا تُسمع الصمَّ الدعاء !

احمد حسن الزيات

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح مكبر :

السيد جمال الدين الأفغانى

للأستاذ حمدى الحسينى

— ١ —

كنت فى مجلس من أصحابى الشباب وكنت أتحدث إليهم عن السيد جمال الدين الأفغانى فأعجبوا بروحه القوية المتدفقة نحو الحياة والحرية . وكيف لا يعجب شباب العرب بروح جمال الدين وهم يتحفزون للوثبة الكبرى وراء الحياة والحرية ؟ وكيف لا يتخذون من روحه القوية المتدفقة الوثابة حافزا لهم فى جهادهم المظيم للحرية والاستقلال والوحدة . فطلب منى بعض أولئك الشباب أن أكتب كلمة عن هذا الرجل العظيم فى مجلة الرسالة الغراء ليتعرف عليه أكبر عدد ممكن من شباب العرب. وهأنذا أحقق رغبتهم راجيا أن أوفق إلى تصوير روح جمال الدين تصويرا يجعل منها نورا يستضىء به الشباب العربى فى جهادهم القومى ، ونارا تأكل هذا الاستعمار الغاشم فتقوض دعائمه وتذهب بكيانه وعيانه

يقسم علماء النفس الشعور الإنسانى إلى ثلاثة أقسام ، المعرفة والوجدان والنزوع . وهذه الأقسام الثلاثة للشعور الإنسانى مترابطة متداخلة كتيار الماء الذى يدور على نفسه . ترى الوردة الجميلة مثلا متفتحة الوجنات على غصنها الرطيب (هذه هى المعرفة) فتروقك تلك الوردة الجميلة ويلذك منظرها ورائحتها (وهذا هو الوجدان) فتقبل عليها فتقطفها لتستمتع بها لمسا وشما (وهذا هو النزوع) . تلمس يدك النار وهذه معرفة؛ فتتألم من حرها وهذا وجدان فتزيح يدك عنها أو تزيحها عن يدك وهذا نزوع . تعرف الشىء فتلتذ به أو تتألم منه فتنزع نحوه أو عنه جلبا للذة أو دفعا للألم ؛ وهذا هو الشعور الإنسانى نوعا ، وأما كما فليس الشعور الإنسانى بمتساو فى أقسامه . وهذا الاختلاف فى الكم هو الفارق بين أفراد البشر خيرا وشرا ، كمالا ونقصا ، قوة وضعفا . والبشر بهذا الاختلاف فى كمية أجزاء الشعور ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، قسم قويت فيهم المعرفة وضعف الوجدان والنزوع كالعلماء . وقسم قوى فيهم الوجدان وقلت المعرفة وضعف النزوع كالفنانين . وقسم قوى فيهم النزوع وقلت المعرفة وضعف الوجدان كالقادة والطغاة .

والعجيب فى أمر السيد جمال الدين الأفغانى أنه مكتمل جوانب الشعور كيفية وكمية ؛ فبينما نراه من ناحية المعرفة نابغة عصره وباقعة زمانه نراه قوى الوجدان مرهف العواطف يحس بالألم مع الإنسانية كافة أفرادا وجماعات ، ويشمل السرور جوارحه إذا ما رأى الخير شاملا لبنى الإنسان . وبينما نراه كذلك من كثرة المعرفة وقوة الوجدان نراه فى النزوع إلى العمل والتوجه إلى الهدف كالصاعقة المنقضة والشهاب الثاقب والسهم المنطلق والأسد الكرار ، ينصب على هدفه انصبابا قويا عنيفا حازما لا يعوقه كل ما فى الحياة من صعوبات ومتاعب ، يقتحم ولا يبالى ما يعترضه من صعوبات وأخطار ، أجبال حديد أم جبال نار

أما تفاعل جمال الدين مع بيئته وأثر ذلك التفاعل مع تلك البيئة فهو ما أتحدث عنه الآن

اختلف مؤرخو حياة جمال الدين فى تعيين موطنه الأصلى هل هو إيران أو أفغانستان؟ فبعضهم قال أنه إيرنى الأصل أفغانى النشأة ، وبعضهم جزم بأنه أفغانى الأصل والنشأة ، ولكنهم اتفقوا اتفاقا تاما على أنه ولد فى مدينة أسد آباد أو أسعد آباد من أعمال كنر فى الأفغان وذلك سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية أى فى أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر . وأن أباه يدعى السيد صفتر أو صفدر ومعناه بالفارسية الشجاع المقتحم ، وأن عائلته ذات حول وطول ونفوذ وسلطان فى مقاطعة كنر خصوصا وبلاد الأفغان عموما لانتسابها إلى السيد على الترمذى المحدث المشهور الذى يتصل نسبه بالحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

ولد السيد جمال الدين الحسينى الأفغانى وأهله وعشيرته فى ذروة العز وسامت المجد فقضى ثماني سنين يتقلب بين أعطاف العز والمجد ويرتع فى أحضان العظمة والسلطان . حتى امتدت إليها يد الأمير دست محمد خان الذى آل إليه الأمر فى الأفغان

بعد انقسامات وحروب طويلة وعريضة ، فسلب من تلك العائلة الكريمة ملكها وسلطانها وأجلاها عن أرضها وموضع عزها ونقلها إلى مدينة كابول عاصمة الملك لتظل تحت سمعه وبصره فيأمن انتقاضها ويضمن خروجها عليه ومزاحمتها له . قضى جمال الدين الطفل في مدينة كابل عشر سنين تلقى فيها العلوم العربية : التاريخ والشريعة والتفسير والحديث والمنطق والتصوف والرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم النظرية العملية . ثم عرض له أن يذهب إلى الهند لاستكمال علومه على الطريقة المصرية فذهب إليها وقضى فيها ردحا من الزمن عب فيه من العلم ما وسعه عقله الكبير وهمته العالية . وكان حينذاك مشرفا على العشرين من عمره . فهل يرجع إلى كابول وفي نفسه منها حزازات وجروح :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه غذاء تضوى به الأجسام

أم يذهب لأداء فريضة الحج ، يؤدي فرضا لله عليه ويسري عن نفسه الكبيرة ما يحس من الألم لما أصاب عائلته من تغريب ، ووطنه من فوضى واضطراب ؟ ذهب إلى الحج ولكن بعد أن رسم لنفسه خطة سفر تمكنه من زيارة أنحاء الجزيرة العربية لدراسة بلاد العرب دراسة علم ودراسة سياسة . درس جزيرة العرب وأدى فريضة الحج فهفت به نفسه قائلة : لا بد مما ليس منه بد . لا بد من العودة إلى الأفغان . عاد إلى الأفغان وشاء الله له أن يصبح في سلك رجال حكومة دوست محمد خان ، وما لبث أن نال إعجاب الأمير واحترامه وأصبح أشد لزوما له من الهواء والماء ، فصحبه في حروبه وغزواته كما صحب شاعر القوة أبو الطيب المتنبي سيف الدولة في حروبه وغزواته مع الفرق بين صحبة الرجلين لصاحبيهما ، فأبو الطيب صحب سيف الدولة لأوقات الفراغ وساعات التسلية . وأما جمال الدين فصحب دوست محمد لأوقات الشدة وساعات الخطر . سار دوست محمد إلى مدينة هراة ليفتحها وسار معه جمال الدين لحصر المدينة وضيق عليها ابتغاء فتحها ، وكان جمال الدين العقل المدبر لدوست محمد واليد الحازمة له في عمله الحربي ؛ ولكن شاء الله أن يموت الأمير قبل فتح المدينة ففتحت على يد جمال الدين . وهناك ولي الامارة بشير على خان أصغر أولاد دوست محمد فأشار عليه وزير من وزراء السوء أن يقبض على إخوته ويعتقلهم خوفا من مزاحمتهم له ، وكان من أولئك الإخوان في جيش هراة الفاتح ثلاثة وهم محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين . فانتصر جمال الدين لمحمد أعظم ودافع عنه عند الأمير فلم يفلح ، فعلم الأخوة بما يبيته لهم أخوهم فذهب كل واحد منهم إلى ولايته التي كان يليها من قبل واعتصم بها فاندلعت نار الفتنة في البلاد واشتدت وطأة الحروب بين الأخوة المتقاتلين حتى آل الأمر إلى محمد أعظم فارتفعت منزلة جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الأول وعظمت ثقة الأمير به حتى أصبح لا يورد ولا يصدر إلا عن رأيه . ولكن هيهات أن يستتب أمن في بلاد يجاورها الإنكليز . فقد أخذ الإنكليز يمدون أصابعهم إلى هذه البلاد فاتفقوا مع (بشير على) ضد أخيه محمد أعظم لقاء منافع لهم فنثروا الذهب في البلاد يمنة ويسرة شأنهم في كل حال تشبه هذه الحال ، فبيعت أمانات ، ونقضت عهود ، وتجددت خيانات . وبعد حروب هائلة تغلب بشير على بذهب الإنكليز ودسائسهم على محمد أعظم ، ففر محمد أعظم إلى بلاد إيران ضحية من ضحايا الاستعمار الإنكليزي الغاشم

للكلام بقية

حمدي الحسيني

عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافي

في سنة ١٩٤٣ أصدر الدكتور العراقي فائق شاكر كتابا عنوانه (عالم الذباب) تعرض فيه لحديث الذباب بالشرح والتأييد، وانبرى له المرحوم الأستاذ معروف الرصافي شاعر العراق بالجرح والتفنيد. وقد تجدد اليوم هذا الخلاف بين مجلة لواء الاسلام ومجلة الدكتور فرأينا من المفيد أن ننشر مقال الأستاذ الرصافي وقد أرسله إلينا في حينه فلم ينشر لبعض الأسباب

الحديث النبوي

نذكر لك أولا نص عبارة الحديث الذي ذكره الدكتور في رسالته عن أبي هريرة « إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه ، فان في أحد جناحيه داء ، وفي الآخر شفاء وإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء »

وفي روايتي النسائي وابن ماجه . « إن أحد جناحي الذباب سم ، والآخر شفاء ، فإذا وقع في الطعام فامقلوه فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء »

هذا ما ذكره الدكتور في رسالته . ونذكر نحن الروايات الآتية نقلا عن شرح البخاري للعيني »

« إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ، فان في إحدى جناحيه داء ، والأخرى شفاء » الجزء السابع الصفحة ٣٠٢

ونقلا عن شرح البخاري أيضا للعيني :

« إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فان في إحدى جناحيه شفاء وفي الآخر داء » . الجزء العاشر الصفحة ٢١٧

ونقلا عن الجامع الصغير للسيوطي هكذا .

إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء » . رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة

وقبل كل شيء نطلب إنتباه القارىء إلى اختلاف هذه الروايات في عبارة الحديث اختلافا لفظيا ناشئا على ما نرى من أنهم كانوا في الأكثر يروون الأحاديث بالمعنى فيتصرفون في ألفاظها كل بحسب رأيه في معناها كما نراه في رواية هذا الحديث ، فبعضهم قال إذا وقع في الشراب ، وبعضهم في الطعام وبعضهم في الإناء ، ومنهم من عبر بالغمس ، وبعضهم بالمقل وهو بمعنى الغمس ، وبعضهم عبر بالنزع والآخر بالطرح والمراد من كليهما واحد ، ومنهم من اقتصر على الغمس ولم يذكر النزع ولا الطرح ، ومنهم من قال فليغمسه كله ومنهم من أسقط كلمة كله ، ومنهم من قال في أحد جناحيه داء ومنهم من قال سم ، وبعضهم قال يتقي والآخر قال يقدم

ولكن الروايات كلها اتفقت في أن الداء أو السم هو في أحد الجناحين وأن الشفاء في الجناح الآخر ، وكذلك اتفقت أيضا في بيان سبب الأمر بالغمس ، وهو أن الذباب عند وقوعه في الشراب يتقي بالجناح الذي فيه الداء ، أو يقدم الجناح الذي فيه السم ويؤخر الآخر كما جاء في الرواية الأخرى

فالأمر بالغمس إنما جاء لكي يدخل في الشراب الجناح الآخر الذي فيه الشفاء . إن هذا الإختلاف اللفظي الذي جاء في هذه الروايات لا يقدح في صحة الحديث إن كان صحيحا ما دام المعنى المراد فيها كلها واحدا . ولكن على فرض صحة الحديث يستبعد أن يكون رسول الله تكلم بهذه الألفاظ المختلفة كلها ، وإنما عبر بواحدة منها ، والرواة التزموا جانب المعنى فعبروا عنها بما يوافقها أو يقاربها ، سواء كان ذلك منهم عن قصد لمراعاة المعنى ، أم عن نسيانهم وذهولهم عن الألفاظ ، فإن المعنى قد يرسخ في ذهن الراوي وتشذ عنه الألفاظ . فإذا أراد بيانه عبر عنه بألفاظ من عنده . وكل من قرأ في كتب التاريخ شيئا عن حياة الواقدي أحد مشاهير الرواة في القرن الثاني عرف كيف تكون الرواية بالمعنى ، فإن هذا الرجل كان من أعجز الناس عن حفظ الألفاظ حتى إن المأمون الخليفة العباسي أراد مرة أن يحفظه سورة الجمعة من القرآن فما استطاع . ثم وكل به من يحفظه إياها فما استطاع ، وكان الموكل به إذا حفظه آية ثم انتقل به إلى ثانية نسي الأولى ؛ وإذا عاد إلى تحفيظه الأولى نسي الثانية . وكان يقرأ ما نسبه بالمعنى فيبدل الألفاظ . وأمثاله في الرواة كثيرون

لا يتسع المقام هنا لنقد الرواية بالمعنى ، وبيان ما ينتج عنها

من مضار ، فنترك ذلك لفرصة أخرى . غير أنا نقول إن لجوهر المعنى ارتباطاً كلياً بجوهر اللفظ ؛ فكل تغيير فى اللفظ لا يخلو من تغيير فى المعنى ، قل أو كثر ، حتى أننا لو وزنا الألفاظ المترادفة بقسطاس مستقيم من الفهم والإدراك لما قلنا بأنها مترادفة ؛ فتبديل الألفاظ بما يرادفها أو يقاربها فى المعنى فيه خطر عظيم على المعنى خصوصاً فى النصوص التى لا مستند لفهمها فهماً صحيحاً سوى الألفاظ . ولا مرية فى أن تبديل الكلمات بما يرادفها أو يقاربها فى النصوص قد يغير وجه الحكم المستنبط منها ، كما أنه قد يبعد بها عن المعنى المراد بعداً شاسعاً ، لأن المترجم مهما برع وأجاد فى نقل المعنى بوضع ألفاظ من اللغة التى يترجم إليها ، تؤدى معنى الألفاظ من اللغة التى يترجم منها فإنه لن يستطيع أن يوفى المعنى حقه بتمامه ، بل لا بد أن يخون المعنى بعض الشىء فى ناحية من نواحيه . فالمترجم لا يتخلص من الخيانة وإن كانت خيانته اضطرارية غير اختيارية

ولهذا امتنعت الإصابة والإجادة فى ترجمة الشعر من لغة إلى لغة أخرى؛ لأن محاسن الشعر لا تقوم بالمعنى وحده بل بانتقاء ألفاظه وحسن سبكه وانسجام تراكيبه أيضاً ، ولا ريب أن محاسن الكلام فى كل لغة تختلف كل الاختلاف ؛ فالذى يترجم الشعر لا بد له أن يتصرف فيه مراعاة لمحاسن الكلام فى اللغة التى يترجم إليها وإلا جاءت الترجمة تافهة وخرج الشعر عن كونه شعراً ، وبهذا التصرف الذى لا بد منه يقع البعد بين المترجم منه وبين المترجم إليه

ولهذا أيضاً امتنعت ترجمة القرآن من العربية إلى غيرها من اللغات ، فإن ترجمته مع المحافظة على ما فيه من روعة وطلاوة تكاد تكون مستحيلة . وقد ترجمه الترك فى أيامهم الأخيرة عدة ترجمات فلم يفلحوا ، بل جاءت ترجماتهم شيئاً مضحكاً . وقد ترجمه إلى لغاتهم أهل أوربا أيضاً ؛ وقد ذكر لى أحد معارفى ممن يحسنون اللغات الغربية أنه قرأ فى إحدى ترجماتهم قوله تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً » مترجماً بما معناه إن كل إنسان يوم القيامة يكون فى رقبته عصفور معلق ، وهذا شىء مضحك أيضاً . إن الكلام عن الرواية بالمعنى قد أخرجنا عن الصدد فلنعد إلى ما نحن فيه فنقول :

لا كلام لنا على اختلاف الرواة فى عبارة الحديث ، لأن المعنى المراد فيها كلها واحد ، وإنما نريد أن نتكلم عن المعنى المقصود من الحديث فنثبته للقارىء واضحاً صريحاً ، ثم نرى هل ينطبق على ما يقوله الدكتور فائق شاكر وبدعيه

إن المفهوم بصراحة من الروايات كلها ، هو أن الداء أو السم ، لا يكون إلا فى أحد جناحى الذباب لا فى كليهما ؛ وإن الذباب عند وقوعه فى الشراب أو فى الطعام يتقى صدمة الوقوع بالجناح الذى فيه الداء ، فينغمس ذلك الجناح فى الشراب ، ويبقى الجناح الآخر فوق غير منغمس ، وكأن عبارة إحدى الروايات القائلة بأنه « يقدم السم ويؤخر الشفاء » قد جاءت تفسيراً لعبارة الرواية الأخرى القائلة بأنه « يتقى بجناحه الذى فيه الداء »

وإذا علمنا هذا فقد علمنا لماذا جاء الحديث يأمر بالغمس ، ذلك لأن الجناح الذى فيه الداء قد انغمس فى الشراب فتلوث الشراب بدائه فإذا انغمس الجناح الآخر بطل حكم الداء الذى حصل من الجناح الأول وسلم الشراب

هذا هو المعنى الواضح الصريح الذى تؤديه عبارة الحديث فى جميع الروايات على اختلافها فى التعبير . وبعد هذا فلننظر فيما يقوله الدكتور حفظه الله ، ليتبين لنا أين وجه الصواب

أين محل البكتريوفاج من الذباب ؟

نستخلص الجواب على هذا السؤال من كلام الدكتور نفسه فنقول : يدعى الدكتور بأن المراد من الشفاء المذكور فى الحديث هو ما اكتشفه العلم فى هذا العصر من « البكتريوفاج » التى فسرها بمفترسات الجراثيم ، وإذا كان المراد بالشفاء هو هذا فلننظر أين يوجد البكتريوفاج من الذباب؛ أهو فى أحد الجناحين أم فى كليهما ، أم فى جسم الذبابة كلها ، أم فى قناتها الهضمية ، أم فى ذراعيها ورجليها ؟

قال حفظه الله فى الفصل التاسع والصفحة (٥٢) « إن الذباب المعروف بذباب البيوت ، يقع على البراز ، والمواد القذرة ، وكل هذه مملوءة بالجراثيم المولدة للأمراض ، فاختيار الذباب لها ، يدل على أنه يأكل الجراثيم والبكتريوفاج معاً ؛ فبأكله الجراثيم اجتمع

فيه الداء ، وبحصول البكتريوفاج اجتمع فيه الشفاء »

إن المفهوم بصراحة من عبارة الدكتور هذه أن البكتريوفاج يوجد فى جسم الذبابة ، ولم يخص به عضوا دون آخر ، ولما كان الجسم يشمل الجناحين ، جاز أن يقال بأنه موجود فى الجناحين أيضا . (ولا تنس أن عبارة الحديث تخص به أحد الجناحين دون الآخر)

ويفهم أيضا ضمنا من عبارة الدكتور أن البكتريوفاج يوجد فى القنـاة الهضمية من الذبابة لأنه قال بأنها تأكل مع الجراثيم المضرة أيضا . وتتضمن عبارته أيضا أن البكتريوفاج يوجـد فى رجلى الذبابة وفى يديها لأنه قال تقع على البراز

ولا شك أن يديها ورجليهـا ترتطمان فى البراز فتعلق بها الجراثيم المضرة والبكتريوفاج معا . فمن هذه العبارة نفهم صراحة وضمنا أن البكتريوفاج يوجد فى جسم الذبابة كله حتى الجناحين ولنا على هذا اعتراض ، وهو أن الذبابة بوقوعها على البراز قد تلوثت به يداها ورجـلاها ، أى تلوثت بالجراثيم المضرة والبكتريوفاج معا ، وأنها بأكلها البراز قدحصل البكتريوفاج فى قناتها الهضمية أيضا . ونتوسع أكثر من هـذا فنقول إن البكتريوفاج يوجد فى صدرها أيضـا وفى بطنها ، لأنهما يلينان البراز الذى وقعت عليه ، ولـكن كيف تلوث جنـاحاها بالبراز فوجد فيهما البكتريوفاج وهمـا فى القسم الأعلى من جسمها ، لا مساس لهما بالبراز (سنذكر كلاما للدكتور يكون جوابا لهذا ثم نجيب عليه) وقال أيضـا فى الصفحة (٥٣) « وبنقله (أى الذباب) الجراثيم والبكتريوفاج المهيأ فى براز الناقهين مباشرة ، اجتمع فى الذباب الداء والشفاء » . قال « فهذا هو معنى ماورد فى عجز الحديث الشريف (قال فى أحـد جناحيه داء وفى الآخر شفاء)

إن الدكتور يرمى الـكلام على عواهنه رمياً ، وإلا فكيف يكون هـذا هو معنى ماورد فى الحديث . لاشك أن الذباب بوقوعه على براز الناقهين وأخذه منه الجراثيم ، يكون قد اجتمع فيه كلا النوعين من الجراثيم المضرة والنافعـة بلا ريب . فاجتماع كلا النوعين فى الذباب أى فى جسمه أمر لا مرية فيه ، ولـكن كيف يكون ذلك هو المعنى المقصود مما ورد فى الحـديث الذى يخص كل واحد من النوعين بواحد من الجناحين ، ولولا وجود المضر فى جناح والنافع فى جناح آخر لبطلت حكمة الأمر بغمس الذباب فى الشراب ، إذ لا شـك أن الأمر بالغمس مسبب عن وجود الشفاء فى جناح واحد ، وعن كون الذباب يتقى عنـد وقوعه بالجناح الذى فيه الداء ، فالجناح الذى يتقى به ينغمس فى الشراب ويبقى الجنـاح الذى فيه الشفاء خارجا غير منغمس ، فلذا امر بغمس الجناح الثانى أو بغمس الذبابة كلهـا كما جاء فى بعض الروايات ، لـكى ينغمس الجناح الآخر الذى فيه الشفاء ، فيبطل حكم الداء

ولو كانت الجراثيم النافعـة موجودة فى كلا الجناحين أو فى جسم الذبابة كله لما أمر بالغمس ، بل كان الأمر بالغمس عبثا لأن الذبابة بوقوعها فى الشراب قد ارتطمت فيه أرجلهـا وأيديها وبطنها وصدرها وأحد جناحيها، وفى هذه الأعضاء يوجد النافع والضار كما يقول الدكتور . وقد حصل البكتريوفاج فى الشراب وبطل حكم الجراثيم المضرة . أفليس من العبث بعد هـذا أن نغمس الذبابة فى الشراب ؟ وخلاصة القول أن الحديث إن صح فإنما ورد لبيان أمرين لا ثالث لهما ، أحـدهما غمس الذباب عند وقوعه فى الشراب ؛ والثانى بيان سبب الغمس وحكمته . وعليه فالجدال بيننا وبين الدكتور ينحصر فى نقطة واحدة هى الغمس لا غير . ولذا نقول إن كان الشفاء لا يوجد إلا فى أحد الجناحين كما يقول الحديث ، وكان الذباب يتقى بالجنـاح الذى فيه الداء كما يقول الحديث أيضا كان الغمس واجبا ، وكان الأمر به معقولا ومقبولا ، لـكى يتم دخول الشفـاء فى الشراب مع الداء . وإن كان الشفاء أو البكتريوفاج موجودا فى جسم الذبابة كله كما يقول الدكتور كان الغمس عبثا وكان الأمر به غير معقول ولا مقبول ، لأن الذبابة بوقوعها فى الشراب قد انغمس فيه أكثر جسمها ، ولم يبق منها إلا جناح واحد ، وقد دخل منها فى الشراب كلا النوعين النافع والمضر من الجراثيم فأى حاجة تبقى إلى الغمس ؟

ثم أن الدكتور بعد ما فسر عجز الحديث على هـذا الوجه وأخذ يتكلم عن صدره فقال : « وأما ماورد فى صدر الحـديث الشريف : (إذا وقع الذباب فى شراب أحـدكم فليغمسه ثم

اينزءه) فالغمس هو لأجل أن يدخل البكتريوفاج للشراب »

أما نحن فنقول : أما أن الغمس هو لأجل أن يدخل الشفاء والبكتريوفاج فى الشراب فصحيح لامرية ولكن ذلك لا يتجه إلا بأن يكون البكتريوفاج فى أحد الجناحين دون الآخر كما بيناه آنفا ، وإلا لم تبق حاجة إلى الغمس لأن البكتريوفاج موجود فى ذراعى الذبابة وفى رجليها وقد انغمستا فى الشراب ، كما أنه موجود فى الجناح الآخر (على ما يقول الدكتور) وقد انغمس فى الشراب ، ودخل البكتريوفاج فيه ، فلماذا يأمر بالغمس والبكتريوفاج داخل قبل الغمس ؟

وقال أيضا فى الصفحة (٥٣) « فالفن قد أثبت وجود البكتريوفاج فى جسم الذبابة ، سواء بحصوله من بلعها الجراثيم المرضية فى أنبوبتها الهضمية أو بنقلها من براز الناقهين »

وقال أيضا فى الصفحة نفسها : « وحيث ورد فى نص الحديث فليغمسه أى فليغمس الذبابة كلها فقد دخل فى الغمس جسمها مع جناحيها . ولم يرد فى الحديث غمس الجناحين فقط ، مما دل على أن الداء والشفاء فى الجناحين امر اعتيادى لا يفيد التخصيص ، والأمر بغمسها يؤيد ذلك . وهو لأجل تطهير الشراب من الجراثيم بإدخال البكتريوفاج للشراب من جسم الذبابة »

هذه هى عبارته بمينها ومينها وقد جاءت بالأعاجيب فلننظر فيها بشئ من التحليل والتمحيص ليظهر ما يرى إليه الدكتور فيها

يقول « قد دخل فى الغمس جسمها مع جناحيها » فنقول : إذا وقعت الذبابة فى الشراب ، فقد انغمس فيه جسمها لا محالة ، أما الجناحان فيجوز أن يكونا منغمسين أيضا تبعا للجسم ، ويجوز أن يكونا غير منغمسين لرقتهما ، ولكونهما من الفروع العليا فى جسم الذبابة ، وبناء على هذا كان ينبغى للدكتور أن يقول فقد دخل فى الغمس جناحا الذبابة مع جسمها ، ولكنه عكس العبارة لكى يجر الحديث إلى ما يريده هو . ولما كان من الجائز انغماس الجسم دون الجناحين ، أو دون أحدهما ورد الأمر فى الحديث بغمس الذبابة كلها لكى ينغمس جناحاها أيضا مع جسمها ، لا جسمها مع جناحيها كما يقول الدكتور ، وهنا نعود فنقول إن حكمة الأمر بالغمس تبطل إذا كان الشفاء أو البكتريوفاج موجودا فى جسم الذبابة كله كما يقول الدكتور ، لا فى أحد جناحيها كما يقول الحديث

ويقول فى عبارته هذه أيضا : « ولم يرد فى الحديث غمس الجناحين فقط » ، أى أراد غمس الجسم أيضا مع الجناحين ، هذا هو تفسير مراده من هذه العبارة ، فنقول ياسبحان الله ! إن عبارة الحديث بمنطوقها وبمفهومها تدل على أن جسم الذبابة عند وقوعها فى الشراب يكون منغمسا فيه وكذلك احد جناحيها فلذلك أمر بغمسها كلها لكى ينغمس الجناح الآخر الذى فيه الشفاء ، وعليه كيف يريد غمس الجناحين فقط حتى يحتاج الدكتور إلى نفيه ؟ وقال فى الصفحة (٥٣) ولو كان للاجنحة فقط خصوصية الداء والشفاء لأمر عليه الصلاة والسلام بغمسها وحدها »

البقية فى العدد القادم

معروف الرصافى

الاسلام فى أوروبا الشرقية
فى أمسية الغزو المنغولى
(١٠١٦ م – ١٢٢٣ م)

للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانوويكز (*)

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

« يعرف التاريخ أن كثيراً من البوذيين أو المسيحيين قد اعتنقوا الدين الإسلامى ، ولكن هذا التاريخ لايعرف أن المسلمين قد اعتنقوا البوذية أو النصرانية »

الأستاذ و . بارتولد – جامعة بطرس برج

الذين يعنون بدراسة تاريخ أوربا الشرقية يعرفون أن الدين الإسلامى قد بدأ يتغلغل فى مملكة الخزر (وهى المنطقة الواقعة بين مصب نهر الفولجا والدون) من القرن الثامن الميلادى ؛ وفى بداية القرن الحادى عشر أصبح له أتباع كثيرون ، ولعله أصبح – وإن لم يكن صاحب النفوذ السياسى – الدين الذى يعتنقه أكبر عدد من الناس . ويعرفون أيضاً أن الإسلام فى مملكة الفولجا البلغارية (جمهورية التتار السوفياتية فى الوقت الحاضر) ، قد أخذ ينتشر فى نهاية القرن التاسع ، وفى النصف الأول من القرن العاشر ، حتى أصبح وطيد الأركان ، شامخ البنيان .

وعلى ضوء ما تقدم ، ويطيب لنا أن ندرس مصير الإسلام فى هذين البلدين أثناء القرنين السابقين للغزو المنغولى ، وذلك بين سنة ١٠١٦ م ، وهى السنة التى انهارت فيها مملكة الخزر بصورة نهائية ، وسنة ١٢٢٣ م ، وهى السنة التى ابتدأ بها الغزو المنغولى الأول .

(*) سبق أن قدمنا الأستاذ المؤرخ المسلم لقراء فى عدد الرسالة ٩٢٩ وهذا مقال رائع آخر نشره فى مجلة (اسلامك ريفيو عدد مايو ١٩٥١) نترجه لقراء الرسالة لبراعة العرض ودقة التحليل وعمق الفكرة ، التى يمتاز بها أسلوب هذا المؤرخ المسلم النابه فى كل ما يكتب فى موضوع اختصاصه من تاريخ المسلمين .

المترجم

زالت مملكة الخزر من سجل الوجود عام ١٠١٦ ، حين هاجمتها القوات البيزنطية والروسية المتحالفة ، فهزمت تلك القوات مجتمعة ، آخر ملوك الخزر ، ووقع أسيراً فى أيديها . ومصير الإسلام فى أراضى مملكة الخزر السابقة ، بعد سقوطها والأمر على جانب عظيم من الخطورة ؛ ذلك لأن أراضى هاتين المملكتين قد أصبحت المركز الرئيسى للدين والسياسة لحياة عصر هؤلاء البرابرة الذهبى ؛ هذا القسم من الأمبراطورية المنغولية الذى أخضع لحكمه روسيا حتى نهاية القرن الخامس عشر ، والذى غدا فيه الإسلام – فى وقت قصير – الدين العام لهذه الأمبراطورية .

مصير الإسلام فى المملكة البلغارية على الفولجا

لا توجد صعوبة تتعلق بمصير المملكة البلغارية على نهر الفولجا أثناء الفترة التى نتحدث عنها ؛ إذ بقيت هذه المملكة حتى الغزو المنغولى ، والدين الإسلامى غير منتشر بين الطبقة الحاكمة من الأتراك والبلغاريين فحسب ، وإنما بين القبائل الفينية (Finuish) التى يتألف من أفرادها السواد الأعظم من السكان . وعلى الرغم من ذلك ، فإننا لا نعرف بالضبط المستوى الذى وصلت اليه الثقافة الإسلامية بين بلغارى الفولجا فى الفترة نفسها .

وغنى عن البيان أن نشير إلى أن تضضم المملكة الكيفيانية (Kievant State) ، التى كانت تقع إلى الشمال الشرقى من روسيا الحديثة ، والتى كانت تعرف باسم سوزادلى (Suzadly) ، فى محاذاة المملكة البلغارية ، قد جعل الأخيرة فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، المركز الرئيسى للحياة الروسية السياسية . وفى بداية أمسية الغزو المنغولى ، أخذت روسيا تمد سلطانها على حساب المملكة البلغارية ، حتى استولت عام ١٢٢١ م على مصب نهر أوكا (أحد الروافد الرئيسية لنهر الفولجا) ، وفى السنة نفسها بنيت مدينة نجنى نفجورد (Nijni Novgord) .

وتنحصر المشكلة ، تحت وطأة هذه الظروف ، فى تتبع مصير الإسلام فى أوربا الشرقية ، فى أمسية الغزو المنغولى ، فى مملكة الخزر .

فى أيدى أعدائها ، لم يدرس الدراسة التى يستحقها ، ولم يعن به أحد ، كما أعرف ، حتى اليوم .

ومرد ذلك إلى قلة المصادر ، ليست المكتوبة منها فحسب ، وإنما الآثار الإسلامية نفسها ، فإنها مشوهة وقليلة جدا . ولكى نفهم هذا الأمر فهما دقيقاً ، علينا أن نذكر أن أراضى مملكة الخزر السابقة قد صارت مسرحا لحروب دامية ومدمرة ، كانت تمحو من الوجود مدنا بأسرها ، وتتركها أنقاضا ، تنشأ فوقها فى كثير من الأحيان ، مدن حديثة .

ومن المحقق أن هذه الأنقاض تؤلف مصدراً خصبا للآثار الإسلامية ، وأن عمليات التنقيب ، لأسباب لا يتسع المجال لذكرها ، لم تتجاوز فى أحسن أوقاتها ، المراحل الأولى ، وفى كثير من الأماكن المهمة لم تبدأ أبدا . ونذكر على سبيل المثال أن موقع عاصمة مملكة الخزر أتيل لما يكتشف

ولما كانت المدن التى بناها هؤلاء البرابرة فى عهدهم الذهبى ، قد قامت على أنقاض مدن مملكة الخزر التى هدموها ، لذلك كثيرا ما كانت نتيجة التنقيب ، لا تتجاوز الطبقات التى تتصل بعهد أولئك البرابرة الذهبى . أما الطبقات التى بحثها ، والتى تقص حكاية مصير الإسلام فى ثناياها ، فى الفترة التى نتحدث عنها (١٠١٦ — ١٢٢٣ م) فقلما تصل إليها أيدى المنقبين .

غير أن هذا النقص فى هذه المقدمات التى تعين على دراسة هذه المشكلة التاريخية ، ينبغى أن لا يبقى عقبة تبرر إهمال هذه الدراسة . وعلى النقيض من ذلك يجب أن تحفز هذه الحقيقة رغبتنا ، وتبعث فينا حب الكشف عن المجهول ، وتدفعنا إلى التفتيش عن مصادر لم نفتش عنها قبل اليوم . ومن تحصيل الحاصل أن نقول إنه ينبغى ، بادىء ذى بدء ، قبل الحصول على معلومات وافية عن طريق التنقيب ، أن نلخص ما هو معروف من حقائق التاريخ ، لنستطيع رؤية النتائج التى يمكن أن تنشأ عن مقدمات من هذا النوع . وهذا ما حفزنى إلى محاولة الكشف من هذه الحقائق الغامضة ، التى ليس فى استطاعتى قول الكلمة الفاصلة فى شأنها ، ولكن إذا قدر لى أن أوضح خطوط المشكلة الرئيسية ببعض التوضيح ، فقد يصيب محاولتى ما أرجوه لها من توفيق .

وسأستعين ، بكل ما يتصل بالمصير السياسى لسكان مملكة الخزر السابقة ، بنظرية المستشرق الروسى المعظم ف جريجوريف (V: Grigoriev) ، الذى يعتقد أن أولئك السكان قد اندمجوا بالقبشاك (Kipchaks) ، وهم قوم رحل من دم تركى ، تطلق عليهم المصادر الأوربية اسم كومانز (Cumans) ، والمصادر الروسية اسم بولوفرسيس (Polovrsuis) (١) . ولسوء الحظ ، لم يحاول البروفسور جريجوريف ، كما أعرف ، دعم آرائه بمصادر يمكن الرجوع إليها ، ولذلك لا معدى لنا من إيضاح بعض الغموض الذى يكتنف هذا الموضوع .

أما مصير الإسلام فى مملكة الخزر السابقة ، فسأحاول أن أوضح أن خضوع هذه المملكة للقبشاك ، قد تبعه اعتناق العناصر التى استقرت من بداوتها ، عن هؤلاء الناس ، الدين الإسلامى الحنيف .

وتحت هذه الظروف ، سأحاول تقسيم هذا المقال إلى قسمين: (١) اندماج الخزر فى القبشاك . (٢) اعتناق العناصر التى تحضرت من القبشاك الإسلام فى مملكة الخزر السابقة

١ — اندماج الخزر فى القبشاك :

نظرا للدور المهم الذى مثله القبشاك فى القسم الشرقى من أوربا ، والقسم الغربى من آسيا ، نرى قبل المضى فى الحديث عن هذا القسم ، أن نشير إشارة عابرة إلى أهميتهم السياسية فى التاريخ .

إن القبشاك هم آخر الجماعات الرحل التى وصلت إلى أوربا من أواسط آسيا ، قبل المغول ، بأعداد كبيرة جدا . وحين نتحدث عن أهميتهم السياسية يكفى أن نعرف أن هجرتهم قد شملت مساحات هائلة ، امتدت من منابع الأرتشى (Irtush) فى سيبريا عبر سهوب الكازاخستان (Kazakhstan) إلى جنوب روسيا حتى مصب نهر الدانوب ، وعلى الرغم من أن القبشاك لم يتمكنوا من تكوين وحدة اجتماعية ، وعاشوا حتى الغزو المغولى، قبائل متفرقة ، بسبب عددهم الهائل ، والمساحة المتسعة التى شملتها

(١) تبحث الأوبرا المشهورة التى كتبها بوردون Borpdin وعنوانها (الأمير أجور) عن حملة هذا الأمير ضد هؤلاء الناس .

هجرتهم ، إلا أنهم لعبوا دورا عظيما فى تاريخ البلدان المجاورة ، وبصورة خاصة فى خوريزم ، وجورجيا ، وروسيا ، وهنغاريا ، وبزنطيا . ومن الضرورى أن نشير إلى أن مصر كانت تستمد مماليكها من منتصف القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر من هؤلاء القبشاك بصورة رئيسية ؛ ذلك لأن تجار الرقيق من الإيطاليين ، كانوا يجلبون من موانىء شبه جزيرة القرم ، الرقيق من القبشاك ، ويبيعونه بعد ذلك فى ميناء الإسكندرية . وكما هو معروف فى التاريخ ، أن السلطان بيبرس (توفى سنة ١٢٧٧م) أحد أعاظم المماليك كان من القبشاك ، وأخيرا أصبح القبشاك يؤلفون الكثرة المطلقة من سكان عصر المغول الذهبى .

أما المستوى الثقافى لأولئك القبشاك فقد كان يتباين كثيرا ؛ إذ كان يعتمد ، إلى حد بعيد ، على قدر اتصالهم بالبلدان المتمدينة من قريب أو من بعيد ومن المحقق أن أولئك الذين عاشوا مجاورين للخورزم ، وعددهم كبير جدا ، قد تأثروا بالإسلام تأثرا قويا عميقا . والسؤال الذى بقى يدور فى خواطرنا فى هذه المرحلة ، أن نبين المصير الذى آل إليه الخزر بعد سقوط دولتهم .

لقد اجتاح القبشاك أراضى مملكة الخزر السابقة ، فتلاشى بالتدريج اسمهم من التاريخ ، ولم يعد لهم إلا بعض الذكر فى المدن . وقلما نمر بدراستنا بفترة تتصل بأراضى مملكة الخزر السابقة ؛ ولا نجد ذكر القبشاك علاها ، وإلى جانبهم ، بصورة محدودة ذكر الآلان Alains ، وهم شعب من أصل إيرانى كونوا أقلية كان لها خطرها فى مملكة الخزر السابقة . والذين لا يزال أحفادهم ، حتى اليوم ، يعيشون فى شمال القفقاس ويعرفون بالأساتية (Ossetes) . ولهذا السبب نجد أن رشيد الدين ، مؤرخ امبراطورية المغول المشهور ، حين يتحدث عن وصول المغول فى الهجرة الأولى ، للامبراطورية الشرقية عام ١٢٢٣ م يصف كيف أتوا من إيران عن طريق القسم الشرقى من القفقاس ، واضطروا فى الشمال إلى كسر شوكة المقاومة القبشاكية والآلانية : ومن البديهى أنه لو بقى للخزر سلطان سياسى ، للعبوا دورا مهما فى مقاومة المغول ، ولكان لهم ذكر فى تاريخ رشيد الدين . ونجد الحقيقة نفسها ، فى استيلاء المغول بصورة نهائية على أراضى مملكة الخزر السابقة فى ابتداء السنة الثلاثين فى القرن الثانى عشر الميلادى ، فلقد كان القبشاك الذين قاوموا المغول والشعوب الأخرى لا ذكر لها ، ومن بينهم الخزر

والمصادر الفارسية تتحدث من جهة أخرى عن استيلاء القبشاك على شبه جزيرة كرش Kerch فى أمسية الغزو المغولى ، والتى كانت تحت حكم الخزر

ومن غير المعقول أن أمة قوية كالفستاف ، يمكن أن تترك وراءها أمة محاربة كالخزر دون أن تخضعها أولا

وأحسب أننا فى غير حاجة إلى الدخول فى تفاصيل أخرى بعد ما تقدم لتؤكد أن القبشاك ، قلعوا الخزر فى المنطقة حتى مصب الفولجا ، تلك المنطقة التى كانت المركز السياسى لدولة الخزر ، التى ذابت فيهم بالتدريج ، والتى ازدهر فيها الإسلام قبل وصول هؤلاء الغزاة الذين سارعوا لاعتناقه

وسنحاول الآن تبيان أن اندماج الخزر بالقبشاك قد تبعه اعتناق العناصر التى استقرت من هؤلاء الغزاة ، مبادىء الدين الإسلامى الحنيف بالتدريج

٢ — إعتناق القبائل القبشاكية التى استقرت فى مملكة الخزر الإسلام : —

يعتبر المستشرف الروسى العظيم ف . بارنولد الذى توفى عام ١٩٣٠ حجة فى سعة الاطلاع على مصادر التاريخ الإسلامى فى مملكة الخزر السابقة . والذى أعرفه أنه لم يحاول مطلقا ، دراسة مصير الإسلام فى هذه المملكة دراسة جدية ، وكثيرا ما يجد الإنسان بعض الأحيان تناقضا فيما كتبه عن هذا الموضوع ولكن ما ذكره بصورة عامة عن جبروت الاسلام ، وسحره ، وما اسهب فيه من الدعاية لذلك الدين بين العناصر التركية ، يسند إلى حد بعيد الرأى الذى بسطناه فى هذا الموضوع عن اعتناق هؤلاء القبشاك الدين الاسلامى ولا يتناقض معه أبدا وقد رأيت أن أقتبس بالحرف الواحد ما ذكره المستشرق العظيم بارنولد عن هذا الموضوع :

قال بارنولد : « إن المعجزة العظيمة للاسلام ، إذا ما قورن بالديانات الأخرى ، تتركز فى أن العالم الاسلامى كان فى تلك

الفترة ، فى مستوى رفيع من الطاقة الثقافية ، والرخاء الاقتصادى بين الشعوب المتمدنة . وكان هؤلاء الرحل فى حاجة مستمرة إلى البضائع المصنوعة فى تلك الأقطار المتمدنة ، وبصورة خاصة إلى الاقمشة . وكان الاتجار مع هؤلاء الرحل ، فى الوقت نفسه ، عظيم النفع لتلك الشعوب المتحضرة . لكن هذه التجارة كانت ضرورية لهؤلاء الرحل الذين كانوا يطلبونها من الأقطار الغربية المتمدنة ، ولما أصبحت البضائع التى يشترونها من البلدان الإسلامية من ضروريات حياتهم تأثروا بالإسلام ، لا عن طريق الدين فحسب بل عن طريق الحضارة الرائعة التى كان يتسم بها ذلك الدين . ولم يكن أمامهم غير اعتناق الإسلام ليجعل صلاتهم الروحية والمادية متينة مع تلك البلدان والشعوب الإسلامية

« ولقد أظهر الإسلام صفة أخرى يمتاز بها عن سائر الديانات المعروفة ، أثناء الدعاية له بين الترك ؛ ذلك أنه على الرغم من قلة عدد اتباعه بالقياس إلى الديانة البوذية والمسيحية ، فأنه يمكن لنفسه فى قلوب البشر كدين عام للانسانية ، بأوسع ما تحويه هذه الكلمة من معنى ، لأنه لا يقصر نفسه على جماعة أو جنس من بنى الإنسان . إن النجاح الذى صادفته الديانات الأخرى كان فى بعض الأحيان أكثر مما وصل إليه الإسلام ؛ غير أن ذلك النجاح لم يعمر طويلا . فلقد عرف تاريخ الديانات فيما عرف الديانة المانيكية [1] Manicheism التى امتد ظلها فوق الأرض وكان لها أتباع ينتشرون من جنوب فرنسا إلى بلاد الصين ، غير أن هذا الانتشار لم يكفل لها الحياة فذهبت إلى غير رجعة ، ومحيت من سجل الوجود . والديانة البوذيه ابتدأت بنشاط عالى ، وراحت تنتشر فى بلاد الغرب محمولة على أجنحة دعاية قوية ، ولكنها انكمشت على نفسها لتصبح ديانة البلدان الراقدة فى شرق آسيا . وقبل انتشار الإسلام كان للنصرانية أتباع بين الترك أنفسهم ؛ وفى الوقت الذى أوصدت الأبواب فى منغوليا أمام الدعاية الإسلامية ، اعتنق الديانة المسيحية عدد كبير من الناس الذين كانوا يعيشون فى الأجزاء الجنوبية والشرقية والغربية من هذه البلاد ؛ غير أن هذا النجاح لم يكن غير سحابة صيف . وفى الوقت الحاضر يبدو أن النصرانية هى ديانة العالم الأوربى ؛ غير أن المسيحيين وراء حدود هذا العالم الأوربى ، من الناحية العددية والسمو العقلى ليست لهم قيمة فى الأمرين بالقياس إلى المسيحين فى أوربا . أما الإسلام فلقد أصبح عن طريق ما فيه من صدق ، دين الشعوب المتمدنة فى أوساط آسيا وشرقها ، ويزيد عدد اتباعه وخاصة فى الهند ، وفى الأرخبيل الأندنوسى عن عددهم فى غرب آسيا . ويؤلف المسلمون فى الصين عنصرا مستقلا بثقافته الدينية التى تقوم بالتعبير عنها لغتهم الأصلية دون الشعور بالحاجة إلى مساعدات خارجية ، على حين أن محاولة الديانة المسيحية التمكين لنفسها فى الصين قد باءت بفشل ذريع وخيبة مخجلة . وفى أفريقيا صادفت النصرانية نجاحا ضئيلا بالقياس إلى الدين الإسلامى وبين الأحباش ، الشعب الأفريقى الوحيد الذى استطاعت الكنيسة أن تجد لها مكانا فيه . امتدت الدعاية الإسلامية إلى المكان نفسه ، وصادفت نجاحا حتى فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر . وخلاصة القول أن التاريخ يعرف أن كثيرا من الشعوب البوذية أو المسيحية قد اعتنقت الإسلام ، ولكنه لا يعرف أية جماعة إسلامية اعتنقت البوذية أو المسيحية »

للكلام صلة

على محمد سرطاوى

---

١ — ديانة انتشرت فى القرن الثالث إلى الخامس الميلادى ، وانبعثت فى فارس ، وهى تضع إبليس مع الخالق فى درجة واحدة

من وحى التاريخ

عمر بن عبد العزيز

للاستاذ عبد الباسط محمد حسن

سأل الاسكندر حكيما (١) : من يصلح للملك ؟ فقال له .. إما ملك حكيم أو ملك ملتمس للحكمة .. والحكمة فى هذا المقام معناها الفلسفة .. وقد قرن هذا الحكيم السياسة بالفلسفة واعتبرها أداة من أدوات الحكم ووسيلة من وسائل العدل .. واشترط على الحاكم أن يكون فيلسوفا أو ملتمسا للفلسفة ليعم الأمن وينتشر السلام وتستقيم الأمور وتصلح الأحوال ، وكثيرا ما كتب الحكماء فى نظم عامة ابتدعتها أخيلتهم وزعموها توفر على الناس فى هذه الدنيا اللذة والسعادة وتنفى عنهم الألم والشقاوة . فعل ذلك أفلاطون فى الجمهورية والفارابى فى أهل المدينة الفاضلة وتوماس مور فى أوطوبيا كما فعله كثير غير هؤلاء ممن ترسم آثار أفلاطون ونسج على منواله . . ومن كتاب هذا العصر الذين تناولوا هذه الناحية كاتب اسمه « موروا » وله كتاب اسمه فن الحياة . . من فصول هذا الكتاب فصل فى فن الحكم يتكلم فيه المؤلف على أخلاق الرؤساء الذين يسوسون أمور الناس . والرئيس الكبير فى نظره هو صاحب الخلق الكبير . . ومنها قال الحكماء أو تحدث الكتاب ، ومهما اختلفت الآراء وتباينت وجهات النظر . . فإن (٣) السياسة تعتمد اعتمادا كبيرا على الأخلاق . . لأن السياسة التى لا خلق لها إنما هى سياسة لا تلبث أن تتلاشى كما يتلاشى الدخان فى الفضاء وما نجحت سياسة بعض رجال العرب فى الماضى إلا لأن أصحابها كانوا على خلق عظيم .. من بين هؤلاء الخليفة العربى المسلم عمر بن عبد العزيز الذى ألقت إليه المقادير بزمام الحكم بعد موت سليمان بن عبد الملك دون أن يكون له طمع فى خلافة أو رغبة فى حكم .. وقد نهج فى حكمه نهج جده العظيم عمر الفاروق واحتذى مثاله وسار بالناس فى طريق الخير حتى كان عهده من أحسن عهود التاريخ وأعظمها مكانة وأوفرها خيرا وبركة . . وستظل سيرة عمر بن عبد العزيز قصيدة شعرية رائعة يقرأها الناس فى كل مكان وزمان ليتمتعوا بما فيها من روعة وجمال ، وعظمة وجلال ؛ فالأثر العميق (٤) الذى تركه عهد عمر فى تاريخ الإسلام برغم أن مدة حكمه لم تزد على العامين يدل على أن الخليفة كان ذا صفات عالية .. دقيق الحس فى إدراك الحقائق الواقعة

* * *

ولد عمر بن عبد العزيز بالمدينة سنة ٦١ هـ . . وقيل سنة ٦٣ هـ ولا يغيب عن بال أحد أن المدينة كان لها أعظم الفضل فى تاريخ الإسلام والمسلمين .. فإليها هاجر النبي عليه الصلاة والسلام .. وبها كان أكثر (٥) التشريع الإسلامى ؛ وكانت منبعا لأكثر الأحداث التاريخية فى صدر الإسلام ؛ وبها حدث النبى صلى الله عليه وسلم أكثر حديثه . وكانت مركز الخلافة فى أهم عصر من عصور الإسلام أيام أبى بكر وعمر وعثمان وبها كان كثير من أكابر الصحابة قد شاهدوا ما فعل النبي وسمعوا ما قال وكانوا شركاءه فى بعض ما وقع من غزوات وفتوح ؛ فهم يحدثون بما سمعوا وشاهدوا .. وكانت مكة والمدينة من أهم مراكز الحياة العلمية فى ذلك العصر يقصدهما طلاب الحديث وطلاب التاريخ وقد فاقت المدينة مكة فى ذلك ؛ لأن أشهر من أسلم من أهل مكة هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . وكان من يسلم بعد الهجرة من أهل مكة يهاجر كذلك خصوصا إذا كان من رجالات قريش وعقلائها .. وكان طلبة العلم يبعثون إلى المدينة ويرسلون إليها لينهلوا من علومها ويغترفوا من آدابها ويأخذوا عن علمائها. وقد نشأ عمر وشب وترعرع فى هذه البيئة العلمية الزاكية . . وتثقف على أساتذتها وروى الحديث وتلقى الفقه عن جماعة من الصحابة – فشغف بالعلم وعلمائه

(١) سلوك المالك فى تدبير الممالك . لصاحبه شهاب الدين بن أبى ربيع
(٢) صور من التاريخ الإسلامى للاستاذ عبد الحميد بك العبادى ص ١٠٥
(٣) العناصر النفسية فى سياسة العرب .. شفيق جبرى ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٤) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثانى ص ٦٧٦
(٥) فجر الإسلام .. الجزء الأول للاستاذ أحمد أمين بك ص ٢١١

وبالحديث ومحدثيه ونشأت بينه وبينهم صلة طيبة وعلاقة قوية متينة حتى إنه كان يقول (لأن يكون لى مجلس من عبيد الله أحب إلى من الدنيا وما فيها) والمقصود بذلك هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود المتوفى سنة ٩٩ هـ والذى يقول فيه أيضا (ما رويت عن عبد الله بن عتبة أكثر مما رويت عن جميع الناس. كما كانت المدينة تزخرف تلك الحقبة بالحياة الأدبية فأخذ عمر بحظه من الثقافة الأدبية. وقد قال عن نفسه (لقد رأيتنى وأنا بالمدينة غلاما من الغلمان ثم تاقت نفسى إلى العلم بالعربية والشعر فأصبت منه حاجتى).. وقد أثرت هذه البيئة العلمية فى تكوين شخصية عمر.. فحذق العلوم حتى صار فيها إماما ضليعا.. ولذلك يقول فيه ميمون بن مهران المتوفى سنة ١١٧ هـ (ما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلاميذ)..

وهناك عامل آخر أثر فى تكوين شخصية عمر، غير عامل البيئة.. ذلك هو عامل الوراثة.. فأبوه عبد العزيز بن مروان كان واليا على مصر وأقام بها عشرين عاما منذ سنة ٦٥ هـ إلى أن مات سنة ٨٥ هـ وجده مروان بن الحكم الذى ولى الخلافة من سنة ٦٤ — ٦٥ هـ. وأما نسبه لأمه فأمه ليلى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وقد ورث كثيرا من صفات عمر وأخلاقه كما كان يحاول التشبه بخاله.. يروى أنه وهو غلام صغير كان يأتى عبد الله بن عمر لمكان أمه منه ثم يرجع إلى أمه فيقول.. يا أمة أنا أحب أن أكون مثل خالى)!

يقول فيه جرير عندما كان واليا على المدينة

إليك رحلت يا عمر بن ليلى على ثقة أزورك واعتمادا
إلى الفاروق ينتسب ابن ليلى ومروان الذى رفع العمادا
تزود مثل زاد أبيك فينا فنعم الزاد زاد أبيك زادا
وأنت ابن الخضارم من قريش هم نصروا النبوة والجهادا

وكان [٦] يقال له «أشج بنى أمية» وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام. فدخل على أمه فضمته إليها وعذلت أباه ولامته؛ إذ لم يجعل معه حاضنا؛ فقال لها عبد العزيز «اسكتى يا أم عاصم فطوبى لك أن كان أشج بنى أمية» [٧]

وقيل كان ابن عمر يقول «يا ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا»؟

ولى المدينة سنة ٨٧ هـ.. ثم إن الخليفة الوليد بن عبد الملك ضم إليه بعد ذلك مكة والطائف فأصبح عمر بذلك أميرا على الحجاز كله.. وولى الخلافة سنة ٩٩ هـ إلى سنة ١٠١ هـ —

على [٨] أن عمر فى عنفوان شبابه لم ينس نصيبه من حياة الترف فى حدود الاستمتاع الحلال المشروع حتى إذا حل أعباء الخلافة نفض يده من الدنيا جملة.. تقول كتب التاريخ فى هذا الصدد (ذكروا أن عمر كان أعظم أموى ترفها. فلا يمر فى طريق ولا يجلس فى مكان الا عرف برائحته. وكان يمشى مشية تسمى العمرية كان الجوارى يتعلمنها من حسنها وتبختره فيها. وقد ترك كل شئ كان فيه لما استخلف غير مشيته فإنه لم يستطع تركها.. قال [٩] مسلمة بن عبد الملك: دخلت على عمر أعوده فإذا عليه قميص وسخ فقلت لامرأته فاطمة وكانت أخت مسلمة «اغسلوا ثياب أمير المسلمين، فقالت نفعل؛ ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت ألم آمركم أن تغسلوا قميصه؟ فقالت: والله ما له غيره!

كل هذا يصور لنا بجلاء أنه لم ينس نصيبه من الدنيا فى شرخ صباه فلما أن ولى الخلافة خرج عن جميع ما كان فيه من النعيم فى الملبس والمأكل والمتاع

وناحية أخرى تميز بها عمر عن باقى خلفاء بنى أمية.. فما إن تولى خلافة [١٠] المسلمين حتى جد فى تنفيذ برنامجه الإصلاحى.. ولقد كان له من زهده ومناصرة العلماء له وموالاة أهل بيته: زوجه فاطمة وابنه عبد الملك وأخيه سهل ومولاه مزاحم أقوى عون على ما أراد.. بدأ بمنصب الخلافة ممثلا فيه فجرده من كل مظاهر الأبهة ورده إلى بساطته القديمة.. ثم إنه أمر مناديه أن ينادى: ألا من كانت له مظلمة فليرفعها.. فجعل لا يدع شيئا مما كان فى يد سليمان وفى يد أهل بيته من المظالم إلا

(٦) تاريخ الكامل لابن الأثير ٥، ٦ ص ٢٧
(٧) المصدر نفسه ص ٢٥

(٨) عمر بن عبد العزيز: أحمد زكى صفوت ص ١٣
(٩) ابن الأثير ص ٢٩
(١٠) صور من التاريخ الإسلامى. للأستاذ عبد الحميد بك العبادى ص ١٤٦

ردها مظلمة مظلمة . . وكان يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة ؛ وكان يكتفي باليسير فإذا عرف وجه مظلمة ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من ظلم الولاة قبله للناس . . فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا : ما ينبغي لنا أن نقاتل هذا الرجل . يقول ابن (١١) الأثير : ولما رجع عمر من جنازة سليمان بن عبد الملك رآه مولى له مغتما فسأله : فقال . ليس أحد من أمة محمد في شرق الأرض ولا غربها إلا وأنا أريد أن أؤدي إليه حقه من غير طلب منه . . وقالت فاطمة امرأته : دخلت عليه وهو في مصلاه ودموعه تجرى على لحيته فقلت أحدث شئ ؟ فقال : إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى (١٢) والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذوى العيال الكثير والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله ، فخشيت أن لا تثبت حجتى عند الخصومة فرحمت نفسى فبكيت . . وقال عبد الملك (١٣) لأبيه عمر : يا أمير المؤمنين ما تقول لربك إذا أتيته وقد تركت حقا لم تحيه وباطلا لم تمته ؟ فقال يا بنى : إن أجدادك قد دعوا الناس عن الحق . . فانتهت الأمور إلى وقد أقبل شرها وأدبر خيرها . . ولكن أليس حسنا وجيلا أن لا تطلع الشمس على في يوم إلا أحييت فيه حقا وأمت فيه باطلا حتى يأتيني الموت وأنا على ذلك ؟ لهذا كله (١٤) أغنى عمر الناس جميعا إلا نفسه وأهله، فلم ير ولى قوم أعف عن مالهم منه ، ولم ير أهل بيت أصبر على الطعام الخشن والثوب المرقوع والبيت المتهدم منه ومن أهل بيته. ولقد أراح عمر الناس ولكنه أتعب نفسه، فكان حركة دائمة يعمل ليل نهار حتى ذهبت نضرته واحترق جسمه . . توفى عمر بعد ذلك في رجب سنة إحدى ومائة ، وكانت حياة قصيرة حافلة بجلائل الأعمال وعظائم الأمور . . ولما مرض (١٥) قيل له لو تداويت ! قال لو كان دوائى في مسح أذنى ما مسحتها . نعم المذهوب إليه ربي ! قال ميمون (١٦) بن مهران قال عمر بن عبد العزيز . . لما وضعت الوليد في حفرته نظرت فإذا وجهه قد اسود ؛ فإذا مت ودفنت فاكشف عن وجهى . ففعلت فرأيته أحسن مما كان أيام تنعمه . .

رحم الله عمر ! ورحم فيه صفاته النبيلة التي ستظل ساطعة على جبين الدهر . . محفوظة في سجل الزمن . .

رحم الله عمر . . ورحم فيه ورعه وتقواه . . وعدله وهداه . . لقد عاش عمر . . ومات عمر . . ولكن اسمه سيظل حيا في مماته كما كان حيا في حياته

عبد الباسط محمد حسن

(١١) ابن الأثير ٥ ، ٦ ص ٢٩ (١٢) المصدر نفسه ص ٣١
(١٣) المصدر نفسه ص ٣١
(١٤) صور من التاريخ الإسلامى . . عبد الحميد بك العبادى ص ١٧٣
(١٥) ابن الأثير ص ٢٧
(١٦) المصدر نفسه ص ٢٨

تطور البديعيات
في مدح الرسول

للأستاذ حامد حفني داود الجرجاوي

بقية ما نشر في العدد الماضي

وفي القرن الحادي عشر نرى « البديعيات تحتضن التراث الأدبي » وذلك حين أخذت تسلك دورا خطيرا في حياة الدراسة الأدبية عامة وحياة البلاغة بصفة خاصة . وهنا نرى أن المدائح النبوية التي حملت مشمل علوم البلاغة وأسهمت في تطور فنون البديع وأخذت في صورة أخرى تحتضن آثار المدرسة الأدبية حتى أصبحت هذه المدائح صناعة المتأدبين وطريقة السالكين لمذاهب الشعر . ومن هنا صارت تلك المدائح موضوعا للأدب ومحطا للأدباء وميدانا فسيحا لجولاتهم وطريقا ممهدا لمنافساتهم في العصر التركي الذي ضاع فيه ثلثا التراث الأدبي . فكانت المدائح النبوية في القرن الحادي عشر أشبه عاما بالقيم الذي حافظ على تراثنا الأدبي والحصن الذي وجد فيه الأدب العربي حمى لزماره وموئلا لآثاره . كما قامت بدورها الخطير في المحافظة على الذوق الأدبي : حافظت عليه حين كادت اللغة العربية تترك ، وحافظت عليه من التصنيع والتصنع اللذين ظهرا في كثير من أغراض الشعر والنثر ؛ حتى كادا يودبان بقيمهما الفنية ولا سيما في عصر ركدت فيه سوق الأدب وضعفت فيه عناية القوم بالفن والقريض ... ولولا هذه المدائح النبوية لتفاقم الخطب في التراث الأدبي أكثر مما كان ، ولما وصل إلينا من أدب ذلك العصر التركي إلا كل مرذول ممجوج

ولقد عاون على تنافس القوم فيها وتفننهم في نظمها - إذ ذاك - زهدهم الشديد في التقرب إلى الحكام والأمراء الذين كانوا لا يحسنون فهم الشعر ولا يجيدون قيمة المديح أو يكافئون عليه بشيء ، فانقلب الشعراء يمدحون النبي الأعظم وقصروا مدحهم عليه فعالجوا ضروب البديعيات وضاعفوا اهتمامهم بتحبيرها وتدبيجها . ومن ثم كانت هذه المحاولة مظهرا من مظاهر نضوج البديع في ذلك العصر . فوضع شهاب الدين الحيدي المتوفى سنة ١٠٠٥ هـ بديعية « تمليح البديع بمدح الشفيع » في مائة وسبعة وعشرين بيتا كما وضع أبو الوفا العرضي المتوفى سنة ١٠٣٤ هـ بديعية « الطراز البديع في مدح الشفيع » في مائة وثلاثة وثلاثين بيتا

* * *

ولما كان للبديعيات أثرها الخطير ومكانتها الأدبية الملحوظة في المدرسة الأدبية كان من البديهي أن يتناولها القوم بالتعليق والشرح ، فظهرت فكرة « شروح البديعيات » في القرن الثاني عشر ، كما ظهرت فكرة التشطير والتربيع والتخميس والتسبيع وغير ذلك من أنواع التشطير . فوضع صدر الدين الحسيني (١١٢٠ هـ) بديعية « أنوار البديع في أنواع البديع » في مائة وثمانية وأربعين بيتا . وكان الناظم كلما وضع بيتا من أبيات بديعيته أتبعه بما قاله السلف قبله مبتدئا بصفي الدين . (١)

وعلى هذا المنوال نسج الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٣٤ هـ في بديعيته المسماة « نفحات الأزهار على نسمات الأسحار ، في مدح النبي المختار » وهي بديعية طويلة تقع في مائة وخمسين بيتا . كما وضع أخرى تقع في مائة وواحد وخمسين بيتا تسمى « مليح البديع في مدح الشفيع » . (٢)

وتلاهما قاسم البكرجي (١١٤٨ هـ) في بديعية تقع في مائة وثلاثة وخمسين بيتا تسمى « حلية العقد البديع في مدح النبي الشفيع » (٣) ، وعلي بن محمد القلعي (١١٥٨ هـ) في بديعيته المسماة « مفتاح الفرج في مدح عالي الدرج » . (٤)

* * *

وفي القرن الثالث عشر ظهرت « بوادر التحول » والانتقال في حياة البديع ، وقد كان للنشاط السياسي في مستهل ذلك القرن — وهو فجر النهضة — أثره القوي في الحياة الفكرية ... (٥) فظهر جماعة من شعراء النهضة عالجوا البديعيات في دواوينهم علاجات تجلت فيها روح إنسان يحاول أن يميز بين

---

(١) شذرات الذهب ج ٨ ص ١١١ س ١٤ (بتصرف)
(٢) بديعية الحسني (انظر ٣٢٣ بلاغة)
(٣) انظر ٣٠٤ بلاغة ، ٢٠٤ بلاغة .
(٤) بديعية البكرجي ... ٢٧٣ بلاغة مخطوط .
(٥) بديعية القلعي ... ٧٢٨ بلاغة مخطوط .

يومه وأمسه ... ونجح بعض الشعراء الذين آمنوا بما كان يخالجهم من ضرورة إلى التجديد ، منهم محمود صفوت الساعاتى (١٢٩٨ هـ) إذ نظم بديعيته سنة ١٢٧٥ هـ فى مائة واثنين وأربعين بيتا معارضا بها بديعية ابن حجة الحموى ، وعنى بشرحها المرحوم عبد الله باشا فكرى ناظر المعارف العمومية فى ذلك الوقت . (٦)

وفى أوائل القرن الرابع عشر تبلبلت ألسنة المتعادين بين «التقليد والتحرر» : بين المذهب التقليدى الذى ورثوه ومذهب التحرر الذى نودى به فى عصر النهضة

فمن البديعيين جماعة غلبت على أنفسهم الروح التقليدية فنظموا البديعيات على الطريقة التى نظم عليها من سبقوهم وذكروا كل ما وصل إليه توليد القدماء والمتأخرين والمحدثين من فنون البديع . ومن هؤلاء محمد أمين العمرى المتوفى سنة ١٣١١هـ ومحمد بدر الدين الرافعى المتوفى سنة ١٣١٢هـ . وقد انتهى تطور البديعيات عند هذا الأخير فبلغ مجموع ما أورده من فنون البديع مائتين وستة ذكرها فى مثلها من الأبيات

ومنهم من تخلص من ربقة التقليد ومضى فى ركاب المتحررين ، فظهرت آثار التجديد فيما نظمه من بديعيات ، ومن هؤلاء حسن حسنى الطويرانى التركى (١٣١٥ هـ) وطه الجزائرى (١٣١٤ هـ) وأمير الشعراء أحمد شوقى بك المصرى (١٣٥١هـ)

وقد كان طريق هؤلاء الشعراء وعرا محاطا بالصعاب ؛ ذلك لأن التحرر من التقليد الموروث لم يكن بالشىء اليسير فى الحياة الأدبية ، فيصعب على النفس زواله سريعا . لذلك كان علاجه أمرا صعبا ، وكان شأن المتحررين شأن من يسلك طريقا لا يعرف كنهه أو يحيط بمعالمه ؛ فهو يهتدى تارة ويضل أخرى . ولعلك حين تقرأ قصيدة «نهج البردة» لشوقى بك — وهو آخر هؤلاء المتحررين — تلمس عن كثب مبلغ ما وصل إليه شعراء النهضة من تبلبل بين «المذهب التقليدى القديم» و «المذهب التحررى الحديث» . ولعلك وقد أوتيت حظا من نفاذ الفكر وبسطة من الذوق تلمس — وأنت تقرأ قصيدة نهج البردة — معالم ما وصلت إليه البديعيات من تطور ، تلمس كل ذلك فى ثنايا هذه القصيدة :

«١» فهو حين يلتزم بحر البسيط وقافية الميم — وهما قدر مشترك فى سائر البديعيات — ترى فيه شخصية المقلد الذى لم يستطع أن يتخلص من ربقة التقليد

«٢» وهو حين يرسل الفنون البديعية بغير قصد ملموس أو تكلف ممقوت يستند عليه فى إيرادها ويزمع فيه إلى سردها — تلمس فيه شخصية المتحرر الصادق فى تحرره

هكذا كان ناظمو البديعيات فى القرن الرابع عشر ، ما كانوا يسيرون على قدمين من التقليد والتحرر . وقد يبدو لك فى ذلك بعض التناقض . وليس ذلك من التناقض فى شىء . وإنما هو مرحلة التطور والانتقال من القديم إلى الحديث . كان لا بد للبديعيات من أن تمر بها فى عصرنا هذا ، حين تم فيه امتزاج العنصر القديم بالعنصر الحديث . فلم يستطع الناظمون بعد أن يتخلصوا من القديم كله ، كما لم يستطيعوا أن ينهضوا بكل ما ينبغى عليهم من تحرر . لذلك بقيت معالم التقليد فى بحر البسيط وقافية الميم كما هى — وهى الحدود التى لم يستطع أحد من الشعراء أن يخرج منها — وظهرت معالم التحرر فى طريقة العرض والاختيار وعدم التقيد بسرد فنون معينة من البديع

وقد أدرك المويلحى شيئا من هذا الذى ذكرناه حيث قال : «ولقد وفق بحمد الله شاعرنا أحمد شوقى إلى سلوك هذا السبيل فى شعره فلم يقتصر على قرض القريض فيما تجرى عليه الأحوال فى عصرنا الحاضر بل سار على نهج المتقدمين وانتحى مناحيهم فى فنون الشعر واقتدى بهم هذه فى هذه القصيدة عما يسمونه بالبديعيات فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

وبعد فهذه مراحل تطور البديعيات النبوية التى تحدثت عن نشأتها فى العام الماضى أوضحت لك فيها ما أفدناه من تطور فنون البديع حتى أصبحت مائتين وستة من الفنون . ولكننا لم نجد بعد أمير الشعراء شاعرا آخر يعود بنا إلى هذا التقليد الكريم فى شعره . وإنا لمنتظرون ما يعز بعد ذلك من تطور *

حامد حفنى داود الجرجاوى

(٦) تاريخ البديع لصاحب هذا المقال ص ١٤٨ ، ١٤٩ مخطوط

(٧) ديوان الساعاتى ... ومقدمته للمنفلوطى ص : ٤ ، ٩٦

(١) نهج البردة ومقدمة المويلحى ص : دس : ٨

* أرجىء حديثى عن «بلاغة البديعيات» إلى العام القادم .

١١ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مهد ١٥ - ٢٩ ديسمبر ١٩٥١ :

لا تزال معركة التحرير على أشدها وما تزال الحرب سجالا بين المصريين والانجليز ، وقد أقضت أعمال الفدائيين الباسلة مضاجع الانجليز ، وأصبحت قواتهم خائفة تترقب الموت فى كل حين وفى كل لحظة

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٥١ اجتمع محمد صلاح الدين باشا وزير خارجية مصر بمستر إيدن وزير خارجية بريطانيا فى باريس لحل المسألة المصرية ولكن الاجتماع لم يسفر عن أى نجاح . وقد طلب إيدن إلى صلاح الدين باشا أن تتخذ الحكومة المصرية فورا إجراءات لوقف حوادث القتال وتهيئة الجو للدخول فى مفاوضات، فأجابه وزير الخارجية المصرية قائلا إن جلاء القوات الإنجليزية هو الاجراء الوحيد الذى يكفل الهدوء والسلام فى منطقة القنال والطريقة الوحيدة لتحسين العلاقات بين البلدين

وسأل إيدن صلاح الدين باشا : هل لدى الحكومة المصرية مقترحات جديدة ، فقال له الوزير المصرى « إن مطالب مصر تتركز فى الجلاء الشامل الناجز ووحدة وادى النيل تحت التاج المصرى . » وأعلن أنه « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء . »

ولم يوافق إيدن صلاح الدين وهكذا فشل الاجتماع وعاد إيدن أدراجه إلى لندن

وقد واصل الانجليز عدوانهم فى منطقة القنال ، وقد واصلت قوات الفدائيين نضالها ضدهم فنسفوا قطارا حربيا بريطانيا قرب السويس وآخر عند أبى سلطان وقد دمروا الخط الحديدى من ميناء الأدبية إلى المعسكرات أكثر من مرة وكذلك نسفوا أنابيب المياه فى كفر عبده وهى التى خرب الانجليز هذا الحى من أجلها

أسوأ عيد ميلاد :

أقبل عيد الميلاد عيد السلام كما هو مفروض ، ولكنه أقبل فى هذا العام على الجنود الانجليز فى منطقة القتال وهم يقتلون ويقتلون . وقد أفزع نشاط الفدائيين المصريين الانجليز مما اضطر قائدهم أرسكين إلى أن يذيع على القوات البريطانية نداء بمناسبة عيد الميلاد استحثهم فيه ألا يشغلهم العيد عن مباشرة أعمالهم والقيام بما يضطلعون به من أعباء والمحافظة على سمعة بريطانيا (؟؟) والحذر من أعمال الفدائيين

وجاء فى النداء أن بريطانيا تجتاز الآن أزمة عصيبة غير أنها ترجو أن تمر بسلام وأن تصل إلى حل سليم لتسوية الخلافات بين الحكومتين المصرية والبريطانية

وجاء عيد الميلاد فكان أسود عيد فى حياة الجند الانجليز فى منطقة القنال ، فقد اشتد نشاط الفدائيين فى جميع أنحاء تلك المنطقة ونسفوا محطة الكهرباء فى الفردان وأنابيب المياه فى البلاح وقطعوا خطوط التليفون فى أكثر من موضع وهاجموا الانجليز فى أكثر من مكان . وهكذا كان عيد السلام فى هذا العام أسوأ عيد على المغتصبين البريطانيين

كلمة اللسان :

فى يوم ١٣ ديسمبر ١٩٥١ استقبل معالى عبد الفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية سعادة عبد السلام الشاذلى باشا وجرت بينهما مناقشة حول استيلاء الحكومة على نادى الجزيرة ودافع الوزير عن وجهة نظر الحكومة

قال عبد السلام باشا للوزير : كان يجب عليك أن ترجع لوزراء الشئون السابقين لتستشيرهم قبل أن تقدم مثل هذا الاقتراح فإننا نعرف هذا النادى (الانجليزى) ويظهر أنك لا تعرفه ولعلك لم تزره

فقال عبد الفتاح باشا : لقد استشرت ضميرى وراعيت فى الاقتراح ما يقتضيه صالح بلادى دون أى اعتبار

واحتدت المناقشة وقال الشاذلى باشا : إن قرار مجلس الوزراء بتخصيص أراضى نادى الجزيرة للمنفعة العامة هو جريمة

وهكذا سقط الرجل : ورد عبد الفتاح باشا على الشاذلى باشا قائلا : « أنا لا أسمح لك بهذا الكلام فإن إلغاء نادٍ انجليزى ليس الجريمة وإنما الجريمة ما ترتكبه أنت الآن من دفاع عن هذا النادى الانجليزى »

دولة جديدة :

فى الساعة العاشرة والنصف من صباح ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن استقلال ليبيا واعتلاء الملك إدريس السنوسى عرش الدولة الاتحادية الجديدة التى تتألف من برقة وطرابلس وفزان

ونحن نهنئ الدولة الجديدة باستقلالها ونهنئ العالم الإسلامى بها ، ونرجو أن تتمكن فى القريب العاجل من تحطيم قيود استقلالها والانضمام إلى الكتلة الإسلامية الحرة لأن هذه الكتلة هى التى ستبعث الأمن والسلام إلى هذا العالم المضطرب

٢٦ ديسمبر :

قام الفدائيون بأعنف هجوم على المعسكرات البريطانية ، فدمروا شبكة الخطوط البريطانية بلغم زنته ٧٣ كيلو جراما ونسفوا أنابيب محطة المياه والطريق الحربى الممتد من ميناء الأدبية إلى المعسكرات . وقد انتابت أرسكين موجات من الفزع والهلع فهدد بحشد جميع القوات التى تحت إمرته لسحق كتائب الفدائيين فى القنال

وقد شاهدت القاهرة والاسكندرية مظاهرات قام بها الطلبة واستخدم البوليس فى قمعها الرش والقنابل المسيلة للدموع وأغلقت الجامعات الثلاث والمدارس الثانوية

وقبل أن أختتم كلمتى هذه عن معركة التحرير الحالية أحب أن أقول لمواطنى : احذروا الفرقة والانقسام فإن عدونا يتربص بنا ، وما دامت كلمتنا متحدة متفقة فيضطر العدو إلى الاستجابة لمطالبنا . أما إن تفرقنا فستذهب ريحنا ونضيع جهودنا . والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير بلادنا

أبريل ١٩١٩

فى ٧ أبريل أعلن المندوب السامى الإفراج عن سعد وصحبه فامتلأت قلوب المصريين فرحا وعمتهم الغبطة وقامت المظاهرات فى القاهرة والأقاليم تعلن ابتهاج مصر وفرحها . واشترك فى هذه المظاهرات ألوف من المصريين من جميع الطبقات ، وكانت دار سعد وجهة الجميع

وقد شارك النشالون الأمة فى شعورها فأعلنوا تأمينا للناس على جيوبهم امتناعهم عن العمل ثلاثة أيام سويا !!

وقد قامت فى ٨ إبريل مظاهرة كبرى اشترك فيها العلماء والقسس والطلبة والضباط المصريون وأعضاء الجمعية التشريعية ومشايخ العربان والتجار والأعيان والقضاة والأطباء والموظفون والعمال ، وكان يعقب مواكب هذه الطوائف مركبات تحمل سيدات من أرقى العائلات

ولكن الانجليز لم يتركوا الأمة فى فرحها بل تحرش الجند بالمتظاهرين وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط منهم أربعة شهداء

وقد اعترف المندوب السامى بخروج الانجليز عن حدهم وأعلن أسفه لما حدث منهم

وفى ٩ إبريل أقيم احتفال عظيم بتشييع جنازات الشهداء اشترك فيه ألوف من جميع الطبقات وكان هتافهم « لتحيى ضحايا الحرية »

واستمر عدوان الانجليز قائما وكان لهم فى كل يوم ضحايا وشهداء

وزارة رشدى باشا

ظلت مصر بلا وزارة منذ ديسمبر ١٩١٨ وفى ٩ إبريل ١٩١٩ شكلت وزارة رشدى باشا الثانية واشترك فيها عدلى يكن باشا وعبد الخالق ثروت باشا ويوسف وهبه باشا

وقد طلب ضباط البوليس والجيش المصرى أن يعهد إليهم بالمحافظة على الأمن والنظام ولكن لم يلب الطلب

تأليف الوفد الرسمى

فى ١٠ إبريل اعتز الوفد ماليا إذ تبرع له بدراوى عاشور باشا بمبلغ عشرة آلاف جنيه والأمير يوسف كمال بألفين وانهالت

عليه التبرعات من جميع الطبقات والطوائف وجمعت له الأموال الطائلة

وفى ١١ إبريل تألف الوفد الرسمى من : سعد زغلول . على شعراوى . اسماعيل صدقى . حمد الباسل . محمد محمود . عبد العزيز فهمى . أحمد لطفى السيد . مصطفى النحاس حافظ عفيفى . حسين واصف . محمود أبو النصر . محمد عبد الخالق مدكور

وفى ١١ إبريل سافر باقى أعضاء الوفد وهم الذين كانوا بمصر إلى باريس لينضموا إلى سعد وزملائه الذين كانوا فى المنفى ، ومرة أخرى خرجت مصر بأسرها لتودع أبناءها المسافرين للدفاع عن قضيتها ، نعم خرجت مصر لتعبر عن شعورها وعن آمالها فكان أروع توديع

وفى ١٢ إبريل ألفت اللجنة المركزية للوفد بمصر ، وكان لهذه اللجنة شأنها وخطرها فقد تولت قيادة الثورة بمصر وكانت تمد أعضاء الوفد بباريس بما يحتاجون إليه من معلومات

استمر الانجليز فى طغيانهم ومن أمثلة ذلك ما حدث فى صفط الملوك بمديرية البحيرة فى مساء ١٢ إبريل . وكانت دورية بريطانية تمر بالقرية فزعمت أنها سمعت طلقا ناريا أطلق عليها . وكان رد الانجليز محاصرة القرية وإخراج جميع رجالها ثم اقتادوهم تحت جنح الظلام إلى المحطة . وهناك جردوا من ملابسهم إلا ما يستر العورة وأخذوا واحدا بعد الآخر إلى كشك المحطة كان الواحد يؤمر بإدخال رأسه فى شباك صرف التذاكر ، ويقبض بعض الجند على رأس الرجل من الداخل بينما يلهب آخرون ظهر الرجل بالكرباج من الخارج

وفى قنا ألقى قائد الجيش أمرا يقضى بإلزام جميع المصريين بتحية كل ضابط بريطانى يمر بالشوارع وقوفا والتسليم عليه سلاما عسكريا ، ولكن رفض القضاة وأعضاء النيابة الأمر وأبلغوا وزير العدل أنهم سيلزمون منازلهم حتى لا يؤدوا مثل هذه التحية إلى الضباط الانجليز . وقد كان موقفهم مدعاة لإلغاء هذا الأمر

وفى ١٠ إبريل شكل الموظفون لجنة للنظر فى الموقف وتقررت الاضراب حتى تجاب المطالب الآتية :

١ : أن تصرح الوزارة بصفة الوفد الرسمية

٢ : أن تشكيل الوزارة لا يفيد الاعتراف بالحماية

٣ : إلغاء الأحكام العرفية وسحب الجنود الانجليز من الشارع ، وقد قبلت الحكومة أكثر الطلبات ولكن المندوب السامى لم يوافق

ولما لم تجب المطالب أضرب الموظفون ، وقد حاول رشدى باشا تسكين ثائرة الأمة فأصدر منشورا يدعوها إلى الهدوء والسكينة ويطلب إلى الموظفين العودة إلى أعمالهم حتى تسير دفة الحكم

ولكن المنشور لم يشر بتاتا إلى مطالب الأمة ولذلك لم ينفذه الموظفون وواصلوا إضرابهم . وقد هددهم رشدى باشا فى منشور آخر بتاريخ ١٥ إبريل ولكنهم لم يأبهوا لتهديده

وقد أدعت الصحف الأجنبية أن هذه الحركة تقوم بها قلة من المصريين هم طائفة الموظفين وكان الرد على ذلك اجتماع أكثر من ٨٠ ألفا من جميع طبقات الأمة فى الأزهر برياسة الشيخ الأكبر محمد بخيت وفيه تقررت مشاركة جميع الطوائف للموظفين فى الامتناع عن العمل حتى تجاب المطالب

وقد أضربت جميع الطوائف فى اليوم التالى فأصبحت المدينة وكأن ليس بها أحد . وقد اشترك الكناسون فى الإضراب فامتلأت القاهرة بالقاذورات

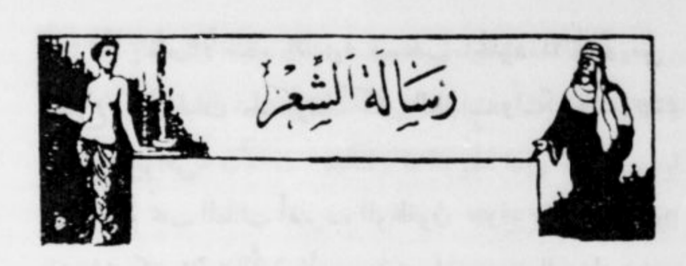
وقد قرر الطلبة تألف بوليس وطنى ولكن الحكومة قررت منعه ، وكانت لجنة الوفد المركزية تواصل أعمالها بهمة ونشاط وتجمع التبرعات التى أقبل الناس عليها إقبالا عظيما ولكن هذا العمل لم يرق فى عين الانجليز فأصدر المندوب السامى أمرا حظر فيه جمع هذه التبرعات

وفى ٢٠ ابريل جاء عيد الفصح فتجلت الوحدة المصرية قوية رائعة فقد توجه المسلمون إلى دور أخوانهم الاقباط مهنئين بالعيد ورد الأقباط الزيارة لإخوانهم فى المساجد

ولم تستطع وزارة رشدى تسيير دفة الأمور فى مصر وظلت الأحوال مضطربة والأمة ثائرة . واضطر رشدى باشا إزاء ذلك إلى الاستقالة فى ٢١ ابريل

وكان عمر وزارته تلك إثنى عشر يوما

أبو الفتوح عطيفة



من وحى النار والدخان

للأستاذ على الصياد

أشعلوها جهنما تسحق الما دى وتصليه فى لظاها النارا
أشعلوها وحطموا صنم الظلم وعيشوا فى أرضكم أحرارا
واغسلوا بالدماء أرض الفراعين من العار وامتطوا الأخطارا
إنما أنتمو زبانية الحق فمن رامكم يلاق الدمارا
يا ذئاب التاميز إنا أباة قد سحونا نبيد الاستعمارا
ومشينا على جناح المنايا وبليل الخطوب صرنا نهارا
مصر حواؤنا الرءوم فمن يرضى لحوائه الأذى والعارا
نحن فى حومة الكفاح سعير يتحدى المستعمر الغدارا
كل قلب دماؤه ثورة ألهمها الله بطشه القهارا
حسبنا أننا إذا ما طغى الأعداء كنا أمامهم أقدارا
يا خفافيش الغرب مهلا ففجر النيل أضحى يفجر الأنوارا
إنه فجرنا الطليق أبى قيد الليالى فشع يطوى الإسارا
ومضى فى الوجود يجتاح آفاق الدياجى مظفرا جبارا
أينما طرتمو رأيتم له بين الورى برقا يخطف الأبصارا

* * *

أيها المستبد فى أوطانى مصر مهما طغيت للسودان
وحد الله بيننا وسقانا سلسل الود والهوى والحنان
وعلى قمة الزمان بنى أوج علانا موطد الأركان
وإذا شيد الإله بناء عجزت دونه قوى الإنسان
أيها المستبد نحن لدات لم تحل بيننا يد الحدثان
سائل المشرقين عنا فإنا أمة لن تلين للطغيان
جدفت بالأرواح فى لجج الموت وسارت مجنونة الإيمان
تتخطى اللجات باطشة بطش المقادير بين عصف الهوان
همها فى مجازر الدم أن تقتات بالخلد فى حمى الرحمن
هذه ثورة القتال أذاقتك المآسى كثيبة الألوان
قد مشينا فيها على النار نختال وكنا كالماء فى النيران
وعلى صفحة الزمان رسمنا باللهيب الفخار رغم الزمان
كيف ننسى الطفل النبيل الذى جن فأسقاك علقم الخسران
حين شق الدجى وبين يديه فجر آماله العذاب الحسان
إن يكن مات فهو بين سموات العلا خالد خلود المعانى

* * *

إنما مصر جنة العلياء قد سقاها الأسلاف أغلى الدماء
فنما المجد فى رباها وريفا تتشهى مداه شهب السماء
وعلى أرضها الندية أدواح المعالى فواحة الأشذاء
نحن رعيانها المهاليق لن ترتشف النوم فى جناز الضياء
سنبيع الأرواح بالذود عنها ونرويها من دم الشهداء
أنت يا مصر فى دجى الخطب محراب نصلى فيه صلاة الفداء
نشترى بالفناء فى ساحة الحرب خلود الخلود فى كبرياء
النهايات فى الفخار بدايات لنا فى معارك الهيجاء
والبطولات كلها فى دمانا عزمات مسعرات المضاء
كيف نخشى المدا ونحن قوى الحق وما الحق غير سيف القضاء
قوة الحق قوة الله فى الأرض فبشر أعداءنا بالفناء
شعراء الكفاح يا أمل النيل ويا مشرق المنى والرجاء
اطلقوا فى الوغى شياطينكم تلهب بالشعر أنفس الإسلاء
إن ما فى بلادكم من جحيم الجور يذكى مشاعر الشعراء
رب جيش يقوده شاعر يبنى صروح العلا على الأشلاء

على الصياد

من ليبيا إلى مصر

لشاعر ليبيا الأستاذ أحمد رفيق المهدوى

يا مصر هذا أوان الجد فانجدى … وجاهدى فى سبيل الحق واجتهدى

يا مصر ما ظهر الإسلام منتصرا … إلا بما كان فى بدر وفى أحد

الحق ينصره صبر وتضحية … لا خوف من قلة الأعداد والعدد

والله لو صدقت فى الذود عزمتكم … لما افتقرتم إلى عون ولا مدد

إن صح عزمكم فالكون يقهره … فرد، ولم يعتمد يوما على أحد

أما لكم أسوة فى نهج قائدكم … (محمــد) حينما جاءوه بالفند

إذ قال للقوم لا والله لو هلكت … فى مطلب الحق روحى عنه لم أحد

وليس عنكم بخاف إن ذكرت لكم … (غندى) وتصميمه تصميم معتقد

وعندكم بين أيديكم (مصدق) إذ … امضى إرادته فى جرأة الأسد

ولست أحتاج للأمثال أضربها … فإنكم فوق من يدعى إلى رشد

أنتم بنو العرب الأمجاد ينصركم … بنو الفراعين فاشتدوا يدا بيد

أنتم بنو مصر والسودان ضمكما … جسم وأنتم له كالقلب والكبد

ذودوا عن النيل ولتجر (القناة) دما … كالسيل يدفع بالغثاء والزبد

(لكم عزائم رأى لو رميت بها … عند الهياج نجوم الليل لم تقد)

يا أهل مصر وأنتم أهلنا ولنا … عن القرابة ما للأم والولد

نحن الفداء لكم، والله يشهد ما … بتنا بما نابكم إلا على كبد

وحبنا مصر كالإيمان موضعه … من القلوب مكان النبض والورد

قلب العروبة يشكو ما ألم به … فكيف لا يتأذى سائر الجسد

عار على دول فى الشرق يجمعها … دين، وتشقى برأى غير متحد

أما كفى ما لقينا من تخاذلنا … أمام شرذمة من سفلة فسد

ألم تمطنا فلسطين التى ذهبت … ضحية الخلف والتسويف واللدد

ألم نزل من خداع (الحيزبون) على … جهل نؤمل فى إنصافها لغد

عدوة الشرق والإسلام ما فتئت … تفت بالدس والتفريق فى العضد

كم من مفاوضة أفضت إلى فشل … وكم معاهدة خابت ولم تفد

ما خلفهم غير خلف للوعود ولا … ميثاقهم غير نفث الغش فى العقد

لا تؤمنوا بدفاع قيل مشترك … فإنه شرك (من ينخدع يصد)

يا أمة الشرق إن الغرب ليس له … هم سوى وضعنا بالقهر فى رمد

وما لنا عندهم فى (الكتلتين) سوى … شر على أبد الأيام مطرد

شر (الشيوعية) الحمراء إن حكمت … كشر حكم (الدمقراطية) النكد

مذاهب محدثات كلها بدع … فيها من الضعف أهداف لمنتقد

كل المذاهب (والإسلام يكسفها) … لم تخل نظرتها للحق من رمد

فما لنا من صديق غير أنفسنا … ولا اعتماد لنا منهم على أحد

ولا معاهدة إلا إذا كتبت … بنودها بمداد الصارم الفرد

فأرثوها على الباغى مسعرة … بكل أروع فى ساح الوغى نجد

كنانة الله من أشبالها نثلت … سهما أصاب عدو الله فى الكبد

تقوضت دولة المستعمرين وقد … (أخنى عليها الذى أخنى على لبد)

قد صورت أسدا رمزا لسطوتها … فعاد رمزا على جدى من النقد

فلا يهولنكم من شحمه ورم … (فإنه الهر يحكى صولة الأسد)

الشك فى النصر كفر سوف يتبعه … يأس هو الموت من حين إلى الأبد

لا شك فى النصر إن صح التآزر من … شعب على الحق بعد الله معتمد

بنغازى — ليبيا

أحمد رفيق المهدوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حول اللغة الأجنبية الأولى :

أجبت الأستاذ اليمانى أحمد السكرى الذى سألنى فى العدد الأسبق من « الرسالة » عن قرار معالى الدكتور طه حسين باشا الخاص بتعليم اللغات الأجنبية فى المدارس المصرية والذى ينص على أن تختار اللغة الأولى من اثنتين : الفرنسية والانجليزية : هل يكفل للشعب الحرية المطلقة فى اختيار اللغة الأجنبية الأولى التى يريد أن يتعلمها ؟ — أجبت عن ذلك بأننا نجنى من هذا القرار زحزحة اللغة الإنجليزية عن مكانها الذى اتخذته لدينا بقوة أهلها الاستعمارية، وهذا كسب كبير لأنه تحرر من أثر استعمارى من هذه الآثار التى يكافح الشعب فى هذه الآونة للتخلص منها

ولم يخف على أن السؤال يلف فى طياته أمرا آخر أو سؤالا آخر وجه إلى فعلا من آخرين ، وهو لماذا قصر اختيار اللغة الأجنبية الأولى على الفرنسية والانجليزية ولم يشمل اللغتين الأخريين اللتين تقرر تعليمهما وهما الألمانية والإيطالية ؟

ويراعى إلى جانب ذلك أن رأى معالى الدكتور طه حسين باشا فى تعليم اللغات الأجنبية يتلخص فى عدم التقيد بلغة أو لغتين ووجوب التنويع فى ذلك بين المثقفين لتستمد ثقافتنا العربية الحديثة من المنابع المختلفة ، وقد بسط ذلك فى كتابه « مستقبل الثقافة »

إذن لماذا قصر معاليه أمر اختيار اللغة الأجنبية الأولى على لغتين فقط ؟

الجواب عن ذلك أن وزارة المعارف ليس لديها الآن مدرسون مصريون تستطيع أن تواجه بهم الحاجة إلى تدريس الألمانية أو الإيطالية أو غيرهما من اللغات الجديدة على التعليم المصرى إذا ما اتخذت لغة أصلية ، فلابد من التدرج ومراعاة الإمكان حتى نبلغ الأمر الذى تتوافر وسائله

وقد أعد معالى الوزير للأمر عدته فبعث مشروع « مدرسة الألسن » الذى يهدف إلى إعداد مدرسين مصريين لتدريس اللغات الأجنبية ، وقد افتتحت المدرسة فعلا هذا العام وبدأت تستقبل الطلبة الذين تقدموا إليها من قسم اللغة الإنجليزية وقسم اللغة الفرنسية بكلية الآداب . وعندما يوجد طلبة يعرفون لغات أخرى تفتح لهم المدرسة أبواب التعليم فيها ، حتى تستكمل ما يهيؤها لتأدية رسالتها على الوجه الأكمل

فالوزير يبدأ بإنشاء مجالات جديدة ، ويعمل على سد نقص ناشئ من التقصير فى الماضى . ولا شك أن الغايات تحتاج إلى وسائل لا بد من توافرها . ولو أخذ برأيه من وقت أن نادى به لأصبح لدينا الآن متعلمون يعرفون مختلف اللغات الحية ولأمكن الآن مواجهة التوسع المطلوب وإتاحة الحرية الكاملة المنشودة

رسالة الشعر فى الكفاح الشعبى

هذا عنوان المحاضرة التى ألقاها الأستاذ عزيز أباظة باشا يوم السبت الماضى بجمعية الشبان المسلمين بدأها بمقدمة عن كفاح الشعوب قائلا إن هذا الكفاح يهدف إلى أمرين ، الأول الحضارة وهى الرقى الفكرى والعلمى والاجتماعى ، والثانى الحرية ومقاومة المعتدين عليها من أبناء الشعب نفسه أو من المقتحمين المحتلين . ثم قال إن أهم وسائل الكفاح ما يبعث الشعور ويتصل بالعاطفة ، وهو الفنون عامة والشعر خاصة . وقال إن شعر الحماسة هو أقوى أبواب الشعر ، ولذلك غلبه أبو تمام على سائر الأبواب إذ سمى كتابه « الحماسة » وساق عدة أمثلة من الشعر العربى مبينا أثرها فى بعث الهمم وإثارة المشاعر

ثم انتقل الأستاذ بعد ذلك إلى التفات بارع إذ قال إن الشعر أخلد حينا إلى الارستقراطية واعتزل الشعوب والجماعات، ولكن لم يكن كذلك الشعر وحده ، بل كان الناس أيضا متخلفين عن أهدافهم ضالين فى حياتهم ، فكما ساروا فى ركاب الملوك والأمراء سار الشعر مثلهم وتخلف تخلفهم . ثم أحس الشعراء بحاجتهم إلى التعبير الصادق فاستحدثوا الابتداعية « الرومانسية »

ولكن هذه كان عيبها أنها تعبر عن الفرد ولا تهتم بالجماعة . ثم اهتدى الشعراء الى الابتداعية الحديثة وهي مشاركة الشعر للناس في حياتهم والتعبير عن آلامهم وآمالهم ، ووصف الأستاذ المحاضر هذه الابتداعية الحديثة بأنها هي الفن الصحيح

ومما قاله عزيز باشا في هذه المحاضرة القيمة أن الشعر اكتملت أداته الوطنية في العصر الحديث ، فكان الشعراء هم الداعين إلى كل إصلاح والسابقين إلى كل دعوة ، فقد مهدوا لثورات الشعوب في فرنسا وروسيا وبولندا ، ولم يقصر شعراء العرب في هذا المضمار ، فكان في العراق الزهاوي والرصافي ولم يزل فيه الجواهري والشبيبي . وجال شعراء الشام في ميادين أوسع لغربتهم في المهجر فاكتسب شعرهم ألوانا جديدة وسرى فيه روح قوي . وكان في المغرب أبو القاسم الشابي شاعر الحرية الخالد ، أما في مصر فقد ابتدأ كفاح الشعر بالبارودي في الثورة العرابية ثم زكا بشوقي وصاحبيه حافظ ومطران

ولما وصل عزيز باشا إلى الحال الحاضرة ارتفع جرسه وحمى صوته وراح يتحدث عن عدوان جيش الاحتلال على الواطنين وعن كفاح الشباب المجاهد في سبيل الحرية . وكان رفيقا بالشعراء بل محابيا لهم حين ذكر أنهم يبعثون حركة الكفاح الوطني الراهن ويذكون أوارها بأشعارهم ، فالواقع أن الشعر يحاول اللحاق بالركب في وناء وإعياء ولم يكن له أي فضل في إشعال قشة ..

وقد ألقى الأستاذ محمود جبر قصيدة وطنية تناول فيها بعض الأحداث الجارية تناولا أثار الحماسة والإعجاب ، فكانت هذه القصيدة بمثابة تطبيق المحاضرة

ثم وقف الأستاذ محمد سعيد العريان وعقب على المحاضرة فوصف عزيز باشا بأنه شاعر نزل إلى المعركة ليقود الشعراء وسماه « قائد الشعراء » وقال إننا نتطلع بعد ذلك إلى أن يخرج الشعراء من مرحلة « التسجيل » إلى طور القوة الدافعة . نريد أن يدعوا « كان وكان » ويقولوا افعلوا واعملوا ... وخلص من ذلك إلى دعوة الشعراء إلى التطبيق العملي ، وأعرب عن انتظار الجامعة الشعبية التي تنظم هذه المحاضرة ، ما يقول الشعراء ليقدمه إلى الناس في القريب إنتاجا عمليا . وأذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ العريان يتولى الآن منصب المدير العام المساعد للجامعة الشعبية

شعر المناسبات الشعبية الحربية :

كدت أنسى القسم الثاني من رسالة الأخ الشاعر العراقي الأستاذ عبد القادر رشيد الناصري التي نشرت قسمها الأول وعلقت عليه تحت عنوان « الشعر الغنائي » في عدد مضى من « الرسالة » وقد ذكر فيه محاضرة الأستاذ عزيز أباظة باشا التي سبقت خلاصتها . يقول الأستاذ الناصري في رسالته إلي :

« ... ثم تقول إن الشعبية هي أن نجارى المجتمع في آلامه كما فعل علي طه حين نزل إلى الشعب وتغنى بإحساسه في أروع قصائده كالقصيدة التي خلد بها أبطال الفالوجة وقصيدة (أخي أيها العربي) التي غناها عبد الوهاب . وأنا أقول لك : هذا شعر يسمى شعر المناسبات ؛ فإذا كان المرحوم نظم في مأساة فلسطين قصيدة أو قصيدتين فأنا — ولا فخر — قد المحتفى نكث المأساة المؤلمة ديوانا أسميته « صوت فلسطين » ورغم ذلك فأنا لا أعتبر هذا الشعر فنا خالدا لأنه شعر مناسبات وأنا من ألد أعداء المناسبات مهما كان نوع المناسبة ، لأنني أعرف أن الحياة عندما تمر وأن التاريخ عندما يطوي صفحاته يأتي ما قيل في المناسبات السياسية بمؤخرة القول ، لذا أقرر أن شعر الوجدان والعاطفة يخلد أكثر من خلود باقي الشعر ، بدليل أن حوادث كثيرة مرت بإنجلترا وفرنسا وألمانيا ولكن لم يخلد ما قيل فيها بقدر ما خلد شعر بيرون وشلي وكيتس ولامرتين وهوجو ودي موسيه . ولو فتشنا في تاريخ العرب الأدبي لوجدنا أن كثيرا من الأحداث السياسية قد مرت ومر ما قيل فيها ولم يخلد إلا شعر أمثال الأعشى والأخطل وابن أبي ربيعة وأبي نواس وابن الأحنف والبحتري وابن الرومي وصريع الغواني ، وحتى في العصر الحديث نجد جل الشعراء كشوقي وحافظ والبارودي ومطران لم يعرفوا بشعر السياسة والمناسبة بقدر ما عرفوا بشعر الوجدان . فهل بعد هذا نقيم وزنا لشعر المناسبات الذي لا يصدر إلا عن دافع رسمي أو واجب وليس بدافع عاطفي صرف ؟ »

وأنا حقا لا أقيم وزنا لشعر للمناسبات الذي يصدر عن دافع من خارج النفس ، ولكن ليس هذا الشعر هو الذي ندعو إليه ،



رحم الله الدكتور زكي مبارك

في مساء يوم الأربعاء الماضي انتقل إلى رحمة الله الدكتور زكي مبارك. أدركته المنية على أثر كبوة شديدة شجت رأسه ورجت مخه. ففقد الأدب بفقده كاتبا من كتاب الطليعة له جهاده الطويل وأسلوبه الجميل وأثره الباقي. كان رحمه الله من الأدباء القلال الذين شقوا طريقهم في الصخر بالعمل الدائب والدرس المتصل والتحصيل المستمر. ثم قضى زهرة عمره في التعليم والتأليف والكتابة على خير ما يكون العامل الصادق من المثابرة والجد. فلو أنه انتهى كما ابتدأ لكان له في تاريخ الأدب والفكر شأن غير هذا الشأن. ولكن عوائق من طبيعته اعترضت طريقه الوعر فلم يبلغ الغاية التي هيأه لها اجتهاده واستعداده. هذه العوائق نفسها هي التي جملته آخر الأمر يعفي طبعه ويوفر جهده، فلا يكتب إلا عفو الساعة وفيض الذاكرة. على أن له من المؤلفات القيمة والمقالات الممتعة ما يثبت اسمه في سجل الخالدين

وكان رحمه الله من المخضرمين المخلصين الذين ربطوا الجديد بالقديم، ووصلوا الشرق بالغرب. وكان لهذه الطبقة الفضل العظيم على النهضة الأدبية بما وطدوا من أساس وأقاموا من قواعد وحققوا من توازن. وبهذه الميزة كان للفقيد الكريم نصيب في بقاء مجد الرسالة حينا من الدهر

جزاه الله على ما قدم أحسن الجزاء، وعزى عنه أهله وصحبه خير العزاء

في كتاب الديارات للشابشتي

نشر الأستاذ كوركيس عواد كتاب الديارات للشابشتي وطبع أخيرا في سنة ١٩٥١ ميلادية ببغداد. والكتاب في غنى عن التعريف، وكذلك ناشره الفاضل الذي طالما أمتعنا ببحوثه الأدبية على صفحات الرسالة. ولكن على الرغم من الجهد الذي بذله في التحقيق وقع في أوهام كنت أود تنزيهه عنها، وهذه بعض الأمثلة:

وما أظن ما قاله الناصري في «صوت فلسطين» من هذا القبيل وأعتقد أن قصائد المرحوم علي طه ليست منه أيضا. فإذا كان المقصود بشعر المناسبات ما يقال للمجاملة أو الملق وما يتخذ أحبولة لصيد المنافع أو للاستجداء فإننا لا نعد هذا من الأدب «المحترم» في شيء. أما ما تنفعل به نفس الشاعر إزاء أحداث الجماعة ومسائلها ويفيض به خاطره شعرا أو نثرا فهو أدب خالد ما في ذلك شك. وهو لا يخرج عن نطاق العاطفة والوجدان بل إن العاطفة هنا أرق من العاطفة الفردية. وليس الخلود مقصورا على العواطف الفردية، بل إن التعبير الصادق عن عواطف الجماعة أحق بالخلود وأجدر بالاعتبار لما فيه من اندماج الشاعر أو الكاتب في بيئته وإحساسه بها. وليس ما قاله الأستاذ الناصري عن الشعراء الذين سماهم مسلما به، فكثير منهم قال في أحداث الجماعة أروع شعره وأخلده. على أنني أعتقد أن مدار الأمر على صدق الانفعال، فالأدب الصادق لا ينظر هل هذا اللون من القول خالد فيقول فيه وهذا غير خالد فيتجنبه، وإنما هو يقول ما يمليه عليه خاطره، وليسلكه من شاء فيما يشاء

على أن الأدب الصادق الأصيل هو الذي يصور روح العصر. وعصرنا الحالي هو عصر الشعوب والجماعات التي تكافح الطغيان الفردي لتأخذ حقها في الحياة، والأدب من أسلحة هذه المكافحة أو هو أهمها، ولست أوافق الأستاذ الناصري على ما ختم به رسالته إلى من ازدراء الشعب، أي شعب، لأنه ذليل خانع، وقد ضربت صفحا عن العبارات إبقاء على ما بين الشاعر ومواطنيه

إن الشعوب التي ران عليها الظلم والاستعباد والإهمال أحقابا طوالا فتركت بها آثارا أفسدتها — هذه الشعوب أحق بخدمات الأدباء من أبنائها للدعوة إلى تنظيفها وترقيتها، وإلى هذا المجال يدعى الأدب الجديد

عباس خضر

١ — فى ص ٥٧ جعل قافيـة البيت الأول من بيتى أبى العيناء (فأدنا) بالدال المهملة وشرح الـكلمة بأنها (أد الأمر أثقله وعظم عليه) وهـذا من أعجب ما رأيت من الأوهام ، فالـكلمة بالذال المعجمة من الأذان ، وذلك كما جاء فى ص ١٣٧ من ديوان على بن الجهم طبع المجمع العلمى بدمشق سنة ١٣٦٩ إذ قال من قصيدة (الله أكبر الخ ..) وفى الهامش أن مروان بن أبى الجنوب قال لما ابتدأ على قصيدته بهذا المطلع — ثم ذكر البيتين اللذين نسبهما الشابشتى إلى أبى العيناء . ولو تأمل الأستاذ كوركيس لرأى البيت الثانى يذكر الإقامة والطهر وهما من مستلزمات الأذان . ومطلع الأذان الله أكبر وهو مطلع قصيدة على بن الجهم ؛ فالـكلمة إذن (فأذنا) بتشديد الذال المعجمة وليست بالمهملة كما وهم الأستـاذ الناشر

٢ — ذكر فى ص ٣٩ الحـاشية ١٠ أن يوم الشك هو اليوم الثلاثون من شعبان إذا غم الهـلال بعد تسعة وعشرين يوما من شعبان ولو كان اليوم المذكور أول يوم من رمضان لما كان هناك أدنى شك ولوجب صومه

٣ — فى ص ٢٤ الحاشية — ٢ ذكر أن الحد تأديب المذنب، وذلك عند الكلام على معنى (فجلدها حدا) مع أن المراد هو حد القذف وهو أحد الحدود الستة التى نص القرآن الـكريم على بيان عقوبتها وأنها ثمانون جلدة . وهناك فرق كبير بين الحد فى القذف وبين التعزير الذى يقصد منه تأديب المذنب

هذا بعض قليل مما فى الـكتاب — وإذا اتسعت لنا صفحات الرسالة نقدناه إن شاء الله نقدا وافيا يستوعب أوهامه وأخطاءه المطبعية مع الإشارة إلى كثير من الأبيـات التى وردت مختلة الوزن وغير ذلك — على أن كل هذا لا يمنع من تقدير الأستاذ النـاشر على مجهوده الرائع الذى بذله فى تحقيق هذا الـكتاب وطبعه لأول مرة وإضافة هذه الدرة إلى عقد المطبوعات العربية الخالدة

عبد السلام النجار

هنات عروضية

فى الظلام الرهيب .. فى غفلة الدهر .. فى يقظة الدم المخمور فى انتفـاض الغصون فى عاصف الريح ، فى فورة الظما المسعور زهرة النيل .. وابنة الشاطئين .. ونجوى الحمام للصفصاف وتهـادى النشيد .. فى مزهر الأفق فى هدأة الليالى الرهيبة حان يوم الخـلاص فابسـط ذراعيك للأفق .. للسماء الرحيبة فى الأبيات الـسالفة من قصيدة « قصة الحرية » للأستاذ محمد فوزى العنتيل هنات عروضية تحتاج إلى تصويب طفيف ، كيما تحسن مبنى كما حسنت معنى

صارو

من عيوب القافية :

حتى إذا بلغت به أقصى المدى وانجـاب عنه ركامها المتلبد

.. هذا بيت ورد فى قصيدة الأســتاذ عثمان حلمى بالعدد (٩٥٥) من الرسالة ، وحرك رويه الضمة مخالفا بذلك سائر أبيات القصيدة إذ هى مكسورة الروى ، واختـلاف (المجرى) بالضم والـكسر — كما هنا — عيب من عيوب القـافية يسمى « الإقواء » ... فهل يجد الأستاذ حلمى مقيلا من هذا العيب فى البيت ؟ وهل له أن يصلح هذا الشطر :

..(يجرى وما تدرى النهى المقصد) . فى القصيدة نفسها !

يصمد ليست بمعنى يثبت

شاع التعبير بهذه الـكلمة « يصمد » فى الدلالة على معنى الثبات . وهذا هو الأسـتاذ ق لب فى العـدد (٩٦٦) يقول : « أمكن أن تصمد للاستعمار » وسياق حديثه يشعر بإرادته المعنى المذكور ، ولـكننى أقرر أن (يصمد) بمعنى يقصد والصمد بسكون الميم القصد ، ومن معانيه الضرب والنصب كما فى القـاموس المحيط ، والصمد والصمد بفتح الميم السيد لأنه يقصد ، وفى تفسير الـكشاف الزمخشرى : « الصمد » فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده ، هو المصمود إليه فى الحوائج..

هل التلاشى بمعنى الضياع ؟ :

إنى أسائل فضيلة الأستاذ الـكبير الشيخ محمود شلتوت ،

هل وردت كلمة (التلاشى) فى اللغة العربية بمعنى الضياع ، إذ قد وردت فى مقاله بالعدد (٩٦٦) مرادا بهـا هذا المعنى ! وهى كثيرة الذيوع على ألسنة المعبرين ، وأقلام الكاتبين ، وقد رأيت فى القاموس المحيط : (لشا) خس بعد رفعة ، فهل يمكن سوغها من هذا الفعل ؟ وهل لها وجود فى بعض الأحاديث النبوية ، والشواهد العربية ؟ .

محمد محمد الأبشيهى

(الرسالة) فعل لا شى صاغه المولدون من (لا شئ) وهى صياغة لا تقرها أصول اللغة

التصحيف والتحريف :

سألنى سائل فى رسالة خاصة : « لقد جاء فى كلمتك الأخيرة فى رسالة الزاهدة قولك (التصحيف ولا أقول التحريف) . [1] فهل ثم فرق بين التصحيف والتحريف » ؟

وإنى إذ أشكر للسائل الفاضل سؤاله واهتمامه بلسان العرب ولغة القرآن أرجو أن يتفضل فيعلم أن (التصحيف غير التحريف) وإن كان بعض الكاتبين يجمع بينهما على معنى.. فالتصحيف مصدر صحف أى أخطأ فى الكلمة — كتابة أو قراءة أو رواية — لتشابه وتجانس فى صورة كلمتين واختلاف فى النقط . ولقد وقع التصحيف منذ قديم فى كلام بلغاء العرب ورجال الأدب وأشعار القدامى وسائر الأمثال حتى أن أبا عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهانى وضع فى ذلك كتاباً سماه « التنبيه على حدوث التصحيف »

وأمثلة التصحيف بالنقط أكثر من أن تحصى ، ومن أطرف التصحيفات التى تذكرها التواليف ما قيل من أن جماعة من المخنثين كانوا فى المدينة فى خلافة سليمان بن عبد الملك الأموى فأراد أن ينفيهم منها فكتب إلى عامله فيها — وكان وقتذاك أبا بكر عمر بن حزم — أن (احص) من عندك من المخنثين . وصادف أن نقطة من السطر الأعلى من كتاب الخليفة وقفت أو وقعت فوق الحاء من لفظة (إحص) المهملة فصارت (إخص) بالمعجمة ، فما كان من أبى بكر إلا أن خصاهم أجمعين

وكذلك يقع التصحيف من تشابه رسم الحروف وهو من آفات العربية . وفى ذلك يقول البيرونى فى كتابه « الصيدنة » : « ولكتابة العربية آفة عظيمة هى تشابه صور الحروف المزدوجة فيها ! واضطرارها فى التمايز إلى نقط المعجم ، وعلامات الإعراب التى إذا تركت استبهم المفهوم منها .. » الخ

جاء فى لسان ابن منظور فى مادة « سوف » . السواف بفتح السين : الفناء . وفى القاموس السواف كسحاب : القثاة فأين الفناء من القثاء ؟ ولكنه التصحيف يقع فيه القاموس ويسلم منه اللسان لينقلب الفناء قثاء كما انقلب المخنثون خصيانا !

ومما أذكر فى هذا الباب ما جاء فى تعقيب لى [2] على كلمة لإمام العربية المحقق المدقق المرحوم اسعاف النشاشيبى فى تحقيقه لكتاب « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » وتصحيحه لفظة (الأدب) من (والأدب من ذى الغيبة) [3] إلى (الغم) ثم تعقيبى (والأوب من ذى الغيبة) بالواو وهو الأصل الذى صحف عنه (الأدب) واستحسانه — رحمه الله — التعقيب والتصويب شاكرا ومقدرا فى قوله [4] : « لا ريب فى أن أصل « والأدب من ذى الغيبة » هو « والأوب من ذى الغيبة » والدليل على ما ذهبت إليه أنت قريب وإن تباعد منى ، فإن الناسخ القديم البارع (سامحه الله) استبدل بالواو دالا ثم جاء الطابع فطبع »

وأما التحريف فهو وقوع اختلاف فى الحركة أو السكون مع تشابه أحرف الكلمة فى النوع والشكل والعدد والترتيب

فلفظة (الحب) مثلا تأتى بالكسر على معنى المحبوب والمحب ، وبالفتح البزر المعروف ، وبالضم الجرة الضخمة . فاختلاف الحركة — كما ترى — نتج عنه اختلاف المعنى اختلافا واضحا ووقوع القارىء أو الكاتب أو الراوى فى مثل هذا الاختلاف هو المقصود بالتحريف حركة أو سكونا ..

وقد يجتمع التصحيف والتحريف معا فى الكلمة الواحدة

---

١ — بريد الرسالة العدد (٩٦٨)

(٢) بريد الرسالة العدد (٦٩٥) السنة الرابعة عشرة .

(٣) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ص ج ٩

(٤) بريد الرسالة العدد (٦٩٨) السنة الرابعة عشرة

فيزيد الحشف (*) سوء كيلة، والطين بلة، والداء علة. مثال ذلك ما ورد في القاموس في مادة (برقش) «أبو براقش طائر صغير بري (كالقنفذ)». والخطأ بالتصحيف ظاهر في لفظة التشبيه لا يحتاج إلى تنبيه. والصواب «كالقنبر» ذلك لأن القنفذ ليس بطائر يطير باثنين حتى يشبه طائر به، وإنما هو دابة تدب على أربع. (راجع المقتطف ٣٩ : ٤٨٨ في أبي براقش)

وبعد: فمجمل القول في التصحيف والتحريف أن التصحيف يكون أكثر ما يكون باختلاف الحرف واختلاط النقط إهمالا وإعجاما، وأن التحريف يكون باختلاف الحركة أو السكون في الكلمة قراءة أو كتابة أو رواية. وقى الله لسان العرب وأصحاب القلم من الخلط مصحفا ومحرفا والسلام

* الحشف أردأ التمر.

الزيتون

عدنان

١ — خطأ قديم

كتب الكاتب القدير الأستاذ أحمد محمد بريري مقالا قيما (١) بجريدة الأساس تحت عنوان «خطأ مشهور»، أجرى فيه الحوار بينه وبين شيخه على طريقته المعهودة. وقد جاء على لسانه: «ويأتي بهذا النص الذي تقول إنه منعدم»؛ فأتى باسم الفاعل من «انعدم» الذي أقول إنه معدوم. وهذا خطأ قديم وقع في كلام كثير من الكتاب والفقهاء والمتكلمين

وأغلب الظن أن هذه هفوة من الأستاذ بريري، وإلا فكيف غاب عن شيخه وعنه أن صيغة «انفعل» لا تؤخذ من «العدم»، لأنها مختصة بما هو علاجي محس، وواضح أن العدم لا يلمس ولا يحس. وزيادة في الإيضاح ولأن الأستاذ بريري لا يؤمن إلا بما نقل عن العرب وورد فيه نص صريح فإني أحيله إلى قول «المنجد»: «ولا يبنى انفعل إلا مما فيه علاج وتأثير، ولهذا لا يقال علمت المسألة فانعلمت، ولا ظننت الأمر فانظن لأن العلم والظن مما يتعلق بالباطن وأثرها ليس محسوسا»، وإلى «محيط المحيط» ففيه: «يقول المتكلمون والفقهاء وجد فانعدم والصواب وجد فعدم لأن الانفعال للعلاج والتأثير، وليس العدم والإعدام في شيء من ذلك كما لا يقال علم فانعلم»

فكان الواجب عليه أن يقول: «ويأتي بهذا النص الذي تقول إنه معدوم»

(١) أقر المجمع اللغوى هذا التعبير

٢ — خطأ نحوي

جاء في مقال بالهلال (عدد يناير) للدكتورة الفاضلة «بنت الشاطئ» تحت عنوان «الثائرة»: «ولم تك التميمة سوى رصاصة ..»، وفي هذا التعبير مجال للقول والنقد؛ لأن من القواعد المتقررة أنه لا يصح حذف النون من «يكن» إذا وقع بعدها ساكن؛ ولهذا ثبتت في قوله تعالى: «لم يكن الله ليغفر لهم»، وقوله تعالى: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب». وأما قول الشاعر:

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة ... فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

فضرورة

أحمد مختار عمر



خاتمة المطاف ..!!

للأستاذ محمد رشدي

— كثيرة حقا يا صديقى أطايب الحياة وملذاتها .. ولكنى لن أرسم خطوك بعد الآن ، فاستمتع أنت بأطايبها كيف تشاء ، واقتنص من لذائذها كما يحلو لك ، وثق أنك ستدفع الثمن فى يوم ما ..

— سحقا لك ولتفكيرك السقيم .. ماذا ترى فى صيد ساقه لنا الشيطان ، هل ترانا نرتكب جريمة بذهابنا إليها .. لقد رأيتها بعينى رأسك ، أنوثة مبكرة ، وجسدا ناضجا غضا ، وجمالا آسرا خلابا .. تخيل أنك تعصرها عصرا بين ذراعيك ، وتضغط صدرها الناهد .. لتتحطم مقاومتك التى لا أجد مبررا لها ويستقيم تفكيرك ، فتجد أنك مخطئ فى مخاوفك التى ذهبت إليها .. هيا بنا ، ولا تكن جبانا رعديدا تخاف اشياء لا وجود لها . إنها تقطن وحدها .. وهى التى دعتنى إلى منزلها .. وأنا بدورى أدعوك لمرافقتى .. إن الساعة المرتقبة توشك أن تحين ، فهيا .. فالشوق يكاد يقتلنى ...

— وفر عليك مشقة إغرائى .. فلم يعد معسول قولك ، وتشويق ، ليفيدا معى .. فاليك عنى ، واذهب وحدك ، فقد عاد إلى صوابى ، وثبت إلى رشدى .. فدعنى أكفر عن آثامى التى اقترفتها بسببك .. ليتنى دققت عنقك منذ عرفتك ..

— ها .. ها .. ها ... إنك وايم الحق تدهشنى كثيرا .. فقد أصبحت عنيدا صعب المراس .. ثق أنك لن تجد الفرصة التى تكفر فيها عن آثامك . سأذهب إذن وحدى ، وأتركك لأفكارك ، وهى كفيلة بالقضاء على عنادك وإصرارك .. إن إقتناص اللذة أصبح من مستلزمات حياتنا ، أنا ، وأنت .. فلا تحاول الاستنجاد بإرادة حطمتها عشرون عاما ، قضيتها غارقا لأذنك فى الأثم والرذيلة ...

— وأنت ... ألا تذكر ؟

فتمهل قليلا كأنما يستجمع شوارد ذهنه .. ثم قال ..

— أجل ... أذكر .. إن صورة باهتة لها مازالت عالقة بذهنى .. لم تكن كهؤلاء اللائى عرفتهن .. قد باعت جسدها لمن سبقنى ودفع الثمن .. كانت نقية طاهرة الذيل إلى أن عرفتنى ...

— إنك معدوم الضمير .. لقد دفعتها إلى التخلص من ثمرة فعلتك المنكرة ثم قضيت عليها بقسوتك وإعراضك .. !!

— نعم . أخبرتنى بذلك . ولكن ما شأنى بذكريات أدرجها تعاقب السنين فى لفائف العدم ، وتراكم عليها غبار تسعة عشر عاما انقضت . لقد مات الماضى يا صديق ، فدعنا منه .. وإلى اللقاء عند « سلوى » الراقصة الحسناء ..

— اذهب إلى الشيطان ، فلن نلتقيا ثانية .. لقد عقدت العزم على الرحيل بعيدا عنك ..

— كما يحلو لك ... آه .. نسيت أن أترك لك العنوان . وانتزع من مفكرته ورقة قذف بها إلى صديقه وهو يتابع فى برود وعدم اكتراث :

— هاك العنوان .. وحذار أن تتأخر كثيرا ، فسنكون فى انتظارك ...

وغادره وصدى ضحكاته الساخرة يرن فى أذنيه ...

وصاح « جلال » به يستمهله .. ولكن صوته لم يصل إلى سمعه .. فاختطف معطفه وغادر المنزل بدوره

... وهناك على الفراش .. كانت الفتاة مستلقية فى استرخاء ، وقد ارتدت غلالة رقيقة ، يشع من تحتها بريق الفتنة الطاغية ، وسحر الجسد البديع التكوين ، وعبق جو الحجرة برائحة عطر نفاذة تدير الرؤوس ، وتخدر الأعصاب .. وعلى قيد خطوة من

الفراش ، وقف « كمال » بقوامه الفارع ، وجسمه الرشيق الفتى.. برغم أنه يحمل على كاهله عبء أربعين عاما سلخها من حياته . .

ونهضت الفتاة فى استرخاء محبب ، ولم تلبث أن قفزت من الفراش فى رشاقة وخفة ، وطبعت على شفتيه قبلة خاطفة ، وأسرعت بالابتعاد قبل أن تنطبق عليها ذراعاه ، ويهصر عودها الرطب بين أحضانه .. وراحت تنثنى وتتفرد أشبه بحية تتلوى وهى تدور فى الحجرة راقصة منتشية ، وقد لمت عيناها ببريق عجيب ...

وفارق « كمال » ثباته ، وثارت مشاعره، واستيقظت غرائزه البهيمية فراح يضيق عليها الخناق حتى تمكن من الإمساك بها.. وجذبها إليه فى عنف ، ورغبة جامحة . . فكاد يحطم عظامها . ولكنه ما عتم أن تراخت ذراعيه ، وتخلى عن الجسد الغض الطرى الذى كان يدق أحضانه . . . واستقرت نظراته الملتهبة على تلك الدمية الجميلة التى ابتعدت على عجل ، ولاذت بالحائط ترتعد كريشة فى مهب ريح صرصر عاتية . وعالك واستجمع أشتات أنفاسه . . واقترب منها مترنحا أشبه بسكير شرب حتى طفح وقد امتدت ذراعاه المتخاذلتان ، محاولا أن ينال عنقها ، فيزهق روحها الخبيثة . ولكن قواه خانته ، وتخلت عنه ، فهوى يتلوى من الألم وقد ندت عنه صرخة قهر وكد .

ودبت الحركة فى جسد الفتاة الجامدة .. فاندفعت إلى الأمام تصرخ فى صوت مختنق متحشرج ، وقد أذهلتها رؤية الدماء . . فتلقفتها ذراعان خارج الحجرة ، وعادت بها إلى الداخل . . وارتفع صوت « جلال » يسأل فى عجب : ماذا حدث يا ... ؟! بيد أن الكلمات ماتت على شفتيه ، واتسعت حدقتاه فزعا وهو يرى صديقه منكفئا على وجهه وقد غاص بين كتفيه خنجر حتى مقبضه . .

وتهافتت « سلوى » على الفراش مضعضعة الحواس ، خائرة القوى ودفنت وجهها بين راحتيها ، وقد شملت بدنها رعدة عنيفة .. وراحت تهذى كالمحمومة :

— لقد قتلته .. أجل قتلته يا أماه .. فلعلك الآن راضية فى مثواك الأخير .. كانت رغبتك أن أنتقم لك، وها قد انتقمت.. فانهضي لترى أى منقلب انقلب ذلك الفاسق ... لقد غرر بك ، وتركك تنوئين بعبء العار والفضيحة تسعة عشر عاما ، قضيتها فى عذاب مر أليم ... لقد ظلت صورته منطبعة فى ذاكرتى من خمس سنين مضت منذ آخر لقاء كان بينكما ، حين انهال عليك ضربا فى قسوة ووحشية وغادرك ، مقسما أنك لو عدت إليه ليقتلنك شر قتلة ، ولكنك لم تكونى فى حاجة إلى العودة إليه ، فقد فاضت روحك فى تلك الليلة ، وتركتنى فتاة لم تتجاوز الخامسة عشر بعد . . لا يعرف ذلك العربيد عنها شيئا ، ولا يعلم بوجودها ... فأقسمت أن أنتقم لك منه ، ولو كرست حياتى كلها لذلك ... ولقد فعلت ... فليرحمنى الله ... !!

وزاد ارتعاد جسدها ، وعلا صوت نحيبها المؤلم ، ونشيجها المكتوم . وانبعث صوت ضعيف واهن ، كأنه آت من أغوار سحيقة ، فيه مرارة وفيه تساؤل وعجب :

— سلوى ... ابنتى

ولكن القضاء لم يمهله ، ولم يتريث به ليقول شيئا آخر ... فسكنت حركته إلى الأبد

ورددت جنبات الحجرة دقات حزينة منتظمة ، كانت أشبه بأجراس قوية تدق فى ذلك المكان الرهيب . . تعلن بأن الليل قد انتصف

واقترب « جلال » من الجثة المسجاة .. وانحنى على الجسد العانى فحمله بين ذراعيه ، وتريث قليلا ينظر إلى الفتاة ، وقد انحدرت على خده دمعة كبيرة .. وقال فى صوت متهدج برح به التأثر :

— لقد انتهى .. مات صديق .. ولكنه منحنى الفرصة التى أكفر فيها عن آثامى .. فأنا ذاهب ، أجل ذاهب لأنال الجزاء .. فما أحقنى به منك

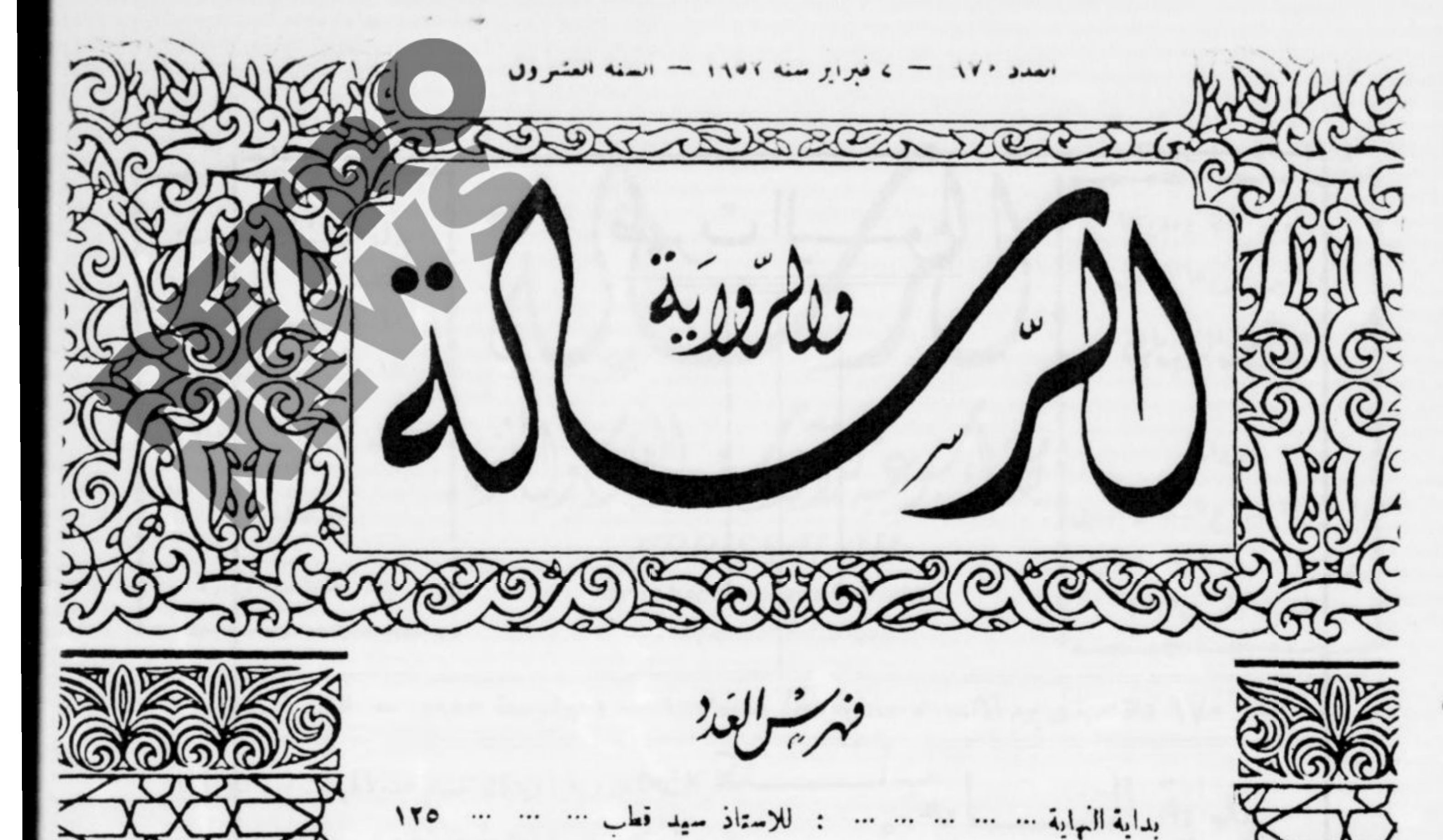
وتنفس عميقا ، وكأنما أزيح عن صدره عبء ثقيل .. ثم دار على عقبيه وغادر الحجرة يحمله الثنين .. !!

دمنهور — محمد رشدى

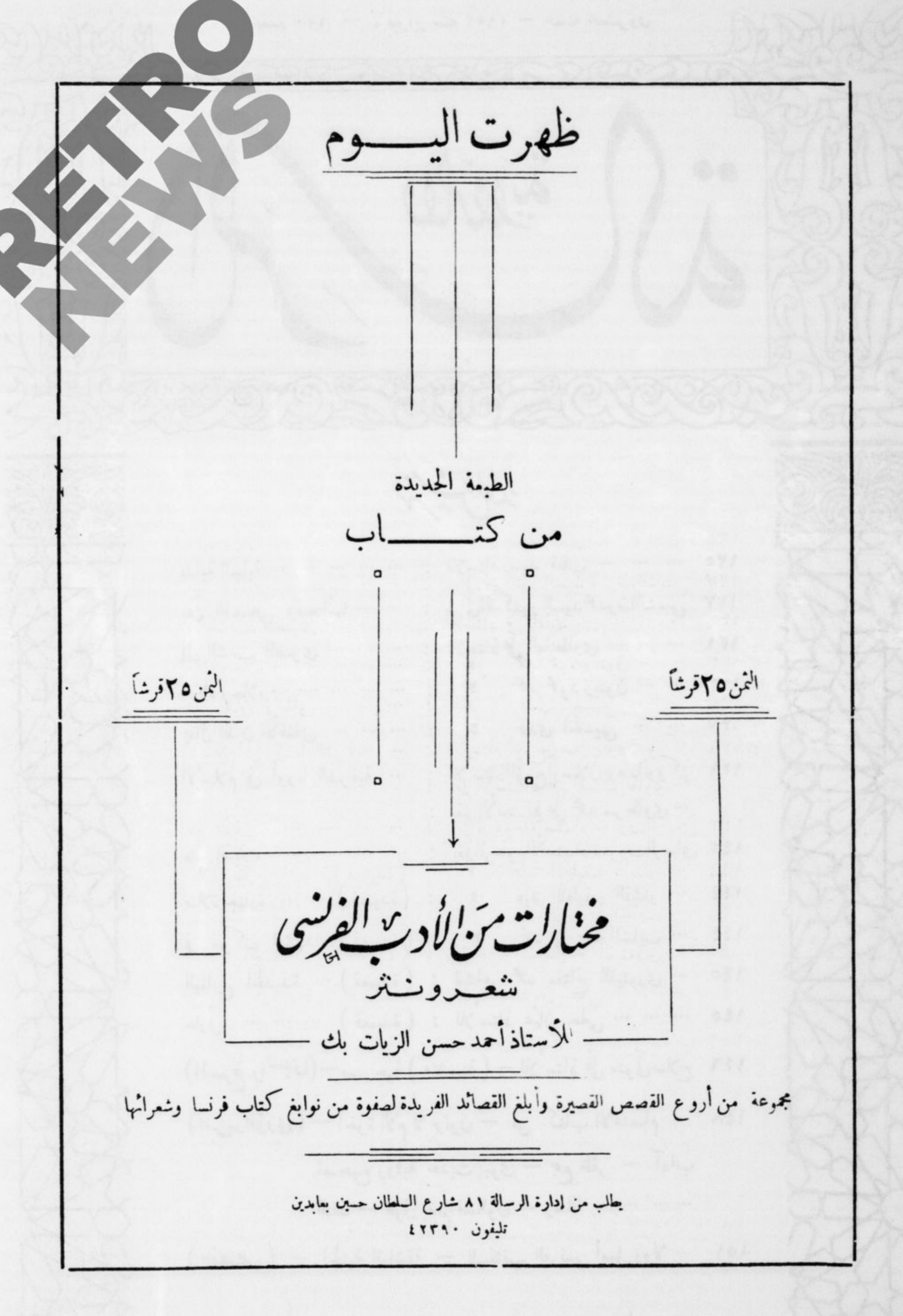
مطبعة الرسالة



العدد ٩٧٠ — ٤ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

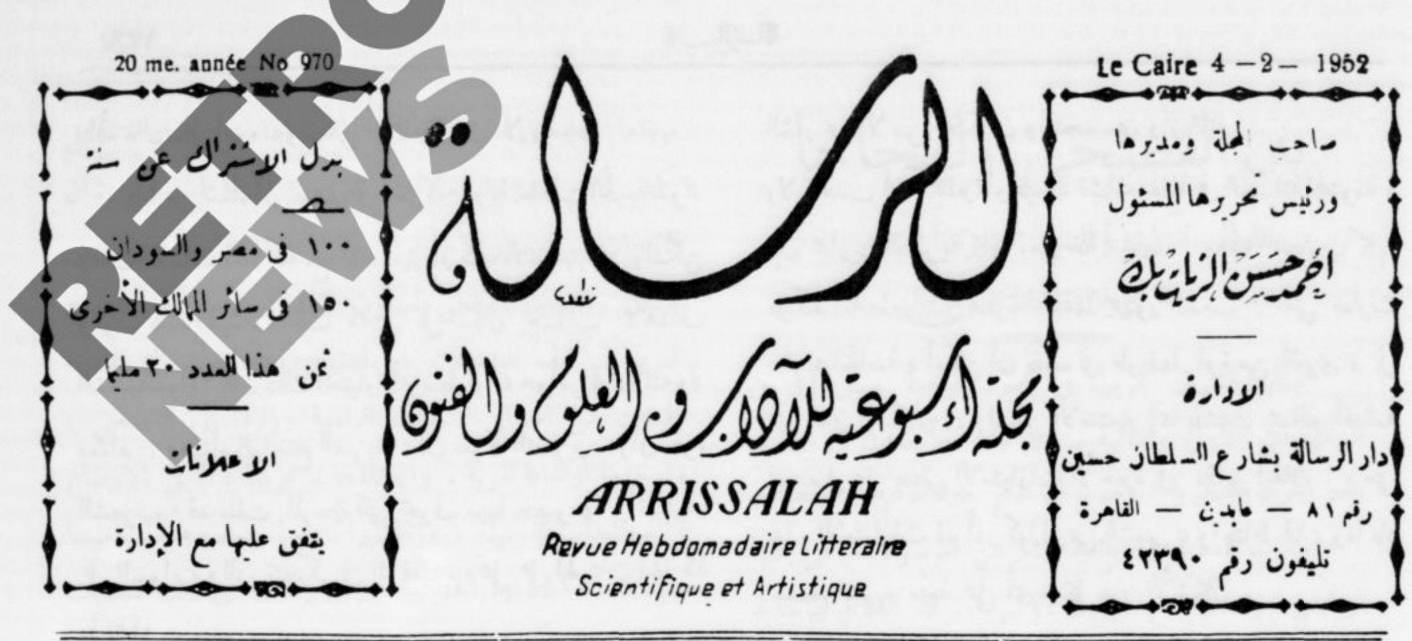


فهرس العدد


ظهرت اليـــوم
الطبعة الجديدة
من كتـــــاب
الثمن ٢٥ قرشاً
الثمن ٢٥ قرشاً
مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها
يطلب من إدارة الرسالة ٨١ شارع السلطان حسين بعابدين
تليفون ٤٢٣٩٠

20 me. année No 970

Le Caire 4 — 2 — 1952



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات بك

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٠ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٤ فبراير سنة ١٩٥٢ » — السنة العشرون

بداية النهاية

للأستاذ سيد قطب

أيا كانت الظروف والأحوال ، فإن الاستعمار الغربي قد بدأ نهايته . بدأها في كل مكان ، وبخاصة في العالم العربي الإسلامي الذي يصطدم بالاستعمار اليوم في جهات متفرقة ، ولكنها كلها متصلة .. يصطدم به اصطداما ظاهرا واضحا في مصر ، وفي تونس ، وفي مراكش ، وفي إيران ، كما يصطدم به اصطداما خفيا في العراق وفي سورية . وحركة الجزائر ما تزال مستمرة ، وفي هذه الأيام يقع اصطدام جديد على حدود اليمن . وكلها حركة واحدة للخلاص . وكلها تشير إلى النهاية المحتومة رغم جميع الظروف والأحوال

ولقد كانت فرنسا تصطدم بالشعب التونسي وتسلط عليه الحديد والنار ، في الوقت الذي تصطدم فيه انجلترا بشعب الوادي وتسلط عليه الحديد والنار .. نفس الوسائل ، ونفس الأهداف ، ونفس العقلية : عقلية الاستعمار ، وعقلية المكافحين ضد الاستعمار

إنها لم تعد حركات وقتية متقطعة محلية ، تخمدها هجمة هنا وهجمة هناك . . إن الشعوب بأمرها تندمج في هذه الحركات التحريرية . وبذلك تصبح هذه الحركات قوة تمثل اتجاه الزمن ، وتشير إلى إرادة الله في الأرض ، وتستمد الوقود من الشعوب لا من الأفراد .. وهيهات هيهات أن تقف القوة ضد اتجاه الزمن ، وضد إرادة الله !

ولقد كان الاستعمار يلجأ دائما إلى الهيئات الحاكمة في كل بلد مستعمر ، فيستعين بها على الشعوب ؛ ولكن الهيئات الحاكمة لم تعد تملك أن تقف في معزل عن حركة الشعوب . . وها نحن أولاء نرى مصداق هذا القول في مصر وفي تونس على السواء

ففي مصر كانت حركة إلغاء المعاهدة تلبية مباشرة لضغط الشعب . . ولقد تغيرت الوزارة وجاءت وزارة سواها ، فكان أول تصريح لرئيس الوزارة الجديدة هو السير في نفس الطريق التي رسمها الشعب ، وإعلان الأهداف ذاتها بلا تلعثم ولا تردد ؟ لأن إرادة الشعب الواضحة لا يمكن أن يتجاهلها متجاهل ، مهما تغيرت الوزارات

وكان الحال كذلك في تونس . فالوزارة هي التي تصطدم بالاستعمار هناك ، مع الشعب خطوة بخطوة . ورئيس الدولة الأعلى هو الذي يقف في وجه العاصفة ، فيعرض قصره للحصار ، ويعرض عرشه للزوال ، ويعرض نفسه للهلاك .. ولكنها إرادة الشعب القاهرة ، التي تمثل حركة الزمن ، والتي تمثل إرادة الله

والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون

وما من شك أن النصر فى معركة الحرية لطلاب الحرية سواء وقفت الهيئات الحاكمة مع الاستعمار أو ضد الاستعمار . ولكن وقوف هذه الهيئات الحاكمة فى كل مكان بجانب الأهداف الشعبية سواء أكان ذلك اختيارا أم اضطرارا ، هو أمر له دلالته وله معناه .. ومعناه الواضح الصريح : أن حركة التحرير . وأن قوة الشعوب ، قد بلغت المرحلة التى تجرف معها خصومها وأنصارها على السواء ، والتى تتحكم فى الموقف ، وتملى على الهيئات الحاكمة ما تشاء

ولو لم يكن إلا هذه الظاهرة وحدها لكفى بها دليلا على قرب النهاية ، لتقلص ظل الاستعمار البغيض ، الذى دام أكثر مما ينبغى ، وعاش أكثر مما تقتضى طبيعته أن يعيش .. ولكن هذه ليست الظاهرة الوحيدة فى معركة التحرير .. فالظاهرة الأخرى فى المعسكر الآخر هى ظاهرة الضيق والتبرم العنيف بالحركات التحريرية ، ظاهرة هياج الأعصاب ، وفقدان الصبر ، والفزع والقلق والاضطراب .. ولهذه الظاهرة دلالتها على الضعف الذى ينشأ عنه الذعر والهلع . فدولتا الاستعمار الغربى : انجلترا وفرنسا كلتاهما تعانى حالة من الإفلاس المالى والضعف العسكرى ، تشير إلى بداية النهاية كذلك . وليست واحدة منهما أو كلتاهما بقادرة على خوض معركة طويلة الأمد مع الشعوب التى لا تفنى . لا مواردها المالية ولا مواردها العسكرية تسمح لها بخوض مثل هذه المعركة ، فى أرض خارجية تفصلها عنهما مئات الأميال ؛ لذلك تريدان أن تضربا حركات التحرير ضربة قاضية ، سريعة ، قبل أن ينكشف ضعفهما ، لعل هذه الضربة أن تخلصهما من التكتل الشعبى الذى تصطدمان به فى كل مكان

ولكن هيهات هيهات ! لقد مضى الزمن الذى كانت الحركات الشعبية فيه لا تزيد على أن تكون فورات وقتية ، تطفئها ضربة قوية ، أو انقلاب سياسى ، أو مناورة دبلوماسية .. لقد استحالت الحركات الشعبية تصميما شعبيا لا يتزحزح — مهما تغيرت الأحوال — وإرادة واعية تستمد وقودها من رجل الشارع ، لا من المفكرين والمتحمسين والزعماء

ولا أحسب أن انجلترا أو فرنسا تشك لحظة فى النهاية المحتومة ؛ فإن تجارب البشرية كلها معروضة أمامهما ؛ وهذه التجارب كلها تؤكد أنه ما من فكرة اعتنقها جمهور الشعب ، حتى صارت فكرته الخاصة ، أمكن أن تقف فى طريقها قوة من القوى ، فى أى زمان أو مكان .. ولكن الاستعمار إنما يتشبث بمواقع أقدامه ليحصل على بعض الامتيازات الأخيرة فى مقابل الجلاء . وحتى هذه الامتيازات قد أدركها الوعى الشعبى ، واحتاط لها ، وما عاد يسمح بشىء منها على أى شكل من الأشكال

لقد حرق الاستعمار مراكبه مع الشعوب ، بما ارتكب معها من حماقات . وبخاصة فى هذه الحركات الأخيرة . ولقد استحال الصراع بينه وبين الشعوب . ثارات مقدسة ، وأحقادا عميقة . فما عاد يمكن أن تستجيب الشعوب لأى صوت يدعوها إلى الارتباط بعجلة الاستعمار على أى وضع من الأوضاع

وكل من يتصور أن الشعوب سترجع القهقرى عن موقفها الذى انتهت إليه ، تحت أى ظرف ، وتحت أية مناورة .. إنما يخطئ فى فهم طبيعة الحركات الشعبية ، وينسى عبر التاريخ وشواهده .. إن كل خطوة يكسبها الشعب لا يمكن أن يتخلى عنها ، لأن حركة الشعب هى حركة الزمن . والزمن لا يرجع القهقرى ، ولا يتحرك مرة إلى الوراء

ولقد يخفت صوت الشعوب أحيانا ، وتتوارى حركاتها .. ولكن هذا ليس إلا ستارا ظاهريا لحركات خفية إلى الأمام . حركات تتم فى ضمير الشعب ، وتنضج فى أعماقه ، ثم تبدو فى صورة فورة جديدة ، وقفزة واسعة ، يخيل إلى بعض الناس أنها مفاجئة . وليست فى حقيقتها إلا امتدادا طبيعيا لم تظهر خطواته ، لأنها كانت تتم فى صمت ، فى أثناء فترة السكون

إنها بداية النهاية ، فعلى بركة الله فلتسر مصر ، ولتسر تونس ، وليسر كل بلد يشتبك اليوم فى معركة التحرير الخالدة التى أوقدها الله ...

سيد قطب

بين الفصحى ولهجاتها

لمعالى الدكتور السيد محمد رضا الشبيبى
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اجتاز الشرق القريب فى الفترة الواقعة بين الحربين الكونيتين الأولى والثانية مرحلة حافلة بالأحداث ، اتسمت بنمو الحركة الفكرية ، ويصح أن تدعى فترة الوعى واليقظة

امتازت هذه المرحلة بإثارة كثير من الموضوعات حمى فيها الوطيس ، وتعددت فيها المعارك ، ومنها معركة القديم والجديد فى مختلف نواحى الحياة ، من سياسية إلى اجتماعية واقتصادية ، ثارت بين المجددين والمحافظين أينما وجدوا ، وفى مقدمتها معركة اللغة والكتابة العربية واللهجات ، إذ ظهرت دعوة ترمى إلى اصطناع هذه اللهجات الاقليمية المحرفة عن الفصحى فى بعض أقطار الشرق القريب . وحاول المحاولون أن يثيروا حربا عوانا على اللغة ، ووضعوا فى هذا الباب ما وضعوه من كتب ورسائل ومقالات .

يهول بعض المعنيين فى هذا الشأن بعنف الصراع القائم بين الفصحى واللهجات المحلية ، ويشيرون إلى قيام ضرب من تنازع البقاء بين الجانبين ، ويضربون الأمثال من اللغة اللاتينية ولهجاتها ، بل من اللغة العربية وأخواتها الساميات على اعتبار أنها لهجات تفرعت من أصل سامى بائد ، ثم يسرفون فى التكهنات والاحتمالات

ظن فريق من هؤلاء الباحثين أنهم أول من طرق باب البحث عن اللهجات على هذا الشكل الحديث ، وأنه لم يحم حول هذا الموضوع أحد من قبل ، مع أن غير واحد من أعلام الأدب واللغة وأئمة القراءات أشاروا إلى فساد اللسان ، وإلى اضطراب اللهجات اللغوية المحكية ، وشذوذها فى عصورهم . ولهؤلاء اللغويين القدماء عناية فائقة بالبحث عن اللهجات ، ومن هذا القبيل تلك الرسائل والكتب التى جردت فيما تلحن فيه العامة أو الخاصة . وكم من معركة أثيرت بين اللغويين فى هذا الباب مرماها انتقاد اللهجات وإصلاح ما اعتراها من فساد ، وهى كتب كثيرة ، وجلها متداول معروف . ولما استفحل شأن اللهجات فى العصور الأخيرة ، وطغى على اللغة سيل جارف من الكلمات الدخيلة ، وفطن المعنيون بذلك إلى الخطر الذى يهدد العربية من هذه الناحية ، بادر اللغويون المحدثون إلى العناية بالبحث عن أصول الكلمات العامية وردها إلى الفصحى ، وأوجدوا أوضاعا لغوية ، ومصطلحات عربية ، تقابل الأوضاع والمصطلحات الدخيلة ، واختاروا أسماء لمسميات هجمت بها علينا هذه الحضارة الحديثة ، وقد وضعت فى ذلك معجمات ورسائل لغوية كثيرة

من ذلك يتضح لنا أن البحث عن اللهجات قد اتخذ أطوارا شتى يعرفها من ألم بتاريخ آداب اللغة العربية فى مختلف العصور . وهذا ابن خلدون عالج موضوع اللهجات المتفرعة عن لغة مضر على وجه يفهم منه أنها كانت متميزة فى عصره وهو يسميها « لغة الجيل » ، ويقارن بينها وبين « اللغة المضرية » وقد أفرد فى مقدمته المشهورة فصولا للبحث فى هذا الشأن . منها فصل عنوانه « لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير » ، وآخر عنوانه « لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر » إلى فصول أخرى ، يشير ابن خلدون فى بعضها إلى مميزات لهجة عصره أو لغة جيله كما يقول ، ومن تلك المميزات زوال الإعراب ، وظهور الوقف فى آخر الكلمات

من ذلك نعلم أن اللهجات بمعنى من المعانى قديمة قدم اللغة . ومن هذا القبيل لهجات القبائل اللغوية فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وهى لهجات استند إليها القراء فى تخريج القراءات ، وأشار إليها المؤلفون فى هذا الفن . وتعتبر هذه اللهجات كلها فصيحة مع أن بعضها شاذ مهجور . ثم تفرع عن الفصحى نوع آخر من هذه اللهجات المحلية نشأ فيه التحريف وفسد النطق ، فأصبح للكتابة لغتها ، وللكلام لهجته ، وذلك فى الأقطار التى استقر بها العرب والمسلمون الفاتحون فى أولى عصور الدول الإسلامية بعد عصر الراشدين

ما من شك فى أن الشقة تباعدت ، ولم تزل ، بين اللغة

(٥) نص المحاضرة التى ألقاها معالى الدكتور الشبيبى فى مؤتمر المجمع ، وقد أثارت هذه المحاضرة فى الأعضاء اهتماما شديدا بموضوعها فناقشوه نقاشا مستفيضا يدور على التأييد والشكر

الأصلية وفروعها ، وأن الجفاء والشذوذ تفاقم بمرور الأيام حتى زعم من زعم أن بين هذه اللهجات المتعددة من جهة ، وبين أمها الفصحى من جهة أخرى، صراعا مريرا، وأن نتيجة هذا الصراع تغلب إحدى هـذه اللهجات واندماج سائرها فى لهجة بعينها ، ثم تصبح لغة مستقلة نصطنعها فى الكتابة والكلام سواء بسواء . ومن المحال فى زعم هؤلاء الزاعمين أن تبق الفصحى محتفظة بوحدتها الأولى زمنا طويلا مع هـذه الفوارق . وهم يتوقعون أن تتحول هـذه اللهجات يوما ما إلى لغات مستقلة قائمة بنفسها ، غير مفهومة إلا للمتكلمين بها ، كما أن الفصحى ستكون لغة غير مفهومة للمتكلمين بهذه اللهجات بالمرة ، وهو فيما نرى — إسراف فى التكهن والرجم بالغيب . ويزيد بعضهم على ذلك قائلا : إن لهجة القاهرة الشائعة هى لغة المصريين فى المستقبل . ولماذا لا يقال فى لغة المجتمع المصرى هـذه أنها هى لغة الطبقة المثقفة المتعلمة بعينها ، وهى هـذه الفصحى السليمة الوحدة من حيث النطق، ومخارج الحروف، وإن كانت عارية من الإعراب ، لا تلك اللهجات الشاذة

يغالى أنصار اللهجات بآرائهم قائلين : إن هناك صراعا بين الأم وفروعها ، أو بين الفصحى ولهجاتها ، ونحن نقول لهم : لماذا لا يسفر هذا الصراع أو تنازع البقاء عن نتيجة حاسمة يصح فيها الصحيح ، ويبق الأصلح نزولا على حكم مذهب النشوء والارتقاء

أو يدوم صراع لغوى مدة تشارف الألف والثلاثمائة سنة ؟ والحق أنه ليس هناك صراع بل هناك شذوذ وجفاء ، وهناك ازورار وانحراف فى هذه اللهجات المحلية ، من مصرية وعراقية وشامية ومغربية ، فـاهذه اللهجات سوى اللغة العربية محرفة عن أصلها . كانت الفصحى معربة فحل الوقف محل الإعراب ، وكان التلفظ والنطق موحدا فطرأ ما طرأ عليهما من الاضطراب والفساد والتحريف والتشويه بسبب هجرة المسلمين والعرب الفاتحين إلى شتى الأقطار البعيدة عن الجزيرة العربية

ليس من الإنصاف ولا من الصواب أن ندعو ما نحن بصدده صراعا بين الأصول والفروع ؛ بل هو ضرب من الشذوذ والانحراف لا بد أن ينتهى إلى صلح ووئام . ومن الخطأ قياس من يقيس ما حدث للفصحى بما حدث اللاتينية ، أو السامية البائدة ، ثم يسرفون فى التكهن ، والاحتمالات البعيدة ، ويتوقعون أن تتخلى الفصحى عن مكانها لتدخل فى ذمة التاريخ فى بلد كالعراق ومصر والشام والمغرب ، كما دخلت اللاتينية فى ذمة التاريخ فى الأقطار المأهولة بالشعوب اللاتينية . وقد تكفلت بحفظ الفصحى وحياطتها وخلودها معجزة القرآن ؛ فلولا إعجاز القرآن لجاز أن يحدث لهذه اللغة ما حدث من قبل ذلك للغة اللاتينية

تجتاز هذه الأقطار المأهولة بالناطقين بالضاد مرحلة عصيبة ، وهـذه الشعوب الآن أحوج ما تكون إلى التفاهم والتعاون ، ووحدة اللغة . ولو اصطنعنا هـذه اللهجات الفاسدة لاستحال تحقيق الوحدة اللغوية ، ولتعسر التفـاهم أو التخاطب بين الشعوب المذكورة

ما أكثر عيوب هـذه اللهجات ومساوئها ، وفى مقدمتها أنها عاجزة عن تكوين تلك الوحدة؛ فلكل قطر لهجته ومميزاتها التى تجعل منها أداة غير صالحة للتفاهم فى أمة تسعى لتحقيق وحدتها اللغوية

ولنا أن نقول فى مساوئ اللهجات أكثر من ذلك ، فإنها فى القطر الواحد يسرع إليها الانحلال ، فهى عرضة للاضطراب والفساد . فها نحن أولاء نجد لكل إقليم عندنا فى العراق ، بل لكثير من الحواضر أحيانا لهجة خاصة ؛ فأهل الموصل فى الشمال لهم لهجتهم ، وهى لهجة لا يستسيغها أهل بغداد وأواسط العراق لاختلافها عن لهجتهم المألوفة . وأهل البصرة فى الجنوب ، يعرفون بلهجة تختلف بعض الاختلاف عن لهجة بغداد . وعلى كل فإن لهجة أهل الريف عندنا تختلف عن لهجة أهل الحواضر اختلافا ظاهرا . ومثل ذلك الاختلاف بين لهجات الريفيين القاطنين فى البطائح والبحيرات ولهجات القبائل الرحل فى العراق . وفى وسعك أن تعرف بلد المتكلم أو قطره من لهجته . وليس هذا الأمر فيما نرى خاصا بالعراق ؛ فمصر وسورية وأقطار المغرب لا تختلف عن العراق من هـذه الناحية . والمعروف هنا أن لأهل الصعيد لهجة خاصة ، وتشبهها فيما قيل لى لهجة أهل الشرقية والبحيرة . ويبدو لى على ما أكد لى غير

واحد من أدباء مصر أن لهجة أهل الصعيد أقرب إلى لهجات أهل البادية فى بعض أقطار الشرق العربى كالعراق والشام ، فإن الحروف التى أصبحت أثرا بعد عين فى منطق أهل القاهرة والاسكندرية وما إلى هذه الجهات مثل القاف والثاء المثلثة ، والجيم الفصيحة، لاتزال باقية على حالها فى منطق أهل الصعيد ، وهى كذلك فى لهجة أهل العراق . فنحن بأمس الحاجة والحالة هذه إلى لهجة موحدة . ولا غنى لنا إذا أردنا التفاهم عن تكوين هذه الوحدة . وقد اعترف غير واحد من الأساتذة المصريين الذين زاولوا مهنة التدريس فى مدارس العراق بأثر الفصحى فى تكوين الوحدة اللغوية المنشودة

لماذا يعنى أبناء الشرق العربى ، بل شعوب الشرق الإسلامي باقتناء المؤلفات المصرية الحديثة ، بل باقتناء المطبوعات المصرية مهما كانت ؟ ولماذا هذا الإقبال العجيب على مؤلفات أعلام المصريين المعاصرين ؟ ولماذا يعجب من يعجب بترسلهم ؟ ولماذا يؤخذ من يؤخذ بسحر بيانهم فى أقطار الشرق والغرب المأهولة بمن ينطق الضاد .

قد تعجبون إذا قلت لكم إن مرد ذلك لا إلى معالجة الأبحاث العلمية أو الموضوعات الأدبية فى حد ذاتها ، وإنما لسبك تلك الموضوعات وأدائها بأساليب لغوية أصيلة البيان مشرقة الديباجة . فهذه الطبقة من الكتاب والمؤلفين المصريين طرست على آثار الطبقة الأولى من المترسلين فى الفصحى ، وحذت حذو الجاحظ وابن المقفع وعبد الحميد الكاتب والصابئ، وغيرهم من أئمة المترسلين ، ونهجت منهجهم فى البيان والبلاغة . فشعوب العرب والاسلام وقد أصبحت شعوبا واعية يقظة فى عصرنا هذا تمنى العناية كلها ببعث الأساليب العربية الأصيلة ، وتعتز بإقالة الفصحى من عثرتها بعد كبوة طويلة . فعصرنا هذا يمتاز بنمو العاطفة القومية ، والشعور الصادق ، والاعتزاز بالأدب القيم ، والتطلع إلى بعث تراثه القديم

ولو أن هؤلاء الأعلام المصريين استجابوا لدعوة الدعاة إلى اصطناع اللهجات فيما يكتبون وينشئون لأعرض الناس فى الشرق كله من عرب ومسلمين عن اقتناء ما يصدر إليهم من مطبوعات هذه البلاد . ولا نبالغ إذا قلت لكم إننا نعتبر هذه الدعوة خطرا على اطراد الوعى ونمو الشعور . ونحن واثقون أنها دعوة ضعيفة لا تستطيع الصمود فى طريق هذا الوعى المطرد إلا كما يصمد الهشيم فى سبيل السيول الجارفة . فهذا الوقوف فى طريق اليقظة الراهنة مخالف لطبيعة الأشياء ، وهو إذا جاء من طريق التساهل فى الوحدة اللغوية أدهى وأمر

لا غنى لشعوب الشرق العربى وفى طليعتها العراق والشام ، ولا غنى لشعوب الغرب العربى وفى طليعتها مصر وأفريقية ، عن هذه الوحدة اللغوية والرابطة المعنوية التى تتجلى فى الفصحى دون غيرها من اللهجات

نعم إن الصعوبة فى الفصحى تأتى من ناحية الإعراب ، وقد زال هذا الإعراب لأنه لم يعد عمليا فى عصرنا الحاضر على الأقل ، فلنحافظ على سلامة لغتنا الفصحى وتوحيد لهجاتها ، وتقويم النطق بها ، ولو بالتخلى عن الاعراب إلى حين إلا فى التلاوة وما إليها ، على أن ينظر فى حل مشكلة الاعراب ، وأن يعهد بذلك إلى المتخصصين المنقطعين لهذه الدراسات . ولا شبهة أن الكتاب الجيد تكفل بحفظ الاعراب . وقد يعلل زوال الحركات أو الاعراب عن أواخر الكلمات بأن العرب كانوا فى الجاهلية ، وفى صدر الإسلام مطبوعين على الحركة واحتمال المشاق فى حلهم وترحالهم وفى مغازيهم، فما كانوا يجدون جهدا أو كلفة فى تحريك أواخر الكلمات . فلما أخلدوا إلى الترف ، وسكنوا إلى النعيم فى المدن الزاخرة مالوا إلى الوقف والسكون . ولا يخفى أن الإعراب أو تحريك أواخر الكلمات يقتضى جهدا لا يقتضيه الوقف والاسكان ، وبمثل ذلك يعلل تسهيل بعض الحروف أو زوالها من النطق بتاتا فى هذه اللهجات حيث يتطلب النطق بها بذل بعض الجهد والطاقة

يجب أن تنتظم هذه الأقطار رابطة وثيقة من الوحدة اللغوية أو الوحدة الأدبية ، ولا يمنع ذلك قطرا من هذه الأقطار أن يستقل سياسيا عن سواه . وهكذا نحن نرى رابطة الشعوب البريطانية تعززها رابطة وثيقة من الوحدة اللغوية . وكم نوه قادة هذه الشعوب ، وكم أشادوا بذكر هذه الرابطة ، لأن فى تعزيز هذا النوع من الوحدة ضمانا أكيدا لكثير من مصالح الشعوب المذكورة معنوية ومادية ، ومدعاة لتعاونها

وتضافرها ، واتحادها فى الملمات

يروى فيما يروى من بسمارك بطل لوحدة الألمانية أنه قال : أهم حقيقة يمكن تسجيلها فى القرن التاسع عشر هى الوحدة اللغوية بين بريطانيا وأمريكا . والظاهر أن هذا الداهية الألمانى كان يحسب حساب هذه الوحدة ، وخطرها البالغ على الشعوب الألمانية . وقد قال تشرشل منذ أسبوع فقط أى فى اليوم السابع عشر من هذا الشهر ، وهو يخطب الأمريكيين بواشنطون ما هذا نصه : يجب أن نعمل فى القرن العشرين على تحقيق ما قاله بسمارك فى القرن التاسع عشر » هذا ما قاله تشرشل وهو يعنى تعزيز رابطة اللغة الانجليزية فى بريطانيا وأمريكا . وقد عملت الأمتان — والحق يقال — كل شىء فى سبيل تعزيز هذه الرابطة حتى قادهما ذلك إلى الظفر الحاسم فى الحروب الأخيرة

إذا أرادت مصر أن يدوى صوتها فى المجامع الدولية ، بل إذا أرادت أن تكون مرهوبة الجانب فعليها أن تستند إلى تعزيز رابطتها معنويا وماديا بشعوب الشرق ، غير عابئة بهذه النعرات الاقليمية الهدامة ، واللهجات المضرة بتلك الجامعة اللغوية

أدى تشعب اللهجات واضطرابها من ناحية الاختلاف البعيد فى النطق ، وفى إخراج الحروف وما يترتب على فساد النطق بها من الاستعجام إلى تكون مشكلة من المشكلات الاجتماعية ، بيد أن حلها ليس بمتعذر ، وهو يتوقف على إزالة هذه الفوارق بين لهجاتنا ، وتوحيد النطق والتلفظ ، وضبط الكتابة بموجب قواعد عامة توضع لهذا الغرض . وليس ذلك بمستحيل على العاملين المجتهدين . ولنأخذ مثلا كلمة (يصفق) إذ نجدها فى اللهجة المصرية : (يسأف) ، وهى كلمة مستحيلة اجتمع فيها القلب والابدال، وما اجتمع الداءان إلا ليقتلا . وفى سوريا يقولون (بصفأ) بقلب القاف همزة ، وفى العراق يقولون (يصفج) تنطق القاف كافا فارسية فى العراق . ومثل ذلك فى كلمة (أول) التى تلفظ بفتح الواو فى العراق ، بينما يقال فى اللهجة المصرية : (أول) بكسر الواو . وفى كلمة (اضرب) كما تلفظ فى العراق بكسر الراء ، أما فى اللهجة المصرية فيقولون : (اضرب) بفتح الراء مع قلب الضاد دالا ، إلى ضروب أخرى من اضطراب النطق وفساده فى هذه اللهجات المختلفة باختلاف الأقطار . وعلى هذا لا مناص لنا من إصلاح النطق ، وتقويم الألسنة ، وهو الحل الوحيد لهذه المشكلة، وفيه المخرج من هذا المأزق .

إنا نقرهم على أن الاعراب فى اللغة المحلية لم يعد عمليا، وليس من السهل الالتزام به ، ولكن التخلى عن الاعراب فى المنطق شىء ، والتخلى عن سلامة المنطق وتقويم اللسان وفتح الباب على مصراعيه للكلمات الدخيلة أو العامية الفاسدة شىء آخر .

وفى وسع الدول التى تعتز الآن بالفصحى وتنص فى دساتيرها الأساسية على ذلك ، وهى الدول العربية ، وفى وسع الهيئات المعنية بشئون الثقافة فى الدول المذكورة أن تعمل كثيرا فى هذا الشأن

فما المانع الذى يمنعها من العناية بتوحيد المصطلحات فى معاهد العلم وفى غيرها من سائر مصالح الدولة ؟ وما المانع الذى يمنعها من السعى الى إصلاح النطق وتوحيد اللفظ فى اللهجات المختلفة على وجه يسهل التفاهم بها فى المجتمع وبين الطبقات ؟ وما المانع الذى يمنعها من توحيد مناهجها فى تعليم اللغة العربية ؟

لا نبالغ إذا قلنا إن المصرى لا يفهم عن العراقى فى لهجته الشائعة الآن إلا بمشقة . وكذلك العراقى لا يكاد يفهم من المصرى فى لهجته إلا بعناء . ولا يعد تغاير الكلمات ، والتعابير المولدة خطرا كبيرا فى حد ذاته على اللغة ، فان أكثر تلك الكلمات عربى الأصل والمادة ، ولكن الخطر الذى يتهدد الفصحى كامن فى اضطراب المنطق واختلاف النبرات وتباين اللفظ ، فهذا الفساد هو الخطر الذى يوسع الشقة بين لهجاتنا ، حتى ليخشى أن تصطنع اللهجة الفاسدة المولدة فى بعض الأقطار مع الأيام ، وتنسى الأم التى ولدت منها . ولولا الثقافة الاسلامية التى تقوم على أساس متين من مدارسة الكتاب وتفسيره ، ورواية الحديث وحفظه ، لوقع ما كنا نخشاه

لقد آن للمجامع اللغوية ، وفى طليعتها هذا المجمع المعنى بشئون الفصحى ، وجعلها وافية بمطالب الحياة والحضارة فى هذا العصر ، أن تعنى بهذه الناحية ، وبالبحث عن طريقة لضبط النطق واللفظ فى الأقطار ، وتخليص لهجاتها من هذا الاضطراب . ولا يستحيل ذلك فى عصر تعددت فيه وسائل التفهيم والتلقين . والمجمع بحكم وظيفته مطالب بالكف من غلواء دعاة اللهجات

إلى الشعب المصري

للأستاذ علي الطنطاوي

يا أهل مصر، اثبتوا على جهادكم، فإنا جميعاً معكم. قضيتكم قضيتنا، وعدوكم عدونا. ما ضرنا أن تفرق بيننا الحدود على الأرض، والألوان على الصور، ما دام يجمعنا الإسلام، وتوحد بيننا العروبة، وتربطنا الآلام والآمال، وذكر الماضي، وأماني المستقبل. فنحن الإخوة، تعددت بيننا المنازل؛ ولكن الدم يجمع الإخوة جميعاً، والحب والمنشأ والمصير. ومصر أختنا الكبرى، فلئن خذلنا مصر، إنا إذن لشر إخوة في الدنيا

وما نسينا، والله يا أهل مصر، موقفكم منا يوم عدا العادون من بني السين، دعاة الحرية... وأحفاد من نادوا بحقوق الإنسان.. على جمهوريتنا وبرلماننا، وحريتنا في أوطاننا، أفترونا نقعد عن نصرتكم وقد عدا عليكم العادون من أبناء التايمس، أدعياء الديمقراطية. وأبناء من (ابتدعوا) البرلمان!

فأين إذن، حقوق الأخوة، وأين واجبات الوفاء؟

أننام على فرش الأمن، وننعم بالدعة والخفض، ونشرب العذب من بردى، ونؤم الضاحي من سفوح قاسيون، نلهو ونتمتع، وإخواننا على حفافي النيل، وجوانب القناة، يخوضون اللهب، ويقتحمون الحديد؟ وإخواننا هناك تهد بيوتهم، ويصرع فتيانهم، ويعتدى عليهم في أوطانهم؟

لا والله، ولكن نألم إن ألموا، ونجزع إن جزعوا، ونخوضها حمراء عابسة الوجه، يرقص فيها الموت، إن دعتنا إلى خوضها الأخوة، ونادانا الجذم والدين واللسان، ولا منة لنا ولا فضل

ولن نعيد مأساة فلسطين!

لن نعيدها. حلفنا وأيدينا مغموسة بدماء شهدائنا الذين أردتهم المعركة مع اليهود، ونسائنا اللائي بقرت بطونهن أكف يهود، وأطفالنا الذين ذبحتهم أيدي يهود!

حلفنا لنثأرن لهم، ولن ندع مأساة كمأساة فلسطين تمثل في ديارنا، بتخاذلنا وانقسامنا، واستسلامنا لخدع أعدائنا: الإنكليز وأحلاف الإنكليز

نهضنا لنصر مصر على قدم واحدة، اجتمعنا على ذلك على اختلاف الأحزاب والمذاهب والآراء. وتعالوا انظروا، تروا الشباب في الطرق، والشيوخ في الأسواق، والطلاب في المدارس، والنساء في البيوت، وحول كل راد (١)، وأمام كل بائع جريدة، على ألسنتهم جميعاً حديث مصر، وفي قلوبهم جميعاً حب مصر، وفي عروقهم تغلي الدماء حماسة لمصر، وشوقاً إلى السفر لمصر، للجهاد مع أهل مصر

الشعب هنا كله معكم، والحكومة معكم، كلهم مع الحق الذي هو معكم، وعلى الباطل الذي هو مع عدوكم

وسيكون الظفر والله معكم

(١) المذياع: محطة الإذاعة، والراد: الراديو لأنه يرد علينا الصوت المنتشر في القضاء

وتغليبها، خصوصاً إذا علمنا بأن هذا الجفاء القديم بين الأم وبناتها الناشزات يسير إلى نهاية غير تلك النهاية التي انتهت اليها اللغة اللاتينية مع فروعها، إذ سينتهي الخلاف فيما نحن فيه إلى وئام، وهو وئام تمهد له الآن صحافتنا العاملة في سائر الأقطار العربية، ولهذه الصحافة الراقية، ولدور النشر أثرها المحمود في هذا الشأن. ولا ينكر أثر الصحافة المصرية في لهجة المجتمع أو الشعب، وفي ترقية الذوق اللغوي في مصر، فإن لهجة الشعب المصري الآن أدنى إلى الفصحى مما كانت عليه قبل جيل. ومرد ذلك إلى انتشار الصحافة المصرية الراقية، وتكاثر قرائها يوماً بعد آخر، وازدياد عدد المتعلمين. وكلما تقلصت الأمية، وكوفحت في مصر، وفي أقطار الشرق العربي — وهي تتقلص وتكافح الآن في كل مكان — تضاءل خطر اللهجات على الوحدة اللغوية، ومرنت الألسن على المنطق السليم.

محمد رضا الشبيبي

إن هذه المصائب امتحان للشعوب ، اصبرها ولرجولتها .
وإن هـذا الشعب العربي قد جاز آلاف المحن ، وخرج منهـا فائزا مجليا

أي أرض فوق الأرض ، وأي مكان تحت النجم ، لم يوار فيه هذا الشعب شهيدا من شهدائه ، ولم يبلغه رائد من رواده ، ولم يرفع علمه يوما عليه ، ولم يشهد ظفرا له ، ولم يسمع نشيده العسكري ، يهتف به الجندي المسلم ، فيرتج منه كل واد ، ويرتجف كل جبل ، وتميد كل فلاة : (الله أكبر)

(الله أكبر) هذا هو نشيدنا في حربنا ، وهتافنا لصلاتنا ، ودعاؤنا بين يدي ربنا . فكونوا مع الله ، ولا تخشوا الإنكليز ، لأن (الله أكبر) من انكلترا ، ومن يشد أزرها . (الله أكبر) من مدافع الإنكليز ، ودباباتهم ، وطياراتهم ، وأسطولهم

فلا تخافوا سلاحهم فإن أجدادنا ما حاربوا الأبيض والأسود ، ولا فتحوا الشرق والغرب ، ولا ملكوا ثلثي العالم المتمدن في ثلث قرن ، لأن سلاحهم أمضى ، أو لأن عددهم أكثر . ما انتصروا إلا بالإيمان

الإيمان مكن للفئة القليلة منهم أن تغلب الجيش الكبير من أعدائهم . الإيمان جعل السيوف الملفوفة بالخرق ، أمضى في أيديهم من المهندات المذهبات في أيدي خصومهم . الإيمان أظفر الأمة البدوية الجاهلة المتفرقة ، بدولتي الأرض ، وأمبراطوريتي الزمان : فارس والروم ، ففتحت بلادهما ، وورثت أرضهما ، ثم أنشأت حضارة خيرا من حضارتهما ، ومدنية أزهى وأنفع من مدنيتهما

الإيمان بالله ، والإيمان بالظفر ، والإيمان بأن الحق معهم

فإذا كنتم مؤمنين بأنكم تدافعون عن حقكم ، فلن يغلبكم أحد ، لا الانكليز ولا حلفاء الانكليز

ولقد حاربت جماعات من أهل الشام فرنسا ، يوم كانت فرنسا أقوى دول أوربة في البر ، في أعقاب الحرب العالمية الأولى وما كان لهم سلاح إلا الذي يأخذونه من جنود فرنسا ؛ ومع ذلك فقد وقفت فرنسا بدباباتها ومدافعها سنتين أمام مئات من الثوار ، يقودهم خفير عامي من دمشق اسمه حسن الخراط

فكيف ومصر الدولة العربية الكبرى ، وفي مصر العدد والمدد والمال ، ومع مصر كل قطر عربي ، وكل بلد مسلم ؟

* * *

إنه ليس على ظهر الأرض شعب كهذا الشعب الذي صب محمد البطولة في أعصابه ، حتى لا يكون المرء عربيا ولا يكون مسلما حتى يكون بطلا

أما ترون العربي إذا دعى باسم العرض ، أو دعى باسم الأرض ، أو دعى باسم الدين ، كيف تغلي دماؤه في عروقه فيحس حرها في قحف رأسه ؟ وكيف تشتد أعصابه ، وتفور عزيمته ، حتى ليقتحم النار ، ويركب الأخطار ؟

أما ضرب هذا الشعب ، على بطولته ونخوته آلاف الأمثلة في الماضي وفي هذه الأيام ؟

أما حارب عبد القادر فرنسا سبع عشرة سنة ؟ أما نازل عبد الكريم فرنسا وأسبانيا معا ؟ أما قاتل العراقيون الانكليز في الرميثة ؟ أما فعل الفلسطينيون سنة ١٩٣٦ الأفاعيل ؟

أما كان لمصر سنة ١٩١٩ الأيام الغر المحجلات في مواكب الزمان ؟

فإن مضى سعد ، فكلكم يا أهل مصر سعد تسعد به مصر

فإلى السلاح جميعا ، وإلى الحرب . وإن فقدتم السلاح فحاربوا بالعصي ، وحاربوا بأيديكم ، واطلبوا الموت يعجزوا عنكم ، لأنهم لا يستطيعون أن يقتلوا عشرين مليونا تريد الموت

وقبل حرب الميدان ، حاربوهم بالعلم ، وبالأخلاق ، وبالدستور الاقتصادي الصحيح ، وأعدوا لهم كل أنواع القوى : قوة الجسم وقوة العقل وقوة القلب وقوة المال وقوة الجيش

ونحن جميعا معكم :

هذى يدى عن بنى (قومى) تصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العرب

دمشق

علي الطنطاوي
قاضي دمشق

جلاء . . . وجلاء

صفحة من الكفاح المصري منذ ١٥٠

للأستاذ محمد محمود زيتون

ابتليت كنانة الله في أرضه بالاحتلال الفرنسي ، والأمراء المماليك يسومون أهلها سوء العذاب ، وسلطان العثمانيين يتقلص ظله من حيث لا يشعرون . ثم إن هذه الفترة قد سجلت صراعا محتدما بين إنجلترا وفرنسا من جانب ، وبين تركيا والمماليك من جانب آخر

زعم نابليون أن مصر ستنقاد له بمجرد إذاعة المنشورات التي أعدها وهو لا يزال يمخر عباب البحر ، ولم يكن يدري أن المصريين يستمدون للمقاومة الشعبية منذ ترامت إليهم أنباء تحرك سفن الحملة من جزيرة مالطة في طريقها إلى الإسكندرية

وفي الحق أن الحملة كان مقضيا عليها بالفشل ، منذ ألقت مراسيها بالاسكندرية في ٢٠ يوليو سنة ١٧٩٨ لأن المتاعب التي ستواجهها ستزيد على الحصر . وإذا كان في الإمكان ضرب عدو بآخر للتخلص منهما معا مما لا يحتاج في العرف السياسي إلى غير الحنكة والدهاء ، فإن اليقظة الشعبية كانت بمثابة الصخرة الغليظة في حلق الاحتلال

ومنذ الساعة الأولى بدأت قوات الاحتلال تطارد المماليك حتى تشتت شملهم في أقاصي الصعيد ، وخذلوا الشعب الذي لم ير بدا من الدفاع عن شرفه ولو لم يكن لديه من سلاح إلا الحجارة والمقلاع وأبواب الحارات والسلاسل والمتاريس

وبينما كان الفرنسيون يتوغلون في البلاد كانت الأنباء تترامى شرقا وغربا . أما تركيا فكانت مشغولة ببلواها عن بلوى غيرها ؛ وحسبها قلاقلها الداخلية ومشاكلها الخارجية . وعز على إنجلترا — وهي سيدة البحار وأم الاستعمار — أن تنافسها فرنسا في مصر وهي مفتاحها إذا هي أرادت الإبقاء على أكبر جوهرة في تاجها الامبراطوري الذي لا تغيب عنه الشمس

ولم يكد شهر يمضي على المحتلين حتى كانوا مضرب المثل في الإجرام : سفكوا دماء الأبرياء ، وأعدموا زعماء الوطن رميا بالرصاص ، وملأوا السجون والمعتقلات بعلماء الدين ، فما وقروا شيبتهم ، ولا رحموا ضعفهم ، ومضوا بعد ذلك إلى المدن والقرى ينهبون ويسلبون ، وهتكوا الأعراض في غير رحمة ، وانتهكوا حرمات بيوت الله والناس ، وتجردوا تماما من العاطفة الإنسانية أو ما يشبهها ، وتفننوا في التنكيل بالشعب من كل لون . فأحرقوا الدور بعد انتهاب ما فيها ، وأشعلوا النيران في محاصيل الفلاحين ، وبعثروا أقواتهم واستاقوا مواشيهم ، وأثقلوا كواهلهم بالضرائب والغرامات والفروض ، فلم ير المواطنون بدا من الهجرة على غير هدى تاركين ديارهم خرابا يبابا ليس بها ديار ولا نافخ نار . وأما الذين لم يهاجروا فقد أرغمتهم السلطة الغاشمة على دفع الغرامة عنهم وعن جيرانهم المهاجرين

وفي أول أغسطس أوقع الأسطول الإنجليزي بالأسطول الفرنسي هزيمة منكرة في مياه أبو قير ، وعلى أثرها غير نابليون سياسته العنيفة فأقام الحفلات بمناسبة المولد النبوي تمليقا للعاطفة الدينية عند المسلمين وهم السواد الأعظم ، ومع ذلك فإنه ما وجد منهم غير الإعراض التام . حتى إذا جاء يوم ٢٢ سبتمبر وحلت الذكرى الأولى لعيد الجمهورية الفرنسية ، دعا نابليون علماء مصر وأعيانها إلى حفل كبير بالأزبكية توسطه عمود ضخم يرمز إلى شجرة الحرية التي يزعمون أن الثورة الفرنسية قد تمخضت عنها ، وما رأى المصريون فيها إلا رمزا على الاستعباد فسموها « خازوق الاحتلال »

اغتاظ نابليون من هذا الموقف السلبي ، وأسرها في نفسه وعاودته غريزة الذئب الغادر ، فقسا ليزدجروا ، وزاد تنكيلا ليرجموا ، وأصدر بذلك أوامره المشددة إلى حكام الأقاليم ، كتب إلى قومندان المنوفية يقول « يجب أن تعاملوا الترك (الأهالي) بمنتهى القسوة ، وإني هنا (في القاهرة) أقتل كل يوم ثلاثة وآمر بأن يطاف برءوسهم في شوارع القاهرة . وهذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع هؤلاء الناس ، وعليكم أن توجهوا عنايتكم لتجريد الشعب قاطبة من السلاح »

وكتب إلى الجنرال مينو قومندان رشيد بأنه يأمر بقتل

خمسة أو ستة يوميا ثم يقول له « لقد كنا نتفادى التعرض لهم حتى نزيل عن سمعتنا وصمة الإرهاب تلك التهمة التي كانت تسبقنا إلى أذهان الناس » وصدق المثل : رمتني بدائها وانسلت، ولكن هيهات هيهات أن ينفذ شعاع من رحمة إلى قلوب المتوحشين الذين جاءوا من أوربا الجائعة ليشبعوا جوعهم من دماء الوادعين في بلادهم

وإذ ذاك كانت « لجنة الثورة » تنعقد بالجامع الأزهر ، وقد استنفد العلماء والحكماء كل السبل لحقن الدماء واستتباب الأمن ؛ فكان لابد أن تنفجر مراجل الصدور بهذه المظالم الفادحة والمجازر البشرية

وفي ٢١ أكتوبر انطلقت الأنفاس المحبوسة ، واندفعت القاهرة اندفاع الصاعقة ، ولم يعد بالديار داع أو مجيب . وتجسمت ثورة القاهرة سخطا وحنقا على الغاصبين ، واغتيل القائد الفرنسي (ديبوي) واحتمى الثوار بالأزهر بعد أن أقاموا جميع الاستحكامات على المنافذ المؤدية إليه

وذهل الفرنسيون أمام هذه اللعنة المنصبة عليهم من كل جانب ، فأصدر الجنرال بون Bon أمره في ٢٣ أكتوبر « بهدم الجامع الأزهر ليلا إذا أمكن ، ورفع الحواجز والبوابات التي كانت تسد الشوارع »

وأطلق الفرنسيون مدافعهم الثقيلة على الثوار ، فكانت ضحايا المصريين أكثر من أربعة آلاف حسب تقدير الجنرال (بليار) . ولنترك للجبرتي مؤرخ العصر يصف لنا هذا المشهد الأليم إذ يقول « ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر ، وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة ، والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها .. »

وفي هذه الغمرة يفتح نابليون صدره المريض لإحدى نوافذ قصر الألفي وما يلبث أن يعود إلى مكتبه فيصدر الأمر الكريم « بقطع رءوس جميع المسجونين الذين أخذوا ومعهم الأسلحة ، وعليكم إرسال الجثث في هذه الليلة إلى شاطئ النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة وإغراقها في النهر »

ولم يكن خافيا على فطنة العلماء أن المماليك يدا في تحريض الأهالي ضد الفرنسيين مما زاد النار اشتعالا ، فأذاعوا البيانات في الناس بقية التزام السكينة والتذرع بالصبر « فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد، وارجعوا إلى مالك الملك وخالق العباد؛ وذهب وفد العلماء إلى نابليون يتشفعون في جلاء خيوله عن الأزهر ، فأجابهم إلى طلبهم . ثم أحصى المحرضين على الثورة من العلماء فسرعان ما ألقى القبض عليهم ، وعجلان ما حوكموا سرا وأعدموا رميا بالرصاص . وضاعف الفرنسيون من تحصين القاهرة وإقامة المعاقل في أهم شوارعها استمدادا لكل ما عساه يجد من أحداث

ومن وسائل الاحتياطات التي اتخذها نابليون أن أرسل المحصلين لجباية الغرامات من الأهلين ، وهم الذين كادوا يهلكون جوعا وعريا بعد أن هام أكثرهم على وجوههم في القرى ، وبعد أن أصبحت البيوت لا عائل لها يدبر أمرها ، تلك البيوت التي اقتلع المهندسون الفرنسيون أبوابها وأبواب الحارات التي تضمها ونبشوا القبور ونقضوا البيوت ليتخذوا من الحجارة والأخشاب تحصينات للقلعة ، مما كان سببا قويا لاستفزاز الأهالي ، وانقضاضهم على كل من يلقونه في وجوههم فكانت الضحايا من المهندسين فوق الحصر

وسرت الثورة في كل مكان سريان النار في الهشيم حتى عمت الدلتا والصعيد . فاتسع الخرق على الراقع ، وضاق بونابرت ذرعا بهذا العدو الذي ما من صداقته بد ، والذي استعصى على الترويض ، والذي أنزل برجاله هذه الخسائر وهو الذي لا مدفع معه ولا رصاص

واعتزم نابليون أن يخضد شوكة المصريين ويزعزع يقينهم بالكفاح المرير في سبيل الحرية والاستقلال ، فأنفذ حملة الشام التي لم تأت بالثمرة المشتهاة ، فلا هو فتح الشام ولا هو أذل مصر

فاشتعلت الثورة من جديد فى الشرقية بينما كان جيشه يرتد مهزوما أمام عكا الحصينة ومعه الجرحى والقتلى ممن لا أعداد لهم

واضطربت الأحوال فى فرنسا حينذاك ، فاستدعت حكومة الدير كتوار قائد الحملة على مصر ، ولكن الأسطول الإنجليزى المتربص للفرنسيين فى البحر حال دون وصول الرسالة إلى مصر . ومع ذلك تمكن الماكر الداهية من الإفلات فغادر الإسكندرية فى ليلة ٢٣ أغسطس بعد أن أناب عنه كليبر وزوده بالتعليمات الكافية ، ومن أهمها « إن من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يضمن ثقة الشعب المصرى » ورأى نابليون قبل مغادرته مصر أن تركيا قد بدأت تحالف الإنجليز ضد فرنسا على حساب مصر ، ففوض كليبر فى عقد الصلح مع تركيا ولو كان ثمن ذلك جلاء الفرنسيين عن مصر نهائيا

أحاطت المشاكل بكليبر من كل جانب ، فالفرنسيون قد انهارت روحهم المعنوية ، وتفشت الأمراض فيهم ، وقضت الثورات على مهندسيهم، ونهب الثوار آلاتهم الفنية النادرة ، ولم يسلم القواد أنفسهم من الإصابات والجروح حتى نابليون نفسه ، ونقص الإيراد وضعف الإنتاج وتراكمت الإتاوات والغرامات وتربص الإنجليز والترك للفرنسيين على الشواطئ ، وقطع الحصار البحرى على الحملة الإرهابية كل سبيل ، وكتب المسيو بوسليج فى تقريره إلى حكومة الدير كتوار يقول « . . إن اختلاف العادات — وأهم منه اختلاف اللغة وخاصة اختلاف الدين — كل ذلك من العقبات التى لا يمكن تذليلها والتى تحول دون إيجاد صلات الود بيننا وبين المصريين . إنهم يمقتون حكم المماليك ، ويرهبون نير الآستانة ، ولا يحبون حكمها ، ولكنهم لا يطيقون حكمنا ولا يصبرون عليه إلا بأمل التخلص منه »

وظل كليبر يماطل فى الجلاء كلما تغلب على المحاولات البحرية العثمانية التى دأبت على مناوشته على شواطئ مصر، فلما تمت معاهدة العريش المعروفة فى ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ بين فرنسا وتركيا قبل القائد الفرنسى الجلاء عن مصر رغبة منه على حد قوله فى «وضع حد لسفك الدماء ، وإنهاء النزاع القائم بين الجمهورية الفرنسية والباب العالى »

وفى غضون الأشهر الثلاثة المقررة للجلاء نزلت القوات التركية تدريجيا بالأراضى المصرية وأمعنت فى تصرفات غاشمة من النهب والسلب والإرهاب وابتزاز الأموال بحجة الحاجة إلى مصاريف إمداد الفرنسيين ، فجمعوا الغلال ، واحتكروا الأقوات وشاركوا المواطنين فى الحرف ونافسوهم فى أرزاقهم مما أثار السخط العام على الأتراك والفرنسيين من قبلهم

وتأججت نيران الثورة من جديد لعدم اعتراف انجلترا بمعاهدة العريش تلك، وألبت المصريين على كليبر، فلم يجد بدا من التفريق بين فلول المماليك وبين المصريين من جهة وبين هؤلاء وبين العثمانيين من جهة أخرى ، فاتفق مع مراد بك على أن يطلق يده فى الصعيد نظير شروط دفاعية وأموال وغلال . فلما شبت ثورة القاهرة فى ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ أشار مراد بك على كليبر باضرام النار فى العاصمة

وبعد شهر من هذا التاريخ استطاع كليبر أن يخمد الثورة ، ويطرد العثمانيين ، فوطد مركزه ، وأبعد من حسابه فكرة الجلاء . فلما فاوضه الانجليز والعثمانيون فى تنفيذ معاهدة العريش أبى ولج فى الطغيان ، حتى لقى حتفه بطعنة من خنجر سليمان الحلبى فى ١٤ يونيو وخلفه مينو الذى ورث عن سلفه أفدح الأعباء التى ينوء بحملها قائد متخاذل مثل مينو

أتقن مينو دوره الاستعمارى أيما إتقان ، فأعلن إسلامه وتزوج أرملة مسلمة من رشيد، وخالط الناس فى المساجد والمحافل، وأظهر الورع حتى صلى معهم التراويح، وتظاهر بمقته لكليبر حتى لقد سمى ابنه باسم قاتل خصمه ، ولكنه ما لبث أن قلب للمصريين ظهر المجن ، وبرح خفاؤه ، حين اتهم الأزهر بتدبير اغتيال سلفه فأمر بتفتيشه وإرهاب علمائه ، وحاول أن يقف على شئ يدل على ما للأزهر من يد فى مؤامرة اغتيال كليبر ، ولكن دون طائل ، واقترح العلماء غلق الأزهر بدلا من أن تشن عليه الحملات الارهابية وحقنا لدماء المواطنين ، وإبراء لذممهم من دم كليبر

ومع ذلك ظل مينو سادرا فى غلوائه وغطرسته ، فلم يكف عن سياسة سابقه . ومما زاد فى تعزيز مركزه تلك المدة التى

أنفذها إليه نابليون من فرنسا ، واستطاع أن يهربها فأفلتت من الرقابة الانجليزية المنبثة فى أرجاء البحر . غير أن الأمل لم يطل مداه حينما ترادفت قوات الانجليز والأتراك على مصر عند كانوب فى الأسبوع الأخير من مارس ، وسقطت المدن المصرية صرعى احتلال جديد بينما كان الطاعون لا يزال يفتك بالمواطنين والأجانب فتكا ذريعا

نكص الفرنسيون على أعقابهم إلى القاهرة وطلبوا المدد من حليفهم مراد بك فعاجله الطاعون فى سوهاج وهو فى الطريق إليهم ، فأدركوا حرج موقفهم ، واضطروا لمفاوضة أصحاب هذه الغارة — وهم على أبواب القاهرة — فى جلاء الفرنسيين أنفسهم، ولق ذلك هوى . وفعلا عقد بليار اتفاقية الجلاء فى ٢٧ يونيو دون علم مينو ، وأفرج عن المعتقلين فى القلعة من العثمانيين والمصريين . ولم تستطع المدات الجديدة أن تصل إلى مصر فمادت أدراجها إلى طولون . وكادت تنتهي الحصون يوما المحددة للجلاء برا وبحرا ، ولكن الفرنسيين أخذوا يماطلون حتى حاصرهم الانجليز حصارا كاد يودى بهم ، فعقد مينو مجلسا عسكريا من رجاله ، فأجمعوا الرأى على الجلاء

وهنا أملى الانجليز شروطا أقسى من ذى قبل حتى لقد أوجبت على العلماء الفرنسيين أن يسلموا بحوثهم وأدواتهم وحتمت عليهم هذه الشروط أن يتم الجلاء فى مدى عشرة أيام، وأن يسلموا سفنهم بما عليها من عتاد ، وبمن عليها من جنود . وبدأ الفرنسيون يسلمون القلاع والذخائر فى ٢ سبتمبر ، غير أن العلماء تذمروا لحرمانهم من ثمرات قرائحهم ، وفاوضوا هتشنسون فى ذلك فأبى عليهم حمل الآثار المصرية معهم ، وسمح لهم بما دون ذلك

وفى هذه الأثناء كان نابليون قد انتهى من مفاوضاته مع انجلترا بما يسمى « مقدمات لندن » فى أول أكتوبر سنة١٨٠١ وبمقتضاها يكون الاتفاق على جلاء الطرفين معا عن مصر

ولم تكد شمس يوم ١٨ أكتوبر تغرب حتى كانت قوات الاحتلال الفرنسى — وعدتها وقتئذ ثلاثة عشر ألفا — قد أخذت طريقها فى البحر تجرر أذيال الخيبة ، وفى مؤخرتها عبد الله جاك مينو . وبذلك اليوم انطوت صفحة ثقيلة من تاريخ مصر لطخها الاستعمار والاستغلال بالظلم والارهاب . وأنفل المحتلون فيها كاهل مصر بالسخط والتذمر على أوربا الغادرة

وظن الانجليز أن الجو قد خلا لهم فأفسحوا صدرهم للمماليك ليضربوا بهم الأتراك عن يمين والمصريين عن شمال . وظلوا يتلكأون فى الجلاء حتى استعجلهم نابليون فتركوا البلاد لأهلها فى ١٦ مارس سنة ١٨٠٣ ، ومعهم صنيعتهم محمد بك الألفى ، وبين يديه البقية الباقية ممن معه من الصعيد، وقد طوى جوانحه على أمل أن يعيده السادة الانجليز قريبا وقريبا جدا ليكون ملك مصر المنتظر

وهكذا قضت مصر هذه الحقبة من تاريخها تحت كابوس الاحتلال الفرنسى ذاقت فى خلالها مرارة ما بعدها من مرارة . وحسبها أنها اعتمدت على إرادة شعبها الأبى الحر فواجهت الظلم المسلح وهى عزلاء من كل سلاح ، اللهم إلا الايمان بالحق المغتصب ، والكفاح فى سبيل الشرف الرفيع . ولم يعرف التاريخ أمة غير مصر تداعت عليها القوة الغاشمة مجتمعة فكافحتها جميعا فى آن واحد غير معتمدة إلا على الايمان والوحدة والمصابرة ، وبذلك قضت على إنجلترا وفرنسا وتركيا والمماليك والطاعون جميعا

وما كان المصريون لينسوا منذ اللحظة الأولى للاحتلال الفرنسى مبلغ ما تنطوى عليه عبارة نابليون فى منشوره الأول من مغالطة وقحة إذ يقول إن « الديوان » المشكل إنما يقصد به « تدبير الأمور والنظر فى راحة الرعية وإجراء الشريعة »

كما أنهم لم ينسوا كيف أن نابليون حرم العمال المصريين من العمل فى المصانع التى شيدها فى مصر فى ظل الاحتلال حتى لا يطمعوا لذة العيش ، وحتى لا يتعلموا صناعة جديدة تعود اقتصاديا على البلاد بالنفع العميم ، ولكنه الاحتلال و كفى

وحسب المصريين أنهم تعلموا منذ ١٥٠ سنة أن كفاح الشعوب إنما هو سبيل حريتها واستقلالها ، وأن « الطرق السلمية المشروعة » أصبحت غير ذات موضوع . وصدق نبى الجهاد « ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا »

محمد محمود زيتون

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغاني

للأستاذ حمدي الحسيني

— ٢ —

أما جمال الدين فظل في كابل لم يمسه الأمير بسوء احتراما لشخصيته الكبيرة وعشيرته القوية مؤجلا الفتك به إلى فرصة مناسبة . فرأى جمال الدين أن يغادر البلاد، وللحر عن دار القلى متحول . فعزم على الذهاب إلى الهند والنزول فيها على أحد أصدقائه التجار البسطاء . وكم كانت دهشته عظيمة عندما رأى على الحدود استقبالا فخما رسميا تستقبله به حكومة الهند وليس له من الصفة الرسمية ما يستوجب هذا الاستقبال العظيم فقال : مآرب والله لا حفاوة كريم . وأول سؤال ألقى على جمال الدين من الحكومة الهندية ما هو الزمن الذي تريد أن تقضيه في الهند ؟ قال لا أكثر من شهرين . قبلت الحكومة ذلك منه ولكنها أحاطته بجيش جرار من الجواسيس والعيون تحصي عليه أنفاسه وتعد عليه حركاته وسكناته؛ ولكن هذه المراقبة الشديدة الدقيقة لم تمنع الهنود من الاقبال عليه والاجماع به والاستماع له فأصبح كعبة يحج إليها الهنود على اختلاف طبقاتهم وتباعد ديارهم، فضاقت الحكومة الهندية ذرعا وكشفت نقاب الحياء من وجهها وأرسلت لجمال الدين وهو في مجلس حافل برجالات الهند أحد رجالها ليبلغه بأن حالة البلاد لا تساعد على بقائه في الهند أكثر من المدة التي قضاها . فثار الهنود الحاضرون من هذا الأمر وأرادوا أن يحتجوا فكفهم جمال الدين عن هذا والتفت إلى رجل الحكومة فقال له : إن تخوف حكومة بريطانيا من زائر أعزل مثلي يسجل عليها وهن عزمها وضعف شوكتها وقلة عدلها وعدم أمنها في حكمها، وأنها في حقيقة حكمها لهذه الأقطار أضعف بكثير من شعوبها . ثم التفت إلى زائريه من الهنود وقال : يا أهل الهند وعزة الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون بمئات الملايين ذبابا لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا العظمى ولو كنتم وأنتم مئات الملايين وقد مسخكم الله فجعل كلا منكم سلحفاة وخضتم البحر واحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى لجررتموها إلى القعر وعدتم إلى وطنكم أحررا . فما كاد يتم جمال الدين كلامه حتى أذرف الحاضرون الدموع فقال لهم حينذاك بصوت داو كالرعد : اعلموا أن البكاء للنساء . والسلطان محمود الغزنوي ما أتى إلى الهند باكيا بل أتى شاكيا السلاح . ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت في سبيل الاستقلال بثغر باسم : ثم نهض مسرعا إلى رجل الحكومة لكي يذهب معه حيث شاء فقال له : مهلا فالسفر غدا . فقال جمال الدين : إلى أين تريدون أن أذهب ؟ قال الرجل: إلى حيث تشاء بعد أن تبرح الهند . وفي الصباح سيرته الحكومة إلى السويس ومنها إلى مصر فمكث فيها نحوا من أربعين يوما تردد خلالها على الأزهر وتعرف إلى الصفوة المختارة من رجال العلم والثقافة ، فأحبهم وأحبوه وطلبوا منه أن يقرأ لهم شرح الأظهار فقرأ لهم جانبا منه في بيته . ثم سافر إلى الآستانة فالتقى بالصدر الأعظم علي باشا فعرف له الصدر فضله وأحله محلا لم يسبق لمثله أن حل فيه . وبعد ستة شهور من إقامته في الآستانة عين عضوا في مجلس المعارف فأدى حق النصح لتعميم التعليم بطرق لم يوافقه عليها رفقاؤه في المجلس ومنها ما أحفظ عليه قلب شيخ الإسلام حسن فهمي أفندي لأنها كانت تمس شيئا من رزقه فأضمر له الشر حتى كلفه مدير كلية دار الفنون أن يلقي خطابا يحث به على الصناعات . فألقى خطابا ضافيا في هذا الموضوع فشبه المعيشة الإنسانية بالبدن وأن كل صناعة منزلة العضو من ذلك البدن ، أما روح ذلك البدن فهي إما النبوة أو الحكمة فاصطنع شيخ الإسلام الحاقد من هذا القول وسيلة للنيل من جمال الدين بحجة أن جمال الدين يزعم أن النبوة حرفة من الحرف ، فدافع جمال الدين عن نفسه وطلب محاكمة شيخ الإسلام على هذه الفرية ، ولكن الصدر الأعظم المعجب بجمال الدين من جهة والمسئول عن الحكومة من الجهة الأخرى رأى أن يغادر جمال

الدين الآستانة كحل لهذه الشكلة، فنزارها إلى مصر . فكانت فرصة سعيدة لمصر والعالم العربي والإسلامي فقضى جمال الدين فيها ثماني سنين كان خلالها قطب رحا الحركة العلمية والأدبية ومحور دائرة السياسة العربية والإسلامية، ليس في مصر فحسب بل في العالمين العربي والإسلامي قاطبة . هبط جمال الدين مصر في عهد اسماعيل وعهد اسماعيل عهد التقى فيه النقيضان ، أفراح الأمارة وأتراح الشعب . واختلطت فيه رنات الضحك في قصور الأمراء بأنات الأسى والحزن في كل بيت من بيوت الشعب المصري وذلك بسبب ما كان عليه اسماعيل من التبذير في النفقات مما اضطره أن يقسو في فرض الضرائب على الشعب ويستدين فوق ذلك من الأجانب ما أثقل به كاهل الحكومة ، هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى كان الجمود شاملا جميع نواحي الحياة الدينية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، حكم مطلق في يد ضعيفة مرتعشة، وقوانين ضائع معها العدل ،وأنظمة مفقود في ظلها الخير . هال جمال الدين ما رأى وما سمع وهو الذي وقف حياته على محاربة الظلم والجهل ، وشق عليه أن تكون مصر وهي قلب العروبة والإسلام النابض مباءة لشكل هذه الشرور التي تبيض وتفرخ فتطار إلى جميع البلاد العربية والإسلامية فتهددها بالخراب والدمار . فصمم وهو القوي الحازم على خوض المعركة ضد ذينك العدوين اللدودين الظلم والجهل . فجرد عليهما لسانا ذربا في مجالسه الخاصة وحلقات تدريسه العامة فالتف حوله شباب العرب من المصريين والسوريين والعراقيين والحجازيين وغيرهم ممن كانوا في مصر لطلب العلم ، فأفرغ السيد جمال الدين في نفوسهم ما في نفسه الكبيرة من قوة ، ومس أرواحهم بما في روحه العظيمة من حرارة وحماسة ، فداروا حوله مستمدين القوة والعون بعد الله منه ، وأخذوا يعملون في محاربة الظلم والجهل مع استاذهم الأكبر وأمامهم الأعظم فجردوا ألسنتهم وأقلامهم في حرب طاحنة تجاوبت أصداؤها أجواء الشرق والغرب وامتد لهيبها إلى أيدي الظالمين فأحرقتها وإلى عقول الجاهلين فصهرت عنها الجمود والخمود . ولكن كيف يكون كل هذا ولا يتحرك في القلوب المريضة حسد له ولا يتململ في النفوس الصغيرة حقد عليه؟ فاتخذ الحاسدون الحاقدون سبيلهم للطعن عليه والنيل منه . وبينما كان الرجل في هذه المعركة من البناء والهدم إذ بالخديو توفيق يتولى الحكم فيسر جمال الدين به لأنه كان من مؤيديه ومن الساعين لتأليف القلوب عليه ، وأنه شعر بأنه قد أصبح في هذا العهد أكثر قدرة على خدمة مصر من ذي قبل ، فاندفع في مقاومة الاستعمار الانكليزي وما يحوكه هذا الاستعمار من دسائس لمصر ، وأطلق ما في نفسه الكبيرة من قوة تأثيره على الأفراد والجماعات لدفعها في مقاومة الاستعمار ودسائسه وتحريك الشعب المصري للمطالبة بحقه في حكم نفسه بنفسه بالطرق الدستورية . وقد جره هذا النشاط السياسي الجبار إلى الاصطدام بالمحفل الماسوني الاسكتلندي الذي كان منتسبا إليه وعازما على اتخاذه وسيلة لتحقيق أغراضه السياسية النبيلة ، فحمل على هذا المحفل حملة شعواء ندد فيها بما ينطوي عليه المحفل من الضعف والخور في خدمة الشعب المصري الخدمة التي تأخذ بيده إلى الحرية والسعادة . وعندما اعتقد بأن لا فائدة ترجى من اصلاح هذا المحفل انسحب منه وأنشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنسي ، فأقبل على هذا المحفل مئات من أصدقائه وتلامذته وهم النخبة الطيبة والفئة القوية المؤمنة في مصر . وأول ما صمم على عمله في محفله الجديد الدعوة لاصلاح جهاز الحكم كوسيلة لاعداد الشعب المصري ليحكم نفسه بنفسه بالطرق الدستورية . فألف داخل المحفل عدة لجان لتحقيق هذه الاغراض والاتصال برجال الحكومة (النظار) ومطالبتهم بالاصلاح على اختلاف أنواعه بأسلوب حازم ولهجة قوية ترددت أصداؤها في قصر عابدين ، فاستزار الخديو جمال الدين ليراه بعينيه ويسمع عنه بأذنيه ، فكانت الزيارة . ورأى الخديو من شخصية جمال الدين الكبيرة ما بهره ومن دفاعه عن الشعب المصري وحقوقه ما أخافه ؛ فأمر بإخراجه من القطر المصري فذهب جمال الدين إلى السويس ليسافر منها إلى الهند فأتاه بعض مريديه من التجار يحملون مبلغا من المال عرضوه عليه فرفضه في اباء وشمم وقال لهم : أنتم إلى هذا المال أحوج ، والليث لا يعدم فريسة حيث ذهب

للكلام بقية

حمدي الحسيني

٢ـ الاسلام فى أووبا الشرقية

فى أمسية الغزو المنغولى

للأستاذ المؤرخ أرسلان بوهدانووكز

بقلم الأستاذ على محمد سرطاوى

ويثنى بارتولد ثناء عاطرا على الدور المهم الذى قامت به الصوفية الاسلامية فى الدعاية لمبادىء الاسلام العظيمة بين الأتراك فيقول : « إن الصوفيين الذين ذهبوا لنشر مبادىء الدين الاسلامى بين الأتراك فى سهول الاستبس ، قد لاقوا من النجاح أكثر مما لاقاه أولئك الذين ذهبوا للمكان نفسه يبشرون بالأرثوذكسية المسيحية . ومع أن دعاة من الديانات الأخرى ، كالبوذية ، والمانكية ، والمسيحية ، قد جربوا القيام بدعايات واسعة قبل مجىء المسلمين ، إلا أن الدعاية الاسلامية قد لاقت نجاحا واسعا ، وخاصة بين الشعوب التى كانت قد عرفت الشىء الكثير عن الديانات الأخرى » (١) .

ويضيف المستشرق العظيم إلى ما سبق فى موضوع آخر من كتابه قوله : « وبسبب سيطرة الثقافة الاسلامية على تاريخ هذه الفترة ، فإن كل اتصال بين تعاليم الاسلام ، وتعاليم الديانات الأخرى ، لم تنشأ عنه غير نتيجة واحدة ، هى امتداد ظل الاسلام والتمكين لنفسه فى آفاق جديدة . حتى فى الزمن الذى تسلط فيه القراقتيون (Qara-Qitäys) ، أولئك المتعصبون الذين كانت الثقافة الصينية عميقة الجذور وبعيدة الغور فى نفوسهم ، والذين حاربوا الاسلام ولم يعتنقوه ، أخذت المناعة التى لديهم ضد هذا الدين تضعف كلما امتد ظلهم على المسلمين ، وراح الاسلام يمكن لنفسه فى سلطانهم ونفوسهم ؛ وهو وإن لم يكن انتشاره على نطاق واسع ، كما كان فى الفترة المنغولية ، إلا أن مجرد الانتشار بين أولئك المتعصبين ، يعتبر من معجزات هذا الدين (٢) »

رأى بارتولد حول إسلام الكبشاك :

يبدو لنا أن النتيجة المنطقية لآراء بارتولد عن قوة الأغراء العجيبة الكامنة فى مبادىء الدين الإسلامى ، والتى لعبت دورا هاما فى إسلام الأتراك ، يمكن أن تكون كما يأتى : إن اعتناق عدد لا يستهان به من الخزر لمبادىء الإسلام ، قد أبعد بالتدريج كل صلة لهم بالديانات الأخرى بعد خضوعهم للكبشاك ، ثم اندماج هؤلاء المسلمين مع الغزاة بعد ذلك قد كانت نتيجته المباشرة عزل المنطقة التى حول مصب الفولجا عن جميع الديانات الأخرى كالمسيحية والبوذية ، ماعدا الديانة الإسلامية . ووجد الإسلام نفسه فى هذه المنطقة دون منافس من ديانات أخرى مدة قرنين ، فكان هذا الوقت كافيا لصنع المعجزة فى نفوس هؤلاء الكبشاك الوثنيين (٣) الذين عرفوا بعض الشىء عن هذا الدين عن طريق صلاتهم السابقة مع الخوارزميين (Khoresm) . ومن تحصيل الحاصل أن يعتنق الكبشاك الإسلام فى مثل ظروف من هذا النوع . والتاريخ يعرف أمثلة كثيرة لشعوب رحل ، أخضعت لسلطانها شعوبا مستقرة أكثر حضارة منها ، ثم اعتنقت بعد ذلك ديانة المغلوبين

فنرى من ذلك أن بارتولد لا ينكر الدور المهم الذى لعبه الإسلام بين الخزر ، وهو يرى أنه لم يصبح الدين الذى يعتنقه معظم الناس (٤)

أما مصير الإسلام بعد سقوط هذه الدولة ، فقد مر عليه فى ذلك الكتاب مر الكرام ، ولم يفكر فيه . أما ما يتعلق بإسلام الكبشاك بصورة عامة ، فيجد الإنسان فى كتابه المذكور الشىء الكثير من التناقض

---

(1) W. Bartold, Historie des Turcs d, Asie Centrale, Collection Imitation d, l' Islam. Paris, 194 s .pp 57, 56

(٢) المصدر نفسه من أوجه ١٠٢ ـ ١٠٣

(٣) لعل بارتولد قصد بقوله الشامانيين Shamanists . والشامانية ديانة قبائل سيبريا ، وهى ديانة وثنية تقوم على تعدد الألهة وعلى الاعتقاد بأن الكهنة يمثلون ما عند هذه الألهة من جبروت وسلطان . والكلمة منقولة

(٤) كتاب بارتولد السابق وجه ٥٣

وأول ذلك التناقض قوله : « إن قسماً من الأوغاز (Oghuzes) (وهم أقوام من الترك سبقوا الـكبشاك إلى أوربا الشرقيـة) الذين استقروا فى مجرى نهر الفولجا الأسفل ، قد اعتنقوا الإسلام أثناء القرن العاشر (٥) » . وأكثر من ذلك ذهابه إلى أن الأتراك الذين استقروا ما بين خورزم والفولجا فى هذه المـدة قد اعتنقوا الإسلام أيضا ، ولـكن ذلك الإسلام لم ينفذ إلى قلوبهم وإنما كان طلاء وزيفا ، وبقى عـدد كبير منهم يمارس المعتقدات الشامانية (٦) . ولا شئ يثير الدهشة فيما ذهب إليه من سطحية إسلام هؤلاء الـكبشاك ، لأن الشعوب التى تعتنق ديانة جديدة ولا سيما الرحل منها ، تظل بحكم العادة أقرب فى معتقداتها إلى الديانة القديمة منها إلى الديانة الجديدة . وعلى سبيل المثال ، فقد كان ذلك ، كما هو معروف فى التـاريخ ، شأن قسم من القبائل الروسية حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، وربما بعد هـذا التـاريخ . ولـكن الذى يثير الدهشة ، أن يجد المرء فى نفس الوجه من كتاب بارتولد الذى نتحدث عنه زعمين متناقضين ؛ فهو يزعم من جهة « أن المنطقة الواسعـــة التى استقر فيها الـكبشاك ، كانت فى ذلك الوقت ، خارج منطقة النفوذ الاسلامى ، وفى القفقاس اشترك الـكبشاك فى القرن الثالث عشر الميلادى ، فى الهجوم على البلاد الاسـلامية » وبعد اسطر غير قليلة يقول : « والمصادر الاسلاميـة تدلنا بصورة لا تقبل الشك ، أن الـكبشاك والقانجـلوس Qangluis (من الشعوب التركية ولعلهم من أبناء عمومة الـكبشاك) قد اعتنقوا الاسلام فى القرن الثانى عشر عن طريق صلاتهم مع الخورزبين (٧) »

وفى صفحات سـابقة من الـكتاب نفسه يقول البروفسور بارتولد : « كان لا يزال فى الشمال الغربى من آسيا عدد كبير من القبائل التركية الرحل ، الذين على الرغم من اتصالهم بالحضارة الاسلامية ، كانوا يحملون العداء للدين الاسـلامى . ونجح الـكبشاك فى القرن الحادى عشر فى توسيع مدى هجرتهم حتى وصلوا فى تلك الهجرة إلى تخوم البلدان الاسلامية فى الجنوب ، وأصبحوا جيران الخورزبين (٨)

كيف يمكن تعليل هذا التناقض ؟ :

ليس من اليسير على ، ولا من المبهج لنفسى ، أن أخالف فى الرأى علامة من طراز بارتولد النـادر ، وأشعر وأنا أعمل ذلك بالشئ الـكثير من عـــدم السرور . والذى يشفع لى فى تلك المخالفة ويجرؤنى على انتقـاد أرائه ، أن النتائج التى يصل إليها علامة عظيم ، إذا لم تدعمها المصادر التى لا مفر من الاستناد إليها (كالتى نحن بصددها) ، فأن فقدان تلك المصـادر ، يولد حالة تنحرف بالحقائق عن مجراها الصحيح ، وندفع الآخرين إلى ذلك الطريق الممهد ، مهملين التعمق فى دراسة المشاكل التى لا يعرف عنها إلا القليل

والذى أراه أن رأى بارتولد فى هذا الأمر ، ينبغى أن يفسر كما يأتى : وقبل كل شئ ينبغى أن نعرف أولا ، أنه كان معنيا أشد العناية بتاريخ أواسط آسيا ، وحينما امتدت الحوادث إلى القسم الغربى من الفولجا ، لم يكن دقيقا فى الإحاطة بها . وثانيا فيما يتصل بالقبائل الـكبشا كيـة التى احتلت مملـكة الخزر القديمة ، فيجب أن نفرق بين الجماعات الرحل وغير الرحل منهم . فإن أولئك الذين امتزجوا بالخزر واستقروا إلى جانبهم ، راحوا يعتنقون الإسلام بالتدريج . وأولئك الذين بقوا على عهدهم الأول من البداوة ، استمروا على وثنيتهم الأولى ، أو كان الإسلام عند الذين اعتنقوه منهم ، ليس غير طلاء خارجى لم ينفذ إلى مواطن الإيمان من نفوسهم

ومـما يجعل طريقة إسلام الـكبشاك غامضة نوعا ما ، أن المؤرخين من الروس لم يهتموا بهم كثيرا ولا قليلا . وبهـذه المناسبة يجدر بنا أن نذكر أن الأستاذ (ن . بارسوف N.Barsov) صاحب المؤلف الرائع « الجغرافيا التاريخية لروسيا القديمة » كان قد أشار منـذ مدة طويلة إلى أن مؤرخى الروس كانوا يكرهون التحدث عن الإسلام أشد الـكره ، وأنهم كثيرا ما كانوا — بدافع من بغضهم المتأصل للاسلام — يخلطون بين المسلمين والوثنيين (٩) . ومن الجدير بالذكر أن بعض القبائل الـكبشا كية

(٥) بارتولد المصـدر السابق وجه ٦٣

(٦) بارتولد المصدر السابق وجه ٦٥

(٧) كتاب بارتولد السابق صفحة ٩١

٨ — الـكتاب نفسه الصفحات ٨٨ ، ٨٩

(9) N. Barsov, Sketches on the Russian historical Geography The Geography of the primary nestor's chronicle, 2nd edition Warsaw, 1885 pp. 6-7

التي اتصلت بالروس غالبا ما كانت تعتنق المذهب الأرثوذكسي . وهـذا الـكلام يصدق فقط على الـكبشاك الرحل ، أما أولئك الذين سكنوا المجارى السفلى لنهر الفلجا فلا أعتقد أنهم اتصلوا أدنى اتصال بالروس

ومن حسن الحظ أن أجد تأييدا لمـا ذهبت إليه من مؤرخ روسى آخر يدعى ا . يا كوبوفسكى A. Yakubovsky فى كتابه من عصر هؤلاء البرابرة الذهبي نقتطف منـه ما يأتى : « إن الغالبية العظمى من الـكبشاك عاشت معيشة ارتحالية ، غير أن قسما منهم أخذ يستبدل بهذه الحياة الحياة الزراعية المستقرة تدريجيا (١٠) . » واستولى الـكبشاك على الممتلـكات الواسعة التي خلفتها المملـكة السابقة ، وكان الخزر إذ ذاك يحيون على ضفاف الفولجا حياة زراعية بحتة ، واعتاد هؤلاء الغزاة هـذه الحياة ، ولـكنهم راحوا يفقدون لغتهم ومميزاتهم العنصرية . أما الـكبشاك الذين استقروا فى مجرى الفولجا الأسفل ، فقد احتفظوا بلغتهم ومميزاتهم العنصرية ، على الرغم من احترافهم الزراعة ، وتحضرهم » (١١)

ويذكر يا كوبوفسكى أن غزو الـكبشاك ، لم يوقف التجارة بين حوض الفولجا الأسفل والأقطار الإسلامية ، تلك التجارة التي كانت منتعشة قبل مجيئهم . وبعد ذلك يمضى فى تأييد ماذهبت إليـه عن كيفية إسلام الـكبشاك حين يقول : « وفى نفس الوقت الذى كانت التجارة آتية من الشرق ، كان الإسلام يسير معها ، مخترقا مدن الفولجا شيئا فشيئا (١٢) . » وأن اعتناق سكان مدن الفولجا الإسلام ، وخاصة المراكز المهمة ، مثل بلغار Bulgar وإتل Itil (عاصمة مملـكة الخزر السابقة) ، كان نتيجة للأعمال التبشيرية التي قام بها التجار والصناع » (١٣)

وما أشرت إليـه فى هذا المقال من إسلام كبشاك حوض نهر الفولجا الأسفل ، يتفق وما جاء فى كتاب بارتولد عن إسلام برابرة العصر الذهبي . يقول بارتولد : « لقـد كان لثقافة العالم الإسلامى العـالية فى ذلك الوقت أثر كبير على إسلام رؤساء الأقوام الذين كانت العقائد المسيحية متغلغلة بينهم ، أكثر من تغلغل الديانة الإسلامية بين الـكبشاك . أما الأليانين Alians (أو الأوسيتين اليوم Ossetes) فقد كان يصفهم المؤرخون بأنهم مسيحيون . إلا أن ابن بطوطة الرحالة الإسلامى الشهير قابل فى سراى Saray (وهى عاصمة مملـكة البرابرة) ، وتقع فى مجرى الفولجا الأسفل ، قسما من الألينين الذين اعتنقوا الدين الاسلامى »

ويصف بعـد ذلك بارتولد إسلام بيرك خان Berke شقيق باتوخان Batukhan (مؤسس عصر البرابرة الذهبي) . والذى حكم من ١٢٥٤ — ١٢٦٦ ، واشتهر بتعلقه الشديد بالدين الإسلامى ، يقول بارتولد : « ولم يكن الخان مسلما فحسب ، بل كانت زوجاته وأتباعه مسلمين أيضا . لقـد كان لـكل أمير ، ولـكل زوجة من زوجاته مؤذن وإمام خاص ، وكانت هنـالك مدارس لتعليم الصبيان القرآن الـكريم » (١٤)

ولقد تم عمل من هذا النوع فى مدى عشرين سنـة من استيلاء المغول على حوض نهر الفولجا الأسفل . ولم يكن مثل هذا العمل ممكنا ، لو لم يكن الإسلام منتشرا فى تلك الأماكن قبل مجئ هؤلاء الغزاة الوثنيين

غرفة التجارة : بغداد — علي محمد سرطاوي

10 — A: Yakubovsky, la horde d' or, Pairs. 1939, P, 22
١١ — Ib, p 24
12 — A YakuboVsky p.24
13 — " " p 31

14 - V Bartold pp 137-138

٢ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافى

يريد الدكتور بهذا الكلام أن الأمر بغمس الذبابة كلها يدل على أن الداء والشفاء موجودان فى الجسم كله لا فى الجناحين فقط ، وإلا لزم أن يأمر بغمس الجناحين فقط ، فنقول إن الأمر بغمس الذبابة كلها صحيح، ولكنه لم يأمر بذلك إلا لأجل أن يغمس الجناح الذى فيه الشفاء لأن الجناح الثانى والجسم منغمسان فى الشراب وهل من المعقول أن يأمر بغمس المغموس ؟

كيف يمكن غمس الأجنحة وحدها حتى يأمر به الرسول ؟ إن غمس الجناحين فقط لا يمكن إلا بصورة واحدة ، وهى أن نلق الذبابة على ظهرها ، ونمسكها بالنقاش من يديها ورجليها ثم نضمها بدقة ونأتى على الشراب حتى ينغمس فيه جناحاها فقط دون سائر جسمها ، ولا ريب أن هذا متعذر بالنسبة إلى سائر الناس ، فكيف يأمر بغمس الأجنحة وحدها كما يقول الدكتور؟

ويقول فى عبارته المتقدمة : « ربما يدل على أن الداء والشفاء فى الجناحين أمر اعتيادى لا يفيد التخصيص والأمر بغمسها يؤيد ذلك ، وهل لأجل تطهير الشراب من الجراثيم وذلك بادخال البكتريوفاج من جسم الذبابة »

يريد الدكتور بعبارته هذه المضطربة أن يفهمنا أن الجناحين إنما ذكرا فى الحديث جريا على العادة ، لأن العادة تقضى بوجود الجراثيم المضرة والنافعة فى الجناحين أيضا كما توجد فى جسم الذبابة ؛ فعبارة الحديث لا تفيد تخصيص الجناحين بالجراثيم ، بل جاء ذكرهما اعتياديا . هذا هو مراد الدكتور من عبارته هذه فنقول :

قد تقدم مايفيد بطلان هذا ، ولكنا نكرره لمزيد الايضاح . إن عبارة الحديث تنص على تخصيص أحد الجناحين بالداء ، والآخر بالشفاء . وبيان ذلك أن الحديث أمر أولا بغمس الذبابة كلها ثم بين سبب الغمس وحكمته بقوله أن فى أحد الجناحين داء وفى الآخر شفاء ، وبين أيضا أن الذباب عند وقوعه يتقى بالجناح الذى فيه الداء أى يقدم الجناح الذى فيه الداء فيكون منغمسا فى الشراب ويبقى الجناح الثانى الذى فيه الشفاء خارجا غير منغمس. فاذا غمس الذبابة كلها ، انغمس الجناح الثانى الذى فيه الشفاء أيضا، وبذلك تندفع المضرة الحاصلة من انغماس الجناح الأول ولولا تخصيص أحد الجناحين بالشفاء والآخر بالداء لكان الأمر بغمس الذبابة عبثا لأن جسم الذبابة مع أحد جناحيها قد انغمس فى الشراب فلو كان الشفاء فى الجسم كله لم تبق حاجة إلى الأمر بالغمس

إن هذا المعنى فى عبارة الحديث واضح جلى يفهمه كل من سمع الحديث ولو كان أعجميا ، ولكن الدكتور حفظه الله يقول إن عبارة الحديث لا تفيد التخصيص إنما جاء ذكر الجناحين اعتياديا أى جريا على العادة التى تقضى بوجود الجراثيم فى الجناحين كوجودها فى الجسم ، مع أن العادة تقضى خلاف ذلك، لأن الجناحين يكونان بحكم العادة وبحكم الضرورة أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم لأنهما لا يباشران المواد التى تقع عليها الذبابة بل يكونان فى أعلى الذبابة بعيدين عنها

ولا شك أن أول شىء من الذبابة يباشر المواد التى تقع عليها هو يداها ورجلاها ، ثم بطنها وصدرها ، ثم سائر جسمها، ثم جناحاها إذا كانت المادة التى تقع عليها من السوائل ، ولكن الحديث يقول إن طبيعة الذباب إذا وقع فى السوائل أن يقدم الجناح الذى فيه الداء ويؤخر الجناح الذى فيه الشفاء ، فينغمس الأول ويبقى الآخر غير منغمس ، فلذا أمر بغمس الذبابة كلها لكى ينغمس الجناح الذى فيه الشفاء أيضا

إن عبارة الحديث لا يغرب معناها عن فطانة الدكتور ، ولكنه أخذ يتمحل فى التوجيه ويتعسف فى التفسير لكى يقربها من المعنى الذى يريده هو . إلا أنه رغم هذه التمحلات ، بقى قلق الخاطر ، غير مطمئن الضمير ، لأنه يعلم أن الجناحين أبعد أعضاء الذبابة عن الجراثيم ، فماذا يعمل حتى يجعلها مقرا للجراثيم أكثر من سائر الأعضاء ؟

والظاهر أنه فكر طويلا حتى وجد طريقا إلى حل هذا المشكل فقال : « وبما أن الذبابة تمسح دائما رجليها باجنحتها ، كانت الأجنحة لذلك مقرا للبكتريوفاج وللجراثيم أكثر من غيرها من أعضاء الذبابة . فلله دره ما اقدره على قلب الحقيقة

بالكلام المجرد . يقول إن الذبابة تمسح رجليها بأجنحتها ، إن الباء في هذه العبارة مثلها في قولهم كتبت بالقلم أي هي للاستعانة ، فالممسوح الرجل . والماسح الذبابة ، والجناح هو آلة ، المسح والظاهر أن المسح يكون بظهر الجناح لا ببطنه ، لأن الذبابة إذا خفضت جناحيها وألزمتهما إلى ما تحت رجليها ، كان ظهر الجناح تحت الرجل بالطبع ، إذ لا تستطيع الذبابة في هذه الحالة أن تقلب جناحيها إلى حيث يكون باطنهما إلى الأعلى ، وظاهرهما إلى الأسفل . ومهما يكن فجناح الذبابة على هذا أصبح منديلا لها تمسح به رجليها

إن الدكتور قد أثبت للذبابة بهذا القول طبيعة لا يعرفها الناس ، ولم يستند في اثباتها إلى قول علمي من أقوال علماء الحشرات الذين درسوا حياتها وعرفوا طبائعها وأحوالها ، وقد تكلم هو في الفصل الخامس من رسالته عن خواص الذباب وطباعه ، فلم يذكر فيه شيئا من ذلك

لايقال إن في عبارة الدكتور قلبا ، وإن أصلها هكذا : إن الذباب يمسح دائما أجنحته بأرجله ، لانا نقول إن رجلي الذبابة وهما في اتجاههما إلى الأسفل معقوفتان إلى الأمام ، وليس في استطاعتها أن ترفع رجلها إلى ما فوق جناحها فتمسحه بها ، ولا أن تخفض جناحيها إلى ما تحت رجلها فتمسحها به إذ ليس ذلك من طبيعة الذباب، فمن المحال عادة وطبعا أن يمسح الذباب أجنحته بأرجله أو أرجله بأجنحته ، وإنما المعروف من طبيعة الذباب من قديم الزمان هو أنه يحك إحدى ذراعيه بالأخرى كما ذكره عنترة في معلقته ، ولم يشاهده أحد يحك إحدى رجليه بالأخرى ؛ ولا يحك بجناحيه رجليه ، وقد شاهدته أنا في بعض الأحيان يمسح وجهه بذراعيه ويمر بهما على رأسه . فمن أين أخذ الدكتور هذا القول عن طبيعة الذباب وكيف تكون أجنحته مقرا للجراثيم أكثر من الأرجل والأيدي التي هي متصلة مباشرة بالمواد التي يقع عليها الذباب

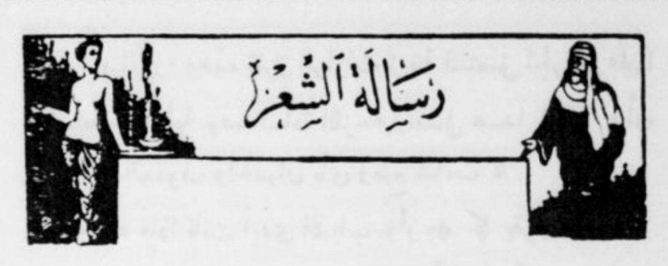
والمشهور عن الذباب أنه ينقل الجراثيم بأرجله وبأيديه ، لا بأجنحته ، والدكتور نفسه قد ذكر ذلك في رسالته فقال في الصفحة (٤٤) : « وعلاوة على ذلك تنقل الذبابة الجراثيم برجليها ويديها المكسوة بالشعر » ثم قال « ومما يجدر بيانه هو أن قدمي الذبابة وكفيها تشبهان خف البعير ، عليهما شيء يشبه الشعر أو الوبر، وهذه تفرز افرازات لزجة فتلتصق الجراثيم عليها وتستطيع الذبابة بهذه المادة اللزجة وبفضل هذا الخف ، أن تقف على السقوف والجدران بأي وضع شاءت »

وعليه فإذا كانت أيدي الذباب وأرجله كما يقول الدكتور تفرز مادة لزجة ؛ وعليها شيء يشبه الشعر أو الوبر ، كانت بلاريب مقرا للجراثيم أكثر من سائر أعضائها ، لذلك ، ولأنها أول ما يباشر الأقذار التي عليها الذباب فكيف تكون الأجنحة مقرا للجراثيم أكثر من أيديها وأرجلها ؟ — والآن ، هل البكتريوفاج موجود في الذباب دائما وأبدا ؟ وهل هو شاف لجميع الأمراض ؟

نريد أن نجيب على هذين السؤالين بما علمناه وفهمناه من كلام الدكتور في رسالته ، لأننا لسنا من أهل هذا الفن ، ورحم الله أمرأ عرف قدره ، ولم يتعد طوره ، فلذا نرجو من القارىء أن يقرأ أولا ما كتبه الدكتور في هذا الباب خاصة في الفصل الحادي عشر من رسالته ثم ينظر فيما نقوله هنا ، ويحكم بما شاء

الكلام بقية

معروف الرصافي



صلاة جنازة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

هذى صلاة جنازة : الله أكبر فتياننا قتلوا وهل يبق العمر
سبق المقدم منهمو والله أكبر ومشى على آثارمن سبق المؤخر
الله أكبر

الله أكبر ما الطغاة بجدرى قتل الجميع . وهمهموالله أكبر
لن يخضع المصرى بعد لبغيهم فليأخذوها بلقما والله أكبر
الله أكبر

وعزاؤنا أن المدى نكبوابأكثر ورجاؤنا أنا باذن الله نثأر
شهداؤنا سنوا لنا ما ينبغى لمجاهد والعمر فى قدر مقدر
الله أكبر

جيش من الأعداء دبر ثم قدر واختار خطته التى تخزى المدبر
فرى العدو جنازة تسعى إلى قبر ولولا أمنه منها تقهقر
والله أكبر

أمن المواقب فانبرى يهوى ويزأر فانسل منا كل قسورة غضنفر
جعلوا العدو على الفرار مغادرا قتلى ولكن بين ضباط وعسكر
والله أكبر

لم يدفنوا من شيعوه ميتا : من قبله دفن المدى حيا تنمر
والموت يخفى نفسه حينا ويظهر والموت يعلن نفسه وسط المعسكر
والله أكبر

بين الضحايا من بنى مصر فتى دون البلوغ فعمره تسع وأشهر
شق الصفوف إلى العدو مقاتلا فأصاب ضعف طوله فيهم وأكثر
والله أكبر

ترك النعوش حماتها وتدفعوا كالسيل فى ثغرات جيشهم المظفر

فإذا جنود المعتدين تفرقوا ومشيعو الموتى على النكبات أصبر
والله أكبر

ومجلبب طفل رمى جلبابه بالنفط وحى التو لا أمرا مدبر
ماذا تحاول يا (نبيل) فلم يجب أيجيبنى من جسمه لهب تسعر؟
الله أكبر

وتلقفت منـه خيام عدونا مثل الشرارة فى لظى نار تزمجر
فإذا غدا أعداؤنا متقهقرا وغدت خيامهمو بعقبلهم تذكر
والله أكبر

يا رب لا نغفر ولا ترحم ولا ترسل على الدنيا سوى اللهب المدمر
كاد الحليف حليفه فى عالم معروفه هذا وفى المعروف منكر
الله أكبر

عبد اللطيف النشار

في موكب الشهداء ...

للأستاذ محمد على جمعة الشايب

قلوب دهاها الحزن فهى تذوب ودمع ، ولـكن جمرة ولهيب
أرى النيل يسعى باكيا ملء جفنه وللموج لطم موجع ونحيب
وتلك المروج الخضر تبدو كأنها مواكب موتى فى البلاد تجوب
فلا الزهر بسام يميل صبابة ولا الطير نشوان الجناح طروب
أعينى مالى أبصر الطير شاديا ولـكنه فى مسمعى نعيب
طوى الروض من أحزانه ثوب عرسه
وران على وجه النهار شحوب
سل الوادى الولهان ماذا أصابه يرد أسيفا والدموع تجيب :
بواكير من زهر الشباب تساقطت وصوح دوح للبلاد رطيب
أسود سعوا نحو الخلود بهمة لها بين أنياب الحتوف وثوب
مضوا شهبا تحيى الأمانى بنورها وتهوى إلى قلب المدا فتصيب
بأى ذنوب قد أراقوا دماهم وليس لهم إلا الفداء ذنوب
لئن كان حب النيل ذنبا يرونه فلسنا ورب النيل منه نتوب
ألا إن شعبا قد أناموه قد صحا ولا بد من بعد المنام هبوب

محمد على جمعة الشايب

الينابيع الجديدة

للشاعر محمد مفتاح الفيتورى

أنخمت قيثارى بهذا الحب ، هذا الضعف ، هذى اللعنة السوداء
واليوم يوم المحرقين دماءهم   فى مذبح الحرية الحمراء
لا تلهمينيه غناء . . مائعا   متناوحا متهاوت الأصداء
لكن أعاصيرا ممردة القرى   وحرائقا ممتدة الأرجاء
فالويل كل الويل للشادين بين   مآتم الأموات والأحياء
الراقصين على الطريق ، مشيدا   بجماجم التعساء والبؤساء
والويل للمتوشحين بنورهم   وربيعهم فى ظلمة الفقراء
الباسمين إلى الحيـاة وحولهم   أمواج نهر الأدمع الخرساء
والويل للمتوسدين صباحهم   ومساءهم فى حيرة الضعفاء
الراقدين على الحرير وغيرهم   متوسدون سواعد الظلماء
لا تلهمينيه غنـاء مائعا   متناوحا متهاوت الأصداء
فالويل للفن الذى لم يستجب   لمواجع البشرية الصفراء
والويل للنسم الذى لم يحترق   ليعود عاصفة من الأنواء
والويل للنهر الوديع المستحم   بضعفه من قوة الدأماء
والويل لسفح المجلل بالدجى   من سخريات القمة الشماء
والويل للميت الذى لم ينتفض . .   فى قبره ليعود فى الأحياء

* * *

يا أيهـا الشعب العظيم وإنما   أدعو ألوهة روحك المتمرد
القيد قيدك أنت نار حديده   لاصنع جبار ولا مستعبد
فإذا تشاء سحقته فتلقفت   ذراته ريح العتاد الأسود
وإذا تشاء فصمت أفواه الردى   برمائم المعبود والمتعبد
فاهتف بأشواق الحياة تجبك   أصوات الحياة بقلبها المتوقد
وازحف على ظلمات يومك ينبثق   نورالغد القدسى من قبل الغد
تلك النباتات المدنسة التى   كم عانقتك بشوكها المتجرد
لست الذى يثنيه شوك جذوعها   لا كنت إن لم تقتلعها باليد
أنا لن أنوح عليك لن أبكى على   نيرانك المستغرقات الهمد
لا زلت ألمح فى رمادك قوة   إن تنطلق تطق صباح المعتدى
وأحس فى معنى سكونك رعدة   يا ويح أحلامى إذا لم ترعد

* * *

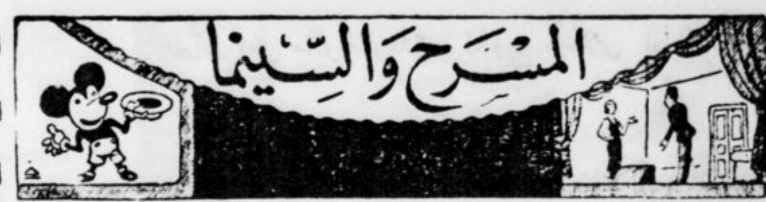
يا رعشة الأشواق أشواقى إلى   جيشان أرضك بالدم المتسعر
ولوائك المخضوب يخفق شامخا   كجناح نسر فى الأصائل مبحر
والأوجه السمراء فى جبهاتها   وعيونها إيماضة التحرر
والأذرع المتجمدات وقد تمرقها   انتقام المـارد المتحرر
حقل من النيران والدم صارخ   بزوال مجد الغاصب المستعمر
وبنـاء إنسانية لم تحتقر   ضعف الضعيف ولا أنين المعسر
لم تبن جنتها الجميلة بين   آلام الأجير وضحكة المستأجر
لم تبتدع يوما رسوم سقوفها   فرشاة مصدور ولا متكدر
لم تجر أنهرها وخلف سياجها   تفنى الألوف من الهجير الأكبر
لم تزه كرمتها ويحن نخيلها   والجوع يعصف بالجسوم الضمر
فهناك ياشعبى ستنبت فرحتى   فى مهجتى وتعود رقة مزهرى
ويعود بلبلك الجميل مغطرا   بغنائه قلب الربيع الأخضر

محمد مفتاح الفيتورى

جـــــارتى

للأستاذ عثمان حلمى

كان لى جارة بلوت أذاها   ساءنى صبحها وساء مساها
تسبق الطيرفى الصباح بصوت   صاخب يسلب العيون كراها
صخب ماله حدود فقد قصـ   ـر فيه أضرابها عن مداها
كل يوم لها عراك جديد   ورضاء وما يطول رضاها
وإذا ما انتهى العراك فما تسـ   ـمع إلا عويلها وبكاها
وعلا صوتها على كل مذيا   ع ودوى فما سمعت سواها
كلبها وابنها إذا هى صاحت   صيحة الشر يحكيان صداها
ولها طفلة أجارك منها الا   ه إن أعملت على الصبح فاها
ولهـا خادم لهـا كل يوم   وقعة بالجوار من جراها
وكأنى بديكها حينما يصـ   ـرخ يحكى من النداء نداها
كل تلك الأصوات مجتمعات   توقر النفس أو تزيد شقاها



مسرحية (٧٠ سنة)

للأستاذ علي متولي صلاح

بدأ السباق يدب بين الفرقتين اللتين تنهضان بفن التمثيل فى مصر، وأعنى بها (فرقة المسرح المصرى الحديث) و (الفرقة المصرية) فى تقديم المسرحيات التى تتجاوب مع الموقف الوطنى الجليل الرائع الذى تقفه البلاد هذه الأيام. وتتفق مع مايجرى فى النفوس ويسرى فى العروق من لهفة حارة تستبد بالمصريين إلى التحرير والجلاء الناجز ووحدة الوادى بلا إبطال ولا إمهال

أخذت الفرقتان تتسابقان فى هذا، وأغلب الظن أن ذلك التسابق سيستمر سجالا بينهما حتى تنجلى الغمة ويتحقق الرجاء، فلن تستطيع النفوس التى تتقد بالوطنية وتغلى بها أن تجد فضلة منها لقبول شىء دون ذلك! ... وكان فضل السبق فى هذا المضمار للفرقة الأولى دون شك، فقد تركت ما كانت أعدته للموسم من مسرحيات أخرى وأسرعت تلتمس ما يؤدى المعانى الوطنية التى فارت بها مشاعر الناس وملكت عليهم أمرهم وسواء أوفقت فى ذلك أم جانبها التوفيق فلن يسلبها هذا فضل السابقين الأولين من المجاهدين! ... قدمت — فيما قدمته — مسرحية تصور حادثة من حوادث التاريخ المصرى الحديث، فقدمت الفرقة الثانية تصويرا للتاريخ المصرى الحديث كله، وكأنها فى ذلك تقول للفرقة الأولى: إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا!!

ونسيت الفرقة المصرية أن الأمر فى المسرح ليس أمر زحمة فى الحوادث، وليس أمر قدرة على حشد أكبر عدد منها، فذلك مطلب يسير هين، وهو — فوق ذلك — ليس من الفن المسرحى فى شىء! فرب لمحة خاطفة يصورها المسرح فيحسن تصويرها، أدل على المعنى وأبعد فى النفوس أثرا من احتشاد الحوادث وتعاقبها وكثرتها!

قدمت هذه الفرقة مسرحية (٧٠ سنة) فسردت فيها تاريخ الحركة الوطنية المصرية منذ سنة ١٨٨٢ من التاريخ الميلادى حتى يومنا هذا سردا متصلا متلاحقا انبهرت معه أنفاس المؤلف وتكاثرت عليه الحوادث وتزاحمت من حوله الشخصيات، وكان هو حريصا على أن يعرض الحوادث والأشخاص جميعا دون سهو أو نسيان — كما يقولون فى عالم التجارة — فأصبح لا يدرى ماذا يأخذ وماذا يدع. واستعان الله على هذا كله، ومزج المسرح بالسينما وبالكلام الطويل فى الميكروفون، فجاءت المسرحية مسخا شائها عجيبا. وأنا أستغفر الله من تسميتها باسم (مسرحية) فلا أجد ما أسميها به غير ذلك مع علمى بأن ليس لها من هذا الاسم نصيب

نعم. إنه ليس من الفن المسرحى فى شىء أن تساق الحوادث سوقا كأنها معلى تحث بالسياط فلا يربط بينها رابط، ولا توحدها حادثة أساسية متصلة تجذب انتباه المشاهد، وتؤجج شوقه إلى نهايتها وفك عقدتها، مما تحتمه شرائط المسرحية الصحيحة كما عرفت منذ التاريخ القديم ... وليس من الفن المسرحى فى شىء أن يرى المشاهد حوادث التاريخ تترى كأنها

ولقد حرت مثلما حار جيرا … نى فيها وكلهم من عداها

إن ضحكنا من حادث أزعجتنا … بطريف فى أى كرب تناهى

وظللنا ندعو الذى خلق الخلا … ق جميعا أن لا يطيل بقاها

بيديه الخلاص إن شاء منها … وإذا شاء ردها لهداها

وتفقدت جارتى ذات يوم … وسألت الجيران ماذا عراها

فاصطخابات جارتى لا تدوى … لا ولا رجع الفضاء صداها

وتساءلت ما دهاها فلم ألا … ق مجيبا يجيبنى ما دهاها

غير أنى أسفت لما رأت عيـ … نى فى دارها عجوزا سواها

فهى قد سافرت إلى غير رجعى … غير ما يستماد من ذكراها

وأكيد فراقها وأكيد … أننى قد حرمت من ضوضاها

وكذا ساءنى نواها كأن النـ … فس من بعدها يعز عزاها

عادة المرء فى الحقيقة جزء … منه حتى فى الشر لا ينساها

عثمان حلمى

موكب من مواكب الاستعراض لا أكثر ولا أقل ! ويراها الشاهد مرة على صورة مسرحية متحركة ينهض بها ممثلون يتحركون على الخشبة ويلعبون أدوارهم أمام الناس ، ثم مرة ثانية على شريط سينمائي يعرض أمام أنظارهم لتكمل به الحوادث، ثم مرة ثالثة يسمع الميكرفون وهو يتمم ما عجز التمثيل والسينما معا عن أن ينهضا به من الحوادث التي ينوء بها العصبة أولو القوة ، فيصل ما يوشك أن ينقطع على الشاهد من الحوادث المتلاحقة !!

ونسى المؤلف الفاضل أن لكل واحد من هذه العناصر الثلاثة غرضا خاصا به واتجاها يتفرد به دون العنصرين الآخرين، ويختلف فيه عنهما اختلافا بينا ، وأن الجمع بين هذه العناصر الثلاثة في صعيد واحد إنما هو استغاثة واستعانة من المسرحية الضعيفة التي عجزت عن القيام بمهمتها منفردة مستقلة معتمدة على نفسها فأخذت تطلب النجدة من هنا وهناك !!

ولعل المؤلف الفاضل يعلم أن محاولات قامت في أوربا للجمع بين الفن المسرحي والفن السينمائي معا على خشبة المسرح تمكينا له من إيراد عدد أكبر وأضخم من المناظر ، وتقريبا له من القدرة الكبيرة التي تتمتع بها السينما دونه ، وأن تحويرات وتعديلات أدخلت على تركيب المسارح لتمكينها من ذلك أيضا ، ولكن ذلك جميعه باء بالفشل وخلص المسرح للتركيز في الأسلوب والحوار ، وللايحاء والخيال البديع ، وللاشارة دون الإفصاح الواضح. وخلص المسرح إلى قيم ومعالم ليس للسينما — وهي واقعية النزعة — أن تجاريه فيها . وتفرد المسرح بالإجمال وترك الحواشي وما إلى ذلك مما يجعل كلا من الفن المسرحي والفن السينمائي يختلفان فيما بينهما تمام الاختلاف ، وأصبح الرأى السائد الآن في أحدث المذاهب أن الجمع بينهما إنما هو جمع بين الأضداد والمتناقضات ..

ولا أدرى ما الذى تهدف إليه هذه المسرحية وهي لم تزد على سرد التاريخ سردا خاليا من أى أثر للفن أو أى تجنيح للواقع ؟؟ اللهم إن كانت تهدف إلى مجرد ذكر التاريخ الواقع المبذول بين أيدى الناس فى الكتب المدرسية التي يقرؤها التلاميذ ما يربى عليها وما يفوقها دقة وأمانة وتفصيلا ! وإن كانت تهدف إلى استثارة الناس بعرض التاريخ الذى يعرفونه عليهم فإن ملاك الأمر في ذلك للفن الذى قدمنا أنها خلت منه خلوا تاما ! وإن كانت تهدف إلى أن تشارك في تقديم ما يتفق والشعور الوطني الحاضر على أية صورة — فيجب أن تعلم أن عليها أن تفعل ذلك في حدود الرسم المسرحية والفن المسرحي الذى تتمم به وتقوم عليه ..

هذا — وأحب أن أهمس في أذن المؤلف الفاضل بهذه الملاحظات اليسيرة ابتغاء أن يتدبرها : —

١ — لماذا أغرم المؤلف بإبراز وفاة الكثير من أبطال المسرحية أمام الناس حتى جعل من المسرحية جنازات متلاحقة مع أن وفاتهم جميعا لم تكن تحمل معنى خاصا ، فكلهم مات على فراشه وكان في حياتهم الكثيرة من المواقف الوطنية ، اللهم إلا إذا كان المؤلف قد أراد بإبرازموت السابق ترشيحا للحياة اللاحق، وهكذا دواليك ! فالموت إذن — في نظر المؤلف — هو الخيط وهو الرابطة التي تربط أجزاء المسرحية ! ؟

٢ — كيف يستسيغ المؤلف أن يبعث الوطنية في نفس ابنة الباشا المقيمة معه في منفاه بإهدائها كتابا عن (جاك درك) ثم يزيد فيشرح قصتها ، وهي — كما يرى القارىء — استعارة غير مستحسنة من البطولة الأجنبية ؟ وهل خلا التاريخ المصرى أو التاريخ العربى من كل صور البطولة في النساء والرجال جميعا حتى يضطر المؤلف إلى استيراد بطولة من الخارج ؟؟

٣ — كيف يتفق أن يخطىء محمود سامى البارودى — وهو أحد علام — في نطق أبيات قام هو بتأليفها ! فيقول مثلا (أجفى وأجتنب) ببناء الفعل الثانى للمعلوم والصواب أن ينطقه مبنيا للمجهول ؟ ويقول (النشب) بكسر الشين والصواب بفتحها وتلك أخطاء لا تجوز على التلاميذ المبتدئين بله محمود سامى البارودى !!

٤ — كيف يتفق أن يرشح مصطفى كامل — وهو يحتضر — محمد فريد للزعامة بعده ويوصى إخوانه وزملاءه بذلك علانية ، ثم يستدعيه ويجلسه أمامه مجلس التلميذ ويلقى عليه سيلا من الأسئلة عن وطنيته وهدفه ومبدئه وشعاره وعما هو الاحتلال ! وما هو الاستقلال ! وغير ذلك من الأسئلة التي لا نراها تلقى إلا على تلاميذ المدارس حتى حسبناه سيستطرد إلى سؤاله عن اسمه



أخوة الأم لا يرثون :

نشرت منـبر الشرق بالعدد ٦٧٥ فى باب الافتاء فتوى لصاحب الفضيلة المفتى السابق رداً على سؤال تضمنته « أن متوفاة تركت بعدها أما وبنتا وأختا لأب وأخوة لأم ذكورا وأناثا فما نصيب كل واحد منهم » فأجاب فضيلته

« إذا كان الأمر كما ذكر بالسؤال فللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث، وكذا جمع من الأخوة، وللبنت النصف فرضا، وللأخت لأب السدس تكملة للثلثين ، وللأخوة للأم الثلث يشتركون فيه بالسوية . فالمسألة من ستة وعالت إلى سبعة. فتقسم التركة سبعة أسهم للأم سهم وللبنت ثلاثة وللاخت لأب سهم وللأخوة للأم سهمان »

وهذا خطأ فى التوريث وصحته فى هذه المسألة على النحو الآتى للأم السدس وللبنت النصف وللأخت للأب الباقى تعصيبا وهو الثلث، ولا شئ للاخوة من الأم لأنهم لا يرثون مع الفرع الوارث مطلقا ؛ فقد جاء فى كتاب الفرائض من الجزء الخامس لأبن عابدين « ويسقط بنو الأخياف وهم الإخوة والأخوات لأم بالولد وولد الأبن وإن سفل ، وبالأب والجد بالاجماع » وزاد صاحب ـ والمختار عند قول المصنف بالولد وولد الإبن : «ولو أنثى فيسقطون بستة بالأبن والبنت وابن الأبن وبنت الأبن والأب والجد ، ويجمعهم كذلك الفرع الوارث والأصول الذكور» وفى شرح الشريف على السراجية صفحة ٩٤ إلى صفحة ٩٧ « وأما لأولاد الأم فأحوال ثلاث : السدس للواحد والثلث للاثنين فصاعدا ، ويسقطون بالولد وولد الابن وإن سفل ، والأب والجد بالاتفاق» وإذا كان أولاد الأم لا يرثون مطلقا مع الفرع الوارث فتقسم تركة المتوفاة المشار إليها آنفا على النحو الآتى

للأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وعدد من الإخوة، وللبنت النصف فرضا، وللأخت لأب الباقى تعصيبا؛ لأن الأخوات مع البنات عصبة ، وتكون المسألة من ستة : للأم سهم وللبنت ثلاثة وللأخت لأب سهمان ولا شئ من التركة للأخوة من الأم . ولا داعى للعول وزيادة السهام لأنه لا موجب لذلك إذ أن الأخوة لأم لا يرثون مطلقا . وأرجو ألا يضيق رحب الرسالة عن نشر هذه الكلمة لوجه الحق

الأقصر علي ابراهيم القنديلي

واسم أبيه وسنه وعنوانه وما إلى ذلك ! وهى إلى ذلك أسئلة وأجوبة لاتنطوى على معنى غير مفهوم لعامة الناس ولا تزيد على معلوماتهم العادية ، وهى إلى ذلك أيضا تلقى على زعيم أعلن ترشيحه للزعامة !

٥ — لماذا — وقد كان كل غرض المسرحية استيعاب الحوادث جميعها — أقول لماذا أغفلت الكثير من الحوادث الكبيرة كيوم ١٣ نوفبر مثلا وهو الشرارة الكبرى التى انبعثت عنها نيران الجهاد والكفاح ؟ وأغفلت الكثير من الزعماء الذين كان لهم تأثير كبير فى مجرى الحوادث بعصر مثل : عدلى يكن وعبد الخـــالق ثروت ومحمد محمود واسماعيل صدقى وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى وسواهم ؟ اللهم إلا إذا أريد بذلك مما لأة الحكومة القائمة وهو أمر إن جاز فى عالم السياسة فلا يجوز فى عالم الفن

٦ — يعلم المؤلف أن المسرح للنـاس جميعا فكيف يجيز استعمال اللغة الإنجليزية فى بعض المواقف وهو يدرى أن بعض الناس يجهلها ؟ وإذا كنا نعيب اللغة العربية نفسها على المسرح إذا جنحت إلى المبالغة فى الفصاحة والجزالة لأن المشاهد العادى يعيا بفهمها فكيف نسمح للغة الانجليزية بالظهور فوق المسرح ؟ إلا إذا كان ذلك تمشيا مع الواقعية المسرفة التى التزمها المؤلف فى المسرحية جميعها ، ناسيا أن المسرح ليس « الواقع » ولكنه كما قال الأستاذ زكى طليمات بحق فى كلمته الجامعة « استثارة الواقع » !!

علي متولي صلاح

لمن كتاب الاعتصام ؟

جاء فى مقال الأستاذ أحمد أحمد بدوى الذى نشر فى عدد الرسالة الممتاز عن الشاطبى القراء هذه الفقرة « وللشاطبى كذلك

كتاب الاعتصام ، وهو فى الفقه » وبهذا خلط الأستاذ الفاضل بين عالمين جليلين لقب كليهما بالشاطبي . أحدهما الشاطبي القراء الذى كتب عنه الأستاذ بدوى . والثانى هو الإمام ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمى الغرناطى أبو إسحاق الشهير بالشاطبى . والمتوفى فى القرن الثامن من الهجرة ، وهو صاحب كتاب الاعتصام الذى نسبه الأستاذ الفاضل إلى الشاطبي القراء المتوفى فى القرن السادس من الهجرة

ثم إن كتاب الاعتصام ليس فى الفقه ، بل فى الحوادث والبدع الدخيلة على الإسلام ، وهو كتاب جليل فى بابه ، وقد طبع فى مصر مرتين

عبد الرحمن الوكيل

تصحيح رواية حديث نبوى :

بدأ الأستاذ محرر « شموع تحترق » كلمته فى جريدة المصرى بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٥٢ بقوله :

« قرأت فى كتب الحديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم مر فى طريقه بمعلم يقسو على تلاميذه فقال له : رفقا أنجشة بالقوارير » أو شيئا حول هذا

والقوارير هم فلذات أكبادنا من صغار النشء رقاق النفس دقاق المظم صغار الأحلام لا يحسنون التقدير ولا يجيدون التدبير ... »

وحرصا على قداسة الحديث النبوى الشريف يطيب لى أن أذكر أصل الحديث ليظهر المعنى واضحا كما أراده الرسول الكريم

روى البخارى عن أنس قال : كانت أم سليم فى الثقل وأنجشة غلام النبى عليه السلام يسوق بهن ، فقال النبى عليه السلام : يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير »

وكنى الرسول الطاهر عن النساء بالقوارير من الزجاج لضعف بنيتهن ورقتهن . والمراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت فى المشى واشتدت فأزعجت الراكب ولم يؤمن على النساء من السقوط ، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بهن ما لم تفده الحقيقة لو قال ارفق بالنساء يا أنجشة . فانظر يا أخى إلى بلاغة الرسول الأديب الأعظم عليه أفضل الصلاة !

ومن ذلك يتضح أن أنجشة ليس بمعلم يقسو على تلاميذه كما قال الأستاذ المحرر ، وإنما كان حاديا وراء الإبل وهى من عادات العرب تؤدى بأصوات طيبة وألحان رائعة !

ولعل الأستاذ رأى فى رحلاته أو فى قريته حاديا من الجمالين يحدو وراء إبله بغنوة جميلة متى كان فى صوته رخامة ليقطع الطريق فى راحة ويسر !

شطانوف محمد منصور خضر

جمع ظفر

جاء فى المقال القيم الذى دبجته براعة الأستاذ الفاضل أحمد قاسم أحمد فى عدد الرسالة الماضى بعنوان « الشعب المقلم » هذا التعبير « نشأ جيلا له الأصابع وليست له الأظافر » وقد لفت نظرى جمعه لكلمة « ظفر » على « أظافر » مع أن الذى أعلمه من كتب اللغة أن الجمع الصحيح هو أظفار جمع ظفر وأظافير جمع أظفور ولا شىء سواهما ، وهذان الجمعان وحدهما هما اللذان وردا فى الصحاح للجوهرى وفى القاموس المحيط للفيروزابادى ، فهل لدى الأستاذ الفاضل دليل آخر من كتب اللغة يثبت صحة هذا الجمع أم أنه سها عن الجمع الصحيح واطمأن إلى الخطأ الشائع ؟ إن كانت الأولى فإننى أرجوه — شاكرا له الفضل — أن يتكرم فيدلنا على المرجع الذى منه استقاه ؛ وإن كانت الثانية فلا ضير عليه ، فإنها كبوة الجواد ، وله الفضل على كل حال

عبد المؤمن محمد النقاشى

آداب النفر

فى البريد الأدبى بالعدد ٩٦٧ من الرسالة الغراء تعقيب للأديب الفاضل صلاح الدين حسن على ما ورد فى مقال « القوة فى نظر الإسلام » للأستاذ كامل السوافيرى ، المنشور فى

العدد ٩٦٥ من الرسالة .. فحمل عليه لأنه حرف الآيات الكريمة التي استشهد بها .

١ – قال الأديب الفاضل : إن آية البقرة هي .. كتب عليكم القتال .. الخ » بدون « يا أيها الذين آمنوا . وهذا صحيح .. ومع ذلك فالكاتب لا يستحق كل هذا اللوم «المؤدب» الذى ختم به الأديب تعقيبه ؛ لأنه من المعلوم أن سورة البقرة مدنية ، وتوجيه الخطاب للذين آمنوا من سمات السور المدنية . وشىء آخر هو أن هذه السورة ورد فيها ما يدعو إلى التشابه والتداعي من مثل : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص . الآية ، يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام.. الخ والقرآن غالب لا يغلب

٢ – ذكر الأديب أن الكاتب « استشهد بالآية ٢٨ من سورة محمد . وصحتها محمد رسول الله والذين آمنوا .. الخ » . وإذا كان الكاتب قد أخطأ مرة واحدة ،فقد أخطأ المعقب.. الحصيف مرتين .

أولا : — أن الصواب هو : « محمد رسول الله والذين معه أشداء .. الخ »

ثانيا :— أن الآية ليست من سورة « محمد » وإنما هى خاتمة سورة الفتح !

ويبقى بعد ذلك الفرق بين من لم يستمن بالمصحف فأخطأ ، وبين من استعان بالمصحف وخطأ ، فأخطأ .. !

وأما اللوم والتأنيب الذى أفاض فيه المصحح فنتركه ، آملين أن يحاسب نفسه ، قبل أن يحاسب الناس ، وأن يستعين بالمصحف لينقل إلينا الآيات لا زيادة فيها ولا نقصان كما وردت فى كتاب الله » .. كما يقول .. !

محمد فوزى العنتيل

عزل بضم فسكون :

تتردد على الألسنة فى هذه الأيام ، وحتى من رجال الإذاعة المثقفين ثقافة عالية عبارة « اعتدى البريطانيون على العزل الآمنين » فينطقون العزل بتشديد الزاى ؛ وهو مخالف للصواب وللأساليب العربية الصحيحة . وبالرجوع إلى قواعد اللغة نراها تقول :

إن أفعل فعلاء ومؤنثه يجمع على فعل بضم الفاء وتسكين العين ، مثل حمر — بضم فسكون — جمع أحمر حمراء ، ونقول رجل أعزل ، ومرأة عزلاء ، وهؤلاء الرجال عزل بتسكين الزاى — والنساء عزل كذلك . فالواجب إذن أن ننطق العبارة نطقا سليما صحيحا هكذا .. اعتدى البريطانيون على العزل — باسكان الزاى — الآمنين »

محمد عبد المنعم أبو سيف

رسالة

أستـــاذنا محرر الرساله
أرجوك نشر هـــذه المقاله
لمجد شعب يأخذ استقلاله
بالعزم والقوة والبساله
مناضـــل مستعذب نضاله
وثائر محطم أغـــلاله
مستضحك الموت إن بداله
والموت فى الحق هـــو النباله

يا حبـــذا

(مهداة إلى الكاتب الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي)

يا حبـــذا هـــذا الجها د ، وقل معى يا حبـــذا
قد قالهـا شعب إذا ما قال قولا نفـــذا
شـــعب عليه كل شعـ ب فى الوجود تتلمـــذا
شعب سمت آثاره وعلى الخلود استحوذا
يحمى الحقيقة كلمـــا لج الزمان وشعوذا
ويرى الكرامة أن يمو ت مناضـــلا مستنقذا
فشعاره : لا يسلم الشـــرف الرفيع من الأذى

الزقازيق توفيق عوضى



الجنية العاشقة

للكاتب الفرنسي اميل زولا

أرهفي أذنك يا نينون ! إن مطر ديسمبر يلطم الزجاج ، والهواء يرسل أنينه ، ويردد شكواه .. إنها أمسية من الأماسي الباردة ، التي يقضقض البائس فيها من القر ، أمام قصر الغني الغـارق في اللذائذ تحت توهج الذهب ! ... إخلعي حذاءك هناك ... وضعي حليتك الثمينة هنا .. وتعالي إلى أحضاني ، فسأروي لك قصة من أروع قصص الجان

نينون ! هناك على ذروة الجبل قصر عتيق ساد الظلام فيه وجثم الحزن فوقه .. ما ترين إلا أبراجا صاعدة نحـو السماء ، وأسـوارا منيعة شماء ، وجسورا متحركة جهزت بالسلاسـل ؛ وملئت برجال أولي بأس شديد ، لبوسهم الحديد ، يسهرون الليل والنهار على الشرفات ، ولا يجدون راحة أو سلوة إلا بجانب سيد الحصن الجبار ، الـكونت أنكيران

لو كنت رأيت ذلك الـكونت يا نينون ، وهـو يتنزه في مماشي القصر الضيقة ، وسمعت قرقمة صوته ينذر بالوعيد ، إذن لأصابك الجزع ، واضطربت كما تضطرب أوديت ابنة أخيه .؛ تلك الحسناء الرعيب التي تفتحت أنوثتها بين فرسان قساة ، كما تتفتح زهرة الأقاح ، إذا تنفس الصبح ، تحت قبلات الشمس الضحوك بين أشواك الجبال

كانت وهي طفلة، إذا أبصرت عمها الشيخ ، وقد ضمت إلى صدرها الدمى زرت[1] عيناهـا وهبت مذعورة . تذرف الدمع . أما الآن فهي في ربيع الحياة . إن ثديها يافتاي يئنان الشكوى ويرسلان الآهات . وما يزال الخوف يستولي على نفسها كلما طلع أمامها هذا المحارب القديم ...

وكانت تأتي إلى برج بعيد، تتلهى فيه بحياكة أعلام ورايات فإذا أعياها هذا العمل الموئس لجأت إلى الله تبثه حزنها وتدعوه، أو قلبت طرفها في السماء الضاحكة وسرحت بصرها في المروج الحادرة ... وكم من المرات ، يانينون ، كانت تقوم من مهجعها وقد سجا الليـل وهف النسيم لتنظر إلى النجوم ... وكم من المرات كان قلبها يخفق لهـذا المشهد الساحر ، ويحن إلى تلك الروح المتواثبة نحو الأفق البعيـد ، ثم تسائل الـكون؛ كب عن ذاك الشيء الذي يتلاعب بروحها ويثير شجونها ...

ودت بعد تلك الليالي التي سـاهرت فيها النجم وبعد ذلك الحنين اللاهف للحب لو أنها ضربت يوما عنق هـذا الفارس الهرم فوقصتها[2] ولـكن ، وا أسفـاه ! ما كان لها حول ولا قوة ... إن كلامه جاف يرعب ، وإن نظراته جامدة تفزع ... فكانت تأخذ الإبرة مضطربة الحواس واجفة القلب وتعود إلى وشيها الشاق !

إنك تأسفين ، يانينون ، لتلك الحسناء ، إنها كالزهرة الريانة ذات العبير الطيب والأريج الشذي التي يصدف النـاس عن رائحتها ويلهون عن جمالها ... !

كانت ترنو يوما بعينين حالمتين إلى قريتين تربدان الهرب من الحصن ، فسمعت صوتا عذبا يتعالى عنـد باب القصر ، فانحنت من الـكوة ، وإذا شـاب حلو القسمات وسيم المنظر ، تأنس العين لمرآه ، يطلب المبيت ، مرسلا أنشودة بصوت رخيم ما فهمت لها معنى ولـكن خفق لهـا قلبها . ورأرأ الدمع في عينيها ، ثم فاض ... فسـاقطت درا من نرجس ، وبللت غصنا من المارجولين[3] كان بين يديها ..

في سنة ١٨٦٤ كتب أميل زولا أقاصيص رائعة صدرت تحت عنوان « أقاصيص إلى نينون » صور الـكاتب فيها صفحة من صحائف صباه ، إذ كان في البروفانس إلى جانب فتاته نينون ينشد السعادة ويتـذوق اللذة ، وذكر كيف كان يقص عليها ، كل يوم ، فوق الهضاب ، وبالقرب من الينبوع ، وبجانب الموقد ، أقاصيص طريفة : وهي ذكرى لشباب ذابل وحب خالد

وزولا من أكبر الـكتاب الذين عرفتهم فرنسا في القرن الماضي ، وكان مفتنا ، إذا قرأت كتاباته وجدتها تفيض بالحياة وتتدفق بالشعر ، وقد كان يميل إلى الابداعيين ، ويحذو حذوهم ؛ وألف قصصا كثيرة ، يظهر لك من خلالها أسلوبه المشرق ، الذي جمع بين سحر الفن وجمال التصوير

(١) يقال زرت عينه إذا توقدت من خوف أوغيره

(٢) وقصتها أي كسرتها يقال وقص الرجل إذا دقت عنقه

(٣) السمسق ، وهو نبات طيب الرائحة له أزهار كأزهار الياسمين ..

وساد سكون عميق، وبقيت الأبواب مغلقة. ونادى فارس من أعلى الأبراج قائلا.

إذهب وشأنك أيها الغريب، فليس هنا سوى فرسان محاربين..

وهم الطارق أن يذهب. ولكن أوديت، التي علق بصرها به، فما يطرف أو يتحول، تركت الغصن رطبا بالدمع، يفلت منها، ليقع تحت أقدامه ورفع الشاب رأسه، فإذا وجه مصبوح يطل عليه... والتقط الغصن ليشبعه لثما وتقبيلا. ثم ابتعد عن القصر، وهو ينظر كل لحظة إلى الفتاة

فلما غيبه الطريق المنحدر قامت أوديت تدعو الله وتصلى له؛ ثم شكرت للسماء وأحست السعادة فرقصت فرحا، وهى لا تدرى لكل ذلك سببا..!

فلما كان الفسق جلست إلى رابة تصلحها، وهى تفكر فى ذلك الفتى، ثم داعب النعاس أجفانها فأذبلها وارتمت على فراشها... واستسلمت لنوم غرق مضطرب، ورأت حلما... إنه حلم ساحر يا نينون! خيل إليها أنها ترى غصن المارجولين الذى أفلت من يدها، وإذا بجنية، ما رأت العين أجمل منها تخرج من زهرة تتفتح بين أوراق الغصن المرتمشة. ولها أجنحة من اللهب، وتاج من الأزهار، تتدثر برداء أزرق، لونه رمز الأمل، وتناديها بصوت حلو النبرات:

أوديت! أنا الجنية العاشقة! أنا التى أرسلت إليك لويس هذا الصباح ذاك الفتى ذا الصوت الحنون... أنا التى، وقد رأيتك تذرفين الدمع، جئت لأجففه.. أضرب فى الأرض، وأؤلف بين قلوب العاشقين.! ... أزور الكوخ، كما أزور القصر، وأجمع عصا الراعى إلى صولجان الملك. أنا التى أزرع الورد تحت أقدام المحبين..! ثم أربط بينهم بيدين تختلج القلوب لهم فرحا. أعيش بين الأعشاب، وفى جذوة الوقد المتأكلة، وتحت رفارف أسرة الأزواج..! وحيث أضع قدمى فهناك يقوم حديث الغزل، ويكون همس القبل! لا تبكى أوديت، فقد أتيت لأجفف دموعك...

وعادت الجنية إلى الزهرة التى خرجت منها، واختفت هناك..

أنت تعرفين يا نينون أن جنيتنا فى الوجود.. انظرى إليها ترقص فى الوقد، وتأتى لمن لا يفكر بها

واستيقظت أوديت وأشعة الشمس تنير غرفتها والعصافير تصدح بالأغانى والنسيم الصافى يداعب شعرها المقدود الأشقر، وقد حمل عبير القبلة الأولى التى سرقتها من الأزهار على عجل فنهضت والنفس مفعمة بالفرح، وقضت يومهـا تغنى تارة وتنفض(٤) الحقول أخرى، وترسل ابتسامة رقيقة لكل عصفور يحلق، والأمانى تغريها فتقفز هنا وترقص هناك، ثم تضرب كفيها الصغيرتين بعضهما إلى بعض بقوة وسرور...

فلما كان الطفل تركت مخدعها، وهبطت إلى ردهة القصر الكبرى فوجدت فارسا يصغى إلى حديث عمها الكونت، فعمدت إلى مغزلها وانتبذت مكانا إلى جانب الوقد تسمع إلى صر صر يغنى

ونظرت إلى الشاب، فإذا غصن المارجولين بين يديه، يا لله! إنه لوئيس... وعلت وجنتيها حمرة ونضرة، وكادت ترسل صرخة تدوى فى فضاء الردهة، ولكنها انحنت على الوقد تؤرث النار فيسمع لها حسيس كأنه بث الأحزان، ويتمايل اللهب، ويفور الوقد، وتهيج النار. وفجأة ينبجس من الوقد نور شديد وتظهر الجنية العاشقة، وقد افتر منها الثغر، ومال منها الجيد... فتجمع ثوبها الأزرق بين يديها، وتنطلق فى الغرفة دون أن يراها أحد إلا أوديت...

أما الكونت فكان مسترسلا فى حديثه يقص نبأ معركة هائلة وقعت مع الكفار، ويقول:

—... فتحابوا يا أولادى.. ودعوا أشباح الشيخوخة الزاهدة. أبقوا لها الأقاصيص بجانب النار المشتعلة، ولا تجمعوا الآن إلى زفير النار سوى وسوسة القبل..! سيكون لكم يا أولادى من ذكرى هذه الساعات التى ذقتم بها اللذة ما يخفف أحزانكم وهمومكم فيما بعد... والمرء عندما يحب وهو فى السادسة عشرة من عمره، فالكلام لا يجديه آنئذ نفعا. إن نظرة واحدة خير من خطاب طويل. تحابوا يا أولادى واتركوا الشيخوخة تتكلم...

وأظلت الجنية العاشقين بأجنحتها، فغدا الكونت لا يرى لويس الحبيب، وهو يطبع قبلته الأولى على جبين أوديت الحبيبة

(٤) تفض الرجل المكان: إذا نظر اليه ليرى كل ما فيه

المرتعشة !

نينون ! يجب أن أتكلم لك على أجنحة جنيتي .. لقد كانت شفافة كالبلور ، دقيقة كأجنحة الذباب ، ولكنها أيضا كانت تنقلب إلى ظلام دامس كثيف فلا يتجاوزهـا عندئذ رنين القبلات ووجيب الأفئدة ... ليكون العاشقان بنجوة من العيون ! وهكذا ... وبينما الشيخ غارق في حديثه عن معركة المؤمنين والكفار ، كانت معركة القبل قائمة بين لوئيس وأوديت ... !

لقد حضن الجسم الريان ، وقبل الخد الأسيل ، ودغدغ النهد الناعم ، وتمتم بالطرف الوسنان ... والشيخ في حديثه غارق مسترسل ... !

ليت شعري ما تلك الأجنحة ... ؟ إن الفتيات ليجدنهن أحيانا — كما قيل — فيأمن شر الأبوين ويتمتعن بالحبيب ، أحقا ما يقال يانينون ... !

واختفت الجنية العاشقة ، وقد أنهى الكونت قصته ، وذهب لوئيس شاكرا لمضيفة الكونت... ونامت الفتاة تحفها السعادة ، والأماني حولها حوم ترفرف ، والعين قريرة والبال هادئ

أما هذه الليلة ، فقد رأت جبالا كلها أزاهير ، زينت بألوف من الكواكب المصابيح نور كل منهـا أشد وضاءة من نور الشمس ....

وأصبح الغد ، فلما متع النهار نزلت إلى حديقة القصر والتقت ثم بفارس حياها فردت له التحية، ولما ابتعد عنها نظرت إليه ، فإذا غصن المارجولين معه رطب بالدمع . وها هي ذي أوديت تلتقي بالحبيب مرة أخرى ... لقد عاد إلى القصر بعد أن تنكر بزي فارس . أواه يانينون ! لشد ما يكون السرور عظيما عندما تلتقي الحبيبة بفتاها في وضح النهار ... !

وأجلسها على مقعد مخضوضر من العشب تحت ظلال السنديان ، واللسان صامت والعقل شارد ، وراحت العيون تتناجى ... والأفئدة تصغي ...

لن أقول لك يافتاتي ما تحدثت به شجرات السنديان عندما رأت الحبيبين . إن في سماع الحبيبة وهي بين يدي الحبيب لذة ، لقد جاءت الطير كلها تستمع إلى لحن الحب ، وتبني أعشاشها فوق تلك الشجرات ...

وسمعت الفتاة على حين بغتة وقع أقدام الكونت وهو يمشي في الممر الطويل . . فأصابتها الرجفة وانتظرت شرا مستطيرا . . ولكن .. إن الينبوع لايزال يرسل خريره الحلو الشجي ، وها هي ذي جنيتنا الحسناء تأتي فتظلل العاشقين بأجنحتها والهواء رخي ، ويختفيان عن الأبصار ، ويعاودان حديث القبلات . . ويقترب الكونت ، فيأخذه العجب ! إنه ليسمع أصواتا ولا يرى أناسا !

وانبرت الجنية الحسناء تقول :

— أنا حامية الحب ، أضرب على بصر من لا يحب غشاوة فما يسمع أو يرى ! لا تخافا بعد اليوم أمرا ، أيها العاشقان الجيلان .. بل أجيبا داعي الحب في وضح النهار ، والجو صاف وفي الليل والنسيم يرف ، وبجانب الينابيع والأوراق تحف . أرسلني الرب لأصرف عنكم أذى الرجال ، هؤلاء الساخرين من كل فضيلة ، وحباني بأجنحة من الحب وقال : «اذهبي ولتتحاب القلوب ! فيا بشركم .. إني هنا أحمي الحب وأرعاه ...

ثم ذهبت تلتقط الندى غذاءها الوحيد تاركة وراءها الحبيبين ، وقد علق فم بفم ، واشتبكت كف بكف ..

وبقيا حتى الليل ؛ فلما دنت ساعة الفراق ظهر الأسى في نظراتهما، فأسرت الجنية اليهما بقول يخيل أنه راقهما ، فانبسطت أسارير وجهيهما إذ سمعاه . ثم رجواها شيئا . فأخرجت قضيبا معها ، ولمست به جبيني العاشقين

وفجأة ... أوه ! يا نينون . ما لك دهشت

هكذا . انتظري سأتم قصتي . . وفجأة انقلب لوئيس مع أوديت إلى غصنين من أغصان المارجولين ! نعم من المارجولين الغض الزاهي . نبتا جنبا إلى جنب ، ولامست أوراق الأول أوراق الثاني ، واشتبكا . هنا يا فتاتي . تتفتح أزهار لن عـد الذبول اليها يده ، بل تبقى .. ويبقى أريجها متضوعا إلى الأبد

والآن يا نينون ، عندما نعود عند المروج الخضراء سنبحث عن أغصـان المارجولين ونسألهـا في أية الزهرات تختبئ الجنية الحسناء . إن لقصتي يا صديقتي مغزى ، وما كنت لأقصها عليك إلا لأنسيك مطر ديسمبر الذي يلطم الزجاج وأبعث فيك هذا المساء شيئا من الحب ... يحوى ... أنا !

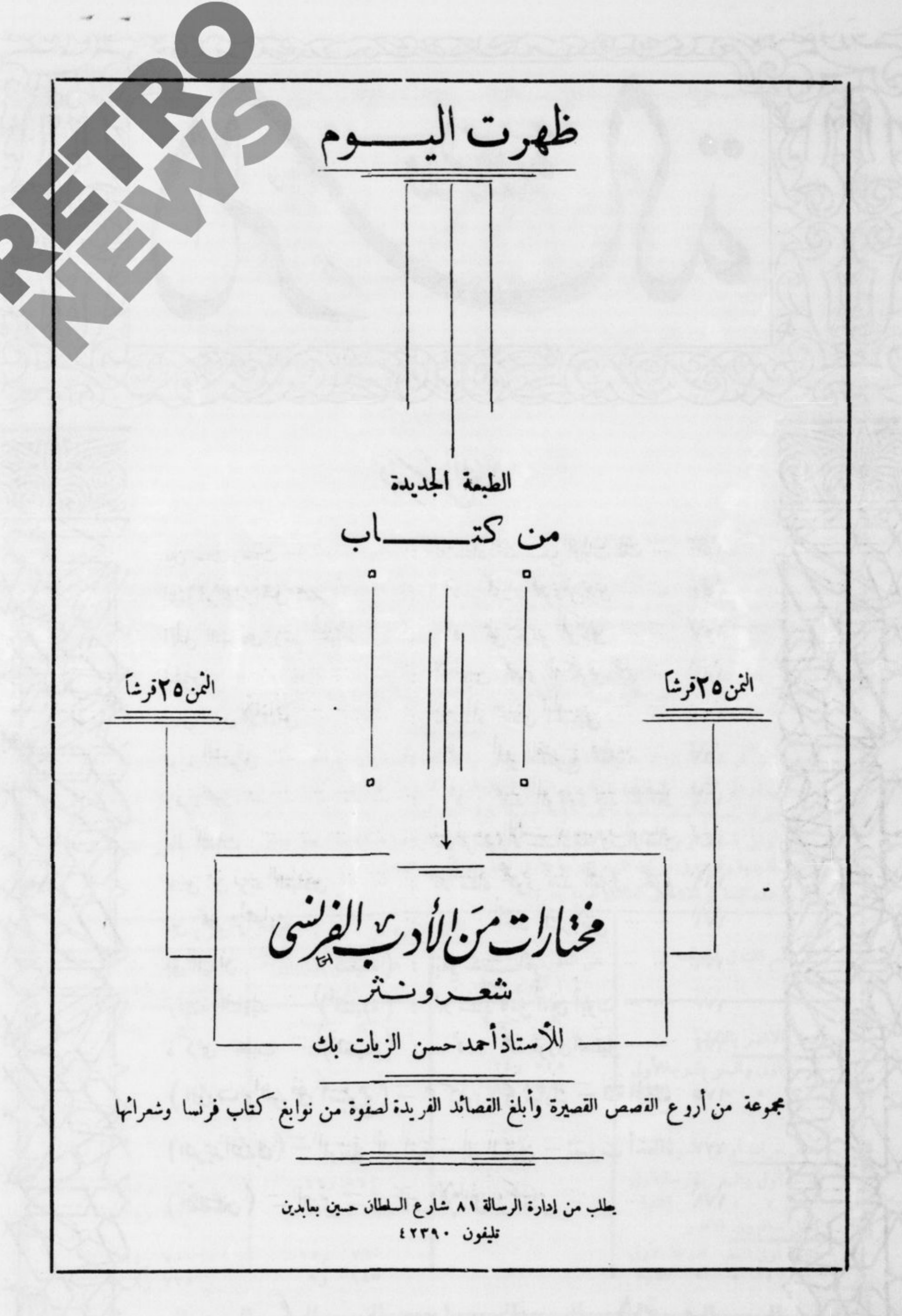
ص . م

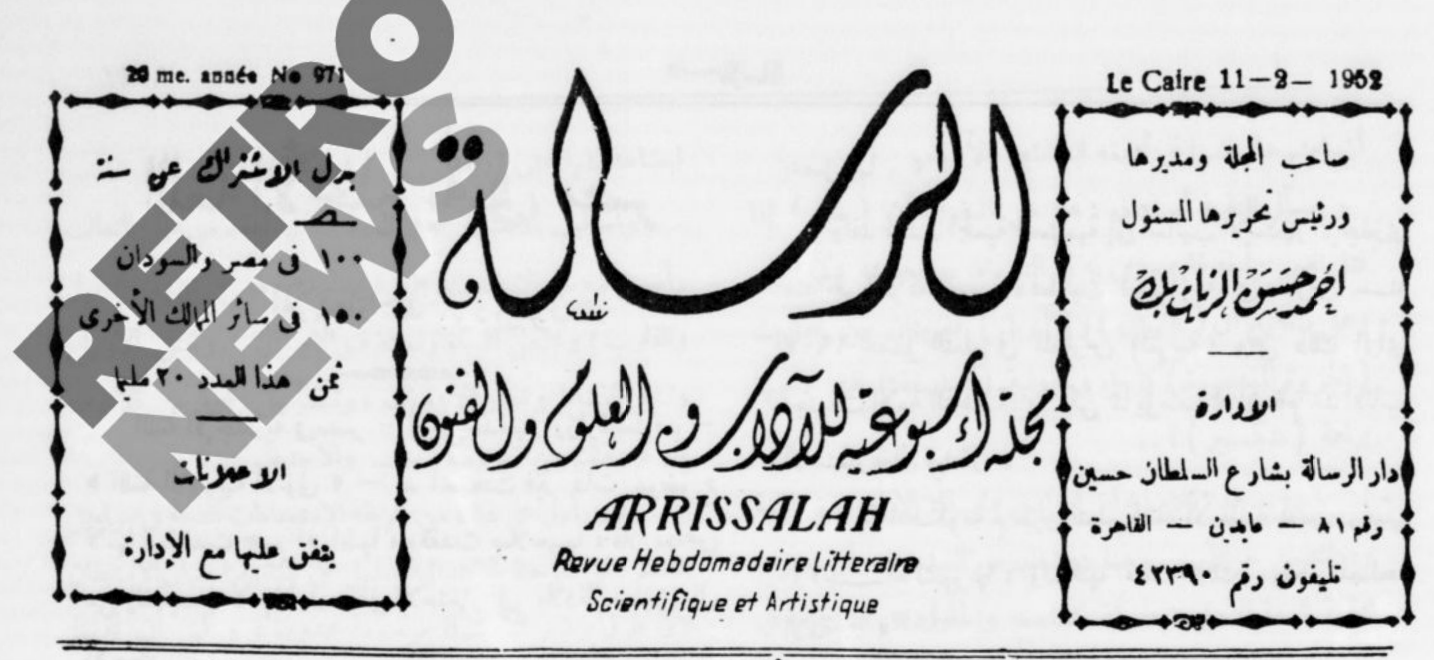




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


ظهرت اليـــوم
الطبعة الجديدة
من كتـــــاب
الثمن ٢٥ قرشاً
الثمن ٢٥ قرشاً
مختارات من الأدب الفرنسي
شعر ونثر
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد الفريدة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها
يطلب من إدارة الرسالة ٨١ شارع السلطان حسين بعابدين
تليفون ٤٢٣٩٠



العدد ٩٧١ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ١١ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

بين سبت وسبت

قال بعضنا لبعض بعد يوم السبت الذى خرّب العامر وقوض السامر وأطفأ المضىء : ليس لنا من سبيل إلا أن نلوذ بالريف ريثما تعيد الوزارة الجديدة الأمن إلى النفوس والأنس إلى العاصمة

وفى صباح يوم السبت الذى وليه كنا فى الطريق إلى القرية ؛ وكان الجو سافرا والنسيم فاترا والحقول بهيجة ؛ ولكننا لم نكد نقطع بعض الطريق حتى برد الهواء وأضبت السماء وانهمل المطر . وظل انهمال المطر أربع ساعات متواليات ترك بعدها الطريق ترعة متصلة الماء بالسماء تجرى فيها السيارة كما يجرى الزورق البخارى فى النهر . ثم كانت عاقبة هذا الغيث المتون أن تخلص الجو من الغبار ، وتطهر الشجر من الأقذار ، وتألقت القرى والحقول بالجمال والنضرة . فقلنا : يا لله ! ما أبعد الفرق بين سبت وسبت ! ذلك سبت كان فيه النار والدمار واليأس نهاية مرحلة ، وهذا سبت كان فيه الماء والنماء والأمل بداية مرحلة !

ودخلنا القرية والتأم شمل الأهل وانتظم عقد المجلس ، وأقبل شيوخ الفلاحين ممن يقرأون الصحف أو يسمعون الإذاعة يتناقلون أحاديث القنال وأحداث القاهرة وتغيير الوزارة . وقد لاحظت من مناقلة الرأى أن القرويين لم يعودوا يزنون أعمال الحاكمين بميزان المواد الحسية كتخفيض (المال) وإسقاط (الخفر) ورفع (السخرة) ؛ وإنما أصبحوا يزنونها بميزان المعانى الكريمة كالدراية الواسعة ، والكفاية الممتازة ، والسياسة الرشيدة ، والإرادة القوية ، والإدارة النزيهة ، والنيابة الشريفة . وهذا الفضل كله إنما كانوا يعتقدونه فى وزيرين اثنين كانت صلتهما بالجمهور صلة معنوية تتمثل فى تعليم الشعب واستقلال الوطن ، هما طه حسين وصلاح الدين ! فإذا أسف الناس على أحد من أعضاء الوزارة المقالة من الحكم فإنما يأسفون على هذين الرجلين اللذين سمَوا بالمنصب على الشهوات ، وربأ بالحكم عن الشبهات ، وكانا للأمة بين ذوى الآراء الرجحة والأهواء العابثة ، العوض من الخسارة والعزاء عن المصيبة . فلو أنهما خرجا على نظام الحزبية ودخلا فى الوزارة الطاهرة لكانت الوزارة الجديدة فوزا كاملا وفرحة خالصة

أما رأيهم فى على ماهر فهو رأى الفريق فى مِنطقة النجاة ! لم يعرفوا عنه إلا أنه عدو الإنجليز وعدو الفوضى وعدو المحاباة وعدو الروتين وعدو التلكؤ ، فهو رجل الساعة وبطل الموقف . هو رجل الساعة لأن الحرج الخارجى الذى دُفعنا إليه يحتاج إلى حزمه . وهو بطل الموقف لأن المرج الداخلى الذى وقعنا فيه يفتقر إلى عزمه . وهو فوق أولئك كله صديق العامل وصديق الصانع وصديق الفلاح وصديق الفقير ورئيس (جبهة مصر)

ذلك مجمل الرأى القروى فى سياسة الوقت وساسته ؛ وهو رأيى ، ولعله رأى جميع الناس

ريف المنصورة — احمد حسن الزيات

اللغة الأنجليزية في مصر

للأستاذ محمد محمود زيتون

اللغة الإنجليزية في مصر – أو على حد تعبير وزارة المعارف – « اللغة الأوربية الأولى » – قد أصبحت غير ذات موضوع لأنها استنفدت جميع أغراضها ، وفقدت صلاحيتها ، فلا مناص من إلغائها ، لأنها أول معقل للاستعمار في بلادنا سبق إلى الانهيار

وإذا كانت الظروف اليوم قد أتاحت لقادة الرأي في مصر أن تعمل جاهدة على المطالبة بالغاء وتحرير العقلية المصرية منها على أثر إلغاء معاهدة الذل والاحتلال ، واتفاقيتى القهر والاستعمار ، فإن لصاحب هذا القلم شرف السبق إلى الكتابة في هذا الموضوع في وقت كان الجهر فيه بهذا يعد ضربا من المجازفة

وكان ذلك في ٣ يوليو سنة ١٩٤٨ يوم كانت جريدة « الإخوان المسلمون » اليومية ترفع لواء الحرية ، في هذا المعترك الصاخب من الأفكار ، قلت يومئذ بالحرف الواحد :

« إن هذه اللغة قد دخلت مصر وستخرج منها وكأن لم تكن ، لأنها لم تهدف إلى التثقيف وتبادل روائع الأفكار وبدائع العرفان وإنما كان هدفها الحقيقي هو إشاعة الذعر والخوف والفزع والهلع والذل والانكسار إلى غير ذلك من مترادفات « تحطيم الأعصاب » في بلد لا يزال بخير وعافية كمصر

ونظرا لما حق لدينا من دراسة العلوم الاجتماعية ومن بينها « علم اللغة » وما لكل من تطورات وانحرافات ولهجات تبنت قوانينها الصارمة ، فإننا بالقياس إلى هذه القوانين نرى أن اللغة الإنجليزية قد أريد بها أن تشذ شذوذ أهلها عن قوانين اللغة فلبست مسوح العلماء وقفافيز الساسة ، « إمعانا في إحكام القيود والأغلال على الشعوب المستضعفة جميعا وفي آن واحد ، وتسويدا للهمجية في بعضها على المدنية في البعض الآخر ، فقد ظلت هذه اللغة تدرس في مصر أكثر من نصف قرن منذ بدء الاحتلال وكانت لغة التدريس في جميع المواد ماعدا اللغة العربية وما يتصل بها . »

ولقد فطنت الجمعية العمومية إلى أساليب الاستعمار الإنجليزى منذ فجر الحركة القومية ، فطالبت الحكومة في مارس سنة ١٩٠٧ بجعل التعليم في المدارس بالعربية ، وعلى ذلك الرأى اجتمعت الأمة الناهضة؛ ولكن مما يؤسف له أن قام أحد أذناب الاستعمار فقال فيما قال :

« إن الحكومة لم تقرر التعليم باللغة الأجنبية لمحض رغبتها أو اتباعا لشهوتها ، ولكنها فعلت ذلك مراعاة لمصلحة الأمة .. » (١)

واستطرد يقول – وهو سامحه الله ممن وكل إليه زعامة هذه الأمة – « وإذا فرضنا أنه يمكننا أن نجعل التعليم من الآن باللغة العربية وشرعنا فيه فعلا فاننا نكون قد أسأنا إلى بلادنا وإلى أنفسنا إساءة كبرى لأنه لا يمكن للذين يتعلمون على هذا النحو أن يتوظفوا في الجمارك والبوسطة والمحاكم المختلطة والمصالح العديدة المختلفة التابعة للحكومة »

على أن الأمة الممثلة يومئذ في الجمعية العمومية قد خذلت هذا الاعتراض بإجماع رائع هز أركان التاريخ وتبوأ مكانة من الحركة القومية

وعلى الرغم من هذا فإن هذه اللغة الاستعمارية قد مضت في طريقها في غفلة من سدنة القومية فاعتبروها « اللغة الأجنبية الأساسية » حتى كانت سنة ١٩٣٥ حيث ابتدع « ميخائيل وست » طريقته الأمريكية اليهودية التي بها وحد النطق على أسس خاصة . وذلك لتتحقق المساواة في الاستعباد والاستذلال والاستغلال ولتكون العدالة شاملة في الظلم عملا بالقاعدة المشهورة « إذا عم الظلم كان عدلا »

وما لبث الإنجليز – بفضل هذه البدعة الأمريكية – أن تدفقوا بملايين الكتب المدرسية الإنجليزية إلى مصر والسودان وفلسطين والحبشة وجنوب أفريقية وأوغندة وكنيا وأستراليا والهند، وبذلك ألغيت كل الحواجز الجمركية أمام هذه البضاعة الإنجليزية الموحدة في هذه الأقطار ، فإذا نحن منذ ذلك التاريخ أمام تيار جارف من خرافات وأساطير وخزعبلات فرضوا علينا

(١) من عبد الرحمن الرافعي بك في كتابه « مصطفى كامل »

أن تحشرها حشراً فى أدمغة الناشئين الأبرياء

يسأل التلميذ أستاذه : هل من المعقول أن (جاك) إذا قتل الدب وأخذ قلبه ورمى به فى النار تخرج حبيبته منها ! .. وهل صحيح أن (كاليبان) و (آريل) عفريتان من عفاريت (الجزيرة المسحورة) كما جاء فى رواية (العاصفة) التى دبجتها براعة (شكسبير) ؟ ..

يابنى .. هذا كلام إنجليز ؛ وليس عليك إلا إن تتعلم اللغة ودعك من خرافاتهم . وهنا يريد المدرس الفيلسوف أن يشرح لتلميذ السنة الأولى « فلسفة التناسخ والحلول » الشائعة فى عقائد البرهمانيين والبوذيين . ولكن كيف يستطيع مدرس أن يشرح هذا اللغز الغامض لذلك الناشئ البرئ ! . . وهنا ينقضى كلاهما على حسرة ملحة ، وألم صارخ ، والأمر بينهما لله وحده

وهكذا أراد الإنجليز أن يغلفوا قلوبنا بطبقة من القطران الأسود المصنوع من خرافات الهمجية الأولى ، وبذلك تموت الروح الدينية وعقيدة التوحيد فى جوانح أبناء الأمة فيشب الواحد منهم كافراً بالله والرسل والأنبياء والملائكة واليوم الآخر ، كافراً بالمروءات والمثل العليا ومكارم الأخلاق متأثراً بدروس الكفر البواح التى يتلقاها فى مدارس الدولة

وليت هذا الناشئ المسكين يتعلم هذا الكفر فى كتاب واحد أو اثنين ، ولكن الدولة القيمة على العقل والروح والبدن تأبى إلا أن تغمر تلميذ السنة الأولى الإبتدائية بفيض من الكتب الانجليزية بعضها رئيسى والبعض الآخر إضافى

وأذكر أن الوزارة كانت توزع على تلاميذ السنة الثانية سبعة كتب إنجليزية منها ثلاثة للعمل بها فى المدرسة ، والباقى للاطلاع الخارجى بالمنزل ، ويعلم الله أن هذا الاطلاع المزعوم ما كان له من وجود إلا فى خيال « ميخائيل وست » ومن يدورون فى فلكه من صنائع الاستعمار الثقافى

والنتيجة الطبيعية أن التلميذ لم يفتح كتب (العفاريت) إلى آخر العام حتى إذا بدأت العطلة صفى حسابه مع هذه الكتب وباعها مقابل عدة أقراص من النعناع والحلوى . وأما الدولة فهى التى دفعت لتجار الكفر وسماسرة الاستعمار دماء الفلاحين ثمناً لبضاعة كلها غش وزيف

وأساليب الاستعمار — على العهد — بها أعقد من حبل الثعالب وأضيق من شراك الصيد على فريستها ، فهى تصيد العقول والقلوب ؛ وتمتص الدماء وتستنزف الأموال ، وتفتل الأوراح وتشل النشاط وتخدر الأعصاب ، وتستأصل الحمية من الأنوف إلى غير ذلك من ضروب النصب والاحتيال

وليس أدل على ذلك من طريقة الامتحانات المتبعة فى مراحل التعليم : ففى المرحلة الابتدائية يسهل على التلميذ اجتياز الامتحان لأن طرق وضع الأسئلة مرسومة محدودة ، ويكفى أن يحفظ التلميذ مفرداته المقررة عليه ، وأن يعرف كلمات الاستفهام وقواعد الزمن ليكون من الناجحين

وهذا التسهيل المفتعل ليس إلا خطة موضوعة تتبعها فى المرحلة الثانوية أسلاك شائكة وألغام فاتكة : ففى بدئها يرغم التلميذ على كتابة موضوعات إنشائية — ولم يتعلم قبلا تكوين جملة — ويرغم أيضاً على الإجابة على أسئلة الأجرومية المعقدة — وكان محظوراً عليه أن يعلم شيئاً مطلقاً من المصطلحات . فهو يتجرعها فى مدى أشهر . معدودات وتكثر ضحايا الامتحان فى بداية هذه المعركة ، وتعود أساليب الاستعمار إلى قواعدها سالمة حسب الخطة المرسومة

وإذا جاز هذه المرحلة والتحق بالجامعة ، فإن صدمة عنيفة تجبهه عندما يحاول متابعة أستاذه فى شرحه بهذه اللغة فيسقط فى يده ولا يجد ما يستعين به على الدراسة التى تخصص لها إلا بعد مشقة وعناء

مراحل كلها صخور وأشواك ملقاة فى الطريق وعلى الجانبين لتوهم الناشئ بالضعف والغباء ، وتقذف فى نفسه الرعب والذل والانكسار فتتحطم أعصابه ، ويتبلد ذهنه

وتعمد الوزارة كل سنة إلى تغيير الكتب الانجليزية التى تدرس فيها طلبة الثقافة والتوجيهية . فما الحكمة من ذلك ؟ اللهم إنه ابتزاز أموال الدولة سنوياً باسم العلم . وإلا فأى ضرر عقلى أو تربوى إذا استمر تدريس كتاب واحد بعينه لمدة سنوات ؟ وهل كتب المطالعة العربية المقررة أساءت إلى عقلية

التلميذ لمجرد استمرار تدريسها لسنوات عديدة؟

أراد المستعمرون أن يؤخروا مصر إلى عصر ما قبل التاريخ حيث الهمجية الروحية والفكرية، وهذا هو الوضع الذى جاز على مصر ولم تتنبه إلى خطورته، ولولا بقية من إيمان، وشعاع من عقل «لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا»

وفى إبان الحرب الماضية كان الأساتذة الانجليز أنفسهم رسل دعاية للاستعمار فى مصر، فهذا مستر سكيف رئيس قسم الأدب الانجليزى يبشر تلامذته من طلبة الآداب بأحسن وأروع ما كتب فى هذا الأدب قديمه وحديثه، ذلك هو «خطاب من طيار لأمه» وقد تطوع بترجمته إلى العربية سعادة هيكل باشا ونشره الاتحاد الانجليزى المصرى

وكان مقررا على طلبة التوجيهية منذ سنوات مقالات عن «مشروع بيفردج» و «والتأمين الاجتماعى» و «الخدمات العامة» ولم يتكلف أحـــد من قادة الفكر وسادة الرأى عناء الاطلاع على ما يدرس للشباب وتبيان مدى ما ترمى إليه هذه الأفكار الوافدة، ولم يعن أحدهم يوما بنقد ما يراد منه فتنتنا مما لدينا من تراث اجتماعى نستطيع به أن نجابه هـذه الأفكار السطحية وندفعها بالحق. وهل الزكاة التى افترضها الإسلام عاجزة — إذا أحسن أداؤها — عن تعديل الأوضاع الاقتصادية وكفالة الأمن والسلام

وليس غـلوا منا إذ نقول إن اللغة الإنجليزية وآدابها لا تصلح لأن تكون عاملا من عوامل التثقيف أو التهذيب فى مصر لأنها تقوم على مبادئ هـدامة نذكر منها: فرق تسد — عسكرت فتمكنت — المصلحة أولا — اعمل بما أقول لا كما أفعل — حتى أنت يابروتس —

كل ذلك وما إليه إنما ينطوى على الدس والخبث والنفاق والمادية والأنانية واللولبية الأفعوانية، وقد سبق لى أن قلت فى مقال «عصابة روتشيلد» (٢) بأن الانجـليز هم الورثة الذين تبنوا اليهودية التى فككت أوصال أوربا فى القرن الثامن عشر كما سبق أن قلت إن هذه اليهودية تتمثل فى النزعة المادية وهى

(٢) الرسالة فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠

خاصية من خصائص لغة الانجليز كما وضحنا ذلك فى مقالنا عن «اللغة والفكر (٣)» حيث يقول الانجـليز: pay attention أى ادفع انتباهـا ويقولون pay a visit أى ادفع زيارة، كأن الانتباه والزيارة نقود تدفع

ولو قدر لهـذه اللغة البقاء فى بلادنا أكثر من ذلك بهذا الوضع وبتلك المكانة فإنها تسئ إلى نفسها أكثر مما تحسن إليها، لأنها لغة أشاعت الذعر فى النفوس، وسدت مسالك التفكير، وضيقت من آفاق العقيـدة، وزعزعت من أركان الآداب السامية والأخلاق الفاضـلة، واستعبدت المدرسين حتى صاروا كالآلات الصماء حتى لقـد استعاضت عنهم بالفونوغراف

وليس أمامنا الآن إلا خطوة عملية واحـدة لرد اعتبارنا وحفظ كرامتنـا كأمة ذات سيـادة، وهذه الخطوة هى ألا نجعل لهذه اللغة فى بلادنا أكثر من الوضع الذى صارت إليه بلادها، فقد أصبحت انجلترا أفقر الدول بعد أن كانت أغناها، وأصبحت ذيلا بعد رأس، وصار لهـا فى بلادنا «سفير» بعد أن كان لها «مندوب سام» وأصبحت فى نظر العالم كله وباء، وبلاء، فلا أقل من أن تكون لغتها فى بلادنا كذلك شر بلاء وأخبث وباء

ومن العـار أن يكون عدد حصص هـذه اللغة أكثر من عدد حصص اللغة القومية. ومن العار أيضا أن نطالب بجلاء الجيوش الاستعمارية بينما أكبر أصنام الاستعمار فى مصر لا يزال حيا يعبد. ومن العار أن يتعطش شبابنا إلى معرفة مواطن البطولة فى تاريخنا المجيد، فلا يجدون ما يروى غليلهم بينما نجرعهم قصص لغة لا يستسيغون لها طعما ولا لونا ولا رائحة

ومن موجبات حمد الله وشكره أن هذه اللغة لم تتمكن من جوهر حياتنا ولم تنجح فى أن تكون لغـــة تخاطب ولا لغة كتابة ... (٤)»

هذا ما قلناه بالحرف الواحد منـذ شرعنا هذا القلم لهدم هذا الصنم الغليظ، ولعل الحكومة المجاهدة تستطيع اليوم أن ترفع

(٣) الرسالة فى ٥ زائد ١٢ يونية سنة ١٩٥٠

(٤) الإخوان المسلمون: التاريخ المذكور

بين مجزرة (دير ياسين) ومشنقة (الباب المعظم) :

الجمل اليهودي وسم الخياط

للأستاذ على حيدر الركابى

عثرت البشرية خلال تاريخها الطويل على مبادئ خلقية سامية اتفقت عليها وجعلتها معالم بارزة فى مجرى حياتها فإذا ما اقتربت منهـا أمة من الأمم وعسكت بعراها كانت فى أوج تقدمها وإذا ما أهملتها وابتعدت عنها كانت فى أسفل دركات انحطاطها لا فرق فى ذلك بين أمة شرقية أو غربية ولا بين أمة حديثة أو قديمة

وتشذ أمة يهود عن ركب البشرية فى ذلك فتقرر لنفسها مقاييس خلقية خاصة وتبالغ فى هذا التخصص حتى تحتكر الخالق ، وبهذه الطريقة اليهودية الفذة تصبح المدالة شيئا نسبيا ومثلها الصدق والشرف إلى آخر ما تضمه الأخلاق من صفات معروفة وغير محصورة

وبالاستناد إلى هـذا المذهب اليهودى الخاص فى الأخلاق ينقلب الكذب اليهودى صدقا والنذالة اليهودية شرفا والظلم اليهودى عدلا رائعا ! . . بينما ينقلب صدق غير اليهود كذبا وشرفهم نذالة وعدلهم ظلما إذا كان فى ذلك ما يمس مصلحة يهودية كبرت أو صغرت

لقد طالبوا بتقسيم فلسطين وأصروا عليه وجندوا الدنيـا لإقراره . فلما حققوه أعلنت أبواقهم فى كل مكان أنه الحل العادل الوحيد للمشكلة الفلسطينية لأنه يستند إلى حق اليهود التاريخى فى أرض الميعاد . أما أن تـكون فلسطين مأهولة بأكثرية ساحقة عربية ، أما أن تـكون هذه الأكثرية مالـكة لمعظم أراضى فلسطين منذ قرون ، فأمر لا يؤبه له وحق العرب المستند إلى تلك الأكثرية ليس بحق . لماذا ؟ لأنه ليس حقا يعود ليهودى !

وطالب العرب بتدويل القدس على الأقل ، فقامت قيامة اليهود وأرغوا وأزبدوا . لـماذا ؟ لأن أكثرية سكان القدس يهودية ، وهذه الأكثرية لا تريد تدويل القدس فيجب احترام رأى الأكثرية ..

عجيب والله أمر يهود ! تفرض إسرائيل فرضا ضد رغبة الأكثرية من السكان ثم ترفض تدويل القدس احتراما لرأى الأكثرية .. مثال رائع للعدالة النسبية التى تتعشقها يهود !

وينظم اليهود مذابح وحشية لـكى يحملوا العرب على ترك ديارهم ويعترف بذلك كبيرزعمائهم الإرهابيين ـ مناحيم بيكن ـ ويسجل اعترافه فى منشورات انـكليزية أشار فيها إلى مذبحة دير ياسين وأنه تولى بنفسه تنظيمها والإشراف عليها لـكى يضمن تحقيق التنكيل المتقن بالعرب ، ثم يزور بيكن أمريكة فيستقبل فى نيويورك ومدنها اليهودية الأخرى استقبال الأبطال الفاتحين . ويمعن اليهود فى اضطهاد العرب ومصادرة أملاكهم

معولها وتهوى به دفعة واحدة للقضاء على هـذا الخبث بعد أن فتح الله علينا وهـدانا إلى الصراط القويم بإلغائنا روابط الذل وحبائل الاحتلال . ولتكن بعد ذلك مادة اختيارية من بدئها إلى ختامها ، فن شاء دراستها فعليه أن يتخذ لنفسه الوسيلة ، ومع ذلك فالدين النصيحة ، فليعلم من لا يعلم أن هذه اللغة إنما هى لغة الأنانية بكل ماق هذه الصفة من أوضار . ألا يرى معى القارئ كيف يجعلون ضمير أنا « I » هو الضمير الوحيد الذى يكتبونه بحرف كبير ؟ فما هو السر فى هذا إن لم تكن الأنانية

ونقولها صريحة لأبناء العراق الشقيق : إننا كما يقول أمير الشعراء « كنا فى الهم شرق » ولـكننا كنا نحصى على أنفسنـا أخطاءنا ، لا نضن عليهم بالنصح لوجه الله والعروبة ، فليعملوا فورا على تخلص لهجتهم ولا فتـاتهم ومكتوباتهم من الألفاظ الانجليزية الدخيلة واستبدال الألفاظ العربية بها مثل « السائق » و « الـكوب » و « القنينـة » ولا داعى مطلقا لأن نقول driver و glass و bottle التى شـاعت فى العراق وتسئ إلى القومية العربية التى نعمل على تدعيمها وأنف المستعمرين فى الرغام

محمد محمود زيتونه

حتى بعد قيام إسرائيل . يفعلون ذلك دون تردد وبضمير هادئ لأنهم يهود وأعمالهم الوحشية موجهة ضد غير اليهود ؛ وإذن فهى فى نظرهم أعمال تمثل منتهى العدالة، وإذن فهى تمثل منتهى الأخلاق !

وينظم اليهود إرهابا يهوديا منقطع النظير خارج حدود إسرائيل : فى دولة عربية ؛ ويصبون فى هذه الدولة سيلا متدفقا من الجواسيس يتآمرون على سلامتها . وهذا عمل صالح لا غبار عليه لمجرد أنه عمل يهودى موجه ضد غير اليهود ! أما أن تفطن تلك الدولة العربية إلى نوايا اليهود نحوها ، وأما أن تقوم بإلقاء القبض على أولئك الجواسيس والإرهابيين من يهود ، وأما أن تحيلهم إلى المحاكمة العلنية ، وأما أن تصدر الهيئة القضائية المختصة حكمها بإعدام بعض وسجن بعض فهى جرأة عجيبة لا تغتفر وهى الظلم بعينه ! لماذا ؟ لأن الدولة غير يهودية والمحكمة غير يهودية والمتهمين يهود . . . وتحب أمة يهود أن تتجاهل أن التحقيق كان أصوليا وشاملا وأن المحاكمات كانت علنية وأن محامين من غير اليهود تولوا الدفاع عن المتهمين وأن الحكم صدر ببراءة بعضهم . تتجاهل أمة يهود ذلك كله وتكذب لأن كذب اليهود لمصلحة يهودية هو الصدق بعينه

هذه هى المقاييس الخلقية المقلوبة عند اليهود ! . .

من حق (موشى شاريت) أن يعلن حزنه العميق أمام زملائه أعضاء (الكنيست) اليهودى ، ومن حق هؤلاء أن يوقفوا الجلسة حدادا ، ومن حق (أوبرى إيبان) أن يمتنع عن حضور جلسات هيئة الأمم لشدة حزنه ، ومن حق (راديو إسرائيل) أن يبدل برامجه ليذيع الكئيب من موسيقاه اليهودية البغيضة : من حق أمة يهود أن تفعل هذا وأكثر لتعرب عن شعورها لإعدام يهوديين فى بغداد وسجن آخرين . ولكن ليس من حقها مطلقا أن تختلق وتتغالط وتكذب وتحتال لكى تهجم على الشرطة العراقية والقضاء العراقى والعدالة العراقية بأسرها وتوجه لها الشنيع من التهم بالبذىء من الألفاظ

عفوا ! قلت ليس من حقها ونسيت أن الحق اليهودى فى عروقها له مفهوم يهودى خاص وهو حق ثابت لأنه حق يهودى . ولهذا أعود فأقول : إن من حقها اليهودى أن تفعل ذلك وأكثر ، ومن حقها اليهودى أن تستجير بالضمير الإنسانى ليثور على حكم قانونى قضى بإعدام يهوديين ، بعد أن سخرت كل ما تملك من وسائل جهنمية لتحول دون ثورة ذلك الضمير الإنسانى بعينه ضد فظائع فلسطين ومذبحة دير ياسين !

ولا أحب أن أعتقد أن الضمير الإنسانى قد ماع إلى هذا الحد الذى يصبح معه أداة طيعة فى أيدى اليهود : يثيرونه أو يخمدونه حسب مقتضيات المصلحة اليهودية وإن كان حقا أن الضمير الإنسانى قد تدنى إلى هذا الحد فى يوم الناس هذا فلا حول لنا ولا طول إلا أن نستجير بالله من يهود !

ولكن الضمير الإنسانى فى حقيقته السامية لا يمكن أن يصبح يهوديا لأن هناك تناقضا ثابتا بين الإنسانية فى معانيها السامية وبين اليهودية . وعليه فلا بد للضمير الإنسانى من يوم قريب بإذن الله يثور فيه على اليهودية العالمية وعلى طغيانها فى هذا العصر

وما ذلك على الله بعزيز . . .

بغداد على حيدر الركابى



الخـــوف

للكاتب الفرنسي جان جاك روسو
أحد زعماء الثورة الفرنسية

للأديب محمود البكري محمد

... كنت في الريف ملقيا رحلي عند راهب بروتستانتي اسمه السيد « لامبيرسيه » ، واصطنعت من ابن عمي « برنار » صديقا لي . ولكنه كان جبانا إلى حد يثير الدهشة ، ولاسيما حين يجن الليل ! وكنت أسخر من خوفه دائما حتى ضاق « لامبيرسيه » ذرعا فأراد أن يضع شجاعتي تحت التجربة ...

وفي ليلة داجية من ليالي الخريف دفع إلي بمفتاح المعبد .. ودعاني إلى أن أذهب إلى المنبر ، لأبحث عن الإنجيل الذي كان قد تركه هناك . وحتى يثير في حب الذات أضاف كلمات لم أستطع معها أن أتراجع ...

وانطلقت بلا ضوء .. وربما كان شرا أن يكون معي .. وكان لزاما أن أمر بالمقبرة ، فعبرتها في تسرع ، لأني حين أجدني في الهواء الطلق تنطلق تهاويل الدياجي من مشاعري ...

.. وعندما كنت أعالج فتح الباب سمعت أصداء تنبعث من القبة خيل إلي أنها أصوات .. وبدأ ثباتي « الروماني » يتزعزع وانفتح الباب ، وهممت بالدخول ، ولكني لم أكد أخطو بضع خطوات حتى توقفت ، أخذت أتأمل الظلام المطبق في هذا المكان الفسيح ... ورأيتني مشدودا برعب قف منه شعري ، فعدت أدراجي ، وخرجت ألتف في خوفي . وفي الردهة بصرت بكلب صغير كان يسمى « سيلتان » . لاطفني ، فرد إلى بعض الطمأنينة ...

واستحييت من رعبي .. فعدت من جديد . وتمنيت لو صحبني « سيلتان » .. ولكنه أبى أن يتبعني !

اجتزت الباب مسرعا .. ودخلت الكنيسة .. ولم أكد أدخل حتى ملأني الفزع ، وطار صوابي ! ومع أن المنبر كان على يميني وكنت أعرف ذلك حق المعرفة ، فكنت أدور بلا وعي ، وأبحث عنه كثيرا في الشمال ، وأتخبط حائرا بين المقاعد ، وما عدت أعرف أين أنا ، وما عاد في مقدوري أن أعثر لا على المنبر ولا على الباب ، ووقعت في قلق حائر لا يصفه تعبير !

وفي النهاية لمحت الباب ، فاندفعت إليه ، ومرقت منه - كما دخلته - في سرعة ، مصمما على ألا أدخله إلا في ضوء النهار ...

ورجعت على عقبي إلى المنزل .. وهممت بالدخول ، ولكن صوت السيد « لامبيرسيه » رن في عاصفة من الضحك .. وحسبت أن هذه الضحكات مني ، وخشية أن يفتضح أمري ترددت في فتح الباب ... وفي هذه اللحظة سمعت ابنة « لامبيرسيه » تبدي قلقها علي .. وتأمر الخادمة أن تأخذ المصباح - بينما يعارض الراهب - وتصحب معها ابن عمي الشجاع ، الذي لن يقصر أحد في تهنئته بهذا الشرف !

وفي تلك اللحظة ، تلاشت كل مخاوفي ، إلا خوفي من أن أصبح مثار الدهشة من رعبي ، فجريت وطرت إلى المعبد ، لا خائفا ولا ضالا .. ووصلت إلى المنبر ، وصعدته ، وتناولت الانجيل .. ثم هبطت في سرعة ، وفي قفزات ثلاث كنت خارج المعبد الذي نسيت حتى أن أقفل بابه ، ودخلت مثواي لاهثا ، ورميت بالانجيل على المنضدة مكدودا ، إلا أنني كنت مفعم القلب بالسرور لأنني سبقت النجدة التي كانت قد أعدت للبحث عني

محمود البكري محمد

نفس كبيرة ثائرة وعقل راجح حكيم :

السيد جمال الدين الأفغاني

للأستاذ حمدى الحسينى

— ٣ —

أقام السيد جمال الدين فى الهند فترة من الزمن وضع خلالها رسالته فى الرد على الدهريين . وما أن حدثت ثورة عرابى فى مصر حتى أسرعت حكومة الهند فوضعته فى نطاق من الرقابة الشديدة خشية أن تهب نسمة من روحه القوية على تلك الحركة الثورية فتزيد فى اشتعالها وتؤجج من نيرانها فتقطع على الاستعمار الانكليزى طريقه إلى مصر واحتلال مصر . ومذ اطمأن الانكليز على خطتهم فى مصر سمحوا له بمغادرة الهند فغادرها إلى باريس حيث التقى بصديقه الأستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله فأصدرا جريدة العروة الوثقى لدعوة المسلمين إلى الوحدة الإسلامية تحت لواء الخلافة العظمى حتى اشتدت مقاومة الاستعمار الانكليزى لها فأغلق دونها أبواب الهند ومصر فتوقفت عن الصدور ، وكان قد وصل فى ذلك الوقت صدى تلك المقالات القوية التى نشرتها العروة الوثقى عن الاستعمار الانكليزى فى البلاد العربية والإسلامية إلى لندن ، وكانت حركة المهدى لا تزال فى السودان مندلعة النار فيتخذ الاستعمار الانكليزى من الحجة فى إخمادها وسيلة للسيطرة على مصر والتدخل فى شئونها . فاستدعى سالسبرى رئيس وزراء انكلترا فى ذلك الوقت السيد جمال الدين بحجة استطلاع رأيه فى المهدى وظهوره وقصده الحقيق أن يحك هذه النفس الكبيرة بما عنده من جاه وسلطان ظنا منه أن مثل هذه النفس تلين بمثل هذا الإغراء الرخيص الذى كان الاستعمار يستعين به على كم أفواه الرجال فذهب جمال الدين إلى لندن واجتمع بسالسبرى اجتماعا عرض سالسبرى فيه على السيد جمال الدين أن يعينه سلطانا على السودان ليستأصل جذور فتنة المهدى ويمهد السبيل لإصلاحات بريطانيا فيه : « تكليف غريب وسفه فى السياسة مابعده سفه » بهذا أجاب السيد جمال الدين رئيس وزراء بريطانيا العظمى ثم قال له : هل تملكون السودان حتى تريدون أن تبعثوا إليه بسلطان ؟ مصر للمصريين والسودان جزء متم لها . وصاحب الحق الخليفة الأعظم حى يرزق ولديه من الجيش المادى والمعنوى ما يتذلل معهما كل صعب وفتنة فى الكون الإسلامى وأجزاء ممالكه . قال هذا وخرج ثم عاد إلى باريز فالتقى بالفيلسوف الفرنسى — رينان — وجرى بينهما حديث فى العلم والإسلام وحقيقة القرآن والعمران (فشهد له رينان بصحة العلم وقوة الحجة ورجع عن كثير من آرائه في أن الإسلام والقرآن مانعان للحضارة والعمران

قضى السيد جمال الدين ما يزيد على الثلاث سنوات فى باريز بذل خلالها من الجهود العظيمة الموفقة فى مكافحة الاستعمار الاوربى الطامع فى البلاد العربية والإسلامية ما جعل هذا الاستعمار يشعر بالقلق والاضطراب فى حركاته وسكناته والخوف والذعر على آماله وغاياته . وبينما كان هذا النسر المحلق فى سماء مجده يهم برحلة واسعة شاملة فى البلاد العربية إذ بشاه إيران يستقدمه إلى طهران فآثر تلبية الدعوة وذهب إلى طهران فاستقبله الشاه بالإكرام والاعظام واسند إليه وزارة الحربية فى حكومته وجعله فوق مستشاره الخاص ، فحمل أعباء عمليه العظيمين فى الدولة وراح يرشد الشعب الفارسى إلى ما له من حقوق وما عليه من واجبات فالتفت حوله أمراء البلاد وعلماؤها وأقسموا له بأن يصدعوا بما يأمرهم به فأوجس الشاه خيفة فتنكر له ، فرأى أن يستأذن الشاه بمغادرة البلاد فغادرها إلى روسيا وكانت شهرته قد سبقته إليها فاستقبل فيها بالاجلال والاحترام . ودعاه القيصر واجتمع به وسمع حديثه عن أسباب الخلاف بينه وبين شاه ايران ، فقال له القيصر إنى أرى الحق فى

جانب الشاه إذ كيف يرضى ملك أن يحكم فيه فلاحو مملكته .
فقال له جمال الدين أعتقد ياجلالة القيصر إن عرش الملك إذا كانت ملايين الرعية أصدقاء له خيرا من أن تكون أعداء يترقبون الفرص ويكنون فى الصدور سموم الحقد ونيران الانتقام .
فغضب القيصر وأوعز إلى رجال بلاطه بأن يخرجوه من بلاده بأقصى حدود السرعة . فخرج منها إلى أوروبا وأخذ يتنقل فى عواصمها حتى التقى فى ميونيخ بصاحبه شاه ايران ثانية فاعتذر له الشاه عما فرط منه نحوه ، ودعاه لمرافقته إلى طهران فقبل جمال الدين الدعوة وسار معه إلى بلاد فارس . ولم تكد رجلاه تطآن أرض فارس حتى عاد الناس فالتفوا حوله كما فعلوا فى المرة الماضية وقد كلفه الشاه هذه المرة أن يضع ما يراه مناسبا للمصلحة العامة من القوانين ، فسن قانونا أساسيا للمملكة يقضى بأن تكون الحكومة ملكية شورية (دستورية) ولكن ما كاد الشاه يطلع على ذلك حتى طار صوابه. فقال للسيد جمال الدين : أيصح ياحضرة السيد أن أكون وأنا ملك ملوك الفرس كأحد أفراد الفلاحين ؛ فقال له جمال الدين اعلم ياحضرة الشاه أن تاجك وعظمة سلطانك وقوائم عرشك ستكون بالحكم الدستورى أعظم وأنفذ وأثبت مما هى الآن . فنفر منه الشاه وأعرض عنه فأحس بهذا النفور فاستأذن بالذهاب إلى بلدة (شاه عبد العظيم) فأذن له . فذهب إليها وتبعه عدد كبير من الزعماء وقادة الرأى فى البلاد فخاف الشاه عاقبة ذلك فأمر بالقبض عليه فانتزع من فراشه وهو محموم وأوصل إلى حدود العراق ، فذهب إلى البصرة وأقام فيها حتى عادت إليه صحته فغادرها إلى لندن . وهناك جاءته من عبد الحميد دعوة إلى الآستانة فذهب إليها وكان فى استقباله ياور السلطان فسأله أين الصناديق أيها السيد ؟ فقال له : ليس معى غير صناديق للثياب وصناديق للكتب . فقال الياور أين هى ؟ فقال جمال الدين أما صناديق الكتب فها هى، وأشار إلى صدره ، وأما صناديق الثياب فهذه وأشار إلى جبته . ذهب السيد جمال الدين لمقابلة السلطان فاستقبله أحسن استقبال وأرسله إلى قصر كان قد أمر باعداده له . وما أن خرج من حضرة السلطان حتى قال له كبير الياوران فى شئ من الاستغراب والعتاب : ان اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل . واليوم رأيناك تخاطبه بلهجة غريبة وأنت تلعب بالمسبحة فى حضرته . فقال له جمال الدين : سبحان الله ! أن جلالة السلطان يلعب بمقدرات الملايين من الأمة على هواه ولا يعترضه منهم أحد؛ أفلا يكون لجمال الدين حق أن يلعب بمسبحته كيف يشاء ؟ !

أما إكرام السلطان لجمال الدين واحتفاؤه به وإقباله عليه فكان عظيما جدا . وأما إعجاب جمال الدين بالسلطان فكان إعجابا آخذا عليه جوانب نفسه ؛ ولكن إعجابه هذا بالسلطان لم يمنعه من أن يقول له فى صراحة ووضوح وفى شجاعة وعزم : خذ بعزم جدك محمود ، وأقص الخائنين من خاصتك ، واظهر للملأ ظهورا يقطع من الخائنين الظهور ، واعتقد أن نعم الحارس الأجل . مما جعل السلطان يتنفس الصعداء ويعتذر له عما دعاه إليه بما فى بيئته من الفساد ، ويعده أن يفعل ما دعاه إليه فى المستقبل

قد عرض السلطان على جمال الدين مشيخة الإسلام ليصلحها فأبى ذلك وطلب من السلطان أن يعمل عملا يتغير معه شكل الحكم تغييرا أساسيا وهو يعنى بهذا الرجوع إلى الشورى فى الحكم ، كما عرض عليه أضخم الوظائف وأعلى الرتب وأسمى النياشين فرفضها كلها قائلا : إن وظيفة العالم ليست بمنصب ذى راتب بل بتصحيح الإرشاد والتعليم ، ورتبته ما يحسن من العلوم مع حسن العمل بالعلم

قضى جمال الدين فى الآستانة أربع سنين ضيفا على السلطان كان خلالها حركة خير دائمة ، بوعظه وإرشاده حتى دهمه داء السرطان فمات رحمه الله سنة ١٨٩٧ ميلادية (١)

رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات

(١) اعتمدنا فى كتابة هذا المقال على كتاب : خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسينى . تأليف محمد باشا المخزومى طبعة بيروت سنة ١٩٣١

محمد الحسينى

ثـــــورة الشرق

للاستاذ أبو الفتوح عطيفة

في مصر ثورة

وفي إيران ثورة

وفي تونس ثورة

وفي مرا كش ثورة

جميع هذه الثورات تهدف إلى غرض واحد هو تحرير الشرق من سيطرة الغرب وسيادته

فمصر قد قامت تناضل وتكافح من أجل حريتها واستقلالها ووحدة واديها ، وقد أقسم أبناؤها ألا يهدأ لهم بال ، أو يغمض لهم جفن ، إلا إذا حققوا لوطنهم أهدافه المشروعة ولن يعبأوا بما يبذلون من تضحيات ودماء

ولكن إنجلترا ترفض أن تسلم بحق مصر المشروع وبمعن جنودها في تحديهم لمصر وأبنائها ، بل أكثر من هذا لقد خرج الانجليز على كل المبادىء الإنسانية والقوانين الأخلاقية فارتكبوا من الجرائم الوحشية ما يخجل من ارتكابه أحط الشعوب وأقلها حظا من المدنية . لقد اعتدوا على الشيوخ الضعفاء في صلواتهم وهاجموا الأطفال والنساء وانتهكوا حرمات المنازل فطردوا أهلها منهم ، وشردوا عائلاتهم في الطرقات والشوارع تحت وابل من رصاص مدافعهم ودباباتهم وطائراتهم ، وارتكبوا ما لا يحصى ولا يعد من حوادث السلب والنهب . ثم عمدوا أخيرا إلى نسيان جميع القوانين الدولية ، فعذبوا الأسرى وأطلقوا عليهم الوحوش الضارية فنهشت لحومهم وهم أحياء ثم أعدموهم رميا برصاص دمدم . حتى بيوت الله من مساجد وكنائس بل والمقابر لم تسلم من عدوانهم وإجرامهم . ويدعى الانجليز بعد ذلك أنهم متحضرون على أكبر جانب من الحضارة والمدنية !

ولسنا نعرف بعد أى قانون أباح لانجلترا وأبنائها أن ينزلوا في بلاد غير بلادهم على غير إرادة أهلها وأن يقيموا كرها بغير رضى أصحاب البلاد ثم يقترفوا في هذه البلاد أشنع الإثم وأفظع الجرم إذا ما طولبوا بمغادرتها ! أهو قانون عصبة الأمم البائدة ، أم قانون هيئة الأمم المحتضرة ؟

فليمعن الانجليز في ضلالهم فإن هذا يقرب نهايتهم ويدنى أجلهم

وفي إيران ثورة على القراصنة الانجليز . لقد هال الإيرانيين ما تربحه شركة البترول الانجليزية من أموال طائلة فقد بلغت أرباح الشركة عام ١٩٥٠ ما يزيد على مائة مليون من الجنيهات ، ومن ثم قررت إيران تأميم البترول في بلادها ، وطردت الانجليز من ديارها . وطأطأت انجلترا رأسها وانسحب أبناؤها الشجعان تحت جنح الظلام من إيران . لماذا ؟ لأن انجلترا خافت أن تصبح إيران « كوريا » أخرى تأكل الانجليز الشجعان . والسر في ذلك أن روسيا جارة لإيران ، وأن إيران تستطيع في سهولة ويسر استيراد الأسلحة من روسيا ، ومن هنا جبنت إنجلترا « الشجاعة » في إيران واستأسدت في مصر . لكن أبناء النيل سيذيقون أبناء التاميز أشد ألوان العذاب والهوان

وفي الأسبوع الماضي أمرت إيران إنجلترا بإغلاق قنصلياتها في ديارها . ومرة أخرى طأطأت إنجلترا رأسها ورفعت إيران هامتها . وهكذا تقلص النفوذ البريطاني من إيران وذهب إلى غير رجعة

الضمير الأمريكي

في ١٩ يناير الماضي انتابت إنجلترا وجنودها نوبة من الجنون ، فأخذ الجنود الإنجليز يصلون مدينة الاسماعيلية نارا حامية وكانوا يطلقون نيرانهم على غير هدى وفي وحشية منقطعة النظير . وقد أصابت إحدى رصاصاتهم قلب راهبة أمريكية فخرت صريعة . وبرغم هذه الحقيقة راحت إنجلترا أكذب

أهل الأرض جميعا تذيع أن الراهبة قتلت برصاص أطلقه الفدائيون المصريون، وكانت ترمى بهذا إلى كسب عطف الرأى العام الأمريكى وإثارته ضد مصر. وإنجلترا كما عرفناها دائما لا تتعفف فى الوصول إلى غايتها عن استخدام أحط الطرق وأدنى الوسائل من كذب ونفاق وغدر وخيانة

وقد ثارت أمريكا وكلف السفير الأمريكى فى القاهرة ببحث الحقيقة، وقد قام القنصل الأمريكى ببور سعيد بعمل التحقيق وأعلن السفير أن التحقيق لم يثبت إدانة المصريين

إلى هنا انتهت مسألة الراهبة، ولكنى أحب أن أتساءل:

لقد ثار الأمريكان لمقتل راهبة واحدة فلم لا يثورون ضد انجلترا وهى تقتل وتشرد كل يوم آلاف الأبرياء من المصريين لاالذنب جنوه ولكن لأنهم آمنوا بوطنهم وطالبوا انجلترا بالخروج منه؟ أين الضمير الأمريكى؟

ولكننا قد عرفنا الأمريكان وغيرهم من أهل الغرب. ألم يشردوا مليونا من العرب وطردوهم خارج ديارهم! واليوم تشرد انجلترا سكان منطقة القنال! ولكن مهلا! إن نصر الله قريب

وتونس

فى ١٨٣٠ احتلت فرنسا الجزائر، وفى ١٨٨١ ادعت فرنسا أن القبائل التونسية تهدد سلام الحدود الجزائرية، ثم ارسلت قواتها فاحتلت تونس بعد نضال مرير، وأرغمت «الباى» على توقيع معاهدة تمهد فيها أن تسير حكومته وفقا لرغبات فرنسا، وكان معنى هذا انتقال إدارة تونس إلى يد الفرنسيين

وقد قام التونسيون منذ قليل يعلنون أنهم قد بلغوا سن الرشد وأن من حقهم أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم». ولكن فرنسا لم تقبل هذا وانطلق أبناؤها يقتلون إخواننا الأبرياء من التونسيين، وفى كل يوم يسقط منهم جرحى وشهداء

وهكذا يتآمر أهل الغرب ضد الشرق وحرياته وتقف دوله وخاصة انجلترا وفرنسا فى وجه الأمانى المشروعة لأهل الشرق، وترتكب الدولتان فى سبيل إبقاء سيادتهما أشنع الإثم وأفظع الجرم، ولكن الحركات القومية فى الشرق لن يخمد أوارها حتى يعود للشرق مجده وكرامته وحريته واستقلاله

يا بغاة الغرب

أكثروا من ظلمكم وبغيكم فإن فيهما مصرعكم، واعلموا أنكم كلما أمعنتم فى الطغيان وسفك الدماء قربتنا من حرياتنا وأهدافنا

أبو الفتوح عطيفة

---

٣ - دعوة محمد

لتوماس كارليل

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

دين القوة والعمل

لقد اتهم كثيرون الدين الإسلامي بالشهوانية والدعوة إلى الاستكانة والخلود إلى الكسل ، ولكني أرى أن كل ما كتب في هذا الموضوع وكل ما قيل فيه إنما هو جور وظلم لا يقبلها منصف ولا يقرهما عاقل ، فإن ما أباحه الإسلام مما تحرمه النصرانية، لم يكن من عند محمد وإنما كان متبعا لدى العرب جاريا عندهم من قديم الزمان . وكل ما عمله الإسلام أنه أراد أن يقلل من عادات العرب المستهجنة جهد استطاعته ، وجعل عليها من الحدود والأحكام مما جعل الدين الإسلامي ليس سهلا هينا كما يدعي أولئك الحاقدون

وكيف يكون الإسلام دينا هينا وفيه من القواعد الصعبة التي تربي المسلمين على الطاعة والنظام والنظافة والأخذ بأسباب القوة والمتعة ؟ إن دينا فيه الوضوء وإقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والصوم شهرا كاملا كل سنة ، وتحريم الخمر والميسر والزنا وأكل أموال اليتامى وغير ذلك ، لا يكون إلا دينا يعمل لخير البشرية جمعاء . وإن دخول الناس في الإسلام أفواجا ، وإقبالهم عليه، لم يكن كما يدعون ، لسهولته ويسره وقلة تكاليفه، لأنه من أفحش الطعن على بني البشر والقدح في عقولهم وذم أعمالهم ، أن يتهموا بأن السبب في محاولتهم القيام بجلائل الأعمال والاتيان بعظائم الأمور ، هو الراحة والدعة والإخلاد إلى الهدوء ، والتماس الجانب اللذيذ من الحياة الدنيا والتمتع عما في الآخرة بأيسر السبل ، فإن أي آدمي لا يخلو من المظلمة ومحاولة الوصول إلى جلائل الأعمال

فنحن نجد الرجل القاتل الذي يؤجر روحه وعينه بأبخس الأجر ، يتمسك بالشرف والرفعة ولا ينفك يقول : لأفعلن ذلك وشرف . ولن نجد آدميا مهما كان وضيعا يقبل أن يكون كل همه من الحياة ملء جوفه بالطعام ، ولكنا نجده يحاول دائما أن يأتي بأعمال شريفة يذكر بها ليثبت للناس أنه يستحق الحياة ، وأنه ليس أقل من سواه من بني البشر . وما أشد تعس الذين يرمون الإنسان بأنه ميال بفطرته إلى الراحة والدعة وأنه يحب الترف ويستكين إلى اللذة ، وفاتهم أن الذي يجذب الإنسان ويستهويه إنما هي الأهوال والصعاب والقتل والاستشهاد . ومن أراد دليلا على قولي هذا ، فليعمد إلى أبلد إنسان ويرشده إلى سبيل المكرمات والمحامد ، فإنه لا يلبث أن يراه وقد اتقدت نفسه غيرة وتأجج قلبه حماسة، بل وإنه سيصبح بطلا عظيما . وما علينا إلا أن نقدح ما بنفس المرء من زناد الفضل فإنه لابد وأن تشتعل نفسه نارا تحرق ما فيه من أوشاب ونقائص

فمن الخطأ الفاحش أن نعتقد أن اعتناق الناس لدين من الأديان ، عما يجدون فيه من يسر ودعة ومتاع ولذة ، ولكنهم يدخلونه لما يثير في قلوبهم من عوامل الشرف والعظمة ، ولما يبعث في نفوسهم من دواعي المجد والبطولة ، والإسلام على الخصوص ، ليس كما يتهمه خصومه دين راحة ودعة واستكانة ورضى بأي الحياة تكون ، ولكنه دين عزة ومنعة ودين تربية وقوة ، ودين شرف وفضيلة . وليس أدل على ذلك من سرعة انتشاره في أكثر بقاع الأرض في أقل من قرن من الزمان ، صار العرب فيه سادة العالم وأساتذته

وهذا لما للإسلام من مزايا وخلال عظيمة لا توجد — كما قلت — في دين غيره . وإن أشرف هذه المزايا وأجلها هي مساواته بين الناس ، وهذه أكبر دليل على صواب الرأي وصدق النظر فالناس في الإسلام سواء لا يفضل أحدهم غيره إلا بالتقوى والعمل النافع « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ، « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوى والعمل »

ومن خلاله الحميدة ، أنه لا يقتصر على جعل الصدقة سنة محبوبة بل جعلها فرضا على كل مسلم، وأنها إحدى قواعد الإسلام

الخمس وقرنها بالصلاة « وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » وجعلها جزءاً مقدراً من مال المسلم الذي يستطيع إخراجها ، توزع على الفقراء والمساكين وغيرهم ممن هم في حاجة إلى العون والمساعدة « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »

ما هذا ؟ إنه صوت الإنسانية الطاهرة الكبيرة . إنه نداء الرحمة والأخاء والمساواة يخرج من ذلك القلب الكبير قلب ابن الصحراء ، يحث الناس أن يواسي أغنياؤهم فقراءهم ويقول لهم إن ما ستنفقونه سيرد إليكم أضعافاً مضاعفة . « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » ، « مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل » ثم يحذرهم ويخوفهم عاقبة شحهم وكنزهم المال وعدم إنفاقه على من يستحقونه « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »

* * *

وأي دليل أقوى على تبرئة الإسلام من الميل إلى الملاذ والشهوات ، من صيام شهر كامل كل سنة تزجر فيه النفس عن مطالبها وتحبس عن غاياتها ، وتلجم فيه الشهوات ، ويحال بينها وبين مآربها ؟ وليس بالمهم أن يباشر المرء اللذات ، وإنما المنكر هو أن تذل النفس وتخضع ضارعة لجبار الشهوات وتنقاد ذليلة خانعة لرغبات الشيطان ، فإذا استطاع المرء أن يكون له على نفسه سلطان يكبح جماحها ويسلس قيادها فإنه بذلك يكون قد بلغ أشرف المكارم وأمجد الخصال . وبهذا يستطيع أن يجعل من نفسه هادياً إلى الرشاد والخير ، ومن لذائذه بدل أن تكون سلاسل وأغلالاً تعييه وترهقه ، يجعلها حلياً وزخارف تزينه وتشرفه . وهذا هو المقصود من صوم شهر رمضان كل عام . وسواء أكان مقصوداً من محمد لمسايرة ما كان عليه العرب قبل الإسلام أو كان من وحي الله له فهو والله نعم الأمر « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

القرآن

أما القرآن فهو الكتاب الذي جاء به محمد من عند ربه ، وضمنه تعاليم الإسلام وقواعده التي يجب على المسلمين اتباعها وقد ضم بين دفتيه أحكاماً لو اتبعها العالم لكان خيراً مما هو عليه الآن . وقد أعجب المسلمون به وحفظه أكثرهم عن ظهر قلب وإن . أعجابهم به وقولهم بإعجازه لأقوى دليل على اختلاف الأذواق في الأمم

وقد ادعى كثير من الأوربيين أنه كتاب خال من الجمال والروعة ، وغاب عنهم أن الترجمة هي التي تفقده روعته وتذهب بكثير من حسن صياغته وجمال صنعته . فإذا وجد الرجل غير العربي عناء ومشقة في فهمه ومعرفة أسراره وأنه يخيل إليه وهو يقرأه أنه يقرأ صحيفة لا شيء فيها ويحمل نفسه الشاق والتعب ويحمل على ذهنه جبالاً وهضاباً من الكلام لا يجد بينها كلمة لها معنى في نفسه ؛ ذلك لأنه قد ذهبت روعة المعاني وجمال الألفاظ بالترجمة التي لا يمكن أن تكون كالأصل

أما العربي فإنه يرى القرآن على عكس ما يراه غيره ؛ لأن هناك صلة قوية بين لغة القرآن وبين لغة العربي ، بل أنه نزل بها وهي اللغة الفصيحة المحببة إليه (إنا أنزلناه قرآناً عربياً غير ذي عوج) (بلسان عربي مبين) ولما بينه وبين ذوق العربي من الملاءمة والاتصال ، ولذلك عرف العرب قدره وعظموه وأعطوه من التبجيل والإحترام ، ما لم ينل بعضه الانجيل من أتقى النصارى ، بل إنهم عدوه معجزة خارقة . وكيف لا يكون كذلك وقد عجزوا وهم البلغاء والفصحاء على أن يأتوا بسورة من مثله « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صدقين »

إنه الوحي المنزل من عند الله هدى للناس وتبصرة وسراجاً منيراً يوضح لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيماً ، ومنذ أن نزل القرآن وهو قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شئون الحياة ومسائلها ، وما برح في كل زمان ومكان . مصدر أحكام القضاة ومرشدهم يستنيرون به ويهتدون بهديه ، ومن

تعظيم العرب له أنهم جعلوه درسا واجبا على كل مسلم حفظه ودرسه والاسترشاد به فى أمور الحياة ومشكلاتها . وفى البلاد الإسلامية مساجد يرتل فيها القرآن صباح مساء وفى بعضها يتلى القرآن جميعه كل يوم مرة، يقوم بهذا العمل نحو ثلاثين قارئا

إن هذا الكتاب ما يزال رغم انقضاء إثنى عشر قرنا على نزوله ، يرن صوته فى آذان آلاف من المسلمين وفى قلوبهم تتجاوب أصداؤه جنبات كثير من بقاع الأرض فى كل يوم وساعة ولحظة . وقد قيل إن بعض الفقهاء قد قرأه أكثر من سبعين مرة

وما أبعد الفرق بين القرآن والكتب الأخرى إذ أن تلك الكتب قد أصبحت كلمات لا صلة لها بالله الذى نزلها ، بعد أن شوهها أهلها بالتحريف والتزوير لتناسب أغراضهم وتقضى حوائجهم . أما القرآن الذى بقى كما هو فإنه لا يزال يتخذ المكان الأول من قلوب المسلمين ، بل إنه كثيرا ما يستولى على أفئدة السامعين من غير المسلمين ، فإن الكلام إذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان أما إذ خرج من القلب فإنه ينفذ إلى قلب سامعه ، وهذا هو حال المسلمين مع القرآن إذ أنهم يخرجونه من قلوبهم بعد أن طهرها من كل رجس ونقاها من كل غل وبغض

لقد اتهم بعض الحاقدين محمدا، بأنه هو الذى وضع القرآن، وأن القرآن ليس إلا بعض الخدع والحيل البلاغية لفقها محمد ليشغل بها الناس عما يرتكب ويلهيهم عما يقترف ولتكون له أعذاراً وذرائع ليبلغ بها ما تصبو إليه نفسه من مطامع وأهواء وغايات . وهؤلاء قد أعماهم التعصب البغيض عن التمييز بين الحق والباطل . وقد آن لنا أن نرد لهؤلاء أقوالهم فى نحورهم ، ليعلموا أنهم قصيرو النظر وأن الحق لا بد منتصر يوما وواجد أعوانا ومدافعين . إن هؤلاء شديدو البغض للحق بعيدون عن الصراحة . ولولا ما استولى على نفوس هؤلاء من حقد على محمد والإسلام لوضعوا الحق فى نصابه ولكانت الصراحة رائدهم ، فان من كان صادق الحس ثاقب النظر ، لن يرى فى القرآن ذلك الرأى الباطل الذى لا يصدر عن عاقل يقدر الأمور ويضعها فى مواضعها

إنى والله لأمقت كل من يحاول أن ينال من محمد ويرميه بمثل هذه الاتهامات والأكاذيب . فالقرآن لو تدبرتموه وعرفتموه لوجدتموه جمرات ذاكيات من الحق والصدق والخير والهدى والرشاد ... التى يحتاجها العالم وبغيرها يهوى إلى قرار سحيق . إنها جمرات قذفت بها فى نفس محمد الكبير ، القوة القاهرة ، بعد أن أذكت هذه النفس وأوقدتها الأفكار الطوال فى الخلوات الصامتات . إننا لو عرفنا سيرة محمد لوجدنا أن تدفق الحوادث وتدافع الخطوب يحول بينه وبين تنسيق الكلام والروية فى القول . ويالها من خطوب كانت تحدق به من كل جانب وتحيط به من كل مكان ، فقد قضى الثلاث والعشرين سنة التى أخذ يدعو الناس فيها إلى الإسلام قطبا لرحى حوادث ومصادمات وحروب طاحنة مع قريش ومن ألبتهم عليه من العرب ، ومصادمات مع أطراف الدول الأخرى المتاخمة لجزيرة العرب ، وغير ذلك من عالم كله هرج وفتن ومحن قاسية ، كل ذلك جعله فى عناء دائم ونصب مستمر بعد تكافيه بتبليغ الرسالة التى أوحيت إليه ، فلم تذق نفسه الراحة والهدوء من ذلك الوقت، فمن الخطل أن نقول: إنه هو الذى وضع هذا الكتاب البليغ الأسلوب المنمق العبارة ، الشامل لمسائل الحياة ، الدنيا والآخرة والذى أعجز بلغاء العرب عن الاتيان بمثله . إن من أكبر العار على العالم أن يتهم محمدا بهذا الاتهام الباطل الجائر

وإنى لأتخيل محمدا ذا الروح الوثابة والقلب الكبير وهو يتململ ليله ساهراً ، فاذا ظهرت له بارقة نور استبشر وفرح بنزول الخير من عند الله

إن هذا القلب الكبير ، محال أن يكون قلب محتال أفاك . وإن هذه النفس الصافية التى تفور بالوجد وتتأجج بالخير لا يمكن أن تكون نفس مشعوذ دجال ، كما يزعم الجهلة الأفاكون . كلا ثم كلا، فلقد كانت الحياة فى نظره حقا، وكذلك الكون فى نظره حقيقة كبرى تدل على قدر صانعها الذى أحسن كل شئ خلقه

عبد الموجود عبد الحافظ

٣ـ عالم الذباب

بقلم المرحوم الأستاذ معروف الرصافي

(تتمة)

تكلم الدكتور فى الفصل المذكور عن دوريل مكتشف البكتريوفاج . وقال إنه أثبت أن البكتريوفاج هو العامل الوحيد على إطفاء جائحات الهيضة المسماة بالهواء الأصفر أو الكوليرا ، وإنه موجود فى براز من هم فى دور النقاهة من المرض المذكور ، وإن الذباب يأخذه وينقله من براز هؤلاء ، وإنه متى ظهر وانتشر الذباب الحامل للبكتريوفاج بكثرة فى البلاد انطفأت جذوة الهواء الأصفر ، وانقطع داره بسرعة

فيفهم من هذا ، أن البكتريوفاج لا يوجد إلا فى أيام الهيضة ، لأن الذباب إنما يأخذه من براز الناقهين من هذا المرض ، فاذا انقطعت الهيضة لم يبق للبكتريوفاج وجود . ولم يذكر لنا الدكتور فى كتابه لا صراحة ولا ضمنا أن البكتريوفاج موجود فى كل براز من براز الإنسان والحيوان لأنه إذا كان موجودا فى كل براز لزم أن يكون موجودا فى الذباب دائما وأبدا فأينما وجد الذباب وجد معه البكتريوفاج وإلا فلا

ثم تكلم الدكتور فى الفصل المذكور ، فبين كيف كان دوريل يعمل على تكثير البكتريوفاج بازدراعه ، وكيف كان يداوى به المريض بمرض الهيضة ، وقال ثم أخرجت تجارب عديدة فى الهند فأتت بنتائج باهرة فيما يختص بباسيل الدوزنطاريا الحادة ، إلى أن قال فحصلوا على نتائج باهرة . وكان البكتريوفاج العامل فى شفاء الكوليرا والدوزنطاريا الحادة . وقال ثم جاءت مجلة التجارب الطبية فى عددها (٥٤) الصادر فى عام ١٩٢٧ بمقال عنوانه البكتريوفاج فى ذباب البيوت ، قالت فيه لقد أطعم الذباب الذى يألف البيوت زرع الجراثيم المرضية ، وبعد حين اختفى أثر هذه الجراثيم فى الذباب فاتت كلها وتولد فى الذباب مادة قاتلة تسمى البكتريوفاج . ويدعى الكاتب أنها خلاصة من الذباب ، ومن محلول ملحى فسيولوجى ، وأن هذه الخلاصة تحتوى على مادة البكتريوفاجين القوية المضادة لأربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض ، أو أنها تحتوى على مادة نافعة أخرى ليست من نوع البكتريوفاج ، ولكنها من حيث الجوهر تفيد الدفاع العضوى عند مقاومته أربعة أنواع من الجراثيم المرضية . هذا آخر ما قاله الدكتور فى الفصل المذكور

فيفهم من هذا فهما جليا ، أن البكتريوفاج لا يشفى من جميع الأمراض وإنما يشفى من مرض الهيضة والدوزنطاريا لأن هذين المرضين يشتركان فى أنهما اختلال فى الأمعاء . ويفهم أيضا أن البكتريوفاج لا يضاد جميع الجراثيم المضادة التى ينقل الذباب بواسطتها الأمراض إلى الناس ، وتكلم الدكتور عنها وعددها فى الفصل الثانى من رسالته ، فذكر منها السل والدراخوما والتيفوئيد والزحار والطاعون والحمرة والجمرة الخبيثة والكوليرا والجذام والتيفوس والرمد بأنواعه

وبهذا يتضح أن الذباب لا يأخذ البكتريوفاج إلا من براز الناقهين من مرض الهيضة ، وهذا لا يوجد فى كل زمان ومكان . وأما الخلاصة التى ذكرها عن مجلة التجارب الطبية والتى تحتوى على المادة البكتريوفاجية ، فالبكتريوفاج فيها حاصل بالتطعيم ولم يأخذه الذباب من الخارج ، إلا أنها تدل على أن الذباب فيه خاصية توليد المادة البكتريوفاجية المضادة لأربعة أنواع من الأمراض لا للأمراض كلها ، وهذا لا يلزم منه أن يكون الذباب مطهرا بالبكتريوفاج من جميع الأدواء ، ولا شافيا من جميع الأمراض ، كما أنه لا يستوجب غمس الذباب فى الشراب على الإطلاق . أما الحديث فانه يطلق الأمر بغمس الذباب ولم يقيده بشئ

هذا ما نستخلصه من كلام الدكتور للجواب على السؤالين المذكورين فى صدر المقال ثم نقول

إن البكتريوفاج لا يخلو من أحد أمرين ، إما أن يكون موجودا فى الذباب دائما وأبدا وشافيا من جميع الأمراض ، وإما أن لا يكون كذلك . فعلى التقدير الأول يلزم أن نتخذ الذباب فى حياتنا واقيا لنا من جميع الأمراض ، وأن نمنى كل

كل العناية بهو بتنميته وبتكثيره فى بيوتنا وألا نتحاشاه ، بل نضعه فى أطعمتنا وأشربتنا لنأمن به من عاديات الأسقام وجائحات الأمراض

وإذا كان هذا حقا فلماذا نرى الدكتور فى رسالته يصيح بالناس صيحة النذير العريان ، فيحذرهم من أخطاره وينذرهم بأضراره، ويستحثهم إلى محوه واستئصاله، كما أطال الكلام بذلك فى الباب السادس والسابع والثامن من رسالته

وأما على التقدير الثانى ، وهو أن البكتريوفاج لا يوجد فى الذباب دائما وأبدا ، وإنما يوجد فيه عند حدوث أحوال وظروف خاصة ، وأنه لا يشفى من جميع الأمراض ولا يضاد جميع الجراثيم ، وإنما يشفى من أمراض خاصة ، ويضاد أربعة من الجراثيم المضرة ، فنقول فيه إنه يلزم حينئذ أن يكون الأمر بغمس الذباب فى الشراب مقيدا بتلك الظروف والأحوال ، لا مطلقا . ولا يخفى أن الحديث الذى جعله الدكتور من معجزات الرسول يطلق الأمر بالغمس ولم يقيده بشىء ، كما أنه يخص بالشفاء أحد الجناحين دون الآخر

أما أنا فلا أشك أن الحديث موضوع لا أصل له كما ذكرت ذلك وبينته فى كتابى (الشخصية المحمدية) عند الكلام على الرواية عند العرب . ومن العبث أن نفتش عن معجزات رسول الله فى مثل هذه الأمور التى يكتشفها الناس ويصلون إلى معرفتها بالطرق العلمية والوسائط الفنية ، ولو كانت معجزة لما قدروا على اكتشافها . ولو جاز أن نثبت معجزة من هذا النوع لجاز أن نثبتها للمتنبي شاعر العرب فانه قبل عشرة قرون قال :

لعل عتبك محمود عواقبه فربما صحت الأجسام بالعلل

انتقد المتنبى على هذا وقيل له هذا من قول الطبيب أو الحكيم كما فى رسالة الحاتمى أو غيره ، فانظر اليها فقد قال هذا فى الأيام التى كان التطعيم فيها بجراثيم الأمراض غير معلوم ، وفن البكتريولوجيا غير موجود ، فأين هذا وأين المعجزات ؟

إن الله لم يرسل رسوله إلى الناس لتعليمهم العلم وإنما أرسله إليهم ليصلحهم ويأخذهم بالطاعة وبالأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، ذلك لأن السعادة الانسانية لا تتحقق إلا فى مجتمع ، وإن المجتمع لا يتم بناؤه إلا بالتعاون المخلص ، والخلق المستقيم الصادق وبالعمل الصالح كما ذهب إليه ابن رشد وغيره من فلاسفة الإسلام ، فليس غرض الشارع تلقين العلم ، بل غرضه كما قلنا أخذ الناس بالطاعة وبالأعمال الصالحة

أما المعجزة فهى كل ماخرج عن مقدور البشر عادة ، فلابد للمعجزة من خرق العادة ، ولذلك قالوا « لله خرق العادات » وأما هذه الأمور المجهولة فهى داخلة فى مقدور الناس عادة . لأنهم يتوصلون إلى اكتشافها ومعرفتها بالتجريب أو بالبحث والتنقيب أو بغير ذلك من الطرق العلمية

ونحن إذا أردنا أن نعرف معجزة المعجزات فلننظر إلى رسول الله محمد بن عبد الله يتيم مكة وفقيرها كيف قام بالدعوة إلى الاسلام فى أيام كان العرب فيها محتربين متعادين متنا كرين ، يأكل بعضهم بعضا كالنار تأكل بعضها إن لم تجد من تأكله ، و كيف قاومته العرب حتى عشيرته الأقربون ، و كيف استمر على الدعوة بنفسه الكبيرة وعزمه العظيم الجبار متحملا فى سبيل ذلك من المصائب والمتاعب ما فوق طاقة كل إنسان ، حتى جمع أشتات العرب ووحد كلمهم ! وأحدث بهم نهضة كبرى ، عربية المبدأ ، عالمية المنتهى ، فسارت بهم أعلامهم إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب خافقة بالنصر ومرفرفة بالعدل والإحسان ، وكان كل ذلك فى مدة لا تزيد على عشرين سنة بعد وفاته

ولو أن سائحا فى ذلك الزمان الذى لا واسطة فيه أسرع من البعير ، أراد أن يسيح سياحة متفرج لا فاتح فى البلاد التى نشروا فيها لواء العدل والتوحيد لما استطاع أن يتم سياحته فى أقل من هذه المدة . فهذه معجزة المعجزات التى أظهرها الله على يد محمد ، والتى لم يسبق ولن يكون لها نظير فى تاريخ البشر

بغداد ١٩٤٣ معروف الرصافي

شعراء مهد شعراؤهم

عدى بن زيد العبادي

— ١ —

نشأته ... ثقافته ... دخوله فى خدمه كسرى ... سفارته بين كسرى وقيصر ... أبوه زيد وملك الحيرة ... الصلة بين زيد والنذر أبى النعمان ... إجلال المنذر لعدى، تربية وعدى النعمان الأصغر ... الملاقات بين بنى عدى والنعمان الأصغر .

تزوج حماد بن زيد بن أيوب بن محروف من امرأة من طيء ، فأولدها ولدا أسماه زيدا . وكان حماد هذا كاتبا للملك النعمان الأكبر . وكان له صديق من الدهاقين (١) المرازبة العظماء يقال له « فروخ ماهان » وكان الدهقان محبا إلى حماد ؛ فلما حضرت حماد الوفاة أوصى بابنه زيد إلى الدهقان ، فضمه الدهقان إليه مع ولده . وكان زيد قد حذق الكتابة العربية قبل أن يضمه الدهقان إليه، ثم علمه الدهقان الفارسية فلقنها ، ثم أشار الدهقان على كسرى أن يجعل زيدا على البريد فى حوائجه ومهامه ، فمكث زيد يتولى ذلك لكسرى زمانا

ثم ان النعمان الأكبر ، وهو والى كسرى على الحيرة ، هلك فاختلف أهل الحيرة فيمن يملكونه عليهم حتى يختار كسرى الملك الذى يريد أن يعقد له . فأشار عليهم الدهقان أن يختاروا زيد بن حماد . فكان ملكهم إلى أن عقد كسرى للمنذر بن ماء السماء : المنذر بن النعمان

وقد تزوج زيد بن حماد نعمة بنت ثعلبة العدوية ، فولدت له عديا . وولد للدهقان ولد سماه « شاهان مرد » فلما تحرك عدى وأيفع ، طرحه أبوه زيد فى الكتاب ، حتى إذا حذق أرسله الدهقان مع ابنه إلى كتاب الفارسية ، فكان يختلف إليه ويتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها ، وأفصحهم بالعربية ، وقال الشعر ، وتعلم الرمى بالنشاب ، فكان من الأساورة (٢) الرماة ، وتعلم لعب العجم على الخيل بالصولجان وغيرهان

وحين ألحق الدهقان ابنه « شاهان مرد » بالخدمة لدى كسرى ، سعى ليلحق عديا بخدمة كسرى أيضا ، ووصفه بأنه « أفصح الناس ، وأكتبهم بالعربية والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله » فرغب كسرى فيه ، وكان جميل الوجه فائق الحسن وكانت الفرس تتبرك بالجميل الوجه ، فلما كلمه وجده أظرف الناس وأحضرهم جوابا ، فأثبته مع ولد الدهقان

وعدى أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . وقد كان كسرى يأذن له فى الخاصة ، وكان معجبا به قريبا منه . وكان عدى إذا دخل على المنذر ، والى كسرى على الحيرة ، قام جميع من عنده حتى يقعد عدى ، فملأ له بذاك صيت عظيم ، ورغب إليه أهل الحيرة ورهبوه

وقد سفر عدى لكسرى بعض السفارات ، فأرسله إلى ملك الروم بهدية من أطرف ماعنده ، فلما أتى عدى ملك الروم أكرمه ، وطاف به فى أطراف بلاده ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه . ومن البلاد التى طاف بها بلاد الشام . ويبدو أنه مكث بدمشق زمانا . وقد قال وهو فى الشام يتشوق إلى الحيرة ، ويذكر أيامه فيها ، ويفضلها على دمشق :

رب دار بأسفل الجزع من دو مة أشهى إلى من جيرون
وندامى لا يفرحون بما نا لوا، ولا يرهبون صرف المنون
قد سقيت الشمول فى دار بشر قهوة مزة بماء سخين

ودومة هذه هى دومة الحيرة — وجيرون بناء عند باب دمشق وقام قوم هى دمشق نفسها

ولما كان عدى بدمشق فسد أمر الحيرة ، لأن أهلها أرادوا قتل المنذر ، لأنه كان لايعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه . ولما علم بذلك المنذر بعث إلى زيد بن حماد ، أبى عدى، وكان قبله على الحيرة كما سبق ، وحدثه فيما بلغه من أنباء تبرم أهل الحيرة به وعزمهم قتله ، فمحضه النصح وأخلص له ، وأرضى أهل الحيرة ، وأصلح بينهم وبين ملكهم المنذر ، وجعل له اسم الملك والغزو والقتال ، وما دون ذلك فهو لزيد . وقد شكر المنذر

---

١ ... الدهاقنة جمع دهقان وهو التاجر فارسى معرب . المرازبة جمع مرزبان وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك

(٢) الأساورة جمع إسوار أو أسوار وهو الفارس السيد الشجاع .

هذه النعمة وأقسم أن يحفظها له

وبعد مدة قدم عدى المدائن على كسرى بهدية قيصر، فصادف أباه زيدا والدالدهقان المرزبان قد هلكا جميعا، فاستأذن كسرى فى الإلمام بالحيرة فأذن له، فتوجه اليها. وبلغ المنذر أن عديا قادم إلى الحيرة. فخرج وتلقاه فى الناس. ورجع معه

ولثقة المنذر بعدى، ولما عليه عدى من خلق أعجب به المنذر، ولتطواف عدى فى بلاد كثيرة، ولخلطته الدانية به وبالكبراء فى ممية و كسرى، ولمنزلته الرفيعة بين الناس، ولمعرفته بالفارسية والعربية، لكل هذا جعل المنذر عديا مربيا ومؤدبا لابنه النعمان الأصغر، هذا الذى سيكون ملك الحيرة بعد أبيه المنذر، وهذا الذى ستشتد الخصومة بينه وبين عدى حتى يتنا كرا، ولا يتمارقا، إلى آخر الزمان

وقد كان لعدى مكانة عالية ومنزلة رفيعة فى أنفس أهل الحيرة؛ إذ هو كاتب كسرى، وهو سفيره إلى قيصر، وهو ابن زيد ملكهم من قبل، وهو المكرم لدى المنذر، ثم هو الرجل العارف بلسان العرب ولسان الفرس والطائف ببلاد الروم — وقد أهل هذا كله عديا ليكون أنبل أهل الحيرة فى أنفسهم، ولو أراد ان يملكوه لملكوه، ولكنه كان يؤثر الصيد واللهو واللعب على الملك، وكان يؤثر فراغ البال والارتحال

ولعلك قد علمت بهذا أن عديا قد تربى فى أحضان النعمة، وأنه لم يكن باديا جافيا، وأنه قد استنار بما اطلع عليه من أحوال فى ديوانى كسرى وقيصر، وأنه قد ثقف وتهذب وسمع بكثير من الأخبار والأحداث، ورأى مالم يره غيره، وعرف عن الروم كثيرا وعن الفرس أكثر. ولعلك قد عرفت أيضا أنه لم يكن رجلا كالناس، بل كان أنبل وأعرق من كثير منهم، وكان له فضل منزلة عندهم. وإن كان عدى قد سمى إلى مثل هذه المنزلة المارقة الكريمة، فإنه يجب ألا نغفل فضل أبيه عليه، وتمهيده لهذه المنزلة التى سما إليها ابنه؛ فقد كان الأب ملكا على الحيرة حتى يعقد كسرى لمن أراد، وكان مرجع أهلها فيما ينوبهم من حدث وحال؛ فكأنه كان رجلا نزيها عفا، يلجأ إليه حين تتحرك الشهوات من عقالها فلا يتشهى ولا يسمى لخير نفسه، ولكنه يسمى لعامة الناس وجدواهم. وهذه خلة تضفى على الرجل كرامة، وتضفى على من يتصلون به كرامة، فما بالك لو كان المتصلون به أهلا وأولادا كما هى شاعرنا. ولعلك بهذا قد عرفت العلاقات الوثيقة التى توثق بين بيتى عدى والنعمان الأصغر؛ فقد تعارف أبواهما من قبل، وتصادقا، وتعاونا، وكاد يكون ملك الحيرة مراوحا بينهما، وكان أهل البيتين جميعا من المقربين إلى كسرى، وكان عدى أستاذ النعمان ومربيه ومؤدبه ومقومه — هو وأهل بيته

وهذه منزلة تؤهل الناس لحسد الناس. وهى إن جملت من الأصدقاء كثيرين فهى تجمل من الأعداء الشانئين كثيرين أيضا. ويجب هنا أن نعرف شيئا، وهو أن أصدقاء الرجل النبيل المخدوم إنما يكونون من العامة وأمثالهم — هؤلاء الذين يرجع عليهم فضله ويهب لهم قواه، أما الرؤساء أمثاله والسادة أمثاله، فهم يشنأونه لمنزلته ومكانته وكرامته، ويسمون جاهدين كائدين حتى يخلو لهم الجو وتمهد السبيل

وقد كان لعدى بن زيد أخوان، أحدهما اسمه عمار ولقبه أبى، والآخر اسمه عمرو ولقبه سمى. وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدى بن حنظلة من طىء. وقد كان لهؤلاء الإخوة منزلة عند الأكاسرة، وكان لهم معهم أكل وناحية، يقطعونهم القطائع، ويجزلون صلاتهم، ويقربونهم ويعطفون عليهم

فكأن الأكاسرة قد رعتهم جميعا: رعت حمادا وابنه زيدا وحفيده عديا وإخوته، ورعت المنذر والنعمان. وكأن الأكاسرة كانوا يستعينون بهم جميعا فى وظائف شتى، وقد قدم هؤلاء من ناحيتهم ما استطاعوا أن يقدموه لمن رعوهم وأحسنوا إليهم؛ فلقد كان ملك الحيرة فى بيت النعمان، ومعروف أن ملك الحيرة كان فى معناه إخضاعا لطائفة من العرب لحكم الفرس. وأما حماد فكان كاتب النعمان الأكبر وكان زيد كاتبا لكسرى زمانا، وملكا على الحيرة زمانا، ومعينا للمنذر زمانا. وكان عدى كاتبا لكسرى وسفيرا له لدى قيصر، ومؤدبا ومربيا للنعمان الأصغر

للبحث صلة

محمود عبد العزيز محرم

بين محمد وأصحابه

للأستاذ أحمد الشرباصي

حينما ندرس شخصية محمد صلوات الله عليه من جوانبها المختلفة، نعلم أنه المثل الأعلى الذى يتجلى لكل طامح إلى المفاخر، أو طامع فى معالى الأمور؛ وما نريد حين نجلى ملامح هذه العظمة المحمدية أن نضيف إلى صاحبها شرفا جديدا، فليس بعد تكريم الله تكريم، ولكنها أنفسنا نحن التى نبحث لها عن الخير، ونطلب لها المزيد من التربية والتهذيب. وليس كالقدوة الحسنة فى الإغراء على التشبه والمضاء... وما نريد أن نغلو فى شأن رسولنا كما غلا سوانا؛ فإننا لنعلم أولا أن الله أعلى وأكبر، وأن محمدا بشر، قيل له من قبل: «إنك ميت وإنهم ميتون». وقيل عنه: «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزى الله الشاكرين».

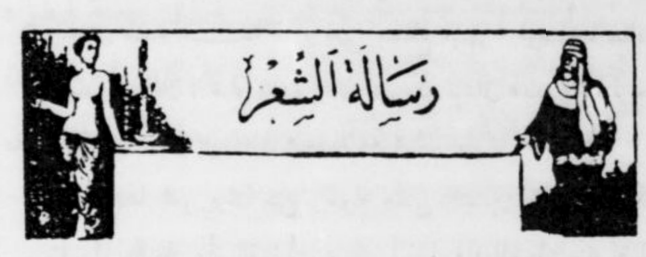
ولو أن هذه العظمة اقتصرت على شخص صاحبها، فلم يستفض نورها هنا وهناك، ولم تلق ظلالهـا الطيبة على هذا وذاك، لما شغلت التاريخ بهذه الصورة، ولما بقيت لها هذه الروعة الدائمة وذلك البهاء الموصول، ولقال القائل: وما نفع كنز عظيم لا ينال الناس منه خيرا؟ وما قيمة محيط واسع لا يجد الراغبون إليه سبيلا؟... ولكن محمدا هو الذى هتف: «ما استحق الحياة من عاش لنفسه فقط». ولذلك كانت عظمته لغيره قبل أن تكون لنفسه. وكأنما خلق الله رسوله على عينه، وجمع له أطراف المحامد والمكارم، ليظهر فيه سر النبوة وسمو الرسالة، ثم أتاح لصفيه وحبيبه بعدذلك أن يفيض من هذا النبع الذى لا يغيض، على من حوله ومن يأخذون عنه، والرسول حينئذ لا يستطيع أن يخلق من هؤلاء الأتباع صورا مطابقة كل المطابقة لشخصه وذاته؛ وإلا لصار هؤلاء الأتباع رسلا مثله؛ فليس له إلا أن يهيء لكل واحد منهم ما يناسبه ويلائمه، فيغترف من حوض الرسول ما استطاع. ومن هنا رأينا العظمة المتجمعة فى شخص محمد صلوات الله عليه تتفرق فى أشخاص أصحابه، وفى خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بوجه خاص؛ فهذا أبو بكر مثلا يرث عن رسوله نور اليقين والإيمان، ويقوى عنده هـذا النور حتى يسطع فيبهر، فيصفه بالصادق المصدوق قائلا: «لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبى أبكر على إيمان هذه الأمة»!...

وهذا عمر يرث عن رسوله حسن التدبير وعمق التفكير وصواب النظر وأصالة الرأى، حتى ليقول فيه المصطفى: «إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه». وحتى يستطيع عمر إبان خلافته أن يسوس دولة ما ساسها قيصر من قبل أو شاه، وأن يجتهد فى أمور الدين والدنيا، فيهديه ربه إلى فض مشكلات وحل معضلات ما كان يقدر عليها لولا أنه تخرج من مدرسة النبوة التى تفيض بالهدى والرشاد...

وهذا عثمان يرث عن رسوله رقة الطباع ودماثة الاخلاق وشدة الحياء، حتى يستحى من نفسه وهو منفرد متجرد لاغتساله، وحتى يقول فيه الرسول: «أصدق أمتى حياء عثمان». وإنه ليدخل على الرسول فيستحى الرسول منه، فتسأله عائشة عن سبب ذلك، فيقول: «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة»؟

وهذا على يرث عن رسوله زهده وتقشفه، حتى تهون فى نظره أعراض الحياة وأغراض العيش ولذائذ الدنيا؛ فيصرخ فى وجه الدنيا قائلا: «يادنيا غرى غيرى، إلى تعرضت أم إلى تشوقت؟ هيهات، قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيهن. آه من طول الطريق، وقلة الزاد ووحشة السفر»

وهناك ناحية أخرى... إن القائد يجب ألا ينفرد بالسلطان والجد، وألا يستأثر بالرأى يستحوذ عليه، أو الثناء يستبد به. وكم من أناس هيأت لهم الاقدار أن يبلغوا مناصب القيادة والرياسة، فخيل إليهم أنهم قد صاروا فى الكون آلهة، وما من إله إلا إله واحد، فلا يقضى أمر إلا بكلمتهم، ولا يوجه مدح إلا الى ذاتهم، ولا يسبح مسبح إلا بحمدهم وشكرانهم؛ وإن قلوبهم الحاقدة الحاسدة لتتميز من الغيظ وتتقطع من الغل إذا رأوا شخصا غيرهم فعل مكرمة أو استحق عجيدا، أو بدا نجمه فى الظهور والسطوع. وإنهم ليبذلون كل شىء لكى يقضوا على كل نابغ أو ناهض، ليضمنوا البقاء لأنفسهم، وليرضوا شهوة الأنانية المتعمقة فى جذور طباعهم. وأف لزمان تفنى الجماعة فيه ليعيش القائد، وتذل الامة ليعز فرد على أنقاض أبنائها!.



إلى الميدان

أرى الميدان — يا أماه — نحو المجد يدعونى
فلا تبكى إذا أسرعت . . فى كفى سكينى
لأقتل كل صعلوك وأذبح كل ملعون
وأغسل بالدم المسفوح كل جراحى الجون
وألقى فى مياه النيل — ذنب الذل والهون
فترفع مصر رايتها . . وترجع عهد آمون
ونحيا حرة أبداً . . فلا تعنو لمجنون

* * *

أرى الميدان — يا أماه — يزخر فيه إخوانى
فكل فتى سليل النيل منى بعض أركانى
وأمى مصر — يا أماه — من دلتا لسودان
سقتنى من رحيق النيل أعذب من طلى الحان
سقتنى الحب فى مهدى وقالت : لست تنسانى
إذا أليفيتنى يوماً أطارده أى ثعبان
لحطم رأسه المسموم فى صبر وإيمان

* * *

وهاهو ذلك الثعبان فوق قنالها الأسمى
يحرك رأسه الملعون — أخشى ينفث السما
فيقتل مصر — يا أمى — أخاف بقسم الأما

وعلى العكس من ذلك كان رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام . لقد بعث محمد عظمته فى صحابته ، وشاركهم فيما منحه الله من صفات وبركات ، لحفظ للصغير حقه قبل الكبير ، وشاور قومه فى الجليل والقليل ، وأعطى كلا منهم نصيبه فى التحية والإكرام ، وأظهر تقدير كل عامل ، وأعلن شكران كل فاضل ، وما من مكرمة جرت على يد صحابى إلا فرح لها الرسول ، كأنها جرت على يديه ، وهكذا يكون القائد الرحيب الأفق المتفتح القلب النقى الضمير الطاهر الشعور ...

وها هو ذا يمجد أصحابه عامة فيقول : الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » . ويقول أيضاً : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

ثم ها هو ذا يمجد أصحابه فرادى ، فيصف كل واحد منهم بوصف له جماله وبهاؤه ، فأبوبكر هوالصديق ، وعمرهوالفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلى باب مدينة العلم ، وابن الزبير حمامة المسجد ، وسعد بن أبى وقاص مجاب الدعوات ، وطلحة بن عبيد الله الشهيد الذى يمشى على الأرض ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة ، وخالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وحنظلة غسيل الملائكة ، وجعفر بن أبى طالب هو الطيار فى الجنة ذو الجناحين ؛ إلى غير ذلك من جميل الصفات ورائع النعوت .

نستفيد من هذا أن الأمة يجب أن تهتدى بهدى قائدها ورائها ، حتى تتجلى مواهبه فى أفرادها ونواحيها ، فيصبح كل إنسان عظيما فى ناحية أو عدة نواح ، فتكثر الأيدى القوية العاملة ؛ وأن القائد يجب ألا يكون أنانياً يستحوذ على الفضل والخيركله ، بل يقدر العاملين ، ويهيىء فرص النبوغ للنابغين ، حتى تتبارى الكفايات وتظهر العبقريات « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » !

وليس بعد أمة محمد أمة ، لأنها خير أمة أخرجت للناس ، وليس مثل محمد قائد أو زعيم ، لأنه رحمة الله للعاملين ، فلم يبق إلا المسير ، فمتى يكون ؟ ...

أحمد الشرباصى

ويفعل كل ما يصبو اليه ، وينفذ السهما
أراه . . أراه . . يا أمى .. على ضفاتنا . . يرمى
وها هم نسل فرعون أحاطوا حوله جهما
وفى أجفانهم قلق يكاد يمزق الظلما

* * *

دعينى أقطع الخطوات نحو المجد لهفانا
وفى كفى سكين تصب الموت ألوانا
توشى الأرض من دمهم وتروى منه ظمآنا
فمصر تصيح أنقذنى ، فإن لدى ثعبانا
يسمم عذب أمواهى ، فأدرك كيده الآنا
فماء النيل لا يروى على الأيام كسلانا
وحاشا مصر ، ما ولدت من الأبناء خوانا

* * *

دعينى إننى غاد أشق السهل والوعرا
وأمشى حافيا عريان ، لا أستصحب الحرا
أبيع ثيابى اللائى تقينى البرد والقرا
وكتب العلم أدفعها لشار يدفع الأجرا
لأحمل بعد سكينا ، وأذهب أقطع القفرا
إلى الميدان أحملها ، وأحمل بينها الذعرا
لأدفع كيد مغتصب ، وأصرع ذلك الشرا

* * *

إذا ما مت فى الميدان لا تبكى ولا تهنى
فبنت النيل ما خلقت لسفح الدمع والشجن
وروحى واسألى الجيران يا أماه عن وطنى
وماذا فيه يفرحنا عن الأعداء من محن
فإن أخبرت ما يسلى فؤاد الميت الحزن
فعودى وانثرى زهرا على المطمور من بدنى
وغنى غنوة التحرير أو أنشودة الزمن

شاعر

ترنيمة الشهيد

للأستاذ كامل أمين أيوب

« إنه الصوت الأخير الذى يردده قلب الشهيد فى لحظاته الأخيرة . . . إنه صوتى عندما أحظى بشرف الاستشهاد بعد أن أقف أمام الأعداء موقف المصرى الجرىء الحر .. »

الآن باسم كرامتى وإبائى — أفنى لتخلد أمتى بفنائى
الآن أثبت للكنانة مجدها — وأخط صفحة عزها بدمائى
الآن أصعد للسماء بجوهرى — فليفرح الأوغاد بالأشلاء
والله ما قتلوا القتيل وإنما — أحيوا عليهم ثورة الأحياء
فليرقبوا نار القلوب تشب فى — نير الطغاة سريعة الإفضاء
وليعلموا أن الكنانة قد أبت — ضيم اللئام وخسة الدخلاء
قد بيتوا الداء العياء لرمينا — فلينظروا فيمن سموم الداء
ما راح منا واحد إلا وقد — ثأرت ظباء لذاهب ولجانى
الموت مفخرة الكرام لدى الوغى — ومن الردى فى الحرب خير رداء
إن مت قبل النصر لست بنادم — فلقد تركت لنيله زملائى
مادام صوت الحق ملء صدورهم — فالله ناصرهم على الأعداء

* * *

أماه لا تبكى على ويا أبى — جفف دموعك وابتهج بقضائى
ما مت وحدى بل مع الأحرار فى — يوم الجهاد وساحة الشهداء
جند بقية إخوتى فلعلهم — يبلون فى الميدان خير بلاء
لابد فى سبل العلا من فدية — لم لا ننال مكانة الفداء
ما مات من عرف الجهاد، ونافق — من حى فى الأغلال دون حياء
يا مصر فيك من الأسود كواشر — تمضى لبغيتها بكل مضاء
أسد إذا ما أنشبت أظفارها — ظفرت بكل محالة غدقاء
لا ترهب النيران أو ضوضاءها — وتسير فى النيران والضوضاء
يا مصر أقضى الآن غير مخوف — ما دمت خلفت الأسود ورائى
الله أكبر .. منك كنت وما أنا — إلا صنيعة أرضك الخضراء
واليوم ألقى الموت باسمك فاخلدى — يا مصر . . عالية على الجوزاء

كامل أمين أيوب

ذكرى حبيب

للأستاذ محمد فوزى العنتيل

... ذكريات محترقة بذلك اللهيب المقدس ، الذى يغني أرواحنا ،
« ذكرى حب بغير أمل .. كما كانت تقول ..!! »

تهب على واديك أنسام حبنا ..
تذكرك العهد الذى كنت ناسيا
تذكرك الماضى ، وقد كان جنة
وشفنا مع اللذات فيها الأمانيا
وتشرق فى دنياك أيامنا التى
تولت وأبقت نارها فى دمائيا

• • •

سمت بك روحى للسماء ، وقادنى
إليك حنينى فى هواك ، ومابيا .!
عشقتك روحا خالدا ، وحقيقة
تعالت على وصفى ؛ فأعيت لسانيا
وقدست فيك الحزن ، والحسن ، والهوى
وأحببت منك الحب كأسا ، وساقيا
وخلدتنى روحا ، وإن كنت سائرا
إلى الشاطئ المجهول أفنى بقائيا
وألهمتنى معنى الجمال فسبحت ..
بحسنك أشواق ، وقلبى ، وذاتيا ..!!

• • •

ذكرتك والليل البهيم مطوف ..
إلى روحك المحبوب حن فؤاديا
ذكرتك والأزهار تبسم للندى
فيشبعها لثما ، ويرتد باكيا ..!!
ذكرتك والأمواج ينساب لحنها
يفسر للشطئان سر عذابيا ..!!

جثوت وأرسلت الدموع سواخنا ..
وغمغمت بالنجوى ، وطال دعائيا ..
تضرعت والأكوان حولى خشع ..
وهزتنى الشكوى ؛ وألقت ردائيا

• • •

أغاريد من ذكراك فى الفجر رفرفت
على الشاطئ المحبوب أحيت رجائيا ..!
تنسمت منها العطر ، والشوق ، والمنى ..
وعدت إلى الماضى ، وكان ورائيا ..!
وهاجت شجونى ؛ فانطلقت مغردا
على غصنك المياد أزجى الأغانيا
وراح نسيم الفجر - والنهر خاشع -
يقبل أزهار الربى ، والروابيا ..!!

• • •

عطفت على روح حزين معذب ..
ورويت قلباً كان قبلك صاديا ..
وفجرت لى نبعا من الشوق دافقا
رشفت به من سلسل الحب صافيا ..!!

• • •

أيا ليتنا كنا مزجنا فلم نعد
حبيبين ذابا لوعة .. وتنائيا
وكنت أنا الجسم الذى يحمل الهوى ..
وكنت حياتى ، ثم كنت فنائيا ..!
ونؤخذ فى ذنب ، وإن كنت جنته
وننعم فى قرب ، وإن كنت عاصيا
بلى ! .. إننى أرضى ، وإن كنت طائعا
أعذب وحدى كى تنعم راضيا
فإن أك قد أخطأت فاغفر خطيئتى
وإلا فأدركنى .. فأنت رجائيا ..!!

محمد فوزى العنتيل

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الدكتور زكي مبارك :

... وأخيراً مات زكي مبارك ... مات بعد حياة طويلة بعض الطول ولكنها عريضة كل العرض ، حياة تتلخص في كلمة واحدة جامعة هي « الصراع » ... كان يصارع في معترك العيش ، وكان يصارع في ميدان الأدب ، وقد ظل يصارع حتى نال منه الجهد في السنوات الأخيرة من حياته الحافلة فأدمته أشواك كان يبدي لها الجلد ، فيضمد جراحه ويحاول أن يمضي في كفاحه ، ولكن كان يغلبه الترنح الذي أسلمه إلى التفكك.

وكان الناس ينظرون إليه في هذه الحقبة الأخيرة على خلاف في الرأي والمزاج ، كان بعضهم يأسف لانهياره قبل وفاته ، وكان قراؤه يلقفون ما يكتب على علاته ويتناولون ثمرات قلمه غير عابئين بما عليها من غبار وما يختلط بها من حشف . وكان أشد ما يجذب القراء إليه ما ظل يشمشع كتابته من روح نابض وظل خفيف.

كان زكي مبارك يمثل في صراعه الفلاح المصري أتم تمثيل ، كان فلاحاً خارج القرية ، شق بقلمه طريقه إلى الجامعة المصرية وإلى السربون وإلى الصدارة في عالم الأدب العربي الحديث ، كما يشق الفلاح بفأسه الأرض لاستنباط رزقه . وكان زكي مبارك يحرث حقله في الأدب ليقيم خطوطه ، والويل لمن يعترض طريقه ، فاذا استوى زرعه وآتى أكله تولى حراسته ووقف بالرصاد لمن يقترب منه . ولم يفته طبع الفلاح في الجور على حدود جاره وقتاله إذا استدعى الأمر ، ويتجلى هذا في صياله مع الأدباء ، ذلك الصيال الذي كان يحمل فيه القلم كما يحمل الفلاح « النبوت »

نشأ زكي مبارك في الأزهر ، ولكنه لم يكن كسائر الأزهريين ، فلم يكن من المقبلين على « علم » الأزهر المعاكفين على طرائقه المأثورة ، بل كان من الفئة القليلة التي خرجت من بين تلك الجدران تلمس الأدب هنا وهناك ، وجده أولا في الأزهر على يد أستاذه وأستاذ غيره من تلك الفئة القليلة الشيخ سيد المرصفي الذي كان يقرأ لهم كتب الأدب القديمة ويبدي كنوزها من قرائحهم وأذواقهم المتطلعة.

ولم يكن زكي مبارك في الأزهر بالطالب الخامل ، فإن فاته الظهور في الدراسة الأزهرية المأثورة فلن يفوته مجال الشعر والأدب فكان خطيب المحافل وشاعر الجامع ، وقد خاض غمار الثورة في فجر النهضة الوطنية وقذف نفسه في أتونها المستعر وعانى الأهوال في السجون والمعاقل.

واتجه صوب الجامعة المصرية القديمة فوجد فيها أفقاً أرحب ومورداً أعذب ، فجال فيها ونهل . وبعزيمة الفلاح وقدرته على التقشف رحل إلى طلب العلم في باريس ، فقد كان يعيش هناك على النذر اليسير الذي يظفر به أجراً لمقالاته في بعض الصحف المصرية . ثم عاد إلى مصر بعد أن حصل على درجة « الدكتوراه » فتلقفته الجامعة وضمته إلى أحضانها ، فاشتغل بالتدريس فيها ردحاً من الزمن . على أنه كان متشعب الجهود يعمل في كثير من النواحي ويتنقل بين التدريس والصحافة والتأليف أو يجمع بينها جميعاً.

كان زكي مبارك واضح الشخصية متميز السمات في حياتنا الأدبية ، كان فياضاً في ثقافته وفي كتابته ، حراً في ابداء رأيه ، عنيفاً في معاركه ، وكان لا ينتظر حتى يثني عليه غيره ، فيتطوع هو بالثناء على نفسه ، ولعله كان يذهب هذا المذهب لاعتقاده الجحود في الناس فيعوض بنفسه ما ينقصه منهم . وكان يلطف عنفه ويسوغ استعلاءه روح خفيف ودعابة مستملحة

كان زكي مبارك — من غير شك — علماً من أعلام الأدب في عصرنا هذا ، وقد أكسب الحياة الأدبية أضعاف ما كسب هو إن كان قد كسب شيئاً . . . وقد قضى بعد أن ترك للأدب ثروة كبيرة من مؤلفاته ومن آثاره في عقول تلاميذه وقرائه . وقد كان كثير الترديد لكلمة « الخلود » فيما يكتب ، فإن كان فاته ما أدركه سواه من عرض الدنيا فقد نال ما تنفى به حياته من الخلود.

لغة المجتمع :

ألقى الأستاذ محمود تيمور بك محاضرة موضوعها « لغة المجتمع » فى الدورة الحالية لمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، تحدث فيها عن النزاع بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات من حيث وقوف الأولين بالقياس عند الحدود التى رسمها أئمة اللغة فى العصور الأولى وبالسماع عند العهد الذى اختلط فيه العرب الخلص بغيرهم من الأمم ، واتجاه الآخرين إلى الخروج عن هذا الجمود الذى يسلم اللغة إلى موت محتوم .

وقد فند الأستاذ تيمور بك ما يتمسك به اللغويون المحافظون فقال إن اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة وقانون من قوانين المجتمع ، وهذه الظواهر والقوانين تتبدل وتتطور وفقا لما تقضى به ضرورات الاجتماع . والصواب فى اللغة مناطه الشيوع ، فمتى ساغت الكلمة فى الأفواه فقد ظافرت بحججها الأعتداد بها وأصبح لها فى الحياة حق معلوم ، وان غلبة اللفظ فى الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه ، بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية فى بنية اللغة خليقة بالتقدير والاعتبار ثم عرض للمثل القائل « خطأ مشهور خير من صواب مهجور » فقال : ما أصدق انطباقه على اللغة لولا أنه يسمى المشهور خطأ ويسمى المهجور صوابا ، فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح ، فليت شعرى — أى خطأ فى لفظ شهر ، وأى صواب فى لفظ هجر ؟ سواء على القارىء أو السامع أن تروعه بلفظ عربى نافر لا يجد له فى نفسه مدلوله الذى نبغيه منه وأن نفجأه بلفظ أجنبى مغلق ليس بعربى الأصل ، فاللفظان عنده سواء فى الابهام .

ولكن على من نعول فى توثيق الجديد من الألفاظ ؟ يجيب الأستاذ من هذا قائلا : لسنا بمستطيعين أن نعول فى ذلك على جمهورنا الأمى العام خشية أن تذوب الفصحى فى محيط اللهجات العامية التى لا ضابط لها ولا نظام ، ولكنا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص الذى تعلم الفصحى وأشرب ذوقها ، فهذا الجمهور الضارب فى كل علم وفن هو مرآة اللغة المجلوة وقوامها الركين ، والويل للغة إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهائها الذين لا يبيحون لها السير مع الزمن والتجدد مع الأيام . على أن ذلك الجمهور المثقف يتجلى فى هذه الفترة من حياة مجتمعنا الحاضر ممتزا بالعربية جانحا إلى الافصاح ، مما يدل على أن هنالك وعيا لغويا قويا يجرى تياره بين المثقفين جميعا ويبدو أثره فى المرافق الاجتماعية على وجه عام

كشكول الأسبوع

□ وافق معالى وزير المعارف على مشروع اتفاق ثقافى بين مصر والباكستان ينص على التبادل الثقافى بين البلدين والتعاون على إحياء التراث الفكرى ونشر آثاره ، وعلى الوصول بتدريس اللغة العربية فى الباكستان إلى مستوى يتيح لأبنائها المشاركة فى مجال الإنتاج الفكرى العربى ، والعمل على توثيق الروابط بين رجال العلم والأدب والفن والصحافة هنا وهناك بمختلف الوسائل

□ أصدرت أخيرا دار إحياء الكتب العربية مسرحية جديدة للكاتب القصصى الكبير الأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « فداء » ، وتتخذ هذه المسرحية أشخاصها من تاريخ مصر القديمة ، وترمى وقائعها إلى تصوير الجهاد الوطنى والصراع بين نزعة الاصلاح والتجديد وبين المحافظة على الأوضاع المتوارثة

□ وأخرجت تلك الدار أيضا كتابا عنوانه « قصة محمود تيمور » للأستاذ أنور الجندى ، تناول فيه بالدراسة والتحليل شخصية « محمود تيمور » من نواحيها المختلفة وما يلابس ذلك من الاتجاهات الأدبية فى مصر

□ أقيم أخيرا فى بودابست عاصمة المجر احتفال أطلق عليه « يوم الكتاب » كان شعاره : الثقافة كالخبز سواء بسواء ، وتدل الإحصاءات المجرية على أنه قد تم نشر ٦٤٠٠ كتاب طبع منها ٦٣ مليون نسخة سنة ١٩٥٠ مع ملاحظة أن عدد السكان تسعة ملايين نسمة

□ يمثل جامعة فؤاد الأول فى العيد الألفى لابن سينا الذى يقام فى طهران وفى بغداد ، الأستاذ ابراهيم اللبان ومصطفى عمر بك وعثمان أمين وفؤاد الأهوانى



الموسيقى العراقية

فى العراق رجال كرسوا حياتهم لخدمة العلم والأدب، وضحوا فى سبيل هذه الخدمات كل رخيص وغال، فدرسوا وحققوا ودققوا ونشروا ما كتبوه، وألفوا الرسائل والكتب وطبعوها على نفقتهم الخاصة، ولكن وبا للأسف لم يجدوا تشجيعا يكفل لهم ولو جزءا قليلا مما يبذلونه بسخاء فى هذا السبيل، وأن من أولئك الأفذاذ الأستاذ الحالى عباس العزاوى الذى أخرج لنا مؤخرا من نتاج عمله المضنى المستمر كتابا فى الموسيقى العراقية فى عهد المغول والتركمان ١٢٥٨ﻫ ١٥٣٤م تناول فيها التطورات التى طرأت على الموسيقا العراقية خلال هذه القرون الثلاثة، وما دخل عليها من تغييرات وتبديل. وقد تطرق إلى الموسيقى فى العراق والموسيقى العربية قبل الإسلام، والموسيقى العربية فى عهد المغول والتركمان، ثم تطرق من هذه الرسالة إلى من اشتهر فى الموسيقى من نوابغ وترجم لهم وذكر ما صنفوه فى هذا الفن من رسائل وكتب، وذكر الموسيقاريين والمغنين، وتناول الآلات الموسيقية وأسماءها وأسباب تسميتها، وما اندرس منها وما بقى حتى الآن، وفصل المصطلحات الموسيقية سابقا وقارنها فى العهد الحاضر، وختم رسالته هذه بأن نشر للأمة رسائل منها كتاب الملاهى وأسماءها لمؤلفه أبى طالب المفضل بن مسلمة النحوى، اللغوى، المتوفى سنة ٢٩٠ﻫ. والذى تناول فيه إثبات معرفة العرب «للعود» والآلات الموسيقية الأخرى وساق الأدلة القوية والبراهين الثابتة على ذلك. والرسالة الثانية نبذة من اللهو والملاهى لأبن خرداذبة المتوفى سنة ٣٠٠ﻫ نقلها من تاريخ مروج الذهب المسعودى تناول فيها أيضا إثبات كون العرب تعرف العود وبقية الآلات الموسيقية

والرسالة الثالثة، أرجوزة الأنغام لبدر الدين محمد بن على الخطيب الأربلى، المتوفى سنة ٧٦٨ﻫ وقد نظمها سنة ١٣٢٨م وفيها ذكر معرفة أصول الأنغام، والمناسبة بين الأصول والأركان والأخلاط، وأبحر الأنغام الأصولية الأربعة والأبحر الثمانية المتفرعة عن الأصول الأربعة وكيفية ترتيب الأنغام الأثنى عشر، وذكر الأوزان الستة والشواذ، والأنغام الزوائد وتأثير الأنغام فى الأمزجة من الأخلاق، وبيان الضروب السبعة

ثم قال الأستاذ المحاضر: إن أهل صناعة الكتابة هم الذين يحملون القسط الأوفر من أعباء التخالف بين لغة الجمهور العام ولغة الجمهور الخاص ومن أثقال التنازع بين الأصيل والدخيل من الكلام، فالكتابة هى فن الأدب، والأدب هو أرفع مقامات التعبير فى اللغة، وهو المرض الجيل لنقاء الألفاظ وجودة الأسلوب. والكاتب إذا عرضت المسميات التى لا يجد لها فصيحا شائعا من الأسماء استشعر الحرج والضيق وتعذر على قلمه أن يجرى الكلمات العامية أو الدخيلة فى تضاعيف بيانه. وبعد أن أشار إلى الصعوبات التى يلاقيها الكاتب من جراء غلبة الألفاظ الأجنبية والعامية على الشئون العامة وحيرته بين هذه الألفاظ وبين ما تيسر له من الكلمات العربية المهجورة — وقال: لكن الكاتب على أية حال مضطر أن يصف ما فى البيت وما فى السوق وأن يتناول ما يدور من أسباب العيش، فهو يبذل جهده ويعالج أمره، حينا يصطنع الكلمة الفصيحة على حذر، وآنا يقبل من الكلمات العامية ما ليس منه بد، وساعة يتخذ له اصطلاحا يرشحه للاستعمال

ثم عرض لما صنعه المجمع فى ذلك من أوضاع وما وضعه من أسماء عربية لمسميات فى الشئون العامة وما قوبلت به من سخرية الأقوام والأقلام قائلا بأن مهمة المجمع تقتضيه أن يمضى فى طريقه، والحكم الأول والأخير فى ذلك هو الجمهور المثقف فما يرتضيه يكتب له الشيوع والبقاء، وما لا يستسيغه يسحب عليه ذيل العفاء

عباس خضر

ووجوب مراعاتها

والحاصل أن الأستاذ المراوى — وفقه الله — قد قام بهذه الخدمة الجليلة للأمة العربية ، اضافة إلى خدماته الكثيرة التى سبقت له فى التحقيق والتنقيب والتأليف والنشر . وسنفرد لترجمة الأستاذ المراوى بحثا مستفيضا نقدمه للقراء فى فرصة أخرى

ابراهيم الواعظ

الى المعقبين :

لعل من أخص ما تمتاز به « الرسالة » على زميلاتها الأخريات وأوضح مظاهر قوتها هو هذه الكتيبة المسلحة المرعبة المؤلفة من حضرات المعقبين على شتى مذاهبهم وألوانهم ، وإن إعجابى بهذه الكتيبة المسلحة المتيقظة لبالغ حد التعصب لها؛ ولكن هذا الإعجاب لا يمنعنى من التصريح عما يدور فى خاطرى وما يتردد فى ذهنى من حين إلى آخر بشأنها . فمثلا ألاحظ أن بعض حضراتهم يجهد نفسه فى تحقيق بعض كلمات لغوية قد شاعت وأصبح إحلال الكلمة القياسية محلها عسير الهضم على أفكار الأدباء والكتاب ؛ لأن الكلمة قد أخذت مدلولها بين المتكلمين بيد أن تصحيحها لا يضفى عليها معنى جديدا أو زيادة مستحدثة ، ولأن عملهم هذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنهم لا يقرؤن للفهم والاستفادة بل للبحث عن هفوة لغوية أو سقطة نحوية وبذلك يضيمون على أنفسهم — كما قال الأستاذ عبد الحميد جودة السحار — زبدة البحث وعصارة المقال . ومما يدل على صحة هذه النتيجة أنهم إنما يقرؤون لا لوجه الكاتب أو الشاعر بل للقنص والصيد ، أن بعض التراكيب قد يكتبها الكاتب لتؤدى معنى بعينه فإذا بها تؤدى عكس الذى قصده الكاتب ثم تمر على أفهامهم فلا تحرك لهم ذهنا أو تثير لهم خاطرا؛ فمثلا جاء فى مقال للدكتور محمد يوسف موسى فى عدد الرسالة الممتاز — وكنت أنتظر أن يعقب على ما كتبه أحد منهم فلم يحصل — .. وقد ختم الله رسالاته ورسله ولكنه ترك لنا بعد هذا ما إن تركناه لن نضل وهو القرآن العظيم .. ولكي يكون المعنى الذى قصده الدكتور مستقيما يجب أن يقال ولكنه ترك لنا بعد هذا ما إن تمسكنا به لن نضل » ولكن هذا ذهب فى غمار فسح وأفسح ومهيب ومهاب . بقى شئ آخر أحب أن ألفت نظر حضرات المعقبين إليه ألا وهو أدب الخطاب فى التعقيب ، فقد قرأت فى العدد ٩٦٤ تعقيبا للأستاذ الأبشيهى ختمه بقوله .. فإن كان قد ألقى الحديث على عواهنه فقد علم القاعدة منذ اليوم » فهل فى هذه الجملة ما يشعر بالاحترام ؟ وإلا فأى كاتب هذا الذى يلقى الحديث على عواهنه ؟ وقرأت فى العدد ٩٦٧ تصحيحا لبعض الآيات بصدد الاستشهاد بها فى مقالة للأستاذ السوافيرى. . ولا أدرى أكان الأستاذ حافظا لخانته ملكته أم مستشهدا بآيات سمعها عفوا فذكرها محرفة الخ » إن دل هذا على شيء فإنما يدل على تحامل لا موجب له وتعصب لا خير منه . والأعجب من هذا أن حضرة الحافظ المتثبت جاء ليصحح فأخطأ؛ فليست الآية « محمد رسول الله والذين آمنوا معه » من سورة « محمد » بل هى من سورة « الفتح » فتح الله علينا وهدانا سواء السبيل

هارون المنيفى

تصويب أخطاء

جاء فى مقال « دعوة محمد » بالعدد ٩٦٧ من الرسالة ، بعض الأخطاء نتيجة لتحريف بعض الحروف أو لسقوط بعض الكلمات فرأيت أن أصحح الخطأ ليستقيم المعنى

فقد جاء فى ص ٥١ س ٣ من العمود الأول (فهناك شبه غريب) والصواب (فهناك شبه قريب)

وجاء فى ص ٥١ س ٦ من العمود الثانى (فقد شار كوهم مرارة الحد) والصواب (مرارة الجد)

وجاء فى ص ٥٣ س ٢٥ من العمود الأول (وأرى أنك تخصها بالحب أكثر) والصواب (وأرى أنك تخصنى بالحب



الصـــقر

للقصصى الايطالى بوكاشو

كان بفلورنسا شاب من النبلاء الأغنياء يدعى فريديريك البيرينى من أسرة عريقة فى المجـد ، قد هذبه الفن والطبيعة وجعـلا منه فتى كاملا كيسا لا نظـير له بين أبناء النبـلاء التوسكانيين . وقد وقع فى حبائل الحب كما جرت العادة بين أترابه ممن هم فى صفه من السراة ، فهـام بسيدة من الأعيـان تدعى جان كانت تمتاز من أجمل وأحب نساء فلورنسا ، ولم يدع وسيلة لاستمالتها إلا نفذها ، من ولائم فاخرة ، وألعاب فروسية باهرة ، وهدايا عظيمة . كانت هذه السيدة متمسكة بالتقوى والفضيلة ولم تحفل كثيرا بهذه النفقات الجنونية ، ولكنها لم تحتقر قط هذا الشاب الظريف . ولم يتطرق اليأس ولا الملل إلى فريديريك واستمر فى طريقه وإسرافه حتى أضاع ثروته ولم يبق لديه إلا شئ قليل يعيش به فى حالة بؤس لم يدخر من ماضيه الفخم غير بازى مدرب على الصيد . ولقد أصبح أشـد تملقا بحبيبته رغم فقره المدقع الذى أوقعه فيه ، ورأى أنه لا يستطيع أن يعيش عيشة تليق به فى المدينة ، فصمم على الاعتكاف فى البقية الصغيرة الباقية من أملاكه فى الريف ، فكان يصطاد فى أغاب الأحيـان بصقره ليسرى عن همومه وليـكفيه مؤونة السـؤال . واستمر على ذلك الحـال ردحا من الزمن مرض فى أثنائه زوج حبيبته ثم مات ، وقـد أوصى بثروته العظيمة إلى الصغير ، وبموته دون أن يعقب ينتقل الميراث إلى أمه التى كان يحبها زوجها حبا يقرب من العبادة

أقبـل الصيف فذهبت الأرملة كعادتهـا لتصطاف فى أملاكها فى الريف وكان بينها قريبا من بيت فريديريك . وبمناسبة هـذا الجوار تعرف ابنهـا بفريديريك وكان يتردد عليه ويلهو بكلاب صيده وطيوره ، وشاهد البازى الذى تحدث الناس عن مهارته ففتن به ، ولم يستطع أن يطالبه منه لأنه كان يعرف شدة تعلق فريديريك به . ولما علم أنه يستحيل عليه أن يحوزه ساوره الهم والقلق حتى مرض ، ثم عرف والدته بسبب مصابه قائلا : « أماه ، لو كنت تتمكنين من الحصول على بازى فريديريك لعاجلنى الشفاء وعاودتنى الصحة » وسمعت الأم هنيهة وبحثت فى أحلامها وتأملاتها ؛ فماذا تعمل مع من أحبها طويلا وبدد ثروته لاسعادها وهنائها ، فكانت تقابل منه هذا العطف بالفتور ؟ وكيف تستطيع أن تطالب منه أعز شئ لديه وما به يعيش ويحصل على قوته من الصيد به ، وهل يحسن أن تحرم نبيلا من أعز شئ

أكثر مما كنت تخصها)

وجاء فى ص ٥٤ س ٤ من العمود الأول (وتهـدده الحلوف) والصواب (وتهدده الحتوف)

وجاء فى ص ٥٤ س ١٩ من العمود الأول (امتشق الحسام الذى يزيل ...) والصواب (امتشق الحسـام ليفل به عوابس الخطوب ويزيل بحده)

وجاء فى ص ٥٤ س ٣ من العمود الثانى (بينه وبينهم المهند) والصواب (بينه وبينهم الحسام المهند والوشيج المقوم)

وجاء فى نفس الصفحـة ونفس العمود س ٥ (حتى تلين قناتهم عزين) والصواب (حتى تلين قناتهم ويأتوا صاغرين)

كما جاء فى نفس الصفحـة ونفس العمود س ٣١ (وحسب هؤلاء الطاغين) والصوات (وحسب هؤلاء الطاعنين)

هذه هى الـكلمات التى رأيت أن أردها إلى صوابها وإن كان هناك شئ فانه لا يخفى على فطنة القارئ الـكريم والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الموجود عبد الحافظ

لديه ؟ احتارت فى أمرها ولم تدر ماذا تجيب ابنها والتزمت الصمت ، ولكن الطفل ما فتئ مهموما ملحا فى طلبه ، وفى نهاية الأمر تغلب الحب البنوى على كل اعتبار وعزمت على إرضاء ولدها بأى ثمن كان وصممت أن تعرفه بأنه سينال البازى وستذهب فى طلبه ، قالت له : « لا تحزن يابنى وفكر فى شفائك وصحتك ، وأول شىء سأعمله فى الصباح هو الذهاب لإحضار الصقر . فسر الولد لهذا الوعد وتحسنت صحته فى المساء

وفى الصباح ذهبت أمه هى وإحدى السيدات إلى فريديريك ، ولما دخلت وجدته فى الحديقة ينظمها لأن هذا اليوم لم يكن مناسبا للصيد بالبازى ، وقالت للخادم أن يعلمه بمجيئها لتحدثه فى شأن من الشئون . تصور أيها القارئ دهش فريديريك ومفاجأته بهذا الخبر السار ، فطار من الفرح عدوا لاستقبالها ، وسلم عليها بكل احترام من بعيد ، فتقدمت إليه مدام جان وحيته بكل لطف وأدب . وبعد تبادل التحية قالت له : « لقد أقبلت ياسيد فريديريك لأكافئك على العناية التى بذلتها حينما أحببتنى حبا يزيد على المعقول ، والمكافأة هى حضورى أنا والسيدة لنتناول الغداء معك » فأجابها بكل لطف وتواضع « إننى لم أخسر شيئا قط لأجلك ، بل بالعكس فإنك أعددتنى لكثير من المزايا . ولئن عرفت بشىء منها فالفضل راجع إلى العواطف التى نفحتنى بها . وهذه المكرمة التى نفحتنيها اليوم لجليلة جدا ، وقد أثلجت صدرى وشرحت فؤادى . ومع إننى فقير فإننى لا أريد أن أبيع هذه المنة بثروتى التى فقدتها » وبعد هذه المجاملة اللطيفة صحبها إلى الحديقة وترك بصحبتها الإستانية وصاحبتها التى أقبلت معها ، وذهب ليهيئ الطعام . وهذا النبيل الشريف لم يشعر فى حياته بقسوة وطأة الفقر مثل ما شعر بها فى هذا اليوم الذى أقبلت فيه أعز الناس لديه ، وكان يوده أن يهيئ لها وليمة فاخرة ، فما باله إذا لم يجد شيئا لديه فى هذه اللحظة الحرجة ؟ فاستشاط غضبا ولعن ثروته الضائعة وأخذ يهرول فى أنحاء البيت . والأدهى أنه لم يكن عنده درهم ولا شىء يقوم بقيمة حتى يرهنه . ولما اقتربت ساعة الغداء حار فى أمره فوقع نظره بغتة على البازى الذى كان مطمئنا فى قفصه فصمم على تضحيته ليقدم شيئا مناسبا للاسم التى شرفته بزيارته . ثم لوى عنقه ونتف ريشه ثم وضعه فى النار ولما نضج الطعام ذهب إلى الحديقة ليدعو السيدة وصاحبتها للطعام ؛ وبعد انتهاء الغداء دار حديث لطيف ثم رأت مدام جان أن تطلع فريديريك على سر زيارتها قائلة : « أتذكر أيها السيد كل ما صنعته من صنوف العناية وحيائى الشديد الذى جعلك تظن أننى متوحشة . ولا شك فى أنك تدهش حينما تعلم السبب الحقيقى الذى قادنى إليك ، ولو كان لك أولاد لكنت تعرف قوة الحنو الأمى ، وإنى واثقة أنك ستعذرنى ، ولكنك لا أولاد لك ، ولى ولد واحد ، ولا أستطيع أن أهرب من القوانين العامة للأمهات . وهذا الذى يضطرنى أن أتعدى المعقول وأخالف إرادتى وأطلب منك شيئا أعلم أنك تعزه كثيرا ، لأنه أصبح لك العزاء الوحيد لضياع ثروتك ، وما هو إلا بازيك الذى أطلبه . إن ابنى مريض وهو تواق للحصول على الصقر وأخشى إن لم أحضره له أن يقتله الحزن ؛ ولذلك أتوسل إليك لا بحق الصداقة فلست مدينا لى فيها بشىء ، بل أتوسل إليك بطيبة قلبك وحبك للخير العام الذى لم يكذب فيه الظن قط ، والذى يميزك عن جميع الناس . وسيكون لك ابنى مدينا بصحته وربما بحياته ، وستتملك بهذا الصنيع قلبه وقلبى مدى الحياة »

ولما رأى فريديريك أنه لا يستطيع إرضاء هذه السيدة لأنه أطعمها ما تطلبه خنقته العبرات قبل أن يفوه برد ، فظنت السيدة أنه يبكى حزنا على فقد بازيه وكادت تغير رأيها فيه وفضلت أن تسكت إلى أن يجيب فقال لها : « إننى منذ فتنت للمرة الأولى بمحاسنك تيقنت أن الثروة كانت تناوئنى فى كثير من الأمور ، وكنت أشكو من شدة ما تفرضه على ، ولكن كل ما مر على من بؤس وآلام لم يك شيئا بجانب بلية اليوم ، وستترك فى قرارة نفسى مرارة لاتفارقنى . هل تستطيع المصائب أن تسدد إلى طعنة أفظع من صدمة اليوم حينما أرى أنك تفضلت بزيارتى فى هذا

البيت الحقير مع أنك لم تتنازلى بزيارتى حينما كنت غنيا ثم تطلبين منى شيئا لا أستطيع أن أحضره لك . ما أقساك أيها الحظ العاثر الذى ما فتئ يضطهدنى ! لقد تحملت بصبر جميل أصناف الرزايا والمحن، ولكننى رزحت تحت هذه الصدمة إذ ليس عندى الآن بازى ، وبمجرد ما شرفتنى وأظهرت رغبتك فى تشريفى بالغداء معى فكرت أن أحضر غداء أرقى مما اعتاده الناس فذبحت الصقر دون تردد لمهارته العظيمة فى الصيد ؛ ومن سوء حظى لم أوفق لأن أقدمه إليك حيا . وبعد هذا الحديث رأى أن يقنعها بأن أحضر الرأس والريش والمخلبين

دهشت مدام جان ولامته لوما شديدا لذبحه صقرا ثمينا ولكنها ارتاحت لهذا المثال العظيم فى الكرم الحاتمى الذى لم يؤثر فيه الفقر والبؤس وقالت له : « إننى لا أنسى مدى حياتى هذه التضحية مهما كان تصرف الآلهة فى ولدى » . ثم استأذنت من فريديريك وانصرفت شاكرة له شرفه وحسن نواياه ، وذهبت إلى ابنها حيرى حزينة لا تدرى بماذا تجيبه ، وقد اشتدت وطأة المرض عليه ومات بعد بضعة أيام وهى لا تدرى إن كان الموت نشأ من شدة حزنه على البازى أو كان المرض بطبيعته قاتلا

وقد آلمها مرض ابنها ووفاته وطفقت تبكيه عدة أيام . ثم توسل إليها إخوتها أن تتزوج لأنها فتية وغنية جدا. فلم تجد عندها رغبة فى الزواج ، ولكن أقاربها وأصدقاءها طفقوا يلحون عليها ويحثونها ، فعاودتها الذكرى وفكرت فى مكارم أخلاق فريديريك من شرف وثبات و كرم ، وكيف قدم لها صقرا ثمينا للغداء . ثم قالت لأقاربها : إنى أستطيع أن أبقى أيما سعيدة إن كان هذا يرضيكم ، ولكن احتراما لرغبتكم لا أقبل زوجا غير فريديريك البيريني . فصاح إخوتها بلهجة التهكم . « هل أنت جادة فى قولك ؟ إننا لا نستطيع أن نتصور ذلك . هل تجهلين أن هذا النبيل أصبح فى فقر مدقع ؟ »

— إننى أعلم ذلك ولكنى أفضل رجلا محتاجا إلى المال على ثروة محتاجة إلى رجل . ولما رأى إخوتها أنها مصممة ألا تتزوج غير فريديريك وأنهم لا يستطيعون أن يغالطوا أنفسهم أنه شريف كيس صادقوا على زواجهما ، أقاموا عرسا فى منتهى الفخامة

لقد صير البؤس الزوج الجديد حكيما بصيرا بعواقب الأمور فأصبح مقتصدا يدبر شؤون الثروة الحديثة بحكمة وفطنة وعاش مع زوجته التى أحبها عيشة سعيدة هنيئة متمتعا بعطفها وحنانها

م . ع



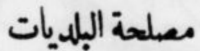
وحي الرسالة
فصول فى الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للاستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
دليـــل تليفونات القاهرة طبعة سنة ١٩٥٢
يمكنكم أن تحجزوا الاماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة طبعة سنة ١٩٥٢ الذى سيصدر فى القريب العاجل
والاعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة اذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة
ويتداوله آلاف المشتركين و به أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة
ولزيادة الايضاح اتصلوا .—
بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة ـ بمحطة مصر
مطبعة الرسالة





فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



جامعة فؤاد الأول

كلية دار العلوم

تعلن كلية دار العلوم عن خلو وظيفة أستاذ (ج) لكرسى تاريخ الأدب العربى بها ويشترط فيمن يرشح نفسه لشغل هذا الكرسى أن يكون مستوفيا للشروط الجامعية وعلى من يرغب فى الترشيح لهذه الوظيفة أن يقدم طلبا باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية دار العلوم فى ميعاد لا يتجاوز أسبوعا من نشر هذا الإعلان ٧٥٥

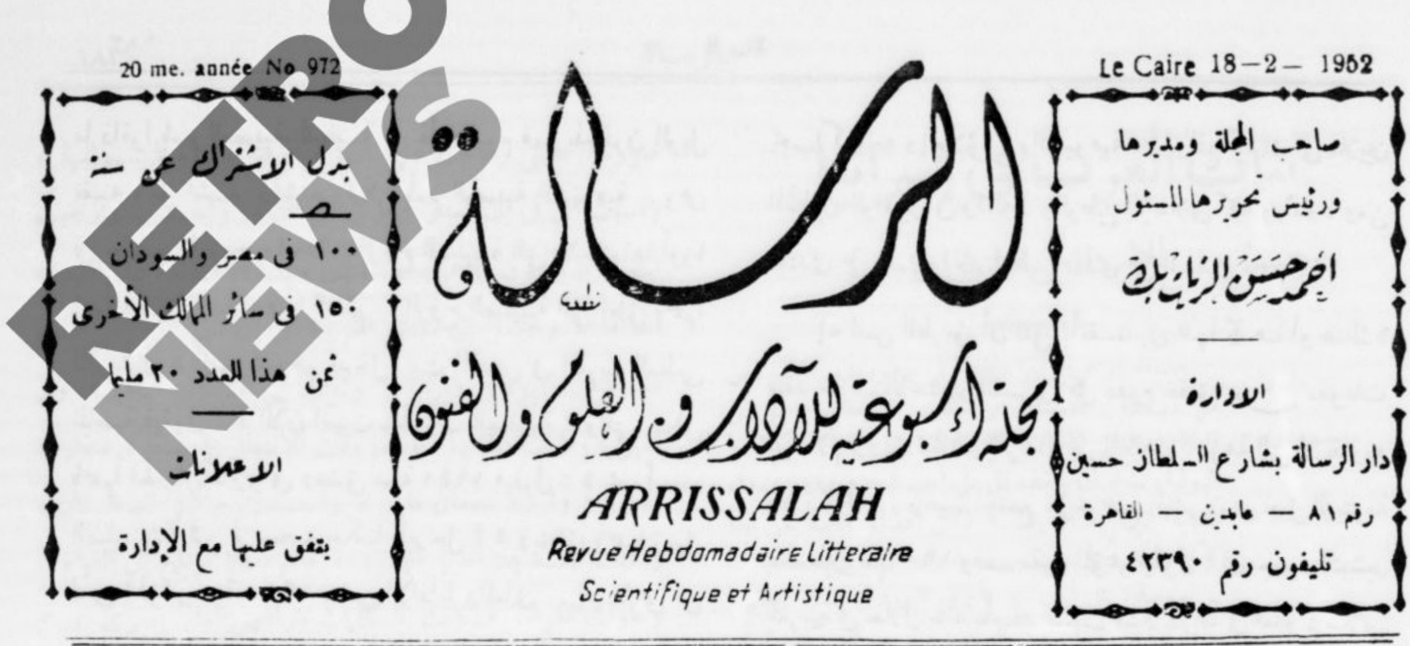
مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٣ ـ ٣ ـ ١٩٥٢ عن عملية توريد أدوات احتياطية لماكينات أوتود بنس طراز VM ١٥٨ قوة ٢٣٠ حصانا بمحطة كهرباء أبو تيج وتطلب الشروط والمواصفات من المصلحة على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ ٢٥٠ مليم خلاف أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢٪ لا يلتفت إليه ٨١٢

وزارة الصحة العمومية

تقبل العطاءات بإدارة مخازنها بالعباسية لغاية الساعة الثانية عشرة ظهرا يوم ١٦ ـ ٣ ـ ١٩٥٢ لتوريد مراكب وصنادل لعام ٥١ ـ ١٩٥٢

ويمكن الحصول على قوائم هذه المناقصة من الإدارة المذكورة بموجب طلب على ورقة دمغة فئة خمسين مليما وثمن القائمة مائة مليم ٧٧٠



20 me. année No 972

Le Caire 18-2-1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٣٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ١٨ فبراير سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

طريق وحيد

للأستاذ سيد قطب

يوماً بعد يوم يتبين أن هنالك طريقاً معيناً للشعوب الإسلامية كلها فى هذه الأرض، يمكن أن يؤدى بها إلى العزة القومية، وإلى العدالة الاجتماعية، وإلى التخلص من عقابيل الاستعمار والطغيان والفساد .. طريقاً وحيداً لا ثانى له، ولا شك فيه، ولا مناص منه .. طريق الإسلام، وطريق التكتل على أساسه.

إن أحداث العالم، وملابسات الظروف، وموقف الشعوب الإسلامية .. كلها تشير إلى هذا الطريق الوحيد، الذى لا تمليه عاطفة دينية، ولا تحتمه نزعة وجدانية. إنما تمليه الحقائق والوقائع، ويمليه الموقف الدولى، ويمليه حب البقاء، وتلتقى عليه العاطفة والمصلحة، ويتصل فيه الماضى بالحاضر، وتشير إليه خطوات الزمن، ومقتضيات الحياة.

لقد أكلنا الاستعمار الغربى فرادى، ومزقنا قطعاً ومزقاً يسهل ازدرادها، وأرث بيننا الأحقاد والمنافسات لحسابه لا لحسابنا، وجعل له فى كل بلد إسلامى طابوراً خامساً، ممن ترتبط مصالحهم بمصالحه، وممن يرون أنفسهم أقرب إلى هذا الاستعمار منهم إلى شعوبهم وأوطانهم؛ وأقام أوضاعاً معينة فى كل بلد إسلامى تسمح له بالتدخل، وتعلى له فى البقاء، وتضمن له أنصاراً وأذناباً فى كل مكان.

فإلى أين نتجه لنكافح الاستعمار وأذنابه وأوضاعه؟ إن أناساً من المخدوعين والمغرضين، يدعوننا أن نتجه إلى الكتلة الشرقية. الكتلة الشرقية التى تمحو الإسلام والمسلمين محواً منظماً ثابتاً فى أرضها، منذ أن استقرت فيها الشيوعية، والتى تتخذ مع المسلمين فى أرضها من وسائل الإفناء المنظم ما لم يعرفه التتار ولا الصليبيون فى أشد عصورهم قسوة وفظاعة.

لقد كان عدد السكان المسلمين فى الأرض الروسية اثنين وأربعين مليوناً عند ابتداء الحركة الشيوعية، فتناقص عددهم تحت مطارق الإفناء المنظم، والقتل والتجويع والنفى إلى سيبريا حتى وصلوا فى خلال ثلاثين عاماً فقط إلى ستة وعشرين مليوناً .. ستة عشر مليوناً من المسلمين فى الأرض الروسية وحدها قد أبيدوا .. أما فى الصين الشيوعية فالمأساة تتكرر الآن فى تركستان الشرقية، بنفس الوسائل ونفس الشناعة .. وفى يوغسلافيا تتم حركة التطهير من العنصر الإسلامى .. وفى ألبانيا كذلك .. كل أرض مستها الشيوعية قد نزلت فيها النقمة على رؤوس المسلمين بشكل وحشى يروى الفارون منه أخباره وتفصيلاته، كما تروى أساطير الهمجية الأولى.

ولقد ذاق المسلمون من قبل على يد القيصرية الروسية

ما ذاقوا باسم العصبية الدينيـة .. فأما اليوم فهم يذوقون الويل نفسه ، بل أشـد وأشنع ولكن باسم العصبية الشيوعية .. وهى فى حقيقتهـا روح واحدة : الروح الصليبية التى لا تنساها أوربا أبداً ، مهما تبدلت فيها النظم .. الروح الصليبية التى نطق باسمها الماريشال « ألنبى » وهو يدخل بيت المقدس فى الحرب العظمى الماضية فيقول : « الآن انتهت الحروب الصليبية » والتى ينطق باسمها الجنرال كاترو فى دمشق سنة ١٩٤١ فيقول : « نحن أحفاد الصليبيين ، فمن لم يعجبه حكمنا فليرحل ! » وينطق باسمها زميل له فى الجزائر سنة ١٩٤٥ بنفس الألفاظ والمعانى .. إنهـا هى هى فى أوربا كما هى فى أمريكا ، وكما هى فى البـلاد الشيوعية .. كلها تنضح من إناء واحد : إناء الحقـد على الإسلام ، والتعصب الصليبى الذميم . يضاف إليه تعصب الشيوعية ضد الأديان جميعاً . وضد الإسلام على وجه الخصوص .

ويتشدق أقوام هنا بالحرية الدينية فى الكتلة الغربيـة . كما يموه أقوام بالحرية الدينية فى الكتلة الشرقية .. وكلهم خادع أو مخدوع ، والحوادث والوقائع تنطق بأن المسلمين غير مرحومين عند الغرب أو عند الشرق .. فكلاهما عدو غير راحم ! إن الغرب الذى يمتص دماء المسلمين بالاستعمار القـذر اللئيم . وإن الشرق لهو الذى يبيدهم إبادة منظمة تتولاها الدولة تحت شتى العناوين !

ويعرض علينـا المخدوعون أو الخادعون أحيـاناً نصوص الدستور السوفيتى ، ومادة فيه تنص على حرية الاعتقاد .. نعم لك حرية الاعتقاد فى الاتحاد السوفيتى ، على ألا تسلم لك بطاقة للتموين — وليس هنالك وسيلة غير هـذه البطاقة لتحصل على الطعام والشراب والكساء — ولك أن تعبد الله إذن كما تحب ، ولكن ليس لك أن تأكل من مخازن الدولة ! وأنت وما تشاء : الموت جوعاً مع الله ! أو الحياة الحيوانية مع ستالين !

إنه ليس الطريق أن ننضم إلى كتلة الغرب أو كتلة الشرق كلتاهما لنـا عدو ، وكلتاهما كارثة على البشرية ، وعلى الروح الإنسانية .. لقـد تكون الشيوعية فى أرضها نعمة على أهلها ، ولقد تكون الديمقراطية فى أرضها نعمة على أهلها .. ولكن هذه وتلك بلاء ونقمة على الشعوب الإسلامية . الاستعمار بلاء واقع يجب كفاحه وإجلاؤه . والشيوعية بلاء واقع كذلك على ملايين المسلمين الواقعين فى براثنه . والوطن الإسلامى كله وحدة ، ومن اعتدى على مسلم واحد ، فقد اعتدى على المسلمين أجمعين .

إنه ليس الطريق أن نلق بأنفسنا إلى التهلكة هنا أو هناك ؟ فلقد حارب الاستعمار الغـربى كل مقوم حقيق من مقومات الإسلام ، وإن تظاهر بالإبقاء على المظاهر المموهة التى لا تقاومه ولا تكافحه .. وحينما اجتمع مؤتمر جميع المبشرين فى جبل الزيتونة بفلسطين عام ١٩٠٩ وقف مقرر المؤتمر ليقول : إن جهود التبشير الغربية فى خلال مائة عام قد فشلت فشلا ذريعاً فى العالم الإسلامى لأنه لم ينتقل من الإسلام إلى المسيحية إلا واحد من اثنين : إما قاصر خضع بوسائل الإغراء بالإكراه ، وإما معـدم تقطعت به أسباب الرزق فجاءنا مكرهاً ليعيش . وهنا وقف القس زويمر المعروف المصريين ليقول : كلا ! إن هـذا الكلام يدل على أن المبشرين لا يعرفون حقيقة مهمتهم فى العالم الإسلامى . إنه ليس من مهمتنا أن نخرج المسلمين من الإسلام إلى المسيحية . كلا ! إنمـا كل مهمتنا أن نخرجهم من الإسلام فحسب ، وأن نجعلهم ذلولين لتعاليمنا ونفوذنا وأفـكارنا . ولقد نجحنا فى هـذا نجاحا كاملا ؛ فكل من تخرج فى مدارسنا ، لا مدارس الإرساليات فحسب ، ولكن المدارس الحكومية والأهليـة التى تتبع المناهج التى وضعناها بأيدينا وأيدى من ربيناهم من رجال التعليم .. كل من تخرج فى هذه المدارس خرج من الإسلام بالفعل وإن لم يخرج بالاسم . وأصبح عوناً لنا فى سياستنا دون أن يشعر ، أو أصبح مأموناً علينا ولا خطر علينا منه ! .. لقـد نجحنا نجاحا منقطع النظــير ..

هذا موقف الكتلة الغربيـة . فأما الكتلة الشرقية ، فقـد اختارت الإفنـاء المنظم ، والإبادة الوحشية بمعرفة الدولة ، وما تزال ماضية فى طريقها لمحو الإسلام والمسلمين !

إن طريقنا واضح . طريقنا الوحيد أن نمضى فى تكتل إسلامى ، هو وحده الذى يضمن لنا البقاء ، ويضمن لنا الكرامة ، ويضمن لنا الخلاص من الاستعمار وأذنابه وأوضاعه ، كما يضمن لنا أن نقف سداً فى وجه التيار الشيوعى المهلك المبيد .

والتكتل الإسلامى لا يعنى التعصب فى أى معنى من معانيه .. إن الإسلام هو الضمانة الوحيدة فى هذا العالم اليوم لوقف حركة التعصب ضد المخالفين له فى العقيدة . فهو وحده الذى يعترف بحرية العقيدة ويرعاها ، فى عالم الواقع لا فى عالم النصوص . وهو وحده الذى يمكنه أن يضمن السلام للبشرية كلها فى ظلاله ، سواء من يعتنقونه ومن لا يعتنقونه .. إنه لا يستعمر استعمار الغرب الآثم الفاجر ، ولا يبيد مخالفيه إبادة الشيوعية الكافرة الجاحدة . إنه النظام العالمى الوحيد ، الذى تستطيع جميع الأجناس ، وجميع العقائد ، أن تعيش فى ظله فى أمن وسلام .

وطريقنا إذن أن نرفض كل ارتباط يشدنا إلى عجلة الاستعمار — تحت أى اسم وأى عنوان — وأن نرفض فى الوقت ذاته كل دعاية تدفعنا إلى فكى ذلك الغول الشرقى ، الذى يبيد العنصر الإسلامى فى أرضه بقسوة وشناعة ، لا يقرها الهمج فى أحلك عصور التاريخ .

إنه طريق وحيد . طريق الكرامة . وطريق المصلحة . وطريق الدنيا . وطريق الآخرة . . إنه الطريق إلى الله فى السماء وإلى الخير فى الأرض . وإلى النصر والعزة والاستعلاء .. إنه هو الطريق !

سيد قطب

١٤ ـ ٣٨

بنات العرب فى إسرائيل

للأستاذ على الطنطاوى

هذه قصة واقعية قرأتها ملخصة فى سطور فى كتاب (من أثر النكبة) للأستاذ نمر الخطيب ، بطلها رجل من فلسطين يحسن الانكليزية كان له صديق من أعضاء اللجنة الدولية ، سأله أن يأخذه إلى تل أبيب ليجدد ببلاده عهدا ، فأجابه إلى ما سأل وألبسه لباس أعضاء اللجنة حتى غدا كأنه واحد منها

ووصلوا تل أبيب ، فأنزلهم اليهود فى فندق عظيم ، وأولوهم أجل العناية وأكبر الرعاية ، حتى لقد أخبروهم أن إدارة الفندق ستبعث إلى غرفة كل واحد منهم فتاة بارعة الجمال ، لتكون رفيقته تلك الليلة

قال :

ولما أويت إلى غرفتى ، تمثلت لى الفتاة التى وعدت بها ، فملأت صورتها نفسى وهاجت فيها أدنأ غرائزها ، وأحط شهواتها ، ونسيت أنى فى بلد العدو ، وأن على التوقى والحذر ، وارتقبت ليلة (كما يقولون) حمراء ، تلتهب فيها الأعصاب بنار الشهوة الجامحة ، وخيل إلى منطق الغريزة أنى إن نلت امرأة من يهود فقد غزوت يهود فى ديارها . وثقلت على الساعات الباقية دون الليل ، وطالت دقائقها ، وجثم وقت الانتظار على صدرى فتقارب نفسى ، وازداد خفقان قلبى ، وأحسست بركبتى تصطكان ، وكنت أقعد فلا أطيق القعود ، فأقوم فلا أرتاح إلى القيام . وحاولت القراءة فكانت الكلمات تتراقص أمام بصرى ، ثم تستحيل إلى صور صبايا عاريات ، وتضيع المعانى فلا أدرك إلا المعنى الواحد الذى هو فى ذهنى

وكذلك تصرمت ساعات ، ما أظن أنه مر على فى عمرى أثقل منها . وما أظن لذائذ الوصال لو جمع لى ما يلقاه الناس كلهم منها ، تعدل آلام هذه الساعات

... وجاء النادل (الكارسون) يقدم إلى فتاة ، جرفتها ببصرى فى لمحة واحدة ، وجردتها بخيالى من ثيابها فى ثانية ، فرأيتها عارية أمامى ، وجمحت بى الغريزة حتى لا أقدر على الصبر عن عناقها دقيقة ، وعن ضمها إلى ، وعن أن أشد يدى عليها ، ثم آكلها عضا

وكانت شقراء لها شعر ما علمت قبل اليوم كيف يكون الشعر كأسلاك الذهب ، يتموج ويسترسل على كتفين مستديرتين كأنهما ... ولكن مالى ولهذا الولع بالتشبيهات ، وبماذا أشبه كتفى فتاة عبلة فى السابعة عشرة ؟

وكان يبدو من جيب ثوبها الفاضح خط ما بين نهديها ، كأنه خيط يسحب القلب من صدر رائيه ، وأنف أشم كأنف صبى من ولد الإغريق الأولين ، وفم كأنه زر ورد أحمر

وكان ثوبها ينحسر عن ساقين ممتلئتين مستديرتين ، يقطر الصبا منهما والجمال ، ولم تكن فتاة ولكنها كانت فتنة فى ثوب امرأة . وكان الحب الذى غنى له الشعراء ، وسبحوا بحمده ، مصورا فتاة . كذلك كنت لما ثبت النظر أخيرا على عينيها

لقد كانت لها عينان ، لا يستطيع السمو إلى وصفهما البيان ؛ عينان فيهما شىء لا أدرى ما هو ، ولكنى أحلف أنى ما

مكنت بصري منهما حتى أحسست بأن أعصابي المشدودة قد استرخت، وأن دمي الفائر بالشهوة قد برد، وأن قد طارت من رأسي كل فكرة جنسية، وامتلأ قلبي عطفا وحنانا، كأن أمامي قطة صغيرة وديعة حلوة الوجه، ناعمة الشعر. هذا ما شعرت به وأنا أعتذر من غرابة هذا الشعور، وتوهمتها من طهر عينيها زنبقة من زنابق الجبل، بيضاء كالثلج، نقية كالندى، لم يمسسها إلا نسيم الأصيل، ولم تقبلها إلا أشعة الشمس، ولم تبصر عريها إلا عين الشتاء

وعجبت أنا من نفسي، مما عراني، قبل أن يعجب القارئ مما أروي

عجبت كيف تكون لي هذه العاطفة على بغي!

أو ليست بغيا هذه التي يقدم جسدها اليهود قرى لضيوفهم كما يقدمون لحوم الخراف وشحوم الخنازير؟ وعدت أنعم النظر إليها، فأرى صبية في ثياب الغواني، ولكن في عينيها حياء العذارى، وأرى فيها ملامح رقة وتهذيب كأنها ملامح طالبة من طالبات المدرسة، لا فتاة من فتيات الليل، فرحت أحاول أن أوحي إلى نفسي أنه دل البغايا حين يسرقن نظرات الأبكار ووقفت ووقفت وساد الصمت والسكون، فلا حركة ولا كلام

وعجبت هي مني أكثر من عجبي من نفسي، كأنها ما تعودت من قبل إلا لقاء وحوش في ثياب بشر، لا يرون فيها إلا ما يراه الذئب في جسم النعجة، لا يعنيه منه لونه في نظره، ولا ريحه في أنفه، ولا لينه في كفه، ولكن طعمه تحت أنيابه، وإن كان جسد النعجة ينال مرة فتموت وتستريح، وهذه (نعجة) يتعاورها الذئاب كل يوم، فهي تموت كل يوم ميتة جديدة

وقفت متململة تحاول الابتسام فلا يلوح على شفتيها إلا بقايا ابتسامة ماتت من زمن طويل. وثقل الموقف ولم يفتح علي بكلمة، فأرادت الخلاص فأشارت إشارة المحكوم عليه إلى الجلاد ليعجل عليه بالإنقاذ ويخلصه من الانتظار الذي هو شر من الإنقاذ

أشارت بيد إلى الفراش. كأنها تقول: تريد؟ وبالأخرى إلى ثيابها كأنها تقول: أنزع؟ وعاودت أعصابي هياجها، ولكني نظرت إلى عينيها فرأيتهما تقولان القلبي شيئا غير ما تقول اليدان، فأجبت برأسي أن لا!

ودعوتها فقعدت إلى جنبي، وهمت بأن تلق بذراعها على كتفي، وبصرها تائه في الأفق البعيد، كأنها تتحرك وهي منومة، فمنعتها برفق، وكلمتها بالإنكليزية، فأومأت بأنها لا تفهمها، فكلمتها بالكلمات القليلة التي أحفظها من العبرية، فعلت وجهها سحابة سوداء من الألم، وغامت عيناها لحظة، ثم أومأت بأنها لا تفهمها، فكلمتها بالفرنسية فلم تفهم

ففكرت هل أخاطر وأكلمها بالعربية، وكنت أعلم ما في ذلك من الأذى لي والضر بي، ولكني أقدمت وقلت لها:

هل أنت عربية؟

فانتفضت انتفاضة لو كانت بصخرة لصبت فيها الروح، ولانبجست فيها الحياة. وأضاء ذلك الوجه الجميل، الذي كان عليه نقابان: نقاب من التبذل الظاهر، ونقاب من الألم الخفي، وأشرق بنور سماوي وحدقت في بعينيها العجيبتين، وفيهما لمعة الفرح، وفيهما حلقة الذعر، وقالت:

— هل أنت عربي؟

فترددت ما بين خوف منها، وبين عطف عليها، لخفت أن تكون يهودية فتشي بي، وأشفقت أن تكون عربية تحتاج إلي، ثم غلبت ثقتي بها، فقلت لها:

— نعم

— قالت: وأنا عربية، من أسرة (كذا) من بلدة (كذا) ومعي خمس وثمانون من بنات العرب... فأحسست كأن خنجراً مسموما قد أوقد عليه وغرز في قلبي، وكأن الأرض تدور بي، ولكني تثبت ولم أحب أن أفجع المسكينة بهذا الحلم البهي الذي رأيت ظلاله على وجهها، لقد حسبت من خلال الفرحة الطارئة أنها من يافا العربية، وأنها قد عادت إلى طفولتها المدللة، وعادت لها طهارة تلك الطفولة، وأنها لا تزال العذراء البكر تعيش بين أهلها وذويها في حمى الأبطال العرب الذين كانوا يحرسون أرض الوطن، وعرض بنات الوطن، وحمى الجيوش العربية التي كانت أعلامها تلوح على الآفاق الأربعة البعيدة، من وادي النيل، وجنبات الأردن، وخمائل الغوطة، وسهول العراق، وبطاح نجد، فتبعث في نفوس عذارى فلسطين الدعة والأمن، وفي قلوب شبابه الزهو والكبر، وعنعها أن

تطيف بها رهبة من يهود

ولكن هذه الإشراقة ما لبثت أن بدت حتى اختفت . إن الصبح الذى حسبته قد انبلج بعد ما طال مهوا ارتقابه لا يزال بعيدا ، والشاطىء الذى ظننته دنا بعد ما اشتد إليه حنينها لايزال ضائعا فى الضباب، ولا يزال مكتوبا عليها أن تقاسى الذل آماداً أخرى - لا يزال فى الكأس المريرة بقايا عليها أن تتجرعها

خبت إشراقة النور التى وقدت على جبينها ، وانطفأ البريق الذى لمع فى عينيها ، وهيض الجناح فهبطت من سماء الأحلام إلى أرض الحقيقة التى قيدتها بها قيود اليهود . وصحت من سكرة الفرح فإذا هى حيث كانت ، لا الحرية عادت ولا الأهل ، ولا الليالى الماضيات تعود

وفاضت النفس رحمـــة بها وحنانا عليها ، فطوقتها بيدى فانكمشت والتصقت بى ، كما تفعل القطة الوديعة، وأخفت وجهها فى صدرى ، وهى تنشج نشيجا خافتا ، تمنيت معه لو أستطيع أن أشترى سعادتها التى فقدتها بحياتى لأردها عليها ، وأحسست أنى أحبها منذ الأزل ، وأنى لم أعش يوما منفردا عنها ، ولا أعيش يوما بعد فراقها ، وأن قد امتزج منا الجسمان ، واتحد الروحان ، واختصر الزمان حتى كان هذه اللحظة وحدها ، كما يختصر شعاع الشمس فى عدسة الزجاج فى نقطة واحدة ، وفى هذه النقطة الأشعة كلها ، فلا ماض مضى ولا آت يجيء ...

وهتفت بى ووجهها خلال ثيابى ، وأنا أحس خفق قلبها فوق صدرى ، كأنه حديث من قلبها إلى قلبي :

— لن أعود إلى حمأة الرذيلة . لن أعود . خذنى معك ، إلى الشام ، إلى الأردن ، إلى الصحراء ، إلى أى بلد عربى لا حكم فيه لليهود . خذنى أكن خادما لك ، أكن أمة ، أو فأعنى على الموت ، فإنى لا أجرؤ وحدى عليه ، حتى لا أهين بجسدى الملوث الأرض التى احتوت رفات الجدود

* *

لقد رأت فى المسكينة شماعة تخلفت من نهارها ، وزهرة بقيت من روضها ، فحسبت أن النهار الذى ولى وغربت شمسه يعود ، وأن الروض الذى جف وصوح نبته يرجع . وهيهات هيهات ! لقد فقد العرب كبرياء العرب ، وأضاعوا عزة العرب ، وشهامة العرب

لقد هتفت أسيرة عربية فى قديم الدهر ، باسم ملك العرب المعتصم فنحى الكأس وقد دعا بها ليشربها ، ووثب من فوره يجيبها

(أجابها) معلنا بالسيف منصلتا ولو (أجاب) بغير السيف لم يجب

حتى اقتحم من أجلها جيش هرقل صاحب البرين والبحرين ونازل الروم من كانوا يوما سادة الأرض ، وعاد بالمرأة وعاد بالنصر الذى طبق خبره الأرض ، وطاول مجده السماء

فهل من ينقذ اليوم آلاف النساء ، نساء العرب ، من سبى أذل الأمم : اليهود ؟ هيهات ! لقد فقد العرب كبرياء العرب ، وعزة العرب !

* * *

وعادت تقول وهى مخفية وجهها خجلا :

إن ترنى اليوم ماشية فى طريق الفجور ، فلقد كنت يوما بعيدة عنه ، جاهلة به ، وكان لى أبوان شريفان وكانت لى أخت ، وكانت . . .

وشهقت شهقة ألمة

... فهل يعلم أحد أين هى أختى ؟

لقد أراد لى والدى الحياة الماجدة الكريمة — فربيانى على الدين والخلق — وعلمانى حتى نلت الشهادة المتوسطة ، وتهيأت للبكالوريا ، وأطلعنى أبى على روائع الأدب ، وكنوز المعرفة ، وكان يرجو لى مستقبلا فكان مستقبلي .. كان ... كان ...

وشرقت بدمعها

لقد قتلوا أبى يوم الواقعة ، أفتدرى كيف قتلوها ؟ إنهم وضعوا البندقية فى ... كيف أقول ؟ فى مكان العفاف منها ، فوقعت أمامى تتخبط بدمها ، أما أبى فهرب بى وبأختى وانطلق يعدو حتى لحقوه ، فجعلوا يضربونه بأعقاب البنادق وبأيديهم وبأرجلهم حتى سقط . واستاقونا ...

ورحت أتلفت وأنا أكاد أجن من الذعر ، أنادى: أبى ! أبى! أحسب أن أبى يسمع ندائى بعد الذى نزل به أو يقدر على حراك . ولكن أبى قد سمع وشدت روح الأبوة ، وسلائق العروبة من عزمه ، فنهض يسعى لينقذنى وكلما ونى ذكر أن ابنته

التى رباها بدمه وغذاها من روحه ورجا لها المستقبل البارع ستغدو أمة لليهود ، فتعاوده القوة حتى استنفد آخر قطرة من قواه ، فسقط مرة ثانية قبل أن يدركنا

تمر على الإنسان المصائب الثقال بنساها . يمرض حتى يتمنى الموت ثم يدركه الشفاء فينسى أيام المرض . ويموت أليفه فيألم حتى يعاف العيش ثم ينسى موت الحبيب ، ولكن مصيبة الفتاة بعفافها لا تنسى حتى ترد ذكراها معها الموت

لقد كانت هذى الساعة بداية آلامى التى سأحملها معى إلى القبر . فقدت الأب والأم ، ثم فقدت العفاف وغدوت مثل البغايا ، فأين عينا أبى ترياني ؟ أين أبى ؟ هل هو حى معذب مثلى أم قد مات واستراح ؟

إنى لأرجو أن يكون قد مات . أفرأيت ابنة تتمنى الموت لأبيها ؟ نعم . حتى لا يرى ما حل بينته فيجد ما هو أشد عليه من الموت

ولما غدوت وحيدة فى أيديهم ، وعرفت أنه لا معين لى بعد أن فقدت أبى ، تنبهت فى القوى الكامنة ، وأمدنى اليأس بالعزم ، وشعرت بأنى كبرت فجأة حتى أصبحت بجنب أختى الصغيرة أما لها بعد أمها ، وأبا بعد أبيها ، وأن على أن أحميها . وقلت لنفسى : إذا كانت الدجاجة تدفع عن فراخها هجمة النسر ، والقطة إن ضويقت واستيأست تقاتل الذئب ؟ فلم أعجز عن حماية هذه الطفلة؟ وقد كانت طفلة حقا ، كانت فى الثالثة عشرة تبكى بكاء ، ما رأيت قط مثله ، وترتجف كل عضلة من جسمها كما ترتجف كل ورقة فى الشجرة هبت عليها رياح الخريف

وتنمرت واستبسلت دونها ولكنهم غلبونى وأخذوها منى ثم وضعونى فى سيارة جيب مع ثلاثة من جنود يهود

وطفقت أدافع بيدى ورجلى ، وأعض بأسنانى حتى عجز عنى أنا البنت الضعيفة ثلاثة الرجال . فلو أن كل عربى من أهل فلسطين وكل امرأة وكل ولد ، كان قاتل بسلاحه وقاتل بعصاه إن لم يجد السلاح ، وبحجارة أرض الوطن وبيديه وأسنانه لما استطاع اليهود ...

ولما ذكرت اليهود ارتجفت من الخوف . وتلفتت حولها تخشى أن تسرق همسها آذان خفية فى الجدار فتنقله إلى جلاديها

قالت :

وصب فى الخوف على أختى قوة لم أكن أتصور أنها تكون لأحد ، فاغتنمت لحظة غفلة ممن معى ووثبت من السيارة فوقعت على ركبتى

وكشفت عن ركبتيها وقالت : أنظر ، ثم عاودها حياء العذراء التى كانتها يوما والتى تقص قصتها فأسرعت فسترتهما

قالت :

وجعلت أعدو حافية وقد سقط الحذاء من رجلى على التراب والشوك حتى لحقوا بى وأعادونى

ورجعت أدافع ، فأحسست غرز إبرة فى يدى ، ثم لم أعد أشعر بشىء

وسكتت لحظة وكادت من الحياء يدخل بعضها فى بعض . وصار وجهها بلون الجمرة ثم تكلمت بصوت خافت كأنه آهات مكتومة لم أتبينها حتى دنوت منها ولفحت أنفاسها الحرى وجهى

قالت :

ولما صحوت وجدتنى ملقاة على أرض السيارة ، مكشوفة ... وعلى فخذى آثار دم ! !

وعادت تنشج ذلك النشيج الذى يفتت القلب

لقد أراقت دم عفافها لأن رجال قومها لم يريقوا دماء أجسادهم فى سبيل الأرض وفى سبيل العرض . لقد خدروها بهذه الإبرة كما خدروا زعماء العرب بالوعود وبالخدع وبحطام من الدنيا قليل

* * *

قالت :

وصرنا ننتقل من يد إلى يد أنا وبنات قومى العرب ، كالإماء فى سوق الرقيق لم تهدر كرامتنا وحدها ولم تضع أعراضنا فقط ، بل لقد فقدنا صفات الإنسانية . غدونا (أشياء) تباع وتشرى ، ويساوم عليها ، صارت لحومنا قرى لضيوف اليهود !

إن البائس ليلقى فى مغارات اللصوص ، وفى سراديب السحرة قلبا طيبا يحنو عليه ، ويخفف بؤسه .. ولكنا لم نلق هنا رحمة من أحد

لقد قرأت مرة فى قصة كان دفعها إلى أبى مترجمة من الكاتبة

الأمريكية أ . بيشرستو ، أنه كان من أحلى أمانى الرقيق أن يباع معه قريبه وألا يفصل الرق الأم عن بنتها والولد عن أخته ، فكنت أعجب من تلك الصور وهوان الإنسانية فيها ، فأى حقيقة مروعة مرعبة رأيت ؟ بنات العرب صرن رقيقا لليهود لا للعمل ولا للخدمة بل للخزى والفجور ... وهأنذى مثل ذلك الرقيق : كل ما أعناه أن يجمع الرق الأبيض بينى وبين أختى!

هذا ما تتمناه بنت الأسرة العربية الشريفة بعد نكبة فلسطين . أما حنان الأب، أما حب الأم، أما عزة العفاف و كرامة العروبة ، وتلك الأيام التى كانت نرتع فيها فى روض الطفولة فلم يبق من ذلك كله إلا صور باهتة فى أعماق الذاكرة ، لا تجرؤ هى أن تحدق فيها.. كلا إنها لا تستطيع أن تسمو إلى بعث هذه الذكريات .. إن الرأس الذى أحنته وصمة العار لا يقدر أن يرتفع بنظره إلى السماء

ولكن الوصمة يا أختى — يا أختى على ما أنت عليه ، الوصمة ليست على جبينك أنت ، إنها على جبين كل عربى يرضى لك هذا الذى أنت عليه

وكانت ليلة ليلاء ، ما عرفت فيها إلا لذع الآلام

لقد كان من المستحيل أن نفكر بالغاية التى بعثوا بها من أجلها ، ذلك لأن الشهوة لا تنام على فراش حشى بأشواك الدهر، وغريزة الجنس لا تسكن قلبا ملأته بالآلام نكبات الوطن

لقد صيرتها جوامع الأحزان ، أختى . ولا يستطيع الشيطان أن يدخل بين أخوين جمعتهما فى ظلمة الليل أوجاع القلب الجريح

وانتهت الليلة وجاء النادل فى الصباح ليقدم الفطور قوت الصباح ، ويحمل الفتاة قوت الليل، فاضطرمت فى رأسى نارالنخوة لما أبصرته ، ولكنها كانت (يا للعار) نار القش لا تضطرم فلا تجد الحطب الجزل فتنطفئ.

وودعتنى بنظرة . . . بنظرة لا يمكن أن يعبر عن وصفها ومعناها لسان بشرى

وجاءت السيارات تحملنا لنعود من حيث أتينا ، نعود ونترك بناتنا يفتك بأعراضهن اليهود؛ ومررنا بيافا ، ونظرت إلى هذه المنازل التى كانت بالأمس لنا فصارت لغيرنا ، خرجنا منها فى ساعة واحدة انحطت علينا فيها النكبة كما تنحط الصاعقة ، الأثاث الذى نضدناه قعد عليه غيرنا، والطعام الذى طبخناه أكله غيرنا ، والفراش الذى مهدناه ، آه . هل أستطيع أن أنطق بالحقيقة المرعبة ؟

ولكنها حقيقة ، إن الفرش التى مهدناها ، هتك اليهود عليه عفاف بناتنا !

ويبقى على ظهر الأرض عربى لا يقنع وجهه حياء ، ولا يوارى وجهه خجلا ، خجلا من أمجاد الأجداد، خجلا من سلائق العروبة ، خجلا من عزة الإسلام !

يارجال العرب إن لم تحموا أعراض نسائكم فلستم برجال

يا جنود العرب ، إن لم تدفعوا الأذى عن وطن العروبة وعن أعراض بناتها ، فاخلعوا عنكم ثياب الجنود يامن أضاعوا فلسطين ، عليكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

واختفت يافا ، وغابت وراء الأفق وأنا لا أزال أرى تلك النظرة التى ودعتنى بها . لن أنساها أبداً ، ولن أنسى أنى تركتهم يأخذونها وأنا حى ، وأنى كنت جبانا ، وكنت نذلا كالآخرين !

علي الطنطاوى



ذكرى وفاة

الشيخ مصطفى عبدالرازق

للأستاذ محمود الشرقاوى

في ١٥ فبراير الحالى تتم سنوات خمس على وفاة المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق . وقد أحببت ، في هذه المناسبة ، أن أبعث « للرسالة » بهذه الكلمة ، لا عن مصطفى عبد الرازق الأستاذ في الجامعة ، أو الوزير ، أو السياسى ، أو شيخ الأزهر . وإنما عن مصطفى عبد الرازق . فمصطفى عبد الرازق ، بصفاته ، وخصائصه ، ومميزاته ، هو الذى أريد أن أكتب فيه هذه الكلمة

* *

كانت أبرز صفات مصطفى عبد الرازق : رقة العاطفة ، والتواضع ، وحب الخير ، والاعتداد بالنفس

يحدث بعض تلاميذه — وقد تولى منصبا جليلا في القضاء — فقال : كان الشيخ مصطفى يدرس لنا في الأزهر مادة « الإنشاء » فوجد واحدا من طلبته زرى الهندام ، ولاحظ بعض إخوانه يكاد يعيره بذلك . وظن طلبة الشيخ أنه غير متنبه لما يجرى بين هذا الطالب وإخوانه . ولكنه في أثناء الدرس ، تطرق إلى موضوع القيمة الذاتية للفرد ، وأنها لا تخضع لمقياس الثروة والجاه ، وأن المال والثياب لا تجعل الرجل عظيما ، وإنما قيمة الرجل وعظمته في فضائله وعلمه وآدابه

وكان ليقظة الشيخ ، ولطف توجيهه لأبنائه ، وعدم إشارته أى إشارة للطالب الفقير ، أكبر الأثر في تقويم تلاميذه وإدراكهم لما يقصد ، واستقامة نفوسهم بعد ذلك ، وصدق مودتهم بعضهم لبعض

وقص تلميذ الشيخ فقال : وشكا واحد من طلبة الشيخ مصطفى إلى صديق له قلة ماله ، وأنه يخشى أن تقطعه الحاجة عن طلب العلم ، واستشاره ، فقال له صاحبه ، بعد تفكير ، ليس لك إلا أستاذنا الشيخ مصطفى عبد الرازق . فقصد الطالب المحتاج ، بعد تردد ، بيت شيخه ، وكان لا يزوره ، فلما أقبل على الشيخ وفي مجلسه جمع كبير من العظماء وأهل المكانة ، قام الشيخ لاستقباله مرحبا ، وقدمه لضيوفه مادحا له ، ذاكرا نبوغه في الطلب وحسن استعداده وذكاءه ، ثم أدرك الشيخ بعد قليل ، من حياء تلميذه وتهيبه ، أنه يعالج في نفسه شيئا ، فاستأذن ضيوفه واختلى بتلميذه ، فلما سمع منه قصته قال له : أمهلنى أسبوعا ولا تجزع ، وعد إلى بعده

وبعد أسبوع عاد الطالب على شيخه فوجده قد وفق لتعيينه في وظيفة أعانته على مداومة الطلب . وأبلغه ذلك وكأنه يعتذر عن تقصيره

وكثيرون من أبناء الشيخ وخاصته يعرفون عشرات من مثل هذه الحادثة

* *

وعندما عاد الشيخ مصطفى عبد الرازق من فرنسا في سنة ١٩١٤ وكان شقيقه المرحوم حسن باشا وكيلا للديوان الخديوى اختير سكرتيرا للمجلس الأزهر الأعلى . وحدث في إحدى الجلسات أن اشترك في مناقشة المسائل المعروضة ، وتأثر بعض أعضاء المجلس من مناقشته ، أو من أسلوبها ، فقال له المرحوم حسن باشا جلال ، وكان عضوا بالمجلس : ياشيخ مصطفى ، أنت سكرتير ، ولست عضوا معنا . أنت تكتب ما نقول ولكنك لا تشترك في المناقشة . فسكت الشيخ قليلا ، ثم قام ، ولم يتكلم فأخذ ورقه ، وأقفل درج مكتبه ، وذهب إلى بيته ولم يعد للازهر . فلما عرف شقيقه حسن باشا ما حدث ، اتصل بحسن باشا جلال معاتبا ، فقال له : إن مصطفى ابنى ، وقد أردت توجيهه وإفادته؛ ومع ذلك سأجيء إليكم لأسترضيه ، وأزيد في توجيهه وإفادته . وزار جلال باشا بيت عبد الرازق ، ثم عاد الشيخ مصطفى سكرتيرا للمجلس

وقد قص على هذه القصة من كان يحضر مجلس الأزهر الأعلى في ذلك الوقت

* * *

وقص على الشيخ ، يرحمه الله ، هذه الواقعة ، قال

كان أبي رحمه الله ، وأنا أطلب العلم في فرنسا ، يرسل إلى في أول كل شهر نفقاتي وكانت تصلني في موعد لا يتخلف . وفي شهر من الشهور ترقبتها في موعدها ولم ترد ، وبقيت أنتظر يوما بعد يوم ، حتى قل ما بيدي من المال قلة شديدة . وكنت شديد الحرص ألا يعلم إنسان ما أنا فيه . فلما خشيت أن يعلم أمرى قصدت متسللا إلى السوق أبحث عن أرخص طعام في ذلك الوقت أشتريه بما بقي معي من فضلة مال ، فكان أرخص الأشياء الموز ، فابتعت منه كمية كبيرة بمال قليل ، ووضعتها في حجرتي ، وجعلت أنفرد فيها وقت الطعام لآكل منه ثم أدركت بعد ذلك أني تركت مسكني إلى آخر ولم أبلغ البنك ذلك . فلما ذهبت إلى البنك وجدت نفقاتي فيه من موعدها، ولكنه لا يستطيع إبلاغي وحمدت الله أن سترني ولم يعرف أحد كيف قضيت أيامي تلك

وفي سنة ١٩٣٦ — على ما أرجح — اختير رحمه الله ممثلا لمصر في مؤتمر المستشرقين . وقبل سفره بأيام ، قصدت إليه عن جريدة « البلاغ » أتحدث إليه في سفره ومهمته ، وموضوع بحثه . فلما تحدث إلى في ذلك بما كفاني طلبت منه صورته لأنشرها مع حديثه ، فعند ذلك رأيت وجهه قد كسته حمرة وقال : وهل أنا رجل كبير حتى تنشر صورتي في الصحف ... ؟ ومع أني حاورته في ذلك محاورة شديدة وألححت عليه إلحاحا شديدا فإنه غلبني بقوله : أرجوك أن تقدر رغبتي وتعفيني من هذا الطلب . فأعفيته وقد زاد إعجابي به وحبي له

* * *

ولكن هذه الصفات نفسها ، من الحياء ، والتواضع ، ورقة العاطفة ، وحب الخير ، وهي كلها فضائل ، كانت سببا في متاعب عاتية وقع فيها وهو شيخ للأزهر . وتعبيري بكلمة « متاعب » فيه كثير من التساهل ، وعندما يكتب تاريخ هذه الفترة ، التي قضاها الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر ، سيعرف الناس أي ظلم ، وأي مضض ، لقيه الشيخ في مشيخة الأزهر ، لبعد ، أو تناقض ما بين طبيعته وبيئته إذ ذاك

ذهبت إليه ، بعد عودته من الحجاز ، وكان أمير الحج في سنة ١٩٤٦ وقبل أن يؤوب إلى مكتبه ، وكان في نفسي كثير من الضيق ، بسبب أشياء ظالمة كتبها عنه رجال من شيوخ الأزهر ، فأخبرته بها وقلت له : إن هذا الذي أحدثك به ، كتبه القوم بأسمائهم وأعلنوه على الناس ، وهو متداول بينهم مشهور . ولولا ذلك ما حدثتك به . فغضب رحمه الله حتى اضطرب ، وفارقه أنسه ، وظهر عليه الضيق حتى أشفقت عليه . ثم قال بإصرار وحزم : لن أسكت على ذلك

وبعد أيام رجع إلى مكتبه ، وجاء إليه الشيوخ الذين كتبوا فيه ما كتبوا ، وكان قد قرأه ، فاستقبلهم مرحبا ، وآنسهم ، واستبقاهم ، وودعهم إلى باب حجرته شاكراً ، مكرراً شكره

* * *

وقد عرفني الشيخ ، وعرفته دهراً طويلا ، وأحببته ، وكيف لا أحبه ؟ ثم وقعت في نفسه نحوى جفوة لم أدرك أسبابها إلا بعد موته . فعسى أن يغفرها الله لي ، وأن يغفرها لي الشيخ أيضاً ؛ فقد كان يغفر ، حتى لظالميه

* * *

هكذا كان الشيخ مصطفى عبد الرازق في شبابه ، وهكذا كان في كهولته وشيخوخته

رجل وهبه الله أجل هباته من الجاه ، والمال ، والمجد . ووهبه أجل هباته من الخلق الطيب والحياء الجميل ، الذي يزيد صاحبه رفعة ، ومهابة ، ومحبة . وجعل حياته كلها مثلا كريما للعمل الخير الدؤوب الذي يصدق أن يقال في صاحبه إن يسراه لا تعرف ما تقدمه يمينه

من أجل ذلك كان فقده موجعاً أليماً ، ومحبته باقية في قلوب الذين عرفوه فأحبوه ، وأيقنوا أنه من طراز قل أن يوجد في الرجال

محمود الشرقاوي

النجم الذي هوى

زكي مبارك

بقلم تلميذه وصديقه

الأستاذ محمد رجب البيومي



قابل المتأدبون في العالم العربي نعى الدكتور زكي مبارك بحرارة لاذعة، فقد سموا قلمه البليغ منذ أربعين عاما يرن في مختلف الصحف، فيثير المواصف الموج ناقدا مصاولا، ويرسل النغم العذب شاعراً ملهما، ويتابع الأحداث الأدبية والاجتماعية مؤرخا فاحصاً، ويدبج الأبحاث العلمية والفكرية مؤلفا باحثا، ثم شاءت طبيعته أن يترك جهاده الدائب في دنيا الأدب والفكر، ويستريح بعض السنوات مما كابده في نضاله الذهني، حتى أدركه الموت في زلة قدم شجت رأسه ومزقت أعصابه، فطارت روحه إلى السماء تاركة وراءها عبرات تترقرق في محاجر الأدباء، وزفرات تتصاعد من صدور تلاميذه وزملائه على السواء.

ولقد بدأ الدكتور حياته — كأكثر أدباء عصره — طالبا بالأزهر الشريف، وكانت لديه حافظة قوية ساعدته على استيعاب كثير من روائع الشعر العربي في سن مبكرة، ووجد الأستاذ المرصفي مولعا بالأدب والشعر بين أساتذة الأزهر فلازمه دروسه، ونقل أبحاثه في أوراقه، وصاحبه في سمره ولهوه وجده وشغله، وجعل يعرض عليه ما تجود به قريحته الناشئة من نظم ساذج فيفسح له مجال التجويد والإبداع بما يلقنه من توجيه وتثقيف، وقد بدأ الطالب الأزهري يتصل بالصحف، وينشر إلى جانب قصائده التقليدية فصولا إنشائية يبذل في تسطيرها ما يملك من جهد وإتقان، ودفعه طموحه إلى دراسة اللغة الفرنسية في فترات يختلسها من حياته الأزهرية، ثم دفعته عزيمته إلى الجامعة المصرية سنة ١٩١٦ فأصبح طالبا يتميز بين طلابها بالنشاط والكفاح، ووجد بين أساتذتها شيخا يشبه أستاذه المرصفي في تعلقه بالأدب وكلفه بالنقد، فأخذ يستمع إلى محاضراته، ويدون في صحائفه جميع ما يصله من أستاذه الكبير محمد المهدي، وقد عكف في هذا الطور من حياته على مختارات البارودي، فحفظ أكثر ما بها من قصائد، ومالت به عواطفه إلى الغزل والنسيب فاستظهر رقائق العباس بن الأحنف، وحجازيات الشريف، وروائع مهيار وجميع ما نقله البارودي من الشريف وابن سنان والتهامي، وقد خرج من ذلك كله بثروة طائلة في الذوق والشاعرية والأسلوب، وأخذ يجد الغذاء الدسم الذي يوجهه إلى عشاق الأدب في صحيفة الأفكار، فتطلعت الأنظار إلى الأديب الناشئ وعرفت فيه بوادر الألمعية والإبداع

وحين اشتعلت الثورة المصرية الأولى سنة ١٩١٩ جرفت في تيارها زكيا مباركا، فساهم بقلمه في إذكاء العاطفة الوطنية، وخطب مع الأستاذ القاياتي في أول احتفال وطني بعيد الجهاد، ومضى إلى الأزهر الشريف، فجعل من منبره منذياعا قويا ينشر على الملأ حماسته واندفاعه، وكان الأستاذ أبو العيون ينتدبه للخطابة بالفرنسية حين يحضر إلى الأزهر بعض الأجانب من الفرنسيين، وقد أدى ذلك إلى غضب السلطة الإنجليزية فزجت به في غياهب الاعتقال، وقالت عنه جريدة الأهرام بعد أن نشرت نبأ اعتقاله بتاريخ ١/١/١٩٢٠ «إنه شيخ معروف بذلاقة اللسان والنظم الرشيق وله في كل مجتمع كلمة يلقيها أو قصيدة يتلوها، وأصبح في معتقله بالإسكندرية زميلا للقاياتي ودراز وأبي العيون وغيرهم من خطباء الثورة الأحرار»

وقد تقدم إلى نيل إجازة الدكتوراه في الآداب سنة ١٩٢٤

بعد أن نال إجازة الليسانس ، فكتب رسالة عن أخلاق الغزالى ، وكان الشاب الجامعى ممتزا بمواهبه فهاجم حجة الإسلام مهاجمة قاسية ، وتكشفت أثناء المناقشة جوانب خطيرة أثارت كثيرا من الحاضرين عليه ، فتقدم الأستاذ اللبان لمناقشته ، واحتدم الحوار احتداما أثار الضجة واللجاج ، وأعلن رئيس اللجنة الدكتور منصور فهمى أن الرسالة الجامعية محاولة عقلية يخطئ فيها الطالب ويصيب ، وذلك لا يمنع من نجاحه بدرجة مشرفة. ثم انتقل صدى الرسالة إلى الصحف ، فاندفع الدكتور مبارك يناظر الأستاذين الشيخ يوسف الدجوى والشيخ أحمد مكى وغيرهما من كبار العلماء مناظرة حادة ، مهدت له طريق الشهرة والذيوع ، وإن عادت على عقيدته ببعض الأوهام

والحق أن الدكتور مبارك كان يحرص على مخاصمة الجمهور فيما يكتب ويذيع ، فهو يتعمد مزالق الزيغ تعمدا ، كأن له حظا فى الثورة والضجيج . ألف فى هذا الدور كتابيه « حب ابن أبى ربيعة » « ومدامع العشاق » فقذف بنفسه فى مطارح مخيفة ، إذ أسهب فى الحديث عن النبوة والعشق ، ومنزلة الهيام من الدين ، مما يثير عليه النوازع ، وإن جذب بذلك كثيرا من الشباب إلى رياض الأدب العربى ، فهاموا بالشعر الجيد ، والنظم البليغ ، وعرفوا الكثير عن عمر وكثير وجميل ! ! وقد انتفع الدكتور بمختارات البارودى فى فصول كتابه «مدامع العشاق» فنقل باقات عبقة من زهورها اليانعة وقدم إلى القراء كثيرا من رقائق ابن رزيق والطغرائى وابن نباتة السعدى وابن الخياط ، بعد أن كانت الكثرة الغالبة من الشباب لا يتجاوزون البحترى والمتنبى وأبا تمام ! !

وقد عين سنة ١٩٢٥ معيدا بكلية الآداب ، وكان يشرح لطلابه كتاب « مغنى اللبيب » فى النحو بتكليف من الدكتور طه حسين . وأكد صلته فى هذه الفترة بجريدة البلاغ فكان يكتب الصحيفة الأدبية بها دون انقطاع . ولم يعش فى ماضى الأدب القديم ، بل أخذ يتابع الحركة الفكرية فى مصر ويتعهدها بالنقد والجدل المنيف . وقد كتب فصولا طويلة عن شوقى ومعارضاته للشعراء ، وهى مجموعة فى كتابه « الموازنة بين الشعراء » مع أخوات لها تشابهها فى التحليل والاستنتاج ، وقد لاحظت وأنا أطالع هذه الموازنات تعصبا ملحوظا لشوقى من زكى ، فهو يفضله دائما على من يزنه به ، وكنت أعجب حين أجد المبارك لا يستر ميوله الشخصية عن القراء ، وأحار فى تعليل ذلك ، حتى عرفت من بعض ما كتبه الدكتور ، أنه أخذ مبلغا كبيرا من ذهب أمير الشعراء ، فرفعه إلى السماء . ولست أريد أن أخفض من قيمة المعارضات الشوقية ، فهى تحتل مكانها فى التاريخ الأدبى دون نزاع ، ولكنى أعلن أن الدكتور قد خلع عليها من الإطراء ذيولا ضافيات

ولم يقنع مبارك بدرجته العلمية التى نالها من الجامعة المصرية ، فسافر إلى باريس ، واتفق مع جريدة البلاغ أن يمدها بمقالاته وأبحاثه نظير ما تمنحه من أجر يذلل به صعوبة الاغتراب ، وأخذ يوالى البلاغ بآثاره العلمية تارة ، وبمشاهداته وخطراته عن باريس تارة أخرى ، فوق ما يضطلع به من تحضير رسالة علمية لنيل الدكتوراه من السوربون ، وتجمع له من ذلك كتابه المعروف عن ذكريات باريس !! ثم وفقه الله فوضع رسالته عن النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى ، وهو كما يعلم القراء أخصب عهود العصر العباسى وأحفلها بالإنتاج الفكرى ، والشخصيات اللامعة من ذوى النقد والصيال . وقد نال برسالته القيمة إجازة الدكتوراه فى الآداب من السوربون . وأقيمت له ثلاث حفلات تكريمية بباريس والقاهرة والإسكندرية . ويخيل إلى أن كتاب زهر الآداب للحصرى قد أوحى إليه باختيار موضوع رسالته ، فهو سجل حافل بالآثار الفنية لأعيان البيان ، وقد شرحه الدكتور وحققه ، ووضع فهارسه وعرف بأعلامه ، فأتاح له ذخيرة ثمينة تستحق العرض والتحليل ، فاندفع إلى تسطير رسالته العظيمة ، التى يعدها الأستاذ أحمد أمين أعظم آثار الدكتور وأجدرها بالاهتمام

ولكتاب النثر الفنى — على رغم مكانته المحترمة — نقدات توجه إليه ، وقد اعترف بها المؤلف ، ولعل أبرزها ما نلاحظه فى أسلوب الدكتور عامة من سيطرة عواطفه وأخيلته على يراعه ، فى الأبحاث الفكرية الدقيقة ، فقد ارتضى لنفسه أن يكون شاعرا فى تحقيقاته العلمية أو يستمد وقودها من القلب والعقل والخيال . وقد قال زكى عن ذلك «وهذا عيب فى التأليف ولكنه

عيب جميل يقع من المؤلفات العلمية موقع الخال من خد الحسناء؟

وحين عاد الدكتور من باريس لم يركن إلى الدعة والراحة ، بل واصل حملاته الأدبية فى مختلف الصحف ، وكان له مع أكثر أدباء العصر الحاضر صيال وملاحاة ، فهو يقرأ القصيدة أو المقالة أو الكتاب لغيره من الأدباء ، فتنفسح أمامه طرق واسعة للاختلاف والنقاش ويثيرها معركة عنيفة ، ينتشر غبارها فى الأفق ويكثر حولها الضجيج والخصام . وقد حاولت أن أحصر جميع من ساجلهم الدكتور مبارك فأدركنى العجز الذريع !! ومرت أمامى أسماء كثيرة لهؤلاء المتحاورين مع الدكتور فى حومة النقاش ، وفى طليعتهم أحمد زكى باشا وعبد الله عفيفى ويوسف الدجوى وسـلامة موسى ، وحسن القاياتى ومحمد عبد المطلب ، والسباعى بيومى ، ومحمد مسعود ، وغيرهم ... ومع هؤلاء أناس ناقشهم الدكتور وآثروا الراحة فلم يعتركوا معه فى ميدان كطه حسين وعبد العزيز البشرى وأحمد أمين وفريق من أعلام الأدب فى الشام والعراق

ولقد كان زكى فخورا بمعاركه الأدبية ، وطالما تحدث عنها فى كثير من التيه والإعجاب ، وقد قال عن نفسه « أنا لا أرى الحياة إلا فى حومة القتال ، وليس الأدب عندى مزاحا أتلهى به فى الأسمار والأحاديث وإنما هو عراك فى ميادين الفكر والخيال » كما نقل فى آخر الموازنة بين الشعراء قول بعض أصدقائه عنه « إن مباركا رجل ثائر لا تروقه الحياة ، ولا يستطيب العيش إلا بالغزوات العلمية ، ولو جاز وصف المساجلة كمركة حربية ، وتشبيه الأدباء بالجيش لمثلت مباركا ضابطا من الضباط يزدان صدره بالأوسمة والنياشين لكثرة ما نازل من الأقران »

وقد كان مبارك يعتقد أنه طالب علم مدى الحياة ، فهو لا يعرف للاجازات العلمية حدا تقف عنده ، بل يحب أن يجلس دائما أمام الأساتذة ، مهما امتدت به السن ، ونال الدرجات ، ليجد أمامه فرصة متاحة للصيال والنقاش . وقد تقدم بكتاب ضخم عن التصوف الإسلامى وأثره فى الأدب والأخلاق لينال الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة فؤاد ، وتألفت لجنة من كبار أساتذة الجامعة لمناقشته وحسابه ، فمنحته إجازة الدكتوراه فى الفلسفة بمرتبة الشرف ، وكتاب التصوف مشهور متداول ، ومزيته الصحيحة — كما قال المرحوم جاد المولى بك « أنه لم يؤلف للدعوة إلى التصوف أو الهجوم عليه ، وإنما ألفه مبارك فى نقد التصوف فبين ما فيه من محاسن وعيوب ، وكشف عما يتضمنه من قوة وضعف ، فى صراحة رائعة وأسلوب متين » وأجدنى مضطرا إلى أن أذكر أن الروح الأدبية قد جمحت بالدكتور فى بعض مواضيع الكتاب ، فلم تحدد بعض حقائقه العلمية تحديدا يتكشف للقارئ من أقرب طريق . وقد أجهدت نفسى كثيرا لأفهم ما قاله الدكتور عن وحدة الوجود ، فلم أخرج بطائل مع أنه ملأ الدنيا تشدقا بما كتبه عنها فى التصوف. وقد أكون ذا عقل واهن لم يستطع السير فى هذا المنعرج الدقيق

وكان الدكتور قد خصص جانبا من كتابه للبحث عن المدائح النبوية ، وأطال القول فى صلتها بالتشيع ، كما تعرض إلى الكميت ودعبل والشريف وغيرهم من شعراء البيت الهاشمى ، واتجه إلى البردة ومعارضاتها ، وما تمخضت عنه البديعيات النبوية من مباحث أدبية هامة ، ولكن اللجنة المؤلفة لبحث الكتاب قد أشارت بحذف هذا الجانب من القول لبعده عن مدلول التصوف ؛ فظهرت المدائح النبوية بعد ذلك فى كتاب خاص ، ولعله أول بحث مفصل يعنى بتاريخ هذا الباب ، وقد مزج فيه المؤلف بين العرض والتحليل والتاريخ والاستنتاج فى طراز موفق شفاف

وقد كان انتداب زكى مبارك إلى التدريس بدار المعلمين العالية فى بغداد ذا أثر هام فى حياته الأدبية ، إذ أن الفترة القصيرة التى مكثها بالعراق قد ألهبت قريحته وأذكت نشاطه فسطر مئات الصحف فى الدعوة إلى العروبة ، وتوثيق الصلات بين القاهرة وبغداد ، واتصل برجال الفكر والسياسة فى القطر الشقيق فنزل بينهم نزلا كريما ، وقد وصف الآثار العربية ، بحاضرة العراق وصفا بديعا ، كما نقل للقراء فى شتى بقاع العربية ، صورا خلابة عن غابات النخيل فى البصرة ، وسجع الحمائم فى الموصل ، وبقايا السحر فى بابل ، ورسم تألق القباب العلوية فى النجف والكرخ ، وألقى عدة محاضرات بنادى القلم العراقى ، وقاعة كلية الحقوق ، ونادى المثنى ، والإذاعة العراقية ، حول الثقافة العربية ، وجمع كتاب ليلى المريضة بأجزائه الثلاثة كثيرا

من آرائه التى تحدد صلة مصر بالأمم العربية ، كما شرح معضلات الشباب فى مصر والعراق موضحا ما يراه من الحلول والأدواء.. ونحن نحمد للدكتور هيامه بالوحـــدة العربية ، وكفاحه من أجلها أطيب كفاح ، وللقارئ أن يستعرض عناوين مقالاته فى كتاب وحى بغداد ليعلم أى جهد قام به الدكتور فى توثيق الصلة بين القطرين ، فقد تكلم عن العروبة فى مصر تارة ، وعن المذاهب الأدبية المصرية طورا ، وعن الجامعة العراقية وما يجب أن يبذل فى سبيل إنشائها من مشاق ، ... وحين رجع إلى مصر ، تحدث عن الفن المصرى فى العراق ، وعن الأندية الأدبيـة فى حاضرة الرشيد ، وعن نهضة التعليم فى دار المأمون ، وأطنب فى ذكرياته عن دجلة والفرات والرصافة والجسر وليلى وظمياء ، وفى كتابه « ملامح المجتمع العراقى » أحاديث طيبة عن رجال العراق وقد نشرت أكثر فصوله وفصول ليلى المريضة بمجلة الرسالة الغراء ...

وقد رجع الدكتور إلى مصر ، ومعه فوق ما تقدم من كتبه ، مؤلفه عن عبقرية الشريف الرضى ، وهو مجموعـة محاضرات أدبية ألقاها المؤلف فى قاعـة كلية الحقوق ببغداد ، فكان أول باحث خص الشريف بجزءين كبيرين ، وقد استمع إليها كثير من الأساتذة والطلاب ، وصرح الدكتور أنه وقف من الشاعر موقف الصديق ، فتحدث كثيرا عن محاسنه وأشـار إلى عيوبه برفق ولين ، وقد قسم مواضيع الكتاب تقسيما نسبيا لم تتضح معـــالمه ورسومه ، إذ لاحظت أن ما كتبه عن غراميات الشريف يصلح أن يكون بين ما كتبه عن حجازيات الشاعر ، وما كتبه عن غرائب الوفاء يصلح أن يندرج فيما يليه من الأبواب دون التباس ، وقد أدت سرعة المؤلف وعجلته إلى ذلك ، ولست أجد ما أقوله غير أنه سـطر أبحاثه بروح الشاعر الذى لا ينسى التحليق والطيران هذا وقد عين الدكتور مبارك بعد عودته من العراق مفتشا للغة العربية بالمدارس الأجنبية ، وكان عمله الرسمى لا يكلفه جهدا كبيرا ، فتفرغ للنشاط الأدبى ، واتخـذ من مجلة الرسالة الغراء ميدانا للصيال والحوار ، وكانت هذه الفترة من حياته ألمع عهوده الزاهرة ، حيث اعتبره المتأدبون فى العالم العربى قائدا يتولى توجيه الشباب فى صحيفة ممتازة ، وأخـذوا يتابعون أبحاثه وقصائده ومعاركه فى اهتمام ، وكان يسأل فيجيب ، ويرشد فيطاع

وقد حال على صفحات الرسالة كثيراً من الكتب الأدبيـة التى تقررها الوزارة لأعلام الأدباء فى مسابقة التوجيهية ، كفيض الخاطر ، ووحى الرسالة ، ومطالعات فى الكتب ، والمختـار ، وإبراهيم الـكاتب ، وحـديث عيسى بن هشام ، والمنتخبات ، وتحرير المرأة ، والشوقيات ، وديوان صبرى وحافظ ، وغيرها من أشهر المؤلفات . وكان يبـدأ مقاله بمقدمة عن الكاتب ، مشيراً إلى طريقته فى التصوير والعرض ، ثم يحلل أبواب الكتاب موجها الأنظار إلى نقطه الرئيسية وعناصره الهامة ، ويختم بحثه بإرشادات للطلاب تهديهم إلى طريقة الانتفاع بالكتاب ، وهو بذلك يفتح أمام الناشـئة طرق البحث والاستيعاب ، وقد كثرت خواطره الطريفة التى كتبها تحت عنوان « الحديث ذو شجون » ورأى فيها الناس فنـا صادقاً يعرض خوالج الكاتب ونوازعه فى صور مشرقة أخاذة ، وينتقل بالعقول من موضوع إلى موضوع كما ينتقل الطائر من غصن إلى غصن ، دون أن يجـد القراء أثراً للسآمة والتكلف ، بل كانوا ينتشون بنسيم هادئ يحمل عبير الرياض ، ولو استمر الـكاتب بموضعه فى الرسالة لأسـعد القراء بلطائفه الرقاق ، ولكنه هجرها بعـد سبعة أعوام ، وكنت أسأل عن سبب هذه القطيعة بإلحاح ، حتى وجدت الإجابة فى ديوان « ألحان الخلود » إذ أعلن الدكتور أنه تضايق كثيراً حين سمح الأستاذ الزيات للأستاذ الغمراوى بنقـد الدكتور فى بعض أبحاثه بالنثر الفنى !! فكان ذلك مدعاة القطيعة والحرمان !! وليت شعرى كيف يضيق البارك بالنقد وقد شب فى ميدانه ، وصال فى حلبته راكبا جواده ، وشاهراً سـيفه ؟ ثم هل يستطيع صاحب الرسالة أن يمنع إنساناً ما من النقد فى حدود النهج العلمى الصريح ؟ إنى لأذكر أن الأستاذ الزيات قد كتب مقـالا عن إصلاح الأزهر بالرسالة فرد عليـه أستاذنا المغفور له الشيخ محمود الغمراوى ردا صاخباً ، وأبى الزيات أن يحذف حرفاً واحداً مما كتب الناقد

المنيف ، فكيف يجزع الدكتور من نقد على برىء ؟ !

هذا ما كان ! !

وقد التحق الدكتور بتحرير البلاغ بعد الرسالة ، وواصل نشر أحاديثه ذوات الشجون ، ويؤسفني أن أذكر أنه حاد كثيراً عن النهج الذي سلكه بالرسالة ، فبعد أن كان يذكر طرائف الأدباء وينقد آثارهم الأدبية وحدها ، أخذ ينقد السلوك الشخصي ويتتبع ما يصله من الهنات صدقاً وكذباً ، وقد يختلق — غفر الله له — المثالب اختلاقاً ويلصقها بالناس . وقد هاجم وزير المعارف إذ ذاك مهاجمة أدت إلى فصله من الوزارة ، فتعرض للبؤس تعرضاً مؤلماً . . . ثم تداركه الأستاذ علي أيوب فألحقه بالقسم الأدبي في دار الكتب المصرية ، ومكث عدة أشهر لا يقبض مليما واحداً ، فتشعبت همومه ، وعيل صبره ، واستسلم إلى السكر والتبذل والاستخفاف ! ! وكأنه حن إلى الإنتاج الأدبي فجمع أشعاره الكثيرة في ديوان شامل أسماه « ألحان الخلود »

ولن أتعرض إلى منزلته الشعرية الآن فني نيتي أن أكتب عنها بحثا مستقلا بعد حين ، ولكن أذكر أن الدكتور قدمهد لأكثر قصائده بمقدمات مؤلمة كان الأفضل ألا يكتب منها حرفا واحدا ، فهي — في أكثرها — تجريح شنيع لأناس أفاضل يحتلون منازل كريمة في عوالم السياسة والأدب والاجتماع . والعجيب أن مؤلفات الدكتور السالفة تحفل بالثناء عليهم وتعدد مآثرهم البيض في شتى ميادين الحياة ! ! كما لم يدخر وسعا في التحدث عن نزواته ولحظات ضعفه ، كأنه مولع بفضيحته والتشهير بنفسه على رءوس الأشهاد. وأنا حين أعلل ما انحدر إليه الدكتور في خريف حياته من إسفاف ، أحيل ذلك إلى ما وقر في ذهنه من أن الأدب لا يبلغ ذروته إلا إذا كشف عن النزوات البشرية وجلا للقراء ما يكمن في أعماق الكاتب من رواسب هابطة ، وشهوات مسفة ! ! وذلك مذهب محرج لاحت بوادره — بصورة خافتة — قبل ذلك في بعض مؤلفات الدكتور ، ثم اشتملت على صفحات البلاغ وفي ديوانه ألحان الخلود بنوع خاص ! !

وقد كان الدكتور ذا صلات كبيرة بأعلام عصره في الأزهر والجامعة ودار العلوم والصحافة والجمعيات العلمية ، فسجل عن تاريخهم الشيء الكثير في مؤلفاته ، حتى لتصلح أن تكون مرجعا للحركة الفكرية في العصر الحديث ! وفي كتاب الأسمار والأحاديث تشريح هام لآراء المفكرين من أدباء وشعراء ، وقد أجرى الدكتور على ألسنتهم كثيرا من المعاني التي يحتمل أن تصدرعنهم ، إن لم يكن بعضها صورة حقيقية لما قالوه . وقد اختص المدرسة الاتباعية في الشعر بحوار كبير ، ونقل كثيرا من آراء الهراوي والأسمر والجارم والزين وعبد الجواد رمضان والقاياتي وعبد الله عفيفي ، وكلها تدور حول الشعر والشعراء في نسق مؤتلق وضيء . ومهما يكن من شيء فسيظل القراء يذكرون لمبارك أسلوبه الجميل الرقراق ، ويشهدون أنه قد نقل الغزل الرقيق من ميدان الشعر إلى ميدان النثر ، فوصف في مقالاته العواطف الثائرة ، وشرح الأحاسيس الملتهبة ، ونقل للقراء زفرات مبثوثة من الوجد الصارخ ، إذ تحدث عن مسارح لهوه وملاعب صباه في سنتريس وأسيوط وباريس ومصر الجديدة وبغداد وحلوان ، وأحسن القول في صدود الحسان ، ومعاقرة الكؤوس ، ونزق الصبا ، ومفاتن الشباب ، في طراز فاتن يأخذ بالألباب

لقد كان الدكتور مبارك — رحمه الله — حركة دائبة مؤثرة في الأفق الأدبي ، ولو قدر له أن يجتاز الأعوام الثمانية التي مرت عليه في خريفه كما اجتاز عمره السالف بين الصحف والأوراق لكان ذا شأن عظيم ، ولكن القدر شاء أن يأسف عليه الأدباء مرتين ، فهم يأسفون لما غمره في أخريات أيامه من القلق والاضطراب ، كما يأسفون لرحيله الصامت الساكن بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس ، فجف الغدير المترقرق ، وصوح الزهر الناضر ، وطار البلبل الصداح

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أبوتيج

محمد رجب البيومي

صور إسلامية رائعة ...

للاستاذ عيسى متولى

كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يتأهب لإحدى الغزوات ، وأخذ يعبئ الشباب الميدان ، فإذا بغلام — هو رافع بن خديج — يندس بين الصفوف ، ويتطاول على أطراف قدميه ، ليبدو للرسول الكريم فى طول من هم أكبر منه سنا .. فيضمه إلى من يختارهم الميدان !..

فأين من هـذا الغلام أولئك الشبان ، الذين يتهربون من الجندية ، ولو كلفهم ذلك بتر أيديهم ، ليظهروا بمظهر العجزة .. وأولئك الذين يشيعهم أهلهم بالبكاء والنحيب .. كأنما يساقون إلى الموت !..

...

لما علم عمر بن عبد العزيز أن ابنه اشترى خاتما بعشرة آلاف درهم أمر بمصادرته .. وأنبه بقوله : هلا بعته وأطعمت بثمنه عشرة آلاف جائع !..

ونحن لا نطالب من آتاهم الله بسطة فى المال بأكثر من أداء الزكاة .. التى فرضها الله عليهم . فيكون فى أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم !..

...

أصيب أحد الصحابة بعلة استدعت بتر جزء من جسمه ، فسألوه عن الوقت الذى يراه مناسبا لهذه العملية ، فاقترح البعض أن تجرى له عمليـة البتر أثناء نومه ، فلا يشعر بالألم .. ولـكن الرجل المؤمن قال : لا ... ابتروا ما تشاءون من جسمى .. وأنا أصلى بين يدى الله !!.. ومعنى ذلك أنه فى صلاته ينصرف بكل حواسه ومشاعره إلى الله !..

فأين من هـذا الصحابى هؤلاء الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى .. وإذا صلوا ملأت صدورهم الوساوس .. ومشاغل الحياة ... لاهية قلوبهم !..

...

ويروى لنا القرآن الـكريم قصة « سليمان » عليه السلام ، إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب .. ففاتته صلاة العصر وهو يستعرض الجياد ... فأمر أن يردوها إليه ، هذه الجياد التى شغلته عن الصـلاة ، وطفق مسحا بالسوق والأعناق ... حتى قضى عليها .. تكفيرا لذنبه !..

فأين من هذا العبد الأواب ، أولئك الذين تصرفهم مشاغل الحياة عن المحراب .. ويشرون الحيـاة الدنيا بالآخرة .. فتمتلئ بهم المقاهى ، ودور اللهو ، وهم عن ذكر ربهم غافلون !..

...

هـذه صور رائعة ، مما يزخر به تاريخنا الإسلامى ، أسلط عليها أنوار « الرسالة » الوضاءة .. ليتدبرها من كان له قلب .. أو ألقى السمع وهو شهيد ..

والسلام على من اتبع الهدى !..

عيسى متولى

دفاع عن العباسة بنت المهدى

للأستاذ عبد الواحد باش أعيان العباسى

— ١ —

كلما كشف الكتاب والباحثون النقاب عن وجوه العصر الذهبي للدولة العباسية ، وخاصة فى عهد الخليفة هرون الرشيد ، تقودهم تتمة البحث أن يتطرقوا إلى البرامكة وأعمالهم ومآثرهم فى الدولة ، ثم استئصال نفوذهم والتنكيل بهم على يد الخليفة الرشيد . ولقد أضحى هؤلاء الكتاب مرغمين أن يذكروا العباسة بنت الخليفة المهدى وأخت الخليفة الرشيد كلما بحثوا فى تلك النكبة وعواملها ، لأن بعض كتب التاريخ العربى ، ذكرت فى اقتضاب ، وبعضها قد أسهب فى وصف العلاقة بين العباسة وجعفر البرمكى وزير الرشيد وعضده فى إدارة أمور الدولة العباسية

وتلك الروايات وإن تباينت فى السرد ، تتفق فى هذا المعنى : وهو أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ومنادمته فى مجالسه الخاصة، وكذلك ما كان يصبر عن أخته العباسة فى الوقت نفسه ، لذلك ابتدع أمرا فريدا ، وهو أن عقد لجعفر على العباسة ليحل له النظر اليها ، واشترط — عليها طبعا — أن لا يكون اجتماعهما إلا بحضرته ، وأن لا يتعدى — هذا الزواج — الحديث والنظر ... وبعد هذا كانت العباسة تحضر مجالس الرشيد مع جعفر فتقضى ساعات فى هذا السمر البرىء ...

ثم يستمر الرواة فى تنظيم خيوط الرواية ونسجها لتظهر النتيجة المتوقعة من اجتماع شباب جميل ، بفتاة رائعة الحسن وضاءة المحيا

فقد ذكروا أن قد حدث اتصال سرى (وتفنن بعض الرواة فى كيفية هذا الاتصال) بين جعفر والعباسة ، فأنتج (أطفالا)

ولما كانت قصور الخلفاء والملوك لا تخلو من عيون ودسائس لذلك انكشف للرشيد أمر هذه العلاقة (الآثمة) بين جعفر البرمكى وأخته العباسة ، فثار غيظا ، وانفجر غضبه بنكبة مروعة فقتل جعفر ، وحبس أباه وبقية إخوته وصادر أموالهم ، واشتط فى الفتك بمن كان يمدحهم ، أو يقف باكيا على قبورهم ، أو يبوء إلى رزيئتهم ...

افترق المؤرخون والكتاب — قديما وحديثا — عند هذه الرواية التاريخية بين منكر لحدوثها ، مشمئز من هذه الفرية الباطلة والتشنيع المدبر للحط من مروءة الرشيد وغيرته ، وبين مصدق لها ، وغير مستبعد أن تكون واقعة لا محالة ، وقد اقتنع البعض بأنها كانت السبب الأول فى نكبة البرامكة ، وتساهل البعض الآخر فجعل تلك العلاقة من أسباب نكبتهم ... وقد جاهر بهذا الرأى الأخير الدكتور أحمد أمين بك فى كتاب الهلال الذى أصدره عن هرون الرشيد . فقد عدد ثلاثة أسباب للنكبة : (أولها) غيرة الرشيد من سلطانهم و (ثانيا) عطفهم على العلويين و (ثالثا) علاقة جعفر بالعباسة . ولتوطيد صحة السبب الثالث أبدى الدكتور رأيا فريدا لم يسبقه إليه باحث إذ قال :

على أنه ما يدرينا ، لعل الرشيد نشر فى الناس علاقة جعفر البرمكي بأخته ، ليستثير كره الناس ويستخرج غضبهم ومقتهم ...

وقد استغربت مع كثيرين أن يطرح الدكتور هذا الرأى بعد أن اعترف للرشيد (بكبر العقل ، وعلو الهمة ، وكرم النفس ... وحدة المزاج) فكيف يتفق من كان فى هذه السجايا أن يذيع فى الناس خبرا يمس عرضه ويحط من كرامة بنى هاشم ! وما الذى يهم سواد الناس من تلك الرواية سوى التشنيع بها على الخليفة وأهله . وإن كان ما قال الدكتور حقا فليس فى الأمر حكمة أو بعد نظر من الرشيد إن يحط من شأن أخته لدعاية لا تثير نقمة ، وإنما تبعث على الاشمئزاز والتندر

ثم نظرة أخرى فى أمر — هذه الدعاية — فإنها لو كانت أذيعت فى الناس قبل نكبة البرامكة فما من أحد كان يستطيع أن يجهر بالكره والعداء مادام الخليفة يظهر مودته لهم وحدبه عليهم حتى اللحظة الأخيرة

لذلك فإننا نستبعد أن يكون لهذا الرأى صلة بالسبب الذى صيرت تلك الرواية من أجله . ونعتقد اعتقادا جازما بأن هذا الخبر عن علاقة جعفر بالعباسة كان فرية مفرضة ، ليس لها ظل من الحقيقة ولا أساس من الواقع ، ونرجح أن يكون قد أذيع

قبل أيام النكبة ، ومصدره آل برمك أنفسهم إن لم يكن جعفر البرمكي ذاته ؛ لغرضين اثنين :

أولا — كسب عطف الناس وتمكين سلطة جعفر من نفوسهم ، وليرسخ تمثال الهيبة لوزير الدولة وصهر الخليفة في القلوب

الثاني — أن تحمل الخليفة العباسي ، أمام مأزق ضيق فالأمر يمس عرضه وشرف أسرته ، فإن فعل ما يضر بجعفر لا يدرك الناس سببا سوى تلك العلاقة بين جعفر وأخت الخليفة عندئذ يهان الخليفة في عرضه ومروءته . وقد تحقق هذا الغرض بعد قتل جعفر ، وما زال حتى اليوم من صدق تلك الفرية الدنيئة

وفي ثنايا كتب التاريخ ما يشير إلى أن ذلك الخبر كان فاشيا في الناس آنذاك وكان عامتهم ترجح وقوعه ، فقد ذكر الجهشياري في كتابه الوزراء والكتاب في الصفحة (٢٠٤)

«قال عبد الله بن يحيى بن خاقان : سألت مسرورا الكبير — في أيام المتوكل وكان قد عمر اليها ومات فيها — عن سبب قتل الرشيد لجعفر وإيقاعه بالبرامكة فقال . — كأنك تريد ما يقوله العامة ، فيما ادعوه من أمر المرأة وأمر المجامر التي اتخذها للبخور في الكعبة ؟ فقلت له ما أردت غيره ، فقال : لا والله ما لشيء من هذا أصل . ! ولكنه من ملل موالينا وحسدهم»

إن صحت هذه الرواية للجهشياري — وهي كذلك — فيكون تأكيد مسرور القول الفصل في تفنيد تلك المزاعم وهدمها ، لأنه كان أقرب الناس من الرشيد وأعلمهم بخفايا القصر ودسائس الحاشية المقربين ! ولتحدثها (إن كانت حقا) غير هياب ولا وجل

— ٢ —

لقد بحث بعض المؤرخين الأقدمين والمحدثين الذين تبصروا في ظروف وقعة البرامكة والعوامل الجوهرية التي دفعت بالخليفة الرشيد للقضاء عليهم وتعرضوا الخبر علاقة العباسة بجعفر فأنكرته نفوسهم ، ولما لم تستسغه عقولهم أن يكون سببا من أسباب نكبة البرامكة هدموا الخبر وأنكروا أن يكون له ظل في الواقع ، كما توصل لذلك ابن خلدون — من الأقدمين — فقد لخص في

مقدمته صفحة ١٥ رواية النكاح والاتصال أولا ثم فندها من ناحية الاعتبارات الاجتماعية والأخلاقية التي تتمتع بها العباسة عن مواليها آل برمك حيث قال : (.. وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها ، وأبويها ، وجلالها ، وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال ، هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده . والعباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء بن عبد الله ترجمان القرآن بن العباس عم النبي (ص) . ابنة خليفة أخت خليفة ، محفوفة بالملك العزيز ، والخلافة النبوية ، وصحبة الرسول وعمومته ، وإقامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة ، من سائر جهاتها ، قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين ، البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها ؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقد من بيتها .. (حتى يقول) وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على بعد همته وعظم إبائه ؟)

ومن مؤرخي العصر الحديث الذين لم يقتنعوا بذلك الخبر المختلق ولم يعتبروه أساساً لنكبة البرامكة أو طرفا منها . المرحوم جورجي بك زيدان ، في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي فقد ذكر أن : (الرشيد فتك بالبرامكة لأنه خافهم على سلطانه .) وهو الوجه الصحيح لتفسير سبب النكبة

وكذلك توصل الأستاذ محمد فريد وجدي بنتيجة البحث الدقيق والتحليل المنطق أن علاقة العباسة بجعفر البرمكي ، إنما كان خبراً مختلقا للحط من كرامة الرشيد ومروءته ، فقد ذكر في بحثه عن (جعفر بن يحيى البرمكي ، لماذا قتله هرون الرشيد) بالعدد العاشر من مجلة الهلال التي صدرت في أول أغسطس سنة ٩٤٠ ؛ أن من جملة الروايات في سبب النكبة :

أولا — أن الرشيد كان له أخت تدعى (ميمونة) يحب أن تكون في مجلسه مع جعفر ، فرأى أن يعقد لهما زواجا صوريا ليحل لجعفر أن يراها دون أن تكون له زوجة فبلغ الرشيد أنها ولدت منه ثلاثة أولاد وهي حبلى في الرابع ، فاستشاط من ذلك غيظا ، وأمر بقتل جعفر والتنكيل بأسرته

ثم فنــد الأستاذ فريد وجدى هذه الرواية بلباقة ودقة تفنيداً يقرب من وجهــة نظر ابن خلدون فى الأمر — فقال: (ليس بمعقول ، فإن الرشيــد لم يصل من قلة التبصر وعدم النخوة إلى حد أن يعرض أخته لأجنبى فى مجــالس لهو وشرب وغناء وهما فى ميعة الصبا . لو كان السبب هو هذا لما كان هنالك من حاجة إلى إحاطته بهــذه الأسوار من الكتمان ، بل ولعرف ولم يحصل فيه خلاف ، فإن مجرد قتل ميمونة أخته وأولادها ، كان يفضح الخبر إلى حد بعيد ، ولما كانت تضطر (علية) أخته أن تقول — كما حكاه ابن بدرون :

« يا سيدى ... ما رأيت لك يوم سرور تام منــذ قتلت جعفر . فلأى شئ قتلته ؟ » فأجابها هرون بقوله : « ياحياتى لو علمت أن قميصى يعلم السبب فى ذلك لمزقته . » فهل كان يخفى على مثل (علية) وهى من أعظم نساء الأسرة المالكة ما حل بأختها ميمونة وأولادها ؟ الناس مغرمون بسماع الغرائب ورواياتها ، وهذا مجال يجد فيه الخراصون مكانا رحبا لإشباع نهمهم فى الاختلاف ، فأفرغوا مافى جعابهم حول هذه المسألة وانتهبه الناس انتهابا وزادوا عليه ما شاءوا)

دحض هؤلاء المؤرخون الثقات تلك الرواية التاريخية المدسوسة عن علاقة العباسة بجعفر بقياس للعاطفة فيه نصيب وافر ، وإننا نجد ، بالإضافة لذلك أن فى استقراء الحوادث والاستنتاج من الوقائع والروايات التاريخيـــة ما يكشف عن بطلان تلك العلاقة ويؤيد الرأى الذى ألمعنا إليه فى صدر هذا المقال بأن هذا الخبر قد خلق وأذيع لغرض مقصود

فلو تعقبنا الخبر فى صفحات كتب التاريخ القديم نصطدم لأول وهلة فى اضطراب وتبــاين فى تعيين اسم الأميرة العباسية التى كانت لها علاقة أو (زواج صورى) مع جعفر البرمكى ، فبعض المؤرخين ذكر اسمها (العباســة) وغيرهم ذكر أنها (ميمونة) وهذا الاختلاف فى تعيين اسم بطلة حادثة مروعة — فى حينها — هزت الدولة العباسية من شرقها إلى غربها لا يصح أن يختلف فى معرفة اسمها سواد الناس بل خاصتهم ، لذلك فلا حرج أن يرتاب ذوو الرأى بصحة وقوع تلك الرواية

ومما تزيد فينا الريبة والشك بتلك الوصمة التى ألصقت بالعباسة أن كتب التاريخ والأدب لم تتحدث عن مزايا خاصة للعباسة ترفعها مقاما عن سائر نساء القصر والأسرة المالكة لا فى الرأى ولا فى الأدب والشعر أو أى شئ آخر ، فلم كان الخليفة يصبر عن زوجته زبيد ، أو أخته (عليــة) التى كانت تجيد أكثر من فن من فنون الشعر والأدب والغناء ، أو عن جواريه وإمائه مثل ذات الخــال ودنانير ، وخاصة فى ذلك المجلس الذى كان يعقده للشرب واللهو والسمر مع وزيره جعفر . فإن كان ذلك المجلس — كما ذكر — للشرب واللهو ففى جواريه وإمائه غنى عن حضور أخته العباسة، وإن كان للرأى والمشورة ، فالدليل واضح بأن الرشيد قد أبعد النساء عن التدخل فى أمور السياسة وشؤون الدولة

وقد يتبادر هذا السؤال للذهن بأنه : لم كانت العباسة ، ولم تكن أختها علية ضحيــة تلك الدسيسة ؟ بلا ريب أن الخبر كان يقبر فى مهده آنذاك لشهرة عليــة ومنزلتها ، ولأن العباسة لم تتمتع بشهرة واسعة أو ميزة نادرة بين نساء القصر. فالخبر بوصم العباسة يكون أضمن انتشارا بين العامة وسواد الناس . وآخر ما نستطيع تقديمه لنقض ذلك الخبر المختلق ما ذكره البستانى فى دائرة المعارف المجلد ١١ صفحة ٤٨٨ حيث قال : (وعاشت العباسة خمسين سنة ، وتوفيت سنة ٢١٠ وقيل ٢٠٩ هجرية ، وصلى عليها المــأمون ابن أخيها ، وقيل كان سبب وفاتها ، أن المــأمون ضمها إليه وجعل يقبل رأسها وكان وجهها مغطى ، فشرقت من ذلك وسعلت ، ثم حمت أياما يسيرة وماتت .) إن صحة هذا الخبر هدم تلك الرواية التراجيدية — الخيــالية — التى ابتدعها الأقدمون — لغرض خاص — وتفنن فيها كتاب العصر الحاضر فنظموا فصولا رائعة لقلبين عاشقين وحب وارف جميل ، واستخرجوا هذا الخيال الجذاب بالسياسة والتناحر للسيادة

رسالة الشعر

الصخرة

للآنسة فدوى طوقان

انظر هنا ! الصخرة السوداء شدت فوق صدرى
بسلاسل القدر العتى
بسلاسل الدنيا البغى
أنظر إليها كيف تطحن تحتها عمرى وزهرى
سحقت مع الأيام ذاتى
سحقت مع الدنيا حياتى
دعنى فلن تقوى عليها . لن تفك قيود أسرى
سأظل وحدى فى انطواء
ما دام سجانى القضاء
دعنى سأبقى هكذا ، لا نور ، لا غد ، لا رجاء
الصخرة السوداء ، ما من مهرب ، ما من مفر

* * *

عبثاً أزحزح ثقلها عنى بنسيانى لنفسى
كم خضت فى قلب الحياة
وضربت فى كل اتجاه
الهو ، أغنى ، فى ينابيع الشباب أغط كأسى
وأعب فى نهم شديد
حتى أغيب من الوجود
دنيا المباهج كم خدعت بحضنها الى وبؤسى
فهربت من دنيا شعورى
ورقصت فى نزق الطيور
وأنا أقهقه فى جنون ، ثم من أعماق يأسى
يرنّ فى روحى نداء
ويظل يرعد فى الخفاء :
لن تهربى . إنى هنا . لن تهربى . ما من مفر
ويهب طيف الصخرة السوداء ممسوخ الصور
عبثاً أزحزحها ، سدى أبغى الهروب فلا مفر
كم جست فى أرض الشقاء
أنشف إكسير العزاء
من شقوة البجعاء أمثالى ومن أسرى القدر
فولجت ما بين الجموع
حيث المآسى والدموع
حيث السياط تؤز ، تهوى فوق قطعان البشر
فوق الظهور العاريه
فوق الرقاب الحانيه
حيث العبيد مسخرون تداعوا زمراً زمر
من كل منسحق غرق
بالدمع ، بالدم ، بالعرق
وبقيت ألتمس العزاء من الشقاء .. ولا مفر
فالصخرة السوداء لعنه
ولدت معى لتظل محنه
بكماء ، تلحقنى ، يتابع ظلها خطوات عمرى
أنظر هنا كيف استقرت فى عتو فوق صــدرى
دعنى . فلن تقوى عليها . لن تفك قيود أسرى
ستظل روحى فى انقفال
سأظل وحدى فى نضال
وحدى مع الألم الكبير . مع الزمان . مع القدر
وحدى وهذى الصخرة البكماء تطحن .. لا مفر !

فدوى طوقان

والسلطة والنفوذ ، وابتدعوا لها نهاية مروعة من بكاء ودماء ..

وبعد هذا كله لو صحت تلك الملاقة (الآثمة) بين العباسة وجعفر لكان الرشيد قد أوردها حتفها — كما استنتجت كتب التاريخ القديمة — ولما تركها تعيش أمام سمعه وبصره رمزاً للعار والفضيحة والنكبة

ولكن العباسة عاشت إلى ما بعد حياته ، لأنها كانت عفيفة نقية طاهرة

البصرة — عشار عبد الواحد باشى اعيان العباسى
١٥ ـ ٣٨

بني مصر

للأستاذ أحمد محمود

بنى مصر خلوا القول للسيف والقنا   فليس بغير السيف يكتسب الحق

ولا تخدعنكم فى الكفاح وساطة   ظواهرها نصح بواطنها رق

وكونوا تجاه الغرب صفا موحدا   متين الحواشى جلمدا ليس ينشق

وثوروا على جونبول ثورة عارف   بما سيبت للسكون أنيابه الزرق

هم الإنجليز المجرمون نفوسهم   رذائلها لم يحص تعدادها خلق

زنادقة سادوا العباد بظلمهم   فراعنة يأباهم الأصل والعرق

يظنون أن الشرق ما زال غافلا   وما علموا أن سوف يفنيهم الشرق

بنوا ليهود اللؤم فى عقر دارنا   كيان ضلال أسه الفحش والفسق

يريدون أن يحموه خزيا أصابهم   بإيران لكن سوف يبقى ولن يبقوا

كما شردونا من فلسطين شردوا

ورغم اتساع الأرض ضاقت بهم طرق

لقد خرقوا الميثاق والعهد وادعوا   بأن بلاد العرب شيمتها الخرق

فلا عجب أن يرفض العرب كلهم   دفاعا ذميما ليس فى متنه صدق

خبرناهمو أيام ثارت جحافل   من العرب ضد الترك يدفعها عتق

فما نالنا منهم سوى الغدر سافرا   فكيف نجاريهم وليس بنا حمق

بنى مصر هذا اليوم يوم تحرر   فلا يأخذنكم فى عدو الملا رفق

قفوا وقفة شعب البوير سما بها   وقد منعت عنه الموارد والرزق

ولا تيأسوا فالله جل جلاله   سينصركم والليل يعقبه فرق

كتائب تحرير البلاد تقدموا   فمن خلفكم شعب تحفزه صعق

فدى مصر والسودان كل حشاشة   لها بهما من بعد رب السما عشق

ويارب أهلك كل مستعمر بغى   فينتصر الإخلاص والأمن والخلق

أحمد محمود

وداع الريف

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

يا ظلال النخيل يا نفحات الز   هر يا شاطئ الغدير وداعا !

ياخدود الورود تحت شفاه الط   ل ما للندى يذوب التياعا ؟!

يا عشاش الطيور فى كل روض   يا نسيم الأصيل هب وضاعا

لم أكن أحسب الفراق جحيما   والنوى حرقة وحظا مضاعا

أين منى ظلال صفو رطيب   يغمر القلب بهجة ومتاعا ؟

وحياة تمتد فى كنف الري   ف امتداداً ترى به الدهر ساعا

كحياة الخلود فى جنة الفر   دوس تمضى بها الليالى سراعا

فى سبيل الغد الجميل المرجى   شاب رأسى وضاع أمسى ضياعا

أعلى النازحين للمجد والعل   ياء أن يقطعوا الحياة صراعا ؟!

وعلى الخانعين فى قبضة الرا   حة أن ينعموا بها استمتاعا ؟

فكأن العزيز يحيا ذليـــــلا   وكأن الجبان يحيا شجاعا !

وبرغمى فارقت أهلى وأحبا   بى وأرسلت زورق والشراعا

يا قلوبا تحنو على وترعا   نى وتهوى قياثرى واليراعا

لك فى القلب ذكريات وضاء   سطعت كالسنا وأصفى شعاعا

لم أزل بالخمائل الخضر مغرى   مولعا بالظلال أطوى البقاعا

إن نسيت الصفصاف ذكرنى الزي   تون صفو الحياة ظلا مشاعا !

وإذا عقنى الصديق فما زا   ت وفيا وسره لن يذاعا

حينما عزج الضغينة بالحق   د يطول اللسان بالعيب باعا !

والذى يحسب الصديق عدوا   كالذى يحسب النقاء خداعا

أيها المغذرى بشر حنانيـ   ك ترى الشر حولك الآن شاعا

لن تجوع الأشبال فى كنف الليـ   ث وتحيا الكلاب ظمأى جياعا

وأنا النازح المقيم على العهـ   د ولن تصبح الطيور سباعا

ألتمس بهجة الحياة من الدهـ   ر فإن ضن فانتزعها انتزاعا

أحمد أحمد العجمى



محمد رسول الله

تأليف مولاى محمد على

تعريب مصطفى فهمى وعبد الحميد جودة السحار

للأستاذ محمد محمود زيتون

الكاتبون فى السيرة النبوية فى العصر الحديث على ثلاث فرق : فريق خصوم الإسلام من الغربيين ، وفريقان من المسلمين أحدهما مقلد والآخر مجدد

أما الخصوم فقد أخذتهم روعة السيرة فمكفوا على دراستها يبتغون إحصاء المآخذ على الإسلام وترويجها فى أوساطهم ، وقلما يعترف أحدهم بمواطن العزة والفخار فى تراثنا ، لأنهم يخشون انهيار ما يستمسكون به من مبادئ واهية ، إذا هى قيست بالصروح العالية التى أقامها الإسلام

وهؤلاء — على خصومتهم الظاهرة — لم يكن بمكنة بعضهم أن يغمط الحق — لأنهم وهم المبشرون بحرية البحث ، والمنهج الموضوعى ، يخشون أن يتناقضوا مع أنفسهم حين تزل أقلامهم إلى مزالق التعصب الوخيم ، ومع ذلك فهم طالما يلبسون الحق بالباطل ابتغاء الفتنة

وهذا الفريق كان — ولا يزال — خطراً على الدعوة للإسلام فى الغرب . حتى لقد وقع فلاسفة القانون ومنهم منتسكيو فى أخطاء جسيمة ، نتيجة الاستقراء العاجز ، الذى قدمه لهم شركاؤهم فى الإفك والتضليل

والفريق الثانى من كتاب السيرة هم أصحاب المدرسة التقليدية أو بتعبير آخر هم الذين يؤمنون إيمان العجائز يصدقون كل ما ورد فى السير ، فلا يفرقون بين الغث والسمين ، أو بين الأصيل والدخيل ، فجاءوا بعوجزات لا يكلفون أنفسهم فيها عناء التمييز ، ولا يهمون إلى البحث وفق منهج خاص ، وهؤلاء لاقيامة لهم فى موازين النقد، ولا سيما فى انحدارهم وراء التواتر من الأنباء غير ملتفتين إلى الإسرائيليات المدسوسة فى السير ، والإسلام منها برئ

والفريق الأخير هو المدرسة التجديدية التى أصحابها من المسلمين المثقفين الآخذين من الطريف والتليد على السواء ، وهؤلاء هم طلائع الأخيار على تراثنا المجيد الذين سارعوا إلى رد الضالين إلى جادة الصواب فى رفق المؤمن وتؤدة العالم . وهذا الفريق هو الذى يعوز كتيبة الثقافة الإسلامية التى جندت رجالا يحجزون الفتنة فى أقماع السمسم كلما أطلت بقرنيها

وهم — لاختلاف مشاربهم الثقافية — يختلفون منهاجا وأسلوبا ، ومن هنا تكون الطاقة الثقافية مميزة الواحد منهم عن الآخر ، ومن وراء ذلك كله تتوفر لدى القارئ ذخيرة قيمة من المعلومات فضلا عن الأثر الموصول بين المؤلف والمطلع

وفى الرعيل الأول من هذا الفريق مولاى محمد على رئيس الرابطة الأحدية لإشاعة الإسلام بلاهور مؤلف كتاب « محمد رسول الله » الذى اضطلع بنقله عن الإنجليزية الأستاذان مصطفى فهمى وعبد الحميد السحار

ونحن إذ نقدم هذا الكتاب القيم إلى القراء على صفحات الرسالة الغراء يلزمنا التنويه بفضل المؤلف والمترجين جميعا

وليس من شك فى أن علماء الباكستان يعلون علوا كبيرا فى مباحثهم الإسلامية التى يطلعون بها على العالم بين الفينة والفينة ، وهذا مولاى محمد على يسير فى كتابه هذا فى فلك فريد سواء فى طاقته العلمية أو المنهجية ، فهو - على خلاف المؤلفين فى السيرة - يصدر عن ذخيرة وفيرة من الاطلاعات والبراهين ، فجاء كتابه هذا ثمرة طيبة لجهود عميق دقيق على سعة فى الأفق ، وتسلسل فى الاستدلال ، واعتزاز فى الرأى فى غير افتراء ، وبشخصية عاملة ناقدة

ويبلغ به الحرص أحيانا على دفع فرية إلى حد الاستباق إلى تكذيب واقعة تاريخية أجمع عليها المؤلفون الأولون فى السيرة ، فيتهجم على الواقعة ، ويمضى فى الإلحاح على زحزحتها بكافة البراهين المنطقية والأسانيد الصحيحة حتى يخرج من المعركة ظافرا ، فيشعر القارئ البرئ بأنه قد نجا من فتنة ووهم وضلال .

ما كان لينجو منها لولا هذا الصراع الفكرى المنيف الذى قام به المؤلف البطل

تابعت المؤلف فى جميع فصول الكتاب ، فوجدته قد نأى بقلمه عن الاستدراكات والاستطرادات التى تعوق عن الهدف ، وتشتت الذهن ، وبذلك لم يكن من طائفة المقلدين الذين يقعون فى أخطاء المؤلفين القدامى

ومما حرص عليه مولاى محمد على تجنب كثرة الردود على الخصوم فى ثنايا الفصول ، ولكنه اضطر فى أكثر من مناسبة إلى إزهاق باطل شائع فى أذهان الأوروبيين وهو أن الإسلام لم ينتصر إلا بالسيف ، فكان لا بد من تحيين كل فرصة لدحض هذه الدعوى وإبطالها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويمتاز أيضا بسمة اطلاع جملته بعقد مقارنات بين ما ورد فى التوراة والإنجيل وبين ما تحقق منهما من نبوءات بمحمد الرسول الغازى ، ولذا فهو يمهل على بجميع الخطوط الرئيسية حول حادث ما

ولقد تجلت مزاياه الثقافية ، وحججه البارعة فى (غزوات النبى) و (دعوى المثلة الكاذبة) و (ومميزات النبى الصالح) . ففى هذه الفصول بنوع خاص ، ارتفع مولاى محمد على عن المستوى المادى فى تحليل الجهاد فى الإسلام ، ونفى نفيا حاسما حوادث اغتيال قيل إن النبى هو الآمر بها ، وأجمعت عليها روايات الثقات ، كما استبعد فكرة (العزل) عن نساء السبى ، وفى هذا كله يصدر عن « ذوق إسلامى » مرهف مؤيد بالمنطق الثابت والسند الصحيح؛ تبرئة للنبى مما قد يعلق بالوهم من شبهة ، لو تركت قد تنقلب مع التبرير إلى شريعة

وفى الحق أن الأستاذ السحار وزميله قد خدما الثقافة الإسلامية أجل خدمة بترجمتها هذا الكتاب القيم الذى سد نقصا كبيرا فى المكتبة العربية المعاصرة ، وذلك لاختيارهما فى هذه الترجمة أسلوبا سهلا يتمشى مع سهولة الأداء التى حالفت المؤلف فى هذا الكتاب

ومن دواعى التوفيق إلى هذه الترجمة الدقيقة الرشيقة أن الأستاذ السحار أديب إسلامى مطبوع ؛ فهو مؤلف ومترجم ومؤرخ وناقد وقاص . وله فى كل مجال من ذلك مكان مرموق وهو — بالاشتراك مع محمد فرج — مترجم كتاب « الرسول » لمؤلفه بودلى الذى يعد من الفريق الأول ، ثم إن الأستاذ السحار هو مؤلف هذا الكتاب القيم (المسيح عيسى ابن مريم) الذى نأمل أن نقدمه للقراء قريبا

لقد أفاد السحار حقا من اطلاعه على أمهات كتب السيرة فكان تعاونه مع زميله صادقا ودقيقا فى ترجمتهما كتاب (محمد رسول الله) ومما يجدر بنا التنويه عنه قول النبى يعاتب الأنصار بعد غزوة حنين « أوجدتم يامعشر الأنصار فى الملالة من الدنيا ... ص ١٦٦ وصحتها لماعة (بفتح اللام والميمين) وذاك كما ورد فى سيرة ابن هشام وسيرة السهيلى ، وهو يفسرها بأنها بقلة خضراء ناعمة . وقد شبه بها زهرة الدنيا وزينتها

على كل حال فإن الاطلاع على الأصول العربية قد مكن من تفادى مواطن الإعراب والتورط فجاءت الترجمة سهلة مستساغة تستحق التهنئة الصادقة ، أما لجنة النشر للجامعيين فقد استفتحت بهذا الكتاب عهدا جديدا من دارها الجديدة (دار مصر للطباعة) فجاء الكتاب فى حجم مقبول اجتمعت فيه عوامل الذوق من طبع وبساطة وإتقان مع هنات مطبعية لا تذكر

محمد محمود زيتونه

القطر الجزائرى

للاستاذ كمال دسوقى

لا أعرف كتابا مصورا ظهر فى العصر الحديث للدعاية لقضية وطنية أجل ولا أبلغ فى الدلالة على هذه الدعاية الطيبة من كتاب « القطر الجزائرى Algérie » الذى أصدره مكتب الاستعلامات والوثائق بديوان الحاكم العام الجزائرى ؛ والذى أطرف ما فيه صدوره عن دار باباعلى الجزائرية وطبعه بالمطابع البا كونية الجزائرية أيضا

فهذا الكتاب صور حية ناطقة بل هاتفة وصارخة بجمال هذه البلاد وروعة معالمها وآثارها الطبيعية والفنية بما لا يحتاج معه القارئ فى غمرة إعجابه ودهشته إلى بيان من البيانات

المكتوبة معها باللغات الفرنسية والعربية والإنجليزية والإسبانية ؛ فحيوية الصور ودقة اختيارها وعرضها تغنى عن بيانها وتسترعى النظر والانتباه قبل أن تثير اللغات المكتوبة فضول القراءة

أقول ذلك وقد سبق لى أن زرت أقطارا أوربية كثيرة فطوفت بأشهر مدنها وألمت بصور دعاياتها التى توزعها متفرقة أو فى كتالوجات ونشرات ؛ مجانا وبالثمن ... حتى فرنسا ذاتها — التى هى أكثر الدول الأوربية اهتماما باستخراج صور جذابة لمعالم القرى والربوع المختلفة فيها لا أستطيع أن أقول إنى عثرت فيها على مجلد كهذا .. على أنه لا غرو أن تبز الجزائر هذه الدولة فى إتقان الدعاية لنفسها ! فإنها تحتاج من هذه الناحية لما قد لا تحتاجه تلك الدول التى لا تدعو لقضية استقلال بل تدعو للسياحة ! وإليك البيان :

الكتاب مقسم إلى فصول تتصدرها عنواناتها بالفرنسية ، وتملو هذه العنوانات رسوم تخطيطية بارعة ترمز لدلول محتوياتها ، وهذه الفصول مرتبة ترتيبا منطقيا بحيث تتناول أولا : البلاد بمعالمها الجغرافية : شواطئها وصخورها ، وسهولها ووديانها ، جبالها ووهادها وكثبانها ، وجنانها الزراعية وحيوانها ...

ثم يأتى القسم الثانى فى أهل البلاد وسكانها ؛ وهنا تدرس بالصور كثرة سكان مدينة الجزائر البالغين ٤٥٠ ألف نسمة كما تدرس أزياؤهم شيوخا وشبانا — أطفالا ونساء ؛ وموظفين وأجانب ، أعرابا ورعاة وغير ذلك من جنود وراقصين وموسيقيين وحراس ورجال دين ... لوحات رائعة معظمها من المتحف الوطنى للفنون الجميلة بالجزائر .

أما حياة السكان فلها قسم خاص بعد ذلك . وهنا مقارنة طريفة بين الجزائر القديمة والجزائر الحديثة بعمارتها الشاهقة وشوارعها الكبيرة وأحيائها الجديدة وفيلاتها الحديثة والعربية الطرز والميناء والمحطة التجارية ... ومدن قسطنطينة وسكيكدة وغرداية ... فأهم منشآت المدينة الجزائرية من مساكن العمال إلى مستشفيات ودور إسعاف ومراكز نقل الدم — إلى مدارس ومراكز للحياة الإدارية (دار الحكومة) والنيابة (المجلس الجزائرى) فمساجد وكنائس وأضرحة ومقاهى ...

مظاهر تدعو للاعجاب بحضارة هذه البلاد المادية ورقيها وتقدمها .

وتقوم اقتصاديات هذه البلاد وأعمال أهلها فى المقام الأول على الزراعة ؛ زراعة الحبوب فالكروم والموالح والتمر (النخيل) والتين (الذى هو ثالث صادرات البلاد فى الأهمية) والزيتون ... التى يتقدم إنتاجها بفضل الآلات الحديثة وتقوم عليها صناعات العصير والتجفيف لما يتبقى من الاستهلاك والتصدير .

وفى البلاد جهود للتحسين القروى والتدريب الزراعى واختزان الحبوب للاحتياط بواسطة هيئات وجمعيات ومصالح تعمل على مغالبة الطبيعة والانتفاع بمواردها من تربة وخزانات ومساقط (متحدرات) ومصبات وآبار لرى النخيل حيث لا يوجد الماء . كما تقوم بها مشروعات للطاقة الكهربائية وتوليدها والطاقة الذرية مما يضاعف فى تقدم البلاد الصناعى — إذ توجد فعلا مصانع هائلة للخزف والسيلولوز والزجاج ومصانع النسيج اليدوية والميكانيكية وعصير البرتقال والفواكه المجففة ... كما أن من الثروات الاقتصادية الهامة عدا صيد الأسماك الحديد والفحم والفوسفات التى يتقدم استخراجها تقدما كبيرا ... عدا صناعات محلية وبدوية مختلفة يحترفها الأهلون

وميناء الجزائر أهم مرافئ التبادل التجارى الجزائرى . وإلى جانبه يوجد موانى وهران وعنابة (بوك) وسكيكدة (فيليبفل) وأرزيو بأرصفتها ومراسيها واستعدادات التفريغ والشحن والتصدير والاستيراد الهائلة . أما فى الداخل فتوجد شبكة من الطرق الزراعية والصحراوية المعبدة التى تجتازها السيارات العامة الحديثة وسيارات النقل و (التاكسيات) ، وشبكة من السكك الحديدية للقطارات السريعة ذات القاطرات الكهربائية التى تشق البلاد بين المدن والقرى وعبر الجسور الحديثة الفولاذية فوق الوديان ؛ كما توجد مطارات أهمها البزون بلانش والمطار الصحراوى بورقلة Ouargla

والبلاد غنية بآثارها الرومانية والفينيقية والإسلامية فى مختلف القرى القائمة أو المهجورة ، ولذا نجد متحف الإثنوجرافيا وما قبل التاريخ يعرض فى روعته ومحتوياته نماذج كثيرة من هذه الفنون إلى جانب ما يعرضه المتحف الوطنى للفنون الجميلة من



تحية للرسالة من العراق

إلى صاحب الرسالة

واكبتك منذ خمسة عشر عاماً أو تزيد .

وأنا فى ركب رسالتك ، أرشف معين أدبك ، وفيض خواطرك ، وبى ظمأ أدبى . لا يبله غير رشيح قلمك ، ووحى رسالتك . لذا جئت منتهزاً فرصة التسعة عشر عاماً التى اجتازتها الرسالة ، لأرفع بين الإعجاب والإكبار تحية أدبية هى منك وإليك . فتقبل شيخ أدباء الجيل تحيتى ، أكن ممتناً وشاكراً هذا القبول :

حديث الرسالة :

لاشك أن الحديث عن الرسالة متعب ، ومتعب جداً . ولا شك وأن التحدث عن صاحب الرسالة متعب مكدود . قد يجهد هذا المتحدث فكره ، ويكد ذهنه ، بقضاء ساعات طوال . بين صفحات الرسالة ، متصفحاً ما تركته من أدب حى خلال رواسب هذه السنين المواضى . يخرج وقد عقد الإعجاب لسانه . لا يدرى ما يقول ، فيضطره هذا الإعجاب ، إلى التقهقر والتراجع ، أمام هذا الصرح الأدبى الجبار . الذى سيطاول الزمن ولا شك ، ويقارع الجهل أنى كان ، وحيثما وجد ، بأقلام عرفت بطيب المغرس والمنبت . تستقى الوحى من أفكار خصبة وقادة ، وقرائح لا تعرف الجدب والمحول ؟ فهى دائماً وأبداً ، تطالعنا بكل طريف جديد ، ولاذ ظريف . وفى الطليعة صاحبها . يقودها قيادة مدبر حكيم ، بسهر متواصل . وحراسة حدب عليها ، رفيق بها . بعزيمة أشد صلابة من الصلابة نفسها ، وهمة لا تعرف الخور والتراجع فيما هى سائرة نحوه وإليه له قلم طيع يسيره أنى أراد وحيث شاء . هو قاس شديد حين يريد منه القسوة والشدة . ولين مرن حين يريد منه المرونة واللين ، وساخر هازل إن أراد منه السخرية والهزل . وجاد

اللوحات الحديثة لرسامين عالميين وفرنسيين ورد كثير منها فى الكتاب بلونه شاهداً على عظمة الفن الجزائرى لدى المواطنين والأجانب الذين يفدون إليها مصورين ورسامين ونحاتين وسينمائيين فى ضيافة آل عبداللطيف مثلا أو لتصوير أفلامهم فى هذه الطبيعة الجميلة .

والنهضة التعليمية سائرة فى طريق التقدم . فثمة مدارس قروية وبدوية بسيطة إلى جانب مدارس الأطفال والابتدائى والزراعى والصناعى والليسيه الثانوية داخلية وخارجية للبنين والبنات — كما توجد جامعة الجزائر التى تستقبل خمسة آلاف طالب موزعين على مختلف الكليات بين صالات ومعامل وحدائق ومكتبات . .

وبعد هذا لا يلزمك أن أحدثك عن الفصل الأخير من هذا المجلد القيم عن (السياحة) فإن بعض ما ذكرت كفيل بتشويق وتشويقك لزيارة هذه البلاد

وعليك بعد هذا الإعجاب أن تقف وتفكر غير طويل لتدرك أن الفرنسيين حكام هذه البلاد قد تفننوا فى إخراج هذا المجلد ليثبتوا به أمام الأمم المتحدة وقبل أن تتقدم الجزائر بدورها بطلب الاستقلال والتحرر — يثبتون به نهضتهم بهذه البلاد — التى قد تكون نهضة حقيقية ولكنها لا تعفيهم من أنهم محتلون غاصبون ... فهى تقدم هذا الدليل المادى لعصابة الأمم المتحدة حتى لا يؤخذ عليها ما أخذ على غيرها فى استعمارها لدول أخرى من أنها لا تعمل على النهوض بها ورفاهية شعبها

هذه هى الفكرة التى يجب ألا تغيب عن ذهن أى معجب بهذا الكتاب

كمال دسوقى

حين يريد منه الجد :

هو قاس عنيف . حين يصخب من الحياة ومآسيها . ومن الوضع وشذوذه . فإذا رعف بمأساة من مآسي الحياة تجده جذوة ملتهبة وبركاناً يقذف حمماً وشواظاً من نار . وإذا هدأت نفسه واستقرت يمطيك صوراً من الحيـــاة باسمة ينتزعهـــا قطعاً من قلبه ، فينفثها قلمه سحراً حلالا . وفاكهة طيبة ناضجة

وإذا سخر من الحياة وهزئ بالوضع فتجدك أمام المعرى . في سخريته اللاذعة وتهكمه المرير . وإن جد ففي جـده العبر والعظات . والحكم والأمثال . هو ذو قلم سحرى عجيب ، يمطيك ألوانا من الحياة . وصورا من الواقع . لمختلف الأوضاع والصور فمرة تراه ساخرا هازلا . ومرة جادا ، ومرة قاسياً بمنتهى العنف والقسوة . ومرة طيعا لينا بأجمل ما تكون فيه الرقة واللين . وهذه هبة قلما أوتيها أديب

فإلى ركب الحضارة وموكب المدنية وقافلة الأدب ومنهل الثقافة أزف تحية أديب متواضع طالما ارتشف معين الرسالة ، رسالة الجيل الجديد . ومنبر الفكر الحر ، ومشعل الثقافة ، ومنار الأدب ، ومثال الاستقامة والخلق العربي الكريم

إليك صاحب الرسالة ، وإلى محبيك الكرام ، أزف هذه التحية المتواضعة ، وقديما قيل : الهدية على قدر مهديها

البصرة — العراق خليل رشيد

ومنه الحجاز

تحية ولا كتحية ، ولكنها الحب الخالص يتغلغل في النفس والود الصادق الذي لم تستطع الأيام أن تحد من سـورته أو أن يهد البعد من أركانه . حب لم يزل ولن يزال ناميا مع الأيام

أستاذي ! يكتب إليك ابن تربى في أحضان البلاد المقدسة ، البـلاد التي شعت في آفاقها أنوار الرسالة الاسلامية ، ورددت جبالها أصداء القرآن الكريم ، وشهدت رمالها الصامتة مذابح الوثنية وتحطيم الرجعية البالية ومحق الأنانية الصارخة

يكتب إلى أستاذه ابن الكنانة وربيب قاهرة المعصور وآية الزمن مصر المحبوبة

يكتب إلى أستاذه وهو يصغي إلى قول الحق وجمجمة الباطل ، يملو في الفضاء لينتهي

يكتب إلى أستاذه : ونداء الحق يسرى في نبضات القلوب بعد أن طوى الأعصار واخترق حواجز السنين : صوت مصر وهي تحطم القيـود الفولاذية بأيد فولاذية أقوى ، وتصوب إلى الأحمق الغاصب نظرات المؤمن بحقه الصادق في جهاده المستميت في سبيل حريته واستقلاله

نظرات فيها القوة المتناهية والشعور بالعظمة الحقيقية قوة الحرية والشعور بالحرية

يكتب إلى أستاذه : معترفا بحقوق الأبوة الروحية مترجما في هذه الأسطر كلمات مقتضبة — عن خلجات النفس الإنسـانية عندما يزاح عنها كابوس الظلام وتغيب في قراراتها أشعة الرحمة ، ويسطع في أفقها شفق الهداية . فترى الطريق القويم والصراط المستقيم عندما تستجيب لنداء الحق . يوم يقف الحق وحده في صحراء الحياة

وعندما يرتفع صوت الباطل محاولا عكس الأوضاع وإضاعة القواعد . تلك ياوالدى — قصة مشعل النور : وأعني به الرسـالة الغراء التي فتحت صدرها للحق وأنصاره فكانت منبراً رفيعا يعلوه قواد مشعل الثقافة الإسلامية مرددن هتافات الحق بين غابات الباطل وتحت سراديب الغطرسة الاستعمارية

لقد كانت الرسالة حقلا طيب البذرة طيب الرعاية فأثمر

ولقد كنت تترك لقلمك « المعجز » وبيانك « الساحر » حق الدفاع عن الحق والحقيقة عن الحر والحرية

لقد وقفت منذ عشرين عاما على مفترق الطرق تشير بيد الإيمان الصادقة إلى تلك الأمم الحائرة ، والشعوب المحتشدة على ضفاف الحياة لترشدها إلى طريق السعادة والسيادة .. إلى طريق الحرية . وإن أريق في سبيل اقتحامه أطهر الدماء وأزهقت أنفس الأرواح

ولأن من مبدئك ومبدإ رسالتك أن لا ترى الحيـاة جديرة



ماريوتـــو

للكاتب الإيطالى ماسوشيو سالرنيتانو

أحبها ماريوتو ماجنانللى من أعماق قلبه ، وجعلها أغنية روحه ، ومزج غرامها بدمه ، وجعل اسمها الحبيب إنجيله المقدس الذى يردده ويهتف به فى يقظته وفى منامه . ثم راح ينشدها فى أنفاس الصباح ونسمات الأصيل ، ويتخيلها فى لألاء النجوم وصفحة البدر .. وكلما لقيها فوق سيف البحر أرسل عليها حبه وآلامه تتوسل له تحت قدميها الجميلتين وتطلب له الشفاعة حتى عرفت أنه يحبها

وآنست فيه الفتاة طهارة ونقاء وصدقا فرقت له ومالت إليه وجزته على دموعه وحرقه بابتسامة بريئة ماد لها قلبه ، وازلزل من هدة أمرها كيانه ، وفتحت له أبواب السماء يطلع منها على عالم من الحب سرمدى ، لأنه من صنع الطايف البارى .. سبحانه وباركت قلبهما يداالله ، وأخذا يلتقيان خفية ليتعاهدا على الحب وليروياه بدموعهما ، وليقطفا من ثمره إذا أينع .. قبلة أو قبلتين .. ثم ليأخذا فى حديث ألذ من قطع الروض ، وأبهى من وشيه يرف على شفاههما رفيف النسيم ، ويتدهدى من أعينهما الظامئة كأنه رق السحر

وكان ماريوتو من أسرة متوسطة من أهل سينا وكانت الفتاة من أسرة ساراسينى التى هى فى الذؤابة من أهل المدينة فكان هذا التفاوت بين الأسرتين سبب عذابهما ونبع مأساتهما والهوة السحيقة التى تحول بين أطماعهما فى الصلة المقدسة التى تقرب ما بين الجسمين كما قرب الحب بين الروحين

ولا ريب أن القبلة هى أشهى ثمار الحب وأطيب جناه ، لكنها كما يقول الشعراء تلهبه ولا تطفئه .. ومن الشعراء من يدعوها رسول الأبالسة ، لأنها أول الغيث ..

من أجل ذلك لم يستطع الحبيبان على هذا الهوى المنزى اصطبارا ، ومن أجل ذلك صمما أن يكونا زوجين برغم ما بين

بالشراء والبقاء إلا إذا قارنتها الحرية الكاملة .. حرية الرأى والقول والفعل العقلى والمادى

والآن وبعد أن طوى التاريخ تلك الصفحات السود من حياة مصر والمصريين بل ومن حياة الشرق العربى الكريم . وعاد الشرق يبتسم للحياة ابتسامة العز بعد أن قوى فيه الوعى القوى .

وثارت فيه روح الدفاع وتربت فيه ملكة الجهر بالحق ولو غضب المستعمرون

يستقبل الشرق والشرقيون والعرب والإسلام لحظات الكفاح مشاركين مصر العربية فى شعورها .. مؤمنين على صوتها حين ينبعث من « بوق » العدل والكرامة ، مبتهلين إلى الله بقلوب ملؤها الإيمان أن يشد عضدها وأن يحقق لها آمالها حتى ترى المعركة الدامية التى يخوضها أبناء مصر وأحفاد بناة الهرم .

وقد نجلت عن حرية كاملة واستقلال غير منقوص

المخلص لكم وللرسالة

دار التوحيد ـ الحجاز ـ الطائف عبد الله الحصين

وعزل أيضا

كتب الأستاذ محمد عبد المنعم أبو سيف فى البريد الأدبى العدد ٩٧٠ يقول : إن أعزل لا يجمع على عزل بتشديد الزاى وإنما يجمع على عزل بتسكينها كما هو القياس فى جمع أفعل وفعلاء ولكن القاموس أورد هذا الجمع فقال : « والأعزل من لا سلاح له كالعزل بضمتين وجمعهما عزل بضم فسكون وأعزال وعزل كركع » وإذن فقد سمع عن العرب ذلك الجمع ، ولا تثريب على المثقفين وغيرهم لو استعملوه ما دامت العرب قد نطقت به .

وللأستاذ تحية خالصة

أبوه محمد حسب الله

الأسرتين

وكان لهما صديق راهب أو غطى ، ما كادا يشكوان له حالهما حتى انبجست الرحمة فى قلبه والدموع فى عينيه ، وانطلق بهما إلى الكنيسة فعقد لهما واستمان على إنجاز ذلك بالكتمان ؛ وهكذا ظل ما بينهما سرهما وسر الراهب . وهكذا تم لهما ما أبته التقاليد والطبقات . فقطفا من ثمار الجنة على غفلة من الأفعى حتى استيقظت ، فذهبت تسمى بينهما وبين الناس لتخرجهما من فردوسها الجميل

ذلك أنه كان بين ماريوتو وبين أحد النبلاء من سادة سينا عداوة ، فاستطاع الشيطان المغيظ أن يؤجج جذوتها بالوقيعة بين الخصمين .. ولم يلبث الجدال أن صار نضالا .. ثم تماسكا .. ثم وكزه ماريوتو فقضى عليه

وكان عليه بعد هذا أن يفر من الدولة أو يدفع رأسه ثمنا لجريمته ، فلبث حيناً مستخفيا عن أعين الناس ، فلما ضاعت جهود رجال الشرطة سدى فى البحث عنه صدر الحكم عليه بالنفى المؤبد

وقد تكلمت الدموع ساعة الوداع ، وضم الحبيب حبيبته يتنفس فى صدره ، ويتزود لفراق طويل لاتنتهى مرارته ، وليس معروفا مداه !

يا لقسوة المقادير توقظ المحبين من سبات عميق كله أحلام ! لقد راح كل منهما يرنو فى عيني صاحبه المغرورقتين بالدموع ، وكلاهما بالفراق انجذب بعضهما إلى بعض فى لوعة وفى شجن فترف الشفاة المذبة على الخدود المحترقة ، هائمة حائرة تلتمس العزاء ولا عزاء ، وتنشد السلوان ولا سلوان

ولقد كان صدر أحدهما يكلم صدر صاحبه بدقات القلب وخطرات النفس ووجيب الروح ، حتى سكتت القبل ، لأنها لا تغنى فى ذلك الحال شيئاً ، وصمتت الأعين .. لأن الفراق الذي لم يكن منه بد قد حم

وطمأنها ماريوتو ، فذكر لها أنه نازح إلى الاسكندرية ليقيم عند عمه المثرى الغنى ، وأنه سيكتب إليها من هناك ليتصل القلبان على ذلك البعد ، ثم أكد لها أنه لابد عائد إلى إيطاليا الجميلة وواصل وإياها حبه ، ولو كلفه ذلك حياته

وفى غمرة من الحزن ، وثورة من الأسى والفجيعة ، افترق الحبيبان ، وفى نفسيهما مرارة ، وفى حشاهما هم ووجد وألم

وانطلق ماريوتو إلى شقيق له فكشف له عن سره ، وبثه شكواه ، وتوسل إليه أن ينشر ظل حمايته على زوجته ، وأن يكتب له عن أحوالها ، وأن يكون حارسها بالنيابة عنه .. حتى يعود

وركب البحر إلى الاسكندرية، فتلقاه عمه بالبشر والبشاشة ووجد فيه مؤنسا له فى دار الغربة .. ولما باح له ماريوتو بسره ، لم يشأ الرجل النبيل أن يثرب عليه أو أن يعزله ، بل أذهب عنه الحزن بكلمات طيبات ، وغلا فتاه بصلاح الحال وتلافى ما وقع بينه وبين أسرة القتيل من خصومة وعداء .. ولم يكن ذلك من الجد فى شئ ، لكنه كان مبالغة فى إكرام مثوى الفتى ، الذى استطاع أن يخلب لب عمه بأسلوبه الغرامى الحزين الحنون

وعهد إليه عمه ببعض مهامه التجارية لتشغله قليلا عن أحزانه، ثم أشركه معه فى منزله الجميل على شاطئ البحر الأبيض فكان ماريوتو كلما فرغ من عمل النهار ، خلا إلى نفسه فى الليل ففتح النافذة المطلة على البحر المتيد ، وراح يتنسم أنفاسه ، ويستروح صباه ، ويقرأ من حبيبته أو يكتب إليها ، ويغسل ذلك كله بدموعه الحرار الطاهرات ، فكانت هذه اللحظات على ما فيها من ألم وما بطنت به من عذاب وهم ، أسعد لحظات حياته ، لأنها شعر الماضى وأحلامه ، تطفو على سطح الحاضر وتعلل بالآمال ظلام المستقبل

وتحالفت الهموم على جيانوزا فزادتها جمالا ، وهام بها شباب المدينة هياماً جعلهم يتراءون على قدميها فى كل طريق كما يترامى الفراش فى اللهب . وذهب كثير منهم إلى أبيها يخطبونها على أنفسهم ، ويمهرونها بكل ما يملكون ، وكان الوالد كلما كلمها فى أحدهم تملأت وانتحلت المعاذير ، فكان الأب الحائر يترفق بها ويتلطف ، ثم ينزل عند مشيئتها بغير ماحجة ولا برهان مبين ، ثم يصرف شباب المدينة فى حدب وفى استحياء

وهكذا ظل السر الرهيب دفيناً فى صدر الفتاة يعذبها ولكنه مع ذلك كان مصدر سعادتها الباكية ، ولذتها الحزينة ، والنبع ذا الخرير الذى تختلط فيه آلام الماضى وآلام الحاضر لتثمر مخاوف المستقبل

وضاقت بها أفانين المعاذير فلم تعد تدرى ماذا تلفق منها وماذا تدع ، فلما أحست أن الشكوك أخذت تساور أباها من جراء هذا التمنع ، وأنه يلح فى معرفة سرها ، قلق قلبها الخفاق ، وسدرت نفسها المستهامة .. ثم ذكرت الراهب الصغير الذى فى وسعه أن يصنع كل شئ .. فانسرقت إليه وذكرت له ما كان من فرار ماريوتو إلى الاسكندرية وما كان من إلحاح أبيها عليها بالزواج ، وما حرصت عليه من كتمان زواجها على أبويها ، وكرهها أن تبوح به خشية ما يجر إليه من عواقب .. ثم سكبت عبراتها بين يدى القس وترتمت على قدميه ، وتوسلت إليه أن يخلصها مما هى فيه بجرعة من السم القدس يريحها من هموم الحيـاة ، ويحول بين الفضيحة وبين سرها وحبها

وقد تردد الراهب أول الأمر ، لكنه سرعان أن رق للفتاة ، ولان قلبه للحبيب النازح ، فتناول كأسا روية من الخمر وجرع ما فيها .. وكأنما شرب منها شجاعة ، وعب حماسة وإقداما .. فتهلل وجهه ، وربت على كتف جيانوزا ، ثم وعدها عدة جميلة ، وأمرها أن تنطلق إلى ذويها فتسلس لهم فتلقاها القياد وترضى بمن يختاره أبوها بعلاً لها ..

وسجدت الفتاة وشكرت له ، وانطلقت إلى دارها فتلقاها أبوها بمثل ما كان يتلقاها به كل يوم وكل ساعة ، وما كاد يكرر عرضه عليها حتى قبلته ، فطفر قلبه من الفرح ، وطبع على رأسها قبلة العطف والحنان

وذهبت فى الموعد الذى حدده لها القس ، فأعطاها زجاجة صغيرة تحوى الجرعة السحرية الهائلة ، ثم ذكر لها أنه لم يصنع لها السم الذى رغبت فيه ، بل صنع منوماً يدع شاربه فى حالة تشبه الموت لمدة ثلاثة أيام .. « فإذا حسوت هذه الجرعة وتغشاك النعاس ، وظن اهلوك أنك ميتة ، حملوك إلى قبونا لتدفنى فيه ، وسأزورك فى اليوم الثالث وأتولى إيقاظك بنفسى ، وبهذا يكون ما بينك وبينهم قد انقطع ، فتستطيعين السفر إلى الإسكندرية حيث تلقين زوجك ، وحيث تكلأكما عين السعادة .. »

واغرورقت عينا جيانوزا بدموع علوية ، ثم قبلت يد القس وانطلقت إلى بيتها تحلم أحلاماً رائعة جميلة

وجلست تكتب كل ذلك إلى حبيبها ماريوتو . فلما فرغت أهوت على الخطاب تلثم اسمه الحبيب فى كل سطر ، وخرجت لتدفع بالخطاب إلى من يوصله إلى السفينة الشرقية ، فلما عادت ، فتحت النافذة ، وصلت صلاة قصيرة ، وغمغمت باسم ماريوتو ، ثم شربت الجرعة الثمينة ، وانطرحت فى سريرها وأغمضت عينيها

ودخل الخدم فى الصباح بالورد والبنفسج ، ورياحين الربيع لمولاتهن ، فلشد ماذعرت قلوبهن وجفلت نفوسهن لأن سيدتهن لا تستيقظ

وأهرع أبوها وبعض ضيفه فوقفوا فوقها مسبوهين مأخوذين ، ثم استدعوا أطباء سينا فما نفع طبهم ولا أفلحت حيلهم ، بل ذهبت جميعاً أدراج الرياح

وقر رأيهم على أن يتركوها حتى اليوم التالى ، « فقد تكون نائمة بتأثير شلل فى المدة لا يزول إلا فى هذا الميعاد ! » لكن الميعاد فات ولم تستيقظ جيانوزا ، فلم يعد بد من دفنها ، لأنها ميتة ما فى ذلك شك

وخرجت جميع عذارى سينا يتهادين وراء الأران ، ويحملن أفنان الزهر إلى مقابر سانت أوجستين .. ثم عاد الجميع وكل قلوبهم حرق ، وملء نفوسهم أشجان وأحزان

وخشى الراهب أن تستيقظ جيانوزا فى ظلام الليل البهيم فتذعر ، ولا يكون لموتها من هذا السبب من بد ، فمضى إلى القبو هو ورفيق له ، ونقلا التابوت الحى إلى غرفته الخاصة

وحانت الساعة الموعودة ، واستيقظت جيانوزا من سباتها العميق بين أيدى الراهب المفزوع ، وأخذت فى الاستعداد للرحلة ، الرحلة المنشودة إلى فردوسها المفقود .. إلى ماريوتو .. إلى الزوج العزيز الذى اقتحمت فى سبيله أصرم العقبات

وقد دبر لها القس ثياب راهبة . وبعد أن دعا لها بخير ، انطلقت إلى ميناء بيزا ، حيث ركبت فى سفينة متجهة إلى الاسكندرية مع كثير غيرها

وقد لعب البحر بهذه الحفنة من السفن شهورا طويلة ، وكأنما كان ذلك لتمام المأساة . وذلك أنه لما علم جارجانو — شقيق ماريوتو — بما كان من وفاة الفتاة ، فانه أرسل إلى أخيه كتابا طويلا ينعيها إليه ، ويطلب له الصبر والسلوان . وقد وصل الخطاب

قبل أن تموت جيانوزا ، وقبل أن يصل خطابهـا الذى سطرته إليه قبيل تجـرعها الجرعة .. فواهاً للمحبين إذا عثر بهم الحظ . . وإذا لج بهم العثار ..

مسكين ماريوتو ! لقد فض خطاب أخيه بيدين مرتجفتين ومتمناه أن يتلو فيه خبراً يسره .. فماذا قرأ ؟

« جيانوزا .. لقد ماتت جيانوزا يا أخى .. فتجلد ، وهذه غاية كل حى

«لقد كنت أوثر ألاأبعث إليك بهذا النبأ، لـكنى اضطررت أن افجأك بالحق ليهدأ قلبك ، وتستريح نفسك»

ولم تنحدر عبرة واحدة من عينى ماريوتو، وأنى له أن يبكى، وليس أعصى من الدمع فى هذه المـآسى التى تزلزل النفس ، ولا تنبجس لها العين

وشاع فى نفسه الحزن الصامت الذى ليس أنكى منه مرارة ولا أحر وجدا

وعبثا حاول عمه أن يواسيه .. وصمم الزوج الحزين أن يبحر من فوره إلى إيطاليا ، ليقف على ثرى حبيبته ، وليسقيه بدموعه وليتنشق هذا الهواء الريض الذى نشقته قبيل موتها من أجله ، وفنائها بسبيله .. ولأنه لايليق به أن يخشى شيئا فى سينا بعد أن قضت حبيبته ، وتحملت الأذى والهوان من أجله

وأرست السفينة فى نابلى ، وانطلق ماريوتو فى ثياب حاج إلى سينا ، واشترى آلات رأى أنها لابد منها لينقب بها حائط القبو ، حتى يتيسر له الدخول إلى حيث تقر رفات معبودته ، فيجزيها حزنا بحزن ووفاء بوفاء ، ثم لينام جنبها إلى الأبد، لأنه لا يطيق البقاء بعدها

واختبأ فى الـكنيسة إلى أن جنه الليل ، حتى إذا نام الجميع وأمن أن يمثر به أحد ، أخذ فى نقب جدار القبو ، وقبل أن يفرغ من هذا شعر به حارس المقابر ، فنفخ فى صوره ، وظل ينفخ فيه حتى استيقظ الرهبان ، واجتمعوا عليه ، لـكنه كان قد فرغ من عمله ، وانفتل داخل القبو ، وفى ظل شمعتين صفراوين شاحبتين ، وقف على رمس ظنه رمس حبيبته

وكانت التقارير السرية قد انتشرت فى أيدى الجواسيس تملن وصوله ، فلما قبض عليه وسيق إلى قضاته؛ باح لهم باعتراف جامع ناجع وساعدته دموعه التى كان ينضح بها كلماته ، فهاج شجون النظارة وحز فى قلوبهم شآبيب الحنان ، حتى إن كثيراً من النساء وبعض أصدقائه ، عرضوا على المحكمة أن تسمح لهم بمشاركته فى جريرته ، أو إلقائها كلها على كواهلهم ، إذا كان ذلك شافعا لإطلاق سراحه ، ولـكن هيهات ! لقد زمجر كبير القضاة ، وتهدد الحضور إن تدخلوا فى إجراءات العدالة ، أو اعترضوا سبيلها ، فصمتوا . وانتهت المحاكمة ، وصدر حكم الظالمين القساة بالإعدام

ووصلت جيانوزا بعد لأى إلى الإسكندرية ، وانطلقت من فورها إلى بيت العم العزيز الذى تلقاها كابنته، وأعز الناس عليه ولم يشأ أول الأمر أن يفجأها بسفر ماريوتو ، بل تركها تسرد عليه قصة موتها المدعى ، حتى إذا فرغت منها تبسم الرجل الخير ، ثم ذكر لها أن ماريوتو قد تسلم رسالة من شقيقه ينعيها له فيها وأنه منذ ذلك اليوم لم يعد إلى البيت ، وأن أكبر ظنه أنه رحل إلى الوطن

يا آخر الأنباء السود ما أشأمك ! أبعد طول النضال فى البر والبحر ، وبدلا من أن تضم إلى صدرها المعذب حبيبها المشوق تحضر إلى الاسكندرية فيبدهها هذا النبأ

وأخذ الشيخ يواسى جيانوزا ، ثم عرض عليها أن يرحل معها إلى نابولى ثم إلى سينا ليلقيا ماريوتو حيا أوميتا، فاستخرطت جيانوزا فى البكاء وشكرت للعم ما غمرها به من عطف ولطف

وتنكرت جيانوزا من جديد فى مسوح الرهبان وعمت شطر الشاطئ لتركب البحر فى كنف الرجل الطيب ، وهمت بهما الفلك إلى الشاطئ التوسكاني ، حيث أرست عند بيومبينو ، وحلت الفتاة ضيفة عزيزة على السر نيقولا ، نيقولا الغنى صاحب فيلا نيقولا — عم ماريوتو ، التاجر الاسكندرى ، وهى فيلا جميلة قريبة من سينا

وكانت نهاية الفجيعة أن ماريوتو المسكين قد نفذ فيه حكم الاعدام قبل وصول زوجته وعمه بثلاثة أيام

أوه لقد سكب العم الطيب مواساته فى دموعه بين يدى جيانوزا ، فماذا صنعت هيه

وقبلت أن تقضى البقية الباقية من حياتها فى كسر دير ! لم تستطع أخواتها الراهبات أن يواسينها فذبلت جيانوزا ولم تزل تذبل وتذوى كل يوم، ولم تفتأ تصهر قلبها ودموعها بالبكاء على ماريوتو حتى لفظت نفسها الأخير !

د . سعد



مطبعة الرسالة



العدد ٩٧٣ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



الرسالة والرواية

فهرس العدد





العدد ٩٧٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

من مذكراتى اليومية

رسالة وصورة ...

يحلو لى أن أهرب أحياناً من زمنى الحاضر لإثقاله أو إملاله ، فأرجع إلى ذكرياتى أجترُّ منها ما ألذ ، أو إلى مذكراتى أقرأ منها ما أحب

وفى هذه الساعة التى أكتب فيها للرسالة شعرت بضيق فى الصدر والفكر ، فألقيت بالقلم وقلت لنفسى : دعى الكتابة اليوم وتعالى نفرج من هذا الهم برجعة إلى دنيا الماضى ، فلعل فى أصدائها الباقية ما يؤنس هذه الوحشة . وتذكرت أن شهر يناير قد عوّدنى الجميل فيما مضى من عمرى ؛ فقد سجلت فيه أكثر ضحكات القلب ، وحسبى منها ميلاد ولدىّ : رجاء والرسالة . ففتحت مذكراتى عن صفحات هذا الشهر ، فوجدتنى قد كتبت فى يومه العاشر من عام ١٩٥٠ هذه السطور :

« ألقى البريد الجوى إلىّ فى صباح هذا اليوم غلافاً من العراق على ورقه طابع الذوق ، وعلى خطه سمة الظرف . فلما فضضته وجدت فيه رسالة وصورة . قرأت الرسالة والإمضاء ، ثم تأملت الصورة والإهداء ، فإذا هما لآنسة من أوانس بغداد المثقفات ، قد أولعت بالأدب وأغرمت بأهله . ثم عدت أقرأ ، وعدت أتأمل . وطال تردد البصر والفؤاد بين الصورة وهى رسالة الجسم الجميل ، وبين الرسالة وهى صورة الروح النبيل ، حتى غاب حسى فى سكرة من سكرات الأحلام ، تراءت لى فى خلالها أطياف من تهاويل الهوى والشباب ، تتراقص نشوى فى أزقة (الوزيرية) و (رأس القرية) من مغانى بغداد العزيزة

وكلما عاد الحس أو كاد ، نظرت إلى الفم الحلو الذى يريد أن يبتسم ، وإلى الطرف الأحور الذى يهم بأن يقول ، وإلى الشعر المقدود الفاحم الذى يسيل على الأذنين وأطراف الخدين فيجمل الوجه كله صورة من الفتنة ، فتعود إلىّ الغفوة ، وأعود أنا إلى الحلم !

وأخيراً تخلصت قليلا من سحر الصورة لأرى صاحبتها الأديبة تقول أول ما تقول : « أعتذر إليك من الكتابة والاهداء على غير تعارف ..» ولم يخل اعتذارها الصريح من احتجاج ضمنى على العرف الذى يفرق فى مثل هذا الصنيع بين الرجل والمرأة . فلو أنها كانت فتى كما تقول لما وجدت فى الكتابة إلى مثلى ما يُعتذر منه . ثم تحدثت طويلا عن صلتها بالرسالة وحرصها على أن تقرأ كل ما أكتب ؛ وخصت بالذكر رثائى المرحوم على محمود طه ، وخرجت من ذلك إلى الكلام عن شاعريته وعبقريته . ثم طلبت إلىّ آخر الأمر أن أخصص لتأبينه عدداً من (الرسالة) أكتب أكثره ! كل أولئك فى أسلوب رقيق دقيق يوحى أكثر مما يعبر ، ويمتع أكثر مما يقنع . ولم أكد أستوعب الرسالة بفكرى ، وأناقش موضوعها فى سرى ، حتى تناولت القلم وفتحت الألبوم وأجبت عن الرسالة برسالة ، ورددت على الصورة بصورة ! ولكن هيهات وا أسفاه ! لن تجيب رسالة عقل عن رسالة قلب ،

امرأتان عظيمتان
من دولة المغول

للدكتور محمد بهجت

عندما يطوف السائح بمدن لاهور وأكرا ودلهي بشمال الهند تتفتح أمامه صحف عديدة من تاريخ المغول العظيم، حافلة بجلائل الأعمال وضروب البطولة، ويلمح في ثنايا تلك الصحف بعض السطور البارزة التي خطتها أنامل بعض نساء المغول في تاريخ تلك البلاد المجيدة. ومن أبرز نساء تلك الدولة سيدتان عظيمتا الخطر، ربطتهما وشيجة رحم وعاشتا في عصر واحد. كانت كلتاهما زوجة لامبراطور، رائعتي الجمال، راجحتي العقل تانكم المرأتان هما «نور جاهان» و«ممتاز محل»

أما نور جاهان فمن أصل فارسي، ضاقت سبل العيش في وجه أبيها – «مرزا غياث» – فأزمع الهجرة من طهران إلى الهند، عسى الحظ يبسم له هناك. وفي الطريق ولدت له ابنة سماها «مهر النساء». وكان مسافراً معه في القافلة تاجر ثرى رقيق القلب اسمه «مالك مسعود» أخذته به وبعائلته البائسة شفقة فتولاهم بعنايته ومعونته طول الطريق حتى بلغوا دلهي بسلام. وهناك أراد «مسعود» أن يسدي يداً أخرى لصديقه المسكين فقدمه للامبراطور «أكبر» العظيم الذي ألحقه بخدمته كما ألحق زوجه وبناته بالقصر مع حريمه. وبعد ما أبدى كفاءة وإخلاصاً في عمله أحبه الامبراطور وأدناه ورقاه

وفي أثناء ذلك نشأت «مهر النساء» وترعرعت بين نعيم القصر وأبهته، وألفت حياة البذخ والترف. وما إن بلغت السابعة عشرة حتى زوجت من ضابط باسل بجيش الامبراطور اسمه «على كولى». وكان هو الآخر فارسيا وسيم الطلعة، قوى البنية؛ خدم في أول الأمر الشاه إسماعيل الثاني – شاه الفرس – بأن كان نادلا يقدم له صحائف الطعام. وسرعان ما جذبته الهند واستهوته مغامراتها فهاجر إليها والتحق بخدمة أكبر. وهناك برزت مواهبه فألحقه بأركان حرب ابنه الأمير «سليم». وعندما خرج على رأس جيش كبير لإخضاع ولاية «ميوار» فأبدى من ضروب البسالة والشجاعة ما حبب فيه الأمير وقربه إليه، وأجزل له العطايا والمنح، وسماه «شير أفغان» أي قاتل النمر لأنه أردى نمراً متوحشا أمامه، وأصبح علما له فيما بعد. وبعد انتهاء الحملة، ولأمر ما، شق الأمير عصا الطاعة على أبيه ومليكه فانفض أكثر الضباط المخلصين من حوله ومن بينهم «شير أفغان»

ولما كان من عادة جنود المغول استصحاب نسائهم في الحروب فربما عرضت للأمير فرصة لمح فيها زوجة صديقه الشابة الفاتنة. ويقول بعض الكتاب إنه رآها عدة مرات ترتع في حدائق القصر ورداهته فأسرت فؤاده وسكن طيفها قلبه حتى آخر عمره

وسارت الأحداث سيرها إلى أن توفي «أكبر» واعتلى «سليم» عرش أبيه بعد حوادث دامية في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٠٥ وصار يعرف باسم نور الدين محمد وبكنيته «جاهان جير» أي القابض على ناصية العالم. وفي يوم ما تذكر صديقه القديم فاستدعاه وصفح عنه وأسند إليه منصبا كبيرا بعيداً ببنغالة. وهنا تختلف رواية المؤرخين، فبعضهم يقول إن حب «مهر النساء» استبد به وعصف بقلبه فأرسل إليها رسولا خاصا يغريها بهجر زوجها والالتحاق بالامبراطور المتيم بها، فأبت كل الإباء، وغضبت لهذه المساومة الدنيئة، وكذلك ثار زوجها لشرفه، فأوعز الرسول إلى الحاكم أن يغتاله، فاغتيل مدافعا عن كرامته وعرضه، ثم حملت زوجه وابنتها الطفلة إلى العاصمة وألحقتا بجناح الملكة «سليمة». والبعض الآخر من المؤرخين ينفي هذه الرواية بل يستنكرها بقوة قائلا ببراءة الامبراطور من هذه التهمة القذرة، ويفسر ما حدث بأن الأخبار ترامت إلى الامبراطور بأن «شير أفغان» ثائر عليه باستدعائه إلى العاصمة ليشرح موقفه منه، وليمتحن إخلاصه له، فأبى. وعند ذلك أراد «قطب الدين كولا» حاكم بنغالة أن يقبض عليه فعلاً «شير أفغان» بسيفه وأصابه بجراح بالغة، وعند ذلك

ولن ترد صورة قبيحة على صورة (مليحة)»

ما أيسر السعادة على ابن آدم لو يدري أو لو يريد! إن كلمة من قلب مفتوح، أو بسمة من شفة بريئة، أو نظرة من عين حبيبة، أو فقرة من رسالة شاعرة، أو قسمة من صورة فاتنة، لتستطيع أن تنير ما أظلم من قلبه، وأن تفرج ما اشتد من كربه! إن السعادة فتات وفترات، فلا تكون في واحد صحيح، ولا تدوم في زمن متصل!

احمد حسن الزيات

انقض عليه حرسه وقطعوه بسيوفهم إربا . وهكذا فصل الموت بين ذينك القلبين المتحابين بعد ستة عشر عاما من زواج سعيد موفق

وفي شهر مايو من عام ١٦١١ أي بعد ست سنوات من اعتلاء « جاهان جير » العرش وبعد أربع سنوات من مقتل « شر أفغان » أعلن الامبراطور زواجه من « مهر النساء » بالغا من العمر اثنتين وأربعين سنة ، أما هي فكانت تصغره بتسع سنوات . وهكذا أصبحت الطفلة التي ولدت في الطريق من أب رقيق الحال ، والفتاة التي أوردها الحظ موارد النعيم ، والأرملة الشابة الفاتنة التي بكت زوجها الحبيب أربع سنوات ، إمبراطورة لدولة عظيمة ، وهكذا بدأت هذه المرأة الفذة تلي والتاريخ يكتب

نحن لا نعلم على وجه التحقيق كيف رضيت أن تتزوج من الامبراطور بعد طول إباء ، وأغلب الظن أنها توسمت فيه أداة المجد والشهرة ، ووسيلة لتحقيق مطامعها الواسعة . ولكن دلت كل الدلائل فيما بعد أنها أحبته وأخلصت له مثلما أحبت زوجها الأول وأخلصت له . أما هو فقد هام بها هياما شديدا وأخذ يغمرها بأجزل العطايا الثمينة ، ويغدق عليها أكثر مايمكن أن يغدقه امبراطور عظيم على آسرة روحه ، ومصدر سعادته ، ثم إنه اشتط فأمر بنقش اسمها بجوار اسمه على النقود ، الشيء الذي ليس له نظير في التاريخ الإسلامي . وكان يدللها بأعذب الألفاظ وأرقها فسماها أولا « نور محل » غير أنه استقل ذلك فعدله إلى « نور جاهان » أي نور العالم ، وهو الاسم الذي عرفت به حتى الآن . وإذا علمنا أن « جاهان جير » كان رجلا فظا غليظ القلب ، سريع البادرة ، صريع الخمر ، لدهشنا كيف استطاعت هذه المرأة القديرة أن تسيطر عليه وتجعله طوع بنانها . فإذا ما انتابته نوبة من نوبات الغضب الجارف لم يجرؤ أحد أن يدنو منه سوى زوجته الحبيبة ، فتطفئ تلك النار الخبيثة التي تأكل روحه بلمسة رقيقة أو بسمة مشرقة أو كلمة عذبة ، فينقلب وادعا مستسلما ، فكانت بحق ممرضته الوحيدة

ومن أهم مزاياها التي أسرت بها القلوب واستعبدت الرعية ، الكرم الحاتمي والعطف على الفقير الذي كانت له بمثابة الغيث ينزل على الأرض الجديبة فيحييها . لم ترد طالب رفد ، أو تخيب أمل قاصد . وكانت راعية الفتيات الفقيرات تزوجهن وتمهرهن وتيسر لهن العيش الكريم . وكم من ضعيف حمته ، ومن مظلوم أنصفته وانتصفت وانتصرت له . ثم إنها شملت أقاربها بسامي رعايتها ، فجمعتهم حولها وأسندت إليهم المناصب العالية ، فأصبح والدها رئيسا للوزراء مع لقب اعتماد الدولة ، وأخوها آصف خان رئيسا لتشريفات الإمبراطور مع لقب اعتماد الدولة أيضا ، كما أصبح من أعظم رجال الدولة مالا وجاها .

وفضلا عن جمالها الساحر وأنوثتها الجارفة كانت « نورجاهان » شاعرة مجيدة ، رهيفة الحس ، واسعة الأفق والخيال ، مصقولة الذوق ، عالية الثقافة ، ملمة بالآداب الفارسية والعربية ، فكانت تهدهد الإمبراطور بشعرها العاطفي الرقيق ، وبمقطوعاتها المذبة المسكرة . وكانت تضع جميل الرسوم للمنسوجات ، وتبتكر الأزياء في الملابس والحلي بذوق رفيع نادر لم يعهد من قبل في بلاط الإمبراطور .

ومن عجب أن امرأة هذه بعض صفاتها تكون قوية البنية ، صلبة الخيزرانة ، مولعة بالألعاب الرياضية ، بل وفارسة من الطراز الأول ، تمتطي صهوات الجياد ، وتخوض المعارك بشجاعة نادرة وثبات عجيب ، فلا يطرف لها جفن ، أو يتزلزل لها جنان في أخطر المواقف وأحلك اللحظات . وكثيرا ما رافقت زوجها في حفلات صيده ، وقتلت بعض النمور المفترسة أمام الامبراطور المعجب ، الذي لم يسعه إلا أن يهدي إليها سوارين من الماس النادر ، وأن يأمر بتوزيع ألف كساء على الفقراء ، إعرابا عن فرط سروره ببطولة زوجته . وسوف تقف على المزيد من ضروب شجاعتها بعد قليل

وبجانب هذا كله استطاعت « نور جاهان » أن تدير شؤون الملك بيد حازمة ، وعقل راجح ، وعين يقظة ثاقبة ، تنفذ بها إلى بواطن الأمور ، وأعماق السرائر ، فلم تفتها شاردة ولا واردة من شؤون الدولة ، وأحاطت بجميع المسائل السياسية والعسكرية إحاطة تامة ، حتى تهيبها رجال السيف والقلم ، الذين لم يكونوا أندادا لمناقشتها ، فكانوا يأعرون بأمرها راكعين . أما أكابر البلاد وسراتها ، فكانوا يقدمون لها فروض الطاعة ، ويبتغون

مرضاتها ، علماً منهم بأن سعادتهم أو شقاءهم رهن بكلمة تخرج من بين شفتيها ، أو بإشارة عابرة من يدها ، حتى لقد قال عنها بعض المؤرخين : « إنها قوة من وراء العرش »

ولو أن الأمور اقتصرت على ذلك لختمت هذه المرأة حياتها خاتمة سعيدة ، ولتمت لها حياة راضية هنيئة لم تتم لامرأة أخرى . فقد كان إيثارها لأفراد أسرتها ومحاسيبها ، وخصهم بأرفع المناصب عاملا من العوامل التي أوغرت عليها بعض الصدور ، وبابا تسربت منه عوامل الفساد ، بما فيها الرشوة واستغلال النفوذ .

ثم إن مطامعها أملت عليها أن تضمن العرش لابنتها من زوجها الأول ، فكيف دبرت ذلك .

كان للامبراطور أربعة أبناء هم خسرو وكرام وبارفز وشهريار . فأيهم تختار ؟ كان خسرو ثائرا على أبيه ، واشتبك في عدة معارك دموية مع جيوش الامبراطورية ، ولكنه هزم في آخر الأمر ، وأسر ، وسملت عيناه ، وأودع السجن . ومع ذلك فقد كان محبوبا وله أنصار كثر . وأما كرام فقد فكرت فيه كثيرا ، وراقبته طويلا ، وأيدته إلى حين ، غير أنها عدلت عنه لما تبين لها من قوة شكيمته ، وشدة مراسه ، فضلا عن أن أخاها « آصف خان » سبقها إليه ، وزوجه من ابنته . وأما بارفز ، الوارث الشرعي للعرش ، فكان تافه الشخصية ، احتضنه « مهابت خان » ، القائد الكبير الذي ناصب « نور جاهان » العداء ، « وأخذ ينصب حولها شباك المؤامرات . إذاً لم يبق أمامها سوى « شهريار » الذي زوجته من ابنتها في عام ١٦٢٢ وسندته بقوة ، وأخذت تدفعه قدما نحو العرش . ولننظر الآن كيف انتهى ذلك الصراع بين تلك المعسكرات الثلاثة

رق قلب الامبراطور لابنه السجين « خسرو » فأطلق سراحه ، ولما خافت « نور جاهان » مغبة ذلك أفسدت العلاقة بينه وبين أبيه الذي أمر بوضعه تحت يد قائده « مهابت خان » ليرى فيه رأيا ، ولكن الأخير سلمه بدوره إلى أخيه الأمير « كرام » الذي أمر بقتله فوضع بذلك حدا لآلامه ، ولتاريخه الحزن ، وتخلص من مزاحم له على العرش

ثم حدث أن استولى شاه الفرس « عباس » على قندهار ، فأمر الامبراطور ابنه البطل « كرام » (شاه جاهان) بالتوجه إليها واستردادها . ولكنه تردد بعد أن أبصر يد « نور جاهان » تقصيه عن طريق العرش وتعهدها « لشهريار » الذي طلبت من الامبراطور إسناد القيادة إليه ، كما طلبت منه أن يأمر « شاه جاهان » بإعادة القوات التي تحت إمرته إلى العاصمة . وبعد ما حاول عبثا أن يصلح ما بينه وبين أبيه ، وأن يخلصه من نفوذ زوجته الذي يوشك أن يقوض أركان الامبراطورية ، ثار عليه وهاجم أكرا عام ١٦٢٣ م ولكن هزمته جيوش أبيه تحت إشراف « نور جاهان » وبمساعدة أنصارها من الضباط القدماء ففر جنوبا إلى الدكن . وبعد محاولات عديدة فاشلة لاستثارة حكام الولايات ضد والده ، وبعد عدة مغامرات تبادله فيها الحظ والنحس ، وبعد معارك شديدة مع جيوش الامبراطورية التي كانت تطارده حيثما ذهب ، هزم في معركة فاصلة على يد أخيه الأمير « بارفز » « ومهابت خان » واستسلم لهما بعد أن هجره كثير من ضباطه وانحازوا إلى جانب قوات أبيه ، ونزل عن كل ما كان في قبضته من أراض وقلاع وحصون ، واضطر إلى كتابة خطاب لأبيه يعتذر عما فرط منه ، ويستعطفه ، ويطلب منه الصفح والغفران . وتأكيدا لحسن نواياه أرسل ابنيه « دارا » « وأورانك زيب » إلى دلهي رهينة ، كما أرسل لوالده هدايا ثمينة تقدر بنحو مائة ألف روبية . فصفح عنه والده بناء على نصيحة « نور جاهان » التي أوجست خيفة من تحالف الأمير « بارفز » « ومهابت خان » ثم اعتكف مع زوجه وابن له يسمى « مراد » في بلدة ناسك الصغيرة ، مرتقبا الفرص

بعد ذلك وقفت « نور جاهان » وجها لوجه أمام « مهابت خان » فاتهمته بالاختلاس واستغلال النفوذ ونشر الفساد وجرد صهره من ثروته ، ووجها بالسؤال : من أين لك هذا ؟ ثم صدر أمر الامبراطور له بالتخلي عن القيادة العليا للجيش ، وبتولي حكومة ولاية بنغالة . فأبدى الأمير « بارفز » استياءه العظيم واحتج عبثا على سوء معاملة القائد الأكبر الذي عيل صبره واشتم رائحة الغدر ، فاعتزم أمرا خطيرا وهرب في خمسة آلاف مقاتل من الراجبوت الأشداء ، وأخذ يقتفي أثر الامبراطور

فشاهده يعبر قنطرة على نهر « جهيلم » بعيداً عن حرسه ، فأطبق عليه وأسره . وكانت مفاجأة مؤلمة لمعسكر « جاهان جير » ووقع فيه اضطراب عظيم ، وهربت « نور جاهان » مع أخيها « آصف خان » الذي كان معها . ولكن عز عليها أن تتخلى عن زوجها في محنته ، فدبت فيها النخوة والحمية والنجدة فكرت راجعة وحضت قائد الجيش « فدائي خان » الذي قام بهجوم عنيف لم يكتب له النجاح لفرار الضباط والجند ، ولحالة الفوضى التي كانت سائدة . وعندئذ تجلت شجاعة هذه المرأة العظيمة ، فامتطت ظهر فيلها الهائل ، وتقدمت به على رأس من تبعها من الجند الذين دهشوا لجرأتها ، فهجمت على الأعداء هجمة صادقة وهي عطرهم بوابل من السهام ، وحاولت في تقدمها عبور النهر ، ولكن أسرع جنود « مهابت خان » إلى إشعال النار في القنطرة ، فلم يثن ذلك عزمها واستطاعت أن تصل إلى الشاطئ في وجه مقاومة عنيفة ، تتطاير السهام من حولها ، وتتفجر الكرات النارية حول هودجها . وهنا بلغ الروع أشده والفزع غايته ، وأخذت الخيل والأفيال والفرسان تتساقط في النهر وتداس وتعرك . ثم قتل سائق فيلها فجمح بها الفيل وغاص في ماء النهر ، ولكنه بلغ بها الشاطئ مرة أخرى ، فاندفع نحوها النسوة بعوان ، والمخلصين من الجند والحاشية يدرأون عنها السهام والرماح بأجسامهم ، ويفدونها بأرواحهم . أما هي فجلست هادئة ، مخضوبة بالدم ، تنزع سهما أصيبت به حفيدتها من شهريار ، وتضمد جراحها هي . ولما رأت أن لا جدوى من المقاومة ، رضيت بالأسر مع زوجها ، عساها تستطيع إنقاذه . أما أخوها فارتد بالثلاثة آلاف مقاتل الذين كانوا معهم واعتصموا بحصن قريب . وفي الأسر استخدمت أسلحة أخرى فعلت مالم تفعله أسلحة الحرب . استعانت بذكائها ودهائها وجمالها ... فاستمالت إليها ضباط « مهابت خان » ثم استولت على كنوزه ... ولما رأى ذلك نجا بنفسه وبنفر قليل من أنصاره وفر إلى الدكن حيث وافى « شاه جاهان » وتحالف معه على « نور جاهان » واستعجل القدر خاتمة الرواية فات الأمير « برفز » عام ١٦٢٦ م . أما الإمبراطور المسن فقد تابع سيره إلى كابل ثم عاد منها إلى كشمير لقضاء فصل الصيف . وفي أواخر عام ١٦٢٧ م . حينما كان عائدا من مصيفه بكشمير مرض مرضا شديدا ومات في الطريق ببلدة « بهمبار » ومنها نقل جثمانه إلى حديقة « نور جاهان » المعروفة باسم حديقة « دلكوشا » بشاه دارا إحدى ضواحي مدينة لاهور . وهناك كانت « نور جاهان » بجانب نعش زوجها تبكيه بدموع غزار إلى أن ووري التراب ، وأمرت بإقامة ضريح فخم له . وبعد أن تمت مراسم الدفن أعلن الأمير « شهريار » نفسه إمبراطورا في لاهور ، تؤيده حماته ، وفي نفس الوقت طير « آصف خان » نبأ موت الامبراطور إلى صهره « شاه جهان » الذي كان بالدكن فأسرع نحو الشمال برفقة « مهابت خان » على رأس جيش كبير ليفوز بالعرش . وشغلا للعرش الشاغر بأكرا نصب « آصف خان » ابن خسرو (دوار بخش) إمبراطورا إلى حين وصول « شاه جاهان » ثم تقدم على رأس جيش قوي إلى لاهور . وهناك حاولت « نور جاهان » أن تتصل بأخيها لتستميله إلى جانبها ولكنه أعرض عنها وانقض على جيش شهريار وهزمه هزيمة منكرة وأسر « شهريار » وسملت عيناه ثم قتل بعد ذلك . ولما وصل « شاه جاهان » أعان آصف خان الامبراطور المؤقت على الهرب ؛ أما أتباعه وأتباع شهريار ونور جاهان فقتلوا شر قتلة ، وكان الإسراف في القتل شديدا لدرجة ألجأت بعض نساء القصر إلى الانتحار . وهكذا سار « شاه جاهان » إلى العرش في طريق مخضب بالدم مرصوف بالجماجم . وكان ذلك في السادس من شهر فبراير عام ١٦٢٨ م

أما « نور جاهان » فلم تمس بسوء ، أو تمتهن كرامتها ، بل لقيت كريم الصفح ، وعظيم الاحترام والعطف ، وأجرى عليها الإمبراطور الحليم معاشاً سنوياً ضخما يضمن لها حياة كريمة. ولما رأت يديها خالية من زوجها الحبيب ، وصرح آمالها منهاراً أمامها ، والدنيا عنها مدبرة ، لبست الثياب البيضاء حداداً على زوجها ، واعتزلت الحياة العامة ، وزهدت في مظاهر البذخ والأبهة ، وعاشت مع حفيدتها أرملة « شهريار » عيشة بسيطة إلى جانب قبر زوجها في لاهور إلى أن ماتت في الثامن من شهر ديسمبر عام ١٦٤٥ .

طافت برأسي قصة هذه المرأة العظيمة وأنا واقف بحديقتها

اللغة الفرنسية فى مصر

للأستاذ محمد محمود زيتون

اللغة الفرنسية — أو اللغة الأوربية الإضافية فى مصر هى العامل المساعد للاستعمار الإنجليزى فى الشرق ! فمنذ داعبت نابليون أحلام الامبراطورية الفرنسية ، شرع فى احتلال مصر وهى « تاج العلاء فى مفرق الشرق » كما يقول شاعر النيل

وتعاقدت إنجلترا وفرنسا سنة ١٨٩٠ ثم سنة ١٨٩٩ على اقتسام مناطق الاستعمار فيما بينهما بحيث تطلق إحداهما يد الأخرى فى الأمم المستضعفة تفعل بها ما تشاء ، فلما أعلنت إنجلترا الحماية على مصر سنة ١٩١٤ لم تشأ إلا أن تترك لفرنسا دوراً ثانويا فى مصر ، إذ جعلت لغتها إضافية إلى جانب الانجليزية العتيدة بينما خلا لفرنسا الجو فى سوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش والمستعمرات الإفريقية

ومنذ يومئذ واللغة الفرنسية تؤدى دورها فى الحدود المرسومة، حتى تمكنت من جعل الزعماء أداة طيعة للاستعمار يستسيغونه فى يسر ويجترونه فى غير عناء ، وما كان ذلك ليكون لو أن الزعامة قائمة على رصيد شعبى

ومن الألاعيب الإنجليزية الفاجرة توزيع الاستعمار الثقافى بين اللغتين الإنجليزية والفرنسية بغية الفتنة ، ورجاء تحويل الأنظار عن التراث العربى والمجد الإسلامى ، وكأنما كتب على المصريين أن يتعلموا هاتين اللغتين ولا مفر من ذلك ؛ كما لا مفر من القضاء والقدر

غير أن القومية المصرية كانت قد تبلورت تماما ؛ فلما اصطرعت مع الاستعمار الفرنسى صمدت له، وردته فى قوة وإباء . وكان نابليون أول من فطن إلى هذه الحقيقة؛ إذ كتب فى تعليماته للقائد كليبر « إن من يكسب ثقة كبار المشايخ فى القاهرة يضمن ثقة الشعب المصرى » وكذلك بوسليج فى تقريره إلى الحكومة الفرنسية إذ يقول فيه « إن اختلاف العادات — وأهم منه اختلاف اللغة وخاصة اختلاف الدين — كل ذلك من العقبات التى لا يمكن تذليلها والتى تحول دون إيجاد صلات الود بيننا وبين المصريين .. »

فالدين واللغة والعادات فى مصر هى الأثافى الثلاث التى لم يستقر عليها قدر الاستعمار الفرنسى ، فانهار ولم يعد له قرار ، ولا سيما بعد إفلاس الحملة من كسب ثقة الشعب ممثلا فى « كبار المشايخ » وهم حماة الدين ، ودعاة اللغة ، ورعاة العادات ، وسدنة القدرات القومية

وسجل التاريخ للشعب المصرى كفاحه ضد الاستعمار الإنجليزى فى المحافل الأوربية التى هزها الشاب المجاهد مصطفى كامل ، خطابة وكتابة ، فكان له « اللواء » الأعلى فى الدفاع عن القومية المصرية

أما « السعى بكافة الطرق السلمية المشروعة فى سبيل الاستقلال — كما أراد سعد زغلول — فإنه لم يدفع بالقضية إلى الأمام كما كان منتظرا بعد مصطفى كامل ، بل أصيبت بنكسة مزمنة باضت جراثيمها وأفرخت فى أدمغة أذهلها الفراغ الفكرى عن حدود (الوكالة) التى أجمعت عليها الأمة (الطيبة القلب) من أصحاب الجلاليب الزرقاء »

وفى سنة ١٩١٩ نهض زغلول فرفع مذكرة الوفد المصرى إلى المسيو فريسنييه رئيس مجلس الشيوخ الفرنسى يستصرخه فى

بشاهدارا بعد أن متعت نفسى بمشاهدة ضريح زوجها الرائع الذى قست عليه يد الإهمال ، وشوهت الكثير من محاسنه ، وسألت رائدنا عن ضريحها الذى توقعت أن يكون فى عظمة باقى آثار المغول . فأشار بيده إلى مكان قريب وقال إنه لا يستحق الزيارة لأنه من البساطة بحيث لا يلفت النظر أو يثير الاهتمام . وقد أوصت بأن يكتب على قبرها شعر بالفارسية من نظمها معناه :

لا يكون على قبرى مصابيح أو أزهار ، حتى لا تحرق الفراشات أجنحتها ، وحتى لا تأتى البلابل لتغنى على الأزهار

(للكلام بقية) محمد بهجت

التحرر من الحماية الإنجليزية وجاء فى هذه المذكرة المعروفة :

« .. هل مصلحة فرنسا العامة يمكن أن تلزم حكومة الجمهورية بأن تتخلى كلية عن شعب مدنيته الحديثة ظاهرا عليها الروح الفرنسية ، عن شعب تربيته ونظامه الإدارى والقضائى يحمل الطابع الفرنسى ، عن شعب تشغل الآداب الفرنسية عنده المحل الأول كما يظهر ذلك لكل من يلاحظ ذوق الخاصة ، ومن يطالع على الآداب الوطنية

مهما يكن من أمر تلك المصالح التى تدفع حكومة الجمهورية للتنازل عما لفرنسا من السيادة الأدبية فى مصر ، يستحيل معها — حتى ولو كان ذلك من مصلحة الديمقراطية الفرنسية — أن تنكر فرنسا تعهداتها التى ارتبطت بها نحو الأمم الصغيرة .. »(١)

ماذا ؟ .. أهو دفاع عن استقلال أم اعتراف بالمحلال ؟ .. وهل فى سبيل المجاملة المرجاة ، تزل قدم المحامى حتى يوقع موكله فى ورطة مزرية ، ؟ .. ومن أين لفرنسا هذه « السيادة الأدبية فى مصر » وذئابها الفاتكة قد يئست منها فعادت إلى بلادها جائعة تتلوى ؟

وليس أمعن فى الانحلال من الشعور بصعوبة التخلص منه والندم على الاستعمار كلما تقلص ظله ، فليتأمل كل مواطن بصير هذا الخطاب الذى وجهه زغلول مصر إلى المسيو موريس لونج مقرر اللجنة البرلمانية الفرنسية ، ومقرر المسألة المصرية لدى لجنة الصلح :

« .. إنه ليشق علينا أن نصدق أن الفرنسويين يقبلون عن طيبة خاطر أن ذلك الطابع المطبوعة به تربيتنا المدنية والعسكرية من قرن مضى تمفو آثاره عفاء تاما ، يشق علينا أن نصدق أنهم يقبلون أن القوانين الفرنسوية التى استمدت قوانيننا نصوصها منها . زيانت متأصلة فى نفوس المصريين وعوائدهم حتى أصبحت اليوم جزءا من رأس مالنا الاجتماعى ، ولا يكون لها أثر فى الأساس الذى تستند عليه مدنيتنا المصرية — وأن اللغة الفرنسوية الجميلة المنتشرة فى مصر أكثر من أى بلد أجنبى آخر ، والتى بات لزومها فى طبقاتنا المستنيرة لزوم لغتنا الخاصة نستعملها فى معيشتنا العائلية اليومية بالسهولة التى نستعملها فى حياتنا الأدبية يكون مصيرها إلى الزوال ، وإن دور التعليم المتنوعة الأشكال والتى أنشأتها فرنسا فى مصر والتى استوجبت منها بسببها عظيم الحمد وجزيل الشكر توصد أبوابها ، وإن الإرساليات التى نبعث بها إلى فرنسا ليرشف أبناؤها من منابعها الفياضة لبان المعارف والعلوم والفنون ينصرم حبلها

وصفوة القول أنه يعز علينا أن يرضى الفرنسويون بأن يوقف تيار النمو وهو بالغ منتهى سرعته فى الشركات الفرنسوية والبيوت التجارية والبنوك وغيرها بين ظهرانى أمة تحب فرنسا وتفضل كل ما هو فرنسى على جميع ما عداه

لا شك أن الشعب الفرنسى — وهو أشد الشعوب تمسكا بالكماليات وأحرصهم على صون مهمته التاريخية فى العالم — لا يمكن أن يغض الطرف بسهولة عن الامتيازات التى يضمنها له فى وادى النيل ماض مفعم بأحسن العلاقات ودا ، وأكثر المصالح انتشارا .. » (٢)

هذه هى الجناية على القومية المصرية باسم المطالبة برفع الحماية ، وإن المواطن اليقظان ليعجب كل العجب كيف أفلتت هذه الصفقة السياسية من الحراسة الشعبية ، وكيف جازت على المصريين حتى أسلمتهم « اليد الأمينة » إلى تجار الرقيق ، وسماسرة الاستعمار ، ولم يعد لهم من الحرية ما يمكنهم من نزع هذا النير الغليظ من أعناقهم الكليلة

وإن هذا الاستجداء هو الذى أطمع فرنسا فى استعمار مصر ثقافيا ، بعد أن عجزت عن احتلالها ، فلا أقل من أن تسير وفق الخطة الإنجليزية وهى استفراغ العقلية المصرية من مواهبها ومآثر تراثها ، فتوسلت إلى ذلك باللغة الفرنسية ، التى بلغ بها التواضع إلى أن قبلت السير فى الركاب الاستعمارى الأعزل ، وتظاهرت بالتساهل والتقرب إلى الناشئة فى الوقت الذى يشيع فيه الذعر والهلع من (البعبع) الأسامى ، وجعل

(١) محمود أبو الفتح : مع الوفد المصرى

(٢) مع الوفد المصرى : ١٩٧ — ١٩٨

للغة باريس ثلاثون درجة بحد أدنى قدره تسع درجات ، بينما جعل للغة التاميز خمسون بحد أدنى قدره عشرون

وبين يدى مجموعة وافية من امتحانات الثقافة العامة فى مدى عشر سنوات ، وإلى القارئ أسوق هذه الملاحظات عليها :

١ — خلو الامتحان فى بعض السنين خلوا تاما من دروس القواعد . مما أدى إلى الاستهانة بها أثناء الدراسة باعتبار أن التلميذ — كما هو الواقع — لا يدرس إلا من أجل الامتحان فقط

٢ — تحول الامتحان من اختبار فى المعلومات إلى اختبار فى الأرقام ، فقد جاء فى أحد الامتحانات سؤال : ما ارتفاع برج إيفل ؟ ومعنى ذلك أنه يجب حفظ رقم ثم التعبير عنه كتابة فهو امتحان لامتحان

٣ — الإيحاء بالبلادة الذهنية : وذلك بابتداع (الأرتوجراف) وخصم درجة عن كل ثلاثة أخطاء ، فى حين يخصص للانشاء ١٥ درجة ، ويحرص التلميذ عادة على حفظ نموذج له فينجح من غير تعب

٤ — تجاهل حدود المنهج أحيانا ووضع أسئلة خارجة مقررة على السنوات الأعلى ، وعدم مراعاة ذلك عند التصحيح

٥ — عدم تنويع الأسئلة ، والاكتفاء بجزء من المقرر ، للخط فى اجتيازه دور كبير ، وكان الأولى أن يستوعب الامتحان معظم الدروس المعطاة

وبالجملة فإن طريقة الامتحانات فى اللغة الفرنسية على هذا الوجه تعمل على احتقار عقلية الناشئ ، وإهمال قواعد التربية ، وتحويل الامتحان إلى (ورقة يانصيب)

ودعائم التربية ثلاث : المعلم والمتعلم والعلم . أما المعلم فهو الوسيط بين طرفين ، وليس فى الإمكان إهمال مهمته أو التغاضى من خطرها ، فلنتساءل : ما مؤهلات مدرسي هذه اللغة ؟

الواقع أن مدرس الفرنسية فى مصر لا يخلو أن يكون أحد ثلاثة : أجنبى — أو مصرى متخصص أو عضو بعثة — أو غير متخصص أو غير مؤهل . وهذا الصنف الأخير هو الغالبية الساحقة ، فإن الأجانب والمصريين الفنيين قلة لا تكفى ، فاستعين بالجامعيين من دارسى الفلسفة غالبا، والكثرة كلها ممن لا يحملون مؤهلات دراسية ، ولا سبق لهم التدريس ، مما اضطر وزارة المعارف — إزاء نقص عدد المدرسين وكثرة عدد الفصول — إلى تعيين كتبة فى المحاكم المختلطة ، وصيادلة ، وعمال شيكوريل وهانو وعمر أفندى ، وكثيرا ماحدث صدام بين طالب ومدرس لمجرد الشعور بالفارق فى الشخصية والطريقة

ولست أخشى هذه الخطورة على اللغة الفرنسية بقدر خشيتى على الكرامة الفكرية للتلميذ وهو وديعة لدى الدولة ، فلماذا نفرض تدريس لغة ليس عندنا من يحسن أداءها ولا من يكفى لأدائها ؟ ولماذا تصر على تدريسها وزارة المعارف وفى مدارس الأقاليم فصل بحصتين اثنتين فلاتجد مدرسا فيحال تدريسهما على أحد مدرسى اللغة الإنجليزية بالمدرسة أو ينتدب لهما مدرس من أقصى المدينة ؟

وقامت الوزارة باستفتاء أولياء أمور التلاميذ فى اختيار الإنجليزية أو الفرنسية فى بدء الثالثة الابتدائية . ولكن الوزارة لم تستجب للرغبات . وتعثرت بين سياستين متضاربتين بين الإلغاء والإبقاء ، فألغيت اللغة الفرنسية من الأولى الثانوية ثم من الثانية ثم أعيدت ثم ألغيت ثم تقررت على الثانية الثانوية والزراعية وخصص لها حصتان بعد أربع ، وزيدت فى الثالثة إلى خمس ، وألغيت نهائيا بعد الثانية زراعة

وقد أبيح فى سنة ما دخول امتحان الدور الثانى ثم عدل عنه واعتبر الراسب فى الفرنسية ناجحا ، ولم يعمل بذلك فى الامتحانات الرسمية عند النزول بالمنهج إلى المستوى الأدنى ، فكانت الضحايا بالمئات حيث أعيدت الدراسة بسبب الرسوب فى الفرنسية فقط فاضطر الطالب إلى اجترار كل المواد التى نجح فيها وإذا بالمنهج الفرنسى الجديد كان قد نجح فيه منذ عامين

وأدهى من ذلك أن بعض الفصول بمدارس البنات تشتمل على فريقين فى دراسة اللغة الفرنسية : أحدهما يدرسها أساسيا

والآخر إضافيـا . وقد يكون عدد طالبـات الأساسية تلميـذة واحدة تستنفد من وقت المدرسة سبع ساعات فى الأسبوع لهـا وحدها ، وقد ننتدب لهذه التلميذة معلمة فرنسية بماهية مضاعفة فى حين نشكو من قلة المدرسين والمدرسات للـكثرة المتزايدة من التلاميذ والتلميذات

ونحن إذن نبنى البيت (بالبـاع والذراع) ، وندعى أن البيت قائم فى حين أن البنـاء الذى سيقيمه لم يوجد بعـد ، ولم نحضر المواد اللازمة له يوم يوجد ، والسـكان الذين سيشغلون البيت ، لم نرسم لهم خط المستقبل حتى نضمن رغبتهم فى سكنى البيت أو التحول إلى غيره

وليس يخفى على أحـد هذا الفارق الشـاسع بين الدراسـة الثانوية والدراسة الجامعية عند الشعور بالضعف الشديد فى اللغة الفرنسية وهى من ألزم ما يلزم الطـالب فى الآداب والحقـوق والتجارة مع الاستغناء عنها تماما فى العلوم والطب والزراعة

وللغة الفرنسية — حقـا وصدقا — مكانتهـا الرفيعة فى الثقافة العامة ، دليـل ذلك أثرها الواضح فى نفوس المثقفين ، ولـكن هذا التشتت الذى نضحى الناشئ بسببه وهو حائر بين الإنجلـيزية والفرنـسية أدى إلى نتيجة لازمة حائمة وهى ضيـاع الوقت سدى فى دراستها معا ، وعدم جدوى هذه الدراسة عليه فى مستقبل ثقافته وتكوين شـخصيته . وما ذلك إلا لأنه ليس للتعليم سياسة واضحة الأهداف ، مرسومة الوسائل ، مصطلح على وضعها ، وهذا ما سبق لنا القول فيه فى مقال « سـياسة التعليم » (٣)

أما وقد مضينا بخطوات سريعة نحو الوعى القومى ، أرى الاقتصار على لغة أوروبية واحدة يترك حق اختيارها للمدرسـة وولى أمر التلميذ ، وسـيترتب على ذلك أولا إتقان هـذه اللغة والاستزادة من آدابها وفنونها وعلومها فى أقرب وقت ممكن ، وان يجدى ذلك إلا إذا سرحت الوزارة هذا الجيش العرمرم من غـير الفنيين ، وإلا إذا رجعت إلى أصـول التربية فى التدريس والامتحانات ، وعندئذ فقط يكتمل شعور المواطن النـاشئ بكرامته القومية والفكرية ، ويتحقق لديه أمل التزود من ثقافة الغرب . حتى إذا طلب المزيد ، فالوسائل الخـاصة لاتعوزه ولا تعجزه

محمد محمود زيتون

(٣) الرسالة : ٢٤ يونيو سنة ١٩٥٠

نصيب الســـودان
فى ثقافتنا المدرسية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

لا أود أن أعتب فى هذه الكلمة على الماضى ؛ فقد انقضى بخيره وشره ، ولكنى أنبه إلى حاضر يختلف فى طبيعته واتجاهاته ، وأشير إلى مستقبل قريب يتطلب منا العمل الحازم السريع . أما الحاضر الذى اختلف ، فمرد اختلافه إلى أننا قد نظرنا الآن إلى السودان نظرة جد وحزم ، أوضحت أمامنا المسالك ، بعد أن التوت علينا أزماناً . وأما المستقبل القريب ففيه الأمانة التى ارتهنت بها مصر لشباب الوادى جميعاً ، وهى تهدف من ورائها أن يرتبط الشعبان ، وأن يلتقيا معاً على الفهم الواضح الصحيح ، والمعرفة الوثيقة ؛ ليعيشا معاً فى ظل الإخاء والوئام . ولا أحسبنا واصلين إلى ما نبتغى ، إلا إذا سعينا إلى هذا المستقبل على علم صحيح بما فى الجنوب من معالم وأحداث ، وثقافة وعادات ؛ ولهذا فقد رأيت عند أوبتى من السودان فى ديسمبر الماضى ، أن أذكر وزارة المعارف بهذه الحقيقة؛ لتأخذ الأهبة، وتتحفز للعمل، فبعثت إليها بتقرير ، أوضحت فيه ما يجب أن تعمل حيال الاتجاه الجديد ؛ ولكنى عدت فخشيت أن تطوى الوزارة هذا التقرير فلا تفيد منه ، فيظل شباب الوادى فى حيرة لا تنتهى ، ونظل كذلك بعيدين عن واقع الحياة الحاضرة وبوادر الحياة المستقبلة ؛ فرأيت أن أنشر على صفحات الرسالة الغراء بعضاً من هذا التقرير ؛ لأنه — على ما أعتقد — ضرورة يجب الأخذ بها فى سرعة واهتمام :

أولا :

لا يزال الطلبة فى مدارسنا المصرية يجهلون الضرورى من أحوال السودان ؛ فهم لا يعرفون من تاريخه إلا القليل ، ولا يدركون عن طبيعته وتياراته السياسية وحياته الاجتماعية ، إلا صوراً ضئيلة باهتة لا تغنى ولا تفيد .

هذا هو منهج الجغرافيا ، لا يلقى على بلاد السودان ضوءاً واضحاً ، يبصر التلاميذ بما فيها ، وإنما هو إيجاز مخل ، لا يكاد الزمن يمضى عليه ، حتى يذهب من الأذهان ، لضآلة أثره وقلة غنائه . وهذا هو التاريخ ، وهو مصدرهم لتفهم الشعب وإدراك نزعاته ، لا يتناول من أحداث السودان إلا القليل مما يأتى عرضاً ، على حين يعنى المنهج بدراسة الحوادث فى بعض الممالك الأجنبية دراسة تفصيلية . وهذه هى النصوص الأدبية لا تلم فى أية مرحلة من مراحلها بأبيات لشاعر سودانى ، وفى هذا ما فيه من غمط لحقوق شعراء طالما رددوا صوتهم عالياً بحب مصر والمصريين .

لقد حان إذاً أن تحقق المعارف رغبة كريمة ، طالما جاشت فى صدور الكثير من المصريين والسودانيين ، فتولى الدراسات السودانية بالمدارس المصرية العناية اللائقة بها ؛ حتى يعرف الطالب المصرى عن جنوب الوادى ما يدركه عن شماله ، وعندئذ فقط نتآ كد الروابط ، وتشتد الصلات ، ونبلغ الغاية التى نصبو إليها من التئام الشعب ، وتوثيق العرى .

من الخير أن ننظر الآن فى مناهج الجغرافيا والتاريخ والتربية الوطنية نظرة جديدة ، قوامها العناية بما فى الجنوب من تراث وثقافة ونظم وشؤون . ومن الخير كذلك أن تنتظم النصوص الأدبية طرفاً من شعر التيجانى يوسف بشير ، والعباسى ، وأحمد صالح ، وعبد الله عبد الرحمن وغيرهم ؛ فقد جاهد الكثير منهم بإنتاجهم القيم فى سبيل الإنسانية والعروبة والوطنية ، وأصبح من حقهم علينا أن ننوه بأشعارهم اعترافاً منا بهذا الجميل .

ثانياً :

مما لا شك فيه أن الصحف مرآة تنعكس عليها صور الحياة الحاضرة ؛ فهى التى تحمل للقراء الآراء والاتجاهات ، وتوضح ما يجرى فى البلاد من أحداث . ومن المؤسف حقا أن القراء فى الشمال قد تجاهلوا الصحف التى تصدر فى الجنوب ، فخفى عليهم بعض أحواله الراهنة ، وكان من الطبيعى أن يجهل الشبان المتعلمون بعض أخبار الجنوب وأحداثه . أقول ذلك وأنا أعلم أن صحف السودان لم تكتمل بعد نهضتها ، ولا تزال تجاهد فى سبيل الرقى المنشود ، ولكنها على أى حال تلقى الكثير من الأضواء على

الحياة السودانية الحاضرة . ومن الواجب — إذا أردنا أن نبصر التلاميذ بما يجرى فى الجنوب — أن تشترك كل مدرسة ثانوية فى صحيفتين على الأقل من صحف السودان ؛ إحداهما معتدلة ، والأخرى من الجرائد الاتحادية ؛ ليطلع عليهما الطلبة ، أو تقوم الجماعة الأدبية فى المدرسة بتلخيص الأخبار المهمة فيهما ، وتسجيلها فى مجلة حائط ؛ لتكون قراءتها فى متناول الجميع .

ثالثاً :

لا يجهل السودانيون أن طائفة من علماء مصر وأدبائها ، قد عنوا بشؤون السودان؛ فألفوا فى بعض نواحيه كتباً قيمة ، ولا يجهلون كذلك أن بعض السودانيين قد طرقوا هذا الباب ؛ فأصدروا بعض الكتب فى السياسة ، واللغة السودانية العامية ، والتاريخ والأدب . ومن الواجب فى وقتنا الحاضر أن تتولى إحدى اللجان دراسة هذه الكتب جميعاً ؛ لتزود بالصالح منها مكتبات المدارس ، وستجد — ولا شك — من كتب إخواننا السودانيين طائفة تصلح للاطلاع الحر فى المدارس الثانوية ؛ ستجد كفاح جيل ، وديوان إشراقة، وديوان العباسى، والعربية فى السودان ، وتاريخ مكى شبيكة ، وشعراء السودان ، والطريق إلى البرلمان ، وغيرها من الكتب

رابعاً :

لست أريد الانتهاء من هذه الكلمة الموجزة قبل الإشارة إلى ناحية مهمة تتصل بالروابط الثقافية بين الشمال والجنوب ؛ فقد درجت المعارف فى العهد الأخير على إيفاد طائفة صالحة من العلماء والأدباء يلقون المحاضرات فى جنوب الوادى ، وهى سنة محمودة ، وخطة حكيمة تستحق التقدير ؛ فقد شهد الناس هناك ألواناً ممتازة من معالجة الموضوعات على اختلاف أنواعها فقابلوها بالشكران والتقدير ، وتأكدت بينهم وبين إخوانهم المحاضرين الصلات الثقافية والروحية

حدث هذا فعلا فى الخرطوم وأم درمان ، فأفاد منه أهل هاتين المدينتين ، ولكن سكان المدن الأخرى لم يسمعوا إلا تلخيصاً لعدد ضئيل من المحاضرات فى الإذاعة ، فكان لسماعهم لهذا التلخيص جانبان : جانب أسف ؛ لأنهم لم يجدوا من العناية ما وجده سكان المدينتين الكبيرتين ، ففاتهم الكثير من الفوائد . وجانب استبشار ؛ لأنهم أدركوا فى هذا التلخيص من الفوائد ما لم يدركوه من قبل ، وودوا جميعاً لو طوف هؤلاء المحاضرون فى المدن الكبيرة الأخرى كدنى وكسلا والأبيض وعطبرة ، يحملون إلى الناس هذه الثقافة العالية الممتازة . ودوا ذلك ويودون مستقبلا أن تتحقق رغبتهم ؛ لتعم الفائدة ويصيب منها القريب والبعيد

وبعد ؛ فهذا رأيى أدلى به ، موقناً أن الحاجة ماسة إليه فى وقت آمنا فيه وآمن الناس أن الشعب الذى يعيش على ضفاف النيل من منبعه إلى مصبه شعب واحد يجب أن يلتقى تحت تاجه، ويتحد فى سياسته وثقافته ، وأرجو أن تبذل المعارف جهدها لتسهم — كما أسهمت من قبل — فى تحقيق ما تبقى لها نحو غايتها الكريمة

أحمد أبو بكر إبراهيم

الحسن البصرى

رئيس المدرسة الفلسفية الأولى فى الإسلام

للأستاذ حسين على الداقوقى

لم تمض على تأسيس مدينة البصرة حقبة طويلة من الزمن حتى تسنى لها مناهضة مدينة الأبلة (١) القديمة والتغلب عليها من جميع النواحى المدنية حين نسى الكتاب ذكر ما فى تلك المدينة من أحوال الحضارة ومعالم العمران . كما حدث على نفس الشاكلة تغلب الكوفة على الحاضرة طيسفون والسيطرة عليها

غدت البصرة ثغر العراق المزدهر ، وميناءه المتطور الزاخر بصناعاتها وزراعتها ونشاط تجارتها . وبضروب فعالياتها الفكرية . فقد أنجبت المشاهير من رجال الفكر الإسلامى ، وقامت فيها المدارس العلمية والأدبية التى ضمت إليها هؤلاء المشاهير . نشأت فيها مدرسة النحو بوجهها الخليل بن أحمد ، وظهرت فيها ألوان من الأدب تمثلت فى كتابات ابن المقفع والجاحظ . وفى بيئة البصرة تثقف ابن الهيثم ، وبشر واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظام بمذهب الاعتزال . وألف إخوان الصفا جمعيتهم الفلسفية . وفى هذه البيئة أيضا وضع أسس الصوفية كبار أعلامها مثل رابعة العدوية والحسن البصرى وغيرهما ممن نبغوا فى مختلف مجالات الفكر . ليست لدينا — ويا للأسف — وثائق تاريخية وصفية جمعها أنصار الحسن البصرى وطلابه لنتبين منها تفاصيل سيرة الرجل ، سوى نتف من ملاحظات ، أو شتيت من المذكرات دونها عنه أعوانه أمثال قتادة وابن عون ويونس وأيوب ، ومنتثرات من المعلومات تلقاها فى كتب المحدثين مثل ابن سعد ، وفى مصنفات المؤرخين والمفسرين كابن قتيبة والطبرى ، وفى كتابات المتكلمين كأبى عمرو الجاحظ (٢) وفى كتب المترجين كأبى نعيم وغيرهما من المصنفات

نشأته

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى بالمدينة عام ٥٢١ (٣) وكان أبوه يسار فى الأصل من سكان مدينة ميسان (٤) قرب البصرة . وقد سبى خلال عام ١٢ هـ إبان حملة خالد على العراق (٥) فنقل مع من نقل من ميسان إلى المدينة حاضرة العالم الإسلامى فى ذلك الوقت ، وغدا هناك مولى لزيد بن ثابت الصحابى (٦) وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبى (ص) (٧) نشأ الحسن بوادى القرى (٨) وشب فى كنف على بن أبى طالب (٩) ، وعمر (١٠) (؟) وتتلمذ على أنس بن مالك ، ولقى سبعين من البدريين (١١) ، كما أخذ عن حذيفة بن اليمان (١٢) وعمران بن حصين الخزاعى (١٣) وعاصر عددا كبيرا من الصحابة فأرسل الحديث عن بعضهم وسمع من بعضهم (١٤) ، وكان قد أظهر ذكاء لامعا منذ صغره ، فقد حفظ القرآن وهو دون سن الأربع عشرة سنة ثم كبر ولازم الجهاد ولازم العلم والعمل (١٥)

---

(١) احتلها عتبة بن غزوان . وكان موقعها على رأس الخليج الفارسى. ولو صحت رواية البستانى صاحب دائرة المعارف بأن عتبة بن غزوان بنى البصرة على بعد أربعة فراسخ من مدينة الأبلة ، ولو أخذنا المسافة التى قطعها الخليج الفارسى بالانسحاب نحو الوراء من زمن بناء البصرة حتى الوقت الحاضر لاستطعنا الحكم على أن موقع الأبلة كان فى منطقة (المحورة) الحالية

راجع عنها مراصد الاطلاع لابن عبد الحق طبعة إيران ، والطبرى ٤ ج ص ١٥٠ ... ١٥١ ؛ وابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ص ١٧٤ وابن حوقل فى كتاب صورة الأرض ص ٢٣٧

h Ziya Ulfken islam Dusuncesi p 110

... ابن سعد ٧ ج ص ١١٤

(٤) اسم كورة واسعة كبيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، قصبتها ميسان (راجع معجم ياقوت وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشرى . المطبعة الحيدرية فى النجف ١٣٥٧ هـ) وراجع

Le strange the lands of the Eastern Caliphate p, 43

وهناك صعوبة كبيرة فى تثبيت موقع كل من (ميسان) (ومنار) لما فى المراجع التى بين أيدينا من الاضطراب ، ولكن يرجح أن موقع مدينة ميسان هو قرية (المزير) الحالية

(٥) انسكلوبديا الدين والأخلاق مادة الحسن البصرى

(٦) انسكلوبيديا الاسلامية ، مادة الحسن البصرى

(٧) ابن حجر العسقلانى : تهذيب التهذيب ٢ ج ، طبعة الهند ١٣٢٥ هـ

(٨) ابن سعد ص ١١٤

(٩) الزركلى : الأعلام مادة الحسن البصرى

(١٠) ابن الجوزى : صفة الصفوة ٣ ج ص ١٥٣

(١١) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٣ طبعة Flugel

(١٢) المكى : قوت القلوب ٢ ج ص ٨٨

(١٣) جواشون : فلسفة ابن سينا ص ٩ ترجمة رمضان لاوند (دار العلم للملايين)

(١٤) ابن الجوزى : المرجع السابق ص ١٥٩

(١٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ١ ج ص ٦٧ الطبعة الثانية

استقر الحسن فى الأبلة [١٦] ، فالبصرة حيث كان المركز الثقافى الإسلامى خلال العهد الأموى [١٧] . وفى عام ٣٥ هـ شد الرحال إلى المدينة ، وعندما عاد إلى البصرة فى غضون سنى ٣٧ — ٤١ هـ تعقب المناقشات التى احتدمت بين أصحاب الرسول واحتكم فيها . واشترك فى الجهاد لحارب فى جبهة كابل ، وبعدما رجع من الجهاد عارض خلافة يزيد ، واجتلب نحوه الأنظار [١٨] بما أوتى من حدة الذكاء وحسن البيان ، ومهابة وجمال فى خلقه وخلقه ، فوقم من أنفسهم أسنى مقام وأجل موقع

اشتغل الحسن موظفا عند الأمويين؛ فكتب للربيع بن زياد والى خرسان فى عهد معاوية [١٩] . وتقلد منصب القضاء فى البصرة مدة من الزمن إبان خلافة عمر الثانى ، ثم استقال منها [٢٠] ولم يأخذ على قضائه أجرا [٢١] . واعتكف فى أحد مساجد البصرة يقوم بالوعظ والإرشاد والتدريس والتوجيه ، ويشارك غيره فى كثير من الفعاليات الأخرى كما سوف نرى

حياته السياسية :

يبدو للانسان أن القدرية كانت أول مدرسة فلسفية فى الإسلام ، وأنها كانت قد اقترنت (أكثر مما انطبعت) بفلسفة سياسية فى ذلك العصر . بحيث أنهما بدأت تمدو عن كونها فلسفة مجردة ، مطلقة ، غاية لنفسها ، وأخذت تهدف إلى ارتياد العقل ، وتحرر الفكر وإعطائه قيمته الحقة ، وبالتالى مقاومة السلطة الحكومية آنذاك . فحمل ذلك الأمويين على التنكيل بأنصارها والفتك بمروجيها ، فذهب عدد غير يسير من نوابغ ذلك العصر ضحايا هذا الاضطهاد السياسى . أذكر منهم عمر المقصوص أستاذ الخليفةمعاوية الثانى حين وثب عليه بنو أمية وقالوا : أنت أفسدته وعلمته ، فطمروه ودفنوه حيا [٢٢] »

كذلك انصبت نقمة الاضطهاد على ثانية آخر من معاشرى الحسن البصرى وهو معبد الجهنى ، على أنه جاهر بالقدر فى مدينة البصرة ، فأذاقه الحجاج الوالى الأموى مر العذاب ثم قتله بطلب من عبد الملك بن مروان [٢٣] . وكان معبد من السابقين فى القول بالقدر ، يذكر عنه الذهبى بأنه كان قدريا وتابعيا صدوقا [٢٤] قتله الحجاج عندما اشترك فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث . وقد كان كذلك غيلان الدمشقى قدريا وخطيبا مصقعا فأمر هشام بن عبد الملك بقطع يديه ورجليه [٢٥] ومثل به وصلب على باب دمشق [٢٦]

وهناك نصوص تاريخية كثيرة تثبت قدرية الحسن.. فيقول المقريزى : إن معبد الجهنى وعطاء بن يسار سألا الحسن البصرى « إن هؤلاء — يريدان الأمويين — يسفكون الدماء ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قدر الله » فقال الحسن « كذب أعداء الله » فانهم الحسن بهذا ومثله [٢٧] لم يكن الحسن يحمل العقيدة مجردة عن العمل ، ولم يأل جهدا فى الدفاع عن مبدئه والإفصاح عن آرائه بشجاعة، وقد أمضى حياته يصارع مشاكل شتى دون أن يكترث لها مع أنه كان بمقدوره، أن ينال العز والجاه والرغد والرفاه . فالمتصفح لكتاب أبى نعيم (حلية الأولياء ج٢) يجد أنه قد ترفع عن هبات الأمويين ، وأبدى شجاعة منقطعة النظير فى رد المظالم ، تارة بتبيان وخامة العاقبة وطورا بالتنديد بالروادع الدينية ، ولم يستهدف من ذلك غير الإصلاح الاجتماعى العام ، فرفعه ذلك إلىموضع التقدير والإجلال لدى أغلبية الجماهير

ذكر الشهرستانى [٢٨] وكثير غيره بأن الحسن اتهم بالقول فى القدر، والحقيقة أنه كان كذلك ، بل إنه كان رئيس القدرية [٢٩] ، ورأس حرية الارادة ، والأكثر من ذلك أنه

---

(٦) ابن سعد : نفس المصدر

Nicholson A literary history of the Arabs p 222

h Ziya op Cit pp — —

(١٩) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ٢٦٣

h.Ziya Mid

(٢١) راجع ابن سعد فى الطبقات ٧ ج وحلية الأولياء لأبى نعيم

(٢٢) ابن المعيرى : نفس المصدر ص١٩١ وكتاب المعتزلة لزهدى حسن جاد الله القاهرة ١٩٤٧ ص ٣٤ ... ٣٥

(٢٣) المقريزى : الخطط ٤ج ص ١٨

(٢٤) الذهبى : ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ٣ ج ص ١٨٣

(٢٥) ابن نباتة : سرح العيون ص ١٥٧ ... ١٥٨

(٢٦) ابن قتيبة : المعارف ص ١٦٦

(٢٧) المقريزى : الخطط ٤ ج ص ١٨١ ... ١٨٢

(٢٨) الشهرستانى : الملل والنحل ص ٣٢ طبع ليدن

(٢٩) القمى : الكنى والالقاب ٢ ج ص ٧٥ مطبعة العرفان رصيدا ١٣٥٨ هـ

جهر بمخالفته استخلاف يزيد بن معاوية (٣٠) من دون أن يتخوف عاقبة الأمر، على حين أن الشعبي وابن سيرين لم يجرءوا على إبداء رأيهما بصراحة (٣١) . وكان من أهم أسس عقيدته السياسية اتباع الأصول الإسلامية الأولى، ومعارضته الخلافة الأموية الوراثية، والاعتقاد بمبدأ الانتخاب للخلافة (٣٢)، بيد أنه لأسباب لم نتحقق منها تماماً، رفض الاشتراك بثورة ابن الأشعث عام ٨١ — ٨٢ ﻫ، بالرغم من المظالم التي كان يقترفها الحجاج، وبالرغم من اشتراك زملائه بها كعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير، ولعل ذلك كان بسبب اعتقاده الجازم بعدم نجاح الثورة، أو أنه ما كان يسوغ الحرب وسفك الدماء بين الإسلام مهما كانت أسبابها الموجبة، وذلك للصلة الوثيقة بين تصوفه وآرائه السياسية، إذ لم تكن أية حركة من حركاته أو فعاليـة من فعالياته من قبيل الصدفة والعرض. ومع العلم أنه كان ضد سياسة الحجاج إلا أنه لم يقم بأية حركة ثورية أو عصيان مسلح ضده؛ لأن الإسلام عند الحسن واحد ووحدة، وأن هذه الوحدة لتستند إلى وحدة الحق والإيمان، وأن كل حركة ينجم عنها التصدع في هذه الوحدة، وإن كان مبعثها الحق فهي ليست بأسلوب صحيح يركن إليه ويتوسل به

والمعروف عن الحسن البصري أنه غدا بين ٨٦ — ٩٥ ﻫ موضع ريبة موظفي الحجاج الذين صاروا يتحرون دقائق أعماله ويترقبون تصرفاته؛ حتى اضطر إلى الاختفاء والتوارى من الأنظار. وفي عام ٩٩ ﻫ تقلد منصب القضاء في عهد عمر الثاني ثم استقال منه. وفي ١٠١ ﻫ انتقد بلهجة لاذعة في إحدى مواعظه الشهيرة حركة ابن المهلب التي قامت ضد الأمويين (٣٣) غير أنه لم يسلم في سلوكه هذا من التهجم عليه خلال حياته، فذكر عنه أنه كان يلقى الناس بأيهووم ويتصنع الرياسة. وروى عن تلميذه ابن أبي المرجاء أنه لما قيل له لم تركت صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة؟ قال إن صاحبي كان مخلطاً، كما يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه (٣٤) ويقول عنه تلميذه أيوب السختياني أن انفصال الحسن من القدرية كان خوفاً من السلطة الحاكمة، وأن عدم اشتراكه مع ابن الأشعث في الثورة كان خوفاً من أن تذهب عنه وظيفته الموجهة إليه. كذلك انتقده ابن سيرين لأنه يرد الكبيرة ولا يرى الخلود في النار أبداً (٣٥)

هذا ولم يكن الحسن في عقيدته السياسية مكافحاً من نوع صاحب الزعيم في الثورة على النظام الاجتماعي، ولا مثل جان دارك في الدفاع عن استقلال الوطن، إنما كان أقرب مثيل إلى البابا بيوس التاسع في بعض جوانب تصرفاته، وبأبي العلاء المعري في جوانب أخرى. وكان في عصره من هذه الناحية نسيج وحده.. ويرجع أن كفاحه كان محدداً بحدود صوفية معينة، وباعتبارات دينية واجتماعية أخرى تمسك بأهدابها، وجهد في السير على مقتضاها. وقد أوصى ابنه عبد الله أن يحرق كتبه ففعل ما أوصاه به والده (٣٦)، لذلك لم يرد لنا منه إلا النزر اليسير الذي ذكرناه فأشكل على الباحث تحقيق أمره؛ ولم يوف في التدقيق عنه حقه، فنستميح القارئ الكريم عما يبدو من المقال من سطحية وضآلة مادة، فعسى أن نكون به حافزين وداعين إلى دراسة طرف من أطراف التراث الإسلامي أو شخصية من شخصياته، لم تتكشف حقائقه مفصلة سافرة على ضوء المباحث القائمة على النهج التاريخي العلمي الحديث

البعث صلة **حسين علي الدافوقي**

---

(٣٠) دار المعارف الإسلامية مادة الحسن البصري وفجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين ص ٢٢٨

(٣١) أحمد أمين: نفس المصدر ونفس الصفحة

(٣٢) انسكلوبيديا البريطانية مادة الحسن البصري

h ZiYa Uliken op cit

(٣٤) القمي: الكنى والالقاب ٢ ج ص ٧٥

h, ZiYa Uliken op cit

(٣٦) ابن سعد في الطبقات

بين شاكر وقطب :

لا تسبوا أصحابي

للأستاذ محمد رجب البيومى

للأستاذ محمود محمد شاكر منزلة كبيرة لدى ، فأنا أعهده كاتبا قوى الأسلوب ، رصين العبارة ، وأعرفه أبيا مخلصا يتدفق غيرة على الإسلام ، وتعصبا لأفذاذه الأبطال ، لذلك أقبل على قراءة ما يدبجه يراعه المؤمن فى شوق واهتمام . وقد طالعت أخيرا ما كتبه بمجلة (المسلمون — العدد الثالث ص ٣٨ جمادى الأولى سنة ١٣٧١) تحت عنوان لا تسبوا أصحابى ، فوجدت المجال واسعا للخلاف بينى وبينه ، ولم أشأ أن أطوى ما دار بخلدى عن القراء ، فرأيت أن أناقش الكاتب الكبير فيما سطره راجيا أن يحق الله الحق بكلمته ، فالحق وحده هدف الكرام الكاتبين ، وفى طليعتهم الأستاذ الجليل

ولعل من الأوفق أن أبدأ بتلخيص الفكرة التى يدور حولها مقال الأستاذ شاكر ، فأعلن أن الكاتب الفاضل ينحى باللائمة على المجاهد الداعية الأستاذ سيد قطب — وإن لم يصرح باسمه — إذ تعرض فى كتابه « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » إلى أناس عدهم الأستاذ شاكر من أفاضل الصحابة ، وقد خصهم صاحب الكتاب بما لا يليق فى مذهب الأستاذ شاكر من النقد والتجريح ، وهو بذلك يخالف ما اجتمع عليه الرأى السائد من تقديس أصحاب الرسول « إذ لا سبيل لأحد من أهل الأرض ماضيهم وحاضرهم أن يلحق أقل أصحاب محمد ، مهما جهد فى عبادته ومهما تورع فى دينه ، ومهما أخلص قلبه من خواطر السوء فى سره وعلانيته ، كما قال الأستاذ الجليل

وقد بدأ الأستاذ شاكر مقاله بحديث الرسول « لا تسبوا أصحابى ، فو الذى نفسى بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » واندفع فى سياق منبرى يسرد الأدلة الخطابية ، ويستثير النوازع العاطفية ، ويستشهد بقول الرسول « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » كما ذكر حديثاً يدور حول هذا المعنى ، محاولا أن يؤيد بذلك كله دعواه الخطيرة إلى تقديس أناس بعدوا عن الحق فيما سجله عليهم التاريخ من أعمال . ومما نحمد الله عليه أن الحق — فى هذه الناحية — واضح أبلج لا يحتاج إلى برهان

وقبل أن نعرض ما ذكره الأستاذ قطب فى شأن معاوية وأصحابه ، نذكر أن الأستاذ شاكر قد أثار هذه العاصفة وحجته الوحيدة ، أن كل صحابى رأى الرسول وسمع عنه قد اكتسب مكانة تحرم على كل إنسان أن ينتقد أخطاءه أو يظهر أغلاطه ، « فإذا أخطأ أحدهم فليس يحل لهم ولا لأحد ممن بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى الطعن عليهم » ... كما ذكر الكاتب وحسما للنزاع من أقرب طرقه ، نبدأ بتحديد معنى الصحابى ، وهو — فى أبسط حدوده — يطلق على كل إنسان حصلت له رؤية الرسول أو مجالسته ، فجميع من سعدوا بمشاهدته صلى الله عليه وسلم فى حياته بعد الإسلام صحابة يشرفون بهذه الصفة المباركة ، حتى عبد الله بن أبى رأس النفاق بالمدينة ، فقد قال الرسول لمن هم بقتله : « معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ، فعبد الله من أصحاب محمد كما ينطق الحديث ، فليت شعرى أينطبق الحديث القائل لا تسبوا أصحابى على جميع من سعد بالصحبة ، أم يخص من باعوا أرواحهم وأموالهم لله من المؤمنين الصادقين ؟ لابد أن تكون الطائفة الأخيرة هى المقصودة دون أدنى تردد أو نزاع ، فكل من تمسك بأخلاق الإسلام من أصحاب الرسول وشهد تاريخه بمروءته وصدقه فهو موضع التجلة والتبجيل ، ولا يجوز لمسلم يدين بالإسلام أن ينتقصه فى شىء ، وكل من حامت الشبهات فوق تاريخه فهو موضع الملامة والنقد لأن الناس سواسية أمام الإسلام ، ولا فضل لعربى على أعجمى بغير تقواه ، والإسلام لا يقدس غير البررة المخلصين

ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا من الدين والجهاد بمنزلة واحدة ، ففيهم من أسلم فى فجر الدعوة منذ أعلنها الرسول وقطع السنوات المتتابعة فى الجهاد والجلاد ، وفيهم من أسلم قبيل الفتح أو بعده والسيف مصلت على رأسه ، وفيهم من بذل الكثير من الدم والمال وادخر القليل ، وفيهم من تقاعس ولم يبذل شيئاً من دمه وماله ، ومن الظلم البين أن نرتفع بهؤلاء

جميعاً إلى منزلة واحدة ، بل على التاريخ أن يهيىء لكل إنسان منزلته وفق ما أسلف من أعمال « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما » ٩٥ النساء

وإذا كان الأستاذ شاكر يرى أنه لا يجوز لأحد من الناس أو من الصحابة أن يجعل الخطأ ذريعة إلى الطعن فى المخطئين ، فماذا يفعل فى الصحابة إذ أحلوا لأنفسهم ما حرمه عليهم الآن ، نخطأ بعضهم بعضاً ، وطعن فريق منهم على فريق آخر يناوئه ، أفيكونون بذلك قد خالفوا الحديث النبوى كما فهمه الأستاذ شاكر.. أم عرفوا أن الصحبة وحدها لا تعصم من النقد والملام ؟

لقد اتضح بجلاء أن الحديث الذى عنون به الأستاذ مقاله لا يندرج على جميع من سعد بالصحبة ، بل يختص الطائفة الناضلة التى لم تترك أخلاق القرآن فى موقف ، أو تنبذ روح النبوة فى صنيم ، وجميع من سار على النهج القويم كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود موضع القدوة والاحتذاء من المسلمين ، وحرام على كل مؤمن أن يحوم على أحد منهم بطعن أو تجريح ، أما الذين تأخر بهم الركب عن اللحاق بالإسلام فى مشرق شمسه ، فيجب أن ننظر إلى صحف أعمالهم ومواقفهم فى الحياة ثم نحكم عليها فى ضوء القرآن والنبوة ، وهذا ما فعله الأستاذ سيد قطب ، فقد نظر إلى أعمال معاوية وطائفة من بنى أمية نظرة إسلامية صادقة ، فوجد خليفة المسلمين قد بعد عن روح الإسلام فى أكثر أعماله ، وساعده فى هذا السبيل فريق باع آخرته بدنياه ، فرأى أن يقول كلمة الحق فى أناس تجاوزوا حدود الله فى أعمالهم ، والأستاذ قطب لم يرد بكتابه أن يكون مؤرخاً راوياً ، فالرسالة التى يضطلع بها الآن أعظم من أن تنحصر فى حدود التاريخ ، ولكنه ينادى بالرجوع إلى أحكام القرآن ، وهدى النبوة ، وتعاليم الإسلام ، وقد عرف أن الخلافة الإسلامية قد فقدت معناها الدينى بعد مصرع على ، وجاء من الخلفاء من أحالها إلى ملك عضوض ، تبعد عنه روح الإسلام فى أكثر نواحيه ، وقد ظن كثير من الناس أن هؤلاء الخلفاء الرسميين من لدن معاوية يمثلون الخلافة الدينية التى تتقيد بالقرآن وتهتدى بالسماء ، ورأوا من جرائرهم الخلقية ، وترفهم الفيت ، ولهوهم الماجن ما يبغضهم فى الخلافة والإسلام ، فقام الأستاذ سيد قطب يدافع عن دينه ، ويبين أن الإسلام لا يعترف بخلافة بعد على ، وقد نطق بالحق المؤيد بالتاريخ حين أعلن أن معاوية أول خليفة تحلل من قيود الإسلام ، أفنقول له بعد ذلك لقد تهجمت على أصحاب الرسول وخالفت هدى النبوة ، أم يريد الأستاذ شاكر أن يفهم الناس أن معاوية وأشياعه يمثلون الإسلام بما ارتكبوه من رشوة وخداع ومالأة ؟ لو أن الأمر كذلك لبعد الناس عن الإسلام ، ولبرىء المسلمون من دين يبيح لخلفائه الخديعة والمكر والإرهاب وإقامة القصور واحتكار الأموال والضياع ؟

ولقد كان الأحرى بالأستاذ شاكر أن ينقد ما ذكره الأستاذ قطب عن معاوية نقداً تاريخيا فيبين أن الوقائع التى ذكرها فى كتابه الخالد غير صحيحة ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، إذ أن الأستاذ قطب قد نقل وقائعه عن كتب التاريخ ولم يخترعها من عنده اختراعاً ، وهى - رغم ثورة الأستاذ شاكر - معروفة لدى الكبير والصغير

فمن ذا الذى ينكر أن معاوية حين صير الخلافة ملكا عضوضاً فى بنى أمية لم يكن ذلك من وحى الإسلام، إنما كان من وحى الجاهلية

ومن الذى ينكر أن أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها ! وما كان الإســـــلام لها إلا رداء تلبسه وتخلعه حسب المصالح والملابسات ! ! وهذا باستثناء عمر بن عبد العزيز الذى أحاطه الأستاذ قطب فى كتابه بسياج من المحبة والإجلال ، وجعل عهده بقية من عهود الخلافة الراشدة ، وإشماعة مضيئة تنير الطريق ، وقد بسط الكلام عن هذا الخليفة العظيم فى أربع صفحات طوال ! !

ومن الذى ينكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه على المسلمين مدفوعا إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟

ومن الذى ينكر أن معاوية قد أقصى العنصر الأخلاق فى صراعه مع على وفى سيرته فى الحكم بعد ذلك إقصاء كاملا ، لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، وقد سار فى سياسة المال سيرة غير عادلة ، فجعله للرشوة واللهى وشراء الضمائر فى البيعة ليزيد

بجانب مطالب الدولة والفتوح بطبيعة الحال

هذه وأمثالها أمور مسلمة فى التاريخ لا يستطيع الأستاذ شاكر أن ينكرها بحال . ونحن نعجب كثيراً حين نجده فى مقاله يلبس مسوح الوعظ والإرشاد فيقول : يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا . أفهذه الآيات وأمثالها يستطيع الأستاذ شاكر أن يسكت لسان التاريخ

كنا ننتظر من الأستاذ أن ينقد هذه الحوادث التاريخية نقداً موضوعياً يحدد على ضوئه موقف معاوية من تعاليم الإسلام! ولكن الأستاذ لا يستطيع أن يأتى لمعاوية بتاريخ جديد فذهب يدافع عنه من باب آخر ، فنقل عدة روايات تدل على أنه حسن الصلاة !! وأنه أوتر بواحدة ! فقال ابن عباس إنه فقيه !! وأن الرسول قد قال : اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب !! وسارق هذا المضمار خطوات أتعبته كثيراً . والعجيب أنه يجمل ما ذكره الأستاذ قطب عن تاريخ معاوية روايات متلقفة من أطراف الكتب ! وهى ما تنطق به جميع كتب التاريخ ، أما ما ذكره الآن من فضائل معاوية فليس من قبيل الروايات المصنوعة ، وإن اصطيد من مجمع الزوائد وأمثاله من مراجع الأستاذ ، أفهذا منطق يقنع الباحثين !

وقد تعجبت كثيراً وأنا أقرأ قول الأستاذ شاكر عن قطب « إن كان يعلم أنه أحسن نظراً ومعرفة بقريش من أبى بكر حين ولى يزيد بن أبى سفيان وهو من بنى أمية ، وأنه أنفذ بصراً من عمر حين ولى معاوية فهو ما علم ! » كأن تولية عمر لمعاوية كافية لأن تمحو أخطاءه فلا يأخذه مؤرخ بملام ! ونحن نقر أن معاوية كان حسن السيرة على عهد عمر فولاه أعمال دمشق ، ولكنه قلب المجن للتعاليم الإسلامية بعد مصرع عثمان فلم تنفعه تزكية الفاروق فى شىء ، وعمر رضى الله عنه لا يعلم الغيب حتى تكون تزكيته لإنسان ما فى عهده ممتدة إلى جميع أعماله مدى الحياة !

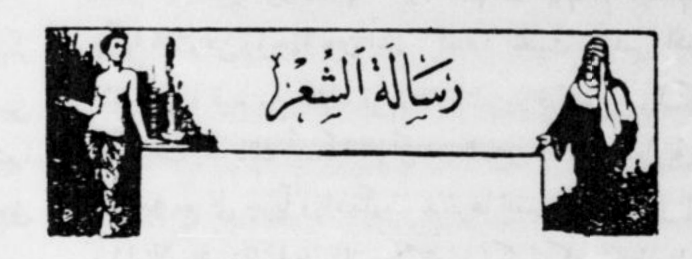
هذا هو معاوية ، أما أبو سفيان وهند زوجه وعمرو ابن العاص فلا أعلم أن الأستاذ قطب قد تجاوز الحق فيما كتب عنهم من تاريخ !! فجميع المسلمين يعرفون أن أبا سفيان حارب الإسلام حرباً لا هوادة فيها ، ولم يدخل فى حظيرته إلا بعد أن تقررت غلبة الإسلام ! وأن زوجه هند قد ولغت فى الدم حين أخذت كبد حمزة بين فكيها ، ولاكتها لتأكلها فلم تستطع ، وأنها قالت عن زوجها حين أسلم : اقتلوا الخبيث الدنس الذى لا خير فيه ، قبح من طليعة قوم، هلا قاتلتم ودافعتم عن أموالكم؟ ثم أسلمت بعد ذلك أيضاً !! وأن ابن العاص قد عاون معاوية فى خصامه مع على جرياً وراء مآرب يدخرها لنفسه دون نظر إلى صالح الإسلام والمسلمين !! هذا كله ما ذكرته كتب التاريخ ، أفيلام الأستاذ قطب إذا ذكره فى معرض الدفاع عن الإسلام وتبرئته من آثام المذنبين ، أم يريد الأستاذ شاكر أن يؤخذ الإسلام بجرم أبنائه ومدعيه ، حين يحتضن أناساً لم يتمسكوا بأهدابه وقواعده ، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا فى ذلك الشأن

ولقد تعمدت أن أكون واضحاً صريحاً حين تكلمت عن المراد « بالصحابى » فتحدثت عما يفهم من مادة الكلمة دون نظر إلى ما دار حولها من اختلاف لدى الأصوليين ، إذ هم يذكرون عدة تعاريف تتقارب وتتباعد دون أن تلتقى فى ناحية واحدة ، ولو تمسك كل إنسان بتعريف معين لتضارب القول ، واتسعت شقة الخلاف ! على أن الصحبة بمدلولها اللغوى تدل على الملازمة ، فصاحبك هو الذى يطيل المكث معك أكثر من سواه ، وصحابة الرسول بالمعنى الشرعى واللغوى معاً هم أكثر الناس ملازمة له ، وليس منهم معاوية وأبوه وأمه ونجله على أى حال ، ولن أطيل هنا القول فيما ذكره المحدثون فى قول الرسول خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم — وقد سبق فى صدر هذا المقال — إذ أن مفسرى الحديث قد أجمعوا على أن العبرة بالمجموع لا بالجميع ، فقد يوجد فى القرن المشرن من هم أفضل بكثير من بعض من عاصروا الرسول المظيم وإذن فليس للأستاذ شاكر أن يتمسك — بهذا وأمثاله — كدليل يستند إليه فى دعواه ، وهو من البداهة بمكان لا يحتمل الترديد والإسهاب

إن من القسوة المنيفة أن يقول قائل عن الأستاذ سيد قطب إنه قد بعد فى كتابه عن منهج الإسلام ، وهو الداعية البصير الذى تشرب روح الإسلام ، وفهم دقائق التشريع ، ورسم خطوطاً واضحة يترسمها الشباب المتوثب للنهوض والعزة فى ظلال الدين الحنيف ، وكان بجهاده الميمون رائد جيل ، ومنقذ نفوس ، وداعية إصلاح

أعلمت أشرف أو أجل من الذى يبنى وينشئ أنفساً وعقولا

محمد رجب البيومى



اللحن الثائر

للشاعر السودانى محيي الدين فارس

إلى أخى فى الشمال .. !

إلى أخى فى الجنوب .. !

إلى كل وطنى حر آمن بالنور .. وكفر بالظلام .. !

إلى موكب الحرية الحمراء أزجى هذا اللحن الثائر ..

يا شرق . يا محراب آمالى ، وأحلامى وفنى ..

فى ليلك الباكى نسجت ملاحمى وملأت دنى ..

وسكبت خمرى للظماء هناك فى الليل الدجنى

النازلين من الدموع غلائل القصر الأغن !

* * *

الكادحين هناك فى الليل المحجب بالغيوم

الشاربين مرارة الأيام فى السجن المقيم

الفأس فى يدهم نشيد هز أسماع النجوم

فرسوا النعيم .. وما جنوا منه سوى خمر الجحيم !

* * *

يا شرق يا مهد الحضارة والثقافة والفنون

يا حانة الأرواح تجرى كوثر الخلد الرزين

عبرتك شتى الفلسفات وأنت مثواها الأمين

تسمو على مر الدهور فتنسل تاجك لا يهون

* * *

إن فاخروا بشريمة الغابات فى جنح الليالى

وهناك فى السودان . فى الوادى المقدس فى القنال

سنعب من دمهم ونحملهم على نعش الزوال

ونطهر الوادى من الأصنام، من عبث الضلال

سنظل نشدو محاريب الهوى لحن الإخاء

سنظل نعلى بالكفاح الحر ألوية السماء

سنظل نعصف كالرياح الهوج فى ركب الفداء

حتى يئوب إلى دجى الأدغال فى ذل الإماء

* * *

يا أمس يا دنيا المواجع والشقاوة والألم

يا مسرح الزمن الخئون المنتشى بدم الرمم !

وليت ملعون الخطى وغفوت فى حضن العدم

وفدت تهيل عليك ليل الموت أجنحة السدم

* * *

الوعى يقظان وقافلة الحياة على الدروب

هتكت حجاب الليل بالنور المجنح فى القلوب

فبدا لها الهدف البعيد يرف كالشط القريب

فهفت إليه .. كالفراش .. إلى ينابيع الطيوب

* * *

قد آن للفجر المجنح أن يضوى للنسور

قد آن للفجر الموشح بالوضاءة والزهور

أن يملأ الوادى بألحان الخلود وبالحبور

بموا كب البشرى تهز مسامع الأبد الكبير

محيي الدين فارس

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عميد الأدباء في الهواء الطلق

قضى في الوزارة عامين قدم فيهما العلم إلى جيل بأكمله من الناشئين، ويسر مصاعب الحياة لجمع كبير من خيار المواطنين هم الأساتذة والمربون، ولقي هو في سبيل ذلك من المتاعب والعناء ما لا ثمن له عند مثله إلا انتعاش النفس لما ينال المجموع من خير

كان طه حسين قبل أن يلي الوزارة كاتبا يبدى الرأي ويدعو إلى العمل، ثم ولي الوزارة فأشفقنا عليه مما كتب، إذ خشينا أن يكون من العوامين على البر، وإذا هو في البحر يضرب أمواجه بذراعي جبار.. كان طه حسين الكاتب الناقد رقيبا على طه حسين الوزير العامل.. ويخيل إلى أن الوزير كان يخشى في نفسه الكاتب ويفرق منه أشد الفرق حين أوغل في القسوة على نفسه ومنع تقرير كتبه في المدارس وكان كثير منها مقررا من قبل

يكتب طه حسين ويحاضر فينفع الناس، ويتولى المناصب فينفع الناس، حتى حين يقصد إلى شيء من الترويح عن نفسه بالسفر إلى الخارج تراه وبراه العالم سفير مصر الأدبي ونديد الأساطين في إشماع الفكر فينفع الناس

قال لي مرة وقد أقبلت عليه لأتزود منه بحديث لقراء «الرسالة»: أتريد حديثا يطرف القراء أم تريد كلام جد؟ قلت له: أريد حديثا يطرف القراء! فابتسم، ثم تحدث إلى فلم يكن في حديثه غير الصدق وغير الإمتاع.. فحين قلت له ماقلت كنت أعلم أن كل ما يقوله طه حسين طريف لا يخرج عن الجد والصدق، وكل ما يجد فيه من القول لا يتجرد من الطرفة والإمتاع

إن من خصائص عميدنا الاندماج الكلى فيما يتعرض له، وقد اندمج هذين العامين في التيسير على المتعلمين والمعلمين، ولم يعبأ بقلة «الإكسوجين» في هواء الوزارة، ثم ترك الوزارة فأحس بهبوب الهواء الطلق على نفسه، وسندعه يشبع رئتيه من هذا الهواء، ندعه قليلا لنتوقع منه بعد ذلك الكثير...

الثقافة تنتقل إلى المتخلفين:

أنشئت الجامعة الشعبية كي تتيح الفرص لمن تخلفوا عن قطار التعليم في إحدى المحطات.. ومدت يدها إليهم تعينهم على السير واللحاق بالركب. ومضت بهم قليلا وهم فرحون بانتسابهم إلى الجامعة، ثم هب عليهم غبار من نوع مموقاتهم الأولى. إذ قيل: جامعة! وما الفرق إذن بين الجامعيين وبين الشعبيين؟ حتى الاسم استكثروه عليهم.. فليكن اسمها «مؤسسة الثقافة الشعبية» كما أطلق عليها منذ سنوات

لا يهم الاسم ما دامت القافلة تسير، وقطعت القافلة أشواطا وأخيرا تلفتت.. قطعت أشواطا بمن جاءوا إليها، ولكن هل هؤلاء كل من فاتهم القطار؟ تلفتت تنظر فإذا محطات التخلف لاتزال عامرة، فما كل من فيها يستطيع أن يقصد إلى المراكز الثقافية، وقد يستطيع ولكنه يتكاسل

فكرت المؤسسة في أمر هذه الآلاف المتخلفة القاعدة، فرأت أن تنتقل هي إليهم في قراهم بالأقاليم وفي أحيائهم بالمدن. فوضعت مشروعا لذلك يعتمد على وسيلتين:

الأولى مكتبات متنقلة تحملها سيارات تعد إعدادا خاصا بحيث تصبح — بفتح بابها حينا وقفت — مكتبة مفتوحة، فيستعير منها من يشاء لقاء «تأمين» زهيد لا يبلغ نصف ثمن الكتاب، وقد تغرى المستعير قلة ما يدفعه وبروق في عينيه الكتاب.. وليكن، وتحتمل المؤسسة الفرق بين الثمن والتأمين في سبيل تأدية الرسالة الثقافية..

وتستمد المكتبات الطوافة من مكتبات مركزية تقام في قواعد تختار لها، وتؤدي هي أيضا رسالتها كمكتبة عامة في مكانها، وتحمل المكتبات الطوافة إلى كل جهة ما يناسبها من الكتب، وتصحبها آلات للعرض السينمائي الثقافي لتكون وسيلة إلى اجتذاب الجمهور، إلى جانب الغرض الأساسي من موضوعها

أما الوسيلة الثانية فهي كتب دورية (شهرية أو أسبوعية أو غير ذلك على قدر الإمكان) تعهد المؤسسة في تأليفها الى مؤلفين من غير موظفيها تكلفهم بتأليفها في موضوعات حيوية على أن يقصد بهذه الموضوعات إما تنمية المعلومات الثقافية العامة ، أو الإرشاد والتوجيه في ناحية من نواحي الحياة العملية ، وتوزع هذه الكتب على من يطلبها بثمن إسمي يغري بطلبها

ذلك هو مشروع مؤسسة الثقافة الشعبية التي تريد أن تنقل به الثقافة إلى الناس في بيوتهم وفي مقار أعمالهم والذي يشتغل الآن بوضع خططه الأستاذ على عزت الأنصاري بك المدير العام للمؤسسة

الى رفعة على ماهر باشا

وأريد أن أسوق الحديث بعد ذلك عن الموضوع السابق إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء :

قرأنا ما أدليتم به إلى الصحف في الماضي من أنكم توجهون اهتماماً كبيراً إلى مسألة التربية الشعبية ، التي هي القاعدة الرئيسية للعمل المنتج والصالح لخير البلاد وأهله ، والتي تبعث في كل شخص روح الكبرياء القومي ... إلى أن قلتم إنكم أصدرتم إلى محطة الإذاعة اللاسلكية المصرية تعليمات مشددة بأن تساهم بنصيب كبير في تربية الذوق السليم وإعلاء الروح المعنوية القوية

ليس هذا جديداً علينا منكم يا رفعة الباشا ، فنحن نذكر جهودكم في إعلاء الثقافة في مختلف العهود التي توليتم فيها الوزارة ، نذكر من تلك الجهود ماقمتم به في سنة ١٩٣٧ — على ما أذكر — من تنظيم المسابقات للنشيد القومي ، وللكتابة في موضوعات أدبية فكرية كرسالة الجامعة والأزهر وغيرهما في القرن العشرين

فنحن إذن نعلم أنكم مؤمنون كل الإيمان بأثر الثقافة في التربية الشعبية ، ولعلكم ترون الموضوع الذي عرضته قبل هذا ، وخاصة ما تقترحه مؤسسة الثقافة الشعبية من إصدار كتب دورية يمكن اتخاذه وسيلة إلى التربية الشعبية التي توجهون إليها عنايتكم ، فلا تكون المسألة قاصرة على الإذاعة ، بل تتناول هذه المؤلفات التي تفكر المؤسسة في موضوعها ، فتولونها عنايتكم وإرشادكم لكي تقوم بنصيبها في تحقيق هذا الغرض

الإعداد للمؤتمر الثقافي الثالث

كان المؤتمر الثقافي العربي الثاني الذي انعقد بالإسكندرية في صيف سنة ٩٥٠ — قد قرر ان تؤلف لجنة برياسة معالي الدكتور طه حسين باشا ... بصفته الشخصية ... للاعداد للمؤتمر الثقافي العربي الثالث ، وكان معاليه قد تحدث في ختام ذلك المؤتمر إلى الوفود العربية محيياً لهم معتذراً من تقصير مصر في إكرامهم ، معرباً

كشكول الأسبوع

أوشكت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية على الفراغ من فحص الإنتاج الأدبي المقدم لمسابقة سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ وهو سبعة دواوين واثنتا عشرة قصة وبحثان وكتابان محققان ، وينتظر أن تعلن نتيجة هذه المسابقة قريبا .

◻ في الوزارة الماهرية القائمة أربعة وزراء أولاد مشايخ ، اثنان منهم ولدا شيخين سابقين للازهر وهما محمد عبد الخالق حسونة باشا وزير المعارف وأحمد مرتضى المراغي بك وزير الداخلية ، والآخران ولدا شيخين من كبار العلماء وهما سعد اللبان بك وزير الأوقاف وزكي بك عبد المتعال وزير المالية

◻ قال الأستاذ « ماسينيون » في مؤتمر المجمع اللغوي « إن أعمال المجمع تدرس في معهد تخريج مدرسي اللغة العربية في فرنسا » ، ومما يؤسف له أن هذه الأعمال لا تظفر بمثل هذا الاهتمام في أي معهد بمصر .. ولعل للمجمع يدا في هذا التقصير ، لأنه لم يقم إلى الآن بطبع هذه الأعمال ونشرها لتكون في متناول الجميع . وقد وصلت إلى فرنسا عن طريق الأستاذ ماسينيون الذي طلبها من المجمع فأمده بها

◻ أصدرت لجنة نشر المؤلفات التيمورية كتابا جديدا من آثار المغفور له أحمد تيمور باشا ، عنوانه « الآثار النبوية » ويتناول فيه المؤلف العلامة — بالدرس والتحقيق — آثارا اشتهرت نسبتها الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتداولها الناس دون أن يميز أكثرهم صحيحها من زائفها ، مثل القضيب والبردة والمنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف وغير ذلك

◻ وافقت لجنة الشؤون التشريعية بمجلس النواب على مشروع القانون الخاص بحماية حق المؤلف

عن رغبته في أن يكون اجتماع المؤتمر الثالث بمصر أيضاً كي تستطيع أن تقوم بما ينبغي عليها نحو أبناء الشقيقات

ومنذ أسابيع أخذ معالي الدكتور طه حسين باشا في العمل وإعداد ماينبغي لتنظيم المؤتمر الثالث ، ثم استقالت الوزارة السالفة وجاءت الوزارة الحالية التي ولى فيها وزارة المعارف معالي الأستاذ محمد عبد الخالق حسونة باشا ، فكتب إلى معالي الدكتور طه حسين باشا ليمضي في الإعداد للمؤتمر

واستأنف العميد العمل في هذا السبيل ، فدعا اللجنة التي ألفت للإعداد للمؤتمر إلى الاجتماع ، فاجتمعت يوم السبت بدار مجمع فؤاد الأول للغة العربية برياسة معاليه ، وحضرها مندوبو مصر وباقي الدول العربية ، وهم الأستاذ محمد سعيد العريان والدكتور سليمان حزين بك (عن مصر) والدكتور بديع شريف (عن العراق) والدكتور مدحت جمعة بك (عن المملكة الأردنية) والأستاذ مدحت فتفت (عن لبنان) والدكتور زكي المحاسني (عن سوريا) والسيد علي الآنسي (عن اليمن) ، ولم يحضر مندوب المملكة السعودية ، ومثل الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية الأستاذان سعيد فهيم وعلي عبده

ونظرت اللجنة في الزمان والمكان اللذين يجتمع فيهما المؤتمر ، وتناول البحث الوقت الصالح لمجيء الوفود إلى مصر من حيث ملاءمة الجو ، فتقرر أن ينعقد المؤتمر بدار الجمعية الجغرافية في القاهرة في الأسبوع الثالث من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو وقت ملائم من عدة وجوه ، منها أنه أوان العمل والنشاط في المعاهد والهيئات الثقافية وغيرها ، ويستطيع الضيوف أن يطلعوا على مختلف النواحي وتنظم لهم الرحلات إلى هنا وهناك فيطالعوا أوجه النشاط المختلفة في أحسن أحوالها

ونظرت اللجنة بعد ذلك في الموضوعات التي قرر المؤتمر الثاني أن تكون موضع دراسة المؤتمر الثالث ، وهي — بعد أن نظمتها وصفتها اللجنة الثقافية التي عقدت في الصيف الماضي بالإسكندرية : —

١ — طبع التعليم في مختلف البلاد العربية بالطابع القومي الذي يقوم على خصائص الثقافة العربية وخير ما في الثقافات الغربية . وقد تقرر تكوين لجنة من الأساتذة سعيد العريان وبديع شريف ومدحت فتفت والملحق الثقافي بمفوضية المملكة الأردنية — لبحث مناهج التعليم والكتب الدراسية المقررة في الدول الأعضاء لمواد اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية لبيان مدى ملاءمتها لتحقيق الغرض من هذا الموضوع وهو طبع التعليم بالطابع القومي .. الخ ، وبيان صلة ذلك بما قرر المؤتمر الثقافي العربي الأول من القدر المشترك الواجب تدريسه لكل تلميذ من تلاميذ البلاد العربية في هذه المواد . ولوحظ في أثناء بحث هذا الموضوع أن مصر في الوقت الحاضر بصدد وضع مناهج جديدة تطبيقا لقوانين التعليم الأخيرة ، وفي ضوء ما يسفر عنه تقرير اللجنة بعد استيفاء وسائل الاتصال بوزارات المعارف يكون بحث المؤتمر في هذه المسألة

٢ — تحقيق الوحدة اللغوية في المجتمع العربي حتى تصبح اللغة الفصحى لغة العلم والحياة معاً ، ورؤى أن هذا الموضوع يستحق أن يلقى فيه بعض الأعضاء بحثاً يتتبع فيه مدى رقي الفصحى في البلاد العربية وتطورها تبعاً لانتشار التعليم ، مع القصد إلى بحث موضوع تيسير تعليم العربية في ضوء المشروع الذي أعده مجمع فؤاد الأول للغة العربية من نحو عشر سنوات لتيسير تعليم قواعد العربية

٣ — نشر الثقافة بين الكبار . تألفت لجنة لهذا الموضوع من الأساتذة سعيد العريان وبديع شريف وزكي المحاسني ، واقترح معالي الرئيس أن ينضم إليها الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك باعتبار تخصصه وتجربته في هذا الموضوع

٤ — تعميم التعليم الأساسي كوسيلة من وسائل مكافحة الأمية ، وقد رؤى إرجاء النظر في هذا الموضوع إلى أن تتبين نتائج التجارب المختلفة التي تجريها فيه « اليونسكو » بمصر

٥ — بحث موضوع الكتاب المدرسي : يدخل بعض هذا الموضوع في نطاق البحث الذي تقوم به اللجنة المؤلفة للموضوع الأول

٦ — النظر في مدى تنفيذ ما اتخذ في المؤتمرين السابقين من قرارات ، وسيدلي كل وفد من وفود الدول الأعضاء بموقف وزارة المعارف في بلاده من هذه القرارات

وستوالي اللجان التي ألفت لبحث بعض موضوعات المؤتمر اجتماعاتها على أن تفرغ من عملها قبل أول مايو القادم ، ثم تجتمع اللجنة الإعدادية للنظر في أعمال اللجان الفرعية

عباس خضر



السنوسية دين ودولة

تأليف : الدكتور محمد فؤاد شكري

للاستاذ محمد محمود زيتون

«درج الكتاب من الإفرنج على اعتبار السنوسية إحدى الطرائق الصوفية فحسب ، وانبرى الطليان من سنوات مضت يعملون لتعزيز هذا الاعتقاد بكل الوسائل ، يحدوهم إلى ذلك الأمل في صرف أذهان سواد الناس عن التفكير في أصول السنوسية الحقة والتسليم بأنه ما دامت السنوسية طريقة من الطرق الصوفية فهي بعيدة كل البعد عن العناية بغير شؤون الدين ، بل ولا يحق لها أن تعمل لمطالب الحياة والدنيا ، ووجه الخطر في هذا الاعتقاد — إذا رسخ في الأذهان — ظاهر واضح ، ذلك بأنه يحرم السنوسية — كنتيجة منطقية في النهاية — من التطلع إلى الحكم وتشييد صرح الدولة الإسلامية العتيدة ، تلك الدولة التي جاهد الليبيون سنوات طويلة من أجل إرساء قواعدها في ليبيا ، ومع ذلك فقد فات الطليان ومن حذا حذوهم أن الاسلام لا يعرف تفرقة بين شؤون الدين والدنيا ، ولا يفصل بين العقيدة والدولة . وما كانت السنوسية في أدوار تاريخها الحافل (طريقة) تقصر اهتمامها على شؤون العبادة من غير نظر في أحوال الشعوب التي أخذ (الإخوان) السنوسيون على عاتقهم إرشادها حتى تتحرر من قيود الجهالة وتنعم بهدى المعرفة»

بهذه الفقرة يفتتح المؤلف تصديره لكتابه الذي نقدمه للقراء في هذه الفترة التي تلفت الأنظـــار إلى المملكة الليبية الناهضة كثمرة للدعوة السنوسية في هذا القطر الشقيق

وتقديم هذا الكتاب إنما هو تعريف بتاريخ النضال الذي اضطلع به هذا الشعب المسلم المجاهد الذي طرح عن كاهله نير العبودية في قوة وجلد ، فما أوهنت عزائمه تقلبات الثمانيين ، ولا فتت من أعضاده فضائح الطليان ودسائس الألمان ومخازي الفرنسيين والإنجليز

وثمة ميزة أخرى لتقديم هذا السفر للقارئين في هذا الوقت: ألا وهي التنويه بحلقة من سلسلة الجهاد في سبيل « الجامعة الإسلامية » التي شغلت ولا تزال تشغل قادة الفكر الاسلامي في العصر الحديث ، وانطوت صحائف ، وما يزال هؤلاء القادة في مكان الصدارة من التاريخ المجيد ، فضلا عن اعتزاز بلادهم بمآثرهم الاسلامية التي لا تنسى

أما ليبيا التي تعتز اليوم بنهضتها فإنها خضبت تراب بلادها بدماء الشهداء لا من أهلها فحسب ؛ بل من المتطوعين من شتى الأقطار الاسلامية ، كما أن كثيراً من المصريين بصفة خاصة كان لهم سهم وافر في هذا الجهاد الصادق ، وما يزال الليبيون على ذكر من الأعمال التي قام بها عبد الرحمن عزام ، وصالح حرب ، وعزيز المصري ، وعبد المنصف محمود ، والمرحوم محمود لبيب ، الذين خاضوا غمار المعارك الدموية ، مؤمنين باليقظة الإسلامية ، والوحدة العربية ، والحرية والاستقلال ، تحت ظلال السيوف ، كما أن الأمير عمر طوسون — عليه رحمة الله — كان جم النشاط في جمع المال اللازم لحركة الجيران المناضلين عن دينهم وشرف الوطن

والدعوة السنوسية امتداد مستقيم للدعوة المحمـــدية التي جوهرها تنوير الأذهان وتحرير الأوطان، وقد اقتضت الظروف التي حاقت بالدول الإســلامية في القرن الماضي يقظة فكرية شاملة ، ترسم أصحابها خطى النبي المصلح ، فلما صدق العزم ، تبين الرشد من الغي ، وانضحت السبل والأســـاليب ، ذلك بأن الاسلام مصحف ومنبر ، سيف وكتاب ، عبادة وقيادة ، عقيدة وشريعة ، رهبانية وإرهاب ، وبالجملة دين ودولة ، لهذا كانت السنوسية طريقة ودعوة وغزوة ، وما زالت تمضي في سبيلها المرسوم من نظام اجتماعي إلى جمهورية فإمارة ثم ملكية

ولد زعيم السنوســـية الأول السيد محمد بن علي السنوسي بالجزائر في سنة ١٧٨٧ ونشأ في بيئة علم وفضل ، وتنقل في الأقطار الاسلامية مقتبسا من مناهل العلماء مناقشا وفاحصا ، وقد صقل التصوف من عنفوان شبابه ولكنه لم يحد من نزعته

الصادقة إلى « إحياء الملة الإسلامية وتوحيد الصفوف فى العالم الإسلامي للنهوض بالدين الحنيف نهضة صحيحة قوية » وأخذ يتزود من العلم ويمنحه للطالبين فى يسر ومضاء حتى ذاع صيته وأوجست منه خيفة شتى العناصر الجامدة فى فاس والقاهرة وصار « خطراً على الأمن العام » وألصقت به التهمة المأثورة « محاولة قلب نظام الحكم » فأصابه أذى كبير من الولاة والمشايخ ، وبانتقال الداعية الإسلامى الكبير إلى برقة بدأ « الإخوان » ينشئون الزوايا كنقط ارتكاز للدعوة السنوسية، وكانت « البيضاء » أم الزوايا بمثابة المركز العام لهذا النشاط الذى دوخ الاستعمار

على أن السنوسية لم تكن دعوة لتطهير الدين من البدع والخرافات فحسب ، بل تعدت هذا النطاق إلى تحرير الرقيق من أهل (واداى) فكان سلطانها محمد شريف يشترى هؤلاء الأرقاء ويعلمهم فى الزوايا ثم يعتقهم ويبعث بهم إلى أهليهم لينشروا الإسلام فى الزنوج والوثنيين .

وليبيا الواقعة حينذاك فى نطاق الخلافة العثمانية لم تنس حقيقة هذا الدين المتين فتمسكت بأهدابه ، وعندئذ رأى العثمانيون فى السنوسية عاملا من عوامل الدعاية لهم ، فاستعانوا بالسنوسى الكبير على بث روح الألفة بين الناس ، ونشر السلام بين ربوع البلاد ، وسار ولاتهم فى ركابه كما انتقل فى البلاد إلا أنهم مالبثوا أن قلبوا له ظهر المجن عندما بدأت السلطات العثمانية « تخشى من سلطان السيد فى الجهات التى أنشئت فيها الزوايا وكثر بها الاخوان والأتباع والمريدون » وعملوا على زعزعة مكانته فى نظر المسلمين حتى ناهضته العناصر الرجعية بالأزهر ، فلم يثنها ذلك عن المضى قدما

ولما توفى السنوسى الكبير سنة ١٨٥٩ انتقلت الإمارة إلى ولده المهدى الذى أخذ على عاتقه إتمام ما بدأه أبوه فزاد عدد الزوايا وتوغل فى الصحراء الكبرى ، وأوجد بها مراكز لتعليم الرماية ، فاتهمته فرنسا وتركيا وإيطاليا بتعطيل مصالح الاستعمار والتعصب ضد المسيحية واغتيال المكتشفين للصحارى . وتوفى المهدى فى أول يونيو سنة ١٩٠٢ وخلفه الشاب السيد أحمد الشريف حفيد السنوسى الكبير فواصل الجهاد ضد الفرنسيين وصمد لهم على الرغم من تخلى العثمانيين عنه حتى أسلم القيادة إلى ابن أخيه الراشد إدريس

وفى سبتمبر سنة ١٩١١ قطعت إيطاليا علاقتها بتركيا ، فأغار الطليان على برقة وطرابلس . فبدأت السنوسية صفحة مريضة من نضالها الشعبى الذى دام ثلاثين عاماً ، وتحققت الجامعة الاسلامية بصفة عملية فى تدفق المؤن والذخائر والمال والرجال على ليبيا من مصر والسودان والعراق والشام وتركيا ، وقام صالح حرب بدور جرىء إذ انقلب على الانجليز ودافع عن مقدسات الشعب الليبي ، كما أبلى البطل الشهيد عمر المختار أحسن البلاء حتى وقع أسيرا فى أيدى الطليان الذين حاكموه صوريا وأعدموه رمياً بالرصاص

وما إن اندلعت شرارة الحرب العالمية الثانية حتى تقدم الجيش (الأنجلونومى) لطرد الألمان والطليان من ليبيا وتأمين الجناح الأيسر لمصر ، وقد سجل الأمير إدريس السنوسى فى هذه الخطوة لنفسه ولبلاده شرف الجاهد والسياسى العامل على تحقيق استقلال بلاده

وإذ وضعت الحرب أوزارها دأب السنوسى على ضم الصفوف فبويع بالإمارة على الأقطار الليبية: برقة وطرابلس وفزان ، حتى تودى به ملكا على مملكة مستقلة لم يكف عزام عن سرد قضيتها على الرأى العام والسعى فى انضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة وبالتالى إلى جاراتها أعضاء جامعة الدول العربية

هذه هى قصة السنوسية كما عرضها الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتابه القيم « السنوسية دين ودولة » الذى بذل فيه جهوداً جبارة فى سبيل التحقيق العلمى ، فجاء عمله مثلا طيبا للمنهج التاريخى الذى وضع دعائمه الأولى ابن خلدون . فقد تجنب السرد المضل . وعمد إلى التحليل والاستقراء ، وليس أدل على ذلك من فصل « الإمارة السنوسية » الذى خصصه لتفصيل دعائم هذه الدعوة وهى أصول دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية

ومما يجدر بنا الإشارة إليه — كآخر أصل سياسى للامارة السنوسية — « تلك الوصية التى تركها السيد رحمه الله بإسناد رئاسة الطريقة السنوسية إلى الأكبر الأرشد من الأسرة

السنوسية . ثم نظام البيعة » وما نعلم مطلقاً أن البيعة فى الاسلام كتلك المراسيم التى ننكرها على الطفوسيين ، فهل من الاسلام أن البيعة تستتبع تقاليد المبايع سيفاً ومنحه كتاباً وإلباسه جرداً ، وإعطاءه مسبحة ، وإقامة صلاة ومصافحة » فكانت هذه الصلاة وهذه المصافحة بمثابة المبايعة له بالإمارة من بعده ؟ وأجمع الإخوان و كبار السنوسية وشيوخها على قبول هذه الإمارة فى حياة والده ثم بعد وفاته ، وعلى ذلك فكأنما جمعت السنوسية فى نظام الحكم بين مبدإ الوراثة والعصبية والعمل بمبدإ الشورى وحققت فى هذا النظام بعض شروط الإمارة » . وينزع المؤلف إلى منطق التبرير الذى نراه يباعد بينه وبين منطقه المنهجي إذ يقول « ومن المعروف أن الشورى كانت ركناً من أركانها ، والواقع أنه لم يكن هناك مناص من هذه (البيعة) الاسلامية باعتبارها أصلا من الأصول التى قام عليها (بيت) شريف ينتهى فى نسبه القرشي إلى الرسول الكريم » ... كذا ..

هذا ولا ننكر على المؤلف هذه الطاقة العلمية التى جملته — فى سبيل التحقيق والتحليل — يعتمد على أوثق المصادر ، ولا سيما الإيطالية بعد أن ترجمها له أصدقاؤه من الليبيين أنفسهم فذللوا أمامه كل عسير ، ثم هو يعتمد على رواية المعاصرين ممن أسهموا فى النهضة الليبية بأوفر سهم ، وصدق الشاعر « فما راء كمن سمعا » . والكتاب من منشورات دار الفكر العربى ، تلك الدار التى لا تفتأ تزود المكتبة العربية بالمؤلفات القيمة ، وترمى دواماً إلى هدف رفيع ، وغاية نبيلة، خدمة للقضايا العربية والإسلامية متخير لذلك العقول الكبيرة والأقلام الرفيعة ، فصدر الكتاب فى ٤٢٤ صفحة من القطع الكبير والطبع الأنيق وثمنه خمسون قرشا

وإنه ليحق لكل دارس قوى أن يفخر باقتناء هذا السفر ، وإلى مثل هذا الجهاد التأليفى ندعو الباحثين فى قومياتنا ونهضاتنا آملين الظفر — فى آخر الأمر — بمؤلفات عريقة ، ودراسات دقيقة كهذا الكتاب

محمد محمود زيتون

توجيهات نبوية

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

للسيدة وداد سكاكيني

كانت هذه التوجيهات آخر مانشر الأستاذ الجليل عبد المتعال الصعيدى من علماء الأزهر المجددين وقد ضمنها أربعين حديثاً محمدياً صحيحة السند موثوقة المتن والنقل ، اختارها المؤلف ملائمة لروح العصر وتوجيه أهله فى الدين والعلم والاجتماع. ولعلنا أحوج ما نكون فى هذه الأيام إلى هذا التوجيه المحمدى الذى دعا إليه الرسول أو قام به ليكون قدوة تحتذى وسنة تتبع ، ففى كل عصر من العصور غمرة فساد وموجة طغيان ينهض لصد شرها ودرء عواقبها أهل الصلاح والإصلاح ممن آتاهم الله علما وفضلا

وهل كان شئ أجدى على الإنسانية الحيرى وأهدى فى ردها إلى سواء السبيل من أحاديث الرسول وتوجيهاته التى كان يبصر بها الناس ويقيهم الانحراف والعثار ، وقد جعلها لهم دستورا رافدا لتعاليم القرآن ومنيرا للامم فى حياتها الاجتماعية

ولقد قسم المؤلف هذه الأحاديث الأربعين إلى فصول صغار شرح فيها الكلمات شرحاً لغويا وإعرابيا ، ثم بسط الغاية منها بسطا وافيا ، فكأنه يلقيها من على منبره فى كلية الأزهر التى أسندت إليه تدريس الحديث فى جملة عمله الجامعى

والأستاذ الصعيدى ذو دأب وتجديد فى التأليف بالأدب والدين، لا لطلابه فحسب، بل لجمهور المثقفين بمصر وبلاد العرب، فهو إذا عرض دراساته الأدبية لم نجد كفايته وإتقانه مقصورين على هذه الدراسة ، إذ نراهما يتناولان جذور البحوث الدينية فتجئ مشبعة بالتحليل والاستقراء

ففى كتابه توجيهات نبوية أو محمدية يبلغ المدى فى فهم الحديث على الوجه الذى فهمه الصحابة فيه ، ويقرر خلال الدرس والبحث نواحى المقارنة والمطابقة دون استطراد ينحرف بالقارئ أو تفصيل يضيق به كما اتفق لكثير من الشروح الدينية فى زماننا.



بريد الرسالة الأدبي :

تنظر طائفة من الناس إلى (البريد الأدبي) للرسالة على أنه هامش لا يجدر بهذا الاحتفال الذي يتمثل في التعقيبات المختلفة ما بين نحوية وصرفية ولغوية إلى تصحيح رأى ، ونقد فكرة ، والواقع الذي لا مرية فيه أنه باب حافل خليق بكل عناية ، فأقل ما يقال عنه أنه حرب على الأخطاء الشائعة التي يخشى منها ومن مثيلاتها على اللغة العربية الفصحى التي نسعى جاهدين في صيانتها والحفاظ عليها ، ولا أعتقد أن واحدا من المعقبين يقصد إلى التشهير بالمخطئ ، أو الزراية باللاحن ، ولا تعنيه (زبدة البحث وعصارة المقال) بمقدار ما يستهويه تسقط اللحن ، وتعقب الأخطاء

الرسالة مدرسة خالدة رصدت نفسهـــا منذ نشأتها إلى الذود عن لغتنا الحبيبة ، والدفاع عنها في شتى النواحي والأبحاث. واللغة العربية في محيطها مجموعة من الألفاظ السليمة القويمة ، ونحن نريد أن نقيم الحواجز بينها وبين الدخيل الذي يحسب منها وهو شوكة في جنبها ، لا يفتأ يخزها في مقال الكاتب ، وخطبة الخطيب ، وعلى لسان المتحدث . وإن تعجب فعجب أن نرى الأستاذ المنيفي في العدد (٩٧١) من الرسالة يخذل عن هذه المهمة ، لأن تصويب الأخطاء الشائعة الشائهة (كما يقول) « عسير الهضم على أفكار الأدباء والكتاب ؛ لأن الكلمة قد أخذت مدلولها بين المتكلمين ، بيد أن تصحيحها لا يضفي عليها معنى جديدا ، أو زيادة مستحدثة » . وأعتقد أن عسر الهضم ، ومشقة الإساغة وضيق الصدر ، كل أولئك يهون في سبيل الحرص على سلامة اللغة وصونها من العبث . كان أولى أن يحمد للباحثين في المعاجم صنعهم ؛ فهم يقدمون له ولغيره البيان الشافي فيما يرتاب فيه ، وليس ضئيلا أن يضيف إلى معلوماته في كل عدد طائفة أخرى من الألفاظ المنخولة المنقاة . . إننا نخشى أن تفتح الثغرة للدعي من الكلمات ، فلا يحجزه إلا أن يبارك الله (البريد الأدبي) وينسأ في أجل « الرسالة » الحبيبة ، ويزايل الغضب من النقد البرئ صدور الناس ، فلا يضيق كاتب بتوجيه ، ولا ينكل قارئ عن بيان ، ولا يستنكف أستاذ عن تعلم ، وتلك هي أهداف الرسالة التي تجمع على الحق قلوب الأدباء ، وتشيد على المحبة صرح المجتمع ، وتدفع في صراحة وقوة عن مجد العروبة

محمد محمد الأبشيهي

وأطرف ما وجدت في هذه الأحاديث تحليـل المؤلف لحديث النهي عن سب الدهر ، ولعل الدهر لم يتحمل سبابا مثلما تحمل في زماننا ، فالأفراد يلومونه ويرمونه بالجور والعدوان ، والجماعات تعزو إليه أسباب الفشل في الحياة ، ولو جمعنا شعر العرب من امرئ القيس إلى شوقي لأتينا على شعر لا يحصى في سب الدهر وملامته ، ناهيك ما عند المعري من ذلك

والنادرة الجميـلة في هذا الحديث — إن صح أن يكون في الأحاديث نوادر — ما أورده المؤلف حفظه الله من تعليـل لهذا الحديث وهو حث الإنسان على الرضى بما يصيبه في الدهر وعلى عدم الشكوى فيه من الدهر

وقد علل وجود الشكوى باعثا على اليـأس ، نعم إننا قد نيأس لأن اليأس مخلوق في غرائزنا وشعورنا ، فالطفل الرضيع يمارس اليأس دون فكر ، والكبير يمارسه بفكر أو بفلسفة ؛ ولا مناص منه للانسان ليجد الرجاء ويفتح باب الأمل بمحاربة القنوط ، غير أن العلة في النهي عن سب الدهر كالعلة في النهي عن اليأس . ولليـــأس درجات أنكرها وأقصاها ما نهى عنه القرآن

كذلك نجد في هذه التوجيهات المحمدية ضروبا من الأحاديث الملائمة لعصرنا وأهله ، فيها أدب وثقافة ، وفيها هداية ووقاية ؛ وقد وفق المؤلف باختيارها وشرحها إذ وضعها في قنديله ، فشعت بنورها الجميل

وداد سكاكيني

اعتذار وشكر :

نشر بالعدد الماضي تحيتان للرسالة بمناسبة عامها الجديد حداهما من الحجاز والأخرى من العراق وقد اشتملتا على قدر عظيم من جميل الرأي وحسن الظن في الرسالة وصاحبها . وقد تعودنا في الماضي الطويل ألا ننشر شيئاً مما يشبه ذلك . ولو أننا سفناه لكان من موجبات الذوق أن ننشر عشرات الرسائل التي تفضل بها علينا كرام القراء في هذا الموضوع . لذلك نعتذر من نشر مانشر ومن طي مالم ينشر ، شاكرين للسادة الكتاب والشعراء حسن تقديرهم وفضل تشجيعهم

لمن هذا الشعر

جاء في « نديم الخلفاء » من سلسلة اقرأ الصادر في فبراير سنة ١٩٥٢ للأستاذ عبد الستار أحمد فراج قوله : شرب الحسين ابن الضحاك يوما عند إبراهيم بن المهدي فجرت بينهما ملاحاة في أمر الدين والمذهب فدعا له إبراهيم بنطع وسيف وقد أخذ منه الشراب فانصرف وهو غضبان فكتب إليه إبراهيم يعتذر ويسأله أن يجيئه فكتب إليه الحسن : —

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشر ب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الخمر مع التنين في الصيف

وأقول : قد قرأت كثيرا في كتب التصوف وفيها هذه الأبيات بنصها منسوبة إلى الحسين بن منصور الحلاج الصوفي الشهير ، وفي ترجمته في الطبقات الكبرى للامام الشعراني : —

قال أبو العباس الرازي كان أخي خادما للحسين بن منصور قال فسمعته يقول لما كان الليلة التي وعد من الغد بقتله قلت ياسيدي أوصني قال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك.. فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال: حسب الواحد إفراد الواحد له ثم خرج يتبختر في قيده يقول :

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف

ثم قال : « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق » ثم ما نطق بعد ذلك بشيء حتى فعل به ما فعل !

تباين عجيب وفرق شاسع بين صاحب خمرية في وصف الخمر وهذا العالم الرباني الفريد

وإلى أن يبين لنا الأستاذ عبد الستار فراج مرجع روايته نرجئ الكلام في هذا الموضوع

محمد منصور خضر

استفهام

في العدد الممتاز من الرسالة (٩٦٦) لسنتها العشرين ، وفي مقال الأستاذ عبد القادر المغربي « من مشاهد الهجرة ما فيه روعة وعبرة » وفي الصفحة التاسعة ، وفي السطر الخامس والعشرين من العمود الأول . يذكر لنا فضيلة الأستاذ الجليل أن سن الرسول كان عند دخوله المدينة المنورة نحو الخمسين . إذ يقول « فإذا لحيته الشريفة سوداء ليس فيها شيب . مع أنه أكبر من أبي بكر بثلاث سنوات وكان النبي في نحو الخمسين من عمره »

وأنا أعلم أن الكثرة الساحقة من الروايات تنص على أن الوحي تنزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، وسنه أربعون ، وأنه أسر بالدعوة ثلاثا ، وجهر بها في مكة عشرا ثم هاجر بعد ذلك ، فما الحكمة في أن يذهب الأستاذ الجليل في مقاله الرائع القيم هذا المذهب ؟

عبد الحافظ عبد المجيد كسبه



انتقام الاميرال

للقصصي الفرنسي أرنست دوديه

كان القصر العتيق يجثم كالحصن الجبار فوق صخرة عظيمة هائلة على سيف البحر . وكانت الشمس حينذاك تضيف للغروب وتنحدر رويداً من شارف السماء ، إلى ما بين الأفق والماء . وقد سالت حولها أباطح الدم ، وارتسم على جبينها الكلال والأين. ويشرف القصر أيضاً على الطريق الممتد إلى « برست » وعلى قارعة هذا الطريق تقع الميناء وقد أطلت من ورائها سوارى السفن ومداخنها مصبوغة بألوان الشفق الزاهى الجميل ... ومن نوافذ القصر الضيقة بان البحر كأنه بساط من سندس وإستبرق تجرى عليه السفن بقلاعها التي يهدهدها نسيم الأصيل فتتموج، وتداعبها الرياح الخفيفة فتترجرج ... وتعلو من القصر المنيف قباب وأبراج شامخة فى الفضاء تتحدى الزوابع العاتية والعواصف الهوجاء .. وتحف أغصان الأشجار الفناء الوارقة بجدران تحركها الرياح الموانى فتبدو كضفائر جافة خشنة لطيف امرأة تضرب فزعا فى الليل المدلهم ... وعندما غسق الليل وأجن السكون فى مسوحه الطاخى الأسحم ، أترعت السماء سحاب ثقال منشئات تحركها العواصف الهوج فى شدة وعنف . وعب عباب الرياح فهاجت الأمواج الصاخبة المزبدة فراحت تصطدم بصخرة القصر الهائلة وتنحسر عنها فيسمع لها زئير كزئير الأسد وهزيم كهزيم الرعد

فى تلك الأثناء كان الأميرال المركيز « دى بك هيلوين » جالساً إلى نضد صغير وضع عليه بضع رسائل عفى على لونها الزمن فاصفر وحال ، وبضع زهور ذاوية ونوط قلادة وشريط من الحرير الأزرق ، وبجوار هذه الأشياء صندوق صغير مفتوح من خشب الأبنوس المطعم بالعاج ، كان ولا ريب يضم تلك الآثار الغرامية المتناثرة على النضد . وبدت أمارات الحزن العميق على وجه الأميرال بينما لمعت عيناه فجأة ببريق الغضب المسعور

وكان الأميرال رجلا رقيق البدن واهن العظم لوجه منضن بارز العظام ، وعينان غائرتان قد انطفأ فيهما التألق والبريق ، ويدان معروقتان عاريتا الأشاجع . وعلى الجملة كان بدنه المنهوك قد ذبل بفعل المرض الذى يفتك به فتكا ذريعاً . ولقد فقد أميرال البحر العظيم قوة العزم التى كانت تسبح ثائرة فى دمه وتشع من عينيه ، وخفت فيه ذلك الصوت الجهورى الملىء الذى كان يمزق العواصف ويطغى عليها . ولم تبق فيه ذرة من القوة التى طالما أعجب بها رجال أسطوله وبحارته من قبل . وأبت الجرأة والبسالة أن تسكنا ذلك الجسم المهدم الفانى ففارقتاه بعد إذ كانتا تفوران فيه فوراناً حينما كان يزخر بقوة الشباب ويموج بفتوة الرجولة . واشتد به السقام حتى صيره هزيلا ناحلا . ولم يبق عليه المرض الجاثم فوق صدره إلا ليعالج هذه الجريمة النكراء التى اكتشف الآن فقط دليلها الحاسم ، وليرى مدى قدرته على الثأر وهو من الموت قاب قوسين أو أدنى

لقد تسلم صباح اليوم رسالة من (نيس) حيث اعتاد أن أن يقضى فصل الشتاء من كل سنة ، يقول فيها كاتبها : « لقد خلت أربع عشرة سنة وزوجك ممعنة فى خيانتك ، دائبة على العبث بشرفك ؛ ولعلك وحدك الشخص الذى لا يعلم شيئاً عن علاقتها الآثمة بمساعدك السابق الكابتن « فوشيرون » . وإذا أردت على ما أقول شاهداً ودليلا فاذهب إلى مخدع المركيزة ، فهناك من ناحية رأس السرير ترى تحت إحدى الصور المعلقة خزانة فى الحائط ، بها صندوق صغير . افتح هذا الصندوق واقرأ ما فيه ، فستنقشع الغشاوة عن عينيك ، وتتبين بوضوح ما غاب عن بصيرتك كل تلك السنين الواضى »

وعزا المركيز هذه السعاية إلى خادم مطرود . لذلك قضى مريماً على ما أثاره الخطاب فى نفسه من شكوك وأوهام ، وفرك الرسالة فى يمناه وهم بتمزيقها لولا أن حاك الشك فى صدره فأرجع الكتاب يتلوه مرة أخرى ... وللمرة الأولى فى كل حياته مع زوجته تساوره الظنون والريب . وتحامل على نفسه وغادر مضجعه ، ثم راح يجر نفسه جرا ، وفى الحرز المبين فى الكتاب

ألفي أدلة الاتهام السود

وراح يتمثل ويعجب كيف مرت عليه هذه السنون الطوال وهو غارق في لجج هـذا الوحل دون أن يدري ... ها هـو ذا يمضي إلى مثواه الأخير تكتنفه قرائن الجريمة الدنسة التي اكتشفها اليوم فقط هازئة سـاخرة ... فكيف إذن يتسنى له الثـأر لنفسـه من هذين المجرمين قبل أن ينطفئ سراج حياته الخافت الضئيل

يالخيانة والغدر ! أزوجه التي شملها بحبه ووهب لها كل قلبه ؟ ! ومرؤوسه الذي أمطره بوابل من عنايته ، وغمره بفيض من صداقته .. ياللعار وياللدرن ! أنسى هـذا السافل الخؤون ، هذا الجـاحد الكنود ... أنسي كيف كان يرعاه كابنه وزيادة ؟ وهـذه الشقية زوجه ؟ لا نكران أنه اقترن بهـا والفرق بين عمريهما جد كبير . إذ كانت في العشرين وهـو في الخمسين ... بيد أنه ليس ثمة من ينكر أيضـا أنه انتشلها من وهدات اليتم والمسغبة ، وأضفى عليها لقبه المجيد التالد وقلبها في تراثه الواسع وضمن لها الحماية والرعاية في حياته ، وسيخلع عليهـا من تراثه درعا يقيهـا من بعده عدوان النـاس وغدرات الزمن . أبدا .. ما أرغمها امرؤ على الزواج منه ، بل كان هنا على اختيار منهـا ورغبة ... ولم يكن يوما ليني عن تلبية رغبة لهـا مهما صعبت وشقت . فالصيف في الريف الجميـل الساحر ، والشتاء في أرفع فنـادق باريس الفواخر . أو إذا شـاءت في قصره المظلم في « نيس » . في كل حفل كانت تبدو زينة الأتراب والصواحب ، وفي كل جمع كان يعلو بهـا اسم زوجها إلى أرفع مكان وأسمى منزلة بين سـائر الفتيات والعقائل . وبينا كان يثق في وفائهـا وإخلاصها ويعجب بجمالها وفتنتها ويتيه لسحرها وأنوثتها ، إذا هي تخونه وهو لا يدري

لقد خدم بلاده أربعين سنة سويا . حارب في أفريقيا وفي المكسيك ، وحاز أرفع القـلائد والأوسمة ، وجلب المجد والفخار لابنه ... ثم ماذا بعد كل تلك الحيـاه الحافلة بجلائل الأعمـال وطيب المـآثر ؟ عار تجلبه عليه هذه المخلوقة الشقية وهو من الموت على شفا جرف هار

وليت الأمر قاصر على هذا فحسب ، بل جرته إلى شك مظلم يتخبط فيه حتى ليكاد يذهب عقله فيمضي إلى رمسه مخبولا . ابنه « باتريك » زهرة آماله وعمره الثاني ... ابنه هو ، أم ابن غريمه فوشيرون ؟ باتريك . لقد شب ونما في قصره المتيد حيث تقضي أمه كل شتاء وحيث كان يذهب هو ليعانقه ويتملى من رؤيته . إنه يبدو قويا كغصن شامخ فتي ، ويتجلى الزهو والـكبرياء في نظراته ، ويبدو الصلف والخيـلاء في لفتاته ، وتنطلق ملامح وجهه بقوة العزم وشدة المراس . ياله من إله صغير من آلهة القوة والجمال ! خير خلف لأشرف سلف . ومما زاد الرجل تعلقا بابنه وحبا له أنه ورث عنه قوة العزم وصلابة الرأي وثبات الجنان

والآن تقضي هذه الجريمة التي اقترفتها زوجه على كل تلك الذكريات السامية حول ابنه وذلك الإعجاب الذي يجنه الرجل لوحيده

وأمسك الرجل التعس رأسه الثائر بين كفيه كأنه يمنعه من الانفجار ، وسرت حمى الغضب في دمه فغمغم وهو في تلك الحال من اليأس والضعف والمرض

— سأنتقم لنفسي ... سوف أثأر لشرفي ...

ولـكن كيف ؟ أيقتل ذينك اللذين لوثا اسمه ولطخا شرفه وكيف السبيل إليهما وهذه الفراسخ المديدة تفصلهما عنه . فلا هـو بمستطيع أن يبلغهما ، ولا هما ببالغيه قبـل أن يموت ... وأوغل في سبل الانتقام الكثيرة المتشعبة ... وأغطش الليل ولما يهتد فكره إلى سـبيل يبلغه طيته فيشفي غليله ... واستلقى على الفراش بقلب ممزق وأضلع تكتنز نارا تكاد تأتي على بقايا جسمه المحطم

وعندما انصدع عامود الفجر أقبل طبيب الطوافة « المتيد » التي اعتلاها علم الأميرال طويلا ، ليعود رئيسه العليل ؛ وذعر لدى رؤيته وجه رئيسه الشاحب المتقع ، ودهش لتقدم المرض السريع في يوم وليلة ... ونم وجهه عن ذعره ودهشته فقال الأميرال :

— قل إني انتهيت يا دكتور

لم يضع الأمل بعد يا سيدي ... إنك في حال سيئة ولكن ...

— لا تراوغني : لقد صمدت للموت مراراً ، ولا أود أن يأخذني هذه المرة على حين غرة . قل الحق إني آمرك ...

فظل الطبيب صامتاً لا ينبس دقيقتين قال بعدها :

— سيختارك الله هـذا المساء على الأ كثر ياسـيدي إن لم تحدث معجزة

وتلقى الأميرال الصدمة بكل ثبات ... قال :

— حسن ... وستعودني طبعاً مرة أخرى ... أليس كذلك ؟

— بالتأكيد ياسيدى الأميرال. ألا تحب أن تخطر سيدتى المركيزة؟
— وأى جدوى فى ذلك وهى فى نيس. ثم إنى لا أود أن أحملها الحزن فجأة. إنها تعلم أنى مريض، وستعرف على كل حال أنها ترملت، ولكن يجب أن يكون هذا بعد أن أموت

فانسحب الطبيب

وقابله باتريك لدى الباب فقال له:

كيف أبى؟

فلم ينبس الطبيب بل أجابت عنه عيناه، فأسرع الصبى نحو أبيه بقلب جزوع. فنهض الأميرال بجهد جهيد على مرفقه وقال:

— ادن منى يا بنى. إن لى حديثاً معك ... إنك فى الثانية عشرة من عمرك ياباتريك، ولكنى مضطر أن أحدثك كما أحدث رجلا

ولم يأخذ منهما الحديث طويلا. ولكن حينما انتهى ومضت عينا الصبى يبريق من نار، وتثلج بدنه حتى كأنما انتقلت برودة الاحتضار من بدن أبيه إلى بدنه. وفى أثناء هذا الوقت القصير انتقل فجأة من طور الطفولة إلى طور الرجولة، وما تحمل من متاعب وأعباء

وفى السنة التى تلت ذلك، أى بعد موت الأميرال بعشرة أشهر أو تقل راح الناس يلغطون بقرب زواج أرملته من الشاب الوسيم القسيم فوشيرون. تناقلوا ذلك فيما بينهم فى غمز ولمز كأنما كان ذلك عين ما يتوقعون. ويبدو أن العاشقين قد آثرا بعد علاقتهما الدنسة الآثمة أن يرتبطا بعلاقة يقرها العرف والدين

ووصل الكابتن فوشيرون ذات صباح إلى القصر المشيد حيث تنتظره المركيزة مع ابنها بعد إذ قضى زوجها نحبه

وعند ما متع النهار وارتفعت الشمس دخل باتريك على أمه يحمل من الأعباء ما ينوء به عمره الصغير. قال لها:

— أحقا أنك تعدين العدة للزواج من الكابتن فوشيرون يا أماه؟

فأجابته بصوت مضطرب

— من أبلغك هـذا؟

لم ينبس الغلام. فاستطردت المرأة

— على كل يجب ألا يستجوب الغلام أمه

— إنى لا أقبل مهما يكن الأمر أن يشغل الكابتن فوشيرون مكان أبى

لا تقبل! ماذا تقصد بهذا الهراء؟ ثم أشارت إلى الباب ماضية واستأنفت

— أخرج من هنا حالا ياسيدى

فانصرف من لدنها إلى غرفته، ثم غادرها بعد بضع دقائق إلى غرفة فوشيرون واقتحمها دون استئذان واضعاً إحدى يديه فى جيب بنطلونه

وكان فوشيرون يحلق لحيته أمام مرآة، فاستدار نحو باتريك وقال!

— إن اللياقة تقضى بدق الباب قبل الدخول

إنه يبقى يا سيدى، ومن حق أن أدخل أية غرفة فيه بدون دق ولا استئذان، ثم إن لى حديثاً معك

— لك حديث معى؟ تكلم

— إنى أعلم سبب وجودك هنا. وإن ما تبغيه لا يمكن أن يتم. ويجب أن ترحل الليلة على ألا تعود أبداً. إننى أمنعك من الزواج بأمى

— إنك مجنون ولا ريب أيها الطفل

— من الخير لك أن تطيعنى

— فشحب وجه فوشيرون من شـدة الغضب. وومضت عيناه من فرط الغيظ. وقال:

— أخرج أيها الغرير وإلا عركت أذنيك. واتجه نحو باتريك رافعاً يده فتراجع الغلام عنه ثمة وأخرج من جيبه شيئاً كان يخفيه، مسدساً ورفع به يده. ضغط الزناد، فانطلق

فانشق صـدر فوشيرون عن صرخة هائلة دوت فى سكون القصر العميق. وترنح ثم سقط جثة هامدة وقد اخترقت الرصاصة جبينه ...

وأقبلت المركيزة على عجل ورأت كل شىء ... ثم صرخت تقول بعد أن ألقت بنفسها على ابنها وجردته من سلاحه

— ماذا فعلت أيها الشقى؟

وتركها باتريك تأخذ منه السلاح ثم قال: وقد رآها ترتمى على الجثة تبكيها وتندبها!

— لقد أنبأنى أبى قبيل وفاته أن هذا الرجل عدو لى وعدو لك، وأوصانى بحمايتك من شره وغدره حتى ولو أدت الحال إلى قتله. وقد نفذت وصية أبى

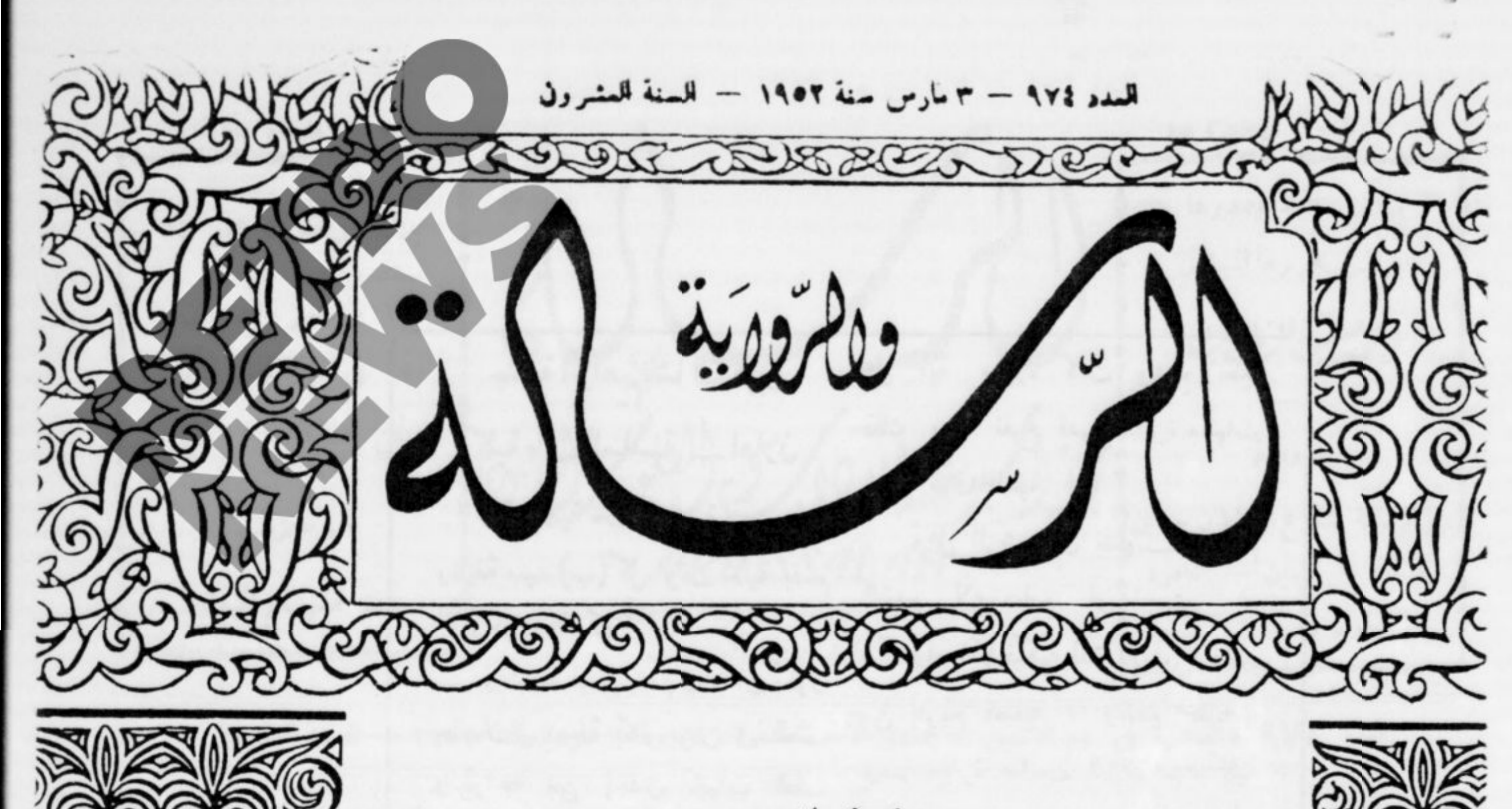
ثم أشيع بين الناس أن الكابتن فوشيرون مات منتحراً

م ٠ ع


RETRO NEWS
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
أقصدوا
متحف فؤاد الاول
لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)
لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر
وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج
المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ماعدا أيام الأثنين والعطلات الرسمية كما يأتى :—
فصل الشتاء —
من اول نوفمبر الى آخر أبريل
من الساعة ٣٠ ٨ الى الساعة ١٤ر٠٠
رسم الدخول ٢٠ مليما
تليفون رقم : ٤٩٣ مدينة
مطبعة الرسالة



العدد ٩٧٤ — ٣ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد

جامعة ابراهيم باشا الكبير

كلية طب العباسية ـــ اعلان

تعلن كلية طب العباسية عن وجود وظيفة معيد (ب) كل الوقت خالية بقسم الأقرمازين بالكلية

ويشترط فيمن يقدم لهـا ان يكون حاصلا على درجة بكالوريوس فى الطب والجراحة من إحدى كليات الطب المصرية بدرجة جيد على الأقل

ويجب على من يقع عليه الاختيار أن يتفرغ لعمله بالكلية فلا يسمح له بمزاولة المهنة خارج الوظيفة على اية صورة كانت ويمنح نظير ذلك بدل تفرغ قدره عشرة جنيهات شهريا فوق الماهية

وعلى المرشح أن يتعهـــد بعدم التقدم لأى دبلوم او ماجستير او دكتوراه اكلينيكية لمدة ثلاث سنوات من تاريخ تعيينه . وتقدم الطلبات برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية طب العباسية فى بحر عشرة ايام من تاريخ النشر

والموظفون يقدمون طلباتهم عن طريق المصالح التابعين اليها ٩٣٣

الانسان بين المادية والاسلام

الكتاب الأول فى المكتبة العربية

الذى درس نظرية الاسلام عن الانسان دراسة علمية ووازن بينها وبين النظريات المادية لدارون وفرويد والتجريبيين والمذاهب المادية الاشتراكية والشيوعية . ونظرية المسيحية الروحية

وحلل المشكلة الجنسية والجريمة والعقاب والقيم العليا وعلاقة الفرد بالمجتمع فى الاسلام وغير الاسلام

تأليف

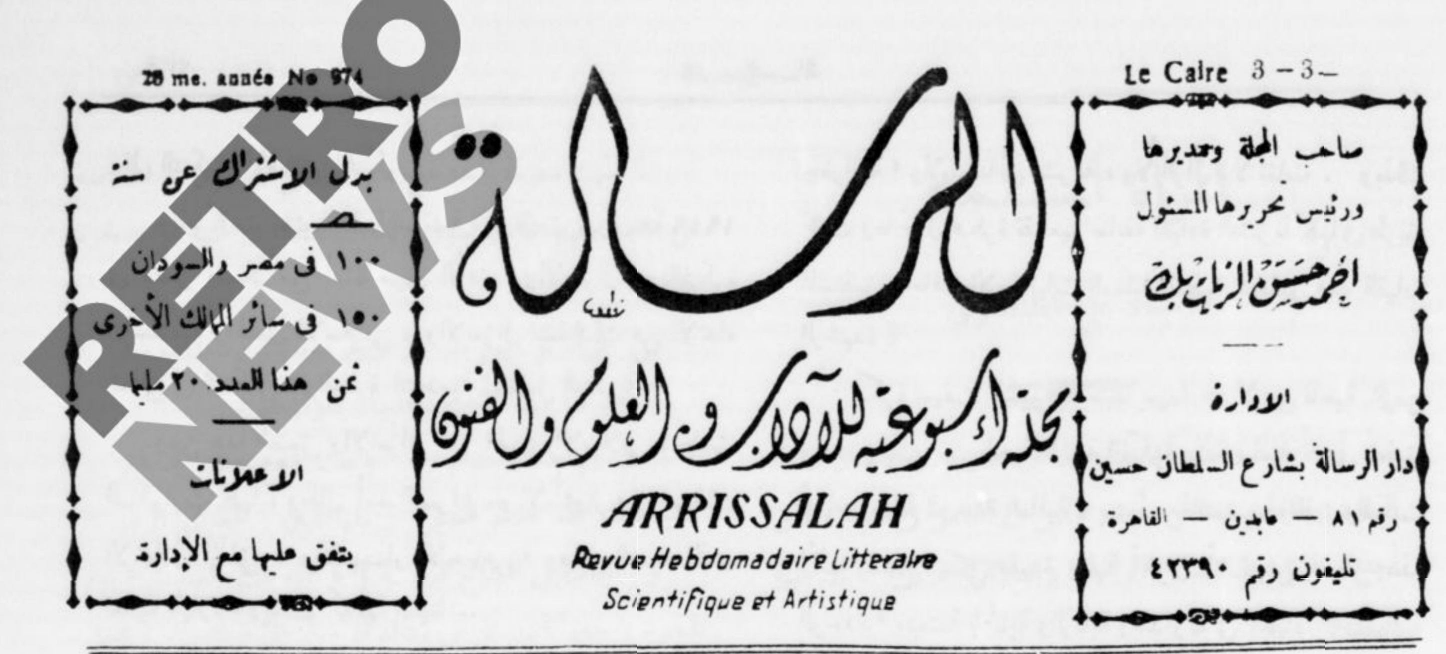
الأستاذ محمد قطب

خريج كلية الآداب ومعهد التربية

٢٩٠ صفحه كبيرة وثمنه ٤٠ قرشا عدا البريد — يطلب من :

عيسى البابى الحلبى وشركاه

صندوق البريد رقم ٢٦ الغورية ومن المكتبات الشهيرة



20 me. année No 974
Le Caire 3-3-
الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠
بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٤ «القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٣ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

فقاقيع

للأستاذ سيد قطب

الذين يدعوننا إلى الخلاص والحرية والعدالة الاجتماعية باسم القومية الضيقة التي تحد بالبحر الأبيض شمالا، وبالبحر الأحمر شرقا، وبصحراء ليبيا غربا، وبخط الاستواء جنوبا.. أو دون ذلك

والذين يدعوننا إلى الخلاص والحرية والعدالة الاجتماعية باسم الشيوعية أو غير الشيوعية من المذاهب المادية التي نشأت وعاشت في بيئات غريبة عنا، لا تربطنا بها صلة روحية ولا تاريخية ...

هؤلاء وهؤلاء يخطئون فهم طبيعة هذا الشعب، وقوة العوامل الكامنة في ضميره، والرواسب الشعورية التي تحركه، وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة..

لهذا تفشل هؤلاء وهؤلاء فشلا ذريعا، وتبدو حركاتهم كالفقاقيع التي تعلو وجه الماء فترة، ثم تفثأ وتتوارى!

هذا الفشل منشؤه كما قلت: جهل هؤلاء وهؤلاء بطبيعة هذا الشعب، وطريقة تفكيره ونظرته إلى الحياة. يضاف إليه عدم فهمهم لحقيقة موقف هذا الشعب في العالم، وللعوامل الدولية التي تجعل الشعوب تختار طريقا دون طريق..

إن دعوة القومية الضيقة، التي تنزوي داخل حدود صناعية أو تخوم جغرافية .. دعوة تنافى الاتجاه العالمي إلى الاندماج في وحدات ضخمة، تمهيدا للحلم البشري الكبير .. حلم الوحدة العالمية الكبرى .. وهي تخالف كذلك فكرة الإسلام الذي تدين به غالبية هذا الشعب .. فالوطن الإسلامي هو كل أرض يظللها لواء الإسلام. ومن ثم فهو يزيح الحواجز الصناعية والتخوم الجغرافية، ويحل محلها فكرة، تندمج في ظلها كتلة بشرية ضخمة، تحاول دائما أن تضم إليها بقية البشر، تحقيقا للهدف الإسلامي الأكبر، هدف الوحدة العالمية الكبرى

ومن هذا الاستعراض السريع للاتجاه العالمي اليوم، والاتجاه الإسلامي منذ مولد الإسلام، يتبين مدى نظرة الإسلام التقدمية في الماضي وفي الحاضر على السواء. ويتكشف أن الفكرة الإسلامية كانت سابقة لتطورات الفكر البشري قرونا وقرونا. وما تزال فكرة قائدة هادية، ذات مجال فسيح في بناء مستقبل البشرية .. كما يتكشف مدى الضيق والانعزال والتأخر في دعوات القومية الضيقة التي عمت أوربا في القرون الماضية، وسرت إلينا عدواها في غيبة الروح الإسلامية الراقية السمحة التقدمية، وفتنت بما فيها من تعصب ضيق، بعض صغار العقول والنفوس، ملبية دسيسة الاستعمار في تمزيق أوصال المجتمع الإسلامي الضخم، والوطن الإسلامي الكبير، ليسهل على الاستعمار ازدراد أشلائه الممزقة باسم القوميات الضيقة الهزيلة، وتحت العنوانات الشتى المتفرقة!

ومن هنا كانت تلك الفقاقيع التي تحمل شتى العنوانات في شتى أنحاء العالم الإسلامي. وكانت تلك الزعامات الصغيرة التي تهتف باسم القومية، وتدعو إلى العزلة عن مشكلات العالم الإسلامي، وتسخر ممن يدعون إلى وطنية الإسلام الضخمة،

وإلى التكتل الإسلامي الكبير

ولقد كانت تلك الزعامة البائسة التي قادت ثورة سنة ١٩١٩ في مصر مثلا من أمثلة ضيق الأفق ، والانعزال عن الفكرة الإسلامية والهدى الاسلامى ، والانعزال تبعا لذلك عن الاتجاه العالمي في التكتل ، والنظرة التقدمية لمستقبل البشرية

ومن هذا الضيق والانعزال عن الهدى الاسلامى ، جاءت الكوارث كلها ، وطال أمد الصراع مع الاستعمار ، ووقع ذلك الانحلال الخلقى ، والانهيار الاجتماعى ، وذلك الفساد الذى تعانيه البلاد ، وبفقت كيانها تفتيتا ..

لقد كانت تلك الزعامة فقاعة صغيرة ، في زبد الوثبة المصرية الكبرى . ولكنها مع الأسف حولت تلك الوثبة كلها إلى زبد ذهب كله جفاء ...

وما تزال مصر ، وما تزال الشعوب الاسلامية تصارع ذلك الخبث الذى دسه الاستعمار في تفكيرها . خبث القومية الضيقة الهزيلة ، التي تخدم الاستعمار ولا تخدم الشعوب .. ما تزال تصارع ذلك التمزق في جسم الوطن الاسلامى الكبير ، في ضوء الفكرة الاسلامية التي انبثقت هنا وهناك ، وتتجمع تحت الراية الاسلامية الخالدة ، أو تتنادى إلى هذه الراية الكلية الواحدة . التي تحول الوطن الاسلامى كله وحدة تتفق مع الاتجاه العالمي السائر إلى التكتل والاندماج ، وحدات كبرى تجمع بينها نظم وأفكار ، لا حدود جغرافية ، ولا قوميات جنسية أو لغوية

إنهم يفيئون شيئا فشيئا إلى النور الذى انبثق منذ أربعة عشر قرنا ، سابقا لتفكير البشرية كله ، فلم تدركه إلا في القرن العشرين . وما يزال هذا النور سابقا لما وصلت إليه البشرية في التفكير

فأما دعوة الشعوب الإسلامية إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب المادية الأخرى ، فهي دعوة مضحكة تثير الهزء والاستخفاف بتلك الفقاقيع الآدمية التي تدعونا إليها ؟

إذن ما الذى يدعو شعوبا بأسرها ، يتجاوز تعدادها ثلثمائة مليون مسلم ، في شعاب هذه الأرض ، إلى التخلى عن فكرة أو عقيدة عاشت في ظلها أربعة عشر قرنا ؟ ..

فكرة سبقت الشيوعية سبقا بعيدا في التفكير الإنسانى المنظم لقيام وحدة عالمية ، مقوماتها فكرة ونظام ، لا حدود جغرافية ، ولا أجناس بشرية ، ولا ألوان ولا لغات . وبذلك كانت وما تزال فكرة تقدمية سابقة لقيادة البشرية كلها في طريق المستقبل ؛ حافلة بالإمكانيات العملية المنظمة لتحقيق هذه القيادة الرشيدة ؟

فكرة سبقت الشيوعية سبقا بعيدا — لا من ناحية الزمن وحده ولكن من ناحية طبيعة الفكرة وإمكانياتها — في تحقيق أساس صالح للوحدة العالمية ، برئ من التعصب والقهر والكبت لأنها تسمح لكل عقيدة دينية أخرى أن تعيش في ظل هذه الوحدة ، متمتعة بالحماية والرعاية والمشاركة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية ، فلا تفرض نفسها على الناس ، ولا تحرم مخالفيها حق الحياة والنشاط ، كما تحرمهم الشيوعية ؛ ولا تفرض عليهم دكتاتورية رجل ولا دكتاتورية نظام كما تفرض الشيوعية في القرن العشرين !

وأخيرا فهي فكرة سابقة في تحقيق عدالة اجتماعية كاملة ، لا تصطدم بالفطرة البشرية .. ولا تقيد النشاط الفردى . في ذات الوقت الذى تقف كل نشاط فردى دون المساس بالمصلحة العامة . وتجعل نتاجه كله ملكا للجماعة التي تعيش فيها

إن دعوة شعوب تملك مثل هذه الفكرة إلى نبذها لاعتناق الشيوعية أو سواها تبدو دعوة مضحكة ، لا يحاولها إنسان يحترم نفسه ، إنما تصلح فقاعة هزيلة ، ينادى بها بعض الشواذ ، الذين يعانون عقدا نفسية مرضية ، يجدون في الدعوة إلى الشيوعية تنفيسا عنها وراحة !

إن الدعوة الإسلامية تكتسح وتجرف كل هذه الفقاقيع في هذه الأيام . تكتسح فقاقيع القومية الضيقة الهزيلة في العالم الإسلامى كله من أقصاه إلى أقصاه . وتكتسح فقاقيع المبادئ المادية على اختلاف مسمياتها .. وهذا الاكتساح هو الذى يتفق مع طبائع الأشياء . ويتفق مع طبيعة هذا الشعب وتفكيره . ويتفق في ذات الوقت مع الاتجاه العالمي المقبل : الاتجاه إلى تأليف كتل ضخمة تخضع لنظام وفكرة . في الطريق إلى تحقيق الحلم البشرى الكبير .. حلم الوحدة الإنسانية الكبرى ...

فأما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

سيد قطب

المرأة المسلمة

للاستاذ علي الطنطاوي

أنا أغتاظ وأتألم كلما سمعت الناس يضربون الأمثال بنساء اليهود : بقتالهن فى الحروب وعملهن فى المعامل والحقول ، لأنى أجد فى ذلك جهـــالة بتاريخنا ، وبسلائقنا ، وبما كانت عليه المرأة منا

إنكم تحسبون أن نساء العرب كن — مذ كن — كأكثر من نرى من النساء ، جاهلات خاملات ، يثرن المشكلات ، وينغصن عيش الرجال ، أو مترفات مدللات همهن صبغ الوجوه ، وتلوين الأظفار ، وإنفاق الأموال ، فتعالوا أخبركم كيف كانت المرأة على عهد الرسول ، صلوات الله عليه ، كيف عملت فى بناء هذا الصرح العظيم ، وشاركت فى إقامة الدولة الإسلامية ، وكيف سمى نساء من النساء فى كل مجال كان يستمى فيه الرجال ، فى مجال الدين والتقوى ، ومجال العلم والأدب ، ومجال المعارك والحروب

وكيف كان منهن (المرأة العاقلة) الحكيمة كخديجة التى وضعت ثانى حجر فى صرح الدعوة ، وكانت ركنا قويا للاسلام فى فجر الإسلام ، والتى أخذت بيد النبى صلى الله عليه وأيدته بمالها الكثير ، وقلبها الكبير

و (المرأة العالمة) الملهمة كعائشة التى كانت أستاذة عصرها ، وكان فحول العلماء تلاميذ لها ، وكانت أعجوبة فى سعة روايتها ، وحدة تفكيرها ، وبلاغة لسانها ، وقوة جنانها ، حتى دفع بها نشاطها إلي ما ليس من شأنها ، فاقتحمت ميدان السياسة وما خلقت له وما خلق لها ، لا باللسان والرأى بل بالنار والحـديد ، فكان من ذلك ما كان

و (المرأة الأديبة) التى خدمت بالدعاية اللسانية ، وبالشعر يوم كان الشعر هو الصحافة وهو الإذاعة وهو سبيل الدعاية (١) لا سبيل غيرها ، كصفية ، ونعم بنت سعيد ، وهند بنت أثاثة لما انتهت معركة أحد على غير ما يبغى المسلمون ، بمخالفة من خالف منهم عهد الرسول ، وقامت هند بنت عتبة على صخرة تقول

نحن جزيناكم بيوم بدر   والحرب بعد الحرب ذات سعر

انبرت لها بنت أثاثة ترد عليها . تقول لها :

خزيت فى بدر وبعد بدر   يا بنت وقاع عظيم الكفر

صبحك الله غداة الفجر   ملهاشميين الطوال الزهر

و (العاملة فى المصالح العامـة) كأسماء بنت الصديق ، يوم الهجرة ، حين كانت تحرس منافذ الأخبار إلى قريش ، وتحمل الطعام إلى المهاجرين المظليمين وتصبر على عدوان قريش عليها . ولطم الخاسر أبى جهل خدها لتخبره أين رسول الله ، فلا تخبره ، وحين قدت نطاقهـا ، فربطت بشقه السفرة وانتطقت بالآخر ، فدعيت من ذاك بذات النطاقين

وأنتم تعرفون موقفها العظيم ، المظيم ، يوم قتل ابنها أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير ، ذلك الموقف الذى لم يكد يروى التاريخ موقفا مثله لأخرى من بنات حواء

و (المرأة فى الدفاع السلبي) بل الدفاع الحربى ، كما صنعت صفية لما كانت فى الحصن مع النساء وكان الصبيان والرجال فى الجبهة ، فرأت يهوديا يطيف بالحصن مخافته على النساء والصبيان أن يؤذيهم أو يدل العدو عليهم ، فشدت وسطها ونزلت إليه بالعمود ، فضربته حتى قتلته

كان نساؤنا يقتلن أبطالا . . فيهود ، فصار نساء اليهود ، بفضل سادتنا وأمرائنا ... يقتلن رجالنا !

* * *

وكان منهن (الممرضة الواسـية) كرفيدة التى جعلت من خيمتهـا مستشفى سيارا ، تداوى فيه الجرحى ، وتحبس نفسها على خـدمتهم ، والترفيه عنهم ، ترفيه الحق لا ترفيه الفسوق والفجور ... ولما أصاب البطل الخالد سعد بن معاذ السهم يوم الخندق قال رسول الله : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب

وكان النساء يخرجن مع الرسول ، وشهد خيبر منهن جماعة أعطاهن من الفئ ، لا يخرجن للجهاد بأعراضهن وفتنة المجاهدين بجمالهن ، بل للعمل فى (الوحدات الصحية) والحراسة والتحميس

(١) الدعاية صحيحة وإن كره المتحذلقون أصحاب (الدعاوة) !

والاشتراك فى القتال إن دعت الضرورة إلى القتال

والقائمات بمثل أعمال (الـكماندس) فى هذه الحرب ...

أغار عيينة بن حصن على لقاح رسـول الله صلى الله عليه فى (الغابة) فاستاقها ، وكان فيها رجل من بنى عقار وامرأته فقتلوا الرجل ، وسبوا المرأة ، فلم تجزع ولم تفزع ، ولم تبك ولم تولول ، بل قاومتهم مقاومة اللبوءة (١) حتى أفلتت منهم على ناقة من إبل الرسول فوردت بها عليه ، فقالت : يا رسـول الله ، إنى نذرت أن أنحرها إن نجانى الله عليها ، فتبسم رسـول الله وقال : (ليعلم المسلمين) : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ، ونجاك بها ، إنه لا نذر فى معصية الله ، ولا فيما لا علـكين

* * *

وكان منهن (المرأة الصابرة) على ما يعجز عنه الصبر ، ويضيق عن احتماله الصدر. لقد أصيبت حمنة بنت جحش يوم أحد بأخيها عبد الله ، وخالها حمزة سيد الشهداء ، وزوجها مصعب رائد الإسلام ، فثبتت كيلا يرى وهنها المشركون ، وفى قلبهـا مثل حز المواسى .

وهذه امرأة من بنى دينار ، قتل زوجها وأخوها وأبوها فى الوقعة ، فلما خبرت بهم ، بلغ بها عظم الإيمان أن سألت : ما حال رسول الله ؟ فلما قالوا لها : هو حى ، قالت: كل مصيبة بعده هينة

ومنهن (المرأة المقاتلة) التى تأتى بالبطولات

هذه أم عمارة — نسيبة المازنية — خرجت لترى ما يصنع الناس ، ومعها سقاء ماء لتسق العطاش من الجند ، وكانت الدولة والصولة للمسلمين أول النهار ، فلما انهزم المسلمون ، وداخلتهم الدهشة لما كان من هبوط الرماة عن أحـد ، وكرة فرسان المشركين ، كانت هذه المرأة أثبت من الرجال قلباً ، وأجرأ يداً ، فلم تنهزم ولم يجرفها التيار ، بل أخذت سيفاً من ساحة المعركة ، وجعلت تدافع مع الرسول ، حتى أثخنتها جراحها

قالت أم سـعد راوية الخبر : وكشفت لى (أى أم عمارة) عن عاتقها بعـد سنين طويلة ، وإذا جرح غائر أجوف ، قلت : من أصابك بهـذا يا خالة ؟ قالت : ابن قمئـة أقماه الله . لما ولى الناس ، أقبل يقول : دلونى على محـمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضت له

يا أيهـا القراء ، أرجو أن تقفوا لتتصوروا الموقف : الجيش منهزم ، وهـذا الفارس يهجم بسلاحه وجبروته كالثور الهائج ، والرجال تتنحى عن طريقه ، وهذه المرأة العربية المسلمة ، تعترض له ، وتثب فى وجهه تسد طريقه إلى محمد ، فيضربها فلا تريم بل تضربه بسيفها ، فلا ينجيه إلا أنه بدرعين !

قالت : فضربنى هذه الضربة ، ولقد ضربته مع ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان !

وهذه أم سليم تثبت فى هوازن فى الموقف المهول الذى انصدعت فيـه أفئدة عشرة آلاف بطل ، فانهزموا إلا رسول الله وصحابته الأدنين ، فالتفت فرأى أم سليم ، مع زوجها أبى طلحـة ، وهى حازمة وسطها ببردلها ، وإنها لحامل ! وعـمك جملها وقد أدخلت يدها فى خزامه ، قال :

— أم سليم ؟

— قالت ، نعم ، بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك ، كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل

قال : أو يكفى الله يا أم سليم ؟

ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة :

— ما هذا الخنجر معك ؟

— قالت : خنجر أخذته ، إن دنا منى أحـد من المشركين بعجته به

قال أبو طلحة ، مفتخراً بها ، مداعباً إياها :

— ألا تسمع يا رسول الله ، ما تقول أم سليم الرميصاء ؟ وهى حامل يا ناس ! وهى حامل !!

* * *

أما معاملته صلى الله عليـه النساء ، فكانت أروع مثل يضرب به السيد المهذب ، والبطل النبيل ، والأب الحانى ، والصديق الوفى ، ولا يتصور الوهم أرق منها معاملة ولا أعطف ، ولا أنبل

---

(١) من أعجب العجب أن يكون لكلمة اللبؤة عنـد عامة مصر ذلك المعنى القبيح ، وهى أم الأسود

ولا أشرف ، ولا أحب أن ألخص لكم هـذا النص التاريخي ، فاسمعوه بالحرف، من فم فتاة صـغيرة من آل غفار ، متطوعة في الجيش ، قالت :

أتيت رسول الله في نسوة من بني غفار ، فقلنا : يارسول الله؛ قد أردنا أن نسير معك إلى وجهك هذا (وكان متوجها إلى خيبر) فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بمـا استطعنا ، فقال : على بركة الله

فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة (أي صبية صغيرة) ولم يكن لي ما أركبه ، فأردفني رسول الله وراءه على حقيبة رحله ، فوالله لنزل رسول الله لصـلاة الصبح وأناخ ونزلت عن حقيبـة رحله وإذا بهـا دم مني ، وكانت أول حيضة حضتها ، فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول ما بي ورأى الدم قال :

— مالك ؟ لعلك نفست ؟

— قلت : نعم

— قال : أصلحي من نفسك ، ثم خـذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحاً فاغسلي به ما أصاب الحقيبة ، ثم عودي لمركبك

* * *

وأمر رسول الله بعد هوازن بالقبض على مجرم يقال له بجاد من بني سعد بن بكر فساقوه وأهـله ، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث فعنفوا عليها في السياق ، فقالت :

— تعلموا (أي اعلموا) أني أخت صاحبكم من الرضاع

فلم يصدقوها ، فلما انتهوا إلى رسول الله قالت :

— يارسول الله . إني أختك من الرضاع

قال : ما علامة ذلك ؟

— قالت : عضة ، عضضتنيها في ظهري وأنا متورك كتفك

فعرف العلامة فبسط لها رداءه فأجلسها عليه ، وقال :

— إن أحببت فعندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك

فاختارت الرجوع إلى قومها

* * *

ولعلـكم تقولون : كيف كان هـذا الاختلاط ؟ كان على الصون والحجاب الشرعي ، وعلى غض البصر ، وامتلاء القلوب بالخوف من الله ، وبالغاية التي تشـغل عن شهوات النفس ، ومع ذلك فإن الله علمهم درساً عظيما في ضرر خلوة رجل بامرأة ليس معهما ثالث ، اتهمت فيـه أشرف امرأة في الناس ، وكاد الناس يصدقون التهمة ، حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات

هكذا كانت المرأة العربية المسلمة ، جمعت أطراف الفضائل ، وحازت خلال الخـير ، وكانت للدين والدنيا ، للعـلم وللأدب ، للدار وللحياة ، كان هديهـا القرآن ، ودليلها الشرع ، وغايتها رضا الله ، والنجاة في الآخرة

فأين نساؤنا اليوم ؟

علي الطنطاوي

ذو العقل يشقى ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

لولا أنى أكره خلائق السوء ، لما حملت هذا القلم لأرد به على هذا الذى تكلف مؤونة الجدال عن صاحبه، ولولا أنه كتب ما كتب فى الرسالة ، وهى مألف قديم يحن إليه هذا القلم ، لما غلبنى على ما أدبت به نفسى من هجر صغائر الأمور . ومن خلائق السوء عندى أن يجهد كاتب قلمه فى نقد ما أكتب ، ثم أغفل رده إلى الحق إن أخطأ ، أو متابعته على الصواب إذا أصاب. ومهما يكن رأيى فيما كتب الأستاذ ، فإنى أجد الحق يلزمنى أن أعود إليه بالتذكير والإبانة ، غير متلجلج فى استنقاذه مما تورط فيه ، ولا مستنكف أن يكون فى بعض كلامى هذا تكرار لما قلت ، مما أرجو أن يكون إنما غفل عنه غير متعمد إن شاء الله .

وأنا أقدم بين يدى الأستاذ الفاضل ، معذرتى فى أن أسامحه فيما وصف به ما كتبت ، وما وقر فى نفسه وأبان عنه بقوله إنى اندفعت فى سياق منبرى ، أسرد الأدلة الخطابية ، وأستثير النوازع العاطفية . وكان خليقاً به قبل أن يقول ما قال ، أن يعرف أسلوبى فيما أكتب ، ثم ينظر إلى بعينى مبصر يتحقق : أصحيح أنى ألجأ إلى الخطب المنبرية ، والأدلة الخطابية ، والنوازع العاطفية ، أم الحق أنى أتحرى أمراً أنا مسئول عنه بين يدى رب ، أو على الأقل : أعتقد أنا أنى مسئول عنه بين يديه سبحانه ؟ ! وإذا كان كثير من الناس قد نسوا أنهم محاسبون يوم القيامة ، فإنى لم أنس بعد ، وأسأل الله أن يعيننى على أن لا أنسى ، وإن عد الأستاذ الفاضل هذا الكلام أيضاً خطبة منبرية ، أو استثارة عاطفية !

ولعل قراء الرسالة ، لم يقرأوا ما كتبت فى مجلة «المسلمون» ولست أحب أن أعيد عليهم ما كتبت هناك ، ولكنى أحب أن أبين لهم عن أصل هذا النزاع الذى نازعنيه الأستاذ الفاضل . وذلك أنى رأيت كاتباً بسط لسانه بسطاً مريضاً فى دين جماعة صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم : معاوية بن أبى سفيان ، وأبوه أبو سفيان ، وأمه هند بنت عتبة ، وعمرو بن العاص . ثم أدخل معهم سائر بني أمية . وزعمت فى هذه المقالة أيضاً أنى لن أناقش منهجه التاريخى : « لأن كل مدع يستطيع أن يقول : هذا منهجى ، وهذه دراستى » وقلت : « وأيضاً فإنى لن أحفل فى هذه الكلمة فساد ما بنى عليه الحكم التاريخي العجيب ، الذى استحدثه لنا هذا الكاتب ، بل أدعه إلى حينه » وقلت : « بل غاية ما أنا فاعل : أن أنظر كيف كان أهل هذا الدين ، ينظرون إلى هؤلاء الأربعة بأعيانهم ، وكيف كانوا — هؤلاء الأربعة — عند من عاصرهم ومن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم » .

وأظن أنى بهذه الكلمات قد حددت كل التحديد غايتى فيما أكتب . أظن ذلك ، وأظن أيضاً أن لكل كاتب بعض الحرية !! فى أن يحدد ما يريد لنفسه فى سياق ما يريد أن يكتب . وبخاصة إذا كان يريد أن يعرف الناس بشىء هم قد غفلوا عنه ، وبخاصة فى زمن أصبح العلم فيه لحاجات تكتب كما تكتب مقالات الصحف اليومية فى المنازعات الحزبية ! وبخاصة فى أمر فيه نذير شديد من الله سبحانه ! وبخاصة إذا كان هذا الكاتب يؤمن بأن الإنسان مسئول بين يدى ربه عن كل ما يقول وكل ما يكتب وكل ما يفعل !

بيد أن الأستاذ الفاضل ظن أنه كان يجب على أولا غير هذا. إذ ظن أن صاحبه نقد معاوية نقداً تاريخيا ، فطالبنى أن أبين أن الوقائع التى ذكرها فى كتابه غير صحيحة ، ثم زاد شيئاً آخر عجل إليه فزعم أنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً من ذلك ، لأن صاحبه نقلها من كتب التاريخ ولم يخترعها اختراعاً ، ولأنها معروفة لدى الصغير والكبير ؟! فأظن أنا أيضاً أني بينت عن طريق فى الكلمات التى نقلتها آنفاً ، وأنى سوف أترك هذا إلى حينه ، فلست أدرى لم يعجل الأستاذ الفاضل كل هذه العجلة على امرئ مثلى ، فيضربه بالعجز عن ذلك قبل أن يبين عن حجته ؟ فهذه العجلة هى هى التى أنكرها على صاحبه ، وأنكر أن تكون أدباً يتأدب به العالم أو المتعلم ، ومن الحق على كل عاقل أن ينهى نفسه عنها ، وأن ينهى من يرتكبها ، لأنها مخالفة لكل أصل من أصول العلم والتعلم ، ولأنها تورث مرتكبها نفس الداء الذى أتى منه صاحبه الذى تهجم على ضمائر خلق الله ، فكاد يقطع

قطعاً جازماً بنفاق معاوية وأبى سفيان وهند وعمرو بن العاص وسائر بنى أمية ! من أين يعلم أنى عجزت أو أنى سوف أعجز ؟ لا أدرى !

ومثل هذا فى الجراءة ما أتبعه من أسئلة إذ يقول :

« من الذى ينكر أن معاوية حين صير الخلافة ملكا عضوضاً لم يكن ذلك من وحى الإسلام ، إنما كان من وحى الجاهلية ؟

« ومن الذى ينكر أن أمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبها، وما كان الإسلام لها إلا رداء تلبسه وتخلعه حسب المصالح والملابسات ؟ ...

« ومن الذى ينكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه على المسلمين مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟

« ومن الذى ينكر أن معاوية قد أقصى العنصر الأخلاق فى صراعه مع على ، وفى سيرته فى الحكم بعد ذلك إقصاء كاملا لأول مرة فى تاريخ الإسلام ، وقد سار فى سياسة المال سيرة غير عادلة ، فجعله للرشوة واللهى وشراء الضمائر فى البيعة ليزيد؟

« هذه وأمثالها أمور مسلمة فى التاريخ ، لا يستطيع الأستاذ شاكر أن ينكرها بحال . ونحن نعجب كثيراً حين نجده فى مقاله يلبس مسوح الوعظ والإرشاد ... »

نعم ياسيدى الشيخ ! نعم ! فإنى لمحدثك عمن ينكرها : أنا أنكر هذا كله وينكره المؤمنون من قبلى . وإذا كنت أنت وصاحبك تسلمان بها ، فأنا لا أستطيع أن أسلم بها . وتقول : هذه دعوى ليس عليها بينة ! فأقول : نعم ، هى فى هذا السياق ليس عليها بينة ، إلا أن آتيك بالدليل على بطلان ما ذهب إليه صاحبك الذى توليت الدفاع عنه . بيد أنك أسأت حين عجلت إلى شئ لم تعرف ماذا أقول فيه ، وكيف أستطيع أن أتناوله بالنقد والتمحيص . ولو أنت صبرت حتى تعرف لأتاك البيان عما أنكرت وما عرفت من أخبار صاحبك ، التى وصفتها بأنها متلقفة من أطراف الكتب ، لاأقول بلا تمحيص وحسب ، بل أقول أيضا بالحرص الشديد على تتبع المثالب القبيحة، وبالحرص المتلهف على اجتناب المناقب الفاضلة ، وبالغلو الأرعن فى سياق المثالب وفى تفسيرها ، وفى تحليلها ، وفى استخراج النتائج من مقدمات لا تنتجها ، كما يقول أصحاب المنطق

وأنا أحب أن أخلع عنك مسوح الوعظ والإرشاد خلعاً لا رجعة بعده ! فتعال أيها الشيخ إلى غير واعظ ولا مرشد ! تعال حدثنى وأحدثك ، ودعنى ودعك من : « قال الله تعالى » و « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » فإنها فى زماننا هذا من مسوح المتدينين بلا دين ! دعنا نعرف الكتب التى بين أيدينا لا نرفع بعضاً ولا نضع بعضاً ، لأن هذه كتب تاريخ لا يوثق بها، ولأن هذه كتب أصحاب دين ووعظ وإرشاد يوثق بها ! ثم ننظر بعدئذ بالعقل المجرد ماذا يكون ؟ !

ودعنى أيها السيد أعيد عليك ما قلت فى مقالك : « ونحن نقر أن معاوية كان حسن السيرة على عهد عمر ، فولاه أعمال دمشق ، ولكنه قلب المجن للتعاليم الإسلامية بعد مصرع عثمان ... » ولا أسألك من أين علمت أنه كان حسن السيرة على عهد عمر ؟ ولكنى أسألك : ألست تعلم أنه قد نشب الخلاف بينه وبين على ؟ فتقول : نعم ولا بد . ثم أسألك : ألست تعلم أنه كان لهذا شيعة ولذاك شيعة ؟ فتقول : نعم ، ولابد . فأسألك : ألست تعلم أن كل شيعة قد غلت فى صاحبها وتعصبت له ؟ فتقول نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الأمر حين انتهى إلى معاوية واجتمع عليه الناس فى عام الجماعة إذ أسلم إليه الحسن أمر الخلافة — لم تزل شيعة على باقية فى الناس كشيعة معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الخلاف بين الشيعتين ظل مستمراً مدة بقاء معاوية ومن بعده ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الحسين بن على قتل فى عهد يزيد بن معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن مقتل الحسين وما تبعه من الحوادث فى عهد يزيد بن معاوية قد أوقد نار العداوة بين شيعة على وشيعة معاوية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن شيعة كل منهما قد انتشرت فى الناس بما بينهما من العداوة ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن من هاتين الشيعتين العالم والجاهل ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن كل عالم أو جاهل كان يحدث عن خبر شيعته وخبر شيعة عدوه ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك ألست تعلم أن هذه الأخبار ربما كان فيها الصحيح والسقيم والصادق والمكذوب كما يكون فى كل شيعتين متنابزتين ؟ فتقول : نعم

ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن الأمر سار على ذلك إلى ما بعد انقضاء دولة بنى أمية ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنها استمرت إذن على ذلك منذ سنة ٤٠ من الهجرة إلى وقت تدوين الكتب ، أى فى أواخر القرن الأول ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنه ليس فى أيدى الناس كتاب مكتوب قبل ذلك العهد ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أن طريق القوم كان هو الرواية فحسب ؟ فتقول: نعم ولا بد. فأسألك : ألست تعلم عندئذ أن العقل يوجب أن تعرف راوى كل خبر حتى تتبين من أى الشيمتين هو ؟ فتقول : نعم ولا بد . فأسألك : ألست تعلم أنه ظلم قبيح أن تأخذ الخبر لا تدرى من رواه ، فتطمن به فى أحد الرجلين ، معاوية أو على ، وأنت لا تأمن أن يكون كذبا صرفا ؟ فتقول : نعم ولا بد

فإذا صح كل هذا عندك ولم تشغب على فيه ، فإنى أراك رجلا صالحا ، فهل تظن ، ولا أقول هل تحقق عندك ، أن هذا الطعان فى معاوية وأهله ، قد ميز هذا كله قبل أن يكتب ما كتب ؟ فإن كان قد صح لك ، فأنا أحب أن أعلم كيف صح لك ، حتى أتبعك على الحق . وإن لم يكن صح عندك ، وهو لم يصح عندى بعد ، فدعنى عند قولى لك : أنا أنكر هذا كله وينكره المؤمنون من قبلى ، واذكرنى دائما بأنى لا أعد أمثال هذه الروايات المجردة من رواتها ، وفى مثل هذا الموضع المشتبه من المداوات ، شيئا يمكن أن أسلم به . فإنى لا أحب أن أستهلك عقلى فى العبث والجهالات. واعلم أنى لا أنقاد لما لا بينة عليه ، وأن للعقل شرفا لا يرضى معه بالتدهور فى مواطئ الغفلة وسوء الأدب . ولو أنت لم تعجل لكان البيان آتيك بعد قليل من الذى أستطيعه من دقة وما لا أستطيعه، غفر الله لك . أقولها خالصة من قلبى ، بلا مسوح وعظ أو إرشاد !

وأنا أخذتك من أهون المآخذ فى طريق العقل ، فهناك طرق أخرى أشق وأصعب فى تمييز هذا العبث لم أدفعك إليها ، وأرجو أن تصبر حتى تعرفها يوما ، أو أن تحاول أنت أن تصل إليها بما أوتيت من حسن العقل ، فإن المحاولة خليقة أن تفضى بك إليها . ولكن شرطها أن تدع العصبية لآراء الرجال ، وبخاصة إذا كان هؤلاء الرجال ممن يبنون أقوالهم على الغلو والتسرع وسوء الفهم ، وقبح المقصد ، ومعاندة الحق لهوى فى النفوس يعلمه الله وحده ، ولكن يدل مطلعه على أنه هوى . فإذا فملت استطعت أن توفر على نفسك مطالبتى بنقد الحوادث التاريخية التى رواها صاحبك « نقداً موضوعيـاً » ! ومع ذلك فسأفعل حيث كتبت كلامى ما يرضيك . ولكن على شرط أن أجد عندك ما أحب لك من حسن الظن فيك : أن تعرف أن النقد الموضوعى الذى زعمت ، ينبغى أن يسبقه التحقق من صحة هذه الحوادث تحققاً ينفى كل ظنة. وأستطيع أن أظن أنى قدمت لك فى هذه الكلمة ما يجملك تقف من هذه الروايات التاريخية ! موقف المتردد على الأقل، أنفة لعقلك وأدبك أن يزل حيث زل من دافعت عنه

أما الموضوع الذى نصبت له كلامى فى مجلة « المسلمون » فهو سب الصحابة ، وأظن أن الأستاذ يوافقنى على أن كلام صاحبك خرج أولا عن أن يكون تخطئة لمعاوية ، ثم خرج عن أن يكون طعناً فيه ، ثم خرج عن أن يكون سبا . خرج من هذه المراتب الثلاث إلى مرتبة رابعة ، هى أن معاوية برئ من الإسلام ، والإسلام برئ منه . فأدنى مراتب هذا القول أن يكون منافقاً ، وآخرها أن يكون كافراً بما جاء به الرجل الذى آمن به المسلمون وأمروا أن يسموه « رسول الله صلى الله عليه وسلم »

ومن العسير أن أكتب فى هذا الموضوع الآن دون أن أتوشح بذيل من ذيول « مسوح الوعظ والإرشاد » ، فليأذن لى الأستاذ قليلا أن أرد فضلة من الثوب الذى خلعت حتى أستطيع أن أوضح له :

زعمت ياسيدى أن لى رأياً ، فقلت إنى أثرت هذه العاصفة وحجتى الوحيدة : « أن كل صحابى رأى الرسول وسمع عنه قد اكتسب مكانة تحرم على كل إنسان أن ينتقد أخطاءه أو يظهر أغلاطه » . ويلك ! نسبت إلى شيئاً لم أقله قط كما ستعلم بعد . فلا تنس إذن أن مثل هذا جائز أيضا أن يكون وقع من مثلك قديما ، فنسب إلى معاوية شيئا لم يقله كما نسبت أنت إلى شيئا لم

أهله . ولكني كنت أحسن حظا من معاوية رضى الله عنه ، فإن كلامي مكتوب منشور ، أما معاوية ، فقد روى الناس عنه شيئا ذهب أصله ، لأنه لم يكتبه كما كتبت . صدقني ، فلست أدرى من أين فهمت هذا الكلام الذي ترجمته ؟ ولكن عذرك باد ظاهر ، فإن دفاعك عن صاحبك دليل على أنك على الأقل تفكر كما يفكر ، وهذه الطريقة هي نفسها طريقته التي أدعوك إلى فراقها حتى لا تهلك عقلك فيما لا يجدي. والذي قلته بعد الخطبة المنبرية التي زعمتها ، والتي بدأتها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا أصحابي ... » هذا نصه : « وليس معنى هذا أن أصحاب محمد رسول الله معصومون عصمة الأنبياء ، ولا أنهم لم يخطئوا قط ولم يسيئوا ، فهم لم يدعوا هذا ، وليس يدعيه أحد لهم . فهم يخطئون ويصيبون ، ولكن الله فضلهم بصحبة رسوله ، فتأدبوا بما أدبهم به ، وحرصوا على أن يأتوا من الحق ما استطاعوا ، وذلك حسبهم ، وهو الذي أمروا به ، وكانوا بعد توابين أوابين كما وصفهم في محكم كتابه . فإذا أخطأ أحدهم ، فليس يحل لهم ، ولا لأحد ممن بعدهم ، أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم . هذا مجمل ما أدبنا به الله ورسوله . بيد أن هذا المجمل أصبح مجهولا مطروحا عند أكثر من يتصدى لكتابة تاريخ الإسلام من أهل زماننا ، فإذا قرأ أحدهم شيئا فيه مطعن على رجل من أصحاب رسول الله سارع إلى التوغل في الطعن والسب بلا تقوى ولا ورع . كلا بل تراهم ينسون ما تقضى به الفطرة من التثبت من الأخبار المروية ، على كثرة ما يحيط بها من الريب والشكوك ، ومن الأسباب الداعية إلى الكذب في الأخبار ، ومن العلل الدافعة إلى وضع الأحاديث المكذوبة على هؤلاء الصحابة (مجلة المسلمون عدد ٣ ص ٢٤٧)

وأنا أكره أن أنقل كلاما لي من مكان إلى مكان ، ولكنك استكرهتني على نقله ، حتى لا يقع في عقل أحد من قراء الرسالة ، أني مستطيع أن أقول هذه المقالة المنكرة القبيحة بكل مسلم : أن للصحابة مكانة تحرم على كل إنسان أن ينقد أخطاءهم أو يظهر أغلاطهم . هذه ياسيدي كلمة قبيحة جدا ، وأقبح منها أن تجعلها ترجمة لكلام مكتوب باللغة العربية التي تكتب بها وتقرأ فيما أظن ، ثم تنسبها إلى امرئ يعرف حق الكلام ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده ، وما يوجبه اللفظ من المعاني ، وما يتناوله من دقيق الاستنباط . وأنا أشهد كل قارئ أني لم أقل ماقولتنيه ، وأدع له حق الحكم بيني وبينك أن يكون في كلامي حرف واحد يدل على أني أردت بعض هذا المعنى الذي ترجمته كما ترجم صاحبك تاريخ معاوية ومن معه من الصحابة وتاريخ سائر بني أمية . أفتظن أن قولي إنه لا يحل لأحد أن يجعل « خطأهم » ذريعة إلى سبهم والطعن فيهم معناه أنهم لا يخطئون ، أو أن أخطاءهم لا تنقد ؟ وأين ذهب عمري إذن ، إذا كنت لا أعلم أن الصحابة أخطأوا ، وأن علماءنا رضى الله عنهم ، قد بينوا أخطاءهم حتى فيما هو من أمور دينهم ؟ ولكن فرق كبير بين أن تذكر عمل الصحابي أو قوله ، وتأتي بالبرهان على أنه مما أخطأ فيه ، وبين أن تجاوز ذلك إلى الطعن فيه ، ثم إلى سبه ، ثم إلى إخراجه عن الدين ، كما فعل صاحبك . وهذا فرق ليس بالخفي فيما أظن ؛ ولا أظنك إلا تورطت فيه من شدة أثر صاحبك عليك ، حتى خدعك عما أنت خليق أن تكون من أهله . هذه واحدة أرجو أن تكون راجعا عنها منتفيا من سوء أثر صاحبك عليك فيها

وأخرى تبين فيها سوء أثر صاحبك عليك : وهي تحديدك ، فيما تزعم ، لمعنى « الصحابي » واستدلالك بالكلمة التي جاءت في الخبر عن عبد الله بن أبي « معاذ الله أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » . فهذه كلمة ذكرها ، يخشى أن تدور على ألسنة المشركين الذين لا يميزون مؤمناً عن منافق ، وكلهم عندهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، لا أن رسول الله يسمى المنافقين أصحاباً له !! وكيف وقد نزل عليه من ربه نفاقهم وكفرهم ، ونهاه أن يصلي عليهم ، وبينهم له بأعيانهم ، فمعاذ الله أن يسمى رسول الله أحداً من المنافقين الذين يعلمهم « صاحباً » . فمن سوء الأدب أن يقول مسلم : « فعبد الله بن أبي من أصحاب محمد كما ينطق الحديث » ! ومن قلة المعرفة بالعربية أن يقولها

قائل ، ومن التسرع البغيض أن يلجأ إليها باحث، ومن ضعف المنطق والفهم أن يحتج بها محتج . فهى حكاية قول يخشى أن يقولوه ، لا تسمية له باسم الصحبة . أعوذ بالله من الخطل ! ورحم الله العرب ولسانهم !

أما ما حاول الأستاذ أن يجمله تحديداً لمعنى الصحابى ، وهو ثلاثة أرباع مقاله ، فأظننى لم أفهمه ، ولم أدر ماذا كان يريد أن يقول ثم أخطأه . وأظن أنه أراد أن يقول فى كل ما كتب : أن الصحابى هو الذى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعه وآمن به ولازمه ومات على إيمانه ، ولم يرتد . ولم يشهد له رسول الله بنفاق أو لم يذكر فيه حكم خاص من رسول الله . وهذا حق ، إلا أن الأستاذ أدخل شرط الملازمة، وهو باطل من وجوه كثيرة ، لا أطيل بذكرها . ومع ذلك فإنى أؤكد أن معاوية ممن صاحب رسول الله منذ رمضان سنة ثمان من الهجرة إلى أن توفى بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول من السنة الثانية عشرة من مهاجره إلى المدينة . وأما أبوه أبو سفيان فقد ولاه صلى الله عليه وسلم نجران وصدقات الطائف ، ورسول الله لا يولى منافقاً !! وأما عمرو بن العاص ، فلا أظن الأستاذ يستطيع أن ينكر هجرته ومصاحبته وبلاءه فى الإسلام ، وأما هند فأسلمت يوم أسلم زوجها أو بعده بيوم فى سنة ثمان من الهجرة . وهجران الأستاذ لمعرفة تاريخ هؤلاء الأربعة ، عادة اكتسبها من الكتب التى يقرؤها ، كتب تكتب بلا بينة ولا حذر ولا معرفة

ولا أظن أنى قرأت كلاما لم أفهمه ، كالذى قرأته فى مسألة الصحابة ، وإن كان الأستاذ بالطبع يظن بكلامه غير ما أظن ، ولكنى أنصحه مرة أخرى أن يلتمس العلم فى كتب من يلتمس عندهم العلم . وإذا كان يخشى على دينه — ومعذرة ارتداء مسوح الوعظ والإرشاد — فليأخذ أمر دينه عن ثقة فى تمييز الصحيح من الزيف ، والحق من الباطل ، وليدع أصحاب الأهواء حيث رضوا لأنفسهم منازلهم من مزالق الهوى . وليستغفر ربه من الكلمة الكبيرة التى قالها حمية لصاحبه وغضباً أنه « قد يوجد فى القرن العشرين من هم أفضل بكثير من بعض من عاصروا الرسول العظيم » . والظاهر أن الأستاذ لا يعيش فى هذا القرن العشرين عيشة العارف البصير . والظاهر أيضاً أنه يحتاج إلى معرفة كثير مما خفى عليه من شؤون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أمر دين الله الذى أكمله للمؤمنين ، وأتم عليهم نعمته ، ورضيه لهم ولنا ديناً . ونصيحة أخرى إلى الأستاذ أن يضع عن يده عبء القلم ، فإنه ثقيل ثقيل . ولولا الحياء من أن أترك كلامه ومنطقه فى الكتابة ، بلا مجيب ، لخففت عنه ثقل الكتابة ، وثقل الفكر ، وثقل القلم جميعا ، بالصمت عما جاء به ودهوره فى أمور قلت معرفته بها ، ويعجز فكره عن معاناتها والسلام

محمود محمد شاكر

شعراء منهم أشعارهم :

عدى بن زيد العبادي

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٢ —

حين مات المنذر كان عدى رجلا شديدا ثقة يستعان به في جلائل الأمور وعظائمها ، وكان يعمل في ديوان كسرى ، وكان على صلة بالحيرة وما يجرى فيها . وقد خلف المنذر أبناء يرفعهم بعض الرواة إلى عشرة ، ويرفعهم آخرون إلى ثلاثة عشر ، ولكن السيدين المنظور إليهما فيهم جميعا هما : النعمان والأسود. وقد قدمت لك أن المنذر دفع بالنعمان إلى حجر عدى بن زيد وأهل بيته لتربيته وتقويمه . وأما الأسود فقد تولاه ، وأرضعه ، ورباه ، قوم من أهل الحيرة يقال لهم بنو مرينا ، كانوا أشرافا . وكان أولاد المنذر جميعا يقال لهم الأشاهب من جمالهم وبياض وجوههم . وقد قال فيهم أعشى قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذر الأشاهب(١) في الحيرة يمشون غدوة كالسيوف

ولما احتضر المنذر وخلف أولاده حار كسرى فيمن يعقد له أمر الحيرة ، وأراد أن يختبر أبناء المنذر ليرى أيهم أحق بهذا الفضل ، فبعث في طلبهم بمشورة عدى . ولما خلا بهم عدى — كما تروى كتب الأدب — أوصى كلا منهم بوصية مغشوشة مدخولة ، إلا النعمان فقد محضه القول وأخلص له النصح . ولما دخلوا جميعا على كسرى يأكلون ، كان النعمان في ثياب السفر ومتقلدا سيفه ، وعظم اللقم ، وأسرع المضغ والبلع ، وزاد في الأكل ، تبعا لوصية عدى ، على غير ما فعل إخوته ؛ فقد تباطأوا في الأكل ، وصغروا اللقم ، ونزروا . فأعجب كسرى بما فعل النعمان وولاه الحيرة

وأنت ترى من هذا ، ومما سبق ، أن فضل عدى بن زيد على النعمان بن المنذر سابغ . ولذلك لم يكن من العجيب أن كان صديق الملك النعمان ، وجليسه ، ونديمه ، في كل يوم لقيه وخطاب ، يخرجان للصيد معا ، ويرجعان معا . وارتفعت أسهم

(١) الأشاهب جمع أشهب وهو من غلب بياضه سواده

عدى ؛ فقد احتال للنعمان وولاه ، وغدا النعمان ملك الحيرة ، ورثها بعد أبيه المنذر . ولم يكن بنو مرينا ليرضوا عن النعمان ، فإنهم أرادوا ربيبهم ورضيعهم الأسود ملكا للحيرة ، ولكن تدبير عدى قرب النعمان من كسرى وأبعد الأسود

ويذكر الرواة أن النعمان كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدى بن زيد ، فمرا على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عدى بن زيد : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر؟ قال : لا . ما تقول ؟ فأخبره عدى أنها تقول :

أيها الركب المخبو ن(٢) على الأرض المجدون
كما أنتمو كنا وكما نحن تكونون

فانصرف النعمان وقد دخلته رقة ، فمكث بعد ذلك يسيرا ، ثم خرج خرجة أخرى فمر على تلك المقابر ومعه عدى ، فقال عدى : أبيت اللعن ، أتدرى ما تقول هذه المقابر ؟ إنها تقول :

من رآنا فليحدث نفسه أنه موف على قرن زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها ولما تأتى به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فدم(٣)
وجياد الخيل تردى(٤) في الجلال(٥)
عمروا دهرا بعيش حسن آمنى دهرهمو غير عجال
ثم أضحوا عصف الدهر بهم وكذاك الدهر يودى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى في طلاب العيش حالا بعد حال

فرجع النعمان وتنصر وكان من قبل يعبد الأوثان . وليس بعيدا أن يؤثر عدى في النعمان هذا التأثير ؛ فقد مضى بيان ما بينهما من صلات وثيقة ، وما قدم عدى للملك من جميل ، وكان عدى أكبر سنا وأعلم ، وكان له في نفس النعمان منزلة الوالد ، ولذا فليس من البعيد أن يتنصر على يد عدى . وقد تنصر أبناء بيته أيضا ، وبنوا البيع والصوامع ، وبنت هند بنت النعمان بن المنذر ديرا بظهر الكوفة ، يقال له دير هند

وقد أحب عدى بن زيد هند بنت النعمان على فرق ما بينهما في

(٢) المخبون : المسرعون . والخبب ضرب من السير ، وهو عدو بخطو فسيح نوعا

(٣) جمع فدام أو فدام ، وهو ما يوضع في فم الإبريق لتصفية ما فيه من شراب

(٤) تسرع وترجم الأرض بحوافرها

(٥) جمع جل وهو للحيوان (كالثوب للانسان) يقيه البرد.

السن ؛ فقد كان عدى أكبر من أبيها النعمان ، ومن شعره فيها
علق الأحشاء من هند علق(٦) مستسر فيه نصب(٧) وأرق

وفيها أيضا يقول :

يا خليلي يسرا التعسيرا ثم روحا فهجرا تهجيرا
عرجا(٨) بي على ديار لهند ليس أن عجتما المطي كبيرا

ويقول .

من لقلب دنف(٩) أو معتمد(١٠)
قد عصى كل نصيح ومفد(١١)
ليس إن سلمى نأتني دارها سامعا فيها إلى قول أحد

ويذكر أنه يصبي ظباء مترفات ، يرفلن في الدمقس، ويكفين شؤونهن ، وهن بنات كرام ، مطيبات بالعبير :

بنات كرام لم يربن(١٢) بضرة
دمى(١٣) شرقات(١٤) بالعبير رواد عا(١٥)
يسارقن م الأستار طرفا مفترا ويبرزن من فتق الخدور الأصابعا

ومن المقبول أن يكون قد سار حب عدى هند ، وعرفه الناس ، وتحدثوا به ، وبلغ النعمان شئ من هذا . ويحدثنا عدى أن سلمى (هند) مهما نأت دارها ، ومهما نهاه عن التعلق بها الناصحون أو اللاءون ، فهو لن يسمع إلى قول أحد . ثم هو كان يدخل بيت النعمان ، فكان يرى بنات كرام ممتلئات مطيبات بالعبير، وحين يدخل كن يسارقن النظر بطرف مفتر ، ويبرزن أصابعهن من فتق الخدور — ذلك لأنه كان يصبي الظباء النواعم المنشآت في الدمقس والحرير

والنعمان رجل عربي ، يحفظه أن يتعرض أحد لفتاته بذكر ، أو أن يقول فيها شعرا . وعدى قد تعرض وقد قال الشعر . ولا يبعد أن يكون النعمان قد عرف هوية عدى، وسمع شعره ، بطريقة أو بأخرى

وقد أجمعت الروايات على أن عديا صاهر النعمان . وأكثرها على أنه تزوج بنته هند . وقد دفع عديا حبه هند أن يلتمس الزواج بها . وقد تزوج بها ، وهى يومئذ جارية ، حين بلغت أو كادت . وقد طلبها إلى النعمان بطريقة خادعة ، وهى أنه صنع طعاما واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان فسأله أن يتغدى عنده هو وأصحابه ، ففعل ، وسقاه عدى ، فلما أخذ منه الشراب خطبها إليه ، فأجابه النعمان وزوجه ، وضمها إليه بعد ثلاثة أيام

ولم يكن هذا الزواج موفقا فيما يظهر ؛ إذ كان فارق السن بين الزوجين كبيرا ، فقد كان عدى أكبر من النعمان ، وهو قد قومه ورباه ، ومعنى هذا أنه كان في سن تجوز له أن يكون أستاذا كاملا جديرا بتهذيب وتقويم أولاد الملوك — ثم كبر النعمان ، وتزوج ، وأنجب . وبعد هذا كله جاء عدى يخطب إلى النعمان ابنته هند ، وهى جارية ، حين بلغت أو كادت . وجاء يخطبها بطريقة لا تليق بخطبة بنات الملوك ، فقد أسكر النعمان حتى أخذ منه الشراب ، وحتى أصبح لا يستطيع الاختيار ولا التصرف بمحض رغبته وملء إرادته ، ثم طلب إليه ابنته

وقد كان عدى شبب بهند ، وقال فيها الشعر ، وأعلن حبه ، وعصى الناصحين فيها ، فكأن الناس علموا بهذا الحب ، فمنهم الناصح ، ومنهم اللائم ، ومنهم الدساس المتربص

فكل الظروف التي أحاطت بهذا الزواج لا تهدى إلى التوفيق ، فالتشبيب بالفتاة في العرف العربي — والنعمان عربي — سبب يمنع زواجها ممن شبب بها وتغزل فيها ، ثم الطريقة لا تسوغ في عرف الملوك ولا غيرهم ، ثم فارق السن لا يستهان به وبأثره في الزواج الموفق

وقد يكون النعمان حين صحا من سكرته بداله غير الذي عقد ، وبداله أن الزواج غير متكافئ وغير جائز ، ولكنه قد ألزم نفسه بما قطعه عليها من قبول عدى زوجا لابنته هند، وهو قبول خير منه الرفض ، وبشاشة خير منها العبوسة والاكتئاب

وفي مثل هذه الظروف القاعة صحت الفتنة، أو هى تحركت، فقد كانت متيقظة من بعيد ، يوم انحاز عدى في ديوان كسرى إلى النعمان ، وفضله على سائر إخوته وبخاصة الأسود ، وعمل على أن يكون ملك الحيرة بعد المنذر ، ونجح فيما أراد واختار ، وأصبح النعمان ملكا ، وأصبح هو صديق الملك ورفيقه في التنزه بظهر الحيرة في طريقهما القابر ، غاديين رائحين

(للبحث صلة) محمود عبد العزيز محرم

(٦) عشق وهوى (٧) داء وبلاء وشر (٨) إعطافا وميلا
(٩) مريض حبا (١٠) مقصود إصابته (١١) من يفدى
(١٢) لم يسأن (١٣) جمع دمية وهى الصورة (١٤) ممتلئات
(١٥) فيهن آثر الطيب والعطر

الفوضوية الفردية أو الوجودية !

للأستاذ شاكر السكرى

الفردية مفهوم من المفاهيم الرجعية ، ومخالفة من المخالفات الانحلال ، وعامل من عوامل الهدم ، وهدف من أهداف التفسخ للشعوب ، وفوضية مجنونة ترعاها عقليات (هستيرية) !

كل ذلك مضمون واحد يجمعه تلك الفردية الانعزالية التى من شأنها أن تقوض الأسس التى تبنى عليها المجتمعات وتقوم عليها قوى الشعوب ..

إن الأهواء الذاتية التى تدفع هذه الزمرة البشرية (الشرهة) لكى تتخذ من هذه المذاهب الجنسية مبرراً يتيح لها بمقتضاه العمل على التخلص من المسؤوليات الأدبية ، والتحلل من الأهداف الأساسية للتكوين العام الذى يلم شمث العالم وينظمه كأسرة واحدة تجمعها روابط الأخوة والإنسانية ويسترعى انتباهها الاتحاد التام والعمل الوثيق من أجل بناء كيان يحفظ للشعوب المتحررة الواعية حرياتها وحقوقها وينمى قابلياتها ، ويحترم سيادتها ، ويصون اقتصادياتها ، كل ذلك والفردية الانهزامية تتجاهل العناصر التى قومت فرديتها المزيلة وجعلتها ذات (صفات خاصة) .. إن استخدام الأساليب الإباحية لضمان المواطف الفردية على حساب المجتمعات الجماهيرية تدفعنا للتفكير فى الواقع الذى يرى أن هذه المذاهب ليست إلا فرضاً من الأغراض التى بدأت تستخدمها السياسة وتسخرها فى كثير من الشعوب المسيطرة عليها .. والتى تخضع لنفوذ استعمارها لكى تشغل بها الأفكار ، مستغلة بذلك إعطاء المجال للمواطف الجنسية الجامحة ! أن تأخذ كامل حريتها فى تمثيل ماتهواه من التفكك والانحلال ! لتفقد بذلك السيطرة على نفسها والتفكير فى مصيرها وشؤون بلادها ، كما أنها تدعو لانعدام المسؤولية فى مختلف تطوراتها ، وهذا ما فطن إليه الاستعمار أخيراً وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . وبصورة خاصة فى البلدان الأوربية .. التى بدأت أذهان مواطنيها تتفتح للتفكير فى مصيرها ومستقبلها وضمان حرياتها ودعم كيانها واقتصادياتها ، على الأسس التى تكفل لها الرخاء والتقدم ..

وقد وجد الاستعمار الأمريكى والإنكليزى المجال الواسع فى كثير من دول أوربا الغربية ، تلك الدول التى أخذت تتجه اتجاهاً معاكساً للسياسة الاستعمارية . ولهذا الغرض وحده بذل الاستعمار الإنكليزى والأمريكى نشاطه لمكافحة ذلك الاتجاه ومعاونة المذاهب الانحلالية والعمل على ازدهارها ... ومثال ذلك المذهب الوجودى الذى تبناه الاستعمار فى فرنسا لشل الحركة الوطنية ، ليتمكن من تفريق القوى الجماهيرية . . وصرفها عن التكاتف والاتحاد للتعاون على توحيد الجهود والعمل الحثيث على رفع مستوى البلاد للمحافظة على استقلالها السياسى والاقتصادى ، ولغرض طمن الحركات الشعبية . إن الاستعمار يرقص طرباً عندما يشاهد الأكثرية المهوسة مدفوعة بمثل هذه (العقائد الفاسدة !) ليخلو له الجو لبث شباكه وربط البلاد بواسطة حكومات رجعية ضعيفة لتعمل بوحيه لتحقيق أمنيته ، كما هو الحال الآن فى فرنسا وكثير من الدول الشرقية خاصة منها البلاد العربية !

ولو نظرنا بإمعان إلى هاتيك المذاهب وأخص بالذكر المذهب الوجودى ، لرأينا أن الغاية المنشودة ، لا تعدو انعدام المسؤولية فى كل ناحية من نواحى المجتمع ! وجعل ذلك المجتمع أو تلك المجتمعات تتخبط بفوضى غاية فى الفظاعة والبشاعة ! لقتل النشاط الفكرى ووأد القابليات الإنسانية ، ومحو الذهنية الواعية وتوجيهها توجيهاً منافياً للقواعد الاجتماعية السليمة !

هذا هو المذهب الوجودى ، وتلك هى الغايات الخبيثة من ورائه ، أما أن هناك مذاهب فلسفية تعنى بفلسفة خاصة وتهدف إلى التعمق لمعرفة ما لا يمكن معرفته ، فهذا أمر بات غير ميسور فى جو مثل هذا الجو العالمى الذى لوثت السياسة آدابه ومعارفه ، وأضحت حتى الفلسفات فيه غاية تسخر فى خدمة السياسة وما تنشده من مطامع خسيسة !

ولست أعدو الحق إذا قلت إننا فى عالم انعدم فيه الضمير وأصبح لا يعرف غير كسب مغانمه مهما كلف ذلك من ثمن ! على حساب الشعوب وملايين من البشر ...

ولسنا ممن يروم نصب العداء وعرقلة أعمال العقل البشرى ما دام يسعى لتحقيق غرض أمثل وعمل أسمى

أما أن هـــذا العقل يسعى لأغراض لا تمت إلى الإنسانية والخير بصلة فمعناه أن العقـل مجرم أو أنه مريض غارق فى شذوذه وأفـكاره الـكسيحة التى كتب لها الموت قبل أن تـكون الحياة رائدها ..

كما أننا لا نتهاون فى أى وقت من الأوقات لمحاسبة (الأنا) الهاربة من الميدان ، أمام تأثير النزعة المكبوتة التى لم تجـد لها طريقاً فى الحيـاة الشعورية ، والحقيقة أن علم التحليل النفسى الحديث قد أثبت مبلغ ما تؤثره هـذه التصرفات وتخلفه من أمراض خطيرة تدفع المصابين بهـــا إلى نهاية غاية فى التعاسة والشقاء !

وقبل أن أختتم هذه الـكلمة أود أن ألفت نظر قراء (الرسـالة) الغراء إلى كلمتى القادمة بعنوان (الوجودية فى نظر التحليل النفسى !)

بغـداد شاكر السكرى

امرأتان عظيمتان
من دولة المغول

للدكتور محمد بهجت

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

وأما «ممتاز الزمان» أو «ممتـاز محل» ، واسمها الأصلى أرجومان بانو بيجم ففارسية الأصل أيضاً . ولدت عام ١٥٩٤ م أبوها عبـد الحسن بن اعتماد الدولة الذى عرف فيما بعد باسم «آصف خان» . التحق فى صباه بخدمة «أكبر» وبلغ مركزا فى عهد ابنه «جاهان جـير» ثم أرفع مركز وهو رئيس وزراء الإمبراطورية ، ومستشار الإمبراطور ، ومندوبه فى مفاوضاته الدبلوماتية ، وحامل لقب يمين الدولة — فى عهد «شاه جاهان» وقد رأينا فيما سبق كيف ساعد هذا الرجل «شاه جاهان» على اعتلاء العرش ، وكيف أصبحت ابنته «ممتاز محل» إمبراطورة من بعد عمتها «نور جاهان»

زوجت ممتـاز الأمير «كرام» عام ١٦١٢ م وعمرها إذ ذاك ثمانيـة عشر عاما . أما هو فكان يكبرها بأربع سنوات . فأحب كل منهما الآخر حبا عميقا ، صادقا قويا لم يرو التاريخ مثله رافقته فى جميع غزواته ، وقاسمته التشريد والحرمان ، وذاقت معه حلاوة النصر ومرارة الهزيمة ولاسيما فى أواخر عهد أبيه ، فكانت بحق الزوجة المثالية ، وكانت نعم الصديق والمرشد

كانت ملـكة جمال عصرها حتى لقد سماها بعض المؤرخين فينوس الشرق . ويظهر أن جمالها كان ينطوى على رقة متناهية وأنوثة جارفة ، وروح عذبة وادعة ، وسريرة صافية نقية ، وطبع هادئ وخلق رزين ، وبذلك بزت عمتهـا التى اتسمت بالمكر والدهاء ، وبالفروسية وغيرها مما يغلب فى طبائع الرجال . ومع هذا الجمال الهادئ الوادع حباها الله عقلا راجحا ، ورأيا صائبا ، وقريحة وقادة ، وذكاء نادرا فى غير خبث أو دهاء . وما كان زوجها الامبراطور يبت فى شأن من شؤون الدولة العامة إلا بعد أن يستشيرها ، ولا يقدم على أمر جسيم إلا بعد الاستئناس برأيها وظلت حاملة لخاتم الملك مدة طويلة إلى أن نزلت عن تلك الوظيفة لأبيها . ومع ذلك فإن الدور الذى لعبته فى سياسـة ومصاير الامبراطور لم يكن بارزا قويا ضخما مثل دور «نور جهان»

وكانت مثل عمتها سخيـة كريمة إلى أبعد حدود السخاء والـكرم ، لم تبغ من وراء ذلك شهرة أو كسب أنصار وأعوان ، بل فاقتها فى الحدب على الفقير ، والأخـذ بناصر المسكين والضعيف ، حتى لـكان قلبهـا الرقيق يتقطع حزنا وأسى لمجرد مشاهدة الفقراء والبؤساء ، وتبادر لتوها بمسح جراحات نفوسهم ببلسم رحمتها ، وندى كفها ، ورفيع إنسانيتها ، مما جعلها سيدة عصرها . وكم من مرة أنقذت أرواحا أمر الامبراطور بإزهاقها فى ساعة غضبه ، وردتها على أصحابها سعيدة شاكرة

ولا غرو إذا أحبهـا الامبراطور ذلك الحب الجارف الفذ ، وعندما اعتلى العرش زادت مظاهر حبه لها بما كان يغدقه عليها من الأموال والجواهر ، وما كان يبديه لهـا من وافر المحبة والاحترام فى الحفلات الخاصة والعامة . ويظهر أن شدة رغبته فى إسعادها جعلته ينفق بسخاء . بل ويبذر تبذيرا شنيعا أثر فى

خزينة الامبراطورية أسوأ تأثير . ففي احتفاله الأول بعيد النيروز (عام ١٦٢٨ م) أمر بعرشه الثمين فنصب في حديقة القصر اليانعة التي غصت بالزينة والتهاويل ، وحفت به زوجته وأولاده والأمراء والأميرات وكبار الحاشية وسط مظاهر الترف والعظمة التي لم تشهد مثلها دولة الموغول ، والتي كان يحرص عليها « شاه جاهان » كل الحرص ، وأراد أن يبلغ بها النهاية . وعندئذ تمطف وأطلق يده بالعطاء فخص زوجه بنصف مليون ربية ، وكل ابن من أبنائه الأربعة بمائتي ألف، وابنته الكبرى «جاهان آرا » بمثلها ، وابنته الصغرى « روشان آرا » بخمسين ألف ربية ، هـذا عدا ما أغدقه على حميه « آصف خان » وعلى بقية الحاشية

ثم إنه اندفع في إنشاء عدد وافر من الأبنية العظيمة التي تعد من أجل وأروع ما بني بالهند ، بل وفي العالم أجمع . ويظهر أنه حاول بذوقه الرفيع وموارد الامبراطورية الواسعة أن يأتي بما لم تأته الأوائل ، وأن تكون له قصور فخمة تتفق وعيشة الترف التي انتهجها وحرص على التوسع فيها لأبعد حدود التوسع . وكان من نتيجة ذلك أنه أخلد إلى الدعة ولذا ذات العيش والرفاهية ، ولم يعد يفكر في الغزوات وفي خوض غمار الحروب وإخضاع الثورات كما كان في صدر شبابه . أحب للسلم والبناء وكرس لها كل وقته وجهوده وترك شؤون الامبراطورية لوزرائه وأبنائه . ويظهر أن بعض المؤرخين ظلمه بقوله إنه كانت له القاجارية لم يكتف بهن بل راح يبحث عن خليلات أخر بين نساء أمرائه وحاشيته . ولكن يصعب تصديق مثل هذه الرواية إذا عرفنا مقدار حبه لزوجته الجميلة المخلصة الوفية التي لم يقو على فراقها يوما واحدا ، والتي لم يتزوج غيرها من بعد وفاتها . ثم إنه لم تشب سعادتهما الزوجية شائبة فكانا زوجين مثاليين

وفي عهده تطلع البرتغاليون إلى اقتطاع بعض أملاك الامبراطورية المغولية في شيء من القحة والجرأة ، وقامت سفنهم بأعمال القرصنة ضد السفن الاسلامية ، فضاق الامبراطور بهم ذرعا . ازداد سخطه عليهم عندما احتجزوا جاريتين من جواري « ممتاز محل » ، فأمر بطردهم من جميع أنحاء البلاد وتم له ذلك في وقت قصير بعد معارك طاحنة دمرت فيها جميع ممتلكاتهم

ومع أن حياتهما الزوجية لم تزد على ثمانية عشر عاما فقد أنجبت منه « ممتاز » أربعة عشر ابنا وابنة . وفي عام ١٦٣٠ م بينما كان « شاه جاهان » منشغلا بإخضاع حاكم قوي يسمى « خان جاهان لودي » خرج عليه ، ماتت « ممتاز محل » في مدينة برهان بور في ريعان شبابها وهي تضع مولودها الرابع عشر . وبموتها ماتت أحلام الامبراطور العظيم ، وتحطم صرح هنائه ، وبدأت نقطة تحول خطيرة في حياته فلم يعد يعبأ بنعيم الحياة ولذاذاتها ، حتى ولا بشؤون الامبراطورية ، وأصابه ذهول ووجوم لازماه إلى آخر أيام حياته . كان لا يفكر إلا في شريكة روحه ، ومنية فؤاده يذكره طلوع الشمس « ممتازا » ويذكرها لكل غروب شمس ، على حد قول الخنساء . وأخيرا فكر في أن يبني لها ضريحا يضم رفاتها المقدسة ، ويعبر عن مقدار وفائه لها ، بل كعبة يتجه إليها بقلبه وبصره ، يطوف بها وهو يناجي بعض نفسه التي دفنت تحت أطباق الثرى ، فحمل رفاتها بعد ستة أشهر من موتها إلى مدينة أكبراباد حيث أقام لها جنازة ملكية فخمة ومأتما عظيما حافلا ، وبعد ذلك نقلت إلى أكرا حيث دفنت في «تاج محل» . ألهم الحزن والحب والوفاء الامبراطور أن يخرج إلى الوجود تلك التحفة الفنية الرائعة التي تقص على العالم قصة حبه . اختار لها الرخام الأبيض الصافي صفاء قلبها وروحها ، وأضفى عليه من جمال الهندسة والزخرفة ما يتناسب مع جمال وجهها وجسدها . ثم بث في كل ذرة من ذراته كل ما أراد أن يقوله لو يعبر عنه ، أو أحس به . ولذا لم يظهر ذلك البناء بديعا فحسب.. بل كأنه يهمس بشتى المعاني السامية ، ويعزج من الأحاسيس الدقيقة العميقة . ومما زاده روعة قيامه وسط تلك الحديقة البديعة الرشيقة التي ما زالت على شكلها ورسمها الأصلي . لو اطلعت عليه في الضحى أو في ضوء القمر لخلت أنك ترى ممتازا نفسها ، بجمال جسمها وروحها مغلفة في غلالة من نور ، باسمة حزينة . إنه تمجيد لجمال المرأة ، ولكل ما فيها من صفات سامية

اختار له الشاه موقعا جميلا على نهر جنة الذي يخترق مدينة أكرا ، وحشد له الصفوة من المهندسين والخطاطين والنحاتين والمزخرفين والصياغ ، وكان أكثر هؤلاء من الأتراك والفرس،

بل ومن الإيطاليين أيضا . وبعد دراسات واسعة أمر بالبدء فى العمل عام ١٦٣١ م . ثم فتح باب خزانته على مصراعيها وأخذ ينفق على إخراجه ببذخ عظيم . اشتغل فيه عشرون ألف عامل لمدة سبعة عشر عاما على حد قول بعض المؤرخين ، ولكن يظهر أن الانتهاء من بعض الزخارف والمحسنات كان بعد ذلك التاريخ بدليل العبارة التالية التى نقروها على أحد أبوابه « كتبه الفقير الحقير أمانت خان الشيرازى عام ١٦٣١ — ١٦٥٣ حيث انتهى منه »

لا يمكن لإنسان أن يدرك جمال هذا الضريح على حقيقته إلا إذا رآه عيانا ووقع تحت سحره المتجدد ، وحين أن أذكر هنا أن الامبراطور أصر على أن يكون أنفس تحفة ، وأثمن أثر .. فكان باب المقصورة من الفضة ، والستار الذى بداخلها من الذهب الخالص ، تحليها أبدع النقوش ، كما كان باب المقبرة نفسها من الفضة أيضا . وكان على القبر ستر من الحرير المرصع بصحائف اللؤلؤ ، كما كانت تعلوه الماسة اليتيمة المعروفة باسم « كوهينور » وكل ذلك نهبه « الجات » عندما فتحوا أكرا

جاء هذا الضريح أبدع ما أخرجه « شاه جاهان » من أبنية عظيمة لا نظير لها فى العالم ، وبعد ما أتمه كان يجلس على الضفة الأخرى من النهر ساعات طويلة يتأمله فى خشوع وحزن . ثم إنه فكر فى أن يقيم لنفسه ضريحا فى نفس المكان الذى اعتاد أن يجلس فيه ، وشرع فعلا فى البناء ، ويرى أساسه قائما على ضفة النهر تماما ، وكان يزمع أن يبنيه من الرخام الأسود . وليته عاش حتى أتم هذا العمل الفنى الجميل الذى لا يستطيعه إلا « شاه جاهان » وفيما هو منصرف إلى البناء ثار عليه ابنه « علم جير » المعروف باسم « اورنك ذاتب » الذى استولى على أكرا وأسر أباه الشيخ الوقور الحزين وحبسه فى قصره الفاخر لا يخرج منه لمدة ثماني سنوات مات بعدها (١٦٦٦ م) والمعتقد أن الابن هاله ما رآه من إسراف والده ، وانصرافه عن شؤون الامبراطورية التى كانت على شفا جرف هار ففعل ما فعل ولكنه كان يعامل أباه بكل ماهو جدير به من عطف واحترام . ولم يضن عليه بكل ما كانت تصبو إليه نفسه

وقفت طويلا أتأمل فى أسى ذلك المكان البديع من القصر الذى قضى فيه الامبراطور العظيم ثمانية أعوام فى الأسر ، تشرف عليه وترعاه ابنته المخلصة « روشان آرا » ثم خرجنا إلى شرفة تطل على النهر يرى منها التاج بعيدا إلى اليمين ، ويتوسطها برج من الرخام الجميل ، رائع الصنع ككل شئ فى القصر ، بل وكل شئ بناه « شاه جاهان » وبينما أنا ذاهل من روعة البناء والذكرى أشار الدليل بإصبعه إلى قطعة صغيرة من حجر كريم لونها أحمر داكن ، لا يتجاوز طولها ثلاثة سنتيمترات وعرضها سنتيمترا واحدا ، مطعمة فى جدار البرج ، وطلب منى أن أنظر فيها ففعلت ، وإذا بي أرى صورة التاج منعكسة عليها كاملة من ذلك البعد العظيم !!! وفى تلك اللحظة شعرت بقلبي ينقبض شفقة على ذلك الملك البائس الحزين الذى قضى ثمانى سنوات يتطلع إلى قبر محبوبته من الشرفة ومن تلك القطعة الصغيرة !! بعد أن باعدوا بينه وبينها .. فياله من حب عظيم ، ووفاء نادر !! ومن يدرى ؟ فربما كان يتزود المسكين بآخر نظرة منه وهو يسلم روحه إلى بارئها

دفنوه فى قبر فخم إلى جانب قبرها تحت قبة التاج .. مع أنه لم يرد ذلك بدليل الضريح الذى وضع أساسه قبالة ضريحها على الضفة الأخرى للنهر . وكأنه لم يشأ أن يدنس هذا الهيكل المقدس جثمان آخر ، حتى ولو كان جثمانه هو

أثرت « ممتاز محل » بعقلها فى تسيير دفة الامبراطورية وأشرق جمال جسمها وروحها على العالم فترة قصيرة إشراقة الورد النضير ، فكانت المثل الأعلى للمرأة والزوجة . وأخيرا أثر موتها الباكر فى زوجها فخلد ذكرها بتحفة قلما يجود الزمان بمثلها ، وأهدى إلى العالم أعظم وأجمل رمز للحب والوفاء والإخلاص

محمد بهجت

مصلحة البساتين

مراجع البحث

١ — « حضارات الهند » تأليف غوستاف لوبون وترجمة الأستاذ عادل زعيتر

٢ — « الإسلام والدول الإسلامية فى الهند » تأليف محمد عبدالمجيد العبد

٣ — الامبراطورية المغولية تأليف س.م جعفر (بالانجليزية)

٤ — تاريخ مختصر لشعوب الهند تأليف تارا شاند (بالانجليزية)

٢ـ دعوة محمد

لتوماس كارليل
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

إعجاز القرآن :

إن الذي حبب القرآن إلى قلب العربي ، وجعله يترك دينه وما وجد عليه آباءه ، وما ورثه من قديم الزمان من تقاليد وعادات ، هي فضائله وأولاها فضيلة الإخلاص المحض الصراح ، فهذه الفضيلة تعتبر منشأ كثير غيرها من الفضائل ، لأن الإخلاص هو أساس النجاح في كل شيء . كما أن فيه نظرات نافذات إلى شؤون الحياة . وإني أرى في القرآن ميزة خاصة وهي قدرته العظيمة على أن يوقع في أذهاننا كل ما جاء فيه ويجعلنا نؤخذ به ، وهذا لاشك مرجعه إلى أن ما جاء به لا يقصد منه إلا إصلاح أمورنا والأخذ بأيدينا إلى الصراط السوي

أنا لا أهتم كثيرا بما جاء به القرآن من الصلوات والتمجيد والتحميد ، لأني أرى ما يقاربها في الإنجيل ، ولكني لا أملك نفسي من شدة الإعجاب بما جاء به من نظر ينفذ إلى أسرار الكون وبواطن الأمور التي تهمنا جميعا ، وخاصة فيما يحيط بنا من أسرار الكون العجيب الذي لا نهاية له . ذلك الكون الذي كان محمد إذا سئل أن يأتي بمعجزة قال . حسبكم بالكون معجزة عظمى « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » أنظروا إلى السموات وكيف بناها وزينها بالنجوم والكواكب وما لها من فروج .. وإلى الأرض التي خلقها لكم وبسطها وجعل لكم فيها سبلا تسلكون في مناكبها وتأكلون من نباتها وتتمتعون بخيراتها « والله جعل لكم الأرض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا » « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » « أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي » « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد . وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

وهذا السحاب المسخر بين السماء والأرض يسير في الآفاق ثم ينزل مطرا فيحيي الأرض بعد موتها ويخرج منها أعنابا ونخيلا ونباتا مختلفا أكله .. أليس كل هذا آية دالة على وجود الله وقدرته . وأن القرآن من الله لا من صنع البشر . « الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون » « وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها »

وهذه السفن وكثيرا ما يذكر السفن كأنها الجبال العظيمة المتحركة تمخر عباب البحار وتسير في موج كالجبال تنشر أجنحتها وتنتقل من مكان إلى مكان بما ينفع الناس « والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس » « والفلك تجري في البحر بأمره » « وسخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » « وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه » وهذه الأنعام المختلفة الأصناف خلقها لكم ترعى الكلأ ، ثم تخرج لكم من بين الفرث والدم لبنا خالصا سائغا للشاربين . « وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » « وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن

أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين » « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون »

وأنتم يأبناء آدم يامن تدلون بقوتكم وتفاخرون بقدرتكم ماذا كنتم ؟ إنكم لم تكونوا شيئاً مذكورا ، ثم خلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق، ثم جعل لكم جمالا وقوة وعقلا، ثم تهرمون وتضعفون وتهن عظامكم وتموتون ، فإذا جاء يوم القيامة عدتم إلى حياة أخرى ، أعادكم الرحمن الذى وهبكم الحياة الأولى . « ... فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى . ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لايعلم من بعدعلم شيئا» « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون » أليست كل هذه وغيرها آيات ناصعات دالة على قدرة الله وعلى أن هذا الكتاب من عند إله قوى قدير مدبر للكون ، يعلم السر والظاهر ويدبر شؤون المخلوقات ؟ إنه لا ينكر هذا إلا جاهل متعصب

الجنة والنار فى القرآن :

الجنة والنار من الموضوعات التى كثر ذكرها فى القرآن وهما رمز لحقيقة أبدية ، لم تصادف من حسن الذكر والعناية بالشأن كما صادفت فى القرآن . لقد ذكر القرآن الجنة وملاذها ونعيمها ، ومن هم الذين سيدخلونها « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » « إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون . متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين ... وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » « فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين » « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »

وذكر النار وشدة بأسها وعذابها تنكيلا بأهلها ، ثم ذكر من هم الذين سيدخلونها . جهنم المتغيظة التى لا تشبع أبداً التى وقودها الناس والحجارة . « إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميز من الغيظ » « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا » « إنها لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى » « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد »

وأما أصحابها فهم « الأخسرون أعمالا » الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا »

وأنت ترى فى أماكن كثيرة مقارنة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار وما يلقاه كل منهما جزاء ما عمل « هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع » . « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة » « إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم . إن هذا ما كنتم به تمترون » ، « إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون

من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين ، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم »

ثم يصور قيام الساعة ويوم الحشر إذ يجتمع الناس ليأخذ كل منهم كتابه الذى أحصيت فيه أعماله « فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول — فرحاً مغتبطاً بما نال من حسن الجزاء على ما قدمت يداه فى الحياة الدنيا — هاؤم اقرأوا كتابيه » « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول — حزيناً مهموماً قد فقد أمله فى النجاة وعلم أنه حقت عليه كلمة العذاب — يا ليتنى لم أوت كتابيه »

هذا اليوم الذى فيه تذهل الأم عن رضيعها والأب عن ابنه والزوج عن زوجته ، بل يتمنى الإنسان الذى أخذ كتابه بشماله أن يفتدى نفسه بأمه وأبيه وصاحبته وأخيه وكل من له صلة به « يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما. يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه » « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه »

ما ذا نرى من هذه الصور الواضحة والتصويرات القوية ؟ وما المقصود من هذا الإسهاب فى ذكر هذه الأشياء ؟ إن شيئاً واحداً هو المقصود بكل هذا التصوير المظيم للحقيقة الروحانية الكبرى أم الحقائق التى بنى عليها نظام المجتمع وحياة العالم . أعنى بها الواجب وجسامة أمره ، لأنه أمر خطير جسيم والحياة بغير واجب شيء لا قيمة له ولا شأن . إن كل هذه الأشياء التى ذكرت تبين لنا قيمة الإنسان فى هذه الحياة وأنه لم يخلق هملا حقيراً — وهذه القيمة نأخذها من جسامة ما ألقى على عاتقه من واجبات هو مطالب بها محاسب عليها — بل إن لكل مهما حقر ، عمل إنسانى له خطره وقيمته ، وله على هذا الجزاء والأجر « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما » « من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » ويتجلى لنا هذا القول ظاهراً قويا فى بعض أقوال محمد التى منها « إنكم لم تخلقوا عبثاً ولم تتركوا سدى » . فمن كان عمله سيئاً فله من السوء نتيجة أبدية — ألا وهى جهنم التى وصفت — ومن كان عمله صالحاً فله ثمرة صلاحه السرمدية — وهى الجنة التى وعد المتقون ..

إن الإنسان قد يصل بأعماله إلى أعلى عليين فيصبح رفيقاً للملائكة والصديقين والشهداء والصالحين . وقد يهبط بأعماله إلى الدرك الأسفل من الحياة ، فيصير ممن طردهم الله من رحمته وحرم عليه نعيم جنته التى وعد بها أصحاب الأعمال الصالحة

لقد كانت روح محمد ذلك الرجل الذى عاش فى الصحراء ، تلتهب بكل هذه الخواطر التى أوحى بها إليه ربه ، بل إنها نقشت على قلبه هى وبقية أجزاء القرآن الأخرى بأحرف من نور فصهرت نفسه الآدمية وأحالتها إلى روحانية صافية سمت إلى درجات العلى ... لم يكن محمد بالأنانى ولا بالمستأثر بالخير دون سواه ، فقد حاول أن يجعل من أصحابه صورة منه ، ومن تابعيه قوماً صالحين ليضمن لهم التلذذ فى الدنيا والآخرة . فحاول مخلصاً كل الإخلاص جادا كل الجد أن يصور ما يجول فى نفسه من خير للناس ويوضح لهم حقائقه ، فقدمه لهم فى تلكم الصور الباهرة التى منها صورة الجنة والنار ، بل واستطاع أن يبين لهم أى ثوب لبسته تلك الصور من الحقيقة ، وأى قالب صبت فيه حتى جعل هذه الصور كأنها مقدسة عند المسلمين مصدقة عند عامتهم وخاصتهم لا يقبلون فيها جدلا ولا يرغبون فى غيرها بديـــلا

يأخذ البعض على الصورة التى رسمها القرآن للجنة والنار ، تغلب الحسية والمادية ويقولون إن هذه الحسية قد أفقدت هذه الصور بهجتها وحدت من خيال السامع لأوصافها . ولكن فات هؤلاء أن الصور التى رسمها القرآن ليست حسية مادية — كما يقولون — ولكن القرآن روحانى سماوى فقد أقل جدا من إسناد الماديات والحسيات إلى ما صوره من صور وأن كل ما جاء فيه خاصا بهذه الصور وخاصة الجنة والنار إنما هو إيحاء وتلميح

لكن العيب على هذا كله يقع على الشراح والمفسرين الذين قاموا بتفسير ما جاء فى الكتاب المبين ، فهم الذين لم يتركوا متعة

شهوية ولا لذة حسية إلا حاولوا أن يلحقوها بالجنة ظنا منهم أن هذا يجذب الناس إلى الأعمال الصالحة التي تؤدى إليها . كما لم يتركوا عذابا بدنيا ولا ألما حسيا إلا حاولوا إسناده إلى النار ظنا منهم أن هذا هو أشد رادع لهم عن إتيان المنكرات

إن القرآن جعل أكبر متع الجنة روحانيا إذ قال : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » فأى شىء أحب إلى نفس الإنسان من الأمن والسلام ، إنهما فى نظر كل عاقل غاية ما يتمنى وأقصى مايسعى إليه ، وهما الشىء الذى يحاول الإنسان فى حياته أن يلتمسه ويصل إليه . ثم يقول فى مكان آخر « ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين » فأى رذيلة وأى عمل أشد خبثا من الغل والحسد اللذين هما مصدر المصائب والمحن والآفات والنقم . إنهما أساس ما يصيب العالم من الكوارث والمهلكات والحروب الطاحنة . فإذا نزع مافى الصدور من الغل والحسد ، صارت الحياة ... كأنما هى الجنة التى أرادها الله بل إن الجنة لا تفضلها فى شىء

إن السلام والأمن والتصافى كل هذه أشياء حفل بها هذا الكتاب الذى جاء من لدن حكيم خبير

عبد الموجود عبد الحافظ

التعليم فى مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

لابد للباحث فى حالة الإصلاح فى بلدنا هذا من أن يقف بين آن وآن برهة من الزمن ليراجع فيهـا الماضى وليدقق النظر فى الحاضر تعرفا لمـا كان، وتلمسا لما يكون، لعـله يتمكن بذكريات الماضى وعبر الحـاضر من رسم خطة سليمة للمستقبل . والتعليم فى مصر وهو من أهم أسباب نهضتها وأعظم عوامل الإصلاح فيها من الأمور التى يجب على المسئولين أن يراجعوا أنفسهم فيه بين فترة وأخرى حتى يتبينوا عيوبه فى الماضى ليتخلصوا منهـا فى الحاضر وفى المستقبل فى سبيل تنشئة جيل جديد يستطيع النهوض بالبلاد النهوض المأمول

إن السياسة العامة التى سارت عليها الحكومات المتعاقبة من زمن بعيد تمنى عنايتها الكبرى بنشر التعليم والإكثار من المدارس والمعاهد أكثر من عنايتها بأى شىء آخر ، حتى لقد تضاعف فى السنوات العشر الأخيرة عدد المدارس ، كما أصبحت لنا فعلا ثلاث جامعات تضم الآلاف من الطلاب . وهناك جامعة رابعة ينتظر أن تنهض بالعمل فى العام القادم بعد أن كانت لدينا جامعة واحدة . ولا شك أن نشر العلم بين النـاس عمل جليل مشكور بشرط أن يكون ذلك على أساس سـليم مثمر ، فى نظام يؤدى إلى التكوين الصحيح الذى يعرف به كل متعلم واجبه نحو نفسه ونحو معهده ونحـو مواطنيه ونحو بلاده . فهـل عرف متعلمونا اليوم واجبهم الحق وأدوه بعض الأداء ؟ الرد على ذلك فيما أذاعه معالى وزير المعارف السابق فى بيانه عن حالة المدارس الراهنة مما ملأ قلبه وقلب المصريين حسرة على ما أصاب معاهد التعليم من انتكاس وتدهور وفوضى يؤسف لها كل الأسـف . وعندى أن الأمر فى ذلك راجع إلى شىء واحد طالما نبهنا إليه فى مقالاتنا فى مجلة الرسالة الغراء التى لا تدخر وسـعا فى العمل للنهوض بأبنـاء هذه الأمة .. وفى تقاريرنا التى شرفنا برفعها إلى وزير المعـارف منذ أكثر من ربع قرن من الزمان من سـنة ١٩٢٣ إلى اليوم.. بل وفى مؤلفنا « التعليم والمتعطلون فى مصر » الذى سبق أن أصدرناه منذ ثلاثة عشر عاما والذى ذكرنا فيه فى صراحة وجلاء فى صفحات متعددة منه أن المدرسـة المصرية أهملت واجبها فى تربية تلاميذها وتكوينهم تكوينا خلقيا صحيحا.. وأن واجبهـا يقتضيها أن توجه عنايتها الخـاصة إلى ذلك ، لأن التكوين الخلقى هـو الدعامة الحقيقية للتنشئة ، وهو الذى ترعاه رعاية تامة كل الأمم فى تكوين أبنائها ، وهـو الذى وجهنا إليه الله تبارك وتعـالى فى وصف نبيه الـكريم بقوله « وإنك لعلى خلق عظيم » وهو الذى عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

نبهت مرارا وتكررا فى أكثر من ربع قرن من الزمان إلى ضرورة العناية بالتكوين الخلقى فى المدارس ، ورفعت التقرير

تلو التقرير إلى المسئولين ناصحا ومنبها ومنذرا، ولكن الجميع كانوا يبحثون مندفعين وراء المناهج ووراء العلم فقط دون الأخلاق .

ولقد جاء في تقريري المرفوع سنة ٢٨ إلى وزير المعارف لما بعث يسأل كبار رجال التعليم عن المناهج ما يأتي :

« ياصاحب المعالي : مشكلة التعليم في مصر مشكلة معقدة يهتم لها الشعب وتهتم لها الحكومة اهتمامها بأهم أمور الدولة ؛ لأنها أساس من الأسس العامة في بناء النهضة ، وفي نظري أن مسألة المناهج ليست أهم شعب تلك المشكلة ؛ فهناك نظم التعليم وما فيها من عيوب، وهناك المدرسون وكفاياتهم، وهناك التعليم في مجالس المديريات ، وهناك الارتباط بين التعليمين الأولى والابتدائي، وهناك مسألة تشجيع الكفاءات الخ الخ » . وجاء في هذا التقرير « لا أراني مغاليا إذا قلت إن روح المنهج الجديد هي بعينها روح المنهج القديم ، فالمدرسة الابتدائية وكذا الثانوية لا زالت منفصلة تماما عن البيئة المحيطة بهـا .. ونظرية حشد الأدمغة بالمعلومات البعيدة عن الحياة لازالت متجسمة في منهجها الجديد ؛ ولا زال كثير من التلاميذ يبغضون المدرسة وذكرها وكل ماله مساس بها، ولم يعمل المنهج الجديد شيئا في سبيل تحويل وجهة نظر التلاميذ والأهلين عن الوظائف والتوظف الخ الخ »

وجاء في مؤلفي سابق الذكر صفحة ١٩٣ تحت عنوان عيوب التعليم الحاضر ما يأتي :

« هذا والمعلم القديم الذي باشر العمل في المدارس المصرية منذ عشرين سنة ولا يزال يباشره إلى اليوم يشعر بالأسف العميق أيضا ؛ إذ يحس أن روح الجد والعمل من ناحية التلاميذ قد انقلبت إلى روح استهتار وقلة اكتراث وكسل يصحبها ميل شديد إلى الأخذ بأكبر نصيب من المتعة واللذة وحياة الطراوة والهزل، حتى حار فيهم المربون وضاقوا بهم ذرعا واستولى اليأس من إصلاحهم على قلوب الكثيرين ، وأصبحت الحالة لا تطاق بين جدران المدارس بسبب ما يوجد من الاستهتار والرعونة والخروج على المبادئ الأساسية المرعية بين التلميذ ومعلمه — وأن الفوضى التي تنتاب المدارس أحيانا من خروج على النظام والآداب وإتلاف لبعض أثاث المدرسة مما يتناول كرامتها وكرامة أساتذتها لما تحزن له النفس ويهلع له القلب، وهذه حالة ستؤدي حتما إلى تدهور خلقي أشنع مما تقاسيه البلاد الآن إذا لم تجد اليد القوية الحازمة الرادعة التي تضع الأمور في نصابها فتعيد إلى المدرسة كرامتها وتجعل أساس المعاملة بين التلميذ وأستاذه ومدرسته الاحترام الحقيقي المشوب بالعطف الأبوي .. يقابله في الوقت نفسه حب بنوي » هذا إنذار قدمته منذ ثلاثة عشر عاما للمسئولين فلم يستمع له أحد ، وقد تحقق اليوم مع الأسف الشديد ما تنبأت به . وعلاوة على ذلك فقد أفردت الباب الرابع كله في مؤلفي السابق الذكر لموضوع تكوين الأخلاق بالذات ، وأبنت فيه كثيرا مالتربية الأخلاق من قيم ونتائج ، كما رسمت فيه خطة للاصلاح الخلقي

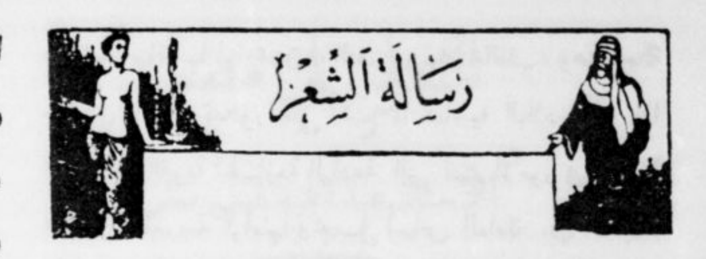
وإني لازلت أقرر — والحزن الذي ملأ قلب معالي وزير المعارف السابق وقلوبنا اليوم يملأ قلبي من سنين عديدة — أن الحالة المحزنة التي وصلت إليها المدرسة المصرية اليوم ترجع إلى إهمال العوامل النفسية والخلقية التي تؤثر أعظم التأثير في تكوين الناشئين . تلك العوامل التي نبهت إليها من زمن بعيد فلم يأبه لنصيحتي أحد فأصبحنا نقاسي اليوم نتائجها السيئة المريرة حائرين منزعجين مستفسرين متسائلين

أمرتهمو أمري بمنعرج اللوا   فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

لقد أصبحنا اليوم على أبواب بحث جديد في حالة التعليم بتجربة معالي حسونة باشا وزير المعارف وهو الرجل الذي يقدر الأخلاق الفاضلة حق قدرها ، ويشرف عليه ذلك الرجل النابغة الذي كرس حياته لبناء مجد الوطن رفعة علي ماهر باشا الذي تفخر به مصر كلها والذي أفخر شخصيا بأنه من بين مئات الكبراء المفكرين الذين أهديت إليهم مؤلفي سابق الذكر « التعليم والمتعطلون في مصر » كان الرجل الوحيد الذي تكرم بقراءته بعناية وأثنى عليه الثناء الجميل فكان ذلك مما شجعني على أن أعاود الكرة في الكتابة اليوم في هذا الموضوع الجليل . وفقه الله ووفق جميع العاملين لما فيه خير هذه الأمة إنه سميع مجيب

للبحث صلة

عبد الحميد فهمي مطر



تكريم صيدح بدمشق

«زار دمشق فى خريف عام ١٩٥١ شاعر المهجر الكبير الأستاذ جورج صيدح فأقام له — النادى العربى بدمشق – حفلة «تكريمية» كبرى جمعت العدد الأكبر من شعراء دمشق وأدبائها وشبابها المثقف، وها هى إذى قصيدة الأستاذ أنور العطار التى حيا بها صديقه الشاعر الأستاذ جورج صيدح باسم دمشق، تتلوها قصيدة المحتفى به فى حفلة تكريمه»

دارة العرب*

فلسطين ! يا دنيا الجادة والحب ... ويا مهبط الإلهام والحلم العذب

عليك سلام العرب يندى مواجعا ... ويشرب دمع العين غربا إلى غرب

تطوف بك الذكرى ويهفو لك الهوى ... كأنى فيك الجسم خلواً من القلب

بنفسى وأهلى أرضها وسماءها ... ويا لهفى للسهل منها وللهضب

حننا إليها وهى ملء ضلوعنا ... كأن رؤاها حائمات على قرب

فديتك لم أمعنت فى الهجر والقلى ... وعشت على صد وأسرفت فى العتب

ولم رحت لا تلوين إلا على النوى ... أمن أمل رحب إلى أمل نهب !

ديار الهوى لا زلت مخضرة المنى ... ترف على مغناك فينانة العشب

أراك بعين الحب طيفا مجسدا ... يقاسمنى كربى ويغفر لى ذنبى

فهل لفنا الماضى خيالا على المدى ... وألفنا كالهدب يلتف بالهدب

أيا روضة الأحباب لولاك ما ارتوت ... جفونى، ولا روتك بالهاطل الصب

ولا طاف بى التذكار حلوا كأنما ... أعيش به فى عالم مونق رحب

خيالك فى عينى وذكراك فى فمى ... وبى منك ما يغرى المحب وما يصبى

لأنت هوى قلبى الذى محضه الهوى ... وعلله بالوصل كالعاشق الصب

وما غبت عن طرفى وإن بعد المدى ... ولكننا فى الحب جنبا إلى جنب

وما ذكرتك النفس إلا تولهت ... وهيمها روح فماتت بلا لب

وإن بتذكار الديار علالة ... تروح عنها ما تعانى من اللهب

يهيج جواها الشوق والشوق عاصف ... كأن على أنفاسه زفرة النحب

فيالك ذكرى ملؤها الوجد والأسى ... مضرجة الأعطاف بالنوح والندب

دهتك من الدنيا كوارث جمة ... وألقت بك الويلات فى مزلق صعب

وما غير الأيام مهما تفاقمت ... بأعظم مما ذقت من فادح الخطب

أيغدو مطاف المجد نهبا مقسما ... ولا تغضب العرباء للنهب والسلب

وكانت إذا نابت ديارا أذلة ... تفجرت الأرواح بالسمر والقضب

حنانيك ربى ما ليعرب لم تفق ... وما خلقت إلا من الشب والهب

فما بالها إن هاجها البغى لم تهج ... وإن قرعت بالسب نامت على السب

أحقا توانت عن منازلة العدا ... أصدقا، وليت الصدق ضرب من الكذب

وهل غصب العادى ديار أحبتى ... وقرت نفوس العرب طوعا على الغصب

فصبراً على البلوى وإن جل أمرها ... وصبراً على الآلام والنوب الغلب

فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا ... وتزدهر الأعواد فى المهمه الجدب

ويمرع قفر عمه المحل والبلى ... كأنك منه فى نماء وفى خصب

ويرجع وجه السلم جذلان ناضرا ... بحرب تلف الأرض بالطعن والضرب

إذا لم يكن فى السلم خير ونعمة ... فما الخير إلا فى ممارسة الحرب

فبعدا لمن قد عاش فى الضعف والونى ... وتبا لمن لا يفيق من الرعب

إذا دهمته الداهيات تلجلجت ... به النفس وانهارت تقول له حسبى

ويا فوز من أسقى العدا أكؤس الردى ... ولم يعى بالأيام نكبا على نكب

يظل شديد البأس بالحق جاهراً ... ويختال فى وشى المخيلة والعجب

...

(*) من ديوان «وادى الأحلام» الماثل للطبع

يا حاديا إما تيممت أرضها   فعرج عليها وانثر الزهر فى الدرب

امل أصيحابي إذا مر ركبهم   يرون بنثر الزهر ما يزدهى صحبي

وطوف رباع الخلد تطواف عاشق   حبير الأمانى وابك بالمدمع السكب

وغن الحمى حتى يرق لك الحمى   وينصت مشتاقا إلى نغم الركب

أطل وقفة فى الدار والثم ترابها   فمن حقها أن تلصق الخد بالترب

وناج دماء أهرقت فى رحابها   وسلسل لها وجدى وصور لها حبى

وقل ياديارا مضها لاعج الأسى   وأسلمها الباغى إلى الهم والكرب

أيا طول شجوى إن خلصت إلى العدا   ولم ترجعى يادارة العرب للعرب

. . .

ويا «صيدحا» أهدى فلسطين قلبه   ورد الأذى عنها بعرقه العضب

وقدم أغلى الشعر مهرا لنصرها   وما شعره إلا من اللؤلؤ الرطب

إليك أؤدى بعض ما تستحقه   رفيفا من التحنان والنغم العذب

وأنت جدير بالدرارى فليتنى   أصوغ بيانى من سنا الأنجم الشهب

ألست الذى ناجى الخلود بشعره   ورفرف صداحا على الشرق والغرب

وعيتك فى أذنى نشيدا محببا   تغلغل حلوا فى السويداء من قلبى

أنور العطار

يامهد الصبا أين الصدى

أم النسور، تفرسى وتأملى   أعرفت وجه القادم المتهلل ؟

هذا فتاك إلى متى نكرانه   أو ليس فى لبد سمات الأجدل

ما عابه الجسم المهيض تبدلت   قسماته والقلب لم يتبدل

هو من بزاة العرب جشمه السرى   وأحاله صرف الزمان الحول

شرع القوادم للجهاد أسنة   عشرا، فإن يجهل عليه يجهل

ولوى الجناح على الخوافى عله   يخفى ضآلة ريشه المتهدل

الله يامهد الصبا، أين الصدى   يحكى متى أعيت لهاة البلبل ؟

غيرى ذكرت وقوفه وبكاءه   ياليتنى بين الدخول فحومل !

أغشى الحدائق أستميل غصونها   فتميل عنى كالرعيل الجفل

وأخالس الأزهار بعض طيورها   فتصدنى وتبثها فى الشمأل

ذهلت عن الصب الذى رضع الهوى   من ثديها، والصب لما يذهل

أعرضت عنها ثم جئت فأعرضت   حاشاك ياوطنى ترد السهم لى !

وأنا الذى قربت روحى للحمى   وسجدت فى محرابه والهيكل

بدم الشباب خضبت ورد رياضه   ورجمت أغسلها بدمعى المسبل

ما زلت أستجديه حتى رق لى   «بردى» ومد ذراعه فى الجدول

غنى وثنى شاديا ومرحبا   أيكون من خطباء هذا المحفل

. . .

لولاك يا نادى العروبة لم أقم   من عثرة الآمال جد مؤمل

حييت فيك أحبتى فأجازنى   نثر «المقفع» بعد شعر «الأخطل»

فكأننى أبصرت وجه (أمية)   وسمعت (معبد) منشدا و(الموصلى)

لامست فى الأدب المخدر يقظة   فتحت نواظره على المستقبل

بشرى لعشاق البيان أزفها   نفض التراب عن التراث المهمل

وتحفزت (لغة الكتاب) لوثبة   هدفت إلى النهج الجديد الأفضل

قد يصلح (العطار[1]) من شعرائكم   ما أفسدته سياسة المستعمل

ويقوم من علمائكم من يلتقى   وهو الأخير زمانه بالأول

إنى دخلت على عكاظ تطفلا   لولا قيام العذر لم أتطفل

شق التغرب فى الفصاحة شقة   بينى وبين الناطقين المثل

فإذا أردت الشعر يجمع بيننا   أرسلته عيا فلم أسترسل

أمضى وقلبى فى دمشق رهينة   أودعتها قلب الثرى والجندل

لغفرت للأيام الجراح لو أنها   شفعت بأختى من قضاء منزل[2]

فى جيرة الشهداء حلت منزلا   وأظنها أخذت تهيئ منزلى

جورج صيدح

(١) أنور العطار
(٢) توفيت فى دمشق أخت الشاعر عقب رجوعه من المهجر بأيام عديدة وقد قطع فى غيبته عن دمشق ثلاثين عاما



الافق الاعلى فى دراسة الهواء الجوى

تأليف الأستاذ عمر كامل الوكيل بك

ناظر مدرسة التعاون الإنسانى الثانوية بدمنهور
٢٠٦ صفحة من القطع الكبير .. الثمن ٥٠ قرشا

للأستاذ عبد القادر حميدة

قبل أن أتناول الحديث عن هذا المؤلف الذى بين يدى .. يجدر بى أن أتحدث قليلا عن البلد الذى لا بنى يقدم بين الفينة والفينة شاعرا عبقريا .. أو ناثرا فذا .. أو عالما جليلا .. أو رساما راسخا .. أو زجالا بارعا .. منهم من أتيحت له الفرصـة فخرج بفنه على الناس .. ومنهم من تصدت له يد القدر فحجبت إنتاجه عن أعين الناظرين ..

وذلك البلد أعنى به دمنهور . . دمنهور التى أهدت إلى دولة الشعر — بالأمس القريب — زعيما من أقدر زعمـائه .. وقائدا من أبر قادته .. أهـدت المرحوم أحمد محرم .. إلى قراء العربية عامة .. ومتذوق الشعر خاصة .. فوثب وثبته .. وصال صولته .. فاتجهت نحوه الأبصار .. وكانت بمثابة الأشعة النفاذة .. كشفت خبايا نفسه .. وأظهرت معالم أعماقه .. فبدت إنسانيته الرائعة تتحلى بها فرائد نظمه .. وليس لدى ما أقوله عنه أبلغ مما قاله هو فى نفسه من قصيدة يخاطب فيها أمه التى كانت تحاول أن تصرفه عن النظم

أماه لولا الشعر أنظم دره	ما كان لى هذا الثناء الطيب
سارت قصائده فأشرق مشرق	بسنا كواكبه وأغرب مغرب
هذا لسانى ما يفل حسامه	إن فل فى الروع الحسام الأشطب
كم شاعر ذرب المقالة غالب	غادرته فى القوم وهو مغلب

تلك هى سطور فى أحمد محرم .. أو أحمد محرم فى سطور .. وسأتناول البحث والاستقصاء عنه فى مقال خاص منفرد — فى القريب — على صفحات الرسـالة الزاهرة .. رحمه الله وحيا دمنهور التى أنجبته .. وأهـدت غيره من الشعراء أمثال: محمد محمود زيتون ، إبراهيم محمد نجـا — أبو القصر عبد الرحمن « شاعر الزعيم » — على قضيب

دمنهور التى أفعمت فى ميدان القصة الفنية القصيرة المركزة حشدا من الأقلام .. فملأت بطون الصحف اليومية والأسبوعية بالنـادر من الأفكار .. وبالسلس من الأسلوب .. أذكر من أصحاب هذه الأقلام على سبيل المثـال لا الحصر : محمد محمود زيتون ، إسماعيل الحبروك — محمد محمود دوارة — أمين يوسف غراب — عبـد المعطى المسيرى — محمد على الليثى .. ودونهم كثير

دمنهور التى قدمت فى العام المـاضى رسـامها العبقرى .. بهاء الدين الصاوى .. بلوحاته الرائعة .. ومعرضه الفريد .. الذى يشهد بروعته وإبداعه كل من شاهده فى دار الأوبرا الملكية .. وتشهد عليه المداليات التى نالها

دمنهور التى قـدمت كل هؤلاء — والتى تحفل بكثيرين دونهم ضربوا فى شتى نواحى الفن .. وساهموا بنصيب وافر فى نهضته — تقدم لنا اليوم . . الأستاذ عمر كامل الوكيل بك تقدمه لنا فى كتابه « الأفق الأعلى فى دراسة الهوى الجوى » والـكتاب كما ينم عنه عنوانه .. مؤلف علمى يبحث فى الـكون .. بيد أن القارئ لهـذا السفر يمكنه أن يأتى بتعبير آخر فيقول « إنه مؤلف علمى أدبى » ذلك لأنه جمع بين غزارة المـادة .. ورقة الأسلوب .. على غير ما تعودناه من مؤلفى الـكتب العلمية حيث يتقيدون بأمانة النقل والاصطلاحات الموروثة . . فتغدو مؤلفاتهم وقد افتقرت إلى أهم العنـاصر أثرا فى إرغام الطالب المطلع على المتابعة والتقصى .. ذلك لأنها خلت من عنصر التشويق .. وهو القوة الممغنطة المتبادلة بين القارئ والمقروء .. والتى ما من شك فى أنه — أى القارئ — سيقع تحت تأثيرها فيجذب إليه قسرا — والتأثير سابق للجذب — ليأتى على محتوياته . ويلتهم كل ما يحويه بين دفتيه دراسة وتمحيصا ...!!

ومؤلف هذا الكتاب — كما بدا لى خلال مناقشة أرناها مما حول هذا المؤلف — ممن شعروا بهذا النقص فجاء كتابه فقيرا منه .. متخما باللفتات البديعة المشوقة .. غنيا بالعبارة الرصينة السمحة .. وقد حرص على أن يمهد للشئ قبل أن يقدمه .. فاستطاع بذلك أن يشق به الطريق ممهدا إلى العقول والأفهام .!

إقرأ له « ص » (٥) حين أراد أن يقدم دراسة عن السماء :

« تلك هى السماء قبلة الدعاء . وباب الرجاء .. وملهمة الفلاسفة والشعراء.. ومستقر الملائكة ومعراج الأنبياء.. هبط منها الوحى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وهو فى حالة بالغة حد الحيرة والقلق ليقول له مطمئنا ومعلما « إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق » ويقول فى فقرة أخرى . « وللسماء يتطلع المظلوم شاكيا .. والمريض راجيا .. والظالم مستغفرا تائبا .. فماذا أنت أيتها السماء ؟ القوى والعاجز والصحيح والعليل .. والشاعر والعاشق .. والعابد الزاهد والمجرم الأثيم .. كلهم يحنون إليك ويتقسمون فى رحابك .. ويلتمسون العطف والرحمة عند بابك .. ولعمرى إن لهم فيك جميل التسلية والعزاء .. حيث وجدوا لديك كنزا من المعرفة ومتسعا من الرحمة والحنان.. وخلاصا من الشدة والبلاء .. فليس بعجيب أن يولى الناس وجوههم صوب السماء ابتغاء الدعاء.. أو طالبين المتعة الروحية أو المزيد من العلم والعرفان. ولكن العجيب أن يسير بعض الناس مكبا على وجهه مغمض العينين « وكأى من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »

هذا أيها القارئ من ناحية الأسلوب والتمهيد .. وهما كما ترى عاملان أساسيان شيد على قاعدتيهما صرح ذلك البناء الكامل .. وإنى لا أعدو الحقيقة إذا قلت إنهما الحافزان القويان على إيقاظ الشعور فى نفس القارئ .. ودفعه دفعا إلى الاستزادة من تلك المتعة الفكرية ليحلق فى عالم فسيح أطباقه وأغواره أدب ... !!

أما فيما يتعلق بموضوعات الكتاب فيكفيك أن تعرف أن مؤلفه صرف وقتا طويلا يدرس ويبحث ثم يستقرئ ويستنتج.. وظلما أغفل شاردة أو واردة إلا وتناولها بالفحص على ضوء معلوماته ودراساته .. وبهذا جاء الكتاب ناضجا من كل وجه . وقد استعان فى تأليفه بشذرات قليلة من أقوال ونظريات واقتراحات كتبها بعض علماء الطبيعة وفلاسفتها من أمثال : نيبولا Nepulau — كانت Kaut — لابلاس laplace سير جيمس جينز Sir jeams jeaus صاحب كتاب « الكون الغامض » — هـ.ن رسل h,n Russel — ليتلتون lyttleton — ج . ملار G-Miller — ب . م . بك B,M peek — ملتون Melton — تشامبرلين Chamberlain .. وقد عقب على نظرياتهم واقتراحاتهم بآراء زادتها وضوحا وجلاء وقربتها إلى المدارك سهلة مستساغة . وفى الكتاب فصول كثيرة ممتعة طرقها المؤلف خليقة بأن يجد القارئ فيها لذة وفكرا ومعرفة .. وحسبى أن أذكر منها : الكون — السماء — المجموعة الشمسية — الأرض — الشمس — القمر — المادة وتركيبها — الهواء — مولد الهواء — مكونات الهواء — ارتياد مناطق الجو — مناطق الجو — الحركة الوجية — النيازك أو الشهب — اللاسلكى — الصواريخ .. الخ ... وقد وفق الكاتب فى تناولها توفيقا يدعو إلى الإعجاب .. أما بعد : فهذا كتاب يعتبر فى مجموعه موسوعة علمية .. وقد كان يودى أن أوفيه حقه من الثناء لولا حرصى على ألا تخرج كلمتى من حيز « التقديم » إلى نطاق « الدعاية » .. وإنى لأدعو كل قارئ يدفعه النهم العلمى إلى التنقيب عن الجديد من الكتب .. أدعوه إلى مطالعته لما فى محتوياته أكثر من سبب يدعو إلى ذلك .. وإنى لأشعر بكثير من الفخر والغبطة إذ أقدم هذا المؤلف إلى من يريد أن يقرأه .. وإذ أعرفهم بعالم من دمنهور ينبغى أن يعرفوه ويقرأوا له .. كما أناشد الأستاذ الكبير عمر بك . أن يعجل بمولد « الجزء الثانى » من تلك السلسلة الطبيعية ليتسنى لكثير من الناس الإفادة منه فى فهم المسائل التى فاتهم تفهمها فى موسوعات العلوم الكثيرة ما استغلق على القارئين فهمه من مسائلها ..

دمنهور — عبد القادر حميدة



كلمة — سائر — وما يحيط فيها

اطلعت على ما نشر فى العددين ٩٦٠ و٩٦٧ من مجلة الرسالة الغراء حول كلمة سائر فأقول :

١ — جاء فى الصفحة ٦٤ من كتاب (فروق حق) أن (السائر بمعنى الباقى. قال الشيخ تقى الدين لفظ سائر بمعنى الجميع مردود عند أهل اللغة معدود من غلط العامة وأشباههم من الخاصة .. والالتفات إلى قول الجوهرى صاحب اللغة سائر الناس جميعهم فإنه لا يقبل ما ينفرد به . والحق أن كلا من المعنيين أى الجميع والباقى ثابت لغة كما ذهب إليه الجم الغفير من الأذكياء . والجمع الكثير من الفضلاء هو السؤر بالهمز وهى بقية الشراب وغيره)

٢ — وورد فى الصفحة ٢٣ من كتاب البحاثة اللغوى — محمد عبد الجواد ما نصه: سائر (أطالت درة الغواص وشرحها فى هذه الكلمة ولم يخرجا نتيجة واضحة . وقد وقفت على كلمة موجزة للبغدادى فى ذيل الفصيح ص ٤ أثبتها هنا لوضوحها وجليل فائدتها وهى: جاء سائر القوم أى بقيتهم مأخوذ من سؤر الإناء وقال الجوهرى سائر القوم معناه جميعهم وذكره فى باب الياء . أقول إن الصحيح أن سائر بمعنى جميع ولا يبعد أن يستعمل بمعنى جميع البقية ويكون من ذوات الواو مأخوذا من السور لإحاطته . اه والثمرة أن سائرا يستعمل أحيانا بمعنى الجميع وأحيانا بمعنى البقية كلها.. والمقام كفيل بإظهار المراد فتخطئة أحد الاستعمالين خطأ)

٣ — وذكر فى هامش الصفحة ١٦٠ من شرح السيد الشريف على السراجية مع حاشية العلامة محمد شاه الفنارى نقلا عن تهذيب اللغات للإمام النووى وتهذيب اللغة لأبى منصور الأزهرى وشرح أدب الكتاب لأبى منصور الجواليقى ما أعيد نقله بالحرف الواحد (قال الإمام النووى فى تهذيب اللغات قال الشيخ تقى الدين رحمه الله تعالى: استعمال سائر بمعنى الجميع مردود عند أهل اللغة معدود فى غلط العامة وأشباههم من الخاصة. قال أبو منصور الأزهرى فى تهذيب اللغة: أهل اللغة اتفقوا على أن معنى سائر الباقى قال الشيخ ولا التفات إلى قول الجوهرى صاحب اللغة سائر الناس جميعهم فإنه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط فى هذا من وجهين : أحدهما فى تفسير ذلك بالجميع، والثانى فى أنه ذكره فى فصل (سير) وحقه أن يذكر فى فصل (سأر) لأنه من السؤر بالهمزة وهو بقية الشرب وغيره — إلى هنا كلامه .

فعلى هذا التقرير لا يناسب أن يقول عن سائر ما عداه بهذا المقام لأن المتبادر منه على تقدير كون السائر بمعنى الباقى نفس الشئ بل المناسب أن يقول عما عداه كما لا يخفى لكن استعمال السائر بمعنى الجميع سائغ ذائع ، والغزالى استعمل السائر بمعنى الجميع فى مواضع كثيرة ولم ينفرد بها الجوهرى بل وافقه عليه الإمام أبو منصور الجواليقى فى أول كتاب شرح أدب الكتاب والشارح المحقق قدس سره تبعهما واستعمل السائر بمعنى الجميع ههنا ومعنى قوله عن سائر ما عداه عن جميع ما عداه)

هذا ولا أريد الآن أن أستقصى أكثر من ذلك

أحمد الظاهر

خطآن لا يغتفران

وقعت الأهرام فى خطأين اثنين لا يحسن السكوت عليهما وإن كان بعض كبار الكتاب ينساق انسياقا إليهما :

فأما الخطأ الأول فقد وقع فى عنوان مقالها المنشور فى ١٢ — ٢ — ١٩٥٢ وهو « معنى الكبرياء القومى » أى بتذكير كلمة « الكبرياء » مع أنها مؤنثة . وبما أنه لم يشر إلى تصحيح هذا الخطأ أحد من حضرات من نصبوا أنفسهم لهذا الغرض النبيل فإنى أستأذنهم فى التنبيه إليه مشيرا إلى قول التنزيل الحكيم « وتكون لكما الكبرياء فى الأرض » فقد أنث الكبرياء حتى مع وجود فاصل

وأما الخطأ الآخر الذى كان حافزا لى على تصحيح الخطأ الأول فقد وقع فى مقال الأهرام المنشور فى يوم ٢٣-٢-١٩٥٢ إذ وردت به هذه العبارة « إن حكومة المحافظين لا تكاد تنقل

قدما إلا وتؤخر قدما ». وهذا التعبير خاطئ لا يفيد معنى التردد الذى تمنيه الأهرام بل هو يفيد العكس تماما فتقديم قدم وتأخير القدم الأخرى يفيد الإقدام لاالتردد .. لأن السير الطبيعى يقتضى حتما تقديم رجل وتأخير الرجل الأخرى ، فكيف يستمار هذا السير الطبيعى للتردد ؟ لعل الأهرام ظنت أن كلمة « أخرى » الواردة بالمثل المعروف « أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى » نعت لكلمة « رجلا » المحذوفة ، وهذا الظن أيضا يجانب الصواب ، والصحيح أن كلمة « أخرى » نعت لكلمة « تارة » المحذوفة ، والتقدير « أراك تقدم رجلا تارة وتؤخرها تارة أخرى » . وكان حريا بالأهرام إذن أن تقول « لا تكاد تنقل قدما إلا وتؤخرها » وأذكر أنى نبهت إلى هذا الخطأ الذى وقع فى كلمة نشرتها الأهرام لكاتب ألمى بها منذ أكثر من عام . وإنى وإن كنت من أنصار التيسير لا يمكن أن أستسيغ هذا الخطأ الكبير

عبد الحميد عمر

لمن هذا الشعر ؟

كتب الأستاذ محمد منصور خضر فى الرسالة الغراء فى العدد ٩٧٣ يسأل عن قائل هذا الشعر

نديمى غير منسوب إلى شئ من الحيف

ويذكر أنه وجده فى كتب التصوف ومنها طبقات الشعرانى منسوبا إلى الحلاج فى حين أنى نسبته إلى الحسين الضحاك فى كتابى « نديم الخلفاء » سلسلة اقرأ عدد فبراير سنة ١٩٥٢ ويطالبنى بأن أذكر روايتى له

وإنى أشكر للأستاذ محمد منصور هذا الاهتمام وتلك العناية بالبحث والاستقصاء ، وقبل أن أشير إلى المصادر التى اعتمدت عليها أذكر أننى قلت فى أحد فصول الكتاب عن مجموع شعره أن كثيرا من شعر الحسين بن الضحاك نسب إلى غيره

وليس هذا الشعر الذى ذكره الأستاذ محمد منصور هو وحده المتنازع فيه فى الكتاب أيضا شعر وقع فيه التنازع

وأول مصدر رويت فيه الأبيات — التى يسأل عنها — للحسين بن الضحاك هو كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى ترجمته فى الجزء السادس طبعة دار الكتب . والمصدر الثانى محاضرات الراغب الأصفهانى ج١ ص ٣٣٣ . والمصدر الثالث ديوان أبى نواس رواية حمزة بن الحسين الأصفهانى المطبوع فى ص ٧ ولم يذكر إلا البيت الأول وقال عنه : مما أضيف إلى أبى نواس من شعر المراقبين قول الحسين بن الضحاك الخليع ... الخ والمصدر الرابع هو كتاب أخبار أبى نواس لابن منظور ج ١ ص ٢١٨ وفيه نسب الأبيات لأبى نواس ثم قال : وتروى هذه الأبيات للحسين بن الضحاك الخليع

هذا من ناحية الرواية والمصادر — أما من ناحية التحقيق فإن الحسين بن الضحاك توفى سنة ٢٥٠ هـ وأبا الفرج صاحب الأغانى ولد سنة ٢٨٤ هـ والحلاج قتل سنه ٣٠٩ فأبو الفرج إذن كانت سنه خمسة وعشرين عاما يوم مقتل الحلاج فهو معاصر له . وما يسمونها فتنة الحلاج كانت مشهورة لا تخفى على أبى الفرج لأنه كان متصلا برجال الدولة ومولعا برواية الشعر والأخبار

وللتوفيق بين ماذكره الشعرانى فى طبقاته وكتب التصوف وبين ماذكرته كتب الأدب أقول إن الحلاج كان يحفظ هذه الأبيات فتمثل بها حينما خرج يتبختر فى قيده ، وذلك منه ومن غيره كان كثير الحدوث. وظاهر أن الأبيات وقصتها هى لصاحب الهمزية فى وصف الخمر العتق وبنسبتها إليه أولى وعلى كل حال هناك جملة لا تحصى من الشعر العربى متنازعة.. وعندى من أمثلتها مئات النماذج . ويجد الأستاذ محمد خضر مثلها مئات

عبد الستار أحمد فراج



انتحار

للكاتب الفرنسي جورج مورفير

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه يدرك الإنسان المعنى الذي تنطوي عليه كلمات فلوبير : هناك بقاع في العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن سان رومانو وا أسفاه تشبه أيضا غرة لمة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذي يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس ... ففي جنبات المدينة تقابلك الوجوه الذاهلة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفة ... وفي كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : ألا ليتني وضعت على رقم ١٧ ! ... آه من هذا الأحمر الملعون ، لقد كسب عشر مرات متوالية ، وبالرغم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن في البلد كله من يلقي أدنى التفاتة إلى المناظر الساحرة الأخاذة التي تنبث فيه . كانت الأرض عندهم « روليت » ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و ٤٠ و ٥٠

وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغاً لم يكن جد كبير، غير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نومي ذات صباح كيلا أجد معي سوى اثنى عشر فرنكا مع أني مدين لصاحب المنزل الذي أقيم فيه بخمسة عشر فرنكا ؛ ولذلك اختبرت مسدسي فألفيته يزخر بست رصاصات قواتل كانت في ظني كافية لتمزيق رأس فارغ كرأسي

وفتحت نافذتي . كان « صباحي الأخير » رائعا جميلا .. فالسماء زرقاء صافية، والأمواج خضراء هادئة ، والنسيم يعبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطئ لأملأ صدري المنفعل بهذا النسيم النقي الفواح ... بيد أني كررت عائدا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعا شديدا ، وفي أثناء عودتي ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية، وهي صحيفة مثيرة، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها أثناء الطعام فاسترعى نظري عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بخاطري دون أدنى انفعال : « هنا سيعلن خبر موتي أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفا محرر هذا الباب الذي سيعلن نعيي في هذه الصحيفة

وعلقت عيناي بخبر انفرد بعلامة الصليب في صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو جاكوبسن — أمريكي الجنس معلقة في إحدى شجيرات النخيل الذي ينمو على الشرفة وقد وجد في جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك طبعاً »

جوسو جاكوبسن ؟ إني أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنباً إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معه رأيته يتنهد في عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدي وهزها بحرارة ونظر إلي بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماما ... وداعاً ياصديقي » ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يعثروا في جيبه على ثلاثة آلاف فرنك وماذا تعني بحق الشيطان هذه الكلمة « طبعاً »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق.. يالي من غبي! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل ... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا المال في جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسباب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائي رحت أفكر ! كم ياترى يدسون في جيبي إذا حزمت أمري وانتحرت على مقربة من الكازينو ؟ لقد خسرت بقدر ما خسر جاكوبسن ... وسربت إلى رأسي فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتاً ؛ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق وأكدت له أني سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :

هذا إذا بقيت حيا ..

— إنا نثق فيك كل الثقة ياسيدي

— إذن فأقرضني مائة فرنك حتى المساء ... إني أنتظر

وصول مال من باريس

— بكل سرور ياسيدى

وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت — بروية وإمعان — خطة السير فى انتحار يعود على بربح وفير

وفى مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابى وقد أبنت للملإ أنى جئت أجازف بآخر ما بقى لى ... وأنى سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت المائة فرنك ... فبدا على الانزعاج فى بادئ الأمر.. ثم انقلبت أعمل غاضبا حنقا ... وأخيراً بدوت كالذاهل المأخوذ

ورثى لحالى شاب قامت بينى وبينه معرفة ، وسألنى ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أنى أفلست، فأخذ يواسينى ويخفف عنى ثم قال :

— لا تيأس فما زلت تملك نفقات السفر إلى وطنك . إن الكازينو — فى هذه الحال — يتطوع ... فقاطعته بيأس قائلا :

إن السفر الذى أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة » فنظر إلى مشدوها وقال :

لا أحسبك جادا فى هذا القول ... آمل ألا تكون قد جننت فظللت صامتاً ، ثم أدرت له ظهرى ورحت أجيل بصرى ذاهلا فى أرجاء المكان بضع دقائق .. وقد لمحت أصحاب « الكازينو » يراقبوننى من طرف خفى . وانفرط عقد اللاعبين فى الساعة الحادية عشرة ، فقفوت أثر الخارجين بوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلقى بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعى أصوات كان حنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجملت وجهتى — وقد أجمت أمرى — حرجا قريباً من الكازينو، بقمة هادئة تمد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذى أزمعته ؛ وكان ثمة تمثال من الرخام لغانية من غوانى البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدورى

ودوت فجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد المقاعد فى وضع مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات وسقطت على عينى المسبلتين ظلال المقبلين

— يا إلهى ! إنه هو ...

— يالمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين معاً

وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم ... أسرع قبل أن يرانا أحد . تبا له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوق فشعرت كأنما اندس شئ فى جيبى

هنالك ارتعدت قليلا ... وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عينى ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى بعناية وحرص ناظراً فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد حولى . وفى عدم اكتراث محنق أخذت قبعتى والمسدس الذى كان مازال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفاً

وكان المحتشدون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام ... وقلت فى غضب:

— عجباً لكم ياقوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب منى أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال فى تلعثم واضطراب :

— سيدى الفاضل ... أرجو ... هل ... إذا ... ماذا تقصد بهذه المهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتعكيرك الأمن

— لتعكيرى الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت المجمع ظهرى واتخذت سبيلى ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديونى من الآلاف الثلاثة التى أخذتها مقابل قيامى بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهود لاستعادة المال، ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إعادته إذ اعتبرت أن هذا المال من حق ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمناً كبيراً لانتحارى

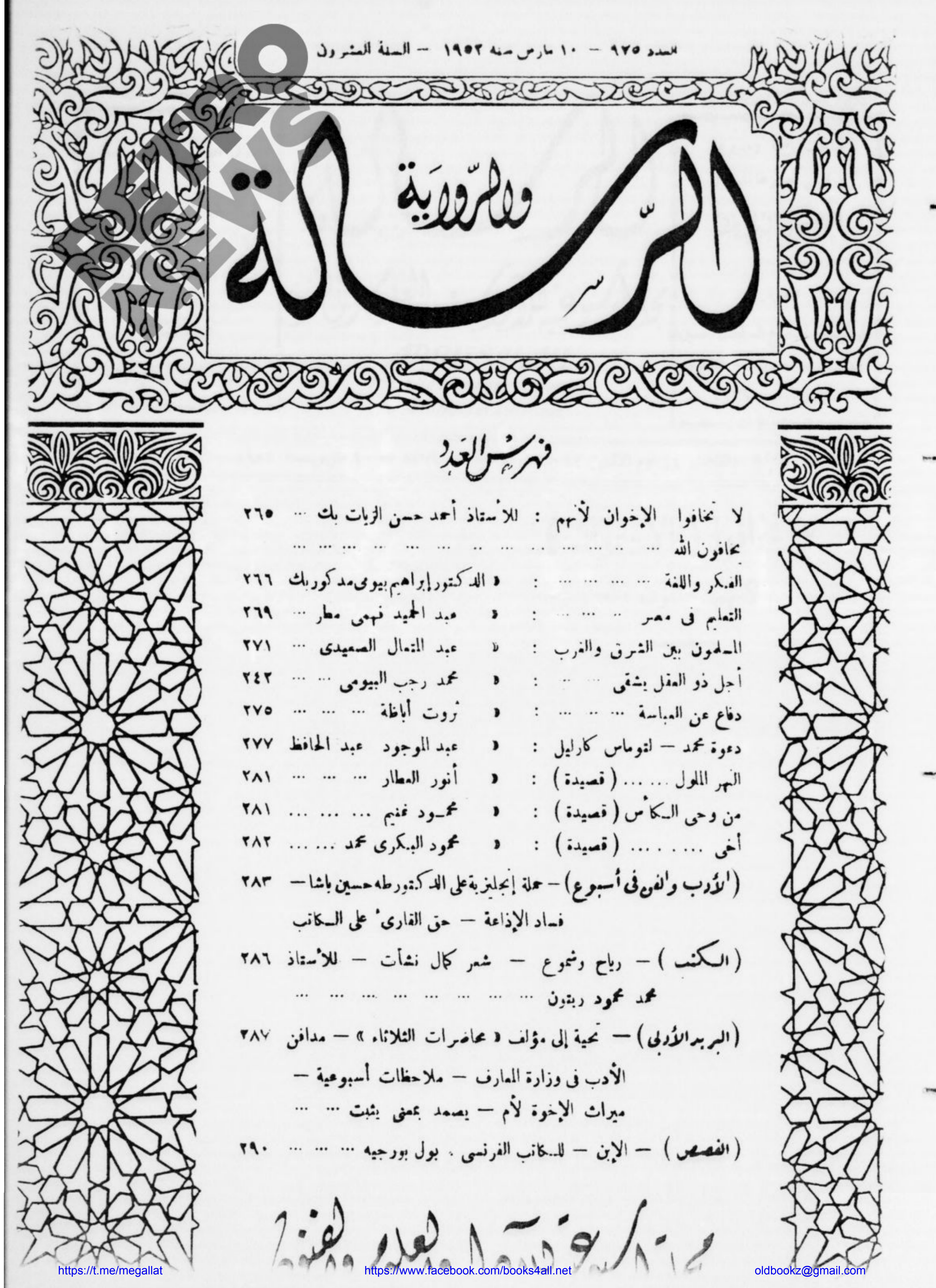
وقد عمدت إلى إغاظتهم ببقائى فى سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس

وقد سمعت أن المبلغ الذى دس فى جيبى قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

م . ع

مطبعة الرسالة

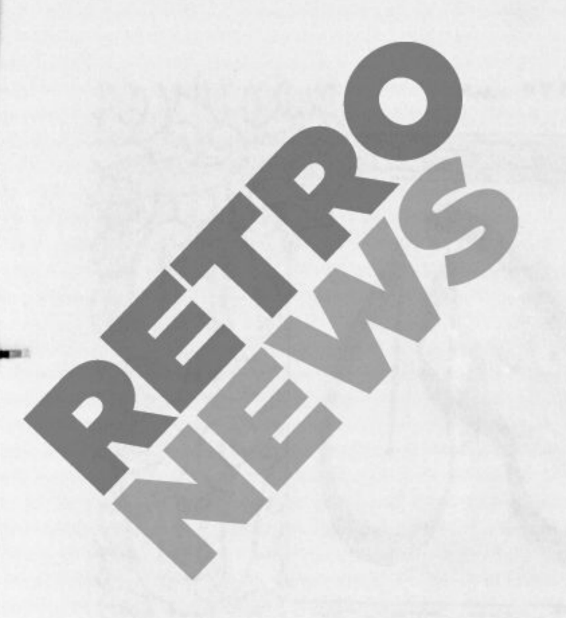


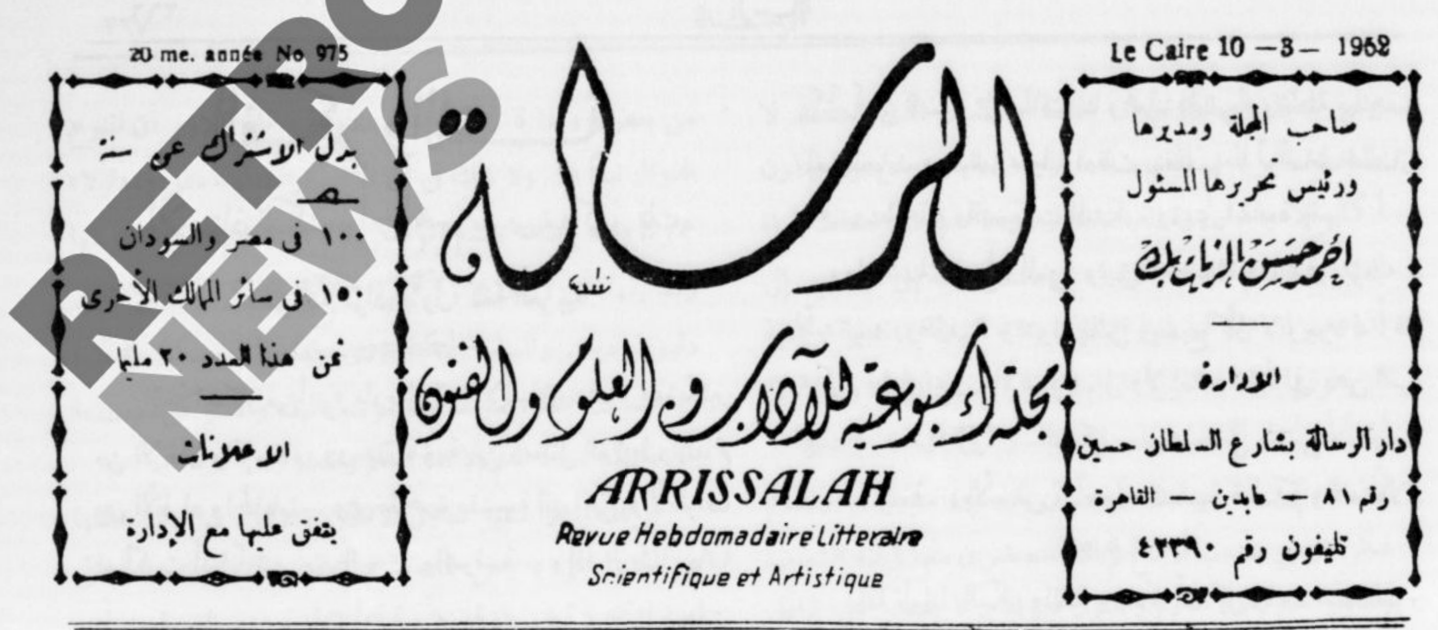


العدد ٩٢٥ — ١٠ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الرسالة والرواية

فهرس العدد


RETRO
NEWS


20 me. année No 975

Le Caire 10 - 3 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات بك

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ - ١٠ مارس سنة ١٩٥٢» - السنة العشرون

لا تخافوا (الاخوان)

لأنهم يخافون الله

الفكر واللغة

للأستاذ الدكتور ابراهيم بيومى مدكور بك
عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

اللغة ابتكار من أبدع ما وصل إليه الإنسان، وأداة تمتاز بكثير من الإتقان والإحكام، ووسيلة ناجعة من وسائل الترابط والتفاهم بين الأفراد والجماعات . وهى ظاهرة متشعبة النواحى والأطراف قد أثارت ألواناً شتى من البحث والدراسة . وإذا تركنا جانباً ما يتصل بها من دراسات أدبية ونحوية وصرفية ، فانها وجهت إلى بحوث أخرى متعددة

فعرض لها علماء وظائف الأعضاء ليعرفوا كيف تؤدى ، ويبينوا أعضاء النطق والصوت، ويوسعوا فى اختصار الجهاز العضوى للغة . وعالجها علماء النفس لما رأوا من صلة وثيقة بين العمل الذهني والدلالات اللغوية . وعنى بها علماء الاجتماع مبينين نشأتها وتطورها ، ومقارنين بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة ، ومعلنين أن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل ومؤثرات ، ونظر إلى اللغة أخيراً على أنها جزء من التاريخ يسجل الماضى ، ويحكى الأحداث، بل هى نفسها قطعة تاريخية متحركة يجب درسها وبحث معالمها

ودون أن نعرض لهذه النواحى المتعددة ، نود فقط أن نوجه النظر إلى ما بين الفكر واللغة من صلة . وفى هذه الصلة ما يلقى كثيراً من الضوء على مناقشاتنا وعملنا المجمعى ، وخاصة فيما يتصل بالمصطلحات ووضعها ، والمترادفات وقيمتها ، وألفاظ الحضارة وتجددها ، والتعبيرات المبتكرة ومدى الحاجة إليها

ولا شك فى أن المعنى وثيق الصلة باللفظ الذى يؤديه ، لأنه ثوبه ووعاؤه ، وبدونه يضل ويصبح كأن لا وجود له . فلا يمكن تبادله بين الأفراد ، بل ولا استحضاره فى ذهن الفرد الواحد . وقديما قالوا : التفكير حديث نفسى . ومن هنا ارتبط التفكير باللغة ، وبالأخص فى صوره السامية كالحكم والاستدلال

* * *

وإذا تأملنا الفكر واللغة وجدنا أن كل واحد منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به . فاللغة فى نشأتها تخضع إلى مدى بعيد للنشاط الذهنى والميول والاتجاهات النفسية . وما لغة الأطفال إلا حركات وإشارات تبعث عليها غرائز واستعدادات ، يدفع الطفل يده إلى الأمام مشيراً إلى التقدم إلى الخلف ، أو مشيراً إلى التراجع، وكل تلك حركات تعبر عن انفعالات داخلية. ولا تلبث هذه الحركات أن تتحول إلى إشارات ، والإشارات إلى أصوات، والأصوات إلى ألفاظ وجمل . وبذا تنشأ اللغة فى تدرجها الطبيعى، وتقوم على أساس سيكلوجى

لم يؤثر الفكر فى نشأة اللغة فحسب ، بل ساهم أيضاً بنصيب ملحوظ فى حفظها والإبقاء عليها. ذلك لأن تعلم اللغة بين أبناء الجيل الواحد يعتمد على السماع والحفظ، وتبادلها بين الأجيال المتلاحقة لا سبيل إليه إلا بالنقل والرواية . ودعامة ذلك كله الذاكرة والحافظة ، ولولا الذاكرة ما كانت لغة كما يقولون . وقد يكون فى الكتابة ما يرفع عن كاهلنا اليوم بعض عبء الاحتفاظ باللغة ، ولكن كم من جماعات عرفت لها لغات تداولتها وتوارثتها دون أن يكون للكتابة فيها أثر ملحوظ، وإنما عولت على الذاكرة وحدها . وكلنا يعلم أن قوة التذكر أوضح فى حياة البداوة منها فى حياة الحضر ، لأن المتحضرين فى اعتمادهم على القلم والقرطاس يضعفون الذاكرة ويقللون استخدامها . على أن الكتابة نفسها لا يمكن أن تتعلم وتكتسب إلا بقسط ضرورى من الحفظ والتذكر .

وللحياة الفكرية أثر آخر فى نهضة اللغة ونموها ، إذ لولا تجدد المعانى وتباينها ما تجددت الألفاظ ، ولا تنوعت التراكيب . ولولا عمق الفكرة وتجددها ما كانت دقة اللفظ وتخيره . وكم

محاضرة ألقيت فى مؤتمر المجمع بجلسة من جلسات يناير سنة ١٩٥٢

أحمد حسن الزيات

يشعر المتكلم أو الكاتب أن اللفظ أو التعبير الذي استعمله لا يؤدي تماماً المعنى الذي يريده، فيحاول البحث عن غيره ليكون أكثر ملاءمة. وثروة اللغات تتفاوت فيما بينها تبعاً لنشاط الحياة الفكرية وتقدم العلوم والفنون. ولسنا في حاجة إلى أن نشير إلى أن عصر ازدهار اليونانية قد اقترن بتلك النهضة الفلسفية والفنية التي عرفتها أثينا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد. وقد لوحظ أيضاً أن أسماء الذوات تغلب أسماء المعاني في اللغات البدائية، لأن البدائيين لا يلجئون كثيراً إلى التعميم والتجريد. وتساهم فكرة الزمن بنصيب أوضح في لغة المتحضرين منها في لغة الشعوب الهمجية. وتبادل العلوم والفنون بين الأمم لا يقتصر على تبادل الأفكار، بل يصاحبه أيضاً تبادل بعض الألفاظ والأساليب الدالة عليها، وكثيراً ما كشفت هذه عن أصل تلك

وللغة بدورها أثر قوي في التفكير، فهي إلى مدى بعيد مادته ودعامته؛ ذلك لأن الدال والمدلول متلازمان، وقل أن يستحضر أحدهما في الذهن بدون الآخر. وقد سبق لأرسطو أن قال تلك الجملة المشهورة التي قدر لها أن تحيا مع الزمن، وهي: ليس ثمة تفكير بدون صور ذهنية. وفي مقدمة هذه الصور تجيء طبعاً الرموز اللغوية. ولم يحاول أحد نقض هذه القضية إلا في القرن التاسع عشر، يوم أن جاءت مدرسة فورتسبورج، وذهبت إلى أن هناك ضرباً من التفكير مجرداً من تلك الصور الذهنية، كتفكير الأطفال الذي تمليه طائفة من الميول والغرائز، أو كتلك اللمحات والخواطر التي تمر بالذهن عارة وكأنها معنى مجرد من كل كساء

ودون أن نقف طويلا إزاء هذين الرأيين المتقابلين، نود أن نلاحظ فقط أن الحدس ليس إلا ضرباً من التفكير. وهناك ضروب أخرى ذات حلقات لا يمكن ربط بعضها ببعض إلا بواسطة الرموز اللغوية

على أن الحدس نفسه قد يستصحب لفظاً أو ألفاظاً، ولذا قالوا إن المرء يفكر في كلامه قبل أن يتكلم عن تفكيره

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالتفكير السامي أو التفكير المنطقي الذي هو سلسلة من الحكم والاستدلال لا غنى له عن اللفظ والعبارة

والألفاظ فوق هذا هي الوسيلة لتحديد الأفكار وتمييز بعضها من بعض. وإذا كانت المدلولات متنوعة، فإن اللازم أن تتنوع الدوال تبعاً لها. ولا شك في أن الأفكار متفاوتة معنى ومدلولا، عموماً وخصوصاً، جنساً ونوعاً. ولولا الألفاظ ما أمكن تقسيمها وتصنيفها، ولا تحليلها وتركيبها. وآية الفكر الدقيق تعبير دقيق يؤديه. والعبارة المحكمة تؤدي عادة إلى تفكير محكم، وبذا تنوعت العلوم، وتحددت موضوعاتها، وامتاز كل منها بمصطلحاته. وما العلم إلا لغة أحكم وضعها

واللغة أخيراً سبيل تداول الأفكار وتبادلها، فهي التي تنقلها من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة، وإلا بقيت وقفاً على أصحابها ومحبوسة في أذهانهم. وإذا كان التفكير الفردي يخضع للمجتمع ويتأثر به، فإن للغة دخلا كبيراً في هذا الخضوع والتأثير. ومن أهم مزايا اللغة قدرتها على أداء المعاني وتيسير تبادلها، وفضل لغة على أخرى يرجع في قسط كبير إلى اتساع تداولها وكثرة المتخاطبين بها

* * *

في وسعنا أن نقرر إذن أنه إذا كانت اللغة ثمرة للتفكير، فإنها هي أيضاً شرط أساسي لوجوده وتحققه على وجه كامل. هذه هي صلة الفكر باللغة، وهي فيما يبدو صلة تفاعل وتلازم، وقد ترتبت عليها آثار عدة، يعنينا أن نشير إلى اثنين منها فقط. أولهما أنه يمكن أن تدرس الحياة العقلية في ضوء الحياة اللغوية. فمثلا ضعف النطق أو بطؤه يؤذن بضعف ذهني. والأطفال لا يعبرون عن أحكامهم عادة بجملة، وإنما يكتفون بكلمة أو بعض كلمة. ومن هنا نشأ علم النفس اللغوي الذي يرمي إلى تفسير بعض الظواهر النفسية في ضوء الدراسات اللغوية. ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حاوله «دي شوسير» بالنسبة للغة الكبار، و «بياجيه» بالنسبة للغة الأطفال، و «ليفي بريل» بالنسبة للجماعات البدائية. وإذا كانت الدراسات السيكولوجية قد أفادت كثيراً في الخمسين سنة الأخيرة من تقدم البيولوجيا والفسيولوجيا والباثولوجيا، فإنها استمدت أيضاً في هذه الفترة مادة لا بأس بها من الدراسات اللغوية

وفي تاريخ الأدب ظواهر لها دلالتها السيكولوجية، فيلاحظ أن ازدهار الآداب يقترن دائماً بازدهار العلم والحياة العقلية، وأنه حين يعتدى على الحرية الفكرية ويعم الظلم والطغيان ينتشر

الغموض والرمز فى الألفاظ والأساليب . ولتلك الحرية الفكرية التى نعم بها الأثينيون القدامى شأن فى وضوح لغتهم وصفائها . وإذا كانت المترادفات تمد ثروة لغوية فى بعض العصور ، فإنها فى عصور أخرى تعتبر سرفاً لا محل له ولا داعى إليه

ومن جهة أخرى شغلت علاقة الفكر باللغة المناطقة منذ أن وضع علم المنطق إلى اليوم . ونحن نعرف أن منطق أرسطو نبت فى جو البيان والجدل السفسطائى ، وكان ذاصلة بالنحو اليونانى، بل والعربى . ولأمر ما نطلق كلة « لوجوس » اليونانية على العقل واللغة على السواء . وقد درج المناطقة منذ أرسطو على أن يعتبروا دراسة الألفاظ والقضايا مقدمة ضرورية لدراسة البرهنة والاستدلال . ولم يقنع المناطقة المحدثون بهذا ، بل شاءوا أن يحصروا المعانى كلها ، ويجمعوا «ألفوباء» الفكر الإنسانى ، ويضعوا لكل معنى رمزاً خاصاً به، وبذا تتكون اللغة العلمية العالمية

قال بذلك « ليبنتز » ، فتنبأ بالمنطق الرياضى ، وسبق عصره بنحو قرنين ، وأثار لأول مرة فكرة اللغة العالمية . ولا غرابة فقد كانت اللاتينية لغة العلم والعلماء لعهده . هذا إلى أنه كان عالمى النزعة إن فى العلم أو فى السياسة . وفى هذه اللغة المنشودة ما يقرب المسافة بين بنى الإنسان، وما يحول دون أخطاء كثيرة ؛ لأن الخطأ فى الحكم والاستدلال كثيرا ما ينشأ عن خلاف لفظى أو غموض فى التعبير ؛ ويوم يتوفر لكل معنى رمز خاص به نستطيع أن نقول : لنحسب ، بدل أن نقول : لنبرهن

وقد عادت فكرة اللغة العالمية إلى الظهور مرة أخرى قوية متحفزة فى أول هذا القرن ؛ وكان من أكبر مناصريها رياضى وفيلسوف فرنسى بارع انتزع فجأة فى الحرب الكبرى الأولى ، وهو « كونورا » الذى كان يرمى إلى تهذيب الاسبرنتو وتكوين «الإيدو» ، تلك اللغة الدولية التى تفرض نفسها على جميع العقول وجميع الشعوب . وقد وضع فى ذلك معجما خاصا، أخذ عنه كثيرا الأستاذ لالاند فى معجمه الفلسفى المشهور

والرياضة أقل العلوم حاجة إلى الألفاظ والتراكيب ، لأنها أبعدها مدى فى العموم والتجريد . فإذا ما حصرت حقائقها ، واختير لكل حقيقة رمز معين أمكن تكوين لغة رياضية كاملة . وعلى غرار هذه اللغة الرياضية يمكن وضع اللغة العالمية . وقد كان كونورا فوق تخصصه فى المنطق والرياضة ملما بأطراف الدراسات اللغوية المقارنة ، فأخذ يبحث عن أصول عامة يمكن أن تتخذ أساسا للغة الدولية ، وحاول فعلا أن يكون هذه اللغة ويمد لها نحوها الخاص

ولم تلبث محاولته هذه أن تثير ثائرة علماء الاجتماع الفرنسيين، وعلى رأسهم دركايم . فلم يرتضوا ذلك المنطق الإنسانى الذى يقود إلى لغة عالية ، وقرروا أن هناك أسرا لغوية بقدر ما هناك من مجتمعات إنسانية . وسواء أصحت الأسس التى بنى عليها كونورا مقترحه أم لم تصح ، فإن فكرة اللغة الدولية قد ازدادت فى ربع القرن الأخير قوة ووضوحا . ولعل فى سرعة الاتصال العالمى اليوم ما ييسر سبلها . ويتيح لها الفرصة لتخرج من دائرة الرغبة والأمل إلى عالم الحقيقة والوجود

فى هذا العرض السريع مايلقى بعض الضوء على عملنا المجمعى ومنه نستخلص دروسا نافعة. وفى مقدمتها أن الأصل فى المصطلح العلمى أن يؤدى بلفظ واحد ، كى يتوفر لكل معنى رمزه اللغوى الخاص به . فلنتحاش إذن الدوال المتعددة للمدلول الواحد منعا لتكرار لاداعى إليه، وربما أدى إلى شىء من اللبس. والمصطلح المجمع عليه وإن لم يؤد المعنى المراد تماما سينتهى بأن يستقر ويستحضر مدلوله كلما ذكر

ونحن أحرص ما نكون على أن نؤدى المعنى العلمى الجديد بلفظ عربى ، فإن تعذر ذلك فلا ضير فى التعريب ، لاسيما إذا كانت الكلمة المعربة ذات صبغة عالمية ، وهذا هو المنحى العلمى فى مختلف اللغات . ومن ذا الذى يذكر مذهب ليبنتز مثلا ولا يذكر معه كلمة مناد (Monade) ؟ إنا نراها فى اللغات الأوربية على اختلافها دون تغيير أو تبديل

وما يقال عن الألفاظ يمكن أن يقال عن الأساليب . فإذا كانت المعانى المفردة تجدد فإن المعانى المركبة التى تعتمد على الرابطة والاسناد تتجدد أيضا . وإذا كنا نحس بحاجة إلى ألفاظ جديدة، فأنا فى حاجة أيضا إلى أساليب جديدة. وقد نصادف هذه الأساليب من الرفض والمعارضة مانصادفه الألفاظ المبتكرة ، فنستنكر حينا وترد حينا آخر . بيد أنا إذا كنا فى حل من ابتكار اللفظ فلا غضاضة علينا فى ابتكار الأسلوب ، مادام يلتقى مع الأوضاع العربية.

والفكر ، فى خلقه وابتكاره ، فى حركته وتنوعه ، يتطلب دون انقطاع من الألفاظ والأساليب مايؤدى المعانى المختلفة والمتنوعة

٢ـ التعليم في مصر

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

من المسلم به أن المجتمع لا يستقيم أمره ولا يحيا الحياة الهادئة المطمئنة ولا يرق الرقي المنشود إلا إذا سادت بين أفراده فضائل معينة ؛ حددتها الأديان السماوية واجتمع عليها علماء الأخلاق .. كفضائل الصدق والأمانة والشجاعة والاستقامة ورعاية حقوق الغير والإيثار والتضحية الخ . وفي مثل هذا المجتمع الفاضل يقدر الأشخاص بأعمالهم ، فيعرف لكل ذي فضل فضله وينال المعتدي جزاء عدوانه ، وتتجلى فيه الرحمة فيعطف القوي على الضعيف ويبر الغني الفقير ويرحم الكبير الصغير ويوقر الصغير الكبير . وكلما ازداد الناس إيمانا بهذه النواحي ازدادت المودة بينهم وازداد التعاون وقلت البغضاء وزال التشاحن ، وبذا تشيع المحبة والأخوة العامة بين الناس وتسود بينهم الطمأنينة وينتشر الأمن والسلام وهو أشرف ما تصبو إليه البشرية جميعها

ولقد أصبح هذا المجتمع الفاضل حلما من الأحلام في هذه الأيام ؛ إذ لم يعد الناس في مجتمعنا الحالي يقدرون تلك الفضائل بعد أن غمرتهم موجة المادية الجامحة المصحوبة بالأثرة وحب الذات والمتعة التي رمتنا بها المدنية الغربية ، فاستوى في الأنانية والحرص على المادة ومحاباة الغير الكبير والصغير والغني والفقير ، وأصبحنا نسمع أموراً كثيرة مستهجنة عن متعلمينا وخريجي جامعاتنا ومدارسنا لم يكن لنا بها عهد في الماضي ، ولم يعرفها آباؤنا ولا أجدادنا منذ نصف قرن من الزمان . فلكم سمعنا في السنين الأخيرة عن طبيب يعمل جادا لاستنزاف أموال مرضاه فقراء أو أغنياء قبل أن يعمل على استئصال أمراضهم ، والمريض المسكين الذي يرتمي في أحضان طبيبه لينقذه مما يعانيه لا بد له أن يثق بهذا الطبيب وأن يصدق كل ما يقرره له ؛ باذلا كل ما في وسعه لإرضائه عله ينال الشفاء على يديه ، وكم تكون الصدمة قوية مدمرة إذا عرف أن طبيبه يطب لجيبه قبل أن يطب لإراحة هذا المسكين من علته ! وكم سمعنا عن محام احتال للحصول على المال بمختلف الحيل الشيطانية التي لا تقع تحت طائلة عقوبات قوانيننا الوضعية الناقصة . ناهيك بما يعمله لإغراء المتقاضين بعضهم ببعض ، وبث الفتنة خصوصا بين المتشاحنين من أفراد الأسرة الواحدة للدخول بهم في قضايا يبتز فيها أموالهم . وكم سمعنا عن مهندس أو موظف كبير يأخذ الرشوة جهاراً نهارا ليغلب عطاء شركة على أخرى أو ليعمل عملا في تغليب باطل على حق . وكم قرأنا في الصحف والمجلات عن نكبات نزلت بالناس أو خسارات فادحة أصابت موارد الحكومة بسبب التزوير والاختلاسات !

ثم إن هذه النكبات الكثيرة التي تقع على رأس الشعب والحكومة نفسها لم تعد تقع من أفراد معدودين غير متعلمين كما كان الحال منذ نصف قرن من الزمان قبل تغلغل روح الفساد الغربي في صفوفنا .. ولكنها مع الأسف تعددت وتكررت من كثيرين من متعلمي مدارسنا وجامعاتنا حتى أصبحت لا تطاق ولا تحتمل وأصبح العلاج عسيرا . ثم هو يزداد كل يوم عسرا على عسر كلما تراخينا في وضع الخطة السليمة لإيقاف هذا التيار المزعج المدمر لحياة الأمة وكيانها . فبالله عليك كيف يطمئن الشعب على حقوقه وهذه حال متعلميه أو حاكميه ! وبالله عليك هل تجدي القوانين التي تقننها الدولة وتنشرها حبرا على ورق كل يوم لحفظ الحقوق بين الناس وصون العهود واحترام العقود مادام الكثيرون من المشرفين على تنفيذ تلك القوانين لا يأبهون بها .

وأخيرا إنانميش في عصر من أخص خصائصه محاولة الاقتصاد في المجهود الجسمي والذهني وذلك لتزاحم الأعمال وضيق الوقت ، وكلنا يود أن ينتج أكبر كمية ممكنة في أقصر وقت ممكن . وأنفع الحقائق ما يمكن توصيله عن أيسر السبل وأقربها . وإذا كان العلم قد اتسع صدره قديما للدراسات الطويلة والمجلدات الضخمة ، فإنه يعنى اليوم بإحكام المعنى والمبنى . وإذا كان الأدب يباهي فيما مضى بالسجع والترادف والكناية والمجاز ، فإنه أضحى يحرص الحرص كله على السهولة والجزالة والدقة والوضوح

هذه هي روح العصر ، وتلك هي مقتضياته ، ولا سبيل للخروج عليها

ابرهيم بيومي مدكور

ولا يرعونها إلا بقدر ما يملأون به بطونهم ويحشون به جيوبهم؟ وكيف يستطيع والحالة هذه معلم مهما كان قديرا أن يؤدى واجبه فى هذا المجتمع الفاسد ؟ سيضطره مثل هذا المجتمع إلى أن يجاريه ليعيش فيصبح مثلا سيئا لتلاميذه مخالفة أعماله لأقواله ، ومهما ألقى على تلاميذه من تعاليم ونصائح ومهما ذكر لهم من عظات وأمثال ومهما ذكرهم بقول العرب « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » فإنهم سيتشككون فى تلك الأقوال والأمثال ولا يؤمنون بها ويستحلون لأنفسهم ما ينافيها ، وسيضطر مثل هذا المجتمع المعلم إلى أن ينسى أو يتناسى كل ما حفظه فى كتبه وتلقاه على أساتذته عن نبذ الرذائل والتحلى بالفضائل ، وسيعمل كما يعمل غيره مكرها أو راضيا وسط زوابع الغلاء المرير للحصول على المال الذى يقوم بأوده هو وأسرته من غير وجهه المشروع. وستكون تعاليمه لتلاميذه تعاليم فارغة تافهة لا روح فيها ولا جدية لأنها تصدر منه عن قلب غير مؤمن بها ؛ فإذا طالبهم بالصدق فى القول والأمانة فى العمل شعر فى صميم قلبه بالرياء الذى قد يحز فى قلبه بادئ ذى بدء؛ ثم يصيره التكرار مع الأسف عادة فيه . وإذا طالبهم بالصراحة والشجاعة والمثابرة على العمل وإتقانه فى سبيل النجاح ناقض نفسه لأنه لم يعد يؤمن بأن هذه الفضائل توصل إلى النجاح، لأنه يرى بعينى رأسه ويسمع بأذنه كل يوم أن للنجاح فى الحياة سبيلا آخر غير سبيل التحلى بهذه الفضائل، ويحس التلاميذ الأبناء وهم مرهفو الحس أن أستاذهم رجل متناقض ويملأ الشك فيه نفوسهم ، وهم إذ يحسون بذلك لا يفيدون منه ولا يجدون جدوى فى الاستماع إليه . ثم هم بعد ذلك يدخلون إلى الامتحان جهلاء عارى الوفاض من كل شيء إلا من سلاح واحد مرن عليه الكثيرون وهو سلاح الغش الذى استشرى الآن بعد أن بدأ منذ سنين همسا فى الامتحانات العامة والخاصة فلم يعد يقاومه الآن من الممتحنين إلا القليلون الذين يعرضون أنفسهم من جراء ذلك للنكبات . وكيف يبقى للأساتذة فى نفوس تلاميذهم بعد ذلك أية مكانة وقد عرفوا أنهم من جهة لا يفيدون منهم فى تلقى العلم إلا قليلا ، وأن لديهم من جهة أخرى طرقا غير مشروعة تقودهم إلى النجاح المطلوب فى الامتحانات وسائر أمور الحياة ! إنهم بعد هذا كله لا يستشعرون احتراما لمعاهدهم ولا لأساتذتهم . أليس هذا هو الحال فى معظم مدارسنا اليوم ؟ أليس هذا هو الحال الذى يشكوه كل أستاذ وكل ناظر وكل عميد ! يالها من غمرة ترجف لها الأبدان وتنفطر لها القلوب ؟ إنها غمرة الصلف والأنانية والمادية التى رمانا بها الغرب فكسحت أمامها كل فضيلة وأماتت الضمائر وأبادت كل خير ! ثم ماذا يجدى تغيير نظم الامتحانات وجعل نقل التلاميذ من فرقة إلى فرقة أخرى فى ذمة المعلم بعد أن وضح أمامنا ما آل إليه المجتمع من فساد فى الذمم حتى كاد يكون من المستحيل على المعلم أن يحمل الذمة أساسا لحكمه على هؤلاء الأبناء المساكين ! لقد دعونا إلى هذا التغيير فى نظم الامتحانات من زمن بعيد وفى مؤلفنا « التعليم والمتعطلون فى مصر » الذى صدر منذ ثلاثة عشر عاما؛ ولكن الحال الخلقية وقتذاك لم تكن تدهورت هذا التدهور ، وكان هناك نوع من الحياء ومحاسبة الضمير . أما اليوم والحال أصبح كما وصفنا فإن الأمر لا يصح أن يقتصر على قوانين فقط تكتب على الورق ليكون تنفيذها هباء بل ليكون ضارا . . ولكن الأمر يتطلب علاجا حاسما ذا وجهين: وجه سريع يتعلق بالتلاميذ فيحال بينهم وبين الحزبية والمخربين وموظفى الدولة والرجال العاملين فيها فتنظف أداة الحكم ويحاسب كل منهم حسابا دقيقا على ما ارتكبوا وعلى ما جنوا على الأخلاق وبخاصة أولئك الذين مصوا دم الشعب وأثروا طفرة على حسابه. وفى تطبيق قانون الكسب غير المشروع الجزاء الأوفى إذا طبق تطبيقا عادلا نزيها — أما الوجه الثانى من العلاج فهو الذى تعتمد عليه الأمم فى تكوينها لأبنائها وناشئتها ، وهو علاوة على ما يتطلبه من خطة حازمة وطيدة يتطلب كذلك أن يؤمن به الجميع وأن يتعاون عليه الجميع خصوصا بعد أن رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا ما حل بنا .. وأن تضطلع به الحكومة وجميع الأحزاب والجماعات فى الإصلاح، وأن يراعى فيه وجه الله والوطن والمصلحة الآجلة قبل المصلحة العاجلة. ذلك هو تربية الناشئة تربية يجعلها تؤمن بالله وتخافه وتراقبه فى كل عمل من الأعمال ، فيحاسب كل نفسه دائما واضعا نصب عينيه إرضاء وجه الحق والعدل والقانون دون أن يكون عليه رقيب غير الضمير الحى . هذه الخطة تحتاج إلى اقتناع وإيمان

وإلى فترة طويلة من الزمن وإلى انتحاء القادة والزعماء ناحية جديدة مستمدة من علوم الأخلاق ؛ بل من وحى السماء بل من رب السموات والأرض الذى يعلم ما يصلح المجتمع وما يفسده « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . هذه الخطة التى تربى القلوب تربية تؤمن بربها وتخشاه كفيلة بأن تكون من ناشئتنا الأخلاق الفاضلة التى تسمو بنا عن كل الصغائر ، وتدفع بنا سربها نحو السمو ونحو المجد ونحو العزة ؛ وهى لا شك ترضى ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا — ألا هل بلغت اللهم فاشهد

عبد الحميد فهمى مطر

المسلمون بين الشرق والغرب

عند ظهور الإسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

ظهر الإسلام والعالم منقسم إلى كتلتين كما ينقسم الآن ، كتلة شرقية تقودها دولة الفرس من الأكاسرة ، وكتلة غربية تقودها دولة الروم من القياصرة ، والتاريخ يعيد نفسه ، وقد وقع العرب بين هاتين الكتلتين فيما يقع فيه الآن أهل الشرق الأدنى بين الكتلة الشرقية بقيادة روسيا الشيوعية ، والكتلة الغربية بقيادة أمريكا وإنجلترا ، وكان كل من الكتلتين يقود فريقا من العرب إلى ما بينهما من حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، بل كانوا هم الذين يغرمون دائما من أنفسهم وبلادهم ، وكان الغنم لصاحب النصر من الفرس أو الروم

وكانت السياسة الخادعة المفرقة قد قسمت العرب إلى قسمين وأقامت فيهم دولتين : تقوم إحداهما بجانب الفرس ، وهى دولة المناذرة بالعراق ، وتقوم الثانية بجانب الروم ، وهى دولة الغساسنة بالشام ، وكان الفرس هم الذين يوجهون سياسة الدولة الأولى ، كما كان الروم يوجهون سياسة الدولة الثانية ، فإذا قامت حرب بين الفرس والروم كان المناذرة بجانب الفرس ، وكان الغساسنة بجانب الروم ، وقام فريق من القبائل العربية بجانب المناذرة ، وقام فريق آخر منها بجانب الغساسنة ، وقد انقسم العرب بهذا على أنفسهم ، وقامت به حروب كثيرة بين المناذرة والغساسنة ، وبين القبائل العربية بعضها وبعض ، حتى ضعف شأن العرب بهذه الحروب ، وكانت بلادهم تقع فريسة فى أيدى الطامعين فيها بلدا بعد آخر

وكانت ببلاد العرب دولة كبيرة يلتف العرب جميعا حولها ، وهى الدولة الحميرية باليمن ، وكان كل من دولتى الفرس والروم لا يرتاح إلى وجودها ببلاد العرب ، لأنها كانت تأبى أن تقف منهما موقف دولتى المناذرة والغساسنة ، فيعمل كل من الروم والفرس على إضعافها والاستيلاء على بلادها ، وكان أن سلط الروم دولة الحبشة على هذه الدولة ، فاستولت عليها قبيل ظهور الإسلام . وحكمتها نحوا من سبعين سنة ، حاولت خلالها أن تستولى على بلاد الحجاز وغيرها من بلاد العرب ، ولما رأت أن الكعبة هى الرمز الدينى الذى يجمعهم ، قصدت مكة لتخريبها فى وقعة الفيل المعروفة ، وقد انتهت هذه الوقعة بهزيمتها على ما هو معروف فى التاريخ ، ثم كان أن قام سيف بن ذى يزن من بقايا الحميريين يحاول استعادة دولتهم ، ولم ير وسيلة إلى هذا إلا أن يستعين بالفرس أعداء الحبشة والروم ، فأمدوه بجيش أمكنه أن يخرج الحبشة من اليمن ، وأن يقيم سيف بن ذى يزن ملكا على دولة آبائه ، وكان لذلك رنة فرح فى الحجاز وغيره من بلاد العرب ، فأتت الوفود من هنا وهناك لتهنئته باستعادة ملك الحميريين وكان منها وفد الحجاز وعلى رأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن بين رجاله أمية بن أبى الصلت الثقفى الشاعر ، فهنأه بقوله :

لا يطلب الثأر إلا كابن ذى يزن ... فى البحر خيم للأعداء أحوالا

أتى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذى سالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببنى الأحرار يقدمهم
تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

إلى أن قال :

فالقط من المسك إذ شالت نعامتهم
وأسبل اليوم فى برديك إسبالا
واشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا
فى رأس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ولكن كسرى الفرس لم يقدم هذه المساعدة لسيف بن ذى يزن خالصة لوجه الله تعالى ، بل كانت فى نظير خراج من اليمن يؤدى إليه كل سنة ، فكان سيف بن ذى يزن يؤديه إليه ، وكان جيش كسرى الذى أعاد إليه ملك اليمن يشاركه فى حكمه ، فلما توفى ضم الفرس إليهم ملك اليمن ، وصار الذى يتولى أمره واحد منهم ، ولم يستفد أهله من حركة سيف بن ذى يزن إلا أن استبدلوا ملك الفرس بملك الحبشة

فلما أتى الإسلام لم يرض أن يقف كما وقف العرب ذلك الوقف المعيب من تينك الكتلتين ، لأنه لا يليق أولا بالعرب كأمة يجب أن ترعى كرامتها ومصلحتها قبل غيرها ، ولا يصح أن تجعل فريقا منها ذيلا لدولة الروم ، وفريقا آخر ذيلا لدولة الفرس فينقسم بعضهم على بعض فى حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . ثم لا يليق ثانيا بدين أتى للسلام والتعارف وهداية الناس كافة أن يشترك فى هذه الحروب المفرقة الآثمة ، لأنها لم تكن قائمة لغرض شريف ، وإنما كان يقصد منها توسيع السلطان ، وبسط سيادة الأقوياء على الضعفاء ، ليعظم الخراج الذى يجبونه منهم ، ويتوسعوا فى الترف الذى ينفق فيه ذلك الخراج ، فيزداد الأقوياء غنى وطغيانا ، ويزداد الفقراء فقرا ومذلة

فآثر الإسلام أن يقف موقف الحياد من تينك الكتلتين ، لا يهمه إلا غايته الشريفة التى يسعى إليها ، ولا ينظر إليهما إلا فى حدود هذه الغاية ، وفى حدودها كان حياده فيه شئ من العطف نحو دولة الروم ، لأنها لم تكن حينئذ تملك إلا قليلا من بلاد العرب ، وكانت بلاد الشام التى تقوم فيها دولة الغساسنة لا تعد من بلاد العرب فى ذلك الوقت إلا على نحو التجوز ، أما دولة الفرس فإنها كانت متسلطة على كثير من بلاد العرب ، ولم يكن خالصا من سلطانها إلا بلاد الحجاز ونجد ، وكان الإسلام يرى أنه سيقوم أولا على أكتاف العرب ، لنشأته بينهم ، فلم يرتح لاستيلاء الفرس على هذه البلاد التى يمدها وطنه الأول ، وهذا إلى أن الروم كانوا أهل كتاب ، فكانوا أقرب فى العقيدة إلى الإسلام من الفرس

وكان من مظاهر عطف الإسلام على دولة الروم أن حزن المسلمون وهم بمكة قبل الهجرة على غلبة الفرس لهم ، حتى نزل فى هذا قرآن يعدهم بنصر الروم على الفرس ، وذلك قوله تعالى فى أول سورة الروم

« الم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم »

وقد مكن ذلك موقف الإسلام من تينك الكتلتين إلى أن صار له شئ من القوة بالمدينة ، ورأى أن يدعو رؤساء تينك الكتلتين إلى أمر تجتمع عليه كلتهم ، وتبطل به هذه الحروب بينهم ، فيسود السلام بين الشعوب البشرية ، وتقوم بينهم علائق الصفاء والمودة ، ولا يكون هناك أقوياء يتحكمون فى الضعفاء ، ولا أغنياء مترفون ، وفقراء مدقعون ، بل يعيش الضعفاء بجانب الأقوياء ولهم مثل حقوقهم ، ويعيش الفقراء بجانب الأغنياء قريبا من عيشهم ، حتى لا يكون هناك فارق كبير بين هذه الطبقات ، ولا يعيش الأقوياء والأغنياء فى نعيم وترف ، والضعفاء والفقراء فى حرمان وبؤس

وقد وقف الإسلام بهذا موقفا كريما بين تينك الكتلتين ، ولكنه لم ينل منهما ما يليق به من التقدير ، فأغضبت كسرى الدعوة التى وجهت إليه ، وبعث إلى عامله باليمن يأمره بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان شأن الدعوة التى أرسلت إلى رؤساء الكتلة الرومية ، ثم كان أن جر كل من الكتلتين الإسلام إلى حروب لم يكن يريدها مع أن الظفر كان فيها له ؛ وكان من خير الإنسانية أن يجيباه إلى إبطال هذه الحروب ، ولو أنهما أجاباه إلى هذا لكان للعالم اليوم شأن عظيم غير هذا الشأن

للكلام صلة عبد المتعال الصعيدى

ردعلى رد :

أجل .. ذو العقل يشقى !

للأستاذ محمد رجب البيومى

حين يكتب القارئ نقداً لمقال قرأه ، يود من أعماق نفسه أن يصل إلى الحقيقة على ضوء ما يعقب المقال من حوار وحديث ، وواجب المنقود أن يواجه الحقائق سافرة واضحة ، ثم يجيب عنها واحدة واحدة ، إذ أن القراء يتتبعون النقاش فقرة فقرة ، ويوازنون بين الطيب والخبيث فى دقة بالغة ، ويصدرون الرأى عن ثقة واقتناع

وقد ناقشت الأستاذ شاكر بما لا أستطيع أن أحيد عنه من الأدب والذوق ، راجياً أن أجد لديه الإجابة الشافية المقنعة ، فماذا وجدت ؟ ! وجدت أن الأستاذ المهذب قد خصنى بكثير من الزراية والجهل ، وقلة المعرفة ، وضعف المنطق ، وسوء الأدب ، وليته وقف عندى بشتائمه وسبابه ، بل انتقل إلى الأستاذ الكبير سيد قطب ، فرماه ظالماً بسوء الفهم ، وولج إلى ضميره ، فاتهمه بقبح المقصد ، وخبث الطوية ، ومعاندة الحق لهوى فى النفوس يعلمه الله ، وبالحرص على تتبع المثالب القبيحة ، واجتناب المناقب الفاضلة ، وبالغلو الأرعن فى سياق المثالب وتفسيرها ، ثم ينضح إناؤه بهذه التهم الجاحدة ملقياً بها فى عنف وحدة ، إلى قراء الرسالة ، وهم جميعاً يعرفون فضائل قطب فأين ذهبت عنه الحصافة والاتزان ؟

وقد حاولت أن أجد لدى الأستاذ فى رده الطويل العريض شيئاً يقنع المنصفين ، فما وجدت غير التنقص والسباب ! ! وقد دعوته فى مقالى السالف إلى هجر الوعظ والإرشاد فى الجدل العلمى ، فصاح يقول على رؤوس الأشهاد « من العسير ان أكتب فى هذا الموضوع دون أن أتوشح بذيل من ذيول الوعظ والإرشاد » ، واندفع مع ذيوله الضافية إلى أبعد مدى وأقصاه ، وهكذا ضاعت الحقائق التاريخية لدى كاتب يزهى بنفسه ، فيقول إنه (يعرف حق الكلام ، ويلتزم مقاطعه ومطالعه وحدوده ، وإن للعقل شرفاً لا يرضى معه بالتدهور فى مواطئ الغفلة وسوء الأدب والخوض فى العبث والجهالات)

ولا أريد أن أكيل للأستاذ صاعاً بصاع ، ضناً بكرامتى ، ولكنى أحاول أن أجمع من مقاله المريض فقرات مبعثرة مضطربة فى أنحائه ، ساقها مساقاً مهلهلا لا يعرف الدقة والحدود ! لأستطيع دحضها بالرأى الوجيز الصريح ، جزعاً على الحقيقة العلمية من الغرق فى إطناب المنابر وإسهاب الخطباء

لقد سطر الكاتب خمسين سطراً من مقاله تبدأ من قوله « دعنى أيها السيد أعيد عليك ، إلى قوله خالصة من قلبى بلا مسوح وعظ وإرشاد » ! سطر هذه السطور ليقول « إن أخبار معاوية وعلى جاءت عن طريق الرواية فحسب ، ولكلا الرجلين شيعته التى تنسج الحوادث وتلفق الأخبار » وقد كنت أقرأ سطوره الطويلة وأنا أسأل نفسى أذلك نقاش أم مجرد كلام ؟ ولو كانت النتيجة التى وصل إليها الكاتب صحيحة لعذرناه وسكتنا عنه ، ولكنها باطلة كل البطلان ، ولو جاز لإنسان أن يأخذ بها فى شىء لمزقنا جميع صحف التاريخ الإسلامى من أول عام فى حياته إلى مائة عام أتت عليه ، فلا نتكلم عن أبى بكر وعمر وعلى ومعاوية ويزيد والحسين وعمر بن عبد العزيز ! ! حتى يعرف الأستاذ شاكر ، اسم الراوى وآباءه وأمه ، ولحسن الحظ أن كتاب التاريخ ورواته لم يستمعوا لهذه الضجة ، وقدموا إلينا مدداً وفيراً من الأحداث التاريخية ! ! لم تسجل حوادث معاوية وأضرابه عند مؤرخ واحد حتى يتهمه الأستاذ بالافتراء والهوى ، ولكنها أنباء متواترة ، رواها جميع المؤرخين دون استثناء ، ولو أن شيمة على وحدهم الذين اختلقوا مثالب معاوية ، لسكت عنها بعض المؤرخين ؛ ولكن هيهات هيهات!

فهل وجد من المؤرخين من أنكر أن معاوية قد أحال الخلافة إلى ملك عضوض مخالفاً بذلك تعاليم الإسلام ؟ وهل وجد من المؤرخين من أنكر أن يزيد بن معاوية قد فرضه أبوه مدفوعاً إلى ذلك بدافع لا يعرفه الإسلام ؟ وهل وجد من المؤرخين من أنكر أن معاوية قد جعل جزءاً من بيت المال المرشوة وشراء

الضمائر في بيعة يزيد »

لم يوجد من أنكر ذلك من المؤرخين ، ولكن الأستاذ شاكر ينكره ويدعى أن المؤمنين قبله قد أنكروه ، وهو بحمد الله لم يكن مؤرخا ، ولا نعلم أنه خط كتابا في التاريخ ، فلم ينسب نفسه إلى قوم ليس منهم ؟

ويدعى الأستاذ أنه لم يفهم شيئا مما كتبته في تحديد معنى الصحابي ، فإذا وجدنى أستدل بحديث الرسول عن عبد الله بن أبي لجأ إلى مخرج ينقذه مما واجهته به فذكر أن الرسول قال معاذ الله أن يتحدث النـاس أن محمدا يقتل أصحابه ، خشية أن تدور على ألسنة المشركين الذين لا يميزون مؤمنـا عن منافق ، وكلهم عندهم من أصحـاب محمد صلى الله عليه وسلم !! وأنا أقول للأستاذ إن المشركين كانوا يميزون المؤمن من المنافق ، ويعرفون نفاق ابن أبي كما يعرفه المؤمنون سواء بسواء ، بل إنه تعاهـد معهم على التنكيل بالدعوة المحمـدية ولمسوا من نفاقه ما شجعهم على التعاون معه ، وكان إذا خلا إليهم يقول « إنا معكم إنما نحن مستهزئون » فليس هناك مشركون لا يميزون مؤمنا عن منافق ، وعلى الأستاذ أن يبحث له عن مخرج آخر ، لو يستطيع !!

وإذا كان الأستاذ يصمنى بالجهل وسوء الفهم وقلة المعرفة ، ثم ينقل فقرات طويلة من مقاله ليبين لقراء الرسالة حقيقة ما قال ، ومن هذه الفقرات قوله « فإذا أخطأ أحدهم فليس يحل لهم ولا لأحد من بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم » إذا كان الأستاذ ينقل ذلك ، فلم لم يجب عما وجهته إليه بشأن هذه الفقرة ، فقد قلت إن الصحابة قد طعن بعضهم بعضا واستبـاحوا ما حرمه عليهم ، أفيكونون بذلك قد خرجوا عن منهج الإسلام ، أم أن الأستاذ شاكر يرسل كلامـه في الهواء فإذا ناقشه كاتب متواضع مثلى لجأ إلى الشتائم والسباب !!

ولقد دعوت الأستاذ إلى النقد الموضوعى فقال في الرد على ذلك « إن النقد الموضوعى ينبغى أن يسبقه التحقق من صحـة هذه الحوادث تحققا ينفى كل ظنة » وأنا أقول له مادمت تنكر هذه الأحداث المتواترة لدى المؤرخين ، فلن تقدم للقـارئ ما يقنعه ويشفيه ، وأنا أعـلم أن الطعن في رواية الآثار الفردية سائغ ومقبول ، أما الوقوف في وجه التاريخ وتفنيد ما أجمع عليه المؤرخون بلا دليل ، فلم يجد من يصغى إليه في كثير أو قليل

ولقد نصحنى الأستاذ شاكر أن أضع من يدى عبء القلم ، فإنه ثقيل ثقيل ، وذكر أن الحيـاء يمنعه أن يترك كلامى بلا مجيب !! وأنا أعجب للحياء الذى يمنع صاحبه من الصمت المريح ، ثم يدفعه إلى السب المقذع والطعن الجارح في كاتب كبير كالأستاذ سيد قطب !! فضلا عما وجهه إلى من قذائف ظالمة ، ثم ماالفرق بينى وبينـه حتى يطلب إلى أن أكف عن الـكتابة ، وما هى مؤلفاته التى تبيح له أن يتقدم إلى بمثل هـذا الأمر ، لأحفظ له حقه في الإرشاد والتوجيه ؟! أخشى أن يكون استيـاؤه الفزع من نشاط الأستاذ قطب وإنتاجه قد دفعه إلى الهجوم على بألفاظه الحداد !! وإنى لأستغفر الله له رغم ما أصابنى من كلوم !!

(أبو تيج) محمد رجب البيومى

دفاع عن العباسة

للأستاذ ثروت أباظة

كتب الأستاذ باش أعيان مقالا قيما فى الدفاع عن العباسة بنت المهدى ، ولقد أثار مقاله هذا فى نفسى فكرة كانت ما تزال تردد بها ، وكنت ما أزال أفكر فى الكتابة عنها حتى قرأت هذا المقال ، فوجدت الفرصة قد دعتنى إلى الكتابة . فالأستاذ باش أعيان نقل إلينا مجملا من أقوال المؤرخين عن سبب نكبة البرامكة ، ونقل إلينا أيضاً مجملا من آرائهم فى مسألة زواج جعفر من العباسة ، وهناك أمران فى هذا الشأن لا بد من تقريرهما .

فإن المؤرخين قد أجمعوا على اختلاف فى أسباب نكبة البرامكة والاختلاف بينهم دليل قاطع على الجهل بحقيقة نكبة البرامكة ، والذى نستطيع أن نخلص به من هذا الاختلاف هو أن نكبة البرامكة التى حدثت إنما هى الحركة الظاهرة مما كان يعتمل فى نفس الرشيد ... فكل حركة تحدث من الإنسان كبيرة كانت أو صغيرة تشتمل فى الواقع على عاملين : العامل الظاهر وهو الذى يظهر إلى النور ، ويكون الواقعة ، والعامل النفسى وهو المختفى فى أغوار النفس لا يظهر . ولقد أراح الأستاذ باش أعيان نفسه وأراحنا حينما ذكر لنا ذلك الحديث بين الرشيد وأخته علية وهو يقول لها إن قيمصه الذى يرتديه لو علم السبب فى قتل جعفر لمزقه

فليكن جعفر إذاً أخا الرشيد فى الرضاعة ، وليكن رفيقه فى اللعب ، وليكن صديقه فى الشباب ، وليكن وزيره فى الملك . ليكن أيا من هذه الصفات ، أو ليكن جميعها ؛ إنما الواقع من الأمر أنه قتله ... لماذا قتله ..؟! لا يستطيع أحد أن يعرف ، بل إننى لأشك كثيراً فيما إذا كان الرشيد نفسه يعرف .. فلكم تخادع نفسها نفسه ، ولعل الرشيد أوجد سبباً فى نفسه يطمئنها به إلى عدله إن هو قتل جعفر .. لعله أوجد هذا السبب فى ظاهر نفسه ، بينما أوغل السبب الحقيق فى الاستخفاء بين أطواء النفس بعيداً عن كل مظنة .. بعيداً عن تفكير الرشيد ذاته ، فلو أن الله جل وعلا بعث الحياة اليوم فى الرشيد ، ونفض عنه غبار القبر والسنين ، واستطعنا نحن أن نسأله السبب فقاله .. لو حدث هذا فإننا نستطيع على رغم كل ما حدث أن نتشكك فيما يقول .

وإن هذا الاختلاف بين المؤرخين أمر عجيب فى ذاته ، فإن أسبابهم جميعاً لا تعارض بينها ، فإذا وجد واحد منهم ، فهو لا يمنع وجود الأسباب الأخرى .. فما ضر لو كانت هذه الأسباب مجتمعة هى الأصل فى نكبة البرامكة بجانب السبب الحقيق فى نفس الرشيد .. وما ضر أيضاً لو كانت هى مجتمعة سبب النكبة ، وليس هناك سبب آخر إلى جانبها .

من هذه الأسباب فى قول بعض المؤرخين أن الرشيد أبى على جعفر أن يتزوج العباسة زواجاً كاملا ، وأحل له بعقد الزواج النظر وحده ، دون ما يستتبع العقد من صلات .. ويقول هؤلاء المؤرخون إن العباسة لم تعبأ بما نص عليه عقد الرشيد وأكملت مقتضيات العقد مع زوجها ، فكان ثمرة هذا الإكمال هو بضع بنين لهم .

وقد رأى الأستاذ باش أعيان أن فى هذه الرواية تعدياً على مقام العباسة بنت المهدى ، المتصلة بأسباب غاية فى القوة إلى العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام ، وأنا لا أدرى علام بدافع؟ وما الذى فعلته حتى تتهم ؟ إن العقد الذى أراد أخوها أن يكون عقد نظر فحسب غير موجود بين عقود الشريعة الغراء ، وإنما هو عقد زواج ، ومعروف شرعاً أن الشرط الفاسد فى عقد الزواج لا يفسد العقد ، بمعنى أن الشرط يبطل ويصح العقد ، فإذا تزوجت إحداهن واشترطت فى عقد الزواج ألا تقيم مع زوجها إلا إذا أقام ببغداد مثلا أو البصرة ، فإن عقد الزواج صحيح والشرط باطل ، فإذا انتقل الزوج إلى القاهرة تعين على الزوجة أن ترافقه إليها ، وتعيش معه فيها . وتعاشره زوجة بعقد

صحيح، ولا قيمة للشرط الذى اشترطته بل هو باطل غير موجود؛ فإذا اشترط الرشيد على جعفر فى عقد النكاح ألا يدخل بزوجه العباسة بطل الشرط وصح العقد . والعباسة لا بد تعلم هذه الحقيقة ، وهى على الأقل لن تعدم من يخبرها بها . فإن هى أبطلت الشرط فإنما تسير على خطى الدين الحنيف ، غير مجانبة الخلق القويم الذى يجب أن تكون عليه بنت قريش ، ولا ضير عليها إن هي أغضبت الرشيد لترضى الله

وبعد فالعباسة غير متهمة لتحتاج إلى دفاع ، بل لقد كانت فى موقف لا بأس بها فيه ، وهي تأبى على أخيها الرشيد أن يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرمه

تلك هى العباسة على رواية المؤرخين الذين يقولون بوجود العقد ، أما هؤلاء القلة الذين يقولون بعدم وجود العقد فقولهم مردود هزيل ، فما كان أيسر انعقاد العقد فى هاته الأيام بحيث يصبح عدم العقد ضرباً من الجنون الذى لم يعرفه أحد عن جعفر أو العباسة ، ما كان أيسر على العباسة أن تشهد اثنين من المخلصين لها أو لجعفر على أنها زوجته نفسها ، فترتفع بذلك عما يريد هؤلاء المؤرخون أن يرموها به

فإذا كانت المسألة كلها مختلقة ، ولا صلة للعباسة بنكبة البرامكة فهى — من باب أولى — فى غنى عن كل هذا الكلام

بقى أمر أحب أن أتحدث عنه قليلا فى هذه المناسبة . فقد ذكر الأستاذ باش أعيان أن بعض المؤلفين المعاصرين قد أنشأوا الفصول الرائعة عن حب جعفر للعباسة ، واتخذوه موضوعاً لرواياتهم ، وإننى لست أرى بأساً من ذلك أبداً ، فإن المؤلف الفنان غير مقيد مطلقاً بالتاريخ ، وإنما شأنه وشأن التاريخ شأن المهندس والمولد الكهربائى ، فالمهندس يستنبط القوة الكهربائية ثم هو بعد ذلك على أتم الحرية .. يضيء بها أو يحرك الآلات ، أو يفعل ما شاء له هواه دون أن يقطعها

والفنان إزاء التاريخ مستلهم منه الوحى ، كأنه الشرارة من المولد الكهربائى ، ثم هو يحور قصته أو روايته ، ويوجهها إلى حيث يرضي فنه ، دون أن يخل بالحوادث الجوهرية ، التى تقوى على الإهمال أو التحريف

فلتكن رواية العقد بين جعفر والعباسة مختلقة ، أو لتكن منحرفة ، أو لتكن كما تشاء ، فالفنان قد رأى فيها موضوعاً يصلح لأن ينشئ منه فنا فأنشأ ولا جناح عليه

وإذا أراد المتزمتون من المؤرخين ألا يعترفوا بهذا فعليهم أن ينظروا إلى العمل الفنى على أنه عمل فنى فحسب ، اختير لأسماء أبطاله أسماء كان لهم فى التاريخ شأن

وبعد فإلى الأستاذ باش أعيان خالص الشكر أن أتاح لى هذه الفرصة ، وإليه فى حاضرة الإسلام المزدهر خالص التحية

ثروت أباظة

دعوة محمد

لتوماس كارليل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الإخلاص والصدق في دعوة محمد

إن البغض والحسد والحقد والموجدة طبيعة من طبائع البشر، وخاصة إذا غزاها التعصب الأعمى، فإذا قام إنسان ما بعمل جليل، عمت فائدته على بعض الناس وشملت من حوله، كثر حساده وشانئوه، فتراهم يهبون والحقد يملأ نفوسهم والبغض يكاد يمزق صدورهم، محاولين الانتقاص من قدر عمل هذا العظيم، هذا بالنسبة لمن يقوم بعمل نافع في حدود بيئته، فما بالك برجل، كمحمد جاء بما فيه خير البشرية جماء وصلاح الكون كله، وقد بلغ من المرتبة والرفعة في نفوس مئات الملايين من الناس ما لم يبلغه أي إنسان مهما كانت أعماله. فليس عجيباً أن نرى الكثيرين ممن أعماهم التعصب وملأهم الحقد، يحاولون النيل من محمد ومما جاء به، ولو عقلوا لأراحوا أنفسهم وأراحوا غيرهم من جعجعتهم وصخبهم، لأنهم كالرجل الذي ينطح الصخرة محاولا تحطيمها فإنه سيرتد وقد أدميت قرونه

فالمتعصبون من النصارى والملحدون. يسيئهم أن يعرف الناس حقيقة دعوة محمد. فيذيعون أن محمداً لم يكن يبغي من قيامه بهذه الدعوة إلا الشهرة والمنفعة الشخصية والمفاخرة بالجاه والسلطان وإشباع نزعة حب السيطرة الذي يملأ نفسه، وقد وغلوا في عرض هذا الرجل ودعوته بما لا يصدقه عقل، ويستحي أحط الناس قدراً أن يذكروه على ألسنتهم. وهم يعلمون أنهم كاذبون مدعون.

إن محمداً لم يكن يريد مفاخر الجاه والسلطان والشهرة والسيطرة، كلا وايم الله، فلقد كان في قلب ذلك الرجل العظيم ذي النفس الممتلئة خيراً ورحمة وبرا وحنانا، ذي العقل المتميز بالحكمة والإربة والنهى والحجى، أفكار أسمى من الطمع الدنيوي الذي يستوي بنو البشر الآخرين في الدرجة سعيا له، ونوايا أشرف من السعي في طلب السلطة والجاه ...، لم يفكر يوماً أن يكون كما يتمنى كل إنسان، ولو أنه أراد الملك لناله، ولو سعى وراء المال لملأ منه خزائن كثيرة، ولو ابتغى السيادة لكان ما أسهلها عليه، ولو أراد أن يجمع بين كل هؤلاء جميعاً لما استعصى عليه الأمر. ولكن كيف يكون ذلك وهو ذو النفس الكبيرة التي كان كل همها إسعاد البشرية وإنقاذها مما هي فيه، إننا لا يمكن أن نتهمه بعدم الإخلاص لدعوته، لأنه من الذين لا يمكنهم إلا أن يكونوا مخلصين جادين فيما يعملون، ولولا ذلك لما نجحت دعوته، لأن الإخلاص هو أساس كل نجاح. فبينما نرى الآخرين الذين يبتغون عرض الحياة الدنيا يرضون بالإصلاحات الكاذبة ويسيرون خلف الاعتبارات الباطلة، نرى محمداً يأبى أن يستمين بمألوف الأكاذيب ويتوشح بما كان متبعاً في زمانه من الخرافات والأباطيل، فقد كان منفرداً بنفسه العظيمة مقتنعاً بحقائق الأمور، متفكراً في أسرار الكائنات، بل كان سر الوجود يسطع لعينيه - كما قلت - بمخاوفه وأهواله ومباهجه وزخارفه، فلم يستطع شيء من الأباطيل أن يحجب عنه كل ذلك، وكأني بلسان ذلك السر الهائل يناجيه في خلواته « ها أنذا ». إن هذا الإخلاص في الدعوة والتفاني في القيام بها لا يخلو من معنى إلهي مقدس، وما كلمات محمد التي كان ينطق بها، إلا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة وصميم الواقع، كان إذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية، وكل القلوب خاشعة واعية، وكل كلام بعد ذلك غير كلامه هباء، وكل قول سوى قوله جفاء.

لقد ظل منذ أيام أسفاره ورحلاته إلى بلاد الشام، تجول بخاطره آلاف من الأفكار التي لا يمكن أن تأتي إلا لكل ذي عقل راجح ونظر ثاقب. من أنا؟ وماذا أكون؟ ما هي الحياة وما قيمتها؟ وما هو الموت وماذا سيكون بعده، وماذا أعتقد وماذا أفعل؟ وهل أعبد ما يعبد هؤلاء القوم من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر؟. كل هذه الأسئلة والخواطر كانت تجول بفكره في خلواته، فهل أجابته عنها صخور جبل حراء أو ما يحيط به من الفلوات والقفار، أو ما كان يمر به من شماريخ

طود الطور . كلا لم يجبه شيء من ذلك حتى ولا قبة الفلك الدوار ، أو تعاقب الليل والنهار ، ولا النجوم الزاهرة ، ولا الكواكب الظاهرة، ولا الأنواء الماطرة . لم يتلق جواباً من كل هذه الأشياء ولا من واحد منها . ولكن سرعان ماجاءه الجواب شافياً مبيناً منقذاً له من حيرته واضطرابه ، فى خطاب الله العلى القدير لنبيه موسى : « إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » . إنه جواب لا لبس فيه ولا غموض ، وإنه السر الذى أودعه الله روح محمد ، فنزل برداً وسلاماً على روحه

والذى يجب على كل إنسان أن يسأل نفسه عنه هو ما كان يجول بخاطر محمد ، وما أحسه فى نفسه ذلك الرجل القفرى . إن هذه هى المسألة الكبرى والأمر الأهم — الذى يجب على كل إنسان أن يضعه فى الرتبة الأولى من تفكيره إذ أن كل شيء بجانبها عديم الأهمية

إن هذه المسألة لو بحثنا عنها فى فرق اليونان الجدلية أو نقبنا عنها فى روايات اليهود المبهمة أو فتشنا عنها فى نظام وثنية العرب الفاسدة فإننا لن نجد لها جواباً شافياً . وأما فيما جاء به محمد فإن الجواب يطالعنا فى كل مكان سواء فى القرآن أو فى أقوال محمد نفسه الذى لا ينطق عن الهوى ، وهذا دليل على أهميتها وخطرها

لقد سبق لى أن قلت إن أهم ما يميز الباطل وأولى خصائصه ، هى نظره خلال ظواهر الأمور إلى بواطنها ، وأنه يقيس الباطن على الظاهر . أما الاعتبارات والإصلاحات والعادات والاستعمالات فإنه لا ينظر إليها سواء أكانت جيدة أم رديئة ، حقة كانت أم باطلة . لقد كان محمد ينظر إلى الأوثان التى يعبدها قومه ويقول فى نفسه : إن هذه المعبودات لا بد أن يكون وراءها شيء . وما هى إلا رمز وإشارة لمعبود أعظم ، ولكن القوم ضلوا السبيل إليه ، وإلا كانت زوراً وباطلا وقطعاً من الخشب لا تضر ولا تنفع ، وهذا أكبر شاهد على إخلاص محمد لقومه فهو يريد أن ينقذهم مما هم فيه من ظلمة واضطراب ، ولكنهم لجوا فى بادى أمرهم وعتوا عتواً كبيراً

* * *

لو كان محمد يريد الجاه والسلطان لما استطاع أن ينقذ هؤلاء العرب الجفاة ولا قدر على تحطيم معبوداتهم . لقد اتهموه بأبشع التهم ولصقوا به أحط الصفات . فقالوا إنه ساحر كذاب « وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا الشيء عجاب . وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق » وقالوا إنه شاعر مجنون « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » ثم دعوه إلى عبادتها وترك دعوته مرغبين ، ثم مفرين ، ثم حرموه وأهله وعشيرته مصاهرتهم والعمل معهم ، وحرموا على العرب التقرب منهم حتى كادوا يهلكون، ثم هددوه بالقتل إن هو لم يثب إلى رشده ويرجع عما هو فيه من تحقير آلهتهم والنيل من معبوداتهم ...

ولكن ما لمحمد وهذه المعبودات ، وأنى تؤثر فى نفسه هذه الأوثان ولو أنها رصعت بالشهب لا بالذهب ، وكيف يسيغ له عقله أن يعبد هذه الأصنام ولو عبدها الحجاج من عدنان والأقيال من حمير ، وأى خير يرجوه منها ولو عبدها الناس جميعا ؟

لقد عاش محمد حياته الأولى بين قومه رائحاً غادياً ولكنه كان فى الحقيقة يعيش فى واد من التفكير المنظم والنظر الثاقب ، وقومه كلهم فى واديهم يعمهون وفى ضلالاتهم سادرون وعن الحق مبتعدون ، عاش ماثلا بين يدى ربه ، سابحة أفكاره فى ملكوت السموات والأرض ، فلما سطعت لعينه الحقيقة الكبرى وجاءه الناموس الأعظم وانشرح صدره وزالت كربة نفسه . ما كان له إلا أن يجيبها ، وإلا فقد حبط سعيه وضاع جهده وأصبح هو وقومه سواء بسواء

فقال لنفسه : فلتجبها يا محمد ، أجب وإلا كنت من الخاسرين .. أجب فقد وجدت الجواب الذى حيرك طوال هذه الأعوام ..

أفبعد هـذا يزعم الـكاذبون الحاسدون أن الذى أقام محمداً وأثاره هو الطمع وحب الدنيا والرغبة فى الجاه والسلطان، حمق وايم الله وهوس وسخافة، وظلم بين وإجحاف للحق وتضليل للحقائق. ليقل لى هؤلاء الطاعنون، أى فائدة لرجل مثل محمد فى جميع بلاد العرب من أقصاها إلى أقصاها، وأى خير له فى تاج كسرى وصولجان قيصر. بل أى قيمة عنده لجميع ما بالأرض من تيجان وعروش ؟! لأنه يعرف المصير الأخير لجميع الممالك والتيجان.. وأين تصير الدول جميعها بعد حين من الزمان « كل من عليها فان ». أيطمع فى مشيخة مكة وقضيبها ذا الطرف المفضض.. أم فى ملك كسرى وتاجه ذى الذؤابة الذهبية.. أم فى صولجان قيصر وعزة ملكه ؟ وهل فى كل هـذا منجاة المرء من هول يوم الحساب إن لم يكن له من عمله منجاة ومـظفرة. كلا. إذن ما علينـا إلا أن نضرب برأى هؤلاء الجائرين القائلـين إن محمداً كاذب لا يبغى من دعوته إلا السلطان والجاه، عرض الحائط، فإن مذهبهم عار وسبة على البشرية فلقد أصبح من أكبر العار على أى إنسان متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يشاع من أقوال مفتراة وأكاذيب ملفقة عن دين الإسلام وأنه كذب، وأن محمداً رجل خداع مزور شهوانى فاسـد. بل أصبح من أوجب الواجبات علينا أن نحارب كل من يحاول أن يلصق هـذه التهم وأمثالها بمحمد ودعوته إن كنا نريد للحق أن ينتصر وللعـالم أن يسير نحو سلام دائم وحياة لا اضطراب فيها ولا فتن، لقد آن لنا أن نقول لهؤلاء الذين يشيعون مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، إنكم أنتم الكاذبون الخداعون. إنكم أنتم الذين تريدون أن تشيعوا فى العالم الفوضى والاضطراب وتحاولوا الوصول إلى الجاه والسلطان عن طريق الطعن فى الحق وأصحابه والجور فى القصد، لا عن طريق هداية العالم إلى الخير والسلام كما فعل محمد، ولكن ما أبعد الفرق بينه وبينكم فإن الرسالة التى جاء بها محمد ما زالت السراج الوهـاج والطـريق السوى لمـن أراد أن يصل إلى نعيم الحياة ويفوز بجنات عرضها السموات والأرض، وما زالت قبلة الأنظار مدة اثنى عشر قرناً لأكثر من مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا وجعل لهم عقولا كما جعل لنـا، وفيهم من بلغ أسمى درجات الرقى الفكرى الذى تدعون أنـكم وصلتم إليه، فلا تستحون من قولكم، إن هذه الرسالة التى آمن بها ومات عليها كل هؤلاء الملايين الفائقة الحصر، خدعة وكذب. فوا أسفاه ما أحقر هذا الزعم الباطل وأسوأ هـذا القول السخيف، وما أضعف عقول أهله وأحقهم بالرثاء والمرحمة، لأنهم ظنوا أن جميع الناس مجانين مثلهم. أما أنا فلا أستطيع أن أرى هـذا الرأى أبداً ولا أسكت عن قائليه، ولو أنى أرى أن الغش والكذب ينتشران بشكل مريع بين النـاس ويروجان رواجاً كبـيراً ويصادفان كثيراً من التصديق والقبول

إن الحق إذا لم يجد له نصيرا يدفع عنه سخف القول ويذود عن حوضه المفتريات لضاع بين أمثال هؤلاء الذين لا يرعون فيه إلا ولا ذمة. ولو أن الحق عدم أنصـاره لأصبحت الحيـاة سخفا وعبثا، وكان الأولى بهـا ألا تخلق. وأى حق أحق منا بالذود والدفاع عنه من دعوة محمد التى تدعو إلى السـلام والمحبة. وهما اللذان جاء بهما جميع الأنبياء لأنهما ظل الله فى الأرض وما الله إلا محبة وسلام

* * *

إن من أراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات، يجب عليه ألا ينظر إلى شئ مما يقوله أولـئك السفهاء، وألا يصـدق كلة واحدة من أقوالهم، لأنها أفكار سقيمة وأقوال جيل كفر بالله.. ونتاج عصر جحد بالإنسانية وقيمتها، وهى أبلغ دليل على خبث قلوب هؤلاء وموت أرواحهم وفسـاد ضمائرهم. وإذا فسـدت الضمائر وخبثت القلوب وماتت الأرواح فى الأبدان، فإن لصاحبها أن يفعل ما يشاء لأنه أصبح كالأنعام بل أضل

ولعل العالم لم ير قط رأيا الأم من هذا الرأى ولم يسمع قولا أكفر من هذا القول، فهل يعقل أن رجلا كاذبا خداعا يستطيع أن ينشر دينا بين النـاس وأن يوجد المعجب من القـوانين والأحكام التى كانت مدار الأحكام والتى أصبحت محور القوانين جميعا رغم كل ما يقال. والله إن الرجل الكاذب لا يستطيع إن يقيم بيتا من الطوب، لأنه يدعى أنه عليم بخصائص الجـير

والجص ومواد البناء وهو لا يعرف منها شيئا . فإن الذى يبنيه إنما هو تل من الأنقاض وكثيب من أخلاط المواد ، لا يستطيع أن يثبت اثنتى عشرة ساعة إذا هبت عليه ريح عاصف ، لا أن يقف كالطود الشامخ أمام مختلف الأعاصير والأنواء اثنى عشر قرنا يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، لا يمر عليهم وقت إلا وهم فى ازدياد مستمر ونمو مطرد . أفبعد هذا يقال إن محمدا كاذب خداع

وليعلم من لم يكن يعلم أن على المرء أن يسير فى جميع أمره مابق قوانين الطبيعة لا يخالفها ، وإلا استعصى عليه الأمر وأبت هى أن تجيب طلبته وتعطيه ما يشاء ويبتغى

كذب وافتراء والله ما يذيعه أولئك الكفار ، ولا بد أنهم سيعودون فى النهاية مهزومين وإن زخرفوا أقوالهم حتى تخيلها بعض الناس حقا

باطل وزور والله ما يدعون إليه وإن زينوه حتى أوهموا السذج أنه صدق . ومحنة والله ومصاب ما بعده مصاب أن ينخدع الناس بهذه الأباطيل ، ويجد الكذب له بين الأمم والشعوب آذانا صاغية

ولكن مهما كان الأمر فإن الناس سيأتى عليهم اليوم الذى يدركون فيه كذب هؤلاء ؛ إنه كما ذكرت لكم من قبيل الأوراق المالية المزيفة ، يبذل لها صاحبها غاية الجهد ، ليتخلص منها ويخرجها من كفه القذرة الأثيمة ، ليقع فى ضررها غيره ويحيق مصابها بسواه، ولكن لا يلبث زيفها أن يظهر للناس ، فيلقون بها فى سلات المهملات وهم يصيحون بملء أفواههم « هذه أوراق مزيفة »

* * *

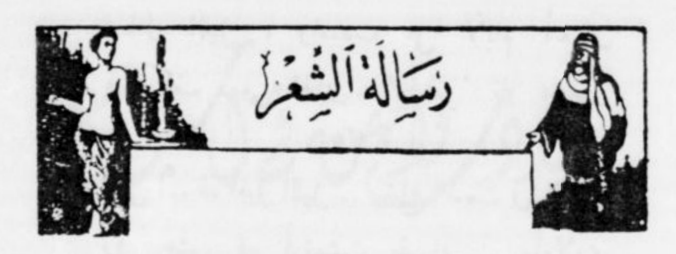
إننا لو قارنا بين دعوة محمد وصدقه فيما أتى به ، وبين دعوة زعماء الثورة الفرنسوية — لا على سبيل المساواة فى القيمة الروحية ولكن على سبيل المثل فقط ؛ إذ من الظلم البين أن نقرن الثانية بالأولى — وما حاول أولئك الزعماء نشره ، لوجدنا أن الأولى قد جاءت من قبل مجىء الثورة الفرنسوية بعدة قرون وبقيت بعدها وستظل ثابتة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أما الثانية فقد ذهبت بذهاب دعاتها ، بل إنهم هم أنفسهم لم يأخذوا بها ولم يسيروا على ما كانوا يدعون إليه ، وهذا أكبر شاهد على أن محمدا لم يكن أخا شهوة كما يتهمه أولئك الضالون ، ظلما وعدوانا

والله أشد ما نتعدى حدود الجور والخطأ ، إذا اتهمنا محمدا بأنه رجل شهوانى لا هم له إلا إشباع نفسه من الملاذ وقضاء مآربه من الشهوات . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ والشهوات ، بل لقد كان زاهدا فى حياته كلها متقشفا فى مأكله وملبسه ومسكنه ، وجميع أحواله ، فقد كان طعامه عادة لا يزيد على الخبز والماء ، وكثيرا ما كانت الشهور تمضى ولا يوقد بداره نارا تحت قدر ، وإنهم ليذكرون ... ونعم ما يذكرون — أنه كان يقوم بأعماله بنفسه ، يرفو ثوبه ويخصف نعليه بيديه ، فهل بعد هذا تواضع ومفخرة ؟ وهل هذه هى صفات الرجل الذى يسمى إلى الجاه والسلطان والملك والصولجان!

حبذا محمدا من رجل خشن الطعام مرقع الثياب مجتهد فى الله ساهر ليله يذكر ربه وينصت لوحيه جاهدا فى نشر دينه ،لا يطلب رتبة ولا يطمع فى دولة أو سلطان أو غير ذلك مما يتطلع إليه أصاغر الرجال

والله لو لم يكن محمد صادقا فى دعوته مخلصا فى تأدية رسالته لما لقى من أولئك العرب الغلاظ الأكباد توقيرا ولا احتراما ولا تعظيما ولا إكبارا ، وما كان مستطيعا معاشرتهم أكثر أوقاته بعد أن قام بدعوته ثلاثا وعشرين حجة . وما كان فى مقدوره أن يقودهم إلى ميادين القتال لا يهابون الموت ، يلتفون حوله ويقاتلون بين يديه ويجاهدون فى سبيل دعوته ، يلقون مصارعهم آمنين مطمئنين إلى المصير الذى وعدهم الله إياه « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

لقد كان فى هؤلاء العرب غلظة وجفاء وكبر وعجرفة ، وكانوا حماة الأنوف أباة الضيم صعاب الشكيمة وعر المقادة ليسوا



النهر الملول ...!(*)

عن أندريه موروا

للأستاذ أنور العطار

« يرى « موروا » حياة الإنسان نهراً ملولا ، ويرى الموت بحراً ، ولقد تضجره الحياة والأحياء ، وتسئمه الأماني والآمال فيهيب بنهر حياته الملول أن انسكب في خضم الردى وغب في بحر الفناء »

قد نجونا من الحياة ... ومن سحرها المجب
ومن المأمل الشهي ... ومن كالح الرهب
خالق الموت والحياة ... ويا خير من وهب
لك شكراننا العميم ... على الدهر قد وجب
ولك الحمد أن قطعـ ... ـت من العيشة السبب
أنت أوردتنا الردى ... والردى السؤل والطلب
فسلمنا من الأذى ... واسترحنا من النصب

(*) من ديوان « وادي الأحلام » الماثل للطبع

بالمتساقين وراء كل ناعب ، فمن استطاع تذليل جانبهم وقدر على رياضتهم ، حتى رضخوا له وساروا وراءه مسلمين له القياد ، فلولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل والصدق والإخلاص ، لما خضعوا له ولا أذعنوا لأمره. وإني أعتقد أنه لو كان أتيح لهم بدل محمد ، قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه ، لما لقي من طاعتهم واحترامهم بعض ما لقيه محمد في ثوبه الرقع بيده . وهذا أكبر دليل على عظم محمد وصدقه في دعوته وإخلاصه لربه

عبد الموجود عبد الحافظ

لو ملكنا عرا البقاء ... لما شاقنا أرب
ولأودى بنا الحنين ... إلى الملك والعطب
كل من ذاقه استراح ... من الهم والتعب
ماله الدهر رجعة ... أو معاد ومنقلب
فلقد تسأم الحياة ... وقد يجتوى الرغب

...

رب نهر معذب ... مل من طول ما سرب
وتناهى به المطاف ... إلى البحر فاحتجب

أنور العطار

من الشعر الفكاهي

من وحي الكأس

للأستاذ محمود غنيم

على بك شخصية لا تكاد تفارق الكأس شفتيه ، كان موظفاً كبيراً ثم أحيل إلى التقاعد من سنوات ، وقد أقام له الشيخ المحترم سعد بك اللبان بقصد الدعابة حفلة تكريم التي فيها الشاعر هذه القصيدة

صاغوا لك الشعر من زهر ونوار ... وصغته لك من حانوت خمار
ما « الروم » إن قلت شعراً يا على وما ... زبيب « زوتس » أو « كونياك أو تار »
حطم كؤوسك واشرب يا أبا حسن ... سلافة عصرت من كرم أشعاري
لله درك شيخاً ليس يشبهه ... نهر من الخمر في أحشائه جار
حمراء سحنته بيضاء لحيته ... لكن صفحته سوداء كالقار
إن الشيوخ تقوم الليل في حرم ... لكن على يقوم الليل في « بار »

...

يمشي على فلا يدري إلى جبل ... تقوده قدماه أم إلى الدار ؟
يضل عن بيته والشمس طالعة ... وليس يبعد عنه غير أشبار
وربما دق باب الجار من خبل ... وربما ضربته زوجة الجار
بعد « ينى » عليه الكأس أربعة ... أو خمسة وهو لا واع ولا دار
ويحسب الفار إذ يبدو له جملا ... يعدو عليه فيجري خشية الفار

ويطلب اللحم من دكان فاكهة ... ويشترى الموز من حانوت جزار
وربما خدعته العين فى رجل ... يمشى فقال : مساء الفل يامارى
وربما قابل « المترو » فقبله ... فى وجنتيه وحياه « بسيجار »
وربما أطلق السكين « قنبلة » ... وراح يحسبها رنات أوتار

. . .

على عذرا إذا أسرفت فى هذرى ... فأنت ذو منزل عندى ومقدار
حييت يا صاح فيك النبل أجمعه ... حييت فيك لسانا غير معثار
حييت فيك حديثا خف مسمعه ... وكم حديث يحاكى رجم أحجار
ظل خفيف وأخلاق ممطرة ... لو نسقت أصبحت باقات أزهار
بكفيك نجلان يزدان الحمى بهما ... كلاهما لامع كالكوكب السارى
وندوة الشيخ « سعد » أنت بهجتها ... لله درك بدرا بين أقمار

. . .

لا عيب فيك سوى كأس تضاجعها ... فى النوم تغنيك عن زوج وأصهار
وكل ما أنجبت مصر وما ولدت ... « باريس » من خرد عون وأبكار
الدهر أفسد شيئا أنت تعرفه ... ما عاد ينفعه إصلاح عطار
بالأقدمية عش فى البيت منزويا ... وأخف نفسك فيه خلف أستار
لا تغضبن على فول ولا عدس ... ولو أتوك بسم ناقع هار
عش يا على مليا واقض عمرك فى ... كأس وكاس وفى لهو وأسمار
وخل من شاء يبكى الحظ منتحبا ... ويقطع العمر فى هم وأفكار
أترع كؤوسك واشرب كيف شئت وقل ... يا نفس لا تقنطى من رحمة البارى
ما العار إلا الأذى بالناس تلحقه ... ما فى المدام ولا فى الكاس من عار
قد يغفر الله للسكير من كرم ... ويخلد الراهب الذكير فى النار

. . .

على هذا قريض كنت تطلبه ... فأد فى كل بيت ألف دينار
الشعر غال ولكنى أجود به ... عليك . إنك مثلى جائع عار

محمود غنيم

أخـــى

للاستاذ محمود البكرى محمد

أخى ! .. قد غالنى الجوع ، وهد الفقر بنيانى
ودب الضعف فى جسدى ، وهز الشر إيمانى
وطال الليل . وامتدت على الأيام أحزانى
فكفكف دمعى الهامى ، وأطفئ نار حرمانى

* * *

أخى ! .. قد أقبل الليل .. وشاع الصمت فى الوادى
وفى عشى قد ارتمشت بنيـاتى . وأولادى
يهيج أنينهم قلبى .. وبذكى نار أحقـادى
وما فى العش من دفء ، وما فى العش من زاد

* * *

أخى ! قد عربد الشر ، وما جت بالأسى نفسى
ونام الخير ، وانبعثت دواعى الثأر فى رأسى
وجن البؤس فانتفضت بكفى بغتة فأسى
أرونى الظالم العاتى ليلقى المر من بأسى

* * *

أخى احفر لى — على عجل — بفأسى هذه قبرى
والحدنى ! .. فما بقيت سوى الأوهام من عمرى
سئمت مآسى الدنيا ، وضقت بقسوة الدهر
سقانى الكأس حنظلة ، وقلبى على الجمر ! ..

السكيان ... محمود البكرى محمد

الأدب والفن في أسبوع

حملة انجليزية على الدكتور طه حسين باشا :

شن بعض المدرسين الإنجليز الذين فصلوا من المدارس المصرية حملة هوجاء في جريدة « الإجبشيان جازيت » ضد سعادة الدكتور طه حسين باشا ، تحت عنوان « الصنم الذي هوى » وهو عنوان يدل على مقدار « أدب المربين » الإنجليز :

وقد ادعى أولئك الكاتبون « المهذبون » أن وزير المعارف السابق عاملهم معاملة غير كريمة وغير عادلة لأنه فصلهم من وظائفهم .. ويظهر أنهم لم يجدوا في قضيتهم الأساسية ما يناقشون فيه على أساس المنطق المعقول ، فلجأوا إلى الهجوم الشخصي . ومن أعجب ما جاء في كتابتهم أن الدكتور طه حسين باشا سقطت مكانته بعد الخروج من الوزارة !!

وأنا أسأل هؤلاء الأساتذة الذين يفترض فيهم أنهم من المثقفين .. هل هم يعيشون في مصر أو في انجلترا ؟ إذا كانوا قد عاشوا في مصر بعقولهم كما عاشوا فيها بأجسامهم فكيف يخفى عنهم أن طه حسين رجل له مكانته في هذه البلاد باعتباره أستاذ النهضة الفكرية المعاصرة، وباعتباره كاتبا أجمع المواطنون على سبقه من الناحيتين الفنية والإصلاحية ؟ فالوزارة لم تضف إليه شيئا من مجد أو مال حتى يهوى بالخروج منها ، ومثل طه حسين هو هو في الوزارة أو في خارجها

وإذا كانوا يعيشون في انجلترا فهل جاءتهم أنباء الحفاوة التي قوبل بها الدكتور طه حسين باشا من نحو عامين في الجامعات الإنجليزية حيث أشار الأساتذة هناك بعبقريته وآثاره في ميادين الفكر والثقافة والتعليم ، ومنحته الجامعات « دكتوراه » فخرية ؟

ففي أي مكان هوى ذلك النجم ؟ أفي مصر أم في انجلترا أم في عقول أولئك المدرسين الخاوية ..؟

وقد تصدى للرد على تلك المقالات الأستاذ إسماعيل كامل في نفس الصحيفة « الإجبشيان جازيت » وفند أقوالهم تفنيدا أثار ارتياح العقلاء من قراء هذه الجريدة

ثم كتب العميد نفسه مقالا في الصحيفة ذاتها رد به على تلك الغارة الشعواء ، قال فيه : أود قبل كل شئ أن أسأل لماذا انتظر هؤلاء هذه المدة الطويلة ليشكوا مما حدث منذ أكثر من شهرين بل في التاسع من ديسمبر بالذات ؟ ولماذا آثروا الصمت حينما كنت عضوا في الحكومة المصرية ؟ إنه ليسرى عنى أن أتبين أن الشجاعة كانت تنقصهم ، مع أنه لم تكن هناك أية رقابة إذ ذاك

ثم قال سعادته: على أن مسئولية فصل أولئك المدرسين لا تقع على وزير المعارف ، أو على مجلس الوزراء المصري ، ولكنها تقع على العسكريين البريطانيين في منطقة القنال، الذين سلكوا سلوكا لا يمكن قبوله في القرن العشرين

وأوضح في المقال ما صنعه معهم إذ أراد أن يحميهم من الهجوم الذي قد يتعرضون له في المدارس وفي الجامعات ، فطلب إليهم أن يبقوا في منازلهم ليدفع عنهم غضب أبناء الشعب من طلبة المدارس والجامعات

وقال سعادة العميد : وإذا ما رغب هؤلاء الأساتذة في الشكوى فإني أنصح لهم ، عندما يعودون إلى انجلترا ، أن يرسلوا احتجاجات إلى مستر تشرشل مثلا أو إلى أي شخص آخر مسئول عما حدث ، لا لهم فحسب ، ولكن وقبل كل شئ عما حدث للشعب المصري كله منذ اكتوبر سنة ١٩٥١ ، وذلك مادام إحساسهم بالعدالة عظيما إلى هذا الحد !

وقد قرر مجلس الدولة أنه ليس لهؤلاء المدرسين حق في الحصول على أي تعويض ، ولكن الحكومة قررت — بناء على طلب وزارة المعارف — منحهم مرتب ثلاثة شهور ونفقات سفرهم

فأية عدالة يطلبونها بعد ذلك ؟ وأيهما يعدأ كرم : موقف الوزير منهم ، أو موقفهم منه وهم يتطاولون ويتقولون عليه بعد خروجه من الوزارة .. ؟

حقيقة المسألة — على ما هو طبيعي — أن الدكتور طه حسين باشا كان مصريا فغضب الإنجليز ...

فسار الوزاعز:

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اضرب لى مثلا للخادم يحتاج إلى أن ينبه فى كل أمر ولا يتخلص مما يؤمر به خطة يلزمها ونهجا يسير عليه . قال بيدبا : مثل ذلك — أيها الملك السعيد — الإذاعة المصرية . شكا الناس منذ سنوات من أغنية « حودة يانى » إذ استنكرها ذوو الحياء والغيرة وألحوا فى استنكارها ، فلم يسع الإذاعة إلا منعها . وشكوا من أمثال لها وحملوا عليها فرضخت وامتنعت عن المنكر . وكان حريا بها أن تدرك أن المسألة مسألة خطة يجب أن تكون مرسومة ، وأن ما استنكر ليس إلا مثلا يجب القياس عليه .. ولكن ظهر أنها تحتاج فى كل مرة إلى استنكار جديد من مخدومها الشعب .. فقد لاحظ هذا السيد (الشعب) أن خادمه (الإذاعة) تذيع فى هذه الآونة التى تتطلب العمل الجد مثل أغنية « الدنيا سجارة وكاس » وأن هذا لا يتفق مع التبعات الجسام التى يعد لها جيل الشباب ، فهناك أشياء أهم من السجارة والكاس .. ومثل الأغنية التى يقول فيها المغنى « تعالى بين أحضانى » — لاحظ السيد ذلك من خادمه العجيب الذى كان يجب أن يدرك من تلقاء نفسه أن ذلك لا يليق ، فغضب عليه و « شخط فيه » فاضطر إلى أن يقول « حاضر يا سيدى ! »

قال دبشليم الملك : حسن ماجئت به من مثل ! ولكن كيف تستعمل الدولة المصرية هذا الخادم الساذج فى عصر التقدم الذى يوجد به خدم مدربون أذكياء ؟

قال الفيلسوف: أيها الملك السعيد، ليست المسألة بهذه المثابة ، ولكن « إذا حسنت أخلاق المخدوم ساءت أخلاق الخادم »

قال دبشليم الملك : زدنى إيضاحا.

قال بيدبا الفيلسوف : إن من فى الإذاعة قد لا ينقصهم الذكاء وربما كان لبعضهم دربة . ولكنهم « محاسيب » لذوى النفوذ ، جئ بهم ليغدق عليهم ثم لا بد من الإغضاء عنهم ..

قال دبشليم الملك : وما رأيك فى قولة رئيس الوزارة الجديد أحمد نجيب الهلالى باشا : « ان نوادع الفساد »

قال الفيلسوف : إنا لمنتظرون ..

كشكول الأسبوع

▫ أجرى بمجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضى الانتخاب لشغل الكراسى الثلاثة الحالية به ، فأسفرت النتيجة عن انتخاب واصف غالى باشا والدكتور محمد كامل حسين بك مدير جامعة إبراهيم ، أما الكرسى الثالث فاكتنفه التوفيقان : توفيق الحكيم وتوفيق دياب . إذ لم يبلغ أحدهما نصاب التوفيق .. فأجل الانتخاب لهذا الكرسى إلى جلسة تحدد فيا بعد

▫ لوحظ أن الكتاب الذى رفعه إلى جلالة الملك أحمد نجيب الهلالى باشا بالإجابة إلى تأليف الوزارة — مكتوب بأسلوب أدبى يذكر برسائل البلغاء من الوزراء الكتاب الأول ، ولا غرابة فى ذلك فالهلالى باشا كاتب أديب ممتاز

▫ وفى الوزارة الهلالية الجديدة كذلك أديب متمكن يقرض الشعر أحيانا وإن لم يعرفه الجمهور بذلك ، وهو معالى الأستاذ محمد مفتى الجزائرلى باشا وزير الأوقاف

▫ عقدت لجنة جوائز فؤاد الأول الأدبية أول جلسة لها فى هذا العام يوم الأربعاء الماضى . ومما يذكر أن معالى عبد الخالق حسونة باشا وزير المعارف السابق كان قد أصدر قرارا باستمرار تأليف اللجنة كما هى ، وكان الدكتور طه حسين باشا أول من استن هذه السنة وأقر هذا الوضع ، فاللجنة مستمرة بهيئتها منذ ألفها السنهورى باشا إبان توليته الوزارة ، وهى برياسة الأستاذ على عبد الرازق باشا

▫ كان السجل الثقافى الذى تصدره الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف ، مما ترجع إليه لجنة جوائز فؤاد الأول لتتبع ما صدر من المؤلفات . ولكن سجل سنة ١٩٥٠ لم يصدر إلى الآن وقد مضى على موعده سنتان !

حق القارئ على الكاتب :

تلقيت الرسالة الآتية من الأديب عبد اللطيف الطالب بمعهد القاهرة الثانوي ، وقد حرص على أن يبعث بها إلى — كما قال في هامشها — ليجنبها على أستاذنا الكبير الزيات بك. وقد رأيت أن أنشرها في هذا الباب لأني أشارك صاحبها ما تضمنته من رأى ورجاء، وأعلم أن «شعب الرسالة» يرى ذلك ويرجوه ، ونحن الآن في عصر الشعوب واحترام إرادتها ، وهذا هو نص الرسالة :

« أما بعد التحية : فللأستاذ الزيات في قلوب القارئين مكانة تجل من الوصف وتنبو عن مواطن الشبهات، وذلك لما اتصف به من العمق العميق في البحث . والإحاطة الشاملة في الدراسة، والأمانة الدقيقة في الترجمة والأخلاق العالية في التجميل والتزين، مما حدا بأساتذتنا أن يقولوا لنا في فصول الدراسة : اقرءوا الزيات من خلال كلماته فإن كلماته تشف عن الرفعة والنبل والجمال

وبيننا — معشر قراء الرسالة — وبين أستاذنا الزيات مشكلة نرجو لها حلا، أستغفر الله بل لنا رجاء — حتى أكون مؤدبا — نضعه بين يديه إن الأستاذ الزيات يضن علينا بمقال كامل يشغل صحيفة وبعض الصحيفة في كل أسبوع يتوج به مجلتنا الحبيبة التي تتلقفها أيدينا في نهم كما تتلقف أفواه الجياع أرغفة الخبز

أفلا يتفضل ويغمرنا بهذا المقال كلما خرج إلى الوجود عدد جديد من الرسالة الغراء ؟!

وهذا رجاء يعتمل في نفس كل قارئ للرسالة ، وأعتقد أن هذا من حق القارئ على الكاتب الذي ينزله من قلبه منزلة رفيعة . وعلينا لأستاذنا الزيات أن نفهم ما يكتب وأن نقدر ما يقول ..

وقد عبرت عن بعض ذلك الآنسة العراقية صاحبة « رسالة الجسم الجميل وصورة الروح النبيل » لكنها غلب عليها حياء العذارى حين طلبت من أستاذنا الزيات أن يخصص عددا من الرسالة لتأبين المرحوم « على محمود طه » يكتب هو أكثره ، ولم تطلب منه أن يضع لنا كتابا يتناول فيه بالتحليل والدراسة شخصية وشعر « شاعر الحب والجمال » الخالد

إن حقق رجاءنا أستاذنا فقد أضاف إلى فضائله الكثيرة فضلا وإن لم ... فسأضع هذا الأمر بين يدى قراء الرسالة على صورة استفتاء !

وحينئذ لا مفر من النزول على رغبة القراء وتفضلوا بقبول فائق الاحترام »

عباس خضر

□ من الكتب القيمة التي ظهرت أخيرا كتاب « الإنسان بين المادية والاسلام » للاستاذ محمد قطب ، وتدور موضوعاته حول النفس الانسانية من حيث نظرة الشرائع والمذاهب المختلفة إليها . والفكرة التي يرى إليها المؤلف هي أن الاسلام يقف في طريق وسط بين المسيحية التي تفرض الكبت على الطاقة الحيوية للانسان وبين « فرويد » الذي يطلق النفس من عقالها ويعتبر الانسان حيوانا أرضيا . والأستاذ محمد قطب كاتب شاب ولكنه يبدو بهذا الكتاب في نضج الشيوخ من حيث اتزان الفكر وعمقه ، إلى ما فيه من سلامة المنطق وجمال العرض وصحة الاستنتاج

□ ومن أحسن ما صدر أيضا في هذا الشهر كتاب « نديم الخلفاء » للأستاذ عبد الستار أحمد فراج ، وهو آخر حلقة في سلسلة « اقرأ » يعرض فيه حياة الشاعر الخليع الحسين بن الضحاك ، وقد تعمد أن يكثر من إيراد شعره وأخباره لاستكمال تصوير الشاعر وتصوير بيئته ، وقد وفى ذلك حقه مما يدل على شمول إلمامه بمراجع الموضوع . وأبرز مايلاحظ في الكتاب غير ذلك أن المؤلف تحدث عن العبث والمجون والخمريات في تلك البيئة بأسلوب لبق ناصع جذاب

□ تقرر نقل الأساتذة هارون الحلو وسليمان الحلى وعبد الغنى سعيد من إدارة الإذاعة إلى وزارة التموين .. وقد كانوا يشرفون على الشؤون الثقافية بالاذاعة ، وهم من أساتذة اللغة والأدب ، ولذا لا يدرى أحد ماذا سيصنعون بوزارة التموين .. ويقترح أحد الظرفاء أن يشتغل الأستاذ « الحلو » بتوزيع بطاقات « السكر » !

□ وافقت الحكومة المصرية على ما اقترحته « اليونسكو » من إلغاء الرسوم الجمركية المقررة على المواد اللازمة لشؤون التربية والتعليم والثقافة ، وتشمل هذه المواد الكتب والصحف والدوريات والأفلام الدراسية والأعمال الفنية وغيرها



رياح وشموع

شعر : كمال نشأت

للأستاذ محمد محمود زيتون

هذه مجموعة رقيقة من شعر الشباب ، ضمت أصدق الأحاسيس ، التي اهتزت لها مشاعر الأستاذ الشاعر كمال نشأت ، وقد ملك الربيع عليه سمعه وبصره ، فنفقا عن صخب الناس ، ومضى إلى الطبيعة يستجليها ، فواتاه الإلهام وساعفه النغم

ولا عجب ، فهو من شباب الإسكندرية ، أمسى وأضحى بين عينيها ، فافتتن بالأنسام ، واحتفل بالأمواج ، واختلى بالأسحار والأصائل ، فتصيد لقيثارته الشادية أوتار الربيع ، فامتزج النغم الناعم بالموج العتى ، وخفقت « الشموع » فى رعونة « الرياح » العواصف ؛ والربيع فى حناياه دوى لا يبلى مع الخريف الحائل ، والهجران الموحش

يستهل الشاعر مجموعة « رياح وشموع » بالقطعة الجميلة التى عنوانها « ربيعى » ، وهنا نضع بين يدى القارئ مفتاح الشاعرية الذى يهدى إلى أسرار نفسه : فليس الربيع خضرة وزهرة . أو جدولا وبلبلا .. أو بعضاً من تلك المفاتن التى تجتمع عليها الحواس المشتركة لناس هـذه الدنيا ، ولـكن الربيع عند الشاعر معان مجردة له أن يمنحها ما يشاء من الأصباغ ، وله أن ينغمها بحيث ينفرد هو بتوقيعها على قيثارته فى محاريب الفن

لهـذا ، كان ربيع شاعرنا معنى جديداً له معالمه ومعارفه ، فالحياة فى تقلباتها « ربيع خالد لا ينتهى » بحيث لا يعفو مع الخريف ، ولا يمسو مع الظلام ، فليتأمل القارئ هذين البيتين وبينهما سبعة أبيات رقاق :

وبمهجتى أجـد الربيع مجدداً أبداً نضيراً فى الشعور الناضر
أنا فى الخريف أرى ربيعاً غافيا وأكاد ألمسه صنيعة ساحر

ويسبح بعدذلك فى الآفاق الفساح [illegible] بجناحه الذهبى هـذا السحاب ، متنقلا على بساط سليمان من الروض إلى الميناء إلى محطة الرمل إلى الترام إلى تريانون إلى العيون النواعس إلى الشاطىء ، والربيع من حوله : هالة مشعة أو بسمة دافقة ، يقول :

هو فى دمى خلد وبين أضالعى فجـــر أوائله بها كأواخر
لى خافق يجد الربيع منوعا فى كل مرأى يستبين لناظرى
لى خافق يجد الربيع بكل ما يلقاه من ماض لدى وحاضر
فى البحر ، فى القفر الجديب ، وفى لظى
بين الجوانح ، فى ظـــلام مغـاور
فى بسمة الطفل الصغير تكشفت
عن طهره فى روعـــة لعبـاقر
فى غنوة العصفور فى ألق الضحى
فى ضجة الموج العتى المهـــادر .

وإذا عاد ربيع الناس ، ترنم شاعرنا بهـذا النشيد العـــذب « نداء الربيع » فيقول :

عاد الربيـــع ومهجتى فيهـا ربيـع نـــاضر
شعر ، وأحلام ، وأنغـام ، وشوق زاخر
عاد الربيع فمدت أسمع بين أحنـائى خطاه
همس يـدب مجـــدداً فى القلب أفراح الحياه

ولئن تملك الربيع شـاعرنا الملهم ، فلا أقل من أن يمتزج بتهاويله فتراه — وهو على ضفاف « بحيرة البجع » — يتمنى أن يكون عطراً أو ريشة أو ظلاما أو صـباحاً أو سكوناً أو ظلاما ، ولكنه قلب أسير فى يد الحقيقة ، فيناجى البجعات السابحات الفاتنات :

آه لو كنت فى رحابك عطراً فى زهور على غصون وريقه
آه لو كنت ريشة فى جناح لطيور منـعمات رشـــيقه
آه لو كنت فى مياهك ظلا غائصاً يرتقى الزهور العريقه
كم تمنيت أن أ كون صباحاً ناعـماً حالمـاً رغيباً شروقه
كم تمنيت أن أ كون سكوناً فى كهوف بين الجبال سحيقه
كم تمنيت أن أ كون ظلاماً ناشراً ستره ، محبا سموقه
كم تمنيت أن أ كون ، وما كنت سوى مهجة بأسر الحقيقة



تحية الى مؤلف « محاضرات الثلاثاء »:

أرسل حضرة صاحب العزة الأستاذ محمود تيمور بك إلى الأستاذ أحمد الشرباصي الخطاب التالي ، بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٥٢ م .

« عزيزي الفاضل الأستاذ أحمد الشرباصي

أبعث لفضيلتكم بأسمى التحية شاكرا لكم هديتكم الطريفة (محاضرات الثلاثاء) وإني إذ أكتب لكم عن رأيي في هذا الكتاب . فإنما أكتبه عن يقين وإخلاص ...

ولا أكتمكم سروري الكبير الذي شملني على إثر مطالعتي لهذا السفر الطريف ، الذي دل على روحكم العالية ، ونزعتكم في الإصلاح ، متخذين الدين كأساس لهذا الغرض ، في مرونة تساير روح المجتمع ، دون خروج على مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة الغراء

كل ذلك يجري في معالجة طريفة أخاذة ، وعرض رفيع رائع ، وأسلوب سام رصين . فأهنئ فضيلتكم تهنئة صادقة ، وأؤمل أن تواصلوا هذا النشاط الاجتماعي الديني المشكور همتكم المعروفة ، ويهتدي بها ويقتفى

وتحياتي الخالصة إليكم مشفوعة بتقديري واحترامي »

المخلص

محمود تيمور

مدافن الأدب في وزارة المعارف:

ما أضيع الأدب في وزارة المعارف ، وما أسرع النسيان إلينا حين يمضي النهار بالأدباء الراحلين ممن خدموا الثقافة القومية ، ودعموا أركانها . أقول هذا حين أذكر تلك النهضة التأليفية التي بزغت عندنا سنة ١٩٣٨ ، فنظمت الوزارة مسابقات أدبية رفيعة أكرمت فيها الفائزين ماليا ، ووعدت بطبع مؤلفاتهم التي فازوا بها : ولكن مضت الأيام والسنون ، وتقلبت العهود ، وما تزال هذه الكتب كالأطياف الباهتة في بقايا ذاكرة وفية

حقا، لقد مضى أصحابها إلى دار البقاء، وخجل أهلوهم من الانتصاف للأموات من الأحياء ، وقد طوتهم الأيام بأرزائها ، ولكنا نتساءل : إلى متى تسير الوزارة ، وزارة العلم والأدب ، وراءه يزف « نسمة الفجر » إلى دنيا الناس فيقول :

هي على القفر الجديب ، على السهول ، على البحور
روحا تعانق كل ما تلقاه ، طاهرة الضمير
وتوحد الكون الكبير ، بحبها العف الكبير
وتثير في القلب المعذب فرحة الطفل الغرير
دوري بأحلام الربيع ، وعطره بالأفق دوري
وتناثري فرحا، وأحلاما على الروض النضير

إنه لا شك شاعر هيمان ، له قلب أخذ يرق ويرق حتى صار فلذة من الطبيعة الحافلة بالجمال . فهو يقول :

فوق هذي الظلال مرنا ظلالا
ضاحكات على الطريق الوديع

ويبدو هذا المزاج الشاعري في نغماته الموزعة بين « الليل الربيعي » و « البرعم الشفق » و « همسة الصبح الخجول » ولا يعبأ بعد ذلك بالعواصف الهوج و « الضياء المقرور » والشموع الخوافق ؛ فالأمل يحدو له بنشيد « الصباح المطوف »

إن قسا الليل ظلمة ورياحا فالصباح المطوف في أحنائي
والسكون العميق بين ذراعينا ودفء الدماء في الأعضاء
أطفئي خافق الشموع ، وخلينا ظلاما إلى مجيء الضياء

هذه بعض الرؤى الباسمة . والظلال الخفاف ، التي تسابقت إلى خيال الشاعر كلما نشأت ، فاهتزت لها ريشته الصناع ، ما كدت أفرغ من ترتيلها حتى رأيتني صادق الرغبة في إشراك قراء الرسالة معي في الإعجاب بها ، والتقدير له ، فله مني أخلص التهنئة على براعته في التقاط الهمسات والبسمات والنسمات التي صاغها مع الربيع في « رياح وشموع »

محمد محمود زيتون

على ظهر سلحفاة ، كلما اتصل الموضوع بالشؤون العلمية والأدبية ؟ ولماذا يجازى المرحوم فخرى أبو السعود بوأد كتابيه القيمين عن « الخلافة » « والبارودى » ؟ وما جريرة الأدب المعاصر إذا حرم من ثمرة رجاله السابقين ؟

فلتحمل الرسالة الغراء هذه الصرخة إلى وزارة المعارف ، لعلها تعمل على إحياء ذكرى النابغين الراحلين ، وتفى بما وعدت من طبع تراثهم الممتاز ، فهذا حقهم الشرعى عليها ، تؤاخذ على التفريط فيه أمام محكمة التاريخ ، وتنال الحمد والثناء على أدائه ، وذلك لا سواه هو التقدير الباقى ، والتخليد الكريم لأهل الأدب أحياء وأمواتا ، أما إذا تذرعت بمعاذير رسمية ، فلن يعفيها من التبعة الأدبية عيون يواقظ ، ولا أقل من تسليم هذه الكتب إلى إحدى دور النشر لإذاعتها والانتفاع بها ، وهذا هو العمل الإيجابى الحاسم الذى نطالب به وزارة المعارف اليوم بعد الذى مضى ، وإلا فإنه يحق لأهل الثقافة أن يتقدموا باستجواب محرج بشأن هذه الكتب التى لا ندرى إن كانت موجودة فنبعثها أو موءودة فنحتسبها

ونرجو مخلصين ألا يكون قد أهيل عليها تراب النسيان فى زحمة الأحداث فذهبت مع الريح ، ورحم الله فخرى أبو السعود : نعوا إليه فى حياته فلذتين من كبده ، حين ابتلع البحر المحيط ولديه الصغيرين وهما فى الباخرة الهاوية بأطفال الإنجليز إلى أمريكا ، فمن ينعى إليه فى مماته فلذتين من عقله ، وقد شيع الجحود والإهمال كتابيه الكريمين إلى المقابر الأدب فى وزارة المعارف .. عظم الله أجركم أيها الأدباء

محمد محمود زيتون

ملاحظات أسبوعية :

١ — قرأت رباعيات الخيام مترجمة إلى العربية بقلم الشاعر : محمد السباعى . والمقطع الأول منها هو :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الفلس وابرى بالشرق رام أرسلا
أسهم الأضواء فى هام القلاع

واستوقفنى ص ١٥٤ فى الجزء الثانى من « معاهد التنصيص » لعبد الرحيم العباسى ما أذكر « وبديع أيضا قول ابن وكيع من الرمل ... »

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالعيش خلس
سل سيف الفجر من غمد الدحى وتعرى الصبح من ثوب الغلس
وانجلى عن حلل فضية نالها من ظلم الليل دنس

وأترك لكل قارئ التعليق على الشاعر السباعى

٢ — وقرأت ص ٩٥ من العدد الثالث من مجلة « المسلمون » قصيدة بعنوان « الفدائيون » مهداة إلى أرواح الشهداء الخالدين مطلعها . والقصيدة للأستاذ محمود حسن إسماعيل

نفخ الصور فانتبه من سباتك أيها الشعب تلك أولى حياتك

ووقفت عند البيت ٣٤

كل هذا وأنت فى دورة الأيا م مستغشيا فى سباتك

القصيدة من بحر الخفيف . واستوقفنى البيت لكسر فيه حيث إن التفعيلة الثانية من العجز ناقصة وتدا مجموعا . ولست أدرى لمن أعزو السبب فى غيبة هذا الوتد ألقلم الشاعر ، أم لجهاز المطبعة ؟

وإلى اللقاء معشر القراء والسلام

محمد محمد أحمد الناجى

ميراث الإخوة لأم

قرأت فى العدد ٩٧٠ من الرسالة الغراء فى البريد الأدبى تعليقا للأستاذ على إبراهيم القنديلى على فتوى صاحب الفضيلة المفتى السابق بخصوص ميراث الإخوة لأم

وقد كتب الأستاذ المعلق أن الإخوة لأم لا يرثون لوجود الفرع الوارث.. وقد استشهد على ذلك بما جاء فى كتاب الفرائض من الجزء الخامس لابن عابدين وكذلك بما ورد فى شرح الشريف على السراجية صفحة ٩٤ إلى صفحة ٩٧

وأنا أضيف إلى هذين الدليلين دليلين آخرين :—

الأول :— هو قوله تعالى بخصوص ميراث أولاد الأم

وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث » والكلالة من لم يخلف والدا وولدا ، فمعنى يورث كلالة أى يورث من جهة القرابة الكليلة أى الضعيفة وهى قرابة غير الأصول والفروع



الابن

للكاتب الفرنسي بول بورجيه

إستيقظت مدام « ليجيه » في صبيحة هذا اليوم قلقة بادية الهموم والتفكير . فقد كان عليها أن تضع حدا لحياتها كأرملة في مقتبل العمر ، ولحياتها كأم ذات بنين ثلاثة . فلقد مضى على وفاة زوجها وهي إذ ذاك في الثالثة والثلاثين عامان كاملان . وكانت وفاته بعلة ذات الجنب التي غالته وشيكا من دائرة عمله كمحام له شهرة مستفيضة ومحل من قلوب الناس . ومنذ ستة أسابيع سلفت قبل هـذا الصباح الذي تستفيق فيه مدام « ليجيه » حائرة مفكرة ، اجترأ « جورج فوكوات » صديق بعلها المرحوم ومحام مثله أمضى معه سني الجامعة ثم لزم زوجها في دائرته لزوم الشريك وفي بيته لزوم الصاحب، اجترأ هذا الزميل على أن يقول للأرملة الصبية منذ ستة أسابيع :

— إني لأحمل لك أيتها السيدة منذ طويل عاطفة لم أستطع استكناهها ولا فهم طبيعتها إلا منذ اليوم الذي غادرنا فيه صديق العزيز زوجك ، فأصبحت بوفاته حرة التصرف مالكة لزمام أمرك . وأظنك كنت تستشعرين مني هذا الصمت الناطق وتحسين احترامي الراحل الفقيد وتقدرين رعايتي لك . فبسببك يا سيدتي « ومعذرة من اعترافي بهذه الحقيقة » قطعت كل صلة تربطني بامرأة أخرى في هذه الحياة ، وأنت كامرأة في ريق شبابها واكتمال أنوثتها ، لك الحق بل يجب عليك أن تستأنفي حياة الزوجية السعيدة من جديد . وإذن فهل أستطيع أن آمل يا سيدتي أن تعتبريني الزوج المخلص الذي سيكون من أشهى أحلامه أن يضحي راحته وحياته لأجلك ... إني أحبك ... يا سيدتي ، ولعلها المرة الأولى التي أسمح فيها لنفسي بنطق هذه الكلمة الجريئة على مسمع منك ... أما أنت يا سيدتي فليس عندك إلا كلمة واحدة تقوليها لي في هـذه اللحظة ستكون هي

الثاني :— هو نص المادة ٢٦ من قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٣ وهي تنص على ما يأتي :— يحجب أولاد الأم كل من الأب والجد الصحيح وإن علا، والولد وولد الابن وإن نزل» والمقصود بالولد هنا الابن أو البنت على السواء

محمد كامل عزب

يصمد بمعنى يثبت صحيح

جاء في العدد الأخير من مجلة الرسالة الغراء تعقيب ينكر فيه كاتبه على الأستاذ الكبير سيد قطب استعماله يصمد بمعنى يثبت ، مستدلا على ذلك بما جاء في القاموس من أن الصمد بمعنى القصد والصمد بمعنى السيد وليس من معنى المادة الثبوت

ولو أن الـكاتب الفاضل تدبر قليلا في هذه المادة لوجدها تدل أصالة على معنى الثبوت ثم تدل بعد ذلك على معنى القصـد والسيد وغيرها تبعا، يدل على ذلك ما جاء في القاموس نفسه من أن من معاني الصمد الدوام: والصماد الجـلاد والصمدة الصخرة الراسـية، والمصمد الشيء الصلب ما فيه خور، وناقة مصماد باقية على القر والجدب دائمة الرسل. ولا يخفى ما في هذا كله من معنى الثبوت والدوام ثم تفرع عن هذا المعنى الأصلي في المادة الصمد بمعنى القصد للثبوت عليه والصمد بمعنى السيد لكونه لا يحول عن المكارم

ولعـل ما ذكرته هو الذي يتسق مـع المنهج الحديث في دراسات علم اللغة العام . وأما تفسير الكشاف للفظة الصمد من قوله تعالى « الله الصمد » بالمقصود فليس بمستقيم ، والأحق أن يكون معناها الدائم الباقي لأن السورة قد جاءت لتثبت لله صفتي الوحدانية والبقاء، ولا يخفي اتساق هذا المعنى الأخـير مع قوله تعالى « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » والله أعلم

وللكاتب تحيات المخلص

عبد البصير عبد الله حسين

الأولى والأخيرة . ولكن بحقك لا تلفظيها إلا بعد تأمل فى عاقبتها ، فإن ما أبين لك من هوى دفين لأمر من الأهمية والخطورة بحيث لا تكفيه كلمة أو جواب يقال على استعجال واقتضاب . قالت مدام « ليجيه » وصوتها راجف وطرفها خاشع :

— أتطلب منى استئنافاً لحياتى الزوجية معك ؟ ثم جمد لسانها عند هذه الكلمة فلم تأت « بلا » أو « بنعم » ؛ وأخيراً جسرت فقالت :

ولكن حياتى لا يمكن ترميمها ولا استئنافها . إنك تتكلم عن الحق والواجب وأنا لا أعرف إلا حقا واحداً : هو السهر على أولادى ، ولا أفهم إلا واجباً فـــرداً : هو واجبى نحو أبنائى الثلاثة .. قال الصديق الخاطب :

— أو لا تشعرين أنى أحبهم هم أيضاً وأعزهم وأحنو عليهم كأبيهم صديق الراحل ... ؟ ! ومن لعمرى سيحل محل الأب الراحل إن لم يحله صديق أبيهم وصفيه ؟ وهل غيرى يعرف ميول صديقه وذوقه ومشربه فى التربية والسلك ؟ وإذن فهل تسمحين يا سيدتى أن أشغل مكان الأب الراحل ؟ أترضين أن تكونى امرأتى أمام الله والناس

قالت الأرملة فى حسرة وتلدد :

خلنى الآن لشأنى ... هلا جنبتنى الكلام فى هـذا الموضوع . ؟ ! إنه ليؤلمنى البحث فيه ويسبب لى كثيراً من الشجن والشجو

لا أعرف شيئاً . لا أفهم شيئاً . لست بمستطيعة أن ألمح فى قرارة نفسى المظلمة عاطفـة أستطيع منها إجابتك على سؤالك لأنى أجهل نفسى ... ولكنى أعدك أن جوابى سيكون بعد قليل من الزمن ... أما الآن فلا أستطيع ، أجل لا أستطيع .. فأجاب جورج فوكوات :

— سأنتظر كلمتك كما تشائين وأنى تشائين . إنك إلا تقولى « لا » هذه اللحظة فيحسبى ، لأن ذلك معناه أنك قد تتبصرين خلال سجوف المستقبل الكلمة الحبيبة إلى قلبى وهى « نعم » .

إن التردد والتحير مؤلمان للقلب مزهقان للروح إذا لم يكن القلب المنتظر فى شرخ شبابه . قال ذلك وأبان لها عن طرف لمته وقد طرزتها سنوه الأربعون بأسلاك الشيب البيضاء . فأحست المرأة الأرملة وهى تتأمل وخطات الشيب فى رأسه ، وتنظر إلى أثر التأنيب الصامت من عينيه السوداوين : أن موسيو جورج إنما يقيس سعادته فى هـذه الدنيا بمقياس ما بقى له من سنين فيها ، وكأن نظرته كانت تقول لها ، إن ما يطويه الشباب اللاهى من متع ومباهج لا ينشرها كفن المشيب مهما يمتـد ويضف ثوبه . ثم يستأنف حديثه ويقول :

— إنه إحسان منك على أى حال أن تحددى لقلبى الشهيد موعداً للجواب كى أغادرك وأنا أقول لنفسى من يوم لآخر ستوافينى نعمة جوابها فى يوم كذا .. « كارين » ، أيتهـــا العزيزة ، إختارى بنفسك اليوم الموعود وعينى تاريخه ، وليكن القرب والبعد على ما يوافق رغبتك وهواك ... أما أنا فسأعاهدك الآن عهداً لا أحنث فيه ولا أنحرف ألا أخوض فى ذكر هـذا الموضوع الذى سيكون برغم هـــذا هو شغلى الشاغل وهمى الناصب .. فحددى بعيشك موعد جوابك . وهنا تمتمت مدام « ليجيه » بصوت محتبس ولهجة ضارعة : سيكون ذلك حين ينتهى أجل حدادى على زوجى الراحل . وبما أنك تدعى حبى فأرجوك التمسك بوعدك منذ الآن كما أتمسك بوعدى أنا . والآن أرجو ألا تلح على فى هذا الشأن فقد كفانى ما كفانى ...

ثم يقول لها ، وهو يود أن يوضح بالوقت المعين كل شك وغموض يمكن أن يتور موعده المرجى : وإذن فسيكون جوابك بعد أسابيع فى الرابع عشر من نيسان ؟ ! فأجابت على هذا بإيماءة من رأسها ثم انعقد بينهما جو من الصمت ...

لقد غالت يد الموت زوجها الحبيب فى الرابع عشر من أبريل أى منذ اثنين وعشرين شهراً سلفت قبل هذا اليوم الذى يجالس فيه مدام « ليجيه » خطيبها المسيو جورج . كل ذلك جال بذهن (مدام ليجيه) وظن الخاطب الصديق الذى شعر بثقل كلماته على نفس الزوجة بعد أن عين لها الوعد المضروب . . . أن يستأنف المرء حياته دون أن يعوج بذكرى أحبته الراحلين عن الدنيا فى ذلك ويا للحسرة إساءة إلى ذكراهم الغابرة وعهودهم الماضية ، وإذن فمن يغب عن الوجود تمت معه ذكراه وتنعدم ثم تبتلعه هوة العدم إلى غير رجعة ، والهفتاه

ومرت على هذا اليوم ستة الأسابيع المضروبة دون أن يلم خلالها طيف الزوج الراحل ودون أن تتردد ذكراه على رأس الخاطب ومدام « ليجيه » فتفسد عليهما خلوتهما اللذيذة وجلساتهما اليومية المتعاقبة ...

ويجد المسيو جورج من اللطف والأدب ألا يعرض لذكر الموعد المرتقب خلال هذه الأسابيع الستة . ثم يرى من الظرف والكياسة أن يغادر (باريس) حين اقترب اليوم المضروب يوم ١٦ نيسان . أما مدام « ليجيه » فقد أخذت تتهيأ لهذا اليوم وهو ذكرى يوم وفاة زوجها . وقد أحيت هذه الذكرى في ذلك اليوم في شيء من البرود وعدم المبالاة لم تمتزج بهما أثارة من حنان ولا بقية من لجيمة وحسرة . وفي اليوم الثالث عشر من نيسان تسلمت من جورج خاطبها خطاباً ينبئها فيه بزيارته من الغد عند الظهر ، فأقبلت على الرسالة تقرأها مرة ومرتين ثم بدرت منها بادرة غريبة عجبت لها هي نفسها ... وذلك حين رفعت رسالته إلى فمها وقبلت سطورها وفي ظنها أنها إنما تقبل حياة تفيض بالسعادة واللذة خلال هذه السطور .. وأخذت تردد : نعم .. نعم .: سيكون جوابي .. نعم . وإذن ففيم استيقاظها صبيحة هذا اليوم مضطربة حيرى كما أسلفنا ؟ .. ما الذي حدث خلال هذه الفترة القصيرة بين تقبيلها رسالة جورج نهار الأمس فرحة نشوى وبين الساعة التي ترتفق فيها وسادة سريرها الوثير يبدو عليها سهوم وتفكير ؟ ما الذي طرأ عليها يا ترى فبدل عزمها ؟!.. وأقبلت الخادم في هذه اللحظة فحسرت أستار الغرفة عن النوافذ والشبابيك فطفت على جوها موجة من نور لألاءضاحك غمر المكان كله؛ وكان المكان في شارع «فانو» تشرف نوافذه وشرفاته على بستان القنصلية النمسوية الظليل . ولمت زرقة السماء من خلال النوافذ ونفذ تغريد العصافير إلى المسامع شجيا موسيقيا شعرت معه مدام « ليجيه » أن ثوب الجدة الذي تضفيه الطبيعة على جسمها يتفق والموقف الجديد الذي تقفه هي من حياتها الجديدة هذا اليوم .. حتى أن الثوب المزركش الذي حملته الخادم منذ لحظة كان يغريها بأخيلة وخطرات حافلة باللذة والسعادة..

ومع ذلك فلم يتقطب جبينها ويربد وجهها كلما نظرت إلى عقرب الساعة ينتقل من مكانه . مالها تقف حالة ساهمة بدل أن تنشط وتفرح ؟ .. أتراها تتخوف مما عساه يحمله لها هذا اليوم من خوف مجهول ؟

* * *

حين تكلمت مدام ليجيه عن واجباتها نحو أولادها لم تقل كل شيء للصديق الخاطب ، لم تعترف له أن ولدها البكر « شارل » ما فتئ منذ شهور مدعاة تخوفها . أبداً لم يتبادل الابن مع أمه كلمة عن « جورج فوكوات » خاطبها الرغيب ، وكان هذا الأخير لا يعز هذا الغلام اليافع في المخاطبة والحوار عن أخيه الصغير « رنيه » وأخته الصغيرة « هيلين » اللذين كان يكلمهما بصيغة الإفراد دون كلفة . ولكن إذا شفعت سنو الطفل « رنيه » الخمس وأعوام الطفلة « هيلين » العشرة — لهذه الصيغة الافرادية يبدي فيها صديق أبيهما حبه وتدلهه لهما ، فان الستة عشر عاما التي يجتازها الغلام المراهق « شارل » كانت تقيم بينه وبين « جورج » الخاطب جوا مختلفاً عن جو أخويه فيه بدل الألفة والعطف وعدم الكلفة الانقباض والنفرة . ومع هذا فقد كان الخاطب الواغل يغضي عن هذا ويتجاهل ، بل لقد أخذ في الآونة الأخيرة يضاعف عطفه على الغلام ويبتغي الوسيلة إلى قلبه النافر ووجهه العابس الصامت

وتلاحظ مدام « ليجيه » ذلك السلوك المحبب الجذاب الذي يعامل به الخاطب ولدها البكر فتغتبط به وتنشرح له

ولكن رغم كل هذا كانت تترقب من ابنها رفضاً وثورة أخذت تحسب حسابها وتتهيأ لها منذ أيام

من هنا كانت حيرتها وقلقها في هذه الصبيحة الباسمة من نيسان التي كان عليها فيها أن تقول كلمتها الأخيرة في رفض يد « جورج » أو قبولها . ولهذا وحده هي تدير في ذهنها الصورة المستحبة الملائمة التي يمكنها بها أن تفجأ ولدها دون أن تؤذيه أو تسوءه في عزة نفسه ، فكانت تردد :

— كان على أن أنبئه بذلك وأسبر غور رضاه أو رفضه منذ

ستة أسابيع ... غير أنى لم أستطع ذلك لأني أجدنى أمامه مرتبكة مشلولة الإرادة كأنى بحضرة أبيه الراحل . فيا لله كم يشبهه حتى كأنه صورته الثانية ! وعلى كل حال فإن جورج أحسن فى تحببه إليه وترضيه ... وذكر اسم جورج هكذا مراراً ، دل المرأة على أنها تنطوى له على حب وميل ..

نعم يلوح لها أنها تحبه بأنصاف من العواطف والميول غير متكاملة ولا متكونة . ولكن ذلك ويا للأسف كان يزيد ألمها ويضاعف شجوها .. أجل إن جورج محق فى قوله . فواجب على معاودة حياتى الزوجية ، وأنا بهذا لا أنال شيئا من روجى الميت ولا أسوءه فى كرامته . كذلك لأفتات على أولادى الأحبة الذين تركنى لهم ، لأن جورج سيحبهم وسيحنو عليهم . والصغيران يحسان بهذا ويقدرانه فى سذاجة وطهارة . أما شارل ولدى الحبيب فسوف يقدره كذلك إن تفكر وتدبر . آه لشد ما يحب أباه هذا الصغير ! إنه لينمو ويتفتح للحياة يوما بعد يوم كأنما تتعهد عاده معجزة من السماء

هو الأول فى فصله فى مدرسة « سان لويس » وإنه يترق بين رفقائه وزملائه بصورة غريبة سريعة كأنما وطن نفسه على أن يسد الفراغ الذى تركه أبوه من بعده ، إن لم يكن قد قام فى نفسه أكثر من هذا : أن يكون خليفة أبيه فى البيت ورب الأسرة التى كان يحلم أن يكون حاميها وراعيها . فيا للقسوة والنكران ! وكيف تجرؤ هذه الأم أن تسلم أمور البيت إلى راع آخر وحام غريب ؟!

ومضى الوقت وكادت الساعة تبلغ العاشرة وأفكار المرأة مازالت تضطرب فى ساحة ذهنها جيئة وذهوبا . وفيما هى منصرفة إلى زينتها وترجيل شعرها وتعليق حليها وأقراطها ، إذا طرقات على باب الغرفة تنفذ إلى أذنيها فيجب لها قلبها وترتعش نفسها أمامه كمجرم أمام قاضيه . وفى الحق لقد كان الداخل « شارل » الذى توقف على الباب لحظة كالمأخوذ بدل أن يدخل عليها لتوه . قالت له الأم مضطربة قلقة وقد شاهدت تأثرا جثانيا يطبع وجهه بطابع الألم : مالك يابنى ؟ فأجابها الغلام :

لا شئ لا شئ ، إنى مشدوه متعجب فقط ... لقد ألفت أن أراك دائما فى ثياب الحداد . ولكن ولكن ... أصحيح أن حدادنا على أبى قد انتهى ؟ فألقت « مدام ليجيه » على المرآة الكبيرة أمامها نظرة غير عامدة فإذا بها تبصر ملامح وجهها الرائق تنسجم أبدع انسجام مع خصلات شعرها الذهبى ، ولكن يناقض ذلك كل المناقضة زى ولدها المدرسى الأسود الغارق كله فى حلة من حداد ، ويرتجف صوت الأم حين تهم بإجابة ولدها ثم تنجدها لباقتها فتغير مجرى الحديث وتقول :

— ولكن ... قل لى ... لعلك مسرور من أستاذك هذا الصباح ؟ ثم ... ثم كيف حال كتابتك فى الانشاء ، أظنها أعجبته ؟! ثم ناجت نفسها :

— سألبث لحظة قبل الاعتراف له بالحقيقة خصوصا وهو متأثر ومفاجأ بهذا اللباس والوقت متسع للغداء وللافضاء إليه بالأمر ...

* * *

على رغم من أن المحامى المتوفى موسيو « ليجيه » قد خلف لعائلته بفضل مركزه الخطير ونجاحه الكثير ثروة لا بأس بها ، فإن مدام « ليجيه » لم تخالف شيئا مما ألفته سابقا من تدبير واقتصاد فى الانفاق على المنزل . ولما كانت مدام ليجيه لا تستقبل فى مفتتح عهدها بالترمل إلا أقرباء يمتون إلى الزوج بصلات القربى والمودة ، فإن الإعداد لذكرى الميت لم يكن يحملهم جهدا أو مشقة . ولكن أنى لها بمل‌ء كرسى زوجها بشخص خاطبها جورج فى حفلة الغد ؟ أى عذر ستعتذر به لولدها ؟ كيف تخل بهذه العادة التى يقدسها ابنها ويمجدها ، والتى باتت تبهظ روحها وتثقل على قلبها لأن صورة الخاطب أخذت تحتل مكانها يوما بعد يوم من قلبها

وفى صباح هذا اليوم فى وثبة طافرة من وثبات الإرادة الغريزية أمرت مدام ليجيه الخادم فقالت :

— لويس ، لا تضعى فى هذا الغداء مقعد المرحوم زوجى على المائدة ، بل عليك أن تضعى مكانه مقعداً لجورج موكرات ...

وحان وقت الغداء واتخذت العائلة أمكنتها حول المائدة ، ولكن « شارل » الصغير ما كاد يرى المائدة والكرسي الجديد بدل كرسي أبيه المتوفى حتى حملق في وجه أمه وقد امتقع وجهه وانتسف لونه أولا ثم احمر واشتعل بالدم الملتهب . ونظرت إليه الأم برعب وهيبة ، ثم صبغ وجهها الاحمرار هي أيضا . ولكن في تلك اللحظة الرهيبة الحرجة جرى أمر زاد في اضطراب مدام ليجيه وارتباكها ثم حيرها ، ولكنه في الوقت نفسه أجرى المسألة في مجرى حسن لم تكن تتوقعه مدام « ليجيه » . فبينما كانت تتناول بيدها مسند مقعد كي تجلس إلى المائدة إذا « بشارل » ولدها يلقى عليها نظرة تفيض بالحنان والشكر ثم تخضل عيناه بالدمع الذي لم يكن منبعه الحنق عليها ولا الغضب منها وإنما هو الامتنان منها والشكر لها ... ولكن من أي شيء صدر هذا الامتنان ؟! نجم مما صوره له وهمه دون أن يتفطن بالحقيقة الواقعة فلم يلاحظ الولد الطيب صورة المفاجأة والدهشة التي بدت على وجه أمه ، ولا نظرات الارتباك المتبادلة بينها وبين الخادم ، فقر في ذهنه أن أمه قد تبرعت له بمكان أبيه مراعاة له وتبديدا لظنونه السابقة في وفائها لأبيه ، لهذا احتل مقعد أبيه أو الكرسي الذي وضع للخاطب « جورج فوكوت » محل كرسي أبيه ، وقلبه يخفق من الفرح والشكر وحلقه غاص من الذكرى والحنين ... وانتهى الغداء وخلا المكان « بشارل » وبأمه فضم « شارل » أمه إلى صدره بشوق وشكران وراح يقول لها وقد أرخى لعبراته العنان حتى بللت وجه الأم المسكينة الحائرة .

— آه ، شكرا لك ألف مرة يا أماه . فقالت أمه في حيرة :

— ولكن لم هذا الشكر يا بني ؟! فقاطعها دون أن يترك لها الفرصة لمتابعة حديثها :

— أشكرك لأنك أحللتني محل أبي على مائدة الطعام في اليوم الذي تخلعين عنك فيه ثوب الحداد . إنك لا تدرين أي جميل أسديته إلي وملأ به قلبي الحزين ... آه ... ولكن يجب أن أعترف لك بصراحة . لقد كنت منذ زمن أشك ، بل أخاف من تصرفاتك فاغفري لي الآن هذه الشكوك والظنون ... نعم كنت أخشى أن تسمح لك في يوم ما فكرة الزواج لأنك ما تزالين صبية . ولقد أبصرت ثلاث أمهات من أمهات رفقائي في المدرسة يتزوجن ويسلمن أبناءهن لأب ثان غريب عنهم . ولكنك أجلستني تجاهك منذ لحظة على مقعد أبي المرحوم فأدركت أنك تريدين أن تقولي لي : املأ محل أبيك يا بني فقد آن لك أن تشغله وتواجه أختك وأخاك العزيزين وأمك التي تحبك ، ولكن إن شغل مكان أبي ذلك الأب الذكي الطيب ، فذلك ما ليس في وسعي ولكن أعاهدك أن أبذل له جهدي . وهنا تمثل لمدام « ليجيه » إنها كانت ستحطم قلب ابنها النبيل لو أنها انقادت لهواها الذي بدأت تشعر به نحو « شارل »

وفي هذه اللحظة وبينما « مدام ليجيه » تضطرب بين الماضي والحاضر ، وتترجح بين تيارين طاغيين . تيار جارف عنيف من حب امرأة صبية حسناء ، وآخر هادئ عميق من عطف أم رؤوم ، إذا برنين الجرس ينتزعها من ذراعي ابنها الذي كانت تحتضنه وتضمه إلى صدرها بحرارة وشوق ..

لم تكن مخدوعة فقد جاءها الخادم بعد ثوان يطلب الإذن لموسيو جورج الخاطب الجديد ، فأبدى ابنها « شارل » حركة مفاجئة أراد معها الانسحاب من قاعة الاستقبال ولكن الأم فهمت منه هذه الحركة فقالت في كبرياء ممزوجة بألم :

إبق مكانك يا « شارل » ثم التفتت إلى الخادم وتقول :

— قل لموسيو « جورج فوكوت » إنه من المستحيل على مواجهته هذه الساعة وسأكتب له جوابي كتابة ...

، حين انفردت بابنها راحت تعانقه في لهفة وابتهاج ثم قالت :

أبدا لن أتزوج يا شارل العزيز . أبدا لن أثقل عليك بأب يؤلم نفسك ويجرح قلبك . لن أرضى أن تتألم أنت كي أسعد أنا . إنك حسبي من دنياي يا بني وأظن أني حسبك أيضا

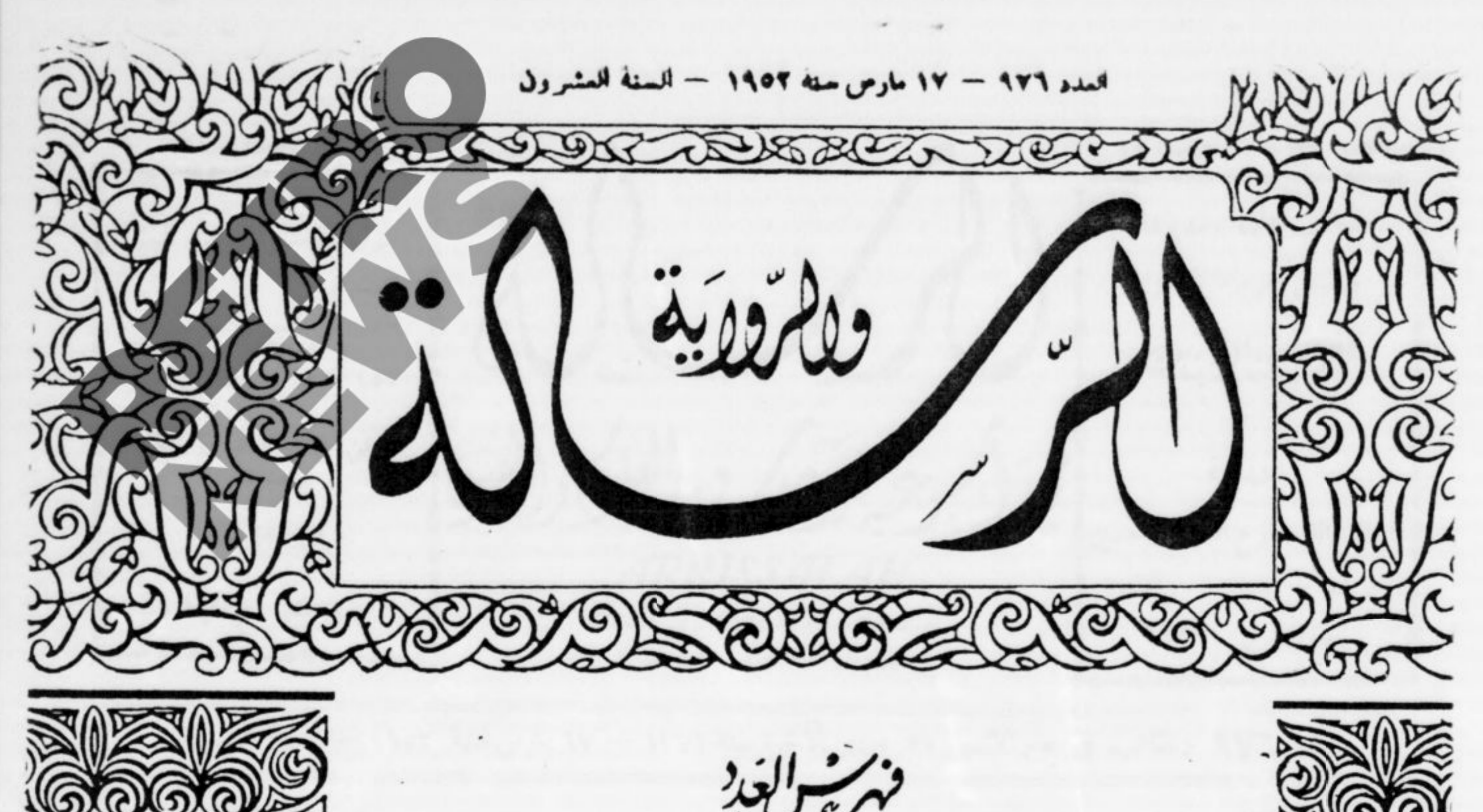
ك . ع



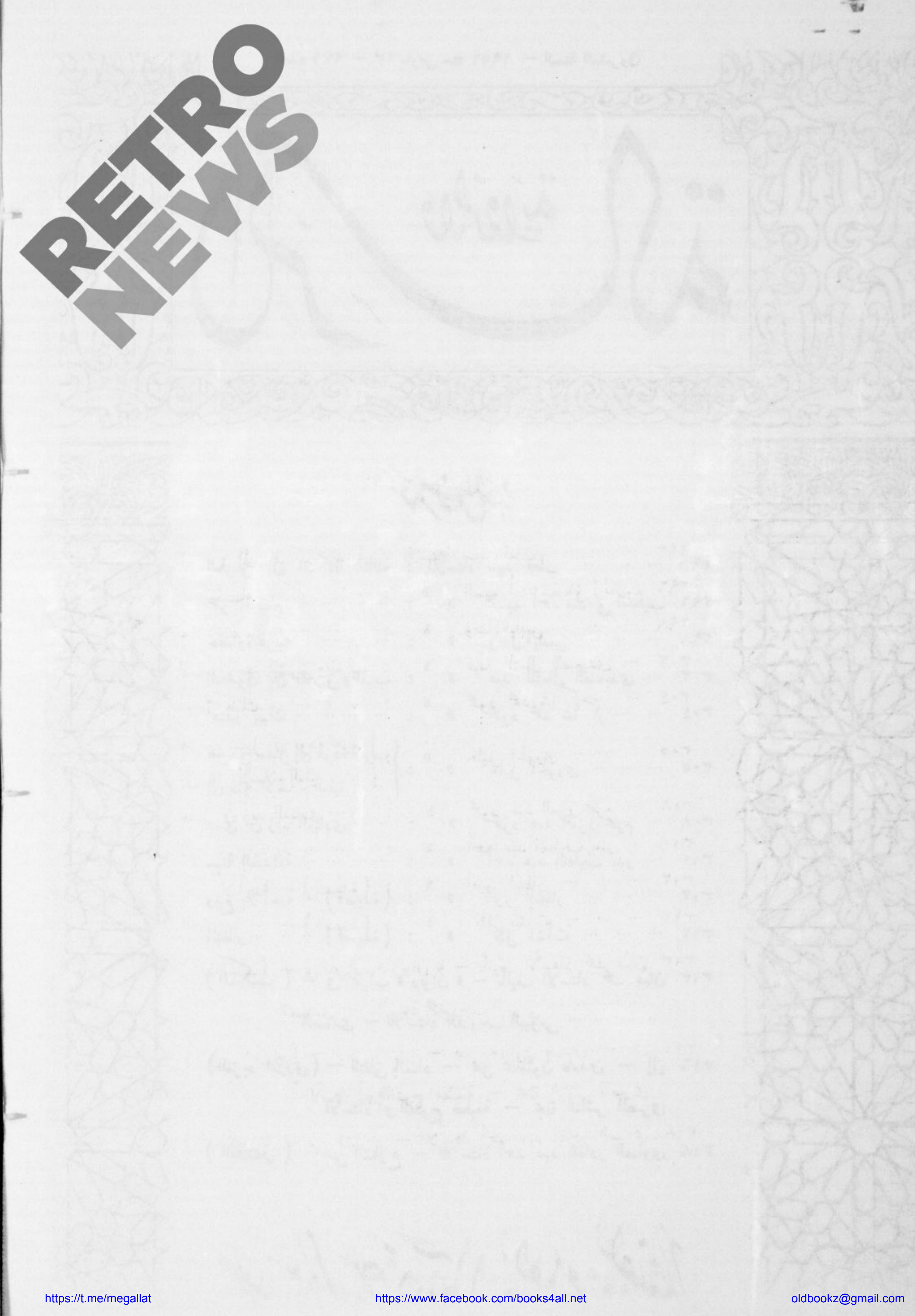
مطبعة الرسالة

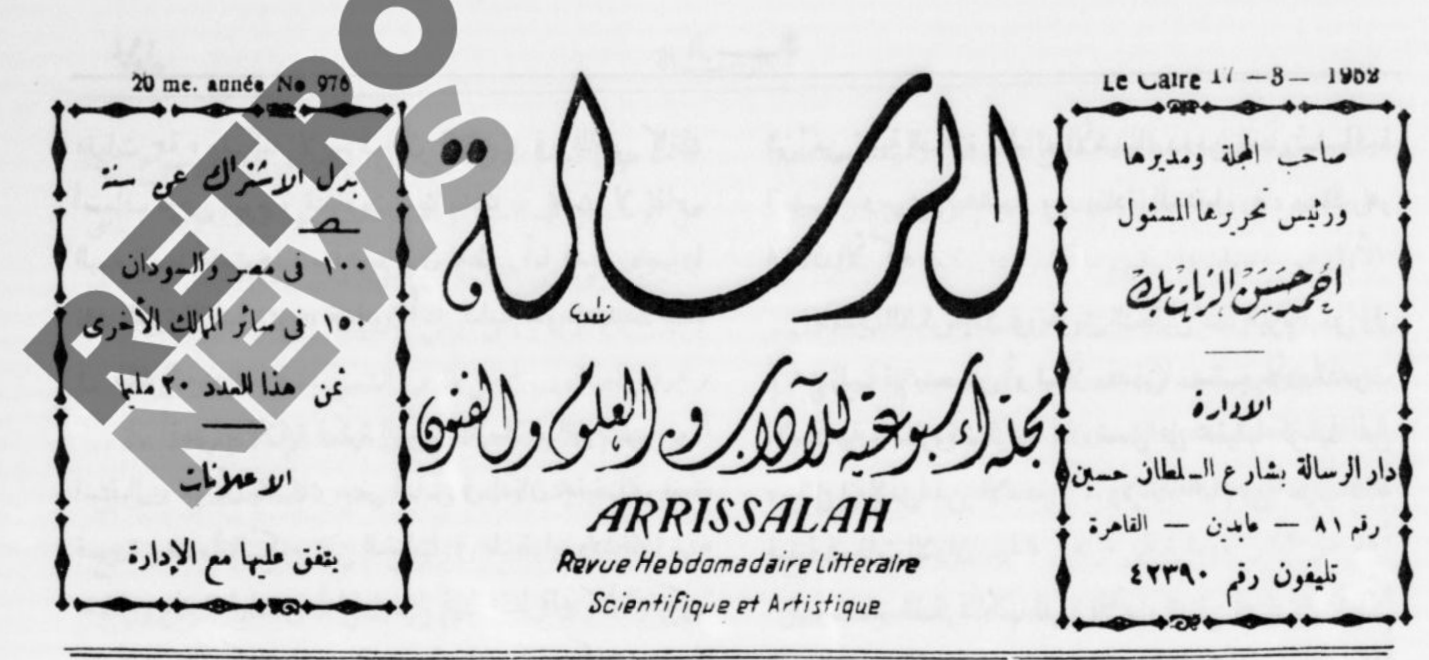


العدد ٩٧٦ — ١٧ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد





العدد ٩٧٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ١٧ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

الطريق إلى الكتلة الثالثة

للأستاذ سيد قطب

يسألنى الكثيرون منذ دعوت إلى قيام الكتلة الثالثة : ما الطريق إلى قيام الكتلة الثالثة ؟ وحينما كنت أحاضر عن هذا الموضوع فى دار اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى منذ أسبوعين ، استوقفنى بعض الشباب بعد نهاية المحاضرة ليبدى لى مخاوفه أن تكون العقبات التى فى الطريق أكبر من الإمكانيات .. ثم أرسل إلى بعضهم يسألنى تفصيل ما أجملت فى هذه المحاضرة

من بين هذه الرسائل رسالة للشاب الأديب « أحمد محمد أبو بكر الطالب السودانى بمعهد القاهرة » وقد جاء فيها :

« ... إنه لمن حسن الطالع أن نستمع إلى محاضرتك القيمة بنادى اللجنة العليا للحزب الوطنى وقد استطعنا أن نقف على أسباب تفرقة العالم الإسلامى ، وأن نقف كذلك على حقيقة ما تضمره لنا كل من الكتلتين الشرقية والغربية من سوء . ولكننا مع ذلك كله لا نزال نطلب منك أن تبين لنا على صفحات الرسالة الغراء ما يستطيع المسلمون على ضوئه أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم لكى يكونوا كتلة ثالثة ... الخ »

هذه الرسالة وأمثالها كثير تدل على استعداد معين عند الكثيرين من الشبان للاستماع إلى مثل هذه الفكرة والاقتناع بها ، بل تدل على أكثر من هذا .. تدل على اللهفة الحقيقية لتحقيق هذا التكتل الإسلامى الذى آن له الأوان

ولقد كنت أعرف عندما دعوت هذه الدعوة أن العقبات فى طريقها شتى . ولكنى كنت أومن كذلك أنها دعوة طبيعية ، تنبع قوتها من تلبيتها لطبائع الأشياء ، ولحاجة العصر ، ولاتجاه المستقبل . وأن دوافعها أكبر من معوقاتها ، مهما بدت هذه المعوقات من الضخامة والمناعة .. إن كل دعوة تتفق مع طبائع الأشياء ، وتنبع من حاجة العصر ، وتسير مع اتجاه المستقبل ، هى دعوة ناجحة غالبة مهما يقم فى طريقها من عقبات

هذا المعنى أحب أن أؤكده أولا لشبابنا المتلهف على تحقيق هذه الفكرة ، المشفق فى الوقت ذاته من ضخامة العقبات ، ومن موحيات اليأس ، ومن عقابيل الماضى .. ومتى ثبت فى الضمائر إيمان معين بالفكرة ، فكل شىء بعد ذلك هين ، وكل عقدة حلها ميسور

والذين عاشوا مثلى فى ربع القرن الأخير ، قد تلوح لهم بشائر الأمل أقوى وأضخم من الشباب اليافع الذى لم يشهد ذلك الماضى .. إن هذا الشباب بطبيعته عجول لأن الطاقة الكامنة فى كيانه تريد لها متصرفا سريعا . وهو بنظر فيرى

عقبات جمة ، ولكنه لا يعرف أن العقبات فى الماضى كانت أضعاف ما هى اليوم ، فتذاوبت شيئا فشيئا ، بحيث لا تقاس اليوم إلى ما كانت عليه منذ ربع قرن فقط . أما الذين عاصروا تلك الفترة الماضية مثلى ، فيعلمون أننا قطعنا شوطا بعيدا جدا فى ذلك الزمن الوجيز

إن أقصى ما تلاقيه فكرة التكتل الإسلامى اليوم من سوء استقبال ، هو أن يتشكك بعض الناس فى إمكان تحقيقها فى فترة قصيرة ، ويروا الكثير من العقبات فى طريقها ، ويشفقوا من ضخامة هذه العقبات .. أما قبل ربع قرن فقط فقد كان التفكير — لا فى قيام كتلة إسلامية ضخمة بل فى قيام كتلة عربية صغيرة — مدعاة للسخرية ، بل مدعاة للتشكك فى عقول من ينادون بها ، واعتبارهم جماعة ممن فى عقولهم مس ، فهم يعيشون فى الماضى ، ولا أمل فيهم لأنهم مخرفون !

لا بل إن قيام « رابطة شرقية » لا إسلامية كان يلاقى مثل هذا الهزء ومثل هذه السخرية إلى عهد قريب جد قريب .. فها هو ذا رجل واسع الأفق مثل الدكتور طه حسين باشا يؤلف كتابه : « مستقبل الثقافة » فى سنة ١٩٣٦ فيسخر فيه من تلك الفكرة سخرية مريرة ، ولا يكاد عجبه ينقضى من تلك الجماعة التى كانت تسمى نفسها « الرابطة الشرقية » لأن مصر قطعة من حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولا علاقة لها بذلك الشرق البعيد مسلما كان أو غير مسلم .. فالإسلام وغير الإسلام لا يملك أن يقيم رابطة بين مصر وهذه الشعوب !

كان هذا منذ خمسة عشر عاما فقط .. فإذا نحن قمنا تلك الوثبة الفكرية والشعورية الهائلة التى عزّ علينا اليوم أن نتحدث عن الكتلة الإسلامية ، أو عن الكتلة الشرقية ، فلا يسخر بنا أحد ، ولا يضحك منا أحد . بل تنبعث ملايين القلوب تخفق للفكرة ، وتنبعث عشرات الأقلام تكتب عنها فى كل مكان . وتنبعث مئات الأكف وألوفها تصفق للخطباء .. ولا يتحدث متحدث إلا بالسؤال عن الطريق .. إذا تم هذا فى خلال خمسة عشر عاما فقط فهو النصر إذن وهو التوفيق

ولماذا ؟ إن هذا النصر لا ينبع من بلاغة الأقلام التى تكتب ، ولا من فصاحة الألسنة التى تخطب .. إنما ينبع أولا وقبل كل شئ من تلبية الفكرة لطبائع الأشياء ، ومن مسايرتها لحاجة العصر ، ومن تمشيها مع إرادة المستقبل .. وذلك هو الضمان الأكيد ..

ستسير الفكرة إذن فى طريق التحقيق منذ اليوم ، حتى ولو لم يدع إليها قلم متحمس أو لسان متدفق . ستسير لأن الشعوب الإسلامية مضطرة اضطرارا لأن تعمل على تحقيقها كوسيلة من وسائل الخلاص من الاستعمار ، ولإنقاذ العالم من حرب ثالثة قريبة فى ذات الأوان

وستسير الفكرة لأنها تلبية للاتجاه العالمى للتكتل . لا باسم القوميات والجنسيات ، بل باسم المبادئ والعقائد . والعالم كله يسير فى هذا الاتجاه الآن شرقا وغربا . فاتجاه المسلمين إذن إلى التكتل تحت عنوان فكرة ومبدإ هو الاتجاه الطبيعى للعالم كله ، ومن ثم فهو الاتجاه الطبيعى فى هذه الظروف

إننى أعرف : أن الاستعمار سيقف فى الطريق . وأعرف أن الكتلة الشرقية ستقف لنا فى الطريق . وأعرف أن الحكام فى كثير من أمم العالم الإسلامى سيقفون فى الطريق . ولكننى أعلم كذلك أن هذه القوى كلها مصطنعة ، فهى لا تملك أن تقف طويلا أمام فكرة طبيعية ، تستمد قوتها من طبائع الأشياء ، ومن حاجة العصر ، ومن نداء المستقبل فى العالم كله ، لا فى بقعة منه محدودة

ومن الظواهر العجيبة أن الفكرة التى تنبع من حاجة العصر واتجاه المستقبل يضطر خصومها — بحكم مصالحهم القريبة وتحت ضغط الضرورات الذاتية — إلى مساعدتها وتقويتها ، كالذى يربى أسدا يعرف أنه سيفترسه فى النهاية ، ولكنه يضطر مع هذا إلى تربيته لأنه يتقى به نمرا فاغرا فاه !

لقد كان الحلفاء هم الذين هزموا ألمانيا فى الحرب العظمى الأولى . وكانوا هم الذين ساعدوها على النهوض ، وساعدوا معها إيطاليا ، وساعدوا معها اليابان أيضا .. لم يكن شئ من هذا حبا فى عيون أحد من هؤلاء . ولكنها كانت ضرورات المصلحة العاجلة لوقف التيار الشيوعى فى العالم

ثم حطموا هذه الدول الثلاث فى الحرب العظمى الثانية .

وفى سبيل تحطيمها اضطروا اضطرارا لتقوية روسيا ومساعدتها على الصمود فى وجه الغول الجرمانى . وهم على يقين أن عدوهم الأول هو روسيا . ولكنهم ما كادوا يملكون أن يفعلوا غير هذا .. ثم هاهم أولاء مرة أخرى . وبعد التجربة العالمية الأولى . يمدون أيديهم مرغمين لإنهاض ألمانيا واليابان . وهم على يقين أن الطاقة الكامنة فى هذين الشعبين لن تتركهم فى راحة ، ولكنهم لا يملكون أن يفعلوا غير هذا .. إن خط سير الحياة ليس فى يد أحد من البشر مهما تكن قوته . فالحياة تسير ، وطبائع الأشياء تملى خط سيرها . والقوى الكامنة الناهضة لا سبيل للقضاء عليها . لأنها قوة من قوى الحياة ، وقوة الحياة من الله . «والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون»

إن فكرة الكتلة الإسلاميه تسير فى طريقها . وإنى لأكاد أراها رأى العين حقيقة واقعة . فليؤمن شباب العالم الإسلامى بهذا .. والزمن كفيل باكتساح العقبات التى تبدو لهم ضخمة فى الطريق

ليؤمن شباب العالم الإسلامى كله أن الاتجاه إلى راية الإسلام هو العمل الوحيد الذى يخلصهم من براثن الاستعمار ، ويخلصهم من كيد الشيوعية التى لا تكاد تطيق مسلما يدب على الأرض

فإذا آمن الشباب بهذه الفكرة اندفع يضغط على ساسة بلاده ، الذين يسيرهم الاستعمار فى ركابه ، ويملى عليهم رغبته فى التكتل الإسلامى . ولتكن كلمة الشباب دائما : لا ارتباط بكتلة شرقية أو كتلة غربية . فهذه الأرض أرضنا . ونحن نريد أن نقف تحت راية الإسلام وحدها ، محايدين ، نجاهد فقط من يعتدى علينا ، ونمد يدينا حينئذ إلى الكتلة التى تنصرنا على المعتدين

وواجب على كل شاب واع أن ينشر هذه الفكرة حينما وجد . الطالب فى معهده ، والموظف فى مكتبه . والسياسى فى محيطه . والعامل فى مصنعه . والرجل فى بيته وأولاده .. وعندما تصبح هذه الفكرة هي فكرة الشعب . فإن قوة ما على ظهر هذه الأرض لن تقف له فى طريق ..

لن أقول لهذا الشاب الأديب صاحب تلك الرسالة ، ولا لأحد من إخوانه الذين كتبوا إلى كثيرا فى هذا الموضوع شيئا عن الوسائل السياسية أو الدبلوماسية أو العسكرية .. إننى لا أومن بشئ من هذا كله . إنما أومن إلا بالقلب الإنسانى والعزيمة البشرية . إننى أومن بالعقيدة التى تزلزل الجبال ، وتجرف الصخور . أومن بالوعى الشعبي الذى يفرض إرادته . أومن بتلك الملايين بعد الملايين فى الرقعة الإسلامية الفسيحة .. وأومن بالغد وإشاراته . وأومن بمقرب الساعة الذى يشير إلى هذا الاتجاه وحده . . وأومن قبل كل شئ بالله الذى نفخ الروح مرة أخرى فى هذا العالم الإسلامى الذى حسب الكثيرون أنه قد مات . فإذا هو يتمطى وينبعث ، ليؤدى دوره فى الأرض من جديد

سيد قطب

عمر الخيام
بين الحقيقة والاسطورة
للأستاذ السيد أحمد مصطفى الخطيب

صحبتي للخيام طويلة مديدة ، وقد عرفته ضمن من عرفتهم من شعراء الفرس الكبار وأدبائهم العظام منذ عشرين سنة تقريباً ... أما هو فقد كان على الدوام أقرب إلى نفسي وأحب إلى قلبي ... أما هم فقد كانوا أشغل لفكري وأدنى إلى إثارة اهتمامي بشعرهم منه . والخيام عاطفة وروح ، وللعاطفة والروح سحرهما الذي لا يدفع ، وسلطانهما الذي لا يقهر على العواطف والأرواح ، فلهذا إن كنت قد عرفت الفردوسي عن طريق الشاهنامة ، والسعدي عن طريق كلستان وبوستان ، وحافظاً الشيرازي عن طريق ديوانه الرائع ، ومولانا جلال الدين الرومي عن طريق المثنوي ، والنظامي عن طريق هفت بيكر ، وعرفت غير هؤلاء أيضاً عن طريق بعض ما كتبوا أو بعض ما كتب عنهم ، فقد عرفت الخيام عن طريق رباعياته نفسها ثم عن طريق وديع البستاني ، وحسين دانش ، وعبد الله جودت ، وحسين رفمت ، ومحمد السباعي ، وأحمد حامد الصراف ، وأحمد الصافي النجفي ، والزهاوي ، وفيتز جرالد وغير فيتز جرالد من الغربيين ، وأخيراً الفيلسوف رضا توفيق

لهذا ، عندما استقر رأيي على إعداد هذه الكلمة تملكتني الحيرة في بادئ الأمر أي الجوانب أفصح عنها ؟ وأي النواحي أهملها ؟ وكل جانب من جوانب حياة الخيام لذيذ شائق ، وكل ناحية من نواحي أدبه الرفيع فاتنة مغرية ، تستمرئها النفوس وتشتاقها الأرواح ، حتى انتهيت بعد لأي إلى أن يقتصر كلامي على ناحية واحدة فقط من حياته ، وهي ناحية عدد من الأساطير والخرافات التي تحيط بسيرة هذا الشاعر الإنساني العظيم ...

الأسطورة الأولى

أعتقد أنه ليس بين الذين لفتت مكانة الخيام العلمية أنظارهم ، أو أثارت رباعياته اهتمامهم ؛ من لم يسمع شيئاً قليلاً أو كثيراً عن تلك القصة الشائقة التي ذاعت وشاعت وتناقلتها الألسن في كل مكان من نشأة الخيام ، ومن حياة تلمذته الأولى في نيسابور المدينة التي فتح فيها شاعرنا عينيه للحياة لأول مرة في هذا الوجود ، وهي قصة شيقة لذيذة يغلب عليها عنصر الخيال الجامح ، فيجعلها ضوءاً للروايات السينمائية التي تمثل أدوارها على الشاشة اليوم

نحن في مدرسة نيسابور الشهيرة ... الزمن القرن الخامس الهجري ؛ .. نستمع إلى العلامة الجليل الأستاذ الإمام الشيخ موفق النيسابوري رحمة الله عليه وهو يلقي درسه على طلابه الذين أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، وهناك في ركن قصي من الأركان جلس ثلاثة من هؤلاء التلاميذ واتجهوا بكليتهم نحو أستاذهم الأكبر ، يشع من عيونهم بريق الذكاء الحاد ، وتبدو على سيماهم علائم الجد والعزم ، هؤلاء هم الأصدقاء الثلاثة الأوفياء : عمر الخيام ، نظام الملك ، حسن الصباح زعيم الحشاشين فيما بعد ..

قال حسن الصباح ذات يوم لصديقيه إنه لأمر مستحيل أن نخيب نحن الثلاثة تلامذة الإمام المبارك في الحياة ، قد يلاحق أحدنا ، أو حتى كلينا الإخفاق ، أما أن يلاحقنا هو كلنا .. فلا ! فلنتعاهد أنفسنا منذ الآن أمام الله على أن يهرع أي منا لنجدة زميليه إن قدر له الفوز ولم يكتب لهما النجاح ، فيوافقه الآخران على رأيه فتوقع بذلك الوثيقة التاريخية بين الثلاثة جميعاً

تدور عجلة الزمان ، وإذا بنظام الملك وزير لألب أرسلان السلجوقي ، ورجل الدولة الأوحد لابنه ملكشاه من بعده ، ثم إذا به أيضاً لا ينسى ما قطعه على نفسه من وعد في صباه فيبعث في طلب كل من حسن الصباح والخيام ويعرض عليهما أن يشاركاه فيما فاز به من نعمة وحصل عليه من سلطان . أما الخيام فيختار إيراداً سنوياً ثابتاً والتدريس في مدرسة نيسابور والانصراف إلى رياضياته وفلكياته ، أما حسن الصباح فيؤثر منصباً مهماً في البلاط

وهكذا تستمر القصة حتى تبلغ نهايتها المحتومة ، بمؤامرة دنيئة ينسج خيوطها حسن الصباح الماكر لاغتيال صديقه الوفي الكريم نظام الملك ظلماً وعدواناً لكي يستخلفه في جاهه وسلطانه ، فيفتضح أمرها في اللحظة الأخيرة ، ويضطر حسن الصباح إلى الهرب واللجوء إلى جبل قلعة الموت ، وهنالك يؤسس لأول مرة في التاريخ المذهب الإسماعيلي المعروف حتى اليوم ، وينظم فرقة الفدائيين الذين يبعث بهم من هنالك

لاغتيال علماء الإسلام آنذاك . ويشاء القدر الساخر أن يكون بين هؤلاء الذين عند إليهم يد القدر والخيانة نظام الملك نفسه ! ذلك الشيخ الوقور والداهية العظيم الذي يذهب ضحية باردة لخنجر مسموم يغمده في صدره أحد هؤلاء الجناين وهو في طريقه إلى نهاوند بمعية الملك ملكشاه

هذه هي الأسطورة الأولى الذائعة الشائعة المستقرة في الأذهان عن منشأ الخيام وعن أيام حداثته ، وهي قصة أثبت المستشرقون استنادا إلى تحقيقاتهم الدقيقة التي لا مجال لذكرها هنا إثباتا قاطعا أنها مختلقة من أساسها، ملفقة في جملتها وتفصيلها، ولا ظل لها من الحقيقة أبداً ، وأن مخترعها مؤرخ يدعى ميرخوند من مؤرخي القرن التاسع الهجري

الأسطورة الثانية

يوم مشرق جميل ، جو عابق بأنفاس الرياحين والورود ؛ هدوء شامل وصمت مطبق لا يتخللها سوى خرير الماء وتغريد البلابل.. والخيام قرير العين جذلان ، جالس في دعة وسكون وأمامه ديوان شعر مفتوح وبجانبه زجاجة و كؤوس تأتلق بين جنباتها الأضواء وتتراقص على حواشيها الظلال

ومقامي فنن مظل بقفر
ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادى والأهل ديوان شعر
وحبيب يهواه قلبي المعنى
بشجى يذيبني يتغنى
هكذا أسكن القفار نعيما
وأرى هذه القصور خرابا ...

(الساعية للبستاني)

وعلى حين فجأة تنكشف الطبيعة الوادعة الهانئة عن ثورة جامحة ، وغضب مكتوم ، فتزمجر الرعود ، وتنقض الصواعق ، وتكتسح الرياح الهوج كل شيء أمامها فتتحطم الزجاجة وتتناثر قطع الكؤوس هنا وهناك وتصبغ الخمرة وجه الأديم بلونها اللازوردي ، فتثور نفس الخيام ، وتهيجه النازلة ، ويلهبه اليأس فينشد وهو في شبه غيبوبة من أثر الصدمة الغير المرتقبة، ويقول:

ابرين مي مراشكستى ربى
كسرت زجاجة خمرى ياربى
برمن ورعيش رابيستى ربى
أوصدت في وجهي باب الطرب ياربى
برخاك فكندى من كلكون مرا
سكبت خمرى الوردية على الثرى
خاكم بدهن مكر تومستى ربى
التراب بفمي ! فهل أنت سكران ياربى

٭ ٭ ٭

وهنا تحدث المعجزة التي لم يكن يتوقعها أحد حتى الشاعر نفسه ، فيحل غضب الباري سبحانه وتعالى وتنصب نقمته على هذا العبد المارق الملحد فيسود وجهه بغتة وكأنه فحمة الليل ، وتتشنج عضلاته وتتقلص أطرافه حتى ليكاد الموت يختطفه من بين يدى الحياة

فيدرك الشاعر عندئذ الإثم الكبير الذي ارتكبه فيسرع إلى التوبة ويعجل بالاستغفار فينشد ويقول :

نا كرده كناه درجهان كيست بكو
بى جرم كناه جون توان زيست بكو
من بد كنم توبد مكافات كنى
بس فرق ميان من توجيست بكو

— الترجمة للزهاوي —

من الذي لم يجن قط ذنبا
كيف عاش الذي زكا وتوقى
إن تكافئ سوئي بسوء فقل لي
أي فرق بيني وبينك يبقى

وعلى أثر ذلك تدركه العناية الإلهية ، وتقبل توبته ، فيعود إلى وجهه إشراقه السابق وإلى سائر أعضائه حالتها الطبيعية ، فيسجد الخيام آنذاك سجدة الشكر والامتنان

هذه ثانية الأساطير التي تنسب إلى الخيام وعمر بن إبراهيم منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وإذا كانت التحقيقات العلمية لم تكشف لنا بعد عن اسم المختلق الكذاب واضع هذه الفرية الشائنة، إلا أننا لا نحتاج كما أعتقد إلى كبير جهد لندرك أن الأفاك الأثر كان ولا بد على حظ موفور من الوقاحة وسعة الخيال

البقية في العدد القادم

السيد أحمد مصطفى الخطيب
مفتش معارف أربل بالعراق

بعد عشرين قرنا

حضارة عربية
تنكشف عنها الرمال

للأستاذ وندل فيلبس
رئيس البعثة الأثرية الأمريكية

كانت ليلتنا الأولى بين عرب وادى بيحان فى عدن تبدو فى ظاهرها كأنما انتزعت مباشرة من دنيا ألف ليلة وليلة . فما كانت هوليود ذاتها مستطيعة أن تفعل خيرا مما فعله مضيفنا الشريف حسين بن أحمد حاكم بيجان . لقد جلسنا متربعين فى باحة القصر نشاهد الراقصات الغجريات اللواتى خلبن ألبابنا بحركاتهن الرتيبة المثيرة فى أضواء الشموع المرتعشة ، بينما كانت الطبول تملأ الظلمة بأصدائها الخافتة ، وأنغام الناى تنساب حلوة ناعمة

وكان يهيمن علينا جو من أجواء الأساطير . فأنت تحس فيه بنكهة الخيال ، وطعم الخطر ، فقد قام على مقربة منا مئتان من الحرس القبليين اليقظين ، كالحى الوجوه ، يحملون جنبياتهم « خناجرهم » الكبيرة فى مناطقهم المنتفخة بالرصاص ، وينتكبون بنادقهم المهشمة تسندها سواعدهم المعروقة التى كانت تبدو واضحة من بين أسمالهم الصحراوية الممزقة

كنا نعرف ما يتصف به بدو الجنوب فى الجزيرة العربية من الخطر ، وما هم عليه من كره شديد ، يذكيه ما فى الإسلام من حماسة وحمية ، لكل من يتطفل على بلادهم من الأجانب . كما كنا نعرف عن المحاولات التى سبق وقوعها على حياة الشريف حسين . ولكن هؤلاء الحراس ، مع استعدادهم لكل ما قد تنشق عنه الصحراء من الأخطار ، كانوا يتابعون الراقصات بأبصارهم . وقد استطعت وأنا أتطلع حولى دهشا لذلك المنظر ، أن أشاهد أسنانهم البراقة وهم يبسمون لبعضهم ، ويكز بعضهم بعضا ، عندما تمر إحداهن على مقربة منهم

وكان الشريف حسين ، وهو من أطول وأجمل من رأيت من العرب ، يبتسم هو أيضا ، ويلوح لى بيده ، إشارة على أنه يود الحديث معى بوصفى قائدا للبعثة ، كان يجلس فى مقابلى موليا ظهره للفتيات اللواتى طالما رقصن من قبل لتسليته ، وكان الدكتور و . أولبرايت W. Albright رئيس أثريى البعثة ومترجمها بجانبى ، وهو يتكلم خمسا وعشرين لغة ، فوكزته ، فأومأ إلى الشريف حسين ، فرد هذا مرحبا بقوله : « أهلا وسهلا » وكأنما لم يقلها لنا من قبل ، مع أنى أصبحت أعرف بأن معناها : « مرحبا بكم وطاب مرعاكم » فرد عليه العلامة أولبرايت تحيته

كان الشريف حسين ، الأريحى المرح ، الذى بهرته قافلتنا الميكانيكية ، قد أبدى لنا منتهى الكرم ، كأنما كنا الرئيس ترومان ووزراءه . إن وصولنا ذات مساء إلى وادى بيجان ، بعد رحلة طويلة مضنية ، من خليج عدن ، حدث من الأحداث الكبرى فى تاريخ وادى بيحان الحديث . فقد كنا أول جماعة من الأميركان تقع عليهم أعين البيحانيين . لقد جئنا ، نحن الخمسة عشر ، لإزاحة الغطاء عن حضارة تعرف بالقطبان ، قامت على عبادة القمر ، ثم انقرضت قبل ٢٠٠٠ سنة ، بعد كارثة لا بد وأن تكون قد هزت العالم العربى القديم من أساسه

تلك الكارثة هى خراب « تمنا » ، عاصمة القطبان القديمة . فمنذ ذلك الحين أسدل الصمت ستارا كثيفا من النسيان على تاريخ الوادى ، حتى أن سكانه المعاصرين ، ليست لديهم أية فكرة عن أسلافهم المدهشين ، الذين عملوا على إشادة طريق البهارات فى أيام التوراة ، وعلى تحويل هذه الأراضى القاحلة إلى ما يشبه الدوريدو (١) El Dorado فى الأعصر الغابرة

لم أتأثر قط فى سنى التسع والعشرين ، كما تأثرت هذه المرة ، فإن زيارة وادى بيحان النائى الذى يكاد يكون مجهولا جهلا تاما ، كانت هدفى منذ سنين . ولكنى كنت وأنا أقابل ابتسامة

---

(١) بلاد أسطورية ، كان طلاب الثروة يتهافتون على البحث عنها فى أمريكا الجنوبية . ويعود أصل الأسطورة إلى ما كان يروى عن أحد زعماء الهنود الحمر من أنه كان يعفر جسمه بمسحوق الذهب فى الاحتفالات السنوية . وقد تمخضت هذه الأسطورة فأدت إلى الاعتقاد بوجود مدينة واسعة الثراء فى أمريكا الجنوبية ، مما كان باعثا على إرسال عدد عظيم من البعثات الاستكشافية للبحث عنها . وتطلق كلمة « الدوريدو » الآن لوصف بقعة من البقاع بالرخاء والازدهار والغنى

الشريف حسين بمثلها ، أحس بالسعادة تغمر كيانى لوجودى فى ذى بيحان ، كما أحس بالألم للحالة السيئة التى تدهور إليها بيحانيون. لقد عاشت ملكة سبأ على مقربة من هذا المكان يوماما، لا بد وأنها مرت بهذه الرمال مرارا عند ما كانت حقولا نضرة غنية بالمياه

لقد أعادنى التفكير فى الملكة التى أمطرت الملك سليمان بالهدايا — كما تقول التوراة — والتى يشك بعض العلماء فى وجودها ، إلى حاضرى أمام الراقصات الفجريات . لابد أنها كانت تبدو مثلهن ، فقد جاءت كما جئن من مكان يسمى سبأ ، وهو جزء يقع اليوم فى اليمن . إن هؤلاء الفجريات، سمر البشرة، متناسقات الأعضاء ، مشجرات المآزر والقمصان ، وإن يكن تفصيلها غير متقن فى أذواقنا

كانت كل منهن تتحلى بـ ٥٠ رطلا من الحلى الفضية حول رقبتها ، ومعصميها ، وساقيها . ولا أدرى كيف استطعن تحمل ذلك كله ، ولكن رقصهن استمر متزنا زهاء ساعتين

كان الرقص فى بادئ الأمر رائعا ، فأيديهن رشيقة ، وحركات أردافهن تستلفت الأنظار ، وقد صفقنا لهن مرارا . ثم أخذن فى الاقتراب منا شيئا فشيئا . أثناء انسيابهن فى باحة القصر . وإنى لأتذكر كيف مال جورج فرير مساعدى ، البالغ من العمر التاسعة عشرة بجسمه نحوى ثم أخذ يصفر فى هدوء

ثم بدأ اهتمامي يزول . ولعل مرد ذلك عائد لاطراد الرقص على نسق واحد رتيب ، أو للاعياء الذى انتابنى ، ولكن السبب الرئيسي هو أن إحدى الفتيات انحنت أمامى حتى شممت شعرها . إن البدويات يستعملن بول الإبل لتجميد غدائرهن ، فتأكدت أن هؤلاء الفجريات لا يخرجن على تلك القاعدة . لذلك تلاشى تأثيرهن ، وما انتهى العرض حتى لم يبق مما يثير الإعجاب سوى جلد الراقصات — وجلدنا

كانت أعمار الراقصات الأربع تتراوح ما بين الثانية عشرة والثلاثين تقريبا . وقد قال لى الشريف حسين إنهن غادرن اليمن لأن الحكومة تأبى عليهن الرقص مع الرجال ، وتعارض فى ممارستهن بعض المهن الأخرى التى يقمن بها بغية الكسب . إن مثلهن كمثل المومسات فى الصحراء فى تهافتهن على المال — قل أم كثر

إن البون شاسع بين بول الإبل ، وبين اللبان والمر اللذين كانا يبثان فى سماء بيحان جوا من السحر . لقد سجل ديونيسيوس Dionysius الكاتب اليونانى ، ثناءه على البلاد حوالى عام ٩٠ بعد الميلاد ، فى الوقت الذى كان يكتب فيه إنجيل يوحنا . فقال

« إنك لا تتنفس فى « العربية السعيدة » غير أريج اللبان أو المر من البهارات العطرة . وإن لأهلها قطعانا عظيمة من الضأن تتغذى بما فى مراعيها من العشب والكلأ ، وإن الطير تهوى إليها من الجزائر النائية تحمل إليها أوراق القرفة . »

قامت اقتصاديات أربع من الممالك الهامة على ما كانت تدره قوافل البخور فى جنوب الجزيرة العربية من الثراء زهاء ألفين من السنين فقد كانت القوافل تنساب فى مهل من غابة البخور فى حضر موت ، متجهة نحو الشمال على طول الجزيرة ، وهى تقدم فى طريقها الأتاوة ، والحماية ، لعدد لا يحصى من القبائل ، ثم تعود محملة بالذهب ، والفضة ، من مصر واليونان وروما ، كما ذهبت محملة بالبخور والبهارات . فقد كانت هذه البلدان تتبوأ المكان الأسمى بين بلدان سواحل البحر الأبيض المتوسط

لقد أقلق تدفق الأموال من الإمبراطورية الرومانية رجال الاقتصاد فيها ، فجأروا بالشكوى من أن « العربية السعيدة » لسوء الحظ ، هى السبب فى ارتفاع أسعار الذهب . وفى تدهور قيمة العملة المتداولة . وكانت قصص المدن الخرافية والأضرحة المليئة بالذهب فى « العربية السعيدة » تدور على الألسنة . ولكن أحدا لم يجد فى نفسه الجرأة الكافية على إثارة العرب وإغضابهم

وقد حاول الإمبراطور أغسطس قيصر أن يتحقق من صدق القصص التى كانت تروى عن رعاة الإبل من العرب ، فبعث إيليوس غالوس Aelius Gallus أحد قواده إلى « العربية السعيدة » فسار حتى مأرب ، ولكن ضريبة الحر ، والمرض ، ومعارك الصحراء ، كلفته جيشا تعداده ١٠،٠٠٠ جندى ، لم ينج من الهلاك منهم إلا قليلون

كانت مأرب عاصمة سبأ ، أو شبأ ، كما تسميها التوراة . وكانت سبأ إحدى ممالك الهار الأربع ، أما الثلاث الأخرى فهي معين ، وحضر موت ، وقطبان. وكان هدف بعثتنا جغرافيا، هو الوصول إلى وادي بحيان ، قلب القطبان وعاصمتها تمنا

كانت سبأ ومعين تحتلان بقعة من الأرض هي الآن اليمن ، وجزء من البلاد السعودية ، والجزء الغربي من محمية عدن — وبوجه التقريب ، وادي حضر موت العظيم . وعلينا للوصول إلى بحيان الذي يقع خلف أشد جبال الزاوية الجنوبية الغربية من جزيرة العرب وعورة ، أن نجتاز الجزء الشرقي والغربي من وادي حضر موت — وسرعان ما عرفنا لماذا يسميه سفر التكوين في التوراة « بدار الموت . »

كنا نستمع ، من حين إلى حين ، إلى قصص الفتك بين العرب بينما كانت سياراتنا تقمقع فوق ما يسمى تجوزا بالطريق ، وسط الحرارة المتقدة . لا أدري ما الذي حدا بي إلى مغادرة أرصفة نيويورك ، والمجيء إلى هذه الدنيا

لقد جمعت في نيويورك . أمام مكاتب رجال الأعمال الضخمة ، والمجالس المالية ، القسم الأكبر من نفقات البعثة . وعن طريق التليفون والمراسلة جمعت رجالي وأرسلتهم بالباخرة أو الطائرة . كانت البعثة مؤلفة من علماء أمريكيين وأوربيين ومن بعض الطلاب ، وكانوا جميعا مستعدين للعمل لقاء أجر زهيد ، أو لقاء لا شيء بالمرة . وكان من ضمن أفرادها العلامة أولبرايت ، رئيس مدرسة اللاهوت في جامعة هوبكنز . وهو في الستين من عمره . ويتميز بجرأة تكاد تبلغ حد التهور . ولاسمه بين البدو تأثير كبير ، حتى أنه ليقطع وحده أميالا وأميالا في الصحراء كل يوم لمراقبة أعماله التي تتألف ، بالإضافة إلى العمل المتواصل دون كلل ، من القفز فوق الجدران المتداعية ، رغم الأفاعي والمناكب الخطرة . ومن أعضائها أيضا وليم ترى ، الذي اشتهر بصوره الفوتغرافية أثناء الحرب العالمية الثانية . وشارلس إنج ، رئيس الحفريات عند بدء البعثة بأعمالها ورئيس الآثار في عدن ، الذي اقتنع وأقنع العلامة أولبرايت بالشروع في الحفر في تمنا ، بدلا من أماكن أخرى كان من المحتمل مباشرة الحفر فيها .

والدكتور إسكندر هانيمان ، أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة سان أندروز الاسكتلندية ، والدكتور ألبرت جامى ، أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة لوفان . والدكتور فريزوهيبرويك الجيولوجي الهولندي ، والدكتور رشارد لي بارون بوين ، العالم الأثري من أهالي جزيرة رود ، وكنيث براون من طلاب جامعة كاليفورنيا . والسيدة وليم ترى ، المكتشفة العالمية الشهيرة . والدكتور لويس كراوس ، والدكتور جيمس ماكنتيش ، وكلاهما من جامعة ماريلاند ، وقد قاما في بيحان بالإشراف على صيدليتنا التي نتألف بها قلوب الأهالي . وشارلس ماكلوم من كاليفورنيا ، وهو رئيس مواصلاتنا . وجورج فاربر من كاليفورنيا وهو مساعدي . وأوكتاف روماني ، من نيويورك ، وهو مصورنا الفوتغرافي

يعود الفضل في إرسال هذه البعثة في الربيع الماضي إلى بيحان ، ورحلتها التي تزمع القيام بها هذه السنة إلى مؤسسة جديدة ، هي المؤسسة الأميركية لدراسة الإنسان ، التي تم تأسيسها في العام الماضي بعد تفكير دقيق . لقد أسندت رئاستها إلى بينما تولى نيابة الرئاسة في أول الأمر العلامة أولبرايت. وتولى إدارتها كل من الأميرال شستر نيمتز ، وصموئيل برابور ، ولاول توماس ، وأمير اللواء ماكيزى ، وبابارد كولجيت ، وشارلس ناجر من أهالي نيويورك ، وجيمس موفيت من سان فرانسسكو

وكانت بعثتنا من غير شك مجهزة بالسيارات والمبردات والمحركات الكهربائية والسلاح وما أشبه تجهيزاً لم تنله أي بعثة أخرى . وقد قطعنا نصف الكرة الأرضية حتى ضربنا خيامنا في بيحان ، واستأجرنا ٢٠٠ عربي للقيام بأعمال الحفر وإزالة الرمال . وهنا وبينما كانت القطبان تترقب من يزيح عنها الستار ، جاءني شارلس ماكلوم ، رئيس مواصلاتنا مسرعا يلقي الي بالحقيقة المرة :

— لقد بحثت في كل مكان ، ياوندل ، فلم أجد شيئا .

فصرخت وقد أخذ الدم يتجمد في عروق : لم تجد ماذا ؟

فأجاب : لم أجد سخاخين . لم أجد فؤوساً. لم أجد معاطف.

ولكننا استطعنا الحصول على حاجاتنا من ذلك من مدينة عدن ومن القرى العربية المختلفة . وكان الحصول على القاطف أعوص ما واجهنا من المشاكل . فقد تحتم عملها .

وكان الحصول على بقية ما نحتاج إليه من المال أصعب من الحصول على حاجتنا من الأجهزة . لقد كانت سفينتنا فى عرض البحر وعلى ظهرها جميع أفراد البعثة حينما خف إلى نجدتى والاس رشارد ، رئيس أحد المتاحف فى بتسبورغ Pittsburgh ، فبفضل جهوده وافق المتحف على منحنا معونة مالية ، وعلى القيام بعرض مكتشفاتنا من الآثار العربية . وكذلك فإن رونالد هاريمان ، وألن وسارة سكيف ، و هـ . ج . هاينز الثانى ، ولجنة الوصاية على وقف ا . و . ويلون الخيرى والثقافى ، وكثير غيرهم ، قد منحونا مساعدات مالية جزيلة

وأخيرا تسنى لى السفر جوا إلى عدن أنا وجلادس ترى مديرة أعمالنا . ولما وصلنا إلى لندن فى طريقنا إلى عدن زارنا مندوبو الصحف ، فانتزعت جلادس ، الشقراء الفاتنة ، الإعجاب . فقد نشرت لها الديلى ميل صورة كبيرة ، كتبت تحتها : « أربعة عشر رجلا وفتاة واحدة يبحثون عن ملكة سبأ » ثم استطردت تقول : « فتاة أميركية فى هيئة عارضات الأزياء « المانيكان » ، وعزيمة المصارعين ، تطير إلى دنيا سبأ الضائعة » ثم أردفت تنقل قولى : « لا يدرى أحد ما الذى سنعثر عليه ، فإننا لا نتوقع أن نكتشف بقايا ملكة سبأ وهى جالسة فى حمامها ممسكة بيد الملك سليمان ، ولكننا نأمل أن نجد بقايا جمامها »

لم يكن لدينا ما يدفعنا على الشك ، كما يشك الكثيرون ، فى حقيقة وجودها . بل يجب أن يثبت البحث الأثرى وجودها عاجلا ، ونأمل أن نكون من البادئين بذلك . فلقد سبق لعلم الآثار أن أثبت أن الملك سليمان تولى الحكم من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد

ما أكثر ما حيك من الخرافات والأوهام حول هذه الملكة التى جاء ذكرها فى سفر الملوك الأول من التوراة : لقد وردت على الملك سليمان ، كما تقول التوراة ، « وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة . لم يأت بعد مثل ذلك الطيب فى الكثرة الذى أعطته ملكة سبأ الملك سليمان . »

إن رحلة ملكة سبأ إلى القدس حوالى سنة ٩٥٠ قبل الميلاد تتفق والتوسع العظيم فى تجارة القوافل فى التاريخ القديم وأغلب الظن أنها قامت بتلك الزيارة بوصفها رئيسة لأغنى وأقوى دولة فى جنوب الجزيرة العربية للعمل على تعزيز طريق التجارات ، كما قامت بها لرؤية الملك سليمان

إن أغلب أشجار الطيب تنمو فى الجنوب الشرقى من حضرموت والعصارات التى تتساقط من جذوع المر واللبان على هيئة دموع متجمدة ، تجمع وتحمل على ظهور الإبل إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط على بعد ٢٠٠٠ ميل تقريبا . كان طريق القوافل يتجه فى العادة غربا عبر الأراضى الحضرمية ، ثم ينحرف نحو الشمال ، متاخما للساحل الشرقى من البحر الأحمر . وعلينا أن نسلك جانبا من ذلك الطريق ، فى طريقنا إلى وادى بيحان

طرنا من لندن ، أنا وجلادس ، إلى عدن عاصمة المحمية . حيث منيت بموقف عصيب مع حاكمها السر ريجينالد شامبيون . لقد سبق لى القيام بزيارة تمهيدية إلى عدن قبل بضعة أشهر ، عندما كنت أفتش عن موقع من المواقع الأثرية ، فتحصلت فى ذلك الحين من القائم بأعمال الحاكم ، لغياب السر ريجينالد فى إنكلترا ، على إجازة بالذهاب إلى وادى بيحان . لقد كانت كلمات السر ريجينالد الأولى حينما رآنى :

« لو كنت فى عدن حينما جئتها مؤخراً أيها الشاب ، لما سمحت للبعثة بالدخول إليها قطعاً . فهناك كثير من مشاكل السياسة والأمن تكتنف المنطقة التى تود اكتشافها » وتوقف عن الحديث . فتهيأت للكلام ، ولكنه أردف مبتسما :

« وعلى كل فما دمت وجماعتك قد وصلتم فملى الوحب والسعة »

لم يكن السر ريجينالد متصلبا . فقد تعاون البريطانيون معنا جهد استطاعتهم فأمدونا بخمسة وعشرين عربيا من جنود الحكومة يقودهم أحد الأشداء فى عدن ، وجهزونا بكتاب لشيوخ العرب جميعهم فى الداخل ، يفيد بأن بعثتنا ، ليست عسكرية ولا تجارية ، ولكنها علمية بحتة

للكلام بقية (صوت البحرين) ع . ث

المسلمون بين الشرق والغرب
عند ظهور الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٢ —

لقد حل الإسلام عند ظهوره ما كان بين الشرق والغرب من حروب أكرم حل، فلم يرض أن يكون ذيلا لكتلة من الكتلتين المتخاصمتين عند ظهوره، بل وقف منهما موقفا كريما، ودعا كلا منهما إلى ألفة جامعة، وسلام شامل، ليحل الوئام محل الخصام، وتهنأ البشرية بعهد صفاء وسلام، وما كان له أن ينضم إلى إحدى الكتلتين، لأن كلا منهما كان آثما في حربه، لأنه لم يكن يبغي به خيرا لبني الإنسان، وإنما كان يبغي به التحكم والسيادة على العالم، فلم يكن الفرس يبغون من حربهم إلا أن يسود الشعب الفارسي على غيره من الشعوب، ولم يكن الروم يبغون إلا أن يسودوا أيضا على غيرهم، ولم تكن هذه الغاية في شيء مما يدعو إليه الإسلام، لأنه أتى لخير الإنسانية عامة، ولم يكن يسعى في بسط سيادة العرب الذين ظهر أولا بينهم، وكان لهم فضل السبق إلى الإيمان به، وشرف الجهاد في سبيله

وها هو ذا التاريخ يعيد الآن نفسه، وتقوم فيه كتلتان تتنافسان في السيادة على العالم: كتلة شعوب أوربا الشرقية بزعامة روسيا، وكتلة أوربا الغربية بزعامة أمريكا وإنجلترا

وقد كانت ألمانيا قبل هذا تنازع إنجلترا وفرنسا سيادتهما على العالم، وكانت روسيا على عهد قياصرتها تحالف إنجلترا وفرنسا على ألمانيا، وقد قامت في هذا حربان عالميتان كانت ألمانيا تظهر فيهما على هذه الكتلة المتجمعة عليها، وكانت أمريكا حين ترى إنجلترا توشك أن تنهار تتعصب لها بحكم اتفاقهما في الجنسية، فتحارب ألمانيا بجانبها، وتنصرها عليها بما تملك من مال ورجال

فلما ذهبت ألمانيا من الطريق انتقل الخلاف على السيادة على العالم بين الكتلتين السابقتين، وإذ كان خلافا على هذه السيادة فهو خلاف لا يراد منه خير للإنسانية في مجموعها، وإنما تنظر الكتلة التي تتزعمها روسيا فترى أن أمريكا وإنجلترا وفرنسا قد بسطت سيادتها على العالم، واستولت على كل شيء فيه بسلطانها ورؤوس أموالها، فأخذت تعمل على زعزعة ذلك السلطان القوي، ليحل سلطانها محله، ويكون لها السيادة على العالم بدل أمريكا وإنجلترا وفرنسا، ولما نظرت الكتلة التي تتزعمها أمريكا وإنجلترا إلى ما تحاوله روسيا، قابلتها عداء بعداء، وصارت كل منهما تستعد لحرب الأخرى، وتحاول جر العالم إلى حرب لا يعلم عاقبتها إلا الله تعالى

وكما يعيد التاريخ نفسه مع تينك الكتلتين يعيده أيضا مع المسلمين، فإنهم يقعون الآن فيما وقع فيه العرب بين كتلتي الفرس والروم، تتنازعهم كل من تينك الكتلتين المتنازعتين، وتحاول استخدامهم في تلك الحروب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا يعود عليهم منها فائدة من الفوائد، وقد وقف المسلمون في الحربين العالميتين السابقتين موقف العرب بين كتلتي الفرس الروم، فحارب فريق منهم بجانب إنجلترا وحلفائها، وحارب فريق منهم بجانب ألمانيا وحلفائها، ولم يكن لهم مصلحة في تينك الحربين، بل كانوا فيها ذيولا لغيرهم، فلم يستفيدوا منهما شيئا لأنفسهم، بل صارت حالتهم بعدهما إلى أسوأ مما كانوا عليه قبلها

ولم يجن عليهم هذا إلا تفرقهم واختلاف كلمتهم، وإلا انقسامهم إلى فريقين يقف كل منهما موقف التابع الذي لا رأي له في الكتلة التي انضم إليها، فكانوا يساقون في كل من تينك الحربين سوق الأنعام، وكانت الحرب تأكل ما تأكل من أنفسهم وأموالهم، فإذا جاء وقت الصلح لم يدع أحد منهم ليجلس مع المصطلحين جنبا لجنب، كما كان يقف بينهم في الحرب جنبا لجنب، بل يتم الصلح على حسابهم، ويتفق المتحاربان على تقسيم بلادهم بينهم، ومن هان على نفسه هان على غيره، كما قال بعض الشعراء:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها   وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فيجب أن ينظر المسلمون الآن إلى موقف الإسلام عند ظهوره بين كتلتي الفرس والروم، فيقفوا موقفاً كريماً بين كتلتي أوربا الغربية والشرقية، ويعيدوا موقفه النزيه بين الدولة الفارسية والدولة الرومية، ويعملوا على تجنيب العالم ويلات الحروب بعد تفاقمها بكل ما في وسعهم، فيكون موقفهم بين الكتلتين موقف الداعي إلى السلام، والوسيط الذي يسعى في خير الفريقين، لينهي ما بينهما من نزاع بالوسائل السلمية، ويجمع كليهما على ما فيه الخير للإنسانية، فإن أمكنه ذلك رفع من شأن نفسه بين الفريقين، وكسب لبلاده مالا يكسبه بوقوفه ذيلا لهما، وبانقسامه إلى فريق يؤيد إحدى الكتلتين فيما تريده لنفسها، وفريق يؤيد الكتلة الثانية فيما تريده أيضاً، وينسى كل منهما في هذا مصلحة نفسه، ولا ما يجره هذا الموقف المزري من هوانه على غيره

لقد جنى المسلمون من تفرقهم في عصرنا على أنفسهم جنايات لا حصر لها، وقد استفاد كل خصم لهم من تفرقهم مالم يكن ليستفيده لو استعانوا عليه باتحادهم، وكان آخر ما جنوه بتفرقهم وأقساه ما حصل لهم في حرب فلسطين، فقد مكن تفرقهم لفئة قليلة من اليهود أن تنتصر وقد كان النصر منهم قاب قوسين أو أدنى، فانقلب النصر إلى هزيمة وصارت فلسطين لليهود دون من اختلف عليها من فريقي المسلمين، ولو أنها كانت لواحد منهم لكان هذا أكرم للإسلام، وأنفع للمسلمين، ولكن أين من ينظر إلى هذا منهم وما سيترتب على هذه الشوكة التي وضعت في جنبهم، ولا يدري إلا الله عواقبها على دولهم

وأين هم من معاوية بن أبي سفيان، وقد طمع فيه قيصر الروم، وأراد أن يستغل فرصة الحرب التي وقعت بينه وبين علي ابن أبي طالب، فأرسل إليه يطلب منه أن يدفع جزية له، فلم يكن من معاوية إلا أن أرسل إليه أن يكف عنه، وإلا اتفق هو وابن عمه عليه، واجتمعا على حربه، فكف قيصر عنه، وكان لهذا الجواب الحازم أثره في نفسه

فقد رأى معاوية في هذا أن علياً أقرب إليه من قيصر، فإذا طمع قيصر فيه كان علياً على ما بينهما من العداوة أولى بأن يسلم الأمر إليه، وأحق من قيصر بأن يدخل في حكمه، لأن قيصر أجنبي: وعلي ابن عمه، ومن قريش قومه

ولكن معاوية كان معاوية، ومن لنا اليوم بمثله في عقله وحصافته؟ ولقد وضع الأمر في نصابه حين وازن بين علي وقيصر، فأتى به على حقيقته، ولم يتمسح فيه بما نتمسح به الآن من نزعة دينية، مع أنه كان أقرب إلى الدين منا، ولكنه رأى أن الأمر بينه وبين علي لا يعدو أن يكون نزاعاً على الحكم، ولا علاقة له بأمر الدين

أما نحن فنتخبط اليوم في أمورنا خبط عشواء، فتحاربنا إنجلترا وفرنسا وغيرهما من أمم أوربا حرباً عنصرية لا دينية، يراد منها فرض سيادة الغرب على الشرق، ويجتمع أبناء الشرق من مسلمين ومسيحيين على مقابلة هذه الحرب العنصرية بمثلها، فيأبى بعضنا إلا أن يجعلها حرباً صليبية، ولا يبالي بما يحدث هذا في نفوس من يشاركنا في هذه الحرب من إخواننا المسيحيين، وهم الذين فهموها على حقيقتها، لأن أوربا طلقت المسيحية من يوم أن نهضت نهضتها، ففصلت بين السياسة والدين، وتوجهت إلى الشرق تستعمر أهله على اختلاف مللهم استعماراً سياسياً اقتصادياً، لا يهمها فيه مسيحية ولا غيرها من الديانات

ومن مصلحة المسلمين أن تفهم حرب أوربا لنا على هذه الحقيقة، حتى يتفق على مقاومتها أهل الشرق من مسلمين ومسيحيين وغيرهم، ولا نفتح باباً لأوربا تفرق فيه بيننا تفريقاً دينياً، وتحاول ضم المسيحيين منا إليها، لأن حربها لنا حرب صليبية، وبهذا نكيد لأنفسنا مالا تكيده أوربا لنا

فليكن المسلمين الآن قدوة في سلفهم حين وقعوا في مثل مشاكلهم، فوقفوا فيها كراماً، وكان لموقفهم الكريم أثره في نجاحهم.

عبد المتعال الصعيدي

أعتـــــذر إليك ..!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هـذه الكلمة محزون النفس لشيء اجترمته ، كان أولى بي أن أصبر حتى لا أزل عليه . وذلك أني قرأت كلمة في بعض المجلات يقول فيها كاتبها : « فإذا منع الفقير حقه ، فله أن يقاتل عليه ، لأن الله يأمر بقتال الباغين « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقـاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » . ولا شك أن مانع الحق باغ » فاحتملتني العجلة وسوء الظن ، أن أرى الكاتب قد استدل بالآية في غير مكان الاستدلال بها . فساء قولي في الرجل بين جماعات من النـاس ، إذ لم يقع لي إلا أن الآية في اقتتال طائفتين من المؤمنين ثم بغي إحدى الطائفتين على الأخرى . ولما سكن بي الليل أمس (السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١) حاك في قلبي شيء لم أدر ماهو ، وألح على أني اكتسبت في أيامي هذه إثماً أخشى أن لا أفلت من عقابه . وارتفعت لعيني هـذه الآية بختامها « إن الله يحب المقسطين » ، فرأيت من العـدل والقسط أن أرجع إلى تفسيرها ، وإلى أقوال الأئمة في قتال أهل البغي ، فعرفت مالم أكن أعرف ، أن بعضهم قد استدل بها في مثل ما استدل عليه الكاتب الفاضل ، وإن كان لطريقة الاستدلال عندهم نهج غير نهجه ، وقيد فيما أطلقه . وإذا أنا قد ظلمته ظلما لا ينبغي . فلم أزل منـذ تلك الساعة أستغفر الله لمـا فرط مني وما جرى من لساني من الكلم السيء ، واستغفرت له بما أسأت إليه بظهر الغيب

فلما قرأت الرسالة في صباح ليلتي (الأحـد ١٣ جمادى الآخرة) ، كنت أوشك أن لا أحمـل القلم مرة أخرى للرد على الكاتب الفاضل في مقاله : « أجل..ذو العقل يشقى » . ولكني وجـدت السبيل قد تيسر لي أن أعتذر من سيئة اكتسبتها في الإساءة إلى رجل بظهر الغيب ، لنفس الداء الذي نهيت الأستاذ عنه ، وهو العجلة . وأنا لم أقصد نهيته إلا لما فيه خـير له ولي إن شاء الله

وقد تبين لي بعد قراءة كلمتـه أني أخطأت أيضاً في الذي كتبت به إليه ، فوقعت بمـا كتبت في نفس ما نهيته عنه . وما كان أغناني عن هـذه الخصلة السيئة التي تجلب على غضب أستاذ فاضل ، لم أسمع به ولم أعرفه ، ولا أظنه يعرفني . والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندي أكبر مما ظن في نفسه ، وإذا كان هو قادراً على أن يضن بكرامته ، فالواجب على أنا من قبـله أن أضن بكرامته . وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منـزلة يوجـه إليه من أجلها شيء يقدح فيها ، فأنا أيضـا أنزهه عما ظن في كلامي من « الشتائم والتنقص والسباب » . وإذا كان كلامي الطويل العريض ، كما وصف ، ليس فيـه شيء يقنع المنصفين ، وليس هو إلا فقرات مبعثرة مضطربة أسوقها مسـاقاً مهلهلا لا يعرف الدقة ولا الحدود ، وإذا كان كل ما أقوله لا أبغي منه إلا إرسال الكلام في الهواء ، وإذا كنت عنده لست مؤرخا ، ولم أخط كتابا في التاريخ ، وأني أدخلت نفسي في قوم لست منهم ، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغي كل ما أقول بمرة ، فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه

وأنا لا أستطيع صادقا أن أفهم الأستـاذ الفاضل شيئا مما أقول ، فقد عرفت هذا بالتجربة . وإذا كان مما يرضيه أن أقول له إني مخطيء في كل ما قلت قديما ، وما أقوله الآن ، وما سوف أقوله إلى أن يكف لساني وقلمي عن اللجاجة وإرسال الكلام ، فأنا أقول له : إني أخطأت ، وسوف أخطيء ، ولن يسمع مني إلا ما أنا مقر على نفسي بأنه خطأ محض . وأزيده أني عاجز كل العجز عن مقاومة حجته ، وعن دفع براهينه ، وعن التصدي لما يحسنه من العلم . بيد أني أعود فأسأله أن يتغمد سوء أدبي بفضله ، وإذا كان قد استخرج من كلامي سبابا وشتائم ، فأنا أعيذه أن يكون غرضا لها ، وأعتذر إليه ، وأستغفر الله مما أزلفت إليه من إساءة ، وله أحسن الأسوة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن بعض السفهاء لم يتورعوا قط عن سبهم والطعن فيهم ، بأقبح اللفظ . فأين يقع مثلي من هؤلاء ! فإني مهما ملكت من السباب والشتائم والبذاءة وسوء الأدب ، فلن أبلغ بعض ما بلغوا من هؤلاء الصحابة ، فلا عليه مني ومن

هل من سبيل الى عودة العرب الى مثل الاسلام العليا ؟

للأستاذ خليل الخورى

قرأت جميع المقالات التى نشرت فى العـدد الممتاز من مجلة « الرسالة » الغراء ، الصادر فى ٧ يناير . وأعدت قراءتها المرة بعد المرة ، فخرجت من دراستها والتأمل فيها بأمرين خطيرين : الأول : أن الإسـلام هو الذى أضرم فى قلوب العرب الجذوة المؤججة من نار الحماسة القومية والروحية ، فبعثهم من صحرائهم واندفعوا فى جميع الجهات وتمكنوا – وهم فئة قليلة – بما كان لهم من الإيمان الوطيد من تدويخ الأقطار والأمصار ، ومن القضاء على الإمبراطوريتين العظيمتين الفارسية والرومانية اللتين كانتا تسيطران على دنيا ذلك الزمان . ولمـا استكملوا الفتوحات واستتب لهم الأمر ، ساروا فى سبيل الحضارة والعلوم ، فقطعوا فى مضمارها أشواطاً ، بزوا فيها جميع الأولين . والثـانى : أن العرب ما تخلفوا عن قافلة الحضارة إلا لما تخلوا – بل لمـا تخلى زعماؤهم – عن المثل العليا التى فرضها لهم دينهم العظيم مبعث كل حق ومصـدر كل عدل ، فتكالبوا على الدنيـا وحطامها .

ذانك الأمران حقيقتان لا ريب فيهما : الحقيقة الأولى : تبعث فى نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا الغطاريف ، والأمل بأن نعود سيرتهم الأولى فنرد شيئاً من مجدنا الضائع . والحقيقة الثانية : تحدث لنا شجناً وحزناً بليغاً ، بل يأساً من هذا التخاذل والزيغ الذى صرنا إليه بسبب هجرتنا لمبادئنا العليا ، بل بسبب مروق زعمائنا وحكامنا من مهيع الهـدى ، وسيرهم فى سبيل الضـلال والأنانية والأثرة . هذا هو داؤنا الوبيل ، وكلنا نعرفه ونشكو منه ، وكلنا العلماء والجهلاء يعرفون هذا الداء ويصفون الدواء أيضاً ، فيناشدون الزعماء والحكام بأن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ، ويقتـدوا ولو اليسير بأجدادنا العظماء فى صـدر الإسلام – كأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب – ويروى التاريخ أن أبا بكر دعا ابنتـه عائشة وهو على فراش الموت وقال لهـا : « اعلمى يا بنيتى أنى لم آخذ من أموال المسلمين وأفيائهم شيئاً ، وإنمـا أكلت من جريش طعامهم وارتديت من خشن ثيابهم ، وليس لى من أموالهم سوى هذه القطيفة وهذه البغلة وهذا العبد ، فإذا مت فخذى هـذا كله وسلميه إلى عمر » . ثم توفى أبو بكر فأخذت ما أوصى به وسلمته إلى عمر ، فأعتق عمر العبد وأرسل القطيفة إلى بيت المال ، أما البغلة فقال : « إن ركبتيك يا عمر ينبغى أن تحمـلاك من بيتك إلى دار الحكم » وردها إلى بيت المال ، هكذا كان يفعل حكامنا الأولون

ما السبيل للعود إلى مثل الإسلام العليا ؟ إن السبيل الوحيد هو تولى الصالحين الذين يتقون الله ، المناصب العليـا والصغرى فى الدولة ، وتمكينهم من الجـلوس على مقاعد النيـابة ، فيكون ولاة الأمور وأصحاب البسـط والقبض من العلماء والكتاب والفضلاء المعروفين بالتقوى والصلاح والزهد ، والرغبة عن حشد المال وعن الإثراء باستغلال الوظائف

إننا نعـلم أن الأمة العربية لا تخـلو من الأبرار الصالحين ، والفضلاء المتدينين ، على أن أمثال هؤلاء الأتقياء الشرفاء بعيدون عن الحكم ، وإذا شاؤوا الوصول إليه وحاولوه لفشلوا يقيناً لأنهم لا يملكون وسائله ، وإنما يملك تلك الوسائل أهل السياسة وأهل المال ، وفى معظم الأقطار العربيـة لا يمكن أن يكون نائباً سوى الغنى

سبابى وشتائمى . وليعلم الأستاذ الفاضل ، إن كان لا يعلم ، أن هؤلاء السفهاء فى الدنيا كثير ، فإذا كان يغضب لـكل سفاهة من سفيه ، فإن شقاءه سيطول بغضبه ، فدع السفهاء وليقولوا ما شاؤا ، وكن أنت ضنينا بكرامتك ، فإنها أعز وأغلى من أن تبذل على الألسنة . وتقبل إن تفضلت عذرى وشكرى واحترامى وتقديرى ، وعجزى عن مخالفتك ، وحبى لرضاك ، وقد بلغت منى فى مقالك ما شئت ، وناصيتى بيدك ، وفى المثل : « ملـكت فأسجح » . فافعل مؤيدا منصورا ، والسلام

محمود محمد شاكر

الثرى الذى يستطيع أن يشترى مقعداً فى البرلمان من الزعيم الذى يملك القرى وسكانها ، فيأمرهم بإعطاء أصواتهم لذلك الغنى الثرى الذى دفع له الثمن الفادح

من أجل هذا نرى أن الرجل الشريف التقى النقى مقصى عن دوائر الحكم ، لا يستطيع إلا البكاء والتفجع لما يشهد فى تلك الدوائر – فى مقالات يدبجها وفى قصائد ينظمها – يناشد فيها أولئك الحكام أن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ويسلكوا فى أعمالهم المحجة ويحملوا بأيديهم مصباح « ديوجنس » يبحثون بضوئه عن الصالحين المختبئين المنكمشين فى الزوايا ، وينتقونهم لولاية مصالح العباد . ومن سخرية الأقدار أننا نرى أولئك الحكام يشاركونه فى دعوته وفى بكائه وفى شجب الشر والإثم وفى استنكار الخروج على الفضيلة ، وهم ممعنون فى اجتراح الحرب ، لماذا لا يكون المثاليون المتحلون بمكارم الأخلاق من رجال الحكم ، ولماذا لا نرى فى الغالب الحاكمين وكبار أصحاب المناصب ، حتى الصغار إلا من طغمات الانتهازيين والوصوليين ، وإن وجد فى دور الحكم المتنزهون عن المطامع ، فهم نفر قليل

يقول دعاة الشر والخبث إن هذا الجيل جيل فاسد ، وأنه ينبغى لنا أن ننتظر الأجيال القادمة التى يؤمل منها الخير – ألا فقولوا إن هذا الكلام يراد منه التخدير وإلهاء الأمة عن الشرور التى ترتكب – فإن هذا الجيل كغيره من الأجيال ، فيه الصالح وفيه الطالح ، ومن الواجب أن نسعى ونبذل الجهود فى منع الطالحين من تولى مقاليد الأمور ، وفى تمكين الصالحين من الوصول إلى الحكم

ويخيل إلى ولا أرانى بعيداً عن الخطل فيما أتخيل ، أنه لو أتيح لأصحاب المثل العليا من الأتقياء الأنقياء أن يلوا الحكم فى البلدان العربية ، لكانوا نجوماً يقتدى بهم ويهتدى ، ولكانوا ينتقون ذوى الصلاح والتقوى لتقلد الوظائف والمناصب فى الدولة ، ولكانوا اتفقوا على وحدة الأمة ولو اقتضت الوحدة خسران مناصبهم ، ولما كانوا رضوا ببقاء هذه الدويلات الهزيلة السقيمة التى لا وزن لها بين الدول ، والتى هى أقوى الحجج على انحطاط العرب وتخاذلهم فى وجه الأخطار التى تحيق بهم من جميع الجوانب ، ولكانوا انتزعوا السخائم من قلوب العرب ، ولموا شعثهم وجعلوا منهم دولة واحدة موحدة ، فتزول الحواجز والحدود المصطنعة ، وتعطى الحرية لتنقل الأشخاص والأشياء فى جميع أراضى الناطقين بالضاد

ولكن كيف يكون ذلك وما السبيل إلى تمكين الأنقياء الحقيقيين من ولاية الأمر فى الدولة ؟ وتمن لى ثلاثة تدابير ينبغى أن تتخذ لمحاولة الوصول إلى تلك الأمنية التى ننشدها :

التدبير الأول : إن معظم الناس يجهلون ما فى الإسلام من المثل العليا ، ويزدرون الدين ويستهترون – ولعل السبب الأكبر فى ذلك هو أنهم لم يربوا التربية الدينية فى طفولتهم ، ولم يتعلموا تعليما دينيا صحيحاً فى المدارس – ويا حبذا لو جعل التعليم الدينى فرضاً فى جميع المدارس العربية وفى جميع مراحل الدراسة حتى الجامعية ، وينتقى لهذا التدريس كبار العلماء المثقفين الشرفاء ، وبهذه الطريقة ترسخ مبادئ الدين العليا فى قلوب الناشئة من البنات والبنين ، وتظل راسخة إذا ظلوا يتلقون الدراسة فى المعاهد العليا ، وإلا محيت من النفوس ، وينشأون على احترام دينهم وما فيه من أدب للدنيا والدين . ومثل هذه التربية قمينة على العموم أن تجعل الخير غالباً على الشر ، وتخلق فتياناً ذوى تقى ينشرون الفضيلة والحق أينما عملوا ، أفى الحكومة أم فى غيرها

التدبير الثانى : هو تدبير ذو أثر عاجل ، ومؤداه أن يعنى كبار أصحاب المناصب فى الدولة الذين هم من أصحاب المثل العليا ، ووجدوا فى دور الحكم من قبل القضاء والقدر الميمون ، أقصى العناية لاستخدام الذين يخافون الله ، والذين هم شجعان صناديد على الباطل ، جبناء رعاديد على الحق ، فإذا فعلوا ذلك خففوا من وطأة الشر المستفحل

التدبير الثالث : يكون فى جعل الانتخابات للبرلمان حرة إلى أقصى الحدود . إن النظام البرلمانى إنما هو بدعة غربية استوردناها كما استوردنا غيرها من كثير البدع

التى نشأت فى أوربا منذ بضعة قرون ، أخذناها بجميع عجرها وبجرها . وعندى إن صح أن يكون لى « عند » أنه يجب تعديل القوانين الانتخابية فى الأقطار العربية ، بحيث تشمل القواعد الآتيـــة :

القاعدة الأولى : أن تقسم الدولة إلى دوائر انتخابية مستقلة ولا يرشح للانتخاب فى الدائرة إلا أحد أبنائها ، لأنه لا يعرف أدواءها وظلاماتها سوى أبنائها

القاعدة الثانية : أن يلغى نظام القائمة المعمول به فى بعض البلدان العربية ، فإنه نظام فاسد ، ومحصله أن المرشح الذى يفوز فى الانتخاب لا يمثل الدائرة أو الدوائر التى يشملها نفوذ زعيم القائمة ، وإنما هو يمثل الزعيم نفسه ، ويخدم فى المجلس متى وصل إليه مصالح الزعيم ومطامعه ، لا مصالح الأمة

القاعدة الثالثة : أن يرشح الشخص مستقلا منفصلا عن الأحزاب والهيئات والحكومات

القاعدة الرابعة : أن تلغى الدعاوات بشكلها الحاضر المخزى الفاضح ، لأنها تجرد الناخبين من حريتهم فى انتخاب من تلهمهم لانتخابه ضمائرهم ، ولأنه لا يستطيعها سوى أصحاب الأموال الذين ينفقون عليها فاحش المبالغ من الأموال ، فيحرم الشرفاء المخلصون الأنقياء الوصول إلى مقاعد النيابة ، لأن ضآلة أموالهم وأنفتهم وعزتهم تربأ بهم عن القيام بمثل تلك الدعاوات ، وبذلك تحرم الأمة الانتفاع من أبنائها الأبرار ، ويحكمها بهذه الطريقة الأغنياء التجار ، ويسود نظام « البلوتارخية » . تأمل أن فى الدائرة الانتخابية مرشحين ، أحدهما مثر والآخر لا مال له . الأول يقيم الحفلات والمهرجانات يوماً بعد يوم ، يحشد إليها الناس ويغدق عليهم العطايا وأطايب الطعام والشراب والدخان ، والثانى لا يستطيع من ذلك شيئاً (أولا) لقلة ماله و (ثانياً) لأنه يراه شناراً وخزياً . وبمثل هذه الأساليب تصبح مؤهلات النائب الواقعية المال والثراء ، لا العلم والإخلاص ومكارم الأخلاق ، فيا ويلنا مما نحن فيه من الأوصاب التى لن تفضى بنا إلا إلى شر المآب

القاعدة الخامسة : أن يكون عدد النواب أقل ما يمكن ، ويجب أن ينقص النواب فى كل قطر إلى نصف عددهم الحاضر ، ولا يزاد ولو زاد السكان

ويا حبذا لو أنعم كتاب « الرسالة » الغراء الروية فى هذه الشجون التى يعانيها العرب أجمعون ، لعلهم يهتدون إلى سبل قويمة لإصلاح النظام القائم إصلاحاً ، يمكن أصحاب المثل العليا من أهل العلم ومكارم الأخلاق من تولى مقاليد الأمور ، ومن الوصول إلى مقاعد النيابة التى هى مصدر السلطات كلها

طرابلس الغرب

خليل الخورى
القاضى فى طرابلس الغرب

شعراء من أشعارهم

عدي بن زيد العبادي - ٣

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا - الأسباب التي أدت إلى وقيعة النعمان بعدى - شعر عدى بن زيد فيما قدم للنعمان من خير، والصلة بينهما، وأعدائه

وثمة شخص آخر لم أقدمه إليك، وهو عدى بن مرينا، من أشراف الحيرة، وأظنك تذكر أنني حدثتك أن المنذر قد دفع بابنه النعمان إلى عدى بن زيد، ودفع بابنه الأسود إلى بني مرينا. وبنو مرينا هؤلاء منهم عدى. وعدى بن مرينا لم يعجبه ما فعل عدى بن زيد؛ فقد كان يرى الأسود أفضل وأوفق لأن يكون ملك الحيرة خلفاً لأبيه المنذر، ولكن عدى بن زيد كبته وغلبه على أمره وتدبيره؛ فاختار كسرى النعمان ولم يختر الأسود.

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة، وأرسل إلى عدى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجة، فأتى في ناس فتغدوا في البيعة؛ فقال عدى بن زيد لابن مرينا: يا عدى، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا لا أحب أن تحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك. وقام إلى البيعة، فحلف ألا يهجوه أبداً، ولا يبغيه غائلة، ولا يزوى عنه خيراً أبداً. فلما فرغ عدى بن زيد، قام عدى بن مرينا، فحلف مثل يمينه: ألا يزال يهجوه أبداً، ويبغيه الغوائل ما بقي. ثم قال:

ألا أبلغ عدياً عن عدى ... فلا تجزع وإن رثت (١) قواكا
هياكلنا تبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم بها غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً ... وإن تعطب فلا يبعد (٢) سواكا
ندمت ندامة الكسعى (٣) لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

وتقرب عدى بن مرينا من النعمان بالهدايا وغيرها، حتى أصبح من خاصته، وأصبح له بطانة يثق فيهم ويشيعون له، وكلما عرض ذكر عدى بن زيد دسوا له قليلا أو كثيراً لدى الملك النعمان، وبلغ بهم أن يدسوا على عدى بن زيد أنه يقول إن الملك عامله وأنه هو الذي ولاه ما ولاه

وحقيق بدسيسة كهذه أن تؤتي أكلها؛ فالنعمان ربيب عدى لا شك، وهو صنيعته لا شك، وبيت عدى مناوح لبيت النعمان لا شك؛ إذاً فعدى رجل يخاف ويخشى، وقد يقول مثل ما قال، وهي كلمة ثقيلة على أذن الملوك وإن كانوا يعرفون أنها حق لا مرية فيه

وقد ذكر أن عديا صنع ذات يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه، فركب النعمان إليه، فاعترضه عدى بن مرينا، فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه، وشربوا حتى ثملوا. ثم ركب النعمان إلى عدى بن زيد ولا فضل فيه، فأحفظ هذا عديا، وظهرت الكراهة في وجهه، فقام النعمان فركب ورجع إلى منزله؛ فقال عدى بن زيد في ذلك:

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا يودى (٤) بمالك
فالمال والأهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك في يمينك أو شمالك (٥)

وعلى هذا فعدى بن زيد هو الذي شبب بهند وتغزل فيها، وهو الذي تزوجها على غير رغبة أبيها، وهو يزعم أن الملك عامله وأنه ولاه ما ولاه، ثم أخيراً يعتب على الملك ولا يرضى أن احتبسه أحد رعيته وأخره عنه، حتى يرجع الملك من لدنه غاضبا

وفي يوم شرب النعمان، فأرسل إلى عدى بن زيد فأبى أن يأتيه، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، فغضب وأمر بعدى فسحب من منزله حتى انتهى به إليه، فحبسه في الصنين (٦)، ولج في حبسه

(١) ضعفت (٢) فلا يهلك

(٣) الكسعى رجل من كسع، حي من قيس عيلان، وهو رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه، فكسر قوسه، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، فصار مثلا لكل نادم على فعل فعله

(٤) يذهب به ويفنيه (٥) أنت تحكم فينا كما تحكم في إحدى يديك أو كلتيهما (٦) بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر

وقد مكث عدى فى السجن مدة طويلة . وأرسل أشعاراً تصف ما يلاقيه فى سجنه من أذى وضر ، وأنه ما كان يليق مجازاته بمثل هذا ، وأنه عومل معاملة الأعداء ، مع إخلاصه للملك وتفانيه فى خدمته ، ومع أنه رمى عن الملك ونافح عنه . وذكر فيها مصاهرته الملك وزواجه من أهل بيته . وذكر فيها أنه دبر له حتى فاز بالتاج وملك الحيرة . ولكن الأعداء قد قلبوه ، وحلوا محلهم ، وصرعوه

ليت شعرى عن الهمام ويأتيك بخبر (٧) الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا (٨) المال والأنفس إذ ناهدوك يوم (١٠) المحال
ونضالى فى جنبك الناس يرمو ن وأرمى وكلنا غير (١١) آلى
فأصيب الذى تريد بلا غش وأربى (١٢) عليهمو وأوالى
ليت أنى أخذت حتفى بكفى ولم ألق ميتة الأقتال (١٣)
محلوا محلهم (١٤) لصرعتنا العا م فقد أوقعوا الرحا (١٥) بالثفال

فهو فى هذه الأبيات يذكر الملك بما قدمه له ، وأنه عرض نفسه وماله للمخاطر حين نهض لرد كيد الأعداء ، وأنه كان يناضل أعداء أقوياء ، وأنه كان ظافراً بهم ظاهراً عليهم ، ثم يتمنى أن لو كان أخذ حتفه بكفه بدل أن يموت ميتة الأعداء ، ولكن هؤلاء الأعداء كادوا كيدهم ونجحوا فيه

ثم ها هو ذا عدى يذكر للملك النعمان دخوله على كسرى يوم أراد أن يختبرهم ويعقد لأحدهم على الحيرة ، وكيف أنه كان يمالئ إخوته بقول ويبطن غيره ، وكيف أنه كان لا يدع خصمه يخالف ويعاند ، وكيف أنه لم ينكل ولم يحجم حين دخل النعمان على كسرى فى هذا اليوم العصيب :

وكنت لزاز (١٦) خصمك لم أعرد (١٧)
وقد سلكوك (١٨) فى يوم عصيب

(٧) بحقيقة الأنباء (٨) بذلنا للمال والأنفس (٩) نهضوا
(١٠) يوم الكيد (١١) غير مقصر (١٢) أربى : زاد وفاق
(١٣) جمع قتل وهو العدو (١٤) كادوا كيدهم
(١٥) الرحا معروفة . الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب ، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا
(١٦) فلان لزاز فلان : لم يدعه يخالف ويعاند فهو قرنه وقاهره
(١٧) أنكل وأحجم وأفر (١٨) أدخلوك

أعالنهم وأبطن كل سر
كما بين اللحاء (١٩) إلى العسيب (٢٠)
ففزت عليهمو لما التقينا
بتاجك فوزة القدح (٢١) الأريب

وهذه أبيات يذكر فيها عدى النعمان بسعيه له وجهاده من أجله ، ويحذره أن يكون كالذى يداوى نفسه ، وبعد أن برئ ، عاد فأوهن نفسه وأمرضها . ومعنى هذا أن للنعمان بعدى قوة ، فلا يضعفن نفسه بحبس عدى أو قتله :

لا تكونن كآسى (٢٢) عظمه
بأسى (٢٣) ، حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يبغى (٢٤) وهنه
ينحون (٢٥) المشى منه ، فانكسر
واذكر النعمى التى لم أنسها
لك فى السعى ، إذا العبد كفر

وما كان عدى يتوقع الشر من النعمان ، صهره ، وصديقه ، وشريكه فى السراء والضراء . وإذا كان الشر منه ، فإنه لا يجد له دفعا ، كالشرق بالماء ، فإنه لا يجد ما يعتصر به ، لأن الاعتصار يكون بالماء ، فإذا شرق الإنسان به ، فإنه يكون قد أتى من حيث يأمن ويرجو السلامة . وعدى صهر النعمان ، وقد كان عاد كاتباً للنعمان الأكبر ، وكان زيد ملكا على الحيرة قبل المنذر :

أبلغ النعمان عنى مألكا (٢٦)
أنه قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى (٢٧)
ليت شعرى عن دخيل (٢٨) يفترى
حيثما أدرك ليلى ونهارى

(١٩) قشر العود (٢٠) جريد النخل اذا جرد من خوصه (يقول إنه يبطن السر ولا يبوح به كأنه بين العود وقشره) (٢١) القدح يسهم به ، الأريب : الفائز (٢٢) الآسى : المداوى (٢٣) بدواء (٢٤) ضعفه (٢٥) يطلبن (٢٦) رسالة (٢٧) الاعتصار : أن يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا (٢٨) عدو

شذرات فى الحياة

«مهنة» الصداقة..

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

إن ابتغاء صاحبي منصرف إلى ضرورة تصوير حقائق الحياة فى ألفاظ ، ومعان ، وعبارات ؛ فقد وقر فى نفسه توقير البيان ، وهمى على وقدة ثورته غيث الغوث مما يعانى من ضيق يشغل باله ، وحزون مضايقات تعقد حزنه !

جاءنى هذه المرة فى تأفيف الضجر ، وهو ينفخ فى موقد غيظه ؛ فحسبت أن أمرا عقيما ألقات عليه عقمه ، أو حادثا مفاجئا أذهب بأنئاد صبره ، ورأيت التثقيل عليه فى المسألة قد يدعوه إلى البرم بى ؛ فخففت ولم أستخف ، وما زحته من دون أن أسف . ثم قلت : ماذا دار فى فلك دولتك هذا اليوم ؟

قال وقد لمت فى عينيه بوارق غضب : يحسبك الناس على انطوائك غير بصير لكنك تحب المشاغبة الساكنة ، والإفاضة الساهية ، وترسل القولة مربدة فى حيائها ، وهذا ما يجعلك معقدا فى اعتقادى

قلت : لا يعقد نفسه إلا « البسيط » وأحسبك تعلم أن حر النار قد يكون تحت رمادها ، ولست على ما ترى ، غير أن كثرة التعرف على الطبائع يعطى المرء حاسة الخبرة ، ويوقفه على دقائق النفوس ؛ فالبله أو التباله فيه شئ من الفطنة ، كما أن مدعى الصمم يعرف رأى الناس فيه حينما يهمس الجبن فى أذن النفاق ، ويتكشف الواقع من بين صفاقة الإيهام !

قال : كأنك تقر اعتقادى فى أنك داه بدهائك . ؟

قلت : قبح ذو الدهاء المسخر عقله لسخرية من الناس !. ، وجل ذو الفطنة الذى يفطن إلى الأمور من دون أن يفطن إليه أحد

قال : أما قلت لك : إن تلاعبك باللفظ يستر ألاعيب نفسك ؟

قلت : إن الحياة فى عرف الحكماء ألعوبة ، وعند اللاهين أرجوحة ، ولدى القانعين دمية ، وفى مرأى المخدوعين امرأة حسناء ، وعند الشعراء رجاء مضيع ، ولدى البخيل صديق ودود لا يخون عهده ، ولا يمنع رفده ، ولا يقطع وده !

قال فى سرور ساذج : لقد أتيت بما أردت ؛ فقد دار فى فلك دولتى كما تقول خاطر نحو الصديق ، وقد قالوا : إنه مشتق من الصدق ، وذهب الطيبون من الناس يستطيبون الحديث فى شأنه ويصورونه صورا تخلب اللب ، وتسترق القلب ، حتى يحسب الإنسان أنه حقيقة من الحقائق التى يجب الإيمان بها ، غير أنى لست بمصدق شيئا من ذلك ؛ فالحياة لا تقرنا على ما ندعى ، ووقائع الأمور تنافى دعوانا فى وجود هذا الشيء الذى أطلقوا عليه

قاعداً يكرب نفسى بثها (٢٩)
وحراماً كان سجنى واحتصارى (٣٠)

أجل نعمى ربها أولكم (٣١)
ودنوى كان منكم واصطهارى (٣٢)

نحن كنا — قد علمتم — قبلكم
عمد البيت وأوتاد الإصار (٣٣)

وأنت قد عرفت ما بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا من شنآن وبغضاء ، وأن ابن مرينا ناصب ابن زيد العداوة وعالنه بها ، وظل كذلك حتى أفلح فى كيده وشيع خصمه إلى السجن ، وعاش هو فى رغد من العيش وعز وبحبوحة :

ألا من مبلغ النعمان عنى
فبينا المرء أغرب (٣٤) إذ أراحا (٣٥)

أطعت بنى بقيلة فى وثاق (٣٠)
وكنا فى حلوقهم ذباحا (٣٨)

منحتهم الفرات وجانبيه
وتسقينا الأواجن (٣٨) والملاحا (٣٩)

(٢٩) يشتد عليها حزنها (٣٠) حبسى (٣١) أحسن الى من أجل نعمى نعاها أولكم ورعاها (٣٢) المصاهرة (٣٣) الطنب (الحبل) تشد به الخيمة الى الوتد (٣٤) كثر ماله وحسن حاله (٣٥) مات (٣٦) حبسى واعتقالى (٣٧) وجع فى الحلق (٣٨) جمع آجن وهو الماء المتغير الطعم واللون (٣٩) جمع ملح وهو الماء المالح

للبحث بقية محمود عبد العزيز محرم

أربعة حروف يمكن الاستعاضة عنها بأربعة آخرها حرف القاف أيضا ... !

قلت : ماذا ؟ .. ماذا .. ؟ ، إنك تضرب فى واد بعيد ؛ فإن الرأى وليد المعرفة المستفادة من طبيعة الأمور ؛ فما هى الألفاظ التى تريد استعاضتها حتى تصور حقيقة كلمة « صديق » !؟

قال : لن يفلت زمام القول منى ؛ لأعلمك مدى تعلق بالحقائق ، وعدم تحلق بالأوهام

قلت : قد يكون الوهم فى بعض الأمور تصويرا لحقيقة غائبة لكنى لا أريدك على ملازمة عقيدتى فى تقدير طبائع الأشياء ...

قال : على أية حال ؛ سأعلمك أن الأحرف الأربعة لن تترك مدلولها فى ذاتها لكنها لا تتعدى تركيبها إلى إنسان من لحم ودم ؛ فلنقر بأن هناك صورة « لفظية » اسمها « صديق » لكن اللحم والدم مصوران فى تصوير لشئ آخر مخيف ، مفظع كئيب لا تود العين أن تقع عليه ...

قلت : أعترف بأن بحثك مشوق، لكنى لا أعلم قدر تسميتك لمن نطلق عليه اسم الصديق وهو موضع الأنس ، وأصل الرجاء ، وهتفة القلب !

قال — مستضحكا — : كلام شعر ! ، وكم جنى الشعراء على أمثالك ؟

قلت : إنك لعنيف اليوم ، فرفق ورفق !

قال : لعلك بدعوتك إلى رفقى ورفق تريد إزالى منزلة ما تتوهم أنه « صديق » ؟

قلت : ومن ذا أنت إذن ؟

قال : أنا رجل أستطيب الحديث معك ؛ فأحادثك لأضيع وقتى فى أمر ذى بال لأنى لست عاشق لعبة النرد أو الورق أو « الشطرنج » !

قلت — معجبا — : تريد القول بأن تعرفك على مصدره « رغبة » فى نفسك تريد الإفضاء إلى إحساس مشترك ؟

قال . لقد قاربتنى ، وأدنيت شعورك منى ؛ فلولا رغبتى فى قضاء وقت معك ما أريتك وجهى

قلت : أو تجابهنى بهذا القول ؟ ، أما تعلم أنه موضع إيجاعى ؟

قال : قلته لأنى لست فى منزلة « صديق » !

قلت : وما الذى كنت تصوغه إذا أنزلت نفسك منزلته ؟

قال — فى تهكم — : أقول : جئت لأطالع طلعتك البهية !!

قلت : وبماذا تطلق على نفسك إذ ذاك ؟

قال : أطلق أربعة أحرف كما قلت ، وسيكون آخرها « القاف » !

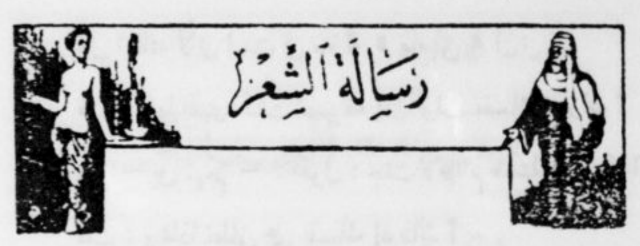
قلت — معجلا — : قل ؟ .. قل ؟ .. جعلت فداك ..

قال : « نفاق » !!

أليست كلمة أنيقة ، رشيقة ، دقيقة ؟ ، أليس فيها وقع موسيقى على السمع ؟ لكن ما أقسى وقعها على قلوب الأطهار !

قلت : لقد كان اليوم دورك فى هذا البحث الشائق ، لكنى أزيد عليه بأن الصداقة غدت « مهنة » ، تسير فى ركاب المنافع ، وتنصرف إلى النفاق لتستقر فى الأعماق !!

بور سعيد **أحمد عبد اللطيف بدر**



ربيع بلا أحبة* !..

للاستاذ أنور العطار

عاد الربيع وما عاد الأحباء ... لا الزهر زهر ولا الأنداء أنداء
يظل يسألنى عنهم بلا سأم ... قلب يعيش بهم، والقلب أصباء
كانوا به أمس أشواقا مبرحة ... واليوم هم فيه أحلام وأصداء
مات الهوى فيه إلا همس هامسة ... لها الأضالع ساحات وأبهاء
فيا ربيع الهوى لا زلت مؤتلقا ... يرف فيك الشذا والزهر والماء
لقيت فيك أحبائى وظللنى ... من سرحة الحب أطلال وأفياء
أبيت أرفل فى بشر وفى دعة ... ليست تزول، ودنيا الحب فيحاء
إذا الصباح تراءى فى محفته ... أغنى صباحى من مرآك أضواء
وإن أطل مسائى واجما فرقا ... جلته منك يد للحسن بيضاء
فأنت لى فرحة الدنيا وزينتها ... ما عاود العين إصباح وإمساء
وأنت أنت أناشيدى وأخيلتى ... وذكرياتى، وأنت البرء والداء

* * *

أطوف بالروض لا عطر ولا نغم ... ولا فتون ولا حسن وإغراء
وأنثنى وفؤادى ما يفيق أسى ... كأننى دمعة فى الخد حمراء
أطوى جواى وتطوينى لوافحه ... ويقتل النفس أوجاع وأدواء
دنياى بعدك أسر مرهق ونوى ... ليست تطاق، ودنيا الصدجرداء
ما فى جوانبها سحر ولا عبق ... وإنما هى أوصاف وأسماء
خلت من البشر لا الأرواح تؤنسها ... كأنها رمم غبر وأشلاء
يظل آدم فى أرجائها قلقا ... يبكى سرابا توارت فيه حواء
أغص بالدمع إما طاف طائفها ... كأننى حسرة فى الصدر خرساء

* * *

ياأيها الشعر خلد ذكر من رحلوا ... فهم ربيع وأفراح وأشذاء
وناجهم وارعهم فى الترب ما رقدوا ... ما غير الحب تفريق وإقصاء
لولاهم ما صبت نفس، ولا صدحت ... على أماليدها فى الدوح ورقاء
هم علموا القلب أن يحيا بذكرهم ... وماله يوم غابوا عنه أهواء

* * *

يا بؤس للقلب إن عاد الربيع ولم ... يعد من الغربة الكبرى الأحباء

أنور العطار

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع

انتظـــار

للاستاذ كمال نشأت

نام المساء .. وها أنا وجدى أسامر لهفتى
مترقبا فى غرفتى أصـــداء خطو حبيبتى
ومشـــاعرى نبع يقيده جمود الصخرة
وخواطرى أرجوحة حيرى .. تمذب يقظتى
نهب الظنون فينطفى نجم بنور مهجتى
ويلفنى ليـل .. وتغمرنى ثلوج كـآبتى
وتعود من كهف الشعور .. من المهاوى .. غيرتى
تروى ملاحم حبنا المخضوب .. تروى قصتى
لليل .. للجدران .. للباب المشوم .. لقطتى
لدامعى الخرساء .. للصمت الـكئيب .. لوحدتى
أنا فى دجى الأمل المعذب فى انتظار الجنة
كاب تشردنى الظنون ... ملفع بالحسرة
مترقب .. متوفز الأعصاب .. أشرب لوعتى
واود لو كانت هنا .. فى ساعدى .. وغرفتى
أشكو لها فتهش حانيـــة لتمسح دمعتى
أشكو لهـا فتجيل كفا محسنا فى جبهتى
أشكو فراغا جائما بفتات حـــلم شبيبتى
ودجى يجـــر على دمى أفراح فجر ميت
ورؤى — كأحزان العبيد — تنهدت بسريرتى
وتوثبـا يحبو بقلبى باردا كالدميـــة
وتبلة كم صاغها قلب .. أســـير نعلة
فتفرى عنها وساد من أفاعى وحشتى
يا أخت إحساسى .. ويا جرحى السعيد .. تلفتى
أنا فى انتظارك مهجة تهتز فوق الهوة ..!

كمال نشأت



فى المحــــراب « ديوان »

تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى الصمدى

للأستاذ محمد رجب البيومى

منذ أكثر من خمس سنوات قرأت فى مجـــلة « الكاتب المصرى » قصيدة طـــويلة تحت عنوان « بين المثالية والطبائع البشرية » وقد راقنى منها وضوح الفـكرة ، وقوة النسج ، ودقة التحليل ، فاضطررت إلى تكرارها مرات عـــديدة حتى علق بذهنى كثير من أبياتها ، وأخذت أفتش فى مجلاتنا الأدبية ، عن شعر آخر لكاتبها المبدع فـلم أوفق إلى شىء ، حتى وقع فى يدى منذ أسبوع ديوان « فى المحراب » مبدوءاً بهذه القصيدة الفريدة فأخـذت أطالعه فى كثير من الشغف والإعجاب ، وشاهدت بين قصائده نظائر عديدة للقصيدة الأولى ، فعلمت أن الينبوع الذى ينحدر منه هذا الشعر الجيد ، دافق جياش لا ينضب له معين ، وأسفت حين علمت أن ديوان « فى المحراب » قد صدر منذ عامين ، وسكتت عنه المجلات الأدبية ، فلم نقرأ له نقداً فى صحيفة ، أو تقريظاً فى مجـــلة ، مع أننا نطالع فى كل يوم كلمات كثيرة تدور حول دواوين ميتة لا تشبع عقلاء ولاتحيى عاطفة ، وهكذا يرسب الدر فى قاع المحيط ، بينما يتناثر على سطحه الأشلاء والعظام

ومن الخير أن نكشف عن المميزات التى تظهر فى شعر الأستاذ الصمدى واضحة بارزة ، وقد يكون أهمها ما نلمسه لدى الشاعر من عمق فى التحليل ، وقوة فى التحليق ، وجزالة محكمة رصينة ، !! وتلك هى الأركان الثـلاثة التى ارتقت بديوانه إلى منزلة سـامقة تشرفه وتعليه ، ومما يزيد فى قيمتها الأدبية أنها تطرد فى سياق واحد ، فلا تتخلف ميزة عن أختيها ، فى قصيدة من قصائد الديوان ، بل تظهر ثلاثتها متجاورات متآخيات !!

وإذا كان الشاعر فى جميع قصائده متشائماً متضايقا ، برماً بما حوله من الناس والأحياء ، فهذا مما لا يؤخذ عليه فى شىء ، لأن لكل إنسان آماله وأحلامه . ومهما ألح الشاعر نحو أهدافه فلن يقرب من مثله وأشواقه ، وهنا تكون الحسرة الموحية بالتشاؤم والقلق لدى أكثر الشعراء ، وقد يكون الحظ التعس مولعاً ببعضهم فيقف له بالمرصاد ، ينغص عيشه ، ويكدر حياته ، وينقله من الخفض الناعم ، إلى الجدب الموحش ويجسم له أشجانه فتصبح أشباحاً قاتمة ، تطوف أمامه موترة بالسواد ، وتظل طيلة ليله عابرة أمام عينيه ، تشرد نومه ، وتهيج بلابله ، !! وصاحب الديوان أحـد هؤلاء الرازحين فى ليل من البلابل والشجون ، وتظهر ميزته الأولى فى دقة التحليل وعمق الاستقصاء ، حين يتحدث عن أشجانه ورزاياه !! فيصف لك البوم الذى ينعب فى صدره مولولا ، ويسمعك الصخب الهائج بين الضلوع فى ظلمة الليل وقد سكنت حركة الأحياء والأشـياء ، ويريك الأشباح المتواكبة أمامه ، وقـد ملأت مسامعه بالزمازم والرعود ، وأســلمته إلى الذكريات البعيدة والقريبة فبعيدها ضعيف الجرس ، حار الأنة ، وقريبها صاخب ملحاح شديد اللوعة والغرام ، والشاعر فى حيرة مقلقة بين القريب والبعيد ، ولن تقف هذه الحيرة أمام شـاعريته ، بل أفسحت له مجال الوصف والتحليل فاندفع يقول

يلف الدجى منى مراح بلابل	ومثوى شجون لا تريم جثوم
لها صخب خلف الضلوع مبعثر	فمن ناعب يذكى الأسى وبغوم
كأنى ناى فى يد الليل جائش	بما فى الورى من رائع ودميم
إذا أذهب الليل الحياة أعادها	قيامى على أعبائهــا وازومى
ألا شد ما أوقرت نفسى بفادح	أنوء به تحت الظـلام جسيم
وأشباح ليل ما تنى فى هتافها	أذنت لهـــا من بعد طول وجوم
ففى الشرق منها هاتف بزمازم	وفى الغرب منها هاتف بهزيم
وطورا يشق الليل داع مرزأ	بصوت من البعد السحيق سقيم
له أنة حرى على ضـعف جرمها	كأنه مصدوع الفؤاد كليم
وتصخب طورا حين أصغى لهامماً	فأمسى كأنى فى مناحـة بوم
من الطارق الملحاح بابى، وللكرى	يد فى الدجى ألوت بكل نؤوم

وكثير من الناس يسهرون الليل ساهمين محزونين يفـكرون فى حظوظهم العاثرة ، وسيجدون صورة ما يعتادهم من الشجن والرعب فى هـذه الأبيات ، ونظائرها من الديوان ، وكم للنفس

من خلوة رهيبة ، تكتنفها الوحشة ، وترتعد لهـــا الفرائص الصلاب ، ولا فرق بين المسير فى غابة رهيبة نائيـــة ، وبين التسرب فى أعماق الشجون ، وتذكر المصائب والويلات ، والحزين من هواجسه فى مأسدة عالية الزئير ، مرتفعة الصياح ، فليس عجبا أن يسمع الشاعر فى وحدته الساكنة ، مناحة البوم ، ورنين الأنات ، ويرى نوائب الأشباح أسرابا خلف أسراب !

وقد استعان الأستاذ الصمدى بخياله الجنح الطائر ، فنظم ملحمة طويلة يصف بها يوم البعث كما ينطبع فى مخيلته ، ولم يشأ أن يصور حلقات سريعة لما يتخيله من الحوادث والوقائع فحسب، بل أراد أن يبرز فلسفته فى الحيـاة والناس فى جـو من الإيحاء والإبهام ، ولم يفارقه تشاؤمه المرير قيد لحظة ، بل ظل يظفر بين سطوره من بيت إلى بيت دون أن يخلد إلى الراحة والاطمئنان ، بل إن الملحمة تدور حوله رائحة غادية !! فحين نفخ إسرافيل فى الصور ، ونهضت الرمم البالية من الأجداث ، وهبت هبوب الدبا فوق المروج والأعشاب ، ودبت الحياة على الأرض من جديد ، حين كان ذلك ، فزعت الملائكة فى السماء ، وجعلوا يتساءلون عن هـــذا البعث فى قلق وإشفاق ؟ كيف حان على غير أهبة ؟ وما مصيره وعقباه ؟ ولأى غاية كان ؟ !! ولجأوا إلى إسرافيل يستفسرون عما صنع من جليل الخطوب حين نقر فى الناقور ، وقد توجسوا الشر إذأنذرهم ببعث الآدميين من جديد ، وظنوا الأظانين بأبناء حواء ، واندفعوا يقولون فى حسرة وإشفاق

رويدا ملاك الصور ماذا تقوله   أهبوا على الطبع القديم الدابر

إذن سوف ينضون السلاح كعهدهم   غلابا على الأخرى غلاب المغاور

فلن يجنحوا للسلم والطبع قائد   يجاذبهم حرص النفوس الغرائر

غرائز غشت تحتها مشرق الحجى   ورانت على الأبصار فوق البصائر

وليس الحجى كالطبائع فيهم مؤصلا   ولكنه للمرء إحدى المفاخر

مضى الناس طرا ما ألموا بقدسه   سوى نفر منهم قلال عباقر

وسائرهم أسرى الغرائز خطهم   عليهن من مأثوره ـ حظ ناجر

وهذه النظرة الجاحدة للانسان تجد ما يبررها لدى الشاعر من واقع عيشه ، وظروف حيـاته ، فقد نازعه بعض الموسرين منازعة قضائية ، واغتصبوا منه ظلما مالا يجوز أن يقربوه فى شئ ، والتبس الأمر على القضاء فأيدهم بسلطان القانون ، ولم يجد الشاعر غير القريض ينفس به عن ذات صدره، ويبثه تباريحه ومواجعه ، فامتلأ ديوانه بهذه القذائف الصائبات

وقد وفق الأستاذ الصمدى فى ملحمته هذه توفيقا جيدا ، فبرزت ميزته الثانية فى التحليق مع الخيال إلى القمم والأجواز ، فلم يبرز يوم البعث ، دون مقدمة تمهد له وتؤذن به، فالأثير يدوى بأصداء خفاف عوابر، والأفق موحش يتجاوب فيه الصدى تجاوبا مرهوبا ، والسكون الشامل يدفع الأحشـاء إلى حركة تؤذن بالانفجار ، والأثير يتجاوز الخفق — بعد قليل — إلى الزمجرة والقصف ، والضبـاب يتدجى على الثرى فى تكاثف والتحـام ، والدخان يتنقل مع الريح كالدخان المتصاعد من المباخر العاليات ... والسحاب والسديم والبحار تأخذ فى مرآة الشاعر صورا مهتـاجة فزعة ... تجد هذا كله حين تنصت إلى قوله فى مقدمة ملحمته الجيدة

أذنت إلى خفق الأثير وقد هفا   يدوى بأصداء خفـاف عوابر

وللأفق حولى وحشة أولت الصدى

وضوح شـــهاب عابر فى الدياجر

سكون تكاد النفس توجس خلفه   حشـا مستفزا بانفجار مخـامر

على صفحتيه ما ينى نبض منذر   كنبض سراج فى السموات ساهر

لآنست إرهاصا لأمر مروع   وراء أسـاريرالأثير المواثر

فلو أن مذياعا يبين ما انطوى   عليه لأجلى موجه عن زماجر

وما هى إلا أن تدجى على الثرى   ضباب إلى غيم على الأفق سائر

وصعدت الأرض الغبـار كأنه   على الريح مذرورا دخان المباخر

هنا السدم قد ذرت ، هنا السحب بعثرت

هنا طافر ينزو إلى جنب طافر

وتمضى القصيدة إلى نهايتها فى هذا السياق الرصين !!

والقارئ يغتبط كثيرا لتآخى الجزالة الرصينة مع الخيـال السابح المحلق ، فى شعر الأستاذ الصمدى ، إذ أن التزام الجزالة يصرف الشاعر غالبا عن سبحاته النائية ، ومهامهه الشاسعة ، ونحن نرى عشاق التحليق والطيران من الشعراء يسرعون إلى مطارحهم النائية ، ويرتقون إلى أجوازهم العالية فى أسـلوب لا يرضى عشاق الرصانة والأسر ، فالتعبير مفكك غير متماسك ، والتركيب مضطرب فاتر ، واقرأ ما لدينا من الشـعر الحديث فى الملاحم والأساطير ، فلن تجد للرصانة أثرا يرضيك ، بل إنها فى مذهب أصحاب الملاحم ضرب عتيق من التقليد المظلم الذى يتعفر

أن يجد سوقه الرائجة فى هذا الأفق الطليق ، وقد دفعهم إلى هذا الإبهام القاسى ما يجدونه – غالبا … لدى أنصار الجزالة من ضيق فى الثقافة والخيال والتحليل ، إذ أن قصائدهم – فى الأكثر – تضطرب فى نطاق ضئيل من المعانى المتوارثة الشائعة – وإذا جنحوا إلى الابتكار الشائق فلا يتجاوزون حدود الاستعارة والتشبيه ، مما يتعلق بالبيت أو البيتين ، لا أن يعم الابتكار فكرة القصيدة ، وأغراضها وأوزانها ، فتكون له الدقة والطرافة والتوثب ، وقصيدة الشاعر عن يوم البعث محاولة طيبة لتقريب الشقة بين المذهبين المختلفين ، وإن كنا ندعو الأستاذ الصمدى إلى التخلص قليلا من بهارجه اللغوية ، التى تبرز بوضوح فى صفحات ديوانه . فقارئ الشعر لا يصبر على مراجعة الهوامش كقارئ المنطق والفلسفة ، ولكنه يريد فاكهة عذبة مرمجة ، يلمس فى يديه نعومتها الشفافة ، ويرى بعينيه صورتها الخلابة ، ويذوق بفمه حلاوتها المشتهاة ، وهذا ما تحول دونه ألفاظ المعاجم ، فى بعض الأحايين ، ومعاذ الأدب أن يفهم القارىء من هذا الرأى أننا نتنكر للجزالة والأسر ، بل نسير معهما إلى أبعد شوط وأقصاه ، ولكننا لا نراهما فى حاجة إلى الألفاظ الغريبة عن السمع والعين والفؤاد ، وأكثر ما لدينا من شعر الديوان سائغ رائق ، قد خلص من الغرابة والإيحاش

وقد لاحظت أن الشاعر – أقر أم لم يقر – متأثر فى بعض قصائده بشاعرية الأستاذ العقاد ، فقد أخذ عنه حبه للتعليل والتدقيق ، ورغبته فى جدله العقلى المترف الذى يندس إلى أغوار الحياة ، فيجد فيها مادة للتفلسف والمقارنة ، وهذا لا يعيب الشعر فى شئ – كما يرى السطحيون – ما دام ملموسا واضحا أمام الذهن البصير ، بل يرفعه إلى مستوى شامخ تتواثب فيه العواطف والعقول ، وقد ظهر فى هذا التأثر فى كثير من قصائد الديوان ، كنجوى الأمل ، وعلى رفات البشرية ، والله والوجود ، وإن لم يلحق الصمدى بأستاذه العقاد فى الدقة والصدق والإقناع ، بل وقف منه عن كثب يطارحه ويحاكيه ، واقرأ دعوة الشاعر إلى خداع النفس ، والهروب من الحقائق ، وتناسى الواقع ، لتلمس الشواهد الدالة على ما ندعيه فى مثل قوله

قد ضقت بالحق الصراح ... فمن لنفسى بالهراء

والعيش عبء فادح ... إن لم يموه بالطلاء

أحبب بآلك لامعا ... عندى وإن لم ألق ماء

إن كنت لم تنقع صدى ... فسواك يغرى بالظماء

حسبى بأنك مالىء ... عينى سحرا بالرواء

يا أيها الأمل المنمق ... من أفانين الغباء

إنى لقيت بك السعا ... دة وهى حظ الأغبياء

لو أن لى لبا لما ... آنست فى أفق هباء

أنا لو وثقت بظلها ... فعليك يا عقل العفاء

هذا ، وقد عاش الشاعر فى الريف نخصه بكثير من خواطره ، فهو يصف طبيعته الفاتنة وسحبه وبروقه وغمائمه ، ويشارك أهله ما يجدون من عواطف وأحاسيس ، فيرثى أقطابه وذوى الوجاهة فيه ، ويرسم ألواحا بديعة للجمال المشترك الوزع بين الروج والحسان والغدران ، مما يزين جوانب الريف ويجلو حنادسه الترا كات ، وتعجبنى نظراته الاجتماعية الصادقة ، وخلجاته الإنسانية التى التمعت متوهجة فى آخر قصيدة « من صور الريف » فهو يحدثك عن تعس العقل وشقائه ، حين لا يجد بدا من الخضوع للأوهام والأضاليل ، بعد أن كابد الداء العضال وأعوزه الشفاء عن طريقه الطبيعى للعلاج ، فيلجأ إلى التمائم والرقى والتعاويذ ، على يد أناس جهلة مماسيخ !! راميا بآخر سهم فى كنانته ، وذلك قصارى ما يستطيع !!

وجاء شيوخ الحى والكل ناهض ... بإبلاله من دائه المتفاقم

وقالوا عليه باللحى لكأنها ... لبود ليوث ساء طب الضراغم

ومسوا بأيديهم يديه وأقبلوا ... يلوكون بالأفواه رجع المهامم

وقال كبير القوم خذ هذه الرقي ... فنطها على اسم الله فوق الجماجم

ونطت بأعلاه ، التمائم والرقى ... على سوء ظنى فى الرقى والتمائم

ورب فتى لم يعصم العلم نفسه ... فيلقى بها ضعفا إلى غير عاصم

ولهذه الوثبات الرائعة نظائر متناثرة فى صفحات الديوان ، وقد يجمح بنا اليراع إذا تناولناها ببعض التشخيص فى هذا النطاق الضيق المحدود !!

ولعلى بهذا العرض السريع ، لأبرز عناصر الديوان ، ألفت كثيرا من القراء إلى الاطلاع عليه وتقديره ، وقد يكون إعجابى به دافعا إلى التغاضى عن بعض هناته الطفيفة ، فعين الرضا عن كل



النطق بالضاد

قرأت مقال معالي الدكتور محمد رضا الشبيبي بعنوان (بين الفصحى ولهجاتها) المنشور في العدد ٩٧٠ من الرسالة ، فلفت نظري ما ذكره عن حرف الضاد . فقد قال في نقده للهجات العامية ، وكيف أنها لا تتبع النطق الفصيح ما نصه : —

« أما في اللهجة المصرية فيقولون : (اضرب) بفتح الراء مع قلب الضاد دالا » . وذكر معاليه أن هذا نوع من اضطراب النطق وفساده (ص ١٣٠ ، الأسطر الأخيرة من الحقل الأول)

والذي أعرفه أن اللفظ الفصيح لحرف الضاد هو كما يلفظه المصريون وليس كما ننطق به نحن العراقيين . أي أنه يلفظ مثل حرف الدال مضخما . فقد جاء في محيط المحيط ما نصه : —

(الضاد هي الحرف الخامس عشر من حروف المباني ومخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس . ولا أخت لها عند سيبويه . وقال صاحب العين هي أحد الأحرف الشجرية . والظاء مخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أخت الذال والثاء بالاتفاق ، وتسمى هذه الثلاثة الأحرف اللثوية لأن مبدأها من اللثة . وإتقان الفصل بينها واجب لأن الأئمة المتقنين على أن وضع إحداها موضع الأخرى مفسد للصلاة . قيل الضاد للعرب خاصة وليس له حرف يقابله في باقي لغات الساميين . ويقابله عند الأفرنج حرف الدال في بعض الأحوال فيلفظ كلفظه)

هذا ما جاء في محيط المحيط ، ولولا ضيق المجال لذكرت شواهد أخرى من كتب اللغة تؤيد ما قلت

بغداد المحامي يوسف عجاج

هل يخطئون عامدين ؟ !

إذا كنا نسكت على مضض عن بعض الأخطاء التي يتزلق إليها المتحدثون المفروض فيهم أنهم غير متخصصين — ولا أقول إخصائيين — في اللغة العربية ، فقل لي بربك كيف نستطيع السكوت عن أغاليط بعض الأدباء النابهين ؟!

إن أحد الكتاب الأفاضل يكتب تعليقاً على الأنباء ويذيعه قبيل الساعة التاسعة مساء مرة أو مرتين في كل أسبوع ، وقد سمعته في المرة الأولى فكذبت سمعي ، وفي المرة الثانية قلت لعل له عذراً وأنت تلوم ، وفي المرة الثالثة ظننت أنه يخطىء عامداً لكثرة ما أذهلني من أخطاء ، فهممت بالكتابة إلى الرسالة الغراء مستفتياً بها ، ولكن حبي لشخص الكاتب الكبير كان يجعلني أقدم رجلا وأؤخر أخرى (١) ، حتى إذا نفد صبري وامتلأت الكأس استخرت الله وبعثت بهذه الصرخة محملا إياها ما علق بذهني من أخطاء وقعت في حديث قصير أذكرها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر :

فالخطأ الأول هو أنه نطق بكلمة « يكسب » بفتح السين والصحيح الكسر « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه » . والثاني أنه نطق كلمة « نضجت » بفتح الضاد مع أن كسرها هو الصحيح « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » . ولي أن أستطرد فأقول إن استعمال كلمة « نضوج » هو استعمال خاطىء ، والصحيح أن يقال نضج نضجاً على وزن تعب تعبا والاسم النضج على وزن قفل . والثالث أنه قال « في صبر أبعد ما يكون .. » برفع كلمة « أبعد » والصحيح جرها . والرابع أنه قال « وما أصدق قول ماهر باشا » برفع كلمة قول مع أنها منصوبة

ألست معذوراً — وهذه هي بعض الأخطاء — إذا ظننت أن هذا الأديب الكبير وأمثاله الأكرمين إنما يخطئون

عيب كليلة غضيضة ، وحسبي أن أوجه القارىء إلى ديوان لم يسمع عنه ؛ وقد حفل بكثير مما يلذ ويستطاب ، راجيا أن يجد فيه ما وجدت من البراعة والطرافة ، فيستشعر الأنس والمتعة والارتياح ، وذلك شيء له حسابه الدقيق ، وقدره الراجح الوزون !!

أبو تيج محمود رجب البيومي

عامدين ؟!

إن مثل هـذه الأخطاء لا يظهر في المكتوب ، ولهذا فقلما كان يقع نظري على خطأ فيما كان يكتبه الأديب الكبير بالأهرام وفيما يكتبه الآن بصحيفة أخرى أسبوعية ، أما وقد سمعته فأزعجتني كثرة أخطائه، ولا أميل — على الرغم من هذا — إلى وقف المذياع كما أفعل ذلك مضطرا في بعض الأحيان — فإن من حقي أن أطالب حضرته بقراءة حديثه قبل إذاعته مثنى وثلاث ورباع ؛ إذ لولا ظرف خاص يفرض على فرضا أن أحب شخصه الكريم حبا جما لتأثر حبي له وإعجابي ؛ إلى حد كبير

عبدالحميد عمر

إلى الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مما لا ريب فيه أن الفترة الدقيقة التي تمر بدول العالم الإسلامي وشعوبه ، تحتم على هذه الدول أن تتجه نحو التكتل ، بعد أن فشلت المنظمات الدولية جميعها في رفع كابوس الاستعمار الجاثم عليها

فقد فشلت عصبة الأمم من قبل . كما نلمس اليوم فشل هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية ، في أن تضع حدا لهذا الاستعمار الغاشم الذي يأبى إلا التهام الشعوب الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة ..

الكتلة الإسلامية القوية بجيشها المعد إعدادا كاملا هي التي تستطيع اليوم أن تصون كيان الدول الإسلامية المستضعفة، ولن تكون كتلتنا ضعيفة وفيها أمثال الباكستان أندونوسيا وإيران ومصر وأفغانستان وتركيا ، بشرط أن تكون لها هيبة الكتلتين : الغربية الديمقراطية . والشرقية الشيوعية . وألا تكون ذيلا لإحداها ..

ومجلة الرسالة الغراء هي مجلة الأدب في العالم الإسلامي لا العربي ، والأدب لا يكون بخير في دول لا عزة لها ولا حرية ولا استقلال ...

فلتحمل زعيمة الأدب رسالة الكتلة الإسلامية إلى العالم الإسلامي ، ولتبدأ رسالتها بتعريف القراء بالدول الإسلامية دولة دولة : حالتها السياسية والاقتصادية وحالة الأدب فيها..

فهي أجدر بالاهتمام من بريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة، ولا أعتقد أن زعيمة الأدب ستتوانى في تبليغ هذه الرسالة ؛ لأنها جزء مهم من رسالتها . وها نحن أولاء منتظرون

بهجة المشاوى

سكرتيرة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات

مجلة الناشر المصري

كان الكتاب العربي ينزل في سوق الأدب حائراً لا يجد من يعرفه تعريفاً موضوعيا منصفا ، إلا بين الحين والحين في مثل مجلات « الثقافة » و « الهلال » و « المقتطف » و « الكتاب » و « الأديب » البيروتية ، و « المجمع العلمي بدمشق » و « الرسالة » . ولم يكن في العالم العربي كله مجلة خاصة بالكتب وحدها ، تنقدها وتعرضها عرضاً غير ذي فرض ؛ وتقدمها إلى القارىء العربي أصدق تقديم . وقد لمس « الاتحاد المصري العام لدور النشر والمكتبات » حاجة القارىء العربي في كل قطر عربي إلى مجلة خاصة بعرض الكتب والتعريف بها والتقديم لها ، فأصدر مجلة « الناشر المصري » وأسند رياسة تحريرها إلى الأستاذ محمد عبدالغني حسن . وقد ظهر العدد الأول من هذه المجلة التي ستصدر كل ثلاثة أشهر محتوياً على مقالات حول الكتب ودوائر المعارف والمخطوطات العربية ، ومشتملا على تعريف دقيق لأكثر من ١٢٠ كتاباً في أبواب مختلفة من العلم والأدب والتاريخ والتراجم والقصة والفلسفة والاجتماع وغيرها . كما أن فيه إحصاء دقيقاً شاملا للكتب العربية التي ظهرت خلال عام ١٩٥١ المنصرم مع بيان أسماء المؤلفين والناشرين وأثمان الكتب وعدد صفحاتها وقطعها

فنرحب بالزميلة الجديدة ، ونرجو لها التوفيق في رسالتها الجليلة لخدمة الكتاب العربي والقارىء العربي



من الشارع

للاستاذ أحمد عبد القادر الصاوى

المواكب تحتشد . الجماعات تتشابك. الطبول تدق . الغناء يعلو وأنا وحيد .. تتراقص فى ذهنه أخيلة قائمة ، ورأيت أن أمضى إلى الجموع الحافلة أتصيد اللهو والمتعة ...

وفى مدى دقيقتين توسطت حقل السلوى . وسافرت بين جوانحى تنهدة طويلة . وسال فى وجدانى شعور بالرضى ..

وسارت بى الخطا فى زقاق غير بعيد ، شاهدت كومة مهملة من الخرق ملقاة على الأرض غافلة عما حولها من الضجيج

ومر الشرطى فركلها ليفحصها . وبلغت دهشتى غايتها ، إذ تجمعت الكومة وتحركت — رويدا . وارتفعت ، وشاهدت هلاهيل داخلها إنسان .. أحد أبناء الطريق ممن ينتشرون فيها حائرين كاسدين . وسأله

— أين أبوك ؟

— لا أبَ لى

— وأمك ؟

— لا أم لى

— أين تبيت ؟

— هنا ! !

ونحاه ، وانطلق متكبرا

وتراجع الغلام إلى مكانه . وتراخى ، وشمله نوم عميق . ووقفت حياله . وثورة من العواطف تجتاحنى

وعبست السماء ، وتلبدت السحب ، وأظلت غمامة ، ودمعت ثم بوحت . وأسرعت أوقظه ، فلم يسمع لى . صحت فيه

— قم !

— ليس هذا مكان أحد . لن أقوم

— المطر ينهمر !

— لينهمر ! ليست هذه أول مرة

— قم !

— لا شأن لك بى

اختطفته . فانزعج . فطمأنته

— لا بأس عليك

رمقنى بطرف ساج ثم تبعنى

وخرجت معه عن دائرة الفوضى . وطلبت منه أن يصحبنى فأطاع ..

وكنت أسكن وحدى . فأعددت له فرشا . ونام كما تنام الهرة مستكينة مستسلمة

وأصبح الصباح وا كتشفت أنه أليف وديع . وودعته وغدوت إلى عملى

وعدت ظهرا . وتلألأت فرحة بين جنبى .. الحجرات تبتسم ، والأثاث يشرق ، وزجاج النوافذ يضىء . كان الأثاث قد رتب ترتيبا ساذجا ، أقرب إلى التنسيق والنظام

وفركت عينى . وعادتا تتصفحان مرة ثانية قطع الدار . لقد أصبحت قشيبة

وسرت البهجة إلى قلبى باردة ناعمة . . سأدخل حياة جديدة ، جميع نواحيها هدوء واستقرار

وواجهته والضحك يتزاحم على فمه . واستحالت الضحكات كلمات بليغة راقية

ومدحت تصرفه ، وسطعت على فمه ابتسامة ردا على كلمات الإطراء التى امطرته بها

وتناولنا غداءنا وخرجت إلى بعض صحبى . وحملت إليه عند أوبتى ملابس من النوع الرخيص . وتهلل وذهب يستحم

ألف الحياة التى تحيطه . وعامل أشخاصا من الحى تربطنا بهم الحاجة . وأثنوا عليه

وأرسلته إلى المكواه . وعاد عابسا . وأظهر أكثر من العبوس ، حين قدمت إليه أتعاب العامل ليؤديها إليه فقال :

— هذا كثير

فهززت كتفى وقلت :

— وما الحيلة ؟

— أستطيع أن أحتال لك

وكيف ؟

— اشتر لى مكواة وسفرى

— لا خبرة لك

— خبرتها هناك

— تهزل ؟

— أجد

واعجبت كثيرا حين وجدت الأقمصة والبدل، كأنما صقلتها يد الكواء

ستون قرشا أو تزيد استقرت فى جيبى آخر كل شهر. وعالج الغسيل، ورتق الجوارب، وطهو الطعام ونجح . وبلغ فى نجاحه مدى بعيدا

ولقيته مرة حزينا فاستفسرت فقال :

— احسب معى !

أربعة قروش ومليمان صابون . وقرش وخمسة مليمات خبز . وقرش وثلاثة مليمات شاى . وقرش وسبعة مليمات زهرة وملح ... كم مجموعها ؟

— ثمانية قروش وسبعة مليمات

— فإذا كان معى عشرة قروش ، فكم يتبقى ؟

— قرش وثلاثة مليمات

— معى قرش

— لا عليك !

وتلعثم وا كفهر

— سأتعلم الحساب

— من يعلمك ؟

— أنت

وتبدو الوثبة الثانية ، وأجد أن أحب شئ لدى حين أجلس لألقنه، وتشربت الاسفنجة الجافة ما ألقيته إليها . وعت ووعت ، ولم تتشبع ولم تمتلىء

وفى غضون عام أصبح فى مستوى طالب الشهادة الابتدائية بكتب بطلاقة وخط أصيلتين

وضبط الحساب وضغطه ، فلم يفلت منه مليم ، وتطلعت إلى المكث فى بيتى . وارتاح صديقى الصغير إلى ، واتخذنى أخا ومرشدا . واستوى الحول ، ووجدت يدى تتحكم فى ثلاثين جنيها . مبلغ ضخم ! يا لله !

وازددت حدبا عليه، وازداد كلفا بى ، والأيام تمدو وتنطلق وفتاى ينمو نموا مطردا ، ووجهه يتدفق جمالا ، وقوامه يتناسق ويرشق . ولم ألتفت إليه

وحرك فضولى أن صوته كان يرق ، وخشونته كانت ترهف ، والأنوثة كانت تطل من أعضائه وملامحه . وبلاه ! وأخذت المفاجأة طريقها فى سرعة

ومضى شهر . وفى خلال الشهر الذى يليه كان يملو صدره . وفى الشهر الثالث برز له صدر فتاة ؛ وهو إذ ذاك فى الرابعة عشرة ولكنه يحث خطاه إلى النضوج البا كر العاجل . وينتقل من حال إلى نقيضه !

وأثار فى كثرة ترددها على الحلاق ليقص لها كالفتيان . وأثارنى أكثر إصرارها على ما هى عليه ، وتمردها على أنوثتها وتتساقط الأيام ، وتفر الأشهر ، فإذا أنثى كاملة تخرج من ثناياها. ويدور الزمن فيصقلها دورانه ويهذبها . ولا يزال الصقل والتهذيب حتى يخلص إلى تمثال تتوهج الأنوثة الكامنة فيه . ويكاد الحسن يضطرم على صفحة الوجه الناصع الصغير

يا رحمة الله ساعدينى !

واحتاجت إلى ملابس ، فانتقيت لها مجموعة منمقة . إحدى التشكيلات التى تسر الفتيات وتبهجهن

وجاءت فرحة لتفضها . وحدقت فى الألوان الزاهية عينها وفقدت مقاومتها ، وانطلقت إلى الحجرة الأخرى .. تطمن بأظافرها الحشايا وتولول . وذهبت إليها وما دريت أن الكتمان الطويل الذى لفت نفسها به، سيهتك سريعا . ولكنها أنثى !

ومرت الليالى . وخضعت لرغبة الطبيعة ، فظلت الساعات أمام المرآة تتعطر وتتزين . لمن ؟

وكرهت مسكنى ، فقضيت أكثر وقتى خارجه إن وجودى فيه كان إحدى أمانى الشيطان

وتنتظرني بقلب واجف . . تتلقاني بالحساب العسير . وأنتحل الأسباب فلا تصدق . وتولى وهى تبكي . وتظرفت وتلطفت . واقبلت .. تقول :

— كرهتني !

— أبدا

— ليتني فتى !

وتضحك خلال دموعها وتستأنف

— كنت أحببتني

— أحببتك في حالتيك

وتسوق بعض طرائفها في أسلوب هين رفيق

وعدت إلى المنزل يوما عقب عمل شاق. فوجدتها ارتدت ثوبي واحتذت حذائي ، وعقصت شعرها تحت طربوشي . واختطت شاربا ، وواجهتني . ولم أتمالك أن تضاحكت. ورددت ضحكاتها ترف على وجهها ، فتصبغه لونا زاهيا .. لون المرح والشباب

— أحببتني الساعة ؟

— وكل ساعة

— ابق معي !

— أبق ؟

— أجل

— أنت في حجرة ، وأنا في حجرة

وتعبس بعض الوقت

— ستكون أبعد منك خارجا

— هذا شرطي — وتهمس

— خففه !

— قد خففت !

وأتأفف . وتهز رأسها

— رضيت

وتعبث بأذني وأصابعي وتهمس

— ألا زلت على قسوتك ؟

وأضحك بعد العبوس

وكان دلالها الفطري ، وحركاتها الغريزية ، وسهولتها المطلقة، أمورا جديدة على . فمن حولي كلهم قد أخفتهم الصناعة خلف قناع كثيف

وأنا أقدس الحياة لا كلفة فيها

وانتهى الأمر بأن أحببتها !

وخرجنا معا إلى عرض الطريق

وعلت الدهشة وجوه القوم . وتقولت جمهرتهم . ووشاءت الشائنات . ولم يكن هناك بد من قطع ألسنتها . . سأعقد عليها حالا

وأسررت إليها برغبتي . واستخفها الطرب . وطارت إلى المرآة . وأقبلت ، وكل جارحة في وجهها تبتسم

— أتراني لك أهلا ؟

واحتواها ذراعاي

واستدعيت المأذون . فأقبل وتساءل

— أين العروس ؟

وأقبلت ترتدى ثوبا بسيطا . وخيل إلى وهى في بساطتها أنها أبهى فتاة . وسبح قلبي في بحيرة من السرور

— كم سنك ؟

— لا أعرف !

ودارت بي الدنيا

— ما اسمك ؟

وتعثرت كلماتها . ووقف قلم الشيخ

— أين شهادة ميلادك ؟

— ماذا تقول ؟ لا أفهم !

والتفت إلى الشيخ وقال :

— لا تعرف اسمها ، ولا تعرف سنها . أمر خطير . .

وقام مهرولا لا يلوى على شيء

وظل التمثال الرشيق مبهوتا ، يرى فتتسع عيناه ، وتتهدل شفتاه ، ويحول لونه ، ويتصلب وجهه

ودنوت منها لأواسيها ، لا تتنبه . وأتوسل إليها ، فلا تتكلم .. لا تتكلم مطلقا

وانحدرت إلى صدري نقمة شديدة على نفسي . فلو أحسنت تصرفي قليلا لتم لي سعادة الروح والجسد . وقد أنشأت بجهلي فراقا هائلا بيني وبين من أحب !

وسارت الأمور سيرا كسيحا

وأخذت الفتاة تذبل وتذوى ، والفتنة تخبو وتنطفىء .

وأحزان الملاك الجيل تتجمع عليه فتثقله . ويهبط قليلا قليلا . يقترب جدا من الأرض

وتراءت فى أحزانها كالبنفسجة الغافية ، بيد أنها فقدت الإغراء والغواية ، لا الشذا ولا العطر

وأنا بشر ! ولى عين ترى ، وأنف تشم

وحدثتنى نفسى بها ، وتجلدت ، ولكن رغبات الجسد تكتسحنى ، مرة أغلبها ، ومرارا لا أستطيع

وعدت فى إباء وشمخت فى كبرياء

وضقت بنفسى وبها

واهتديت أخيرا إلى حل ، دعوت الطبيب ليقدرسنها ثم سنستوفى الشكل فيما بعد ليتم قرانى بها

وعدت معه إلى المنزل

وطرقت غرفتها ، ولم أنتظر الإذن ودخلت

رباه !

ليست هناك . وبحثت وتقصيت ولا جدوى

وأحسست أن صدرى لا يستطيع أن يحتفظ بقلبى ، فيتهاوى ، وصرخت والألم يتلقفنى ، والأسنة المسمومة تراشقنى

وتأكدت أننى فقدت فتاة لها مميزات لن تتوفر فى سواها

وهبطت على أحداث عصيبة . وسجل قلبى فترات دثرتها ملاءة سوداء . واشتمل الزمان حولى . وتطايرت الدقائق تتناثر كالشرر

وكان كل ما فى المنزل يتسم بطابعها ، فيوقظ فى أعماق أحداثا تومض وتبتسم ثم تتلاق : كيف أنسى ؟

وهجرت المنزل إلى غيره ولكن ذكراها كانت تلاحقنى . إليها وتمايلت

وما زال الزمن يسير بها حتى بعدت .. واختفت وراء الزمان . وما زالت توغل بين طياته حتى ذابت فيه . وانتهى الحلم وصحوت !

وتتابعت السنوات

* * *

وفى ليلة ذهبت إلى المسرح لقضاء السهرة . واحتشدت حول واجهته الأضواء . وأرسلت عينى تقرآن الصور الموزعة على الجدران ، وبينما كنت أقرأ استيقظت على صوت يستجدى . واستدرت رأيت فتاة رثة تستعطفنى

وشعرت أن تماسا خفيا يتصل بين الفتاة وذاكرتى فحدقت فيها . وما برحت أزيل أكوام الماضى حتى بدت لى فى أقصى الذاكرة صورة واضحة جلية .. بدت لى فى قرارتها صورة وديعة مزينة

تلك ضالتى !

وفوجئت الفتاة . وهمت بالهرب . وأسرعت إليها .. وقبضت بيدى على ساعدها . فنزعته بقحة ورعونة وقالت

-- ماذا تريد ؟

— أريدك . بحثت كثيرا عنك

— الفارق بيننا كبير

— متقارب

— بل كبير

— تعالى . لا حساب لهذا عندى

— سلبت ما ترجوه منى !

وبدت تشنجات وحشية على شفتيها . وأخذت تتقلص وتنفرج ، فتكتسى هيئة ذئبة ضارية

— دعنى . فأنا نشأت هنا . وسأبقى هنا !

وتراخت يدى . وفجأة نزعت ساعدها منى . وشردت

وانطلقت عيناى وراءها تتبعانها . . شاهدت بقايا حى ، وهى تتأرجح فى الظلام ، وتمضى طائشة بلا وجهة ، ثم تحول وتتضاءل ثم تختفى

وكان درسا علمتنيه فتاة من الشارع . وكانت عظة ، وكم عظات ملقاة على جانبيه !

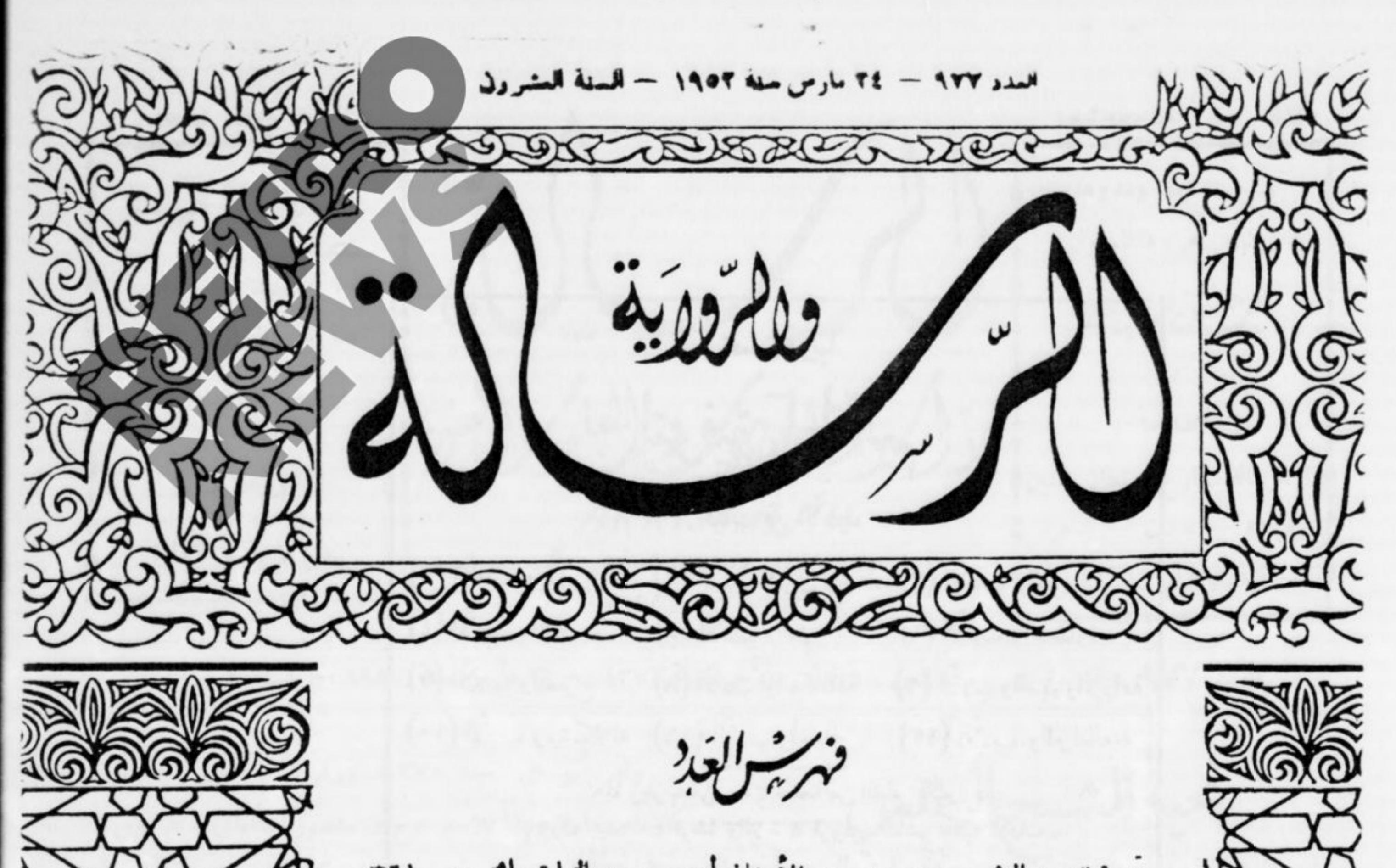
مر هناك وتأمل .. ستراها مجسدة أينما سلكت . فى الأزقة والمنعطفات . فى الطريق العام والميادين . فى كل مكان

أحمد عبد القادر الصاوى


وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف سنة ١٩٥٢
لقد شرعت المصلحة فى الاستعداد لاصدار طبعة الصيف من جداول مواعيد القطارات المتداولة بين آلاف الجماهير
وفضلا عن أهمية الاعلان فى الجداول المذكورة فان المصلحة تتقاضى مقابل النشر فيها أجرا زهيدا فالصفحة الكاملة بستة جنيهات ونصف الصفحة بأربعة جنيهات
فاغتنموا الفرصة وسارعوا من الآن إلى حجز ما يروقكم من صفحات هذه الجداول نظرا لشدة الاقبال على الاعلان فيها
ولزيادة الاستعلام اتصلوا : —
بقلم النشر والاعلان بالادارة العامة
بمحطة مصر
مطبعة الرسالة



العدد ٩٧٢ — ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد


20me. année No 977

Le Caire 24 – 3 – 1952

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٧٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ٢٤ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

تحية للشيخ الرئيس

بمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية



ابن سينا كما يتخيله الفرنج

فى هذا الأسبوع ، وفى بغداد عاصمة العلم القديمة ، يحتفل العالم الإسلامى بالذكرى الألفية لمولد الطبيب الرياضى العالم الفيلسوف أبى على الحسن بن سينا واحد فنه فى الشرق والغرب ، ونادرة عصره فى الطب والحكمة ، وأحد العباقرة العالميين الذين رفعوا قواعد العلم ، ونهجوا سبل المعرفة ، ووصلوا ما انقطع من تسلسل الفكر الإنسانى بين الفلسفة الإغريقية القديمة ، والفلسفة الأوربية الحديثة

ولد أبو على سنة ٣٧٠ هـ فى قرية من قرى بخارى كان أبوه عاملا عليها للأمير نوح بن منصور الساماني ، ثم توفى سنة ٤٢٨ بهمذان إحدى مدن إيران كان قد وفد إليها على الأمير علاء الدولة البويهى ، فكان طول حياته على هذه الأرض ثمانية وخمسين عاما قضى أكثرها فى الاضطراب والاغتراب والنفى والسجن والخوف والشهوة والمرض ، ومع كل أولئك استطاع أن يكون بحر العلم الزاخر فى وقته ، وبدر العلماء الزاهر فى جيله ، فقرأ كل كتاب وانتفع منه ، وحذق كل علم وزاد فيه ، وألف مائة سفر فى الطب والفلسفة والمنطق واللغة والموسيقى والرياضيات والطبيعيات والإلهيات والأساطير ؛ وكان أول عالم ظهرت فى علمه الفلسفة الكلامية على أتم ما كانت من الدقة والسعة والوضوح . ثم كان هو والبيرونى الغاية التى لم يكن وراءها مذهب للفكر فى القرون الوسطى : هو بدقة نظامه وبراعة فهمه ، والبيرونى بقوة ملاحظته وسعة علمه

رُبى ابن سينا منذ الخامسة من عمره تربية علمية منظمة ، فحفظ القرآن وثقف الأدب وشدا شيئا من الحساب والفقه . ثم سمع فى محاورة أبيه لأخيه وهما شيعيان كلاما فى النفس والعقل ، وإشارة إلى الفلسفة والهندسة ، فصبت نفسه إلى علم ذلك . وورد يومئذ بخارى أبو عبد الله الناتلى فأقرأه فى المنطق إيساغوجى ، وفى الرياضة المجسطى ، فكان الأستاذ يقف عند المبادئ والظواهر ، والتلميذ يغوص على المسائل فيستخرج الدقائق ، ويمحص الحقائق ، ويبصر العلم بعالم يبصر . ثم رغب

فى علم الطب فتلقى أصوله على أبى سهل المسيحى ، واستقصى فروعه وحده حتى انتهت إليه الزعامة فيه . كل ذلك وسنه على ما قال هو نفسه لم تتجاوز السادسة عشرة . ثم أبرأ الأمير نوح ابن منصور من مرض برّح به ، فقربه إليه وأذن له فى الدخول إلى دار كتبه ، وكانت عامرة بنوادر الأسفار فى كل علم وفن ، فوعى ما فيها من كتب الطب والفلسفة وما بعد الطبيعة على ظهر قلبه . ثم أصابتها النار عمداً أو خطأ فلم تبق منها على ورقة ! فانفرد الشيخ بكنوزها المخبوءة فى صدره ، وكانت هذه النكبة العلمية من مزاياه على غيره !

ثم توفى أبوه وضعف شأن أميره فاضطربت به الأحوال ، وتدفقت عليه الأهوال ، فخرج وهو فى الثانية والعشرين من عمره إلى قصبة خوارزم فأقام بها يسيراً فى كنف أميرها على بن مأمون ، ثم غادرها إلى جرجان فثقف بعض الناس ، وألف بعض الكتب . ثم انقلب إلى همذان فوزر لشمس الدولة بن بويه . فلما توفى هذا الأمير وخلفه ابنه تاج الدولة صرفه عن عمله ، ففرغ للبحث والتأليف ، وصنف فى هذه الفترة أعظم كتبه . ثم نشب الصراع بين أمير همذان وأمير أصبهان فاتهم بالدعاية إلى علاء الدولة ، وطلبه تاج الدولة فاختبأ فى حانوت صيدلى حتى وقعت العيون عليه فسجنه فى إحدى القلاع . فأنشأ فى ذلك قصيدة منها هذا البيت :

دخولى باليقين كما تراه وكل الشك فى أمر الخروج

وظل فى السجن أربعة أشهر حتى استطاع أن يفر متنكراً فى زى الصوفية إلى علاء الدولة بأصبهان فأقام فى حماه وادع النفس ، يؤلف ويختصر ، ويحاضر ويناظر ، ويعترض ويجيب . واتفق ذات ليلة أن جرى فى مجلس الأمير حديث فى اللغة شارك فيه ابن سينا ، وكان أبو منصور الجبان حاضراً ، فأنكر عليه أن يتكلم فى غير علمه ، فأنف الشيخ من هذا الإنكار وعكف على دراسة اللغة ثلاث سنين حتى بلغ منها موضعاً جليلاً أهله لأن يؤلف فيها كتاباً سماه لسان العرب لم يؤلف مثله قبله أحد ! وهكذا انقضت تلك السنين الأربع والخمسون فى عمل لا يفتر ، وسعى لا ينى ، وعذاب لا يرحم ، وصراع لا يهادن ، وحظ لا يساعد ، وولوع بالنساء لا يهدأ ، ونزوع إلى الشراب لا يكف ، حتى وهن الجسم القوى ، ووهى العزم الشديد ، ونزلت بالنطاسى العظيم علة كل عنها تدبيره وطبه !

* * *

كان الشيخ الرئيس برد الله ثراه آية من آيات الله فى لقانة الذهن وأصالة العقل وقوة الحافظة ونفاذ الهمة . أكثر علمه من اجتهاده ، وأنجع طبه من تجاربه ، وأجل كتبه من حفظه . وكان على استبداد عقله بفكره ، وطغيان علمه على فنه ، صافى القلب للدين ، صافى النفس للشعر ، سامى الخيال للقصص . كان إذا أعيت عليه مسألة ذهب إلى المسجد فتوضأ وصلى وابتهل إلى الله أن يجلو عليه ما غمض ويفك له ما أشكل . ثم كان له فى الشعر العينية ومقطوعات أخرى من النمط الرفيع والنسق الفريد ، وفى الأساطير (سلامان) و (حى بن يقظان) و (الطير) ، وهى رموز لمعان سامية من الحكمة العالية والروحية الجميلة . وكان فى الشيخ رحمه الله صوفية لا تجرى على منهاج المتصوفة : صوفية هؤلاء وجدانية تقوم على الزهد والتقشف ، وتقصد إلى تصفية القلب وتطهيره ؛ وصوفيته هو عقلية تبيح النعيم واللهو وترمى إلى تقوية العقل وتنويره . وكان أعظم ما يميز الشيخ اليقين فيما يرى ، والثقة فيما يقول ، والإبانة فيما يكتب . كان لا يشك إذا علم ، ولا يتردد إذا فهم ، ولا يتحسس إذا استبان . وتلك طبيعة العالم لا الفيلسوف ، والدارس لا الباحث ، والمتبع لا المبتدع ، والمؤلف لا المنشئ

هذه أثارة من حياة حافلة ، وإشارة إلى مجد باذخ ، وعبارة من تاريخ ضخم . ذكرناها على هذا الإيجاز القاصر اكتفاء بما سيلقيه ذوو الاختصاص فى حفلات مهرجانه من البحوث المفصلة فى طبه ، والخطب المطولة فى فلسفته . وإنا لنحيى خاشعين من وراء الستر ذكرى الشيخ الرئيس ، ونسأل الله ضارعين أن ينعم روحه فى الخلد ، وأن يطيب ذكره فى الخلود

احمد حسن الزيات

مع ابن سينا في عيده الألفي

ملوك وأمراء

فى حياة الرئيس ابن سينا

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

لعل أوثق المصادر عن ابن سينا وحياته هو الشيخ الرئيس ابن سينا نفسه فى الترجمة التى كتبها مجيبا بها عن سؤال أحد تلاميذه إياه. وقد أكمل هذه الترجمة تلميذه وتابعه وصاحبه منذ أن اتصل به فى إقليم جورجان إلى حين وفاته. وهذه الترجمة محفوظة بالمتحف البريطانى [١] فى نسخة لا تزال خطية. وقد استفاد منها ابن أبى أصيبعة فنقلها فى كتابه «عيون الأنباء» [٢] كما نقل أكثرها المؤرخ القفطى المصرى فى كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» [٣]

ولقد عاش ابن سينا فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى والثلث الأول من القرن الخامس، لأنه توفى فى سنة ٤٢٨ هـ وهو عصر كثر فيه تقسيم الدولة العباسية إلى دويلات صغيرة، فهناك الدولة البويهية التى وقع تحت سلطانها خلفاء بغداد، وخاصة الطائع والقادر والقائم الذين عاش ابن سينا فى مدة خلافتهم [٤]. وهناك الدولة السامانية ببخارى فى إقليم خراسان وما وراء النهر. وكان الأمير نوح بن منصور بن سامان هو الأمير الثامن [٥] من ملوك هذه الدولة، وهو الأمير الذى دعى ابن سينا لمداواته كما سيأتى بعد [٦]. وكان هناك دولة المأمونيين ولاة خوارزم الذين سميت دولتهم بالدولة الخوارزمشاهية. وهى دولة لا يعرف على وجه التحقيق اسم مؤسسها.

ولكن اسمها يبدأ فى الظهور منذ سنة ٣٨٠ هـ – أى بعد ميلاد ابن سينا بعشر سنين – وفى عهد أميرها الثانى على بن مأمون بن محمد بن خوارزم مشاه جاء ابن سينا من بخارى إلى جرجانية «كركانج» فأكرم الأمير وفادته، وأمر له بمشاهرة دارة تقوم بكفاية مثله [٧]. وهناك كانت دولة جرجان وكان مليكها الأمير قابوس بن وشمكير الكاتب المترسل الأمير الذى قصده ابن سينا بعد خروجه من خراسان، ولكن اتفق فى تلك الأثناء أن قبض على الأمير قابوس وحبس فى بعض القلاع ومات هناك [٨]. وكان هناك من ملوك الديلم مجد الدولة بن فخر الدولة الديلمى. ومجد الدولة هذا هو أخو شمس الدولة من ملوك همذان. وكانت الأميرة «سيدة» والدة مجد الدولة الديلمى هى المرجع فى تدبير الملك، وعن رأيها يصدر الأمراء والولاة فى مباشرة الأعمال [٩]: وكان هناك دولة أصفهان وأميرها علاء الدولة بن كاكويه، وكان ملكا على أصفهان وملحقاتها، وحكم من سنة ٣٩٨ إلى سنة ٤٣٣ وكان أبوه خال الأميرة «سيدة» والدة مجد الدولة بن بويه الديلمى، ولهذا سمى «كاكويه» لأن الخال فى لغة الديلم يسمى «كاكو» أو «كاكويه» [١٠] وعلاء الدولة هذا هو الذى اتصل به الشيخ الرئيس ابن سينا، وصار من أصحاب الحظوة عنده، وبقى فى خدمته إلى آخر عمره، ولكنه لم يكن له وزيرا فى يوم من الأيام [١١]. أما الوزارة فكانت من ابن سينا لشمس الدولة أخى مجد الدولة؛ فقد وزر له مرتين مابين سنتى ٤٠٥ هـ، ٤١٢ هـ

وكان هناك – فوق ذلك – فى عصر ابن سينا الدولة الغزنوية التى كان أول ملوكها «سبكتكين» سنة ٣٦٦ هـ. كما كان محمود الغزنوى – المعروف بيمين الدولة محمود بن سبكتكين – هو ثالث ملوكها. وهذا الفاتح العظيم قد أثار حروبا كثيرة فى حياته وفى عصر ابن سينا بالذات. فهو فوق غزوه لبلاد الهند

(١) جهار مقالة للسمرقندى. ص ١٧٦ تعليقات العلامة القزوينى
(٢) عيون الأنباء ج ٢ ص ٣
(٣) طبعة الخانجى ص ٢٦٩ – ٢٧٨ هـ
(٤) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضرى بك ج ٣ ص ٤٤٠
(٥) المصدر السابق ص ٣٤٨
(٦) عيون الأنباء ج ٢ ص ٤ والقفطى ص ٢٧١ طبع مطبعة السعادة
(٧) جهار مقالة – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١٦٩. وعيون الأنباء. والقفطى ص ٢٧١
(٨) عيون الأنباء ج ٢ ص ٤. والقفطى ص ٢٧١
(٩) الكامل لابن الأثير ج ٧ ص ١٨٦
(١٠) العروضى السمرقندى ص ١٧٤
(١١) المصدر السابق ١٧٤

وفتحه لها قد حارب دولة خوارزم مشاه (١٢) وملك خوارزم سنة ٤٠٧ هـ . وهي دولة اتصل ابن سينا بها وبأميرها علي بن المأمون كما أسلفنا . ولم يكتف محمود الغزنوي بهذا ، بل استغل ما بين الأمراء والملوك حوله من خصومات ونزاع ، فدخل بينهم لمصلحة دولته الناشئة القوية . كما فعل في الحرب التي قامت بين سلطان الدولة البويهي وأخيه أبي الفوارس بن بهاء الدولة . وكان محمود الغزنوي كان يستعد لافتراس هذه الدويلات المتقاطعة المتناحرة دولة بعد دولة . وكان همه بالذات متجها إلى إمارات بني بويه ، ففي سنة ٤٢٠ هـ اتجه إلى إقليم الري ، وكان عليه الأمير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه فملكه محمود الغزنوي . كما ملك إقليم الجبل . وفي سنة ٤٢١ هـ وجه مسعود ابن يمين الدولة الغزنوي جيشا إلى إقليم همذان . أما علاء الدولة بن كاكويه — وهو الأمير الذي اتصل به ابن سينا في أصفهان — فلم يسلم من غارات الدولة الغزنوية التي دخلت جيوشها « الري » فانهزم علاء الدولة وجرح في رأسه وكتفه وهرب تاركا إقليمه في يد السلطان مسعود الغزنوي بن محمود الغزنوي (١٣)

على أن هذه لم تكن آخر حروب السلطان مسعود الغزنوي ابن محمود الغزنوي ضد علاء الدولة بن كاكويه : ففي سنة ٤٢٥ هـ — أي قبل وفاة ابن سينا بثلاث سنوات — اتفق علاء الدولة مع فرهاذ بن مرداويج على قتال عسكر السلطان مسعود الغزنوي . ولكن الحظ خان علاء الدولة حتى بعد احتمائه بالجبال الشاهقة بين أصبهان وجرباذقان . فتقدم أبو سهل الحدوني قائد جيش الغزنوي إلى أصبهان وملكها . وفي هذه المعركة نهبت خزائن علاء الدولة بن كاكويه وأخذت أمواله الطائلة . وفي هذه المعركة بالذات كان الشيخ الرئيس ابن سينا في خدمة علاء الدولة — ولم يكن وزيراً له — فأخذت كتب الشيخ وحملت إلى غزنة — عاصمة الدولة الغزنوية — وجعلت في خزائن كتبها إلى أن أحرقت على يد عساكر الحسين الغوري (١٤)

لقد عاش ابن سينا في هذا العصر الزاخر بأحداث كبار ، ورأى بعينيه كيف كان يتقاتل الإخوة وأبناء العم على الملك والسلطان ، كما حدث بين أفراد أسرة بني بويه في الري وأصفهان وهمذان وجرجان ؛ بل اتصل من قرب بالأمير شمس الدولة بن فخر الدولة أمير همذان ، وشاهد الأحداث التي جرت له مع أقاربه بني بويه من ناحية ، ومع ملك الغزنويين من ناحية أخرى . واتصل ابن سينا أكثر من ذلك بالأمير علاء الدولة بن كاكويه ؛ وهو يتصل ببني بويه أيضاً — لأن والده « دشمنزيار » هو خال الأميرة « سيدة » والدة مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي . وشاهد ابن سينا في أثناء اتصاله بابن كاكويه كثيراً من الأمور الجسام ، فلم تسلم مدينة من مدن العراق وفارس من ثورة أو غارة للعيارين النهابين ، بل لم تسلم أصبهان نفسها من حوادث النهب والسلب على أثر استيلاء جند السلطان مسعود الغزنوي عليها . وفي غمار هذه المعركة نهبت كتب الشيخ الرئيس ونقلت إلى غزنة ، إلى أن كتب عليها أن تحرق على يد محارب آخر من رجال الدولة الغورية

وقد لقي ابن سينا من ملوك الدول القائمة في عصره الأمير نوح بن منصور الساماني ، والأمير علي بن المأمون الخوارزمشاهي ، والأمير شمس الدولة بن فخر الدولة البويهي الديلمي ، ووزر له مرتين ، والأمير علاء الدولة بن كاكويه أمير أصبهان ، واتصل به وألف باسمه كتباً كثيرة ، ونكب معه في غارة السلطان مسعود الغزنوي على أصبهان . أما الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير ملك جرجان فيظهر من كلام الشيخ ابن سينا نفسه أنه لم يقابله ، وأنه كان يقصده ، فاتفق القبض على قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته . وهو نص لا يدل على لقاء الشيخ الرئيس لهذا الملك الأديب العظيم ... إلا أن العروضي السمرقندي صاحب كتاب « جهار مقالة » يذكر حادثة طريفة بارعة عن ابن سينا واستخباره أحوال بعض العاشقين واسم

(١٢) ابن الأثير حـ ٧ ص ٢٨٢

(١٣) الكامل لابن الأثير حـ ٧ ص ٣٤٨

(١٤) الكامل لابن الأثير حـ ٨ ص ٦

معشوقته وعلمتهـا من نبض المريض . ويروى العروضى السمرقندى أن ابن سينا دعى إلى مداواة هـذا العاشق المضنو بأمر من الملك قابوس الذى دعا الشيخ الرئيس إليه ليعالج مريضه القريب . وعلى الرغم من طرافة هذه الحكاية فإن الأستاذ محمد ابن عبد الوهاب القزوينى يستنبط أن ابن سينا لم يخـدم الملك قابوس بن وشمكير لأنه حبس قبل بلوغ ابن سينا جرجان

محمد عبد الغنى حسن

واحة سيـــوة

للأستاذ صبرى حسن علوان

كانت الساعة السادسة صباحا حين أخذنا عدتنا فى « مرسى مطروح » مولين وجوهنا شطر سيوة ؛ تلك الجنة الخصيبة وسط الصحراء الجدبة ، وكلنا أمل أن ندركها قبل أن نبيت ليلة أو أكثر فى جوف الصحراء الغربية . ذلك أن الرمال قد جادها الغيث الهتون وقد احتفلت نواحيه ، وأسفت أعجازه وهواديه ، فشربت الصحراء بعد عطش ، وامتلأت الآبار بعد خواء ، وكونت التلاع الحادرة بحيرات كبيرة فى المجتمع المنبسط الذى يصلح كطريق للسيارات !

وسرنا باسم الله ، ونحن على وجـل من أن يغوص أحـد إطارات السيارة فى الرمال الدقيقة المشبعة بمـاء المطر فتضطرنا الأحوال أن نبيت فى العراء كما فعل قوم من قبلنا ظلوا فى الطريق سبع عشرة ساعة . والمسافة بين « مرسى مطروح » وبين « واحة سيوة » ثلاثمائة كيلو مترا ، منها خمسة عشر كيلومترا بعد المائة ممهدة تمهيدا صالحا ، وما يتبقى فليس له معالم متميزة فهو يختلط إلا على السائق الماهر الذى جاب الطريق أكثر من مرة ، هذا عـدا ما يلاقيه المسافر من صعوبات جمة لكثرة المرتفعات والمنخفضات فى عرض الصحراء التى تجعل المسافر بالسيارة لا يستقر على حال ، مرة إلى أعلى وثانية يقع على جنبه الأيمن وأخرى يميل إلى يساره ، وهو فى ذلك يجد من الرهق مالا يحسه إلا المسافرون . إن السيارة تقطع المسافة الممهدة فى ساعتين وتقطع الباقى فى عشر ساعات . هنا يطيب أن نسأل لماذا لا تنشط الحكومة فى تمهيد هذا الطريق الهام فتتمه فى سنة أو سنتين أو ثلاث بدلا من أن تمهد كل عام ثمانية كيلومترات فقط ، أى أنها تريد أن تتمه بعد أكثر من عشرين عاما . . إن شاء الله !

إن واحة سيوة جزء من مصر؛ بل هى من الأجزاء المهمة من مصر كما سنرى ، أم تريد أهل هـذه الواحة أن يظلوا على اعتقادهم أنهم « سيويون » قبل أن يكونوا « مصريين » . إن رصف الطريق إلى سيوة هو من أول الواجبات التى يجب على الحكومة والتى يتحتم عليها الإسراع فى أدائها

وبعد ثلاثة عشر ساعة لاقينا فيها من المصاعب ما لا قينا وصلنا إلى سيوة ، وبتنا ليلتنا وأصبحنا فوجدناها جنة خضراء يرتفع فى جوها النخيل نشوان ، ويسكن فى جنباتها الزيتون ، لا يشربان من ماء النيل وإنما من ماء العيون . وبالواحة مايقرب من مائة عين ، كل عين تسيل فى قنوات يخضر من مائها الحجر ، ويينع الزهر ويستوى الثمر ؛ ماء عذب صاف لا تخرجه آلة ولا يجود به سحاب وإنما ينبعث من جوف الحصى . ينضح وجه الصحراء العبوس فيبتسم ، وجهها المتقطبة فتنبسط ، وطبيعتها القاسية فتلين . . يرزقها الظل وهى بنت الهجير ، ويمنحهـا النسيم وهى أخت العواصف ، ويسمها الجمال ومن سماتها التجهم

وتنخفض سيوة عن مستوى سطح البحر بستة عشر مترا ، ويقترب منسوب الماء من سطح الأرض ؛ فقد حفرت حفرة صغيرة عمقها خمسون سنتيمترا فى الجهة البحرية من الاستراحة الحكومية فتجمع الماء فى قاع الحفرة ، على حين ظهر الماء فى أرض المطار الحربى الجديد على بعد أكثر من مترين . ويمكن الاستفادة بقرب مستوى منسوب الماء فى زراعة بعض الفواكه

مثل البطيخ حيث لا يحتاج الأمر إلى كثير جهـد . ويغطى التربة فى كثير من الأماكن طبقة قشرية ترتفع فيهـا نسبة الأملاح مما قد يحتاج إلى بعض الجهد فى استصلاحها ، إلا أن وجود العيون ومائهـا المنساب ييسران إلى حـد كبير هـذه المهمة

وهناك عين جديدة يوجد حولها أكثر من مائتى فـدان لا ينقصها إلا اليد العاملة والبذرة التى توضع فى الأرض ، ولـكنك لو سألت ، أتاك الخبر المحزن : كسل الأهالى وقلة الأيدى العاملة . إن الأهالى هناك تراهم بنية لا تستقيم . . وبدا لا تشتد . وهمـــة لا تطامح ، فهم يعتمدون على ما يدره النخيل والزيتون . . أما النخيـل فيبيعون تمره على أنواعه ويصنعون من بعضه «العجوة» ، وأما الزيتون فهم يخللونه أو يعصرونه فى معمل الوزارة الموجود هناك ليستخرجوا منه زيت الزيتون ، أما بقية العام فهم يقعدون . . اللهم إلا قلة قليلة تزرع الشعير وهو يجود . وإنك لتلاحظ الـكسل من غير ما صعوبة لو أنك طفت مرة واحدة بالـكميات الضخمة من النخيل فى الحدائق المختلفة ، فلا تجد نخلة مشذبة منظمة ، بل يتكاثف سعفها من عام إلى عام، ويحيط بها نجلها سنة بعد سنة ، وهم يحجمون عن أن ينموا النجل بحجة تستند إلى خرافة

ما السبب إذن فى ذلك الـكسل الخيم ؟ إن لأسبابه جذورا عميقة تمتد إلى أكثر من التواكل . يقولون إن الشذوذ الجنسى فى الرجال شائع إلى درجة كبيرة جدا ... ونحن لا يهمنا أن نصدق ما يقولون أو نكذبه . . وإن كان ما يقولون ينـافى الفطرة ، وخاصة وأنه — كما يزعمون — أصبح من (المألوفات) فإنه أيضا لا يهمنا أن نصدق هذا الزعم أو نكذبه ؛ إنما الذى يهمنا هو هاتان الظاهرتان المخيفتان : انقراض النسل فى خطوات ليست بالبطيئة ، وانتشار الأمراض السرية إلى حوالى سبعين فى المائة كما صرح بذلك بعض المسؤولين . إن عدد السكان كان منذ عشرين عاما خمسة آلاف نسمة وهو اليوم دون ذلك بكثير!

قد يكون التزاوج المحلى هو السبب ، وقد يكون ما «يقولون» . . وما «يزعمون» هو السبب . . وقد يكون انتشار الأمراض السرية هو السبب ، وقد يكون — أخيرا — هجرة الأهالى — على قلتها — هى السبب ؛ إلا أن الذى لاشك فيه أن عدد السكان فى تناقص مستمر . . وهذا شئ كفيل بأن يتدارك المسؤولون ، أن يتتبعوا الوشائج ، وأن يتعلقوا بالأسباب ، وأن يعرفوا مركز الدائرة ثم أن يطبوا للـــداء ! وعندى رأى لا أشك فى فائدته : لماذا لا تعمل الحـكومة — أيا كانت هذه الحـكومة — على ترحيل عدد كبير من المعدمين والعاطلين إلى هذه الواحة ، وهى لن تمدهم إلا بالضئيل من المونة ، حتى تندى الـكف الجافة ، وتشتغل اليد العاطلة ، ولعله أن يكون فى نشاط الوافدين إذكاء لهمة الأهالى القاعدين . وإنك لتعجب إذا علمت أن المستشفى الذى يريد أن يعالج قوما نسبة المرض بهم ما رأيت ليس به دواء ولا طبيب ! ذلك أن أنوار القاهرة تغرى . . وتغفى . . وأن الحـكومة المصرية لم تستطع إلى الآن أن تجنـد الأطباء — وهم أساة البشرية — تجنيـدا دوريا فى الممتلـكات المصرية التى لها فى عنق مصر حق الرعاية . إنه يجب على كل طبيب موظف بالحـكومة أن يقضى عاما أو نصف عام فى الواحات وما شابهها حتى لا يحرم الناس اليد التى تأسو جراح المصابين

ورسالة التعليم من أهم ما يرتقى بهذه الواحة الجميلة البائسة . إن هناك مدرسة ابتدائية واحدة بها ثلاثة فصول وثلاثة مدرسين ، والصعوبة التى تواجه التعليم هناك هى اللغة، إذ أن للأهالى لغة محلية خاصة غريبة لا تتصل بالعربية من قريب أو بعيد ، وهناك مدرسان خاصان بالمدرسة الأولية من اهالى الواحة ويعرفان العربية يتوليان هذه المهمة . . وهى جليلة ، إلا أنهما يشكوان من معاملة الوزارة لهما لأنهما ليسا من حاملى « الشهادات » . . فتعطى أحدهما منذ سبعة عشر عاما ثلاثة جنيهات فى الشهر ! ما هكذا يكون التعليم ولا تشجيعه ! والذى لاحظته عندما زرت

المدرسة هو فصاحة اللسان العربي بعد ما يتعلمونه

ولـكسل الأهالي وعدم طموحهم ، تقل الجرائم ، وإن طائرة خاصة تطير بالقاضي مرة كل شهر أو شهرين ليجلس فى منصة القضاء ساعة أو ساعتين يفصل فيها بين الناس فى قضايا معظمها جنح وغرامات مالية ضئيلة ، وعلى ما يكلف القاضي الحـكومة من الناحية المالية فإن هذه الزيارات المتباعدة قد تقلل من هيبة الفصل القضائى فى نفوس الأهلين . أحد أمرين : إما أن يعين وكيل للنيابة فى سيوة يشعر الناس بهيبة القضاء ، وإما أن يترك تصريف هذه الجنح والغرامات إلى مأمور القسم وهو رجل عسكرى من رجال الجيش ، يتصرف فيها محليا حتى يشعر الناس بسطوة القانون

ولسيوة ، فضلا عن الناحية الاقتصادية التى يجب أن تستغل وتستثمر ، والناحية الاجتماعية التى يجب أن يهتم بهـا وتستصلح ، ناحية ثالثة لا تقل أهمية عن الناحيتين السابقتين : تلك هى الناحية «الاستراتيجية» .. فهي بمائها العذب وتمرها الوافر تمد مركزا عسكريا تموينيا هاما للجيوش مدافعة كانت أو مهاجمة ، إن قربهـا من الحـدود المصرية الغربية يحتم على المسؤولين إما أن يدربوا رجالها تدريبا عسكريا حيا، أو أن يزيدوا حاميتها زيادة تليق بموقعها الهام لا أن تظل على ما هى عليه : ستة عشر جنديا ورئيسهم . ولن أكون كناقل التمر إلى هجر ، فإنما يحدثك عن استراتيجيتها رجل عسكرى له فى الجهاد سابقات؛ ذلكم هو اللواء محمد صالح حرب باشا ، فقد زرنا معه منطقة قريبة من سيوة اسمها « جربة » وقد استحضر الرجل العسكرى ذكريات عزيزة كريمة عن المناوشات والمعـارك الحربية التى قام بها الثوار الوطنيون فى سنة ١٩١٤ وكان معـه فى ثورة الحرية السيد الشريف السنوسى « صاحب الجـلالة ملك ليبيا الآن » وكيف أنه لمـا نفد ماؤه وزاده وقلت ناقلاتهم وركائبهم لم ينقذهم إلا الجمال والبلح والمـاء من واحة سيوة فانتصروا على الإنجليز يومها انتصارا استراتيجيا

وأظننا لا ننسى أنها كانت هدفا للألمان والطليان فى الحرب الأخيرة أثناء زحفهم فى الصحراء الغربية . نعم ! إن الصحراء الغربية بجفافها واتساعها تعتبر حاجزاً طبيعيا ضد إغارة المغيرين على الوطن العزيز ، ولـكن هـذا لا يكفى مطلقا فإنه يجب أن نحصن حدودنا الغربية تحصينا كاملا قويا ، وخاصة وأن عدونا يعسكر فى « كابتزو » بالقرب من حدودنا فى دولة ليبيا الجديدة

من هذا تتضح أهمية « واحة سيوة » كمنطقة هامة يجب أن لا تنسى أو تهمل ، وإنه لو صحت العزائم ، لأمكن أن نستثمر الـكثير وأن نستصلح الـكثير . ولعلنى أكون قد وفقت أن أنقل ما أثارته فى نفسي زيارة هذه الواحة التى لاح لى فى صفحة جمالها أثارات من الأسى ، وفى سماء صفائها ألوان من السحاب .. وفى عيونها الجميلة ، فنون من العتاب !

صبرى حسن علوان

عمر الخيام
بين الحقيقة والأسطورة

للأستاذ السيد أحمد مصطفى الخطيب

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

الأسطورة الثالثة

لو قال لنا أحد الذين يؤثرون جانب الجدل العقيم واللجاجة المقوتة، ما بالكم قد ملأتم الدنيا ضجيجاً وعجيجاً بتحدثكم عن الخيام ورباعياته؛ إنى لأتحداكم جميعا. هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. إننى أنكر أن تكون للخيام رباعية واحدة لا رباعيات تبلغ الألف والمائتين عدداً، وأرى كل ماتدعونه فى هذا الخصوص ليس إلا محض وهم باطل لا يجاوز نطاق الحدس والتخمين، فالخيام لم يترك وراءه ديوانا بخط يده، ولم يشر إلى شعره فى تآليفه العديدة، ولم يمل على أحد من تلامذته ما يسمى اليوم بالرباعيات، كما أن (جهار مقاله) أقدم سفر تاريخى عثر عليه لمصنفه (نظامى عروضى سمر قندى) تلميذ الخيام المخلص لم يذكر ولا كلمة واحدة عن رباعيات أستاذه، برغم أنه زار قبره بعد وفاته ببضع سنوات فقط، وذكر أموراً فى مؤلفه أقل أهمية وأضأل شأنا بكثير من الرباعيات..

إن جميع ما يدعى ويقال بهذا الصدد إن هو إلا أسطورة جميلة وتفكير شعرى بديع نسجها الوهم وزينها الخيال، فنزلتها منزلة غيرها من الأساطير المصطنعة التى لم تقم لها قائمة إلا بعد أن مرت على موت الشاعر عدة قرون

أجل! ماذا يكون جوابنا إن جابهنا هذا الجدلى اللجوج بمثل هذا المنطق الساخر العابث، ثم ألح علينا فى عناد وإصرار أن نثبت له إثباتاً لا يتطرق إليه أى شك أن للخيام رباعيات حقيقية ترضى عن نسبتها إليه أساليب التحقيق العلمى الدقيق فى عصرنا الحديث هذا..

فى الحق أننا عاجزون تمام العجز عن أن نكيل لهذا المكابر الخبيث الصاع صاعين ومن توفيته حقه الكيل كيلين، وأن نسخر منه بنفس الطريقة التى سخر بها هو منا، وإن كنا نملك فى الوقت نفسه أدلة وبراهين لا تقبل الدحض ونستطيع بعرضنا إياها عليه أن نجمله يخفف من غلوائه ويقلل من خيلائه ويرتد شيئا فشيئا إلى هدوء العقل واتزانه..

فالثابت المؤكد حتى الآن — كما يدعى صاحبنا الجدلى — أن الخيام أهمل فى حياته أن يكتب سيرة نفسه بقلمه، أو أنه كتبها ولم تصل إلينا لامتداد يد الضياع إليها، أو أنها لم تضع ولكنها فى جهة مجهولة لم تتناولها يد المحققين بعد، غير أنه ثابت ثبوتاً قاطعا أيضا أن الخيام لم يكتب فى الفارسية من الشعر سوى الرباعيات وحدها؛ أما هل جمع كل ما كتبه من هذه الرباعيات وضمها بين دفتى كتاب خاص بنفسه، أو أملاها على أحد من طلابه؛ فذلك ما نحن منه فى ظلام دامس حتى الآن، وأظن الأمر سيبقى كذلك إلى الأبد إلا إذا عثر على دليل مادى يقلب المسألة رأسا على عقب ويغير مجرى البحث تغييراً تاما فى يوم من الأيام..

إن أقدم نسخة للرباعيات بين أيدينا اليوم وهى الموسومة بـ (رسالة الرباعيات) يرجع تاريخ كتابتها إلى نحو ثلاثمائة عام تقريبا بعد موت الشاعر، وقد عثر عليها فى مكتبة بودلين بأكسفورد وتسمى بنسخة السر أوسلى، وهى نسخة منقولة عن غيرها من النسخ وليست أصلا. أما من هو النساخ الذى نقلها؟ وعن أية نسخة نقلها؟ وهل أن الرباعيات الواردة فيها والبالغ عددها ١٥٨ رباعية؛ كلها للخيام ذاته أم أن هناك بينها الدخيلات والمنحولات؟ ثم كم عدد أولئك فى حالة افتراضنا اندساسها بين الرباعيات الأصيلة.. كل هذه أسئلة وعلامات استفهام تدور فى أذهان الباحثين والمدققين منذ أن عرف الغرب شاعر الشرق ولكن بدون جدوى، وبغير أن يعثر لها على جواب شاف يقطع الشك باليقين والحيرة بالاطمئنان..

على أننا رغم كل هذا يجب أن نعلم فى الوقت نفسه أن المعلومات السلبية الآنفة الذكر تمليها علينا طبيعة المنطق المجرد فحسب، وأن ثمة أموراً كثيرة نعلمها عن حياة هذا الشاعر

وشخصيته وأخلاقه وبيئته وآثاره ومؤلفاته، كما أن هناك مؤرخين معروفين، وعلماء مشهورين، وفقهاء ومتصوفين ذائعي الصيت مرموقي المقام تناولوا عدداً غير قليل من رباعيات الخيام في كتبهم ومصنفاتهم وهم معاصروه بالتعليقات المتنوعة، وناقشوها مناقشة فيها اللين والهوادة تارة، والعنف والقسوة تارة أخرى، فإذا جاز لنا أن نتشكك في صحة إسناد كل الرباعيات المتداولة إلى الخيام فإنه لا يجوز لنا إطلاقاً أن نتشكك في صحة نسبة بعضها إليه على الأقل.. ذلك البعض الذي يمثل آراء وأخلاق وشخصية وظروف بيئة الخيام التي نعرفها والتي يمكن اعتبارها في عداد الحقائق التاريخية التي لا تقبل أي جدل أو نقاش

إذن يظهر أن الألف والمائتين رباعية التي تطارد الخيام اليوم هنا وهناك في الشرق والغرب وتثير حوله طوفاناً من الضجيج والصخب، وتجمع له الأنصار والأصدقاء، وتؤلب عليه الأعداء والناقمين؛ ليست سوى أسطورة ضخمة كغيرها من الأساطير، تقابلها حقيقة متواضعة تتمثل في عدد متواضع من الرباعيات معترف بها اعترافاً كاملاً ويبلغ الأربع والثمانين رباعية فقط، وذلك استناداً إلى أصدق وأحدث البحوث العلمية في هذا الشأن حتى يومنا هذا

الأسطورة الرابعة

لم نسمع أن شاعراً أوذي في سمعته بعد موته كما أوذي الخيام أو أصابه من الاتهامات الكاذبة والافتراءات المدبرة ما أصاب هذا العبقري العظيم والأديب الفحل والنابغة الأوحد

ولو سألنا أي واحد من هؤلاء الذين سمعوا عن الخيام ولم يحققوا، وقرأوا عنه ولم يتتبعوا، أن يصف لنا شاعر الرباعيات كما يتصوره هو أو كما يصوره له الوهم بالأحرى، لما تعدى نطاق وصفه إياه عن أن الخيام كان شاعراً عابثاً لاهياً، خليعاً فاجراً، يقضي وقته متنقلاً من حانة إلى أخرى، نديمه الكأس ليل نهار، لا يفيق من سكرة إلا ليستسلم إلى أخرى؛ ثم هو على ذلك ملحد جاحد أعلن حرباً شعواء على الأديان كلها، وهاجم المتعبدين والزهاد، ورسالته في الحياة: لا تفارق الخمرة حتى تموت

هذه هي الصورة الشوهاء المزيفة التي يتخيلها عدد كبير من الناس ويرسمونها على أنها صورة حقيقية للخيام

لقد كان الخيام قبل كل شيء فيلسوفاً نزيهاً وأديباً عفيفاً، يزينه الوقار ويسمو به جلال العلم على أقرانه من أهل زمانه.. وكان إلى ذلك ذكي الفؤاد متوقد القريحة، صاحب رأي؛ يجهر بالحق ويحارب الشعوذة أينما وجدت.. فلهذا جاهره بالخصومة فريق من دعاة الصوفية في زمانه، كانوا يتخذون الدين وسيلة لا غاية، فأطلقوا ألسنتهم عليه ودأبوا على نشر كل باطل عنه وإلصاق كل تهمة كاذبة به حتى لقد رموه بالكفر والإلحاد أيضاً، وكل ذلك لأنه كان يكشف عن ريائهم ونفاقهم، ويعلن عن جهلهم وتعصبهم دون خوف ولا حذر

قال عنه شمس الدين محمد بن محمود الشهرزوري في كتابه الموسوم بـ (نزهة الأرواح وروضة الأرواح في تواريخ الحكماء المتقدمين والمتأخرين) الذي ألفه في القرن السادس الهجري ما يلي بحروفه:

(كان الخيام عالماً بالفقه واللغة والتواريخ.. دخل ذات يوم على الوزير عبد الرازق وكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالي وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية.. فقال الوزير: على الخبير سقطنا. ثم سأل الخيام فذكر اختلاف القراء وعلل كل واحد منها وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً. فقال الغزالي: كثر الله أمثالك في العلماء فإني ما ظننت أن أحداً يحفظ ذلك من القراء فضلاً عن واحد من الحكماء

ودخل عليه حجة الإسلام الغزالي يوماً وسأله مسألة فلكية فأطال عمر الخيام الإيضاح حتى أذن الظهر.. انتهى كلام الشهرزوري)

ومن بين مصنفات الخيام العديدة كتابه (رسالة في الجبر والمقابلة) كتبها في العربية وترجمت إلى الفرنسية وطبعت في باريس سنة ١٨٥١

٢ — كان الخيام ينزل في المرتبة الأولى من أهل زمانه، يتسابق إلى خطب وده الوزراء؛ وكان الملك سينجر يجلسه على العرش بجانبه توقيراً له، وكان متعبداً زاهداً منصرفاً إلى العلوم والتدريس، نافضاً يده من الأمور الدنيوية التي تتكالب

عليها الأطماع وتصطرع دونها الأحقاد ، وكان يلقب بحجة الحق الإمام عمر

٣ — لم يثبت إطلاقاً وعلى أى وجه أن الخيام قد ذاق الخمرة طوال حياته ولو مرة واحدة

٤ — كان الخيام طبيباً بارعاً معروفاً له المحل الأول بين أطباء عصره المشهورين

٥ — كان مدرساً جليل القدر فى نيسابور التى أنجبت عدداً كبيراً من عظماء الإسلام فى العلم والأدب

٦ — كان يكتب رباعياته من حين إلى حين فى مجالس سمره وحديثه وبين خاصته، وكانت هذه الرباعيات تنتقل من يد إلى يد كباقة من الزهر تفوح بالعطر وتعبق بالشذاء فيدونها هذا وذاك من أصدقائه وتلامذته كتذكار أو كهدية نادرة من العالم الأكبر، فى حواشى كتبهم وفى بطون كراريسهم

٧ — كان وصف الخمرة والإغراق فى التغنى بمزاياها (عادة) ذلك العصر بالنسبة للأدباء الفرس كما كان التغنى بـ (ليلى) و (ديار ليلى) التقليد المصرى السائد فى العهد الأموى بالنسبة لشعراء العرب

وكفى الخيام دليلا على علو منزلته وسامى مقامه ، وجليل قدره هذه الأبيات التى وجهها إليه فى مستهل إحدى رسائله الإمام أبو النصر محمد بن عبد الرحيم النسوى قاضى الديار الفارسية آنذاك وتلميذ الشيخ الرئيس أبى على بن سيناء

قال الإمام أبو نصر :

إن كنت ترعين ياريح الصبا ذممى فاقرى السلام على العلامة الخيمى
بوسى لديه تراب الأرض خاضعـــة خضوع من يجتـدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه ماء الحياة رفات الأعظم الرمم

هذا هو الخيام الحقيقى لا الأسطورى ، الخيام المجرد عن تزاويق الباطل وبهارجه ، العارى من ثوب البهتان وأصباغه

نماذج من شعر الخيام

ليس شعر الخيام كله مقصوراً على الرباعيات وحدها ، بل الثابت أنه كان يقرض الشعر فى اللغة العربية أيضا ، وله فى هذا المجال أبيات فريدة وصلت إلينا تدل على علو كعبه ، وسعة اطلاعه ورسوخ قدمه فى العربية وفنون بلاغتها ، حتى ليستحق أن يعد بحق قرناً لأعظم الشعراء العرب فى جميع العصور

فلنستمع إليه الآن فى هذه القطعة التى نظمها فى الفخر على طريقة أبى العلاء المعرى فى قصيـدته المشهورة (ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعل)

قال الخيام :

إذا قنعت نفسى بميسور بلغة يحصلها بالـكد كفى وساعدى
أمنت تصاريف الحوادث كلها فكن يازمانى موعدى أو مواعدى
ولى فوق هـام النيرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
أليس قضى الأفلاك فى دورها بأن تعيد إلى نحس جميع المساعد
متى مادنت دنياك كانت مصيبة فوا عجبا من ذا القريب المباعد
إذا كان محصول الحياة منية فسيان حالا كل ساع وقاعد

ويقول فى قطعة أخرى :

سبقت العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعـلو همه
فلاح بحكمتى نور الهدى فى ليال فى الضـــلالة مدلهمه
يريد الجاحدون ليطفئوها ويأبى الله إلا أن يتمه

نكتفى بهذا القدر الآن من شعره العربى وننتقل إلى رباعياته نفسها لنضع أمامك بعضاً منها تمثل الخيام أصدق تمثيل كما نعتقد فى تفكيره وآرائه، وتعبر أدق تعبير عن نظراته التى كان ينظر بها إلى الحيـــاة

فهاهو ذا الآن يتحسر على فوات الشباب وذهاب ربيع العمر فى رباعية هى الدرة اللامعــة والجوهرة الثمينة فى تاج الرباعيات الخيامية :

افسوس كه نامه : جوانى طى شد
وين تازه بهار شادمانى طى شد
أن مرغ طرب كه نام أو بود شباب
فرياد ندانم كه كى أمد كى شد

الترجمة للمازنى عن الإنكليزية

طوت يد الأقدار سفر الشباب وصوحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبا واختفى متى أتى ؟ يالهفى ! أين غاب ؟

وهنا نراه يطالب البارى سبحانه وتعالى بحقه فى دخول الجنة:

من بندهٔ عاصم رضای تو کجاست تاریك دلم نور صفای تو کجاست
ما را تو بهشت اگر بطاعت بخشی آن بیع بود لطف عطای تو کجاست

الترجمة للزهاوى عن الفارسية

أنا عاص فأين منك الرضاء أنا داج فأين منك الضياء
إنما وقفك الجنان على الطاعة بيع فأين منك العطاء

وهنا يقف حائراً مشدوهاً أمام لغز الحياة وأسرارها السرمدية

قومى متفكر اند در مذهب دين جمعى متحيرند درشك يقين
ناگاه منادى درآيد زكمين كى بيخبريم داه نه آنت نه اين

الترجمة للزهاوى :

فئة فى اليقين والشك هاموا وفريق بالدين راموا لواذاً
وإذا صائح يقول مشيراً ليس ذاكم هو الطريق ولا ذا

الترجمة للبستانى عن الفرنسية والإنكليزية .

وهنا تقلقه فكرة العذاب فى يوم القيامة فيقول :

حين يارب كنت تجبل طينى عالماً كنت أنت علم اليقين
كل امرئ وكنه سرى الدفين
كل ما جئته فمنك بحكم منك روحى ومنك لحمى وعظمى
فلماذا يوم القيامة فى النار أعانى الآلام والأهوالا

وهنا تتمثل ثورته على الظلم واحتقاره المادة :

وأجبنى ووافنى لاعتزال وابتعاد عن محض قيل وقال
رب قفر من المظالم خال ليس فيه عبد ولا سلطان
هو عندى المكان نعم المكان
رب كهف تأويه نفس أبى فاق قصراً طالت ذراه السحابا

وهنا : نحن من التراب وإلى التراب :

وثغور الأزهار ياذا الحبيب من ثغور سناؤها محجوب
لك قلب وفى الأديم قلوب
ضجعة اللطف فوق هذا النبات فهو نام من أكبد الفاتنات
فى مهود فيها السبات عميق لا مفيق منه بهن أهابا

وهنا يخاطب جاره الخزاف

أمس أبصرت جارنا الخزافا يجبل الطين كيف شاء اعتسافا
ويكيل المقدار منه جزافا
وكأنى أسمعت بين يديه صوت ذات مظلومة تشتكيه
آه رفقاً فأنت طين وماء أيها المرء لا تسمنى العذابا

وهنا يودع الحياة بقلب دام ونفس تذوب حسرات :

يا نديمى قد آن موت النديم
فاذكرنى ذكرى الصديق القديم
وابكينى بدمع بنت الكروم
وبكأس الرحيق قف فوق قبرى واسكب الخمر فوق عشب وزهر
فرفاتى إذ ذاك زهر وعشب وأنا الشئ كان كوناً وحالا

وأخيراً نراه يقنت لربه ويستغفر ويقول :

رب رحماك ما كسبت ثوابا لا ولا كنت مستحقا عقابا
إنما قلت ما رأيت صوابا وعزائى الجميل كان الحبابا
وكفانى التوحيد ذخراً فإنى لم أعدد فى دينى الأربابا

السيد أحمد مصطفى الخطيب

٢ - الحسن البصرى

رئيس المدرسة الفلسفية الأولى فى الإسلام

للأستاذ حسين على الداقوقى

تصوفه :

عرك الحسن البصرى أزمات فكرية متعددة ، فيقول عنه الأستاذ حلمى ضياء « أنه وافق القدريين ، فغدا مثلهم قدريا ورأى حرية الإرادة والاختيار ، ثم عدل من هؤلاء بعد نقاش وجدل طويلين ، وشرع يتبع عبد الله بن عمر ويقفو أثره معارضاً الجبرية والقدرية معاً ، فتكونت له شخصية متميزة خاصة به فأوجد مذهباً وسطاً بين المذهبين ذلك هو مذهب الحرية الصوفية » إلا أن هذا الرأى ينبغى ألا يجرنا إلى القول بأنه لما عدل عن زمرة القدريين معناه ترك مذهب الاختيار ، لأنه فى الواقع ظل ينزع إلى المذهب نفسه ويفصح عنه بمناسبات عديدة ، وذلك مما دعا المعتزلة أن يعتبروه منهم (١)

لم يبق من آثار الحسن البصرى غير نصوص متفرقة فى طيات الكتب ، ورسائل تحملها كتب الآخرين ، مع العلم أن مواعظه العامة كانت قد جمعها طلابه أيام حياته ، ونشرت بعد وفاته من قبل حميد الطويل ، وهو الأثر الذى تطرق إلى ذكره الجاحظ فى عهده . كما نشرت من آثاره تعليقاته حول القرآن ، ورتبت من قبل عمرو بن عبيد المعتزلى بشكل تفسير وأن محاضراته المتعلقة بالأسس الأخلاقية فى القرآن جمعت باسم (مسائل) جمعها صاحبه الأشعث الحرانى . أما محاضراته غير المدونة فقد رواها تلاميذه على شكل (روايات) تروى عنه

كان الحسن ورعاً تقيا يعده الصوفية من أقطابهم ويتمثلون بحكمه وجمله ، وإذا حللنا التصوف الإسلامى إلى عناصره التى تكون منها وجدنا الحسن خير مثال لعنصر الزهد والتقوى بصفتهما الإسلامية ، وكذلك إن جاز لنا أن نقول إن الصوفية الإسلامية اتخذت لها مدارس مختلفة فى البلاد الإسلامية المختلفة كالبصرة وبغداد وخراسان وتركستان ، لأصبح الحسن البصرى دعامة مدرسة البصرة وداعية الزهد والتقوى فيها

يقول ابن تيمية بصدد البحث عن نسبة الصوفية :

« وقيل وهو المعروف ، إنه نسبة إلى لبس الصوف . فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن . وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر الأمصار ، ولهذا كان يقال فقه كوفى وعبادة بصرية » « وإذا عرف أن منشأ التصوف كان من البصرة وأنه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ما له فيه اجتهاد ، كما كان فى الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد ، فهؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة وهى لباس الصوف فقيل فى أحدهم صوفى ، وليس طريقهم مقيداً بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به ولكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال » (٢)

وللمستشرق المشهور دوزى رأى آخر حول نشأة الصوفية وعلاقة الحسن البصرى بها . فيقول « كانت فى البصرة امرأة زاهدة ورعة تقية تسمى (رابعة) ، وهى التى اعتاد حجاج العصور الوسطى زيارة قبرها الكائن على رابية تشارف القدس ، فكانت على رأى الصوفية الأوائل ، تعتريها حالات الوجد والشعور الإشراق ، وكانت أعلى مقاماً من الحسن البصرى . ولو جاز لنا الشك فى اعتبار الحسن البصرى من أهل السنة ، لا ينكر أنه كان يحوز نقطة بدء غير التى عند المتصوفة . ففى الوقت الذى يعتبر الحسن البصرى الشعور بالخوف جوهر التقوى ، يرى الصوفية عكس ذلك ، فيبدأون من نقطة المحبة ويخاصمون الذين يتخذون الخوف مسنداً لهم . وقد حدث أن سئل أحد الصوفية « من الذى يجب أن يعتبر لئيما ؟ » فأجاب « الشخص الذى يتعبد خوفاً من العقاب ورجاء الثواب » فسئل « لماذا

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة الحسن البصرى

(٢) ابن تيمية : الصوفية والفقراء ص ٣ – ١٧ ، الطبعة الثانية ١٣٤٨ مطبعة المنار

تعبيد أنت ؟ » فقال « المحبة فحسب » (٢)

بيد أن الظاهر — ولعله الحقيقة — يدل على أن التصوف الإسلامي أيام الحسن كان متمثلا في الزهد والتقوى فقط ، وهما العنصران الأساسيان في التصوف ، أو بالأحرى هما الأساس له ، إذ لم تكن العناصر الأخرى كالأفلاطونيه الحديثة وغيرها قد دخلت فيه بعد . فالتصوف في هذا المعنى كان في بداية نشأته وأوائل تأسيسه بشكل بسيط غير مشوب بالشوائب الأخرى التي اختلطت به فيما بعد . أما فيما يتعلق برابعة العدوية فلا يزال الشك يحوم حول صحة نسبة جميع الأقوال والأبيات الشعرية المنسوبة إليها (٤) فإن هذه الأقوال بحد ذاتها من حيث مبناها ومعناها تثير ريبة كل باحث ملم بثقافة ذلك العصر

إن هذا الرأي هو الآخر ليتضح للقارئ الكريم بكل جلاء في استعراضنا وتحليلنا مبادئ الحسن البصري الصوفية ، في الفقرات التالية :

إن نقطة البداية عند الحسن في هذا الباب هي استصغار هذه الدنيا الفانية الزائلة التي استصغرها الله ورسوله . ونجد في رسالته التي بعثها إلى عمر بن عبدالعزيز يقول : « أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن ، وبالآخرة لم تزل (٥) » وكذلك يرى أن الله كلف المخزون (أهل الانقطاع) أن ينتهجوا ثلاثة مسالك : الأمل ، والأجل ، والسحر . ومعنى ذلك أن يكونوا في حالة الأمل ، وأن يدور في خلدهم الأجل في كل آن ، وأن يقضوا السحر أو الليل بالفكر ، تلك الخصال الحميدة التي تميزهم عن سواهم من الناس الذين يضيعون آمالهم ، ويعتقدون بالأجل عند موافاة المنية لهم ، والليالي التي يقتضى قضاؤها بالتفكير فهم يقضونها من غير تفكير . إن قاعدة الحياة عند الحسن البصري ليست بمجرد الحيطة والتجنب ، ولا بمجرد الورع والتقوى والابتعاد عن المنكرات الحقوقية وماشا كلها ، إنما هي قبل كل شئ عبارة عن الزهد والخشوع لله ، والتفرغ التام عن كل العالم ، وعن كل ما هو فان ، وهذا معناه أن يكون الإنسان تجاه نفسه في حالة حزن دائم . ويروى أنه لم يضحك أربعين سنة ، وكان في حزنه كما قال يونس بن عبيد الله الحسن : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه . كان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له (٦)

ومن أقواله التي يستشف منها اتجاهه في تصوفه : قال : إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون . ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون (٧) . قال عيسى بن عمر : سمعنا الحسن يقول : اقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة ، واعصوها فإنكم إن أطعتموها تنزع بكم إلى شر غاية ، وحادثوها بالذكر فإنها سريعة الدثور (٨)

وكان يقول : ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقي من المسلمين فهو مغموم ويقول : ما من وسواس نبذ فهو من إبليس ، وما كان فيه إلحاح فهو من النفس . فيستعان عليه بالصوم والصلاة والرياضة ، وإذا أراد الله بعبد خيرا في الدنيا لم يشغله بعيد ولا ولد ... ومن لبس الصوف تواضعا لله عز وجل زاده نورا في بصره وقلبه (٩)

إن أساس الدين عند الحسن هو التقوى والحزن ، ويليهما في ذلك الخوف . وقد لعبت فكرة الخوف دوراً هاما في تصوف الحسن ، فهي التي تيسر الفناء إزاء المطلق ، والذوبان فيه ، ولا شئ يطهر الإيمان كما يطهره الخوف . وقد ذكر في سياق رسالته إلى عمر بن عبد العزيز : أدمن الجوع ، وشعاري الخوف . ولباسي الصوف ، ودابتي رجلي ، ومسراجي بالليل القمر ، وصلابتي في الشتاء الشمس ، وفاكهتي وريحاني ما أنبت الأرض للسباع والأنعام (١٠)

وكان يردد ما مفهومه : إن الخوف والرجاء دعامتان يستند إليهما المؤمن على أن يكون الخوف عنده أقوى من الرجاء ، لأن

---

(٣) راجع مبحث نشأة التصوف والاعتزال في كتابه عن تاريخ الاسلام

(٤) نيكلسون : في التصوف الاسلامي ص ٧٠ من الترجمة العربية

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٤ طبعة السندوبي

(٦) قوت القلوب ج ٤ ص ١٨٣ ، وكتاب التصوف وفريد الدين العطار لعزام ص ٢١

(٧) البيان والتبيين ج ٣ ص ١٠٨

(٨) نفس المرجع ص ٢٤٠

(٩) الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٥ مطبعة عبد الحميد حنفي بمصر

(١٠) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ١٣٢

الرجاء عنـد ما يغلب الخوف يفضى إلى إفساد القلب ، وبواسطة الخوف ذاته نستطيع أن نتبين عجز المتناهى ، والفناء فى داخل اللامتناهى . ذلك أن الشعور بالعجز يكشف بتضاد جدلى (ديالكتيكى) عن ماهية القدرة ، وبهذه الطريقة نفسها يمكن الإصغاء إلى كلام الله ، وهذا هو ما يدعى بـ (الاستماع) وبعد ما يمر الإنسان بهذه الحالات الروحية يفهم القرآن . ومن هذه الناحية يكون الحسن البصرى واضع أساس علم النفس الصوفى أى (علم القلوب) . ومن ثم يدخل فى تحليل الحالات الداخلية للانسان ، وإن التعاريف التى أوردها بصدد محاسبة الطوية والضمير Examen de conscience ، كأنها قد أعدت مفاهيم الحارث المحاسبى فى هذا المجال . وقد دعا الإنسان إلى أن يوجه نظراته إلى داخل نفسه ، ويتأمل ، لأن التأمل هو مرآة تتجلى فيها للمرء ما فى الإنسان من محاسن ومساوئ ، وهو يسيطر على نفسه بالتأمل ، وأن سمة روحه هى سمة تأمله — وهى عبارات يتذكرها الإنسان عند ما يلاحظ علم النفس عند Emerson

إن آثار هذه المواعظ لم تبق مقصورة على النطاق الأخلاق والأدبي فحسب ، إنما عملت على توسيع المفهوم الإسلامى والفلسفة فى وقت واحد . فأصبحت شخصية الإنسان لا تفهم كمجرد شئ قائم على الأعضاء والملكات الروحية فقط — أى أن شخصية الإنسان تبعا لهذا المفهوم ليست من أثر التركيب وحده، بل إنها تظهر قلبا كليا ناميا متطورا ، وهذه هى بداية المذهب الروحى الإسلامى Spiritualism الذى توسع فيما بعد على أيدى المتصوفة الروحيين

تطرق الحسن البصرى إلى مسألة خلق الأفعال البشرية ، ورأى أن الله فوض للانسان أفعاله الحرة ، وهذا يعنى أن الله وهب الإنسان الفيض والاستعداد لاستطاعته القيام بهذه الأفعال ، وهذا هو منشأ مذهب الاتفاقية Occasionalisme بينما يرى المعتزلة مقابل ذلك نظرية التولد ، أى أنهم يأخذون بالنظرية القائلة : إن الله يوجد الأفعال فى الإنسان ، ولكنه يوجد كل فعل على حده . لذلك كانت نظرية الحسن مغايرة لمفهوم الإرادة الجزئية عند المعتزلة ، وهى فى الوقت نفسه مغايرة للمذهب الجبرى Fatalism عند الجبريين ، فنظرية الحسن والحالة هذه تقول بالحرية على أن تكون مرتبطة بيقين إلهى

وختاما لتصوف الحسن البصرى ينبغى ألا يغرب عن البال أن أول اتصال بين الصوفية ونظام الفتوة تم فى دائرة الحسن البصرى ، حيث كان الحسن نفسه يعرف بـ (الفتى) أحيانا و بـ (سيد الفتيان) أحيانا أخرى (١١)

ثقافته العامة ومكانته الاجتماعية

كان الحسن أستاذ أهل البصرة ، وبدرهم الطالع ، يقول عنه ابن سعد : كان الحسن « جامعا عالما عاليا رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا كبير العلم ، فصيحا جميلا وسيما (١٢) » قال ثابت بن قرة الصابئ « ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس : عمر بن الخطاب فى سياسته ، والحسن البصرى فى علمه وورعه ، والجاحظ فى فصاحته وبيانه (١٣) » ويروى عن الربيع ابن أنس بأنه اختلف إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله ما من يوم إلا يسمع منه ما لم يسمعه قبله (١٤)

لم يكن الحسن مختصا بعلم من العلوم أو بفن من الفنون؛ إنما كان متضلعا بثقافة عصره ، تطرق إلى المعارف المختلفة التى آذنت بالازدهار فى محيط الإسلام . فقد وجه تعاليمه إلى عقول سامعيه لا إلى خيالهم ، وبذلك أسس فى الإسلام طريقة للتفكير تتعلق مباشرة بأوليات الفلسفة (١٥) بحيث يمكننا أن نقول إن أول مدرسة فلسفية نشأت فى الإسلام كانت فى البصرة برئاسة الحسن البصرى . كذلك كانت مواعظه رائمة تعمل فى تكوين العقيدة وعلم أصول الدين واللاهوت (١٦) ويذكر له ابن النديم مصنفا فى التفسير ، وله أيضا كتابات فى الشروح القرآنية ، وقراءاته القرآنية مشهورة (١٧) وله مكانته فى تطور النحو وعلم

---

(١١) أبو العلا عفيفى : الملامتية والصوفية وأهل الفتوة
(١٢) طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١٥ طبع ليدن
(١٣) معجم الأدباء لياقوت ج ١٦ ص ٩٥ — ٩٦
(١٤) تهذيب الأسماء للنووى ج ١ ص ١٦٢ طبعة مصر
(١٥) جواشون : نفس المرجع ص ٩٠
(١٦) : نفس المرجع ونفس الصفحة
(١٧) الانبارى : الانصاف فى مسائل الخلاف ج ١ ، ج ٢ أشار إليها عدة مرات ، اطلب الفهرست

الـكلام وخاصة في الفقه . فقد دعا إلى التفقه بالدين [١٨] ، وقيل له مصنف ، إنه كان في الفقه باسم (الإخلاص) وورد ذكره في أخبار الحلاج المفكر الصوفي المشهور [١٩] ولا نكون مغالين إذا قلنا إن له فضلا عظيما في تقدم الفقه الإسلامي وتوسيع نطاقه، فقد سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن [٢٠] وذكر عنه قتادة وقال : ما جالست فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه ، وقال أيضا : ما رأت عيناي أفقه من الحسن [٢١] وقال بكر بن عبد الله : الحسن أفقه من رأينا ومناقبه كثيرة مشهورة [٢٢] ودرج أبو إسحق الشيرازي في طبقات الفقهاء عددا يسيرا من تراجم أصحاب الحسن وطلابه الفقهاء . فلا عجب والحالة هذه إذا ما وصفه المستشرق المعروف براون في بحثه عن نشأة الاعتزال بالفقيه المشهور . أما في مجال البيان فكان يشبه برؤبة بن العجاج [٢٣] فقد كان الحسن حقا أحد فضلاء الإسلام وبلغائه ، وكان طلقا لبقا ، يحذق الحديث وفن الخطاب ، حسن البديهة والارتجال. وقيل للحجاج من أخطب الناس قال: صاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة يعني الحسن [٢٤] وقال الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء وأقربهم هديا من الصحابة [٢٥] وكان قصاصا يعد من أفاضل القصاص وأصدقهم ، يستخرج العظة مما يقع حوله من حوادث [٢٦] يجلس في آخر المسجد وحوله حلقته ، حيث كان نظام التدريس العالي آنذاك يجرى على شكل حلقات المحاضرة والمناظرة

لم يسلم الحسن البصري — كما مر بنا — من انتقادات وجهت إليه في أيام حياته ، فقد تهجم عليه الشيعة الإماميون والخوارج لأنه وقف على الحياد من موقعة صفين، إلا أنه مع ذلك ظل يعتبر بين الناس رئيس الصوفية الكلاسيكية ، ومربيا لعدد من المعتزلة الميالين إلى التصوف ، كما تبعه بعض المحدثين من أهل السنة، وانتهت كل الحملات عليه بموته ، وأثنى عليه الشيعة في بعض الأحيان وذكروا مآثره [٢٧] ومن ثم لا نستغرب من رواية ابن خلكان بأن أهل البصرة كلهم تبعوا جنازته بحيث لم يبق في المسجد من يصلي صلاة العصر . وكانت وفاته ١١٠ هـ [٢٨] ودفن في البصرة القديمة ، وقبره الآن بجانب قبر ابن سيرين مزار لمختلف الفرق الإسلامية

(١٨) الطوسي : كتاب اللمع في التصوف ص ١٤٢ في سلسلة ليدن ١٩١٤

(١٩) راجع:

(ا) الخوانساري : روضات الجنات ص ٣٠٩ طبعة إيران في مادة الحسن البصري . وحسين الحلاج

(ب) أحمد بن الخياط الموصلي : ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء . مخطوط في مكتبة مديرية الآثار القديمة العراقية . وترجم فيه أولياء الموصل وأهداه إلى الوزير نجيب باشا

(٢٠) الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٦٨ طبعة بغداد سنة ١٣٥٦ هـ

(٢١) ابن كثير في البداية والنهاية ج ٩ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ مطبعة السعادة

(٢٢) الشيرازي : نفس الصفحة من نفس المرجع

(٢٣) المعارف لابن قتيبة ص ٩٤ ؛

(٢٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٢٦

(٢٥) الأعلام للزركلي مادة الحسن

(٢٦) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ١٩٨

(٢٧) أمالي الشريف المرتضي حـ ١ ص ١٠٦ — ١١٢

(٢٨) ابن خلكان حـ ١ ص ١٢٩ المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٠ هـ

حسين علي الداقوقي

بعد عشرين قرناً

حضارة عربية
تنكشف عنها الرمال

للأستاذ وندل فيلبس
رئيس البعثة الأثرية الأمريكية

كان الأمر على جانب من الخطورة ، فالعربي فى جنوب الجزيرة لايتردد عن قتل من يسوق سيارة من سيارات النقل ، إذا تصور أن تلك السيارة ستنتزع منه ومن بعيره رزقهما من نقل البضائع . لقد حذرونا قبل السفر بأن نكون يقظين لأولئك الذين قد يتربصون لنا خلف الصخور

إن اكتشاف الزيت فى شمال الجزيرة العربية قد أزاح الإبل عن العمل فى نقل البضائع إزاحة تامة . وهى بالنسبة لأصحاب الإبل نكبة اقتصادية فادحة . فليس فى وسع القسم الأكبر من عرب جنوب الجزيرة شراء سيارات لنقل البضائع نظراً لفداحة أثمانها ، دع عنك تكاليف صيانتها وحفظها ، فالسيارات لاتستطيع العيش كما تعيش الإبل على الكلأ والأشواك ، والسير يوماً بعد يوم من غير ماء . ولا أن تغدو طعاماً ووبراً للحياكة عندما ينتهى أمرها كحيوانات للنقل . ولذلك فإن النظام الجديد فى عدن لا يستفيد منه سوى المقتدرين . أما أصحاب الإبل الذين لم يتأثروا بعد تأثراً يذكر بمزاحمة السيارات لهم فما زالوا مستعدين للكفاح فى سبيل البقاء

ولكن الخطر الأكبر فى طريقنا كامن فى الخلاف بين اليمن والإنجليز على الحدود ، فقد جاءنى كتاب من المصادر اليمنية الرسمية قبل حين جاء فيه :

« يجب الالتفات إلى أن حوادث « العنف » التى تقع فى المناطق الجنوبية من اليمن ، قد أثارت الأهالى فى تلك الناحية . بحيث قد يصبح السفر خطراً فى بعض الأجزاء النائية منها »

وسرنا من عدن التى جئتها من لندن طائراً خلف سفينتنا ، نغذ السير بمحاذاة ساحل حضرموت البنى . وحضرموت ميناء بحرى يمنى فى القدم تبدو — كشأن النجريات — جميلة على البعد . أما وقد اقتربنا منها ، فإن الأبنية التى كانت تشرق فى أشعة الشمس على حافة البحر الأزرق من بعيد ، أخذت تبدو لنا الآن قائمة على القرب ، والأبخرة المعفنة المتصاعدة من أرجاء المدينة تزحم هواء البحر النقى بروائحها الكريهة

وانسابت نحونا ، فى كسل ، بعض السفن العربية الهبيطة تدفعها مجاديف نوتيتها من العرب . فابتدأت من تلك الساعة مهمتنا الشاقة فى الاحتفاظ بسياراتنا على ظهرها حتى نصل بها إلى الساحل . إن ثبات هذه السفن الشراعية على وجه الماء كثبات الزوارق المصنوعة من لحاء الشجر ، حتى لقد كدنا نفقد إحدى سياراتنا ، فقد اندفعت على حين غرة من جانب من السفينة إلى الجانب الآخر فقطعت الأمراس التى كانت تشدها ، وبدأت تميل بالسفينة لو لم يتدارکها أحدهم بحبل ثم رفعناها بالآلة الرافعة

وكانت الحواجز التى تحتم على ذلك النهار إزالتها من الطريق فى الجرك أبلغ خطراً . فقد كانت السلطات المدنية تدرس مشروعاً لشق الطرق فى البلاد ، فطالبوا منا المساهمة فى تمويل المشروع لقاء السماح لنا بالدخول

قلت موجهاً حديثى لجيهان خان الهندى ، سكرتير المالية لحكومة المكلا : « لا بأس ! فكم تريدون ؟ »

فأجاب بلغة إنجليزية فصيحة : « أعتقد أن ١٦،٢٠٠ جنيهاً إنجليزية كافية »

فنظرت إلى رفيق شارلس انجى وقلت : « معنى ذلك ٥٠٠،٠٠٠ دولار أمريكى إننا لا نملك هذا المبلغ ، فما يريد أن يفعل به ؟ أيريد أن يوفد بعثة أخرى من قبله بذلك المبلغ كله ؟ »

فضحك انجى ، وتوصلنا بعد مساومات إلى حل مرض ، فإن حكومة المكلا يرضيها أن نقدم لها حراسة بحارية أو ممهدة للطرق . ومع ذلك فلم يكن لدى أى واحدة منها فى ذلك الحين . فقنع جيهان خان بتعهد كتابى منى . ويسعدنى القول أننى استطعت تحقيق ما جاء فى هذا الفصل بفضل هذا التعهد . ثم تشرفنا بعد

الظهر من ذلك اليوم ، وكان يوم الأحد ، بزيارة صاحب السمو السمر صالح بن غالب القعيطي . سلطان الشحر والمكلا ، وأكبر زعماء الجانب الشرقي من المحمية ، فدعانا للعشاء على مائدته تلك الليلة . ولن أنسى ما حييت ، وقوفي إلى جانب سموه أقدم له أفراد البعثة . إن السلطان شديد الاهتمام بالشؤون العالمية ، وهو يتكلم الانجليزية ويؤلف في الفلسفة ، والعلم ، والدين ، ويحب الأدوات الحديثة ، وقد جهز قصره بالنور الفلوريسيني . وبمسجل للأصوات . ولما كنت جالساً بجانب سموه على مائدة الطعام ، كان سؤاله الأول موجهاً إلي ، وقد نزل على رأسي ، فقد أراد أن يعرف ، من بين الأشياء جميعها ، الثقل النوعي لأحدث معدن تصنع منه الطائرات النفاثة . فهتفت : « بتري » محيلا عليه السؤال ، فهو وحده من بيننا على علم بمثل هذه الأمور

وابتدأنا بالسفر غداة يوم الإثنين ٢٠ فبراير مبكرين ، وعند الظهر اندفعت قافلتنا من بوابة المدينة وبدأت تتسلق المرتفعات متغلغلة في داخل البلاد

كان طريقنا يتجه نحو الشمال إلى وادي حضرموت فوق سلسلة من النجود العالية تسمى « الجول » ومن هناك نسير محاذين لطرف الصحراء الجنوبي حتى رملة الصباطين ثم نتجه غرباً حتى نصل إلى الطرف الجنوبي من وادي بيحان

مدن تحت رمال الصحراء

إن رملة الصباطين بحر مثلث مترامي الأطراف من الرمال الصريحة ، ترعرعت على سواحله الصخرية يوماً ما ، ثلاث من ممالك جنوب الجزيرة العربية الأربع — معين في الشمال ، وحضرموت في الشرق ، وسبأ وقتبان في الجنوب . وقد قامت مدينة مأرب عاصمة سبأ في الزاوية الشمالية الغربية من هذه الأرض التي ليس لأحد سلطان عليها ، كما قامت « تمنـــا » في الزاوية الجنوبية الغربية منها . وكلتا المدينتين الآن تحت الرمال التي تذروها الرياح في كل ناحية وصوب في الجزيرة العربية المعاصرة القليلة المياه

منذ نهاية العصور الرومانية حوالي عام ٥٠٠ قبل الميلاد عندما جاء الأحباش المسيحيون إلى حضرموت ، ثم تلاهم المسلمون المتحمسون للقضاء على الوثنية ، حتى عام ١٩٢٠ ، لم يتعد عدد من زار حضرموت من الأوربيين ستة أشخاص ، ولم يقدر لبعثة أمريكية منظمة قبلنا أن ترى حضرموت أو وادي بيحان النائي

تبلغ مساحة حضرموت حوالي ٤٠٠ ميل طولا ، ويحدها عدد من النجود المكونة من الحجارة الكلسية التي تعلو في السماء البيضاء الصافية آلافا من الأقدام . إن حضرموت شحيحة الأمطار ، وعندما تمطر السماء فيها ، فإنها تفرغ نعمها فوق الجبال ، فتتجمع المياه هناك أولا على هيئة غدران فجداول ثم تصبح في النهاية سيولا جارفة ، تتدفق من أعلى الهضاب مدوية في الوديان ، كاسحة أمامها ما يقع في طريقها

وكنا خلال اجتيازنا الجول المرتفع القارس في منتهى الحذر خوفا من أولئك العرب الذين يكرهون سيارات النقل أشد الكره ..فكان مبارك عبدالله ضابط حرس القافلة .. يرتب سياراتنا كل ليلة على هيئة مربع مجوف كما تفعل طلائع الجيوش بسياراتها ومدافعها الرشاشة المتحركة

لقد حسبنا في اليوم الثالث أننا مشرفون على الوقوع في المشاكل ، فطريق السيارات في الجول لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة ، وكان جانبا الطريق مليئين بالصخور الصلدة المظيمة . كنت أسوق سيارة القيادة ، وهي من نوع السيارات التي تستعمل في الاستكشافات الحربية ، فشاهدت أمامي سحابة من الغبار ثم انجلت بعد حين عن سيارتين من سيارات مكافحة الجراد الذي يكثر في الجزيرة العربية . إنه يتدلى من الشجيرات كالعناقيد فيلتقطه العرب منها كالتوت ، ويدسونه في أفواههم وهو لا يزال حيا يرفس برجله

ووقفت السيارتان أمامي ، وقفز منهما أربعة من العرب يتنكبون بنادقهم . كان الأستاذ (أولبرايت) معي فأمرونا بواسطته أن نخلي الطريق لهم من سياراتنا . فقلت لهم إني لا أرى ما يبرر إخراج ١٦ سيارة من الطريق من أجل سيارتين . فرفع أحدهم بندقيته ، ومرت لحظة من الزمن كنت أسائل نفسي فيها : « أهذه هي النهاية ؟ » ثم سمعت مبارك عبد الله يقول

بصوت مرتفع ، وهو يقفز من سيارته وكانت قد توقفت فى تلك اللحظة خلف سيارتنا .

« نح تلك البندقية جانبا » فأنزل الرجل بندقيته ، وقال : « من أنتم ؟ »

فأجابه مبارك : « أنا الضابط مبارك عبد الله . وإذا لم تتنحوا عن الطريق ألهبت رؤوسكم بالرصاص » . فأطاع الرجال وتنحوا لنا عن الطريق بخفة

عندما قتل ضيفه

إن لمبارك شهرة واسعة فى حضر موت . فقد أرسل ذات مرة ضيفا إلى إحدى حفلات الزواج فى حى عمه ، فقتل الضيف . فلما بلغ النبأ مباركا ، اشترى بندقية جديدة ، ومقدارا من الرصاص ، وتوجه ليثأر لشرفه طبقا لما تخوله التقاليد القبلية من الحقوق . وبعد سنة كاملة استطاع أن يريح ضميره مرة أخرى بعد أن قتل ثلاثة من أفراد عائلته كانوا مسئولين عن إراقة دم ضيفه

كان مبارك يركب دائما بجانب « جلادس » ، ومع أنها كانت رائدتنا فطالما توارت عن أنظارنا عند منعطفات الطرق أو فوق التلاع . ولكنى ما كنت أقلق عليها لوثوق من سلامتها ما دام مبارك بجانبها على قيد الحياة . فقد كان شديد الإعجاب بقيادتها للسيارة . فالعربى ينظر لمن يسوق سيارة أو يطير طيارة بالإعجاب والإكبار . و « جلادس » كانت هائلة سواء أمام عجلة السيارة أو قيادة الطائرة

ففى غضون الرحلة التى قت بها قبل سنتين منتدبا من جامعة كاليفورنيا كانت جلادس تقود سيارة من سيارات الحمل من القاهرة إلى مدينة الكاب وهى مسافة تقرب من ٥٠٠٠ ميل . وفى العام المنصرم سجلت رقما قياسيا فى الشرق الأوسط بقيامها بست رحلات فى غضون ١٠ أيام من القاهرة إلى جبل سينا . وقد رافقها « جيفرس كافرى » السفير الأميركى فى القاهرة فى إحدى تلك الرحلات، فلم يستطع احتمالها ، فإنها لتمرسها بالأسفار فى الصحراء كانت تتغلب على ما يعترض سبيلها من العقبات ، ومع ذلك فقد كانت عنايتها فائقة بحيث لم ينفجر ولا إطار واحد من أطر السيارات أو ينكسر محور واحد فى الطريق الصخرية إلى بيحان . وهى مهارة لم أكن أتوقعها

كانت سيارتها تتقدم القافلة دائما ، بينما كنت أتنقل فى سيارة من سيارات الاستكشاف بين أضلاع الوديان ومتون الصخور ، فقد كان تخصصى العلمى الأول هو الإحاثة فكانت تستهوينى التشكيلات الجيولوجية الظاهرة العجيبة ، وبعضها يعود إلى الزمن الذى لم تكن فيه الأرض سوى كرة صخرية جرداء تلفحها الرياح

كنت فى المقدمة عندما تراءت لنا « شيبام » مدينة الأبنية العالية والخصومات . فحينما بلغت بسيارتى قمة إحدى الهضاب ، وبدا منظر المدينة منبسطا أمامى على حين غرة ، كان الوقت ظهرا والحرارة محرقة ، حتى أن الإعياء كان قد أخذ مأخذه من حراسنا غلاظ الأجسام . كانت الصحراء ترقص أمام أنظارنا فى بهر الشمس ، وأبراج المدينة تبدو كأنها معلقة فى الهواء العائم تشدها خيوط من الفضة فوق الرمال

تسمى شيبام شيكاغو حضر موت ، لا لسبب سوى أن أبنيتها أعلى ما فى البلاد . فبعضها يعلو الأسوار التى تحيط بالمدينة وتحميها من هجمات قبائل الصحراء بـ ٩ أو ١٠ طبقات . والبلاد قسمان : سكان المدن المستقرون ، وسكان الصحراء المتنقلون

وليس ما يمنع تلك الأبنية من المضى فى الارتفاع سوى عدم سلامة الطين الذى يخلط بالقش « التبن » وبعر الإبل ، ويسلح بدعائم من الخشب . فإن العلو زيادة فى الاحتراس وليس من الضرورى لرخص مواد البناء فى شيبان . فكلما عشت مرتفعا بالمعنى المادى ، سبقت فى رؤية اقتراب الأعداء

لقد سمعت قصصا عن شيبام وهى من أفظع ما شهدته بلاد العرب من الميادين الحربية الدامية ، فقد كانت ميدانا للكفاح من أجل السيطرة استمر قرنا كاملا بين قبيلتين عربيتين كبيرتين هما القعيطيون الذين انتصروا فى النهاية ، والكثيريون الذين فقدوا السلطة هناك . وهذا طرف من تلك القصص :

لسبب لا نعرفه الآن أجاز السلطان منصور حاكم شيبام الكثيرى سنة ١٨٣٠ للقعيطيين شراء قسم كبير من أملاك

المدينة، فلما استقر بهم المقام ساءت نية منصور وأخذ ينظر إلى الطارئين الجدد كمعتدين ، وبدأ يعمل فيهم السيف . هـذه هي البداية . ثم ارتحل قسم من الكثيريين وعادوا بجيش اضطر معه منصور في النهاية إلى تقسيم شيبام بينه وبين الكثيريين

واستمر الهـدوء حيناً من الزمان حتى بدأ منصور ، الحول القلب الذي لا يستقر على حال يتطلع للقتال ، فسولت له نفسه أن يمكر بالقميطيين فيدعو ثلاثمائة من كبارهم إلى العشاء . وكان البارود من ضمن الطعام . ولكن الخدعة لم تنطل على أحـد . فإن الثلاثمائة قميطي الذين كان يرمي إلى استئصالهم ، جاءوا مع عدد كبير من الأتباع أكبر مما كان يقدر . فعاد الكفاح سيرته الأولى من جديد . ودارت الدائرة في النهاية عليه ، فشق حلقه من الأذن إلى الأذن ، وابتدأ من ذلك الحين استئصال ما بقي من الكثيريين في القاطعة في تصميم وروية ، من غير رحمـــة أو شـفقة ، حتى كادوا يفنون على بكرة أبيهم ، إلى أن جاء ما يسمى بصلح أنفرام قبل بضع سنين فوضع الإنجليز به حـــدا للقتل المنظم . لم يكن المرء ليأمن على نفسه بأن يمشي أو يركب منفرداً في شيبام نهاراً . وكان بيت كل إنسان حصنه . وإذا كنت فقيراً فإنك تقتل أعـداءك بنفسك . أما إذا كنت غنيا فإنك تستأجر من يتولى قتلهم عنك . وكان القتلة دائماً ينالون جزاءهم إما مالا أو قتلا ، وأحياناً مالا وقتلا . وعند ما يصل إفناء عائلة من العائلات حـــدا بعيداً ، فإن المغلوبين يحاولون عادة حسم الأمور بينهم وبين المنتصرين ، فيهيئون وليمة كبيرة ، وكجزء من الوليمة يحاولون الاتفاق على تأدية ديات القتلى ، وبذلك تذوب في بعض الأحيان ثروات بعض العائلات قبل أن يتم تسديد الديات

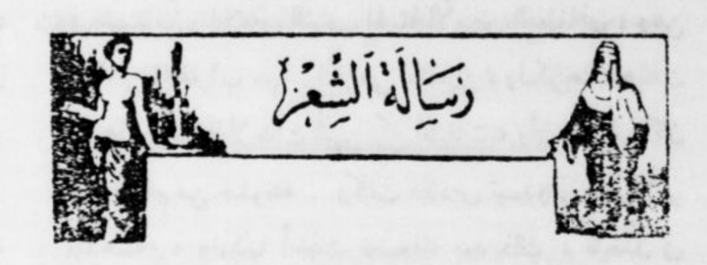
وبالرغم من وجود مبارك الذي يتولى حمايتنا أثناء رحلتنا إلى بيحان، فقد انتابني فزع شديد ذات يوم مرتين. الأولى بسبب جلادس، وبعد ذلك مباشرة بسبب البعثة كلها . كنا قد تجاوزنا شيبام ، ووصلنا إلى قلعة منفردة في بئر عسكر . وكان علينا أن نقضي الليل هناك

وبينما كنا نغادر سيارتنا ، التف حول جلادس ما يقارب عشرين امرأة كن قد جئن بإبل القبيلة إلى بئر عسكر . فأخذن في شـد مئزر فلادس الغريب الهيئة الأبيض الفضفاض ، وهن يتدافعن للاقتراب منها . فأفزعني تدافعهن ، ولكني عندما هرعت نحوها ارتحت لما لاحظت أنهن كن لطيفات ، وأن فضولهن كان وديا بالرغم من خشونته . وكانت فلادس تبـدو في أول الأمر مندهشة ، ولكنها أخذت تضحك بعد ذلك ، فأخذن في الابتعاد عنها نوعاً ما ، وهن يؤلفن حلقة متراصة حولها ، وتنكز إحداهن الأخرى ويتطلعن إليها ويتهافتن على ذات الشعر الذهبي

ثم ارتفع على حين غرة صوت إطلاق الرصاص ناحية وادي حضرموت الرملي . إنه العـلامة المتوقعة للخطر الذي كنا في انتظاره منذ أن غادرنا المـكلا ، فتطلعت مجلا نحو مصدر الصوت ثم أسرعت إلى بندقيتي لأني استطعت أن أشـــاهد على البعد سحابة من الغبار وفي وسطها دون شك بعض الرجال الأشـداء على ظهور إبلهم

ع . ث

(الرسالة) نقلت شركات البرق أن الأستاذ وندل فيليبس كاتب هذا المقال قد فرهو وبعثته من اليمن إلى عدن . وظل فرار هذه البعثة حديث الناس في كل مكان، يظنون فيه الظنون، ويتلمسون له الأسباب. وقد قال مكاتب (المصري) في عدن من رسالة بعث بها إلى جريدته في الخامس عشر من هذا الشهر: «قمت بتحري الأسباب التي حملت حكومة جلالة ملك اليمن على إبعاد هذه البعثة فعلمت أن ذلك يرجع إلى أن الحكومة اليمنية كانت قد سمحت لهذه البعثة الأمريكية بالتنقيب عن الآثار في منطقة مأرب وغيرها من البلاد اليمنية بموجب اتفاقية عقدت بين الطرفين أهم بنودها أن تكون جميع الآثار التي تعثر عليها البعثة ملكا للحكومة اليمن التي ساهمت بمبالغ كبيرة في هذا المشروع العلمي الجليل . وقد بدأت البعثة عملها بعد أن وقعت على الاتفاقية بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٥١ ونجحت في العثور على آثار عظيمة . ولما أوشكت مدة الاتفاقية أن تنتهي طلب رئيس البعثة من الحكومة اليمنية أن يستمر في العمل واعدا بتلافي الأخطاء التي ارتكبها أعضاء



خطـــوط

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

فقير، أجـــل .. ودميم دميم بلون الشتاء .. بلون الغيوم
يسير فتسخر منـه الوجوه وتسخر حتى وجوه الهموم
فيحمل آلامه فى جمود ويشرب أحزانه فى وجـوم
وكم تبعته أكف الصغـار قاذفة بالحصى والرجـوم
ولـكنه أبدا حالم . وفى قلبـه يقظات النجوم

* * *

فقـــير .. وسادته ثوبه إذا ما غفا .. والفراش الحصير
حصـير تقادم حتى يكاد يخضر .. يرجع عشبا نضير
وغرفته حفرة تتعـالى بجدران قبر .. وباب قصير
ومائدة وقفت كالعجوز سيقانها خالدات الصرير
ومصبـاحه ميت .. ميت كقلب الغنى .. ووجه الفقير

* * *

دميم .. فوجه كأنى به دخان تكثف ثم التحم
وعينان فيه كأرجوحتين منقلتين بريح الألم ..
وأنف تحـــدر ثم ارتمى فبـان كنبرة لم تتم ..
ومن تحتها شفة ضخمة بدائية .. فلـــا تبتسم
وقامته ألصقت بالتراب وإن هزئت روحه بالقمم

* * *

وقالوا: أحب .. ورددت الألسن السـاخرات .. أحب أحب !
وما ذكروا أنه مثلهم له بين جنبيه قلب يحب
وهل عرفوا الحب ؟ هل عرفوه سوى أنه جسد يضطرب
وفاكهة تشتهيها العيون وكف تجوع .. وكف تهب
ولو سألوا قبحه .. لأجابت كآبة عينيه إن لم يجب !

* * *

أحب التى شربت كأسه وأبصر فى نفسهـا نفسه
وكم ظل يسأل عنها الوجوه ويطرق محتضنا يأســه
ويهرق معـوله فى تراب ليـاليه .. محتفراً رمسه
إلى أن رآها .. رآها ففنى لحـاضره .. وبكى أمسه
وعانق فى مقلتيها أساه وقدس فى طهرها رجسه

* * *

وكان يخاف لقـاء المنيـة قبل لقائهما .. قبلهـا
فأمسى يود خـلود الحيـاة اتحيا له .. وليحيا لهـا
وما شهد الفجر أحلام عينيه إلا مصليـة حولهـا
وما سمع الليل أشواق جنبيه إلا منـورة ظلها
فلا تحسبوه بغنى لكم ولـكنه يتغنى لهـا

محمد مفتاح الفيتورى

بعثته لجهلهم بتقاليـد أهل البلاد وعاداتهـم . وفى الوقت الذى كان يفاوض فيه الحكومة اليمنية اعتقل البوليس اليمنى عددا من أفراد البعثة بعد منتصف الليل وهم يهمون بمغادرة اليمـن حاملين معهم كثيرا من التحف الأثرية والتماثيل ، فقررت حكومة الإمام على أثر ذلك عدم تجديد الاتفاقية وابعدت البعثة عن اليمن

وقد اكتشف أخيرا أن بعض أفراد البعثة قد نجحوا فى سرقة تمثال بلقيس ملكة سبأ وهو يعتبر من التحف الأثرية النادرة

وقد علمت أن الدوائر الرسمية فى اليمن تعد تقريرا شاملا لترفعه إلى حكومة الولايات المتحدة لإعادة هـذا الأثر العظيم إلى موطنه الأصلى »

العودة ...

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

عدت للحب والطلى والأغانى ... والليالى والفاتنات الحسان
عدت كالطير للرياض وكالأنـ ... ـسام للدوح فى الربيع الحانى
عدت للحب والجمال المفدى ... ناعماً بالخلود فى الحان
عجباً للزمان يفنى وللأكـ ... ـوان تفنى والحب ليس بفانى !
كيف يفنى حبى وتخمد أشوا ... ق وأنت الحياة ملء كيانى ؟!

* * *

زعموا أننى سلوت هواك ... ونسيت العهود بعد نواك
لا وعينيك والورود النضيرا ... ت على وجنتيك لا أنساك
إن يكن حمنى الطويل شجاك ... فبروحى أعيش فى نجواك
أين صوت اللسان من شغف القلـ ... ـب وصمت النسيان من ذكراك
يا فتاة الأحلام عودى فإنى ... كنت فى الصمت ناطقاً بهواك

* * *

عودة عودة إلى القبلات ... والعناق الشهى والصبوات
واللقاء النشوان بالصفو والبهـ ... ـجة والأغنيات والأمنيات
كلما أشرقت نجوم الدياجى ... طالعتنا بأوجه اللذات !
ومتى صفقت كؤوس الحميا ... رفعتنا الأحلام فوق الحياة !
مضت المعجزات إلا محيا ... ك فما زال أخلد المعجزات !!

* * *

أى سر يلوح فى مقلتيك ؟ ... أى سحر ينساب فى عطفيك ؟
أى بشر وروعة وجمال ... للنهى والقلوب فى وجنتيك
زعمونى سلوت عينيك أوهمـ ... ـت بنبع ألذ من شفتيك
فسلى مقلتى من سهر الليـ ... ـل وعن لهفة الحنين إليك !
واسمعى أدمعى وبث أنينى ... ونجوم الدجى شهوداً لديك !

* * *

أنت يادرة الجمال الفريد ... أنت ياواحة الشريد الطريد
يا ابتسام الحياة يافرحة المحـ ... ـزون يا طلعة المنى والسعود
يا ملاكا تنقل الحسن فيه ... هاتفاً : ها هنا يطيب خلودى
استمر الجمال فيك إلى أن ... فضحته النهود بعد الخدود !
قد كستنى حسنك الأنيق حياء ... وتهادى فى غصنك الأملود !!

* * *

أين منك الرياض والأنداء ؟ ... أين منك الأضواء والأفياء ؟
أين منك الشموس والأنجم الزهـ ... ـر جميعا وأين منك السماء ؟
بت أحصى محاسن الكون طرا ... فإذا أنت وحدك الحسناء !!
فيك حرية الجمال وفى قلـ ... ـبى قيود الهوى فنحن سواء .!
ظلم الهجر والنوى وجزاء الـ ... ـحب ذاك الجمال والإغراء ؟!

* * *

آه لو تعلمين هول شحوبى ... وعذابى ولوعتى ونحيبى
وحنينى إليك فى النأى كالأم ... إلى طفلها الوحيد الغريب
وحنوى عليك كالديمة الوطـ ... ـفاء تحبو الربى بأوفى نصيب
وأغانى فيك كالجدول الرقـ ... ـراق يجرى مضمخا بالطيوب
ياحبيبى متى تعود الليالى ... مثلما عدت للهوى ياحبيبى !

* * *

سمع الطير فنونى وهيامى ... فتغنى بصبوتى وغرامى
ورأى الشاعرون خمتى فأغرا ... هم بشعرى فرددوا أنغامى
يالصوص القريض عدت فعودوا ... لانتهابى وشمروا لاغتنامى !
يا شداة الألحان هاكم أناشيـ ... ـدى فغنوا بها ودوسوا حطامى
هل على المجدبين ينتجعون الـ ... ـخصب لوم ، سميا على الأقدام

* * *

إننى أملك الكنوز جميعا ... فى فؤادى صبابة وولوعا
وهياما بالحسن فى كل وجه ... وانطلاقا مع الأمانى سريعا
وطموحا وثورة وإباء ... وحياء وحيرة ودموعا
أنت رقرقتها ينابيع فى قلـ ... ـبى وأطلقتها خيالا رفيعا
أنت مادمت أنت ملء فؤادى ... فمن المجد أن أخر صريعا !!

* * *

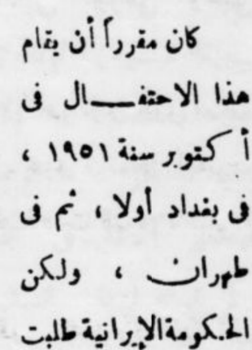
حسدونى على أمانى فيك ... هل رأوا فتنة ابتسامة فيك ؟!
ظلمونى وأمعنوا فى عذابى ... أنا راض بالظلم لو يرضيك ؟
حبسونى فى ظلمة الريف وحدى ... لينالوا المنى بغير شريك !
تشرق الشمس وحدها والمصابيـ ... ـح دياجير فى النهار الضحوك
عقد النصر للملاحف والشا ... ر خلف القطيع كالصعلوك !

أحمد أحمد العجمى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا





صورة متخيلة لابن سينا وضع تصميمها الأستاذ أكرم شكري بالعراق وأقرتها لجنة ابن سينا

كان مقررا أن يقام هذا الاحتفال في أكتوبر سنة ١٩٥١ ، في بغداد أولا ، ثم في طهران ، ولكن الحكومة الإيرانية طلبت أن يؤجل ريثما يتم بناء ضريح تقيمه لصاحب الذكرى في مدينة «همدان» ، فقررت اللجنة المؤلفة في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية للاحتفال بهذه الذكرى – بالاتفاق مع ممثل إيران – أن يقام الاحتفال ببغداد في النصف الثاني من شهر مارس سنة ١٩٥٢ ، وبطهران في النصف الأول من أبريل

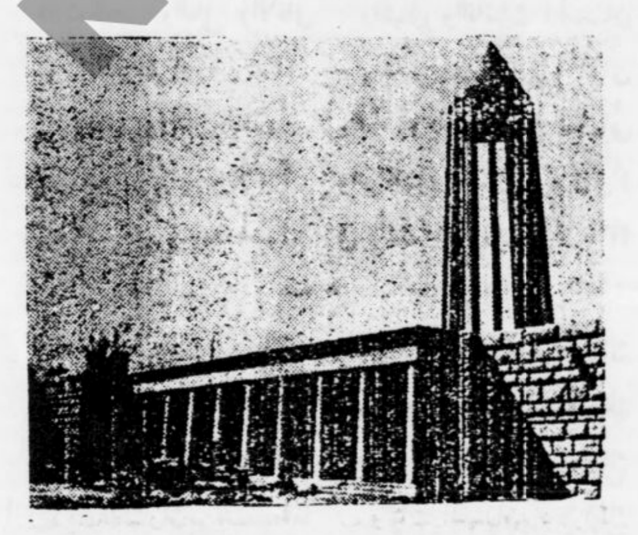
وجاء شهر مارس «الحالي» فأنبأت الحكومة الإيرانية أن الضريح لم يتم بناؤه حتى الآن ، وأنها قررت تأجيل احتفالها إلى موعد قريب سيعلن عنه وسيدعى إليه وفود من الدول العربية وعلماء ومستشرقون من مختلف أنحاء العالم

ومضت العراق في إعداد العدة لاحتفالها في الموعد المقرر ، وقد عين يوم ٢٠ مارس الحالي لبدئه ، ويستمر حتى اليوم الثامن والعشرين منه

الوفود المصرية :

وعينت الدول العربية وفودها إلى الاحتفال ، ونذكر فيما يلي الوفود التي تقرر إيفادها من مصر :

يمثل جامعة الدول العربية في الاحتفال بهذه الذكرى ، الأستاذ سعيد فهيم وكيل الإدارة الثقافية والدكتور أحمد فؤاد الأهواني والأب قنواتي والدكتور مختار الوكيل ، وقد اعتذر الدكتور أحمد أمين بك وأعد كلمة في هذه المناسبة يلقيها الدكتور مختار الوكيل في حفل الافتتاح



صورة لضريح ابن سينا في همدان

ويمثل مجمع فؤاد الأول للغة العربية الدكتور إبراهيم بيومي مدكور «وهو رئيس وفد مصر» ، ويمثل وزارة المعارف المصرية الأستاذ محمود الخضيري ، ويمثل جامعة فؤاد الأول الدكتور مصطفى عمر بك الأستاذ بكلية الطب ، ويمثل جامعة إبراهيم الدكتور عبد الرحمن بدوي الأستاذ بكلية الآداب ، ويمثل جامعة فاروق الأول الدكتور محمد ثابت الفندي ، ويمثل الأزهر الدكتور محمد البهي

ويمثل المعهد الفرنسي بالقاهرة البروفسير شاول كوبنز ويحضر الاحتفال الأستاذ عادل الغضبان مندوبا من مجلة «الكتاب» ، ويحضره أيضا من رجال الآثار المصريين الأستاذان عباس بدر وحسن عبد الوهاب والدكتور محمد مصطفى

المدعوون الشخصيون

وقد وجهت الحكومة العراقية دعوات خاصة إلى طائفة من العلماء في مختلف البلاد الشرقية والغربية ليشاركوا في الاحتفال وينزلوا في ضيافتها ، وهم – بطبيعة الحال – غير المندوبين الرسميين ، وإنما دعوا بصفاتهم الشخصية

فدعت أربعة من إنجلترا ، وأربعة من أمريكا ، واثنين من فرنسا ، وواحدا من كل من كندا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا والسويد والدانمرك وهولندا وكوبنهاجن والهند والباكستان وإيران وأندونسيا وتونس والجزائر ومراكش . وقد عرفت أسماء المدعوين الإنجليز والفرنسيين ، فالإنجليز هم الأساتذة جيب ومينورسكى وآربرى وسيدنى سميث ، والفرنسيون هم الأستاذان ماسينيون وبلاشيير

دعى مصرى واحد واعتذر:

ودعت من المصريين واحدا هو معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد باشا وقد اعتذر . كما دعت ثلاثة يقيمون بمصر أحدهم إنجليزى وهو المستر كريزول أستاذ الآثار الإسلامية بمعهد الآثار بجامعة فؤاد الأول، والآخران هما الأستاذ العلامة ساطع الحصرى بك والبروفسير شارل كوينز مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة وهو عضو فى لجنة الاحتفال بالإدارة الثقافية ، ومما يذكر أن الأستاذ كوينز بذل جهودا قيمة فى معاونة اللجنة ، وقد نشر المعهد الفرنسى بعض الأبحاث التى كتبها بعض أعضاء اللجنة فى ذكرى ابن سينا

كشكول الأسبوع

● فرغت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية من فحص ما تقدم به الأدباء من إنتاج فى الشعر والقصة والبحث لمسابقة تشجيع الإنتاج الأدبى ، وقد استقر رأيها على الفائزين فى هذه المسابقة ووافق مجلس المجمع فى جلسته الأخيرة على النتيجة التى قررتها ، وعلى أن يقام حفل علنى لإعلان هذه النتيجة وتقديم الفائزين يوم ٣٠ مارس الحالى بدار المجمع . وقد فاز أربعة، واحد فى القصة وواحد فى البحث واثنان فى الشعر منح أحدهما الجائزة الأولى وهو من شعراء (الرسالة) ومنح الآخر الجائزة الثانية

● تلقى الدكتور طه حسين باشا من المجمع العلمى الإيطالى أنه اختير عضوا به . ومما يذكر بهذه المناسبة أن سعادته عضو منذ سنين بالمجمع العلمى الفرنسى والمجمع العلمى الاسبانى

● من « الصور الكاريكاتيرية » فى الأدب العربى التى تحدث عنها الأستاذ كامل كيلانى فى ندوة بالاتحاد الثقافى المصرى ، ما صور به ابن الرومى أنف كنيزة المغنية فى البيت الآتى :

عوضت من ذوائب وقرون
حل أنف فيه لفرخين عش

● قرأت فى العدد الأسبق من (الرسالة) قصيدة « من وحى الكأس » للأستاذ محمود غنيم ، التى جمعت بين الدعابة المستملحة والالتفاتات الجيدة والموسيقية العذبة وقد استرعى انتباهى قوله فيها :

قد يغفر الله لسكير من كرم
ويخلد الراهب الذكير فى النار

وذلك لتوارد خاطره مع المعرى فى قوله:

ولم آمن على الفقهاء حبسا
إذا ما قيل للأمناء جوزوا

● من أنباء عدن أن الهيئات والجمعيات والصحافة هناك ، طالبت باتخاذ العربية لغة رسمية مع اللغة الانجليزية فى عدن وفى جنوب الجزيرة العربية المحتلة بالقوات الانجليزية . والغريب فى هذا النبأ أنه يطلعنا على واقع يدعو إلى الدهشة والأسف وهو أن جزءا من « الجزيرة العربية » لا تستعمل فيه العربية لغة رسمية ! وما أشد تواضع المطالبين .. إذ يطلبون فقط مشاركتها للغة الانجليزية

بلاد « الدمنيون » فى الاحتفال :

ويلاحظ أن الدعوات الشخصية وجه أكثرها إلى إنجلترا وأمريكا وبلاد « الدمنيون » ، فقد ظفر « الإنجلو أمريكان » وحدهم بثماني دعوات، وثمة بلاد حافلة بكبار المستشرقين كألمانيا وهولندا ولم يدع إلا واحد من كل منها .

وإذا كان لنا أن نغضى عن مصر ومن فيها من الأعلام وأساتذة الأدب والفكر ، وأن ندع الحديث فى إهمال دعواتهم لأننا مصريون ، فلا أظن أنه يحسن السكوت عن عدم توجيه مثل تلك الدعوات إلى أحد من سائر البلاد العربية ؟ أفلم تجد الحكومة العراقية فى سوريا أو لبنان مثلا من هو أهل لكرمها الذى كان « حاتميا » فى الغرب و « مادريا » فى الشرق .. إن صح أن ينسب الكرم إلى « مادر » .. ؟!

لجنة الاحتفال وأعمالها :

وتتكون لجنة الاحتفال المؤلفة بالإدارة الثقافية ، من الدكتور أحمد أمين بك « رئيسا » والدكاترة والأساتذة إبراهيم بيومى مدكور ومحمد البهى ومحمد يوسف موسى وأحمد فؤاد الأهوانى ومحمود الخضيرى والسيد محمد تقى القمى وشارل كوز مدير المعهد الفرنسى بالقاهرة والمستشرق ماسينيون عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

والأب جورج شحاتة قنواتى

وقد عملت هذه اللجنة فى الإعداد للاحتفال بذكرى ابن سينا منذ سنتين ونصف سنة. عقدت فى خلالها اثنتين وعشرين جلسة. وأهم ما أنجزته فى هذا السبيل تحقيق جزء المنطق من كتاب « الشفاء » للرئيس ابن سينا ، قامت به لجنة فرعية برياسة الدكتور إبراهيم بيومى مدكور ، وطبعت الكتاب وزارة المعارف المصرية ، وكلفت اللجنة الأب قنواتى بالكتابة عن مؤلفات الشيخ الرئيس ، فقام بذلك فى مؤلف صدر فى العام الماضى عنوانه « مؤلفات ابن سينا » . وقام أعضاء اللجنة ، كل منهم فى مجال اختصاصه ، بعمل بحث سياقى فى الاحتفال . وقد نشر المعهد الفرنسى عدة أبحاث فى ذكرى ابن سينا لبعض أعضاء اللجنة، منها بحث للدكتور محمد يوسف موسى فى الناحية الاجتماعية والسياسية من فلسفة ابن سينا ، وبحث للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى فى الناحية النفسية من هذه الفلسفة. كما قام المعهد بنشر بحث آخر للأستاذ لوى جارديه المستشرق الفرنسى فى المقدمات الفلسفية للتصوف السينوى

واستكتبت اللجنة بعض العلماء والكتاب والمستشرقين مقالات وأبحاثا تتناول مختلف الموضوعات التى كانت ميادين لإنتاج ابن سينا . وقد وصلها طائفة من الموضوعات أعدها بعض المستشرقين ستلقى فى الاحتفال



صورة غلاف مجموعة من مخطوطات ابن سينا النادرة مهداة من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية

معرض المخطوطات والصور

وسيقام فى أثناء الاحتفالات معرض تعرض فيه المخطوطات النادرة لابن سينا ، وقد قام بتصويرها قسم التصوير بمعهد المخطوطات فى الإدارة الثقافية ، كما يعرض فيه معظم الكتب المطبوعة من مؤلفات الشيخ الرئيس والكتب المؤلفة فيه ، قديما وحديثا ، باللغة العربية وبغيرها من اللغات الحية

وتعرض فى هذا المعرض أيضا صور متخيلة لابن سينا صورت فى العراق وفى إيران أو جلبت من دور الكتب العامة والخاصة فى استنبول وفى أوربا ، وصور لتوقيعه وبعض خطه ، وطوابع بريد تذكارية وضعت فى إيران ، ومجموعة من مخطوطات ابن سينا النادرة ستهديها الإدارة الثقافية إلى الدول العربية

عباس خضر



إلى أخي الأستاذ رجب البيومي

السلام عليكم ورحمة الله وبعد ، فإنني لم أرد أن أدخل بينك وبين الأستاذ شاكر فيما شجر بينكما من خلاف ، حتى ينتهي إلى غايته كما انتهى .. ذلك أنني كنت حريصاً على أن أدعك ورأيك ، وألا أبدأ تعارفي بك في زحمة الجدل . وإن ظن أخونا شاكر أن بيننا صحبة وثيقة هي التي تدفعك إلى رد تهجمه أو تقحمه ، حتى لقد أنذرنا مما عداوة يوم القيامة : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو » ، لأن مألوف الناس قد جرى في هذا الزمن الصغير ، على أن الحق وحده ، أو الرأي وحده ، لا يكفي لأن يدفع كاتباً فيكتب ، دون هوى من صداقة أو علاقة !

ولو كانت بيننا معرفة سابقة ، ولو استشرتني قبل أن تدخل مع صاحبنا في جدل ؛ حول ما أثاره من صخب ، وما نفضه من غبار ، لأشرت عليك ألا تدخل ، ولآثرت لك ما آثرته لنفسي من إغضاء وإغفال .. ذلك أنني لم أستشعر في هذا الصخب الصاخب أثراً من صفاء نية ولا رغبة في تجلية حقيقة . ولو استشعرت شيئاً من هذا ما تركت صاحبي دون أن أجيبه — على الأقل من باب الأدب واللياقة — ولكنني اطلعت على أشياء ، ما كان يسرني والله أن أطلع عليها في نفس رجل ربطتني به مودة أصفيتها له في نفسي ، بعد ما كان بيننا من جدل قديم يعرفه قراء الرسالة عام ١٩٣٨ ، وما أزال أرجو أن أكون مخطئاً فيما أحسست به ، وأن تبقى لي عقيدتي في ضمائر الناس، وفي الخير الذي تحتويه فطرتهم

ولو كانت الحقائق هي المقصودة ، لما احتاج الكاتب الفاضل إلى اصطناع مثل هذا الأسلوب الصاخب المقرقع ؛ ولما جامنذ مقاله الأول في « المسلمون » إلى الشتم والسب والاتهام بسوء النية وسوء الخلق والنفاق والافتراء والسفاهة والرعونة .. إلى آخر ما خانه — ويغفر الله له فيه — فدون هذا وتماحك أمور النقد العلمي ، وبغير هذا الأسلوب يمكن تمحيص الحقائق

إنه لا معاوية ، ولا يزيد ، ولا أحد من ملوك بني أمية قد اغتصب مال أبي أو جدي ، أو قدم إلى شخصي مساءة ولا إلى أحد من عشيرتي الأقربين أو الأبعدين .. فإذا أنا سلكت في بيان خطة معاوية في سياسة الحكم وسياسة المال ، وخطة الملوك من بعده (فيما عدا الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه) مسلكاً غير الذي سلكته في بيان خطة أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم جميعاً — فليس أول ما يتبادر إلى الذهن المستقيم ، والنية السليمة ، أن ما بي هو سب صحابة الرسول — صلى الله عليه وسلم — لا عن خطأ ولكن عن رغبة قاصدة في إفساد الإسلام ، وسوء نية في تدنيس المسلمين !!!

وكتاب العدالة الاجتماعية مطبوع متداول منذ أربع سنوات ، وطبعته الثالثة في المطبعة ، والصخب حوله الآن فقط ، قد يشي بشيء لا أرضاه للصديق . وقد قرأه الناس في أنحاء العالم الإسلامي ، فلم يستشعر أحد من موضوعه ولا من سياقه ، أن النية السيئة المبيتة لهذا الإسلام وأهله هي التي تعمر سطوره !

إنما أحس الألوف الذين قرأوه — أو على الأقل المئات الذين أبدوا رأيهم فيه — أن كل ما كان يعنيني هو أن أبرئ الإسلام من تهمة يلصقها به أعداؤه ، وشبهة تحيك في نفوس أصدقائه . إذ يحسبون أن سياسة بني أمية في الحكم وسياستهم في المال، تحسب على الإسلام ، والإسلام بريء من هذا الاتهام

روى سعيد بن جهمان عن سفينة — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك . ثم قال سفينة : أمسك خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .. فوجدناها ثلاثين سنة .. قال سعيد : قلت له : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم . قال : كذبوا بنو الزرقاء ! بل هم ملوك من شر الملوك — رواه أصحاب السنن بسند حسن

وأحسب لقد كان بنفسي — وأنا أعرض النظام الاجتماعي في الإسلام — أن أقول شيئاً كالذي قاله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — لا عداء شخصيا لبني أمية ، ولكن تبرئة للاسلام

من أن تحسب عليه سياسة لا يعرفها ، لا فى الحكم ولا فى المال . والإسلام منها برىء . فيجب أن يعرف الناس براءته ، وأن يعرض عليهم فى صورته التى عرفتها الخلافة السمحة ، وأن ينفى عنه ما لحقه فى عهود الظلام والاستبداد

وما كان لى بعد هذا ، وأنا مالك زمام أعصابى ، مطمئن إلى الحق الذى أحاوله ، أن ألقى بالا إلى صخب مفتعل ، وتشنج مصطنع .. وما كان لى إلا أن أدعو الله لصديقنا شاكر بالشفاء والعافية ، والراحة مما يعانى ، والله لطيف بعباده الأشقياء

أما أنا فما أحب أن يكون لى مع قوم خرجوا على خليفة رسول الله ، وقتلوا ابن بنت رسول الله ، ورموا وحرقوا بيت الله ، وساءوا فى سياسة الحكم وفى سياسة المال على غير هدى الله .. أدب أرفع من أدب مولى رسول الله ، الذى أدبه ورباه !!!

سيد قطب

كمال الدين جودت

نعت الصحف منذ أيام المغفور له الأستاذ كمال الدين جودت المهندس ، والد صديقنا الأستاذ الشاعر صالح جودت ، وشقيق الأستاذ القانونى صالح جودت بك المحامى ، والذى يعنى « الرسالة » الكشف عنه ناحية أدبية فى حياة الفقيد لا نحسب أن أحداً يقف عليها أو يذكرها اليوم

فقد كان المرحوم كمال الدين جودت مهندساً بحكم تعليمه وثقافته ، ولكنه كان إلى جانب هذا أديباً فناناً بدافع طبيعته ومواهبه ، فقد عنى فى مطلع حياته بالكتابة على أسلوب المقامات ، ثم انصرف عن ذلك إلى الزجل أو الشعر المصرى كما كان يسميه ، وكانت له فى هذا السبيل محاولة طيبة ، إذ أراد أن يستخدم الزجل فى تقريب العلم وتحبيبه إلى النفوس بين الناشئين والعامة ، فمن ذلك أنه نظم جغرافية القطر المصرى بالزجل فى كتاب سماه « قلائد الدر فى جغرافية مصر » طبعه عام ١٩٠٣ م وهو بهذا الصنيع يقابل صنيع العلماء فى نظم العلوم شعراً كما صنعوا فى النحو والقراءات والفقه والمنطق والحساب وتقويم البلدان ، ولا شك أن أسلوب الزجل فى هذا يكون أقرب وأحب إلى نفوس الناشئة والعامة لقرب مأخذه وقلة المئاناة فى فهمه

وأسلوب المرحوم كمال جودت فى الزجل لطيف خفيف ، فهو يفتتح كتابه فى جغرافية مصر قائلا :

باسم الكريم أفتح زجلى	فى علم تقويم البلدان
إياك على الله ابلغ أملى	وانفع به أبناء الأوطان
العلم ده اسمه جغرافيه	كان وتقويم البلدان
كله فوائد عال كافيه	طبعاً لتثقيف الأذهان

وهو بهذا الأسلوب يأخذ فى الحديث عن هذا العلم وتقسيمه ووصف هيئة الأرض وأقسامها ، ثم يأخذ فى وصف القطر المصرى ومدنه وأقاليمه ، فنجده يتحدث مثلا عن مديرية الشرقية وتقسيمها الإدارى فيقول :

عندى مديريه سنيه	بحثت عنها بالتدقيق
حلوه تسمى الشرقيه	خص به وبندرها الزقازيق
عدد مراكز الشرقيه	ستة بدت بالبنجبات
فاقوس وبلبيس مع ههيا	وكفر صقر مع القنيات
وكانى مركز منيا القمح	مركز لطيف خالص وجميل
وفى وصفهم يحتاجوا شرح	وقصدنا عدم التطويل

أما وقد وصف — رضوان الله عليه — بلدتى منيا القمح بأنها « مركز لطيف خالص وجميل » فإن الوفاء ليقتضينى وقد انتقل إلى جوار ربه أن أرد له هذا الجميل

محمد فهمى عبد اللطيف

تحقيق لغوى

يذهب بعض الباحثين إلى وجوب تجريد الفعل الماضى التالى للنفى والاستثناء من الواو ، ولست معهم فيما ذهبوا إليه ، والسماع خير شاهد ، وإليك الأدلة :

١ — قال الأصمعى : « يستحب من المهارى أن نقصر أذنابها ، وقل ما ترى مهريا إلا — ورأيت — ذنبه المصل كأنه أفعى » أوهام شعراء العرب لأحمد تيمور باشا ص ٤٣ نقلا عن التبريزى فى شرح المعلقات

٢ — قال دعبل : « مضى على ستون عاما ما تصرم منها يوم إلا — وقلت فيه شعراً — » من مجلة الرسالة الغراء السنة



المارد الذي يحب نفسه

للكاتب الانجليزي أوسكار وايلد

كان الأطفال قد اعتادوا دخول بستان المارد واللعب فيه حين يعودون من المدرسة عصر كل يوم . وكان بستاناً واسعاً ، رقيق الحواشي ، قد اكتست أرضه بالعشب الأخضر الطري ، وانتثرت في أرجائه الأزهار الجميلة كأنها النجوم . وكانت فيه اثنتا عشرة شجرة من أشجار الخوخ التي تتفتق في الربيع عن أزهار رقيقة زاهية الألوان كأنها اللآلئ ، تتحول في الصيف إلى ثمار يانعة سائغة . وكانت الأطيار فيه تعتلي غصون الشجر وتغرد في عذوبة تصرف الأطفال عن ألعابهم وتستوقفهم مأخوذين ، فلا يملكون أن يعبروا عن نشوتهم بغير هذا القول:

— ألا ما أسعدنا في هذا المكان !

غير أن المارد عاد يوماً من زيارة أحد أصدقائه الغيلان ، بعد أن ابث معه سبع سنين ، أنهى في خلالها كل ما أراد أن يحدثه به — فإن محادثته كانت محدودة تنتهي ولا شك — عاد العملاق إلى قصره فرأى الصغار يلعبون ويمرحون في البستان !

فصرخ فيهم بصوت خشن غليظ قائلا :

— ماذا تصنعون هنا ؟

فانطلق الأطفال من فورهم هاربين ! ثم استأنف المارد صراخه قائلا :

— إنما هذا البستان ملكي ، وذلك ما يستطيع إدراكه كل إنسان ، ولست أسمح لأحد غيري باللعب فيه أبداً :

ثم قام فصنع جداراً رفيعاً سور به بستانه ، ورفع لوحة كتب عليها هذا الإعلان :

سيجزى المخالفون شر الجزاء

فياله من مارد لا يؤثر أحداً بالحب سواه !

الخامسة ص ١٥٨٧ ، وفي الصفحة التالية من المرجع نفسه يقول لأحد أصدقائه . « ما كانت لامرئ عندي من منة إلا — وعنيت موته — »

٣ — وقال البديع في المقامة الناجية : « وما سكنت حرب إلا — وكنت فيها سفيراً — »

٤ — ومن أبيات الشواهد :

نعم امرأ هرم لم تعر نائبة إلا — وكان — لمرتاع بها وزرا

٥ — وقال عنترة :

أنا الشجاع الذي ما رمت منزلة إلا — وأدركها — سعدي وإقبالي

٦ — وقال أبو فراس :

وما اشتورت إلا — وأصبح — شيخها

ولا احتزبت إلا — وكان — فتاها

٧ — وقال المبرد يشرح بيت الفرزدق :

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم

ولم تكثر القتلى بها حين سلت

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني ، وتأويله لم يشيموا لم يغمدوا ولم تكثر القتلى : أي لم يغمدوا سيوفهم إلا — وقد كثرت — القتلى حين سلت . اهـ بلفظه نقلا عن تهذيب الكامل للأستاذ السباعي جـ ١ ص ٣١٢

فقد أتى مع الواو بقد وورد مثل هذا شعراً ونثراً

أقول : والذي هداني إليه البحث وتتبع الأساليب العربية ، أن تجريد الفعل من الواو في مثل هذا أكثر ، وهو مع كثرته لغة القرآن الكريم ، ودخول الواو على الفعل وحدها أو مع قد مسموع في الفصيح شعراً ونثراً ، ولسنا في حاجة إلى صرف هذه الشواهد إلى الضرورة أو الشذوذ أو لأن بعضها لا يحتج بقائله ، وليسع أدباؤنا المعاصرون الذين يشيع على ألسنتهم ، وفي كتاباتهم هذا التعبير ما وسع هؤلاء الأفاضل ، فليس من الخطأ على كل حال ، وإن كان التجرد أكثر على ما يظهر

رياض عباس

ولم يبق حينذاك للأطفال الصغار أماكن ملعب يرتمون فيه . لقد حاولوا أن يتخذوا لهم من الشارع ملعباً ، ولكنهم زهدوا فيه حين وجدوه مليئاً بالأتربة والأحجار ، وظلوا كذلك يحومون حول الجدر الرفيعة — حين ينتهون من دروسهم — لاهجين بجمال ذلك البستان الذي وراء تلك الأسوار ، و بأيام سعادتهم التي انتهت ، يقولون :

— ألا ما كان أسعدنا هناك !

ثم قدم الربيع وانتشرت بمقدمه الأزهار والأطيار في كل ناحية على الأرض غير بستان هذا المارد اللئيم الذي لم يبرحه الشتاء . إن الأطيار لم يعنها أن تغرد فيه حين غاب عنه الأطفال؛ وإن الأشجار قد نسيت أن تورق أو تزهر ... ولقد أخرجت إحدى الأزهار الجميلة مرة رأسها من بين الأعشاب فهالها وأحزنها أن ترى لوحة الإعلان تمنع الصغار من غشيان البستان ، وانسلت هاربة لتستأنف نومها العميق الذي كانت مستغرقة فيه . ولم يكن في العالم أحد قد استولى السرور عليه غير « الثلج » و « الجليد » اللذين قالا في نفسيهما :

— إن الربيع قد نسي هذا البستان ، ولذلك فإننا سنحيا هنا طوال العام !

وكذلك طغى « الثلج » على الأعشاب وأسبل عليها طرف ردائه السابغ ، وانتشر « الجليد » على الأشجار فكساها حلة من الفضة ازدانت بها ، ثم إنهما أمرا ريح الشمال أن تبقى معهما فلبت أمرهما ، وجاءت ملتفة بالفراء تصفر طوال النهار خلال البستان والمداخن ، فرحة بهذا المكان البهيج

ثم إنهم قرروا دعوة « البرد » فنزل وأنشأ يتحدر كل يوم ثلاث ساعات بشدة حتى يكسر بلاط القصر ، فإذا تم منه هذا أمعن هرباً حول البستان يطوف بأقصى ما أوتيه من سرعة ! لقد كان برداً عجيباً أغبر ، وكانت أنفاسه بيضاء كالثلج !

وقد جلس المارد اللئيم ذات يوم في الشباك المطل على البستان الأجرد الشاتي ، وقال يحاور نفسه .

— ما أقدر أن أفهم سبب تأخر الشتاء حتى الآن ! وما أظن إلا أن تغيراً قد طرأ على الجو .

ولكن الشتاء لم يأت ، ولا جاء بعده صيف ولا خريف ... بل إن الخريف نفسه جاء وأنضج الثمار في كل بستان إلا في بستان هذا المارد الذي كان يعرفه الخريف لئيما لا يحب أحداً غير نفسه !

وإن المارد لمضطجع ذات صباح في فراشه فسمع أنغاماً شجية تطرق أذنيه خيل إليه لعذوبتها أنها من فرقة موسيقى الملك حين كانت تجتاز الطريق ، ولم تكن تلك الأنغام الشجية غير صدح طائر صغير كان يشدو على بعد من نافذته . لأنه ما سمع من أمد بعيد شدو طائر ، فظن أن ما طرق أذنيه أعذب ما في العالم من ضروب الألحان !

ثم إن البرد وقف تهتانه من حوله ، وريح الشمال قطعت صفيرها ، وهبت على المارد من النافذة نفحة من أريج عبق جميل. فقال المارد في نفسه :

— ما أحسب إلا أن الربيع قد جاء أخيراً . وقفز من فراشه ، فماذا أرى !

إنه لمنظر جد جميل !

أولئك هم الأطفال الصغار ، قد دخلوا البستان من خلال نقب صغير وجدوه في أحد الجدر واعتلوا الأغصان وبقوا هنالك جالسين . وقد ابتهج الشجر بمقدمهم فأورق ، وماس على رؤوسهم في حب وحنان ، وكانت الطير تشدو حيناً وتطير حيناً في جذل وابتهاج ، والزهر يرنو إلى ذلك بسام الثغور من بين الأعشاب

— إنه حقا لمنظر بهيج !

ولكن الشتاء لما يبرح تلك الزاوية القصية التي وقف فيها أصغر الأطفال يجول طوراً ، ويطوف بما حوله طوراً آخر ، والشجرة المسكينة التي بقربه ما تزال شاتية . . إن ذلك الطفل لم يتمكن من الوصول إلى الغصن لصغره ؛ وكانت الريح الشمالية تعصف حوله ، والشجرة تنحني له ما استطاعت وتدعوه قائلة :

— تسلق أيها الطفل الصغير ... ولكنه لن يقدر على شيء من هذا !!

... وأدركت المارد عليه الشفقة حين رآه فقال :

— ألا ما كان أشد إيثاري لنفسي ! لقد عرفت الآن سبب انقطاع الربيع من المجيء إلى هنا ... سأذهب إلى ذلك الطفل

فأضمه على الشجرة ، ثم أنقض على الجدار فأهدمه وأجعل من بستاني هذا ملعباً وقفاً على الأطفال حتى الأبد ... واشتد أسفه على ما كان بدر منه

ثم إن المارد نزل وفتح بابه في هدوء وسار في بستانه ؛ ولكن ما إن رآه الأطفال حتى هربوا ، وعاد الشتاء إلى البستان من جديد ! ولكن صبيا واحداً منهم لم يهرب ، ذلك هو الصغير الذي ملأت عينيه الدموع لما رأى المارد قادماً إليه

وتسلل المارد إلى الطفل ورفعه بلطف فأجلسه على الشجرة فما كان أسرعها حين أورقت وازدهرت ، وما كان أسرع الأطيار حين تساقطت عليها مغردة حائمة حول الصبي الصغير الذي كان يحولها عنه إلى عنق المارد مسروراً ، ثم انحنى الطفل على المارد فقبله ، فلما رأى أصحابه ذلك أمنوا المارد وعادوا وعاد معهم الربيع ، فقال المارد يخاطبهم :

— إنه بستانكم أيها الصغار الآن . ثم تناول معولا كبيراً فهدم به الجدر القائمة حول البستان . فكان الناس إذا مروا به في طريقهم إلى السوق في منتصف النهار رأوا المارد يلاعب الأطفال في أجمل بستان تقع العين عليه !

وظل دأب الأطفال كذلك ، يلعبون طوال النهار ، حتى إذا أمسى المساء وخيم الليل ، جاءوا إلى المارد فحيوه وانصرفوا

وقد سألهم المارد مرة عن صديقهم الصغير الذي كان قد رفعه على الشجرة ، فأجابوه بأنهم لا يدرون عن أمره شيئاً ، فإنه ذهب ولم يعد ... إنهم لم يروه من قبل ، ولا رأوه من بعد ، ولا يعرفون أين يسكن . اشد ما حزن المارد على ذلك الطفل الصغير الذي قبله !

* * *

بقي الأطفال على هذا : يختلفون إلى البستان عصر كل يوم بعد انتهاء دروسهم ، فيلعبون مع صديقهم المارد ... غير أن الطفل الصغير وحده كان المتخلف من بينهم أبداً . ولكم كان المارد يشتاقه ويحبه ، ويتحدث عنه ويتمنى أن لو رآه

ومضت على ذلك السنون تتبعها السنون ، فشاخ المارد وعجز عن مشاركة صغاره اللعب . فكان يجلس على مقعد وثير ليتفرج عليهم هانئاً مغتبطاً . وكان يقول في نفسه :

— إن في هذا البستان لكثيراً من الأزهار الجميلة . ولكن أجمل منها في نظري هؤلاء الصغار

وفي صباح يوم شات — وقد أصبح الشتاء الآن لا يفزع المارد ، وإنما هو إغفاءة قصيرة لايلبث الربيع بعدها أن ينهض بأزهاره وتهاويله — في صباح ذلك اليوم ، بينا كان المارد يرتدي ثيابه إذ بصر بشيء هاله . فكذب نظره و كذب نفسه ... إنه منظر مدهش عجيب ! أفي الإمكان هذا ؟ شجرة حالية بالنوار الجميل في تلك الزاوية القصية وتحتها طفله الصغير الذي أحبه واقفاً ؟

هرول المارد نازلا يستخفه الفرح ، وجاز أرجاء الحديقة مسرعاً حتى جاء إلى الطفل ، وما كاد يقترب منه ويراه حتى طار غضبه واربد وجهه ، وسأله قائلا حين بصر بآثار مسمارين على يديه ومثلهما على رجليه :

— من ذا الذي تجرأ فجرحك ؟ قل من ذا الذي تجرأ عليك فقعل ؟

فأجابه الطفل الصغير :

— كلا ... ما هذه جروح حقيقية ، إنها جروح الحب !

وهنا استولت على قلب المارد الرهبة والخشوع فخر ساجداً أمام قدمي طفله وسأله قائلا :

— من أنت إذاً ؟

فأجابه الطفل باسماً : أنا الصبي الذي سمحت لي مرة باللعب في بستانك هذا ، جئت لآخذك معي إلى بستاني الذي هو الفردوس

* * *

وحينما عاد الأطفال عصر ذلك اليوم كعادتهم ، وجدوا المارد ميتاً في مكانه تحت تلك الشجرة ، وقد نثرت على جثمانه الأزهار والنور الأبيض الجميل

ف . س



مطبعة الرسالة

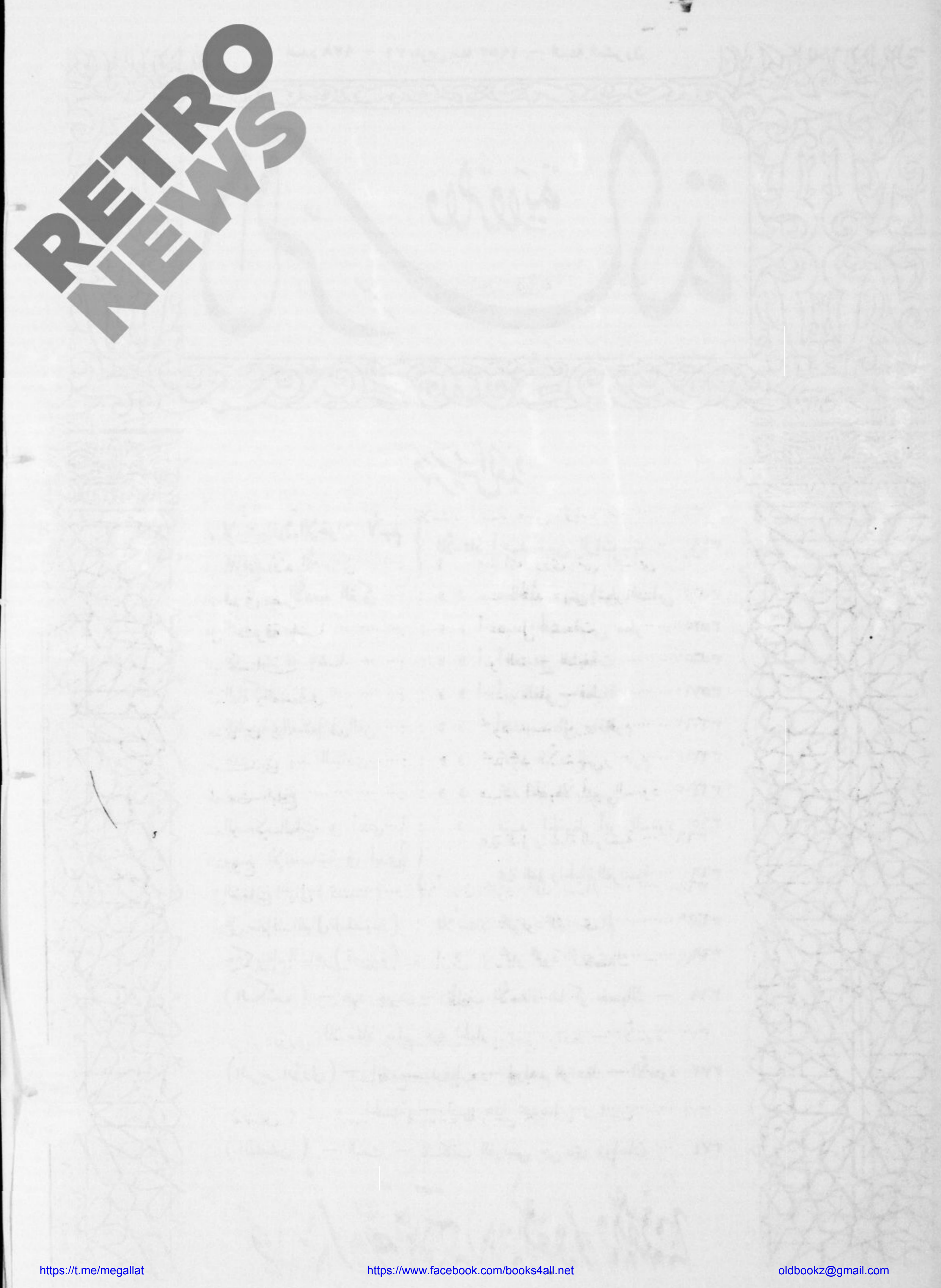


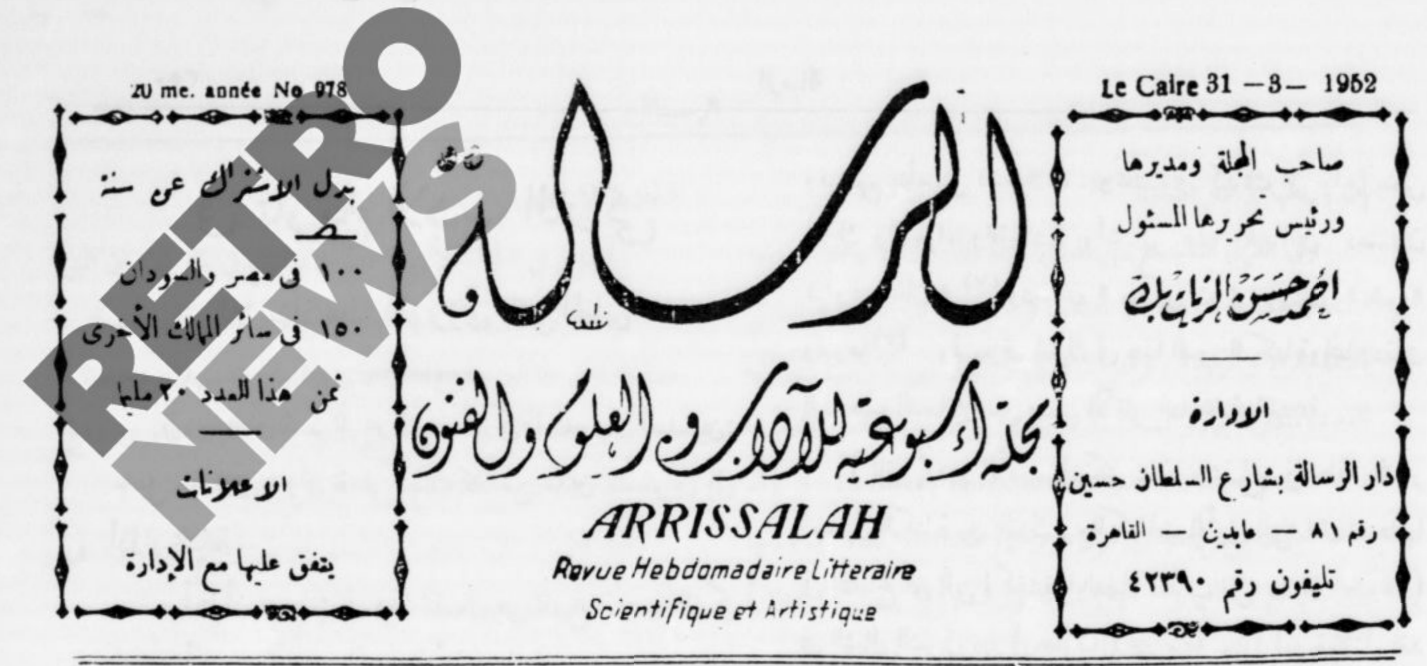
العدد ٩٧٨ — ٣١ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للعلوم والفنون





20 me. année No 978

Le Caire 31 — 3 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٥ رجب سنة ١٣٧١ — ٣١ مارس سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

لا تخافوا (الاخوان)

لأنهم يخافون الله

قال لى صديق من أدباء الأقباط أعرف فيه وزانة العقل ورزانة الطبع ، وقد جرنا الحديث إلى مايكابده هذا البلد المسكين من شهوات أبطال الحق، ونزغات قلقات الأمن ، ونزعات بلبلت العقيدة : « ألم يكن من الخير لمصر ألا يكون فيها إلا إخوان مصريون لامسيحيون ولامسلمون لتدوم الوحدة وتزيد الألفة ؟ لقد نقمنا من المبشرين أنهم أنبتوا فى القاهرة فرعا (لجمعية الشبان المسيحيين) وكنا نود ألا يجاريهم فى مثل ذلك الذين أنشأوا (جمعية الشبان المسلمين) فإن الأمر لابد أن يجرى فى الجمعيتين على حكم العصبية الدينية، وفى هذه العصبية توهين للصلات الطبيعية التى تصل المواطن بالمواطن ، وإن كان هذا التوهين لا يزال ضعيف الأثر لغلبة العوامل الرياضية والثقافية على نفوس الأعضاء فى هاتين الجماعتين . ولكنى أصارحك ولا أداجيك أن ما نخشاه من (الإخوان المسلمين) أبعد فى الأثر وأقرب إلى الخطر مما نخشاه من أى حزب ومن أية جماعة . ذلك لأن الإخوان ميدانهم أوسع ودعوتهم أسرع ووسائلهم أنفذ وغايتهم أبعد . إنهم يريدون حكما غير الحكم ، ودستورا غير الدستور ، ونظاما غير النظام . ولا أدرى كيف نكون نحن إذا غلب دين واحد على دنيا مشتركة ، وطبق دستور معين على حياة مختلفة ؟ »

فقلت له وقد وافقته على ما رأى من قوة الإخوان ونفاذ دعايتهم وبعد غايتهم : أنا أدرى كيف تكونون . تكونون إذا ما أراد الله لحزبه أن يغلب ، ولشرعه أن يحكم ، ولنوره أن يتم ، كما كنتم فى عهد الخليفة عمر : لكم ما للمسلمين من حق ، وعليكم ما عليهم من واجب . أما إذا كان قد وقع فى عهود بعض الواغلين على الوادى حماقات أورثتكم هذه الوساوس ، فإنما كان وقوعها ضلالا فى العقل لغيبة الهادى ، وشططا فى الحكم لعطلة الدستور . وما كان الهادى الذى أغفلوه غير دين الله ، ولا كان الدستور الذى عطلوه غير كتابه . والعقيدة يومئذ كانت فى أكثر الناس إيمانا بالاسم وكفرانا بالفعل . وأنتم اليوم أقرب إلينا وأعز علينا مما كنتم أيام الوالى عمرو ؛ لأن العلاقة بينكم وبين المسلمين كانت فى القرن السابع علاقة فتح وجزية، فأصبحت فى القرن العشرين علائق وطن وجنس ولغة وأدب وثقافة وتاريخ . وما أظنك تمارى فى أن أكثر المصريين أقباط أسلموا . وأنت لا تخشى صاحب الدين مادام يستشعره ويستظهره ويعمل به ؛ فإن الأديان جميعا تتفرع من أصل إلهي واحد ، هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . إنما تخشى من يعتقد أن إلهه فى السماء وليس معه على الأرض ، ومن يحسب أن غاية دينه كلمات وحركات تؤدى فى كل فرض ! والإخوان المسلمون قوم تآخوا فى الله وتواصوا بالحق وتوافوا على المحجة وتعاونوا على البر واستبطنوا حقيقة الدين . دستورهم القرآن وهو بيِّن ؛ وحكمهم الشريعة وهى سمحة ، ونظامهم المحبة وهى أجمع ، وغايتهم الإنسانية

في تاريخ الادب التركي

للأستاذ عطا الله ترزي باشي المحامي

في وسعنا أن نقسم تاريخ الأدب التركي إلى عصرين أساسيين: جاهلي وإسلامي، وأن نقسم كذلك كلا من هذين العصرين إلى أدوار مختلفة..

ورأينا أن نتحدث في هذا المقال عن تاريخ الأدب التركي منذ نشأته حتى تأسيس الدولة العثمانية بإيجاز

يتكون العصر الجاهلي من دورين هامين:

(أولا) دور الأدب المظلم، ولا نعرف عنه أكثر مما يرويه لنا المؤرخون من «مناقب الترك» المعروفة بـ (الدساتين) (١). وهي تتضمن بعض القصص والروايات التاريخية عن نشأة الأتراك وقيامهم بتأسيس الدويلات. وتحتوي كذلك على تراجم بعض الملوك والأمراء والقواد. وأشهر هذه الدساتين دستان «أوغوز خان» (٢) ودستان «بوزقورت» ودستان «شو» وغيرها(٣).. ولم يعرف الترك في هذا الدور الكتابة وإنما انتقلت إلينا هذه الدساتين من بعض الآثار التاريخية القديمة

(ثانيا) دور الأدب المكتوب: وشاع في هذا الدور استعمال الكتابة بين الترك. والكتابات الأولى التي عثرت عليها في التاريخ هي التي اكتشفها العلماء بالقرب من مدينة (طورفان) في الشمال الشرقي من (منغوليا) على ضفة نهر (أورخون). فقد وجدت في هذه النواحي ألواح من الرخام مثبتة في الأرض نقشت عليها بعض الكتابات. وكان أهمها ثلاث كتابات تعرف بـ «تونيو قوق» و «كول تكين» و «بيلكه قاغا». ويرجع تاريخ الكتابة الأولى إلى سنة ٧٢٠ م والثانية إلى سنة ٧٣٢ م والثالثة إلى سنة ٧٣٥. وقد ثبتت هذه الألواح التي تبحث عن حروب الترك مع الصينيين في جانب زعماء تولوا عرش الدولة التركية المسماة بـ «كوك تورك»

ويعتبر «بيلكه تونيوقوق» أول أديب عرف في تاريخ الأدب التركي على الإطلاق

ولقد أشار إلى وجود هذه الكتابات في أول الأمر المؤرخ الإيلخاني المعروف (جويني) وذلك في القرن الميلادي الثالث عشر. وذكرها أيضا الدكتور الألماني دانيل مسرشميد «Daneil Messershmidt» حين رآها (سنة ١٧٢١م) أثناء قيامه برحلات في هذه الأنحاء وسماها بالكتابات الطلسمية

ويعود الفضل في أمر اكتشافها إلى العالم الدانيماركي طومسن «Thomsen» فقد وفق لأول مرة في ٢٥ / ١١ / ١٨٩٣ إلى قراءة كلمات (ترك، تنكري، كول تكين). وتمكن هذا المستشرق بعد ذلك من حل رموز الكتابة وقراءتها بكاملها. وكذلك استطاع من بعده العالم الألماني الشهير رودلف «Rodolf»

(١) جمع دستان بمعنى الملحمة

(٢) وقد روى لنا هذا الدستان الوزير رشيد الدين في كتابه «جامع التواريخ» عن نسخة قديمة من كتاب كان لديه. انظر لهذا الدستان البروفيسور فؤاد كوبريلي عن نسخة قديمة في كتابه تاريخ الأدب التركي (المجلد الأول)

(٣) أنظر الأستاذ نهاد سامي: تاريخ الأدب التركي المصور ص ١١ــ٢٠

وهي أشمل. والإسلام أنزله اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق، ليكون سلاما لكل نفس، وقواما لكل عمل، ونظاما لكل جماعة. ودنياه العامة التي يحكمها وينظمها لابد أن يكون فيها العربي والأعجمي والذمي والوثني، فلا جرم أن الله يدبر بحكمته الأمر على أن يعيش هؤلاء جميعا سعداء في ظله. وماذا تخاف من (الإخوان) وهم يتلون كل يوم قوله تعالى:

«إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»؟

فقال صديقي وقد نقع ما قلت نفسه:

إذا كان رأي الإسلام في المخالفين هذا الرأي، وكان (الاخوان) مسلمين بهذا المعنى، فإنا لنرجو أن يكون أساس المصريين جميعا في البناء هذا الأساس: إيمان خالص بالله وعمل صالح للناس!

احمد حسن الزيات

أن يترجمها ترجمة صحيحة (٤)

وفي القرن التاسع من الميلاد أراد الأتراك ، وقد هجروا استعمال هذه الكتابة ، أن يتعلموا لونا جديدا من الكتابة تسمى بالكتابة الأويغورية . وقد انتقل إلينا كثير من الكتب التركية القديمة المدونة بهذه الكتابة ، كانت موضع دراسة العلماء والباحثين ، منها كتاب « Turrkische turfan.tuxt » وقد حققه العالمان بنج (Bang) وفون جربيان (Von Garbian). ومنها كتاب (المتون المانية التركية) نشره فون لكك (Von Le Coq) كتاب جمع بين دفتيه كثيرا من العقائد والأدعية في المذهب وهو المانى[٥] الذى انتشر بين الترك فى ذلك العصر . ومنها كتب نشرت من قبل أكاديمية العلوم النمساوية بعنوان (Vygurica) وأخرى ذات قيمة أدبية كبرى عثرت عليها فى مدينة «طورفان»

وهنا ينتهى العصر الجاهلى من الأدب التركى وبانتهائه تضمحل الكتابات القديمة شيئا فشيئا حتى تنقرض وتحل محلها الكتابة الإسلامية بالتدريج

العصر الإسلامى :

إن هذا العصر فى الأدب التركى يتكون من أدوار مختلفة تتبع فى تقسيمها ما يلى :

صدر الإسلام : وجد الأتراك ، حين احتكوا بالمسلمين فى القرن الميلادى الثامن ، أن هذا الدين يقوم على نظام اجتماعى متين ، ويستند على أسس أخلاقية تتشابه مع قواعد العرف والعادات السائدة بينهم . فاعتنقوه على عجل . وقد انتشر الدين الإسلامى بين الأتراك انتشارا عظيما حتى أسلمت الأقوام التركية الساكنة فى البلاد المتاخمة لحدود الصين جماعات ووحدانا . ولم يبق منهم غير أفراد قلائل لم يسعدهم الحظ فى الاتصال بالمسلمين

ولقد أفاد الترك من الإسلام إفادة جلى . فنظموا حياتهم الاجتماعية وفقا لاعتبارات هذا الدين الجديد . فانتقلوا من طور البداوة إلى طور الحضارة ، فبدأوا يسكنون المدن وقد اعتزلوا الحياة القبلية إذ رحلوا بعد الإسلام إلى الديار القريبة من مراكز الخلافة الإسلامية

ولم يؤثر فى الحياة الأدبية عند الأتراك دين من الأديان التى اعتنقوها قبلا بقدر ما أثر فيها الدين الإسلامى الحنيف . ويتطلب دراسة هذا التأثير بنوعيه الإيجابى والسلبى تفصيلا وتمحيصا ، وقد أوجزناها الآن فى سطور عسى أن نجد فرصة أخرى نعالج فيها هذا الموضوع بالشرح والتمحيص

لقد كان أثر الإسلام فى الأدب التركى أعظم من أثره فى الأدب العربى كما يتبين ذلك من الآتى :

غير الإسلام من غير شك مجرى الحياة الأدبية عند الأتراك تغييرا عظيما . فأخرج الأدب التركى من عزلته الجاهلية وأدخله فى قائمة الآداب الشرقية الحية . فنرى منذ ذلك اليوم ازدهارا كبيرا ونموا متزايدا فى النتاج الأدبى عند الترك . ويندر أن نجد آثارا خلفها الترك من عصر جاهليتهم ، إذ أن غالب الآثار التى أنتجها رجال الفكر التركى منشؤها هذا الدين القيم الذى مهد السبيل أمام المفكرين وأنار لهم الطريق، طريق الرقى فى مدارج العلم والثقافة

وقد كان من آثار هذا الدين اقتباس الترك الأفكار الأدبية من خزائن الآداب الإسلامية الأخرى وإضافتها إلى ثروتهم

وكان الأدب التركى فى الجاهلية أدبا فرديا غير متسم بطابع الأدب الجماعى، ونعنى بالأول ذلك اللون من الأدب المشتت شمله والمجهول عوامله، الصادر عن عقلية ضعيفة غير متكاملة . فما كان من الإسلام إلا أن وحد اتجاه الأدباء فى أساسه توحيدا كاملا

ولا ينكر ما لهذا الدين من تأثير سلبى فى الأدب التركى من بعض الوجوه ، كاللغة . فقد كانت اللغة التركية خالصة فى أصلها، خالية من الألفاظ الأجنبية . وبعد نشوء العلاقة الدينية بين الأتراك وبين غيرهم من الأقوام بدأت الألفاظ الغريبة من فارسية وعربية تتسرب إلى هذه اللغة بالتدريج حتى شاع بين الأتراك استعمال بعض القواعد الأجنبية فى الكتابة استعمالا أذهب من اللغة التركية رونقها

وقد تأثر الكتاب الأتراك بلغة القرآن تأثرا بليغا حتى حدا

(٤) راجع لدراسة هذه الكتابات الأستاذ نجيب بك عاصم مدرس اللغات العرقية فى الآستانة سابقا فى كتابه «تماثيل الأورخون» باللغة التركية

(٥) وبالأحرى الديانة المانيكية « Manicheism » التى نفذت بين الفرس قديما وهى تجعل إبليس فى مستوى الخالق

بعضهم إلى استعمال اللغة العربية في الكتابة عوضا عن لغته الأصلية . وقد أنتجوا كثيرا من المؤلفات القيمة في هذه اللغة من بينهم فلاسفة عظام ومفكرون مشهورون . أمثال الفارابي وابن سينا والزمخشري — صاحب الكشاف ومؤلف كتاب مقدمة الأدب — كما وأن آخرين منهم انساقوا بسبب الملابسات والظروف إلى استعمال الكتابة الفارسية بدلا من التركية أمثال جلال الدين الرومي صاحب المثنوي المعروف وغيره من المفكرين

التصوف في الأدب التركي :

ليس من شأننا الآن أن نتحدث عن تاريخ التصوف الإسلامي في عصوره المختلفة، وإنما وددنا أن نتطرق بإيجاز إلى النواحي الأدبية منه بقدر ما يتعلق بالموضوع

إن آثار التصوف بدأت تظهر شيئا فشيئا في الأدب التركي منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وذلك حينما استخدم العالم المعروف الشيخ محيي الدين بن العربي نظريته المعروفة « وحدة الوجود » التي كان لها الأثر البالغ في الأدب التركي طوال العصور

وقد تأثر شعراء الترك كذلك بفلسفة الجاذبية الإلهية التي كان أصحابها يوقنون بتمثل القدرة الإلهية في النفس البشرية عن طريق الإيمان بذاته إيمانا يطرد الشرور الكامنة في النفس ، فيتجسم النور الإلهي في القلوب تجسما يكاد يحسه المؤمن في كل حين .. وكان هؤلاء الرجال يعشقون جمال الله عشقا خالصا لا يخامرهم فيه شك ولا يأخذهم منه ريب . ولم يكن هذا العشق الإلهي في نظرهم كالحب المجازي الذي يشعر به الإنسان تجاه الآخرين ، بل كانوا يعتبرونه مودة صافية ناشئة من فرط ميلهم للوجود المطلق

ومن استطاع في رأيهم أن يتغلب على النفس الأمارة بالسوء بدافع غلاب لا يحمله إلا القليلون، واندمج في الوجود المطلق ، فقد بلغ الغاية القصوى ونال الدرجة العليا في سلك التصوف لحاز رتبة (الفناء في الله)

ولقد تظاهر كثير من شعراء الترك بهذه الفلسفة زمنا غير قليل، نذكر منهم الشاعر المعروف (نسيمي) (٦) من شعراء القرن الرابع عشر الميلادي الذي ألف ديوانا ضخما في الشعر التصوفي ، وقد اشتمل هذا الديوان على قصائد جياد في تمجيد ما ذهب إليه الصوفي الإسلامي الكبير (الحلاج المنصور) . وكان نسيمي قد سلك مسلك الحلاج في قوله « أنا الحق » مما أثار ضجيج العلماء في عصره ، فاغتاظ منه رجال الدين وأمروا بقتله فكشطوا جلده حيا فهلك

ومنهم الشاعر الإنساني العظيم (يونس أمره) وهو أحق أن نفرد له مقالا خاصا في الرسالة ليتبين القارئ مدى قيمته الأدبية ومنزلته الممتازة بين الشعراء الصوفيين . ونكتفي اليوم بإيراد منظومة مترجمة له من قصيدة مطلعها :

برساقيدن ايجدم شراب عرشدن بوجه ميخانه مى

يقول :

تناولنا الخمر من ساق كانت خمارته فوق العرش
فأصبنا بالحرارة السكر ، ففدينا الأرواح (٧)

حبذا هذا المجلس الذي تشوى فيه الأكباد على نار شمع وهاج
تدور حوله الشمس كما تطير الفراشة حول النار

وفي هذا المجلس تنطلق صيحات « أنا الحق » من أفواه المخمورين الذين يعد أفقرهم في التصوف، في مستوى الحلاج المنصور

ثم ينهي الشاعر منظومته بخطاب يوجه إلى نفسه قائلا :

حذار من مخاطبة الجاهلين بهذا الكلام الفياض
فإنك تعلم كيف يقضي هؤلاء الوقت ..

ويلاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر كنى عن الإله بالساقي . وعبر بالخمر عن العشق الإلهي . كما أنه ورى حرقة كبده في حب الإله بشي الكباب في مجلس الشراب

وقد انتشرت هذه الألوان من المصطلحات الصوفية بين الشعراء حتى شاع استعمال كثير من تعابير اللهو والطرب في موضع التغني بذكر الله ...

البقية في العدد القادم

عطا الله ترزي باشي المحامي
بغداد

(٦) ونسيمي من السادة الكرام ولد ببغداد واعدم في مدينة حلب واسمه الحقيق (عماد الدين)

(٧) ولغيره من الشعراء انظر : فؤاد كوبريلي في مجلة يكي تورك عدد ٤ ، ج ١

٣ ـ التعليم فى مصر

للاستاذ عبد الحميد فهمى مطر

كل من استمع إلى بيان سعادة الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف الأسبق فى الإذاعة ، أو اطلع عليه فى الصحف ، من عبث الطلبة بالمدارس ، واستخفافهم بجميع القيم الخلقية والآداب الرعية ، وما تبع ذلك من إغلاق جميع المعاهد التعليمية فى البلاد ، مما لم يعهد له مثيل من قبل ، يعتقد بأن المدرسة المصرية أصبحت فى مسيس الحاجة إلى إصلاح شامل ، لايقتصر على مناهجها ، بل يتجاوز ذلك إلى نظمها بل إلى روحها ، حتى لا تنتهى إلى الفشل فى مهمتها . ولقد أصبح واجباً وطنيا على جميع كبار المربين ، وعلى رأسهم الأستاذ الكبير معالى رفعت باشا وزير المعارف العمومية ، بل وعلى جميع القادة والمفكرين أن يبحثوا وأن يفكروا تفكيراً عميقاً فى علاج هذه الحال الأسيفة المؤلمة ، التى تهدد الأخلاق بالبوار ، وحياة الأمة كلها — لاقدر الله — بالدمار ، والتى أتينا على وصف الكثير منها فى مقالينا السابقين بمجلة الرسالة الغراء ، ذات الأثر الفعال فى العمل على إنهاض هذه الأمة

إن الواجب يقضى علينا أن نذكر زعماءنا وقادتنا بما نحسه من عيوب وعقبات فى طريق نهضتنا ، لنتعاون جميعاً على إصلاح أنفسنا ، وواجبنا أن لا نستصغر ما فى هذا الأمر الجلل من خطورة ، وأن نكون صرحاء فلا نداری ولا نماری لنأخذ الأمر بما يستحقه من جد ، وأن لا يكون مثلنا مثل النعامة تغمض عينيها وتخفى رأسها فى الرمال ، ظنا منها أنها ستفلت بذلك من الصياد ، فاذا به يدهمها ويقضى عليها

لقد كان حال مدارسنا قبل ثورة ١٩١٩ ، أى منذ ثلث قرن من الزمان غير حالها اليوم . كان حالها يملأ نفوس طلابها احتراماً لها وتقديساً ، وكانت نفوس أبنائها الفتية تمتلئ تقديراً للأساتذة وتقديراً للمسئوليات الملقاة عليهم ، ولكن تلك النفوس الفتية كانت كذلك تمتلىء رهباً من النظار وكثير من الأساتذة ، فكنا نأخذ على المدرسة ما فيها من شدة وقسوة ورهبة ، كما كنا نأخذ عليها ما فيها من بعد عن الحياة الطبيعية فى روحها وفى نظامها ، ولكن الجد والاحترام والتقديس كانت أسساً تقوم عليها الحياة المدرسية كما هو الحال اليوم فى حياة المدارس الأجنبية التى بين ظهرانينا . فاذا جد فى مدارسنا فى السنين الأخيرة ، حتى بعد أبناؤها عن الجد والوقار ، وركنوا إلى العنت والاستهتار ، مما اضطر الكثيرين من الزعماء والكبراء إلى إبعاد أبنائهم عنها ، والإلقاء بهم فى أحضان المدارس الأجنبية ، التى لا شك فى أنها تضعف القومية ، وبوهن بعضها فى نفوس أبنائنا العقيدة الوطنية والدينية ، فكيف نغفل طوال السنين عن الفارق الكبير بين مدارسنا وبين تلك المدارس الأجنبية ، ذلك الفارق الذى جعل منها مدارس ممتازة يفضلها الآباء الموسرون ، ويحبها ويؤثرها على غيرها الأبناء المدللون . إن هذا الفارق واضح فى نظمها وبين فى روحها التى تشيع المحبة والتعاطف والتعاون بين أساتذتها وطلابها ، فهلا درسنا ذلك وتأملناه وعملنا له فى مدارسنا وكلياتنا ؟

إن المدارس الأجنبية تستخدم العصى أحياناً فى تأديب التلاميذ الذين عز عليها علاجهم ، ومدارسنا منعت فيها عصى التأديب من زمن بعيد ، ومع ذلك ترى الناشئ فى المدرسة الأجنبية التى تهوى بعصاها عليه أحياناً يحترمها ويقدسها ، أما عندنا ف . . . . ، ولم يبق لدينا اليوم غير كلية واحدة أو كليتين ، ومدرسة ثانوية أو مدرستين هى التى حافظت على كيانها ولم تتأثر كثيراً بما يجرى فى مختلف الكليات والمدارس ، فحفظت توازنها واحترام طلابها لها . أعتقد أن كلية الطب هى من بين الكليات؛ والمدرسة الثانوية النموذجية هى من بين المدارس الثانوية التى لا زال الجد والوقار يحف بهما فى عملهما ، ولما يتسرب إليهما الفساد الذى سرى فى غيرهما ، وأسأل الله أن يحفظهما من هذا العبث . فهلا تعرفنا الأسباب الحقيقية لذلك علنا نرسم الخطة المثلى للعودة بالمدرسة المصرية إلى جدها ووقارها !

إن الجفوة بين الطالب وكليته وبين التلميذ ومدرسته ، كما وأن الجفوة بين المدرسة المصرية والبيئة المحيطة بها ، هاتان الجفوتان اللتان تميزت بهما مدارسنا جفوتان قديمتان ، نبهنا إلى علاجهما من زمن بعيد فى تقاريرنا وفى مقالاتنا وفى كتابنا « التعليم والمتعطلون فى مصر » الذى أصدرناه منذ ثلاثة عشر عاماً ، وقد جاء فى مقدمته : « عملت بين جدران المدارس زماناً طويلا ، كنت أحس فيه أن المدرسة التى عملت فيها تلميذاً ، والتى عملت فيها مدرساً ، والتى عملت فيها ناظراً ، لم ينلها شىء محسوس من التغيير ، ولم يتطرق إلى روحها شىء من التجديد ، فهى لا زالت تسير على نفس الوتيرة القديمة ، مليئة بنفس الروح القديمة ، يحس تلميذها إذا ما دخلها بانقطاعه عن العالم وما فيه ، إلى شبه سجن غير محبوب إذا لم يوصف بأنه مكروه ، ولكن الجميع ظلوا يكبتون عواطفهم إزاءها ، لما تجلبه من خير الوظيفة إلى طلابها بعد نيل شهادتها ، وظلت المغريات القديمة تدفع الناس دفعاً للسعى إليها »

وجاء فى تقرير رفعته إلى معالى وزير المعارف فى مارس سنة ١٩٢٨ ما يأتى : « فالمدرسة الابتدائية وكذا الثانوية لا زالت منفصلة تماماً عن البيئة المحيطة بها ، يدخلها التلميذ فيتصور أنه فى عالم آخر غير عالمه الذى يعيش فيه ، ونظرية حشو الأدمغة بالمعلومات البعيدة عن الحياة العملية لا زالت متجسمة فى المنهج الجديد تجسمها فى القديم ، ولا زال كثير من التلاميذ يبغضون المدرسة وذكرها وكل ماله مساس بها »

وجاء فى صفحة ١٨ من مؤلفى السابق الذكر فى الكلام عن المستر دنلوب الذى ظل مستشاراً للمعارف أكثر من ربع قرن من الزمان فى بدء الاحتلال ما يأتى : « بهذه الطريقة أوجد دنلوب بين جدران المدارس نظاماً عسكريا جافا شديداً ، إذ أصبح خير نظار المدارس ذلك الذى يقلده فى كبريائه وشدته ، فاجتهد كل ناظر أن يقسو القسوة كلها على مرؤوسيه وتلاميذه ، وحاول المدرس بدوره أن يعامل أبناءه بمنتهى الشدة والجفاء ، وأن يبتعد عنهم ويتكبر عليهم ما أمكنه الابتعاد والكبرياء ، حتى أصبحت العلاقة بين المدرس وتلميذه علاقة عداوة وشحناء ، لا عطف فيها ولا مودة ولا هوادة ، كل يتربص بصاحبه الدوائر ويحاول إيذاءه بمختلف الوسائل ... الخ »

ولقد ظل الحال كذلك والمستعمر ينفث سمومه فى التعليم ، حتى أفسد جوه ونجح فى تبغيض الأبناء فى المدرسة وكل ما فيها ، لكن هذا الشعور ظل مكبوتاً زمناً حتى ثارت البلاد ثورتها سنة ١٩١٩ تطالب حريتها ، فبدأ التلاميذ يتمردون على المدرسة ، وبدأ شعور الكراهية يظهر شيئاً فشيئاً ويزداد ظهوراً كلما ضغط المستعمر على البلاد ، وحاول إخضاعها للحديد والنار ، وجاء دور الحزبية التى شجعها المستعمر فلعبت بعقول التلاميذ والطلاب ، وزادت نار الحقد والكراهية أوارا حتى صاروا فى شبه ثورة جامحة على المدرسة ونظمها وتقاليدها وكل ما فيها ، وفقد الأساتذة سلطانهم الروحى والعلمى عليهم ، خصوصاً بعد أن اضطرتنا ظروف نشر التعليم المفاجئة السريعة أخيراً إلى الالتجاء إلى كثير من المدرسين الحديثين ، الضعاف فى مادتهم والضعاف فى أساليبهم وسلطانهم الروحى والعلمى .

ولو أن المدرسة كانت محببة إلى أبنائها ، ولو أنها كانت متصلة اتصالا وثيقاً ببيئتها متفاعلة معها ، وكان أساتذتها ذوى سلطان علمى قوى على تلاميذها ، ووجد فيها التلاميذ الغذاء العلمى والروحى الذى يطمئنهم ويرضى نفوسهم كما هو الحال فى المدارس الأجنبية وفى كلية الطب وفى المدارس الثانوية النموذجية لما فعل الطلبة بمدارسهم هذه الأفاعيل ، ولما استباحوا لأنفسهم حرماتها وعبثوا بمقدساتها ، ولو أن المدارس الأجنبية فى مصر والمدارس الثانوية النموذجية وكليات الطب كانت غير محببة لدى أبنائها ، غير عابئة كغيرها بالاتصال بالحياة المحيطة بها ، ذلك الاتصال الذى يجعل منها قطعة من الحياة ، لما حرص عليها طلابها ، ولفعلوا بها كما فعل غيرهم من الأبناء ، فالكل مصريون والكل شعورهم واحد وبيئتهم واحدة

لهذا كله أدعو مجالس الكليات كما أدعو كبار المسئولين عن التعليم إلى دراسة أحوال الكليات والمدارس دراسة عميقة لجعل

الحب والتشويق والاتصال المباشر بالحياة العاملة ، والتعاون بين الأساتذة والطلاب أسساً حقيقية فى حياة المعاهد التعليمية جميعها، وإلى العناية بالغذاء الروحى المقوم للنفوس والقلوب ، والكفيل بتقويم الضمائر ، ودفعها لحماية جميع المقدسات والحرمات ، مع الحيلولة بين الطلاب والحزبية المقوتة فى سبيل القضاء على الفوضى والفساد والترهات ، كما أدعو كبار المسئولين من رجال المعارف إلى البحث والتمحيص فى انتقاء نظار المدارس والناظرات ممن حسنت سمعتهم وترفعوا عن الدنايا والموبقات ، بل ممن ارتفعت شخصياتهم عن كل الشبهات ، فبهؤلاء وبهؤلاء خاصة يمكن أن يوجه الأساتذة التوجيه الصحيح ، الكفيل بصلاح حال الأبناء . والله أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يوفقنا إلى استقامة حياتنا واستعادة مجدنا إنه نعم المولى ونعم النصير

عبد الحميد فهمى مطر

على مشرفه باشا

(بمناسبة ذكرى وفاته)

للأستاذ أحمد على الشحات

عالم من خيرة علماء مصر ، ونابغة من النوابغ الذين ظهروا فى هذا العصر ، وأول عميد مصرى لكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول — ظهر نبوغه مبكرا منذ فجر الشباب ، فنراه يتخرج فى مدرسة المعلمين العليا عام ١٩١٧ وهو إذ ذاك فى التاسعة عشرة من عمره ، وتوفده الحكومة للخارج ، فيحصل على درجة البكالوريوس فى العلوم عام ١٩٢٠، وعلى درجة دكتوراه الفلسفة عام ١٩٢٣ ، وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، ويرجع إلى بلده العزيز مصر ليعين أستاذا للرياضيات فى المعهد الذى تخرج فيه وهو المعلمين العليا . ولكن نفسه التواقة للعلم تشغف بالتطلع إلى أعلى درجة جامعية فى العالم ويرى أن بلده لم ينل فخر الحصول عليها بعد وهى دكتوراه العلوم ؟ فيتصدى مشرفة لها ويطلب من وزارة المعارف أن تعطيه الفرصة ليحصل عليها من أجل مصر ، لأنه كان يؤمن أن مجد البلاد إنما يقوم على العلم ، وأن الأمم العظيمة هى التى اهتمت بالعلم وبالعلماء فأخرجوا لها الاكتشافات والاختراعات ، ولقد صدق شوقى رحمه الله حين قال

كل يوم آية دالة على ... أن للعلم القوى والغلبا
لو بنوا فوق السها مملكة ... لوجدت العلم فيها الطنبا
سلم الناس إلى المجد إذا ... طلبوا ســـلمه والسببا

ولكن أنى لمشرفة أن يعطى الفرصة لهذا المجد والذين بيدهم السلطة فى ذلك الوقت كانوا الإنجليز ، وأنه ليس مما يسر خاطرهم أن يظهر النبوغ المصرى أمام العلماء فى الخارج ، فيعقدوا الأمور له . وأخيرا يتحدونه بشكل مستتر فيوافقون على سفره على شرط أن يحصل على هذه الدرجة التى لا يتطلع إليها فى العالم إلا القلائل ممن وهبهم الله ملكة عالية فى الرياضيات أن يحصل عليها فى فترة الإجازة الصيفية . ويقبل مشرفة التحدى ، وينصره الله نصرا عزيزا ، ويحدوه المعجزة ، ويمنح هذه الدرجة العليا من بلاد الإنجليز ومن جامعة لندن وهو فى السادسة والعشرين

ويرجع مشرفة إلى مصر ليجد أن عاهل مصر العظيم المغفور له الملك فؤاد الأول ينشئ الجامعة المصرية من كليات الآداب والطب والحقوق وكلية رابعة لم يكن لمصر بها عهد من قبل وهى كليـة العلوم ، ويطلب مشرفة أن يعين أستاذا فى هذه الكلية فترفض الجامعة مع اعترافها بأنه حائز لأرقى درجة جامعية فى العالم ، ولـكن هناك مانع قانونى يقف فى سبيله ؛ هـذا المانع هـو أن سنه صـغيرة ويجب فى نظر الجامعة ألا يقـل سن الأستاذ عن الثـــلاثين عاما ، وترضى الجامعة أن تعينه أستاذا مساعداً فقط . وتثار هذه المسألة — الأولى من نوعها — فى البرلمان ويتدخل الزعيم الراحل سـعد زغلول باشا ليقنع الجامعـة بأن صغر سن مشرفة يجب أن يقابل بالتقدير ، وأنه هو دليل النبوغ . وأخذت الجامعة بوجهة نظر الزعيم ورق

مشرفة إلى درجة أستاذ بالجامعة عام ١٩٢٦ وعضى سنوات عشر فإذا به ينتخب عميداً لهذه الكلية وهو دون الأربعين من عمره إذ كان في الثامنة والثلاثين آنئذ . وقد حصل على رتبة البكوية في هذا الوقت . ويتابع مشرفة نشاطه العلمى وبحوثه الرياضية ، وتنشر في الخارج في أمهات المجلات العلمية

ويزداد تقدير العلماء له فيدعوه أينشتين ذو الشهرة العالمية في الرياضيات وصاحب نظرية النسبية وأحد أقطاب القنبلة الذرية أن يحاضر كأستاذ زائر بأمريكا في جامعة برنستون عام ١٩٤٧ ، وأن ينزل ضيفاً على الحكومة الأمريكية ؛ وتوافق الجامعة على طلب العلامة الأمريكى ، ولكن تجد ظروف خاصة تمنع مشرفة من الذهاب ويبقى في مصر

وكان مشرفة من المؤمنين بأن العالم يجب ألا يبقى في برجه بين جدران معامله ، بل يجب أن يساهم في بناء المجتمع وفي نشاطه وفي تبسيط العلم لجمهرة الناس ، فنراه يلبى دعوة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ويلقى سلسلة من الأحاديث عن الذرة والقنبلة الذرية وعن (العلم والدين) (والعلم والمال) (والعلم والسياسة) (والعلم والصناعة) (والعلم والأخلاق) وغيرها . كما لم تخل صحيفة يومية أو مجلة ثقافية من مقالاته وآرائه ، وفي مقدمتها مجلة الرسالة الغراء

واتسع نشاطه فنراه يخرج للناس عدة كتب علمية منها النظرية النسبية الخاصة — ومطالعات علمية — والذرة والقنبلة الذرية — ونحن والعلم — والعلم والحياة — ويهتم بدراسة علماء العرب فيساهم في إخراج كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمى ، ويؤلف عدة كتب في الميكانيكا والهندسة والرياضيات لوزارة المعارف العمومية ، كما عهدت إليه الوزارة في ترجمة بعض المؤلفات العلمية الأجنبية

ويساهم في إنشاء الهيئات المختلفة من علمية أو اجتماعية ، فنراه بالمجمع المصرى للثقافة العلمية، وبالأكاديمية المصرية للعلوم وباللجنة الأهلية للرياضة البدنية ، وبمجلس فؤاد الأول الأهلى للبحوث، وبالجمعية المصرية للثقافة العلمية، وبالجمعية المصرية لهواة الموسيقى، وبجمعية القرش للصناعات المصرية، وجماعة إنقاذ الطفولة المشردة، وبالمجلس الأعلى لشؤون الموسيقى بوزارة المعارف

وفي عام ١٩٤٦ انتخب وكيلا لجامعة فؤاد الأول وحظى بعطف المليك وتقديره فأنعم عليه برتبة الباشوية، وأخيراً كان على مشرفة أن يسير في الطريق التى لا بد أن يسير فيها كل كائن حى حين يستوفى أجله

جاء إلى هذه الدنيا في يونيه ١٨٦٨ وتركها في يناير سنة ١٩٥٠ وبين هذين التاريخين أظهر من آيات النبوغ ورجحان العقل ما يجعل ذكراه تخلد على الدهر

أحمد على الشحات

الباكستان

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دولة طاهرة نقية (١) أنقذها الله من براثن الرجس والوثنية، أولى الدول الإسلامية إذ أنها أكثرها سكانا وأوسعها مساحة وأملها أكثرها رقيا وتقدما

وخامسة دول العالم كله؛ فترتيبها من حيث تعداد السكان كما يلي: الصين، الهندستان، الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الباكستان

دولة الغد المأمول والأمل المشرق، ولدت فكان ميلادها أمنا وسلاما لإخواننا المسلمين من أبناء القارة الهندية. دولة خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله

تلك هي دولة الباكستان، وقد كان من الطبيعي أن أبدأ بالكتابة عنها تحقيقا للرغبة الكريمة التي أبدتها الأديبة الفاضلة بهيجة المنشاوي والتي نشرت في العدد ٩٧٦ من مجلة الرسالة الغراء حاملة لواء الفكرة الإسلامية

وقد كان من جميل المصادفات أنني حين أردت الكتابة عن الباكستان تناولت كتابا (٢) من أحدث ما كتب عنها وكانت صيغة الإهداء فيه هي ما يلي:

إلى الفتاة العربية

التي ينتظر الغد منها أن تحمل التبعة في سبيل تنشئة جيل جديد قوي

يتذكر مجد الماضي فيمحو عار الحاضر ويحسن بناء المستقبل

فالمؤلف يهدي كتابه إلى الفتاة العربية وأنا أكتب تحقيقا لرغبة الأديبة الفاضلة، وهدفنا جميعا إقامة كتلة إسلامية قوية ينعم أبناؤها في ظلها بالكرامة والحرية، وتكون الميزان الدولي للسلام العالمي

١ : باك = طاهر ستان = أرض أو دولة

٢ : «باكستان دولة ستعيش» للدكتور عمر فروخ

الموقع:

الباكستان ثانيه دولتين تقومان في شبه القارة الهندية التي تقع في جنوب آسيا وتطل على البحر العربي من الغرب وخليج البنغال من الشرق والمحيط الهندي من الجنوب، وفي شمالها تقع جبال الهملايا والمرتفعات الوسطى بآسيا

وفي غرب الباكستان تقع أفغانستان وإيران. وتضم الباكستان الولايات الإسلامية من شبه القارة الهندية ولكنها لم تستطع أن تضم جميع مسلمي الهند إليها فما زال كثير منهم يقيم في أرض الهندستان. وتبلغ مساحتها ٣٦٠٠٠ مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي مائة مليون نسمة

وهي تنقسم إلى قسمين: الباكستان الشرقية وتتكون من إقليم البنغال الذي يتكون من المنطقة الواقعة عند مصب نهر الكنج

والباكستان الغربية وتتكون من حوض السند وبلوخستان ويفصل بين القسمين مسافة لا تقل عن ألف ميل. وهناك منطقتان ما زال النزاع قائما بين الباكستان والهندستان عليهما: الأولى مقاطعة حيدرآباد ومساحتها حوالي ٨٢ مليون كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ١٦ مليون نسمة، والثانية مقاطعة جو وكشمير

وسنتحدث عن مشكلة المقاطعتين بالتفصيل فيما بعد

قصة الباكستان

وأحب قبل أن أتحدث عن الباكستان من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية أن أحدث القراء عن قصة قيام الباكستان تلك الدولة التي نشأت منذ خمس سنوات فقط

دخلت بلاد السند وبلوخستان في دائرة العالم الإسلامي منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان. وفي أوائل القرن السابع عشر الميلادي كانت جميع بلاد الهند في يد المسلمين وكان يحكمها المغول

ولكن منذ عصر النهضة الحديثة وعصر الاستكشافات بدأت تنتاب الشعوب الأوربية حمى الاستعمار وبدأت إنجلترا تنسج شباكها حول الهند فأنشأت معها علاقات تجارية، ثم كان

من الطبيعي أن يقوم النزاع بين شركات التجارة وبين حكومة الهند وانتهى الأمر باستيلاء إنجلترا على الهند . وفى ١٧٦٣ طردت إنجلترا الفرنسيين من معظم المراكز التجارية التى كانت لهم بالهند وأصبحت الهند الدرة اليتيمة فى التاج البريطانى . ومنذ ذلك التاريخ والسياسة الانجليزية تحرص تماما على سلامة الهند ، والمقصود بسلامة الهند معناه قطعا عدم خروج الهند من يد بريطانيا إلى يد دولة أخرى ، ومعناه أيضا الوقوف فى وجه الهند ومنعها من تحقيق استقلالها . وأكثر من هذا لقد كان الحرص على سلامة الهند محور السياسة الانجليزية . استمع إلى قول وارن هستنجس حاكم الهند ١٨٠٠ « منذ نزول الفرنسيين بأرض مصر (١٧٩٨) لم يغمض لى جفن » ، وانظر إليه وهو يدفع حكومته دفعا حتى ترسل عدة حملات ١٨٠١ ساهمت فى طرد الفرنسيين من أرض مصر وساعدت الأتراك والمصريين على إجلائهم منها

لماذا كل هذا الاهتمام بالهند ؟ يرجع السر فى ذلك إلى عاملين خطيرين : ١ : إن الهند مورد عظيم من موارد المواد الخام والمواد الغذائية اللازمة للشعب الانجليزى وللصناعة الانجليزية

٢ : إن الهند سوق كبيرة لتصريف المصنوعات الانجليزية . هذا من ناحية انجلترا، أما من ناحية الهنود فقد حاولوا التخلص من نير الاستعمار الانجليزى وقامت ثورة كبيرة ١٨٥٨ ولكنها لم تنجح . وبرغم هذا فقد تكون حزب المؤتمر ١٨٨٥ وكان ينادى بأن تنال الهند استقلالا ذاتيا وتبقى ضمن دائرة مجموعة الشعوب البريطانية . وقد اشترك كثير من المسلمين البارزين فى هذا الحزب الذى كان يرمى إلى تحرير الهند نوعا من الاستعباد البريطانى

ولكن المسلمين بدأوا يشعرون بأن انجلترا والهندوكيين يأتمرون بهم ويبيتون لهم الغدر والشر ، ولذلك قاموا فى ١٩٠٦ بتأسيس الرابطة الإسلامية

ومضى الزمن والهنود يجاهدون فى سبيل حريتهم ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فوقفوا مسلمين وهندوكيين بجانب بريطانيا وحلفائها حتى تحقق لهم النصر ، ومات كثير من أبناء الهند فى مختلف ميادين القتال . وانتهت الحرب واعتقد الهنود أن حريتهم ستكون مكافأتهم على تضحياتهم ، ولكن انجلترا خيبت آمالهم ، واكتفت بالقيام ببعض إصلاحات لا قيمة لها

أدى موقف انجلترا هذا من قضية الهند إلى قيام الثورة الهندية المعروفة بحركة العصيان المدنى والتى تزعمها المهاتما غاندى سنة ١٩٢١ . وقد وقف المسلمون وكان يقودهم مولانا شوكت على ومولانا محمد على بجانب غاندى ، وقاموا بنصيب موفور من الجهاد مما أغضب الانجليز فأخذوا يسلطون عليهم سياط التعذيب من قتل وسجن ، إلى سلب ونهب ، فامتلأت بهم السجون والمعتقلات ، وتحملوا فى سبيل الكفاح الكثير من الخسائر . ومع هذا تحمل المسلمون صابرين . وبدأ مركز انجلترا يتزعزع

لجأت انجلترا إلى سياستها التقليدية وهى إيقاع الفرقة فى صفوف الأمة ، فبدأت تتقرب من الهندوس وتتآمر معهم ضد المسلمين ، وأخذ بعضهم يعلن ما بيتوا على رؤوس الأشهاد . قال سافاركان أحد قادتهم : إن الهند لن تستطيع أن تكون بلدا موحداً ولا أمة موحدة ، إن فيها أمتين : الهندوس والمسلمين

وفى عام ١٩٢٥ نشر هار ديال أحد كبار الصحافيين مقالا جاء فيه : « إننى أعلن أن مستقبل الجنس الهندوكى فى الهندستان والبنجاب (إسلامية) يجب أن يقوم على أربعة أسس : الوحدة الهندوكية ، الحكم الهندوكى ، تجنيس المسلمين ثم احتلال الأفغان ومناطق الحدود الجبلية ، وإلا كان مستقبل الأمة الهندوكية كلها فى خطر »

وهكذا وضح للعيان أنه لا يمكن أن تقوم فى الهند دولة موحدة ، والواقع أن الخلاف بين المسلمين والهندوكيين كان كبيراً جدا : إن المسلمين يعبدون الله ولا يشركون به ، وقد أحل لهم أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم وأن ينحروا البقر ، والبقرة حيوان مقدس لدى الهندوس بل هى إحدى معبوداتهم

من أجل هذا كنا نتوقع دائما عند قدوم عيد الأضحى أن نسمع عن مذابح الهند ، فقد كان المسلمون ينحرون البقر وسرعان ما تقوم المعارك بينهم وبين الهندوس ويسقط فيها آلاف القتلى

ورب قائل يقول : لماذا عمد الهندوس إلى اقتراف تلك الجرائم

فى عهد الاستعمار ؟ وأنا أذكره بأن المسلمين كانوا سادة الهند وحكامها قبل هذا العصر ، فمن الطبيعى أن تكفل لهم سيادتهم وأمنهم وسلامتهم . أما وقد زال سلطانهم على يد الإنجليز وبدأت الهند تتحرر ، فقد أخذ الهندوكيون بتحريض إنجلترا يرتكبون تلك الفظائع ويعملون على (تعجيس المسلمين) أو إهلاكهم

وقد أدى كل ذلك إلى اعتقاد مسلمى الهند بأنه لا نجاة لهم إلا إذا قامت لهم دولة مستقلة ، وقد تزعم هذه الحركة المباركة القائد المخلص محمد على جناح

وقد كان أول مؤتمر رسمى اشترك فيه المسلمون بصفتهم الرسمية هو مؤتمر المائدة المستديرة الذى انعقد فى لندن ١٩٣٢

وفى ١٩٣٧ أعلن البانديت جواهر لال نهرو — رئيس وزراء الهند الحالى — أن هنالك من الهند حزبين : الحكومة الانجليزية وحزب المؤتمر . حينئذ اضطر محمد على جناح أن يقول: بل إن ثمة حزباً ثالثاً هو الأمة الإسلامية

فى هذا الوقت كان قيام دولة إسلامية مستقلة طيفاً يداعب خيال المسلمين ، ولكن الله جلت قدرته قد حقق هذا الحلم بأسرع مما كانوا يظنون

ففى ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية وتحرج مركز انجلترا وطلبت من الهنود الإخلاد إلى السكينة وترك قضية التقسيم جانباً حتى تنتهى الحرب ، ولكن القائد الأعظم محمد على جناح قال : إننا نوافق على الهدنة فى كفاحنا السياسى إذا رضيت بريطانيا بشرطين :

١ — أن تعلن الحكومة البريطانية إعلاناً صريحاً بأنها لاتتبنى دستوراً لحكم الهند فى زمن الحرب أو بعد الحرب من غير موافقة سابقة من جانب المسلمين

٢ — أن يكون للمسلمين نصيب مساو لنصيب غيرهم من السيادة وفى مراقبة أمور الحكومة المركزية والحكومات الإقليمية

وقد رضيت انجلترا بذلك ووافقت عليه وأعلنت فى ١٩٤٠ أنها لن توجد فى الهند شكلا من أشكال الحكم لا ترضى عنه عناصر كثيرة العدد قوية الأثر

قبل المسلمون هذا التصريح ولكن الهندوس رفضوه وقاموا بحركة عصيان ضد إنجلترا ولكنها فشلت لعدم اشتراك المسلمين فيها

وفى ١٩٤٤ اجتمع غاندى بمحمد على جناح فى بمباى وحاول أن يتفق معه على عدم تقسيم الهند ، ولكن محمد على جناح رفض رأى غاندى لأنه كان ضد رغبة المسلمين . وربما يبدو هذا الموقف غير سليم أمام من ينتصرون للقومية ، ولكن أمام هؤلاء أضع الحادث التالى على سبيل المثال : فى عام ١٩٤٧ كان يسكن بلدة أمتسار خمسمائة ألف نسمة منهم مائتا ألف مسلم . وفى يومين اثنين قضى الهندوس على هذا العدد الضخم بالقتل والذبح والتشريد . كيف يمكن مع مثل هذا أن يطمئن المسلمون على أنفسهم ؟ إن السبيل الوحيد هو إقامة دولة إسلامية مستقلة

وانتهت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ وبدأت إنجلترا تعالج مشكلة الهند . وفى أوائل ١٩٤٦ أجريت الانتخابات فى الهند وقد نجح أعضاء حزب الرابطة الإسلامية فى إحراز المقاعد الثلاثين المخصصة للمسلمين فى المجلس التشريعى المركزى ، وهؤلاء هم أنصار قضية الباكستان . وأصبح واضحا تماما أنه لا يمكن إغفال رغبات مائة مليون من السكان

واعترافا بالأمر الواقع قرر البرلمان البريطانى فى ١٩٤٧ ما يأتى :

« ابتداء من الخامس عشر من أغسطس عام ١٩٤٧ يقوم فى الهند حكومتان باسم الهند وباسم باكستان »

وهكذا تحقق حلم إخواننا المسلمين وقامت دولة الباكستان أكبر دولة إسلامية ، تلك الدولة التى خلقت لتعيش وستعيش بإذن الله .

باكستان زنده باد ! (١)

(١) تحيا الباكستان

البحث صلة أبو الفتوح عطيفة

الطبيعة والصنعة فى الفن

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

الفنانون : الشاعر ، والأديب المترسل ، والموسيقار ، والمصور ، والمطرب ، والمثال ، والرسام .. أفراد فى مجموع قبل كل شئ

والفرد فى المجتمع يعطى ويأخذ ويؤثر ويتأثر ...

وعلى قدر استعداد الفرد لتلقى تأثير المجتمع — من غير أن يشل هذا التأثير حيوية نزعة من نزعاته — يكون نجاحه المتكامل فى الحياة الاجتماعية . والطراز الانطوائى من الناس إذا وجد فى الفن متنفسا لطاقته المكنونة ، كسائر « الرومانسيين » ، قد يصل تعبيره إلى أقصى ما يوصل إليه الأداء الفنى من الروعة والإبداع ... وهذا يتفق كثيراً لشاعرة كفدوى طوقان ، التى تقول فى قصيدتها الأخيرة « الصخرة » بالعدد ٩٧٢ من الرسالة :

أنظر هنا ! الصخرة السوداء شدت فوق صدرى
بسلاسل القدر العتى
بسلاسل الدنيا البغى
أنظر إليها كيف تطحن تحتها ثمرى وزهرى
سحقت مع الأيام ذاتى
سحقت مع الدنيا حياتى
دعنى فلن تقوى عليها . لن تفك قيود أسرى
سأظل وحدى فى انطواء
مادام سجانى القضاء

إلى أن تقول :

ستظل روحى فى انقفال
سأظل وحدى فى نضال
وحدى مع الألم الكبير . مع الزمان . مع القدر
وحدى وهذى الصخرة البكماء تطحن .. لا مفر !

كما اتفق كثيرا لشاعر كالمرحوم خرى أبو السعود الذى يقول مناجيا الموت :

لأنت بلاغ النفس خير مروعة بوادى شكوك جمة وهموم
وفيك اجماد عن جهالة جاهل وعن قول مأفون وفعل لئيم
وعندك نسيان وطول زهادة لكل مراد فى الحياة عقيم
لعمرى ما حى بأروح منزلا على الأرض من بال بها ورميم
ولو علم الجانى لما جاد عامداً على خصمه بالموت جود كريم
وتمحو بداك الحقد والخوف والأسى وكل بلاء فى النفوس قديم
وأنت تريح الفكر من كل معضل يظل له فى حيرة ووجوم
وتطوى عن الأجفان صفحة عالم ملىء بأنواع الشرور ذميم
وتطوى كتاب الأمس طيا وما مضى به من بغيض ذكره وأليم
... عزاء لبعض الناس أنك قادم وأن شقاء العيش غير مقيم

وهذان الشاهدان اللذان سقناهما فيهما صدق وعمق فنيان ، نتجا عن شعور صحيح ، أجنحته أحزان الوحدة وصروف القدر ... ولكن آفة الانطواء أن ينفعل الشاعر تحت تأثير القيم الاجتماعية انفعالا فنيا مصنوعا لا مطبوعا ، فيكون تعبيره الفنى واجبا ملتزما به ، أو تقليدا منساقا إليه .. لا أداء حرا صادرا عن فاعلية فائضة من النفس ... فشاعر كبشار الضرير ، حين يقول متغزلا :

يا منظرا حسنا رأيته من وجه جارية فديته
بعثت إلى تسومنى ثوب الشباب وقد طويته

لا يخفى ما يقوله هذا من بعد عن الصدق والواقعية ، علاوة على ركاكة النسج وتكلف المعنى والقافية تكلفا ظاهرا .. وإلا فن (هو) فى ميدان الوسامة والغرام ، حتى .. تسأله هى أن يغازلها ؟ وإذا أردت دليلا قريبا على ذلك فلاحظ معى ، إن شئت ، الظروف الاجتماعية فى عصر المرحوم أحمد شوقى بك ، التى كانت تزين له أن يتصدر دولة الشعر ، تجد أن دولة الشعر

كان عليها فى هذا العصر واجبات ، تقتضيها الضرورات السياسية ومن هنا كان نجاح شوقى غير متكامل فى الحياة الاجتماعية .. فجاء شعره الوطنى والاجتماعى دون وطنيات واجتماعيات شاعر النيل الاجتماعى النزعة ... ذلك لأن شوقيا لم يكن اجتماعى النزعة كحافظ وليس هذا عيبا ؛ وقد قدر أن يكون لكل فرد نوازعه النفسية .. فشوقى كان من الطراز الانطوائى ...

ولو ترك الفنان لشاعرية شوقى لفاضت فيضا ذاتيا لا أثر للاحداث السياسية والاجتماعية فيه ، ولأخلص لناموس الطبيعة وحرية الفن ؛ وإن كان هذا لا يمنعنا من الإقرار بروعة شعره الذى صدر — فى غير الأغراض التى أشرت إليها — عن فاعلية فائضة من أعماق وجدانه ...

وما أرق خمريات أبي نواس ، الذى تراه يبلغ الذروة فيها لطبيعية انفعاله ، اضطرم نتيجة هيام بالخمر معروف عنه ، بلغ حد الهوس ! فجمله يقول :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء ... وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها ... لو مسها حجر مسته سراء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها ... لطافة ، وجفا عن شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها ... حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية دان الزمان لهم ... فما يصيبهمو إلا بما شاءوا
لتلك أبكى ولا أبكى لمنزلة ... كانت تحل بها هند وأسماء

وجمله يقول :

أثن على الخمر بآلائها ... وسمها أحسن أسمائها
لا تجعل الماء لها قاهرا ... ولا تسلطها على مائها
كرخية قد عتقت حقبة ... حتى مضى أكثر أجزائها !
فلم يكد يدرك خمارها ... منها سوى آخر حوبائها
دارت فأحيت غير مذمومة ... نفوس حراها وأنضائها
والخمر قد يشربها معشر ... ليسوا إذا عدوا بأكفائها !

ويقول :

قم يا غلام فقد بدا الفجر ... واسق النديم فما به سكر

من قهوة ما كنت أحسبها ... فى الكأس .. لولا اللون والنشر
رقت .. فما تدرى أبارقها ... أبها هواء ، أم بها خمر !

وأخيرا ، وليس آخرا ، ليت أدباءنا — الذين يصرون على أن يكونوا شعراء على الرغم من افتعالهم وتمحلهم وإمحالهم وضعف أداتهم الشعرية — يتأسون ويعتبرون بصدق ابن المقفع وصراحته ، حين أجاب من سأله عن السبب فى عدم قوله الشعر ، بقوله : « الذى أرضاه لا يجيئنى ، والذى يجئ لا أرضاه » ومن رأيى أن ابن المقفع أسوة حسنة ، وقدوة صالحة ...

فهل تنفع شيئا ليت ؟ هل حقا يستجيب هؤلاء ويتفضلون بإراحة أنفسهم وإراحة الناس وإراحة الفن جميعا ؟

إنا لمنتظرون ؛ ونخشى أن يطول انتظارنا إلى يوم يبعثون !!

السويس **أحمد مصطفى حافظ**

شعراء من أشعارهم

٤ – عدى بن زيد العبادى

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

ولا تنس أنني حدثتك عن إخوة عدى ، وأنهم لدى كسرى ناعمون ، وأنه أقطعهم الضياع وأجزل لهم الصلات . وهذا هو عدى يحدثنا عنهم وعن أهله، ويأسى لأساهم، ويستعين بهم ، ويصف لهم حاله وما هو فيه من قيد ، ومن حديد مضاعف ، ومن غلول ، ومن ثياب أخلاق مرقعات . وهو مع ذلك لا يفوته أن يبرئ ذمته مما اتهم به ، ويؤكد إخلاصه للملك :

ليس شئ على المنون بباق غير وجه المسبح الخلاق
إن نكن آمنين ، فاجأنا شر مصيب ذا الود والإشفاق
فبرى صدرى من الظلم للسرب وحنث بمعقد الميثاق
ولقد ساءنى زيارة ذى قر بى حبيب لو دنا مشتاق
ساءه ما بنا تبين فى الأيدى وإشناقها (١) إلى الأعناق
فاذهبى يا أميم غير بعيد لا يؤاتى (٢) العناق من فى الوثاق
واذهبى يا أميم إن يشأ الله ينفس من أزم (٣) هذا الخناق
أو تكن وجهة ، فتلك سبيل الناس لا يمنع الحتوف الرواق
وتقول العداة أودى (٤) عدى وبنوه قد أيقنوا بغلاق (٥)
يا أبا سهر فأبلغ رسولا إخوتى إن أتيت صحن العراق
أبلغا عامرا ، وأبلغ وثاق
فى حديد القسطاس ، يرقبنى الحا رس ، والمرء كل شئ يلاق
فى حديد مضاعف ، وغلول (٦) وثياب منفحات (٧) خلاق (٨)
فاركبوا فى الحرام (٩) فكوا أخاكم إن عيراً قد جهزت لانطلاق

ثم هو يتحدث عن أهله مرة ويصف ما يلاقيه ، وما يختلج فى نفوسهن من نوازع الحذر والإشفاق ، فيقول :

وبيتى مقفر إلا نساء أرامل قد هلكن من النحيب
يبادرن الدموع على عدى كشن خانه خرز (١٠) الربيب
يحاذرن الوشاة على عدى وما اقترفوا عليه من الذنوب

وقد أرسل عدى رسالة من سجنه إلى أخيه أبى وهو مع كسرى ، يستعطفه ، ويستنجده ، ويصف حاله :

أبلغ أبيا على نأيه (١١) وهل ينفع المرء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤا د كنت به واثقاً ما سلم
لدى ملك ، موثق فى الحديد ، إما بحق وإما ظلم
فلا أعرفنك كذات الغلا م ما لم تجد عارماً تعترم (١٢)
فأرضك ، أرضك ، إن تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم (١٣)

وإن كان عدى قد أخطأ فقد يخطىء الصديق ! وإن كان ظلم فهذا نصيبه ! وهلا تستطيع أيها الملك أن تتدارك الأمر وتجنح إلى الرأى المصيب ! وعلى كل ، فقد وكل عدى أمره لله . وهو رب قريب مستجيب :

فإن أخطأت ، أو أوهمت أمرا فقد يهم المصافى بالحبيب
وإن أظلم ، فقد عاقبتمونى وإن أظلم ، فذلك من نصيبى
وإن أهلك (١٤) تجد فقدى وتخذل إذا التقت العوالى (١٥) فى الحروب
فهل لك أن تدارك ما لدينا ولا تغلب على الرأى المصيب
فإنى قد وكلت اليوم أمرى إلى رب قريب مستجيب

هذا عدى : عدى البائس المحزون . الحبيس فى سجن صديقه ومليكه النعمان . لم يكن يتوقع يوماً أن يكون فى مثل حاله هذه ، وإن ماضيه مع الملك ، وماضى بيتيهما معا ، لم يكن يوحى – لحظة من اللحظات – أن هذه المصافاة والإخلاص والود قد تنقلب أسى ما بعده أسى ، وشر تصغر دونه الشرور ، وقد استطاع عدى بكل ما أوتى من قدرة على البيان والتعبير ، قدرة الفنان البائس المذكور ، أن يرسم لنا صورة له فى

---

(١) الإشناق أن تغل اليد إلى العنق (٢) العناق لا يسعف الموثوق (٣) شدة (٤) هلك (٥) بهلاك وضياع ، من غلق الرهن إذا استوثق (٦) جمع غل (٧) مرقعات أو ظهر أثر العرق فيها (٨) جمع خلق (٩) فى الشهر الحرام

(١٠) الشن : الخلق من كل آنية من جلد . الربيب : من يرب الشن ويصلحه . (دموعهن غزيرة كالماء المتساقط من الشن البالى الذى لم يفلح فيه الخرز) (١١) بعده (١٢) ذات الغلام : الأم المرضع . عارما : راضعا . يقال : عرم الصبى أمه عرما : رضعها . تعترم : إن لم تجد من ترضعه درت فحلبت ثديها ، وربما رضعته ثم مجته من فيها ، وقد تطلب من يرضعها . ويقال هذا البيت لمن يعمل على ذم نفسه (١٣) يحذره من المجىء إليه وإلا يهلك ، فإن كان باذلا عونا فهو لدى كسرى ، كما ستعرف بعد (١٤) تحس (١٥) الرماح

السجن . ولأهله ، وأن يحدثنا عما كان بينه وبين النعمان من مودة وصفاء ، وأن يذكر النعمان بأياديه عليه ، وأن يذكره بما كان لزيد أبى عدى من ملك الحيرة قبل المنذر أبى النعمان ، ويذكره الصهر ، ويضرع إليه ألا يشمت به الأعداء

وقد أكره النعمان عـديا على طلاق هند . وما كان ينتظر لهذا الزواج غير هذا ، ففارق السن ، والطريقة التى تم بها ، وعدم مواءمة الزوجين كفاءة كما يرى النعمان ، كل هذا كان يشير إلى أن الزواج قـد لا يطول أجله ، وأن الفراق ينتظر الزوجين بعد حين طويل أو قصير . ثم جاءت الأحداث تتابع ، وأضحى هــــذا الزواج من أسباب النفرة بين عدى والنعمان ، ودخل الأعداء ، وخشى النعمان عديا ؛ فكان الحبس ، وكان الطلاق

وقـد ترهبت هند بعد ذلك فى ديرها المعروف بدير هند ، وقد بنته حين تنصرت بعد تنصر أبيها على يد عدى ، وحبست نفسها فيه ، وأعرضت عن الحياة الدنيا بزخارفها ومفاتنها ، إلى حياة نبيلة طهور تطمح إليها آمال النصارى المخلصين

واختلفت الرواة ، فمن قائل إنها ترهبت بعد طلاقها ، ومن قائل ترهبت أسى على زرقاء اليمامة ، ومن قائل ترهبت حين قتل كسرى أباها النعمان

وأنا لا أميل إلى القولين الأولين ؛ لأنها ما كانت تحزن على زوجها عــــدى حزنا يفقدها الرغبة فى الحياة ، ويدعوها إلى الرهبانية ، وأنت تعرف ما أحاط بهذا الزواج مما يجعله غير مرجو النجاح ، ولأن قصة زرقاء اليمامة ، وصلتها بهند ، غير واضحة ولا مفهومة . وأما ترهبها لفقدها أباها ، فقد يبــــدو مقبولا ومعقولا ؛ لأنه عزها وفخرها ؛ ولأنه يصعب على أبناء الملوك أن يعيشوا كالناس بعد جلال الملك وأبهة الملوك ، فينزووا فى ناحية من نواحي الأرض يعيشون فيها فى تستر وخفاء . وكانت هند قريبة عهد بالنصرانية ، والمثل السامق الأعلى لها هو الترهب ، فلعل نشوة دينية بعد قتل أبيها ألجأتها إلى ديرها المعروف . فهى قـد تكون ترهبت حين ألمت بالنعمان الخطوب فوق تأثرها بالمثل الأعلى للنصرانية

وكانت هند تعتز بأبيها ، وتحفظ اسمه ، وتغار عليه ، حتى بعد أن أزلها الدهر عن مكانتها . ويحدثنا الرواة أن المغيرة بن شعبة لما ولاه معاوية الـكوفة مر بدير هند ، فنزله ودخل عليها ، بعد أن استأذن عليها ، فأذنت له وبسطت مسحا فجلس عليه ، ثم قال لها : ما جاء بك ؟ قال : جئت خاطبـاً ؛ قالت والصليب لو علمت أن فى خصلة من جمال أو شباب رغبتك فى لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول فى المواسم : ملكت مملـكة النعمان بن المنذر ، ونكحت ابنته ، فبحق معبودك أهذا أردت ؟ قال : إى والله ؛ قالت : فلا سبيل إليـــه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها :

أدركت ما منيت نفسى خالياً ... لله درك يا ابنـــة النـعمان
فلقد رددت على المغيرة ذهنه ... إن الملوك نقية الأذهان

وقد أيأس إخوة عدى ، وهم عند كسرى ، مازل بأخيهم ، فسموا له ، وعملوا على كسر قيده ، وراسلوه فى سجنه ، فلقد كتب إليه أخوه أبى :

إن يكن قد خانك الزمان ، فلا عاجز باع(١٦) ولا ألف(١٧) ضعيف
ويعين الإله — لو أن جأواء(١٨) طحوناً تضىء(١٩) فيها السيوف
ذات رز(٢٠) ، مجتابة غمرة الموت ، صحيح(٢١) سربالها تلفوف(٢٢)
كنت فى حميها — لجئتك أسعى فاعلمن ، لو سمعت ، إذ تستضيف(٢٣)
أو بمال سألت دونك لم يمنع تلاد لحاجة أو طريف(٢٤)
أو بأرض أستطيع آتيك فيها ... لم يهلنى بعد بها أو مخوف
إن تفتنى والله إلفاً فجـوعاً ... لا يعقبك ما يصوب الخريف
فى الأعادى ، وأنت منى بعيد ... عز هذا الزمان والتعنيف
ولعمرى لئن جزعت عليه ... لجزوع على الصديق أسوف
ولعمرى لن ملكت عزائى ... لقليل شرواك(٢٥) فيما أطوف

ثم احتال للدخول على كسرى فأخبره ، فكتب كسرى للنعمان يأمره بإطلاق عدى . غير أن الوشاة أسرعوا قبل فوات الفرصة ، وحرضوا النعمان وخوفوه وأنذروه إن أبقى على عدى ، فبعث إليه أعداءه ، فغموه حتى مات

---

(١٦) كناية عن القوة (١٧) الثقيل البطيء (١٨) كتيبة جأواء : بينة الجأى : يعلو لونها السواد لكثرة الدروع (١٩) تطحن ما لقيت (٢٠) الرز : الصوت يسمع من بعيد (٢١) السربال : القميص (٢٢) من كففت الثوب إذا خطت حاشيته (٢٣) تستجير (٢٤) التلاد ضد الطريف ، وهو القديم (٢٥) مثلك

البحث بقية

محمود عبد العزيز محرم

بين الحقيقة والخيال :

صـــديق . !

الأستاذ محمد محمد الأبشيهى

خلوت إلى نفسى يوما أسائلها : « أين هو الصديق الذى يسكن إليه قلبى ، وتهدأ حياله نفسى ، فيصفينى وده ، ويمنعنى مما يمنع منه نفسه ؟ فقد بلوت من خير الناس وشرهم ، ما يوشك أن يزهدنى فى عشرتهم ، ويجنح بى إلى العزلة عن هذا المجتمع الصاخب ، وحاولت أن أصطفى من الأصحاب من يفرج أمرى ، ويكشف لى وجه الصواب فى هذه المشكلة العاصية ، فإذا يداى تصفران ، وإذا أنا أخلد إلى الراحة فى ظلال اليأس ، وإلى الهدوء على بساط الشوك .. وساءلت نفسى .. ربما كانت النفعية الجامحة والمادية اللاهية ، هما أس العناء ، وأصل البلاء ، حين ينظر الصديق من زاويتها إلى الصديق ، فكلما تحدر إليه خيره هش له وبش ، ولقيه باسم الثغر ، مشرق المحيا ، فهو صديق العمر ، وشقيق الروح ، وإلا أنكره ، فغاضت الابتسامة ، وفتر اللقاء وتقطع بينهما ، وحال الأمر إلى عداوة ، وأشباه هذا هم الكثرة الكاثرة فيمن يلاقوننى ، حتى الذين ينسالهم رفدى ، لا أحس لما يبدونه نحوى بحرارة ، ولا لما ينسجونه حولى بصدق ، وأنظر يوما فإذا بى أنشد :

« إنى لأفتح عينى حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا »

وأتناول بيدى مصباح (ديوجين) أفتش به فى ثنايا الزمن ، عن بغيتى من هذه الحياة ، ولكن .. هيهات .! ... ولبثت كذلك حينا من الدهر ، يمر بى فى طوافى أشتات من الناس ، تباينت طباعهم ، وتلونت مذاهبهم ، لا يحسون بى ، ولا أحس بهم ، لبعد ما بينى وبينهم ، فما جامعة تجمعنا ، فى الرأى والفكر والذوق ، أراهم من غير جنس وإن كانوا بشرا ، وألمح على معارفهم لؤم الطباع فى ثنايا الإشراق ، وسمار الطمع فى مخايل الرضى ، فلويت عنقى ، وأشحت بطرفى ، وطويت عنهم كشحا ، وفزت من الغنيمة بالإياب ، بعد رحلة لاغبة ، وجهاد واصب ، و .. وشعرت بيد تربت على كتفى . وأنفاس حانية ، ترف على قلبى ، فأحسست برد الراحة يسرى فى أوصالى ، وغشيت النعيم يغمر جوانحى . قال — وقد مثل حيالى قائما — أنا إذا ضالتك المنشودة . وأملك المفقود ، وأملك أن تجد العوض فى شخصى من أحلامك الذاهبة ، فأقضى حاجتك ، وأنكأ جرحك ، فتنأى بنفسك عن مواطن اليأس ، وتعلم أنه ما زال فى الدنيا صديق ، ترتاح له ، وتبلو من سجاياه ما تقر به عينك ، ويثلج به صدرك . ستقودنى إلى حيث تريد ، وستلقانى مطواعا ذلولا ، لا أبعثك على غضب ، أو أشرف بك على بأس ... فصدقته حين لمحت فى حديثه دلائل الصدق ، وشمت من لهجته علائم الجد ، وأنست به وسكنت إليه ، وجلت به فى ميادين الحياة جولات موفقة ، وعشت به زمنا ليس بالكثير ، حدثت نفسى فى خلاله أن أعفى كل أثر لحكمى السابق على الصديق ما دام فى الناس أمثال هذا الذى فنى فى شخصى ، وكان لى أطوع من بنانى ، وألزم من ظلى ، إذاً فلقد تجنيت على الإنسانية ، وأجرمت فى حق الإخاء ، فهذا صديق يهفو إلى الخير لوجه الخير ، ويطرب بالوفاء لأجل الوفاء ، وإذاً فلتهدأ بلابلى ، ولتمض الحياة قدما فى كنف الصداقة الصادقة ، وظلال العيش الرغيد ! .. ورأيته يوما — على غير عادة — عابس الوجه ، ترمى عيناه بالشرر ، منتفخ الأوداج ، يكاد يتميز من الغيظ ، فابتدرته : « ما بالك » . فأجاب — فى غير تحفظ ولا استحياء — لقد خاب أملى فيك ، وصوح عود الصلة بينى وبينك ، فما أنا بالذى يستمسك بك ، وقد نهشت عرضى ، وجحدت فضلى ، وأذعت فى الناس بأحاديث السوء عن خدنك الذى غره فيك حسن السمت ، واصطناع الوقار ، فقاطعته قائلا : « على رسلك يا صديق ، فلعلها أن تكون سعاية حاسد ، أو زراية جاهل . وما حسن أن تجبهنى بالثورة ، وتطلع على بالعنف ، قبل أن تتبين » فأصم أذنيه ، وولى مدبرا ولم يعقب ، وحمدت لنفسى أننى لم أتزحزح قيد أنملة عما رسب فى أغوار نفسى عن الصداقة والأصدقاء . وإذاً فالمشكلة ما زالت قائمة ، ولا أبرح ألتمس الصديق الصدوق بين الحقيقة والخيال ، فياليت شعرى من يدلنى عليه ، فينقذنى من ألم مرمض ، وأسى لا يريم ، إن بين اليأس والأمل صراعا ، وفى النفس من هذا المجتمع الربض لوعة وحيرة

محمد محمد الأبشيهى

من وحي المقالة الصامتة

الصمت البـــليغ

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

روى أن لقمان الحكيم جلس ذات يوم إلى نبي الله داود عليه السلام ، وهو يعمل درعاً من حديدة ، فعجب من ذلك لقمان ، واعتملت في نفسه عواطف مختلفة ، وأحاسيس متباينة ، لأنه لم ير درعاً قبل الآن يصنعها صانع ملهم ، في براعة وإتقان ، وحذق وافتنان . بيد أنه آثر الصمت ، لأنه وجده أنسب من الكلام للمقام ، إذ لم تبد على داود عليه السلام علائم إجابته عن حقيقة ما يصنع إذا سأله ، ولكنه ما يعمل إذا طلب منه بيان شيء من أمره ، وظل لقمان على هذه الحال سنة كاملة ، تمت فيها الدرع ، وقاسها داود على نفسه ، وقال : درع حصينة ليوم قتال !

فقال لقمان : الصمت حكم ، وقليل فاعله .. !

وهكذا يأخذ حديث الصمت بمجامع القلوب ، كما يأخذ حديث القول بمجامع القلوب ، حتى ليكاد يراجع الإنسان نفسه فيما علم من بلاغة الكلام ، وأنهـــا مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، وأن ذلك إن جاز حيث يستباح القول ، فلا يجوز الاقتصار على ذلك حيث يمتنع على الإنسان الكلام ، أو يعمى أدق حيث يمنع من الإبانة والإفصاح ..

والصمت في بعض الأحايين أبلغ من الكلام . ولا يضير القارئ أن يجد مقالا نالت منه يد بالاختصار أو الحذف والبتر ، وحكمت عليه دون روية بالوأد والقتل ، وقضت على جمهرة القارئين بالحـــرمان من أصفى مورد ، في عصر التاثت فيه الضمائر ، واشتركت الألباب .. أجل لا يضير القارئ المخلص الذي تعود أن ينال غذاءه الفكري الكامل من كاتب بعينه ، وأديب بذاته — ليكفيه أن يقرأ العنوان فحسب ، ليستخلص منه الفكرة ، وأن ينظر إلى الصحيفة البيضاء ، فتتحول إلى نور يضيء معالم النفس ، ويملأ شغاف القلب ، ثم ينطبع في ذهنه كل ما كان يجب أن يسطر عليها ، ويسجل فيها ، ويراد بها .. !!

ولقد يسهب الخطيب ويتشدق ، ويطنب الكاتب ويتدفق ، ويتلاعب القاص أو الباحث بالألفاظ ويشقق ، ثم لا يعرف السامع أو القارئ ما يريد أن يرمي إليه أحد هؤلاء من غرض ، أو يهدف إليه من غاية ، ويظل حائراً بين آفاق من الفكر الشتيت ، وركام من القضايا والآراء لا تنعقد بينها صلة ، ولا تجمع بين أطرافها آصرة ..

وقد يشير الأديب أو يصمت ، فيفهم الناس عنه ما يريد أن يقول ، ويتجلى لهم رأيه على أحسن ما تكون الآراء عرضـــاً وتحليلا ، ويكون لهم من صمته أبلغ بيان ، وأوضح مقال ، وأفصح كلام .. !

إلا أنه إذا جاز أن يكم فم خطيب ناشيء ، أو يعقل لسان كاتب أو شاعر شاد ممن يتصدون للاصلاح وقد سلمت نياتهم — لأن ما يقوله أحدهم ربما يخطئه التوفيق فيبعد به عن مغزاه ، ويجانب الغرض مبناه ، فيثير الفوضى والشغب ، ويورث العناء والنصب — إذا جاز ذلك مع واحد من هؤلاء ، فلا ينبغي أن يتبع مع من يترقب الشعب بأسره ، بل العالم العربي والإسلامي جميعاً نتاج قرائحهم ، وثمار أفكارهم ، ليحظى الناس هنا وهناك بالفكرة الواضحة ، والقولة الناصحة ، والرأي السديد ، يشرق على الناس إشراق الشمس الضاحية ، فيبدد غياهب الجهالة ، ويزيل غاشية العماية ، ويخرج بالقلوب الضالة إلى واضح النهج ، وبالأفئدة الحيرى إلى لاحب الطريق وسواء السبيل ، ويقع من التهم الباطلة موقع الماء يغسل الأوساخ ، ويزيل الأدران ، والعدل يمحق الزور والبهتان ، والحزم يقضي على الظلم والطغيان

يجب على الألسنة أن تنطلق لتفصح عما يكنه الجنـان ، ولا يفصح عنه غير البيان .. وعلى الأقلام أن تتحرر لتعبر عن خلجات العواطف . وومضات الأذهان ، فإن قلم الكاتب الكبير قبس من نور الإيمان . وسلاح من أسلحة الديان ، وجدول رقراق من فيض النبوة لا يغيض ..

لا تكمموا الأفواه الطاهرة ، فذلك يورث الكبتة الدامية ، ويؤدي إلى النكسة القاضية ، فتتهامس الشفاه ، وينبعث دعاة الشر بالفساد في كل مكان ، وتتسابق شائعات السوء على كل

مصير الانسانية
في أيدي الشيوخ

عن مجلة (العلم والحياة) الفرنسية

كانوا قديما يتساءلون : ماذا نفعل بالشيوخ ؟ أما اليوم فيجب أن نتساءل : ماذا عسى أن يفعل بنا الشيوخ ؟

يؤخذ من الإحصاءات الرسمية أن متوسط الحياة البشرية في عصرنا أصبح يتراوح بين الخمسين والستين من الأعوام ، وقد كان لبضعة عقود خلت نحو الخمسة والثلاثين . وهذه الزيادة ترجع إلى تقدم الطب وانتشار الوسائل الصحية وتحسين طرق المعيشة ونحوها . وقد لوحظ أيضا للعوامل ذاتها نقص كبير في وفيات الأطفال بجميع أنحاء العالم حتى في أكثر البلدان انحطاطا

والواقع أن مصير العالم هو اليوم في أيدي هؤلاء الشيوخ الذين يفرضون على الشعوب إرادتهم ويلبسونها الأثواب التي يفصلون . وهم ولا جدال أولياء الأمر يأمرون وينهون في الشؤون السياسية والحربية والفنية والأدبية والعلمية وغيرها . إنهم جاوزوا الستين من العمر فبلغوا حد الشيخوخة ؛ غير أن هذا الحد سيمتد كلما ارتفع متوسط العمر البشري . فالمرأة في أوائل هذا القرن كانت تدعى عجوزا وهي بعد في الثلاثين أو الخامسة والثلاثين ؛ والرجل الخمسيني كان يعد شيخا ، أما اليوم فلو دعونا امرأة خمسينية عجوزا ورجلا ستينيا شيخاً لغضبا وحقهما أن يغضبا؛ لأنهما لا يزالان يحتفظان برواء الشباب ونشاطه. أما القول بأن الحياة تبتدىء في الأربعين فسيخلفه بعد وقت قريب تحديد آخر فيقال إنها تبتدىء في الستين أو السبعين

إن هذا العصر الذي يدعى بحق العصر الذري لا بأس أن ندعوه أيضا عصر الشيوخ . وما الشيوخ إلا رجال يجمعون إلى الحزم والحنكة النشاط وصفاء الذهن . ولنا أمثلة عديدة في الذين يملكون زمام الأمر ويديرون شؤون الشعب، فالملك هاكون السابع ، كان عمره فوق السبعين ، وابن السعود هو اليوم في العقد السابع، والمرحوم عبد الله ملك شرق الأردن كان عمره حين قتل ٨٩ سنة ، وستالين الذي يبسط سلطانه على بضع مئات من الملايين يحمل على كتفيه ٧٢ حولا ، ومستشاره للشؤون الخارجية أندره ويشنسكي بلغ الثامنة والستين ، وتشرشل الذي قاد الحلفاء إلى النصر في الحرب الأخيرة دخل في السابعة والسبعين، ولكل من وبزمن رئيس إسرائيل وهربرت هوفر رئيس الولايات المتحدة سابقا سبعة وسبعون عاما ، وكارلوس سفورزا وزير خارجية إيطاليا في الثامنة والسبعين ، وإدوار هريو رئيس المجلس الفرنسي في التاسعة والسبعين ، وكونراد أدنور مستشار ألمانيا الغربية في الخامسة والسبعين ، وماك آرثر ومرشال القائدان الأميركيان في الواحدة والسبعين ، ودي جسباري رئيس وزارة إيطاليا في السبعين ، وكلامنت أتلي رئيس الوزارة السابق البريطانية أتم الثامنة والستين، ورئيس جمهورية فرنسا فنسان أوريول وهاري ترومان رئيس الولايات المتحدة وروبرت

لسان ، فيتكهرب الجو ويختنق الأنفاس . ثم لا يجد صواب الرأي بين كل أولئك طريقه إلى الوجود ، وسبيله إلى النور ، ويجد أعوان الباطل سانح الفرصة إلى الظهور ، وأيسر المناسبات إلى إذاعة الفجور ، فيضيع الحق الواضح ، ويقبر الخير بأيدي أعدائه وأحبابه على السواء ..

لا تعقلوا الألسنة المبينة ، ولا تقيدوا الأقلام المفصحة ، فذلك تحطيم لمصابيح الهدى، ومحو لصوى الرشاد، وتشجيع للخيال الشريد أن يذهب في تعليل ذلك مذاهب شتى ، فقد لا تثير مقالة تنشر اهتمام جميع القارئين ، فلا يقرأ الجميع لأديب ، ولكنهم يقرءون بلا استثناء — بل ويقرأ معهم كذلك غير القارئ — المقالة المحذوفة ، والرسالة المبتورة ، وقد يفهمون منها أكثر مما تفهم ، ويحملونها من المعاني والأغراض ، والآراء والأهداف ، أكثر مما تحمل ، وهذا حق لا ريب فيه ...

إن هذا الإجراء الجديد ، يثير في النفوس عوامل شتى ، ويراد منا — والحوادث جارية ، ونحن وسط الخضم الزاخر بين مختلف الأمواج العاتية — أن نصمت صابرين ، ولكن من لنا بصمت الصابرين ؟!

من لنا بصمت لقمان الحكيم ؟!

عبد الحفيظ أبو السعود

شومان فى السادسة والستين، وبين قادة البشر يعد شان كاى شك أحدثهم سنا فعمره اليوم ٦٤ سنة

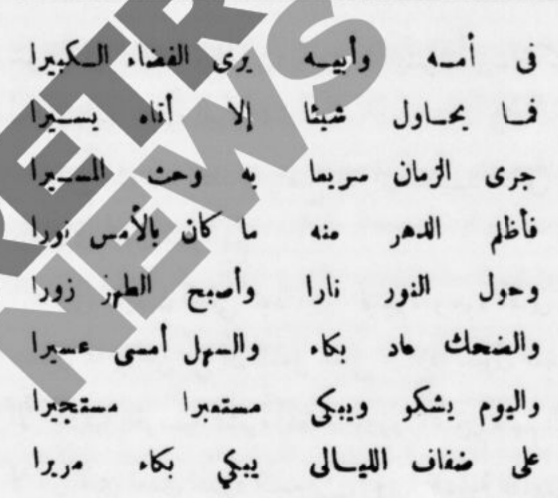
فمن الشواهد المتقدمة يتضح لنا أن مقاليد الناس هى ولا جدال فى أيدى شيوخهم

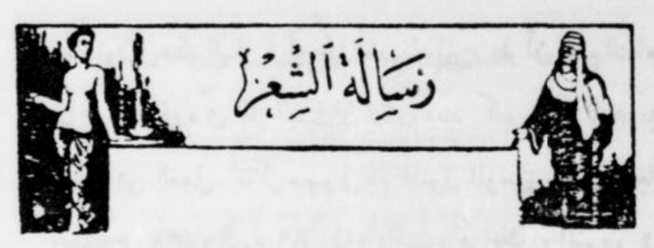
وفى الميدان العلمي نجد أبرز الوجوه وجوه الذين ندعوهم مسنين مما يبرهن على أن للعمل العقلى علاقة بطول العمر . ففى الأكاديمية الفرنسية عشرة أعضاء جاوزوا الثمانين منهم الأميرال لاكاز الذى تعدى حدود التسعين . وفى أكاديمية الفنون نذكر جان روى الذى بلغ الواحدة والتسعين . وفى أكاديمية العلوم والآداب والسياسة سبعة أعضاء قطعوا الثمانين أكبرهم الأستاذ تروشى وعمره ٨٨ . وللأستاذ هرتمن من جامعة الطب ٩٢ سنة، ولجوستاف شربانتيه من مجمع الفنون الجيلة ٩١ سنة

وبين العلماء الطاعنين فى السن نذكر مخترع السينما أوغست لميار وهو الآن فى التاسعة والثمانين ، وأستاذ التشريح فلورنس سابان فى الثمانين ، والطبيعى شارل ابول فى التاسعة والسبعين ، والفلكى هنرى روسل فى الرابعة والسبعين ، وألبير أنشتين صاحب نظرية النسبية فى الثانية والسبعين ، والتوأمان بيكار وجان أوغست الطبيعيان المشهوران فى السابعة والستين . ويحسن أن نذكر فى هذا المجال بطل الصحة الأستاذ أميل مال من الأكاديمية الفرنسية الذى بلغ الثمانية والثمانين دون أن يمرض فى كل حياته إلا مرة واحدة بالحمى التيفوئيدية وهو فى سن الواحدة والعشرين . وفى رأى هذا الأستاذ أن العمل هو وحده الذى يحفظ الصحة ويطيل الحياة . وقد يظهر هذا الرأى لأول وهلة غريبا. أما الحقيقة فهى أن العمل ينشط القوى ويوقظ قبل كل شىء الرغبة فى الحياة . ومن الطبيعى أن القوى الجسدية تتهدم كلما تقدم الإنسان فى العمر ؛ غير أن القوى العقلية تزداد نشاطا وصفاء بفضل التمرين والاختبارات الماضية . وعلى هذا فالإنسان الذى يزاول الأعمال اليدوية تنحط قواه العضلية عند بلوغه حدا من العمر بخلاف من يزاول الأعمال العقلية فإنه يشعر فى ذلك الحد نفسه أنه أشد نشاطا وأصفى فكرا. وقد فرض نظام التقاعد على البالغين الثامنة والستين مع أنهم يكونون فى هذه السن فى أوج نشاطهم العقلى . ولو أن نظام التقاعد يراعى بحذافيره فى كل البلدان لكان عدد كبير من الموهوبين مقعدا عن العمل. نذكر منهم فى عالم الفنون الموسيقى المشهور جان سيبليوس وعمره اليوم ٨٦ سنة، والمصور فرانك برانغوين ٨٤ وتوسكانينى ٨٤ وبول كلودل ٨٢ والمصور هنرى ماتيس ٨٢ واوغدن بترى ٨٠ وبيكاسو ٨٠ وكوربيزيه المهندس الشهير ٧٤ والموسيقية راندا لندوسكا ٧٤

وفى فن التمثيل السينمائى نقتصر على ذكر اتيل باريمور وعمره ٧٤ وساشا غيترى ٦٦ وبوريس كارلون ٦٤ وموريس شفالييه ٦٣ وشارل شابلين ٦٢ وكلودربنس ٦٢

ومن هذه الأمثلة التى سردناها لا يجرؤ أحد أن يسأل : ماذا نفعل بالشيوخ ؟





على ضفاف الليالى

للاستاذ محمود محمد سالم

وقفت على الشاطئ أرقب عودة الملاح التائه فى غياهب الحياة . وأترقب الزورق السارى فى أنهار الأبدية .. يحدوه الأمل .. فى الوصول .. ولكن : ؟ !!

على ضفاف الليالى وقفت حيران أشدو
ولا بين جنبى خفق وملء بردى وجد
وأدمعى حائرات واليأس بى مستبد
وحولى الليل بحر به من الصمت مد
كأنما أنا فيه طيف إلى الموت يغدو
أجرى وراء الأمانى والموت خلفى يعدو
حتى مضى بى قبل وسوف يلحق بعد
وسوف أفنى وتفنى مشاعر لا تحد
ويصبح الناس عندى سيان مولى وعبد
فلست أبغض خصمى ولا الحبيب أود
إذ سوف أغدو خيالا فى الوهم أولا أعد !.

* * *

فيا ضفاف الليالى أما لبحرك حد !
وما لقلبى حزينا على ضفافك يشدو !

* * *

على ضفاف الليالى رأيت طفلا صغيرا
يلهو ويلعب حتى ليملأ الكون نورا
حياته سلسبيل جرى وفاض غزيرا
لا الشوك يدمى يديه إذا أراد الزهورا
بل الزهور الحوانى إليه تهدى العبيرا ..!
فى أمه وأبيه يرى الفضاء الكبيرا
فما يحاول شيئا إلا أتاه يسيرا
جرى الزمان سريعا به وحث المسيرا
فأظلم الدهر منه ما كان بالأمس نورا
وحول النور نارا وأصبح الطهر زورا
والضحك عاد بكاء والسهل أمسى عسيرا
واليوم يشكو ويبكى مستعبرا مستجيرا
على ضفاف الليالى يبكى بكاء مريرا

* *

فيا ضفاف الليالى أما لبحرك حد ؟ !
وما لقلبى حزينا على ضفافك يشدو .. !

* * *

على ضفاف الليالى هتفت : أين شبابى ..؟
وأين منى حبيبى وأين عهد صحابى ..!
وأين مسرح حبى أبثه اليوم ما بى ..!
وأين أين دموعى ولهفتى واغترابى ..!
إنى أحب دموعى إنى أحب عذابى
والهفتى قد تولى من كان ضوء شهابى ..!
وعاد حلما بعيدا لمحته فى الضباب
وصار أمسى ذكرى تلوح لى كالسراب .. !
فكيف ولى حبيبى وكيف غاب صحابى
وكيف بالله ولوا وأسرفوا فى الغياب
كانوا هنا فتولت سعادتى فى الركاب ..!

* * *

فيا ضفاف الليالى أما لبحرك حد
وما لقلبى حزينا على ضفافك يشدو

* * *

على ضفاف الليالى بزورقى قد سريت
لمحت طيفا جميلا من المنى فجريت
ما زلت أزجى شراعى فى اليم حتى مضيت



عهد جديد

تأليف الأستاذ شاكر خصباك
منشورات لجنة النشر للجامعيين بالقاهرة

للأستاذ سلم عبد الجبار

على الرغم من أن الأستاذ شاكر خصباك لا يزال فى مطلع حياته الأدبية، فالقارئ المدمن، يدرك أثناء قراءته لـ (عهد جديد) أن الأستاذ شاكر، قد أشرف على الطريق القديم فى كتابه الأقصوصة الفنية

فالشخصيات التى تترادف فى هذا الكتاب، تتخذ مادتها من الحياة الواقعية المألوفة، ومن الطبقة الوسطى، على الأخص، ولكننا نلمس خلال قراءتنا، أن تلك الشخصيات، ليست بالشخصيات التى تتراءى لكل عابر سبيل، يرمقها بعينيه، فلا يتجاوز، بنظراته، هذه الأجسام المادية المحدودة الصور، بل نراها، أثناء حركاتها وسكناتها، وأثناء هدوئها واضطرابها، تتجاوز هذه الحدود، لتكشف لنا ما وراءها، ما وراء هذه الأجسام، من نفوس إنسانية متغايرة، متشابكة، تتجه كل منها، فى سبيلها التى أريد لها، أو — على الأصح — نحو سبيل اختارته طبيعة نفسيتها، وما ابتغته تلك الطبيعة من انبثاقات خاصة

فغضب الأب فى (عهد جديد) وهى الأقصوصة الأولى، يرينا بكل وضوح تلك النفسية القلقة الحمقاء (الطيبة رغم ذلك) التى تغضب للاشئ، وسرعان ما تفيء من غضبها، فإذا هى نادمة، واجمة، يتراءى لنا من خلال دموع (زينب)

فما بلغت بعيداً فى اليم حتى انثنيت
ولاح فجر الأمانى لخاطرى فانتشيت
وقلت قر شراعى من رحلتى ونجوت
وأترع الحب كأسى من خمره فاحتسيت
حتى أفقت عليلا من نشوتى وصحوت!
وأحزنا قد طوانى ليل الأسى فانطويت
على ضفاف الليالى بكيت ثم بكيت
فما أفاد بكائى وما شفتنى «ليت»

* * *

فيا ضفاف الليالى أما لبحرك حد!
وما لقلبى حزيناً على ضفافك يشدو!

محمد محمود سالم

حين ينظم الشاعر

لشاعر اليمن الأستاذ محمد محمود الزبيرى

أحس بروح كريح الجنان تهب بأعماق روحى هبوبا
وأشعر أن القوافى تدب كالنمل ملء دماغى دبيبا
فهذا يزوغ وهذا يروغ وذلك يذعن لى مستجيبا
وذاك يفارقنى يائسا وهذا يواعدنى أن يؤوبا
ومنها أوزع للعالمين طهراً وأنشر فى الأرض طيبا
أخلف منها لقاح النهى وأنجب للأرض منها شعوبا
حروف الروى بها نطفة ترعرع بيتاً عريقاً نسيبا
أسلم نفسى لها ذاهلا حريصاً عليها بشوشاً طروبا
وأصغى لها هادئا تارة وأصرخ حيناً عبوساً غضوبا
ولولا اهتدائى لسر النبو غ وأعراضه لطلبت الطبيبا

محمد محمود الزبيرى

ووجوم (فطيمة) ذلك الحنان الهادئ العميق ، الذى جبلت عليه أخواتنا

وغضب نجم ، وتركه لأهله ، هو الآخر ، احتجاج ، أكيد ، صارخ ، لما ينتاب النفوس الحساسة الأبية ، من ظلم محيط ، متراكم ، ليس لدفعه من سبيل ، إلا بمثل هذا الاحتجاج

كما تصور لنا أقصوصة (الرهان) تلك التضحية ، التى يقدم عليها الآباء ، فى سبيل مستقبل أبنائهم ، فى مجتمع يقوم كل ما فيه على الاستغلال ، والعبث بمصائر البشر

فالتضحية التى قام بها (حمود) لكى يتيح لابنته مستقبلا آمناً ، والتى كلفته حياته ، كانت بالنسبة للآخرين مجرد لهو يلهون به

ومثلما صورت لنا هذه الأقصوصة ، هذا الجو المظلم ، التعس ، صورت لنا أقصوصتا (المنزل رقم ½) و (أعوام الرعب) جوانب مظلمة ، قاسية ، من جوانب هذا المجتمع المنهار

فأقصوصة (المنزل رقم ½) أبرزت لنا من زاوية خاصة ، أثر المال فى تثمين الحياة الإنسانية ، فأعطاها قيمتها الآنية . فتحكم صاحب الدار ، وعدم اكتراثه بحالة ساكنى داره رغم ابتزازه منهم ، الضريبة الشهرية ، وخضوع هؤلاء لسطوته ، وتلون حياتهم البائسة ، وفق ما تضطرهم إليه هذه الحالة ، من جهة ، وموقف الشاب من ابنتهم ، ومن أهله ، من جهة أخرى ، يحيطان بأتعس ما يمر على الإنسان ، من ذل مقيت ، وخضوع ظالم ، تتحول بهما الحياة الإنسانية إلى ما يقارب الحياة الحيوانية ، يزيدها مرارة ، وألماً ، شعور الإنسان بكرامته ، وحقه فى عيش أصلح

وما إن نصل إلى نهايتها حتى يدركنا جمود فكرى صارم ، مرده إلى تلك النهاية الأليمة التى تحدرت إليها (العائلة) نتيجة لتهدم دارها ، فإذا ما تعلق مصير الإنسان ببضع قطرات تسقط من السماء ، فتكفى لانهياره ، تحت التراب . فأى قيمة لمثل هذا الإنسان ، وأى معنى للحياة التى يحياها ؟ !

أما (أعوام الرعب) فقد صورت لنا ، بطريق حاد ، شائك ما يعانيه الشعب العراقى اليوم ، من مآس دامية ، وما يجتاز من أهوال شداد ، فى سبيل تحقيق حريته ، وإنسانيته ، وما يلاقيه فى سبيل هذا التحقيق من انتقام مات ظالم ، كما صورت التباين الشاسع بين عقليتين ، تلتقيان لأمور واحدة ، عقلية مؤمنة صاعدة (الابن) وعقلية ، أشرفت على الشيب والتدهور (الأب) نخضوع الأب ، واستسلامه ، الناجمان عن الجهل والأساطير ، يقابلهما الوعى العلمى الذى يتحسسه الابن ، وكفاحه الجبار ، الأوحد المؤدى إلى النهاية التى لا ريب فيها . فهى تعطينا فى فلتة نادرة ، أعمق العواطف الإنسانية المحتشدة فى الينبوع الأسفى

ومثلما صورت لنا (أعوام الرعب) الوعى الإيجابى المتغلغل فى دماء (الابن) صورت لنا أقصوصة (صديق عبد على) الوعى السلبى الذى يراود القلوب الجاهلة ، والذى تمثل فى العطار (عبد على) . فاهتمامه بالانتصارات الألمانية ، وتهليله لهـا ، وتتبعه للانتكاسات البريطانية ، وتشفيه منها يلفتان نظر القارئ الخاص ، إلى تلك الناحية الخفية (فعبد على) مثال لتلك الشخصيات المتعصبة ، التى رأيناها فى فترة الحرب ، ولم نفهمها يومذاك . فهى فى تحسسها الخاطئ ، باعتمادها على أجنبى آخر ، لا تقصد إلا إنقاذ بلادها ، مما هى عليه ، من جوع واضطهاد ، فظنها الخاطىء وعقليتها المحدودة الثقافة ، توحيان لها أن الألمان ما داموا أعداءاً للانكليز ، فهم أصدقاء للشعوب المبتلاة بسطوة (البارون) ومحرريها

وأقصوصة (بدور بنت عمى) هى الأخرى تعطينا ، جانبا مظلما ، من جوانب هذا المجتمع ، بما فيها من تحجر وعبودية ، فحب العذراء لشخص غريب عنها ، واغتنامها لبعض الأمسيات الوادعة ، تقضيها فى التطلع — على بعد — إلى حبيبها ؟ جريمة لها جزاؤها الرادع ، عند ابن العم الغيور . وهل غير القتل من جزاء

على أننا نلاحظ أن (الخاتم الماسى) أقل نجاحاً من الأقاصيص السابقة ، وسرها أنها فاقدة الحركة ، وعقدتها — كما يعبر الاصطلاحيون — ساذجة . فقد حاول الأستاذ شاكر أن يسرد لنا فى أقصوصته هذه (الأفكار) التى راودت بطل القصة ، عندما عرض عليه (أحدهم) أن يشترى خاتما ماسيا ، ومهما تكن أحقية هذه الأفكار ، من تطرقها للعدالة المطلقة ، وصلاحية

العقاب الاجتماعى، فهى تظل كما قلنا، وما ذاك إلا لأن (الفكرة) يجب أن تتوارى، فى الأقصوصة وسائر الأعمال الفنية — بحيث تدرك أهدافها وانية، بطيئة، فشخصيات الأقصوصة إذا ماأصبحت رموزا يلتقطها الكاتب لادارة أفكاره، تفقد قيمتها، ويبهت الاطار

وكذلك (الأغـــلال) فهى إلى الخيال أقرب، ولعدم واقعيتها، نستبعدها، فما فى كل يوم نلحظ حمالا (صبيا) يكترى بخبزه اليومى، دراجة ليتعقب خطوات حبيبته الأرستقراطية، المترفة، وما فى كل ليلة نلحظ وقوف مثل هذا الحال تحت شرفة حبيبته. على أننا نستثنى نهايتها فهى مما يتفق والواقع

ولم يبق لدينا إلا أقصوصتان، الأولى (الدخيل) وتراها ذات صبغة علمية بحت (تستند إلى مفاهيم عـــلم النفس) فمن المستبعد أن يبلغ الإدراك فى طفلة لم تتجاوز السادسة لمثل هـذا الحد، فالغيرة لا تتبلور إلا فى سن المراهقة!

والثانية (قلب كبير) فهى مريحة القراءة، موفقة فى تحليل نفسية الفتاة الغريبة المراهقة، ولعل أعمق ما فيهـا تصويرها لفتات الفتاة، ونظرتها إلى صاحبها أثناء التقائه (مصادفة) بصويحباته، العابرات

ونظرة موحدة إلى أسلوب الأستاذ شاكر تعطينا مانريد، فقد سـار بطريق عرض موحد، إذ ألقى فى كافة الأقاصيص، مهمة (العرض) إلى أبطال الأقاصيص نفسها، فكل واحد منهم يقص (قصته) وهذه الطريقة لها ميزتها الخاصة، وموفقة فى التحليل النفسى، إذ توهم القارىء أن البطل (المتكلم) قريبا منه كأنه يسر إليـــه خاصة بهمومه، ولو حاول الكاتب أن (يتملص) فى بعض أقاصيصه من هـذه الطريقة لكان عندى أحسن، فللتنويع أهميته، لئلا يتداخل الملل فى نفس القارىء، ولئلا يلمس الرتابة فى العرض

وجل الأستاذ واضحة العبارة، مألوفة المفردات، فلا التواء فى التعبير ولا تعقيد فى المعنى، ومحاولة الأستاذ فى تفصيح العبارات العامية العراقية وإدخالها فى أقاصيصه محاولة ناجحة، بارزة الإيحاء، إذ خلعت على الأقاصيص جوا واقعيا، نابضا، والحق أن أهم مشكلة تواجه القصاص، هو هذا التباين الصارم بين لغة الكتابة ولغة التخاطب، فإذا ما أراد الكاتب إدارة (حواره) باللغة العامية، تقلصت دائرة قرائها، وأصبحت محلية، وإن أداره باللغة الفصحى ثارت بوجهه صعوبات، هادرة، إذ يفقد بذلك أعز ما يتاح الأديب، أعنى إبراز الروح الكامنة وراء الألفاظ، وفق ما يتداولها الناس، وإزاء ذلك، فمحاولة الأستاذ محاولة تنعش أدبنا المتكاسل وتزيده كمالا

ونود أن نشير إلى تلك اللوازم التى يلتزمهـا بعض أبطال الأقاصيص، ففى حياتنا كثيرا ما نشاهد مثل تلك اللوازم، تتكرر، بصورة لا إرادية أثناء الأحاديث، وقد تبلغ مرحلة من السيطرة بحيث يعجز صاحبها أن يسترسل فى كلامه، إذا ما حاول إســـقاط تلك اللوازم، وهى وإن وردت فى بعض الأعمال الفنية العظيمة (مثل الشىء الصغير)، فهى جديدة على أقاصيصنا العربية، ولها دلالتها الخاصة فى خلق جو حيوى ملائم

هذا وعهد جديد يمثل مرحلة انتقال فى الأقاصيص العراقية، فللمؤلف شكرنا

بغداد — سليم عبد الجبار



أنا مع سيد قطب

لما كانت المعركة الأولى (سنة ١٩٣٨) كنت مع الأستاذ شاكر على الأستاذ قطب ، فكيف أكون الآن مع قطب على شاكر ؟ ذلك لأنى دائماً مع ما أرى أنه الحق . والأستاذ شاكر صديق من ربع قرن ، والأستاذ قطب رفيق على مقاعد الدرس فى دار العلوم من ربع قرن . وليس بى الآن مدح ولا هجاء ، ولا إغضاب ولا إرضاء . ولكن بيان الحق الذى أراه ، ولعلى مخطىء فيما أرى

وأنا أعلم أن للصحابة منزلة لا يدنو منها أحد منا ، وإننا مهما سعى الصالحون منا فإنهم لا يلحقون غبار أحدهم ، فضلا عن أن يحاذوه أو يسبقوه . وإن لبنى أمية فى نشر الإسلام وفى فتح الفتوح فضلا لا ينكره أحد ، وأنه كان منهم عظماء حقا إن عد عظماء الرجال ، ولكن هل كانت دولة بنى أمية دولة إسلامية؟

لقد هدم معاوية أكبر ركن فى صرح الدولة الإسلامية حين أبطل الانتخاب الصحيح ، وجعله انتخاباً شكليا مزيفاً ، وترك الشورى ، وعطل الكفايات . وسن هذه السنة السيئة ، بل هذه الجناية التى جرت أكثر البلايا ، والطامات التى تملأ تاريخنا السياسى ، فهل نقول لمعاوية : أحسنت فى هذا ؟ بل إنى لأسأل ، هل يقول هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان حيا ؟ إن معاوية صحابى جليل ، وله مناقبه وفضائله ، ولكن حكم الدين على الجميع ، ومقاييس الإسلام يقاس بها كل كبير ، فهل كان معاوية فى عمله هذا متبعاً أحكام الإسلام ؟

هذه واحدة وإن كانت بألف

وهذا الاستبداد ، والحكم الفردى ، الذى سار عليه ملوك بنى أمية ، وتحكيم آرائهم وشهواتهم فى مصلحة الأمة ، ودماء أفرادها وأموالهم ، دون تقيد بكتاب أو سنة ، أو رجوع إلى علم أو فقه ، هل هو من الإسلام ؟

واختيارهم شر الولاة ، من الطغاة الظالمين ، وتحكيمهم فى رقاب الناس ، هل هو من الإسلام؟ هل يقر الإسلام تولية مثل الحجاج على رجولته وعظمة نفسه ، وخالد القسرى ، وأمثالها من الجبارين ؟

وإثارتهم العصابات والخلافات ، بين القبائل وبين الشعراء ، وتمهيدهم سبيل اللهو والاستهتار ، لأنفسهم وللناس ، ولاسيما جيران بيت الله ، وأهل مدينة رسول الله ؟

وعدوانهم على الحريات ، وعلى المقدسات ، وقتلهم العلماء من أمثال الحسين وسعيد بن جبير ، وإيذاؤهم سعيد بن المسيب ، وضربهم الكعبة بالحجارة وبالنار ، هل هو من الإسلام ؟

إن هذه كلها أشياء ثابتة ، لم يفترها عدو ، ولم يضعها خصم ، وهذه كلها تناقض الإسلام أشد التناقض ، بل إن بعضها لم تأت بمثله الجاهلية الأولى

وما كان عليه العباسيون ، ومن جاء بعدهم ، من الطغيان والعدوان على الأنفس والأموال ، واتباع غير سبيل الهدى ، كل ذلك يسأل عنه بنو أمية ، لأن من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة

وأنا أكبر بنى أمية . وأمجد آثارهم ، وأرفع أقدارهم ، ولكن لا أستطيع أن أقول إن دولتهم كانت دولة إسلامية ، لأنى أكون قد مدحتهم بذم الإسلام ، والإسلام أحب إلى ، وأعز على من بنى أمية ، وبنى هاشم ، وأهل الأرض جميعاً

دمشق **على الطنطاوى**

إبراهيم الواعظ

قرأت بإعجاب ما كتبه الأستاذ إبراهيم الواعظ فى الرسالة بالعدد ٩٧١ ، فتذكرت ماله عندى من يد بيضاء يوم كنت أعمل بمدارس العراق الشقيق سنة ١٩٤٢ ، وحق على بهذه

المناسبة أن أقدم لقراء الرسالة شخصية فذة في مجال الفكرة الإسلامية

تعرفت عليه ببغداد ، وكان من صفوة القلة الذين أنست إليهم في مختلف الأحاديث التي كنا نطرقها في ندوة كانت تضم حسن بك سامى وزير العدل السابق ، فنتحدث فيما يهمنا من شؤون الثقافة

وعرفت الأستاذ الواعظ محاميا له بين قومه مكانة مرموقة بما تميز به من اطلاع واسع على التراث الإسلامى ، وعناية فائقة بالقضية العربية

واختير أخيراً ليكون مستشاراً للجامعة العربية وهو اليوم مقيم بالقاهرة ، ولقد صادف هذا الاختيار أهله

وفى الحق أن الجامعة العربية قد ضمت إلى كتيبتها العاملة رجلا له قدم راسخة فى شتى الميادين : فهو المحامى الشهير ، والمحاضر الممتاز فى الإذاعة العراقية وقاعة الملك فيصل ، ثم هو شاعر ، ومؤرخ ولغوى ، وكاتب مسرحى ، وله فى عالم التأليف أثر محمود

قرأت له « مدرسة محمد » وهو سلسلة من إذاعاته عن أعلام الإسلام ، وأذكر أنه قد أعلن عن مجموعة طيبة من المؤلفات تحت الطبع منها « معاوية » و « قصة الغرانيق » و « سورة الفيل » و « حديث القرطاس » و « المقتنى » كما أعلن عن مسرحيتين شعريتين هما « فتح مصر » و « الزباء » ، وما أدرى إن كان بعضها قد نشر أم لا

وعسى أن تحظى دور النشر فى مصر بهذه النفائس لتذيعها فى الناس لتتم فائدتها ، لما عرف عن الأستاذ الواعظ من اقتنائه لأثمن الكتب العريقة ، وصبره على التحليل والتدقيق ، وبراعته فى التبسيط والعرض ، وارجو أن تسعى إليه الإذاعة المصرية ، والجامعة الشعبية ، والنوادى الثقافية ، والجمعيات الدينية ، والمجلات الأدبية لتنال حظها من علمه الغزير وأدبه الأصيل

محمد محمود زيتون

الأسوة الحسنة ...

قال دولة رئيس مجلس الوزراء لبعض الصحفيين إنه سيعمل على تحقيق العدالة ، وأنه لن يحابى أحدا ، ولو أن ابنه خالف القانون لذبحه ! ...

وهو بهذا يتأسى بالرسول الكريم ، صلوات الله عليه وسلامه ، يوم جاءه أسامة بن زيد « يتشفع المخزومية ، فقال له عليه الصلاة والسلام :

— أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ .. والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها ! ...

وبهذا وضع محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، اللبنة الأولى فى أساس العدالة الاجتماعية ، ومبادىء الديمقراطية الإسلامية الصحيحة

عيسى متولى

ليس هذا تجديدا

يحلو لكثير من أفذاذ الكتاب أن يستعملوا كلمة « آونة » على أنها لفظ مفرد ظانين أن هذا نوع من التجديد فى اللغة العربية وما هو من التجديد فى شىء . والواقع أنه خطأ كبير انزلقت إليه براعة الكاتبة الفضلى الدكتورة بنت الشاطىء فى أحد تعليقاتها على الكتب الجديدة ولم أشأ أن أتعرض له فى حينه ، ولكن تكرر هذا الخطأ من الأستاذ الكبير الصاوى بك فى أهرام ١٩ مارس سنة ١٩٥٢ ؛ فلم أجد مناصاً عن التنبيه إليه ، أو على الأصح من تكرير التنبيه إليه ، لأنى كنت قد نشرت تصحيحاً لهذا الخطأ منذ أكثر من عامين وقلت فيه إن كلمة « آونة » جمع والمفرد أوان مثل أزمنة وزمان لفظاً ومعنى . وإنى أكرر هذا التصحيح ما دام التكرير فى مثل هذا المقام يحلو



البعث

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

— ١ —

لم يكن هناك في قرية « فيكامب » من يجهل تاريخ الأم « باتان » الحافل بألوان الشقاء ... كما لم يكن يختلف اثنان في الحكم على قسوة معاملة زوجها لها طيلة حياته

اتخذها باتان زوجة له منذ عدة سنوات حين كانت في نضارة الصبا وقد حباها القدر بقسط وافر من الجمال والجاذبية ... في حين كان هو بحاراً ماهراً عملاقاً اعتاد الذهاب إلى حانة العجوز « أوبان » لتناول أربع أو خمس كؤوس من الكحول . ولم يكن ذلك هو الحد الأعلى لملء فراغ معدته ... بل كثيراً ما ارتفع ذلك الرقم إلى ثماني أو عشر كؤوس ... ربما زادت على ذلك قليلا إذا ما كانت صفقة صيده رابحـــة . وكانت ابنة أوبان هي التي تشرف بنفسها على خـــدمة رواد الحانة الذين أسرتهم عيناها الحالكتا السواد ، وامتلكت أفئدتهم بقوامها الرائع المشوق

ويوم جاء باتان إلى تلك الحـــانة للمرة الأولى ... اكتفى بإطالة النظر إلى الفتاة في شوق وحنين وهو يشير إليها من طرف خفي . وازدادت فتنتها في عينيه حين ارتشف كأسه الأولى . .. فما كاد يأتي على الثانية حتى كان يلتهمها بعينيه في نشوة وشراهة .. واستقرت محتويات القدح الثالث في جوفه فتمتم قائلا دون أن يتم جملته : « لو كان في إمكانك فقط أيتها الآنسة ديزيريه ... »

ومع فراغ القــدح الرابع كان باتان ممسكا بثوب الفتاة وهو يحاول تقبيلها

وتمددت الـكؤوس ... وا كتملت عشراً ... وحينئـذ أرسل أوبان العجوز ابنته إلى الخارج وراح هو بنفســه يشرف على خدمة البقية الباقية من زبائنه الساهرين . كان أوبان رجلا حاذقاً لا تخفى عليه خافية ... فكان يترك ابنته تتنقل برشاقتها لاغراء الزبائن حتى يستزيدوا من خمره ؛ تاركا لها مطلق الحرية في توزيع ابتساماتها الرائعة وإرسال سهام عينيها إلى أفئدة المخمورين ، وهو واثق منها كل الثقة دون أي محاولة من جانبـه لا كتشاف سر ذلك البريق الذي كان يشع من عينيها ... البريق الغامض الذي كان ينعكس في أغوارها كلما حاولت امتحان عواطفها إزاء رجل من زبائن الحانة

وأصبح وجه ديزيريه مألوفاً لدى باتان من طول تردده على حانة أوبان ... فكان يراها ماثلة أمامه وهو في موكب صيده ناشراً شباكه في الميـــاه الهادئة أو الصاخبة على حد سواء ... أو كان يتخيلها تومىء إليه في حلكة الليل الساجي ، أو تحت ضوء القمر الفضي الساحر ... فكان يطيل التفكير فيهـــا ... وكم كان يهنأ بذلك التفكير وهو في جلسته عند مؤخرة المركب ، ويده مستقرة على سكانه ... بينما ارتكزت رؤوس بحارته الأربعة على أيديهم وقد راحوا تحت تأثير نومة استسلام هادىء لذيذ بعد إجهادهم اليومي المرهق ... وفي كل تلك الحالات التي كان يتخيلها فيها ... كان يراها تبتسم إليه وهي ترفع يدها لتملأ كأسه بالرحيق الملون هامسة وهي تتأهب للابتعاد عنه :

— أليس ذلك هو كل ما تطلب ؟

واحس أخيراً أنها أصبحت تشغل حيز تفكيره كله ... فلم يستطع كبت تلك الرغبــة التي كانت تلح عليــه في أن يتخذها حليلة له ، وطلب يدها من أبيها

وأجيب باتان إلى مطلبه : فقد كان يمتلك مركباً وشباكا ، علاوة على منزل بالقرب من الميناء ... في حين كان أوبان العجوز لا يمتلك شيئاً ... وتمت معدات الزفاف دون تأخير

وانقضت ثلاثة أيام استيقظ بعدها باتان من الحلم الذي كان يعيش فيــه ، وهو يعجب كيف أنه اعتقد يوماً أن تلك الفتـــاة ديزيريه تختلف في شيء عن غيرها من النساء . وابتدأ ينعت نفسه بالجنون ، ويعيب عليها ضعفها وخضوعها لذلك القيد الذي

قيدت نفسها به ... القيد الأبدى الذى استسلم إليه تحت تأثير الخمر ... نعم ! لقد كانت الخمر هى السبب فى ذلك الزواج ... الخمر التى كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن الفتاة قد مزجتها ببعض العقاقير السحرية للايقاع به

ولم يكف يانان عن سب نفسه طوال ذلك الوقت ... وما كاد يصل إلى ذلك الحد من التفكير حتى ألقى فضلات التبغ المتبقية فى غليونه ؛ وراح ينقل أسماكه الواحدة إثر الأخرى، وهو يغمغم غاضباً

وعندما بلغ منزله وجد زوجته — ابنة أوبان العجوز — قابعة هناك كعادتها . فلم يحيها بحرف . بل راح يكيل لها ألفاظ السباب الحادة ... فقابلتها الفتاة بأحد منها ، إذ كانت طبيعة والدها الهمجية متأصلة فيها . وكان ذلك مما يزيد فى غضب زوجها وإيلامه . ولكن تلك الآلام لم تبلغ الذروة إلا فى تلك الليلة التى اعتدى عليها فيها بالضرب

وخلال السنوات العشر التى تعاقبت بعدئذ .. لم يكن هناك من حديث يدور بين أهل الميناء إلا عن تلك المعاملة القاسية التى كان يتبعها يانان مع زوجته ، لا لشئ إلا لأنه كان موهوبا بالسليقة بلهجة فى سبابه لم يكن هناك فى فيكامب من يضارعه فيها

وعاشت المرأة المسكينة فى جو من الخوف والرعب عشر سنوات كاملة اعتادت أثناءها الوحدة والسكون ، عشر سنوات كاملة كان فيها الكفاية لتجعل منها هيكلا هزيلا يشبه هيكل سمكة صغيرة جافة

— ٢ —

استيقظت المرأة فجأة ذات ليلة على صوت أنين الرياح وهمهمة رياح البحر .. فجلست على فراشها وراحت أفكارها تتجمع فى نقطة واحدة حتى تركزت فى ذكرى زوجها الغائب فى مركبه وسط ذلك البحر الثائر ، وسكن الصوت . . فاستلقت على فراشها ولكنها لم تكد تغمض عينيها حتى هبت فزعة وقد روعها صوت العاصفة ، وقفزت من الفراش ثم هرولت نحو الميناء التى كانت قد امتلأت بجموع النساء وقد حملن فى أيديهن المصابيح ينرن بها الطريق للرجال الذين هرعوا بدورهم إلى هناك لمحاولة نجدة من يحتاج إليهم من الصائدين . . وظلوا محدقين فى المياه السوداء الممتدة أمامهم فى جلال وروعة وقد بدت أشباح مراكب الصيد الصغيرة وهى ترتفع وتنخفض فوق الأمواج الصاخبة ، ودامت العاصفة خمس عشرة ساعة

وكان من نتيجة ثورة الطبيعة أن أحد عشر صائداً قدر عليهم ألا يعودوا إلى منازلهم أبداً . . وكان يانان من بينهم

وقذفت الأمواج بحطام سفينة يانان « أميل الصفراء » إلى أحضان شاطئ « سان فاليرى » ولكنها لم تظهر أى أثر لجسد يانان

كان من الممكن أن يكون قد أصبح طعاما للأسماك . . . كما كان من الممكن أن يكون قد انتشل من المياه وأبحر مع منقذيه إلى حيث يقصدون

وعودت المرأة نفسها أن تحيا حياة الأرملة . . ولكنها إلى جانب ذلك لم تكن تمتنع من استقبال سائل أو مسافر أو بحار داخل مخدعها

وانقضت أربعة أعوام على اختفاء رجلها

ومالت الشمس إلى المغيب . . وهبت نسمات باردة تنذر باقتراب الليل . . وفزعت الأطيار إلى أوكارها . . فى حين كانت المرأة تسير فى شارع « اليهود » وقد لفت نظرها منزل قبطان عجوز .. كان يقف ببابه « دلال » ينادى على أثاث المنزل لبيعه .. وفى تلك اللحظة كان الرجل ممسكا بقفص قد استقر فيه ببغاء وهو يهتف :

— ثلاثة فرنكات .. طائر يتكلم كرجل القانون . . فقط ثلاثة فرنكات

وغمغمت دزيريه لصديق كان يتأبط ذراعها :

— يجب عليك شراؤه فسيكون لك نعم السمير . إننى واثقة من أن ذلك الطائر يساوى ثلاثين فرنكا ثقى من أنك تستطيع بيعه ثانية بعشرين أو خمسة وعشرين فرنكا

وارتفع صوت الدلال مرة أخرى قائلا :

هيا .. أربعة فرنكات أيها السادة . . أربعة فرنكات . . إنه يستطيع الترتيل ، فياله من أعجوبة نادرة . وأخيراً . انتقلت ملكية الببغاء وقفصه لدزيريه بعد أن رفعت ثمنه لأربعة فرنكات وخمسين سنتيما

وغمغمت المرأة قائلة بغضب لما رأت نقطة من الدماء تلوث يدها حين لامست رقبته وهى تضع له شيئا من الطعام فى حجرتها

— يا لله .. لم أكن أعلم أنه جريح

وتوجهت إلى فراشها بعد أن وضعت للطائر شيئا من الطعام وإناء صغيراً مملوءاً بالماء

ولم تكن أنوار الفجر الوردية قد بدت بعد ، حين تعالى إلى أذنى مدام باتان صوت واضح جلى يقول :

— ألم تستيقظى بعد أيتها المنكودة ؟

لقد رجع زوجها أخيراً . . فذلك الصوت صوته وتلك عادته فى مناداتها إذا ما استيقظ فى الصباح . وأحست برعشة تسرى فى عروقها فدفنت وجهها تحت الوسادة بينما راح جسدها يرتجف ارتجافا واضحا وهى تتمتم قائلة لنفسها :

— يا إله السموات . . لقد رجع ثانية وها هو ذا . . يالله

ومرت بضع دقائق دون أن يعكر صفو السكون الشامل صوت .. فأخرجت رأسها من تحت الوسادة ، كانت متأكدة من وجوده بالقرب منها يرقبها وهو على أتم استعداد للانهيال عليها بالضرب كما كان فى الماضى البعيد .. ولكنها لم تر شيئاً غير أشعة الشمس التى ابتدأت تخترق زجاج النافذة ، فهمست قائلة لنفسها :

— لا بد أن يكون مختفيا فى مكان ما

وظلت تنتظر .. وطال انتظارها فعاودها بعض هدوئها وغمغمت :

— إننى لم أره ... إذاً ... لا بد أننى كنت أهيم فى وادى الأحلام

وأغمضت عينيها مرة أخرى فى اللحظة التى ارتفع فيها صوت باتان كالرعد قائلا :

ألا زلت نائمة أيتها الملعونة ؟

وقفزت من فراشها وقد انتابها فزع المرأة المطيعة التى ظلت أربعة أعوام كاملة وهى ترزح تحت عبء الذكرى الأليمة..ذكرى العذاب الذى كان يسببه لها صوت ذلك الرجل الكريه ... وهتفت:

— ها أنا ذى يا باتان .. ماذا تريد ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتلفتت حولها فى دهشة .. ثم أخذت تبحث فى كل مكان.. ولكنها لم تجد أحداً . . وتهالكت على مقعد بالقرب منها وهى تحس بروح باتان ترفرف فوق رأسها .. وأخيراً تذكرت الحجرة الصغيرة الإضافية الواقعة فوق حجرة الطعام .. لا بد أن يكون مختبئا هناك فى انتظار مفاجأتها . . ثم . . ثم العودة إلى إلى نفس الحياة القاسية التى كانت تحياها من قبل .. ونظرت إلى سقف الغرفة وهى تقول متسائلة

— هل أنت فوق يا باتان ؟

ولم يكن هناك من جواب

وتسللت إلى الخارج فأحضرت سلماً تسلقته ونظرت فى الحجرة الصغيرة لترى . . لتراه . . ولكنها لم تعثر عليه . . فجلست على الأرض وابتدأت تبكى وهى ترتعد . ومن أسفل جاءها صوت باتان يقول :

— أى جو وأى رياح ..؟ إننى لم أتناول وجبة الصباح بعد

وصرخت المرأة من أعلى قائلة :

— إننى هنا يا باتان . . ها أنا ذى فى طريقى إليك لإعداد طعامك فلا تغضب .. ها أنا ذى آتية . وهبطت السلم بسرعة فائقة . ولكنها لم تجد أحداً بانتظارها

وأحست بضعف مميت يغمرها من رأسها لأخمص قدميها . وفكرت فى أن تهرع إلى الخارج مستغيثة حين ارتفع صوت باتان قائلا :

— إننى لم أتناول طعامى بعد أيتها ال...

كان الببغاء فى قفصه يتابع كلماته ، وهو يحدق فيها بعينين كجمرتين

ونظرت إليه والدهشة تغمرها ثم تمتمت :

— إذا ... إنه أنت . وتكلم الببغاء ثانية وهو يحرك رأسه انتظرى .. انتظرى قليلا .. فسألقى عليك درساً لتكونى أشد كسلا منك الآن

أى أحاسيس شعرت بها المرأة فى تلك اللحظة ؟ لقد شعرت تماماً أن الرجل الميت قد بعث مرة أخرى . . بعث حيا فى هيئة ذلك الببغاء

إذا ... سيعود مرة أخرى لإهانتها ... كما كان فى الماضى .. وسوف لا يمر يوم بهدوء . . وجيرانها ... سيعودون حتماً للهزء بها والسخرية منها

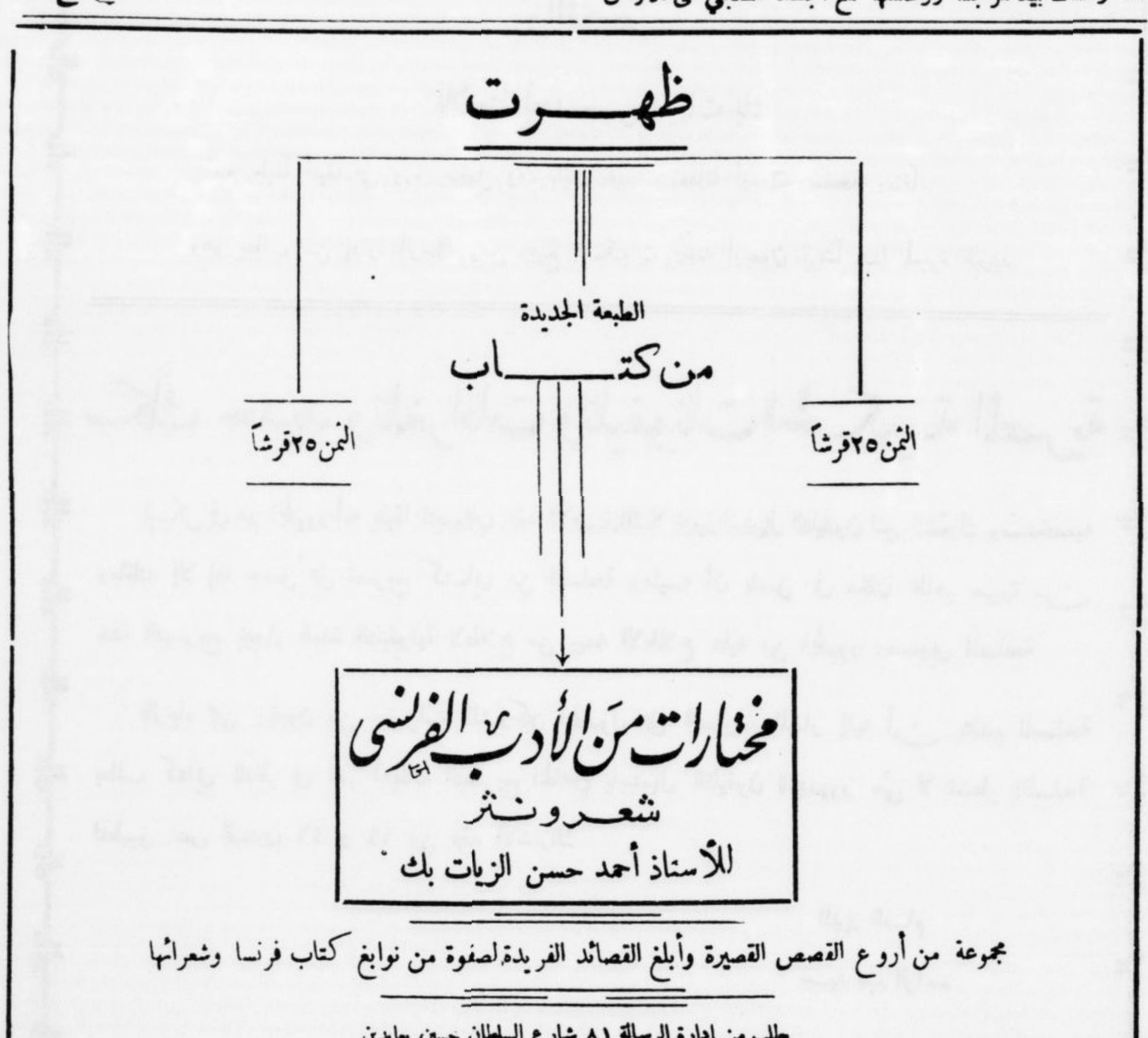
وأسرعت المرأة نحو القفص ففتحته وأخرجت الطائر الذى راح يدافع عن نفسه بمخالبه فيدمى يديها . . ولكنها لم تعبأ به . . وتهالكت فوقه على أرض الغرفة . . وراحت بكل قواها تضغط على رقبته حتى سكنت حركته

لم يعد يتحرك ، لم يعد يتكلم . ولكنه كان مستكينا استكانة الأبد بين ذراعيها . وجمعت الريشات الخضراء المتناثرة هنا وهناك بيد مرتجفة ووضعتها مع الجسد المسجى على الأرض فى لفافة صغيرة ... ثم هرولت إلى الخارج هاربة القدمين .. وقذفت بالحزمة الحاوية لـ ... للشئ الميت فى مياه البحر الهادئة . . . فبدت كحزمة من البرسيم الأخضر طافية فوق المياه الزرقاء

وعادت إلى حجرتها فركعت على ركبتيها أمام قفص الطائر الميت .. وراحت تبكى

كانت تشعر أنها ارتكبت إثما .. إثما هائلا كأكبر الجنايات وحشية . . فابتدأت تدعو الله أن يغفر لها !

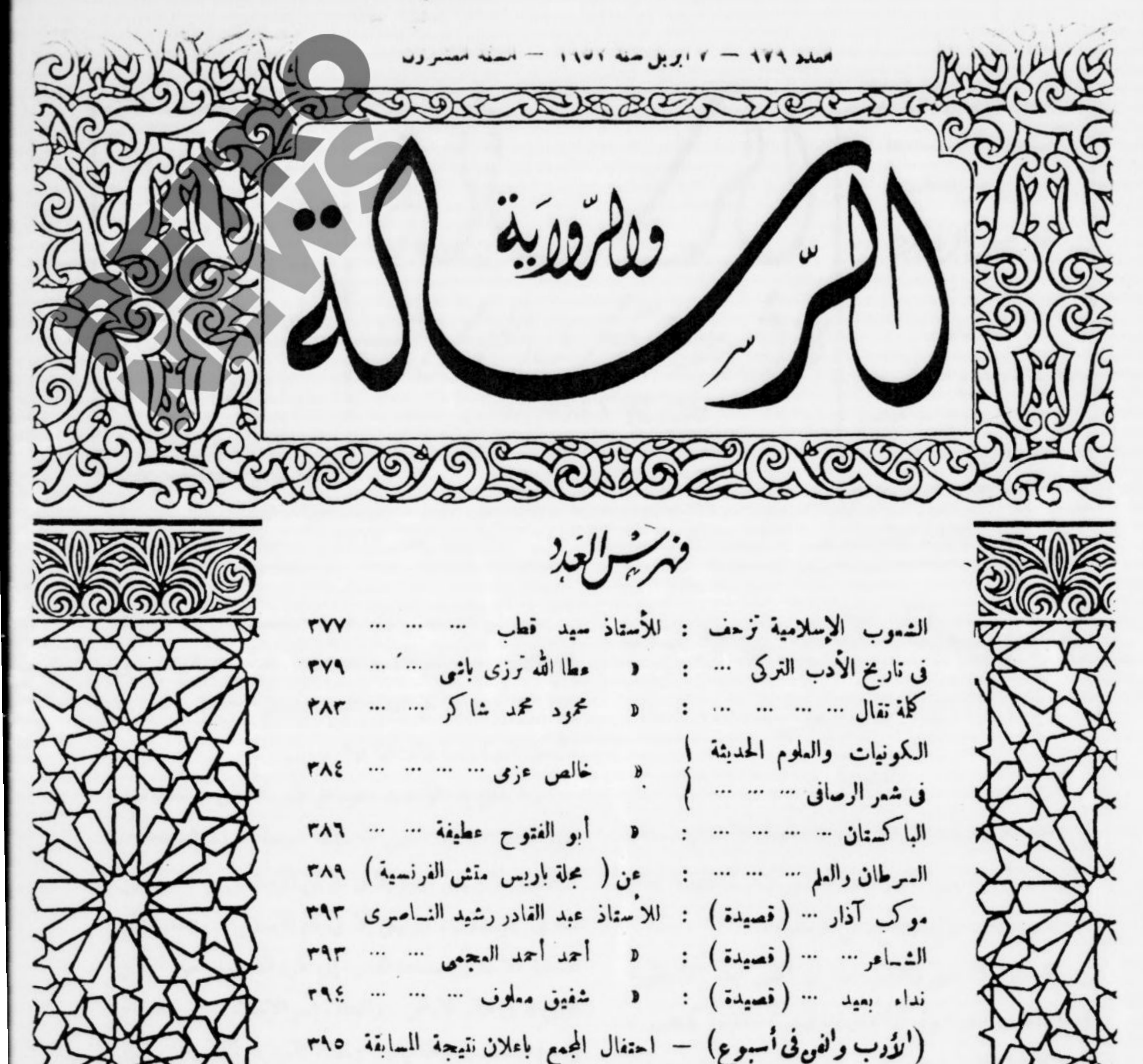
ع . ج



مطبعة الرسالة

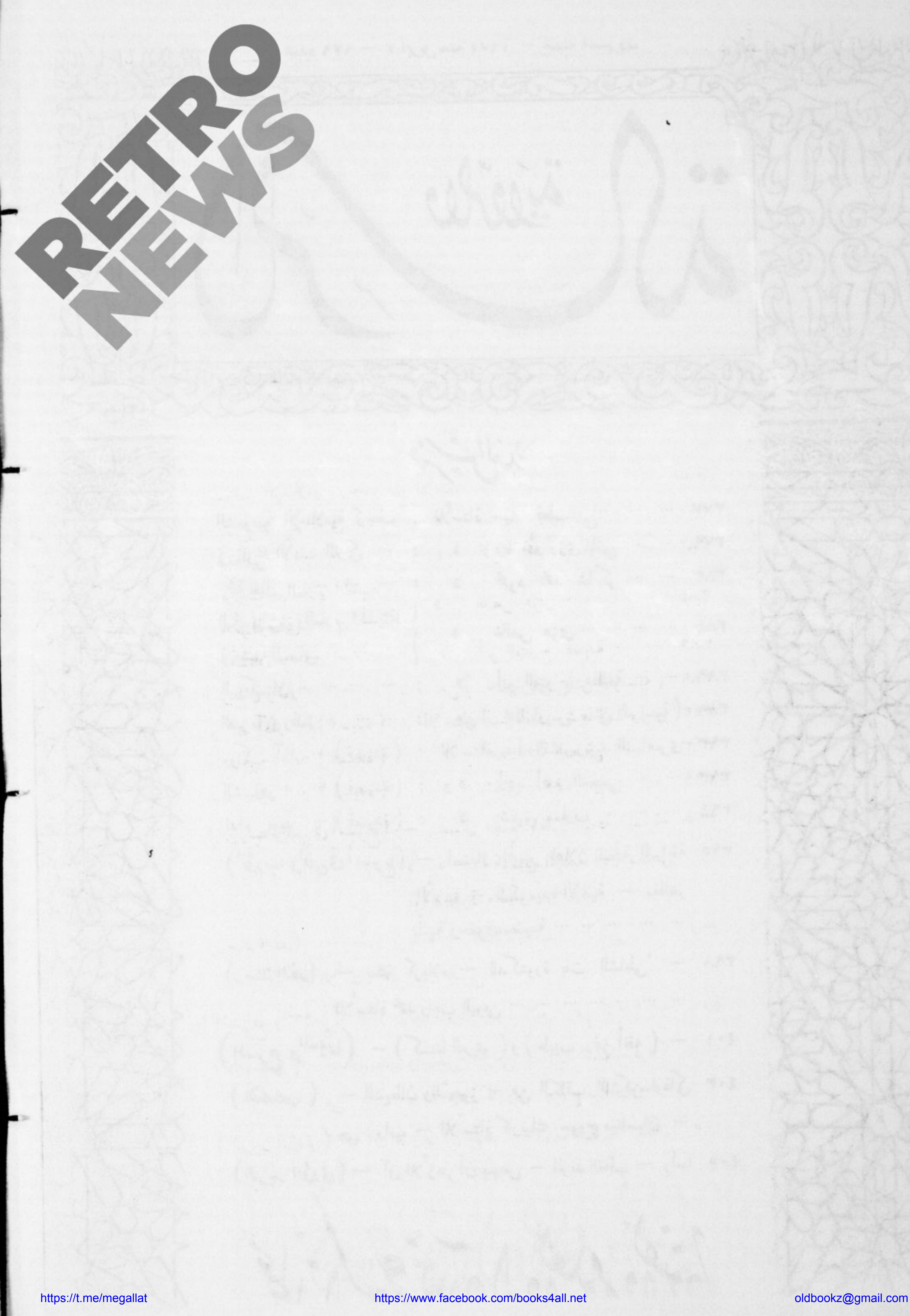


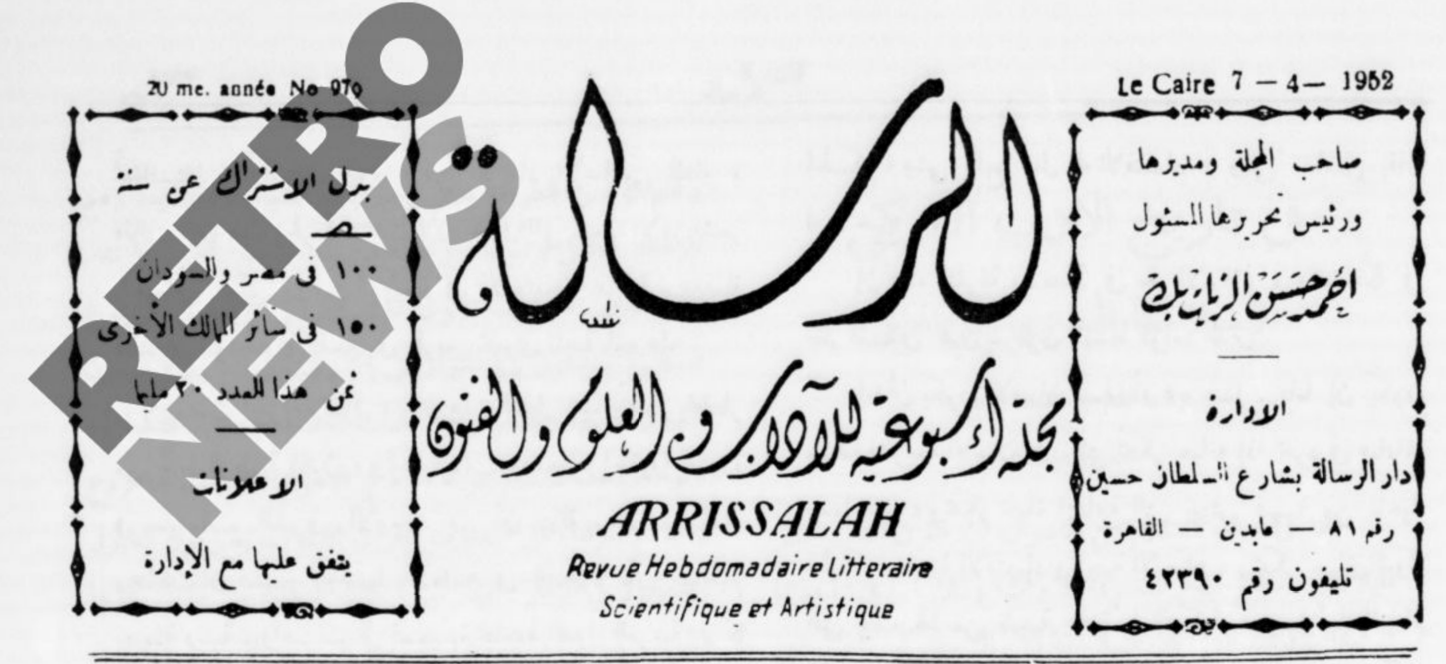
العدد ٩٧٦ — ٧ ابريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





العدد ٩٧٩ «القاهرة في يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٣٧١ — ٧ أبريل سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

الشعوب الإسلامية تزحف...

للأستاذ سيد قطب

أشد ما أفلح فيه الاستعمار في بلاد العالم الإسلامي، هو خلق تلك الطائفة من «البيغاوات» التي تردد أسطورة فصل الدولة عن الدين، وإبعاد الدين عن الوطنية!

لقد أمن الاستعمار واطمأن منذ أن أطلق هذه الأسطورة في أوساط المسلمين، وتركها تمزق وحدتهم، وتفرق كتلتهم، وتفقدهم الراية التي يفيئون إليها، فيحسون بتذاوب العنصريات وامحاء الفوارق، والاندماج بعضهم في بعض، قوة واحدة تقف متكتلة في وجه الاستعمار

ولكن إفلاح الاستعمار في هذه الدسيسة لم يكن ليستمر طويلا؛ فلقد انبعثت روح الإسلام من جديد في كل مكان، تتفاوت قوة وضعفا حسب العوامل المحلية المختلفة في كل قطر من أقطار المسلمين. ومتى ما انبعثت روح الإسلام الحقيقية، فلابد أن تصاحبها الدعوة إلى التكتل الإسلامي، فهذا التكتل جزء أصيل من العقيدة الإسلامية، ودفعة طبيعية من دفعات الإسلام، ولا محيص إن عاجلا أو آجلا من أن تزحف الدعوات المتواكبة المتجاوبة، ليلتقي بعضها ببعض في صورة من الصور؛

ولا مفر من أن تنتهي إلى غايتها الطبيعية، فتبرز الكتلة الإسلامية، برغم المعوقات والصعاب، وبرغم البيغاوات التي خلقها الاستعمار في كل قطر، لتهتف بأسطورة الدولة والدين، والسياسة والدين، والوطنية والدين

وما يقلق بال الاستعمار دعوة على ظهر الأرض كما تقلقه مثل هذه الدعوة. وما تقض مضجعه صيحة كهذه الصيحة. فالاستعمار لا يعيش اليوم إلا في الوطن الإسلامي. لقد تقلص ظله في كل مكان، فلم يبق إلا في عالم الإسلام. والدعوة إلى التكتل الإسلامي معناها الدعوة إلى طرد الاستعمار من الركن الباقي له في هذه الأرض. والهتاف باسم الإسلام معناه الصراخ في وجه الاستعمار والطغيان. ومعناه التهديد المطلق للاستعمار والطغيان.

ودون هذا ويحرك الاستعمار أبواقه وبيغاواته، ودون هذا ويبذر الاستعمار دسائسه ومؤامراته. ودون هذا وتنطلق صيحات الخطر في كل مكان، من خلط الدين بالسياسة، وخلط الوطنية بالدين!

نشرت جريدة المصري منذ أسبوعين تعقيبا لجريدة بومباي كرونكل الهندية جاء فيه:

«بومباي في ١٤ — لمراسل المصري — عقبت جريدة «بومباي كرونكل» على الدعوة التي تأتي من باكستان بضم جميع الدول الإسلامية في الشرقين الأدنى والأوسط بما فيها

أفغانستان وباكستان فى نوع من الاتحاد الإسلامى العام ، فقالت: إن هذه الحركة فشلت لأن الدول التى يهمها الأمر تشعر بإحساس عميق ورغبة أكيدة فى الاحتفاظ بذاتها ، مفضلة ذلك على الموافقة على السير فى طريق ثانوى تابعة لغيرها

ومضت الجريدة تقول : وإن هذه الدول جميعا تحس بالخطر من خلط الوطنية بالدين ، ولهذا السبب تتضح لنا الحقيقة البارزة فى سياسات الشرق الأوسط من أن دولة رفضت فرادى وجماعات أن تسمح لرياستها الكائنة فى القاهرة بأن تصطبغ بصبغة دينية ، وأصرت على تسميتها بجامعة الدول العربية ، كما أنها كانت حكيمة برفضها فكرة الجامعة الإسلامية لأن نتائجها فى غاية الخطورة حقا ، فكل تكتل على أساس دينى كفيل بإثارة الحزازات الداخلية لاختلاف المشاعر الوطنية والعنصرية ، وتنوع المصالح والآمال ، أما فى الخارج فسوف تخلق رد فعل مفعما بالشك والعداء مع بقية أنحاء العالم ، قد يفضى إلى نتائج ضارة بالجامعة الإسلامية ذاتها

وقد أثنت الجريدة على سياسة تركيا العلمانية قائلة : إنها ذات قيمة كبرى لأنها تقدم دليلا لا ينقض على حكمة زعماء الهند الذين جعلوا بلادهم دولة علمانية ، ومن جهة أخرى نرى أن عمل تركيا بمثلها العليا العلمانية التى ارتضتها لنفسها ، يعد ذا فائدة كبرى لدول الشرق الأوسط »

وما كان تعليق جريدة بومباى كرونكل ولن يكون إلا نموذجا من نماذج حركة التخويف التى يزاولها كل صاحب مصلحة فى استعمار بضعة من الوطن الإسلامى والهند تزاول لونا من الاعتداء على كشمير ، فتلتقى مصلحتها مع مصلحة الاستعمار فى عزل باكستان عن العالم الاسلامى ، وفى تخويف العالم الاسلامى من نتائج الدعوة الباكستانية إلى التكتل الاسلامى

إن أسطورة أن الدين شئ والوطنية أو السياسة شئ آخر ، هى أسطورة نشأت فى عوالم أخرى غير العالم الاسلامى . وإلا فالاسلام لا يعرف هذه التفرقة المصطنعة . الاسلام يعرف أنه عقيدة فى الضمير وشريعة للحياة . شريعة للحياة بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدولية . ليس هنالك شئ يقال له الدين وشئ آخر يقال له السياسة ، وشئ ثالث يقال له الحكم ، وشئ رابع يقال له الاقتصاد ، وشئ خامس يقال له الاجتماع

إن هذه التفرقة مضحكة فى نظر الاسلام ، ومضحكة فى نظر المسلمين الذين يعرفون أبسط قواعد الدين

إما أن يكون الانسان مسلما أو غير مسلم . فإما إن يكون مسلما فشريعة الاسلام هى التى تحكم حياته إذا تفرد فى عباداته ومعاملاته ، وتحكم حياة الجماعة التى يعيش فيها من ناحية الحكم وناحية الاقتصاد وناحية الاجتماع ، وتحكم حياة الدولة التى يخضع لها من ناحية علاقاتها الدولية ، وصلاتها بالعالم الخارجى كله .. وإما أن يكون غير مسلم فيدع لأى قانون آخر غير الشريعة الاسلامية أن تصرف حياته فى كل هذه النواحى..

وليس هنالك حل وسط ، فالاسلام لا يعرف أنصاف الحلول

والجريدة بومباى كرونكل أن تتحدث عن الخطر من خلط الوطنية بالدين ؛ فالدين يكون خطرا حقا على الحياة حينما يكون كالهندوكية التى تستبق الملايين من البشر فى مرتبة أقل من مرتبة الحيوان فى صورة منبوذين ، أو حينما يكون كاليهودية التى يعتقد أتباعها أنهم شعب الله المختار، وأن كل من عداهم من البشر لا حرمة له ولا حق فى رعاية ، وقالوا : « ليس علينا فى الأميين سبيل » فلهم أن يسرقوا مال البشرية كلها ، ولهم أن ينكلوا بالبشرية كلها ، وضميرهم الدينى مستريح !

فأما حين يكون الدين هو الاسلام ، فلاشئ من الخطر بل هو الخير للبشرية جميعا ، خير العدالة الاجتماعية التى يكفلها هذا الدين كما لم يكفلها نظام آخر من النظم التى تعرفها البشرية . وخير التضامن العالمى ، والسلام الدولى ، كما لم يكفله قانون دولى ولا منظمة جماعية

لقد سبق الاسلام هيئة الأمم المتحدة بأربعة عشر قرنا فى إيجاد معاهدات دولية للسلام يجتمع إليها أصحاب الديانات جميعا فى عهده ، بل تنضم إليها بعض المشركين !

ولقد سبق الاسلام الشيوعية بأربعة عشر قرنا فى دعوته إلى الوطن الواحد الذى يقوم على نظام اجتماعى معين ، وعلى فكرة إنسانية معينة ، تذوب فيها القوميات والجنسيات جميعا ولكن الاستعمار يفزع ويرجف من هذا التكتل الاسلامى ،

فى تاريخ الادب التركى

للأستاذ عطا الله ترزى باشى المحامى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

قلنا فى سياق الكلام عن التصوف أن القرن الثالث عشر الميلادى بمدمطلع نبوغ المتصوفة الأتراك، وذلك لسببين: أحدهما الرغبة الشديدة التى كان السلاجقة الأتراك يبدونها للمتصوفين ورجال الدين، وثانيهما هجرة المتصوفين إلى بلاد الأناضول، وذلك من جراء الغزوات التى كانت تشنها المغول فى الشرق . فسكن هؤلاء فى الأناضول ، وشرعوا يؤسسون الطرائق الدينية .

وكان مؤسس الطريقة يدعى (بير) أو الشيخ ، وهو يعد زعيم طريقته وحامل لوائها . ويخلفه من بعده شيخ آخر بإجازته . وأما الذين كانوا يسلكون تلك الطرائق ويتبعون الشيوخ فكانوا يُدعون بـ(الدراويش) . والمكان الذى فيه يقيمون الشعائر الدينية والطقوس والعبادات المختلفة ، يسمى (التكية) ، وتوسعت هذه التكايا بمر الأيام وكر الأعوام فتأسست لها فروع واجتمع حولها أهل التصوف ينقرون الدفوف ويضربون الطبول وينفخون فى الزمار . فيطربهم النغمات المنطلقة من قلوب ملؤها الحب والهوى ، فيرقصون برقصات الدروشة المعروفة ويتفننون بالأشعار الصوفية التى ينظمها شعراؤهم البارزون . ولهذا كنا نرى الشعراء يتبارون فى نظم المقطعات الشعرية التى تلائم هذه الحياة الموسيقية، تلك المنظومات الموزونة بأوزان تركية خاصة(١) وإن كان قد شاع بينهم العروض .

ويلاحظ فى هذا العصر أن الأدب التركى تأثر كثيراً بالأدب الفارسى ، كما أن هذا الأخير تأثر بالأول من بعض الوجوه ، وذلك بسبب الاختلاط الذى حدث حينذاك بين العناصر الإسلامية المختلفة . فنرى كثيراً من شعراء الترك ، وبالأخص المتصوفة منهم ، ينظمون الشعر باللغة الفارسية أو أنهم يقتبسون القواعد الشعرية الفارسية وأساليبها، أو يستعملون ألفاظاً فارسية فى أشعارهم . ولا ننس بعض الشعراء ممن نسوا لغتهم الأصلية أو هجروها فى الأدب . وكذلك نجد شعراء كثيرين من الفرس برعوا فى التفنن بالأدب التركى . . وهكذا فإن الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر كانت حياة متداخلة امتزجت بها الشعوب الشرقية تحت لواء الدين، فنتج من اتحاد هذه العناصر عنصر أدبى متماسك فى الروح والجوهر ، وإن كان متبايناً فى اللون والمظهر .

دور الأدب التركى فيما قبل العهد العثمانى :

ويشمل هذا الدور عهد الدولة الغزنوية (سنة ٩٦٢ م —

(١) وهى التى تعتمد على المقاطع الصوتية فيتكون كل بيت فى الشعر من عدد من المقاطع المتشابهة . ولها أنواع مختلفة مثل ٤ + ٤ و ٥ + ٣ و ٤ + ٤ + ٣ و ٦ + ٥ والخ ...

كذلك تخشاه الكتلة الشيوعية بدورها ، لأنه يقف فى وجهها سدا

فأما تركيا التى ضربتها جريدة بومباى كرونكل مثلا ، فما أقدمت دولة على حماقة مؤذية كالتى أقدمت عليها تركيا . . لقد كانت فى أضعف أيام الخلافة الوهمية الاسمية يحسب لها حساب. فأما اليوم فقد انتهت إلى أن تصبح ذيلا صغيرا حقيرا للكتلة الغربية ، ترتجف فرقا وفزعا من الكتلة الشرقية ، فلا هى كسبت الكرامة ، ولا هى كسبت السلامة !

إن عجلة الزمن تسير ، ولابد أن تطحن تلك العقبات التى يقيمها الاستعمار أو تقيمها الشيوعية فى وجه الكتلة الاسلامية. وستذوب الأفكار المضادة ، والشخصيات المضادة، والحكومات المضادة . وسيلتقى المسلمون يوما تحت راية الاسلام ، لا مصرى ولا سورى ولا لبنانى ولا عراقى ولا حجازى ولا نجدى ، ولا أردنى ولا يمنى ولا مراكشى ولا جزائرى ، ولا طرابلسى ولا إيرانى ، ولا تركى ، ولا أفغانستانى ولا باكستانى ولا أندونيسى . . ولكن مسلمون، ومسلمون فقط . . إن الشعوب الاسلامية تزحف ، ولن تقف عقبة واحدة فى الطريق ، يوم يلتقى زحف هذه الشعوب

سيد قطب

١١٨٣م) والدولة القاراخانية (٩٣٢ — ١٢١٢ م) والدولة السلجوقية (من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي) وعهـد المغول (من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي) (١)

وتميزت هـذه العهود بتحسن الوضع الاجتماعي للأتراك تحسناً كبيراً؛ فبسطوا سلطانهم في داخل البلاد الإسـلامية وكونوا لهم مركزاً ممتازاً بين المسلمين . وقد زاد اتصالهم بالعرب في هذه العهود ، وقويت العلائق بينهم وبين الفرس والهنود ، فنشأت علاقات ثقافية وثيقة كان لها من الأثر ما كان

إن الآثار الأدبية التي انتشرت في هذه العهود، والتي انتقلت إلينا على علاتها إنما مصدرها عهد الدولة الغزنوية . وقد تأسست هذه الدولة في بلاد الأفغان ومناطق البنجاب من الهند . وتوسعت شيئاً فشيئاً حتى بلغت أوج عظمتها في عهد السلطان محمود الغزنوي الذي كان يعطف على الشعراء والأدباء ويشجع الثقافة في البلاد

فقد ظهر في هذا العهد كتاب وعلماء مشهورون ، وكان جل اهتمامهم بالفـارسية . وظهر كذلك في هذا العصر بعض الآثار العربية . أما الآثار التركية التي عني بها رجال الفكر التركي فهي قليلة جدا . ولقد انتقلت إلينا من عهد القاراخانيين مؤلفات أدبية قيمة ، وكذلك آثار نفيسة من عهد السلاجقة ، يستدل منها على أن الأدب التركي في هذا الدور كان في عنفوان تكامله

ومن الآثار التي يصادف تاريخها هذه العهود كتاب « قوراتقوبيليك » الذي كتبه الأديب التركي (يوسف خاص حاجب) (٢) في سنة ٤٦٢ هـ بمدينة كاشغر ، وقدمه إلى الأمير القاراخاني (تابغاج قره بغراخان) فنصبه هذا حاجباً خاصا في قصره ، ومن هنا سمي بهـذا اللقب . ويتضمن كتابه أشعاراً أخلاقية نظمها بلغة تركية خالصة يندر فيها العثور على ألفاظ أعجمية . فهي بهذا الاعتبار أشعار لها قيمتها العظيمة في الأدب واللغة التركية من حيث الإفادة في استعمال كثير من الكلمات التركية المهجورة في الكتابة الحديثة

ويوجد من هذا الأثر ثلاث نسخ خطية، وجد إحداها المؤرخ المعروف (هامر) في استانبول، وكانت مكتوبة بالخط التركي القـديم (الأويغوري) فأرسلها إلى مكتبـة فيانة حيث حققها المستشرقون هناك ونشروها مراراً . ويرجع تاريخ هذه النسخة إلى سنة ١٤٣٩ م . أما الثانية فوجدت في مدينة (فرغانة) وكانت مدونة بالحروف التركية العربية . أما النسخة الثالثة فإنها محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة

وكتاب « عيبة الحقائق » الذي ألفه الشاعر أحمد بن محمود في القرن الثالث عشر الميلادي باللهجة التركية الكاشغرية . وهو مجموعة منظومات في النصح والإرشاد . وقد وجد النسخة الخطية الأولى منها الأستاذ نجيب بك عاصم مدرس اللغات الشرقية في دار الفنون باستانبول ، في مكتبة أيا صوفيا . وكانت مكتوبة بالحروف التركية القديمة (الأويغورية) وبالحروف التركية العثمانية (العربية) . فتمكن من تحقيقهـا ونشرها في سنة ١٩١٨ (٣)

وكتاب « ديوان لغات الترك » وهو يعد بمثابة معجم ، كتبه محمود حسين الكاشغري سنة ٤٧٠ هـ ببغداد ليكون مرشدا للمتعلمين، وكان هذا المؤلف يحذق اللغة العربية بقدر ما يجيد لغته التركية ، وقد سكن في بغداد مدة خمس سنوات (بين سنة ١٠٧٢ م وسنة ١٠٧٧ م) في الوقت الذي كانت للبلاد العراقية تحت حكم السلاجقة ، فأهدى كتابه هذا إلى الخليفة العباسي المقتدي بالله (٤) وهو أثر قيم يماثل دوائر المعارف في هـذا العصر ، فقد اشتمل على خمسمائة وسبعة آلاف مادة في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية ، وهو يصور الحياة الاجتماعية والأدبية في ذلك العصر خير تصوير ، وقد استفاد منه الأتراك في الوقت الحاضر استفادة كلية في استنباط الحقائق التاريخية

(١) ولتاريخ هذه الدول راجع الدكتور رضا نور في كتـابه (تاريخ الترك)

(٢) لا نعرف من حياة هذا العالم إلا شيئاً قليلا . وقد قيل إنه كان من طلاب الفيلسوف ابن سينا وذلك لتشابه أفكارهما في الإنتاج العقلي .

(٣) أنظر الأستاذ حسن عالي وجماعته في كتاب (نماذج من الأدب التركي) ص ٢٧

(٤) نهاد سامي : المرجع السالف الذكر ص ٧٦

والأدبية ، واستخراج المواد اللغوية التى استعاضوا بها من الألفاظ العربية والفارسية

وقد وجدت نسخته الخطية فى استانبول فحققها العلم رفعت الكليسى ونشرتها وزارة المعارف التركية فى ثلاث مجلدات، ثم قام بطبعها ثانية مؤتمر اللغة التركية بإشراف الأستاذ بسيم آتالاى

مشاهير الشعراء فى هذا الدور :

وأول من يتبادر إلى الذهن الشاعر الصوفى الشهير « أحمد يسوى » مؤسس الطريقة اليسوية فى تركستان ، ولد فى مدينة « سايرام » من بلاد تركستان ، ودرس العلوم على الشيخ يوسف الهمدانى فى مدينة بخارى ، ثم عاد إلى مدينة « يسة » حيث أسس أول تكية تركية فى التاريخ هناك ، وتوفى سنة ٥٦٢ هـ أما تاريخ مولده فغير معروف ، ويذهب « مليورانسكى » إلى أنه توفى بالغاً من العمر ستة وثلاثين سنة، مستدلا على ذلك من بعض أشعاره(٥)

لقد كان هذا الشاعر من عظماء المتصوفة فى وقته، واشتهر كزعيم دينى كبير ومرشد وولى كامل ، فكانت الجماعات الغفيرة تلتف حوله يأملون منه الالطاف وينالون الدعاء .. وكان لأدبه أثر عميق فى النفوس . وعرف ديوانه الشعرى بين الناس بديوان الحكمة لما كان يتضمن من الحكم البالغة والمواعظ الحسنة والأمثال

الخوجه دهانى

وقد عرفه إلى عالم الأدب لأول مرة الأستاذ فؤاد كوبريلى، إذ كان هذا الشاعر غير معروف فى الأوساط الأدبية حتى تمكن الأستاذ كوبريلى من العثور على بعض الوثائق التاريخية فى جوامع المكتبات . وتمكن بعد ذلك من التعمق فى البحث حتى حصل على كثير من المعلومات حوله ، فنشرها فى بعض المجلات التركية (٦) ويتضح من تلك الدراسات أنه كان خراسانى المولد وأناضولى النشأة ، حيث أدرك عصر الأمير علاء الدين كيقباد ، وعاشر هذا الأمير مدة من الزمن ، مدحه فى بعض قصائده . وهو يعد أول شاعر تركى جمع ديوانا مرتبا على الحروف الهجائية، إذ لا نعرف شاعراً تركيا آخر سبقه فى هذا الخصوص

جلال الدين الرومى :

ولد فى ٣٠ / ايلول / ١٢٠٧ م (٦٠٤هـ) فى مدينة (بلخ) وتوفى سنة ٦٧٢ هـ فى ولاية (قونية) التركية . وكان والده (بهاء الدين ولد) الملقب بسلطان العلماء ؛ من خيرة رجال العلم والأدب ، وزعيم الطبقة المنورة فى زمانه . رحل هذا العالم ومعه ابنه جلال الدين إلى الديار الحجازية.. ومن ثم رجع إلى مدينة (قونية) حيث استقر فيها . ولقى أثناء إقامته هناك حظوة عند الأمير السلجوقى علاء الدين كيقباد

توفى الشيخ بهاء الدين سنة ٦٢٨ هـ وكان قد لقن ولده العلوم الظاهرية . ورأى جلال الدين بعد وفاة أبيه أن يسعى لإكمال دراسته وإتمام ثقافته ، فاتصل بالسيد برهان الدين الترمذى — من تلامذة والده — فدرس عليه العلوم الباطنية ، وقد نال إعجابه . فما كان من السيد الترمذى إلا أن جعله (مريداً) له

وتعد سنة ١٢٤٤ م بداية عهد جديد فى حياة جلال الدين الرومى ، فقد التقى بالشيخ شمس الدين التبريزى المتصوف المعروف، فانصرف معه إلى الحياة التصوفية . وبدأ منذ ذلك اليوم . ينظم القصائد الجياد فى الشعر التصوفى حتى غدا شاعرا يشار إليه بالبنان، وقد خلف مؤلفات قيمة ترجمت إلى لغات كثيرة ، نذكر منها « الديوان الكبير » الذى اشتمل على منظومات رباعية بديعة وأشعار رقيقة فى الغزل . و « المثنوى » وقد حاز إعجاب الجمهور، ونال استحسان الأندية الثقافية. فأقدم العلماء على درسه وترجمته إلى لغات مختلفة . ويتضمن هذا الكتاب قصصاً وروايات رمزية ، ونصائح وإرشادات دينية قيمة . ويحتوى كذلك على شرح المذهب الصوفى فى محبة الله ...

وقد جاء الكتاب بأسلوب قصصى بديع تجلى فيه الأدب

(٥) دائرة المعارف الاسلامية : جـ ١ مادة (أحمد يسوى)

(٦) منها مجلة « حياة » العدد ١ و١٠٣

الرفيع بأبهى جماله . وكان جلال الدين قد نظم أشعاره باللغة الفارسية باستثناء بعض المقطعات التركية (٧) وهو مع ذلك لاينفي كونه تركيا خالصا إذ يقول :

« أصلم توركست ا كرجه هندو كويم »

يعني : أنني من الأصل التركي وإن اخترت الفارسية لغة

وهو يعد بحق مؤسس الطريقة الجلالية التي سميت فيما بعد بالطريقة المولوية . وتوسعت هذه الطريقة على يد ولده النجيب الموسوم بـ (سلطان ولد) (٨) الذي تمكن من نشر لوائها فوق سماء البلاد النائية ، فتفرعت الطريقة إلى فروع تغلغلت جذورها في داخل الأقطار العراقية والسورية والمصرية، وانتشرت مبادئها كذلك في بلاد آذربيجان الشمالية

ولهذه الطريقة أثر عظيم في سير الأدب التركي . فقد أخذ الشعراء الأتراك يتقربون إلى شيوخها ويعتنقون تقاليد الطريقة وشعائرها المعروفة، فظهر لون من الأدب ينبغي تسميته بالأدب المولوي الذي أصبح فيما بعد يسمى بأدب التكايا ، وذلك نتيجة تنوع الطرائق الصوفية وانتشارها في طول البلاد وعرضها

هذه نبذة مختصرة عن حياة الشاعر جلال الدين الرومي وعن أثره في الأدب التركي . وهناك شعراء كثيرون ممن عاشوا في هذه العهود أمثال الخوارزمي والخجندي وسليمان باقر ومير حيدر ولطفي وأميري وحسين بايقرا وعلي شيرنوائي والقاضي برهان الدين وضرير الأرضرومي وحبيبي وخطائي وغيرهم من شعراء الترك(٩) ، إن أردنا الاستفاضة في دراستهم في هذا المقام لطال بنا المقال ، وخرج عما سميناه بالنظرات ولذا راعينا جانب الاختصار وتجانبنا التفصيل...

وهنا نكون قد أعطينا للقارئ صورة مختصرة للأدوار التاريخية التي مر بها الأدب التركي منذ نشأته حتى أوائل العهد العثماني . وقد رأينا فيها أن الأدب التركي في هذه الفترات كان يكتنفه شيء من الغموض، بحيث يتعذر معه الوصول إلى كشف خفاياه وإظهار مجاهله ، وذلك لافتقارنا الشديد إلى المصادر التاريخية القديمة التي ترشدنا إلى معالم هذا الأدب في عصوره المظلمة .

ورأينا في هذا المقال أننا كلما تدرجنا في الموضوع تدرجا زمنيا وجدنا أن الأدب التركي يزداد وضوحا في العصور الأخيرة وسنرى في دراساتنا القادمة ، إن سمح لنا الوقت، أن الأدب التركي أصبح موضوعه أمرا ملموسا له حدود ثابتة وأدوار تاريخية معينة . .

كركوك (العراق) عطا الله ترزي باشي

(٧) وقد جمع هذه المقطعات البروفيسور التركي محمد شرف الدين ونشرها في مجلة « توركيات»

(٨) وهو شاعر كوالده مطبوع له أشعار رائعة في اللغتين الفارسية والتركية

(٩) انظر فؤاد كوبريلي في مجلة « يكي تورك) العدد ٤ ص ٢٧٦

كلمة تقال ...!!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أخي الأستاذ علي الطنطاوي

سلام عليك . يقال في المثل : « كرها تركب الإبل السفر » وقد استطعت أنت أن تكره القلم إلى ما أردت أن أنزهه عنه . فلولا ما أضمرت من قديم المودة لك، ولولا ما عرفت من صدقك، ولولا أنني أجلك عن أن تكون مجولا إلى غير صواب ، ولولا أني أكره أن تأخذ عني شيئاً لم أقله بلساني ، لولا ذلك كله ، لكان أبغض شيء إلى أن أستكره نفسي على غير ما رأيت أنه أجل بي وأصون . وإنك لتعلم ، أيها الصديق القديم ، أني أكره أن أزداد من الشر ، أو أن أتزود من لجاجة الباطل ، والكتابة في زماننا هذا شر مستحكم ، وباطل لجوج متوقح . وقد اقتحم وعرها من لا يحسن المشي في سهولها ، وتشهاها من لو أنصف نفسه لحال بينها وبين ما تشتهي ، واتخذها صناعة من لو عقل لأعفى نفسه من مزاولتها . ولكن هكذا كان ، ورحم الله الطائي إذ يقول لمحمد بن عبد الملك الزيات :

أبا جعفر ، إن الجهالة أمها	ولود ، وأم العلم جذاء حائل
أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم	شعوب تلاقت دوننا وقبائل
غدوا ، وكأن الجهل يجمعهم به	أب ، وذوو الآداب فيهم نواقل

وأنت تعلم أن من أنصب النصب ، أن تتصدى لإفهام من لا يفهم عنك ، فإذا بلغ الأمر أن تراه يتصبب لجدالك ، فاذكر قول من قال : إذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا . وقد لقيت أنا من شر ذلك ما لقيت ، فآثرت أن أسلك سبيلي لا يشغلني عنه متعلق بأذيالي ، إرادة أن يصرفني عن الوجه الذي أردت

ولقد قرأت كلمتك في الرسالة ، فأسفت أشد الأسف ، لأني عرفت منها أنك لم تقرأ ما كتبته في مجلة « المسلمون » وفي أربعة أعداد منها . ولو كنت قرأتها لما كتبت ما كتبت، لأني لا أشك في ذكائك وحسن فهمك . فأنا لم أتعرض في شيء منها لبني أمية أو بني العباس ، ولا لحكمهم ، ولا لسياستهم ؛ فعجبت أشد العجب كيف يمكن أن تكون مني أو علي في أمر لم أقل فيه كلمة، ولا يعلم أحد ممن كتب رأيي فيه ، ولا كيف أقول إذا أنا تعرضت للبيان عنه ؟ فمن أجل ذلك عجبت ، لأنك لم تنصف على عادتك من الإنصاف

وأنا محدثك باختصار عن هذا الذي كتبته . أصل ذلك كله أني رأيت من كتب من المحدثين في شأن تاريخ الماضين من أسلافنا ، يكتب أو يتحدث بأسلوب أقل ما يقال فيه أنه مشوب بالحماقة الشديدة ، مختلط بالجهالة المتراكبة ، في معرفة أصول التاريخ ، مغموس في حمأة من الافتراء والتطاول ، مستنقع في أهواء سيئة رديئة . وزعمت أن للناس أدبا وأسلوبا في كتابة التاريخ ، وأن للمسلمين خاصة أدب وأسلوب في التاريخ ينبع من أصل دينهم ، في العدل ، وفي حسن النظر ، وفي الأناة في طلب الحق ، وفي كف اللسان عن التهجم بالقول السيء على عباد الله بلا بينة ، وفي التناهي عن اقتفاء المرء ما ليس له به علم ، وفي التثبت من الأخبار قبل تصديقها . وهو أدب كما تعلم كان قديما في كتبنا ، ولكن حضارة هذا القرن قد نشرت وباء شديد الفتك ، ذهب بأكثر هذا الأدب ، وأخذت في طريق أضرب المثل على هذا بكاتب رأيته لم يتورع عن سلب الناس دينهم ، ولم يخش الله في نفي الإسلام عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي تصوير أعمالهم بصورة أعمال المنافقين، وفي أخذ الروايات الباطلة وجعلها دليلا على التميزة في إيمانهم ، وفي رد الروايات الثابتة الصادقة بروايات كاذبة ادعاها مدع من الرافضة، إلى غير ذلك مما سأبينه فيما أكتب في مجلة «المسلمون» وزعمت أن هذا ليس ديدن هذا الكاتب وحده ، بل صار ديدنا لأكثر من يكتب الآن في شيء من تاريخ هذه الأمة المسلمة ، حتى صار الطعن في صحابة رسول الله أمراً مرتكبا بلا حذر

وما دمت لم أزد في كلامي على هذا ، فلست أدري بعد ما الذي يحملك على أن تخذلني أو تنصرني في أمر لم أنطق بعد فيه بكلمة! نعم ! قد يكون رأيي فيما أبديت أنت فيه رأيك ، مخالفا لك ، ولكني لم أتكلم بعد فتعرف حجتي فيه . بل لعلي إذا كنت لك

الكونيات والعلوم الحديثة

في شعر الرصافي

بمناسبة الذكرى السابعة على وفاته

للاستاذ خالص عزمي

الرصافي — الذى نحيى ذكراه — ثورة من ثورات الفكر المجدد، وداعية من دعاة النهضة العلمية الحديثة، فضلا عن كونه أميراً من أمراء الشعر، أطلق لفكره العنان فى مواضع التفكير الصائب، ذلك التفكير الذى تنطلق منه حينا تأملات الذهن الباحثة عن شتى العلوم والفنون

كان الرصافى — رحمه الله — يبعث بصره (فى كثير من الأحيان) جوالا فى السماء، فى ذلك الكون الشاسع، فى ضياء الشمس نهارا، وإلى كواكب السماء، إلى البدر النير ليلا، فيصور بريشة الإحساس المرهف، وبشة الفنان الملهم، صوراً رفيعة المغزى، تقترب من الحقائق شيئا كثيرا، معتمدة، على فكر ثاقب، وتطلع متزن، ثم على إجهاد فى البحث، والتتبع المستمر لآراء كبار الكتاب والمفكرين، فيصل بكل ذلك إلى كبد الحقيقة، ولا ينتهى منها شيئا حتى يبدأ بسلسلة من الأفكار الجديدة، شأن كل شاعر حر ومفكر مبدع

يجلس الرصافى ليلته بأفكار مجنحة، ونفس هادئة، وفكر مستقر، يوصل بصره فى تلك الصفحة التى تضيئها أنوار النجوم الزواهر، والمجموعات النورية، فتحولها قطعة كبيرة لا تدركها الأبصار، شاعرية التكوين والتشكيل، لا يمكن وصفها على حقيقتها إلا من شاعر ملهم، كالرصافى ... قلنا يجلس ليلته، فلا يكاد يستقر بصره حينا حتى تثور شاعريته فيقول ويستمر فى القول حتى ينتهى به المطاف إلى تكوين قصيدة مسبوكة الحواشى يحار لتكوينها الفكر، كما حدث فى قصيدته الرائعة (تجاه اللانهاية) حيث يقول: —

فى فضاء لو سافر البرق فيه	ألف قرن لما أتى مستقره
ولو الشمس ضوعفت ألف ضعف	لم تكن فى أثيره غير ذره
ولو الفكر خاض فيه مسفذا	لم يكن بالغا يد الدهر قعره
سعة تحسب المجرة فيها	حلقة ألقيت بصحراء قفره
إن تكن هذه المجرة نهرا	مستفيضا فشمسنا منه قطره
إن تسائل عنا فنحن هباء	ذر من صنعة القوى بعذره

ثم إنك (يا قارئى الكريم) — لو ألقيت نظارة على قصيدته المشهورة — من أين وإلى أين — لرأيته يفند فى مواضع كثيرة قول العلماء المشهور ونظريتهم المعروفة التى تتلخص فى «أن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير فيقول: —

من أين من أين يا ابتدائى	ثم إلى أين يا انتهائى
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء
أمن وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء

مخالفا، ثم عرضت عليك خلافى لك، أن تكون أسرع إلى موافقتى منك إلى الخلاف على، حين ترى فيما أقول صوابا يرضيك. أليس هذا جائزا، وممكنا أيضا؟ فإذا رأيتنى بلغت فى سياق مقالاتى فى «المسلمون» إلى ذكر دول الإسلام، فعندئذ فقل، فأنا أقبل منك ما تقول. واعلم أنى لا آنف أن أصير إلى الحق إذا عرفته. ولقد عشت على هذه الأرض زمانا طويلا، واعتقدت منذ عقلت آراء كثيرة، ثم تبين لى أن الحق فى خلافها، فرجعت عنها جملة، ولم أبال بما كنت أرى. ولعلك أنت خاصة تعلم من ذلك مالا يعلمه غيرك

وأنا أحب أن ترجع إلى ما كتبته فى مجلة «المسلمون» ولا تأخذ كلام أهل اللجاجة، فإنهم أوهموك، فيما أظن، أنى قلت شيئا، والحقيقة أنى لم أقل بعد فيما تناولته أنت شيئا، وأنا أعيذك أن تتورط فى هذا الشر الذى نجاهد جميعا فى دفع الناس عنه، وهو أخذ الأقوال بلا بينة، وبلا حجة، وبلا برهان. ولك منى تحية كنت أحب أن تبلغك، على غير هذه الراحلة المكرهة على ارتكاب طريق دنسته الأقدام، والسلام

محمود محمد شاكر

لأى أمر ذه الليالى تأتى وتمضى على الولاء

أرى ضياء بروق عينى ولست أدرى كنهه الضياء

وما اهتزاز الأثير إلا علالة نزرة الجلاء

وهنا يرى (القارئ) أن الشاعر الكبير قال فى البيت الأخير ما معناه «أن العلماء فسروا ذلك التفسير المبهم لأنهم لا يدركون الحقيقة بل وجدوا ذلك الحل مخلصاً فى حلقة مفرغة لا يتصلون إلى نهايتها بتاتا»

ثم يصف تزاحم الذرات فى الجسم وهو ما يسمى (عرك الألكترونات). فيقول:

فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقاء

وفى دقاق الجماد عرك ينهم الحس بالخطاء

وينتقل بعد ذلك فيخاطب تلك القوة الخارقة المعروفة بقوة الجذب فيقول: —

ياقوة الجذب أطلقينى من ثقلة أوجبت عنائى

ثم يتابع القول فيتجه نحو الكهرباء السماوى الذى ينبعث من النجوم والكواكب والأقمار فيقول

وأنت ياكهرباء سر بدا وما زال فى غشاء

عجائب الكون وهى شتى فيك انطوت أيما انطواء

أضأت إن شئت كل داج لنا وأدنيت كل ناء

ففى هذه القصيدة لاحظ — القارئ الكريم — أن المرحوم الرصافى قال فى أهم النظريات العلمية الحديثة، فقد قال فى (تزاحم الإلكترونات) وجزئيات الجسم ثم فى قانون الجذب العام، ونظرية داروين فى النشوء والارتقاء وفى الإشعاع الضوئى، هذه المواضيع كلها تصور لنا مدى تتبع الشاعر الكبير للنظريات العلمية، تفنيدها فى مواضع ومجاراتها فى مواضع أخرى

وتتبلور الفكرة التى نتحدث عنها فى وضوح شامل فى قصيدته ا (كن يا ضياء) ومعناها (كن إلى ذلك الشىء يا ضياء ... أو توجه إليه) وبها ينتقد أكبر العلماء وأرقام مدارك فى علوم الفلك والطبيعة: حيث يقول

أبينى ما وراءك يادرارى فنحن نخاله بمدا شطونا

قد اتسع الفضاء لك اتساعا فهل أبعاده بك ينتهينا

وترصدك الأنام وما أتانا بعلم كيانك المترصدونا

(فهدشل) ما شفا منا غليلا ولا (غاليل) أنبأنا اليقينا

و(كبلر) قد هدى أو كادلا أبانك يانجوم تجاذبينا

ومن كل ما تقدم يتبين للقارئ الكريم أن للرصافى عقلية استوعبت كثيرا من العلوم، وأدركت من الحقائق والمحسوسات ما جعلها ترتفع شيئا كبيرا من المستوى الفكرى السطحى لأكثر الشعراء

ونحن بهذه الكلمة البسيطة لايمكننا تبيان ما نريده فى مجال هذا الموضوع المتشعب، إذ لو أردنا تحقيق ذلك وإدراكه لاحتجنا إلى كثير من الصفحات، وكثير من الساعات بل الأيام لكى نسجل بها أو نشرح ما قاله شاعرنا الكبير فى هذا الصدد

ولكن لا بأس من أن ننهى حديثنا هذا بما قاله العلامة الكبير (المغربى) فى مقدمته للطبعة الثانية من ديوان (الرصافى) حيث كتب يقول فى هذا الباب — باب الكونيات — مايلى «... وقصائده (نجاه اللانهاية) و(من أين إلى أين) و(نحن على منطاد) و(الأرض) و(الكن يا ضياء) و(معترك الحياة) وغيرها لو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التى وصفت بها الكائنات وصفا منطبقا على آخر نظريات العلم الحديث.. ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة، والجاذبية، والأثير والكهربائية وأشعة (رنجتن) وآراء داروين فى النشوء والارتقاء، ومذهب ديكارت فى التوصل إلى اليقين عن طريق الشك، ومبادئ الاشتراكيين فى أن تكون للعامل حصة من إنتاجه»

تركوا السعى والتكسب فى الدنيا وعاشوا على الرعية عالة

يا كانون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخالة

يتجلى النعيم فيهم فتبكى أعين السعى من نعيم البطالة

ليس هذا فى مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحالة

بغداد خالص عزمى

٢ - الباكستان

السياسة الخارجية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إن وحدة العالم الإسلامي هي أحد الأركان الأساسية التي تقوم عليها سياسة باكستان . » محمد ظفر الله خان وزير الخارجية

كراتشي — القاهرة

في هاتين المدينتين تتركز السياسة الخارجية للدول الإسلامية، فقي القاهرة تقوم الجامعة العربية وفي كراجي (كراتشي) تقوم حركة الجامعة الإسلامية

وقد كان من المفهوم أنه لا يوجد تضارب بين الفكرتين ، بل كان مفروضا أن تحول الجامعة العربية إلى وحدة إسلامية أمر سهل ميسور ولا غبار عليه ، ولكن بعض التصريحات التي صدرت في القاهرة أخيرا أشعرتنا بأن هناك خلافا في وجهات النظر حول الفكرتين . فالجامعة العربية تقوم على أساس المنصرية وعلى أساس من المصالح المتبادلة بين الدول العربية ، لا على أساس طائفي أو ديني ، بهذا صرح سعادة الأمين العام وقال إنه يعارض فكرة إنشاء الجامعة الإسلامية لأنها تكون مؤسسة دينية طائفية تقف في سبيلها كل الهيئات غير الإسلامية ، كما أنها تغضب الهند والفلبين وهما تتعاونان مع الجامعة العربية

وأنا أرى أنه إن كان المقصود بالهيئات غير الإسلامية اليهود المقيمين بإسرائيل فإن هؤلاء سيغضبون حقا لقيام الوحدة الإسلامية ، أما إن كان المقصود المسيحيين واليهود المقيمين بسائر الدول الإسلامية فهؤلاء لن يغضبوا لأنهم عاشوا آلاف السنين مع إخوانهم المسلمين جنبا إلى جنب ، تظلهم راية الإسلام ويتمتعون في كنفه بالأمن والحرية والسلام . تلك الحقوق التي كفلها لهم الإسلام

وأعترف بأنني قد حاولت جاهدا أن أفهم سر ما نزل بعرب فلسطين من بلاء وتشريد وقتل ونهب وسفك دماء وهتك أعراض ، وقد تمخضت هذه الجرائم عن قيام دولة إسرائيل . فلم أجد سببا لكل هذا إلا تعصب الصهيونيين الديني

وإنني أضع أمام القراء صورة لما نزل بالمسلمين في القارة الهندية من أذى وبلاء مما دفعهم إلى الاستماتة في سبيل إقامة دولة ينعمون في ظلها بالأمن والطمأنينة والحرية، وقد كلل الله جهودهم بالنجاح . فأقاموا دولة الباكستان فكانت لهم دار أمن وسلام . ألم يكن الهندوكيون يعملون على تجنيس المسلمين أو إفنائهم ؟

وها أنذا أقص على حضرات القراء بعض ما وقع في الهند عند تنفيذ مشروع التقسيم :

في ١٩٤٧ أعلن تقسيم الهند إلى دولتين : الهندستان والباكستان . فماذا فعل الهندوس ؟ انطلقوا يقتلون الأبرياء من المسلمين، وكانت دلهي عاصمة الهند نفسها مسرحا لآلاف من الجرائم المروعة ذهب ضحيتها آلاف من المسلمين الأبرياء

واشهد معي وقارن : لقد هاجر من الباكستان كثيرون من الهندوس والسيخ آمنين مطمئنين يحملون معهم أموالهم وآثاثهم ومتاعهم وكان عدد المهاجرين منهم ما يلي :

٤٢٧٫٠٠٠	بالسيارات
١٫٣٦٢٫٠٠٠	بالسكك الحديدية
٨٤٩٫٠٠٠	بالعجلات التي تجرها الحيوانات
١٣٣٫٠٠٠	بالبواخر
٢٧٫٥٠٠	بالطائرات

أما المهاجرون المسلمون فكانت قصة هجرتهم إلى الباكستان مأساة : لقد أخرجوا من أرضهم وبيوتهم وأموالهم تحت وابل من الرصاص والنيران . وقد هاجر معظمهم سيرا على الأقدام فلم يصل إلا أقلهم، أما معظمهم فقد مات في أثناء الطريق من البرد والحر والجوع والإعياء وكثيرون اغتيلوا أو ماتوا غرقا في الأنهار

وقد ظن بعضهم أنهم محظوظون حينما أتيح لهم الانتقال بالسيارات والقطر الحديدية ولكن خاب ظنهم . لقد كانوا معرضين في كل محطة وقف بها القطار إلى هجمات السيخ والهندوس، ولقد كانت السيارات أو القطر تصل فعلا إلى حدود

الباكستان ولكنها كانت تصل فارغـــة أو مملوءة بالجثث وبالمشوهين فقط !!!

واستمر المسلمون يهجرون الهندستان بالملايين ، تاركين وراءهم أموالهم وأملاكهم هاربين بإيمانهم لا يبالون بما ينتظرهم في الطريق من المخاطر والعدوان وزادهم الله هـدى وإيمانا . لقد كان أحدهم إذا بلغ حدود الدولة الإسلامية فقيرا مشوها عاجزا فما هو إلا أن تطأ قدماه أرض الوطن حتى يسجد لله شكرا . لقد أصبح للمسلمين دار أمان في أرض الهند !

لماذا نزل هـذا البلاء بالبـاكستانيين ؟ ألم يكن كل ذنبهم أنهم مسلمون ؟

الجامعة الإسلامية قائمة سواء أراد الأعداء أم لم يريدوا . قال محمد ظفر الله خان « ونحن المسلمين لا نحمل أي نيات عدائية ضد أي أمة أو أمم ، ولسنا نرغب إلا أن نحيا حياة حرة كريمة ، وأن ننهض في الاتجـاه الذي نعتقد أنه الحق ، وأن نستغل مواردنا الأدبية والمادية لخدمة شعوبنا ولخدمة الإنسانية بحيث نسهم بنصيبنا في إقرار السـلام وإشاعة حسن النية في جميع ربوع العالم ! »

المؤتمر الإسلامي

انعقد هذا المؤتمر وهو يمثل الشعوب الإسلامية في كراتشي وكان يرأســـه سماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين وقد اتخذ المؤتمر القرارات الآتية ـ وهي خاصة بفلسطين :

بما أن قضية فلسطين هي قضية إسلامية عامة لصلتها الوثيقة بمصالح المسلمين فإن مجلس المؤتمر يقرر ما يلي :

١ : مطالبة جميع الدول والشعوب الإسلامية بتأييد قضية فلسطين ودفع الخطر المحدق بالمسجد الأقصى والعمل على إنقاذ هذه البلاد المقدسة من أيدي المعتدين

٢ : إعادة اللاجئين إلى أراضيهم وأملاكهم وفقا لقرار هيئة الأمم المتحدة

٣ : استعادة مئات من المساجد والمعابد التي استولى عليها اليهود والأوقاف الإسلامية والمقابر وسائر الأملاك ، واحترام الملكية الشخصية وحفظها لأصحـــابها كما ينص على ذلك القانون الدولي

٤ : معارضة كل صلح أو تسوية مع اليهود

٥ : يدعو المؤتمر جميع المسلمين حكومات وشعوبا إلى مقاطعة ما يسمى (دولة اسرائيل) مقاطعة عامة شاملة في كل النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، كما يدعو إلى مقاطعة اليهود حيث كانوا في أقطار العالم ، وتجنب التعامل معهم إلى أن يتحقق زوال خطرهم على فلسطين والبلاد الإسـلامية كافة ، وتكليف اللجنة التنفيذية بتشكيل مكتب خاص لتحقيق ذلك بالوسائل العملية

ونحن نرجو أن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ فإن العبرة بذلك لا بكتابتها على الورق

مؤتمر كراتشي :

وجهت الباكستان الدعوة إلى الدول الإسلامية للاشتراك في هذا المؤتمر الذي ينتظر عقده في النصف الثاني من شهر أبريل ، ومهمته بحث المسائل العامة المشتركة وإقامة نظام استشاري بين الدول الإسلامية مما يسـاعد على إقامة تعاون أوثق بينها الأمر الذي فيه مصلحتها

يتضح من كل ما سبق أن الباكستان تتجه في سـياستها الخارجية إلى إقامة تعـاون وثيق بينها وبين الدول العربية ، وإلى هذا يشير معالي ظفر الله خان بقوله : إن وحدة العالم الإسـلامي هي أحد الأركان الأساسية التي تقوم عليها سياسة الباكستان

وفي الوقت ذاته تقوم روابط الصداقة بين الباكستان وبريطانيـا . والواقع أن ظروف الباكستان الجغرافية هي التي أملت عليها هذه السياسة . فالباكستان تجاور الهند من ناحية ، وهي قريبة من روسيا وأملاكها الآسـيوية من ناحية أخرى . فقد كان عداء الهندوس للمسلمين من أبناء الباكستان ممـــا دفع الباكستانيين إلى محاولة إيجاد الجـامعة الإسلامية « والمؤمنون إخوة » بنص القرآن الكريم . كما أن الخطر الروسي أدى إلى

قيام روابط الصداقة بينهم وبين بريطانيا ، ولا تنس أن بريطانيا كانت تحكم الهند إلى وقت حد قريب ، وأنها تزعم استقلال القارة الهندية ما تزال تسيطر على أسواقها التجارية ، فإن بريطانيا حريصة تماما على تجارة الهند

حيدر آباد — كشمير :

ولايتان من ولايات القارة الهندية قامت بسببهما مشكلتان بين الهندوستان والباكستان

وحيدر آباد مقاطعة في هضبة الركن ؛ وهي أكبر إمارات الهند وأغناها، إذ تبلغ مساحتها ٣٥٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها نحو سبعة عشر مليونا من الأنفس منهم نحو مليونين من المسلمين وهم أقلية . وكان يحكمها نظام حيدر آباد، وكان من أغنى أغنياء العالم

ولما قامت دولتا الهندستان والباكستان اختار نظام حيدر آباد وهو مسلم أن تظل بلاده مستقلة ، ولكن الهندستان لم تقنع بذلك . وفي ١٩٤٨ ساقت جيوشها إلى الولاية واحتلتها بدعوى أن أغلبية السكان من الهندوس ! !

وأما كشمير فهي مقاطعة جبلية في شمال الباكستان الغربية، وفيها توجد منابع السند ، ومن ثم كانت أهميتها بالنسبة للباكستان كأهمية السودان بالنسبة إلى مصر . يضاف إلى ذلك ٩٣ ٪ من سكان مسلمون . وتجاورها من الشرق مقاطعة جو، وهي كذلك مقاطعة إسلامية ؛ إذ أن ٦٢ ٪ من سكانها مسلمون أيضا

وكان يحكم كشمير منذ ١٨٤٦ أمير هندوسي اشتراها من شركة الهند الشرقية البريطانية . وتبلغ مساحتها نحو ٨٤٫٠٠٠ ميل مربع، وعدد سكانها أربعة ملايين

وفي ١٩٤٧ تم تقسيم القارة الهندية إلى دولتين : الهندستان والباكستان، وكان من الضروري أن تنضم كشمير إلى الباكستان لأن معظم سكانها من المسلمين (وقد رأينا أن الهندستان ضمت حيدر آباد بحجة أن أغلبية السكان من الهندوس) ، ولكن الهندستان لجأت إلى سياسة العسف فعملت على دفع حاكم كشمير الهندوسي إلى إقامة حكم إرهابي عنيف مما يؤدي إلى إفناء المسلمين أو هجرتهم، وشجعت هجرة الهندوس إليها حتى تصبح الأغلبية ، لهم وبدأت الحركة في جو، ففي مقاطعة دوفرا[1] قتل ٢٣٧٫٠٠٠ من المسلمين على يد قوات المهراجا نفسه، وكان يساعدها جماعات منظمة من السيخ والهندوس . وقد أدت هذه الحوادث فعلا إلى إفناء ثلثي المسلمين في مقاطعة جو مما بدل نسبة السكان والهندوس فيها

إزاء هذه الحوادث قام رجال القبائل في كشمير لنجدة إخوانهم وانتصروا على جيوش المهراجا ، وأقاموا حكومة وطنية هي حكومة « كشمير الحرة » أو « آزاد كشمير »

استنجد المهراجا بالهندستان فبعثت إليه بجنودها ودباباتها وطياراتها، وتقدمت الباكستان تدافع من أهل كشمير المسلمين، وبدأت مشكلة كشمير تهدد السلام العالمي، وتدخلت هيئة الأمم المتحدة لتحل القضية حلا « عادلا » فوقف القتال عند احتفاظ القوات الهندية بجزء كبير من مقاطعة جو وسيطرة حكومة « كشمير الحرة » على سائر المقاطعة . وهكذا انتصر رجال القبائل الشجعان على جيشي المهراجا والهندستان . وما تزال القضية منظورة أمام هيئة الأمم المتحدة

وموقف الهندستان في هذه القضية عجيب . لقد ضمت حيدر آباد لأن معظم سكانها من الهندوس، وهي تعارض في ضم كشمير إلى الباكستان مع أن أغلب السكان من المسلمين . إن غايتها واضحة . إن استيلاءها على كشمير خطر دائم يهدد الباكستان

(١) لعلها أكرا — المصحح

سهو

جاء في المقال الأول عن الباكستان أن مساحتها ٣٦٠ مليون كيلو متر مربع ، وصحتها ٣٦٠٫٠٠٠ ميلا مربعا وقد لزم التنويه

أبو الفتوح عطيفة

ماذا قال العلماء فى مؤتمر السرطان

السرطان والعلم

خلاصة وافية لآراء العلماء

عن مجلة (باريس مَتش) الفرنسية

السرطان فى طليعة الأمراض التى لم يستطع العلم أن يتغلب عليها حتى اليوم

فى سنة ١٩٠٠ كان معدل الوفيات بالسرطان فى الولايات المتحدة نحو أربعة فى المائة من مجموع الوفيات، فبلغ فى سنة ١٩٤٦ نحو ١٤ فى المائة. ويقول الخبراء إن هذه الزيادة ترجع إلى ارتفاع مستوى عمر الإنسان لأن السرطان مرض يصيب عامة الأشخاص الذين جاوزوا الأربعين، وعلى هذا فازدياد عدد الذين يجاوزون الأربعين بفضل تقدم الطب واكتشافاته يؤدى إلى ازدياد عدد مرضى السرطان

ومع أن السرطان يصيب الشبان والأطفال أحياناً فهو فى شرع الطب من أمراض المسنين. فى كل سنة يموت فى الولايات المتحدة بالسرطان نحو ١٨٠ ألفاً وفى فرنسا نحو ٧٥ ألفاً، ومع ذلك ففى كل يوم يشفى عدد كبير من حاملى هذا الداء بكل سهولة وبدون ألم، لأن تقدم الطب فى السنوات الأخيرة والوسائل التى اكتشفها لتشخيص السرطان جعلت هذا الداء من الأمراض السهلة الشفاء متى عولج فى أول أمره، ولكنه يتحول إلى آفة مهلكة إذا أهمل وتفاقم

ماذا أدرك الطب من حقيقة السرطان؟ نجيب بكل أسف: لا شئ تقريباً. فكيف يرجى إذن شفاؤه وهو ما يزال سراً مغلقاً؟ نقول بالطريقة ذاتها التى تشفى ذات الرئة بالبنسلين، أى دون أن نعرف كيف يتم هذا الشفاء، وبالطريقة نفسها التى يعالج داء السكر بالأنسولين دون أن نعرف حتى الآن العوامل السرية التى ينجم عنها الداء. وهكذا يعالجون فقر الدم المرهق بخلاصة الكبد مع أنهم يجهلون حقيقة هذا المرض

فالأمر لا يدعو إلى اليأس كما يظهر لأول وهلة. وإذا كان العلماء يتعقبون اليوم السرطان فى ظلام حالك، فهذا لا يعنى أنهم لن يتغلبوا عليه، فشفاء السرطان غير بعيد والعلم ماض فى هذا السبيل بخطى واسعة

إن سر السرطان كسر النمو بل هو سر الحياة نفسها، وإلى الآن لم يتمكن أحد من معرفة سر التفاعل الذى يحدث فى قلب الخلية الحية. والمعروف من وظائف الخلية ١: أن عمل المواد الغذائية غير الحية وتحولها إلى مواد حية. وهذه العملية تدعى بالاصطلاح العلمى «أنا بوليسم» وهى مأخوذة عن اليونانية ومعناها «التركيب». ٢: أن تحلل المواد المركبة الطبيعية الحية وتحولها إلى فضلات بسيطة، وهذه العملية تدعى «كاتابوليسم» من لفظة يونانية معناها «التحليل». وهاتان الوظيفتان تؤلفان ما يدعونه «ميتا بوليسم»، وما الميتابوليسم سوى تفاعل الحياة نفسه، محولا إلى شكله البسيط كما يراه الكيميائى

لا ينكر أن العلم قد تقدم فى درس الميتابوليسم، غير أن تقدمه ما يزال محدوداً. لقد عرف كيف تحلل الخلية بعض العناصر المركبة وتحولها إلى عناصر بسيطة، ولكنه لا يعرف إلا شيئاً ضئيلا عن الطريقة التى تحول بها الخليه العناصر البسيطة إلى عناصر مركبة ضرورية لنموها. ثم إن لدى العلماء اليوم معلومات عن الطريقة التى تحول بها الخلية العناصر الحية إلى عناصر ميتة، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن كيفية تحويل العناصر الميتة إلى عناصر حية. إن مشكلة السرطان منوطة بهذا النوع الثانى من الميتابوليسم، فهى إذن ومشكلة الحياة سواء

والسرطان ليس داء مختصا بالإنسان، بل يتناول الحيوان والنبات أيضاً، فهو يصيب الفئران والقطط والكلاب وخنازير الهند والأرانب والخيل والغنم والمعز والضفادع والسمك والطيور وغيرها، كما يصيب أنواعاً شتى من النبات. وهو يختلف شكلا ونوعاً، فما يسببه من الأعراض فى حيوان لا يسببه فى غيره، فإذا لقح أرنب من هاظانا مثلا بنوع من الأورام، فقد ينمو كالسرطان، ولكن إذا لقح أرنب من خلايا بالنوع ذاته فإنه ينمو بعض الوقت ثم يضؤل. وقد لاحظوا أن معالجة كيميائية قد تنفع فى بعض الأورام السرطانية ولا تنفع فى غيرها، وهذا مما يدل على وجود أنواع مختلفة من السرطان،

أو أن هذا الذى يدعونه سرطاناً ليس داء واحداً بل هو أنواع متباينة وإن يكن تشخيصها الظاهرى واحداً . ولهذا يجب إيجاد معالجات تختلف باختلاف أنواع السرطان . أما والأمر ما ذكرنا فمن الحماقة أن يرتجى اكتشاف دواء واحد للسرطان كما يقال عن دواء وحيد لذات الرئة . والسرطان كغيره من الأمراض يفرض على الطبيب قضايا ثلاثاً: السبب، والتشخيص، والمعالجة . وعلى هذه القضايا الثلاث مدار بحثنا التالى

فسبب السرطان هو أعقد المشاكل التى تعترض الطب فى بحوثه السرطانية ، وقد تشعبت فيه الآراء ، وكلها نظريات لا يؤيدها إثبات مقنع . وفى مذهب الكيمائيين اليوم أن المباحث السرطانية يجب أن تبنى على درس الحوامض الخلوية ، فقد لاحظوا أن تجزؤ الخلية ينتج عن وجود بعض تلك الحوامض فيها ، فإذا تمكن رجال العلم من تشخيص العوامل التى تنظم وظائف انقسام الخلية ، فعندئذ نستطيع أن نقول إنهم حلوا معضلة السرطان

إن التجارب التى أجريت فى الحوامض الخلوية الموجودة فى الكروموزوم (الكروموزوم مادة توجد فى نوايا الخلايا التى تتمركز فيها الصفات التناسلية) قد أسفرت عن نتائج مدهشة، فإن نفراً من الخبراء فى معهد روكفلر توصل إلى تحويل نوع من الأعضاء الميكروسكوبية فى بقة إلى نوع آخر . وهذا أمر لم يحلم به البيولوجيون من قبل . وقد دلت النتائج على أن من الممكن ، على الأقل من البقة ، تغيير أو تعديل نمو الأعضاء الميكروسكوبية . وليس بدعا أن تتم هذه العملية فى الإنسان . ومتى تمت جاز لنا أن نعتقد أن فى بعض الحالات غير الطبيعية كالسرطان مثلا يستطاع بوسائل اصطناعية — أى باستخدام عناصر كيمائية أو طبيعية — توقيف النمو غير الطبيعى وتوجيه الخلايا الفوضوية إلى المجرى الطبيعى . غير أن كل هذا لا يخرج الآن عن فرض وأمل ، وقبل أن يبلغ العلم هذه الأمنية يقتضى له جهوداً كبيرة وتجارب عديدة ومحاولات لا تحصى

وتتجه أنظار البيولوجيين اليوم إلى العوامل التى تسبب الفوضى فى الخلايا السرطانية فتنمو بكثرة وبغير نظام . والمعروف من الخلايا السرطانية أنها أشد نشاطا وأكبر حيوية من الخلايا العادية السليمة . والمبدأ الذى يعتمدونه فى أبحاثهم قائم على حكمهم بوجود اختلاف كبير فى كيفية التغذية بين الخلايا السليمة والخلايا السرطانية ولا سيما الأغذية السكربوهيدراتية . ويرون أن للخلايا السرطانية طريقة خاصة فى التغذية، ولكنهم حتى اليوم لم يهتدوا إليها أو بالأحرى لم يهتدوا إلى معالجة فعالة

وهناك نظرية أخرى تقول إن السرطان مسبب عن فيروس فيجب إذن أن يعد فى جملة الأمراض الميكروبية . وما برحت هذه النظرية منذ خمسين سنة موضع اختلاف العلماء . وهى تبنى اليوم على واقع أثبته الاختبار؛ وهو أن الفيروس سبب سرطان الدجاج وبعض الحيوانات الأخرى مما يحمل على الظن بأن هذا الفيروس نفسه سيكتشف يوما فى سرطان الإنسان . وللعلماء فى هذه القضية رأيان : إما أن الفيروس نظرية وهمية ، وإما أنه لشدة صغره لم يهتد إليه حتى الآن فى الأورام السرطانية . والحقيقة أن الفيروس متناه فى الصغر حتى لا يدركه التصور ، فلو صففنا ١٧ مليونا من هذا الميكروب لما جاوز طول الخط السنتيمترين ونصف السنتيمتر . والأمل معقود على الميكروسكوب الألكترونى الذى يكبر الشئ مئات الألوف من المرات أن يرينا الفيروس ، على فرض وجوده ، داخل الخلية المريضة ، وفى أثناء المؤتمر الأخير عرض عدة من الأطباء الاختصاصيين بالسرطان صورا لهيئات ميكروسكوبية شبيهة بالفيروس، ولكنها لم تثبت نهائيا

وبحثت فى المؤتمر مسألة الغذاء، فقال الدكتور ألبرتاننبوم من شيكاغو: لو أن عدد السمان فى العالم أقل مما هو لكان السرطان أخف وطأة . وتؤيد قوله إحصاءات شركات التأمين التى تدل على أن السمان هم أكثر تعرضا للسرطان من سواهم . ولكن هذا لا يعنى أن كل سمين مقدر له أن يكون فريسة للسرطان، بل ينبهنا إلى المحافظة على وزننا العادى . إن لغذائنا علاقة كبيرة بوزننا ، فنحن نأكل كثيرا ونتغذى قليلا، أى أننا نستهلك كثيرا من الأصناف التى لا تتفق قيمتها الغذائية وكميتها . أما المواد الغذائية الصالحة فيجب أن تكون مؤلفة على الأكثر من البروتين الذى يوجد فى اللحم والبيض واللبن والسمك والجبن والخضار . وعلى الأقل من النشويات كالبطاطس والحبوب والدهن وما إليها . وإذا كان

العلماء لم يتمكنوا حتى اليوم من نسبة السرطان إلى أسباب معينة فالبحوث الكيميائية في خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة استطاعت أن تنسب إلى عدد من المواد الغذائية بعض أسباب الداء

ومتى وجد لداء واحد علاجات عديدة فليس لأحد منها نفع أكيد. وهذا ما يقال في السرطان الذي يحارب بعدة من الأسلحة. لقد عدد الدكتور وكولم من كولومبيا بين العلاجات التي استعملها الإنسان منذ القدم: حساء السراطين[1] المهول، اللزوق، الفضة، الذهب، الزئبق، النحاس، الكبريت، الزرنيخ، البرد، ورق البنفسج، الكهرباء، الضفادع السامة، سم الحيات. وفي يومنا لا يقل عدد العلاجات التي تستعمل عن تلك، ولكن ليس بينها واحد يمكننا أن نعزو إليه الأفضلية. ومن العلاجات التي تعتمد اليوم نذكر بعض العناصر المشعة. والهرمونات أي خلاصة إفرازات الغدد الصماء، ومركبات مختلفة من الحامض الفوليك، وكلوريدات الميثيلامين. وكلها لا تضمن الشفاء فهي قد تلجم الداء مدة لكنها لا توقفه نهائياً. وهذا شأن « الخردل الأزوتي » الذي اكتشفه الفرنسيون قبل الحرب ثم اتخذ منه الألمان والأميركان مركبا في خلالها

كان الأميركان قبل الحرب الأخيرة ينظرون نظرة الواجف إلى بحوث الألمان في الغازات السامة لا سيما في نوع جديد منها يدعى « ابيريت » فعمدوا إلى درس عناصرها على أمل أن يكتشفوا، على الأقل، مما كسا لها يقيهم شرها. وقد استدرجتهم دروسهم إلى اكتشاف « الخردل النيتروجيني » وهو مادة ذات شأن كبير في مكافحة السرطان، غير أنه وإن يكن في رأس الأدوية التي تعتمد اليوم في معالجة السرطان فليس هو الدواء المنشود

أما الذي أجمع عليه علماء السرطان فهو أنه لا يوجد حتى الآن لمعالجة هذا الداء في أول أمره معالجة فعالة سوى طريقتين: مبضع الجراح، وأشعة الراديوم أو أشعة اكس (أو الاثنين معاً) والحقيقة الراهنة أنهم يتمكنون اليوم بكل سهولة من قطع دابر السرطان ولكن في بدايته. وإن لم يكن في قدرة العلم اليوم أن يكتشف الدواء الذي يقضي على هذه الآفة، ففي مكنته أن يكتشف طريقة تشخصها قبل استفحالها. وقد أدرك العلماء أن مشكلة السرطان لا تتوقف على إيجاد الدواء الناجع، بل على التشخيص الراهن، والتشخيص يؤلف أيضاً مشكلة أخرى لأن السرطان هو أحد تلك الأمراض التي تكمن طويلا في الجسم، ولا تظهر أعراضها إلا بعد استفحالها، فضلا عن أن أعراض السرطان تلتبس أحياناً كثيرة بأعراض غيره من الأمراض، غير أن الدلائل التي يمكننا أن نعزوها إلى عوارض سرطانية هي:

١ — كل مرض يطول شفاؤه وخصوصاً في اللسان

٢ — كل ورم لا يؤلم أو يزداد حجمه خصوصاً في الصدر أو في الشفتين أو في اللسان

٣ — كل نزيف دموي غير عادي من منافذ الجسم

٤ — كل ثؤلول أو شامة يتغير لونها أو يزداد حجمها

٥ — كل عسر هضم مستديم

٦ — كل بحة مستديمة، أو سعال لا يعرف سببه، أو صعوبة في البلع

٧ — كل تغيير في البراز

ولكن هذه العوارض لا تظهر لسوء الحظ إلا بعد أن يكون الداء قد تمكن من ضحيته، ولهذا يعنى العلماء باكتشاف طريقة تمكنهم من تشخيص المرض قبل ظهور أعراضه

إن المعدة هي أكثر أعضاء الجسم تعرضا للسرطان، وتدل الإحصاءات على أن نصف الإصابات السرطانية يتناول المعدة، والنصف الآخر بقية الأعضاء. وأعراض هذا السرطان أقل ظهوراً وتشخيصها أكثر صعوبة، ولذلك يدعونه « السرطان الصامت ».

وكان الأطباء وما يزالون يبنون تشخيصهم في الأورام السرطانية الداخلية على الصور التي تلتقطها الأشعة، غير أن تلك الصور قد تضلل الطبيب أحياناً لغموضها فلا يمكنه الجزم في أمرها. وقد حل هذه المشكلة أخيراً العالم دجون كولتمان من مختبرات وستنهوس في بتسبورغ بصنعه جهازاً يوضح الصور خمسمائة مرة أكثر من الأشعة المجهولة

(١) السرطان باللغة اللاتينية يدعى « كنسر » وهذه اللفظة تعني السرطان الحيوان المائي المعروف

ومن المعلوم الآن أن الكهرباء موجودة في كل حي ، وأن التيارات التي يصدرها أحد الأعضاء كالقلب أو المخ مثلا تختلف عن تيارات الأعضاء الأخرى . وقد عنى الدكتور بر بهذه القضية فعهد إلى الطبيعي سيسيل لاين في صنع جهاز يسجل التيارات الكهربائية الضعيفة . وما كاد يجربه بر حتى أدهشته النتيجة؛ إذ ظهر له أن تيارات الخلية المريضة تختلف بشكلها عن تيارات الخلية السليمة . وفي أثناء تجاربه العديدة خامره الشك في صحة آلته، إذ رسمت شكلا واحدا للتيارات المنبعثة من الفئران المصابة بالسرطان ولغيرها من التي كان يحسبها سليمة . بيد أن آلته لم تخطيء وإنما كان هو الواهم ، وكم كانت دهشته عظيمة يوم رأى بعد بضعة أسابيع أن تلك الفئران — التي خرجت في اعتقاده على القاعدة — قد ظهرت فيها نواحي سرطانية . فتحقق عندئذ أن آلته لم تكذب، بل أنبأت بوجود البؤر السرطانية في الفئران قبل ظهورها . وعندئذ بدأ بر يجرب جهازه في الأحياء البشرية، وقد اقتصر أولا في تجاربه على النساء فعمد إلى ٧٥ امرأة لا شبهة في أنهن مصابات بالسرطان فلم تسجل الآلة نتيجة سلبية إلا لواحدة فقط . وفحص ٦١٦ امرأة فحكم الجهاز بسلامتهن ثم فحصهن بطرق أخرى فلم يشتبه إلا بخمس منهن

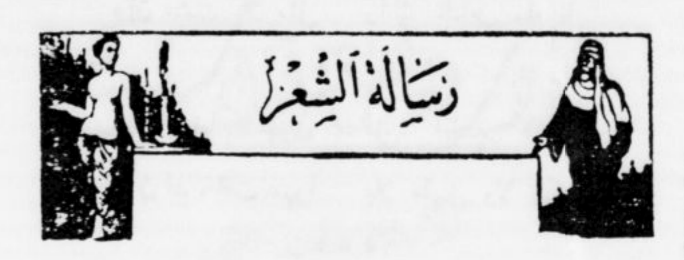
وقد يكون اكتشاف الدكتور شارلس هيفنس الجراح المشهور الكلمة الفاصلة في تشخيص السرطان قبل ظهور أعراضه، وقد قوبل في أميركا « كأمضى سلاح عرف حتى الآن لمحاربة السرطان »

كان الدكتور هيفنس رئيس الجمعية الأميركية للأبحاث السرطانية وقد طالما جال في خاطره أن وجود ورم سرطاني في أي موضع من الجسم يجب أن يحدث تأثيرا في الدم . فأخذ يوما نقطتين من الدم: إحداهما من جسم سليم، والأخرى من جسم مصاب بالسرطان ، فوجدهما بعد التحليل والفحص الميكرسكوبي متشابهتين لا شيء يفرق بينهما . ولكنه لم يقتنع بهذه النتيجة فواصل تجاربه حتى اكتشف أن دم المصاب إذا أسخن ومزج بالحامض اليودوأسيتيك لا يتخثر بسرعة دم السليم، فإذا استغرق هذا لتخثره عشر دقائق مثلاً استغرق ذاك عشرين . وقد امتحن اكتشافه في ثلاثمائة شخص فما أخطأت التجربة قط في أحد منهم . لذلك يمكننا أن نعلن للمرة الأولى دون تردد وحذر أن تشخيص السرطان أصبح حقيقة ثابتة وأمراً واقعاً ، ونستطيع أن نصرح أيضا بأن العلم قد أحرز انتصاره الأول في معركة السرطان . على أن هيفنس نفسه ، وهو العالم المدقق ، لا يسرع في إذاعة انتصاره وتقديم رأسه لإكليل المجد قبل أن يدعم اكتشافه بالامتحانات الطويلة والاختبارات العديدة التي يواصلها اليوم

وقد أعلنت الجمعية الأميركية للأبحاث السرطانية بعد أن تحققت اكتشاف رئيسها السابق أن اتقاء السرطان أصبح ميسورا، وأن على كل شخص أن يفحص نفسه مرة في السنة عند طبيبه الخاص أو في مختبر اختصاصي ، حتى إذا دل الفحص على نمو سرطاني عالجه قبل فوات الوقت ونجا من شره القتال

إن العلم لم يهتد حتى الآن إلى الدواء الحقيقي الذي يتقى به غائلة السرطان، ولكنه ما وقف قط ولم يقف مكتوف اليدين أمام هذه الآفة الكبرى

ولسنا اليوم تجاه السرطان كالفريسة المقضي عليها التي تنتظر ساعتها الأخيرة ، أو المحكوم عليه بالإعدام الذي يتوقع الموت بين دقيقة وأخرى . وإذا كان من عادة السرطان أن يدخل فجأة دون أن يقرع الباب فلدينا الآن جرس الإنذار . وما علينا إلا أن نعتمده لكي ننجو من سالب الأرواح



من أغاني الربيع

موكب آذار

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

حبيبي آب آذار إلى الروضة هيمانا
فحيا موكبا للزهر قد صفق جذلانا
وراح مع الشذى السارى يذيع الحب ألوانا
يغنى فيغنى البلبل المسحور جذلانا
وتحت الكرم نبع ماج بالأنغام سكرانا
جرى كالقيد رقراقا وكالأضواء فتانا

وحيا موكبا للحور مفتونا بأنغامى
طروبا بأغاريدى ومسحورا بأوهامى

ربيع الحب نشوان
وفجر الحب سهمان
وعطر الحب أشجان
تضوع فهو ألحان

فهيا ننهب الأفراح بافردوس أحلامى

* * *

تعالى وحى أشعارى ويا نغمة قيثارى
وعودى مثلما عادت لنا أطياف آذار
فوشت كفه السمحة متن الربوة العارى
أما يغريك مرأى الدوح محفوفا بأزهار ؟
أما يسبيك سحر الحسن فى أجفان آذار ؟
أما تغريك بالعودة يا شقراء أشعارى

تعالى .. قبلما تفنى على ثغرى الأناشيد
تعالى .. قبلما تذبل فى الكرم العناقيد

ربيع الحب نشوان
وفجر الحب سهمان
وعطر الحب أشجان
تضوع فهو ألحان

وهيا ننعم اللذة ما عمرك مردود

بغداد

الشاعر

للاستاذ أحمد أحمد العجمى

خفيف خفة الظل ... إذا رف على الماء
كهمس الزهر للطل ... بأسرار الأحباء

* * *

رقيق رقة الفجر ... طروب كالأغاريد
مزيج من شذى العطر ... ومن خمر العناقيد

* * *

عجيب فى سجاياه ... له كالزهر ألوان
كأن الله سواه ... ملاكا وهو شيطان

* * *

ملاك صيغ من نار ... وشيطان من النور
يضىء الليل للسارى ... ويمحها فى دياجير !

* * *

له قلبان لا قلب ... هما وقف على الحب
بقلب منهما يصبو ... وبالآخر كم يصبى !

* * *

إذا جال بعينيــه رأى آماله العليا
فإن هم بكفيــه فمحروم من الدنيا

* *

وحيد نافذ الهمه كجيش همه الذود
بعيد الغور والقمه كبحر شطه طود !

* * *

يعيش العمر ظمآنا يرى دنياه أنهارا
ويحبو الكون أكوانا ولا يملك دينارا

* * *

فحينا هو موهوب وحيناً هو وهاب
وإن غنى فمحبوب وإن أن فصخاب

* * *

إذا وفق واستعلى رأى فى الحسن إحسانا
فإن أخفق أو ضلا رأى فى الله شيطانا !

* * *

يحار الناس فى فهمه فيهديهم إلى شعره
ونور الشمس فى وهمه جمال شع من فكره

* * *

إذا ما عاش فى السفح فبالأشعار فى القمه
وإن لم يسع للنجح ينله خامد الهمه

* * *

فإن شمر للجــد فلا شئ سوى الكد
وإن حاد عن القصد أتاه الحظ بالجـــد

* * *

عجيب أنت يا شاعر غريب كالقـادير
قضيت العمر كالطائر بلا عقـل وتفكير

* * *

وإن تجنح إلى العقل تعش كالناس مجنونا
وإن عشت بلا مثل رآك الناس ملعونا

* * *

هى الدنيا كما نهوى لديها الخير كالشر
كأن قد خلقت سهوا بلا عقـل ولا فكر

* * *

فما جدوى لياليها ؟ وماذا يربح الخاسر ؟
سيفنى كل ما فيها ويحيا الشعر والشاعر

من شعر المهجر



نداء بعيد

للأستاذ شفيق معلوف

نداء تردد عبر الحقب فكان له فى الأضالع رجع
ومن ثلج صنين شب لهب وفى الأرز حن إلى الصوت جذع
نداء لحيرام أيام كان يسوق الأعاصير بالصولجان

* * *

نداء بعيد يهز السفوح فينزاح عن طلعة الفجر ليل
وتشهر صيدون سيف الفتوح وتنقل فى البحر رجلا جبيل
ويزرع ملكا من قلب صور لجاج البحار وكور نسور

* * *

تلوى على الضفتين القصب يجوس المدى حالما بالطروس
وشد مغارزه فى الترب وقرب هامته للشموس
وقد لفظ البحر بمض نتف من الفجر مل‌ء شفاه الصدف

* * *

فماجت معاطف بزفير صور مصبغة باحمرار الجلد
وشع على الأفق للحرف نور من الأزل المنتهى بالأبد
وغلت جذوع ببحر الظلم تدق على كل شط علم

* * *

فيمل غداة أدار القـدح بخمر السماء انتشى القوم فخرا
وألووا بمنشار قوس قزح يعرون برا ويكسون بحرا
وما ضر لبنان أن يعرى وقد كسى الكون براً وبحرا

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

احتفال المجمع بإعلان نتيجة المسابقة الأدبية :

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الأحد الماضي بإعلان نتيجة المسابقات الأدبية لسنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، وقد افتتح جلسة الحفل معالي رئيس المجمع الأستاذ لطفي السيد باشا ، ثم وقف الأستاذ عباس محمود العقاد فألقى كلمته عن مسابقة الشعر ، وقد بدأها بالإشارة إلى أزمة الشعر في الغرب منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وأورد تعليلات بعض النقاد الغربيين لهذه الظاهرة ، وأهمها أن القرن التاسع عشر تزعزعت فيه الدعائم التي كانت مستقرة ، وتبلبلت فيه الأذهان التي كانت تتلاقى على أصول متفق عليها للتفاهم وتبادل الشعور ، ولا محل للشعر الفخم ، ولا للفن الرائع ، حيث يبطل التفاهم بين الناس بالشعور ، وينقطع التواصل بينهم بالذوق والخيال . وقال إن بعض النقاد يردون كساد الشعر — مع نظرتهم إلى المجتمع تلك النظرة — إلى عصر الصناعة ، وضياع أنغام القصيد ، وألحان الفن الجميل في ضجة الآلات وغمرتها

ومضى الأستاذ في ذلك إلى أن استشهد بما قاله الأستاذ بنتو « pinto » أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة نوتنجهام في كتابه عن أزمة الشعر الانجليزي ، من أن الفترة التي جاءت بعد الحرب العالمية الأولى بنحو عشر سنين كانت فترة لا يؤمن فيها الإنسان بما يستحق أن يحارب من أجله أو يستحق أن يحاربه ، وسواء فيها أن تناضل في هذا الميدان أو ذاك ، فلا محل إذن للنضال .

وخلص من ذلك إلى قيام مدارس « استفزازية » في الشعر وسائر الفنون ، تقف موقف العاجز المتحدي المستفز ، الذي لا يكلف نفسه شيئاً ولا يسكت

ثم قال إننا لا نلحظ في مصر تلك النزعات لأن مجتمعاتنا تقوم على أسس غير أسس الاجتماع في البلاد الغربية ، فنحن لم ننقطع عن الجادة ، ولم تبلغ بنا الحيرة ذلك المبلغ ، والشاهد على هذا الموقف هو الديوانان اللذان أجازهما المجمع هذا العام ، وهما : ديوان « حياتي ظلال » للأستاذ إبراهيم محمد نجا ، وديوان « اليواقيت » للأستاذ خالد الجرنوسي ، وكلاهما يشتمل على الأماثيل والقصص الذي تستفاد منه العظات ، وما دامت هناك أمثولة فهناك قدوة مطلوبة وطريق مسلوك ، وما دامت هناك عبرة فهناك معبر أو منهج معبور

وأتى الأستاذ العقاد بأمثلة من شعر الديوانين مع شيء من التحليل الموصل إلى تلك النتيجة ، ثم ختم كلمته بقوله عن الشاعرين : كان من مزاياهما أنهما يجمعان في عملها بين القيمة الفنية والدلالة الاجتماعية ، ومن أجل هذه المزايا خص المجمع أحدهما الأستاذ نجا بجائزة الشعر الأولى في هذا العام ، وخص زميله الأستاذ الجرنوسي بجائزته الثانية

وأعقب ذلك الأستاذ محمود تيمور بك فألقى كلمته عن القصة ، وقد تحدث عن القصة الفائزة « عبور الأعشى » للأستاذ محمود أحمد ، حديثاً تحليليا كشف فيه عن محاسن القصة وذكر بعض المآخذ فيها ، ثم قال : ولعلي لا أذيع سرا مجميا حين أصارح بأن مجمعنا اللغوي تتردد فيه نزعتان : إحداهما تبغي تسجيل ما اشتهر من الألفاظ وذاع ، والأخرى تريد أن ترشح للاستعمال جديداً من الألفاظ الفصيحة فيه غناء ، وهاتان النزعتان تمثلتا دون قصد في عناية المجمع بالإنتاج الأدبي ؛ فلقد أجاز من قبل أدباء ذوي أسماء معروفة ، فكرم إنتاجهم وسجل اشتهارهم ، وإنه اليوم ليزكي اسماً جديداً ينتظره الاشتهار ويستقبله الذيوع .

وبعد ذلك تحدث الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف بك عن « الحسين بن أحمد المرصفي » موضوع البحث الفائز — وهو للأستاذ محمد عبد الجواد — فقال إنه أحد الأساتذة الذي كان لهم فضل في الدراسة الأدبية منذ بضع وثمانين سنة ، ثم ماتوا وتركوا آثارهم في الصدور ، وقد أراد المجمع إحياء تاريخه عن طريق باحث من معاصريه قبل أن يعفي الزمن على سيرته ، وقال إن الأستاذ محمد عبد الجواد صور هذه الشخصية وجلاها ، وأبرز

ما فعله بيان منهج الشيخ حسين المرصفى فى الدراسة ، إذ جمع بين العلم والأدب فكان يدرس الشواهد النحوية والبلاغية دراسة أدبية ، قال الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك ذلك ثم اقترح على صاحب البحث أن يهتم بهذه الناحية فى دراسة الشيخ حسين المرصفى .. وهى منهجه العلمى الأدبى الذى قال إنه أبرز ما فى البحث .. فإذا كان هذا الاهتمام واقعاً فكيف يقترحه ، وإذا لم يكن واقعاً فلم أشاد به .. ؟

نتيجة المسابقات

ثم وقف الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى المراقب الإدارى للمجمع ، فأعلن نتيجة المسابقات ، وهى كما يلى :

١ — القصة : لم تجد اللجنة بين القصص المقدمة قصة تستحق الجائزة الأولى ، ورأت أن خير القصص المقدمة قصة « عبور الأعشى » للأستاذ محمود أحمد ، فمنحتها الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه

٢ — الشعر : قررت اللجنة أن يمنح الأستاذ إبراهيم محمد نجا الجائزة الأولى للشعر وقدرها ١٥٠ جنيها على ديوانه « حياتى ظلال » وأن يمنح الأستاذ خالد الجرنوسى الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه على ديوانه « اليواقيت »

٣ — البحوث الأدبية : لم تجد اللجنة بين البحثين المقدمين ما يستحق الجائزة الأولى ، وقررت أن يمنح الأستاذ محمد عبد الجواد الجائزة الثانية وقدرها مائة جنيه على بحثه « الحسين ابن أحمد المرصفى »

٤ — الكتب المحققة : رأت اللجنة أن الكتب المقدمة لم تستوف شروط منح الجائزة

بقية الجوائز لوزارة المالية

كان المقرر لجميع الجوائز ألف جنيه ، منح منها الفائزون ٥٤٠ جنيهاً ، وذهب الباقى — وقدره ٥٥٠ جنيها — إلى بيت المال « وزارة المالية » إذ منعت الجائزة الأولى فى كل من القصة والبحوث الأدبية ، ومنعت كذلك جائزة الكتب المحققة كما سبق. وفى رأيى أن أصحاب الإنتاج المقدم كانوا أولى من وزارة المالية التى لا تنتج أدباً تستحق التشجيع عليه !

الكوميديا الإلهية

كان الأستاذ كامل كيلانى قد لخص « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالى « دنتى أليجييرى » وألحقها بالطبعة الثالثة من شرحه لرسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، قاصدا بذلك أن يقرن بين العملين الأدبيين اللذين تشابها و كتبت البحوث المستفيضة فى مدى ما بينهما من تماثل أو تخالف ، وما قيل من تأثر دنتى بالمعرى فى الخيال الذى طاف بأرواح الخالدين فى العالم الآخر

وقد رأى الأستاذ أخيرا أن يمد هذه القصة « الكوميديا الإلهية » إعدادا يناسب الشباب ، فأفردها فى طبعة جديدة ، وتناولها بالدرس والشرح والتحليل فى خلال السياق نفسه

ولهذا العمل الذى يقوم به المربى الأدبى الكبير الأستاذ كامل كيلانى ، ناحيتان لهما أكبر الأثر فى التثقيف الأدبى وبخاصة فى تنشئة الجيل وتخريجه وإعداده لتذوق الأدب الرفيع

الناحية الأولى هى قطف الثمرات الأدبية التى أخذت مكانها البارز على فروع شجرة الآداب العالية ، ومعالجتها بما يدنيها من أفهام الشباب وأذواق المعاصرين على العموم . وقد اختار من الأدب الغربى أربع قصص ذات صيت ، أولاها « الكوميديا الإلهية » لشاعر الطليان ، والثانية « جلفر » لسويفت الانجليزى ، والثالثة « روبنسون كروزو » لدانييل ديفو الانجليزى أيضا ، وقد ظهرت هذه القصص الثلاث ، وبقيت القصة الرابعة التى لا تزال تحت الطبع وهى « دون كيشوت » لسرفنتيس الإسبانى

ومما يذكر أن ثمت شبهاً بين قصتى « روبنسون كروزو » و « حى بن يقظان » لابن طفيل ، كما بين « الكوميديا الإلهية » و « رسالة الغفران » ويؤيد القول بأن صاحب « ربنسون كروزو » استلهم « حى بن يقظان » أن هذه القصة العربية ترجمت إلى الانجليزية سنة ١٦١٦ م ثم ترجمت من الانجليزية إلى عدة لغات ، وألفت « روبنسون كروزو » بعد ذلك بعشرات من السنين

الناحية الثانية ، أو الثمرة الثانية ، لذلك العمل الخصب ، هى الصياغة العربية الجميلة التى يصوغ بها الأستاذ الكبير تلك الآثار الخالدة ، هذه الصياغة التى يعطى فيها الناشئ محصولا

فهيا من اللغة اللائقة له ، وعمل الأستاذ كيلانى فى هذا الحقل يشمل إنتاجه الوافر من بدئه مع الطفل فى روضته حتى يبلغ بالشاب مستوى النضج . ونراه هنا فى « الكوميديا الإلهية » يرتفع بفتاه إلى أسلوب يدنيه من أساليب البلغاء ، ويسيغ له ما يراه جديدا عليه من الكلمات بوضعها فى سياق مبين أو بشرحها بين الأقواس ، وهو يأتى بالكلمات المشروحة سائغة عذبة فى تركيبها ، ولم أجد فيها ما شذ عن ذلك إلا كلمتين ارتطمتا بذوق وهما « حبيه » و « وديه » فى العبارة التالية : « إن اسمى بيتريس وقد جئت إليك من دار النعيم ، يدفعنى حبيه (محبتى له) ويحفزنى وديه (مودتى له) ... » وأنا لا أميل إلى اختيار الكلمات لمجرد إضافتها إلى المحصول اللغوى دون أن تكون خيرا من غيرها

وإنى أورد هذه « الملاحظة » كرقية تقى سائر ما يتصف به أسلوب الكتاب من جمال — شر عين الحاسد ...

مظاهر أبهة وحقوق مضيعة :

قرأت فى الأسبوع الماضى كلمة بتوقيع « أحمد محمد مرزوق » فى جريدة « اللواء الجديد » الأسبوعية ، قارن فيها الكاتب بين مقابلتين وقعتا له : الأولى مع وكيل وزارة المعارف المصرية (وكان إذ ذاك حسن فائق باشا) والثانية مع وكيل وزارة المعارف بألمانيا . لاحظ فى المقابلة الأولى فخامة المظهر من مكتب فاخر ومقاعد وثيرة ... الخ وما يصحب ذلك من حجب وانتظار ، وقارنه بما رأى فى وزارة المعارف الألمانية من بساطة وسرعة استقبال ، متمنيا أن نأخذ بمثل هذا ونوفر للدولة ماينفق على تلك المظاهر وما تجر إليه من تعطيل مصالح الناس

الحقيقة التى لا شك فيها أن الواقع فى الدواوين عندنا ينطبق على ما ذكره الكاتب الفاضل ، بل هو أكثر منه ، وكثير من الكتاب يعقدون أمثال هذه المقارنات بين ما هنا وما هنالك . وفى الموضوع زوايا قد تخفى على بعض الأنظار ؛ وهى تتمثل فى اختلاف الحال بيننا وبين من نتطلع إلى واقعهم الجميل .. وأود قبل الإلمام فى هذه الزوايا ، أن أسأل : لم خص الكاتب حسن فائق باشا بالذكر ؟ ويدعونى إلى هذا السؤال أن فائق باشا بالذات من أقل كبرائنا المصريين ميلا إلى هذه الأبهة والعزة بالسلطان ، إلى ما عرف عنه من نظافة السيرة والتشبث بإحقاق الحق ، ولا يذكره بغير الثناء إلا الذين منعهم بالحق ما أرادوه بالباطل .. فمثل هذا الرجل لا ينبغى أن يذكر مثلا لأمر عام هو أقل الناس انطباقا عليه

أما الموضوع عينه فأحب أن يكون فى الاعتبار ، عند النظر فيه ، إمكانيات واقعنا . إنه لا يكفى أن نطالب ولاة الأمور بفتح أبوابهم للشاكين وأصحاب الحاجات دون أن ينظر فى العوامل التى تكثر من أجلها الشكاوى والمطالب ، فإنهم لو فعلوا لأضاعوا وقتهم ولم يستطيعوا أن ينجزوا أعمالهم . والذين يقصدونهم إما صاحب حق مضيع من جراء الفوضى وإهمال الموظفين ، أو وصولى يسابق للظفر بما يرضى طمعه ، أو جاهل أحمق جاء يطلب مالا ينبغى أن يطلب ، ومن أمثلة هذا النوع الأخير رجل ذهب إلى مكتب وزير المعارف يقول إن ابنه المتقدم لامتحان الشهادة الابتدائيه سيسافر معه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ويطلب أن يؤجل امتحانه حتى يرجع فيعقد له امتحان خاص ..

وكل هؤلاء الطالبين والمطالبين قد استقر فى أذهانهم أن « كل شئ بالواسطة » فهم يريدون أن ينالوا بالوساطة كل شئ .. والتبعة فى كل ذلك تقع على ولاة الأمور الكبار فى مجموعهم ، فإهمال سواد الموظفين مصالح الناس لا يقع إلا من إغضائهم ، وتسابق المتسابقين لنيل ما يبغون بالحق أو بالباطل ناشئ مما يصنعه أولئك الكبار لـ « المحسوبين » مما يعرفه الناس ويذكرونه محتجين به عندما ترد مطالبهم

فلو عولج كل ذلك لما اضطر الجمهور ولا تسابق الطالبون إلى الهجوم والضغط على ولاة الأمور ، ولوجد هؤلاء الأولياء أنفسهم فى غير حاجة إلى الحجاب ومن يدفعون عنهم الملحفين ، بل لوجدوا أنفسهم فى غير حاجة أيضا إلى الحجرات الفسيحة والأثاث المنضود ، لقلة القصاد ، وانحسار ما يضفيه عليهم المتوددون والمتزلفون . وإن أكثر ما نراه من الاعتزاز بالمناصب إنما هو من الحقوق المضيعة ...

عباس خضر



بطلة كربلاء

للدكتورة بنت الشاطىء

للأستاذ محمد رجب البيومى

حين علمت أن الدكتورة الفاضلة بنت الشاطىء قد أخرجت كتاباً عن بطلة كربلاء زينب بنت على، أخذت أسأل نفسى عما يمكن أن يحويه الكتاب من مواد، وجملت أتخيل ما يجوز أن تسطره الكاتبة القديرة، فلا يطوف بذهنى غير الدور المحدود الذى مثلته البطلة الهاشمية على مسرح كربلاء!! وقد سارعت بقراءة الكتاب وفى ظنى أن الدكتورة الفاضلة تعلم عن صاحبتها الكريمة مالا أعلم، وستتيح لنا قراءة كتابها الجديد أنباء طريفة لم تجد من يهتم بتسطيرها للقراء، ولكن هذا الظن تبدد حين طالعت الكتاب من ألفه إلى يائه، دون أن أجد ما يغيب عنى من أنباء السيدة الهاشمية، وبقيت منفردة بدورها الفريد الذى قامت به يوم كربلاء

فبأى حديث شغلت المؤلفة الفاضلة قراءها بضع ساعات ؟! لقد بدئ الكتاب بحديث عن زينب بنت الرسول، وكيف تزوجت العاص بن وائل بمكة، ثم تركته إلى المدينة مهاجرة لدى والدها العظيم، وكيف وقع الزوج أسيرا يوم بدر ثم افتدته زوجته الحبيبة وكيف أسلم بعد ذلك ثم تزوجها ثانية بعد أن زال المانع الدينى!! كل ذلك قد شغل فراغا من الكتاب لتوافق السيدتين الهاشميتين فى الاسم فقط! ولإيضاح السبب فى تسمية زينب باسمها الكريم!! وكنا نتجاوز عن السيدة المؤلفة لو أسهبت فى حديثها — بلا مناسبة ملحة — مرة أو مرتين أو ثلاثا، ولكنها تمضى فى الكتاب على هذه الوتيرة فما تكاد تلم بموقعة أو حادثة حتى تسهب فى تسجيلها وتسطيرها لأهون سبب وأضعف داع، مما جعلنى أعتقد أن الدكتورة الجامعية قد ظلمت كتابها ظلما عنيفاً، حين أسمته بطلة كربلاء، وماذا عليها لو استبدلت به عنواناً ينطبق على مدلوله فلا يصطدم القارئ بأنباء يعدها غريبة دخيلة! أم أن السيدة الكاتبة تحب أن تتحدث فى غير موضوع كما يقال

ولقد كان للمؤلفة الفاضلة عذرها فى الاستطراد والإسهاب لو تحدثت عن بطل عاصر جميع الحوادث المسطورة فى الكتاب كعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه مثلا، فهى بإسهابها ترسم صورة صادقة للجو الذى يحيط بعلى، والحوادث التى تقع من حوله، وتتناقل إليه فيستجيب لها، وتحول سلوكه، وتفسر أعماله، ولكنها تتحدث عن أمور لا صلة لها بسيدة جاء دورها التاريخى بعد ذلك بعشرات السنوات فى كربلاء! فلم تكلف نفسها هذا العناء؟ وإذا كانت المؤلفة وهى أديبة ناقدة لا تجيز لكاتب يضع مؤلفا عن شوقى مثلا أن يكتب ثلاثة أرباع صحائفه عمن سبق أمير الشعراء من زمن محمد على إلى البارودى. فيتحدث عن العطار والخشاب وشهاب واليازجى والليثى وأبى النصر والساعاتى ثم يخص شوقى بعد ذلك بفصل أو فصلين لا يشغلان غير اليسير الهين من الكتاب!! إذا كانت المؤلفة لا تجيز لمؤلف أن يفعل ذلك، فلم تصنع هذا الصنيع فى كتاب تاريخى يكشف عن بطلة واحدة، ويوحى عنوانه بشىء واحد لا ينتظر القارئ سواه، هذا مالا أدرك بحال

وقد فطنت المؤلفة الفاضلة إلى ما يجره استطرادها المتواصل فى الحديث من شطط وجوح، فاندفعت تقول فى تبرير هذا الإسهاب

«وقد تمر فترة طويلة تغيب زينب خلالها فى غمرة الأحداث؛ بل قد نفقد أثرها أحيانا فى ضجة الدوى الراعد الذى كان يصم الآذان، ويدير الرءوس، لكننا سنجدها أخيرا بعد أن تكون الأحداث المنيفة قد هيأت المسرح لظهور كربلاء!

« ومن هنا يبدو عذرنا إذ نطيل الحديث عن معارك سياسية قد يظن ظان أنها لا تمس زينب من حيث صلتها بالقادة والأقطاب؛ على حين نرى فى كل هذه المعارك مقدمات لها خطرها فى توجيه حياة زينب وأثرها فى إعدادها لدورها الرهيب!!»

ونحن نرى الدكتورة بعد ذلك تختار حوادث خاصة تسهب فى تسطيرها وتدوينها ، وتترك حوادث أخرى لا تقل عنها أهمية وتأثيراً ونتيجة ، دون أن نلحظ فائدة حقيقية لهذا الاختيار ، فهى مثلا تطنب فى وصف معركة الجمل فتتحدث فى لجب من عائشة وقد قدحت فى عثمان أولا ، ثم خرجت تطالب بثأره ثانياً ، وتذكر النقاش الذى دار بين أم المؤمنين وفريق من المسلمين ، بشأن موقفها من على ، وتملل هذا الموقف بما يمكن أن يكون بين على وعائشة قبل ذلك من خصام ، والقارئ يلم من ذلك كله بحديث الجمل وأسبابه ونتائجه ، ثم ينتظر بعد ذلك فلا يجد سطراً واحدا عن موقعة صفين أو النهروان ، وهنا يسأل نفسه أ كانت موقعة الجمل ذات أثر فى نفس زينب يعظم عن أثر صفين ؟ وهل لا تستحق الموقعة الأخيرة أن يكتب عنها سطر واحد ، بجوار ما كتب عن الأولى من صفحات !! أم أن الكاتبة الجامعية تختار ما تتحدث عنه كما يتهيأ لها دون أن ترتبط بخطة ومنهاج !!

وندع الحديث عن الاستطراد الحائر فى سطور الكتاب وفصوله لنتحدث عن ظاهرة أخرى تلوح فى مؤلف السيدة ، وهى تتجه بنا إلى صميم بنائه وتجعلنا نتساءل عن حقيقته أهو تاريخى علمى صيغ فى أسلوب سلس مشرق ، أم قصة أدبية اتخذت أبطالها وحوادثها من التاريخ ؟ إن المؤلفة تجيب عن هذا السؤال فى أول سطر من المقدمة فتقول « هذا الكتاب ليس تاريخاً بحتاً ، وإن أخذ مادته كلها من مراجع تاريخية أصيلة ، كما أنه ليس قصة خالصة ، وإن اصطنع الأسلوب القصصى — غالباً فى العرض والأداء » ثم تقول المؤلفة فى نهاية المقدمة « وهذا الكتاب لا يعدو أن يكون صورة لحياة تلك السيدة رسمها المؤرخون الثقات قبلى ، ثم جاء المنقبون، فأضافوا إليها ظلالا شبه أسطورية ،لها روعتها وعميق إيحائها ، وقوة دلالتها ، وقد حرصت ما استطعت على أصالة الألوان التاريخية دون أن أهدر هذه الظلال أو أهون من شأنها ، لأنها — مهما يكن رأى العلم والتاريخ فيها — عنصر فى صورة السيدة ، كما تمثلها السابقون وكما رأوها ، ولا أرى من حقى أن أسخر بأى ظل منها إلا إذا كان من حق الدارس النفسى أن يسخر بالأوهام والأحلام »

والقارئ حين يطالع هذه السطور يلمس تناقضا تاما ينكره ويأباه ، فالدكتورة الفاضلة تعلن من جهة أنها حرصت على أصالة الألوان التاريخية كما رسمها المؤرخون الثقات ، وتعلن من جهة ثانية أنها لم تستطع أن تغفل الظلال الأسطورية أو تهون من شأنها ، لما لها من الروعة والإيحاء ، وأن الذى يحرص على آراء المؤرخين الثقات لا ينبغى أن يلتفت إلى الأساطير والخرافات !! فإن فعل ذلك فقد ودع التاريخ والبحث العلمى ، وانتقل إلى الفن الأدبى ، يحلق فى أخيلته ، ويهيم بأوديته ، فلا ينتظر من القارئ بعد ذلك أن يعتمد على نتائجه وأحكامه ، بل ينتظر منه أن يعجب ببراعة اللوحة ، ودقة التحليل ، وأناقة التصوير . وهذا ما ينبغى أن يتوجه إليه ذهنه دون سواه !! لذلك كان من العجب أن تحدثك المؤلفة عن الأسطورة البلقاء ، ثم تعقبها بذكر مصدرها التاريخى القديم ، لتوهم القارئ أنها تتقيد بنصوص المؤرخين الثقاة !! ومن الصعب أن تجد من يؤمن بمصادرها الأسطورية من الناس !! وربما يتضح ما نعنيه من هذا المثال

لقد أرادت الدكتورة أن ترسم صورة للمهد الحزين الذى تقلبت فيه الوليدة الجديدة زينب حين استقبلت الحياة ، فوفقت الكاتبة فى شئ وخانها التوفيق فى شئ آخر .. وفقت حين ذكرت أن الزهراء رضى الله عنها لم تكن أثناء الحمل مشرقة مطمئنة ، فقد كانت تعتادها نوبات من القلق والاكتئاب ، أخذت تزداد بعد موت والدتها خديجة ، ثم اشتدت حين حلت عائشة مكان الراحلة العزيزة ، وهو المكان الذى ترك بضع سنين لفاطمة ، ثم كان بين الابنة وزوجة الأب ، ما يشبه الذى يكون بين مثيلاتهما من الناس ، وفى هذا القلق المضطرب ، والنزاع الحائر ، ولدت الطفلة العلوية ، فتأثرت بما يحيط بها من حيرة ونزاع ، وأظل مهدها الوديع سحاب من الحزن والاكتئاب !!

هنا ندرك التوفيق لأن الكاتبة تنزع فروضها ونتائجها من الواقع المشاهد ، أو المحتمل أن يكون ، ولكننا نتلمسه بعد ذلك فى بقية الفصل فلا نجد ما يدل عليه ، إذ أن المؤلفة تنزع إلى

الأسطورة المكشوفة ، لتكمل بهـا صورة رهيبة للمهد الحزين ، فوالد الطفلة ، ووالدتها خائفان متحسران إذ سمعا من الرسـول ما ينبئ بمصرع الحسين فى كربلاء ، فقد أعطى النبى زوجته أم سلمة زجاجة بهـا تراب حمله إليه أمين الوحى ، وقال لهـا : إذا صار التراب دما فى القارورة فقد مات الحسين !! وهنا تحول بيت الزهراء جمرة موقدة من الحزن والهلع ، وجاءت الوليدة لتتـأثر بما يغمر البيت من لوعة واكتئاب

والدكتورة الفاضلة تضيف إلى خبر أم سلمة خبرا مثله عن زهير بن القين البجلى ، ليتم لهـا صورة قاتمة للمهد الحزين ، ثم تنقل شكوك المستشرقين فى صحة هذين الخبرين ، وما يجرى معهما فى مضمار واحد ، وتعقب على ذلك بأنها — بنت الشاطئ — لا تحيل أن يكون شيئا من هذه الشائعة قد شاع !! وأن المؤرخين المسلمين لا يشك أكثرهم فى أن هذه الروايات صادقة كلها !!! وليس الأقدمون وحدهم هم الذين زعموا مثـل هذه الروايات عن الشك ، بل إن من كتاب العصر من لا يقل عنهم إيمانا بتلك الظـلال !! كل ذلك ليكتمل للمؤلفة موضوعهـا الطريف الذى اختارت لعنوانه هذه العبارة الأنيقة « ظلال على المهد » ولا أدرى لم جنحت المؤلفة إلى تسطيره وهو وحده يميل بالقراء إلى الشك فى جميع فصول الكتاب !!

إن هذه الأساطير — كما تقول الدكتورة — تصور زينب رضى الله عنها كما تمثلها المتسابقون من الرواة ، ولكنها لن تجعل وحدها المهد المستقر الوادع حزينا قلقا يغشاه الاكتئاب ، فإذا أرادت المؤلفة أن ترسم صورة لمكانة السيدة فى النفوس ، فلتعمد إلى هذه الأساطير مستمدة منها الظلال والأضواء ، ولن يعارضها فى ذلك ناقد يجهر برأيه للقراء ، أما إن اتخذت منها الكاتبة مادة لإيقاد الحزن والكآبة فى مهد الوليدة المسكينة فهذا ما لا تقبله العقول مهما امتلأت به الصفحات !!

ونحن نسخر بهذه الأساطير دون أن نبيح للدارس النفسى أن يسخر بالأوهام والأحلام ، كما تقول الكاتبة الفاضلة . لأن المحلل النفسى يتخذ مادة أبحاثه من أحلام المريض وأوهامه ، فهو لم يخرج عن النطاق فى شئ ، وهنا يجب ألا نسخر به ، أما إذا لجأ إلى أحلام مريض آخر ليصل بهـا إلى تشخيص علاج حاسم لمريضه الأول ، فهنا يجب أن نوجه إليه النقد الخاص ، وهذا ما فعلته الدكتورة المؤلفة ، حيث استمدت بأساطير ملفقة وضعها القصـاصون حول سيدة كريمة لا لتصور مكانتهـا لدى هؤلاء القصاص ، بل لتتخذ منها دليـلا على ما صادف المهد من لوعة واكتئاب ، وكأن الكاتبة بذلك تمحو الشقة الواسعة بين الواقع والخيال ، ودونهما المطارح النازحة والمهامه الشاسعات

هذا وقد كانت المؤلفة تخط كتابها عن بطلة كربلاء ، وفى ذهنها أنه سيكون من بين كتب الشهر التى تصدر عن دار الهلال ، ونحن لا نشير إلى ذلك عبثا ، بل نعنى أن الدكتورة كانت مقيدة بعدد معين من الصفحات يتحتم ألا تنقص عنه ليخرج الكتاب فى حجمه المعتاد ، ولعل هذا الوضع الحتمى قد قذف بها مضطرة إلى ما أخذناه عليها من الاستطراد الحائر المتذبذب ، كما دفع بها إلى نوع من التحليل يقوم على الفرض البعيد ، والتـأويل المتكلف ، وللقارئ أن يطالع حديث الكاتبة عن الصبا الحزين ، فسيجدها تتحدث عن زينب وهى فى الخامسة من عمرها ، كما لو كانت تناهز العشرين ، فتفرض أنهـا انعطفت إلى أبيها بعد موت الرسول ، فسمعته يتحدث عن الحق المغتصب للأسرة فى الخلافة ، ويتألم للمكانة المجحودة ، والقـربى المهدرة ، كما لم تنس الصغيرة ذات الخمس منظر عمر وقد اقتحم بيت الزهراء ليحمل عليا إلى البيعة !! وما تبع ذلك من نقاش بين الزهراء والصاحبين الراشـدين ، فليت شـعرى أيمكن أن تكون هـذه الأحداث ذات علاقة ماسة بالصغيرة الطفـلة !! إننا نعلم ما يقرره علمـاء النفس من أن أحداث الطفولة ذات آثار هام يصحب المرء طيلة حياته ، فلا يستطيع أن يتخلص من تأثيرها الساحر ، مهما امتد الزمن وتطاولت الحياة !! ومن هنا كانت العناية بتنشئة الطفل مقدسة محتومة . ولكن أى الأحداث تنفرد بالتأثير والبقاء طيلة الحياة ؟؟ من المؤكد أن ما يتعقله الطفل ، ويلمسه بيده ، ويخالط شعوره وإحساسه ، هو ما ينطبع فى مخيلته ، ويصاحبه فى مراحل عيشه ، أما ما يحيط به دون أن يدرك مراميه واتجاهاته ، فلا يأخذ مكانه من الشعور والإحساس ، بل يمر مرا سريعا طائرا دون أن يخلد إلى ركون واستقرار ، وما أرى أن بيعة المسلمين لأبى بكر دون

على قد خالطت شعور الطفلة الناشئة ، أو جالت بخاطرها بضع لحظات ، فلم نتخذ منها مقدمة لنتيجة لا تؤدى إليها بحال ، وقد يكون ما ذكرته السيدة عن وفاء الزهراء ، وزواج على بأخريات بعد فاطمة ، قد ترك أثره الحزن فى نفس الطفلة ، لأنها تحسه تمام الإحساس ، أما حديث البيعة والنقاش بين فاطمة والصاحبين فما لا يقام له حساب فى هذا الموضع بالذات ، إلا أن يكون الغرض تسويد الصفحات

هذه بعض ملاحظات عابرة لا تغض من قيمة الكتاب ، وقد تحاشيت أن أناقش كثيرا من الجزئيات التاريخية ، فأعرض لها بتأييد أو تفنيد ، مكتفيا بالملاحظات الرئيسية التى تشمل الأساس والتصميم دون أن أخص أحجار البناء المتراصة ، حيث كان الحشو اللين منها محاطا بأعمدة صلبة تعوقه من التداعى السريع ، ولا ننكر فى النهاية ما بالكتاب من سلاسة مترقرقة تجذب القارئ إلى مطالعته فى شوق وارتياح ، وتحمل آلافا من الكسالى الخاملين على القراءة المثمرة والاطلاع المفيد ؛ بدل أن يعكفوا على الروايات البوليسية ، والقصص العاطفية ، وما تزخر به الصحافة الماجنة من تبذل واستخفاف

(أبو تيج) محمد رجب البيومى



فرقة المسرح المصرى الحديث

فى روايتى

(كسبنا البريمو) و (طبيب رغم أنفه)

للاستاذ على متولى صلاح

بدأت فرقة (المسرح المصرى الحديث) موسمها الثانى بدار الأوبرا الملكية بتقديم مسرحيتين معاً فى ليلة واحدة، لأن واحدة منهما منفردة تقصر عن الوفاء بالليلة كلها، أولاهما (كسبنا البريمو) للسيدة الفاضلة صوفى عبدالله، وأخراهما (طبيب رغم أنفه) لموليير

ونستطيع أن نلخص الأولى — فى كلمات قصار — بأن عاملا أصيب بكسر فى ذراعه اليمنى وهو يقوم بعمل إنسانى نبيل، فأقعده ذلك عن العمل ، وضاقت به الحال حتى اضطر إلى أن يبيع أوراق (اليانصيب) فى الطرقات ، وهو عمل لا يكاد يخلف عليه من الرزق ما يمسك أوده وأود زوجته وابنته .. وأخذت حياتهم تنحدر من سيئ إلى أسوأ ، وكانت الزوجة حاملا فى شهرها السادس فراودت نفسها — تحت تأثير ضرورات العيش الملحة القاسية — أن تجهض نفسها (كذا !!) وتتخلص من هذا العبء الجديد! ولكن الأمر لم ينته إلى ذلك ، بل تحول إلى بيع الزوجة جنينها لقوم أثرياء ابتلاهم الله بالعقم ، وهم يلتمسون الولد التماساً ليورثوه ما يملكون من مال وعقار .. ولكن ظرفاً لم يكن منتظراً غير مجرى هذا التحول وأنقذ الوالدة والجنين وجلب لهم كذلك مبلغاً طيباً من المال من حيث لا يحتسبون ! وهكذا انتهت المسرحية..

والموضوع — كما يرى القارئ — ضحل قريب المتناول ، والافتعال يسرى فى جميع الحوادث ، ولولاه ما نهضت حادثة واحدة من حوادث المسرحية كلها ، ولانهارت عند أول مواقفها ! وليس فى الأمر موضوع ولا عقدة ، وأغلب الظن أن المؤلفة الفاضلة لا تهدف إلا إلى أن تخاطب أعنف الغرائز فى الإنسان ، وأن تعرض عليه مجموعة من البشاعات التى يرتاح بعض ذوى العقول البسيطة لرؤيتها ، وأن تمتع نظره — لا عقله وقلبه — بمشاهد متتابعة من الفاقة والحرمان وضيق الحال وما إليها . وأنا أقول (المشاهد) وأنا أعنى ما أقول ، فليست هذه المسرحية — فى الحق — إلا مجموعة من هذه المشاهد المنيفة الصارخة (ميلودرام) لا تحمل فى طياتها شيئاً غير صورها الظاهرية، فإذا انتهت هذه الصور انتهت معها كل عاطفة ، وسكنت فى المشاهدين

كل ثائرة ، وأصبحت المسرحية — بعد دقائق معدودة من شهودها — فى ذمة التاريخ

هذا — إلى أن الرواية ملأى بعيوب يحسن بالمؤلفة الفاضلة أن تعنى بتلافيها ، وأن تأخذ نفسها بكثير من الجد والصرامة حتى تخلص منها ، فهى لم تستطع أن تبث الحياة النابضة فى شخصية واحدة من شخصياتها ، اللهم إلا شخصية (الداية) ، ولم نر فى العواطف المبذولة أمامنا تحولا أو تغيراً ، وإنما هى صور متكررة متماثلة تقريباً ، واضحة التفكك والتفرق ، وبعض النكات التى أوردتها فيها انحراف ونبو عن الذوق يجمل ألا يعرض على الناس ، كقولها للضابط الذى يسأل عن دورة المياه إنها (فى وش حضرتك) ! فهذا كلام لا يقال على خشبة المسرح التى يجب أن تكرم وتصان عن هذا الدرك الأسفل من المزاح .. أما الافتعال فقد سبق أن قلت إنه أساس هذه المسرحية ، ويبدو هذا بأجلى صورة فى الخاتمة فهى افتعالات يجر بعضها بعضاً ، كاستدعاء البوليس لمجرد تأوه الزوجة الحامل ! وتصادف حضور الطبيب بعد ذلك بدعوة من هذا البوليس ! ثم تصادف حضور المرأة الثرية التى اشترت الجنين والطبيب موجود ، فإذا به ابن أخى زوجها وأحد الذين تريد أن تحجب الميراث عنهم !! وهكذا نجد سلسلة عجيبة من الافتعالات التى تزهق روح المشاهد !!

ونصيحتى للسيدة الفاضلة أن تؤجل الكتابة للمسرح بضع سنوات تدرس فيها هذا الفن ، وأن تعلم أن الأمر فى المسرح ليس كالأمر فى الأقصوصة القصيرة التى تنشر الكثير منها على الناس ، وأن المسرح عسر لا يدر

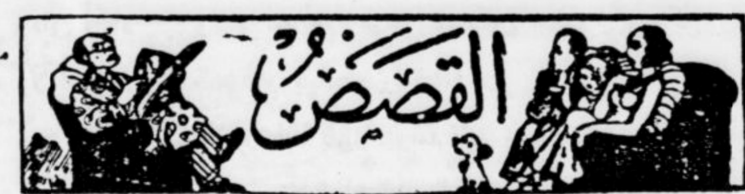
وأما الرواية الثانية فهى رواية ذلك الرجل الذى أكرهته الظروف على أن يكون طبيباً رغم أنفه فكان ! وعرضت عليه فتاة اعتقد أهلوها أنها أصيبت بالبكم ليحل عقدة لسانها ، فعرف السر الخفى فى هذا البكم ، وأدرك أن الفتاة تدعيه تخلصاً من زيجة يريد أهلوها أن يكرهوها عليها وهى تعشق فتى آخر ! فانحلت العقدة من لسانها ونهض الرجل قاطع الأخشاب بما لم ينهض به نطس الأطباء ، وانتهى الأمر بانطلاق لسانها وبزواجها من عشيقها معا !!

وهى رواية ذات فصل واحد ، إلا أنها فى الذروة من كمال التأليف وحسن العرض وحبكة الموضوع وجمال النكات وعفتها وعدم ابتذالها ، إلا أنهم أرادوا أن يصبغوا بعض هذه النكات بالصبغة المحلية فأوردوا الكلمة المشهورة (موت يا حمار لما يجيلك العليق) فكانت وسط نكات موليير كالرقعة فى الثوب الجميل الصقيل ! ! وأنا أسوق هذه على سبيل المثال ، فقد ورد سواها ولكنه كان أخف وقعاً من هذه الصخرة العاتية !

هذا — وقد نهض بإخراج هاتين الروايتين شاب مرموق كان باكورة ما قدمت لنا فرقة المسرح المصرى الحديث من المخرجين ، بعد أن غمرتنا بالممثلين والممثلات ممن ثبتوا على خشبة المسرح ثباتاً لا يرجى بعد اليوم له تزعزع أو انهيار ، وقام بالإخراج قياماً نحمده له كثيراً ، وإن كنت آخذ عليه أنه لم يحسن اختيار الأثاث فى (طبيب رغم أنفه) فقد جاءنا بما لم يكن فى هذا العصر من أثاث ، وأورد من الكراسى والستائر مالا يتفق مع ما كان قائماً فى عصر لويس الرابع عشر ، وعلى كل فأنا أرجو لهذا المخرج الشاب أن يمضى قدماً فى فنه ، وأهنئ الفرقة بهذه الباكورة الطيبة من شبابها المتوثب الناهض

أما الممثلون فقد بلغ بعضهم منزلة لم يبلغها — بعد — السابقون الأولون من رجال المسرح ، فقد كان عبد الغنى قمر (الطبيب) — مثلا — يمضى على المسرح فى خفة ورشاقة ، ويؤدى دوره فى صورة طبيعية حاذقة فاهمة ، كأنما هو يقرأ من كتاب مفتوح داخل جدران أربعة لا يراه فيها إنسان !! الحق أن الأستاذ عبد الغنى قمر جدير فى قيامه بدور هذا الطبيب بالإعجاب الذى لا حد له ، وقد أغفلت الثناء على الآخرين لأنى سأختار من كل رواية ممثلها الأكثر براعة وخفة وفهماً لدوره ، على أن يكون واحداً فرداً فى كل رواية دون نظر إلى نفس الدور الذى يقوم به كبر أم صغر ، وقل أم كثر .. وقد نظرت إلى ذلك الواحد فى هاتين الروايتين فكان « عبد الغنى قمر » ...

على متولى صلاح



الشيطان والعجوز

عن الكاتب التشكوسلوفاكي جي راب

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

جلست عجوز شمطاء إلى مائدة بين الأشجار ، في حديقة الحانة ، بعيدة عن البقعة التي يتحلق فيها الراقصون من فتيات وفتيان ، يدورون وينقرون بأقدامهم على ألواح الخشب التي رصت على أرض الحديقة فغدت صالحة للرقص

ظلت العجوز تتأمل ما يجرى أمامها دون أن يبدو عليها أنها تهتم بها ، وقد كانت هي الوحيدة التي تجلس وحدها منزوية في تلك الحانة ! فبذلك لفتت انتباه إحدى الفتيات ، فقالت لفتاها ساخرة :

— انظر ، تلك عجوز تتصبى ، ما أمكر نظراتها .. ما لها لا ترقص وإيانا ؟!

فتمتمت العجوز :

— أين الذي يراقصني ..؟ إنني مستعدة ، حتى لو طلب إلى الشيطان أن أراقصه لما رفضت

عندئذ تقدم رجل غريب ، أسمر اللون ؟ يلبس قبعة خضراء واسعة ، قامت عليها ريشة طويلة ، فانحنى أمام العجوز قائلا :

— أتمنحيني شرف هذه الرقصة ؟

.. فرقصا .. وبالرغم من برودة الجو ورطوبة المناخ استمرا يرقصان بنشاط غريب وبشكل عجيب ! وكلما تلكأت الموسيقى وفترت قليلا رمى ذلك الرجل الغريب قطعا من النقود الذهبية إلى أفراد الفرقة الموسيقية وأمرهم بالاستمرار ..

استمر الرقص حتى منتصف الليل ! فتوقف الرجل الغريب ثم سحب زميلته العجوز مبتعدا بها عن ذلك المكان ! بعدئذ صمتت الموسيقى فمسح العازفون جباههم . ولم يلبثوا أن فتحوا عيونهم دهشين ينظرون إلى الرجل الغريب والعجوز وهما يبتعدان متوغلين في الغابة القريبة !

.. وحين هم الرجل بمفارقة زميلته العجوز تشبثت به قائلة :

— اسمح لي بمرافقتك حتى مسكنك

فقال لها — إن مسكني بعيد ، بعيد جدا

فقالت — سأرافقك . لن أتركك ولو كان مسكنك في القطب الشمالي !

فقال — كما تريدين . ألقى نفسك على ظهري . وتعلقي برقبتي جيدا

فلما فعل ضرب الرجل بقدمه اليسرى فانشقت الأرض ، ولمع ضوء كضوء البرق ، كما دوى صوت كصوت الرعد ! فهبط الاثنان إلى أعماق الأرض ! كان ذلك الرجل الغريب شيطانا رجيما !

فلما وصل بالعجوز إلى الجحيم ، أراد أن ينزلها من ظهره فأبت ! فحاول ثانية فمصت ! كانت تطوق عنقه بقوة حتى ظهرت عروق وجهه وجبهته زرقاء نافرة ! لم تنجح محاولاته الكثيرة .. فطفق يتجول بحمله الثقيل في أشد محلات الجحيم سعيرا وأكثرها أهوالا ! لكنها بقيت تطوق عنقه بشدة ! حتى ضاق ذرعا فتوجه إلى ملك الجحيم يسأله حيلة يتخلص بها من حمله . فضحك ملك الجحيم من حاله وقال له :

— الطريقة الوحيدة للنجاة — أيها المجنون — هي أن تعود بها إلى الأرض ، فتتركها حيثما وجدتها

رجع الشيطان إلى الأرض يصب كل اللعنات الجهنمية على عجوزه وعلى الساعة التي عرفها فيها . فسار في البرية يلهث من التعب ، فصادف راعيا شابا يغطى جسده بجلد من جلود الأغنام وما إن رأى الشيطان لاهثا حتى قال له هازئا :

— يا لها من طريقة لحمل النساء الفاتنات !

فقال الشيطان كاظما حنقه — هذه هي الطريقة التي نرتاح إليها عند السفر

أجاب الراعي قائلا — لم أقصد هذا ، إن حملك الجميل ثقيل جدا ، بحيث جملك تلهث تعبا ، هل أستطيع مساعدتك ؟

فلم يكد يسمع الشيطان هذا القول حتى تنفس الصعداء ، وأسرع يجيب متوسلا وقد تقاطرت من عينيه الدموع :

— بربك أيها الصديق ارحمني ، اشفق على ، فإني أكاد أختنق ، أكاد أموت تعبا ، إني بحاجة إلى الراحة ، ولا أستطيع السير خطوة أخرى ..

حينئذ قرب الراعي رأسه إلى عنق الشيطان ، فرأت العجوز في الراعي شابا قويا ، له رداء فاخر ، فوجدته خيرا من الشيطان ، فأسرعت وتركت عنق الشيطان وطوقت عنق الراعي الشاب بقوة شديدة !

فلم يصدق الشيطان ذلك ، لم يصدق أنه أصبح حرا ، وأنه تخلص من تلك العجوز إلا بعد مرور وقت طويل .. ! فشكر للراعي صنيعه ، وتناول عصاه وأنشأ يقود القطيع تاركا إياه مع حمله .. خلفه

وبعد قليل رأى الشيطان صديقه الراعي يلحق به راكضا .. وحده ! دون أن يرى للعجوز أثرا على ظهره .. ففرك الشيطان عينيه وأعاد النظر ! فلم يصدق ما يرى ..! حتى اقترب الراعي وقال :

— لا تدهش فقد تخلصت منها ببساطة . قصدت بحيرة قريبة فنزعت ردائي وكانت العجوز متعلقة بطوقه ، فألقيته في أعمق مكان من البحيرة . ولم يلبث الرداء أن طفا على سطح البحيرة تاركا العجوز تحت الماء .. فأخذته وأسرعت إليك ، إذ يجب أن أسرع في إعادة القطيع إلى الحظيرة

أجاب الشيطان مسرورا — إني عاجز عن شكرك ، وأرى من الواجب على أن أرد لك مثل هذا الجميل الذي قدمته لي .. سأتوجه إلى مدينة (براغ) فأحل في جسد ابنة الملك وسيحاول الملك طردي ، مستعينا بكافة الوسائل ، لكنني لن أترك الفتاة . فسيضطر إلى جعل مكافأة كبيرة لمن يخلص ابنته الوحيدة مني ، وما عليك عندئذ إلا أن تأتي أنت ، فتهمس في أذن الفتاة قائلا لي « أنا صاحبك الراعي » فأخرج بسرعة فتشفى الفتاة ، وبذلك تنال أنت جزاء إحسانك إلي

وما أن انتهى الشيطان من كلامه حتى واجه الريح ، ناشرا ذراعيه ، ثم انطلق طائرا في الجو ، وتوارى بعد لحظات

فقطع الراعي مسافات كبيرة متوجها إلى (براغ) حتى وصلها بعد أيام . فوجد السكان محتشدين في كل ركن من الشوارع يتهامسون ويتناقشون ! في تلك المصيبة التي حلت بالأميرة ابنة الملك . وبعد قليل توسط الساحة العامة المنادي الرسمي وتلا البيان التالي الصادر من الملك :

« بما أن ابنتنا الأميرة المحبوبة مريضة ، قد داخلها شيطان خبيث ، فنحن نتألم لأجلها أشد الألم . ونتوقع أن يأتي من يخلصها من ذلك الشيطان . فليسمع جميع أفراد الرعية وليكن معلوما أن من يستطيع ذلك سيتزوج الأميرة في الحال ، وسيكون وزيري الأول في إدارة المملكة »

فمضى الراعي ودخل القصر الملكي ، فرأى هناك رجلين يضربان بالسياط ، جزاء لهما على فشلهما في طرد الشيطان! فأدخل الراعي على الملك . فنظر إليه هذا كأنه يرتاب في صدق زعمه ، بيد أنه أدخله حجرة ابنته ، إذ كان مستعدا لتجربة كل علاج واتباع كل طريقة . فوجد الراعي الأميرة شاحبة الوجه ، مستلقية في فراشها ناظرة إلى الأعلى بعيون شاردة كأنها لا ترى شيئا ! فاستدار إلى الملك وطلب إليه أن يتركه وحده ، فأجيب إلى طلبه . وعندما اختلى الراعي بالأميرة تقدم وهمس في أذنها بما لقنه الشيطان . فأجابه الشيطان « وداعا ، أنا راحل ، لكن اعلم أنها المرة الأولى والأخيرة التي أطيع فيها أمرك » وهنا لم يرق خاطف صاحبه دوى عنيف ، أحدثهما انطلاق الشيطان ومروقه من النافذة

فأصبح الراعي زوج الأميرة ، كما أصبح الوزير الأول في المملكة ، فقضى أياما مريحة هانئا

بعد أن غادر الشيطان جسد الأميرة حن ثانية إلى .. أميرة أخرى .. كأنه وجد لذة في أجساد الأميرات ! فقد جاء إلى مدينة (براغ) رسول من المملكة المجاورة يلتمس من الوزير «الراعي» أن يتفضل لإشفاء ابنة الملك التي سقطت طريحة الفراش بعد أن داخلها الشيطان ! فتذكر الوزير الراعي ماقال له الشيطان فاعتذر عن إجابة طلب الملك المجاور، فأرسل هذا وفودا كثيرة، وألحف في الطلب ، بيد أن الوزير كان يقول : إنه غير قادر على ذلك « حتى لم يطق الملك الجار صبرا فأرسل يهدد الوزير بالحرب إذا هو رفض معالجة ابنته



آن للأزهر أن ينهض

نشرت الصحف المحلية أخيراً أن إدارة الأزهر قررت عمل مسابقة علمية بين مختلف طلاب الأزهر وكلياته وأنها رصدت ألفي جنيه مكافأة للفائزين ؛ وهذه خطوة مباركة جديرة بالاكبار والتمجيد طالما تمنيناها ودعونا لها وطالما تمناها المخلصون للأزهر ودعوا لها لأنها ذات أثر فعال لشحذ همم الطلاب واستغلال جهودهم وحيويتهم للاستزادة من العلم والتنافس في حلبته خصوصاً ونحن الآن في زمن طغت المادة فيه على كل شيء وأصبحت هي الحافز الأول والأخير لصقل العزائم وتسخير القوى ، وليس من الكياسة في شيء إغفال هذه النزعات أو الاستهانة بها والتهوين من قيمتها ، وسيرى الناس كافة الأثر الواضح لتلك الخطوة المباركة ، وسيرون جميعاً توثب طلاب الأزهر لنهضة علمية نافعة تظلل هاماتهم بالجد والفخار وتعلي من شأن جامعتهم العتيقة التي نرجو أن تظل فتية مثمرة . وآمل بإذن الله تعالى أن تحافظ إدارة الأزهر على هذه السنة الميمونة ، ويا حبذا لو ضوعفت قيمة المكافأة ليجعل نصفها للفائزين من بين الطلاب ويخصص نصفها الآخر للأساتذة والخريجين الذين ينتجون أحسن مؤلفات علمية في الدين والأدب واللغة والاجتماع ، وأرجو للأزهر المزيد من هذه الخطوات النافعة لينفض عن نفسه غبار الكسل وسبة التقاعد حتى يشع ضوءه ويلمع سناه في جميع الآفاق

علي ابراهيم القنديلي

فلم يسع الوزير الراعي إلا أن ينزل عن رأيه ، فودع زوجه وركب فرسه قاصداً المملكة المجاورة

وعندما أدخل على ابنة الملك سمع صوت الشيطان يصيح به من خلال جسد الفتاة « ماذا تريد ؟ إني لن أطيعك هذه المرة . أنسيت قولي ، إنك فاشل ، فأنا سأبقى هنا ولن أفارق هذه الفتاة ، فمن الخير لك أن تنسحب » . لكن الوزير لم ينسحب ، بل صمت مفكراً ثم تقدم وهمس في أذن المريضة مخاطباً الشيطان

— إنني آسف ، فلا غاية لي من ذلك أبداً ، إني أريد أن أخدمك أنت . ولك أن تبقى حيث أنت ، لقد جئت لأخبرك — أيها الصديق — أن تلك العجوز لم تغرق في البحيرة ، لقد نجت وقد رأيتها تجد السير في طريقها إلى هذا المكان !

وهنا رأى الوزير ستائر النافذة تتمزق شر تمزيق ؟ كما رأى العليلة تستوي جالسة ، فقد غادرها الشيطان .. وغادر الغرفة بسرعة غريبة ، بحيث لم تحدث صوتاً ولا ضوءاً ولا حركة .. إلا أن الستائر تمزقت عند مروقه منها

ومنذ ذلك اليوم لم تعرف تلك البقعة من الأرض مصيبة أخرى من مصائب الشيطان ؟

نزيل البحرين كارنيك جورج ميناسيان

الوتد الغائب

وقف اللاحظ الأسبوعي في العدد ٩٧٥ من الرسالة عند بيت من الشعر في قصيدتي « الفدائيون » المنشورة في مجلة « المسلمون » وهذا هو نص البيت من أصل القصيدة (في خطاب الشعب) : —

كل هذا .. وأنت في دورة الأيام تمشي مستفشياً في سباتك !

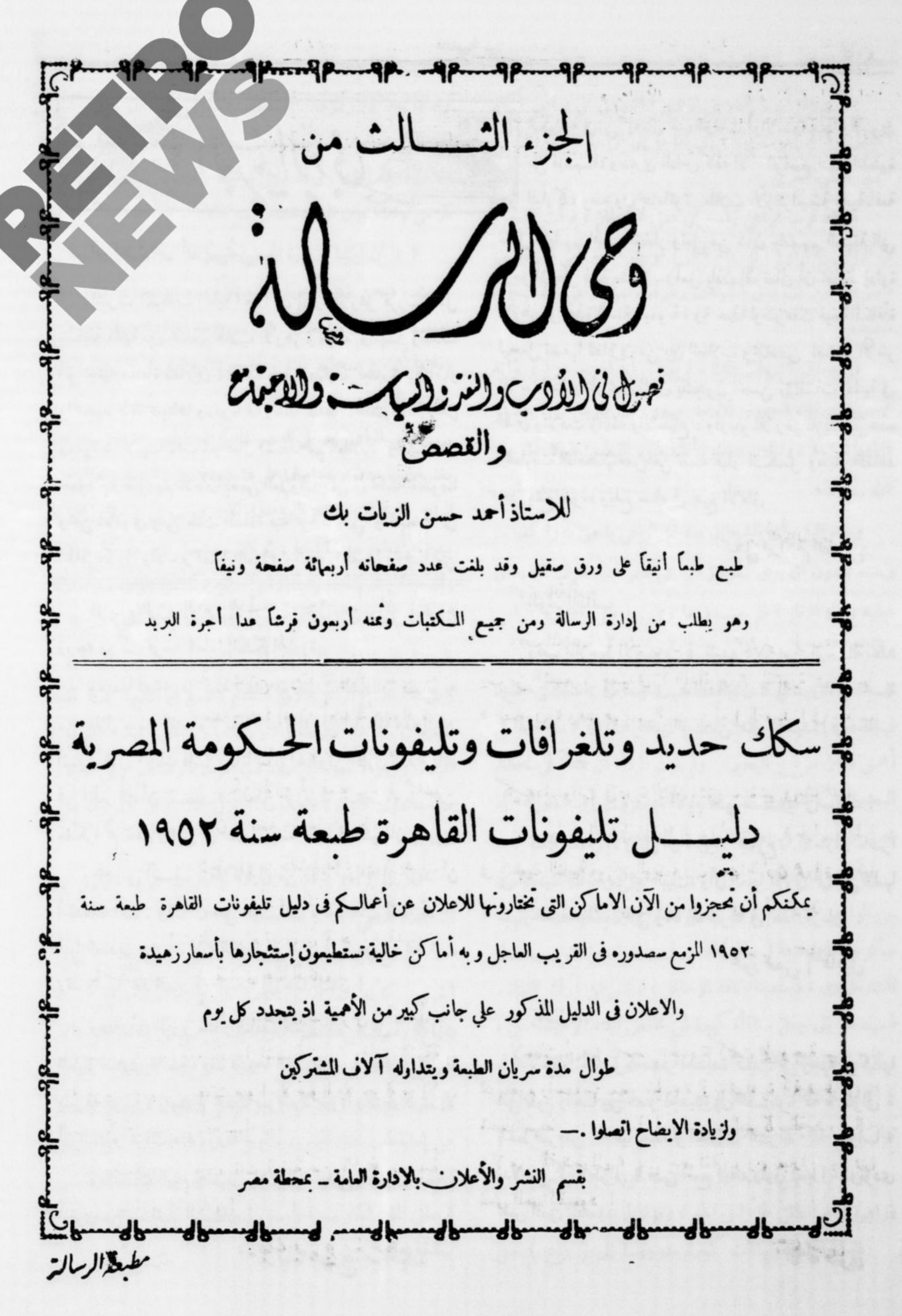
فلعله يطمئن الآن إلى أن « الوتد المجموع .. » ما زال حاضراً في التفعيلة الثانية من عجز البيت ، وأن أخته الأولى هي التي ظلمها جهاز المطبعة بالعجلة التي وقانا الله شرها في هذا الزمان

محمود حسن إسماعيل

رأساً ...

لاحظت أن شركة مصر الجديدة كتبت على وجهة مركباتها التي تقوم رأساً من مصر الجديدة إلى القاهرة كلمة « طوالي » بالخط العريض ... فيا حبذا لو اختارت الشركة كلمة « رأساً » بدلاً من كلمة « طوالي » فهي أصح لغة ، وأرق تعبيراً .. وتؤدي نفس المعنى المقصود !

عيسى متولي



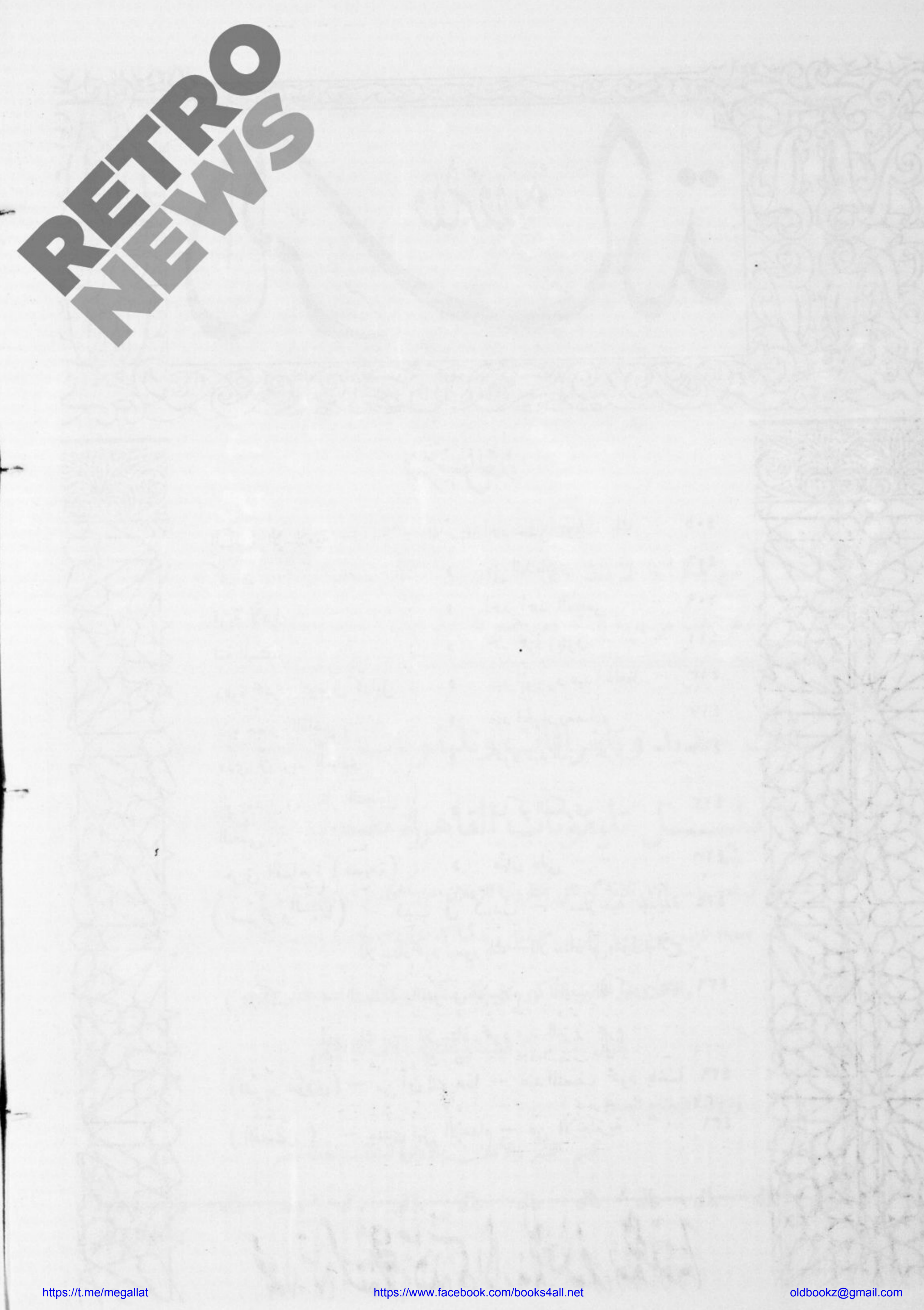
الجزء الثالث من
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
دليـــل تليفونات القاهرة طبعة سنة ١٩٥٢
يمكنكم أن تحجزوا من الآن الاماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة طبعة سنة
١٩٥٢ المزمع صدوره فى القريب العاجل و به أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة
والاعلان فى الدليل المذكور على جانب كبير من الأهمية اذ يتجدد كل يوم
طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين
ولزيادة الايضاح اتصلوا .-
بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة - بمحطة مصر
مطبعة الرسالة

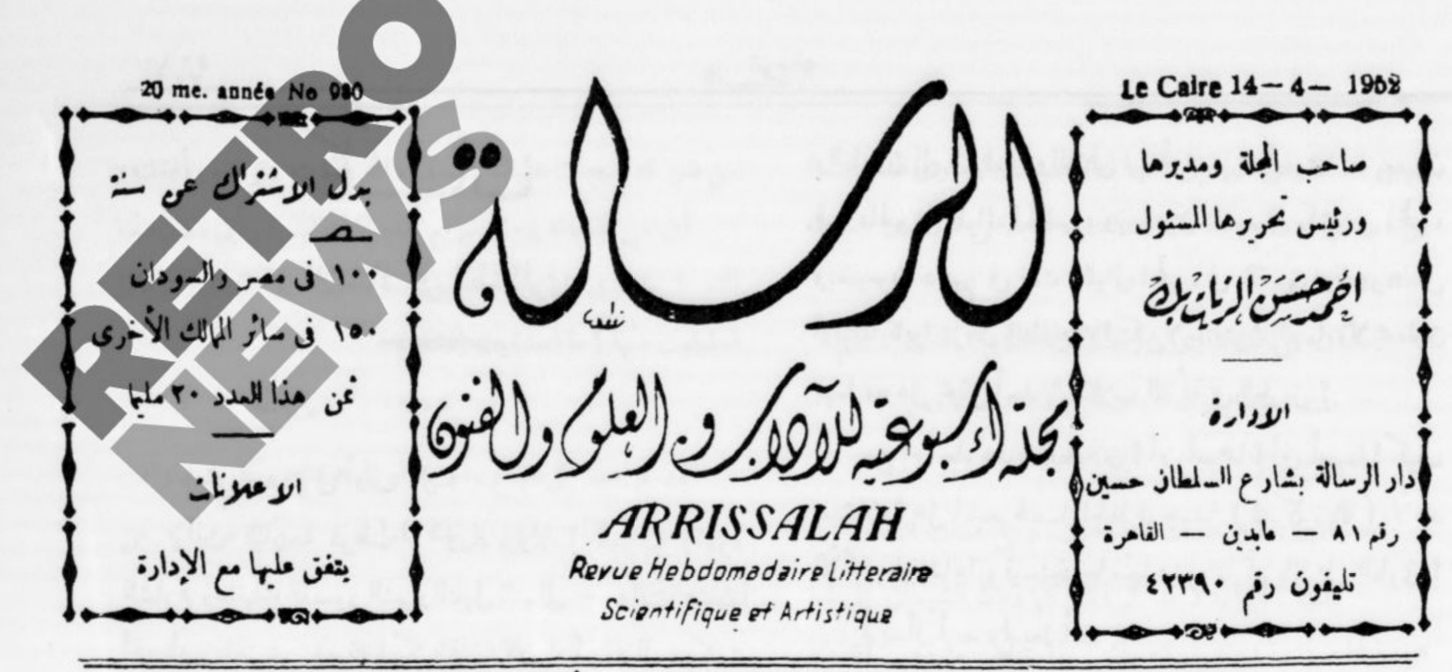




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للعلوم والفنون





العدد ٩٨٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ١٣٧١ — ١٤ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الكتلة الإسلامية

كتب إلى كثير من قراء الرسالة يسألونني عن رأيي في الكتلة الإسلامية التي تدعو إليها باكستان و (الإخوان) ، ويستوحش من ناحيتها لبنان و (الشبان) ، فلم أجد جوابا عما يسألون خيرا من كلمة كتبتها منذ خمس سنين في الرسالة جاء فيها :

إن الجامعة الإسلامية هي الغاية المحتومة التي ستتوافى عندها الأمم الإسلامية في يوم قريب أو بعيد . ذلك لأنها النظام السياسي الذي وضعه الله بقوله : « إنما المؤمنون إخوة » ؛ ثم شرع له الحج مؤتمرا سنويا ليقوى ، وجعل له الخلافة رباطا أبديا ليبقى . وهذا النظام الإلهي أجدر النظم بكرامة الإنسان ؛ لأنه يقوم على الإخاء في الروح ، والمساواة في الحق ، والتعاون على الخير ، فلا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، ولا بين طبقة وطبقة

وظلت الجامعة الإسلامية في ظلال إمارة المؤمنين وإمارة الحجيج قوية شاملة حتى خلافة المتوكل . ثم وهى السمط فانفرط العقد ؛ واضطرب اللسان فتفرقت الكلمة . فلما تبوأ الترك عرش الخلافة استطاعوا أن يبرموا الخيط ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينظموا فيه الحب . فبقي المسلمون عباديد لا يجمعهم نظام ولا تؤلف بينهم وحدة . ثم أدركت الشيخوخة دولة العثمانيين في أواخر القرن التاسع عشر فتعاوت على جسدها المنحل ذئاب الغرب ، فلوح لهم عبد الحميد بالجامعة الإسلامية ذيادا عن ملكه فهروا هرير الكلاب المذعورة . وصور لهم هذا الذعر أن الجامعة هي التعصب وسفك الدماء ، فصدقوا وهمهم وكذبوا الواقع . وكان الاستعمار قد توقح وفجر ، فنشأت العصبية الوطنية في الأقطار الإسلامية لدرء خطره أو تخفيف ضرره . والوطنية لا تعارض الجامعة ، ولكنها تفارقها في الطريق لتلاقيها عند الغاية .

إن أوربا التي مزقتها الأطماع وطحنتها الحروب سترحب اليوم بالجامعة الإسلامية ، لأنها وحدها تملك غرس الوئام في النفوس وإقرار السلام في العالم . إنها تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل في خير مكان من الأرض ، وتشمل مئات الملايين من الناس ، وتهيمن على الموارد الأولى للاقتصاد ، وتدين بالآداب السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق أعمالها في الصفحات العظمى من التاريخ . فمن المحال أن تظل نهبا مقسما بين فرنسا الحمقاء ، وإنجلترة المتطفلة ، وهولندة الأنثى !

أما الشبهات التي تطير هنا وهناك حول الكتلة الإسلامية فقد طار أمثالها من قبل حول جامعة الدول العربية لأن (إيدن) أوحى بها ، وحول الدولة الباكستانية لأن (مونتباتن) سعى لها ؛ ثم جلا الزمن الشكوك ، ومحص الوعي الحقائق ، فذهب إيدن وبقيت جامعة العرب ، واختفى مونتباتن وسطعت دولة الإسلام

احمد حسن الزيات

كلمـــات

للأستاذ على الطنطاوى

١ — طفلان

حدثنى صديق لى أديب قال :

رأيت البارحة موهناً (١) وراء ديوان المحاسبات وقهوة الشارع وهاتيك القصور الشم والمنازل العوالى — رأيت مشهداً أقر بأنى عاجز عن وصفه لكم ، فإن كان باقياً لا يزال ، وكانت رحمة الإنسان باقية — لا تزال — فيكم ، فاذهبوا لتروه بعيونكم . اذهبوا ، وخذوا معكم قلوبكم فإنكم ستحتاجون إليها ، واحملوا دموعكم لتريقوها أمام هـذا المشهد الذى يرقق قلب الصخر ، ويفجر بالدمع عيون الجلمود ، ويملأ بالشفقة والحنان أقسى القلوب : قلوب الشياطين والجلادين والمحتكرين .

مشهد طفلين أحدهما فى نحو التاسعة والآخر فى الرابعة ، ما عليهما إلا خرق ومزق وأسمال ، نائمين على الأرض عند باب القهوة ، متداخلين متعانقين ، قد التصق الصغير بأخيه ، وألقى برأسه على صدره العارى من اللحم ، يحتمى به من البرد والخوف ، وقسوة الحياة ، وظلم الناس ، ولفه الآخر بذراعه يريد أن يدفع عنه بهـذه الذراع الهزيلة ، شر هـذا البشر ، ويكون له أماً ، ويكون له أباً . . وكان وجه الصغير واضحاً فى شعاع القمر الشاحب ، فيـه الطهر ، وفيه الألم ، وعلى شفتيه المزمومتين بقايا كلام حسبتها من بعيد بقايا لعنة حامية رمى بها هذا المجتمع ، فلما دنوت لم أجد إلا آثار شكاة خافتة مبهمة، رفعها هذا الفم الصغير الذى ما تعلم البيان ، إلى الله المنتقم الجبار !

طفـلان ينـامان فى الطريق ، ما تحتهمـا إلا الأرض العارية ، وما فوقهما إلا السماء العالية ، والناس الخارجون من القهوة بعد السهرة الممتعة ، والعائدون من الوليمة بعد الأكلة المتخمة ، والرائحون إلى بيوتهم من التجار ، بعد خلوة طويلة أعـدوا فيها العدة لجناية جديدة قذرة على هذا الشعب المسكين ، والغادون إلى النوادى والملاهى ليبدأوا سهرة أخرى ، يصبون فيها مالهم على الموائد الخضر ، ويذوبون صحتهم فى كؤوس الخمر ، ويضيعون دينهم فى تلك الليالى الحمر ، فى الفسق والعهر ، كل أولئك كانوا يمرون بالطفلين ولـكن لا يلتفتون إليهما، ولا يحفلون بهما ، وهل يحفل أحد بالـكلاب النائمة فى الطريق ؟

من أين جاء هذان الطفلان ؟ أين أبوهما ؟ أين أمهما ؟ كيف يعيشان ؟ هل ابتسم لهمـا الحظ فوجـدا (تنـكة زبالة) لأحد الأكابر لينبشاها ، فيستخرجا منها عشاءهما أم باتا على الطوى ؟

لم يسـأل أحد ولم يعلم أحد ؟

ولا أنا ... وهل أنا إلا واحد من (هؤلاء) الناس ؟!

قال الراوى :

وأسرعت إلى أولادى ، أحمل إليهم الحلويات الغالية ، أعدها لهم بجنب السرير ، حتى إذا أصبحوا وجدوها ، وأغطيهم كيلا تصيبهم لفحة هواء فى هذه الليلة العاصفة ، حتى إذا أمنت عليهم وأرحت ضميرى . . قمدت أكتب مقالة فى محاربة الشيوعية ، ومكافحة الإجرام ، وتمجيد النظام الديمقراطى الذى يملأ الأرض حرية ومساواة وعدلا وأمنا

***

وخلا شارع بغداد إلا من الرياح العاتية، والكلاب الشاردة، وهذين الطفلين اللذين ينامان على الأرض بلا وطاء ولا غطاء ؛ ليس معهما إلا أشباح الظلام ، وتهاويل الرعب ، وآلام الجوع والبرد والحرمان !

٢ — عواقب اللذات :

كنت أطالع إضبارة فى محكمة الجنايات فوجدت صفحات فى الفسوق تثير الشيخ ، وتصبى الحليم ، وتشعل النار فى أعصاب الشاب القوى ، حتى ما أظن أن فى الدنيا قصة من قصص الأدب المكشوف ، تفعل فى إثارة الشهوة فعلها فتركت الإضبارة ، وفكرت ...

وقلت . . .

— هل تريد يا على الطنطاوى أن تكون مكان هذا الرجل

---

(١) الوهن والموهن نصف الليل

تمبش هذا العيش الاذ بين الغيد الأوانس ، والعذارى الفاتنات ؟ قل ، وخل عنك هذا « الكذب الاجتماعي » الذي تعارفه الناس

فسكت على الطنطاوي ، وتكلمت نفسه ، فقالت : نعم

— قلت : وهل تريد أن تكون مكانه في السجن ؟

— قالت : لا قلت : ولم ؟

— قالت : لأن اللذات قد ذهبت، وبقى عذاب السجن ...

— قلت : فلماذا لا تذكر ذلك كلما دعاك الشيطان إلى لذة محرمة فلت إليها ، وتقول لنفسك إنها ستذهب كما ذهبت اللذائذ الماضيات ، ويبقى العقاب ؟ ولماذا لا تذكره كلما دعاك العقل إلى خير فتكاسلت عنه لصعوبة البذل ، ومشقة العمل ، وتقول لنفسك إنها ستذهب هذه المشقة ويبقى الثواب ؟

فكر فيما عملت من حسنات وخير ؛ بذلت فيها من جهدك ومالك ، وخالفت فيها هواك ، ماذا بقى من الصعوبة التي وجدتها عند الحسنات ؟ وماذا بقى من اللذة التي أصبتها عند المعاصي ؟ لقد ذهبت آلام الطاعة وبقى ثوابها ، وذهبت لذات المعصية وبقى عقابها ، كالتلميذ يوم الامتحان إن كان قد جد وجد النجاح ونسى تعب المطالعة ونصب السهر، وإن كان قد لها ولعب فقد متعة اللهو وأنس اللعب ؛ ولقى (السقوط) .

فقس الآتي على الماضي ، ولا تبع آجلا خالداً بعاجل فان ، ولا تغتر بحلاوة العسل إن كان فيه السم ، ولا تخش مرارة الدواء إن كان فيه الشفاء ..

وتصور أنك على فراش الموت، وقد باد الأمل وجاء الأجل.. ما الذي تحسه في تلك الساعة من حلاوة المعصية ؟ ما الذي بقى لك من متع الجسد والقلب ؟ هل بقى لك شيء منها ؟ هيهات ! لقد نسى الجسد لذات الجسد ، وشغلت النفس عن مسرات النفس ؛ وضاع المال فصار للورثة ما جمعت من مال ، وتصرم الجاه فلا ينفع جاه ، ولا شهرة ولا وظيفة ولا أدب ولا فن ...

وتصور بعد ذلك القيامة وقد قامت، والصحف وقد نشرت، والحساب وقد أعلن ؛ وكل ذرة من خير قد قيدت لك ؛ وكل ذرة من شر قد سجلت عليك ؛ أحصاه الله ونسيته ، وعده وأغفلته ، أين من نفسك يومئذ موقع هذه اللذاذات ؟ وأين مكان هذه المتع ؟ ما الذي استفدته منها ؟ ما أفدت إلا الندم ! وماذا استبقيت منها ؟ ما استبقيت إلا الألم !

***

فاذكر هذا كل صباح وأنت غاد إلى عملك، وكل مساء وأنت مضطجع لمنامك . وكلما أغرتك بشر لذته ، وكلما صدتك عن خير مشقته ...

جرب هذه التجربة السهلة ، وانظر كيف تكون بعدها .

٣ — المعلم الأديب

فتحت اليوم درجا لي فيه أوراق لم أفتحه من نحو عشرين سنة ، فوجدت صفحات رائعة من قصة كنت شرعت فيها ونفسي مترعة عاطفة ، وقلبي متفتح للإلهام ، ثم قطعتني عنها شواغل التعليم (وقد كنت يومئذ معلماً) وصرفتها من ذهني ، حتى أني لأجدها الآن غريبة عني ، كأنها لم تكن لي ، ولم أكن كاتبها . . فجملت أتلوها وجملت صور أيامي الماضية تمر أمام عيني .. فأرى تلك الأيام التي أضعتها في التعليم ، وتلك الأفكار والصور التي خسرتها ونكبت بها . . وليس المنكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال، والمال يعيد الدار ، ولكن المنكوب من ثكل أفكاره ؛ وأضاع ذكاءه ؛ وعاش بائساً يائساً ، ومات مغموراً منكراً ؛ وقد كان أهلا لأن يسعد حيا بذكائه ؛ ويخلد ميتا بآثاره

إن المنكوب هو المعلم الأديب ؛ الذي وهب له الأدب ؛ وكتب عليه التعليم : إنه يسكب ثمرة حياته ، وعصارة قلبه ؛ الليالي الطوال التي أحياها ساهراً ، عاكفاً على كتبه ، مطفئاً نور عينيه ، مذبلا زهرة شبابه ، يصبها كلها بين أيدي طلاب لا يكاد أكثرهم يحفظ لمعلم عهداً ، ولا يذكر له وداً ، يصبح المعلم الأديب وفي نفسه موضوع المقالة، وفيها صورها وأفكارها، ولكنه لا يستطيع أن يكتبها ، إنه مشغول عنها بتصحيح وظائف التلاميذ ، هذه الوظائف التي تحرمه لذة المنام ، وأنس السمر، ومتعة المطالعة ، وتأكل صحته ووقته ، ثم إذا انتهى منها

الوجودية فى نظر التحليل النفسى

للأستاذ شاكر السكرى

أثبت التحليل النفسى وجوده بين مختلف العلوم والآداب والفنون ، لا بل تخطى ذلك كله وتقدم بزهو نحو المكانة اللائقة به فى عالم الطب النفسى ! وليس هناك من ينكر الخدمات الجبارة التى حققها هذا العلم فى خدمة الإنسانية ، تلك الخدمة التى تجلت فيها المعرفة الخارقة فى كشف أغوار النفس البشرية وما تنطوى عليه من ألغاز وأمور معقدة ! كادت أن تفتك فتكا ذريعاً فيها ، كما أثبت لنا هذا الطب الحديث الأخطار النفسية التى كانت تغزو البشرية فى معاقلها . . وكان الفضل الأكبر يعود بذلك (للأستاذ فرويد) ومدرسته الفنية التى خدمت ولا زالت تخدم المجتمع الإنسانى فى مجال تقدمه ورقيه ، هذه لمحة وددت أن أستهلها فى بحثى هذا لما لها من علاقة وثيقة بين الموضوع الذى سأتناوله

سبق لى وتحدثت إلى قراء (الرسالة) الغراء فى بعض أعدادها عن (فلسفة الوجودية) وما تحويه من أفكار ، وتقوم عليه من آراء ، سفسطائية كوميدية ، تكاد تلق بسامعيها من الضحك إلى الوراء !

ولست الآن بصدد كوميديتها ، بل فى تحليلها تحليلا صادقا لكشف ما تحتفظ به من سموم مميتة ومخدرات (مورفينية) لتحقن بها أجسام الناشئة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد دور المراهقة ، وربما تمدوا هذا الدور قليلا ! غير أنهم لم يستطيعوا من ضبط أعصابهم والسيطرة على عواطفهم الجامحة

أقول : الشباب وأقصد بالطبع الفتيان منهم والفتيات

لعل مدينة (النور) تذكر الأدوار التى لعبتها فى إغراء الناس من مختلف الطبقات والقوميات ، وأخص بالذكر منهم الغرباء النازحين إليها والمقيمين ، ولم تقتصر فى إغرائها هذا على نفسها بل تعدته إلى نفوس الآخرين

ولعل (فرويد) غير مرتاح لما يسمعه عن هذه المدينة الطائشة ، والمذاهب الانحلالية القائمة فيها

ويعتبر (فرويد) حسب نظرياته الطبية أن المذهب (الوجودى) مذهب لحمته التفسخ وسداه الاضمحلال الخلقى ، لأنه نشأ فى وسط متفسخ بلغت به الفوضى الخلقية حد الجنون ! لأنه ترعرع بين الفترات المظلمة التى خلفتها ونخلفها الحروب البربرية !

ولما كانت هذه الحروب ذات تأثير سيء على المجتمعات من حيث شكلها ومادتها ، ولما تحدثه فيها من انعدام النظام وتفشى الفوضى والأمراض المختلفة بين السكان ، كان معنى ذلك أن الفرد أخذ يحس إحساسا قويا بانعدامه فى هذا الوجود المجنون، كما أنه بات لا يشعر قط بوجوده ، ولأجل ذلك أخذت فكرة انغماس الفرد فى ذاته ، وسعيا لتحقيق رغباته ، ذلك السعي الذى جعل منه إنسانا (بوهيميا) يعيش لنفسه فى جو من الخلاعة والدعارة ، كأنه يريد بذلك أن يثبت وجوده (بسلوكه الشاذ) على طبيعته وطبيعة الكائنات المخلوقة الأخرى ، وهو بذلك يسلك الطريقة الشائعة (خالف تعرف) . هذا من ناحية ، أما النواحى الأخرى التى أوجدتها ظروف الحروب ، هو الكبت الجنسى الحاصل عند الجنود من جراء بعدهم عن المرأة فى ميادين القتال ، ولعل هذا البعد يستغرق سنوات طويلة فى هذه العزلة الكئيبة التى تخلف فى نفوسهم رد فعل عنيف لا يستطيعون معه كبت عواطفهم ، وكثيرا ما أدى هذا الكبت إلى انتشار الشذوذ الجنسى بين المحاربين

كل ذلك أثر من آثار الحروب المدمرة ! ولعلنا أدركنا وندرك كم من الحضارات الزاهرة اندثرت ! وكم من المدن النضرة أصبحت أثرا بعد عين ! وكم من المجاعات الفظيعة انتشرت تأكل بعضها بعضا ، وكم من الحدائق الغناء والمروج الجميلة أضحت أرضا جرداء لا ماء فيها ولا زرع ! بغض النظر عن الكوارث الجسيمة التى يصاب بها المجتمع البشرى والتى أوردت بملايين من العوائل إلى البغى والإثم ! من جراء الفقر وغزو الفاتح لها ...

ولعلنا أيضا لم ننس ما حل فى أوربا وخاصة فى الحربين العالميتين (١٩١٤ و١٩٣٩) من تهتك الفاتحين بعضهم لبعض ،

السائق بقوته وبطشه على هذا الغلام ، فضربه حتى كاد يحطمه ، ورمى خبزه ودعسه بقدميه ، وتم ذلك في لحظات ، فما وصلت حتى كان كل شيء قد انتهى ، والسيارة قد مرت كالعاصفة ، لم تخلف وراءها إلا الغلام يبكي صامتاً ، لا يرفع صوته ولا يستنصر أحداً ، لأنه يئس من أن يجد في هؤلاء المفترقين إنساناً يصغي إليه

وأسدل الستار على المأساة ، وعاد الموكب الحالم يتابع طريقه يستمرئ حلمه الذهبي المترع بالنشوة والشهوة والفتون ...

وكأن شيئاً لم يقع ، لم تقتل العدل ، ولم نظلم الطفل ، ولم نملأ هذا القلب الصغير حقداً على الحياة ، حتى إذا كبر اشتعال هذا الحقد إجراماً فاتكاً مدمراً

دمشق علي الطنطاوي

قرية الأدباء

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

في كل بلد من بلاد العالم بيئة أدبية تختلف قوة وضعفاً ورقياً وانحطاطاً تبعاً للعوامل المؤثرة في الاتجاهات الفنية حيناً بعد حين . ولا تكاد تخلو مدينة أو قرية في كل قطر من فرد أو أفراد شاركوا في الحياة الأدبية بنصيب ، وأثروا في النهضة الفنية أو تأثروا بها على أقل تقدير

من هذه البلاد المصرية التي لها بعض الفضل في إيقاظ الحركة الأدبية في العصر الحديث ، بلد ريفي جميل ، يجمع بين مزايا المدن وسمات الريف الوريف ، لحسن موقعه شرقي نهر النيل ، ولكثرة مدارسه وذيوع أسماء كثير من أبنائه الأدباء ، هذا البلد ، أو هذه المدينة هي « كوم النور » إحدى بلاد إقليم الدقهلية الخصيب

أول من أذكره من علمائها وأدبائها وشعرائها الأفذاذ المرحوم الشيخ سيد خليل ؛ ولقد كان لهذا العالم المتصوف والأديب الشاعر الكبير الفضل الأول على أبناء كوم النور في نهضتها الأخيرة . كان يميل إلى طريقة عمر بن الفارض في الشعر ، وإلى طريقة محي الدين بن عربي في التصوف وعلوم الدين ، وله أشعار كثيرة مطبوعة وكتب دينية وأدبية مخطوطة أشهرها تفسيره القيم للقرآن الكريم . وكانت له مجلة شهرية اسمها « التذكرة » يصدرها ويحررها بمقالات عظيمة في الأدب والدين والاجتماع

وقد كان للشيخ سيد « زاوية » يذكر فيها مع أتباعه ومريديه وما تزال إلى الآن ؛ وقد آلت رئاستها إلى الأستاذ محمد محمد عبده من فضلاء أدباء كوم النور بعد وفاة رئيسها السابق الأستاذ محمد المتولي هاشم رحمه الله . هذه الزاوية هي الركن الركين لتلاميذ الشيخ سيد ، تخرج عليه فيها ، وعلى كتبه ودواوينه من بعده جم غفير ، منهم ابنه الأستاذ فؤاد السيد خليل ، وهو معروف للقراء بشعره ونثره الرصين . ومن شعراء هذه المدرسة الأستاذ عبد العزيز محمد خليل ، أحد أفذاذ شعراء دار العلوم ورائد الرعيل الأول من أدباء كوم النور ، وفي شعره العذب مزيج من تأثيره بطريقة الشيخ سيد خليل وميل إلى التجديد والتحرر من قيود القديم ؛ وشعره يجمع بين الرقة والجزالة في أسلوب عربي متين

ومنهم الأستاذ محمود عبد المعطي خليل تأثر بالشيخ سيد في الناحية الصوفية حتى غلبت عليه ، وغطت النزعة الأدبية فيه ، فترك الشعر بعد أن قطع فيه مرحلة واسعة والأستاذ محمد عبد الباري البدري خليفة الشيخ في الورع والتصوف والتبحر في علوم الدين

ومن أعلام كوم النور وعلمائها البارزين المرحوم الشيخ محمد سليمان عنارة نائب المحكمة العليا الشرعية السابق ، وهو كاتب عذب الأسلوب رقيق الحاشية ، كتب وخطب وألف وصنف كثيراً من الكتب الأدبية والدينية . ولا ينسى الناس معارضته الشديدة الموفقة لترجمة القرآن الكريم ، حتى ألف فيها كتابه القيم « حدث الأحداث ترجمة القرآن الكريم » وكانت

له ندوة أدبية فى منزله يغشاها الزعماء والوزراء وقادة الرأى بملك الشيوخ فيها ناصية الحديث

ومن علماء كوم النور الراسخين فى العلم المرحوم الشيخ عبد العزيز عبد الفتاح خليل المدرس السابق بدار العلوم ، كان أحد المتبحرين فى علوم الدين ، وكان متصوفا يجنح إلى العزلة ويميل إلى الخشوع

وفى طليعة علماء اللغة بكوم النور ، المرحوم الشيخ عبد الخالق عمر بك . كان حجة فى النحو والصرف ، ضليعا بالدقائق والمشكلات والبحوث اللغوية ، تولى تدريس اللغة العربية بكثير من المعاهد العالية

ومن الأعلام البارزة فى كوم النور الأستاذ الكبير عبد الحميد السيد أحد كبار رجال التربية والتعليم فى وزارة المعارف، وإلى ثقافته الواسعة وأياديه الجليلة على العلم والتعليم يرجع الفضل فى شؤون اللغة العربية بالتعليم الثانوى والتعليم الابتدائى

وإذا كان الشعر هو العنصر الأول فى كل بيئة أدبية ، فقد عرف به عدد كبير من أبناء كوم النور ، منهم هؤلاء الشعراء الأساتذة : محمد سلامة مصطفى وهلال شتا وأحمد البدرى وإبراهيم الزين وعباس مصطفى ومحمد هلال ومحمد عبد الخالق ندى وإبراهيم البدرى والسيد يوسف جودة وعبد العزيز العجمى ومحمد زيادة ومحمد عمر هاشم وهلال الفيشاوى ومحمد شحاتة أبو رجيلة وسليمان العزب ومحمود سعيد ندى

ومن الطرائف اللطيفة أن الشاعر محمد سلامة مصطفى – وهو معروف للقراء – كأنما ورث الشعر وراثة عجيبة عن أبيه وجده لأمه ، فهم جميعا شعراء ، وقد قلت فى ذلك :

وراثة الفن الرفيع الباهر
معجزة تحققت للناظر
على يدى « سلامة » المغامر
الشاعر ابن الشاعر ابن الشاعر

ويمتاز الشاعر هلال شتا بكتابة القصص الطريفة ، وله مجموعة قصصية مطبوعة منذ سنوات

ومن الزجالين المعروفين بكوم النور ، الأستاذ عبد الحى حمام ، وهو ينشر أزجاله السياسية والاجتماعية فى مجلة «الشهاب» التى يصدرها صديقنا الأديب الكبير الأستاذ محمد مصطفى حمام ، ومنهم الأستاذ عبد الفتاح العجمى والأستاذ العوضى جودة

ومن الخطباء الممتازين بكوم النور الأستاذ محمد عبد الله أبو عيسى ، وله قدرة عجيبة على الارتجال البليغ تستحق الثناء والإعجاب ، والأستاذ محمد يوسف جودة وهو ينفذ إلى أعماق القلوب ، والأستاذ مصطفى داود من كبار المربين

ومن الصحفيين المعروفين بكوم النور الأستاذ على عامر رحمه الله ، اشتغل بالتحرير فى كثير من الصحف والمجلات الراقية ، وكانت له شهرة واسعة بالإجادة فى كل ما يتصل بالأزهر والأزهريين ؛ وقد أقيم له حفل تأبين كبير بدار الشبان المسلمين

ومن الصحفيين النابهين الأستاذ أمين سلامة عضو نقابة الصحفيين ، والأستاذ أحمد فتحى عبد العزيز خليل وهو يصدر صحيفة لطيفة صيفية بكوم النور

وفى كوم النور عدد ضخم من المثقفين ثقافة ممتازة ، كالدكتور الشاذلى محمد الشاذلى المتخرج فى أرقى جامعات لندن، ويلقبه إخوانه الظرفاء : « Made in England » والدكتور إبراهيم عبد الشافى الشربينى والأساتذة محمد عبد المنعم سلامة المدرس بكلية التجارة وعصام محمد سليمان وهو كاتب ومؤلف معروف ومحمد المتوكل عبد الله وحامد عبد المجيد عويس وعبد المنعم شعيب أحمد المبحرين فى الأدب والدين والقانون وعلى خليل وحامد السيد خليل وتوفيق أحمد على وعلى البندارى جابر « مؤرخ كوم النور وحافظ شجرة الأنساب » !!

وقد تفضل بزيارة كوم النور كثير من الشعراء والأدباء منهم الأساتذة أحمد مخيمر وتوفيق عوضى أباظة ومحمد الصادق مسعود وعبد العزيز السمدنى ومحمد رجب البيومى وأحمد نار ومحمد أحمد السنهوتى . وزارها من قبل الخديو عباس حلمى الثانى وقال فيها كلمته المشهورة « زرت قرى أوربا قرية قرية ؛ فلم أجد فيها مثل قرية كوم النور »

ومن أبناء كوم النور ، كاتب هذه السطور :

أحمد أحمد العجمى

لغة المستقبل..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلماني الفيلسوف أستاذي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا، وعضو مجلس الشيوخ، وعضو مجمع فؤاد الأول لغة العربية

قرأت بمزيد من الإعجاب المحاضرة القيمة التي ألقاها أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك بمجمع فؤاد الأول للغة العربية وجعل موضوعها «الفكر واللغة» والتي نشرتها الرسالة في العدد ٩٧٥

ومما زادني إعجابا بهذا البحث العميق ما انطوى عليه من سعة الأفق وعمق الطاقة، ولا سيما إذا قارنته ببحثي المتواضع الذي نشرته بالرسالة من قبل بعنوان «اللغة والفكر» (١)

لقد وقفت متأملا قول أستاذي الدكتور في محاضرته الجامعة «والرياضة أقل العلوم حاجة إلى الألفاظ والتراكيب، لأنها أبعدها مدى في العموم والتجريد، فإذا حصرت حقائقها، واختير لكل حقيقة رمز معين أمكن تكوين لغة رياضية كاملة، وعلى غرار هذه اللغة الرياضية يمكن وضع اللغة العالمية»

ولعل هذه العبارة المركزة أن تكون بعيدة عن مدارك العامة من المثقفين، وقد يستغلق على بعضهم فهم المكانة الفلسفية للعلوم الرياضية من المجموعة العلمية، لهذا نرى من حق الرسالة علينا أن نستسمح أستاذنا فنحاول في هذا المقال أن نبين للقارئ ما يجب علينا بيانه وتبيينه فيما يتعلق بالرياضيات

يقول «نافيل Naville» في كتابه (تصنيف العلوم) — «إن العلوم روابط خلقها العقل بينه وبين الأشياء». وإذا نحن طالعنا هذه العلوم اعترتنا حيرة: فبأيها نبدأ وبأيها ننتهي، ونخشى حين نصنف هذه العلوم أن نقع فريسة في أيدي المصنفين، ومهما يكن من خلاف بينهم. فالجميع متفقون على البدء من البسيط غاية التبسيط إلى المركب غاية التركيب

والحق أن العقل الإنساني لا يطيق الفوضى، وإنما هو نزاع أبدا إلى أبسط «عملة فكرية» يتعامل بها وهي «المعاني» حين تتجرد أقصى مايكون التجريد. فلابد من علم يجمع قوانين الفكر الأساسية هو «علم النواميس Nomologie» كما يسميه «نافيل» وهو «المنطق» عند المدرسيين

وسواء كان هذا المنطق علما أو فنا أو مدخلا أو أداة لسائر العلوم، فإنه أول مصدر لكل معرفة إنسانية مشروعة وأساس لكل تفكير، لأنه يتناول المقولات الخالصة

ويلي المنطق مباشرة «الرياضة» إذ تتناول المقولات الكمية (كالنقطة الحسابية والنقطة الهندسية) وما بين هذه المقولات من نسب (كالزيادة والنقصان والتساوي)

ويتلو الرياضة في بساطتها: الميكانيكا والفيزيقا والكيمياء، والبيولوجيا والسيكولوجيا ثم علم الاجتماع

ولم يكن من اليسير أن يطفر الفكر إلى المعاني. وذلك لأن «طبيعة الأشياء تأبى الطفرة»، فالحواس التي عرفتنا بما نحس، وحلل العقل ما أوتي منها، واستخلص من بين عناصرها البسيطة ما هو مشترك بينها وهو «الكلي». وبهذا الانتقال الذهني الخالص نصل من الأفراد إلى «الكلي المجرد» ومنه إلى «العام». وصدقت الحاجة إلى تثبيت المعاني المجردة والعامة واستحضارها وترتيبها، وإقامة صلات بينها دون اللجوء في كل مرة، إلى ما بدأنا به أول مرة، ولا يتم هذا إلا باستعمال الرموز التي تغني عن الجزئيات، إذ «الرمز إشارة إلى ماله صلة بغائب محجوب أو يستحيل إدراكه» (٢)

ولما كان العلم بالكلي — كما يقول أرسطو — فلابد من أن تتسابق العلوم إلى هذه «الرمزية» النهائية، فكانت الرياضة منها في الطليعة

وإذا كانت المعاني هي العملة الفكرية، وكانت اللغات إنما هي المعاني تحملها الألفاظ، فإن الرياضة هي أسمى لغة للتفاهم العقلي في أسمى درجاته، لذلك قال (كوندياك Condillac) «كل علم ليس لغة مصنوعة بإتقان» أو كما يقول (فولتير) «إن العقل سينتهي إلى يعقل» أي ينتهي إلى قانون يعقل الوجود

(١) في ٥، ١٢ يونيو سنة ١٩٥٠

2 — Lalande, Lectures, P.18

وبحكمه

وعلوم الكون — على اختلاف مناحيها — تنزع إلى أن تكون كالرياضة ، فعلم الفلك مداره الجاذبية ، لهذا لم يعتبره (أوجست كونت) من الرياضة بل اعتبره من الفيزيقا البحتة ، غير أن (أمبير) رأى في الفلك علما رياضيا بسبب تقدمه العلمي ، وبذا جعل الرياضيات علوما للطبيعة المادية أي علوما كونية Sciences cosmologiques وعرفها بأنها « العلوم التي لا تعتبر في الظواهر الطبيعية غير نسب الكمية » (٣)

كل هذه المحاولات للتقرب من الرياضة لم تقض على ما بينها وما بين سائر العلوم من فوارق : فالرياضة لا تعنى بما هو كائن ، وإن كانت تضع مبدئيا شروط إمكانية الأشياء المادية ، غير أنها تدع للفيزيقا العناية بإقامة الوقائع التي أعطيت لنا في هذا العالم

والرياضة قبل كل شيء ذات موضوع متميز ، ولها منهجها وروحها ، وهذا ما نود أن نعرضه للقارئ في هذه المجالة بحيث تتأدى المقدمات إلى نتائجها من غير تعقيد

والمعروف أن الرياضة فرعان هما : علم العدد ، وعلم الهندسة

وعلم العدد هو الذي ينظر في معاني الكمية والعدد والنسبة دون أن يفترض فيها موضوعا خاصا ، ودون حاجة إلى نظريات الشكل والمقدار اللذين في الواقع ؛ فهو كما يقول ابن خلدون « المعرفة بخواص الأعداد من حيث التأليف ، إما على التوالي أو بالتضعيف » (٤) وهو كما يقول أيضا « أول فروع الرياضة (التعاليم) وأثبتها في البراهين الحسابية ، عني به بعض العلماء فاستخلصوا زبدته في البراهين الحسابية كما فعل ابن البناء في كتابه (رفع الحجاب) »

وتنحصر فائدته في عدم تعينه في الأشياء المحسوسة التي يطابقها (٥) . فالعدد ٥ يطابق ٥ رجال و ٥ خيول و ٥ حواس. و ٥ فضائل

ومن فروع علم العدد (صناعة الحساب) . وهي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق

ولما كان لعلم العدد صلة بالكميات المجردة ، فقد وجب إنشاء فرع له هو (الجبر) لأننا بدلا من اعتبار القيمة الفردية للأعداد نضع حروفا تدل على عدد ما بدون أي تفرقة

وقد اصطلح العرب على أن يسموا هذا العلم « الجبر والمقابلة » وهو « صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك » كما يقول ابن خلدون

ودراسة الدوال Fonctions هي الفرع الأعلى للرياضة البحتة لأنها تعنى بالنسبة بين متغيرين دون الاشتغال بتقدير هذه النسبة ؛ وهذا يؤدي إلى الرياضة العليا من حيث صلتها بالحساب والجبر وهما « الرياضة الأولى »

ولعلم العدد أيضاً فرعان آخران هما : (المعاملات) وهو تصريف الحساب في معاملات المدن ، و (الفرائض) وهو صناعة حسابية في تصحيح السهام (الأنصبة) لذوي الفروض في الوراثات وهو يعتمد على الفقه والحساب معاً ، وهكذا يكون علم العدد بحتاً وتطبيقاً أي علماً وصناعة

أما الهندسة فهي علم النظر في المقادير ، إما المتصلة كالخط والسطح والجسم ، وإما المنفصلة كالأعداد ، وما يعرض لها من العوارض الذاتية . وموضوعها الامتداد كجزء من الفراغ ، فهي تدرس خواص الامتداد وتسمى الهندسة الفراغية

ومن فروع الهندسة : هندسة الأشكال ، وهندسة المسافة ، وعلم المناظر ، ويجب ألا نغفل هندسة الوضع Géom de position التي ظهرت في القرن السابع عشر على يد (ليبنتز) وأغفلها (كونت) .

وللهندسة — كعلم العدد — جانبان : العلمي البحت ، والتطبيق العملي . وهذا الجانب الأخير لا يقلل من قيمتها التجريدية ، بل يؤكد وثاقتها بطريق عملي ، يصبح أشبه (بالحدس الحسي) ، وكما يقول (فافر Favre) : (يجب أن نعرف لنقدر ، ويجب أن نقدر على إعداد العمل النافع)

وسيرى القارئ — إن شاء الله — في العدد القادم كيف انفردت الرياضة بمنهج خاص ، وما يستتبع ذلك من تكوين « الروح الرياضي » وأثر ذلك كله في شتى العلوم

محمد محمود زيتون

3 — Philos des sciences T. 1

٤) مقدمة ابن خلدون

5 — Lalande. Lectures P. 71

٦ ــ دعوة محمد

لتوماس كارليل

تتمة البحث

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

مظهر محمد :

إنى لأحب محمداً — وليس فى مقدور أى إنسان منصف لعقله إلا أن يحب هذا الرجل — وذلك لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . فلقد كان محمد هذا رجلا مستقل الرأى ، لا يعول إلا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه ، لم يكن متكبراً ولكنه لم يكن خانعاً ذليلا ، فهو قائم فى جلبابه المرقع كما أوجده ربه وكما أراد له أن يكون ، يخاطب بقوله الحر المبين ، أكاسرة الفرس وأباطرة الروم ، يدعوهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، ويرشدهم إلى ما يجب عليهم فى هذه الحياة وفى الحياة الأخرى . وكان يعرف لنفسه قدرها ويضعها فى موضعها اللائق بها . فلا يتقدم حيث يجب التأخر ، ولا يتأخر حيث يجب التقدم ، ولا يقسو حيث تستحب الرحمة، ولا يرحم حيث تفيد الشدة ، ولقد وقعت بينه وبين الأعراب حروب متعددة ، لم تخل من مشاهد القسوة، ولكنها مع ذلك لم تخل من دلائل الرحمة وسعة الصدر وكرم الغفران . ومع ذلك فقد كان لا يعتذر من الأولى ولا يفخر بالثانية ، فقد كان يراها من أوامر شعوره ووحى وجدانه . ولم يكن شعوره لديه بالظنين ولا وجدانه عنده بالمتهم

وكان محمد رجلا ماضى العزم قوى الشكيمة لا يؤخر عمل اليوم إلى غده ، فقد حدث فى غزوة تبوك أن امتنع المسلمون عن السير إلى ساحات القتال ، متذرعين بأن الوقت وقت الحصيد ، وبأن الحر شديد لافح ، فنظر إليهم نظرة نفذت إلى قلوبهم ثم قال لهم : الحصيد ؟ إنه لا يلبث إلا يوما أو يومين ، فماذا تتزودون لحصيد الآخرة ، وأما الحر فإنه نعم حر شديد ولكن جهنم أشد حرا ، فاذا أنتم فاعلون هناك

وقد كان فى بعض الأحايين يخرج كلامه سخرية لاذعة وتهكما مرا ؛ من ذلك قوله للكفار ، إنكم ستجزون يوم القيامة عن أعمالكم وأنه سيوزن لكم الجزاء، ثم لا تبخسون عن أعمالكم مثقال ذرة

وما كان محمد عابثاً قط ولا شابت أقواله شائبة لهو أو لعب ، بل إنه كان ينظر إلى الأمور نظرة جد ثاقبة ، ممزوجة بالإخلاص الشديد والجد المر ، فلقد كان الأمر إما أمر فلاح وإما أمر خسران، والحياة إما حياة بقاء أو حياة فناء . أما التلاعب بالأقوال والاستشهاد بالقضايا المنطقية والعبث بالحقائق ، فلم يكن من شأنه قط ولا عرف عنه شئ من هذا أبدا ، فإن ذلك التلاعب بالألفاظ والقضايا المنطقية ... عندى لن أفظع الجرائم وأكبر الدلائل على كذب المرء وعبثه . إذ أن هذه الأشياء ليست إلا رقدة القلب ووسن العين عن الحق ، وبرهان على عيشة المرء فى مظاهر كاذبة ، وليس يستنكر من إنسان يتخذ التلاعب بالألفاظ والقضايا المنطقية ، هو أن جميع أقواله وأفعاله أكاذيب وأضاليل ؛ بل إنه هو نفسه أكذوبة ، إنه إنسان كاذب ولكنه مصقول اللسان مهذب القول ، باق احتراما فى بعض الأزمان وبعض الأمكنة ، لا تؤذيك بادرته ، لأنه لين الملمس رفيق المس ، لكنه كحمض الكربون تراه على لطفه سما نقيما وموتا ذريعا ، والأدهى من ذلك أن خصلة المروءة والشرف — شعاع الله فى مخلوقاته — تجدها متضائلة فى ذلك الإنسان كما أنه يكون مضطربا بين عوامل الحياة والموت

أما محمد ذلك الرجل العظيم فإنه من المحال أن يكون كهؤلاء الموتى القلوب الذين لا يعرفون الطريق إلى الله . إنه من المحال أن يكون كاذبا مثل هذا الرجل الكبير ؛ فإنى أرى الصدق أساسه وأساس كل ما جاء به من فضل ومحمدة . وعندى أنه ما من أحد من الرجال الذين يسمونهم العظماء أمثال — نابليون أو بارنزا أو كرمويل أو ميرابو وغيرهم — ، ينال النجاح والفوز فى عمل يقوم به إلا إذا كان الصدق والإخلاص وحب الخير أول بواعثه على محاولته فيما يحاول ، أى أن صدق النية والجد فى الإخلاص ؛ بل أقول إن الإخلاص — الحر العميق الكبير — هو أول خواص الرجل العظيم وأهم صفاته . وأنا إذا قلت الرجل العظيم ، لا أريد

به ذلك الرجل الذى لا يني يفتخر أمام الناس بإخلاصه ، كلا فإن ذلك الرجل ليس عظيما بل هو حقير جدا ، وإخلاصه إخلاص سطحى لا يقصد به نفع الآخرين ، إنما يبتغى به منفعة نفسه ، وهذا الإخلاص فى الغالب ، إنما هو غرور وفتنة

أما إخلاص محمد ذلك الرجل العظيم ، فقد كان لا يتحدث عنه ولا يفتخر به ، بل ربما كان فى بعض الأحيان يشعر من نفسه بعدم الإخلاص إذا كان يرى غيره لا يستطيع أن يلتزم منهج الإخلاص يوما واحداً فكان يلجأ إلى ربه الذى لا ملجأ منه إلا إليه يطلب منه أن يرزقه الإخلاص

* * *

لقد كان إخلاص محمد غير متوقف على إرادته ، فهو مخلص على الرغم من نفسه سواء أراد أم لم يرد ، وكيف لا يكون مخلصاً إخلاصاً حقيقيا ، وهو يرى الوجود حقيقة كبرى تروعه وتهوله ، ولا يستطيع أن يغمض عينيه عن جلالها الباهر ، وهو يرى الكون مدهشاً ومخيفاً وحقا كالموت وحقا كالحياة ، وهذه هى الحقيقة التى لم تفارقه أبداً وإن فارقت أكثر الناس ، فساروا على غير هدى ، وخبطوا فى دياجير الظلام وغياهب العماية والضلال ، وهكذا خلق الله محمداً ذا عقل راجح ونظر ثاقب ، وإخلاص فى غير تفاخر ، وهذه هى أهم أسباب العظامة

كانت الحقيقة الكبرى ماثلة دائماً نصب عينيه ، حاضرة أبداً فى ذهنه كأنها منقوشة بحروف من اللهب ، وهذه هى أولى صفات العظيم ، وبها يمتاز ويعرف . وهى ما امتاز بها محمد ، ولا أنكر أنها قد تكون موجودة فى الرجل الصغير ، لأن كل إنسان خلقه الله جدير أن توجد صفة الإخلاص فى نفسه ، ولكنها قد تكون وقد لا تكون . أما الرجل العظيم فإنها من لوازمه؛ بل إن الرجل العظيم لا يكون عظيما إلا بها ، وإنى أرى أن من أسباب عظمة محمد أنه كان نافذ النظر إلى لباب الحقيقة ، يمتاز بنفس شاعرية كبيرة ، وآيات تدل على أكرم الخصال وأشرف المحامد، وإنى كلما قرأت عنه تبين لى فيه عقل راجح وفؤاد صادق وعين بصيرة ، ورجل عبقرى لو أنه أراد أن يكون شاعراً لكان من فحول الشعراء ، ولوشاء أن يكون فارساً لكان من أشد الفرسان شكيمة ، ولو ابتغى ملكا لكان ملكا جليلا مهيباً ، ولو أحب أن يكون أى شيء من كل هذا لكانه بغير أن يكلفه أى مشقة أو عناء

وأى دليل على عظمته وصدق نبوته أقوى من نظرته إلى الكون ، فلقد كان العالم فى نظره معجزة كبرى تدل على خالق الكون العظيم . كان ينظر إلى الكون فيرى فيه غير ما كان يراه أعاظم المفكرين من الذين كانوا يقولون إن العالم فى الحقيقة لاشيء . أما محمد فقد كان يرى العالم آية منظورة ملموسة على وجود الله ، بل إنه ظل الله علقه على صدر الفضاء ، وكان يقول : إن هذه الجبال ، هى أوتاد الأرض ، وهى رغم عظمتها وشموخها ستذوب وتصير كالعهن المنفوش فى يوم القيامة (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش) فى يوم القيامة ستتصدع الأرض وتتفتت وتذهب فى الفضاء هباء منثورا

وكان سلطان الله وعظمته لا يزال واضحا لعينه على كل شيء ، وأن كل مكان مملوء بقوة مجهولة ورونق باهر وهول عظيم ، إن هذا الكون هو الحقيقة الصادقة ، والجوهر القوى ، هكذا كان محمد ينظر فى الكون ، وهذا ما يسميه علماء العصر الحديث القوى والمادة . ولكنهم لا يرونه شيئا مقدسا ، بل إنهم لا يرونه واحدا ، بل أشياء متعددة تباع وتشترى بالدرهم والدينار ، وتستخدم فى أغراض الناس وإصلاح حالهم أو إفساده ، فهم لا ينظرون إليها على أنها سر من أسرار الله فى الكون

إن العلوم الحديثة من كيماويات وحسابيات ؛ قد أنستنا ما يكمن فى الكائنات من سر إلهى وعظمة تدل على الخالق القوى القدير . فما أفحش ذلك النسيان عارا وما أشد هذه الغفلة إثما ، فإذا نسينا قوى الله فى العالم فأى الأمور يستحق أن يذكر ، إن العالم اليوم يسير فى مجاهل الغرور والضلال ، وصار الناس يفتخرون بما بلغوا من علوم ومخترعات ، ولو كان لهم نظرات صادقة لرأوا أن معظم علومهم أشياء ميتة بالية، وأن مخترعاتهم بقلة ذابلة ، وأن هذه العلوم التى يفتخرون بها لولا سر الله لما كانت إلا خشبا يابسا ميتا، ليست بالشجرة النامية التى تعطى الثمر اللذيذ المفيد، ولا بالغابة الكثيفة الملتفة التى لا تبرح تعطينا الخشب الذى نستفيد به ، ووالله لن يجد المرء — إذا ابتعد عن طريق الله — السبيل إلى العلم إلا شقشقة كاذبة ، وبقلة كاملة ذابلة

محمد رسول الله :

مثل هذا الرجل هو ما نسميه رجلا أصيلا كريم العنصر صافي الجوهر ، وهو رسول مبعوث من لدن القوة العلية أرسلته إلينا برسالة قدسية فيها لنا هدى وتبصرة ، وقد نحار في تسميته فنسميه شاعرا أو نبيا أو إلها ... وسواء كان هذا أو ذاك ، فالذي يجب أن نعلمه أن ما جاء به هو من عند الله ، وأن قوله ليس مأخوذا من رجل غيره ؛ وإنما هو صادر عن الأبدية السرمدية وأنه من لباب الحقائق

ولن أكون مغاليا إذا قلت إن مثل هذا الرجل يرى باطن كل شيء لا يحجب عنه ذلك اصطلاحات كاذبة ولا اعتبارات باطلة ولا معتقدات وعادات سخيفة، فتدنزه نفسه عن النظر إلى هذه الأشياء كلها . وكيف ينظر إنسان إلى هذه السخافات وهو يرى الحقيقة تسطع أمام عينيه قوية باهرة حتى ليكاد نورها يعشى عينيه ، وفي رأيي أن محمدا مخلوق عظيم من فؤاد الكون وأحشاء الدنيا وأنه جزء من الحقائق الجوهرية ، وقد دل الله على أنه رسوله إلى هذا العالم بعدة آيات ، أهمها أنه علمه العلم والحكمة وأمره أن يدعو الناس إليهما ، ثم أوجب علينا الإصغاء إليه قبل كل شيء ، لأن الرسالة التي بعث بها هي الحق الصراح ، وليست كلماته إلا أصواتا صادقة صادرة من مصدر لا ندركه نحن ، فإذا عرفنا هذا استحال علينا أن نعد محمدا هذا أبدا رجلا كاذبا أفاقا يتصنع الحيل ويتذرع بالوسائل طمعا في ملك أو سلطان أو غير ذلك من صغائر الأمور وحقائر الأشياء . كلا ليس محمد بالكاذب ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة الأبدية قد تفتح عنها قلب الطبيعة ، وإنما هو قبس من النور المقدس يشع من الأبدية فإذا هو شهاب قد أضاء سناه العالم أجمع (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدفع حجة الدجالين وتدحض افتراء الكاذبين المفترين

...

إن قوما قد اعترفوا بنبوة محمد ولكنهم قالوا إنه وقع في بعض الأخطاء وليس في مقدور أي إنسان أن يثبت على محمد هفوات وأخطاء تذري بتلك الحقيقة الكبرى الظاهرة لكل عين بصيرة . وهي أن محمدا رجل صادق ونبي مرسل من رب العالمين. ولا نكلف أنفسنا شططا فنجسم الهفوات ونجعل من الجزيئيات حجبا تحجب عنا نور الحقيقة الباهرة

إن أخطر الذنوب وأكبر الآثام ليهون أمرها إذا كان لباب النفس حرا كريما ومرها شريفا ، إذ أنها لا بد تائبة عما ارتكبت ، وفي التوبة النصوح والندم الصادق ولدع الذاكرة ووخز الضمير المكفر الأكبر للسيئات ، والمطهر للروح من أدران الشوائب والموبقات . إن التوبة الصادقة في نظري أكرم أعمال المرء جميعها وأقدس أفعاله كلها

أما إذا حسب المرء نفسه بريئا من كل ذنب ، بعيدا عن كل خطأ ، فإنه يكون في نظري خاليا من الوفاء والمروءة ، بعيدا عن الحق والتقى والخير ، وإن نفسه لتكون ميتة — وإن شئت فقل إن نفسه تكون نقية نقاء الرمل الجاف

والذي يعرف سيرة نبي الله داود وتاريخه كما هو مدون في مزاميره ، يرى أنه أكبر دليل وأصدق شاهد على ارتقاء النفس البشرية في مدارج المكرمات ، وأن الحرب بين العقل والهوى إن هي إلا حرب طالما ينهزم فيها العقل هزيمة تضعضع جانبه وتتركه على شفا الانقراض وحافة الزوال . ولكنها حرب تكون مشفوعة دائما بالتوبة والندم ، إنها حرب تستنهض العزم الصادق وتجدد قوى الإيمان بوجوب انتصار العقل وهزيمة الهوى ، هذا إذا كان جوهر النفس نقيا ولبا بها حرا ، فإن الخير فيها سينتصر على الشر لا محالة

ياويل النفس الإنسانية بين ضعفها وقوة شهواتها ، وما أشد خطبها بين قوى الخير والشر ، أليست حياة الإنسان سلسلة من العثرات ؟ وهل فى مقدور الإنسان أن يتفادى كل العثرات وينجو منها . إن المرء لا ينهض من عثرة إلا إلى أخرى . وبين هذه وتلك عبرات ونحيب وبكاء وشهيق وزفرات ونشيج . فإن استطاع بعد طول المجاهدة أن يغلب على هواه كان ذلك فوزا عظيما ، وكان دليلا على أن لباب نفسه حقا وجوهرها صحيحا .. وفى هذه الحالة يمكننا أن نتجاوز عن الجزئيات ، لأنها وحدها لا تستطيع أن تجلو لنا الحقيقة وتعرفنا معدن النفس

إن حياة المرء العادية هى التى تكشف لنا عن جوهر نفسه وحر معدنه ؛ لأنه سيكون فيها سائرا على سجيته بغير كلفة ولا تصنع

ونحن إذا تتبعنا محمدا فى حياته اليومية خرجنا بما يثبت صحة ما نقول ، من أنه مبعوث الأبدية ورسول العناية القدسية

فقد كان محمد صوت فؤاد يهيم بين الرجاء والخوف ، الرجاء والأمل فى سعة رحمة ربه .. والخوف من ارتكاب الذنوب وهول يوم الحساب رغم أنه كان متدينا شديد التمسك بدينه .. موعودا من ربه بالمثوبة وحسن الجزاء . وقد تروى عنه مكرمات عالية وتذكر له صفات هى فى الذروة من الصفات الإنسانية ، فعندما مات ابنه إبراهيم قال : إن العين لتدمع والقلب ليوجع والنفس لتجزع ولانقول مايغضب الله .. ولما استشهد مولاه زيد بن حارثة فى غزوة (مؤتة) قال محمد : لقد جاهد زيد فى الله حق جهاده ، وقد لقى الآن ربه خالصا فلا بأس عليه . غير أن ابنة زيد رأت محمدا بعد ذلك يبكى على جثة أبيها ، رأت الرجل الذى دب الشيب فى مفرقيه تسيل عينه دمعا ويذوب قلبه حزنا ، فنظرت إليه متعجبة ، ثم قالت : ماذا أرى ؟ فقال لها : صديقا يبكى صديقه . إن مثل هذه الأقوال وهاتيك الأفعال لتوضح لنا شخصية محمد وترينا أنه كان أخا الإنسانية الرحيم الذى بعثه الله رحمة للعالمين ، إن مثل هذه الصفات التى امتاز بها محمد والأحكام التى جاء بها القرآن والتعاليم التى اختص بها الإسلام ، كل هذه جميعا هى التى أخرجت العرب من الظلمات إلى النور ، وأحيت بهم أمة كانت همَلا بين الأمم ، فجعلتها تمسك بزمام العالم تقوده إلى بر الأمان

وهل كان العرب إلا فئة من الرعاة الجوالين خاملة فقيرة تجوب الفلاة منذ أن خلق الله العالم ، لا يسمع لها صوت ولا تحس لها حركة ولا يقام لها وزن

فلما جاءهم محمد من عند الله وبرسالة من قبله ، بدل أمرهم فإذا الضعة قد استحالت رفعة ومجدا ، والخمول شهرة والضعف قوة ، وإذا الظلام نور شع سناه فى جميع الأنحاء وعم نوره الأرجاء ، ووصل شعاعه الشمال بالجنوب والشرق بالمغرب ، ولم يمض غير قرن من الزمان على بعثة محمد حتى بلغ العرب الذروة فى المجد ، وأصبح لهم رجل فى الهند ورجل فى الأندلس ، وأضاء نور الإسلام دهورا عديدة نصف الكرة الأرضية ، وتمتع الرعايا الذين كانوا تحت حكم الإسلام بفضل الإسلام ورونق الحق ونبل المسلمين ومروءتهم وشجاعتهم وبأسهم ونجدتهم ، وهدى الله الكثير منهم فشرح صدرهم للاسلام فدخلوا فيه طائعين مختارين بعد أن عاشروا أهله ورأوا ما فى الإسلام من تعاليم تكفل العدل وحر الحياة لكل أفراد الرعية ، وهذا حال الحكم الإسلامى ما دام الإيمان القوى — الذى هو مبعث الحياة ومنبع القوة — يملأ نفوس المسلمين ويرسم لهم مناهج الحكم وسبل الحياة

إن فى استطاعة المسلمين فى أى عصر من العصور أن يصلوا إلى أرقى مدارج الفضل وأن يبلغوا ذرى المجد إذا اتخذوا اليقين مذهبهم والإيمان الصحيح منهجهم ، وما دام الإسلام وتعاليمه رائدهم . فالإسلام نور ونار ، نور يهدى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) ونار تحرق كل شوائب النفوس وأقذارها فتصفى معدنها وتحيى ميتها

ألستم ترون فى حالة محمد مع أولئك الأعراب الوثنيين عندما جاءهم بدعوته ، كأنما وقعت من السماء شرارة على تلك الفيافى الواسعة التى لا يرجى فيها خير ويبصر بها فضل ، فإذا هى بانفجار سريع قوى يبدل حالها ويفنى ظلامها ويحيى مواتها ، وإذا الرمال الميتة قد تأججت واشتعلت واتصلت نارها بين غرناطة ودلهى ، وهذا أكبر دليل على صدق محمد وعظمته ، ولطالما قلت إن محمدا شهاب أرسلته السماء وكان الناس جميعا فى انتظاره كأنهم حطب يابس ، فما هو إلا أن سقط عليهم حتى

تأججوا والتهبوا وصاروا خير أمة أخرجت للناس

خاتمة :

وعلى كل حال فالدين الذى جاء به محمد دين عالى فيه للمبصرين أشرف معانى الروحانية وأعلاها، فاعرفوا له فضله ولا تبخسوه حقه ، فقد مضى على ظهور محمد ودعوته مئتان وألف عام ولا يزال هو الدين القويم والصراط المستقيم لأكثر من خمس العالم ، يؤمن به أهله من أعماق أفئدتهم ، ولا أحسب أن أى أمة حتى أمة النصارى قد اعتصمت بدينها اعتصام المسلمين بالإسلام ، لأنهم يوقنون به كل اليقين ويواجهون به الدهر والأبد، وكيف لا وهو أصلح دستور للحكم وأقوم طريق لقيادة الشعوب إلى السلام الدائم والعدل المقيم . وإن فى استطاعة المسلمين ذوى الغيرة فى الله والتفانى فى حبه ، أن يأتوا شعوب الوثنية بالهند والصين والملايو ، فيهدمون أضاليلهم ويشيدون مكانها قواعد الإسلام . ونعم ما يفعلون

إن العالم اليوم فى حاجة إلى قيادة حكيمة وحكم قوى يؤمن بالمثل العليا لينقذه مما هو فيه . ولن يكون له ذلك إلا فى الإسلام الصحيح واتباع دعوة محمد صلى الله عليه وسلم

تم البحث — عبد الموجود عبد الحافظ

لا يا حضرة القاضى

أنا مستأنف

للأستاذ عبد الجواد رمضان

قرأت ما كتب القاضى الفاضل الأستاذ على الطنطاوى فى العدد الأخير من الرسالة ، تحت عنوان : « أنا مع سيد قطب » ولا كلام لى مع سيد قطب ، ذلك الأستاذ الذى أحبه ، وأجله — على غير رابطة ولا اتصال — وأشهد الإخلاص فى كل ما يكتب ، وإن خالف وجهة نظرى أحيانا ؛ ولا مع تلميذى وصديق الأستاذ رجب البيومى ، الذى آلمنى — علم الله — أن يتورط فى موقف لا خير فيه

وإنما دفعنى دفعا إلى كتابة هذه الكلمة ، حديث ذلك الكاتب الرائع ، المؤمن حق المؤمن ، الذى تطير بى كتاباته إلى آفاق من الروحية ، يعيينى التطلع إليها عند غيره من كرام الكاتبين: الأستاذ على الطنطاوى، وما أصدره من أحكام تعوزها « الحيثيات » ويعوزها التعليل

وقد حاولت أن أهزمه بضربة قاضية من أول جولة ، حتى لا أدع له فرصة مساجلتى أو الرد على ، فبحثت فى أعداد الرسالة التى تملأ البيت عن مقال له فى بنى أمية نشرته منذ سنتين أو ثلاث على ما أذكر ، طار بهم فيه إلى عنان السماء ؛ ثم أنسخه وأبعث به إلى الرسالة لتعيد نشره من جديد ، فأظفر بالفلج من أيسر طريق ؛ ولكن الحظ كان معه على ، فقد ذهب بحثى أدراج الرياح ، بعد عناء طويل

وإنى أختصر الطريق إلى فضيلة القاضى ، فألقاه وجاها ، دون مداورة ولا مجاملة ، ولا احتيال ؛ وأقرر — فى صراحة — ١ — أنه أحال ، فى اعترافه « بأن لبنى أمية فى نشر الإسلام ، وفى فتح الفتوح فضلا لا ينكره أحد ، ثم انكاره أن تكون دولتهم دولة إسلامية — ٢ — وأنه أخطأ فى أن معاوية هدم أكبر ركن فى صرح الدولة الإسلامية حين أبطل الانتخاب الصحيح وجعله انتخابا شكليا مزيفا ، وترك الشورى الخ الخ

ومعاوية رضى الله تعالى عنه من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كتاب وحيه ؛ والخلافة مسألة اجتهادية لم ينص فيها الشرع على وضع معين ، اتكالا على الاجتهاد فيها لمصلحة المسلمين ؛ فقد لحق الرسول بالرفيق الأعلى دون أن يقرر فيها رأيا خاصا ، واستخلف أبو بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ؛ ووضعها عمر فى أهل الشورى . روى الطبرى أن عمر رضى الله عنه لما طعن ، قيل له : يا أمير المؤمنين لو استخلفت؟ قال من أستخلف ؟ لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته ، فإن سألنى ربى ، قلت : سمعت نبيك يقول : إنه أمين هذه الأمة، ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ، استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت نبيك يقول : إن سالما شديد الحب لله . فقال له رجل : أنا أدلك عليه : عبد الله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا ، ويحك ! كيف أستخلف رجلا عجز

عن طلاق امرأته ؟ وأنظر ، فإن استخلفت ، فقد استخلف من هو خير مني ، وأن أترك ، فقد ترك من هو خير مني ، ولن يضيع الله دينه ، وما أريد أن أتحملها حيا وميتا . عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنهم من أهل الجنة الخ

وقد ولي معاوية بعد صراع ، رجحت فيه كفته سياسيا، ثم حربيا بعد اختلاف جند علي عليه ، ثم صالحه الحسن ، وسلم له الأمر ، بعد استشهاد الإمام فاجتمع عليه أمر الأمة ، ولا تجتمع أمة محمد على ضلالة

عن الزهري ، أن الحسن بن علي لما استخلف ، كان عنده شرطة الخميس التي ابتدعها العرب ، وكانوا أربعين ألفا بايعوا عليا على الموت ، وعلى مقدمتهم قيس بن سعد ؛ ولكن الحسن كان لا يريد القتال ، وإنما يريد الدخول في الجماعة ؛ وكان قيس يخالفه في هذا الرأي ، فشغب الجند بالحسن ، ونهبوا سرادقه ، حتى نازعوه بساطا كان يجلس عليه ، وطعنه أحدهم ؛ فلما رأى الحسن تفرق الأمر عنه ، بعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وخطب أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إنه سخى بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم أبي ، وطعنكم إياي ، وانتهابكم متاعي

وقال للحسين وعبد الله بن جعفر : إني قد كتبت إلى معاوية في الصلح وطلب الأمان ، فقال له الحسين :نشدتك الله أن تصدق أحدوثة معاوية ، وتكذب أحدوثة علي ! فقال له الحسن : اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك . ولما علم بذلك عبد الله بن عباس ، كتب إلى معاوية يسأله الأمان . ودخل الناس في طاعة معاوية . (١)

ومعاوية مجتهد ، ما في ذلك شك ، وقد أقره على اجتهاده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وناهيك !

قال الطبري بسنده (٢) : خرج عمر بن الخطاب إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه ، وراح إليه في موكب ؟ فقال له عمر : يا معاوية ، تروح في موكب وتغدو في مثله ؟! وبلغني أنك تصبح في منزلك ، وذوو الحاجات ببابك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن العدو بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا

فقال له عمر : إن هذا لكيد رجل لبيب ، أو خدعة رجل أريب !

فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مرني بما شئت ، أصره إليه . قال ويحك ! ما ناظرتك في أمر أعيب عليك فيه ، إلا تركتني ما أدري : آمرك أم أنهاك

وإذن فما فعله معاوية من صميم الإسلام ، ولو كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبي الإسلام حيا لأقره عليه ، وقبله منه

فالواحدة التي بألف ليست عند معاوية — وحاشاه — ولكنها عند من تجنى عليه !

° ° °

فأما ما أخذه فضيلة القاضي على بني أمية — بالجملة — من تحكم الشهوات في مصلحة الأمة ، واختيار شر الولاة ، وعدوانهم على الحريات ، وقتلهم العلماء كالحسين وابن جبير الخ الخ الخ

فلعمري ، دولة يعد منها : عبد الملك بن مروان، الذي كان الإمام مالك إمام دار الهجرة يحتج برأيه ، والذي حمله على تأليف « الموطأ » . وسليمان بن عبد الملك الذي يعد الإمام عمر بن عبد العزيز حسنة من حسناته ؛ والوليدين عبد الله الذي خفقت في أيامه راية الإسلام على ثلاث أرباع العالم المعمور وقتئذ، وهشام بن عبد الملك الذي أتم تعريب الدولة ؛ أقول : إن دولة منها من ذكرت ، لدولة لم تغلبها الشهوات ، ولا مال بها الهوى عن الاجتهاد للأمة وللإسلام ، ولا يضيرها أن كان منها بعض الأعضاء الفاسدين ، فالكمال المطلق لله !

والقاضي خير من يعرف أنه لولا الحجاج وأمثاله لانتهى الإسلام بانقضاء عهد الخلفاء الراشدين . ولقد تمرد الخوارج على علي الإمام الراشد ، ولم يفرقوا في اتهامهم المعروف بينه وبين صاحبيه معاوية وعمرو ؛ والله يعلم أي كارثة كانت تصيب الإسلام لو تم اتهامهم على الوجه الذي أرادوه . فالحجاج والقسري وبنو المهلب من هؤلاء الجبارين حقا ليسوا شرا ممن سلطوا

(١) طبري ج٢ ص ٤٠

(٢) طبري ج٦ ص ١٨٤

شعراء ومن أشعارهم

عدى بن زيد العبادى

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

— ٥ —

وعلى شعر عدى بن زيد مسحة من حزن دفين . وقد يحار المرء فى تعليل هـذا الحزن والبحث من أسبابه . ولا يجوز أن نقول إن هذا الحزن قد ألم بعدى بعد أن فسدت عليه الأيام وأوقع به النعمان وحبسه ؛ لأنا نراه فى شعره من قبل هذا ، من يوم أن كان حرا طليقا، صديقا للملك ومحبوبا منه ، فهو كان من قبل الوقيعة ومن بعد . وأظنك تذكر الأبيات التى أنشدها عدى النعمان حين خرجا بظاهر الحيرة يستربضان ، والتى وعظه بها ، وتنصر النعمان بسببها ، وتنصر أبناؤه وأهل بيته وبنوا البيع والأديار . إن أكثر شعر عدى موسوم بالأشجان والأحزان ، ولا تجد غير القليل منه طليقا من إسارها . ومن هذا القليل الأبيات التى ذكرتها لك يتغزل فيها عدى بهند ويشبب بها . ومنه أيضا :

يالبينى أوقدى النـــارا إن من تهوين قد حارا (١)

رب نار بت أرمقهـــا تقضم الهندى والغـــارا (٢)

عندها ظبى يؤرثها (٣) عاقد فى الجيد تقصـارا (٤)

ويقول فى بعض أخلاق نفسه

ألا ياربمــا عز خليلى فتهاونت

ولو شئت على مقد رة منى لعاقبت

ولــكن سرنى أن يه لموا قدرى فأقلعت

ألا . لا فاسألوا الفتيه ة ما قالوا وقد قت

ولعل من بواعث هذا الحزن أن عديا قد نشأ فى غير بلاده ،

(١) ضل (٢) الغار : شجر طيب الرائحة

(٣) يوقدها ويكثر حطبها (٤) التقصار : المخنقة

عليهم ، ولا يفل الحديد إلا الحديد

وإن قلبى ليبـكى قبل جفنى ، حينما أذكر مصارع آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم وأولهم الحسين ، ولكنى أشرك شقيقه الحسن فى دمه ؛ على أن زمام الجيوش كثيرا ما يفلت من إدارة الولاة ، خصوصـا فى الدول التى يعظم حظ أفرادها من الحرية كالدولة العربية . وعلى الجـلة فما اجتمع النـاس على إمام ، فإن الخروج عليه جريمة فى نظر الشرع

وليس مما يقبل من فضيلة القاضى أن العباسيين قـلدوا الأمويين فى شرورهم ، فإن العباسيين أعظم فى أنفسهم من أن يتأثروا أحدا ، وهم — فى نظرهم على الأقل — بيضة الإسلام وذووه . والدليـل على ذلك تمثيلهم ببنى عمومتهم الطالبيين إلى تمثيلهم بالأمويين

* * *

أما بعد ، فإنى أختتم كلمتى هذه ، التى طالت رغم أنفى — بما قاله ابن السـبكى صاحب جمع الجوامع فى أصـول الفقة — باب العقائد — ص ٣٤٧ جـ ٢ :

« ونمسك عما جرى بين الصحابة من المنازعات والمحاربات التى قتل بسببها كثير منهم ؛ فتلك دماء طهر الله منها أيدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا . ونرى الكل مأجورين فى ذلك، لأنه مبنى على الاجتهاد فى مسألة ظنية ، المصيب فيها أجران على اجتهاده وإصابته ، والمخطئ أجر على اجتهـاده ؛ كما يثبت فى حديث الصحيحين أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر . اهـ بنصه

فهل لى أن أطلب من حضرات الباحثين فى هذه الموضوعات أن يعملوا بهذه « العقيدة الإسلامية » وفى شؤوننا الحـاضرة ما يغنينا ، عن تبديد تراثنا الخالد على وجه الزمان ؟

عبد الجواد رمضان

فقد كان منزل جده أيوب بن محروف باليمامة فى بنى امرئ القيس بن زيد مناة ، فأصاب دما فى قومه ، فهرب ولحق بالحيرة

ولعل من بواعثه أن زيد بن أيوب قتل فى هذا الدم الذى أصابه أبوه فى بنى امرئ القيس ، فقد قتله رجل منهم بعد أن تعرف عليه واقتص نسبه ومنزله

ولعل من بواعثه ما كان يراه لدى الملوك — وأنت تعلم أنه عمل لـكسرى ، وأنه زار قيصر ، وأنه صديق الملك النعمان — من مآثم وجرائم ودس ومكائد ، اطلع على بعضها وسمع ببعض آخر

ولعل من بواعثه أنه كان رجـلا مثقفا أديبا . ومثل هذا يتدبر فى أحوال الناس وحوادث الأيام ، ويتبصر فيها ، ويفكر فيمن نزلت بهم . ومثل هـذا يكون ذكى القلب مرهف الحس رقيق العاطفة . وأنت تعلم أن الارتحال يكسب الإنسان خبرة ، وتعلم أنه يصقله ويهذبه ، وتعلم أنه يفسح مجال تفكيره ويزيد فى معرفته . وأنت تعلم أن عديا كان عالما بالفـارسـية ، وعالمـا بالعربية ، فهو قارئ كاتب مطلع على أخبار من تقدموه

ولعل من بواعثه أن ملك الحيرة كان فى أيديهم — فى يد زيد أبى عدى — قبل المنذر أبى النعمان، ثم تولاه منهم المنذر. وعلاوة على هذا فإن أهل الحيرة ولوا زيدا أبا عدى على الحيرة وأبقوا اسم الملك للمنذر بعد أن غضبوا عليه وثاروا به. فهم كانوا ملوكا حينا . ثم كانوا شركاء فى الملك حينا آخر . ولا يبعد أن يطمح شاب كعدى إلى مثل هذا ، فإذا ما غلب على أمره ، وإذا لم يظفر بما يريد ، وإذا كان ملك الحيرة خالصا للنعمان ، فإن هذا قد يخلف أثرا سيئا فى نفس عدى ، يدعه يجتر أفكاره وآماله ، ويجعـله ينظر إلى الحياة بمنظار قاتم

يبدو أن حياة عدى لم تكن سـهلة ، بل كانت معقدة ، وكانت لا تسير على ما يهوى . ويبدو أنه كان يبذل نشاطا كبيرا ولـكن هذا النشاط كانت تعترضه مشقات كثيرة . لقد كان يكافح غير أنه لم يكتب له الظفر ولم تدنه الأيام مما يريد . وتأمل هذه الأبيات :

وعاذلة هبت بليـــل تلومنى
فلما غلت فى اللوم ، قلت لها اقصدى (٥)

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى وأبعده منه إذا لم يسدد (٦)

أعاذل من تكتب له النار يلقها كفاحا. ومن يكتب له الفوز يسعد

أعاذل قد لاقيت ما يزع الفتى
وطابقت فى الحجلين مشى المقيد (٧)

أعاذل ما يدريك أن منيتى إلى ساعة فى اليوم أو فى ضحى الغد

بليت وأبليت الرجال وأصبحت
سنون طوال قد أتت قبل مولدى (٨)

فلا أنا بدع من حوادث تعترى
رجالا عرت من بعد بؤسى وأسعد (٩)

تأمل هذه الأبيات فستجد فى نفس هذا الشاعر شيئا يريد أن يفصح عنه ، شيئا تعجز الأبيات عن احتماله والإبلاغ عنـه ، معنى مخنوقا من طول ما توارت عليه الأيام بالطعن والتنكيل . ثم تأمل هذه الـكلمات « الرشـاد — النار — الـكفاح — الفوز — بليت وأبليت الرجال — فلا أنا بدع من حـوادث تعترى » هذه الـكلمات القصار دالة على كفاح هـذا الرجل فى حياته ، وسعيه للفوز والنجح ، ولـكنه لقى من الحوادث العنت والقسوة ، وثنته الأيام عما يريد ويأمل

لقد تربى عدى فى أحضان النعمة، وخالط الأغنياء والموسرين والملوك ، وكتب للمـلوك وسفر لهم . وكان بعيد مطارح الآمال، لأنه رأى أباه شريكا فى الملك، بعد أن كان الملك له خالصا. وكان قارئا كاتبا ملما بكثير من الأخبـار والأحداث . وكان رقيق الحاشية وذا طبع مهذب أنيق . وكل هذا لم يكن من وسـائل الترفيه عنه بل كان من العوامل والبواعث التى تبتعث أشجانه وأحزانه ، والتى أضفت على شعره لونا قاتما بائسا

وإذا عرفت أنه فيما بعد قد أصهر إلى النعمان بزواجه من هند ، وأن هذا الزواج لم يكن موفقا للأسباب التى أسلفناها لك،

(٥) عاذلة : لائمة ، غلت : بالغت ، اقصدى : أقلى (٦) يسدد : يوفق
(٧) يزع : يرد عن العمر ، الحجل : القيد ، المطابقة : مشي المقيد
(٨) طال عمره وقد أتت السنون بعد مولده كثيرة حتى بلى وتهدم
(٩) بدع : عجيب وغريب ، بؤسى : ج بؤس ، أسعد : جمع سعد

تميش هذا العيش اللذ بين الغيد الأوانس ، والعذارى الفاتنات ؟

قل ، وخل عنك هذا « الـكذب الاجتماعى » الذى تمارفه الناس

فسكت على الطنطاوى ، وتـكلمت نفسه ، فقالت : نعم

— قلت : وهل تريد أن تـكون مكانه فى السجن ؟

— قالت : لا قلت : ولم ؟

— قالت : لأن اللذات قد ذهبت، وبقى عذاب السجن ...

— قلت : فلماذا لا تذكر ذلك كلما دعاك الشيطان إلى لذة محرمة فلت إليها ، وتقول لنفسك إنها ستذهب كما ذهبت اللذائذ الماضيات ، ويبقى العقاب ؟ ولماذا لا تذكره كلما دعاك العقل إلى خير فتـكاسلت عنه لصعوبة البذل ، ومشقة العمل ، وتقول لنفسك إنها ستذهب هذه المشقة ويبقى الثواب ؟

فـكر فيما عملت من حسنات وخير ؛ بذلت فيها من جهدك ومالك ، وخالفت فيها هواك ، ماذا بقى من الصعوبة التى وجدتها عند الحسـنات ؟ وماذا بقى من اللذة التى أصبتها عند المعاصى ؟ لقد ذهبت آلام الطاعة وبقى ثوابها ، وذهبت لذات المعصية وبقى عقابها ، كالتلميذ يوم الامتحان إن كان قد جد وجد النجاح ونسى تعب المطالعة ونصب السهر، وإن كان قد لها ولعب فقد متعة اللهو وأنس اللعب ؛ ولقى (السقوط) .

فقس الآتى على الماضى ، ولا تبع آجلا خالداً بعاجل فان ، ولا تغتر بحلاوة العسل إن كان فيه السم ، ولا تخش مرارة الدواء إن كان فيه الشفاء ..

وتصور أنك على فراش الموت، وقد باد الأمل وجاء الأجل.. ما الذى تحسه فى تلك السـاعة من حلاوة المعصية ؟ ما الذى بقى لك من متع الجسد والقلب ؟ هل بقى لك شىء منها ؟ هيهات ! لقد نسى الجسد لذات الجسد ، وشغلت النفس عن مسرات النفس ؛ وضاع المال فصار للورثة ما جمعت من مال ، وتصرم الجاه فلا ينفع جاه ، ولا شهرة ولا وظيفة ولا أدب ولا فن ...

وتصور بعد ذلك القيامة وقد قامت، والصحف وقد نشرت، والحساب وقد أعلن ؛ وكل ذرة من خير قد قيدت لك ؛ وكل ذرة من شر قد سجلت عليك ؛ أحصاه الله ونسيته ، وعده وأغفلته، أين من نفسك يومئذ موقع هذه اللذاذات ؟ وأين مكان هذه المتع ؟ ما الذى استفدته منها ؟ ما أفدت إلا الندم ! وماذا استبقيت منها ؟ ما استبقيت إلا الألم !

***

فاذكر هذا كل صباح وأنت غاد إلى عملك ، وكل مساء وأنت مضطجع لمنامك ، وكلما أغرتك بشر لذته ، وكلما صدتك عن خير مشقته ...

جرب هذه التجربة السهلة ، وانظر كيف تـكون بعدها .

٣ — المعلم الأديب

فتحت اليوم درجا لى فيه أوراق لم أفتحه من نحو عشرين سنة ، فوجدت صفحات رائعة من قصة كنت شرعت فيها ونفسى مترعة عاطفة ، وقلبى متفتح للالهـام ، ثم قطعتنى عنها شواغل التعليم (وقد كنت يومئذ معلما) وصرفتها من ذهنى ، حتى أنى لأجدها الآن غريبة عنى ، كأنها لم تـكن لى ، ولم أكن كاتبها .. فجملت أتلوها وجملت صور أيامى الماضية تمر أمام عينى .. فأرى تلك الأيام التى أضعتها فى التعليم ، وتلك الأفكار والصور التى خسرتها ونـكبت بها .. وليس المنـكوب من ذهب ماله ، أو احترقت داره ، فإن الصحة ترد المال، والمال يعيد الدار ، ولـكن المنـكوب من ثـكل أفـكاره ؛ وأضاع ذكاءه ؛ وعاش بائساً يائساً ، ومات مغموراً منـكراً ؛ وقد كان أهلا لأن يسعد حيا بذكائه ؛ ويخلد ميتا بآثاره

إن المنـكوب هو المعلم الأديب ؛ الذى وهب له الأدب ؛ وكتب عليه التعليم : إنه يسـكب ثمرة حياته ، وعصارة قلبه ؛ الليالى الطوال التى أحياها ساهراً ، عاكفاً على كـتبه ، مطفئاً نور عينيه ، مذبلا زهرة شبابه ، يصبها كلها بين أيدى طلاب لا يـكاد أكثرهم يحفظ لمعلم عهدا ، ولا يذكر له ودا ، يصبح المعلم الأديب وفى نفسه موضوع المقالة، وفيها صورها وأفـكارها، ولـكنـه لا يستطيع أن يكتبها ، إنه مشغول عنهـا بتصحيح وظائف التلاميذ ، هذه الوظائف التى تحرمه لذة المنام ، وأنس السمر، ومتعة المطالعة ، وتأكل صحته ووقته ، ثم إذا انتهى منها

الوجودية فى نظر التحليل النفسى

للأستاذ شاكر السكرى

أثبت التحليل النفسى وجوده بين مختلف العلوم والآداب والفنون ، لا بل تخطى ذلك كله وتقدم بزهو نحو المكانة اللائقة به فى عالم الطب النفسى ! وليس هناك من ينكر الخدمات الجبارة التى حققها هذا العلم فى خدمة الإنسانية ، تلك الخدمة التى تجلت فيها المعرفة الخارقة فى كشف أغوار النفس البشرية وما تنطوى عليه من ألغاز وأمور معقدة ! كادت أن تفتك فتكاً ذريعاً فيها ، كما أثبت لنا هذا الطب الحديث الأخطار النفسية التى كانت تغزو البشرية فى معاقلها . . وكان الفضل الأكبر يعود بذلك (للأستاذ فرويد) ومدرسته الفنية التى خدمت ولا زالت تخدم المجتمع الإنسانى فى مجال تقدمه ورقيه ، هذه لمحة وددت أن أستهلها فى بحثى هذا لما لها من علاقة وثيقة بين الموضوع الذى سأتناوله

سبق لى وتحدثت إلى قراء (الرسالة) الغراء فى بعض أعدادها عن (فلسفة الوجودية) وما تحويه من أفكار ، وتقوم عليه من آراء ، سفسطائية كوميدية ، تكاد تلقى بسامعيها من الضحك إلى الوراء !

ولست الآن بصدد كوميديتها ، بل فى تحليلها تحليلا صادقا لكشف ما تحتفظ به من سموم مميتة ومخدرات (مورفينية) لتحقن بها أجسام الناشئة من الشباب الذين لم يتجاوزوا بعد دور المراهقة ، وربما تعدوا هذا الدور قليلا ! غير أنهم لم يستطيعوا من ضبط أعصابهم والسيطرة على عواطفهم الجامحة

أقول : الشباب وأقصد بالطبع الفتيان منهم والفتيات

لعل مدينة (النور) تذكر الأدوار التى لعبتها فى إغراء الناس من مختلف الطبقات والقوميات ، وأخص بالذكر منهم الغرباء النازحين إليها والمقيمين ، ولم تقتصر فى إغرائها هذا على نفسها بل تعدته إلى نفوس الآخرين

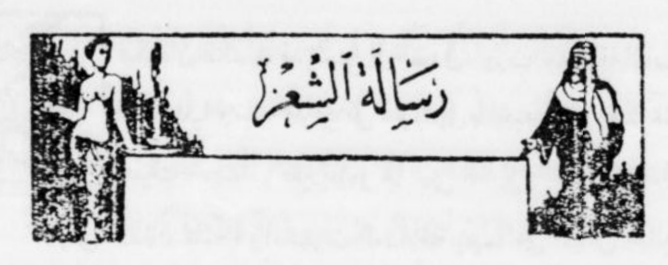
ولعل (فرويد) غير مرتاح لما يسمعه عن هذه المدينة الطائشة ، والمذاهب الانحلالية القائمة فيها

ويعتبر (فرويد) حسب نظرياته الطبية أن المذهب (الوجودى) مذهب لحمته التفسخ وسداه الاضمحلال الخلقى ، لأنه نشأ فى وسط متفسخ بلغت به الفوضى الخلقية حد الجنون ! لأنه ترعرع بين الفترات المظلمة التى خلفتها وتخلفها الحروب البربرية !

ولما كانت هذه الحروب ذات تأثير سيء على المجتمعات من حيث شكلها ومادتها ، ولما تحدثه فيها من انعدام النظام وتفشى الفوضى والأمراض المختلفة بين السكان ، كان معنى ذلك أن الفرد أخذ يحس إحساسا قويا بانعدامه فى هذا الوجود المجنون، كما أنه بات لا يشعر قط بوجوده ، ولأجل ذلك أخذت فكرة انغماس الفرد فى ذاته ، وسعيا لتحقيق رغباته ، ذلك السعي الذى جعل منه إنسانا (بوهيميا) يعيش لنفسه فى جو من الخلاعة والدعارة ، كأنه يريد بذلك أن يثبت وجوده (بسلوكه الشاذ) على طبيعته وطبيعة الكائنات المخلوقة الأخرى ، وهو بذلك يسلك الطريقة الشائعة (خالف تعرف) . هذا من ناحية ، أما النواحى الأخرى التى أوجدتها ظروف الحروب ، هو الكبت الجنسى الحاصل عند الجنود من جراء بعدهم عن المرأة فى ميادين القتال ، ولعل هذا البعد يستغرق سنوات طويلة فى هذه العزلة الكئيبة التى تخلف فى نفوسهم رد فعل عنيف لا يستطيعون معه كبت عواطفهم ، وكثيرا ما أدى هذا الكبت إلى انتشار الشذوذ الجنسى بين المحاربين

كل ذلك أثر من آثار الحروب المدمرة ! ولعلنا أدركنا وندرك كم من الحضارات الزاهرة اندثرت ! وكم من المدن النضرة أصبحت أثرا بعد عين ! وكم من المجاعات الفظيعة انتشرت تأكل بعضها بعضا ، وكم من الحدائق الغناء والمروج الجميلة أضحت أرضا جرداء لا ماء فيها ولا زرع ! بغض النظر عن الكوارث الجسيمة التى يصاب بها المجتمع البشرى والتى أوردت بملايين من العوائل إلى البغى والإثم ! من جراء الفقر وغزو الفاتح لها ...

ولعلنا أيضا لم ننس ما حل فى أوربا وخاصة فى الحربين العالميتين (١٩١٤ و١٩٣٩) من تهتك الفاتحين بعضهم لبعض ،



حريق القاهرة

للاستاذ عثمان حلمي

هذى بلادك ذاكر أم نامى ؟ ... أم حرت مابين الرجا واليأس ؟!
زحمتك فيها الحادثات ولم تدع ... لك غير محض الخوف والوسواس
فوقفت مشدوه الفؤاد كأنما ... تجرى مقادرها بغير قياس
وكأنما الدنيا سوى الدنيا التى ... عاهدتها والناس غير الناس
ماذا رأيت ؟ – وما لأمرك حائرا ... ومن الدموع على المصاب مواسى
أسألت ما تلك الطلول فلم يجب ... من ناطق فيها سوى أدراس
وعرفت كيف جنى عليها من جنى ... من كل جبار الحفيظة قاسى
فإذا المغانى الغاليات كأنها ... لم تغن قبل خرابها بأناس
وإذا الديار الشامخات كأنها ... فى العين مهجور من الأرماس
من كل منهار الجدار كأنما ... قامت جوانبه بغير أساس
دكت بما فيها وأصبح أهلها ... نهب البلى وتصرف الأحراس
وكأنما أيدى المغول تظاهرت ... فيها بغير هدى ولا نبراس
فرأيت من بغداد صورة كربها ... فى مصر – بل فى قلبها الحساس
فى كل منعرج مكان خافق ... أو موحش خال من الإيناس
وبكل ناحية دمار شامل ... ومدامع مهراقة ومآس
يالنفوس ويالها من فتنة ... جنت جنون جوامح الأفراس
إبليس أوقدها وأشعل نارها ... وأثارها هذا اللعين الحاسى
وكأنه قد كان أودع سره ... من قبل صدر موسوس خناس
وكأنه والنار تزأر صارخ ... أو نافخ فى قسوة وحماس
فإذا بأبواب الجحيم تفتحت ... وطغى ركام دخانها الجواس
وتشققت سحب الدخان بلامع ... كالبرق نور ظلمة الأغلاس
مابين محمر ومصفرجلا ... منها اربداد سحابها المساس
وإذا القلوب لدى الحناجر جاوبت ... فى الجوف خفق تقطع الأنفاس
من كل من لم يدر أية حيلة ... لنجاته إلا الرضى باليأس
أو كل مفتقد صريع قضائه ... يبكيه مسكوب المدامع آسى
بطشت به النيران بطشة غادر ... كالوحش بالأنياب والأضراس
والقوم إلا الأشقياء لهولها ... غشيتهمو سنة من الإبلاس
وقفوا حيارى لا يرون بأعين ... أجفانها نعست بغير نعاس
وتيقنوا أن لا نجاة لهول ما ... وقعت عليه العين من أرجاس
حتى تداركها المليك بحكمة ... محمودة العقبى وعزم راسى
فانجاب من قلب الكنانة رعبها ... وانزاح ما أضنى النهى من باس

عثمان حلمى

وكيف أن الجنود الأمريكيين والإنكليز كانوا يحصلون على بغيتهم من الفتيات العذارى بقطعة من (الشكولاته) أو غيرها

هذه صورة مصغرة لما حدث ويحدث من جراء هذه الحروب الوحشية !

فلا غرابة إذاً من ظهور مذاهب انحلالية تدعو جهدها لإقامة (الدهاليز الأرضية) وهى ملاجئ تمثل فيها أبشع ما تصوره الغريزة من همجية !

كما أنها تدعو ضحاياها للمعيشة الهمجية كما يصوره لها عقلها الباطن (اللاشعور) وكما ترتضيه غرائزها الجنسية !

ولا يخفى أن العقد النفسية الكامنة فى نفوس معتنق هذه المذاهب تكاد تسيطر سيطرة تامة على العقل الواعى (الأنا) وتشل حركته لكى يبدأ (اللاشعور) عمله المبعثر ليجمع شتات الأفكار والذكريات القديمة المكبوتة فيه، ليخرجها على شكل (أفعال منقوصة) و (عقائد فاسدة) أما الشعور بالنقص الذى يغمر نفوس هؤلاء لم يكن إلا وليد البيئة

بلبم
٣٨٠٣١

شاكر السكرى



كذب فى كذب

مسرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك

للأستاذ على متولى صلاح

الأسرة التيمورية فضل على الأدب عريق ، فهم منذ أزمان بعيدة سدنة الأدب فى هذه البلاد، يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، ولا يفتأون يضيفون إلى المكتبة العربية الذخائر والكنوز، ويقدمون لها الآثار الجليلة النافعة ... ونحن اليوم بصدد الحديث عن أثر من هذه الآثار التى تغمر الأدب العربى الحديث، وهو تمثيلية (كذب فى كذب) التى تعرض الآن بدار الأوبرا الملكية ، وتنهض بها فرقة المسرح المصرى الحديث

والذى يبدو من وراء سطور هذه المسرحية ، أن الأستاذ الجليل محمود تيمور بك ألفها من جراء أزمة قامت بنفسه بفعل قوم أنكروا ما أسدى إليهم من أياد بيضاء ، وجزوه عليها جزاء سنمار ! ! وأغلب الظن أنه لم يكن يعنى بشخصية (فواز بك) فى هذه المسرحية سوى نفسه ، وإن تعمد إخفاء بعض الملامح وتغيير بعض السمات ! فإن (فواز بك) رجل سمح كريم طيب الخلق ، وتلك خلال نعرفها ويعرفها الناس جميعاً عن الأستاذ محمود تيمور بك ، نهض بما توجبه المروءة وما يقتضيه الخلق القويم الكريم ، فكان جزاؤه العقوق والجحود والنكران ، ولكن الأستاذ محمود تيمور بك — خشى فيما بينه وبين نفسه — أن يحس الناس ذلك ، وغلبه حياؤه المعروف ، فأسرع إلى طمس بعض المعالم لكى ينصرف الناس عنه ! ولهذا فإن الفطن اللبيب يستشعر شيئاً من التناقض فى شخصية (فواز بك) ، ولكن إذا ظهر السبب بطل العجب !

ولا تقوم فكرة المسرحية على هذا المعنى ، ولكنها تقوم على فكرة أن الكذب قد ينتهى إلى الصدق، ورب جد ساقه اللعب ! فهما شاب وشابة تعرف كل منهما إلى صاحبه فى صورة لا تمثل حقيقته، فالشاب فقير يظهر لها الغنى الطائل والثروة العريضة ، وهى كذلك تماماً ! واستمرت العلاقة بينهما على أساس هاتين الصورتين الزائفتين ، ولكن كل خاف سيعلم ! وحبل الكذب قصير ! وإذا بالحقيقة تنكشف لهما ، ولكن الحب كان قد سبق هذه الحقيقة إلى قلبيهما ، وصار هو الحقيقة الواقعة ! فلم يضعف هذا التكاشف شيئاً منه ولم يطفئ سعيره ، بل استمر الشابان على ما بهما من حب قام أول ما قام على الكذب والبهتان !!

هذه هى فكرة المسرحية ، وهى فكرة كما يرى القارىء حسنة ذات قيمة كبرى عند علماء النفس ، ولكنها عند رجال المسرح لا تفى للنهوض بتمثيلية كبرى تعرض على الناس فى نحو ثلاث ساعات ، ولهذا كثرت من حولها الحوادث التى لا تكاد تتصل بها ، وازدحم فيها الأشخاص الذين تستغنى هذه الفكرة عنهم ، ولا تريد منهم عوناً ولا مساعدة ! وانطلقت الألسن بكلام لا تراه هذه الفكرة لها ولا عليها ، ولكنها ترى بينها وبينه (كمال الانقطاع) كما يقول علماء البلاغة !

والمسرحية مكتوبة باللغة العامية ، وقد أخبرنا الأستاذ الكبير مؤلفها أنها ستطبع بالعامية وبالفصحى ، ولكننا نسارع فنشير على الأستاذ الكبير أن يكتفى بالفصحى ... إننا نريد من الأستاذ محمود تيمور بك العضو فى المجمع اللغوى أن يؤدى إلى المسرح المصرى خدمة طالما عنيناها له ، وهى تطويع اللغة العربية وتقريبها إلى العامية ، مع المحافظة على سلامتها وصحتها ، ومع عدم الانحدار بها إلى هذه العامية الكريهة البغيضة الشائهة ... هذا مطلب نرجو أن يحمل مؤونته الأستاذ محمود تيمور بك ، ولقد تحقق الكثير منه على يدى صديقنا الأديب الكبير الأستاذ على أحمد باكثير فلانت لغته كثيراً فى مسرحياته الأخيرة ، وصارت سهلة رقراقة بريئة من التفاصح ، بريئة كذلك من الإسفاف إلى مستوى العامية ... نرجو جاهدين أن يتم الأستاذ الكبير محمود تيمور بك تحقيق هذا المطلب العزيز ، ونرجو جاهدين أن ينأى بجانبه عن استعمال اللغة العامية ، وليس ذلك عليه بعزيز

وكنت أود ألا يكون فى المسرحية مثل هذا الشذوذ الذى وقع فيه الزوج (كريم بك) مع ابنة زوجته (كريمة) فإنه شىء ليس فى طباع الناس إلا من ابتلاهم الله بالشذوذ والانحراف ، إذ ليس مألوفاً أن نرى الرجل يهيم بابنة زوجته كما فعل كريم بك إلا إذا كانت به لوثة أو كان به انحراف عارم ، ومثل هذا الانحراف العارم لا يجوز عرضه على المسرح على أنه شىء طبيعى عادى !!

وكان يجمل أن يلقى كثير من الضوء على علاقة (فوازبك) بمن يحيطون به ، فإن هذه العلاقة غامضة كثيراً . .

أما من التمثيل والإخراج فالحق أن أعضاء هذه الفرقة قد شبوا عن الطوق كثيراً ، وثبتوا على خشبة المسرح ثباتاً حميداً ، فأذكر منهم — على سبيل المثال — الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى إذ يقوم بدور (فواز بك) فى دقة وإلمام تام وتؤدة ، وإن كان يبدو أصغر مما ينبغى ، والأستاذ عدلى كاسب فقد اتسم بيانه النفسى حتى استطاع أن يلعب أدواراً عديدة يبلغ فى كل منها شأواً بعيداً ، فقد رأيناه فى (مريض الوهم) ورأيناه فى (مسمار جحا) ثم رأيناه اليوم فى دور (العمدة) محمدة حقا ولكنى أرجو ألا يسرف فى المبالغة ! وأن يحد قليلا من حركاته الجسمية ، وأن يمضى إلى التليفون سريعا بل واثبا عندما يدعوه لحادثة قتل ، وألا يبطئ ويتثاقل كما رأيناه !!

ولست أستطيع أن أذكر الممثلين واحدا واحدا وهم ثمانية عشر ممثلا وممثلة وإلا ضاقت صفحات الرسالة دون هذا الغرض ! ولكنى أنوه بصفة خاصة بالآنسات زهرة العلى بكير ، وسناء جميل ، وبالأساتذة نور الدمرداش وأحمد الجزيرى

أما الإخراج فلى عليه ملاحظة أرجو أن يشفى الأستاذ الكبير زكى طليمات ما بنفسى منها ، وإنى لأتوجه إليه متسائلا مستفيدا :

كيف يتفق أن يقع فى (البار) — وهو محل عام يغشاه الناس جميعا — أقول كيف يتفق أن يقع فيه العناق والقبلات أمام الخدم وفى عرضة للداخلين والخارجين ؟ ولماذا لا يكون هذا (البار) جانبيا ليمكن أن تقع هذه الأشياء بعيدة عنه ؟؟ وهل عجزت الحيل المسرحية عن إيراد ما يصح معه هذا العمل ؟؟

هذا — ومما يقتضيه الحق أن أذكر أن الأستاذ ينفخ فى مسرحياته حياة زاخرة فياضة ، ويملؤها بالصور والحركات والإشارات التى يجعلها تموج بالحياة النابضة ، وعندى أنه يقوم أعمال المؤلفين بهذا الذى يفعله ، وليس المخرج الحق من ينقل التأليف نقلا آليا فوتوغرافيا ، ولكنه من يضيف إليه ثروة فوق ثروته ، ويمده بقوة فوق قوته ، وهذا ما يفعله مخلصا الأستاذ زكى طليمات

على متولى صلاح



الصعلكة والفتوة فى الاسلام

تأليف الدكتور أحمد أمين بك

للأستاذ عبد العزيز محرم

نحن فى حاجة إلى مثل هذه الكتب أو الكتيبات التى ترسل أضواء كاشفة على بعض المعانى التى ورثناها عن القرون الماضية ، فهذه المعانى هى الميراث الذائب فى دمائنا ، يوجهنا ويرشدنا ويوحى إلينا . وكل أمة تعرف ما اختلج فى ضميرها ، وما استتر فى أعماقها ، وما يدفعها دائما إلى أنواع معينة من السلوك ، تسترشد فى طرائق الحياة الصحيحة ، لأنها بتجربتها على مدرجة الزمن وانصرام الأعوام ، قد عرفت الشيء الكثير عن عوامل الرقى وأسباب الانهيار

ونحن الآن فى زمن نتلفت فيه كثيراً إلى الماضى نسترشده ونستلهمه ، ونسأله العون والتوفيق . وإذا عرفنا معانينا الموروثة ، وأخلاقنا الكريمة ، ومثلنا الرفيعة ، وما طرأ على كل ذلك من عوامل تقدم أو من عوامل نكوص ، استطعنا أن نتبصر فى موقفنا الراهن وحياتنا الحاضرة

وليس على وجه التاريخ أمة عاشت منقطعة عن ماضيها ، بل الحياة دائما مستمدة من ميراث الماضى ، ومن ضرورات الحاضر ، ومن آمال المستقبل . والأمم والأفراد فى هذا المجال سواء . واليوم وليد الأمس . والغد وليد اليوم وحفيد الأمس . والأمة التى تتنكر لماضيها لا تتمكن من السير ولا تتمكن من الرقى . وقد تندفع إلى مهاوى الضلال والدمار

على هذا الأساس نرحب بكتاب « الصعلكة والفتوة فى الإسلام » لأنه يكشف لنا عن بعض تقاليدنا وآدابنا ومعانينا التى ورثناها عن أجدادنا السالفين ، ولأنه يضع أيدينا على مواضع الرشاد ومواضع الخيبة فى حياة هؤلاء الأجداد ، ولأننا بهذا نستطيع أن نرسم لأنفسنا طريقاً لاحباً . يوصلنا إلى أهدافنا ، ويدفعنا إلى غاياتنا ، ويستشرف بنا إلى حياة رفيعة مأمولة ، ويخلصنا من إصر ما نحن فيه الآن من انحلال وضعف وتخاذل وذلة

وقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد أمين بك معانى الفتوة . فقال إنها الشباب . وقال إنها القوة . وقد تلونت الكلمة بلون البيئة ، فإن إنسانا قد يرى فى الفتوة أنها كرم وشجاعة كطرفة ابن العبد ، وقد يرى غيره أنها العقل والفصاحة والرزانة كزهير ، وقد يرى ثالث أنها كتمان السر وعدم البوح به كمسكين الدارمى

ويرى الدكتور أن الفتوة أثر الغنى ، وأن الصعلكة أثر الفقر ، ومن فتيان الجاهلية طرفة بن العبد وامرؤ القيس . ومن صعاليكها السليك بن السلكة ، وعروة بن الورد ، والشنفرى ، وتأبط شرا . وهؤلاء كانوا فقراء صعاليك . وطرفة وامرؤ القيس كانا غنيين من الفتيان

واستعرض الدكتور مثل الصعاليك ومثل الفتيان استعراضا تاريخيا تحليليا من العصر الجاهلى ، إلى عهد الخلافة الرشيدة ، إلى العهد الأموى ، إلى العهد العباسى ، إلى أزمنة المماليك ، إلى العصر الحاضر فى مصر . وبين الآداب الرفيعة والتقاليد الرائعة للفتوة والصعلكة . وبين كذلك ما لحقهما من ضمور وهزال وشوائب أضعفت من أثرهما ، وقللت من شأنهما فى بعض الأوقات

وقد استشهد بكثير من الأشعار فى العصر الجاهلى على ما يقول . أو هو قد استخلص كثيراً من معلوماته فى هذا الموضوع من أشعار الجاهليين . فذكر شعراً لطرفة . وذكر شعراً لتأبط شرا . وذكر شعراً للشنفرى . وذكر شعراً لعروة ابن الورد

وعروة بن الورد هو المثال الرفيع للصعلكة الجديرة بالتقدير والاحترام . إذ كان اشتراكيا بكل ما تحمل الكلمة من معنى . وكان يغير على الأغنياء البخلاء ليرد أموالهم على الفقراء المحاويج .

فهو لم يكن بغير لغرض ذاتى ؛ بل لغرض تهذيبى . وآخر اجتماعى . الغرض التهذيبى أن يؤدب هؤلاء الأغنياء الذين يضنون بأموالهم ورفدهم على المحتاجين والمساكين . والغرض الاجتماعى أن يعول كثيرا من الذين يعجزون عن الكسب لمرض أو شيخوخة أو عجز . أما هو نفسه فلم يكن يظفر من غنائمه ولا من نهبه بأكثر مما كان يظفر به شيخ قعيد أو عاجز ضرير

« فهو فقير يتحسس أخبار الأغنياء، فمن وجده كريما سخيا خلاه ، ومن وجده شحيحا بخيلا غزاه ، وفرق ما جمعه على زملائه بالعدالة لا يرضى بشئ لنفسه إلا برضاهم . فمثله مثل برناردشو فى إحدى رواياته إذ هاجم قوم سيارة فخمة يركبها أغنياء مرابون . فقال الهاجمون ، نحن سراق الأغنياء ، وأنتم سراق الفقراء . وكما فعل تولستوى إذ كان غنيا واسع الغنى ، فوزع ثروته على فلاحيه وعاش فقيرا . غاية الأمر أن عروة هذا سبقهما فى النبل بنحو ألفى سنة

« والخلاصة أننا نرى فى الحياة الجاهلية البدوية نوعين متميزين من الشبان : (أبناء الذوات) ، قد يجتمعون ويتخذون لهم محلا مختارا ، ويعيشون عيشة إباحية ، فبها خمر ، وفيها غناء ، وفيها نساء . وهم مع ذلك كرام ، يضيفون من نزل بهم ، ويغدقون عليهم من خيرهم . وتقابلهم طائفة أخرى من أبناء الفقراء يسمون الصعاليك ، يشاركونهم فى الكرم والاشتراكية ، ويخالفونهم فى أن حياتهم ليست حياة دعة واستمتاع ، ولكن حياة غزو وسلب ونهب ، وتوزيع المال على أمثالهم . يضاف إلى ذلك فرق آخر وهو أن الفتيان يعطون ما يعطون وهم مترفعون ، والصعاليك يعطون ما يعطون وهم يعتقدون أنهم مع زملائهم متساوون . وإن شئت فقل إن الفتيان يعطون ما يعطون عطفا وتفضلا ، والصعاليك يعطون ما يعطون أداء لما يرونه واجبا »

وفى عهد الخلافة الرشيدة ارتفع الدين بمعنى الفتوة ، ورفع الإماء والعبيد إلى مقام الأحرار ، فسيدنا إبراهيم فى حجاجه قومه فتى ، وأهل الكهف فتية آمنوا بربهم ، والعبد والأمة ليسا عبدا ولا أمة ، إذ (لا يقول أحدكم عبدى وأمتى ولكن ليقل فتاى وفتاتى) ولا يجوز أن تكرهوا (فتياتكم على البغاء)

وعلى العهد الأموى نجد نكوصا إلى فتوة امرئ القيس وطرفة بن العبد . وهى فتوة الخمر واللهو والعكوف على الغناء . وقد يكون فيها إكرام للناس وقرى للضيف وإيواء للغريب . وقد يكون من هؤلاء الفتيان اللاهين من يخرج للصيد والطرد بعدده وآلاته ؛ وهذه الفتوة الموروثة جاهليا ، المهونة أمويا ، تأثرت بما أخذه الفتيان عن الفرس من اللعب بالبندق، وهو كرات صغيرة من طين أو حجر أو رصاص يرمى بها عن قوس لصيد طير أو نحوه . ثم حشيت بالبارود . ومن هنا سميت البندقية

وكما كانت الفتوة فى العهد الأموى متأثرة بفتوة طرفة وفتوة الفرس ، كذلك كان بعض ألوان الفتوة فى العهد العباسى . ونجد لونا آخر وهو فتوة المتصوفة ؛ وفى هذا يقول محيى الدين بن العربى :

إن الفتوة ما ينفك صاحبها	مقدما عند رب الناس والناس
إن الفتى من له الإيثار تحلية	فحيث كان فمحمول على الراس
ما إن تزلزله الأهوال قوتها	لكونه ثابتا كالراس فى الراس
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله	عن المكارم حال الحرب والباس
انظر إلى كسره الأصنام منفردا	بلا معين . فذاك اللين القاسى

وفى البيت الأخير إشارة إلى فتوة إبراهيم عليه السلام

وكذلك نجد فى العهد العباسى لونا ثالثا من الفتوة وهو فتوة العيارين والشطار ، وكانت تستخدم فى السلب والنهب . وثمة لون رابع من الفتوة ، وهو الفتوة المنعقدة بين جماعة لسبب ما كغربة ، وكما حدث من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فى عهد النبوة الكريم . وهناك فتوة الإسماعيلية كالحسن الصباح وفتيانه ، وأيضا فتوة الحروب الصليبية كصلاح الدين الأيوبى ، وأسامة بن منقذ ، ونور الدين محمود بن زنكى

وقد تأثرت الفتوة فى العصر العباسى بفتوة الفرس وفتوة الترك ، علاوة على تأثرها بالفتوة العربية ، وعلاوة على تأثرها بالعناصر الدينية

ومن ميزات الفتوة أنها « تتضمن الشجاعة ، والاتيان بأعمال البطولة ، والكرم والسماحة والعفو عند المقدرة ، واحترام المرأة ، ووفاء العهد وحماية الضعفاء » ، وكذلك يكون الفتى

معروفاً بالسخاء والشجاعة ، والزهد والعبادة ، وإطعام الطعام للمساكين ، وإكرام العلماء والفقهاء ، وحسن السيرة وصدق الحديث . قليل الكلام ، لا يسمع منه أحد كلمة كذب ولا فحش. لا يخوض فى كلام لا طائل تحته، آمر بالمعروف ناه عن المنكر»

وأنت ترى أن هذه الصفات الكريمة والأهداف النبيلة لم تتحقق فى كل ألوان الفتوة التى ساقها الدكتور أحمد أمين بك ، وهى إن تحققت فى الفتوة الدينية ، أو الفتوة الصوفية ، أو فتوة صلاح الدين وأسامة بن منقذ ، فهى قطعاً لم تتحقق فى فتوة العيارين والشطار ، ولا فى فتوة العابثين اللاهين

ولعله كان من الأجمل أن تحدد ألوان الفتوة بالنظر إلى أهدافها ، فقد يهدينا هذا إلى معرفة الفتيان حقيقة هؤلاء الذين يجمل بهم وبنا أن نذكرهم دواما ليكونوا أمثلة للهداية والنور والحق الطهور . وبهذا نحفظ مقاماتهم ، ونذكرهم عند الاقتران بهذا الخليط العجيب من الفوضى والإباحة الذى انساق إليه كل لاه عابث مغلوب . وبهذا نضع كل إنسان فى مكانه من الفتوة الصادقة حتى نربأ بصلاح الدين وأسامة بن منقذ ومحى الدين بن العربى عن دنس قرنهم بالعيارين والشطار فى إطار الفتوة . وحتى نحفظ لهذا الاسم الجميل معناه الجدير بالاحترام والتقدير

ولم يذكر المؤلف فتوة المسلمين الأولين فى العهد الرشيد التى تمثلت فى فروسية الفاتحين كأسامة بن زيد ، وخالد بن الوليد ، وعلى بن أبى طالب

ويبدو أنه لم يكن من اللازم ، فى هذا العصر الرشيد على الأقل، أن يكون الفتى فى سن الشباب . والمثال على ذلك قصة إبراهيم التى كسر فيها الأصنام ، والتى أحرقوه بسببها ، والتى سموه فتى فيها . ومن سياق هذه القصة — كما وردت فى سورة الأنبياء — نعرف أنها بعد بعثته ونبوته ، أى بعد الأربعين ، وهى السن التى يرسل فيها الرسول إلى قومه . وليس من السائغ أن نقول إن الإنسان نبيا أو غيره ، فى هذه السن ، يكون فى شبابه . بل هذه فاتحة الكهولة التى يستحصف فيها العقل وتصفو النفس

وحين ننتقل إلى العهد الأموى نجد مؤلفنا الجليل لم يذكر الخوارج . وقد كانوا من الفتيان حقا وصدقا . وقد وهبوا كل ما يملكون لمبدئهم الذى رأوه حقا وصوابا

ولم يذكر أيضا فتوة أشياع على والحسين ، مع أنهم خرجوا على ملك بنى أمية المغصوض راجين رد الحق إلى نصابه ومصادره، ولقوا فى سبيل ذلك القتل والتمثيل والتشريد

وذكر الدكتور المؤلف فتوة المماليك ؛ ولكن يهمنا نحن المصريين هذه الفتوة التى تجلت فى موقفين رائعين : الموقف الأول هو انهزام الصليبيين أمام المماليك والمصريين فى المنصورة . والموقف الثانى هو تفرق التتار فى عين جالوت أمام المماليك والمصريين أيضا . وهاتان الموقعتان حفظتا العالم الإسلامى من الضياع بفضل فتوة المماليك الرائعة

وعرض المؤلف للإخوان المسلمين ، وهم جماعة أكثر أتباعها من الشبان المسلمين . بدءوا أمرهم بتعليم الشبان الفضائل عن طريق الدين . والحق أن الناظر إليهم كان يراهم أميز من زملائهم من حيث القوة والرجولة والتخلق بالأخلاق الحسنة. ثم دعتهم الظروف المحيطة بهم أن يتحزبوا . فتظاهروا . وأيدوا الحكومات أحيانا وعارضوها أحيانا تبعا للتعليمات . ثم تطوروا تطورا آخر ، فكان منهم محاربون ، وكان منهم فدائيون

ومن رأى الدكتور أن الإخوان ضعفوا عما كانوا عليه . وفى رأيه أن قتل الشهيد حسن البنا كان جزاء وفاقا لما فعل الإخوان من قتل المرحوم النقراشى . وقد تكون للتاريخ كلمة غير هذه الكلمة حين تنجاب الحجب عن الألغاز الاستعمارية والأحاجى السياسية، وحين يعرف لماذا شرد وعذب واعتقل شباب مسلمون لاهم لهم إلا نصرة دينهم على المستعمر الغاشم ، وإلا نصرة دينهم على الانحلال والرأسمالية البغيضة

لقد كانت رحلة شائقة من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث أفدت منها كثيرا ، واستمتعت كثيرا، وعرفت مالم أكن أعرف من وجوه الكرامة والرجولة والفتوة لدى هؤلاء الأماجد الأبطال الذين تنطق الدنيا ولا تنطق مصابيحهم . فشكراً المؤلف الفاضل . وشكراً للفرص المواتية

محمود عبد العزيز محرم



من أين لك هذا ؟

قد يكون من المفيد -- بعد ما تبين لأولى الأمر منا أى ضرورة ملجئة ، وأى مصلحة عامة تحمل حتما سن مثل هذا القانون — أن نذكر أن الحكومة الإسلامية منذ ثلاثة عشر قرنا ، فطنت إلى هذا القانون ، فنادى به محمد صلى الله عليه وسلم زعيم الإصلاح ، ومعلم الإنسانية الأول ، وآمن به من بعده إيمانا لا يتسرب إليه الشك . والتاريخ يحدثنا عن غير واحد من علية القوم ووجهائهم ممن حوكموا بمقتضى هذا القانون ، فهذا خالد بن الوليد الذى اقتعد غارب المجد ، وتسنم ذروة الشرف ، وأبلى فى الدفاع عن الإسلام أحسن البلاء ، لم يغن عنه كل أولئك أمام الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحين أحس أنه أثرى فجأة — وكان عاملا له — عزله من الولاية ثم استجوبه وحقق معه ، ورد إلى بيت المال بعض أمواله

روى الطبرى أن خالد بن الوليد إثر عودته من «قنسرين»، بعد أن أظفره الله عليها ، وأفاء خيرا كثيرا عليه ، وفدت عليه الوفود ، وكان ممن وفد عليه الأشعث بن قيس ، فأجازه خالد بعشرة آلاف . وسرعان ما أنهى إلى الخليفة العادل الساهر هذا النائل الغمر ، فأبرد إلى أبى عبيدة (أن يقيم خالدا ، ويعقله بعمامته ، وينزع عنه قلنسوته ، حتى يعلمهم من أين إجازة ابن الأشعث ؟ أمن إصابة أصابها ؟ أم من ماله ؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة ، وإن زعم أنها من ماله فقد أسرف ، واعزله على كل حال ، واضمم إليك عمله) فكتب أبو عبيدة إلى خالد ، فقدم عليه ، ثم جمع الناس ، فقام البريد . فقال : يا خالد ! أمن مالك أجزت بعشرة آلاف ؟ أم من إصابة؟ فلم يجبه، حتى أكثر عليه — وأبو عبيدة ساكت لا يقول شيئا — فقام بلال إليه فقال : إن أمير المؤمنين أمر بكذا وبكذا فيك ، ثم تناول قلنسوته ، فعقله بعمامته وقال : ما تقول ؟ أمن مالك ؟ أم من إصابة ؟ فقال : لا ! بل من مالى، فأطلقه، وأعاد إليه قلنسوته ، وعممه بيده ، ثم قال: نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخم ونخدم موالينا. وعندما قدم خالد على عمر المدينة، بعد عزله، شكاه إلى المسلمين وقال له : لقد شكونك إلى المسلمين ، وبالله إنك غير مجمل فى أمرى يا عمر..

فقال عمر : من أين هذا الثراء ؟ قال خالد : من الأنفال والسهمان ، وما زاد على الستين ألفا فلك . فقوم عمر عروضه ، فخرجت إليه عشرون ألفا ، فأدخلها بيت المال ، ثم قال : ياخالد! والله إنك على لكريم ، وإنك إلى لحبيب، ولن تعاتبنى بعد اليوم على شئ

وكذلك وقف عمر بن الخطاب موقفا مشابها من والى مصر عمرو بن العاص ، فقد كتب إليه : « أما بعد ، فقد بلغنى أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقر وعبيد ، وعهدى بك ولا مال لك ، فاكتب إلى من أين أصل هذا المال ؟ ولا تكتمه » فأجابه عمرو « . . وإنى أعلم أمير المؤمنين أننى ببلد السعر فيه رخيص ، وإنى أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج أهله ، وفى رزق أمير المؤمنين سعة، ووالله لو رأيت خيانتك حلالا ماخنتك، فأقصر أيها الرجل ، فإن لنا أحسابا هى خير من العمل لك ، إن رجعنا إليها عشنا بها »

على أن عمر لم يجد فى هذا مقنعا ، فأرسل إلى عمرو محمد بن سلمة ليشاطره ماله . وعندما قدم رسول عمر إلى عمرو قدم إليه أصنافا كثيرة من الأطعمة ، فرفض أن ينال منها شيئا ، فقال له عمرو : أتحرمون طعامنا ؟ فقال : لو قدمت إلى طعام الضيف لأكلته ، ولكنك قدمت إلى طعاما هو تقدمة لشر . نح عنى (أكلك) طعامك ، وأحضر إلى مالك ، واكتب إلى كل شئ هو لك ، ولا تكتمه . فشاطره ماله أجمعه ، حتى بقيت نعلاه ، فأخذ إحداهما وترك له الأخرى . هذا وغيره كثير وفى هذا بلاغ

وصنيع عمر هذا يعد من قبيل الاحتياط والتورع ، ولم يكن عن خيانة من خالد أو عمرو ، فإنهما أعز وأكرم من التماس الغنى والثراء مما لا يحل ، يدل لهذا كتاب عمر إلى عمرو بن العاص « والله يا عمرو لقد ابتليت بولاية هذه الأمة ، وآنست من نفسى ضعفا ، وانتشرت رعيتى ، ورق عظمى ، فأسأل الله أن يقبضنى إليه غير مفرط ، والله إنى لأخشى لو مات جمل ناقص

عملك ضياعاً أن أسأل عنه »

وورد فى كتاب من عمر وإلى عمر « معاذ الله من تلك الطعم ، ومن شر الشيم ، والاجتراء على كل مأثم ، فاقبض عملك ، فإن الله قد نزهنى عن تلك الطعم الدنيئة ، والرغبة فيها »

أما موقف سيدنا خالد فيشهد لما أشرت إليه ما جاء على لسان أمير المؤمنين نفسه ؛ على ما مر بك ، والله ولى التوفيق

رياض عباس

عبد المنصف محمود باشا

كان لتعيين عبد المنصف محمود باشا وكيلا لوزارة الداخلية وقعه الجميل فى نفوس أصدقائه ومحبيه . وإنى وإن كنت ممن لم يتشرفوا بتلك الصداقة الشخصية ، إلا أن للرجل فى نفسى مكانة أدبية من حق الرسالة على أن أنوه بها ، على سبيل التهنئة الخالصة لوجه الثقافة والأدب

ولقد أشرت فى تقريظى لكتاب « السنوسية دين ودولة » للدكتور فؤاد شكرى إلى رجالات مصر الذين أسهموا فى الجهاد الليبى ، وذكرت من بينهم عبد المنصف محمود الذى كان ضابطا فى ذلك الوقت

وعسى ألا يغيب عن الأذهان أن عبد المنصف محمود — الذى كان من قبل مديراً لمصلحة خفر السواحل ومصائد الأسماك — من أدباء الإسكندرية المعدودين ، ومكانه فى ثقافة عروس البحر لا يزال كالدر اللامع فى جيد الأدب الرفيع

ولم تكن مشاغل الوظيفة لتصرفه عن التأليف والبحث ، فوضع سلسلة من الكتب القيمة عن بحيرات مصر ، ضمنها دراسات تاريخية واجتماعية وأدبية ، وجمع فيها بين التقرير والتقدير ، ولما كنت قد وضعت سنة ١٩٣٦ كتاب « إدكو » ودرست فيه كل ما يتعلق ببلدة إدكو ، فإن كل دراسة تتصل بها مما يدفعنى إلى التلهف عليها ، لهذا كنت أتابع عبد المنصف محمود باشا فى كتابه « على ضفاف بحيرة إدكو » كما أنى اشتركت فى المعركة الفكرية بين الرأى القائل بتجفيف تلك البحيرة أو الإبقاء عليها ، وأدليت برأيى على صفحات الأهرام

أما عبد المنصف محمود ، وهو الشاعر الحريص على الجمال ، فقد كان يرى عدم التجفيف لتظل البحيرة كغيرها من البحيرات « ترصع جيد مصر » ، ومما جعلنى أخالفه فى هذا الرأى ما انتهت إليه الحالة الاقتصادية فى إدكو من تدهور أدى إلى انهيار اجتماعى عام ، ولولا ذلك لحرصت أكثر منه على بقاء هذه البحيرة الجميلة وهى أول ملهم لى فى حياتى الأدبية ، حتى لقد كانت قصيدتى « البحيرة الناعسة » أول ما نشر لى فى الأهرام وأنا طالب بالسنة الثالثة الثانوية سنة ١٩٣٣

وعسى ألا يكون المنصب الجديد بعوق شاعر البحيرات عن المضى فى بحوثه وأشعاره ، وأمل الرسالة فى الباشا كبير ألا يحرمها من نفحاته ، وكيف لا يفعل وهو تلميذ صاحب الرسالة ؟ ولعلى بهذا أن أكون قد اشتركت بتقديم هذه التحية مع المهنئين

محمد محمود زيتون



جندى قبل الاعدام

عن الانجليزية

جلس مستر أوين فى غرفته الخاصة بداره الكبيرة فى جرين موانتن بالولايات المتحدة ، وكان كاسف البال ، شديد الكآبة ؛ وإلى جانبه قسيس القرية يواسيه ويخفف عنه

بينما مكثت لومى الصغيرة فى ركن الغرفة تنصت إلى حديث الرجلين دون أن تلفظ ببنت شفة

وتكلم مستر أوين قال : كنت أحسب حين وهبت ابنى لهذا الوطن أنى فعلت من أجل بلادى ما لم يفعله أى رجل آخر فى أمريكا على سعتها ، إذ ليس لى ولد غيره ؛ ولكن هبتى لم تعش طويلا ، لأن ولدى المحبوب غلبه النعاس فنام دقيقة واحدة فى نوبة حراسته بالمعسكر ، وهو الذى لم يغفل لحظة عن أداء واجبه وكان مثالا للنشاط الموفور والهمة العالية ...

صحيح أنه استسلم للكرى دقيقة ، واستحق حكم الإعدام الذى صدر عليه . لكن ليتهم رحموا شبابه ، وراعوا حداثة سنه ، فانه لم يجاوز الثامنة عشرة ... من يصدق هذا

إنهم يتهيئون لرميه بالرصاص ؛ لأن هذا التعس نام بضع ثوان ، ولم يظل ساهرا الليل بطوله يراقب قدوم جيوش الأعداء المهاجمين . إنه الآن فى السجن ينتظر تنفيذ العقوبة . فيا ترى كيف يقضى الوقت إلى أن تحين ساعته ؟

وأثرت لهجة الرجل فى نفس القس . فقال يروح عنه : دعنا نأمل رحمة الله ... لماذا تيأس !

قال : نعم . نعم . فلنبتهل إلى الله ولنضرع إليه إنه غفور رحيم .

كان « بنى » قبل التحاقه بالجندية يقول لى : سأعيش يا أبى خجولا أمام نفسى وأمام الناس إذا أنا لم أستعمل ذراعى القويتين المفتولتين من أجل بلادى عندما تقع الحرب ويدعونى الوطن . وكنت أقول له : إذهب ياولدى ، إذهب فى حراسة ربك ، وها قد حرسه الله !

ونطق مستر أوين بالعبارة الأخيرة فى بطء ، كما لو كان على رغم إيمانه قد ساوره الشك فى رحمة الله !

فقال القس : تشجع يا صديقى تشجع ، ولا تقنط من رحمة الله !

وأصغت لومى لهذا الحوار ، وهى فى موضعها منكسة الرأس ، بالغة الأسى ، ممتقعة اللون ، لما أصاب أخاها « بنى » ؛ لكن لم ترسل عيناها دمعا ولم تسمح لهمها وكدرها أن يشيعا على محياها ؛ وكانت على حداثة سنها تقوم بنصيب موفور فى إدارة شؤون البيت ؛ ولذلك هبت واقفة حين سمعت طرقا خفيفا على باب « المطبخ » ؛ وأسرعت وفتحت الباب ووجدت رجلا يقدم إليها خطابا .

وحملت الخطاب إلى أبيها وهى تقول :

— إنه منه ... من أخى ...

وكأن الخطاب وصية ميت أو رسالة من القبر ! فقد تطلع فيه مستر أوين دون أن يجسر على فض غلافه . وارتجفت أصابعه وهو يدفعه إلى القس كما لو كان طفلا لا حول له ولا قوة

وفض القس الغلاف وقرأ ما يلى :

أبى العزيز :

— عندما تصلك هذه الرسالة أكون فى عالم الأبدية ! فالموت ينتظرنى عند باب السجن . ما أشد ما أخافنى هذا الخاطر votre وروعنى ! على أنى فكرت كثيراً وقلبت الأمر على كل الوجوه حتى لم يعد الإعدام مخيفاً فى نظرى ... لقد احترموا آخر رغباتى فى الحياة وسوف لا يضعون الأغلال فى يدى ولا العصابة على عينى ، وعلى ذلك سألقى الموت كما يلقاه الرجل الشجاع الباسل ، وفى هذا تعزية كبرى

غير أنى كنت أرجو أن تقضى الأقدار بغير ما قضت ، وأن تكون ميتتى أشرف من هذه الميتة . كنت أود لو أموت شهيدا فى ساحة الوغى وحومة النضال مدافعا عن بلادى وفى

سبيل الحد ، أما أن أعدم رميا بالرصاص كالكلاب وبتهمة إهمال الواجب العسكرى وهو شئ يقارب الخيانة ، فذلك ما يؤلمنى أشد الألم . ولا أدرى كيف لم تقتلنى هذه الفكرة قبل أن تقتلنى بنادقهم !

أبى : سوف لا يكون فى حادثتى ما يخدش اسمك أو يصم شرف أسرتك . سأعترف هاهنا بكل شئ ، وعندما أفارق الحياة آمل أن تشرح للدانى وأصدقائى ما وقع . أما أنا فرجل ميت والموتى لا يتكلمون

تذكر أبى كنت قد وعدت أم صاحبى « جى كار » أن أعنى بولدها الذى هو زميلى فى الفرقة ، فلما سقط « جى كار » مريضا بذلت كل جهودى من أجل راحته والأخذ بيده حتى عاثل للشفاء . على أنه قبل أن يجتمع له قواه وترد إليه صحته صدرت الأوامر لفرقتنا بالتقدم إلى خطوط النار . وناء « جى » بحمله فحملته عنه فضلا عن حقائبى وقطعنا شوطاً بعيداً ، وانقضى النهار وأخذ الرجال يشعرون بالتعب وخارت قوانا جميعا . أما « جى » فقد عجز عن مواصلة السير ولم يعش إلا بعد أن مددت إليه يد المساعدة

وحين شارفنا المعسكر كنت فى أشد حالات التعب وأحوج الرجال إلى الراحة . لكن شاءت الصدف أن تكون نوبة الحراسة تلك الليلة لزميلى « جى كار » ، ورأيته محطما يكاد يقتله الضعف والتعب ، فتقدمت للحراسة عنه ونسيت أبى فى تلك اللحظة كنت أشد منه ضعفاً وإعياء ، وصدقنى ياأبى أنى كنت عندما غالبنى النوم على حال من التعب والإعياء بحيث لو أطلقت على رأسى رصاصة لما فتحت عينى ولا حركت ساكنا

على أنى مخطئ وخطئى أنى لم أفطن لحالتى إلا متأخرا جدا .. وعندما وصل القس إلى هذا الحد من القراءة قاطعه مستر أوين بهذه العبارة :

شكرا لله . إن ابنى يموت شهيدا وليس خائنا ، وعاد القس يقرأ هكذا :

قيل لى اليوم إن إعدامى تأجل يوما واحدا بسبب ظروف طارئة ، وهذه فرصة لكى أكتب إليك كما يقول رئيسى الطيب القلب . اصفح عنه يا أبى فإنه لم يفعل سوى أن قام بواجبه ، وقد كان يود بإخلاص أن ينقذنى لكن القوانين العسكرية صارمة ولا حيلة فيها . كذلك أرجو ألا تضع مسئولية إعدامى على رأس « جيمى كار » فإن المسكين منكسر القلب شديد الأسف لما حل بى . وقد ألح عليهم أن يأخذوه فدية عنى ولكن أحدا لم يعر طلبه التفاتا بطبيعة الحال

أبى ، لا أجسر أن أفكر فى أمى ولا فى أختى لومى فيالبتك تواسيهما وتجفف دمعهما . وليتك تقول لهما إنى أموت شجاعا باسلا وإنه عندما تنتهى الحرب سينسيان العار الذى سيلحق بى الآن

فى هذا المساء عندما تغرب الشمس سوف تمر بخاطرى صورة من صور السعادة الضائعة فأرى قطعان الماشية تمشى الهوينا من المرعى إلى الحظيرة، وأرى بعين الخيال شقيقتى لومى فى الشرفة واقفة تنتظرنى وتلوح لى حين ترانى ؛ على أنها لن ترانى ولن أعود !

« بنى »

* * *

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة فتح باب الشرفة الخلفية بمنزل مستر أوين وانسابت من بين مصراعيه صبية صغيرة وهبطت الدرج الذى يؤدى إلى الطريق

وكان المشاهد يحسبها لسرعتها طائرة لاماشية، وكانت تهرول إلى جهة معينة لا تلتفت إلى يمين أو شمال، لكنها ترفع رأسها بين حين وحين شطر السماء ويداها منقبضتان كأنها تضرع إلى ربها وتبتهل .

وبعد ساعتين طويلتين قضتهما هذه الصغيرة تسير وحدها فى ظلمة الليل ووحشته وصلت إلى محطة ميل . وقبل أن تشرق الشمس كانت لومى فى العاصمة تسرع الخطى إلى البيت الأبيض الذى يقيم فيه رئيس الجمهورية .

وكان مستر لنكولن (رئيس الجمهورية العظيم) قد دخل غرفته توا وبدأ يلقى نظرة على الأوراق المكدسة على مكتبه وأقبل يفحصها وينظر فى شؤون دولته . وبدون جلبة فتح الباب

بهدوء وانسابت لوسى إلى الداخل وخطت نحوه ثم وقفت قبالته بخشوع ورهبة : عيناها إلى الأرض ويداها منقبضتان

ووقع نظر الرئيس عليها ولم يبـد عليه أنه غضب أو تملـل حين فوجئ بدخولها ، بل ابتسم لهـا مترفقاً وخاطبها بصوت مشجع ، قال :

— نعم يا صغيرتى ؟ ماذا تريدين فى هذا الوقت المتأخر ؟

— أريد حياة « بنى » يا سيدى

— بنى ؟ من هو بنى ؟

— أخى . إنهم يرمونه بالرصاص بسبب نومه فى نوبة حراسته

فعاد مستر لنكولن إلى الأوراق التى أمامه ينظر فيهـا وهو يقول :

— آه ، لقـد تذكرت الآن . إنه نام فى أحرج الأوقات وأخطرها ، واعلمى يا صـديقتى الصغيرة أنه اختار لنومه ساعة تتوقف عليها مصائر بلاده وحياة ألوف من الجنود . وهذا استهتار شنيع

قالت :

— وهكذا يقول أبى لـكن « بنى » المسكين كان متعبا جدا يا سيدى ، وكذلك كان «جمى» وقد قام أخى بعمل رجلين ولم تكن تلك الحراسـة حراسته . كانت النوبة على « جمى » ولكن « جمى » كان مريضا وعندما حل أخى محله لم يكن يفكر فى نفسه ولا فى تعبه ونسى أنه خائر القوى

ورفع الرجل العظيم رأسه من بين الأوراق وعاد ينظر إلى الزائرة الصغيرة وقال :

ما هذا الـكلام يا طفلتى ؟ أنا أكاد لا أفهم شيئا . تعالى إلى جانبى وقصى قصتك

وبمثل العناية التى يبذلها دائما فى مختلف شؤون الدولة أقبل الرئيس لنكولن يفحص هذه الدعوى، ومشت لوسى إليه فربت على منكبها وحول بيده وجهها إليه، وأحست بعطفه عليها فرددت قصها وقدمت إليه خطاب أخيها لأبيها فأخذه منها وألقى عليه نظرة ثم قرأه بعناية ، وحالما انتهى منه أمسك قلمه وخط بسرعة بضعة أسطر على ورقة ودق جرسـا أمامه فأقبل أحد الحجاب ،

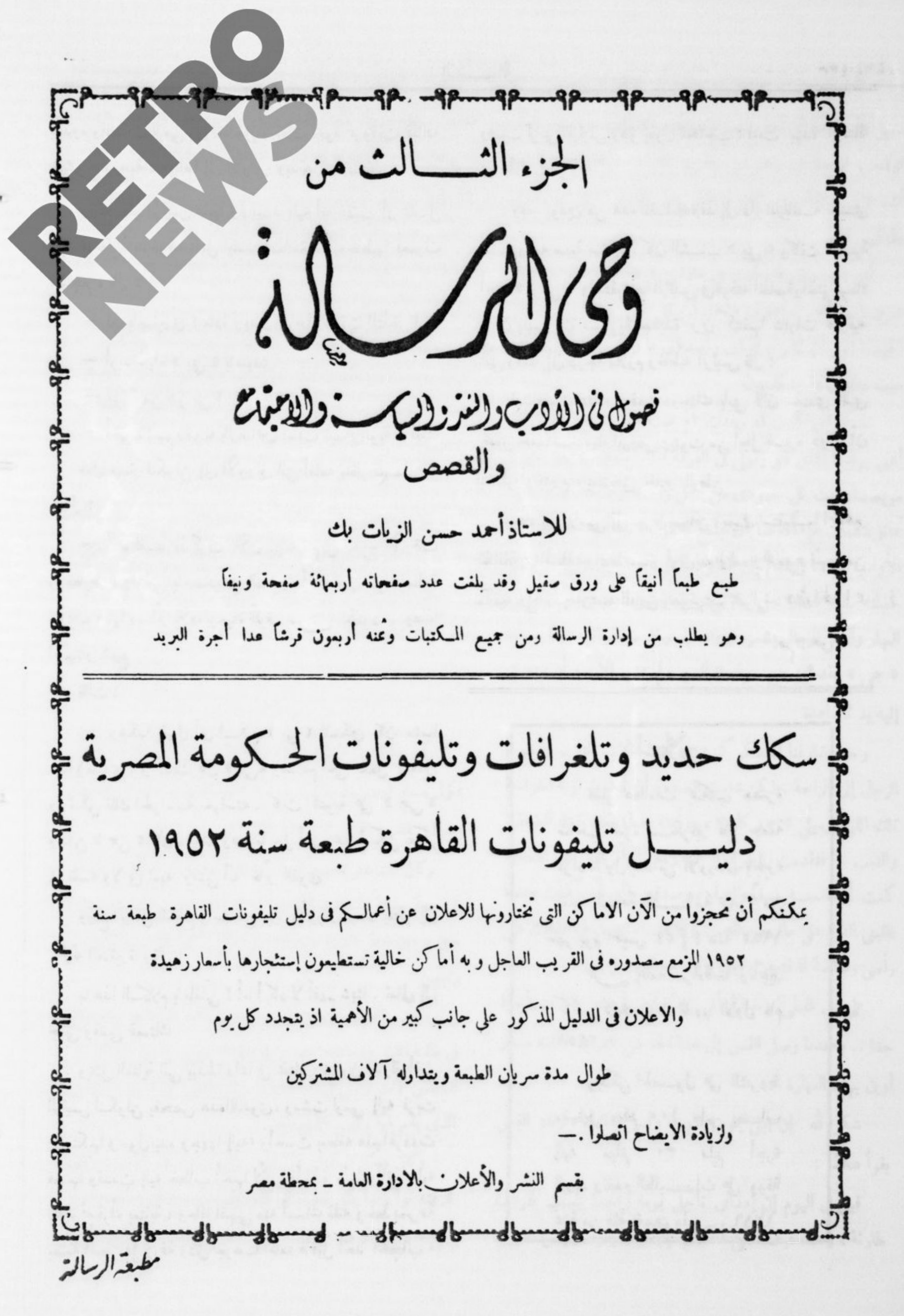
وسمعت لوسى الرئيس وهو يقول للحاجب : ابعث بهذه الرسالة فى الحال !

وبعد يومين من هذه المقـابلة وفد إلى دار الرياسة جندى شاب ومعه صبية صغيرة . كان الشـاب « بنى » وكانت الصبية أخته « لوسى » واستقبلهما الرئيس فى غرفته الخاصة واحتفى بهما؛ وكان يلبس حلة عسكرية جديدة تزين كتفيها شارات الترقية التى رفعته إلى درجة ملازم وخاطبه الرئيس قال :

لقد عفوت عنك ورفعت درجتك يابنى لأن الجندى الذى يحمل حقـائب زميله المريض ويموت من أجل غـيره دون أن يشكو أو يتبرم ، يستحق تقدير الوطن

وعاد بنى ولوسى إلى جرين مونتن ، حيث استقبلتهما الجماهير الهاتفة فى المحطة، وبسط مستر أوين يده لولده والدموع تنهمر من مآقيه على خديه وسمعه الناس وهو يهتف بحرارة : « لله الحمد ! »

م . ص

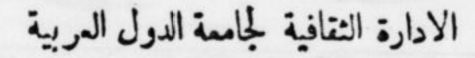


RETRO NEWS
الجزء الثالث من
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للاستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
دليـــل تليفونات القاهرة طبعة سنة ١٩٥٢
يمكنكم أن تحجزوا من الآن الاماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة طبعة سنة
١٩٥٢ المزمع صدوره فى القريب العاجل و به أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة
والاعلان فى الدليل المذكور على جانب كبير من الأهمية اذ يتجدد كل يوم
طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين
ولزيادة الايضاح اتصلوا .—
بقسم النشر والأعلان بالادارة العامة ـ بمحطة مصر
مطبعة الرسالة





فهرس العدد



الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية

تطرح الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية على رجال الفكر والثقافة فى العالم العربى مسابقتها العامة الجديدة فى التأليف موضوعها :

« المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق »

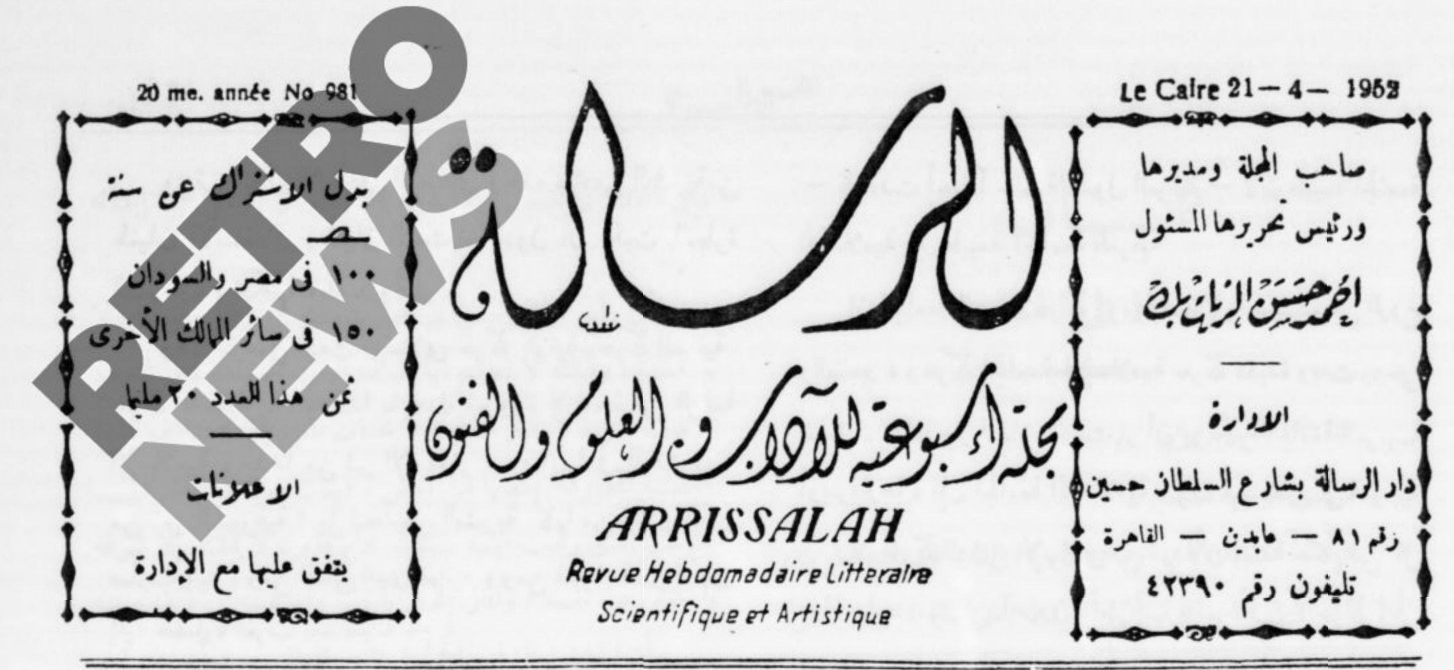
وذلك بالشروط الآتية :

(١) أن يقع البحث فى نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط وأن يكون مكتوبا باللغة العربية الفصحى

(٢) أن يرسل البحث المقدم للمسابقة إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية (١٠٢ شارع فاروق الأول بالمجوزة — الدقى) فى موعد غايته آخر أكتوبر سنة ١٩٥٢

(٣) أن تكون نسخ البحث المرسلة منسوخة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح

(٤) يعطى صاحب البحث الفائز فى المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه (أربعمائة جنيه مصرى) ، على أن تترك له الإدارة الثقافية حق طبع بحثه فى مقابل تعهده بتسليمها ٢٠٪ من نسخ كل طبعة



العدد ٩٨١ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣٧١ — ٢١ أبريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

غبار حول الكتلة الإسلامية!

للأستاذ سيد قطب

يجب أن يتوقع الدعاة إلى الكتلة الإسلامية غبارا كثيرا يثار حولهم ، وحول الفكرة ذاتها ، غبارا يثار من نواحي شتى : في الداخل وفي الخارج ، بطرق مباشرة وغير مباشرة ، تصريحا وتلميحا ، من قريب ومن بعيد ، عن طريق الأخبار والتعليقات والإشاعات والأراجيف ، ومن طريق بعض السلطات وبعض العناصر وبعض الجماعات ...

يجب أن يتوقعوا هذا كله منذ اليوم ، لأن الدعوة إلى الكتلة الإسلامية مرادفة للدعوة إلى البعث الإسلامي . والبعث الإسلامي آت لاريب فيه ، بل قائم لاشك فيه ؛ ولكن المعارضين والمناوئين لهذا البعث لن يستسلموا بسرعة ، ولن يسلموا عن طواعية . إنهم سيقاومون هذا البعث إلى آخر لحظة ، وسيستخدمون جميع الوسائل ، ومن بين هذه الوسائل تخويف المسلمين أنفسهم من هذا البعث ! أو إثارة مخاوفهم وشكوكهم حول الدعوة وحول الدعاة !

إن البعث الإسلامي آت لا محالة ، لأنه حركة طبيعية غير مصطنعة . حركة تجيء في أوانها ، ولم يكن مستطاعا أن تجيء قبل هذه الأوان .. ولقد حاولها الكثيرون من قبل منذ أيام جمال الدين الأفغاني بل قبله ، ولكنها لم تتم ، لأنها في ذلك الوقت كانت دعوة رواد سابقين لزمانهم ولمقتضيات هذا الزمان . أما اليوم فهي دعوة في أوانها بعد أن تهيأت لها معظم الأسباب

لقد انتهى العالم إلى كتلتين اثنتين قائمتين بالفعل ، تتنازعان فيما بينهما على أرض الكتلة الثالثة ومواردها . كذلك انتهى عهد النوم والجمود الذي كانت تعانيه الكتلة الثالثة ، وقامت شعوبها بلا استثناء تتملص من براثن الاستعمار . ومهما تكن تلك البراثن من الشراسة والقوة ، فإن تملص الفريسة وحده يكفي لإثبات البعث الجديد . .

ولقد آتت الحضارة الغربية أقصى ثمراتها . وبدا عليها الإفلاس . أو على الأقل أمارات الإفلاس . وبدأت البشرية تتلفت إلى منقذ — كما كانت تتلفت قبيل مولد الإسلام — والمذهب الشيوعي في الجانب الشرقي هو بدوره مذهب مادي كالحضارة الغربية ، لا يختلف في طبيعته عن طبيعة الحضارة المادية الغربية . وهو مذهب تعسفي يصدم الفطرة البشرية ويعيش على كبتها وكبحها بقوة الحديد والنار . فهو مذهب ضد الطبيعة البشرية ؛ فمن المحال أن تطمئن إليه الإنسانية .. لقد تندفع إليه فرارا من نار الاستغلال الرأسمالي والطغيان الاستعماري .. ولكنه مجرد اندفاع اضطراري ؛ كالمستجير من الرمضاء بالنار كما يقولون في الأمثال !

ويبقى النظام الاجتماعي الإسلامي وحده ، يحمي البشرية من طغيان الاستغلال وطغيان الاستعمار ، دون أن يكبت الفطرة البشرية ، ويحكمها بالحديد والنار ..

وهذا ما يجعل البعث الإسلامي حركة كونية . حركة إنسانية . حركة طبيعية . . وهـذا ما يجعله ضرورة لا لتخليص الرقعة الإسلامية وحدها من شر الاستعمار ، ووقايتها في الوقت ذاته من شر الشيوعية ، بل لتخليص البشرية كلها من المأزق الذي صارت إليه ، ومن القلق الذي تعانيه ، ومن الخواء الذي انتهت إليه حضارة الغرب بعد ثمانمائة عام !

ولكن هذا كله ليس معناه أن حركة البعث الإسلامي ستلقى ترحيباً من الكتلة الشرقية أو الكتلة الغربية ، أو أسنادهما وعملائهما ودعاتهما في الوطن الإسلامي . . وإذن فسيثور غبار كثير . وقد بدت طلائعه من نواحي شتى . وفي صور شتى . وبوسائل شتى ..

أخذ بعضهم يثير الريب والشكوك ، مدعياً أن الإنجليز أو الأمريكان هم الذين يخلقون حركة التكتل الإسلامية ليقفوا بها في وجه الشيوعية ..

وفي ذات الوقت أخـذوا يثيرون المخاوف من رد الفعل في العالم المسيحي أي الكتلة الغربية — إذا تكتل العالم الإسلامي

وهكذا في وقت واحد ، يكون العالم المسيحي هو الذي يخلق حركة التكتل الاسلامي ، ويكون هو نفسه الذي يكره حركة التكتل الإسلامي !!!

ومرة يأتي الغبار من جهة الهند ، ومرة يجيء من ناحية لبنان ، ومرة يجيء من فرنسا ، ومرة ينبع من الأرض المصرية .. والصحافة المصرية المأجورة لأقلام المخابرات البريطانية والأمريكية تنفذ تعليمات هـذه الأقلام . . وعملاء الشيوعية ينثرون الريب والشكوك في كل مكان ..

كل هذا يجب أن يكون متوقعاً . ويجب مع ذلك أن تسير الدعوة إلى الكتلة الإسلامية في طريقها لا تحفل هذا الغبار . وأن تسير الاستعدادات العملية في طريقها بضغط الشعوب الإسلامية والعناصر الواعية فيها بصفة خاصة ، فلا تترك للحكومات ، كما تركت جامعة الدول العربية للأهواء !

إنه لا خطر على حركة البعث الإسلامية أن يستغلها الاستعمار — كما حدث أحياناً لجامعة الدول العربية — لأن طبيعة الجامعة الإسلامية غير طبيعة الجامعة العربية

إن الجامعة العربية حركة قومية عنصرية بعيدة عن الروح والضمير ، وحركة الجامعة الإسلامية حركة عقيدة وبعث روحي شامل .. فإذا جاز لعملاء الاستعمار أن يوجهوا الجامعة العربية أو يعرقلوها ، فإن الجامعة الإسلامية سوف تستعصي على التوجيه

إن حركة التكتل الإسلامي لن تتم لأن بضعة حكام من كل دوله سيجتمعون ويتآمرون ! بل إنها ستتم لأن حركة وعي إسلامي ستعمر القلوب والأرواح ، ومتى استيقظت الروح الإسلامية فهي بطبيعتها تأبى أن تسخر لأعدائها . إن الإسلام عقيدة استعلاء ، فمن المحال أن تخضع أو تذل . إنها تقبل الخضوع يوم تكون هامدة خامدة ، فأما حين تستيقظ فلا

وإذن فلا خوف من استغلال هذه اليقظة لحساب الاستعمار والاستعمار يدرك هـذا ، ويثير الغبار حول الحركة الإسلامية ، لأن تبلورها وبروزها هو النذير الأكبر على تقلص ظله البغيض

هذه حقائق يجب أن تعرفها الشعوب الإسلامية ، وأن تنفض عنها الغبار الذي يثيره أعداؤها من الجانبين ، ويسخرون له أقلاماً وصحفاً وألسنة ، تعيش في صميم الوطن الإسلامي !

وبعض الذين نخب الاستعمار الغربي أفئدتهم ، فأفئدتهم هواء ، يرتجفون من الذعر أن تثير الدعوة الإسلامية ثائرة العالم الغربي والعالم الهندي ! .. كأن هذا العالم أو ذاك قد سالم المسلمين في يوم من الأيام ، أو أنه يسالمهم الآن !

إن فظائع وشناعات ترتكب كل يوم ضد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . والأقليات الإسلامية في بعض البلاد تباد إبادة منظمة ، وتضطهد بنفس الأساليب التي اتبعتها محاكم التفتيش الأسبانية أو أشد . .

وعلى ذكر الأسبان ها نحن أولاء نراهم يقومون بدور السمسار للكتلة الغربية في العالم الإسلامي ونرى بعض رجالاتنا مع الأسف الشديد يقومون لهم بدور السماسرة كذلك !

إن أسبانيا في هذه الأيام تخطب ود العالم الإسلامي . وهي

كلمات

للاستاذ علي الطنطاوي

٥ — مشكلة وجيه

سيدى الوجيه الكبير

قرأت كتابك الذى أرسلته إلى ، وفهمت قصتك الطويلة ، أما رأيي الذى تقسم على بأن أعلنه بصراحة ، وأن أنشره فإني أخاف أن تغضب إذا أبديته لك ، أو أن يلومني على إبدائه القراء

لأن رأيي فيك ياسيدى المحترم أنك ... أحمق كبير ، ولا مؤاخذة ، وأنك لا تصلح أبا لهذه البنت العاقلة ، وأنك مع الأسف صورة لأكثر الآباء ، لا تختلف عنهم إلا كاختلاف نسخ القصة المطبوعة بعضها عن بعض . فهمت من كتابك أن الخاطب الذى رغبت فيه ابنتك محام فقير ، لا يملك إلا شرفه وخلقه وعزة نفسه ، والمال الذى يأخذه بكد يمينه ، وعرق جبينه وأن الخاطب الشاب الجيل الغنى المدلل وحيد أبويه ، اسم الله عليه ، الذى يملك وزنه ذهباً ، لم تقبل به البنت لأنه ليس بصاحب علم ، ولا بذى مهنة ، وأنها أبت من تريد ، وأبيت من أرادت ، فبقيت بلا زواج

وأنك حائر فى هذه المشكلة لا تدرى ماذا تصنع ؟

ومشكلتك هذه ياسيدى مشكلة البلد كله

مشكلة سببها أنتم أيها الآباء ، الذين يحسبون البنت سلعة فهم يريدون أن يبيعوها ، لمن يدفع فيها الثمن الأكبر ، ويظنون الزواج صفقة تجارية ، فهم يتمنون أن يخرجوا منها بالربح الأوفى

أنتم سلبتم الزواج معناه الإنسانى العاطفى ، وجعلتموه معاملة مالية ، يبحث فيها عن المهر والجهاز ، والحفلات والولائم ، قبل أن يبحث عن التوافق والحب ، والسعادة الزوجية

أنتم وضعتم الأشواك فى طريق الشباب الذين يريدون بناء البيت ، وإنشاء الأسرة ، وإرضاء الله والخلق ، وأقفلتم فى وجوههم أبوابكم ، ففتحتم لهم بذلك باب الفجور والفساد ، وعبدتم لهم طريق البغاء والمرض والإفلاس

أنتم الذين يضحون بصحة بناتهم ، وبأخلاقهن وبسعادتهن فى سبيل التفاخر والتكاثر ، والعظمة الفارغة ، ويضحون بعد ذلك بمصلحة هذا الوطن ! أنتم المسئولون عن مشكلة البغاء السرى أنت وأمثالك من الآباء ! وتسألنى بعد ذلك رأيي ؟

رأيي أنك مجرم كبير ... ياسيدى الوجيه الكبير !

٦ — بترول

قرأت أن أمير إحدى المحميات العربية صار

فى ذات الوقت تسوى حسابها مع أمريكا !

ربما يقول بعضهم : ألا ترى ؟ أليس هذا دليلا على أن قيام الكتلة الإسلامية هو من وحى السياسة الاستعمارية ؟

إنه حق يراد به باطل ! يجب أن نفرق بين البواعث الطبيعية لقيام الكتلة الإسلامية ، وبين محاولة الاستعمار أن يستغل هذه الحركة الطبيعية

إن قيام الكتلة الإسلامية اليوم ، على أساس النظام الاجتماعى الإسلامى ، وعلى أساس تحكيم الشريعة الإسلامية فى الحياة . . هو حركة طبيعية لابد منها كما أسلفنا . . أما محاولة الاستعمار أن يستغل لحسابه هذه الكتلة الناشئة فهى محاولة مصطنعة يمكن القضاء عليها

وإذن فلندع لقيام الكتلة الاسلامية ، على أساس النظام الاجتماعى الاسلامي ، لا على أساس اتفاقات ديبلوماسية بين بعض السياسيين — على طريقة جامعة الدول العربية ! — وليكن همنا أن ننشر حركة وعى إسلامى حقيقي بين الشعوب . وهذا هو الضمان لاستقلال هذه الكتلة عن الاستعمار ، وقيامها على أساس مكافحة الاستعمار

وحين يقوم العالم الاسلامى على أساس النظام الاجتماعى الاسلامى ، فإنه سيكون فى حصانة من الشيوعية ، بل سيكون بدء تحطيم الكتلة الشيوعية ، والنظام الشيوعى . .

هذه حقيقة واضحة يجب أن ننفض عنها الغبار ، ونعرضها ناصعة للأنظار والأفكار ...

سيد قطب

أغنى رجل فى العالم ، وأن البترول الذى ظهر فى أرضه ... سيأتيه كل سنة بـ ... بمبلغ نسيت والله مقداره من ضخامته ...

قرأت هذا الخبر فكدت من العجب أفقد عقلى

أيأخذ شيخ هذه المحمية وحده ثمن البترول ، ويتصرف فيه على هواه ولا يقول له أحد . ماذا صنعت ؟

ومن أعطاه هذا البترول ؟ ومن كتب له به سند التمليك ؟

فى أى عصر نعيش أيها الناس ؟

إنه بترول هذه الأرض التى أكلت أجساد أجدادنا ، وشربت دماءهم : أرض العرب . فهل ترونها ادخرته فى بطنها ثلاثة ملايين سنة حتى يأتى فى آخر الزمان الشيخ الفلانى فيأخذه وحده ملكا خالصاً له ، ليعطيه لأميركا أو لإنكلترا ؟

إنى لأسأل مرة ثانية : فى أى عصر نعيش ؟

وأين هى ديمقراطيـــة أميركا وإنكلترا ؟ أمن شرع الديمقراطية إن نبع البترول فى صحارى كاليفورنيا أن يكون ملكا لترومان ، ينعم بثمنه هو وأولاده وعبيده (إن كان له عبيد) ويسخر لشهواتهم ولذاذاتهم ، ويترك الشعب فى بلائه وشقائه ؟

الديمقراطية كلمة يونانية الأصل ، جاءت من (ديموس) أى الشعب ، وكل شئ فى الديمقراطية للشعب ، وخيرات الوطن وبترول الأرض لأصحاب الأرض .

فلماذا لا يكون بترول أرض العرب للعرب ، يسخر لمصالحهم ويشترى به لهم المجد والقوة ، والحضارة والعلاء ؟ لماذا لا نصير به أرض العرب جنات فيها من كل الثمرات ، وفيها المدن والمصـــانع والقلاع والمدارس ، وفيها الطرق والجسور وكل ما أنتجت المدنية وأثمر العمران ؟ أليس ملك الشعب ؟

انى لأسأل ، فهل من مجيب ؟!

٧ — الزوجة الثانية

قابلت أمس صديقاً لى فوجدته ضيق الصدر ، لقس النفس . كأن به علة فى جسده ، أو هما فى قلبه ، فسألته أن يكشف لى أمره فتأبى ساعة وتردد ، ثم قال لى : أنت الصديق لا يكتم عنه ، وإنى مطلعك على سرى ، ومستشيرك فيه : إنى أريد الزواج

— قلت : وما فعلت ربة دارك ، وأم أولادك ؟

— قال : هى على حالها .

— قلت . وهل أنكرت شيئاً من خلقها أو من دينها ، أو من طاعتها لك ، وميلها إليك ؟

— قال : لا والله !

— قلت : فلم إذن ؟

— قال : إنى رجل أحب العصمة وأكره الفجور ، وقد ألفت زوجتى حتى ما أجد فيها ما يقنع نفسى عن أن تميل إلى غيرها ، وبصرى من أن يشرد إلى سواها ، وأطلت عشرتها حتى مللتها وذهبت فى عينى فتنتها

قلت : ما أقبح والله ما جزيتها به عن صحبتها وإخلاصها ! وما أعجب أمرك تسمع صوت النفس ، وأنت تظنه صوت العقل ، وتتبع طريق الهوى ، وأنت تحسبه سبيل الصلاح ، وهذا من تلبيس إبليس ، ومن وساوسه ؟

وهل تحسب أن المرأة الجديدة تقنعك وتغنيك ، إن أنت لم تقهر نفسك وتزجرها ؟ إن الجديدة تمر عليها الأيام فتصير قديمة ، وتطول ألفتهـا فتصير مملولة ، وتستقرى جمالهـا فلا تجـد فيها جمالا فتطلب ثالثة ، والثالثة تجر إلى الرابعة ، ولو أنك تزوجت مئة ، ولو أنك قضيت العمر فى زواج ، لوجدت نفسك تطلب امرأة أخرى ...

وهذى سير الملوك الذين كانت تحمل إليهم كل جميلة من كل بلد ، وكان فى قصورهم آلاف الجوارى من كل بيضاء ، وسمراء وسوداء ، وعربية ، وتركية ، وكرجية ، وأفرنجية ، من كل سن وكل لون ، وكل جنس وكل شكل ، فهل أشبع ذلك هوى نفوسهم ؟ وهل عصمهم من أن يتطلع أحدهم إلى المرأة الممنعة فيعشقها أو يهيم حبا بها ، ولا يرى لذته إلا بقربها ؟

وهل الزواج ويحك لهذا (الأمر) وحده ؟ فأين الوفاء ؟ وأين التذمم ؟ وأين حقوق العاشرة ؟ وأين روابط الولد ؟ وهل تقوم الحياة على الحب وحدة ؟

هل يمضى زوج عمره فى تقبيل وعناق ؟ إن لذلك لحظات وباقى العمر تعاون على الحياة ، وتبادل فى الرأى ، وسعى للطعام واللباس وتربية الولد ، واسترجاع الماضى والإعداد للمستقبل :

وهل نظنك تسعد بين زوجتين ، وتعرف إن جمعتهما ما طعم الراحة ؟ وهل تحسب أن ولدك يبقى معك وقد عاديت أمه ، وصادقت غريبة جئت بها تشاركها دارها ومالها وزوجها ؟ فهل يرضيك أن تثير فى أسرتك حرباً تكون أنت أول ضحاياها ؟

لا يا صاحبى ، لقد تغير الزمان ، وتبدل عرف الناس ، فعليك بزوجك . عد إليها وانظر إلى إخلاصها ، لا تنظر إلى وجهها ولا إلى جسمها ، فإنى قرأت كتباً فى تعريف الجمال كثيرة ، فلم أجد أصدق من تعريف طاغور : « أن الجمال هو الإخلاص » ولو أن (ملكة الجمال) خانتك وغدرت بك لرأيتها قبيحة فى عينك . ولو أخلصت لك زنجية سوداء ، كان وجهها حذاء السهرة اللماع لرأيتها ملكة الجمال …

وثق أن ما حدثتنى به سيبقى سرا بيننا لا أفشيه أبداً ، ولا أطلع عليه أحداً !!

وهل سمعت أن أديبا (أفشى) سرا ؟!

٨ — نعم . لقد هزمنا !

إلى الأستاذ الذى كتب إلى فلم أعرف اسمه ولكن نم أسلوبه على فضله :

نعم . لقد هزمنا فى فلسطين ، ولكنها لم تهزم فينا إلا الإخلاق التى قبسناها من غيرنا ، وتركنا لها أخلاقنا . ما هزم إلا التردد والاختلاف ، والثرثرة والكلام الفارغ ، وإيثار الزعماء مصالحهم على مصالح الأمة ، واتخاذ الإنكليز والأميركان أولياء ، أما سلائق العروبة ، أما خلائق الإسلام ، أما الإرث الذى ترك محمد فى عروقنا ، معشر العرب ، وصبه فى دمائنا ، فلم يهزم ولن يهزم أبداً

إن لكل أمة أياما لها ، وأياما عليها ، وليس العار أن يغلب البطل ، ولكن العار أن يجزع من الغلب ويرضاه ، ولا يعاود الكفاح ، ولقد مر علينا فى تاريخنا مصائب أشد هولا ، لقد قامت فى هذه البقعة من فلسطين دولة أقوى من هذه الدولة المسيحية ، دولة زحفت أوربا كلها لتقيمها وتحميها ، فعاشت أكثر من مئة سنة فأين هى اليوم ؟

هدمها رجل واحد اسمه صلاح الدين ، فذهبت حتى أن أكثر القراء لم يكن يدرى بها ، قبل أن يسمع منى الآن خبرها

فلا تجزعوا كثيراً من ضياع فلسطين ، بل اجزعوا من المصيبة التى هى أكبر من ضياع فلسطين ، ومن ضياع بلاد العروبة كلها ، لا أذن الله — أتدرون ما هى ؟ هى أن تخسروا إيمانكم بأنفسكم وماضيكم ، وأن تفقدوا كبرياءكم ، وتنسوا عزتكم ، وتجهلوا مكانكم فى هذه الدنيا

تلك هى المصيبة حقا ، ولن تكون أبداً ، ولئن داخل الضعف نفوساً قد اكتهلت وشاخت فى ظلام الماضى القريب فسيكون من هؤلاء الأطفال ، شعب نشأ فى نور الاستقلال ، وستلهب دمه ذكريات عشرة آلاف معركة مظفرة ، خاضها الجدود ، وسيخرق صماخ أذنيه نداء عشرة آلاف بطل ، أنجبهم الجدود ، وستدفعه إلى ميادين التضحية والبذل ، حتى يطهر أرض الوطن من إسرائيل ، ويغسل بالدم هذه الصفحة التى كتبها فى تاريخنا التردد والتخاذل والانقسام ، وحتى يعيد مجد الماضى فيقرأ الطلاب فى المدارس بعد حين ، خبر هذه الدولة التى قامت يوما فى فلسطين باسم دولة إسرائيل ، كما نقرأ نحن اليوم خبر الدولة التى أقامها من قبل جموع الصليبيين

ومن شك فى هذا لم يكن عربيا ولم يكن مسلماً

٩ — الآن يا بنت

الآن يا بنت ؟! الآن ؟! بعد ما سفح الماء ، واحترق العود ، تكتبين إلى بدم القلب ، ودمع العين تقولين : تعالوا يا عقلاء ، ويا مصلحون ، خبرونى ماذا أصنع ؟ وهل يقدر أحد أن يرد الماء الذى أندلق ، والعود الذى احترق ، والغشاء الذى انخرق ؟

وهل رجعت لبنت عذرتها ، بعدما فقدتها ، حتى تعودى

عذراء كما كنت ؟ فلا تعالجي المحال فإن الميت لا يعود ...

وإنه قد بطل الخيار ، ولم يبق إلا طريق واحد ، فانسي كل ما ذكرت لي من شرف أسرتك وهوان عائلته ، وغنى آلك وفقر أهله، وتوسلي إليه أن يتزوج بك، فلعله قد بقي في قلبه شيء من شرف الرجل ؛ أو عاطفة الإنسان فيصلح ما أفسد

أما أهلك فإن الأيام ستروضهم على الرضا بالواقع، فيندمل مع الزمان الجرح ، وتذهب القطيعة ، ويطول بهم الفكر ، فيعلموا أنهم هم المذنبون ، وأنهم هم الذين ساقوك إلى دكان الجزار ، وألقوا بك بين أنياب الذئاب ، عزلاء لا مخلب لك ولا ناب ، ولو أنهم نشؤوك على عادات العروبة ، وآداب الإسلام ، لما كان الذي كان .

واعلمي يابنتي أن قصتك مع هذا الشاب ، زميلك في المدرسة ، قصة كل بنت حواء مع كل ابن آدم ، يميل إليها ، وتميل إليه ، (فطرة الله التي فطر الناس عليها) لكنه يريد منها غير ماتريد منه، إنها (وهي التي تحمل وتلد) تريد أن يكون لها أبدا وحدها ، كما تكون له أبدا وحده ، تريد حبا باقيا لأن آثاره باقية فيها ، تنتقل من الرغبة إلى الأمومة ، وهو يريد أن يقطف الزهرة ويجني الثمرة ، ثم يوليها ظهره ، يبحث عن زهرة أبهى لونا ، وثمرة أشهى طعما ، فالحب عندها استغراق ودوام ، وهو عنده لذة ساعة ، ومتعة نهار، ثم إنه إذا أخطأ مماء غفر المجتمع له خطيئته، ولم يغفر لها خطيئتها أبدا

من هنا جاءت شكوى النساء من خيانة الرجال ، ومن هنا حرم الله ، ومنع الشرف اقتراب الرجل من المرأة ، إلا بعد أن تقيده بقيد الزواج ، لئلا يتبع فطرته وهواه ، فيقضي أربه ويهرب — إن هذه القيود إنما كانت لمصلحة المرأة ، ولكن من النساء من يحاول الخروج عليها ، والتخلص منها ، أفليس هذا عجيبا ؟

على أنك لولم تشجعيه لما أقدم ، ولو لم تضعفي عنه لما قوى ، ولو تصونت عنه بالحجاب ، وتمنعت منه بالخلق ، ولو أن كل بنت كانت تحمل عقلها دائما في رأسها ، لاتنساه في قصة غرام ولا ديوان غزل ، ولا على مقاعد السينما ، وكرامتها بين عينيها ، وتعرف كيف ترد عنها كل شيطان إنسي يبتغي العدوان عليها بالكلام إن كان ممن يفهم بالكلام ، وبكعب الحذاء تخلعه وتنزل به على رأسه ، إن كان سفيها خبيثا قليل الحياء ، لما نجحت بعفافها فتاة . فالأمر في أيديكن يابنات، وإن أفسق الرجال وأجرأهم على الشر ، يخنس ويبلس ويتوارى ، إن رأى أمامه فتاة مرفوعة الهامة ، ثابتة النظر ، تمشي إلى غايتها بجد وقوة ، وحزم ، لا تتلفت تلفت الخائفة ، ولاتضطرب اضطراب الخجل، ولاتميس ميسان من يقول : هأنذا فمن يريدني ؟

وبعد يابنتي فلا تيأسي ، فما في الذنوب ذنب غير الشرك يضيق عنه عفو الله ، ولا في الوجود مذنب يرد عن بابه إن جاءه تائبا نادما منيبا، وإن في عفو الله متسعا لجميع العصاة (قل: ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا)

علي الطنطاوي

المجتمع التقدمي

للدكتور قسطنطين زريق

مدير الجامعة السورية وصاحب الوعي القومي

تدور على ألسنتنا فى هذه الأيام بضعة ألفاظ أساسية نعبر بها من عقائدنا الفكرية ومناهجنا العملية ، وعما نطمح إلى بلوغه من غايات وأهداف . من هذه الألفاظ : القومية، والديمقراطية، والاتحاد ، والتقدمية ، والاشتراكية، وأمثالها . ولما كانت المعانى التى نسبغها على هذه الألفاظ لها خطورتها الكبرى فيما نصوغ من فكر وما نبنى من منشآت ، وجب علينا أن نوضح لأنفسنا حقيقتها ، ونستخرج متضمناتها ، كى نسير على هدى ، ونشيد على أساس صحيح . ولعلنا إذا تبينا الجوهر ، وكشفنا عن الأصل، لا نضيع ما نضيعه الآن من جهد ووقت فى مناقشة الأعراض والبحث عن الفروع

ولا جدال فى أن هذه المهمة الإيضاحية تقع أولا على عاتق رجال الفكر ، فهم المسؤولون فى الدرجة الأولى — إزاء مجتمعهم وإزاء التاريخ — عن تحديد المعانى ، ورسم الأهداف ، وتخطيط السبل والبهم يتطلع المجتمع لقيادته فى الكشف عن الأسس ، وتمييز الأصول من الفروع ، ووضع الأهم قبل المهم، والمهم الباقى قبل التافه الزائل

وليس حديثى هذا سوى محاولة لإيضاح معنى لفظ من هذه الألفاظ الأساسية التى نرددها ومشتقاته المختلفة . فكثيراً ما نتحدث عن التقدم ، والتقدمية ، والمجتمع التقدمى ، وننقسم شيعاً تبعاً لما نفهمه منها . ولذا كان حريا بنا أن نقف بين آن وآخر لنتبين حقيقة ما نقصد إليه ، ونتفق على ما نعنى ، توفيراً للجهد ، وتوضيحاً لجوهر الخلاف — إذا كان ثمة خلاف — واتباعاً للأسلوب العلمى المنظم فى المناقشة الفكرية والسلوك العملى

فما هو المجتمع التقدمى ، وما هى الصفات الأساسية التى ننطوى عليها تقدميته ؟

المجتمع التقدمى هو ، أولا ، مجتمع متحرك متطور ، وإذا أردنا استعمال لفظة غريبة قلنا : « ديناميكى » . وليس من الصعب علينا أن نفرق بين مجتمع يتصف بهذه الصفات وآخر يغلب عليه الركود والجمود . فالمجتمع المتحرك الديناميكى يتميز بالقوة والتغير . أما قوته فبإنتاجه المادى والعقلى : إنتاجه فيما يستثمر من موارد الطبيعة ، ويستغل من كنوزها ، وما يبنى من منشآت ، وينظم من علاقات ، وما يصاحب ذلك كله من نظر عقلى وبحث علمى . وتركيز المفاهيم . وتجميع للحقائق . وأما تغيره فبتطور منتجاته المادية ، وأحواله المعاشية، وأخلاقه، وعاداته ، وسبله فى الحياة عموماً . وعلى العكس من هذا كله المجتمع الراكد « الستاتيكى » فهو ، من ناحية ، ضعيف بإنتاجه المادى والعقلى ، ومن ناحية أخرى ساكن واقف لا تتغير أحواله ونظمه إلا قليلا على ممر السنين

ولا حاجة بنا إلى القول أن الحركة فى المجتمعات المتحركة ، والركود فى المجتمعات الراكدة ، ليسا صفتين مطلقتين ، وإنما الاختلاف بينهما اختلاف نسبى يتوقف على أحوال هذه المجتمعات وعلى قوة العوامل المؤدية إلى الحركة والركود أو ضعفها . كذلك هاتان الصفتان ثابتتين لرجوعهما — كما يعتقد البعض — إلى الجنس الذى يتكون منه المجتمع ، والذى إن تغير أو تبدل فإلى حد أدنى بكثير من التغير أو التبدل الراجع إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية . إن الأبحاث الحديثة ، واختبارات الإنسانية ، قد أثبتت فساد التعليل الجنسى المطلق ، وأقرت للعوامل الاقتصادية والاجتماعية بالأثر المستقبل الراجح . فكم من مجتمع كان راكداً فى بعض مراحل حياته ثم انتفض وتحرك ، على ثبات فى تكوينه الجنسى وإرثه العرقى . ولا ينكر أن للعرق أثره ، ولكن هذا الأثر ليس مطلقاً ، ولا -- بعرفنا — راجحا ، وإنما الراجح فى تطور المجتمعات هو العوامل الاجتماعية المتشابكة الناتجة من علاقة المجتمع بمحيطه وعلاقة عناصره بعضها ببعض

وتبعاً لهذا نقول إن مرد الحركة « الديناميسم » فى مجتمع ما إلى مقدرته على التفاعل بينه وبين محيطه الخارجى ، وعلى تفاعله الداخلى فى نفسه . والمحيط الخارجى ذو وجهين : محيط

طبيعي مادي، وآخر بشري اجتماعي. والحركة والحياة تنشآن عندما يكون المحيط الطبيعي على درجة متوسطة بين اللين والشدة، بحيث تستدعي شدته نشاط المجتمع، وييسر لينه، في الوقت ذاته، لهذا النشاط أن يزدهر ويثمر. فإذا كان المحيط الطبيعي ليناً كل اللين، واستطاع الإنسان فيه أن يرضي شهواته البدائية بأيسر السبل، لم يكن هناك داع للهمة والنشاط ولتوليد الحركة وبث الحياة. وكذلك، إذا كان المحيط في الطرف الآخر من حيث القسوة والشدة تغلب على مقدرة الإنسان، في المراحل الأولى من تطوره، وشل حركته، ومنع تقدمه. وهذا ما نرى واضحاً كل الوضوح في المناطق القاسية المناخ، حرارة أو برودة أو رطوبة أو جفافاً، أو التي يغلب عليها الجليد أو الأدغال أو الصحراء أو أمثالها

إن هذه الظروف الطبيعية مؤثرة، كما قلنا، تأثيراً حاسماً في المراحل الأولى من نشوء المجتمعات ونموها. وهي التي، في الأغلب، تبعث في مجتمع ما الحركة والخصب والتقدم، وتقضي على آخر بالركود والجدب والجمود؛ إذ تستنفد جهوده كلها في اقتناص عيشه الضئيل وتحصره في دائرة ضيقة يصعب عليه اجتيازها. أما المجتمع الذي تتيسر له أسباب الحركة والنمو، ويقطع في هذه الطريق شوطاً مديداً، فإنه يصبح قادراً على التغلب على المحيط الخارجي مهما اشتد وقسا: وها نحن نراه يستخرج المعادن من بطن الصحراء، ويستغل الأدغال، ويوطد مراكزه في المناطق المتجمدة، ويركب متون البحور والأجواء

ومثل المحيط الطبيعي المحيط البشري. فإذا كان هذا المحيط هيناً ليناً لا يكمن فيه أي خطر استهان أهل المجتمع عيشهم، وانصرفوا إلى ملذاتهم، وساروا إلى الركود فالانحلال. وإذا كان العكس من ذلك خطراً كله وتغلب على المجتمع بشكل حكم أجنبي استثماري أو استعمار مستغل منظم، شلت حركة المجتمع وكبتت حيويته. وتاريخ البشرية في الشرق والغرب ملء بالأدلة الواضحة على ما نقول، فلا نحتاج إلى إيراد أدلة مفصلة، وإنما يكفينا أن نشير إلى ما تعرضت له بلادنا العربية في الستمائة السنة الأخيرة من غزوات خارجية جامحة وضروب في الحكم الأجنبي المستأثر امتصت حيوية أرضها وسكانها، وجعلتها تركد وتعجز عن الإنتاج بأي شكل من الأشكال. أما الحالة المؤدية إلى الحركة والنمو فهي وجود الخطر — الخطر الذي لم يقض على المجتمع — وإحساس المجتمع به، وما يتبع هذا الإحساس من بعث للهمم، وإثارة للنشاط، وتعبئة للجهود

ولا تقتصر حيوية المجتمع المتحرك على التفاعل بينه وبين محيطه الخارجي: الطبيعي والبشري، بل تتمثل أيضاً في تفاعله الداخلي: بين أفراده، ومنظماته، وطبقاته. فالعلاقات البشرية في المجتمع الراكد علاقات بسيطة، قليلة التغير. أما في المجتمع المتحرك، فهي تزداد على الأيام تطوراً وتعقداً. والحيوية المنصرفة إلى الخارج لا تلبث أن تضعف وتنحل إذا لم تصحبها حيوية في الداخل تؤدي إلى نمو في شتى دوائر المجتمع: في العائلة، والمدرسة، والدولة، وسواها. بل نقول إن التفاعل والنمو في داخل المجتمع هما أصدق دليل على مقدرته على مجابهة المحيط والصمود في وجه قوى الخارج

وخلاصة القول أن المجتمع المتحرك الديناميكي هو مجتمع متطور، متفاعل مع محيطه الطبيعي والبشري، ومتفاعل في ذاته داخليا

ولكن ليست كل حركة تقدماً، ولا كل تطور نمواً وارتقاء. فما هو السبيل إلى ضمان هذه الأهداف المنشودة؟ وإذا أردنا نحن في البلاد العربية أن ندفع بمجتمعنا العربي إلى الأمام فكيف نأمن أن يكون انبعاثه من ركوده، وتحركه من جموده، مؤديين فعلا إلى نمو وتقدم، وغير مقتصرين على مجرد الحركة والتغير؟ وبكلمة أخرى، ما هي المقاييس التي يقاس بها تقدم مجتمع على آخر، أو درجة التقدم أو التأخر في نفس المجتمع؟

توضيحا لتفكيرنا في الموضوع الأساسي أتقدم ببضعة مقاييس عامة، لا بصفة نهائية حاسمة، بل بصفة تمهيدية تجريبية، لعلها تكون أساسا صالحاً للبحث، وخطوطاً عامة نسترشد بها في هذا الميدان الواسع المتشعب

أول هذه المقاييس، في نظري، هو مبلغ سيطرة المجتمع على الطبيعة وقدرته على ضبط قواها واستغلال مواردها. فالمجتمع الذي تحده قوة الطبيعة أو تتغلب عليه يكون عبداً لها خاضعاً لسلطانها، ويظل متأخرا عن سواه من المجتمعات التي

سبقته في هذا المضمار . وتأخره عنها يكون فى ناحيتين أساسيتين: الأولى سلبية والثانية إيجابية . أما فى الناحية السلبية فيبقى عرضة لأحداث الطبيعة وفعل عناصرها المادية والحية ، يتحكم فيه نوع الأرض وشكلها وموقعها ، ودوران الفصول ، وتقلبات المناخ ، وتتسرب إليه الجراثيم القتالة ، والأعراض الفتاكة . فهو ، من هذا القبيل ، مغلوب على أمره ، مستعبد لمحيطه الخارجي . ثم هو محدود من الناحية الإيجابية أيضا لعجزه عن استدرار غنى الطبيعة ، واستخدامه لتحسين معاشه وترقية حياته ماديا وأدبيا . وما دام ضئيل الإنتاج ، مهدداً بالفقر والمرض ، فهو حتما متأخر عن سواه ، وغير مجهز للسير فى ميادين التقدم والرقى

والمدنية الحديثة إنما تمتاز عن المدنيات السابقة فى هذا المضمار، ولا حاجة بي هنا إلى التفصيل والإيضاح ، فالأمر ظاهر بين دون دليل أو برهان . وإنما يجدر بنا أن نلاحظ أن المدنية الحديثة هى، من هذه الجهة ، وحدة غير متجزئة . ولا يغرننا اختلافها فى نواحى أخرى ، فهى فى هذه الناحية متفقة كل الاتفاق . لننظر إلى القوتين الجبارتين اللتين تتنازعان العالم اليوم : القوة الغربية التى تتزعمها أمريكا ، والقوة الشرقية التى تقودها روسيا ، نجد أنهما كلتيهما قائمتان على الحرص الشديد والقدرة الجبارة على استثمار الطبيعة واستغلال مواردها . فى كل منهما ، فى الولايات المتحدة وروسيا على السواء ، وفى الدول الأخرى بدرجات متفاوتة ، اهتمام بالآلة ، وانكباب على التكنيك ، وحرص على الاقتصاد . وما الآلة والتكنيك والاقتصاد سوى الوسائل التى يتسلح بها الإنسان لضبط الطبيعة وعلاقته بها ، وما ينتج عن ذلك من علاقات اجتماعية

وهذا الانكباب على الوسائل الإنتاجية هو سر الحركة (الديناميسم) ومصدر القوة المادية والعقلية فى المجتمع الحديث على اختلاف ألوانه واتجاهاته . وهو الواجب الأول الملقى على عاتقنا نحن العرب اليوم ، لأننا لا نستطيع أن نحمى كياننا إلا من سبيله . فالعالم أصبح يضيق بغنى غير مستثمر ، وموارد غير مستغلة . والدول تكاد تسير فى معاملاتها على أن المجتمع الذى لا يستثمر موارده يخسر حقه فيها . ولئن كان القانون الدولى لا يقر هذا المبدأ ، بل بالعكس يصرح بسيادة الأمة على أراضيها وإرثها الطبيعي ، ولئن كانت شرعة الأمم المتحدة قائمة على مساواة الدول فى هذه السيادة ، فالواقع أن الدوافع المسيرة للدول فى تصرفاتها هى غير ذلك . ولا نكران أن الصهيونية بنت جانبا هاما من حجتها لقضيتها فى فلسطين على تفوقها على العرب فى استغلال الأرض واستخدام وسائل الإنتاج الحديث . وكان دعاتها يجوبون أطراف العالم مرددين هذه الدعاية ويستقدمون الوفود والبعثات ليطلعوهم على سبقهم للعرب فى هذا المضمار . وكان نجاحهم فى هذا ، على مخالفته لأبسط قواعد الحقوق الدولية مقنعاً لكثير من الناس وموجهاً للرأى العام العالمى فى مصلحتهم. وليس هذا الواقع فعالا فى مثل هذا العدوان الفاضح فحسب ، بل هو مؤثر أيضا فى التدخلات الأخرى الأكثر خفاء ، التى تدفعها قوى لا ترد ، من منطق المدنية الحديثة ذاته ، لاستغلال البوار ، وإحياء الموات ، أينما كان ولمن كان

فاستثمارنا لمواردنا هو إذن دعام لحقنا فيها وإهمالنا لها هو بالعكس، وسواء أشئنا أم أبينا منقص لهذا الحق فى مفهوم العالم الحديث . ثم إننا بهذا الاستثمار نهيئ لأنفسنا من الناحية الإيجابية وسائل الدفاع عن كياننا فى الميادين الحربية والاقتصادية والسياسية والعلمية ، ولا شك فى أن سبق الصهيونية لنا قرونا فى هذا المضمار هو الذى يسر لها سبل عدوانها علينا واستجرار القوى السياسية والاقتصادية الكبرى إلى مساندتها فى هذا العدوان

وعندما نتبين هذا الواقع ونقره نخرج منه إلى نتائج حتمية لا مفر لنا منها . خلاصتها أن نهضتنا القومية ، بما تتضمن من سياسة داخلية ودولية ومن تنظيم اقتصادى واجتماعى وتعليمى ، يجب أن تبنى أولا على هذه الأركان المتسلسلة : آلة ، تكنيك ، اقتصاد ، إنشاء . فبها يتحرك مجتمعنا وتسرى فيه الروح الديناميكية التى تيسر له الوسائل لحماية كيانه أولا ولتقدمه فى النواحى الأخرى ثانيا

على أن هذه الوسائل الإنتاجية الاستثمارية لا تأتى عفوا ولا تهبط من علو . وإذا استمددناها من سوانا فهى لا تبقى لنا ولا تعمل فى مصلحتنا إلا إذا اكتسبنا معها القوى الأصيلة التى ابتدعتها . والشعوب التى تقدمتنا فى هذا المضمار لم تنلها إلا بعد

أن حققت شرطها الأساسى وبامثها الأصلى : وهو التحرى عن الحقيقة والأسلوب العلمى المنضبط الضابط والنتائج العلمية المحققة المتراكمة . هو العقل النامى المنتظم فى نفسه المنظم لسواه

ولا جدال فى أن العقل الإنسانى هو من أعظم القوى التقدمية فى الوجود ، فهو ما ينفك يبحث عن المجهول ويغتبط باقتحامه . وما اقتحام الرائد المناطق المعزولة الصعبة بأيسر من اقتحام العالم المجهول من أسرار الطبيعة والإنسان ، وما نجاحه فيها أعظم ، أو السرور الذى يبعثه فى نفسه أشد . بل العالم هو فى جوهره وكيانه رائد ممتاز لا يحقق وظيفته ولا تسعد نفسه إلا بالمغامرة والتقدم

ثم إن العقل المتمثل فى جهد العالم الرائد ملح مستمر فى تقدمه . فإن لم يطغ عليه ما يطفئ جذوته أو يبطل عمله سار من خطوة إلى خطوة وقبض على حلقة بعد حلقة من سلسلة الحقيقة المترابطة . وهو لا يقف عند حد ولا يرضى بحال ، بل يندفع دوما إلى الأمام منقبا باحثا مكتشفا . هذا هو منطقه وكيانه وهو فيه منسجم مع منطق الحقيقة وكيانها

ثم هو بعد هذا وذاك منتظم فى تقدمه . فالخطى التى يقطعها متصلة بالحلقات التى يقبض عليها متماسكة . ذلك أن جوهر الحقيقة التى يسعى إليها ويتقيد بها ويخدمها جوهر متماسك متحد . وليس معنى هذا أن العالم لا يخطئ ولا يخرج عن السبيل السوى ، فكثيرا ما ضل وابتعد وضاع وضيع ، ولكن الأسلوب العلمى المنبعث عن طبيعة العقل وجوهره كفيل برده إلى الصواب . والعبرة ليست فى تلك الضلالات العرضية ، بل فى السير الأساسى المتصل والسلسلة المترابطة الحلقات . إن بناء العلم بناء متماسك الأحجار ! وإذا اتفق أن وضع حجر فاسد فيه فالجهد العلمى خليق بأن يكتشفه يوما فيطرحه وكل ما بنى عليه

فالعلم ، بجوهره الخالص وتقليده الإيجابى الأصيل ، تقدمى . وتقدميته تتميز بالتطلع والاستمرار والانتظام . ولهذا كان مقياسا من أهم المقاييس التى تقدر بها تقدمية مجتمع من المجتمعات . وهو من الناحية العملية التطبيقية ، أساس المقياس الأول : أى قدرة المجتمع على الطبيعة ، لأنه ، كما ذكرنا ، الباعث الأقوى للعمل الانتاجى الاستثمارى . على أن له أيضا ناحيته النظرية التى يتجلى فيها مقدار الحقيقة المكتسبة والمجهول المكتشف . فإذا أردنا أن نقارن مجتمعين من حيث التقدم والتأخر ، أو نقيس تقدمية مجتمع ما ، أمكننا أن نركن إلى هذا المقياس : إلى درجة اكتساب المجتمع للأسلوب العلمى وخضوعه لسلطان العقل ، وإلى مقدار الحقيقة المتراكمة التى يملكها ويؤمن بها ويسير على هداها

وإذا أراد مجتمعنا العربى أن يكون تقدميا فعلا وجب عليه أن يتمسك بهذا العنصر التقدمى الحى ، ويؤمن به ، ويجعل سيره مظهرا صادقا له ، وحياته تجسدا لإيمانه به وبالحقيقة التى يؤدى إليها

ترى ، أيكفى هذان المقياسان مقياس القدرة على الطبيعة ومقياس الاكتساب العلمى كيفية وكمية لقدر تقدمية المجتمعات ؟ إن النظر الدقيق ليظهر أن هذين المقياسين لا يستنفدان التقدمية الصحيحة . ذلك أن استثمار الطبيعة هو ، فى الواقع ، عامل مساعد أكثر منه عاملا أصيلا . فهو يهيئ الوسائل للتقدم ويدفع المجتمع فى بعض النواحي ، لكنه لا يضمن التقدم ولا يدفع المجتمع قدما فى جوهره وتمامه إلا إذا توفر له عامل آخر مستقل عنه . إنه يعد الأسباب ويهيئ القوى ويجهز النتائج لكنه ، بنفسه ، لا يقرر الغايات التى يجب أن توجه إليها الأسباب والقوى والنتائج ، إنه يضع بين يدى المجتمع موارد وافرة استخرجها من الطبيعة وثروات استمدها منها وقوى فجرها من بطونها ولكن ، ترى ، لأى شئ يستخدم المجتمع هذه كلها ؟ للبناء والتعمير أم للهدم والتدمير ؟ للتحكم والاستئثار أم لنشر العدل والمساواة ؟ للحرب أم للسلم ؟ للتقدم الشامل المتوازن أم للتقدم الجزئى المضطرب ؟

كذلك يقال عن العلم نفسه ، وهو المقياس الثانى الذى اتخذناه . إنه يكتشف الحقيقة والحقيقة وحدها غايته ومبتغاه . ولكن من الذى يستخدم هذه الحقيقة ولماذا ؟ هو ذا أمر خارج عن سلطته ، أو لعل العالم يساعد ، عن وعى أو غير وعى ، فى استخدام الحقيقة لأغراض هدامة فتؤدى إلى التأخر والهلاك فى حين أنها وجدت لتخدم التقدم والانبعاث

فلضمان التقدم الصحيح لا يكفى توفير الوسائل ؛ بل يجب تحقيق الغايات الصحيحة التى توجه إليها . لا يكفى مجتمعنا أن

٢ – لغة المستقبل ..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علمية إلى البرلماني الفيلسوف أستاذي الدكتور إبراهيم بيومي مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقاً ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

ذكرت لك أيها القارئ نبذة عاجلة عن الرياضة وفرعيها السامقين وهما علم العدد وعلم الهندسة ، وفي هذا المقال نعرض للمنهج الرياضي وماله من أثر في نفوس الرياضيين بحيث يكسبهم هذا الذوق الذي يسميه العلماء الروح الرياضي

ولعلك يا قارئي تسأل : إذا كان العقل في كل ميادينه يعتمد على التحليل والتركيب — وكل في ذاته منهج مشروع — وإذا كان العقل يستعمل القياس والاستقراء ، وليس في غنية عن أحدهما أو كليهما ... ففيم تخصص للرياضة منهجاً ؟ .. وما هو هذا المنهج الذي به انفردت الرياضة ؟

ألا إن التجارب التي نقوم بها لا تعدو أن تكون إحدى اثنتين :

١ — تجربة خارجية أو مادية تبنى قراراتها على موضوعات مادية

٢ — تجربة داخلية أو ذهنية وهي التي قد تكون في الفكر عن طريق العالم الداخلي الذي توجدصورته في مخيلتنا ، وبمقتضاها نتمكن من تمثل الأعداد في نقط وأشكال

فهل نحن نتلمس بالحدس — في هذه الأعداد وتلك الأشكال — النسب المجردة أو المثالية التي هي قوام الحقائق الرياضية ؟ وهل تلك البداهة [1] هي المنهج الرياضي ؟

الحق أن دور البداهة في الهندسة غير منكر ، ولكنه في نظر « رابييه » Rabier ليس إلا عاملا مساعداً ، وحجة في ذلك لها وجاهتها : فهو يرى أن البداهة تغلو في تقدير الحقيقة المراد إثباتها ، وإن كانت البداهة تلقي الضوء على طريق الاستدلال إلا أنه لا يستطيع أن يتخذ منها سنداً متيناً ، لأن الخطأ قد يتسرب منها إليه لإمكان تسرب الخطأ إليها

وعلى ذلك ، لا يمكن أن تعتمد العلوم الرياضية جماء على البداهة ، مادمنا قد افترضنا للفكر قيمة موضوعية ، وإلا كانت العلوم التي تعتمد على البداهة فنوناً ، وهنا تتوقف قيمة الفكر وموضوعه على « لحظات التجلي » حيث يكون العقل في حالة تصوف أو تأمل

والرياضة — من ناحية أخرى — ليست في منهجها — تجريبية — لأن الاستقرار — ولا سيما العلمي — لا يضمن لنا الحقيقة ثابتة ، كما أنها لن تكون قياسية ، لأن القياس يضع مقدمات يفترض صحتها ثم يستخرج منها نتائج على الوجه المسنون

لم يبق بعد ذلك إلا (البرهان Demonstration) ليكون هو المنهج الذي تنشده الرياضة ، ذلك لأن البرهان — كما يعرفه أرسطو — هو (قياس الضروري) وغايته : إقامة الحقائق الضرورية بأن يثبت أنها نتائج منطقية لغيرها من الحقائق

[1] البداهة أو الحدس مترادفان لكلمة : Intuition

يتغلب على الطبيعة ويضبطها، بل عليه مع هذا ، إن لم نقل قبل هذا ، أن يضبط نفسه ويتغلب على أهوائه . لا يكفيه أن يتبين الحقيقة التي اكتشفها بالعقل ، بل عليه أن يولد الإرادة التي تمنع تشويهها أو استخدامها لما هو مناقض لطبيعتها ، وبالتالي هادم لأركان المجتمع

هنا تظهر العلة الأصيلة في المدنية الحديثة وداؤها الدفين . فلقد أحرزت هذه المدنية تقدما شاسعا واسعا في ميدان استثمار الطبيعة ، لكنها لا تزال مقصرة تقصيرا شائنا في معرفة الغايات التي يجب أن توجه إليها نتائج هذا الاستثمار وفي تكوين الارادة الصحيحة لهذا التوجيه . وقطعت كذلك أشواطا طويلة في اكتشاف الحقيقة ؛ لكنها لا تزال عاجزة عن الامتثال لها بل هي تمعن في تحويلها عن غايتها واستخدامها للشر والفساد

البقية في العدد القادم قسطنطين زريق

الواضحة ، أو التى سبق البرهنة عليها — غير مهتم بالضروب والأشكال التى ينتهجها المنطق الصورى . لذا يقول أرسطو « ليس كل قياس برهاناً ، وإنما كل برهان قياس » كما أن البرهان — كما يقول ليار Liard » يقاوم قواعد القياس المنطق ، وفى الوقت نفسه له مبادئه التى لا يجدها فى القياس ، وهذه المبادئ ضرورية ضرورة الحقائق التى يقيمها »(١)

والبرهان الرياضى لا يستغنى عن التحليل والتركيب ، والتحليل قد يكون مباشرا ، وقد يكون غير مباشر

فالتحليل المباشر يستلزم معرفة بعناصر الموضوع ، والسير بالقضايا تدريجاً مما تم إثباته إلى ما يراد إثباته ، أما التحليل غير المباشر فهو البرهان بالخلف ، وهو ليس برهانا بالمعنى الصحيح ، وإنما هو إحراج ، وفيه خطورة ، وقد نجح المنهج الرياضى فى تلافيها . ونقصد بهذه الخطورة ذلك العناد الحقيقى فى القضية الشرطية المنفصلة . فالزاوية س إما أن تكون حادة أو منفرجة أو قائمة ، فإذا لم تكن الأولى ولا الثانية كانت الثالثة حتما ، اعتماداً على بدهية الزوايا . ومثل هذا البرهان لا يليق بالمنهج الرياضى المتفرد بهاتين الصفتين : العمومية والمعقولية ، وكم ينتبه العلم إذا ظفر بإحدى هاتين الحسنيين ، وقد اجتمعتا معا للرياضة وحدها

لهذا ، احتدم الجدل حول هاتين الميزتين بين الفلسفة والرياضة . يرى فيثاغورس أن العالم أشبه بعالم الأعداد ، وأن العالم عدد ونغم ، وأن الأعداد نماذج تحا كيها الموجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها

وانحدرت هذه الأنظار الفيثاغورية إلى أفلاطون الذى ظل — بالجدل الصاعد — يرقى من المحسوس المتكثر إلى المعقول الواحد وهو (المثال) ، ومنه انتقلت هذه الأنظار إلى الأكاديمية الجديدة ، حتى لقد غالى أحد رجالها سبيزيب — فى ربط الرياضة بالفلسفة ؛ أى ربط الكائنات الرياضية وهى الأعداد والمثلثات بالصور إلى حد الخلط بينهما ، وفسر الوجود على ضوء هذه الكائنات الرياضية

واعتبر (باسكال) المنهج الهندسى المثل الأعلى للمناهج ، وعلى ذلك عالج الأمور الفلسفية العليا كما لو كانت مسائل هندسية أو معادلات جبرية

وأعطى (اسبينوزا) للفلسفة الأولى جفاف البراهين الهندسية وصورتها ، وأخذ يتحدث عن الله ، والحرية ، كما لو كان يتحدث عن أعداد

هؤلاء جميعا إنما يطمحون بأنظارهم إلى العمومية والمعقولية حتى يصلا إلى الحق والخير معا ، وهما هدف الرياضة البحت التى لا نتوسل بغير العقل إلى غايتها

وإذا كان المنهج الرياضى هو مجموع الوسائل والقواعد التى تمكن من بلوغ القوانين الرياضية الحقيقية الموثوق بهـا ، فإن « الروح الرياضى » نوع من العقل يمكن من بلوغ الغاية ، وهما فى الحق متلازمان أو هما وجهان لشىء واحد : هذا موضوعى وذاك شخصى . فإذا نظرنا إلى مجموع الوسائل العقلية بالنسبة إلى الموضوع المدروس فذلك « المنهج » أما بالنسبة إلى الشخص الدارس فهى « الروح »

يقول (فافر) « هنالك صفير ينعش العالم ، ويحفز الباحث إلى متابعة الحقيقة ، ولئن تعذر سماع هذا الصفير إلا أنه يباعد المرء عن الخطأ ، هذا الصفير هو الروح العلمى »(١)

ومن الناس من أوتى مواهب تجعله قادراً على متابعة الحقيقة ، وتجعله ماهراً ، وتمكنه من التزام الوضوح ، واجتناب غواشى الحق ، ومثل هذا الموهوب لديه روح علمى . فما مظاهر ذلك فى الرياضة ؟

رسم أفلاطون فى خياله تخاطيط المدينة الفاضلة ، وكان ينشد فى « الحاكم » شيئين هما : الجندية والفلسفة ، فأنطق سقراط بهذه الكلمات البارعة « إن لنا نشيداً عمليا غايته التعقل المنطقى ، ويقع فى منطقة النفوذ العقلى ، وهو يجاهد لينظر نظراً قويا فى الحيوان والنجم ثم فى الشمس ذاتها . وهكذا يبدأ المرء يبحث بالمنطق ناشدا كل أنواع اليقين بفضل الذهن البسيط مستقلا عن أى معونة حسية ، ولا يكف حتى يدرك بفضل الذهن النقى طبيعة الخير الحقيقية ، وهنا يبلغ آخر مدى العالم العقلى »(٢)

(١) Logique

(١) l'esprit p.8

(٢) الجمهورية : ك ٧

في أي فرع من فروع العلم تستقر قوة الحاكم المنشود ؟ بحث أفلاطون فلم يجدها في الرياضة البدنية ولا في الموسيقى، وإنما وجدها في « علم الحساب » الذي « كل علم وكل فن مفتقر إلى الاشتراك فيه » وبعد أن بين فائدته في الحرب قال « إنه يلزم الفيلسوف في درسه لأنه ملزم بأن يسمو فوق التغيير، ويلوذ بالثابت وإلا فلا يكون مفكراً ذكياً » . . وذلك « لسهولة انتقال النفس من المتغير إلى الحقيقي الثابت » ولأنه . . « قد يرفع النفس إلى فوق، ويحملها على البحث في الأعداد المجردة ! »

.. « وإن العاكفين على الحساب — إلا النادر منهم — سريعو الخاطر في كل العلوم، وإن الذين فهمهم بطيء إذا تثقفوا به وتمرنوا عليه ولو لم يحصلوا منه على فائدة أخرى يصيرون أسرع فهماً مما كانوا . . » ، « والهندسة علم الوجود الدائم يجب أن تجتذب النفس نحو الحقيقة، وتضرب الضربة الحاسمة في ميدان الروح الفلسفي » . . .

« وإذن يجب أن نلقن تلاميذنا منذ الحداثة : الحساب والهندسة وكل فروع العلوم الابتدائية الممهدة لفن المنطق »

هذه أقباس من (جمهورية أفلاطون) حبذا لو عرضنا معها لوامع من (مقدمة ابن خلدون) ليرى القارئ إلى أي مدى من التخبط يتمثر أولئك الأدعياء الذين لا يدرون من أين نبدأ حينما يستأثرون بالعلم اللدني الذي هبط عليهم به وحي مزعوم .

يقول ابن خلدون محبذاً تعليم الحساب « فإن في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد يحتاج فيه الى استدلال فيبقى معقوداً للاستدلال والنظر وهو معنى العقل »

ويعلل الابتداء بصناعة الحساب بأنها « معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء مدرب على الصواب، وقد يقال : من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنما يغلب الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً ويتعود الصدق ويلازمه مذهباً »

ويقول عن فائدة الهندسة ! إنها « تفيد صاحبها إضاءة في عقله، واستقامة في فكره، لأن براهينها كلها بينة الانتظام، جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على هذا المهيع

(أي الطريق الواضح) ، وقيل إنه كان مكتوباً على باب أفلاطون « لا يدخلن مدرستنا من لم يكن مهندساً » وكان شيوخنا يقولون : « ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الأقذار، وينقيه من الأوضار »

وابتدع أفلاطون (مقياس الحجة المنطقية) ليعرف به ما إذا كان يستطيع المرء أن يدرك الموضوع إدراكاً إجمالياً أولا يستطيع

إلى أي مدى نجح التفكير الإنساني في استخدام النهج الرياضي في ضروب العرفان ؟ وما مقدار استنباطه من الروح الرياضي في ميادين الأعمال ؟ وماذا تحقق من هذا وذاك في بناء « الحضارة الفكرية » .. ؟

هذا ما سنحاول الاستجابة له في العدد القادم، إن شاء الله

محمد محمود زيتون

٤ ـ الباكستان

دولة إسلامية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

دين ودولة :

إذا أردت أيها القارئ الكريم أن ترى دولة إسلامية بالمعنى الإسلامي الدقيق فلا تحاول أن تبحث عنها في الشرق الأدنى، وإنما تعال معي إلى الباكستان فهناك سوف ترى تلك الدولة الإسلامية

ففي الباكستان ترى أن الإسلام هو محور الحياة وأساسها ، فالحياة السياسية والأنظمة الاقتصادية والحياة الاجتماعية تستمد أصولها جميعا من الأنظمة الإسلامية . وليس في هذا غرابة ، فقد قامت دولة الباكستان لتكون دار أمن وسلام للمسلمين من أبناء القارة الهندية الذين عذبوا واضطهدوا بسبب عقيدتهم الدينية . وإن سياسة الباكستان الإسلامية ليست فرضا من حكومة مستبدة على شعب مائع ، بل هي رغبة شعب مؤمن قوي تنفذها حكومة مخلصة عادلة (١)

وواجب قبل أن انعرض لوصف النظام الإسلامي القائم الآن في الباكستان أن أناقش في إيجاز أنواع النظم الحكومية التي قامت في العصور الوسطى والتي تأثرت بها الأنظمة الحكومية القائمة في عصرنا الحاضر

انقسمت الأنظمة الحكومية التي قامت في العصور الوسطى إلى نوعين : أحدهما قام في الشرق والآخر قام في الغرب

فأما النظام الأول فقد وضع أساسه النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم حين قامت الدولة الإسلامية الأولى في المدينة . كان القرآن دستور هذه الدولة وقانونها ومحمد (ص) زعيمها . ولما توفي النبي قام خلفاؤه من بعده بإدارة شؤون هذه الدولة ، وقد تمكن الخلفاء من توسيع رقعة الدولة حتى صارت تشمل مساحات شاسعة تمتد من المحيط الأطلنطي غربا إلى الصين شرقا

كان الخليفة يرأس هذه الدولة ويجمع في يديه بين السلطتين الدينية والدنيوية : يؤم الناس في الصلاة ويقيم حدود الله ويقود الجيوش ويجبي الزكاة ويجمع الضرائب ويصرفها على إدارة الدولة وينفق منها على الفقراء والمساكين . ولكن سلطة الخليفة لم تكن مطلقة أو استبدادية بل كانت مقيدة : فقد كان إيمان الخلفاء بربهم وخوفهم من عذابه يدفعهم إلى أن يحرصوا على إقامة العدل ورفع الظلم والسهر على مصلحة الرعية . استمع إلى قول عمر ردا على من أشار عليه بترشيح ابنه عبد الله للخلافة من بعده « يكفي بني الخطاب أن يحاسب منهم عمر » واستمع إلى قوله « لو عثرت بغلة بالعراق لسئل عمر عنها يوم القيامة : لم لم يمهد لها الطريق؟ » وهكذا كان الخلفاء يرون في الحكم مسئولية خطيرة وعبئا ثقيلا

وكان الخليفة ينفذ أحكام القرآن ويشاور أصحابه . والله تعالى يقول (وأمرهم شورى بينهم)

وقد نجح النظام الاسلامي في إقامة دولة تتمتع بالأمن والسلام والعزة والمنعة

هذا في الشرق . أما في الغرب فقد قام نظام آخر انقسمت فيه السلطة في الدولة إلى قسمين : سلطة دنيوية في يد الملك أو الإمبراطور؛ وسلطة دينية في يد البابا . وهكذا انفصلت السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية في الغرب واتصلتا في الشرق

ودار الزمن دورته وتقدم الغرب ونهض وجثم على صدر الشرق فاستعمر بلاده وعمل أن يهدم نظامه وتقاليده وعاداته . ولم يعدم المستعمرون أن يجدوا من الشرقيين أفرادا استهوتهم مبادئهم فسخروهم لتحقيق مآربهم . وعمل هؤلاء على تقليد الغرب فقامت في الشرق حكومات ضعيفة تزعم أنها تسير وفق مبادئ الغرب ، والواقع أنها لم تستطع أن تكسب مزايا نظام الحكم الغربية أو الشرقية على حد سواء

إن أهل الغرب يؤمنون بأن قوة الشرق في عقيدته الروحية، وأن هذه العقيدة إذا ضعفت انهار الشرق . ومن ثم اتجه أهل الغرب إلى أن يباعدوا بين الشرق وبين عقيدته الروحية الخالصة ، ووجدوا لأنفسهم أبواقا تردد ما يريدون وتعمل على تحقيق

(١) باكستان للدكتور عمر فروخ

ما يرغبون . وهكذا قامت حكومات وقوانين ضعيفة فى الشرق هى التى نشاهدها اليوم وهى التى تقف متخاذلة أمام المستعمرين من أبناء الغرب

إذا أردنا إذن أن نبحث عن الدولة الإسلاميه بمعناها الإسلامى فعلينا أن نولى وجوهنا شطر الباكستان

النظام الحكومى :

الحاكم العام هو رئيس دولة الباكستان . ولما كانت الباكستان مكونة من عدة مقاطعات هى البنغال والبنجاب وباثان (إقليم الحدود الشمالية الغربية) والسند وبلوخستان فإن لكل مقاطعة مجلس وزراء وبرلمانا . ويشرف على المقاطعات جميعا مجلس وزراء مسئول أمام مجلس نيابى يمثل سائر المقاطعات . وتشترك جميع المقاطعات فى السياسة الخارجية والشؤون الحربية

ولم يتم بعد وضع دستور الباكستان الجديد ، وما تزال الجمعية التأسيسية تشتغل بوضعه. وجدير بالذكر أن نقول : إن المغفور له لياقت على خان قدم فى ٧ مارس ١٩٤٧ إقتراحه التاريخى إلى الجمعية التأسيسية ، ويقضى هذا الاقتراح بأن يكون القرآن والسنة أساس دستور الباكستان الجديد. وقد وافقت الجمعية التأسيسية على ذلك الاقتراح بالإجماع

وقد قدم الأستاذ أبو الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية فى الباكستان مقترحات لتكون أساس الدستور الإسلامى فيها نلخصها فيما يلى :

١ — الحاكمية فى الدولة لله وحده

٢ — الشريعة الإسلامية هى القانون الأساسى للدولة

٣ — وظيفة الدولة تنحصر فى أن تحقق مرضاة الله تعالى بالعمل فى هذه الدنيا وفقا لهدايته المنزلة وفى ضمن الحدود التى عينها المولى سبحانه وتعالى

٤ — يجب أن تعمل الحكومة على إقامة العدالة الاجتماعية والمحافظة على حقوق أهل البلاد وصيانة الدولة من هجمات الأعداء

٥ — يجب أن تكون الحكومة شورية ينتخب أفرادها لصلاحيتهم وكفايتهم لإدارة شؤون الدولة

٦ — كل تأويل للدستور يخالف مضمون القرآن والسنة لا ينفذ شرعا

٧ — لا يجوز التفرقة بين الناس فى الحقوق والواجبات بسبب لونهم أو جنسهم أو لغتهم

٨ — يكون رئيس الدولة فيما يتعلق بالحقوق المدنية مساويا لكل مسلم آخر ولا يجوز له أن يتخطى القوانين

٩ — إذا خرج رئيس الدولة على الدستور يجب عزله

وقد عرضت هذه المقترحات على المؤتمر الإسلامى فى العام الماضى فوافق عليها باعتبارها « مبادئ أساسية لإقامة دولة إسلامية »

وهكذا يتضح لنا أن الباكستانى لا يستطيع أن يجعل نطاق الدين ضيقا بل يراه شاملا لكل شئ . وتتجلى تلك الروح الإسلامية فى كل شئ . فالباكستان لا تسمح لدور السينما أن تعرض أفلاما فيها خروج على الدين والفضيلة ، بل إنها تعمل دائما على تطبيق المبادئ الإسلامية فى جميع مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية

فى ١٢ فبراير ١٩٥٢ افتتح حاكم عام الباكستان المؤتمر الاقتصادى الثالث فعدد المسائل الاقتصادية التى تواجه الباكستان وطلب معالجتها ، وهذه المسائل هى (١) تطبيق المبادئ الإسلامية على النظم الحديثة (٢) الإصلاحات الزراعية (٣) زيادة الادخار ووسائل الاستثمار (٤) توزيع الإنتاج بالعدل

وختم الحاكم العام بيانه قائلا : إن الباكستان قامت لتكون مجالا لمجتمع إسلامى داخل حدودها ، فعلينا والحالة هذه ألا نتقاعس عن تحقيق هذا الذى جاهدنا من أجله

وخطب وزير التجارة والاقتصاد فقال : إن عظمة الدولة الاقتصادية لا تنهض إلا إذا توفر لها عاملان : الأيدى العاملة ووفرة الموارد الطبيعية ، وقال إن القرآن يتضمن أحسن المبادئ الاقتصادية التى يمكن أن تطبق فى الظروف الحاضرة وهى كفيلة بالتغلب على كل الصعاب التى يثيرها الرأسماليون والشيوعيون

ومن كل ما سبق يتجلى لنا أن الباكستان تحاول جاهدة أن تقيم دولة إسلامية بالمعنى الإسلامى الدقيق . وفقها الله

أبو الفتوح عطيفة

البلبل الذبيح

المغفور له الدكتور زكي مبارك

بعث إلى المجلة بهذه الكلمة المرحوم الدكتور زكي مبارك قبيل وفاته بأيام يرثي المرحوم الأستاذ علي محمود طه ، وقد أخرناها انتظاراً لأي مناسبة تدعو إلى نشرها والمناسبة اليوم هي حفلة تأبينه التي أقامتها نقابة الصحفيين في هذا الأسبوع وقد وصفناها في غير هذا المكان

أخي الأستاذ الزيات :

أرجو أن تكون بخير وعافية ، وأن تجد في المنصورة الغناء ظلا لا أجده في مصر الجديدة . وأرجو أن تكون تناسيت حزنك على البلبل الذبيح وهو الشاعر علي محمود طه

آخر العهد به يوم كان وكيلا لدار الكتب المصرية وكنت زميله هناك ، وكنت أفرح بلقائه فرح الحبيب بلقاء المحبوب

أظلمت الدار من بعده ، فنقلني معالي الدكتور طه حسين إلى منصبي الأول وهو تفتيش المدارس الأجنبية فاسترحت من رؤية مكتب علي محمود طه خالياً ، فقد ذوى الورد الذي كان يضعه في مكتبه كل صباح

ومع أن الأعمار بيد الله فأنا أذكر أن الشاعر مات بالمرض الذي مات به أبي وهو ضغط الدم ، فقد كان أبي لحيا لا يسيغ الطعام بدون لحم ، وكذلك كان الشاعر علي محمود طه فقد كان لحيا بصورة تفوق الوصف

دخلت دار الكتب فوجدت قنديل بك يبكي ، وسألت عن السبب فعرفت أن شقيق الفقيد حضر ليخبر مدير الدار أن الشاعر مات ، فبكيت أنا أيضاً حتى شرقت بدموعي

أعطانا المدير إجازة لنشهد جنازته ، ولكن أخاه نقله بسيارة إلى المنصورة وطنه الأول

يوم الكفر والإيمان

من حق الشاعر أن يكفر بالله ، وإن كان من واجبه أن يؤمن بالله ، ولا أدري كيف كنت حين نظمت القصيدة الآتية وأنا أخاطب البلبل الذبيح :

يا ماضياً لبلاد ليس يشهدها … من يرتئيها وجفن العين وسنان

جميع من يرتئيها كلهم نفر … حجوا إليها وهم بالموت عميان

إن الحياة وهذا الموت يطلبها … في شرعة الصدق تزوير وبهتان

قالوا ستلقى غداً ما سوف يفرحنا … في جنة عندها البواب «رضوان»

فيها الفواكه من تين ومن عنب … وفي جوانبها حور وولدان

هذا جميل ، ولكني بلا أمل … ففي حياتي ضلالات وكفران

إن الذي أسكت الغريد أسكته … وفي مشيئته جور وطغيان

إني إلى النار ماض خالد أبداً … ففي مسالكها للشعر ميدان

قالوا سينصب في يوم الحساب لنا … عند المهيمن قسطاس وميزان

الموت نوم فلا صوت ولا خبر … خلوا فؤادي فإن النوم سلطان

هذا «علي» مضى لم يبكه أحد … ولا أفاض عليه الحزن فنان

أوحى إلى الشعر ما أوحى ومن عجب … أن يصدر الشعر وحياً وهو شيطان

***

أما بعد فهذه قصيدتي في رثاء البلبل الذبيح الذي لم يرثه أحد من الشعراء ، وكان يجب أن يرثيه زميله أحمد رامي

كان البلبل يمر بالقهوة مرور الطيف ليتحدث معي ، وكان يأنس بلقائي ، وكنت أتحداه أن يساجلني فلا يستطيع ، لأنه لا يقوى على الارتجال ، فقد كان يتأنق في شعره كما يتأنق في هندامه ، والشعر في ذاته تأنق

في سهرة بمنزل توحيد بك السلحدار ومعنا الأستاذ الزيات أخذ البلبل ينشد أشعاره ، وكان قوي الذاكرة ، فقلت : أنا أخذت راية الشعر من أيديكم ، فيقول : لن تستطيع يا دكتور

أخرجت من جيبي ورقة وقرأت الأبيات الآتية :

عجب الناس من بقاء أديب … رغم بغي الخطوب والأيام

أنا أيضاً عجبت من طول عيشي … في زمان مجنح بالظلام

إن يوماً يمر من غير غم … هو طيف يمر في الأحلام

لا صديق برد دين عليه … لا حبيب يفي بعهد الغرام

قد سئمت الحياة أو سئمتني … فرمتني بكيدها الهدام

قال لي صاحبي : تواضع قليلا … تجد الرزق صافياً كالمدام

قلت : رزق من الرياء يوافي … هو عندي من الطعام الحرام

قال البلبل : هذا شعر نفيس

وزارنى الأستاذ مرة ثانية فى القهوة فرآنى مكروباً فسأل عن حالى فأنشدته قول زكى مبارك

يا سائلا ما الحال الحال أنت الحال

وسألنى عن أسباب كربى فقلت : كان لى موعد غرام فى مشرب تريومف بمصر الجديدة وهو يطل على الصحراء فانتظرنى المحبوب دقائق وانصرف فصرخت بهذه الأبيات :

دقائق أضجرتك فطرت عنى وغادرت المكان بلا انتظار
فما حالى وقد مرت شهور شربن الصبر من طول اصطبارى
جلست أمام الصحراء وحدى وأشرب لوعة مزجت بنار

قال البلبل : وهذا أيضاً شعر نفيس

كان الشاعر على محمود طه يكره الشاعر محمد الهراوى ، وكانت بينهما مهاجاة تذكر بالمهاجاة بين عبد اللطيف النشار وعثمان حلمى ، وهما شاعرا الإسكندرية ، وكان البلبل مغرماً بمكايدة الهراوى ، فأمضى معه إلى القهوة فيقول الهراوى : أشمارك يا سيد على من فتات موائد الشعراء الأجانب !

فيقول البلبل : وأنت يا سيد محمد لا تدخل السينما ولا تشرب الخمر ، فكيف تكون شاعراً ؟

فيقول الهراوى أنا قلت :

هم أحلوا دم الأنام شراباً كيف لا نستحل ماء الكروم

فيقول البلبل : هذا بيت جميل

ديوان الهراوى

الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف بك يشهد بأن لجنة التأليف والترجمة والنشر قامت على قدميها بما جنت من أرباح « سمير الأطفال » وكان مقرراً على جميع المدارس الأولية ، ومع ذلك بخلت اللجنة بطبع ديوان الهراوى

ودعوت أخاه الدكتور حسين الهراوى لطبع الديوان فوجد النفقات غالية

فهل يمكن إنقاذ هذا الديوان قبل أن يضيع ضيعة أبدية ؟

الشبيبى فى مصر

فى العدد المقبل سأنشر فى الرسالة قصيدة حييت بها معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى زميل الأستاذ الزيات فى المجمع اللغوى ، وقد نظمتها فى الإسكندرية والبحر يضرب أمواجاً بأمواج :

محطة الرمل جننتنى وحيرتنى بلا صواب
بها ظباء بغير عد ولا بيان ولا حساب
عشرون ألفاً وألف ألف أطلت فى جهنم عذابى

زكى مبارك

فى تأبين الدكتور زكى مبارك

المجد الطموح الجرىء

للأستاذة زينب الحكيم

عرفت الدكتور زكى مبارك بالسماع به والقراءة له فى بادئ الأمر ، فقد كان له جيل من القراء والمعجبين ، كما كان له حلقة من المنافسين المحنقين

فلما رأيته .. وجدته رجلا متقشفا أشد ما يكون التقشف ، فوقعت فى حيرة شديدة ، لأنى عرفته غير هذا فى كتابه « النثر الفنى » الذى كنت سأشترك فى تقريظه بعد أيام قلائل ، وحدث أن اجتمعنا فى الندوة ، وتجلت شخصية زكى مبارك ، وفاض علمه واطلاعه فى الردود المفحمة التى واجه بها كل مادار حول كتابه وكسب المعركة . ولا غرابة فى ذلك فهو ابن الأزهر المجتهد المستوعب ، وابن الجامعات المصرية والفرنسية ، وابن جامعة الحياة العملية والصحافة. رجل نابه من الريف ينزح إلى القاهرة للتعلم ، لم يتملق عظيما ولم يستجد ثريا لينجح فى دراساته أو ينال رزقه ... إنما هو رجل نجح نجاحا عزيزا مشرفا؛ فإذا لم يكن فى حياة الدكاترة زكى مبارك إلا هذا ، وإلا أنه شق طريقه بالنحت تارة فى صخور الحياة الصلدة لكفاة فخرا وخلودا ، فكيف بنا وزكى مبارك له فلسفة ، وقلمه مدرسة ، ونفسه طموح وجموح وثورة ؟! أودع كثيرا من هذا كله مؤلفاته العديدة، ومقالاته المتنوعة

فى ذمة الله الكريم فتوة سكنت ولما تنته النهضات
فى ذمة الله الرحيم فتية شبل يتمم درسه وفتاة
فى ذمة الله العزيز فقيدنا وعليه من رب الملا الرحمات
يا آله لا تجزعوا إن الذى فى الخلد ذكراه إليه حياة

أيها السادة والسيدات :

أهدى إلى المبارك مجلدات (ليلى المريضة فى العراق) ومما رأيته على غلاف الجزء الأول منها لعلى الجارم بك ما يأتى : — « لقد ابتكر زكى مبارك فنا جديدا حين نقل الغزل والتشبيب من الشعر إلى النثر » وهذه شهادة من أديب لأديب لا يستهان بها

وكنت أتمنى لو أن زكى مبارك لم يسرف فى هذا ، فإن العبقرية الجامحة يجب أن تنظم وأن تلتزم قواعد وحدودا ، ولا سيما وليس عندنا معاهد للنوابغ ترعى نبوغهم . ونحرص على توجيههم

أنظر إلى نتاج تجارب زكى مبارك فيما قاله فى الجزء الثانى من كتاب ليلى : —

« أنا أشرب المر من عصير الحياة لأحيله على سنان القلم إلى شراب سائغ للشاربين » إن هذا القول يدل فعلا على أن الدكتور زكى قد ضحى بنفسه فى سبيل غيره

قابل قوله هذا بقول من قال :

لا أذود الطير عن شجر ذقت (طعم) المر من ثمره

لترى مقدار تضحية زكى ، ومبلغ أنانية غيره . لقد أوذى زكى مبارك فى سبيل النقد الأدبى ... والنقد فى الشرق ليس بمستساغ ، ولا يقبل على أحسن وجوهه

لهذا حمل زكى أعصابه فوق طاقتها ، وظلم وقته ونفسه ؛ فهل يلمس ؟ كلا ، وإنما أفلت زمام نفسه من يده فى أحد أطرافه ، ولكنه قبض عاما على باقى نواحى نفسه الذكية السامية

استمع لبعض ما قال عن النواحى الإنسانية فى الرسول حيث تتجلى فلسفته ، وتتجلى عبقريته فى إحدى مقالاته الفريدة :

١ — « يا محمد إنك إنسان ونبى ، والنبوة عهد من عهود العظمة الإنسانية ، إنك آية من آيات التاريخ

٢ — أحبك أيها الرسول لأنك كنت إنسانا له ذوق وإحساس ، ولم تكن كما يصورك الجاهلون الذين رأوا عظمتك فى أن تكون حاكيا لوحى السماء — وما أنكر وحى السماء — ولكنى أومن بأن فى السريرة الإنسانية ذخائر من عظيم الصدق والروحانية ، وأنت أول من أعز السريرة الإنسانية

٣ — أحبك أيها الرسول وأشتهى أن أتخلق بأخلاقك السامية ، وأحب بنوع خاص أن أفر من الشيطان كما فررت منه .. حتى أسلم بجهادى من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس

٤ — أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحة للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

وما رأيك فيمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

٥ — لقد فكرت مرات كثيرة فى الاقتراب من روحك ، فلم يمنعنى عائق لأن بينى وبينك وشيجة من الإنسانية

٦ — ودعانى الشوق إلى مسامرة خيالك ، فرأيتك إنسانا كاملا لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الأصدقاء

٧ — وصحبتك فى إحدى غزواتك فهالنى أن تكون رجلا نبيلا يصبر على الظمأ والجوع والأذى فى سبيل الحق

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسى ابنتك فتقول :

« لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب فى الدنيا مقصور على عظماء الرجال

أيها الناس : هذا طرف عابر من حياة وعبقرية وفلسفة زكى مبارك .. فيها عظة وعبرة ، وتدل على مبلغ ما خسرناه بموته ، ولكن الحياة حق كما أن الموت حق (والله خلقكم ثم يتوفاكم) وزكى مبارك لم يمت فهو حى فى قلوبنا ومشاعرنا — والسلام

زينب الحكيم

رسالة الشعر

البحيرة

(للشاعر الفرنسي لامرتين)

نظم الأستاذ عبد العزيز السيد مطر

يا إلهى ! حرت فى بحر الزمن ! هام فلكى فى ظلام لا نهائى !
لا أرى الشاطئ يدنو ، أو أرى أين أمضى ، ما أمامى ؟ ماورائى ؟
طالمـــا ناديت ، أرجو مرفأ لسفينى ، دون جدوى لندائى !

• • •

جئت وحدى ها هنا مستلهما حدثينى ، هل توافى (١) يا بحيرة ؟
شارف العام تماما ، فاشهدى ما ألاقى من تباريح وحيرة ؟

• • •

رقص الموج ، وغنى ، واستوى ماؤك العذب على الصخر القريب
ومضى ينســـاب درا نحوها يخطب الود ، و « جوليا » تستجيب
كان هذا أمس حلما ، وانتهى ! أيعود الأمس أم سوف يغيب ؟

• • •

اذكرى ليـــلة كنا ها هنا نتساقى الحب ، « جوليا » وأنا
عزف « المجداف » ألحان الأمل فمضى « الزورق » مختالا بنا
وسرى الإيقاع فى روح الزمن فاستجابت كل نفس حولنا

• • •

شق صمت الكون صوت حالم يجذب الأسماع بالسحر الحلال
صافح الآذان فاهـــتزت له وهنا العالم يصغى للجمال :

• • •

« أبطئى الدورة يا أرض بنـــا أيها الساعات لا يمض الأوان
خليانا وحـــدنا فى حلمنـــا نتهل الكأس ، فإنا عاشقان
أمرها ما شئتما مع غـــيرنا أمرها مع كل مكروب مهان
واحملا الآلام عـــنه والضنى واحميا المشتاق من غدر الزمان
هل أجاب الدهر سؤلى ؟ لم يجب ؟ هكذا الدهر ضنين بالطلاب
ها هو الليل تقضى مسرعا ، هجم الصبح عليه ، فهرب !

• • •

امزج الكأس بحبى واسقنيهـــا دهاقا ، فهى سلوى الحائرين
واقض كاللمح الأمانى ، واغتنم إنما الدهر عـــدو الحالمين !
فهو كالسهم مروقا ، لا يشا ء أناة أو رســـوا بالسفين !

• • •

ويح نفسى من زمان حاسد يكره الحب ، ويهوى اليائسين !
جمل الليـــل سواء ، لو عدل طال ليلى ، وانقضى ليل الحزين

• • •

أيها النور أجبنى مخلصـــا ونكلم أيها الماضى الدفين !
أيرد الدهر أياما مضت ؟ أم طواها فى ثنايا الذاهبين ؟
ليت دهرى يحفظ الذكرى لنا ! إنما الذكرى حياة العاشقين ؟

• • •

هـــذه الليلة كانت نشوة يبهج النفس شذاها إن خطر
أيها التاريخ خلد ذكرها فى نسيم الفجر ، أو ضوء القمر

• • •

إنمـــا الحب جميـــل دائما فى هدير الموج ، أو صفو اللجين
شـــاهد الكون هوانا فليقل كل شىء فيه « كانا عاشقين »

عبد العزيز مطر

---

(١) الحبية

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الدكتور زكي مبارك :

أقامت نقابة الصحفيين يوم الجمعة الماضي حفلا لتأبين فقيد الأدب والصحافة الدكتور زكى مبارك ، وقد توالى الخطباء والشعراء فى هذا الحفل ، فوفوا الفقيد حقه من الرثاء ودراسة حياته وأدبه . ويعتبر مجموع الكلمات التى ألقيت كتابا عن « زكى مبارك » لا بأس به ، ونحن النقابة صنعا لو أنها قامت بطبعه ونشره

كانت كلمة الأستاذ حافظ محمود — على إيجازها — وافية ، وأفاض الأستاذ محمد عبد القادر حمزة فى محاضرته التى تناول فيها جوانب مختلفة من شخصية الفقيد وأدبه ، وكان الأستاذ مظهر سعيد — كعادته — مجليا فى الخطابة ، وكان ختام كلمته رائعا إذ قال : كنت واحدا ممن اكتووا بنار الدكتور زكى مبارك ، وقد أشبعنى شتما ، ثم مات وبيننا عداوة ، وقد سمعتم رأيى فيه ، والفضل ما شهدت به الأعداء

وتحدث الأستاذ حسين كامل عن جهاد الفقيد فى القضية العربية فقال إنه كان من أوائل من نادوا بالوحدة بين الناطقين بالضاد

وتطلعت الأنظار حين وقفت الآنسة زينب الحكيم . . . ترى ماذا تقول عن زكى مبارك الذى جعل ديدنه فى كتابته الغض من شأن المرأة والدعوة إلى أخذها بالعنف . . ولكن الآنسة زينب جازت الفقيد إحسانا بإساءة ، ومما قالته أن الدكتور زكى مبارك كان خفيفا على قلوب النساء سواء فى عداوته ومناصرته ... ولعل هذا من مصداق رأيه فى النساء من حيث أنهن إنما يكسبن بالشدة !

أما الدكتور منصور فهمى باشا فقد كان الحاضرون يتوقعون منه — باعتباره عضوا فى مجمع اللغة وعميدا سابقا للآداب — أن يكون على وفاق مع سيبويه . .

وقد ألقى الأستاذ محمد مصطفى حمام قصيدة جيدة تميزت بالانطباق على شخصية الدكتور زكى مبارك ، مطلعها :

عابد الحسن هل جفا محرابه   مدمن العشق هل سلا أحبابه؟

ومنها :

الخطيب المبين أخمه المو   ت وألغى بيانه وخطابه

الجرئ المناضب الصعب قد أو   دى فلن يملأ المدا إغضابه

وهب الله للصدور صفاء   وتولى حسابهم وحسابه

حول تقديم الشاعرين الفائزين في مسابقة المجمع اللغوى

أتيت فى الأسبوع الأسبق بخلاصة الكلمة التى ألقاها الأستاذ عباس محمود العقاد فى تقديم الشاعرين الفائزين بجائزتى الشعر لهذا العام فى مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد عنى الأستاذ فى تلك الكلمة ببحث أسباب الأزمة الشعرية فى الغرب وما أدت إليه من قيام « الاستفزازيين » فى الشعر وفى سائر الفنون ، الذين فقدوا روح النضال ووجهوا همهم إلى تحدى المثل والمناهج والأهداف

وقد لوحظ أن ذلك البحث استغرق جل عناية الأستاذ ، فلم يظفر الفائزان منه إلا بيسير من القول تطرق إليه بقوله إن حالة الاجتماع عندنا تختلف عن حالة البلاد الغربية ، فلم تصل فنوننا إلى ما وصلت إليه الفنون فى الغرب من الحيرة والانقطاع عن المثل ، واتخذ الديوانين الفائزين بالجائزتين شاهدا على ذلك . وهنا موطن الملاحظة الثانية ، وهى وهن الملاقة بين الموضوع الذى ظفر بأكبر الجهد وبين الديوانين اللذين طفا عليهما ذلك الموضوع وكانا أحق بالنظر والدرس فى مناسبة إجازتهما

كنا نتوقع أن يحدثنا الأستاذ عن شعر كل من الديوانين ، معرفا أو ناقدا ، ويبين لنا خصائص كل منهما على حدة ، ولم استحق الأستاذ إبراهيم نجا الجائزة الأولى ، ولم استحق الأستاذ خالد الجرنوسى الجائزة الثانية

حقا أن الأستاذ العقاد جرى على أن يكون لكلمته فى مثل هذه المناسبة موضوع عام ، وأذكر كلمته فى مسابقة من مسابقات

الجمع السالفة ، إذ أجرى الكلام فيها على المذهبين الشعريين : الاتباعى والابتداعى ، وطبق ذلك على الشعراء الفائزين إذ ذاك وهم الأساتذة محمود غنيم ومحمد الأسمر ومحمود عماد

ولكن الأستاذ الكبير فى هذه المرة أتى بموضوع لم يطابق نتيجته على شعر الشاعرين الفائزين ؛ ويخيل إلى أنه فعل ذلك تخلصا من الحرج الذى يتمثل فى عدم انطباق هذا الشعر على مذهبه المعروف الذى يجعل القيمة الأولى للشعر فيما يتضمنه من « فكرة » ولهذا اختار منه — للاستشهاد — ما يلائم هذا المذهب

وماذا يقول من يتحدث عن شعر إبراهيم نجا إن لم يكن فى مقدمة ما يقول ، ما يمتاز به هذا الشاعر من الروح الشعرية الرفافة والتعبير البين عن الوجدان الصادق ؟ ومن هنا — فيما يبدو لى — يلتمس العذر لصاحب المذهب الفكرى فى تجنب الحديث التفصيلى فى هذا المضمار

مسرحية « كرب فى كرب »

قدمت فرقة المسرح المصرى الحديث أخيرا على مسرح الأوبرا الملكية ، مسرحية جديدة للأستاذ محمود تيمور بك عنوانها « كدب فى كدب » وقد قام بإخراجها الأستاذ زكى طليمات مدير الفرقة

تعرض المسرحية أشخاصا يعيشون فى بيئة « أرستقراطية » فهذا « كريم بك » شاب وسيم يستهلك ثروته الكبيرة الموروثة فى المقامرة على سباق الخيل ، ويأتى فى ذلك بضروب من السفه والتبذير والإتلاف حتى ينتهى به الأمر إلى الإفلاس ، ويلتقى فى خلال ذلك بالفتاة الجميلة « كريمة » التى تتبناها وتكفلها امرأة غنية هى « شفيقة هانم » ويبدى كل من الفتى والفتاة استخفافا بالآخر أول الأمر ، ثم زين لهما المحيطون بهما أن يتزوجا ، فيقال لكريم بك إنك على وشك الإفلاس وهذه فتاة غنية ، ويقال لكريمة شبه ذلك ، فيصطنعان الحب ويتزوجان

و « نصار بك » زوج شفيقة هانم رجل وضيع النفس يطمع فى مال زوجته وقد تزوجها من أجل ذلك ، ومن أغراضه أن يستأثر بهذا المال دون « كريمة » ثم يتظاهر بالعطف على الفتاة طمعا فيها .. فتجاريه أولا لتكشفه ثم تصده وتزجره ، فيتمادى فى خطته لحرمانها كل شئ

و « نبيه بك » عمدة إحدى القرى يغشى مجتمعات القاهرة الراقية ، يتظرف ويتأنق محاولا أن يبدو مثل أفراد هذه المجتمعات ، ويوجه اهتمامه إلى « كريمة » رغبة فى زواجها ، ويحاول صديقه « نصار بك » أن يعاونه على ذلك ، ثم ينتهى الأمر بهذين الصديقين إلى السجن لتلاعب فى بعض الوثائق

و « فواز بك » رجل مُسن متزن حصيف خرجته تجارب العمر الطويل ، يعمل على التوفيق بين أشخاص الرواية وخاصة « كريم » و « كريمة » على أساس فلسفته التى استفادها من الحياة ، وهى أن الإنسان لا بد له من الكذب والنفاق ليساير الناس ويواكب الحياة ، وهو لذلك يهون الأمر على الزوجين المخادعين ، فحين تنكشف حقيقة كل منهما للآخر فيتبين إفلاس الفتى ، وتنجلى ظروف الفتاة بذهاب الثروة التى كانت تظاهر بها ، ويعرف كل منهما أن صاحبه كان يكذبه ويخدعه — يقوم فواز بك بمهمته فى إقناعهما بأن ما كان منهما لا بأس به ولا ينبغى أن يؤدى إلى القطيعة بينهما ويخلى لهما المكان ليتفاهما . فيتفاهما عملا بفلسفة فواز بك ، بل هما أكثر من ذلك يشعران بانتهائهما إلى تبادل شعور المودة ، فيحمدان الكذب الذى تبادلاه أول الأمر إذ كانت نتيجته الحب ... وتلتقى قبلتهما الستار وهما فى جحيم من القبل ...

هل لهذه المسرحية موضوع ؟ لا أريد أن أجزم بشئ من ذلك . يخيل إلى أولا أنها « رد فعل » للفن الوعظى الصارخ الذى يشتمل على الخطب ويعتمد على التأثير بالافتعال والمفاجآت

وتيمور قصاص هادئ يرقب الحياة فى سكون ونفاذ ، ويتمثل ذلك على أكمله فى هذه المسرحية التى يقدم بها أشخاصا ينتزعهم من الحياة كما هم ويدفع بهم إلى المسرح ليأتوا من الأفعال والأقوال ما يأتون فى الحياة ، وأحسب أن شخصية « فواز بك » تعكس بعض صفات المؤلف نفسه ..

والمسرحية ليس فيها صراع ، فلا يأتى شوق المشاهد وتنبهه لما يجرى فيها — لا يأتى ذلك من أحداث يتوق إلى أن يعرف كيف ينتهى ، وإنما يجتذب المشاهد عرض التصرفات التى يراها مطابقة لما يجرى فى المجتمع ، وطلاوة الحوار وما فيه من دعابات وإشارات إلى حقائق فى النفوس الإنسانية

وإذا كان لا بد من تلمس الموضوع فلا أجده إلا فى هذه الفلسفة الواقعية التى تنطق بها أعمال الأشخاص وأقوالهم ، وكأنهم يقولون : ها نحن أولاء ناس من الناس نفعل ما تسوق إليه دوافعنا البشرية ولا يعنينا أن توصف أعمالنا بخير أو شر

وكأنى بالمؤلف يقول : إلى متى نظل نكذب أنفسنا فنصورها فى العمل الفنى على غير حقيقتها ؟ نحن نكذب ولا نستطيع أن نعيش بغير كذب ، وليقل من يقول على المنابر ، وليكتب من يكتب على الأوراق ، فى فوائد الصدق ومضار الكذب ، مايشاء، ولنقصد نحن إلى الواقع ، وهذه هى نتيجة الكذب ... الحب ...

ومن مظاهر التوفيق فى إخراج المسرحية ما قام به مخرجها الأستاذ زكى طليمات من أنواع التعبير عن طريق المناظر والأضواء المطابقة والموحية ، ويسترعى انتباهى دائماً فى إخراج الأستاذ زكى طليمات حسن تنسيق المجموعات الصامتة وإحكام حركاتها ليحيل صمتها إلى نطق .. ومن تلك المظاهر أيضاً حسن إعداد الممثلين والممثلات وإسناد الأدوار اللائقة إليهم واستنباط كفاياتهم الكامنة . هذا ولست أدرى لماذا جعل نور الدمرداش فى دور كريم بك يستمر فى حالة عصبية من أول الرواية إلى آخرها ، والمفروض فى هذا الدور أن يكون صاحبه الشاب المتلاف مرحاً طروباً . نعم قد ينتكس فى بعض الأحيان لما يطرأ من سوء الحال، ولكنه لم يكن على ما ينبغى فى عدة مواقف كانت يتطلب التلطق والمرح

وألاحظ فى تمثيل هذا الشاب « نور الدمرداش » أنه هو تقريباً فى أدواره بالروايات المختلفة ، فهو يكرر نفسه كما يقولون . وتماثله فى ذلك الفتاة « زهرة العلى » التى قامت بدور « كريمة » فالشابان لا تكفى وسامتهما ، بل لا بد لهما من التنويع والتجرد من السمة الواحدة

وقد قام عبد الرحيم الزرقانى بدور فواز بك فأجاد بالاندماج فى الشخصية المرسومة ، وبراعة الاندماج من مميزات الأستاذ الزرقانى

وكان أحمد الجزيرى ، الذى مثل سكرتير كريم بك ، عصب الفكاهة فى هذه الرواية ، وقد وفق فى دوره كل التوفيق، وكذلك عدلى كاسب الذى صور شخصية « العمدة » وما لا بسها من مفارقات فأجاد فى ذلك

أما سميحة أيوب فقد لاحظت أنها تقدمت تقدما كبيراً ، فقامت بدور « أرتست الحرب » خير قيام

فى ذكرى ابن سينا :

كان الدكتور محمد يوسف موسى من أنشط أعضاء اللجنة التى ألفت فى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية للاعداد للاحتفال بذكرى ابن سينا ، فقد قام بستة بحوث فى نواح مختلفة لصاحب الذكرى ، منها بحث موضوعه « الناحية الاجتماعية والسياسية فى فلسفة ابن سينا » وهو بحث قيم تناول فيه بالعرض والتحليل آراء ابن سينا فى مسائل الاجتماع والسياسة ، وعرض لما يمكن أن يطبق منها فى العصر الحاضر . وقد قام المعهد الفرنسى فى القاهرة بنشر هذا البحث باللغتين العربية والفرنسيه

وكان المفروض أن يكون الدكتور موسى بين أعضاء وفد مصر فى المهرجان الذى أقيم ببغداد ، ولذلك دهشنا عندما رأيناه بالقاهرة فى وقت انعقاد ذلك المهرجان . والذى حدث أن جميع أعضاء اللجنة سافروا إلى بغداد بصفات مختلفة ، ممثلين للجامعات والهيئات العلمية والجامعات العربية . أما الدكتور موسى فقد أهمل إهمالا لا أجد له وصفاً أخف من أنه غير لائق ، فهو من أساتذة جامعة فؤاد الأول ، ومن أبناء الأزهر وكان أستاذاً به ، فكان يمكن اختياره ممثلا للجامعة أو للازهر ، ولم يكن أقل من أن يختار فى وفد الجامعة العربية ، وقد كان بين المندوبين من هو أقل منه نشاطاً فى هذه الذكرى ، بل من لم يكن له نشاط فيها ...

عباس خضر



عقيدة المسلم

تأليف الأستاذ الداعية محمد الغزالي

للأستاذ محمد فياض

من القواعد الاجتماعية التي ترى مع معتنقيها وجوب الأخذ بها: أن الشيء لا يوجد، أو بعبارة أدق وأصدق في الحكم، لن يكون له كيان إلا إذا كان المجتمع في حاجة إليه، وبمقدار ما تكون عليه حاجة المجتمع لشيء ما، بمقدار ما يكون وجوده بل كيانه متحققاً في عالم الواقع، وكلنا يعلم أنه قد يوجد عبقري في بيئة ما، ولكن تلك البيئة في حالة لا تسمح له بوجود أو كيان، أو في حالة لا تهيء له الظروف التي ينبثق من ورائها نبوغه؛ ومن يدري لعله لو قدر لنابليون، أن يعيش في غير عصره أو في غير بيئته؛ بل لم تكن بيئته على الوضع الذي كانت عليه إبان وجوده؛ لما قدر له وجود أو كيان .. لأن استجابة مجتمعه إليه، كان متوازناً مع حاجته إلى قدرات « نابليون » وإمكانياته الخاصة

وعندنا الآن في الشرق، حين نقتفي الآثار المديدة في ميادين الحياة العامة، على ما بها من تشابك واختلاط وتغلغل؛ وهنا في مصر على وجه الخصوص، حين نتتبع علائم الحياة في مجتمعنا العريق؛ نجد أن كل مظهر نشهده، وكل تقدم نحصل عليه .. إنما حدث ويحدث وفقاً لمقدار الحاجة الشعبية إليه، ولمقدار شعورنا بتلك الحاجة، ونعتقد أن ما يمنعنا عن التفصيل في تتبع الآثار الرئيسية التي تكشف عن حاجتنا الاجتماعية والسياسية والفكرية .. في الشرق وفي مصر؛ هو أننا في غير موطن الحديث، خاصة والأحداث الشرقية والمصرية على السواء لم تستكمل حلقاتها النهائية بعد؛ وشيء آخر، لعل القارىء يدريه، ولعله أن يتصل بشؤون السياسة الحاضرة أو نظام الحكم الموجودة .. من قريب أو بعيد!!

ولكننا مع ذلك، سنتحدث في ميدان من تلك الميادين، وعن كتاب من تلك الكتب التي خرجت إليه باعتباره أكمل كتاب وجد في حقله الخاص من ذلك الميدان، وعن مؤلفه باعتباره أول رائد أصاب في ذلك الحقل جد الكمال

فما سقنا تلك المقدمة المجملة إلا من أجل شيء أردنا توضيحه وأردنا الخلوص إليه، بعد إقامة الأساس الذي تستند إليه فكرتنا عن ذلك الكتاب وعن مؤلفه العالم الأديب

ونستطيع القول أنه منذ ربع قرن تقريباً، وقد بدأت حاجة الشعوب الإسلامية إلى النهضة من جديد في الاشتداد؛ نعني أن هذه الشعوب قد بدأت في مرحلة الإحساس بالظمأ والجوع إلى الاستقرار العام والتنظيم الشامل .. على الأساس الاسلامي؛ ونعني أيضاً أن مشاعر الفكرة الاسلامية في نفوس هذه الشعوب قد دخلت في دور آخر دعامتاه: التكتل من جهة، والتكوين من جهة أخرى، ولقد كان ذلك الدور الحديث نتيجة طبيعية لأدوار الانحلال التي منيت بها القرون الاسلامية الأخيرة تحت وطأة الحكم الفردي، بما جره من ألوان الخلافة والإمارة والإقطاع؛ فذلك الانحلال الذي أصاب الشعوب الاسلامية، هو نفسه الذي أشاع اليأس القاتل فيها، وشوه معالم العقيدة والسلوك في القلوب والأذهان .. وهو نفسه أيضاً الذي أحدث الأمل كرد فعل طبيعي مباشر، لما شاع من يأس وما استشرى من قنوط. وعلينا أن نؤكد بأن ذلك الأمل قد بزغ أول ما بزغ، وأشرق أول ما أشرق .. في أرض الحجاز بدعوة « محمد بن عبد الوهاب » السلفية .. ثم ما أعقبه من أصداء لتلك الدعوة، في آسيا .. على يد الإمام الشوكاني، والسيد أحمد، وجمال الدين الأفغاني، وفي أفريقيا .. على يد السنوسي، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني

ويجب أن نقرر بأن الحكم الفردي الذي كان السبب الأول والمباشر، لانحلال الفكرة الاسلامية وتدهور شعوبها، هو الذي قضى على ازدهار الدعوة الوهابية وانتشارها، وشوه حقيقتها في نفوس معتنقيها ومؤيديها إن لم يكن قد طمسها؛ وأن الطابع الفكري المحض، الذي اتسم به الدعاة من بعد ابن عبد الوهاب، هو الذي باعد بين عامة تلك الشعوب، وبين

هذه الدعوات وأمثالها ، فاتجه هؤلاء الدعاة إلى الحكومات دون الشعوب ، وإلى الخاصة دون العامة .. وساعد على ذلك كله أن مرحلة الظمأ والجوع أو اليقظة الشعبية ، لم تجاوز بعد الفجر الأول للأمل ؛ وأن الروح التكوينية التربوية ، كانت شديدة البعد عن هذه الدعوات ، وبخاصة فيما أعقب دعوة ابن عبدالوهاب من دعوات . وعلى أية حال . فقد مهدت دعوة ابن عبد الوهاب وما حدث بعدها من أصداء ، لحدوث الفجر الصادق للفكرة الاسلامية ؛ لتبدأ مرحلة الظمأ والجوع في الاشتداد ؛ ولتدخل الجموع الشعبية في طور « التكتل » الذي تمخض حتى الآن عن « أندونيسيا والباكستان » ؛ وفي طور « التكوين » أو طور الشروق — كما يحلو لي أن أسميه — وقد قدر لذلك الطور أن يقبل في يسر من الرأي الشعبي العام ، بغض النظر عما اعترضه من صعاب .. نتيجة للجهل الشعبي الذي يكافحه ذلك الطور ، ونتيجة للاستبداد الفردي الذي ما تزال بقاياه

ولقد بدأ هذا الطور منذ ربع قرن ، كما أسلفنا الاشارة ، نتيجة للحاجة الشعبية ، والجو المعد الملائم ، الذي سبقته الارهاصات والنذر ، فقدر لداعية الاسلام الشهيد «حسن البنا» أن يكون أول من يرتاد ذلك الطور ، فتتكون على يديه هيئة إسلامية عالمية ، كل أهدافها تنحصر في التكوين التربوي الاجتماعي ، على المنهج الاسلامي الفردي للعقيدة والسلوك ، قبل الدخول في دور « التكتل العام » الموحد ، وأرى من التباشير ما ينبئ بالتقاء طوري « التكتل والتكوين » في ذلك الدور المنتظر .. في المستقبل القريب

ومن طبيعة الدعوات الناجحة أن تنمو وتتسع ، وتتمدد جوانبها ، حتى تشمل سائر مرافق الحياة . سواء منها الاجتماعي والسياسي والفكري ... وقد كانت دعوة « الاخوان المسلمون » دعوة اجتماعية ، تمثل الحاجة الاجتماعية للشعوب الاسلامية ، وإلا لما قدر لها ذلك الصمود وهذا الانتشار . وكان لا بد لتلك الدعوة من الاتساع والامتداد ، لتشمل كل ما يتصل بحياة الانسان ؛ وليس معنى ذلك استغراق الدعوة الاجتماعية ، لكل من الميدان الفكري والسياسي ، على تفرد في معناهما الخاص ، بل إن أي ميدان تتناوله منهما لا بد وأن يكون إلى جوار معناه الخاص وصفته المميزة ، صفة أخرى . هي الصفة الاجتماعية

فالدعوة الاجتماعية إذن .. تزاوج بين طبيعتها وطبيعة الميدان الذي تعمل فيه . والحاجة الشعبية إذن .. كما احتاجت إلى الهيئات الاجتماعية في الميدان الشعبي الاجتماعي ، فهي أيضا تحتاج إلى الأفراد الأفذاذ ، في الميدان الفكري ، وفي الميدان السياسي .. وهي كلها دون شك حاجات عامة تحتاجها الفكرة الاسلامية وشعوبها . وفرق كبير بين الحاجات العامة التي تحتاجها الفكرة والشعوب ، وبين الحاجة الخاصة التي تحتاجها الهيئات الاجتماعية لتسد الحاجة الشعبية في الميدان الاجتماعي

والجانب الذي سنعرض له ، هو الجانب الفكري من الميدان الاجتماعي ، وهو بلا شك ، يشمل حقلين اجتماعيين في الفكرة الاسلامية ، هما : حقل « العقيدة » وحقل « النظام » (السلوك والتشريع) . وفي هذا الجانب بحقليه ، كتب الأستاذ محمد الغزالي كتبه ، كواحد من الدعاة في الميدان الاجتماعي ؛ وزاوج في مؤلفاته بين النظر إلى نظم الشرق الحالية ، ونظام الاسلام التي كانت أو التي يجب أن تكون ؛ بل زاوج بين ما يصطرع في الأفق العالمي من مبادئ ونظريات ، وبين مبادئ الفكرة الاسلامية ، بطريقة المقابلة أو التعريض .. يحدوه في كل ذلك الطابع الاجتماعي الذي تنشده دعوته الشعبية ، والذي لا يهدف أصلا لغير الاصلاح الاجتماعي العام كمبدأ أساسي مقصود . والواقع الذي تبيناه في كتبه ، عن طبيعته كمؤلف ، وطبيعة كتبه وطريقة عرضها ، يؤيد لنا ما ننسبه إليه ، من أنه يمثل في الميدان الاجتماعي وفي الجانب الفكري منه ، ومن أنه يسد حاجة خاصة تحتاجها دعوة اجتماعية لتسد حاجة عامة من الحاجات الشعبية المعاصرة

فالأستاذ محمد الغزالي ؛ يفكر برأس عالم ، بما يحويه المعنى العلمي من لوازم الدقة المنطقية ؛ وينفعل بخواطر الأديب في وضع تأملي محدود ؛ ويكتب بعد ذلك برأس هذا العالم ، وقلم ذلك الأديب . ولكنه ليس بالفرد الذي يجول في محيط تفكيري خالص ، فهو إذا عكس لا ينضخم ، وإذا أحاط لا ينسق ، وإذا تغلغل لا يتوغل . ومع ذلك ، فهو صفحة حساسة صادقة التصوير الجزئي للفكرة والمجتمع ؛ فعدسة منظاره ، ليست بالمجسمة المكبرة ، ولا بالمفرقة الموزعة ؛ فهو إذن .. باحث محدود المجال ، لا يكتب للزمن كله ، والمكان

كله ، والفكرة نفسها ، بقدر ما يكتب لجيله وعصره ومن يعيش فيه ، ولسوف تلمس فى أسلوبه ، ليونة الانسياب، وعقد المفاصل حين الانتقال من فكرة إلى أخرى ، وقد يفقد أسلوبه أحيانا سلاسته التعبيرية وبساطته العامة . ولكن الفكرة والمعانى ، ستظل دائما موصلة لما نبا عنه . ولسوف تحس من أصداء عباراته على طولها ، لهجة الحديث ، ونغمة النقاش ، وهشيش العواطف ، وحدة الحماسة: كأنك معه فى وقمة نقاش ، تتراوح على وجهك أنفاسه . أما أداؤه فأداء تلقائى يجر فى ركابه مصطلحات عديدة ، تكونت أخيرا فى الميدان الاجتماعى ، من جراء البحث المستند على علوم المنطق والاقتصاد ، والنفس والاجتماع ، وأما تصويره ، فكل ما نملك قوله فيه ، أنه لن يخرج عن خصائصه ، ولا عن طريقته النابعة من رأس العالم المدقق ، وخواطر الأديب المتأمل

وحين نقرأ كتب الغزالى ، ورائدنا البحث عن طبيعتها وطريقة عرضها ، فسنعرف أولا أنها عامرة باللمحات ، ناطقة بقدرة المؤلف على الاستنباط والاستنتاج ، ومدللة على طرافة البحث وجدة جوانبه ومناحيه ، ولكنها لا تدلل كثيراً على أنه مفكر خالص وكاتب أصيل .. فوحدة الموضوع — وإن وجدت فى غالب كتبه — مفقودة الاستغراق والعمق .. ووحدة العرض وجودته ضائعة تحت هذه العناوين العديدة التى تموج بها كتبه، والتى لا تجرى على أساس من التتابع المنسق والتبويب المنظم .. ودقة التقسيم فى الموضوع وفى الكتاب مفقودة العرض والطول ، ولا تشمل عادة كل الأقسام المبتغاة . وسنعرف أخيراً عن طريقة عرضه أنها طريقة هادئة متأملة .. مستطردة ، موسومة بطابع العاطفة والاخلاص وعدم التحيز ؛ وأنها طريقة ذعر منها منهج البحث الحديث . ونعلل ذلك بأن غالب كتبه قد كتب فى مقالات، لتكون « فصولا نابضة بالايمان الحى، والمنطق الذكى، والعاطفة الحارة » ؛ وبأنه قد كتب بطريقة ذاتية محضة ، لا تعتمد إلا على دقتها الخاصة ، وثقافتها المختمرة ، وخواطرها الذاتية ، ولكن ذلك لا يطعن مطلقاً فى سدها لحاجة الجانب الفكرى من الميدان الاجتماعى ، وما نظنه يقلل من أهميتها ، كما لا نزعم لحظة ، أنه سينقص قارئا من عشرات الألوف الذين يقتنون كتبه !!

وهذا المنحى الذى ألممنا بجوانبه ، هو ما يسيطر على ما أخرج الأستاذ الداعية محمد الغزالى فى الحقل النظامى من كتب ، سواء فيها من الاسلام والأوضاع الاقتصادية ، والاسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين ، والاسلام والمناهج الاشتراكية ، وتأملات فى الدين والحياة — ومن هنا نعلم — إلى ما سوف يخرج فى أفق « الملوك » فى كتابه المرقوب « خلق المسلم » ، ولكن هذا المنحى سوف يتغير كثير من جوانبه فى كتابه « عقيدة المسلم » الذى أخرجه فى حقل العقيدة ، ليسد به حاجة الفكرة والشعوب إليه ، غير أن هذا التغيير فى بعض الأحكام ، لن يؤثر على مكانة الغزالى ، كحاجة خاصة فى ميدانها الاجتماعى

ولست أدرى والله ، أكان يجب صدور هذا الكتاب منذ سنوات ؟ أم أنه قد جاء فى وقته الملائم ؟ فقد انتهت العقيدة الاسلامية إلينا الآن ، بل ومنذ أجيال عديدة ، موسومة بعلم « الكلام » ، مربوطة بعجلة المنطق « البيزنطى » مبتوتة الصلة بالفؤاد ، شديدة التآخى مع العقل . بقواه الذهنية الجافة ، ومقاييسه الآلية البحتة ، وموازينه النظرية الخالصة ، مما دفع بالعديد من طلاب العقيدة إلى الهرب من جفافها ، ليقفوا بجوار العامة اليائسين ، فى رحاب التصوف وشطحاته ، باحثين عن الجذوة التى تحيى فى قلوبهم جذور الايمان ، وتنعش فى نفوسهم عاطفة الحب الالهى . وكنا بين ذلك ، فى قفر مجدب من روح الايمان العقيدى ؛ لابتعاد العاطفة الوجدانية عنه ، ولصوق الجفاف الذهنى به . وكانت حاجتنا الشعبية تحتاج إلى غربلته من الحصى ، وتصفيته من الرواسب، وتنقيته من الخلاف، وتشذيبه من التطرف ؛ بل تحتاج إلى أن تكتب موضوعات العقيدة من جديد ، بروح الاسلام الخالد ، الموازنة بين العقل والوجدان ، والمنطق والعاطفة منذ أن عرفنا الفجر الأول للأمل، ومنذ أن عشنا فى فجره الصادق . ولقد خرجت إلى هذا الحقل العقيدى رسائل عدة ؛ ولكنها لم تكن لتحمل روح الايمان المنساب ، وطبيعة العقيدة الصافية ، وأصالة التأليف الكامنة، واستغراق المباحث المتعددة ؛ أما هذا الكتاب ... فقد حمل كل ذلك ، وغربل ، وصفى ، ونقى ، وشذب ، حتى أحسست وأنا أقرأه ..

أننى أعيش فى مشهد الفجر الأول للوجـــود ، وأتصل بالله وبالكون وبالحياة ، اتصالا أليفا لا تنفصم عراه ، وسوف أعود لقراءة ذلك الكتاب كما دبت فى أعصابى معركة ، أو تسرب إلى نفسى قلق ، وإلى روحى اضطراب

وأعتقد أنه من العبث التفكير فى تركيز الكتاب أو فكرته ، ما دامت موضوعاته الشهيرة لا تتجاوز نطاق الإلهيات والنبوات والسمعيات ، وما دام المؤلف الداعية لا يسمح لأحد أن يجمع خيوط كتاب له فى يديه ليعرف هيكله العام . ولسنا نقصد أن المؤلف لم يتبع نهجا معينا فى نسج كتابه ؛ فقد خرج لنا المؤلف فى موضوعه المطروق بتقسيم جديد ، وتمديل كذلك ، وإن كانت موضوعات العقيدة ما تزال هى هى لا تزيد ، اللهم إلا فى فصول يستدعيها العصر الحاضر « كعقيدة الألوهية عند الفلاسفة والعلماء » و « بين النبوة والعبقرية » . والشئ المتبق إذن هو فى معرفة المنارات الرئيسية ، التى وضعها المؤلف نصب عينيه ، حين طبخه لذلك الكتاب ، ومن مقدمة الكتاب ، نقتطف بضع نقاط ترشدنا إلى مناراته العامة : « هذه بحوث فى العقيدة دفعتنى إلى كتابته قلة الرسائل التى تعنى بهذا اللون من علوم الدين ، وتعرضه فى أسلوب يتفق مع حاجة المسلمين المعاصرين »

« وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم فى نسق يخالف ما ألف الناس قراءته عن هـذه الأصول فى مظانها من ثقافتنا الدينية ، لا لأنى سآتى بجديد فى هذا الميدان : بل نزولا على منطق التجارب ، وانتفاعا بما اكتنف جوانب التاريخ الاسلامى من أحداث ، وتوخيا للسير فى هـدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة » . « وقد بذلت جهدى أن أتجنب أشواك الخلاف ، فإذا استطعت طيـه فى السياق المطرد طويته وتجاهلته ، وإذا اضطررت إلى خوضه عالجته على كره ، وذكرت ما استبان لى أنه صواب . وقد أستجهل الطرف المقابل — ولا أكفره — لأن الجهل الفاضح كما ظهر لى ، أساس كثير من المشاكل العلمية المبهمة . وربما لمحت فى أخلاق المجادلين عوجاً ، وفى أسلوبهم عنفاً ، فأوثر مغفرة هذا كله ، على مقابلة السيئة بمثلها ؛ لأننا أمة فقيرة جدا إلى التجمع والائتلاف ، فلندفع ثمن هذا من أعصابنا .. والمرجع إلى الله »

ومع أن الكتاب قد خرج ليسد حاجة المسلمين المعاصرين فى حقل العقيدة ، ويعالج مشاكل العصر ، فإن هذا الكتاب سيقبل الزمن كله والمكان كله ؛ لأن هذه الحاجة وتلك المشاكل فى حقل العقيدة ، هى دائما حاجة كل الشعوب ، ومشاكل كل العصور : يضاف إلى هذه العلة : أن النسق الذى أراد به المؤلف محو آثار الماضى السوداء عن جبين الحاضر فى هذا الحقل ، قد دفعه إلى الحذر والأناة .. فى تعبيره وتصويره وأدائه ؛ وأن طبيعة الموضوع المقســـمة المطروقة ، ووحدانه ... المعبدة ، قد جعلت طريقة العرض لديه فى هذا الكتاب ، حسنة التكوين مقبولة . وهذان الأمران الأخيران ، لم يعرفهما كتاب له من قبل ، وهكذا نجح فى ذلك الكتاب الواقع فى ١٨٠ صفحة من القطع المتوسط ، وسد به حاجة خاصة لدعوة اجتماعية فى الميادين الشعبية .

وكل ما نرجوه ، هو أن نشهد ذلك الكتاب ، مطبوعا بالملايين ، شائعاً بين الشعوب كلها ! . . عسى أن تعرف عقيدة الاسلام فى وضعها الطبيعى الفطرى ! . . وعسى أن تبصر حقائق التوحيد الإلهى .. والقضاء والقدر والجبر والاختيار . . والايمان والعمل .. والخطيئة والثواب . . والخلود ؛ فتنجاب روائح الفساد السياسى والاجتماعى والنفسى .. ، ولعل الخطوة إلى ذلك : أن ندرســـه فى المرحلة الثانية من التعليم الأزهرى ، لنخرج طائفة تبصر جيلهـا بعقيدتها ، صحيحة خالية من الشوائب ، ومع هذا .. فسنظل ننتظر البحث المكتمل الشامل المبتكر .. فى حل العقيدة من الميدان الفكرى ، مبحثا لا يتقيد بموضوعات الماضين ، التى تمت مع الجدل والزمن ، بل يستغرق مسائل العقيـدة فى الكتـاب والسنة ، وأراه لا يكون فى غير فكرة الاسلام الكلية عن « الله : والكون والحياة والانسان » وحينئذ نرجو أن نتعرف إلى لب الاسلام كاملا غير منقوص إن شاء الله

محمد فياض



أخي الأستاذ محمود شاكر

صدقت والله ؛ إنى لم أقرأ ما كتبت فى (الملمون) ولقد فهمت مما قرأت فى الرسالة أن الخلاف على دولة بنى أمية ، فقلت الكلمة التى لا أزال أراها حقا ، وأنا أعتذر إن كنت قد أخطأت الفهم ، أو أسرعت فى الحكم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

علي الطنطاوي

العدالة الدولية :

من أعجب ما قرأناه فى الصحف أخيراً أن أمريكا قررت الامتناع عن الاقتراع أثناء عرض المشكلة التونسية أمام مجلس الأمن ؛ حتى لا تغضب فرنسا ؟! ومعنى هذا أن أمريكا تريد أن تجامل فرنسا على حساب شعب عربى أبى ، يريد أن يتحرر من ربقة الاستعمار

إذن ماهى المهمة الحقيقية لمجلس الأمن ، إذا كانت أمريكا تخشى أن تغضب فرنسا .. أو تخشى إنجلترا أن تغضب أمريكا .. فتمتنع دولة عن الادلاء بصوتها ، وهى تشهد بعينيها — إن كان لهم أعين يبصرون بها أو قلوب يفقهون بها — مآسى الاستعمار تنزل بساحة شعب أعزل من كل سلاح إلا من سلاح الحق

ما هى المهمة الحقيقية لمجلس الأمن .. وكيف يؤدى هذا المجلس رسالته على وجه رضاه العدالة .. والحال كما ترون .. أمة باغية لا يردعها رادع .. وأمة تجامل أمة على حساب شعب هضم حقه ، فلجأ إلى ساحة العدل الدولى ، يحمل فى يمينه مظلمته وشكواه ؟ ...

ولسنا نجهل الباعث الذى استجابت له أمريكا حين امتنعت من الاقتراع ، خشية أن تغضب فرنسا ..

فأمريكا لا تريد أن تغضب اليوم فرنسا ، لكيلا تغضب فرنسا أمريكا فى يوم من الأيام ! ..

فهل هذه هى العدالة الدولية ، التى حققها مجلس الأمن ؟! ..

عيسى متولي

الى أستاذي رئيس التحرير :

لمــاذا . . . لماذا . . .

لماذا .. لماذا تغاضيت عنى .. أما لاحتجابك فى مدى
أفى كل يوم ندق الرسالة كفى ولكن يموت الصدى
فما أنت تسمع هذا النداء .. وما أنت ترحم تلك اليدا
وفيها من الدق جرح عميق — يزول بعطفك إما بدا
أنتركنى — يا أمير البيان — لنفسى ، لجرحى ، هنا منشدا
وما من سميع ، وما من مجيب إلى أن يلف حياتى الردى
ويمضى خيالى مع الهالكين — وشعرى أيذهب مثلى سدى

***

بربك تفسح صدر الرسالة . حتى أخط لنفسى ، الطريق
فكم أنت عيت نبتاً ضعيفا — بفضلك أصبح روضاً وريق
ورويته فاستوى عوده ، وغنى الحياة بلحن رقيق
أفاض على الكون عذب النشيد فأسكره بالشذا والرحيق
ولولاك ما كان إلا صدى خفوتا — بواريه صمت عميق
أتتركنى فى هجير الحياة وأنت أب — من قديم — شفيق
وتهمل شعرى فمن يا ترى بصدر الرسالة غيرى خليق

* * *

ومن يا ترى سيغنى الجراح فيسكن فيها صراخ الألم
سوى شاعر يستلذ الدموع ويقتات من همه المحتدم
أغانيه ، ألحانه .. صورة ، لدنياه .. يرسمها .. بالقلم
يود يرى شعره .. دمه .. يردده كل قلب وفم
فيفرح قبل اقتراب الرحيل وتطوى أغانيه كف العدم
إليك أقدم شكوى الضعيف : فأنت الخصيم وأنت الحكم
فإن شئت أسبغت حولى رضاك فألفيتنى صادحا فى القمم
وإن شئت قيدتنى فى السفوح . أغنى ، أغنى ، هنا ، للرمم

كيلاني حسن سند

(الرسالة) لعل فى نشر الشكوى إشكاء للشاعر الفاضل



من روائع الأدب الروسى

رثاء !...

للقصصى الروسى أنطون تشيكوف

في صبيحة يوم صاح مشرق مات « عضو التحكيم » (كيريل أفانوف بابيلونوف) صريع الداءين اللذين كثيرا ما أوديا بحياة الروس: إدمان الخمر وفظاظة الزوج... وكان الناس في شغل بتشييع موكب جنازته الذى كان في طريقه إلى القبر...

إلا أن (بولافسكي) وهو صديق حميم للفقيد، أسرع فركب عربة أدت به إلى صديق له يدعى (زابوكين). ولزابوكين هذا قدرة على ارتجال الخطب فائقة، فهو يقولها أنى كان وحيثما يدعى، فلا تموقه سنة ولا حمى ولا سكر عن ارتجالها... سواء أكان في مأتم يرثى، أو في حفل يلهج ويشيد، كانت الكلم تتدفق من فيه كالماء غزيرا سلسالا...

وكان هذا ما حدا ببولافسكي أن يسرع إليه، ولا سيما والخطب الذى ألم يحتاج إلى خطيب يعدد مناقب الراحل الفقيد كزابوكين... وقال بولافسكي لزابوكين حينما لقيه:

— إننى آت لأدعوك... فهيا يا صاح ارتد معطفك واتبعنى. لقد مات اليوم أحد زملائى، وموكب جنازته في طريقه الآن إلى القبر. وليس لنا في مثل هذه الخطوب غيرك... ليس لنا من خطيب رات مفوه سواك... ثق ياصاح أنه لو كان الميت وضيما مركزه لما أزعجتك. ولكنه (الأمين)... فلا يليق بنا أن نوسده التراب دون مرات تاق أو خطب تقال...

فتثاءب زابوكين وقال:

— الأمين؟ آه. أتمنى ذلك السكير؟

— إنه هو.. ولكن لاتنس يا عزيزى أن مأدبة عشاء ستؤدب. وأجر العربة سيدفع، هيا ياصاح فاعإليك إلا أن تلقى بإحدى خطابك على القبر.. وستلمس بعينيك مدى إعجاب المشيعين بك وتقديرهم لك..

فأجاب (زابوكين) طالبه دون ما تردد ولا إحجام... وتكلف الحزن العميق تأهبا لما سياتى. ثم قال لصاحبه: إننى أعرف (الأمين).. ذلك الوغد الزنيم.. عليه رحمة الله! وأدركا الموكب وقد بلغ المقابر، وحط النعش على الأرض، ووقفت أم الفقيد وزوجه وأختها تذرفان الدمع الهتون — تبعاً للعرف — وما إن أنزل النعش في القبر حتى أعولت زوجه وصاحت باكية: دعونى أرحل معه. إلا أنها لم ترحل معه؛ مع أن أحداً ممن حولها لم يحل دون ذلك. ولعل ما حال دون أن تشاركه رمسه ذلك الراتب التقاعدى الذى ستتناوله. أما (زابوكين) فقد

خطوط

نشرت الرسالة في عددها ٩٧٧ ٥ قصيدة بعنوان (خطوط) للأستاذ محمد مفتاح الفيتورى، فدفعنى جمال شعره إلى إنعام النظر فيه، والتعقيب عليه بكلمة لا تفى عما يدور في القلب؛ ومن العلامات الرئيسية على مكانة الشعر في النفوس، ووقعه الجميل في القلوب، النقد البرئ له وإبداء الرأى الصحيح فيه

يقول الشاعر في وصف الحصير العتيق:

حصير تقادم حتى يكا د يخضر يرجع عشباً نضير

وكل ما نعلم أن الحصير المتقادم يسود ويعفن إن كانت هناك رطوبة، كما هو شأن حصر الفقراء، وكيف يكاد يخضر ويعود إلى عشب نضير؟ ويسند في بيت آخر الإعراق إلى « معول » فيقول:

وعرق معوله في تراب ليالية محتفرا رمسه

ولا أستطيع أن أتصور — في حدود طاقتى التصويرية — إعراق « المعول » في التراب، إنما الذى أستطيع تصوره هو الهدم به، وإعماله والتدمير به

وختاما أود أن تكون هذه الكلمة بداءة صداقة متبادلة بين شاعر رقيق وقارئ معجب بشاعريته

سورية عفيف الحسبى

سكت حتى شمل الجمع السكون ، فأدار بصره فى الحاضرين وبدأ خطبته قائلا :

يا ترى أبصرى وسمعى صادقان ؟ ! أم أننى أشهد حلماً مرعباً يبدو لى فيه هذا الرمس المظلم الرحيب وهذا الحشد الباكى الحزين وا أسفاه ... إنها الحقيقة . فليس ما أراه حلماً ، وليست أبصارنا — ويا للأسف — بخادعة .. إن من كان حتى الأمس يفيض صحة ونشاطاً .. قد مات ووورى التراب وأصبح ذكرى تستدر الدمع الساخن الغزير . لقد سلبه الردى منا ، وهو لا يزال فى عنفوان قوته وبهائه .. وأوج فتوته ونشاطه وإن يك متقدما فى السن .. أية خسارة منينا بها .. من ذا الذى يستطيع أن يحتل مكانه فى قلوب عارفيه .. لدينا أيها السادة كثير من الموظفين .. إلا أن (بروكوفى أوزبتش) كان جوهرة يتيمة فيما كان يزدهى به ويفخر . وكان أيها السادة — المثل الأعلى للرجل الكامل الرفيع بخلقه ، السامى بنفسيته . لقد كان الفقيد يأبى الرشوة فلم يرتضها يوما . وكثيراً ما كان يبدى مقته واحتقاره لمن كان يلح عليه فى أخذها وتقبلها . لقد كان يرفضها كل الرفض ويزدرى ضعاف النفوس ممن كانوا على نقيضه . كما لا أظنكم تجهلون أنه كان يهب راتبه التافه على مشهد منا لزملائه المعوزين وها أنتم الآن تسمعون بآذانكم نحيب الأرامل والأيامى اللاتى كن يمشن من فيض إحسانه . لقد ذهب ذلك الذى وهب حياته للبر ، ونذر نفسه للخير ، وإنكم لا تعلمون بلا شك — أيها السادة — أنه كان أعزب ولم يزل كذلك حتى وسد التراب ... إننى لأتصوره الآن بوجهه المشرق الحليق وبسماته الحالمة العذاب، ويخيل إلى أننى أكاد أسمع صوته الرؤوف الذى كان يفيض حنانا ويقطر رقة وإخلاصا . فإلى رحمة الله يا (بروكوفى أوزبتش) ... إلى الجنان الخوالد أيها العزيز .. وداعاً أيها الراحل الكريم ..

وكان الخطيب مبدعا حقا فى إلقائه فأحرز بهـا إعجاب السامعين .. إلا أن العارفين منهم بالميت أدهشهم مما قاله أشياء . ذلك أنهم لم يفقهوا علة ذكر الخطيب اسم الميت على أنه (بروكوفى أوزبتش) مع أنه كان (كيريل أفانوفتش) وثانيا أن الكل كان لا يجهل أن الميت قضى حياته فى تعكير صفو حياة زوجه ، فكيف يقول الخطيب إنه كان أعزب ؟ وأخيرا لقد كانت للميت لحية حمراء كثة ولم يك بحالقها .. فلماذا يصفه الخطيب بأنه كان حليقها ؟!.. واشتد عجب السامعين وتبادلوا الهمس والنظرات .. وهزوا أكتافهم ساخرين

وتابع الخطيب كلامه : « إى (بروكوفى أوزبتش) لقد كان وجهك شاحبا مرعبا .. إلا أننا كنا نعرف أن وراء ذلك قلبا طاهرا نبيلا ونفسا كريمة » . وما لبث السامعون أن لحظوا على الخطيب دهشة بلغت حد الذهول . فقد اتجه بصره إلى ركن من الحشد ، ثم التفت إلى بولافسكى زائغ البصر ، وقال بصوت متهدج : إنه حى !

— من تعنى ؟ !

— بروكوفى أوزبتش . إننى أراه واقفا عند القبر !

— ومن قال لك إنه الميت . ؟ إن الذى مات هو (كيريل إيفانوفتش) أيها الأبله ..

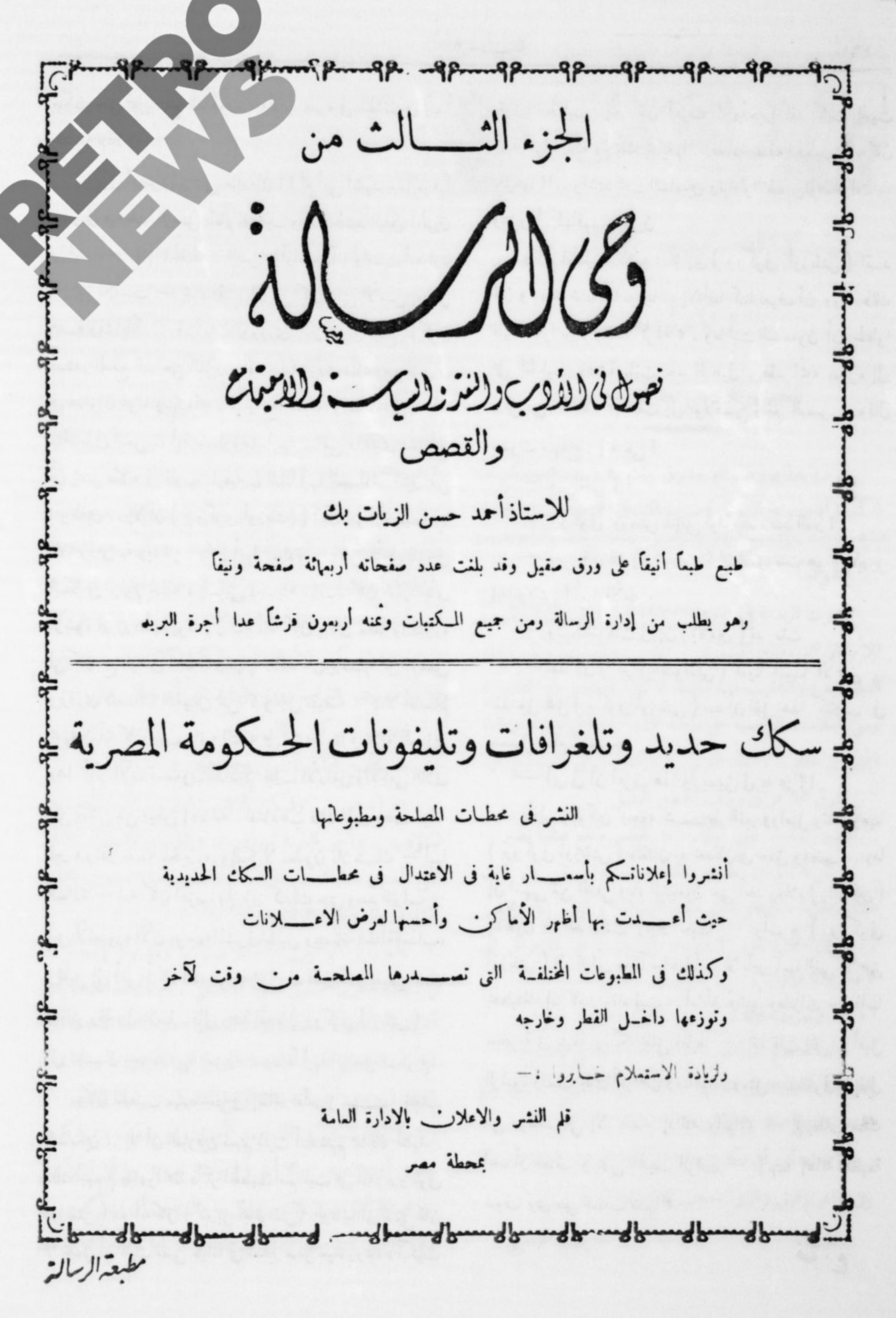
— ولكنك قلت لى إن (الأمين) قد مات

— لقد كان (كيريل أفانوفتش) أميننا أيها الأحمق .. لقد حل محل (بركوفى أوزبتش) بعد أن نقل هذا ككاتب فى مستهل العام المنصرم

— أنى لى أن أعرف هذا ولم يسبق لى به علم ؟ !

فأدار زابوكين وجهه شطر القبر وواصل رثاءه وعينا (بروكوفى أوزبتش) عالقتان به تحدقان فى حنق وغضب .. وما إن انتهى من الدفن وعاد المشيعون حتى أخذ زملاء (زابوكين) يلمظون ... لقد دفنت رجلا حيا ... وأسرع (بروكوفى أوزبتش) إلى الراثى حانقاً ساخطاً : لا بأس أيها الغبى الأحمق بخطبتك إذا كانت رثاء لميت .. أما أن ترثينى وما زلت حيا فإنها سخرية بى بليغة وتهكما بخالق فظيعا ... لقد قلت إننى لم أقبل الرشوة ولست بذى أغراض ومنافع .. ومثل هذا القول لا يقال عن موظف حي إلا بقصد إدانته واتهامه ... لم يطلب منك أحد أن تصف وجهى المخيف المرعب ... إنها إهانة فظيعة سوف ترى منى العقاب عليها »

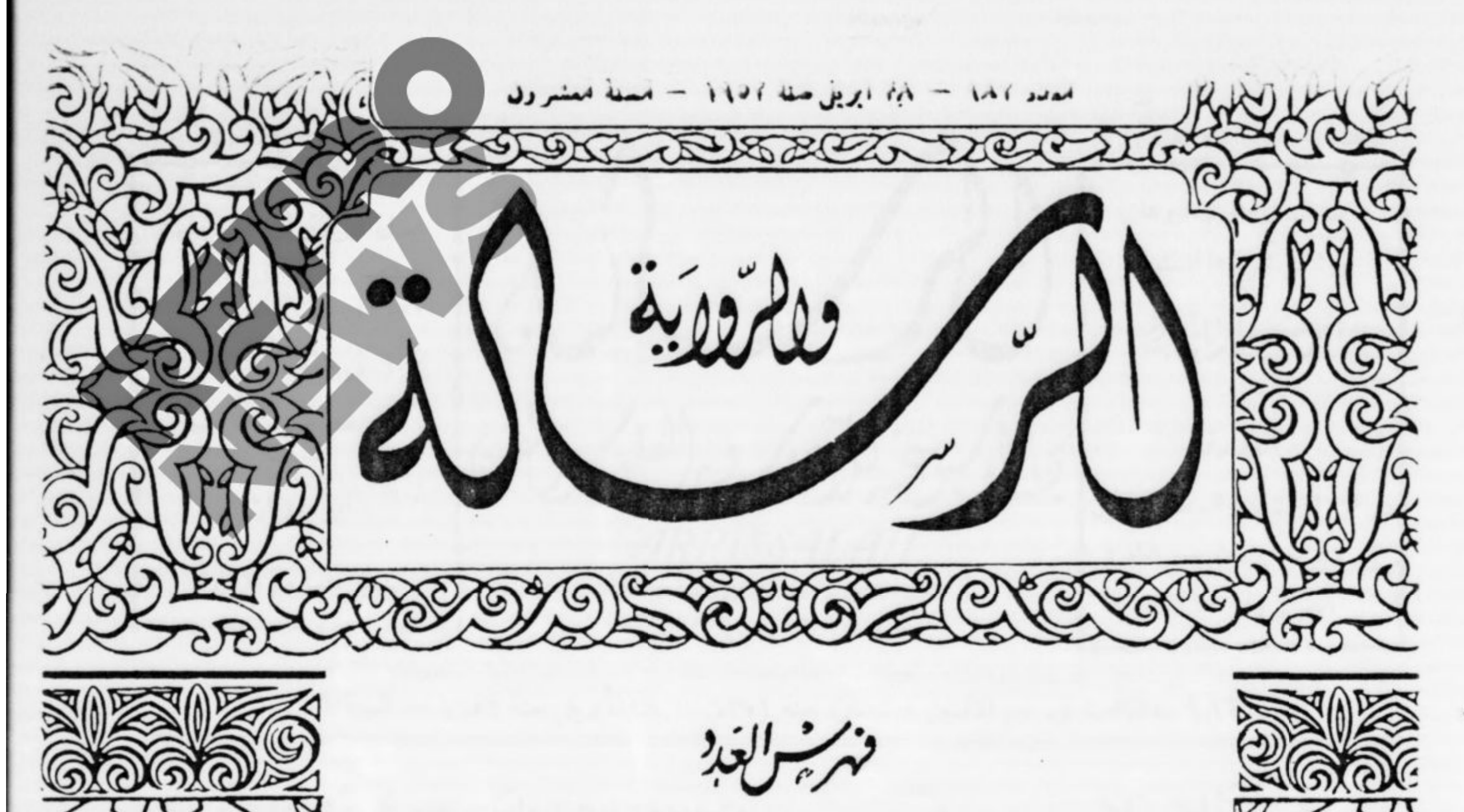
ف . ع



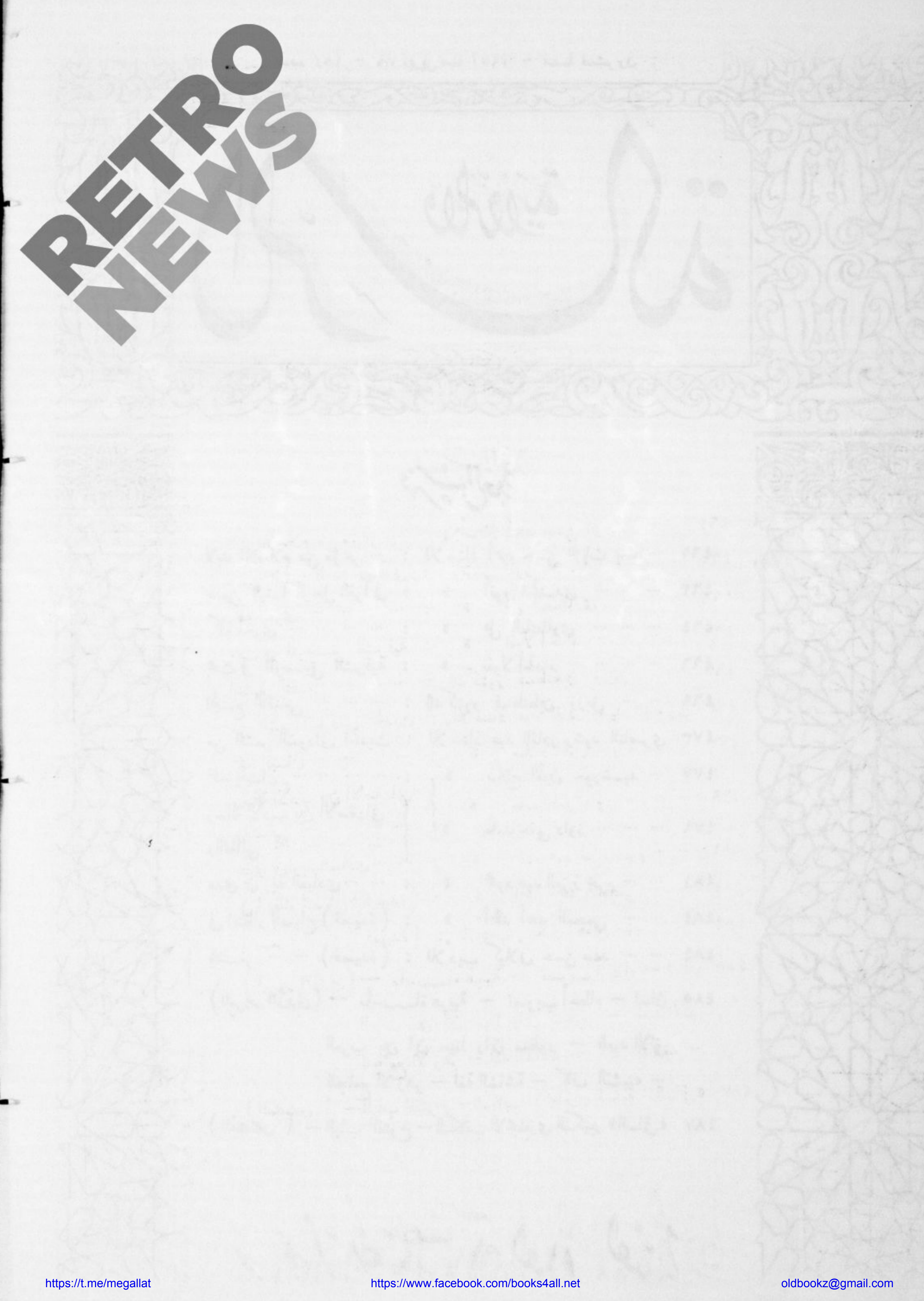
الجزء الثالث من
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للاستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
النشر في محطات المصلحة ومطبوعاتها
أنشروا إعلاناتكم بأسعار غاية في الاعتدال في محطات السكك الحديدية
حيث أعدت بها أظهر الأماكن وأحسنها لعرض الاعلانات
وكذلك في المطبوعات المختلفة التي تصدرها المصلحة من وقت لآخر
وتوزعها داخل القطر وخارجه
ولزيادة الاستعلام خابروا :—
قلم النشر والاعلان بالادارة العامة
بمحطة مصر
مطبعة الرسالة

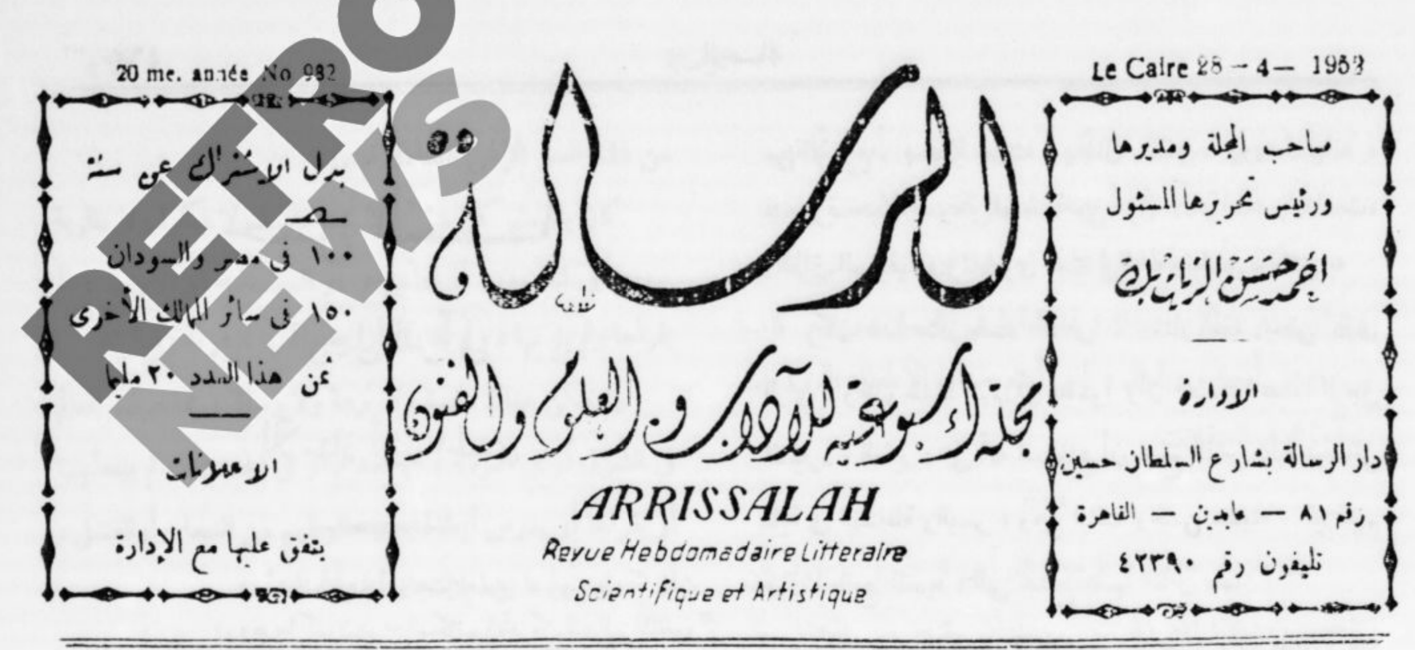


العدد ٩٨٢ — ٢٨ ابريل سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد





20 me. année No 982

Le Caire 28 - 4 - 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٧١ — ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

لابد للإسلام من مؤتمر

ذلك عنوان مقال كتبته فى مارس من عام ١٩٤٢ ، ونار الحرب العالمية الاستعمارية تستعر فى مواطن الإسلام وأقطار العروبة ، والمسلمون والعرب يصلونها ولا رأى لهم فيها ، ولا رجية لهم منها ؛ وإنما كانوا وما زالوا كعبيد الأرض ، يملكهم من يملكها ، ويستغلهم من يستغلها

أهبت فى تلك الكلمة برجال الدين — وهم المسئولون الأولون عن تنبيه المشاعر وتوجيه القلوب — أن يكون لهم ما للمبشرين والمستعمرين والمستشرقين من مؤتمرات تعقد العام بعد العام فى الدولة بعد الدولة . وذكرتهم أن الله قد فرض على المسلمين مؤتمرا سنويا بمكة حين فرض عليهم الحج ؛ لأنى لا أعلم لحج البيت وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة ، حكمة أسمى من اجتماع المسلمين من فجاج الأرض وآفاقها فى وقت واحد، على صعيد واحد، ليتذاكروا فى أمور دينهم ، ويتشاوروا فى شؤون دنياهم . ولقد قلت فيما قلت : « لابد للإسلام من مؤتمر يجمع زعماء الرأى فى أهله ، ليجددوا ما درس منه ، ويوضحوا ما التبس فيه ، وينفوا عنه ما غشيه من أساطير القرون وأضاليل النحل ، ويجلوه للناس كما كان ، صالحا للحياة ، كافلا للفوز ، ضامنا للسعادة . وليس مما نطمع فيه أن يجتمع هذا المؤتمر اليوم ؛ فإن الزلزلة التى لا تنفك آخذة بأقطار الأرض وأفكار الناس تجعل المقبلات والسدود من دونه ؛ ولكننا نطمع أن يفكر أولو الأمر فيه ويهيئوا الأسباب له ؛ حتى إذا عادت السلم وتلاقى زعماء الأمم حول الموائد الخضر لإقرار السلام الدائم ، واختيار النظام الملائم ، اجتمع كذلك علماء الإسلام ليعرضوا على العقول الحائرة والأجسام الخائرة نظام الله ، خالصا كما أوحاه ، صافيا كما أنزله . نعم لابد للإسلام من مؤتمر يقيم بين البهرج والصحيح حدا من نور الحق يجتمع عليه القطيع الشارد ، ويهتدى إليه الركب الضالل . ولكن ليت شعرى من الذى يفكر فى هذا المؤتمر ويعمل له ويدعو إليه ؟ لقد عقدنا الآمال بالأزهر فى كل ذلك ، فهل عقدناها بلعاب الشمس ؟ إن علماء الدين هم الطوائف التى نفرت من كل فرقة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم . فإذا تفقهوا ولم ينذروا ، أنكروا ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به . وليس الإنذار أن يلهجوا بذكر الحساب والعذاب ، وإنما الإنذار أن ينبهوا المخطئ ، ويوجهوا الحائر ، ويرشدوا الغوى ، وينصبوا فى مجاهل الأرض أعلام الطريق »

ذلك بعض ما قلناه منذ عشر سنين فى هذا المعنى فلم يستجب له اليوم غير الباكستان ! والباكستان مشرق من مشارق الشمس سيسطع فيه الإسلام من جديد ، فتعشو على أضوائه الهادية أمة السلام والتوحيد !

أحمد حسن الزيات

حسن البنا

الرجل القرآني

للأستاذ أنور الجندي

« أشهد أنني لم أغير شيئا من « روح » كتابات «روبيرجاكسون» — الكاتب الأمريكي لذي التقى بالمغفور له الأستاذ حسن البنا سنة ١٩٤٦ واجتمع به طويلا — ولكني أخذت (معالم) كتاباته وملاحظاته وخطوط بحثه ، كما أرسلها إلى صديق بطلب العلم في (واشنطون) ، وأضفيت عليها من الأسلوب الأدبي ما يجعلها قريبة من مستوى (الرسالة) « ا . ج »

لم أكن أظن أن الوقت قد حان بعد للكتابة عن رجل هز تاريخ مصر والشرق الحديث هزة قوية ، تركت فيه آثارا حية لا يمكن إنكارها أو تجاهلها أو النقض من قدرها ، هي تلاميذه وحواريوه الذين لازالون على درجة من القوة والفاعلية

كنت أظن أن أمر هذا الرجل سيظل إلى وقت ما مبهما ، يراه بعض الناس قديسا من القديسين ، ويراه غيرهم طاغية من الطغاة ؛ ولكن الحوادث في مصر قد أسرعت فأعادت إلى « الإخوان » مظاهرهم الذي تجلى في صورة من القوة ، أعادت إلى الأذهان أثرهم المعروف في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية في مصر

وقد اختلف الناس في أمر كل «عظيم» وعبقري ونابغة ، ولم يجتمعوا على رأى فيه مادام حيا ، ولكن الموت يحسم الأمر دائما ، ويصرف عن صدور الناس أوهامها ويردها إلى شيء من الحق ، فتحكم متجردة من الهوى

وكان ضروريا أن يختلف الناس في هذا الرجل ، وكان حتما أن تفيض بعض النفوس بضروب من الحقد والحسد نحو رجل استطاع أن يجمع حوله الناس ، وأن يؤلف بين طائفة ضخمة من الأتباع ، بسحر حديثه ، وجمال منطقه ، وروعة بيانه ، فتنصرف هذه المجموعة الضخمة من حول الأحزاب ، والجماعات ، والفرق الصوفية ، وتنضوى تحت لوائه ، وتطمئن له وتثق به

كان هذا مثار حسد الناس ، ومثار حقد بعض ذوي الرأى ، وكان خليقا بهم أن ينقموا وأن يحسدوا هذا الرجل المتجرد ، الفقير ، على أنه استطاع أن يجمع الناس إليه بوسائل غاية في البساطة واليسر ، وهي لباقته وحسن حديثه .. فيرفعهم فوق المطامع المادية ، التي يجتمع عليها الناس عادة

وكان طبيعيا أن يتنكر له بعض الناس ، وأن يذيعوا عنه بعض المرجفات ، فليس أشد وقعا في نفوسهم من أن يسلبهم أحد سلطانا كان لهم . وليس أبعد أثرا في نفوسهم أن يجيء رجل من صميم الشعب ليجمع الناس حوله باسم القرآن ، ويقول لهم إن الله قد سوى بين الناس بالحق ، وجعل فضيلتهم عنده على أساس العمل والتقوى

خيل إلى بعد أن انطوت حياة الرجل على هذه الصورة العجيبة ، وثار حولها ذلك الغبار الكثيف ، أن وقتا طويلا يجب أن يمر قبل أن يقول التاريخ الحق كلمته ، ويروى المؤرخ النزيه قصته

غير أن الظروف السياسية في مصر سرعان ما تغيرت ، وأمكن أن يكشف التحقيق في بعض القضايا بطلان كثير مما وصمت به دعوة الإخوان من ادعاءات ، وأن يبرأ جانب هذا الرجل بالذات فيبدو نقيا طاهرا

وكنت قد التقيت بالرجل في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، ثم عدت إلى القاهرة مرة أخرى سنة ١٩٤٩ بعد أن قضى ، وحاولت أن أتصل ببعض الدوائر التي تعرفه فسمعت الكثير مما صدق نظرتي الأولى إليه

فقد علمت أنه كان في أيامه الأخيرة يحس بالموت ، وكان الكثير من محبيه ينصحه بالهجرة أو الفرار ، أو اللياذ بتقية أو خفية ؛ فكان يبتسم للذين يقصون عليه هذه القصة وينشد لهم شعرا قديما :

أى يومى من الموت أفر   يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه   ومن المقدور لاينجو الحذر

وكان لاينى لحظة عن محاولة استخلاص أنصاره من الأسر، وكان يبلغ به الأمر مبلغه ، فيستيقظ فى الليـل ، ويضع كفتا يديه على أذنيه ، ويقول : إننى أسمع صياح الأطفال الذين غاب آباؤهم فى المعتقلات

٥٥٥

إن تاريخ جهاد « الرجل القرآنى » طويل . . ولـكن أخصب سنواته أيام الحرب . . منذ أن خرج من المعتقل عام ١٩٣٩ ، فى هذا الوقت الذى شغلت الحرب الدنيا جميعها ، من الأحزاب ، ومن السياسة ، وعن كل شئ ، كان الرجل لاينام، كان يسعى ويطوف ويذهب إلى كل قرية وكل نجع وكل دسكرة يفتش عن الشباب ، ويحدث الشيوخ، ويتصل بالعظماء والعلماء ، ويوما بهر الوزراء ، وأعلن بمضوم الانضمام إلى لوائه الخفاق ، وجيشه الجرار

وحاول الإنجليز أن يقدموا عروضا سخية . . فرفضها الرجل فى إباء . ونامت الأحزاب فى انتظـار الهدنة ، وظـل الرجل الحديدى الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة لا يتعب ولا يجهد ، كأنما صيغت أعصابه من فولاذ

لقـد كان يحب فكرته حبـا يفوق الوصف ، ولم يكن فى صدره شئ يزحم هذه الدعوة . كان يعشق فكرته كأنمـا هى حسناء ! لا يجهده السهر ، ولا يتعبه السفر ، وقـد أوتى ذلك العقل العجيب ، الذى يصرف الأمور فى يسر ، ويقضى فى المشاكل بسرعة ، ويفضهـا فى بساطة ، ويذهب عنهـا التعقيد

كان لا يحتاج إلى الإسهاب ليفهم أى أمر ، كأنمـا لديه أطراف كل أمر ، فمـا أن تلقى إليه أوائل الـكلمات حتى يفهم ما تريد ، بل أحيانا كان يجهر بما تريد أن تقول له ، ويفتق لك فيما تريد أن تسأل عنه

كان نفاذ البصيرة ، نقادها ، يرى ما وراء الأشباح ، فيه

من ذلك السر الإلهى الصادق قبس

كان يلتهـم كل شئ ، لا يجد علمـا ولا فكرا ولا نظرية جديدة فى القانون ، أو الاجتماع أو السياسة أو الأدب ، لم يقرأها ولم يلم بها ، ولم يحاول أن يفيد منها لدعوته وفكرته

ولم تكن هناك دعوة ولا نزعة ولا رسالة ، مما عرف العالم فى الشرق أو فى الغرب ، فى القديم أو فى الحديث . . لم يبحثهـا أو يقرأها أو يدرس أبطالها ، وحظوظهم من النجاح أوالفشل ، أو يحمل منها ما يصلح لتجاريبه وأعماله

كان يقول كل شئ ، ولا تحس أنه جرح أو أساء . . وكان يوجه النقد فى ثوب الرواية أو المثـل ، وكان يضـع الخطوط ويترك لأتباعه التفاصيل

كان قديرا على أن يحدث كلا بلغتـه وفى ميـدانه وعلى طريقته ، وفى حدود هواه ، وعلى الوتر الذى يحس به، وعلى « الجرح » الذى يثيره

ويعرف لغات الأزهريين والجامعيين والأطباء والمهندسين والصوفية وأهل السنة ، ويعرف لهجات الأقاليم فى الدلتا وفى الصحراء وفى مصر الوسطى والعليـا ، وتقاليدها ، بـل إنه يعرف لهجات الجزارين والفتوات ، وأهالى بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات معينة بارزة ، وكان فى أحاديثه إليهم يروى لهم من القصص مايتفق مع ذوقهم وفهمهم

بل كان يعرف لغة اللصوص وقاطعى الطرق والقتلة ، وقد ألقى إليهم مرة حديثا

وهو يستمد موضوع حديثه — أثناء سياحاته فى الأقاليم وفى كل بلد — من مشاكلها ووقائعها وخلافاتها ، ويربطه فى لباقة مع دعوته ومعالمها الـكبرى ، فيجئ كلامه عجبا . . يأخذ بالألباب

كان يقول للفلاحين فى الريف « عندنا زرعتان . . إحداها سريعة النماء كالقثاء ، والأخرى طويلة كالقطن »

لم يعتمد يوما على الخطابة ، ولا تهويشها ولا إثارة العواطف على طريقة الصياح والهياج . . ولـكنه يعتمـد على الحقائق ،

كلمة أخرى

للأستاذ علي الطنطاوي

سيدي الاستاذ عبد الجواد رمضان

ما تشرفت بمعرفة شخصك ، ولكن تشرفت بتلاوة فضلك الذي يدل على فضلك ونبلك ، وأنا أعترف يا أستاذ أني لم أقرأ مقالات أخي الأديب الضليع الأستاذ محمود شاكر في (المسلمون) ولم أطلع إلا على الجزء الأول من هذه المجلة ، ولست مشتركا فيها (مع الأسف) ، ولا تباع في مكتبات دمشق فأراها ، ولا أقول بذم أحد من الصحابة فضلا عن القول بكفره والعياذ بالله أو نفي الإسلام عنه ، ولا أنتقص بني أمية أقدارهم ولا أسلبهم فضائلهم ، ولئن كنت كتبت مقالة في تمجيد بني أمية بالحق ، لأكتبن مقالة في نقدهم بالحق . وما بنو أمية ولا غير بني أميـة ، ولا شيء في الدنيا إلا وفيـه ما يمدح وما يذم ، والكمال المطلق لله وحـده ، والعصمة للأنبياء . ولقد قال مثل مقالتي رجل فأنكرها عليه ، ثم قبلها منه — من هو خير مني ومنك ، ومن أهل الأرض : محمد رسول الله ، حين قال له الرجل : يارسول الله ، رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت

فقال الرسول صلوات الله عليه : إن من البيان لسحرا

فليس يرد على ما أوردته من فضل معاوية ومناقبه ، ولست أنكره ، ولكن قل لي : هل تنكر أنت أن معاوية بشر يخطىء ويصيب ؟ وهل تنكر أن الاسـلام حجة على معاوية ، ومعاوية ليس حجة على الاسلام ؟

فما حكم الاسلام في البدعة التي ابتدعها معاوية ؟

هذا هو موضوع الكلام

* * *

لقد قبض رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ولم يستخلف ، واستخلف أبو بكر ، وتركها عمر لمجلس الستة ، كل هذا معروف ولكن هل نال عمر الخلافة بعهد أبي بكر ؟

لا يا أستاذ . وهذه الأخبار استقصيتها في كتابي (أبو بكر) وكتابي (عمر) وقد جمعت فيه ما تفرق من سيرة عمر في سبعين ومئة كتاب ، وعزوت كل جمـلة فيه إلى مصدرها ، والأخبار كلها على أن أبا بكر لما أحس الموت أمر النـاس أن يختاروا لأنفسهم ، فتركوا ذلك إليـه ، فاختار لهم عمـر وعرض ذلك

وهو يستثير العاطفة بإقناع العقل ، ويلهب الروح بالمعنى لا باللفظ ، وبالهدوء لا بالثورة ، وبالحجة لا بالتهويش

ويعد «الحديث» عند بعض الناس آيته الكبرى ، غير أني علمت من بعض المتصلين به .. أنها آخر مواهبه ، فقد كان أبلغ مواهبه القدرة على الإقناع ، وكسب «الفرد» بعد «الفرد» فيربطه به برباط لا ينفصم ، فيراه صاحبه صديقا خاصا ، وتقوم بينه وبين كل فرد يعرفه صداقة خاصة خالصة ، يكون معها في بعض الأحيان مناجاة ، وتنتقل بالتعرف على شؤون الوظيفة والعمل والأسرة والأطفال

وهذه أقوى مظاهر عظمته ، فهو قد كسب هؤلاء الأتباع فردا فردا ، وأصاب منابع أرواحهم هدفا هدفا ، وإن لم يكسبها جملة ولا على صفة جماعية ، وقد استطاع بحصافته وقوته وجبروته أن ينقلهـا من عقائدها وأفكارها ، سواء أكانت سياسيـة أم دينية ، إلى مذهبه وفكرته .. فتنسى ذلك الماضي ، بل وتستغفر الله عنه ، وتراه كأنما كان إثما أو خطأ

ومن أبرز أعمال هـذا الرجل ، أنه جعل حب الوطن جزءاً من العاطفة الروحية فأعلى قدر الوطن وأعز قيمة الحرية ، وجعل ما بين الغني والفقير حقا وليس إحسانا ، وبين الرئيس والمرءوس صلة وتعاونا وليس سيادة ، وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطا

وتلك من توجيهات القرآن ، غير أنه أعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل

(يتبع) أنور الجندي

عليهم فقبلوا به ، فلما مات بايعوه فصار خليفة بالبيعة ، أى بالانتخاب الحر ، لا بالعهد ، وكذلك كان عثمان بن عفان خليفة من بعده بالبيعة . إن الاسلام لم يحدد أسلوب الحكم ، وترك ذلك لرأى الأمة ، ولكنه وضع أساساً لا يمكن إقامة الأمر إلا عليه ، وهو الشورى والانتخاب الحر ، فإذا انتخبت الأمة رجلا وبايعته حرم الخروج عليه ، ومنازعته الأمر ، لئلا تعم الفوضى ، والفوضى أكبر ضرراً على الأمة من الاستبداد

ومعاوية جاء ببدعتين :

الأولى : أنه انصرف عما وضع فى عنقه من أمانة الحكم ، والنظر لمصلحة الأمة ، إلى تمهيد الأمر لابنه يزيد من بعده ، جمع لذلك فكره ، وسخر لذلك ماله وسلطانه ، فصارت سنة من بعده ، أدت إلى إضاعة أمر المسلمين بانصراف الخليفة عنه إلى أمر ولده ، وإلى تولية من لا يصلح للولاية

الثانية : أنه حول الانتخاب الاسلامى الحر الصحيح إلى نوع من الترغيب والترهيب والتدخل ، ولو أن المسلمين كانوا أحراراً فى انتخاب من يخلف معاوية ما انتخبوا يزيد ، ولا يخلو من فضائل . ولكن هل كان يزيد أتقى الناس ؟ أو هل كان أعلم الناس ؟ أو هل كان أحق الناس بالخلافة ؟

وهل سار يزيد بالدولة سيرة أبى بكر وعمر ؟ أم أظهر المحرمات ، وجرأ الناس على الباطل ؟ ومن أطلق لسان الأخطل الشاعر النصرانى فى أنصار رسول الله إلا يزيد ؟ من فعل بالمدينة مالا تفعله الروم والمغول إلا يزيد ؟

إنه إذا قيل عن الأسود أبيض ، يقال عن الأبيض لا محالة أسود . فإذا كانت حكومة يزيد وأمثاله حكومة إسلامية ، فإن حكومة عمر لا تكون إسلامية ، لأنهما متناقضان مختلفان

وإذا كان عهد معاوية إلى يزيد من الإسلام ، فإن صرف عمر الأمر عن عبد الله ليس من الإسلام . هذا إن كانا متشابهين متكافئين ، فكيف وهذا يزيد ، وذاك عبد الله !

٠ ٠ ٠

وأنت تذكر يا أستاذ أن الذى قال عن معاوية « لقد جعل الأمر كسرويا قيصريا ليس على الطنطاوى ! وأنت تعلم يا أستاذ رأى عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين فى أهله من بنى أمية ، وفى حكمهم ، وفى الحجاج وأمثاله خاصة !

وأنا أشكر لك نصحك الناس ألا يلوثوا ألسنتهم بدماء القوم ، وأنا أول من يسمع هذا النصح ، وما بى والله عداوة الأمويين ، ولا محبة غيرهم ، ولكن المقام مقام الدفاع عن الاسلام ، ببيان حكمه فى حكم بنى أمية ، لئلا يحمل أحد سيرتهم على الدين فيقتدى بهم ، فيضل عن سبيل الحق

على الطنطاوى

بحث في الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

الموسيقى: فلسفة وعلم وفن.. فهي إذن بنت الطبيعة والفكر والاجتماع، فلابدع أن يعنى بها الفلاسفة والعلماء وأصحاب الفن ويضعوا لها قواعد وقوانين، بل هي أولى من كل ظاهرة كونية للدرس والتقرير والاستنباط

والصوت منذ القديم من قبل التاريخ مستند الإنسان في التعبير عن عواطفه وميوله وآماله. هو أصدق آلة للتعبير. فبالأحرى أن تكون الأنغام والألحان أداة لتفسير ما يطرأ على النفس من شعور داخلي. ولا بدع أن يتصدى علامة في الأنغام لشرح القوانين الموسيقية من جميع نواحيها، ويبحث البحث الفلسفي في شؤونها، ويدرس الدرس الفني للأنغام والألحان والتطريب

لابدع أن يتصدى لهذا البحث العلامة الأستاذ ميخائيل خليل الله ويردى فيؤلف كتاب فلسفة الموسيقى الشرقية في أسرار الفن العربي. ولعله من قبيل التواضع لم يقل فلسفة الموسيقى الشرقية والغربية على الإطلاق وكل ما يمت للموسيقى بسبب. وقد ملأ في هذا البحث نحو ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير، وتواردت إليه رسائل من كبار العلماء وكبار الساسة وكبار الكهنوت من أمم مختلفة من الشرق والغرب مثنين على كتابه. وكان أهم هذه الرسائل رسالة من العلامة العظيم جوليان هكسلي مدير مؤسسة اليونسكو العالمية يشكر له فيها مجهوده البالغ في إخراج هذا الكتاب الفذ، ويعده فيها أنه متى بلغ مشروع اليونسكو أشده سيعمل على ترجمة كتابه هذا إلى اللغة الأكثر شيوعا لكي تكون فوائده واسعة النطاق

وقد رد المسيو جيم توريس جوده المدير العام لمنظمة اليونسكو على كتاب المؤلف المصحوب بنسخة من الكتاب الذي نحن بصدده وعلى نسخ من محاضراته عن الموسيقى في بناء السلام العام يبلغه في رده أن المؤسسة العالمية لليونسكو مهتمة الاهتمام التام الذي أثاره عمله لديها. وقد رشح الأستاذ خليل الله ويردى لجائزة نوبل، واهتمت هذه المؤسسة بهذا العمل الجليل، ووعدت بالالتفات الذي يستحقه عمله، وهي ترى أن ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية يسهل عمل المحكمين. وحبذا لو تصدى أحد الأدباء للترجمة وخابر الأستاذ خليل المؤلف في هذا الشأن واتفق معه على الترجمة. ولا ريب أن ترشيح اليونسكو للمؤلف لدى منظمة نوبل هي خطوة شريفة قد تؤدي إلى الحصول على الجائزة التي ليست مقصودة بالذات من عرض الكتاب على المؤسسة؛ بل المقصود هو الحصول على هذا الشرف الكبير الذي سيتمتع به العالم العربي كله

الموسيقى العالمية

بحث الأستاذ خليل الله ويردى في الموسيقى عند جميع الأمم الغربية والشرقية الدنيا والشرقية القصوى. وطرق الموضوع من جميع أبوابه ولم يترك فيه شاردة ولا واردة. وأسهب جدا في السلالم الموسيقية على اختلاف أنواعها وأوطانها، لأن السلالم هي نوى الموسيقيات وهي ينبوع الألحان وروح التطريب والطرب

السلم الموسيقي (أو الموسيقية) ليست غريزة طبيعية في أصل هذا الفن البديع الجميل، بل هي نزعة وطنية أو إقليمية. وليست من حتميات الطبيعة، إلا أن للسلم طرفين: قراراً وجواباً، وكل منهما ضد للآخر. هذا ومن سنن الطبيعة أن يكون بين القرار والجواب تجاوب أو اتفاق في الاهتزازات الهوائية الصوتية بحيث يكون الثاني مضاعف الأول في عدد الاهتزازات، وبين الطرفين سلم يتدرج في نغمات يسميها بعض الموسيقيين مقامات. ويمكن أن يصعد السلم من جواب لجواب أعلى فيصبح الجواب الأول قراراً للجواب الأعلى وهكذا دواليك. فيترقى السلم إلى سلالم متوالية كل منها جواب لما تحته وقرار لما فوقه. وقد ينتج من هذا الارتقاء سبع سلالم على الأقل كما هو الأمر في البيانو الاعتيادي

وتختلف النغمات أو المقامات باختلاف ذبذبات الوتر أو اهتزازاته ، أو اهتزازات عمود الهواء المنفوخ فى القصبة أو أية أنبوبة موسيقية حين تعزف أو تنقر . والشيء الطبيعى فى درجات السلالم هو أن ذبذبات أية درجة هى مضاعف ذبذبات الدرجة التى تقابلها فى السلم الذى تحته . وفى جميع الموسيقيات المعروفة فى الغرب والشرق السلم ذو السبع درجات الأصلية، وقد يتفرع منها أجزاء درجات كأنصاف وأرباع وأثمان و١/٣٢ كما سيأتى بيانه . وللغناء عند القبائل الهمجية سلالم بسيطة جداً قد لا تبلغ سبع درجات حتى ولا أربع درجات . والله أعلم

ولا أدرى إن كان تقسيم السلم إلى سبع درجات تقسيماً طبيعياً . ولعله طبيعى لأن للنور سلالم موجية على مثال السلالم الموسيقية ، وكل سلم نورانى هو جواب لما تحته وقرار لما فوقه إذا شبهت هذا بذاك . لأن فى الطبيعة إشعاعاً كهرطيسياً ذا تموجات مختلفة الطول والمدد فى الوقت . وهى تموجات أثيرية على حد تموجات الهواء الصوتية والموجات الكهرطيسية طبقات ؛ وكل طبقة هى مضاعف الطبقة التى تحتها فى الموجات

ولنا أن نسمى كل طبقة كهرطيسية سلما كالسلم الموسيقى . وفى الطبيعة ستون سلماً كهرطيسياً . ولكننا لا نرى منها إلا سلما واحداً هو سلم النور فقط والباقية اكتشفناها بالآلات المختلفة . ولا نعرف سلم النور إلا بألوانه الرئيسية السبعة من الأحمر (وهو الأسفل) والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى (وهو الأعلى) ، وموجاته هى ضعفا موجات الأحمر ، ولكن طول موجة الأحمر هى مضاعف طول موجة البنفسج ، ولهذا يسيران معا فى وقت واحد . على أننا لا نراها إلا لونا واحداً هو الأبيض ، ولا نراه إلا منحلا إلى ألوانه السبعة إذا نفذ فى زجاجة الوشور أو فى قطرات قوس قزح . هذه الألوان السبعة ليست فى الموجات الأثيرية بل هى فى خليات أدمغتنا البصرية ، فالخلية التى تنفعل من ذبذبة إحدى الموجات تصدر اللون المطابق لها . ولا نرى ما فوق البنفسجى وما تحت الأحمر إلا بواسطة آلات بصرية ، كالنور الذى فوق البنفسجى ، والنور الذى تحت الأحمر . وكذلك الأشعة السينية (أشعة رنتجن) . فبين الصوت والكهرطيسية تشابه غريب فى عدد

الدرجات السبع . فى كليهما هذا العدد ٧ هو شيء طبيعى على الرغم من أن بين الدرجات سواء فى الصوت أو فى النور أجزاء درجات أخرى لا تحصى ، وهى سر تعدد الألوان كما هى سر تعدد الألحان ، ويظهر أن الذين اتفقوا على السبع درجات فى سلم صوتى أو نورانى رأوا أن هذا الرقم مقدس ، لأن الله خلق فيه العالم واستراح فى اليوم السابع

الانصاف والارباع

المعروف فى جميع الموسيقيات الغربية والشرقية أن للسلم سبع درجات يعتبرونها أصلية ، ويتفرع منها على قولهم أنصاف ، وفى الموسيقى العربية أرباع ، وربما أثمان أيضا . وفى اليونانية ١/٣٢ . والحقيقة أن الدرجات ليست درجات متساوية ولا أنصافها حقيقية والأرباع كذلك . وإليك البيان :

اهتزازات الأنصاف

٥١   ٥٧ لا نصف لها   ٦٨   ٧٦   ٨٢   لا نصف هنا

دو   رى   مى   فا   صول   لا   سى   دو

اهتزازات السلم الأدنى ٢٤   ٢٧   ٣٠   ٣٢   ٣٦   ٤٠   ٤٥   ٤٨

«   «   الأعلى ٤٨   ٥٤   ٦٠   ٦٤   ٧٢   ٨٠   ٩٠   ٩٦

الفروق بين الدرجات الأصلية والأنصاف

٦   ٦   ٨   ١٠   ٦

فى الفلسفة الطبيعية Physies ذبذبات أو اهتزازات درجات السلم الأصلية منحطة إلى أسفل سلم الاهتزازات فى الثانية ، تتراوح الفروق بينها بين ٢ و ٥ كما رأيت فيما تقدم . وهو أمر يدلك على أن الدرجات غير متساوية فى الارتفاع والانخفاض وليست هى أنصافاً كما يزعمون . هذا السلم مدون فى جميع كتب الطبيعيات لأنه هو هو بعينه فى كتابين لمؤلفين أمريكيين مختلفين فى الناحية . ولا أظن كتب الطبيعيات فى أوروبا تختلف عنهما من هذا القبيل

هذا السلم هو أوطأ سلم يمكن أن يسمع . ولا أدرى إن كان ذا وقع موسيقى فى الأذن إذا عزف . ولكى نرى نصف الدرجة عدداً صحيحاً نزلنا إلى السلم الذى هو فوقه . ومعلوم أن اهتزازات درجات السلم الأعلى مضاعف اهتزازات درجات السلم

الأوطأ كما رأيت فى الجدول هكذا ترى فى البيانو مثلا ليس بين « مى » و « فا » إصبع أسود ولا ترى بين « مى » و « دو » الأخرى (الجواب) إصبع أسود، وأما بين بقية الأصابع الأخرى البيضاء أصابع سوداء وهى ما يسمونه أنصاف درجات وما هى أنصاف، كما ترى أن الفروق بين الدرجات الأصلية البيضاء ليست متساوية هى ٦ و ٤ و ٨ و ٨ و ١٠ و ٦ فى السلم كله، ولا أدرى كيف يعتبرونها أنصافا . على أن الذين يشدون أوتار البيانو أو يدوزنونها يعتمدون على السماع لأن أوتار أعصابهم السمعية تدوزنت على سلم البيانو أو السلم الأفرنسكى

وكذلك الذين يدوزنون الآلات الوترية العربية ، العود والكمنجة والقانون ، يعتمدون على آذانهم كما يعتمدون عليها فى العزف من غير اعتماد على علامات (نوتات) ، وهى مهارة عجيبة مدهشة لأنهم يعزفون جميع الألحان من غير الاستعانة بنوتات . وجل ما يحتاجون إليه فى الدوزنة هو إما صفارة تصدر صوت نغم واحد يعتبرونه درجة (دو) ويجرون عليه فى ضبط سائر الدرجات اعتماداً على آذانهم أو يعتمدون على أداة معدنية ذات شعبتين فينقرون الشعبتين فتصدران صوتا يحسبونه درجة دو

وأما فى ضبط أبعاد الدرجات بعضها عن بعض (وأعنى ضبط اهتزازاتها) فقد اعتمد الموسيقيون العلماء على قياس الوتر المشدود بحسب طوله، فاعتبروا الوتر الذى طوله متر إذا عزف كان صوته دو . فإذا أمسك فى وسطه تماما كان صوت الذى يصدر من نصفه دو أخرى هى جواب لدو الأولى، ثم يقسم النصف إلى درجات حسب اصطلاحهم . وكان عند اليونان آلة لقياس الصوت تسمى مونوكورد أى ذات الوتر الواحد . ولا يخفى أن لمقدار الشد حسابا لأن الوتر كلما اشتد ارتفع صوته، لذلك ترى أن السلالم غير متماثلة إلا فى أن السلم الواحد هو قرار لما فوقه وجواب لما تحته على اعتبار أن اهتزازات الوتر فى السلم الواحد مضاعف اهتزازات السلم الآخر أو أنصاف الاهتزازات التى فوق السلم الآخر كما تقدم البيان

ولاستخراج عدد الذبذبات أو الاهتزازات فى كل درجة أو نصف درجة توجد آلة تسمى صونوميتر تسجل اهتزازات كل صوت . وقد استنبط الأستاذ وديع صبره (من بيروت) وكانت حرفته العزف على البيانو فى باريس مدة طويلة صونوميترا يسجل به اهتزازات الأصوات الموسيقية فى جميع درجاتها . وقد جاء به إلى مصر يوم كان المؤتمر الموسيقى منعقدا فيها . وكان غرضه أن يسجل به اهتزازات درجات السلالم العربية بجميع أنواعها وألحانها . ولا يخفى أن لكل لحن من الألحان العربية سلماً خاصا ، كالرست أو الحجاز كار أو الصبا أو النهاوند إلى آخره كما سيأتى بيانه . ولا أدرى إن كان الأستاذ صبره قد نجح فى هذا المشروع

للكلام صلة نقولا الحداد

المجتمع التقدمي

للدكتور قسطنطين زريق

مدير الجامعة السورية وصاحب الوعي القوي

تتمة ما نشر في العدد الماضي

من هنا نشأ الخلل وعدم التوازن في كيان المدنية الحديثة : عدم التوازن بين الوسائل والغايات ، بين التقدم العلمي والتقدم الأدبي ، بين السلطة على البيئة والسلطة على النفس . هنا أصل العلل التي تعانيها هذه المدنية . هنا منشأ الأزمات الاقتصادية والهزات السياسية والمنازعات والحروب والأخطار التي تهدد عالمنا الحاضر بالهلاك والدمار

وهذا كله يظهر أنه لقدر التقدم الصحيح لا بد من مقياس آخر غير القياسين اللذين ذكرناهما : مقياس أهم وأشد خطورة وأصعب من سابقيه تحديدا وتعيينا . هو القياس الخلق الأدبي : هو مقدرة المجتمع عامة ، ومقدرة الأفراد الذين يؤلفونه ، على التغلب على الهوى والطمع والاستئثار ، هو احترامهم لكرامة الفرد وشخصية الإنسان

هذا التقدم الأدبي يظهر بمظاهر عدة : منها توفر الحرية السياسية والاجتماعية والفكرية وضمان العدل في القضاء وتساوي الناس في الفرص وما إلى ذلك من المبادئ التي جاهدت الشعوب بالثورات حينا وبالعمل المستمر حينا آخر لتحقيقها . وكل مرحلة من مراحل تطور البشرية تتميز بالجهاد في سبيل أحد هذه المبادئ . أما المبدأ الذي يشغل مرحلتنا الحاضرة ويملأ أجواء عالمنا دويا فهو العدل الاقتصادي فالاجتماعي : أي حسن توزيع الوسائل التي يهيئها لنا استثمار الطبيعة . لم تعد مشكلة البشرية عامة مشكلة الاستثمار بل مشكلة التوزيع . ولذا أصبح هذا المقياس الأدبي الذي نتحدث عنه أهم من حيث بقاء البشرية وتقدمها من القياس الأول الذي بدأنا به

هذا العدل الاقتصادي والاجتماعي أصبح ، من حيث المبدأ ، أمرا مثبتا ، وإن اختلفت الشعوب في مقدار العزم على تحقيقه وفي اختيار الطريق المؤدية إليه . ولذلك غدا مفروضا علينا ، في تقديرنا تقدم مجتمع ما ، أن ننظر في الوسائل المادية التي يهيئها لأفراده ، ودرجة تساويهم في هذه الوسائل ، وبالتالي في الفرص المؤدية إلى تقدمهم المادي والعقلي والروحي . ولكن هذا القياس على أهميته ، لا يصلح أن يؤخذ وحده ؛ بل يجب أن يضم إليه مقدار الحرية السياسية والفكرية التي يتمتع بها الفرد في المجتمع . والصراع القائم بين قوتي العالم الجبارتين اليوم إنما هو صراع بين أولوية هذين المبدأين : الحرية الفردية والعدل الاجتماعي . وبقاء المدنية الحديثة وازدهارها منوطان بمقدرتهما على التوفيق بينهما والمحافظة على القيم التي ينطوي عليها كل منهما

ولعلنا نستطيع أن نجمعها وسواها من المقاييس الأدبية في مقياس واحد شامل هو : مبلغ احترام الشخصية الإنسانية ، أي الإقرار بأن لكل مواطن وكل إنسان شخصية لها حرمتها وكرامتها ، وأن أي افتئات على هذه الشخصية يحرمانها من حق سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي هو إهانة لها ووصمة في جبين المجتمع

نستطيع هنا أن نفصل هذا المبدأ الأساسي فنتكلم عن مختلف الوجوه التي يتمثل بها . نتكلم عن حرية الفرد السياسية والاجتماعية والفكرية وعن استقلال القضاء وضمان العدل للجميع . نتكلم عن الفلاح وتحريره من نير المشاعية والإقطاعية ، وعن العامل وضمانه من مساوئ الرأسمالية . يمكننا أن نوضح القضية النسائية ونبين الموانع التي يجب إزالتها من طريق المرأة والفرص التي يجب أن تفسح أمامها لتلعب دورها الخطير في حياة المجتمع . بوسعنا أن نلح على أهمية التعليم وضرورة نشره وعلى حماية الصحة العامة وتوفير الإمكانيات المادية والاجتماعية للمواطنين على السواء . كل قضية من هذه القضايا وأمثالها وجه من وجوه النهضة والتقدم ، وهي إذا تحققت بمجموعها كونت المجتمع التقدمي المنشود ، ولكنها كلها تنشأ من أصل واحد ، إن لم يتكون ويثبت ويتم ، كان الجهاد في سبيلها جهادا متفرقا متلاطما . هذا الأصل هو احترام كرامة المواطن والإنسان وقدسية كيانه ، والعزم الوطيد على محاربة كل تعد على هذه الكرامة أو أي ظلم لها ، سياسيا كان أم اقتصاديا أم اجتماعيا أم فكريا ، من خارج المجتمع أو

من داخله

إن المجتمع التقدمي مجتمع منسجم يتساوى فيه المواطنون في الفرص ولا يستأثر فيه فرد أو فريق بحكم ولادة أو إرث أو جنس أو أي فارق عرضي آخر لأنهم كلهم متساوون في الجوهر : في مواطنيتهم وفي إنسانيتهم

إلى أي حد تنتشر هذه الفكرة في مجتمع ما ؟ إلى أي عمق تنزل في نفوس أفراده ؟ إلى أي مدى يسمون لتحقيقها عن طريق التعليم أو الجهد السياسي أو النشاط الاجتماعي أو العمل الثوري ؟ إلى أي حد يعتبر المواطن أو الإنسان وسيلة للاستثمار ، أو ، بالعكس ، غاية في ذاته وشخصية تفرض الاحترام وتستوجب التنمية والإغناء . هذا هو جوهر القياس الأدبي ، المقياس الأعم ، خاصة في هذه المرحلة الحاضرة من تطور الإنسانية ، نظرا للتقدم الذي حصل في ميدان الاستثمار وفي الميدان العلمي والذي يكاد ينقلب تأخرا ، بل انحلالا ودمارا ، نظرا للتأخر الواقع في المضمار الأخير

إن هذا العنصر الأخير — العنصر الأدبي — يختلف من العنصرين السابقين في أن تقدمه ليس حتميا كما هو الحال فيهما ، فقد تحدث نكسات في حياة الشعوب يخف فيها احترام الشخصية الإنسانية والإرادة لتوفير نموها وازدهارها . ولذا تحتاج هذه الشعوب إلى الالتفات إلى تاريخها لتتحسس مجددا تلك الهزات النفسية التي سمت بها لجعلتها تعي هذه المبادئ وتجاهد في سبيلها . تلك الأدوار في حياتها التي كانت فيها حقا تقدمية

وهنا تتجلى أمامنا مسألة طالما شغلت المفكرين والعاملين منا ، وهي العلاقة بين النظرة التقدمية وبين التمسك بالكيان التاريخي والميراث القومي . والواقع أنه ليس ثمة تناقض أساسي بين الأمرين إذا ضبطا وفهما فهماً صحيحا وكانت عند المختلفين حولها الإرادة المكينة لرؤية الحق والسير على هداه ، فالكيان التاريخي الإيجابي والميراث القومي الباقي هما نتيجة لنظرة كانت عند الأسلاف تقدمية . لقد كان العرب في إبان نهضتهم تقدميين ، جابوا الآفاق البعيدة ، وساروا إلى غاياتهم بلا خوف ولا وجل : اقتحموا البلاد فاتحين وتجاراً ورواداً ومصلحين ، نظرهم ممدود أبدا إلى الأمام ، فبنوا دولة شاسعة الأطراف وأنشأوا حكما خلده التاريخ . وعندما اتصلوا بالمدنيات الأخرى وتفتحت لهم من خلالها آفاق عقلية واسعة لم يتأخروا عن ارتيادها ؛ فأنتجوا في ميادين العلم والفلسفة آثارا ليس هنا مجال تبيان ضخامتها وجلالها. وأهم من هذا وذاك وأبقى ارتيادهم للآفاق الروحية ، وتطلعهم إلى القيم الخلقية والأدبية ، وأثر هذا كله في حياتهم العملية وإنتاجهم الحضاري ؛ هذا الاقتحام للميادين الطبيعية والعقلية والروحية هو باعث إبداعهم ومصدر عزمهم ومجدهم . فلما خبت جذوتهم ضاقت آفاقهم وتخلفوا في ميادين الإنتاج فغلبوا على أمرهم . أما تراثهم الباقي فهو نتيجة تلك الروح التقدمية التي ذكرنا . وإذا ما عدنا اليوم إليه فلنقتبس تلك الروح ، فنبدع كما أبدعوا ، ونخلف لأنفسنا ذكرا كما خلفوا

هذا النوع من الاستيحاء التاريخي لا يتعارض والنظرة التقدمية الحاضرة خصوصا إذا حققت هذه النظرة الشرط المتعلق بها ، وهو أن نفهم التقدم بمعناه الواسع الشامل فلا تقف عند عناصره المادية والعلمية فحسب ، بل نتناول أيضا العناصر الأدبية والروحية ، تلك العناصر التي قلنا إنها أساسية في تقدير التقدم الصحيح والتي كثيرا ما نهملها أو نقلل من أهميتها التقدمية الحديثة

ينتج من هذا أن المجتمع التقدمي بالمعنى الشامل الصحيح لهذه الكلمة لا يحتاج لأن يقطع صلته بتراثه الباقي ما دام هذا التراث هو نفسه نتيجة لنظرة تقدمية وجهد تقدمي . بل بالعكس إن التقدمية الصحيحة والتاريخية الصحيحة نظرتان وسبيلان تتم الواحدة منهما الأخرى وتسندها وتقويها ، وإنما الخلاف والتناقض بين التاريخية المتمسكة بما لم يكن في جوهره تقدميا ، والتقدمية الثائرة على الماضي بكامله المستخفة بالقيم الأدبية . وفي كليهما خلل وفساد . ولذا كان لا بد من أن يتنافرا ويتنازعا . أما الحق فمن طبيعته أن يتصل بالحق ويبتهج بلقياه والانصهار فيه

ذكرت ثلاثة مقاييس رئيسية لتقدير تقدم مجتمع ما : سلطة المجتمع على الطبيعة ، شيوع الروح العلمية ، احترام الشخصية الإنسانية . هذه المقاييس قد تبدو في ظاهرها عامة

بسيطة لكنها ، فيما أرى ، المقاييس الأصلية التي يفرع عنها كل مقياس آخر . ولا تخفنا بساطتها فالحق في جوهره في غاية البساطة

هذه المقاييس الثلاثة تتحد في النهاية في مقياس واحد شامل هو : الحرية . فاستثمار الطبيعة مؤداه تحرير المجتمع من سطاطة المحيط الخارجي وبالتالي من الفقر والمرض . والتقدم العلمي جوهره تحرير المجتمع من الوهم والجهل . والتقدم الأدبي لا يتم إلا بالتحرير من الخوف والذل عند بعض طبقات المجتمع ومن الهوى والطمع عند الطبقات الأخرى . ولذا فالمقياس الشامل لتقدم مجتمع ما هو مقدار ما يوفر لأفراده من حرية : حرية من المحيط الطبيعي ومن المحيط البشري: الخارجي والداخلي . ومن الأمراض الداخلية : الوهم والجهل والهوى . والتقدم إنما يكون صحيحا إذا تناول هذه الوجوه كلها لأن أي خلل أو أي فقدان للتوازن بينها مدعاة للاضطراب ومجلبة للتدهور كما هو حال عالمنا اليوم

على أن الحرية لا تكون حقيقة ولا تؤدي مفهومها مالم يصحبها عنصر متمم لها هو : الانتظام . فالجهد العلمي ، سواء أكان عمليا تطبيقيا كاستثمار للطبيعة أو نظريا مجرداً كاكتشاف للحقيقة ، هو في الواقع انتظامي . ذلك أن العلم ، كما ذكرنا ، بناء متماسك في نتائجه وأسلوبه . وكذلك التقدم الأدبي : أنه يصدر عن انتظام النفس بضبط الأهواء والشهوات

ولما كان هذان المعنيان المتكاملان : الحرية والانتظام -- شأن كل صفة عقلية أو نفسية — لا يقومان إلا في شخصية إنسانية، فإن المقياس الأخير للمجتمع التقدمي هو مقدار مايتوفر فيه من شخصيات حرة منتظمة ، شخصيات قد تحررت من محيطها ومن نفسها وانتظمت قواها ومواهبها فكان في انتظامها هذا كمال حريتها

لقد رددنا في حديثنا لفظتي : التقدم ، والتقدمية . ولعلنا لم نميزهما تمييزاً كافيا . فالتقدم شيء موضوعي يقاس بالمقاييس العامة التي ذكرناها؛ وبمقاييس أخرى تفصيلية متفرعة عنها. أما التقدمية فهي صفة داخلية في المجتمع تدفعه إلى السعي إلى التقدم وإلى تحقيق المعاني التي تتضمنها هذه المقاييس . وهي تنطوي على عناصر الرغبة والعزم والإرادة . فإذا أخذنا مقاييس التقدم بما يتحلى به المجتمع عن طريق الشخصيات المكونة فيه ، من تحرر وانتظام ، أمكننا أن نقدر التقدمية فيه بمبلغ ماله من تحفز وعزم وإرادة لاكتساب هذه القيم وإنمائها . هذا التطلع والتحفز ، هذا العزم والتصميم ، هذه الإرادة الدافعة ، هذه الهيئة النفسية المتجهة نحو القيم الإنسانية العليا التي يلخصها التحرر والانتظام : هذه هي جوهر التقدمية المنشودة

أرجو أن لا يفهم من قولي هذا أن التقدمية صفة زائدة على التحرر والانتظام وإنما هي نتيجة ملازمة لها . فالشخصية التي حققت هذين المعنيين المتكاملين هي شخصية تقدمية حتما . وكذلك المجتمع : إذ أن صفته — كما قلنا — هي خلاصة صفة الأفراد الذين يتألف منهم . وبعبارة أخرى أن هذه المعاني الثلاثة — في الأفراد والمجتمعات — هي واحدة في جوهرها . فالتحرر إذا تحقق فعلا كان هو نفسه انتظاماً فتقدمية

ويستنتج من هذا أن الشخصيات الحرة المنتظمة ليست هي نتيجة للتقدم ومقياساً له فحسب بل هي — بمعنى أهم — العامل المؤدي إليه . ولا شك في أنه من الصعب عند تشابك العناصر الاجتماعية وتفاعلها فيما بينها فصل النتائج عن الأسباب فصلا تاما حاسماً . فكأي من نتيجة كانت بذاتها أيضاً سبباً لسواها بحيث يعسر تحديد أية من هاتين الصفتين تغلب عليها . وهذا هو أصل الخلاف الذي ما زال قائماً بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع ومعللي التاريخ ، والذي نجد صداه الصاخب عندنا في نظريات الباحثين وجهود العاملين

ولما كان لا بد لكل باحث في هذا الموضوع من أن يبدي رأيه الصريح في هذه القضية الأساسية ، لأن منه تتفرع آراؤه في القضايا الاجتماعية عامة ، فوقفي الخاص هو أن العوامل الشخصية الإنسانية هي العوامل الأصيلة وما سواها هو إما عامل مساعد لها أو نتيجة عنها . لقد تكلمنا مثلا عن الآلة كسبب من أسباب التقدم لفعلها في استغلال الطبيعة وضبط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية . ولكن الآلة هي نتيجة عمل العقل المتحرر المنتظم . نعم إنها تساعد في إزالة الموانع وتحطيم الحواجز

القائمة فى وجه تحرر العقل فهى من هذا القبيل عامل مساعد. ولكن العامل الأصيل هو العقل الانسانى ذاته بل الشخصية الانسانية المكتملة بتحررها فانتظامها فتقدميتها

وفى نظرى أن ما يحرزه مجتمعنا العربى من تقدم متوقف — فى الدرجة الأولى — على ما ينشأ ويعمل فيه من شخصيات متحررة منتظمة تقدمية فى ذاتها . ولا عجب فى هذا ! ففاقد الشئ لا يعطيه . عبثاً ننتظر إشاعة الحرية ممن لم يتحرر فى ذاته أولا . عبثاً نتطلع إلى من لم ينتظم عقله وتنسجم قوى نفسه لأن يكون باعث انسجام وانتظام فى المجتمع . عبثا نرجو ممن يخشى المغامرة واقتحام آفاق العمل والعقل والروح أن يدفع بمجتمعه إلى الأمام

ولذا كان أخطر واجب علينا وأجسم عبء ملقى على عاتقنا تكوين هذه الشخصيات التى تصبح فى المجتمع مبعث قوة وحياة واندفاع . ولا نكران أن للقوة والحياة والاندفاع مصادرها الأخرى، ولكن هنا — فى الشخصيات الحية الفاعلة ، المتحررة المحررة ، المنتظمة الناظمة — المصدر الأول والمبعث الرئيسى

وفى الواقع أن هذا الاعتقاد هو أساس إيماننا بأولية التعليم والجامعى منه بصفة خاصة ؛ فإنما بذلك ننشد مداواة العلة فى جذورها وتهيئة العامل الرئيسى للانبعاث والتقدم . وعلى هذا الشكل يجب أن تفهم مهمة الجامعة الأصيلة . إن للجامعة مهمات عدة على درجات متصاعدة من الخطورة والجلال . عليها تدريب شباب الأمة وإعدادهم للمهن الحرة . وليس من يستخف بهذه المهمة خصوصاً فى مجتمع كمجتمعنا يحتاج إلى إنشاء شامل وإلى عاملين أكفاء فى شتى نواحى الإنتاج : فى استثمار الطبيعة ، فى ضمان الصحة ، فى نشر التعليم . وقد بينا أثر هذه الأعمال كلها فى تقدم المجتمع والضرورة الملحة لتدعيم تعليمنا الفنى وتوسيعه . وللجامعة فوق هذا مهمة المحافظة على التراث العلمى الإيجابى ودرسه بالبحث والتحرى ونقله إلى الأجيال الصاعدة . وبهذا أيضا تساهم فى التقدم كحامية للعلم وخادمة للعقل . لكن مهمتها الكبرى ، مهمتها الأصيلة ، هى تكوين الشخصيات التى وصفنا ؛ تلك الشخصيات التى يؤمن بها الجامعى بأنها العامل الأهم فى التقدم والارتقاء

هذا كان لب الجامعات فى التاريخ وهذا فعلها فى نهضات الأمم ؛ فاليه يجب أن نوجه جهودنا فى جامعاتنا الوطنية

عن هذا السبيل — وعنه وحده — تبرر الجامعة وجودها فى الوطن . عن هذا السبيل تساهم مساهمة أصيلة فى تكوين المجتمع العربى المستثمر إمكانياته، القابض على جوهر العلم المتعلق بالقيم الأدبية والروحية، الصائن كرامة المواطن والانسان، المجتمع العربى المتحرر ، المنتظم ، المجتمع العربى التقدمى الجامع بتقدميته هذه المعانى كلها

قسطنطين زريق

نظرات خاطفة

من الشعر السوداني الحديث

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

أكثر الأدباء اليوم أو المتأدبين والمتذوقين الأدب بصورة عامة منغمرون في السياسة، وتتبع الحوادث الدولية، وما يجرى خلف كواليس الأمم الكبرى التي تريد أن تقرر مصير الشعوب والإنسانية بالحق والباطل؛ لذلك فهم بعيدون عن تتبع النشاط الفكري والحركات الأدبية في البلدان العربية والشرقية بصورة خاصة. ولعل لهم العذر، وقد يكون العذر واضحاً لعدم اطلاعهم على الصحف الأدبية التي تمثل النتاج الأدبي في تلك الأقطار من جهة؛ وانغماسهم في المادة وتفضيلهم صرف المال في سبيل البطن والكماليات من جهة أخرى. كأنما الكتابة ضرب من الجنون لا يجب على المتمدين مزاولته، فلهذه الأسباب أقول إن أكثر الأدباء والمتأدبين — إن لم أقل كلهم — لا يعرفون من الأدب السوداني الحديث — وخصوصاً الشعر منه — شيئاً، كما أنهم لا يدرون من هم أبطال النهضة الشعرية وروادها في هذا العصر — وعلى سبيل المثال أقول إن الكثرة الغالبة من أدباء العراق لم يسمعوا بشاعر الشباب السوداني التيجاني رحمه الله وهم حتى الآن لم يعرفوا أن له ديوانا موسوماً بـ (إشراقة) طبع مرتين فكيف بالأحياء — لهذا ولما كنت من المتتبعين للنهضات الفكرية الحديثة في البلدان العربية وخصوصا السودان المصري ولي مع أدبائهم وشعرائهم صلات أخوة كريمة وثيقة — أرجو أن لا تنفصم عراها الأيام — أحببت أن أقدم في هذه المجلة الخاطفة نماذج من الشعر السوداني الحديث على أن أتبع هذه المقدمة بأحاديث أخرى في المستقبل القريب إن شاء الله. وعليه توكلنا ومنه القوة والعزم

وأول هذه النماذج هي لزعيم الشعر الإبداعي المرحوم التيجاني يوسف بشير (١)

ولد شاعرنا في أم درمان سنة ١٩١٢ م وهو أحمد التيجاني ابن يوسف بن بشير بن محمد بن الإمام جزوري الكتيابي والكتياب بيت مشهور من بيوت السودان ممتاز بين قبائل الجمليين الذين عرفوا بالإقدام والسماحة، ولقب بالتيجاني تيمنا بالطريقة المعروفة، دفع وهو صغير إلى خلوة عمه الشيخ محمد القاضي الكتيابي لحفظ القرآن ومشى بعد ذلك في طريقه المرسوم إلى المعهد العلمي في أم درمان حتى تخرج منه ثم اتصل بالصحافة بعد استيعاب كثير من كتب الأدب القديم وكتب الصوفية والفلسفة؛ فشغلته هذه الدراسات عن نفسه حتى دب إليه الوهن فتوفي سنة ١٩٣٧ م. هذا هو مختصر حياة التيجاني، ولكن الذي يقرأ شعره يدرك أن السنوات القصيرة التي عاشها الشاعر ما ذهبت عبثا — وإن كانت عمر الورد — لأنها تركت لنا أنغاما عذبة يظل صداها يرن في سمع الكون مدى الزمان.

وإليكم اللحن الأول

النائم المسحور (٢)

أيها النائم في مهد أغاني ولحني
هكذا يدفق يا ناعس في حسنك حسني
هكذا ينفذ سلطاني ويستهويك حزني
هكذا يهبط في عينيك ما تدفع عيني

* * *

أنت يا واهب ألحاني ويا ملهم فني
أنت فجرت لي اللحن ففيأنك أمني
إنما أصنع من كرمك صهبائي ودني
إنما أسحر عينيك بما تسحر مني
يا أماني التي أعبدها من كل لون
وأغاني التي ألهمها ملهم جن
والتي ذوبها الشاعر في الصوت الأغن
كلما طار بها العود وقراها المغني

* * *

١ — مقدمة ديوانه (إشراقة) ص ٢
٢ — ص ٧٨ الديوان نفسه

خفقت ذات جناحين : مدو ومرن
عبرت كل فؤاد وتفشت كل أذن
هكذا يدفق يا ناعس فى حسنك حسنى
وكذا ينفذ سلطانى ويستهويك حزنى

ومن هنا يدرك القارئ الكريم أن الناحية الغنائية هى التى تطغى على شعره وهى التى تقتصر على التغنى بالخوالج النفسية والإحساسات الروحية الذاتية ، وهو شعر جميل فى حد ذاته رأ كثره خالد ؛ لأن النفس تميل إلى الإشادة بمن يشرح آلامها ويعبر عن انفعالاتها كما يقول الدكتور إبراهيم فى خطبته التى لقاها فى تأبينه ، ولا نريد أن ندع التيجانى دون أن نقدم له قطعة موسيقية أخرى من شعره الغنائى الذى أعده من أخلد الشعر وإن اختلفنا أنا والأستاذ عباس خضر فى هذا الصدد (٣) . ولنسمعه فى قصيدته المنشورة ص (٢٠) من الديوان تحت عنوان :

جمال وقلوب . . .

وعبدناك يا جمال وصُغنا لك أنفاسنا هياما وحبا
ووهبنا لك الحياة وجُر نا ينابيعها لعينيك قربى
وسمونا بكل مافيك من ضعــف جميل حتى استفاض وأربى
وحبوناك ما يزيدك بالعز وضوحا وأنت تقتنا صعبا
وذهبنا بما يفسر معنا ك ، بعيدا وأنت أكثر قربا
من ترى وزع الفاتن يا حســن ومن ذا أوحى لنا أن نحبا؟
من ترى علم القلوب هوى الحسن ، وقال اعبدى من السحر ربا؟
من ترى ألهم الجمال وقد أعطاه من جبرة الحوادث عضبا ؟
أن يبث الهوى مفاتن فى جفن بليغ ، وأن يجود ويأبى ؟
من ترى وثق العرى بين مسحورين ، أسماهما جمالا ، وقلبا ؟
إنه صانع القلوب التى تنصب فى قالب المحاسن صبا

• • •

يا جمال الحياة فى حينما كا ن أمانا . وحينما كان رعبا
وجمال الحياة فى كل من أهمل شرقا وكل من سار غربا
أقس يا حسن ما تريد وتبغى أو فكن هينا على النفس رطبا
أنا وحدى دنيا هوى لك فيها كل كنز من المشاعر قربى

أى والله هذا هو السحر الحلال الذى يجرى فى لفظ موسيقى ولكنه عربى أصيل لا حوشى فيه ولا غريب ، ورحم الله التيجانى بعد هذا حيث يهتف بلوعة المحروم وهو يناجى حبيبه البعيد من قصيدته المنشورة فى (ص ٨٩) والمرسومة بـ

نعيم الحب . . .

إن لى من وراء عينيك هاتيـ ـن مصلى وفيهما لى مخدع
فيهمـــا لوعة القلوب ونعما ها ، وكم فيهما حديث موقع
كم يجنبى من مفاتن ما تخفض عيناك من جلال وترفع
نفس هائم يصعده الحب ندبا كأنمـــا هو مدمع
صبى عابرا فأوردته نفسا أصابت من سحر عينيك مشرع
فيه من لوعتى أحاديث يغلى فى حواشيهما فؤاد مفزع

• • •

كل ركب منها رسول من القلب المعنى إلى الملاك الممنع
أيهذا الحبيب ما بى إلا أن دنيـــاى من نعيمك بلقع
أنا أشقى بالحب من حيث ما ينعم قلب وكم ألذ وأمتع
والهوى نعمة الزمان ، ونعمى الخلد أسمى من الحياة وأرفع
الجمال الذى استقاد به الله وجودا صعب القيـــادة أروع

(٣) لاشك أن القراء اطلعوا على رأى الأستاذ عباس خضر فى الشعر الغنائى الذى نشر فى أعداد فائتة من الرسالة الزاهرة ردا على رأبى لنا أحب أن أقدم له هذا الرأى الجديد وهو مقتبس من كتاب المستشرق الدكتور ر . بلاشير باللغة الفرنسية وترجمه صديقنا العلامة الأستاذ أحمد أحمد بدوى المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول باسم « ديوان المتنبى فى العالم العربى وعند المستشرقين » وتفضل فأهداه لى وأنا مع شكرى له أقدم هذا الرأى عن شعر المتنبى وشهرته إلى الأستاذ عباس خضر على أن أرجع للكتابة عن الكتاب قريباً قال المؤلف ص « ١١٨ » والعنصر الأخير الذى ثبت شهرة أبى الطيب هو ما فى شعره من موسيقى » ويقول ص « ١٢٠ » : ـ « وإذاً فما يتبقى للمتنبى فى نظرنا ؟ يتبقى منه بكل دقة ما أكد فى نظرنا شهرة المتنبى فى الأوساط العربية فى مصر وسوريا ، وأعنى به هذه الأشعار الغنائية والفلسفية التى تزين أغلب قصائده » حتى يقول ص « ١٢٣ » : « وإذا وازناه ــ أى المتنبى ــ بغيره من فنانى لغته ، نعرف بم سحر المعجبين به من العرب ، وهو لا يبدو لنا حينئذ مجرد مغرم بالأفكار الشائعة ، ولكنه ساحر بليغ يعرف كيف يصقل عباراته بكثير من الفن ويجعلها ذا أسلوب عاطفى سام »

أليس هذا دليلا على أن الشعر الغنائى ذا الجرس الموسيقى أقرب للخلود والترديد والترتيل ؟ !

وإلى هذا نودع التيجانى شاعر الشباب لنقدم لكم شاعرا آخر وهو معروف لدى القراء ؛ فقد سبق أن طالعوا شعره فى مجلتى الرسالة والثقافة الزاهرتين وصحف السودان وخصوصا (الصراحة) و (التلغراف) وغيرها من أمهات صحف الخرطوم وهو صديقنا الشاعر المبدع الشاب الأستاذ جعفر حامد البشير الذى نترك ترجمة حياته الآن إلى مقال مفصل عنه، ولكن حسبنا أن نورد عنه هذه النبذة التى كتبها عنه الدكتور محمد النويهى أستاذ الأدب العربى بكلية الخرطوم الجامعية .. والتى نشرتها جريدة (الصراحة) (٤) الغراء وها هى :

« أ كون لكم جد شاكر إذا تكرمتم بإبلاغ شكرى الجزيل وامتنانى الصادق للشاعر الموهوب الأستاذ جعفر حامد البشير لقصيدته الفائقة فى تحية النهضة النسائية . وأود أن أنتهز هذه الفرصة لأعبر عن إعجابى الخاص بكل ما قرأت له من شعر ، ولست أغالى إذا قلت انه بين جميع الشعراء والسودانيين منذ التيجانى أحسنهم جميعا بين سلاسة التنغيم وصحة الأسلوب ؛ وبين صدق العاطفة وإخلاص المشاركة للروح السودانية .. » للشاعر البشير قصائد ممتازة مبثوثة فى خفايا الصحف والمجلات،وها نحن نورد للقراء المثال الأول منها وهى قطعة بعنوان « نفديك » قال

يا مشرقا وضياء الشمس يغمره ... لا زلت تمرح إشراقاً بإشراق
نفديك كيف تبيت الروح ظامئة ... والنبع عندك نبع الحسن يا ساقى
بل فى جمالك أنهار مطهرة ... من كل عذب إلى الشطآن دفاق
يا فاتنى إن قلبى قد ظفرت به ... أضحى خلايا صبابات وأشواق
قد لامنى فيك أقوام وما علموا ... أنى المدل بآدابى وأخلاق
نزهت نفسى عن الفحشاء فى زمن ... أهلوه معشر مجان وفساق
قالوا ، وأرجف أقوام وما علموا ... أن العفاف دماء مل‌ء أعراق
يا سامح الله منهم ، رغم ما اقترفوا ... إنى عليهم لذو عطف وإشفاق

ويبدو البشير فى قطعته هذه شاعراً متزهداً غارقاً فى حلمه عاتباً على وشاته أراجيفهم، ورغم ذلك فهو سموح عطوف ، وأظنه فى شعره هذا متأثر بكتب الصوفية وطرائق شيوخها. على أن ذلك كله لم يؤثر على عاطفته فشعره سهل رقيق ، وعاطفى عذب ،

(٤) الصراحة جريدة يومية سياسية تصدر فى الخرطوم وهى من أوسع الصحف السودانية انتشارا ورواجا

وجرسه حلو فاتن ، وللدلالة أكثر على هذه الناحية منه نسوق للقراء هذه الأبيات أيضا من قصيدته « هوى يتجدد » قال :

وهوى أراه على المدى يتجدد ... ما زال يهبط فى الفؤاد ويصعد
هو فى الصباحات الرطاب نسائم ... نشوانة - مل‌ء الفضاء - تعربد
ولدى الحوالك فى العشايا شعلة ... ما أن تزال مشعة تتوقد
محراب قلبى .. كلما عاودته ... ألفيت فيه أخا هوى يتعبد
أنا للصبابة والغرام فإن أمت ... فأنا الشهيد بحبه المتعبد

ألم أقل لكم إن أخانا البشير شاعر صوفى ؟ وهل أدل على صوفيته ورهبنته « فأنا الشهيد لأننى متعبد فى محراب الحب والجمال »

قدست سرك يا جمال وأذعنت ... روحى وقلبى للمفاتن يسجد
يا حسن ، يا نهر الحياة ونبعها ... قلبى - فديتك - فى الهواجر فدفد
أظمأته دهراً فهل من رشفة ... تشفى لواعج أقسمت لا تبرد

أو قوله من قصيدة بعنوان « جمالك » ..

جمالك لا غاضت ينابيع سحره ... سيبقى لصنع الله أروع شاهد
أرى ، ما أرى ؟ دراً نضيداً . وبسمة ... لها مثل إشعاع النجوم الفراقد
وهذا الجبين الحلو زان صفاءه ... وميض يهيج الضوء جم التطارد
فأنت الذى فتحت قلبى للهوى ... وألهمت وجدانى، فلست بجاحد
وأنت الذى وجهت للحسن خاطرى ... وشعرى ، عمداً منك أو غير عامد
إلهامات جدد من حياتى فإننى ... لأنكر من آثارها كل بائد
أعود إليك اليوم ولهان مدنفا ... فهل أنت من فعل الصبابات عائدى
أفكر فيك الليل والصبح هائما ... فألقاك والتفكير بعد معاودى
وما محى من خاطرى لك صورة ... هى النبع فى جدبى ودنيا فدافدى

* * *

ولا أحب أن أنتقل بالقراء إلى شاعر آخر دون أن أشير إلى الميزة الفذة التى يتمتع بها البشير والتى تكاد تطغى على شعره؛ هى هذه الموسيقة اللفظية الحلوة التى يزاوج بها معانيه وأخيلته

أما الشاعر الثالث فهو من الذين يتصفون بالرقة والنزوع إلى التجديد برغم كونه غير معروف للقراء، لأنه لا يميل لإذاعة شعره على الناس ولا نشره فى الصحف . وكان هذا الصديق قد أرسل إلى مجموعة من شعره لأرى رأيى فيها فطالعتها بإمعان فوجدت فيها روحاً سامياً وشاعرية فذة لو تعهدها صاحبها بالصقل والمران لخلقت منه وتراً جديداً من أوتار الشعر فى السودان؛ وهذا الشاعر هو الأستاذ جعفر عثمان مومى ، وهذه أنغامه ، قال من قصيدة له بعنوان (حياة خاوية) وسيرى القراء فيها مدى الحيرة التى تلازم الشاعر والألم الذى يعصف بحياته ؛ قال

أطل على عالم بارد كأنى أطل بوادى العدم
ظلام ويأس وصمت كئيب وكأس بها من عصير الألم
وفى كل ركن هموم ثقال ونفر يعض بنان الندم
وقلب تحطمه لوعة وخد خضيب بدمع ودم
فلا القلب نشوان من فرحة ولا الروح سابحة فى القمم
وفى النفس طاف الأسى والبكا وسار المشيب ودب الهرم
فنفسى مبعثرة حيرة وغارقة فى بحار السأم
ظلام بعينى ونفسى معًى وهم ثقيل بصدرى جثم
ولى مظهر كلما داعبته يدى بث حولى لحيح السقم
كأنى بصومعتى راهب أكب على ربه يستلم
ونام وأصبح صبح وقد تهدم معبده والصنم
حنانك ربى سئمت الحياة وضقت بنقلى عليها القدم

وهاك نغمة أخرى ، نغمة جديدة ثائرة متمردة على كل شئ حتى على الشاعر نفسه ، ولنتركه يصف الحياة التى يتطلبها فى قصيدته « القمم »

هنالك فى القمة العاليه فضاء وحرية للنجاح
ترامى الضياء على الرابيه وتزأر كالوحش هوج الرياح

٭ ٭ ٭

هنالك لا الشمس مسودة ولا البدر مستتر بالسحاب
ولا الأنجم الزهر مربدة ولا الفجر يغفو وراء الضباب

٭ ٭ ٭

هناك السباسب مخضرة ...
... وسفح الربى ورؤوس الهضاب (٥)
فللشاة من عيشها غدوة وللظبى حظ كما للذئاب

٭ ٭ ٭

أيا كتلا كقطيع الشياه تساق إلى الموت بين الحديد
إلام تسيرون عمياً حفاه وتحيون كرها حياة العبيد

٭ ٭ ٭

إلى القمة الحرة الساحره إلى حيث شيدت قبور الجدود
إلى القمة الحية الساهره إلى العيش تحت ظلال الخلود

٭ ٭ ٭

ألم تسأموا من رقاد الثرى وإطباق هذا الظلام البغيض
ألا تبدأون صعود الذرى وتنضون عنكم هوان الحضيض

٭ ٭ ٭

ألم تسأم العنق أغلالها ألم يسأم الجسم لذع السياط
أما عجت الظهر أحمالها أما ملت الأنف مس البساط

٭ ٭ ٭

لقد آن أن تبعثوا من جديد وآن لنور الحياة الشروق
وآن لعهد طغى أن يبيد وأن تبدؤا فى اقتحام الطريق

٭ ٭ ٭

وأخيراً ماذا أذكر بعد ما قدمت للقراء هذه النماذج من الشعر السودانى الحديث .. أقول أنا عاتب على أدباء السودان وشعرائه لأنى رغم مرور أكثر من ستة أشهر على الدعوة التى وجهتها لهم على صفحات جرائدهم فى الخرطوم بواسطة زميلنا الأستاذ جعفر حامد البشير لم يردنى منهم شىء أستطيع أن أصنع منه دراسة أدبية مفصلة ودسمة لنشرها على الناس ، فهل أنا الملوم أم هم ؟ وهل بعد كل هذا يحق لجريدة « النيل » أن تنعتنا بالخمول وعدم الكتابة عن الأدب السودانى ؟ إن هذا العتاب نفسه أوجهه لأدباء السودان وشعرائهم وأساتذة كلياتهم ومدارسهم

(٥) جمع سبسب — القفر

محمد إقبال
شاعر باكستان الأكبر

للأستاذ صلاح الدين خورشيد

يحتفل أهل باكستان فى اليوم الحادى والعشرين من شهر أبريل كل عام بذكرى إقبال ، الشاعر الفذ والفيلسوف الحكيم والزعيم المدره والسياسى النابغة ، الذى يرجع إليه عظيم الفضل فى إيقاظ وعى المسلمين فى شبه جزيرة الهند ، وشحذ قواهم وجمع كلمتهم ، ثم وقوفهم كالبنيان المرصوص ، عندما هبوا للمطالبة بحقوقهم وضمان مصالحهم

فالواقع أن إقبالا كان من أعظم رواد فكرة الباكستان ، ومن أكبر العاملين على تحقيقها ، إذ رأى — وهو ذو الرأى الصائب — أن المسلمين فى شبه جزيرة الهند ليسوا بمجرد الفئة أو الطائفة ، وإنما هم قوم لهم جميع ما للأقوام الأخرى من مقومات وخصائص ، فلهم أسلوب للحياة يختلف عن نهج الطوائف الأخرى ، لهم دينهم ولهم لغتهم ولهم تاريخهم ولهم أبطالهم . ولذلك رأى أن الحل الوحيد لمشاكل الهند الدستورية — وكانت هذه المشاكل يكاد يستعصى حلها — هو أن يستقل المسلمون فى الأقسام التى يؤلفون فيها أغلبية السكان ، يحكمون أنفسهم بأنفسهم ويسيرون سيرتهم التى يؤثرون

قال فى خطاب سياسى ألقاه سنة ألف وتسعمائة وثلاثين فى اجتماع حزب العصبة المسلمة ما معناه :

« أود أن أرى البنجاب وإقليم الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوخستان دولة مستقلة قائمة بذاتها » ، وفسر قوله هذا بأن :

« ليس من حل يؤدى إلى تكوين نظام دستورى ممكن فى الهند — حيث يتباين المناخ وتختلف العناصر وتتنوع اللغات وتتباين نظم الحياة — إلا فى إقامة حكومات مستقلة يجمع بين سكانها وحدة اللغة والعنصر والتاريخ والدين وتقارب المصالح »

ثم أوصى المسلمين فى نفس الخطاب قائلا :

« إننى لا أنصح المسلمين قط بقبول أى نظام لا يقر لهم بكيانهم السياسي المستقل »

لم يكن محمد إقبال — رحمه الله — لينطق عن الهوى عندما نصح بهذا لبنى قومه ، وإنما كان يعرب إعراباً صادقاً عما كان يخالج مشاعره — وهو الشاعر الفذ — من انفعالات ومؤثرات تلازم حياته وحياة المسلمين من حوله

فلقد ولد محمد إقبال شاعراً ، مرهف الحس حديد الشاعر بعيد البصائر ، وكان أبوه يتعهد تعليمه أيام صباه ويوصيه بتلاوة القرآن الكريم والتأمل فى معانيه ، فكان يطلب إليه أن يسترسل فى تلاوة القرآن الكريم بعد الفجر كل يوم ، وكان كلما رآه بعد الفجر سأله عما يصنع فيجيب إقبال بأنه يتلو القرآن ، ولما ألحف الأب بأسئلته وألح كل يوم قال الابن : « يا أبت إنك ترانى أتلو القرآن الكريم ... فلم تعيد هذا السؤال على وأنت عليم بما أصنع » فقال الأب : « بلى ! ولكننى يا بنى أردت أن أقول لك : أتل القرآن وكأنه أنزل عليك »

كان إقبال يروى هذا الحوار ويقول : « ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأتفقه معانيه ، فاقتبست من قبسه واستنرت بنوره »

بدأ محمد إقبال تعلمه بالقرآن الكريم شأن أكثر المسلمين ، ثم تقلب فى الدرس والمدارس حتى نال شهادته العالية من كلية الحكومة بمدينة لاهور ، وفى سنة ألف وتسعمائة وخمس قصد إنكلترا لإتمام التحصيل العالى بها ، ومنها سافر إلى ميونيخ حيث التحق بإحدى جامعاتها ونال منها شهادة الدكتوراه فى

العالية ، راجين منهم إرسال نماذج من أدبهم وشعرهم للاطلاع قبل أن تذهب صحفهم فتتهم البلاد العربية وخصوصا العراق بعدم التنويه بأدب السودان الحديث . أما عن الصحافة السودانية فمع الأسف أننا لا نعرف عنها شيئا ألبتة إلا ما يرسله لنا بعض الإخوان عن طريق المراسلة ، وليت الصحافة السودانية تتكرم فتزودنا بنسخ من صحفها .. هذا ولنا عودة للموضوع قريباً وكل آت قريب إن شاء الله

بغداد — أمانة العاصمة عبد القادر رشيد الناصرى

للفلسفة ، وكان خلال إقامتــه فى أوربا يتلمس ما شاب الحضارة الغربية من نزعة مادية قوية ، ومن عصبيات عنصرية ولونية ، فأراد أن يفهم الغربيين ما فى الإسلام من نعم وفضل على المسلمين وعلى البشرية جمعاء ، فألقى عدة محاضرات عن الاسلام والحضارة الاسلاميــة ، قاصــداً إزالة ما فى أذهان الغربيين من انطباعات خاطئة فى هذه الحضارة المتيدة وذلك الدين المجيد

ولد محمد إقبال شاعراً ، مرهف الحس حديد المشاعر ، بعيد البصائر ، وقد وصفه أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام بك بأنه « أكبر شعراء المسلمين فى هذا العصر ، وأبلغهم تصويراً للحضارة الاسلامية ، وأعظمهم أثراً فى نفوس المسلمين ، وأصحهم إدراكاً لمقاصد الاسلام ومعانيه »

فاقبال لم يتخذ من الشعر هواية ، فلم يتغزل أو ينظم الشعر التمثيلى أو الرومانطيق ، وإن اتخذ من الشعر حكمة وموعظة وهداية ، فكان شعره فلسفيا موضوعيا أكثره ، ذلك لأنه لم يقل « بالفن — من أجل الفن — » بل كان يؤمن بأن الشعر فن من الفنون الرفيعة التى ينبغى استخدامها لأجل النهوض بالمجتمع إلى أعلى مراتب الرقى ، حتى روى عنه أنه قال مرة :

« إن وحيــاً صادراً من مصدر من مصادر التــدهور والانحطاط ، قــد يكون أثره أشــد فتــكا من جميع جحافل جنكيز خان ... »

وهو يرى أيضاً : « أن سلامة النفوس فى أى شــعب من الشعوب إنمــا تتوقف إلى حد كبير على نوع الإيحاء الذى يلقاه شعراؤه وفنانوه ... »

ولذلك اتخذ إقبال من الشعر وسيلة لتحريك المشاعر بين بنى قومه وشحذ هممهم واستثارة عزائمهم ، إذ أبان لهم أبلغ إبانة بأن لهم مجــداً مؤثلا وحضارة وتاريخاً مجيــداً ، واستحثهم على السعى والجهاد والتسامى بالمقاصد والغايات

واليكم بعض الأمثلة من شعر إقبال كما يترجمهـــا إلى العربية صاحب السعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك ســفير مصر بالباكستان :

عليك السير لا ترغب مقيلا ومركالشمس لا ترغب دليلا
وهب للآخرين متاع عقل ونار العشق فاحفظها بديلا

* * *

أثرت بنغمتى كل النوادى ومن سر الحياة جملت زادى
أضاء القلب من عقلى ولــكن جملت عيار عقلى فى فؤادى

* *

أرى رمز الحيــاة بكل زهر مجــاز فيه يا قلبى الحقيقه
بترب مظلم ينمو ولــكن له عين إلى شمس الخليقه

* * *

وهذه نبذة من قصيدة ممتعة للشاعر محمد إقبال عنوانها وصية الصقر لفرخه وقد ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام بك أيضا :

متاع الحيــاة نعم جهاد وصبر على محنة واجتهاد
يقول لفرخ عقاب عتيق : بريق الدماء يفوق العتيق
ولا تبغ سربا كسرب النعم توحد كقومك منذ القدم
سمعت وصاة الصقور العتاق بألا نقيم بظل وســاق
فليس لنا فى رياض مجال فسيح الفيافى لنا والجبــال

صلاح الدين خورشيد

رسالة الأدب

بين الاصفهاني والثعالبي

للأستاذ حامد حفني داود

كثيرا ما تكون ذاتية الأديب سببا في تضارب آرائه أو هدمها وخاصة حين يعمد إلى مقارنة كاتب بآخر من كتاب تاريخ الأدب العربي ، فيحمله تعصبه للواضح أن يقدم آثاره على آثار غيره ، أو يقدمه على أترابه من أجل سفر واحد من أسفاره

هذا ما لمسته حين أثار جماعة من الأدباء نقاشا حادا حول كتاب « الأغاني » للأصفهاني وكتاب « يتيمة الدهر » للثعالبي . وكانت المفاجأة عجيبة حقا حين رأى ذلك الناقد الكريم أن كتاب الأغاني أدى إلى الرسالة الأدبية القدر الذي لم يؤده كتاب اليتيمة . ولعل ذلك الناقد هاله أن يقع كتاب الأغاني في واحد وعشرين جزءا على حين يقع الآخر في أربعة أجزاء . وعلى هذا أصبح الأصفهاني — في نظره — أحق بالتقديم من صاحبه

هذه أحكام سريعة مليئة بالخطأ والعيوب . ولعله لم يحملنا على الوقوع فيها إلا في الأحكام السطحية التي نرسلها قبل الدراسة العميقة والآراء الممحصة

* * *

ولو أننا نستعرض حياة الأصفهاني في القرن الرابع والثعالبي في أوائل الخامس ، ثم أخذنا نوازن بين آثارهما ومقوماتهما الأدبية لاستطعنا أن نجيل الحديث على غير هذا النحو ، وأن نرسل أحكاما دقيقة تقوم على الحجة والبرهان

كان الأصفهاني (٣٥٦ هـ) والثعالبي (٤٢٩ هـ) شيخي عصرهما في تاريخ الأدب ودراسته . وقد حملا إلينا خلاصة الآثار الأدبية التي وصلت إلى علم هذين القرنين . ولكن شتان ما بين الرجلين في طريقة الأخذ وفي طريقة علاج النص الأدبي

ولعلنا نجد في حياة الرجلين وآثارهما وأسلوبهما ما يعيننا على تلمس ما بينهما من هوة واسعة في نقل « المادة الأدبية » إلينا وفي طريقة حملها وأدائها

عاش الأصفهاني في النصف الأول من القرن الرابع وهو عربي من نسل بني أمية ، وولد بأصفهان يوم كانت موطن كثير من الأشراف النازحين والأمويين الهاربين خلال العصر العباسي الثاني . ولكنه انتقل إلى بغداد سريعا حيث نشأ وتعلم . وهنالك جمع مادة كتابه الأغاني من الأخباريين وتلقفه من أفواه المؤرخين والمغنين ورواة الشعر ، في الوقت الذي كانت فيه بغداد تموج بميادين الشعر ، وتكاد تضيق بالشعراء والأدباء على اتساعها ، وهؤلاء غير من كانوا يفدون عليها من الدول الإسلامية شرقا وغربا وخاصة دولة بني بويه عماد السياسة والحضارة الإسلامية في القرن الرابع

أما الثعالبي فإنه ولد بنيسابور ونشأ في بلاد المشرق حين كانت مسرحا للدول الفارسية الناشئة في ذلك العصر ، وفي هذه البقعة من الأرض خالف الثعالبي في نشأته أعيان عصره حيث أخذ الأدب عن رغبة ملحة وميل شديد ، فلم يحمل نفسه عليه حملا أو يكرهها على صناعته كرها ، بل كان ملهما بطبعه وفطرته . وقد وهب إلى جانب ذلك قريحة وقادة وسجية مواتية ، يدلك على ذلك أنه كان في أول أمره فراء يبيع فراء الثعالب في الأسواق . ولو كان من صناع الأدب ومتكلفي الشعر الذين يكرهون أنفسهم ويحملونها على علاج هذه الصناعة لصعب عليه أن يغير مجرى حياته على هذا النحو العجيب . وهو إلى جانب هذه الطبيعة المواتية يحمل بين جنبيه نفسا محسة وقلبا نابضا يطوع له صناعة الأدب ويفتح أمامه طريقا سهلا ميسورا فيجد نفسه مشاركا لأدباء عصره في إحساسهم مرتبطا بعواطفهم حافظا لأشعارهم ورسائلهم . ثم يأبى عليه هذا الطبع السمح إلا أن يقوده إلى الكتابة الأدبية المنظمة عن بيئته التي عاش فيها ، فيجد نفسه مرة أخرى حيال نزعة ملحة إلى تأريخ الحياة الأدبية خلال القرن الرابع كله ، فيضع كتابه « يتيمة الدهر » . ويخرج الكتاب صورة صادقة لهذه النفس في سهولتها وهذه العقلية في نظامها وهذه الحافظة في وعيها وهذه الثقافة في اتساعها

أما الأصفهاني فيضع كتابه السالف في واحد وعشرين جزءا

وهو أضعاف مضاعفة لكتاب صاحبنا ، سواء فى مادته وأخباره. تراه يجمع فيه مادة وافرة من الشعر والغناء وأخبار الشعراء حتى أنه — كما يحدثنا أبو محمد المهلبى — وضعه فى خمسين سنة وأنه لم يستطع أن يكتبه إلا مرة واحدة فى عمره . ويكفيه فخراً أن الصاحب بن عباد زعيم الشيعة وعميد الأدب العربى فى النصف الثانى من القرن الرابع — يمدحه ويثنى عليه ؛ لما رآه من استقصائه للأخبار وجمعه لحكايات الشعراء حتى قال فيه : « ولقد اشتملت خزانتى على مائة ألف وسبعة عشر ألف مجلد ما فيها سميرى غيره . ولقد عنيت بامتحانه فى أخبار العرب وغيرهم فوجدت جميع ما يعزب عن أسماع من قرفه بذلك قد أورده العلماء فى كتبهم ، ففاز بالسبق فى جمعه وحسن وضعه وتأليفه . » (١)

وعلى الرغم مما امتاز به الأصفهانى فى جمع الأخبار واستقصائه إياها فإنه لم يأمن غائلة النقاد الذين جاءوا بعده: قال ياقوت. «وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مرارا وكتبت منه نسخة بخطى فى عشر مجلدات ونقلت منه إلى كتابى الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت ، وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشىء ولا يفى به فى غير موضوع منه » (٢) وضرب الأمثال لذلك بحديثه عن أبى العتاهية وأبى نواس والأصوات المائة فى الغناء

٠٠٠

وهنا يحق لنا أن نتساءل : هل كان الأصفهانى فى كتابه هذا يصور نفسه ويرسم إحساسه ومشاعره التى تربطه بأدباء عصره — كما فعل الثعالبى — ؟ الجواب : لا . لم يكن كذلك فى شىء لأنه كان يؤرخ لا أكثر . كتب الأصفهانى كثيرا ولكنه لم يكتب غير التاريخ الأدبى الصامت . وملأ أسفارا ولكنها لا تعدو أن تكون أخبار الأولين والمعاصرين من الشعراء . فهو أخبارى من الطراز الأول ، ومحدث مستطرد أمين بكل ما فى كلمة المحدث من معنى . ولكنه لم يرسل نفسه على سجية الأديب ، فيذكر رأيه أو يبدى لناقده فيمن يخبرنا عنهم

ولعلك حين تستعرض طريقة العرض عند الرجلين تقف على صدق ما ندعيه — فأنت ترى الأصفهانى حين يتحدث عن الشاعر يصدر حديثه عنه بسلسلة طويلة من نسبه ، يستطرد فيها ما شاء له الاستطراد ، وقد يأتى فيها بالفريد القبول وما كان يلذه السامعون فى ذلك العصر حين كانوا يعنون بالأنساب ويتفاخرون بها . ولكن الاستطراد لا يقف به عند هذا الحديث الذى يرسله فى حلقات النسب ، فيتجاوز النسب إلى ما وراءه وينتقل بك إلى الحديث عن شخص آخر قد لا يربطه بالسابق إلا محض الاستطراد . وهو رباط شكلى بحت — وهنا يذكر لك أشعارا وقصصاً وروايات تتعلق بالشخص الجديد الذى أدار الحديث حوله . حتى إذا ما انتهى به المطاف عاد إلى صاحبه الأول الذى ترجم له ، فيحدثك عما وقع له من أحداث ، وقد تنتهى به هذه الأحداث الجزئية المتعلقة بصاحبه إلى الحديث عن تاريخ عصره وما كان فيه من عبر ومواقع ؛ ثم يحدثك آخر ذلك كله عن شعر صاحبه والأصوات التى غنيت من هذا الشعر ومالم يغن ومالم يعتبر من الأصوات المائة التى ذكرها فى سائر كتابه . ويذيل الترجمة بخبر وفاة صاحبه إن كان فى الاستطراد ما يناسب ذلك

فأنت ترى أن عنصر الاستطراد هو المنهج الأصيل فى كتاب الأغانى وهو عين المنهج الذى استنه شيوخ الأدب العربى من قبل أبى الفرج . فالجاحظ (٢٥٥ هـ) وابن قتيبة (٢٧٦ هـ) وأبو على القالى (٣٥٦ هـ) وغيرهم من عيون الأدب العربى شرع واحد فى هذا المنهج . وقد أثبت المنهج العلمى الحديث أن منهج الاستطراد كان شائعاً فى كتابات القوم وأساليبهم منذ فجر الحياة الأدبية فى الجاهلية والإسلام وظل حتى أواخر القرن الرابع الهجرى

٭٭٭

ثم جاء أبو منصور الثعالبى فى أواخر القرن الرابع وخرج للناس بمنهج جديد لم يسبق إليه ، حيث ترك صناعة الأدب على طريقة الاستطراد الذى شغف به القوم فى حياتهم الأدبية . وأخذ يتحدث حديثا منظما عن تراجم الشعراء والكتاب ، وهو

---

١ — الصاحب بن عباد لصاحب هذا المقال (تحت الطبع)
٢ — الأغانى — تصدير الجزء الأول ص ٣٤

شعراء من أشعارهم

عدى بن زيد العبادي

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

تتمة البحث

فأنت ترى عديا فى القصيدة السابقة قد ذكر الأكاسرة والقياصرة، وذكر قصة رب الحضر، وذكر قصة رب الخورنق ، وهو يعرف أنهم جميعا قد ذهبوا ، وألوت بهم الأيام كما تلوى ريح الصبا وريح الدبور بالأوراق الجافة ، وقد كانت زاهية يوما ، يانعة يوما ، جميلة مبهجة للنفوس والقلوب يوما ، وهذا هو ديدن الأيام ، فمن يبقى على الدهر ، ومن خلدته المنون ؟

والحضر كان قصرا بين دجلة والفرات ، وأخو الحضر الذى ذكره عدى هو الضيزن بن معاوية ملك تلك الناحية وسائر أرض الجزيرة حتى بلاد الشام . وقد أغار فأصاب أختا لسابور الجنود ، وفتح المدن ، وفتك بها . ثم إن سابور جمع له ، وسار إليه ، وأقام على الحضر أربع سنين لا يستقل منهم شيئا ، حتى دلته النضيرة بنت الضيزن — وكانت صبيحة الوجه جميلة ، وأحبت سابور حين رأته وأحبها — وأعانته ، ففتح المدينة وقتل الضيزن يومئذ

والخورنق قصر النعمان بن الشقيقة . وسبب بنائه أن يزدجرد بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مرئ صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة . وكان عامله فى الحيرة على أرض العرب النعمان بن الشقيقة . فأمره أن يبنى الخورنق مسكنا له ولابنه بهرام جور وينزله إياه معه . وكان الذى بنى الخورنق رجلا يقال له « سنمار » ، فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال لهم لو علمت أنكم توفونى أجرى وتصنعون بى ما أستحقه ، لبنيت بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فكرهوا منه تقصيره وأمروا به فطرح من أعلى الجوسق

وقد تناول الشعر قصة سنمار هذه ، وضربه مثلا للرجل المجحود الفضل المنكر الجميل ، فقال أبو الطمحان القينى :

جزاء سنمار جزوها ، وربها ... وباللات والعزى ، جزاء المكفر

وقال سليط بن سعد عن أبى الغيلان وبنيه حين جحدوه فضله وجميل فعله ، وقد أخذ منه الكبر :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمار

وقال آخر وقد جوزى بسوء ، يدعو على من أساء إليه بعاقبة كعاقبة سنمار :

جزانى جزاه الله شر جزائه ... جزاء سنمار ، وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعلى عليه بالقراميد والسكب (١)

ورب الخورنق أعجبه قصره حين أشرف من أعلاه يوما وسره ماله وكثرة ما يملك ، والبحر يجرى عريضا من تحته ،

(١) القرميد : الآجر : يطلى به كالجص ونحوه ، والسكب : النحاس أو الرصاص

لا يحدثك عن شعراء هذا العصر وكتابه كـكل لا يتجزأ ؛ وإنما يحدثك حديث العارف بالبيئة وآثارها فى الأدب فيقسم بلاد المشرق إلى أقاليم مختلفة متباينة ، ثم يحدثك عمن بهذا الإقليم من الشعراء والأدباء والكتاب

وهو حين يضع كتابه يتيمة الدهر يضرب أمامنا مثلا رائعا لم يسبق إليه فى تاريخ الأدباء ؛ مثلا لا زلنا نحن معاشر المحدثين نعده متحررا طريفا فى بابه ولا سيما من الوجهة الفنية فى تاريخ الأدب ، فكتابه المذكور لا يعتبر كتابا فى تاريخ الأدب فحسب بل هو تاريخ أدبى إقليمى مستقل يتحدث فيه صاحبه عن الحياة الأدبية ورجالها فى الدول الإسلامية الشرقية فى القرن الرابع

« للموضوع بقية »

حامد حفنى داود الجرجاوى
ماجستير فى الأدب
وأستاذ العربية وطرق التدريس
بالمعلمين الريفية

والفلاح ، والملك ، والنعمة ؛ حين رأى كل ذلك وتهصر فيه ارعوى قلبه ، وفكر فى فنائه وفناء الإنسان . ويقال إنه نزل من الجوسق وانطلق إلى الصحراء ولم يعثر له على خبر

فعدى بن زيد كان يعرف الشئ الكثير . وكان يميل إلى أن يفلسف ما يعرفه ويستنبط منه القواعد العامة والنتائج المحتومة . فرأى الكبراء والعظماء والآثار تحور إلى وادى الفناء، ورأى أن الملك لا ينفعه ملكه ، والحصن لا يحمى سيده ، والقصر لا تدوم مسراته ونماؤه ، ورأى أن كل حى إلى الفناء يصير ، ورأى أن الخاتمة هى الهلاك والانطفاء ، ورأى أن المنون يترصد للناس ، ورأى أن الزمان لا يبلغ الإنسان ما يشتهيه ويأمله، فانطوت نفسه على آماله ومطامعه بأسة محزونة، وعرض هذا كله فى شعره

وقد أثرت حوادث الزمان فى عدى بن زيد تأثيرا كبيرا . وكان هو ميالا إلى استخلاص الحقائق الدائمة من هذه الحوادث العارضة . وهو فى هذه الأبيات التالية يقدم لنا عصارة حياته وخبرته المستمرة بالحياة وأبنائها :

فنفسك فاحفظها عن الغى والردى
متى تغوها يغو الذى بك يقتدى

وإن كانت النعماء عندك لامرئ
فمثلاً بها فاجز المطالب وازدد

إذا ما امرؤ لم يرج منك هوادة
فلا ترجها منه ، ولا دفع مشهد

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدى

إذا أنت فاكهت الرجال فلا تلع (٢)
وقل مثل ما قالوا ولا تتزيد

إذا أنت طالبت الرجال نوالهم
فعف ولا تأت بجهد فتنكد

ستدرك من ذى الفحش حقك كله
بحلمك فى رفق ولما تشدد

وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تلم
وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد

ولا تلح (٣) إلا من ألام ولا تلم
وبالبذل من شكوى صديقك فافتد

عسى سائل ذو حاجة إن منعته
من اليوم سؤلا أن ييسر فى غد

وللخلق إذلال لمن كان باخلا
ضنينا ، ومن يبخل يذل ويزهد

هذه الحكمة الرائعة إنما هى خلاصة تجارب عدى فى حياته بعد أن بلا مر الناس ومر الأيام ، وبعد أن لم تحقق له الأيام ما يصبو إليه ، وبعد أن تبصر فى مصير الناس — فقراء وأغنياء — بعد هذا كله ، وبعد أن كون رأيا عاما وفلسفة كاملة ، لم ير خيرا من هذا الذى قدمه لنا فى أبياته السابقة . وهى فلسفة تحنو على الضعيف ، وتدعو إلى الرفق والحلم ، وتعترف بتقلبات الأيام واختلاف الحظوظ ، وترى أن أخذ الحياة بالجد والحيطة أتم وأوفق ، وترى أن تكافىء الإحسان بالإحسان ، وأن تؤدب نفسك ، وتحفظها من الغى والضلالة . والمعنى السارب فى هذه الأبيات كلها هو كف النفس وأخذها بالحكمة والحزم والحذر

وكان طواف عدى بالبلاد نعمة عليه ونقمة أيضا . نعمة عليه لأنه اتسعت مداركه ، وعرف كثيرا ، وأحاط بكثير من أحوال الملوك والدول ، وصقل نفسه وهذب عواطفه . ونقمة لأنه عرف كنه كثير من الأشياء، وعرف اختيان الناس بعضهم بعضا ، وعرف كثيرا من الأحوال المشجية والمبكية ، وهذا جعله يسئ الظن بالأيام وبالناس ، فاصطبغت نظرته إليهما باليأس والقنوط. ونقمة لأن خلاطه بالناس، واختلافه إليهم واختلافهم إليه ، وهم ذوو ألسنة متعددة ولغات متباينة وثقافات مختلفة ، أثر فى عربيته إلى حد دعا إلى الاحتراس منه . لأن طول العشرة ودوام المخالطة يدعوان الانسان — رضا أو كراهة — أن يأخذ من مخالطيه ومعاشريه كثيرا ، يأخذ من عاداتهم وآدابهم ،

٢) لا تكذب
٣) لاتلم من لحا يلحو

ويتأثر بأذواقهم، وينحو منحاهم، ويميل إلى ما يميلون إليه، وقد يستعير منهم بعض ألفاظهم، ويصوغ على أساليبهم، فتتأثر بذلك لغته، ويدخلها وهن لم تكن تعرفه من قبل

وهذا ما حدث لعدي بن زيد. وهو نفسه ما دعا ناقدي العرب إلى التنبيه إليه والاحتراس منه، فهم قد انتقصوه وحذروا من الاحتجاج بشعره، وذلك لخلطه بكثير من غير العرب من الفرس والروم

فعدي «كان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف، فثقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جداً، وعلماؤنا لا يرون شعره حجة»

وهو «شاعر فصيح من شعراء الجاهلية. وكان نصرانيا. وكذلك كان أبوه وأمه وأهله. وليس ممن يعد في الفحول. وهو قروي. وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عيب فيها. وكان الأصمعي وأبو عبيدة يقولان. عدي بن زيد في الشعراء، بمنزلة سهيل في النجوم، يعارضها ولا يجري معها مجراها»

ومما يعاب عليه من شعره قوله داعيا النعمان إلى الصفح عنه:

أجل نعمى ربها أولكم ودنوي كان منكم واصطهاري

يدعو النعمان إلى الصفح عنه من أجل نعمة قد تعهدها آباء النعمان، ومن أجل قربه منهم، ومن أجل مصاهرته إياهم. والمقصود من الاصطهار هنا المصاهرة. ولكن كتب اللغة لم تذكر لاصطهر معنى سوى ما جاء في قولهم: «اصطهره أي أذابه وأكله» ولو قال «وصهاري» لصح المعنى واتزن البيت (٤)»

وذكر بعض الفارسي في شعره، وذلك حين وصف السحاب المتراكب، فوق رأس شيب، والبرق في السحاب يلمع لمعان السيوف، ويظهر صفحة الثوب المصون:

أرقت لمكفهر بات فيه بوارق يرتقين رؤوس شيب

تروح المشرفية في ذراه ويجلو صفح دخدار قشيب

والدخدار الثوب المصون وهو فارسي معرب، وأصله تخت دار

(٤) راجع الأغاني. الجزء الثاني. طبع دار الكتب. ص ١١٤ (الحاشية)

وهم يعدون من شعره أربع قصائد غرر:

الأولى يقول فيها:

أيها الشامت المعير بالده ر أأنت المبرأ الموفور؟

أم لديك العهد الوثيق من الأ يام؟ بل أنت جاهل مغرور!

من رأيت المنون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير؟

وفي الثانية يقول:

أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

ذريني فإني إنما لي ما مضى أمامي من مالي إذا خف عودي

وحمت لميقاتي إلى منيتي وغودرت إن وسدت أو لم أوسد

وللوارث الباقي من المال فاترك عتابي فإني مصلح غير مفسد

ومن الثالثة:

لم أر مثل الفتيان في غبن الأ يام يدرون ما عواقبها

ومن الرابعة:

طال ليلي أراقب التنويرا أرقب الليل بالصباح بصيرا

ومن المعاني معان محدودة، تسير من مكان إلى مكان، وتتناقلها الألسنة، من هذه المعاني المحدودة المعنى الذي أورده عدي بن زيد في قوله:

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

فقد ورد على لسان الأحنف بن قيس في قوله:

«من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء. ومن غص بالماء فلا مساغ له. ومن خانه ثقاته فقد أتي من مأمنه»

وقال العباس بن الأحنف:

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أحزاني وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

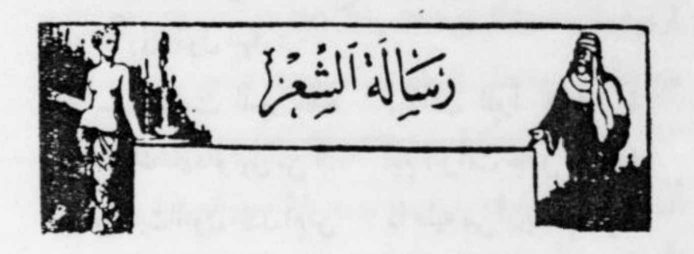
وقال آخر:

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار

وقال غيره:

إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء

محمود عبد العزيز محرم



في انتظار الصباح

للاستاذ أحمد أحمد العجمي

في انتظار الصباح الربا والبطاح
والسهول الفساح والندى والأقاح
وثغور الملاح والوجوه الصباح
كلها في انتباه تستحث الحياه
هامسات الشفاه تحسب الفجر تاه
والدياجي فلاه أين منها النجاه ؟
والليالي جراح نام عنها الأساه
في انتظار الصباح

...

ضاق ليلي وطال بالأسى والملال
أين طيف الخيال ؟ في ضفاف الجمال
كدنا الفجر جال في شعاف الجبال
غردي يا طيور واسمعي يا وكور
وارقصي يا زهور للندى والعبير
عند شط الغدير صاح فيه الخرير :
ذلك الفجر لاح من وراء الستور
في انتظار الصباح

أحمد أحمد العجمي

يا شعر

للأديب كيلاني حسن سند

يا شعر ، يا لحن القلوب ، ويا نشيد الحائرين
يا نغمة جادت بها .. قيثارة الزمن الضنين
يا غنوة ، طفحت بها .. كأس الصبابة .. والحنين
يا رعشة القلب الجريح ، ويا صدى الروح الحزين
يا موجة غسلت جراحات الفؤاد من الأنين
يا وحي ليلي ، والحياة يلفها حولي السكون
يا ان الضلوع الحانيات على المواجع والشجون
يا دفقة الشوق الحبيس، وصرخة الأمل السجين
يا واحة بين الضلوع تنضرت فيها الغصون
آوى إليها — في الهجير — فأستريح وأستكين
يا من عصرتك من دمي لحنا فأنت له جنين
يا مشعلا بيدي يضيء لي الطريق فيستبين
لولاك ياشعري للذت من المواجع بالمنون
ولقلت : ثوري يا رياح ، وحطمي هذا السفين
عمري سواك نفاية في الأرض تحقرها العيون
الركب يضرب في الدجى وأنا مع المتخلفين
القانعين من الربيع ، من الخمائل ، بالدرين
الناظرين إلى الكواكب وهي تستبق السنين
الناهلين من السراب ، من الغواية ، والمجون
الزارعين بوهمهم زهر الوساوس والظنون
العابدين رؤى الجمال ، العازفين له اللحون
الساهرين وما غفوا .. أحتى تقرحت الجفون
الراكضين مع النجوم ، وهم على السفح المهين
لكن لأجلك قد رضيت وقد قنعت بما يهون
وتركت دنياي الحبيبة للشباب .. الكادحين
وشللت كفي عن مناي وعشت في كهف الفنون
أبكي وأضحك عازفا لحن المسرة والأنين

كيلاني حسن سند



مأساة عربية :

هذه قصة من صميم الواقع أنقلها إلى القراء الكرام كما رواها لي صديق شاعر كان قد زار شرق الأردن وبعض الأقسام العربية من فلسطين التي ضمت إلى الأردن مؤخرا ، وليس لي فيها سوى الرواية. قال محدثي ونحن جلوس في «مقهى الزهاوي» (١) ببغداد نتسمع إلى آخر الأنباء في السياسة الدولية : —

عند طوافي شرق الأردن بصحبة زعيم فلسطين زرنا مدينة نابلس . وفي الطريق مررنا باللاجئين العرب الذين شردتهم السياسة اللعينة من ديارهم وكانوا يسكنون الخيام بمجموعتهم الفقيرة ، وهم حفاة بألبستهم المهلهلة القذرة ، وقد أردت أن أستفسر عن حالهم من صديق الفلسطيني فأخبرني أنه يريد أن يريني صورة صادقة ، ثم جذبني من يدي ودفع باب إحدى الخيام المبثوثة في طريقنا ودخل وأنا وراءه. وبعد السلام وإبداء التحية هتف صديق ، قومي يا « فلانة » لاستقبال صديقنا هو عربي عراقي جاء يستفسر منك لينقل لإخواننا العرب في شتى الأقطار حالتكم. وما فرغ من كلامه حتى شرقت الفتاة بالدمع وهي تحتضن طفلا صغيرا بجانبها وكانت فتاة في أوج أنوثتها وشبابها ، فلم أتمالك نفسي من التأثر، فأخرجت من جيبي بعض المال وسلمته إلى الطفل وخرجت وأنا ألعن الجامعة العربية وحكوماتنا على هذه السياسة اللعينة التي جلبت علينا العار والشنار، وفي الطريق روى صديق الفلسطيني قصة هذه الفتاة قال :

— هذه « فلانة » بنت « فلان » وهو من كبار شخصيات فلسطين تخرجت من جامعات بريطانيا ، كانت تملك من الأرض وبيارات الفواكه مالا يحصر ، استشهد أبوها وأخوها الأكبر في إحدى الوقائع ، أما أمها فقد ماتت كدا ، ولم يبق لها غير هذا الطفل وهو أخوها الصغير ، وعندما استولى اليهود على فلسطين أصبحت هذه الآنسة الثرية لاجئة تعيش على الصدقات! فهل من مأساة أبشع وأفظع من مأساة هذه العربية؟!

فقلت وأنا أشرق بدموعي : لتحل علينا اللعنة ما دامت عجلة الحياة تدور

هذه القصة انقلها إلى القراء ، تاركا لهم التعليق وللجامعة الفخر والتبجح بالماضي المجيد

عبد القادر رشيد الناصري

(١) مقهى الزهاوي في بغداد أشبه ما تكون بناد يؤمه الأدباء والشعراء وسمى باسم الشاعر العراقي تخليدا لذكراه لأنه كان من رواده

تصويب أخطاء

منذ يومين قرأنا في العدد ٩٧٣ من مجلة « الرسالة » الغراء مقالا للدكتور محمد بهجت تحت عنوان (امرأتان عظيمتان من دولة المغول) . وقد وقع في هـذا المقال القيم أخطاء من جهة نقل الأسماء لبعض الأعلام . وغالب الظن أن منشأ هذه الأخطاء عدم معرفة الدكتور الفاضل الفارسية ، ولعله أخذ معلوماته من بعض ماقرا من الكتب الانكليزية. بل نذكر ماجاء في هذا المقال من الأخطاء معقبين عليها بالتصحيح

١ — « نور جاهان » أصل الكلمة « نورجهان» ومعناها نور العالم ، فإن كلمة « جهان » معناها العالم بالفارسية

٢ — « على كولى » أصل الكلمة « على قلى »

٣ — « شر أفغان » أصل الكلمة « شير أفكن » أى مصارع الأسد ، فإن شير معناه الأسد وأفكن معناه المصارع

٤ — « جاهان جير » أصل الكلمة « جهان كير » أى القابض على العالم ، فإن « جهان » معناه العالم « وكير » معناه القابض . وما كانت كلمة « جهان كير » هذه كنية للملك نور الدين وإنما كانت لقبا لقب بها نفسه عند اعتلائه عرش المملكة ، شأن غيره من الملوك المغوليين في الهند

٥ — « كرام » أصل الكلمة « خرم »

٦ — « بارفر » أصل الكلمة « برويز »

٧ — « دالكوشا » أصل الكلمة « دل كشا » أى فاتح القلب

٨ — « شاه دارا » أصل الكلمة « شاهدره »

باكستان

محمد عاصم الحداد

لسان العرب بين ابن سينا وابن منظور

جاء فى تحقيقك للشيخ ابن سينا أنه ألف لسان العرب ، والذى أعلمه أن الذى ألف لسان العرب هو « ابن منظور الأفريقى »

عبد الله مرسى الطحان

(الرسالة) لسان العرب الذى ألفه ابن سينا غير لسان العرب الذى ألفه ابن منظور . نقل القفطى فى كتابه (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) عن عبيد الجوزجانى صاحب الشيخ الرئيس قوله : « صنف الشيخ فى اللغة كتابا سماه بلسان العرب لم يصنف فى اللغة مثله ، ولم ينقله إلى البياض حتى توفى ، فبقى على مسودته لا يهتدى أحد إلى ترتيبه »

العيد الألفى للجامع الأزهر :

تلقت مشيخة الأزهر رغبة ملكية كريمة خاصة بالاحتفال بالعيد الألفى للجامع الأزهر ، احتفالا يليق بمكانة هذه الجامعة العلمية الإسلامية التاريخية بين جامعات الأمم المتحضرة وبرسالتها الدينية الكبرى فى مختلف الأزمنة والعصور

وقد تضمنت هذه الرغبة السامية أن يكون الاحتفال بهذا العيد عالميا تشترك فيه الشعوب الإسلامية ، لأن رسالة الأزهر قد شملت هذه الشعوب جميعا؛ ولا يزال الأزهر يستقبل من أبنائها من ينهلون من معينه ليعودوا إلى بلادهم وأممهم رسل حضارة ودعاة هداية وارشاد . وتشترك فيه كذلك الجامعات العلمية فى مختلف الأمم بوصف كونه جامعة علمية ساهمت بالنصيب الوفور فى تغذية العقل البشرى برسالة المعرفة

وقد عكف فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، تنفيذا لهذه الرغبة الكريمة ، على دراسة هذا الموضوع منذ بدايته حتى اليوم ، وأمر بإعداد مذكرة تشتمل على بيان المقترحات التى سبق أن وضعت فى صدد هذا الاحتفال فى مختلف مراحل التفكير فيه ، والإعداد له ، وبخاصة تلك المقترحات التى وضعت فى عهد المغفور له فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى يوم كان شيخا للجامع الأزهر

وقد علمنا أن هناك اتجاها يرمى إلى وضع تاريخ مفصل لما درس من أمهات الكتب الاسلامية فى الأزهر ، فى مختلف العصور ، مع بيان الطريقة التى يمتاز بها كل عصر على حدة ، فى نظام الدرس والتدريس ، ومع وضع دراسة خاصة للاعلام من الفقهاء والأئمة المسلمين الذين ألفوا هذه الكتب أوساهموا فى شرحها أو التعليق عليها ، فى مناسبة هذا الاحتفال التاريخى الكبير

وكذلك يرمى هذا الاتجاه إلى وضع تاريخ شامل للمذاهب الإسلامية الأربعة ، كل مذهب منها على حدة ، مع بيان المسائل المشتركة بين هذه المذاهب والمسائل التى اختلف عليها ، وتوضيح ظروف هذا الاختلاف

والغاية التى يهدف إليها هذا الاتجاه هى أن يكون هذا المهرجان الإسلامى التاريخى مقترناً ببيان حقيقة الغاية من رسالة الإسلام فى مختلف النواحى والوجوه

وسترفع هذه المذكرة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليتخذ فضيلته على ضوء ما فيها من البيانات الخطوة التنفيذية الأولى نحو تنفيذ هذا المشروع الكبير

ويقال إن هذه الخطوة التنفيذية ستكون فى أن يؤلف فضيلة الأستاذ الأكبر لجنة عليا من بعض جماعة كبار العلماء وبعض كبار المشتغلين بالعلوم العربية والدينية فى الجامعات المصرية وغيرها من مختلف المعاهد الأخرى ، وسيكون لهذه اللجنة أن تؤلف لجانا لدراسة مختلف الموضوعات كما تشاء

لغة الشاشة :

لاحظت أثناء عرض الجريدة الأخبارية على الشاشة البيضاء أن اللغة التى تصحب العرض لا تراعى فيها القواعد النحوية ، فقد ينصب الفاعل أحيانا .. وقد يرفع المفعول أحيانا أخرى .. وهذا نقص نوجه إليه عناية المسئولين ، لأن هذه الجريدة الاخبارية تعرض فى أكثر من بلد عربى .. فماذا عساهم يقولون عنا .. ونحن نأبى إلا أن نتبوأ الصدارة من أمم الضاد ! ...



الباب المفتوح

للكاتب الانجليزى الكبير « الساقى » (*)

— ستحضر خالتى فى الحال يامستر « نتـل » ، ولكن يجب فى الوقت نفسه أن تجتهد فى إنهاء حديثك معى

بهذه الـكلمات بادرت الفتاة ضيفها عند عودتها إلى غرفة الاستقبال، حيث كانت قد تركته ريثما تذهب لإخبار خالتها بقدومه: وفتاة ناصبية رزينة لم تتجاوز الخامسة عشرة من سنيها

وحاول فرامتون نتل أن يتخير الـكلمات اللائقة التى يستطيع أن يرضى بهـا ابنة الأخت الماثلة أمامه دون أن يكون فى هـذه الكلمات ما لا يرضى بغير مقتضى ، الخالة التى ستحضر بعد قليل، وقد شك الفتى بينه وبين نفسه أكثر ممـا شك فى أى وقت مضى ، فيما إذا كانت هـذه الزيارات الرسمية التى يتقدم بها إلى سلسلة من العائلات التى لا تربطه بها أية رابطة على الإطلاق ، سيكون لهـا أثر فعال فى علاج مرض الأعصاب المفروض أنه مصاب به ... فقد قالت له أخته وهو يتأهب لرحلته الريفية :

— أنا عالمة بما ستكون عليه رحلتك ! فلسوف تدفن نفسك حيث لا تتحدث إلى مخـلوق من الأحياء ، وعنـدئذ تضاعف الكآبة مرض أعصابك ؛ وها أنا أكتب فى الحال خطابات توصية أقدمك بهـا إلى جميع الذين أعرفهم هناك . ولقد كان بعضهم ، على ما أذكر ، وديعا ظريفا

تذكر فرامتون كلمات أخته وتساءل فى نفسه : ترى مسز

(*) « الساقى » أو « ساكى » كما تنطق بالانجليزية هو الاسم المستعار الذى تخيره الكاتب الانجليزى الكبير هكتور هيونج مونرو لتوقيع مقالاته وقصصه العديدة التى نشرت فى الصحف والمجلات الانجليزية . وقد تخير هذا الاسم من إحدى رباعيات عمر الخيام التى يخاطب فيها (الساقى) بقوله : « إذا مررت أيها الساقى بالرفاق المنتثرين على الأعشاب انتثار النجوم الخ »

« وقد ولد مونرو فى بورما سنة ١٨٧٠ وماتت أمه وهو فى السنة الأولى من عمره فنقله أبوه هو وأخويه إلى نورث ديفور ليعيشوا بين جدتهم وعمتهم . وقتل مونرو فى فرنسا سنة ١٩١٦ فى إحدى معارك الحرب الكبرى . وله كثير من القصص القصيرة والمقالات النقدية البارعة . وقصة (الباب المفتوح) التى نترجمها هنا هى إحدى قصصه القصيرة الطريفة »

كثيرا ما طرأت هذه الأخطاء اللغوية أذنى وآلمتنى .. ولا شك أن الغيورين على اللغة يشاركوننى رأيى .. ويضمون أصواتهم إلى صوتى ! ..

إن المخرجين يبذلون عنـاية كبرى فى إخراج هذه الأفلام ، ويولونها جانبا غير قليل من جهودهم .. فياحبذا لو ظفرت لغة العرض بمثل هذه العناية والرعاية ! ...

عيسى متولى

كاف التشبيه :

يضع كثير من الأدباء حرف الـكاف فى غير موضعه فيقلب المعنى إلى النقيض وهم لا يشعرون . من ذلك مثـلا أن الأديبة بنت الشاطئ نشرت كلمـة فى أهـرام ٣ / ٤ / ١٩٥٢ وردت بها هذه العبارة « تخرج الفتاة بشهادة تبيح لها احتراف التمريض والتدليك كوسيـلة للرزق » وتريد أن تنتقد اتخاذ هذا الفن وسيلة للرزق فقط ، مع أن هذا التعبير لا يؤدى المعنى الذى ترمى إليه ؛ إذ أن الـكاتبة تعلم كل العلم أن التشبيه يقتضى أن يكون المشبه غير المشبه به ، ولا يمـكن أن يستقيم المعنى مع هذا الوضع، بل يستقيم تمام الاستقامة إذا قالت « وسيلة للرزق » أى بحذف الـكاف

إن فشو هذا الخطأ بين خاصة الأدباء اضطرنى إلى أن انبه إليه حتى وأنا بسبيل البحث فى تيسير الـكتابة ، فلقد أشرت إليه فى تقريرى الذى رفعته منذ بضع سـنين إلى المجمع اللغوى خاصا بتيسير الكتابة العربية ، حتى لا يظن ظان أن إجازة الخطأ نوع من التيسير ، وإلا كنا كمن نادى بنصب جمع المؤنث السالم بالفتحة زاعما أن فيه تيسـيرا كبيرا ، والواقع — كما قلت فى تقريرى هذا — أنه هدم لقواعد اللغة من أساسها ولا يمت إلى التيسير بصلة قريبة أو بعيدة

عبد الحميد عمر

سابلتون التي سيتقدم إليها بعد لحظة بأحد خطابات التوصية التي يحملها، تدخل في نطاق هذا البعض الوديع الظريف »

وإذ لاحظت الفتاة الرقيقة أن فترة السكوت قد طالت بينها وبين الزائر الغريب سألته :

— أتعرف كثيرين من أهل هذه الناحية ؟

فأجاب :

— أكاد لا أعرف أحداً هنا . وقد كانت أختي كما تعلمين، مقيمة هنا في الأبرشية منذ حوالى الأربع السنوات ، وقد أعطتني خطابات توصية لفريق من أهل هذه الناحية ...

وصاغ الفتى كلماته الأخيرة في لهجة تنم عن الأسف فتابعت الفتاة الرزينة حديثها قائلة :

— إذن أنت تكاد لا تعرف شيئاً إطلاقاً من أمر خالتي ؟

فأجاب الفتى :

— لا أعرف غير اسمها وعنوانها

فهو لا يدري إذا كانت متزوجة أو أرملة . ولكن شيئاً في الغرفة لا يستطيع أن يتبينه على التدقيق كان يوحي إليه بأن في البيت رجالا ... على أن الصبية لم تلبث أن قالت :

— لقد نزلت بخالتي مأساتها الكبيرة في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنين كاملة ، ويوافق ذلك الوقت الذي غادرت فيه أختك هذه الجهات

فسأل الفتى وهو لم يكن ليتصور أن المآسي تجد طريقها إلى مثل هذا المكان الهادئ المطمئن :

— تقولين مأساتها ؟

فقالت الفتاة وهي تشير إلى أحد الأبواب المطلة على الشرفة وكان مفتوحاً :

— قد يدهشك أن ترى هذا الباب مفتوحاً في مساء يوم من أيام شهر أكتوبر كيومنا هذا ؟

فأجاب فرامتون :

— إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الفصل من السنة ، ولكن هل لهذا الباب أي علاقة بالمأساة التي تشيرين إليها ؟

فشرعت الفتاة تحكي القصة الآتية :

في مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات خرج من هذا الباب زوج خالتي وأخواها الأصغر منها سناً ليصيدوا الطير على عادتهم اليومية ، ولكنهم لم يعودوا من رحلتهم ، لأنه عند اجتيازهم المستنقع للوصول إلى الميدان المفضل عندهم لصيد البكاشين ساخت أقدامهم في بقعة خادعة من الأرض اللينة ، حدث هذا في ذلك الصيف الذي كثرت أمطاره، على ما تعلم، حتى إن الأماكن التي كانت مأمونة في السنوات الأخرى لم تقو على الثبات فانهارت ، وقد اختفت أجسامهم ولم يقف لها أحد على أثر ، وهذا هو أفظع ما في المأساة

وما وصلت الفتاة إلى هذه النقطة من قصتها حتى فقد صوتها ما فيه من رنة الثبات وغلب عليه التأثر ، ثم مضت تقول :

— مسكينة خالتي لا تنفك تتصور أنهم سيعودون يوماً ما ومعهم كلبهم الأسود الصغير الذي ساخ معهم أيضاً ، وأنهم سيدخلون البيت من هذا الباب كما تعودوا أن يفعلوا كل يوم . وهذا هو السبب في تركه مفتوحاً كل مساء إلى أن يهبط الغسق . وما أتعس خالتي المعزّزة، فلكم كررت على سمعي قصة خروجهم ، إذ كان زوجها يحمل معطف المطر الأبيض على ساعده ، بينما روني أخوها الأصغر ينشد أغنية : « لماذا تثب يا برتي » ، كما كان يفعل دائماً ليغيظها فقد كانت تقول إن هذه الأغنية تهز أعصابها ، ولا أخفي عليك يا سيدي ، أنني في بعض الليالي الساكنة الهادئة مثل هذه الليلة ، يتسرب إلى نفسي غالباً شعور خفي بأنهم جميعاً سيعودون إلينا من خلال هذا الباب ... »

ووقفت الفتاة فجأة عن الكلام مضطربة بعض الشيء ، وأحس فرامتون بالفرح عندما دخلت الخالة الغرفة تسوق أمامها سلسلة من المعاذير لتأخرها في إصلاح زينتها وقالت :

— أرجو أن تكون « فيرا » قد سلتك بحديثها ؟

فقال فرامتون .

— لقد كان حديثها جد شائق

وقالت مسز سابلتون في نشاط وخفة :

— أرجو ألا يضايقك فتح هذا الباب ، فإن زوجي وأخوي على وشك أن يعودوا من الصيد ، وقد تعودوا أن

يدخلوا دائما من هذا الباب ، وقد خرجوا اليوم لصيد البكاشين فى البرك ، وما من شك فى أنهم متى عادوا تركوا على سجاجيدى المسكينة آثار ما تحمل أقدامهم من أوحال ، وهذا شأنكم أيها الرجال ؛ فهل توافقنى على ذلك ؟ »

ومضت تتحدث فى انشراح عن الصيد وعن ندرة الطيور ، وبخاصة البط فى فصل الشتاء ، ولقد بدا هذا الحديث لفرامتون مزعجا فظيعا ، فحاول جاهدا أن يحوله إلى مجرى أقل فظاعة وهولا ، فلم ينجح فى ذلك إلا بعض النجاح ، وقد تبين أن مضيفته لا توليه من عنايتها إلا جزءا جد يسير ، ولكن نظراتها كانت تتخطاه إلى الباب المفتوح وإلى ما وراءه من حقول ومستنقعات . فما من شك فى أن زيارته هذه الأسرة فى مثل هذه الذكرى المؤلمة لم تكن إلا مصادفة جد سيئة

وصور الوهم لفرامتون أن القوم الغرباء الذين يجتمع بهم والذين هم معارف الصدفة ، عطاش إلى تعرف أقل ما يمكن من التفصيل عن مرضه وعلته ووسائل شفائه فقال :

— لقد اتفق الأطباء فى أمرهم لى بأن ألزم الراحة التامة وأن أتجنب الانفعالات النفسية ، وأن أبتعد من كل شئ يتصل بالمجهود الجسمى ، ولكنهم غير متفقين اتفاقا تاما فيما يتصل بمسألة الغذاء

فقالت مسز سابلتون :

— ألم يتفقوا ؟

وكان صوتها فى هذا السؤال صوت الذى جاهد التثاؤب فى اللحظة الأخيرة . ثم لم تلبث أن ابتهجت فجأة وبدا عليها مظهر التنبه الشديد ... غير أن هذا التنبه لم يكن لحديث فرامتون . ثم صاحت :

ها هم قد عادوا آخر الأمر فى الوقت المناسب لشرب الشاى . ألا يبدو عليهم أن الأوحال تغطيهم إلى رؤوسهم ؟

فارتجف الفتى ارتجافا خفيفا ، ثم نظر إلى ابنة الأخت نظرة تحمل معنى الإشفاق . وكانت الطفلة تحدق من خلال الباب المفتوح ، وفى عينيها معنى الرعب الخاطف : فدار فرامتون فى مقعده وقد أحس بصدمة مرعشة من جراء خوف لا يدرك معناه ونظر إلى حيث تنظر الفتاة

فرأى خلال الغسق الهابط ثلاثة أشخاص يجتازون الحقل إلى الباب المفتوح ، وكانوا جميعا يحملون البنادق على سواعدهم ، وكان أحدهم يحمل ما عدا البندقية معطفا أبيض من معاطف المطر ألقاه على كتفه ، وكان يتعقب أقدامهم كلب صغير أسود تبدو عليه مظاهر التعب . واقترب هذا الجمع فى سكون من البيت ، وإذا بصوت فتى أجش يغنى فى الغسق :

« إنى أسألك يا برتى لماذا تثب ؟ »

لم تكد عين فرامتون تقع على هذا المنظر حتى أمسك فى عنف بعصاه وقبعته ، وفى أسرع من لمح البصر كان قد اجتاز باب الردهة والممر المرصوف والباب الخارجى كأنه السهم المارق ، حتى أن رجلا مقبلا على دراجة لم يتق التصادم به إلا فى اللحظة الأخيرة منحرفا فجأة إلى السور

ودخل القادمون من الباب المفتوح وقال حامل المعطف الأبيض :

— ها نحن يا عزيزتى قد عدنا ملوثين بالأوحال ولكن أكثرها جاف . ولكن من هو هذا الرجل الذى اختفى لمجرد ظهورنا ؟

فقالت مسز سابلتون :

هو رجل غريب الأطوار جدا اسمه مستر (نتل) لا يستطيع أن يتكلم إلا عن مرضه ، ولم يكد يراكم حتى اندفع إلى الباب خارجاً دون أن يلقى بكلمة وداع أو عبارة اعتذار ، حتى لكأنه قد رأى شبح عفريت مخيف

فقالت ابنة الأخت فى هدوء :

— أظنه قد خاف الكلب ، فقد خبرنى أن بعض الكلاب الضالة هاجمته مرة وطاردته حتى ألزمته الهرب منها إلى مقبرة فى ناحية ما على ضفة نهر الجنج ، وقد اضطر أن يقضى الليل فى قبر جديد لم يدفن فيه أحد بينما الكلاب من فوقه تنبح مكشرة عن أنيابها ، وفى ذلك ما يكفى لهز أعصاب أى إنسان

لقد كان من خصائص فتاتنا الرزينة اختراع الروايات على البديهة !

ع . ح


الجزء الثالث من
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للأستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل
بالقطارات السريعة والاكسبريس
إبتداء من أول مايو سنة ١٩٥٢ قد أعدت عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل بالقطارات
السريعة والاكسبريس بخطوط : —
(١) مصر — اسكندرية (٢) مصر — بور سعيد (٣) مصر — دمياط
(٤) مصر — رفح (٥) خط الوجه القبلي : —
ولزيادة الإيضاح الرجا الاطلاع على الاعلان المعروض بالمحطات
المدير العام
سيد عبد الواحد
مطبعة الرسالة





فهرس العدد

جامعة فؤاد الأول

كلية الآداب — اعلان

ترغب كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فى شغل كرامى الآثار المصرية وتاريخ مصر والشرق القديم والفن الصحفى الخالية بها ويشترط فيمن يتقدم لشغل هذه الكرامى : —

(١) أن يكون حاصلا على درجة الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول أو على درجة تعتبر معادلة لها من جامعة أجنبية أو معهد معترف بهما .

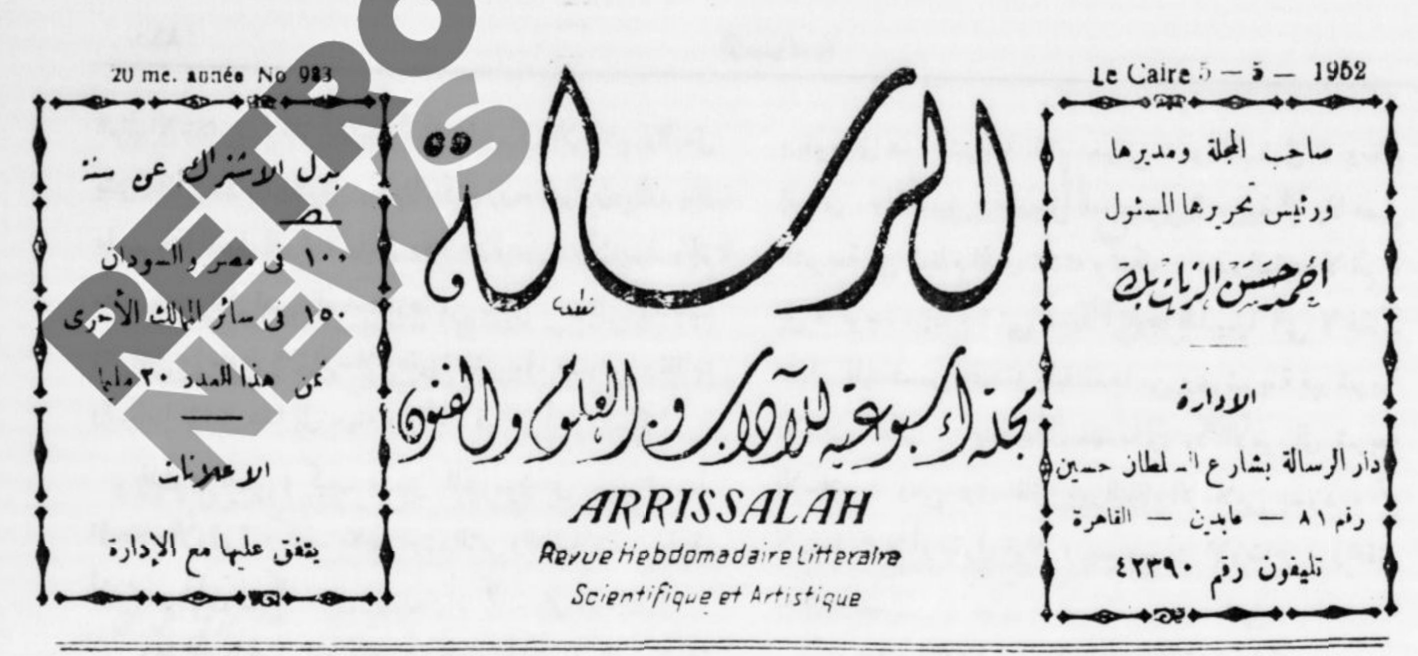
(٢) أن يكون قد شغل وظيفة أستاذ مساعد مدة أربع سنوات فى إحدى كليات الجامعة أو فى معهد علمى من طبقتها

(٣) أن يكون قد قضى اثنتى عشرة سنة فى خدمة الحكومة أو مدة أربع عشرة سنة على حصوله على درجة بكالوريوس أو ليسانس

(٤) أن تكون له فى مادة اختصاصه أبحاث قيمة مبتكرة

وتقدم الطلبات باسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول فى ميعاد لا يتجاوز شهرا من تاريخ نشر هذا الاعلان مع بيان المؤهلات والمناصب الجامعية والأبحاث العلمية

ويكون التعيين بالنسبة للموظفين فى درجة أستاذ ج ولغيرهم بعقد لمدة لا تتجاوز ثلاث سنوات وبماهية ٨٤٠ جنيها فى السنة بخلاف إعانة الغلاء والمرتبات الأخرى التى تنص عليها التعليمات المالية ١٤٧٩



20 me. année No 983

Le Caire 5 — 5 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات بك

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٣ «القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٧١ — ٥ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

هذا هو الطريق ..

للاستاذ سيد قطب

« ولا تحسبنَّ الذينَ قُتِلوا فى سبيلِ اللهِ أمواتاً ، بل أحياءٌ عندَ ربهم يُرزقون ، فرحين بما آتاهمُ اللهُ من فضلِه ، ويستبشِرون بالذين لم يَلحَقُوا بهم مِنْ خلفِهم ألاّ خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنون ، يستبشرون بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ ، وأنّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين : الذين استجابوا للهِ والرّسولِ من بعدِ ما أصابهمُ القَرْحُ ، للذين أحسنُوا منهم واتّقَوْا أجرٌ عظيم ، الذين قالَ لهمُ الناسُ : إن الناسَ قد جَمعوا لكم فاخشوْهم ، فزادهم إيماناً ، وقالوا : حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ ، فانقلَبوا بنعمةٍ منَ اللهِ وفضلٍ لم يَمْسَسْهُم سوءٌ ، واتّبعوا رضوانَ اللهِ ، واللهُ ذو فضلٍ عظيم . إنما ذلكمُ الشيطانُ يخوِّفُ أولياءَه ، فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين » قرآن كريم

كلما رأيت المتوجسين عن الجهر بكلمة الله ، وهم يزعمون الإيمان بالله .. كلما سمعتهم يجمجمون بهذه الكلمة ولا يصدعون خيفة أن يمسهم القرح ، وأن تسلط عليهم قوى الشر والطغيان .. كلما وجدتهم يلبسون هذا الضعف ثوب الكياسة واللباقة والمرونة والدهاء ..

كلما أبصرت هذا كله عنت لى تلك الآيات القدسية الكريمة ترسم الطريق .. الطريق الذى لا طريق غيره إلى النصر والعزة والمنعة والتوفيق .. وهتفت من أعماق ضميرى : ألا إن هذا الدين لواحد ؛ ألا وإنه لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله .. ألا وإن هذا هو الطريق ..!

« الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل »

إنهم لم يقولوا : نحن قلة ضعيفة فى كثرة باغية ، فلنصبر على الذل ، ولنرض بالهوان ، ولنجامل الشر ، ولنتق الطغيان .. حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .. فالمؤمن يوقن : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وأن أمر الله إنما يتم بعباده الذين ينفذون أمره ، وأن السماء لا تمطر على الناس عزا ولا نصرا ، إنما هم يصلون قلوبهم بجبار السماء فتهون عليهم قوى الأرض ، وتهون معها حياة الأرض . وعندئذ ينقلبون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . وعندئذ يمكن الله لهم فى الأرض ، لأنهم صدعوا بكلمة الله ، ولم يخشوا غير الله

* * *

ذكرت هذا كله وأنا أحضر اجتماعا يقول دعاته : إنهم اجتمعوا لتجديد شباب الإسلام والعمل لنصرة الإسلام ، وإعزاز

العالم الإسلامي .. فلما أن جاء ذكر الحكم بالإسلام والعمل بشريعة الإسلام ، انتفض منهم الكثيرون مذعورين ، أن يثير عليهم هذا القول ثائرة الاستعمار وغير الاستعمار ، وأن يسبب لهم متاعب وعوائق ليس إلى اجتيازها من سبيل . وقال أوسطهم إنما نحن مؤمنون بأن الإسلام عقيدة وشريعة، ودستور ونظام، ولكننا نؤجل هذا إلى حينه ، ونأخذ فيما هو أسلم وأحكم !

قلت فى نفسى : كيف ينتصر المهزومون فى ضميرهم منذ اللحظة الأولى ؟ وكيف يكافح قوى الشر والطغيان من يفرق أن يجهر بالحق فى كلمات على الورق ، أو كلمات على اللسان ؟

وعلم الله ما عجبت لشيء عجبي لدبلوماسية الأقزام التى يزاولها منا رجال . لا فى ميدان الدعوة الإسلامية وحدها ، بل فى ميدان الصراع القومى مع الاستعمار ، والصراع الاجتماعى ضد الطغيان ، والصراع الإنسانى ضد الشر كله وهو ألوان ..

إنهم يسترون الضعف دائماً بستار « العقل » ويسترون الهزيمة دائماً بستار « المناورة » ويسترون حب السلامة دائماً بستار « المصلحة العامة » !

وإذا جاز لرجال السياسة المصرية الكاذبة الخادعة أن يعتذروا بتلك المعاذير ، فإنها الكبيرة أن يستعيرها منهم دعاة الإسلام . الإسلام الذى يقول ربه لرسوله : «فاصدع بما تؤمر» ويلمسه من رضى مخالفيه عنه مهما جامل وحاسن ، لأنهم لن يرضوا عنه إلا إذا ترك دينه جملة وعقيدته : «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » !

إن الذين نداورهم أمهر منا فى المداورة ، والذين نحسب أنفسنا نخدعهم ، أكثر منا يقظة وأشد خداعاً . فلم يبق إلا ذلك الطريق الواضح الصريح النظيف : أن نقول كلمة الحق التى نريد ، وأن ندعها تقرع الأسماع والقلوب ، وأن نؤمن بالله الذى يقول : « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور »

• • •

وبعد فإن الإسلام الذى ندعو إليه عقيدة تنبثق منها شريعة، ويقوم على هذه الشريعة نظام اجتماعى ، ونظام دولى ، ونظام إنسانى . ولا سبيل فيه لفصل العقيدة عن الشريعة ، ولا فصل الشريعة عن النظام الذى تنشئه وتحكمه . فهذه العقيدة لا تتم ، بل لا توجد ، إذا لم تنشأ منها آثارها الطبيعية التى لا فكاك منها . فليتحسس عقيدته وليفتقدها من يرى شريعة غير شريعة الإسلام تحكم ، ثم لا يبذل جهده فى رد الأمر إلى شريعة الإسلام ؛ ومن يرى نظاماً غير النظام الإسلامى يسود ، ثم لا يعمل عملا أو يقول قولا ، يصحح به الأوضاع ، ويحقق به الصواب

إن الإسلام لا يعيش فى الظلام ، فهو نور يعيش فى النور . وإن الإسلام لا يخادع ولا يداور ، فهو كلمة الحق التى تكره المداورة والخداع . وإن الإسلام حقيقة واقعة تعيش فى الأرض، لا سراً ولا مؤامرة تتوارى عن الأنظار

نحن نريد عالماً إسلامياً .. فلندع إلى هذا العالم على أسسه الواضحة الصريحة : شريعة إسلامية ، ومجتمع إسلامى .. ولقد مضى — ولله الحمد — ذلك العهد الذى كانت الببغاوات تثرثر فيه بأن الدين رجعية ، وبأن الإسلام تعصب . فقد اعترفت مؤتمرات « الخواجات » الذين تقلدهم الببغاوات بأن الشريعة الإسلامية مرجع هام للتشريع الدولى . ولقد أعجبنى فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير الأزهر ، وهو يقول هذه الحقيقة متهكماً على أحد ببغاواتنا « المثقفين » !

فمن قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم . فاصطكت أسنانهم ، وارتجفت مفاصلهم ، فلينظروا : أين هم من ذلك الطريق الذى رسمه الله ، فى كتاب الله : « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » فلينظروا أين يتجه بهم الطريق !

إن أضواء النصر تلوح فى أفق الفكرة الإسلامية فتجذب إليها الكثيرين . منهم من يبتغى وجه الله ، ومنهم من يحسبها تجارة كاسبة . ولكن الطريق طويل ، والعقبات كثيرة ، والقرح والابتلاء والاستشهاد ينتظر المجاهدين . وسيحق على بعضهم قول الله :

٢ ـ حسن البنا

الرجل القرآني

للأستاذ أنور الجندي

هذه « حلقة » أخرى من تلك « المخطوط » التي دونها « روبير جاكسون » في مذكراته واطلع عليها « صديق » الذي يطلب العلم في « واشنطون » .. والتي ينوى الكاتب الأمريكي تضمينها في رسالة له عن « الرائد الأول للاخوان المسلمين » ا . ج

... انتهت الحرب ، وقد تجمعت للرجل قوة ، تجعله قادراً على أن يملي رأيه على كل حاكم .. ومن هنا بدا الخطر

خطر الرجل الفرد الأعزل ، الذي يعيش في بيت صغير ، ولا يملك إلا مرتباً ضئيلا ، والذي جرد نفسه لفكرته ، وسحق مغريات الدنيا فلم تعد تقف أمام إيمانه ، وهزأ بكل وسائل الإغراء وأسبابه ، حتى شهد المراقبون أن ليس وراء فكرته امرأة ولا هوى !

وكان مؤرخو الشرق يتنبأون للشرق برجل يتجمع حوله .. وكانوا يقولون إنه لو وجده لقامت الكتلة الإسلامية ، والتحرر الشرق ..

« لو كان عرضا قريبا وسفراً قاصدا لاتبعوك . ولكن بعدت عليهم الشقة »

وسيصدق على الآخرين قوله الكريم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

وأولئك هم الفائزون

سيد قطب

وكان زعماء الغرب يخشون أن يكون قد وجد هذا الرجل فعلا .. قالوها لأول مرة ، بعد أن ثبت لهم أن « حسن البنا » لا تؤثر فيه المغريات ، وأنه لا يخضع ولا يحني رأسه ..

وجاءت حرب فلسطين ، فأعطتهم تلك الصورة الرهيبة الخارقة ، صورة الفدائية الإسلامية على شكل لم يعهد بعد بدر والقادسية وأجنادين ..

وعجب الغرب كيف يمكن أن تقوم في الشرق « فئة » تقدم نفسها للموت على هذه الصورة العجيبة

وكان جهاد الإخوان فيها آية الآيات .. فقد بهروا كل من اتصل بهم .. ووقف الخصوم يقارنون .. ويرسمون الخطط لمستقبل الشرق على ضوء هذه القوة الخارقة

وأخذوا يتربصون الدوائر .. ولم يتأخر عنهم القدر ، فقد كان في صفهم هذه المرة .. ، وسرعان ما أعطاهم « محفظة » سيارة الجيب

وتجمعت القوى الحاقدة ، والمغلوبة ، وترابطت الأهواء بالمطامع .. في محيط الأحزاب والجماعات .. ، وأثير الغبار الكثيف .. وأعلنت الاتهامات والإرهاصات ، على أوسع نطاق

.. ووقف الرجل وسط النيران .. وقد خيل إليه أنه يستطيع أن يعمل شيئاً وجرت معه اتصالات ، متعددة ، كان لها أثرها ..

وشاهد الرجل في أيامه الأخيرة ، هذا البناء الضخم ، وهو ينهار حجراً حجراً .. ينهار في عالم المادة ، ويزداد قوة في عالم الروح ..

.. وقد أمد إيمان الرجل بفكرته ، أنصاره بالقوة على احتمال كل ما أريد بهم ، أمدها لأن تحتمل التعذيب الذي لقيه بلال وخباب وعمار

أي إنسان كان هذا الرجل الذي صنع هذه النفوس المؤمنة الخالصة القوية الإيمان ، التي احتملت هذا العذاب في صبر وثبات ..

ooo

لقد جاء حسن البنا إجابة طبيعية لقول « غلادستون » حينما وقف فى مجلس العموم البريطانى وهو يحمل « المصحف » ويقول : « ما دام هذا الكتاب باقياً فى الأرض فلا أمل لنا فى إخضاع المسلمين »

.. ودهش الناس يومئذ ! ماذا يقصد « غلادستون » من هذا القول ، فقد كان المصحف موجوداً إذ ذاك .. ولكنه لم يكن موجوداً على الوجه الذى يخشاه «غلادستون»

.. كان الناس فى الشرق قد طوتهم ظلامات القرون . وأفسدت عقائدهم ، أقوال العلماء من صنائع السلطان ، الذين أغلقوا باب الاجتهاد ، وأفتوا لصالح الحاكم الظالم .. فلم يكونوا يفهمون من القرآن إلا أنه كتاب الله .. يقرأونه على القبور وفى الصلاة ..

.. حتى جاء حسن البنا ، على أثر نداء غلادستون ، ليقول للناس ، إن خطر هذا الكتاب الذى يخشاه المستعمرون ، ليس لأنه آيات تقرأ فى الصلاة أو ترددها الشفاه ، وإنما لأنه كتاب تشريع وقيادة ، وإمامة وحكم

وإنما يخشى الغرب روح الإسلام التى لو تبدت ، دبت اليقظة فى أوصاله فأفسد ذلك على المستعمرين أغراضهم..وقامت فى الشرق أمة تحب الموت فى سبيل الحرية والكرامة والعزة ..

.. وكان حسن البنا هو الرجل الذى أخرجه التاريخ ليكتب هذه الصفحة الجديدة فى تاريخ الشرق الحديث

.. ولذلك نظروا إليه منذ اليوم الأول نظرة الترقب والتوجس والخوف .. وحاولوا أن يصلوا إليه ، أن يصلوا إلى قلبه ، فلما عجزوا وأخفقوا ، آمنوا بأن الأمر سيكون أخطر مما يتصورون، وأن الشرق مقبل على فجر « صادق » يطوى الاستعمار طيا، وأصروا على أن يطول الليل..وأن يذهب الفجر.. ولا يعود.. ترى هل استطاعوا ؟

* * *

وقف الغرب يرقب فى لهفة ، ذلك الرجل الذى جاء ليجدد « دعوة » محمد بن عبد الله .. ومضى يسير على نهجه فى بساطة وأناة .. لا يسبق الحوادث ، ولا يصدم نواميس الكون

الرجل الذى كان يعلم أن مهمته ضخمة .. وأنها أكبر من جهد فرد .. ولكنه كان قوى العزيمة إلى الحد الذى يضفى الثقة على النفس .. فآمن بأنه سيصل

ومضى يعمل ويسهر ويكدو ويجهد ... يقابل الناس، ويتحدث إليهم.. ويخطب فيهم .. ويكتب لهم

ومضى ينفق من صحته ومن أعصابه ، حتى كان اليوم والليلة يضيقان عما يريد .. ومع هذا ظلت أعصابه قوية .. وكان يزداد مع الأيام تألقا

لم يمرض يوما، ولم ينم فى فراش.. كأنما كان جسده محصن ضد المرض، وكان كثير الأسفار ..وكانت الأسفار لا تجهده.. بل كان لقاؤه لأعوانه ، فى كل مكان ، يزيد روحه قوة ، ويفيض على نفسه حماسة وإشراقا

وكان موفقا لا تقف عقبة فى طريقه مهما عظمت

وكان لبقا ، فلم يلتق بإنسان مهما كان كبيرا ، إلا استطاع أن يغلبه ويقنعه ويضفى عليه شعاعا من روحه الوهاج

ولو كان فى مصر يوم بدأت الأحداث لتلافاها ، ولا استطاع أن يطفئ النار قبل أن يزداد لهيبها ..

* * *

وعندما وقعت القارعة انصرف عن الرجل بعض الذين كانوا يلقونه من قبل بالإكبار من ذوى الرأى ... ودخلوا جحورهم ، وخشى كل منهم أن يقف فى وجه الطوفان الذى كانت تدفعه يده ... بل إن بعضهم انضم إلى خصومه ودارى معرفته السابقة له ، بحرب عوان ..

... توارى بعض الذين كانوا يحرصون على أن يكسبوه أو يفيدوا منه .. وهذا شأن الشرق ، يحنى رأسه للرجل الذى يتألق، فإذا انصرف عنه الجاه العريض ، شيمه الناس بالسخرية والاستخفاف ..

والناس من يلق خيرا قائلون له ما يشتهى .. ولأم المخطئ الهبل

السلام صلة أنور الجندى

الأصناف والحرف الاسلامية

للدكتور عبد العزيز الدوري

تقديم

إن الناحية الاقتصادية من تاريخ المسلمين ناحية جديرة بالعناية والبحث لفهم ذلك التاريخ وما خلفه لنا من تراث . وهى على خطورتها لم تلق الاهتمام الذى تستحقه ، نتيجة حداثة هذا الفرع من فروع البحث التاريخى من جهة ، ونتيجة اعتقاد الكثيرين – حتى فى الغرب – بأن ليس لدى المسلمين ما يدرس فى هذه الناحية

ومن طريف نواحى الحياة الاقتصادية تنظيمات العامة وتوجيه العمل فى الحرف والأصناف، فهى دليل حيوية اجتماعية ، وظاهرة للشعور بالكيان مع رغبة فى التعاون وإعلاء مستوى الصناعة وشأن أصحابها

وليس لى إلا أن أقدم الخطوط الأساسية ، عارضاً فيها ما توصلت إليه ببحثى – خاصة فى نشأة الأصناف والنقابات ، ومستفيداً فى نفس الوقت من بحوث من سلف

وخلاصة رأيى الذى أعرضه هو أن تنظيم العمل كان نتيجة لظروف المجتمع الإسلامى، وأن أثر الحضارات القديمة هو فى التراث الاجتماعى العام ، وأن أوليات تنظيم العمل جاءت فى اتجاهين : اتجاه سلمى هادئ يتمثل فى تكتل الحرف فى أسواق منفصلة ونموها تدريجاً ؛ واتجاه عنيف يتمثل فى حركات العيارين والشطار التى وسمت نفسها بالفتوة . وتلى ذلك اتصال الاتجاهين بدعايات الصوفية والقرامطة وبتشكيلات الفتوة وتطور الشكل فى اتجاه شامل

هذا ومن أراد التوسع أمكنه الرجوع إلى بعض البحوث خاصة تلك التى أثبتها فى آخر الحديث

إن تنظيم العمل سواء أكان ذاتيا أم صادرا عن جهة خارجية وثيق الصلة بأهميته فى المجتمع وباتساع نطاقه وبالأوضاع العامة المحيطة به . اجتماعية واقتصادية وسياسية

ولقد كان تنظيم العمل لدى المسلمين ذاتيا قام به أصحاب الحرف ووجهوه فى مصلحتهم، فبدأوا بالتكتل ثم كونوا الأصناف والنقابات وساروا بها خطوات بعيدة . ولكن هذه الناحية من تاريخ المسلمين لا تزال فى إطار الفرضيات لغموض أولياتها ، ولورود المعلومات عنها بعد أن قطعت مراحلها الأولى

ويبدأ اختلاف الرأى فى نشأتها؛ فهناك من يرى أن النقابات الإسلامية هى استمرار للنقابات البيزنطية (أو الساسانية) القديمة، فقد كانت فى الهلال الخصيب ومصر نقابات عند الفتح ولا ينتظر أن يقضى العرب عليها إذ أن سياستهم العامة كانت إبقاء التنظيمات القديمة فى البدء على الأقل

وهذا رأى يصعب البت فيه لأننا ليست لدينا إشارات تذكر عن النقابات قبل القرن الرابع الهجرى وهى فى هذه الأخبار تختلف عن النقابات القديمة

ويرى الأستاذ ماسنيون فى بحث له أن الحركة الإسماعيلية هى التى خلقت النقابات الإسلامية وأكسبتها صفاتها المميزة لها . ويعتقد أن النقابات الإسلامية كانت قبل كل شئ سلاحاً شهره الدعاة القرامطة فى كفاحهم لضم الطبقات العاملة فى العالم الإسلامى لتكوين قوة تضرب نظام الخلافة فهم إذن أوجدوا النقابات وسيطروا عليها لاستغلال أصحاب الحرف . (أنظر كتابه عن الحلاج)

ويعطى ماسنيون رأياً أقرب للقبول فى بحثه فى دائرة معارف العلوم الاجتماعية ، فيبين أن النقابات نشأت فى البلاد الإسلامية فى القرن التاسع الميلادى، وأنها لم تظهر نتيجة لمطالب الشريعة ، بل كانت نموا طبيعيا للتطور الاقتصادى العجيب الذى حصل فى هذه الفترة فى المدن الكبيرة : بغداد أولا ثم البصرة وحلب ودمشق والإسكندرية والقاهرة والرى . ويرى أن التطور الاقتصادى يتمثل فى تمركز رأس المال نتيجة ظهور أصحاب المصارف (الذين كانوا يمدون الدولة بالنقد) وبتمركز العمل نتيجة حملات اصطياد الرقيق الاستعمارية التى كان يمولها أصحاب المصارف .

ثم يبين أن الأصناف الإسلامية كانت لها مميزاتها منذ البدء ومع أنها كانت متأثرة بالنقابات المحلية القديمة بيزنطية وساسانية إلا أنها لم تكن مجرد بعث لتلك ؛ بل كانت بالأحرى مظهر رد فعل اجتماعي عنيف لجماعات العمال وأهل الحرف والفلاحين ضد الطبقة الحاكمة التي جمعتهم واستعبدتهم . وينتهي إلى أن تاريخ النقابات وثيق الصلة بالحركة القرمطية التي تمثل ثورة اجتماعية اقتصادية دينية سياسية زلزلت العالم الإسلامي بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر والتي تطورت ووسمت التنظيم النقابي

ويذهب الدكتور لويس إلى أن هيكل النقابات الإسلامية موروث من العالم اليوناني الروماني ، مع أنه يبين أنه لا يستطيع تحديد أصول تشكيلات النقابات وفيما إذا كانت بيزنطية أم لا . ثم يرى أن الحركة القرمطية لعبت دوراً كبيراً في تطور النقابات وتركت أثراً عميقاً في تشكيلاتها . ويذهب الدكتور لويس إلى تأييد الملاحظة الأخيرة ببعض الشواهد . فهناك اهتمام الإسماعيليــة الخاص بالحرف وتخصيص فصــل كامل في رسائل إخوان الصفا التي يتمثل فيها الميل الإسماعيلي لموضوع العمل . فتقول الرسائل إن بعض الناس ، « لا يعمل ولا يتعلم لـكـله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان في طلب معاشه كالمكدين السؤال . وأما من استولى عليه القمر فانه لا يعمل من أجل مهانته واسترخاء طبيعته وقلة فهمه مثل النساء وأمثالهن من الرجال » وهذا تحبيذ واضح للعمل

ويذكر تأييداً آخر في رأيه وهو أن النقابات كانت مضطهدة ومقيدة بقيود لا تمد في الخلافة العباسية وخاضعة لمراقبة المحتسب الذي كانت مهمته الأساسية (في رأيه) قتل أية محاولة للعمل المستقل فيها في بدئها . بينما كانت النقابات مرفهة وتتمتع برخاء عظيم ولها كيان حسن وامتيازات كبيرة عند الفاطميين

ويعتقد لويس بوجود آثار إسماعيلية في تنظيم الأصناف مثل فـكرة المهدي المنتظر وفـكرة التنشئة المتدرجة وضم أفراد من طوائف مختلفة في النقابة الواحدة

ولـكن التدقيق في بحوث من ذكرنا يشير إلى أن الأوليات لم تبحث كما يجب ولا بد من توضيح الجذور قبل بحث التنظيم

لقد كان في المجتمع الإسلامي صنفان من العمال : الأحرار والرقيق . أما الأحرار فهم أصحاب الصناعات في المدن ويلحق بهم أهل الحرف البسيطة كالزياتين والقصابين وهؤلاء يكونون جمهور الطبقة العاملة

وكان مورد العمال بسيطاً آنئذ ويصف عالمهم أبو الفضل الدمشقي «وأما الصنائع العملية وهي المهن فقد قيل قديماً : الصناعة في الـكف أمان من الفقر وأمان من الغنى . وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كسبه يقصر عن إقامة ما لا بد له منه ولا يكاد كسبه يتسع لإقامة ضيعة أو عقد نعمة . » ويقول « وأيضاً فإنه مع ذلك إذا ميز الناس دخل في أدون طبقاتهم »

أما طبقة العبيد فهي أوطأ طبقة وهي تشتغل في الحقول أو البيوت وأحياناً في الجيش

وليس قلة مورد العمال بالأمر الجديد ولـكن تطورات اقتصادية حصلت ؛ فالمجتمع انتقل من طور زراعي إقطاعي في العصر الأموي إلى طور تجاري زراعي في العصر العباسي . وقد أدى توسع التجـارة إلى تضخم رؤوس الأموال وإلى الزراعة الـكثيفة وإلى توسع الصناعة وإنشاء المعامل الـكبيرة

ولذا نشهد ظهور طبقة رأسمالية تضم كبار التجار وأصحاب المعامل وكبار الموظفين . وزاد في قوة هذه الطبقة وتوسيع فعالياتها ظهور طبقة من أصحاب المصارف الذين هم تجـار في الأصل أخذوا يتاجرون بالنقود

ثم نلاحظ بسبب توسـع المعامل وبسبب الزراعة الـكثيفة تجمع العمال وتكتلهم أكثر من قبـل حتى صرنا نرى الألوف يشتغلون في محـل واحد أو بقعة واحدة . وهذا قوى الشعور بالمصلحة المشتركة وبالأهمية بقعة واحدة . وهـذا قوى الشعور بالمصلحة المشتركة وبالأهمية والقوة . ولابد أن نشير هنا إلى فكرة وضع الحرف والأصنـاف في أماكن معينة لـكل جماعة سوقها وهذه واضحـة في تخطيط بغـداد عند بنائها وفي تنظيم القيروان وفي بناء سامراء . وهذه الفـكرة الطبقية هي فـكرة موروثة وإن كان المجتمع القديم قبل الإسلام من أثر فهو في تخليد هذه الفـكرة . وهناك ما يشير إلى حصول ارتفاع في مستوى المعيشة وغلاء في الأسعار في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث

الهجرى دون حصول ارتفاع مقابل فى الأجور . يضاف إلى ذلك الفوضى العامة التى أحدثتها سيطرة الجند التركى مما عرقل الأعمال الحرة وأضر بأصحاب الحرف قبل غيرهم . فأثر ذلك فى خلق البطالة وروح التمرد والنقمة خاصة على الطبقات الغنية والحاكمة

وبعد ملاحظة هذه الأسس نستطيع ملاحظة موقف الحرف وأصحاب المهن

وتشير البوادر الأولى إلى اتجاهين فى التنظيم الأول : تنظيم داخلى سلمى فيه حاول العمال تنظيم أنفسهم فرقاً لكل حرفة سوق ورئيس تختاره الحكومة . ونلاحظ وجود تدرج فى الحرفة فرى طبقتين : الأساتذة والصناع . وهذا واضح منذ النصف الأول للقرن الثالث الهجرى . ولا يوجد ما يشير إلى اضطهاد الحكومة للعمل فى هذه الفترة ؛ بل إن الحكومة كانت تراقب حركات الأعراب الذين يرتادون الأسواق لأسباب سياسية. ويجدر بالذكر أن وظيفة المحتسب لم تظهر إلا بعد انتهاء الفترة الأولى للفوضى التركية . إذ أن أول إشارة لوظيفة المحتسب تعود لخلافة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩) . وإن نظرنا إلى مناشير الحكومة فى القرن الرابع الهجرى (حتى بعد انتشار الدعاية القرمطية) نراها تجعل عمل المحتسب منع الغش فى الصناعة والإنتاج ومنع الحيلة والتدليس فى المعاملات والتأكد من صحة الموازين والمكاييل

ولكن يظهر أن الدعاية القرمطية أثرت فى قسم من العمال خلال القرن الخامس الهجرى وأواخر القرن الرابع الهجرى وتوجد بوادر تشير إلى اتهام بعض فعالياتهم

والاتجاه الثانى كان اتجاهاً عنيفاً يدعو للثورة على أصحاب الأموال والخروج على السلطة وهذا يظهر فى تكتلات العيارين والشطار . وأول إشارة وصلتنا إلى هذا التكتل وردت فى التنوخى وتعود للقرن الثالث وفيها نلاحظ شعائر الجماعة راضحة ؛ فلهم ناد خاص سرى يجتمعون فيه وشعارهم من الملابس نشر الإزار على الكتف ولف المئزر فى الوسط ؛ كما أن الانتماء يتم بمراسيم أبرزها شد المئزر وشرب كأس من النبيذ . وكان أعضاء الجمعية يعملون ويسرقون أحياناً ويقتسمون الأرباح وعلاقتهم عدائية مع الحكومة . وكان هؤلاء يسمون أنفسهم الفتيان . ويجلب الأنتباه أن العيارين والشطار كانوا يدعون أنفسهم بالفتيان

ظهر هذا التنظيم فى مجتمع مادى . ومما زاد فى قوة التكتل وشدته الدعايات الاجتماعية التى جاءت باسم الدين ولكنها ساعدت على تحسين الحال وتغيير الأوضاع الاجتماعية . وتجلت فى حركة الزنج وبصورة أقوى فى حركة الإسماعيلية والقرامطة الذين تطرفوا فى استغلال التذمر فقالوا بأن الأنبياء والسلاطين أنزلوا العامة إلى مستوى العبودية الاجتماعية والشقاء المادى ، وأعلنوا أنهم يريدون إرجاع العدل الاجتماعى وتحقيق الرفاه المادى . وهناك إخوان الصفا وهم جمعية سرية إسماعيلية الميول اشتغلت ضد الخلافة وسمت لتهذيب العامة لتجعل ذلك وسيلة لإحداث ثورة سياسية دينية عامة

ويظهر أن الطبقة العامة فى العراق على الأقل لم تبق راكدة بل حاولت تحسين كيانها وتأثرت بالدعايات ، فبعضهم انضم لحركة القرمطية ولحركة الزنج فى ثورات عسكرية دامت نصف قرن ، والبعض الآخر سعى بطرق علمية تعاونية لتحسين الوضع وكان لفوضى الجند التركى أثر مباشر فى ذلك

ويظهر أيضاً أن حركة أصحاب الحرف التى ظهرت لدى العيارين والشطار والفتيان تأثرت بالاتجاهات الصوفية فى القرن الخامس الهجرى وأواخر القرن الرابع الهجرى ، فنجد القشيرى يشير إلى خلق سام للفتوة فيه إطاعة للشريعة والرأفة بالناس والعفو عن المسىء والكرم حتى مع المشركين والأمانة والصدق والتواضع ، ويفهم من القشيرى أن حركة الفتيان انتشرت فى العراق والشام وإيران ، وأن لها أتباع من الطبقة المتوسطة إضافة إلى الطبقة الفقيرة

ولا يخفى أن الصلة بالصوفية حصلت فى دور لا تزال الدعاية الإسماعيلية فيه قائمة ، وهذا يجعل من الصلابة بمكان قبول رأى لويس من أن النقابات تحرج وضعها بعد اختفاء الحركة القرمطية وأنها لذلك اتجهت نحو ميول دينية كالتصوف. فنشاط الصوفية كان موازياً للنشاط الإسماعيلى

ويظهر أن الفتوة تأكدت لديها الناحية العسكرية تدريجاً . وقد انتشرت تشكيلات الفتوة فى جميع البلاد الاسلامية خلال

زكي مبارك

الأديب الذي أحب العراق

للأستاذ نجدة فتحي صفوة

سيسأل قوم من زكي مبارك وجسمي مدفون بصحراء صماء
فإن سألوا عنى ففي مصر مرقدى وفرق ثرى بغداد تمرح أهوائى

لم تكن خسارة الأدب العربي في وفاة الدكتور زكي مبارك — رحمه الله — هينة، ولا بالتي يمكن أن تعوض

وقد قال الأستاذ الزيات في رثائه الرائع للمرحوم المازني «.. فإذا أضيف إلى ذلك أن المازني كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لقرائهم عن علم، ويفهمون أدبها عن فقه، ويعالجون بيانها عن طبع؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلت أمكنتهم في الأجل القريب أو البعيد، فلن يخلفهم في هذا الزمن الثائر الحائر العجلان، من يحمل عنهم أمانة البيان، ويبلغ بعدهم رسالة الأدب، أدركنا فداحة الخطب الذي نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم» (١)

وهذا كاتب آخر من أولئك «العشرة البررة» فقدته اللغة العربية يوم فقدت المجاور الأزهري، والناقد الألمعي، والباحث المتعمق، والشاعر المتغزل، ربيب سنتريس، وحبيب باريس، وطبيب ليلى المريضة في العراق، (الدكاترة) زكي مبارك!

ولا ريب أن أدب زكي مبارك سينال ما يستحقه من دراسة الباحثين وعناية المؤرخين، ويحتل مكانه اللائق به بين أدباء جيله، واترك لأصدقاء زكي مبارك أن يرثوا الصديق الوفي، وللتلاميذه وعشاق أدبه أن يدرسوا الكاتب البليغ، ولزملائه ومعاصريه أن يترجموا للفلاح الذي دفعه جده وطموحه من القرية إلى الأزهر، ومن الأزهر إلى الجامعة، ومن القاهرة إلى باريس، ومن التحول إلى الصف الأول بين أدباء هذا الجيل..

وإنما هذه تحية من عراقي إلى الأديب المصري الذي أحب العراق، فأحبه العراقيون، ومنح هذا البلد قطعة من قلبه، وجانبا من أدبه، فبادله أهله المحبة والإعجاب، وقابلوه بالرعاية والإكرام..

تحية وفاء إلى تلك الروح اللطيفة المرفرفة فوق بغداد..

ترجع صلة الدكتور زكي مبارك بالعراق إلى عهود دراسته الأولى يوم عني بالأدب العباسي وشغل نفسه أعواما طويلة بأدباء العراق، فبعثت هذه الدراسة في نفسه محبة العراق، واسترعى تاريخه الحافل تفكيره وألهب خياله. وقد خاطب العراقيين ذات مرة في بعض محاضراته العامة قائلا: «وأنا في الواقع تلميذ بغداد قبل أن أكون تلميذ القاهرة أو باريس، فإن رأيتم صراحتي فلا تلوموني، فاللوم على أسلافكم الذين شرعوا مذاهب العقل والمنطق»

حتى إذا دعي — رحمه الله — إلى التعليم في دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٣٧ رحب بذلك قائلا: إن من العقل أن أعرف جوانب من الشرق بعد أن عرفت جوانب من الغرب. وصح عندي أن الهجرة إلى العراق قد تشرح دقائق الأدب في

(١) الرسالة. العدد ٨٤٥ الصادر في ١٢ سبتمبر ١٩٤٩

القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد. وصارت جمعية الفتوة وخاصة بعد أن تبناها الناصر لدين الله مجموعة فتيان يربطهم دستور ديني أخلاقي له واجبات وشعائر منظمة، وينتظر منهم التحلي ببعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية للاسلام

وبعد الفتح المغولي زادت صلة الفتوة العسكرية بالطرائق الصوفية وبنقابات الحرف. وقد بدأ ذلك في الأناضول وانتشر في العالم الإسلامي حتى صارت كلمتا (نقابة) و (فتوة) تشيران إلى مدلول واحد، وقد لعب هذا الاتجاه دوراً خاصا في تطور التاريخ الإسلامي العام

ولابد هنا من ذكر الآراء عن نشأة الفتوة؛ فالأستاذ تيشنر يرى ثلاثة أدوار للفتوة تمثل خطوات انحلال اجتماعي مطرد. فهو يرى أن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة في القرن الثالث عشر الميلادي وأخيرا هبطت في القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة العوام، وهكذا اندمج الفتيان بنقابات الحرف

ويرى تورنبخ أن الصوفية والنقابات لم يضموا جمعيات الفتوة بل قلدوها مقتبسين شعائرها ومثلها العليا وأخيراً اسمها

للكلام بقية عبد العزيز الدوري

العصر العباسي ، وليس من المقبول أن يصح لمثلي أن يصف باريس عن علم ، ويصف بغداد عن جهل

وشد رحاله إلى بغداد ، فكان لمصر فيها سفيرا أدبيا ممتازا، وأحدثت زيارته فيها حركة أدبية ونشاطا فكريا بما كان يبثه قلمه – على عادته أيان كان – في صحافة العراق ومجتمعاته وأنديته من حيوية وحركة . « وما هي إلا أشهر قلائل » كما يقول « حتى كنت على صلات بمختلف الطبقات في بغداد ، وحتى صححت لنفسي أخطاء كثيرة في فهم الأدب والتاريخ »

فقضى زكي مبارك في العراق تسعة أشهر حافلة بالعمل زاخرة بالإنتاج ، ولم يقف نشاطه في حدود عمله الرسمي ، أو دروسه في دار المعلمين العالية ، وإنما تجاوزه إلى تأليف ستة مجلدات عن العراق (٢) وكتابة مئات المقالات، وإلقاء عشرات المحاضرات . وقد عني – رحمه الله – بشؤون العراق الفكرية والثقافية عناية عظيمة ، فدرس الأدب العراقي عن فهم وروية ، وكتب عن المرأة العراقية ونهضتها ، وتبنى فكرة إنشاء الجامعة العراقية ، وتحمس لها أكثر من العراقيين ، ودعا إليها في كل مناسبة – وأحيانا بدون مناسبة أيضا – ولعله كان أول من دعا لها ووجه إليها أنظار المسؤولين ، وحملهم على التفكير الجدي فيها . وتطوع – رحمه الله – لتصحيح ما كان خاطئا من الآراء والمعلومات عن العراق في البلاد العربية ، فكان على قوله « من صور العراق في مصر ، ومن صور مصر في العراق » وكان رسول الأخوة العراقية المصرية ، أدى بقلمه مالا تؤديه سفارات ولا معاهدات ، قال في المصريين – وهو شاهد من أهلها – : « إن المصريين يفدون إلى العراق وليس في صدورهم ثروة غير الحب ، ومن أجل هذا يحبهم العراقيون ، فإن سمعتم أن مصريا شقي في العراق فاعلموا أنه مصري مزيف »

كما قال في أهل العراق – وهو الخبير العارف بهم – « إن العراقيين يحبوننا أصدق الحب ، فليعرفوا جيدا إننا نحبهم ونتمنى لهم كل خير ، وننظر إلى بلادهم نظر الأخوة الصادقة التي لا تضمر غير العطف والصدق »

(٢) وهي « ليلى المريضة في العراق » في ثلاثة مجلدات و « وحي بغداد » و « ملامح المجتمع العراقي » و « عبقرية الشريف الرضي »

وطلب إليه أن يلقي في بغداد محاضرات أدبية عامة ، فاختار لموضوعها شاعرا عراقيا إكراما للعراق ومجاملة لأهله ، ولما رآه من شبه بين شخصية الشريف الرضي وشخصيته في تدفق الإحساس وكآبة العاطفة وغدر الزمان ، فأدى بذلك خدمتين جليلتين ، الأولى للأدب العربي ، إذ أحيا ذكرى هذا الشاعر العظيم الذي لم ينل شعره ما يستحقه من عناية ودراسة . والثانية للعراق لما جره الحديث من ذكر العراق ووصفه وتاريخه . وكان – رحمه الله – بما عرف عنه من اندفاع الشعور وحدة العاطفة ورقة الطبع قد درس الشريف الرضي ودعا الناس إلى دراسته ودلهم على مواطن العبقرية والعظمة في شعره . ولكنه كان أول من صدق أقواله فيه ، وزادته دراسته للشريف الرضي إعجابا به ، حتى قال عند تقديمه المحاضرات مجموعة في كتاب ، على طريقته المعروفة : « إن الشريف الرضي في كتابي ، أشعر من المتنبي في أي كتاب ، ولن يكون المتنبي أشعر من الشريف إلا يوم أؤلف عنه كتابا مثل هذا الكتاب ! »

وفي بغداد نظم قصيدة ألقاها في (نادي القلم العراقي) يقول إنها أعظم ما نظم في حياته عنوانها « من جحيم الظالم في القاهرة إلى سمير الوجد في بغداد » ومطلعها

وفدت على بغداد والقلب موجع
فهل فرجت كربي وهل أبرأت دائي ؟

وقال – رحمه الله – في « وحي بغداد » :

« وأخشى ألا أظفر بكلمة رثاء يوم يشيعني الناس إلى قبري ، فذاكرة بني آدم ضعيفة جدا ، وهم لا يذكرون إلا من يؤذيهم ، أما الذي يخدمهم ويشقى في سبيلهم فلا يذكره أحد منهم بالخير إلا وفي كلامه نبرة تشير إلى أنه يتصدق بكلمة المعروف »

كلا يا صديق العراق ومحبه !

فإن ينساك العراقيون ، وهم إن ذكروك لم يحسنوا إليك ، وإنما أحسنوا إلى أنفسهم ، ولم يتصدقوا بكلمة المعروف ، بل ردوا دينا لك في أعناقهم . وإنك لم تعد الحق يوم قلت :

« وستمر أجيال وأجيال ، ولا ينسى أهل بغداد ، أن مدينتهم عاش فيها رجل أحبها أصدق الحب ، اسمه زكي مبارك ، »

القاهرة — جدة فتحي صفوة

بحث في الموسيقى الشرقية

للأستاذ نقولا الحداد

بقية ما نشر في العدد الماضي

السلم العربي

ذكرت آنفا أن لكل لحن من الألحان العربية سلما خاصا ولكن لها سلما عاما أصيلا تتفرع منه درجات أنصاف ودرجات أرباع . وهذه الأنصاف والأرباع تستعار من الدرجات الأصيلة بالضغط على الوتر بالإصبع، أو باستعمال « البكلة » في القانون التركي، أو باستعمال ضغط الإصبع ، أو بدوزنة القانون دوزنة خاصة حسب اللحن المراد . وهذا ما يجعل الموسيقى العربية ممتازة على الموسيقى الغربية بحيث تصدر الألحان المختلفة محاكية الانفعالات النفسانية . الأمر الذي ليس له مشابه في الموسيقى الأفرنكية . وتشترك معها في هذه المزية الموسيقى التركية . وربما كانت الموسيقى اليونانية أميز منهما في هذا القبيل لأن في سلمها $\frac{1}{8}$ و $\frac{1}{12}$ من الدرجة علاوة على النصف والربع كما يقال

والموسيقى العربية اقتبست كثيرا من الموسيقى التركية وهذه من اليونانية الأصيلة المسماة « البيظنطية » وفي ألحاننا العربية كثيرا من الروح البيظنطية . ويقال إن المرحوم السيد درويش الملحن العظيم كان يختلف كثيرا إلى الكنائس الأرثوذكسية لكي يسمع البصلطيكا اليونانية أي البيظنطية لكي يقتبس منها العبارات الموسيقية الجميلة أو المؤثرة أو الحنونة . وفي أدواره التي سجلها لنفسه في أقراص الفونغراف كثير من الروح البيظنطية

السلم العربي (والتركي أيضا) أدق السلالم الموسيقية في كل العالم لما فيه من أنصاف الدرجات وأرباعها ، يقتبس منه العازف بدل درجاته الأصيلة حسب مقتضى اللحن الذي يعزفه

ولإيضاح ذلك نرسم السلم العربي في درجاته وفروعها (الأنصاف والأرباع) كما ورد في كتاب الأستاذ فرج الله وردي الذي نحن بصدده صفحة ١٥٣ مع مقارنته بالسلم الأفرنكي

	اهتزازات	ذرات	
دو	١٢٠٠	١٢٠٠	كردان
	١١٥٠	١١٦٧	ماهور
سي	١١٠٠	١١١٠	نم ماهور
	١٠٥٠	١٠٨٦	أوج
	١٠٠٠	٩٩٦	عجم
	٩٥٠٠	٩٧٢	نم عجم
لا	٩٠٠	٩٠٦	حسيني
	٨٥٠	٨٨٢	تك حصار
	٨٠٠	٨١٦	حصار
	٧٥٠	٧٩٢	نم حصار
صول	٧٠٠	٧٠٢	نوى
	٦٥٠	٦٧٨	تك حجاز
	٦٠٠	٦١٢	حجاز
	٥٥٠	٥٨٨	نم حجاز
فا	٥٠٠	٤٩٨	جهار كاه
	٤٥٠	٤٧٤	بوسلك
مي	٤٠٠	٤٠٨	نم بوسلك
	٣٥٠	٣٨٢	سيكاه
	٣٠٠	٣١٨	كردي
	٢٥٠	٢٩٤	نم كردي
ري	٢٠٠	٢٠٤	دوكاه
	١٥٠	١٨٠	تك زركوله
	١٠٠	١١٤	زركوله
	٥٠	٩٠	نم زركوله
دو	الوتر المطلق		رست أو رصد

ولا أفهم لماذا لا يكون عدد اهتزازات الدرجة الأولى من السلم الأعلى مضاعف اهتزازات الدرجة الأولى من السلم الأسفل . أعني أن تكون اهتزازات « دو » العليا (كردان) مضاعف اهتزازات دو السفلى لأن تلك بداية السلم الأعلى . وهي في الجدول ليست كذلك لأن العليا جواب للسفلى وهذه قرارها .

لكن الأمر على خلاف ذلك بل هو بعيد جداً من هذا الظن

وفى كتاب الأستاذ الله ويردى ستون رسما وجدولا للسلالم الموسيقية المختلفة الغربية والشرقية والقديمة والحديثة . وفيه تحقيق علمى للنسب المتصلة الموسيقية وعلاقتها بالأنغام وغيرها حتى إذا طالعتها دهشت لسعة اطلاع المؤلف وسعة تفكيره ودراسته وتحار فى كيفية استيعابه لها، ولا تكاد تصدق أن عقلا واحداً حذق تلك العبارات المختلفة واستخرج تلك الأرقام حتى ليخيل لك أن الموسيقى ضرب من العلوم الرياضية . وإنها لكذلك فى دراسة هذا الكتاب الساحر

الجمال الموسيقى :

ربما كان القسم الرابع من الكتاب أجذب الأقسام لنفس القارئ المحب للفن لأنه تبسط واسع فى الجمال الموسيقى . فأستأذن حضرة المؤلف بكلمة مختصرة أبسط بها ذلك التبسط

قلنا آنفا إن مزية الموسيقى العربية (والتركية أيضا) هى فى أجزاء هذه الدرجات من أنصاف وأرباع لأن لكل لحن طريقة خاصة فى استعمال هذه الأجزاء . مثال ذلك أن العازف الذى يعزف لحن النهاوند يستعمل (راجع الجدول) نم حجاز بدل جهاركاه، ويستعمل كردى بدل سيكاه ، ثم دوكاه الأصيلة إلى أن يستقر على الرست (وقد أكون مخطئا فى هذا الترتيب) وهكذا لكل لحن استعارات خاصة من الأجزاء . فإذا عزف العازف هكذا ثم عزف على الدرجات الأصيلة جهاركاه سيكاه دوكاه رست شعرت حالا بالفرق فى اللحن لأنه فى هذه الحالة يكون اللحن رستا لا نهاوند . وهكذا بتنوع الألحان العربية بتنوع العزف على الأرباع والأنصاف بدل الدرجات الأصيلة ، وبواسطة هذه الاستعارات يتولد عند العرب عشرات الألحان وهى التى تحكى العواطف الروحية المختلفة . وليس فى الموسيقى الأفرنكية إلا القليل من هذه التنوعات لاستعمال أنصاف الدرجات (أو مايسمونه هكذا وماهو بأنصاف) كما رأيت، ولذلك تعتبر الموسيقى العربية أرقى وأجمل بكثرة التنوعات التى فيها . ولا بدع أن تكون كذلك لأن أقدميتها صقلتها وجعلت التفنن فيها بدائع فنية ككل تطور وارتقاء . والموسيقى الأفرنكية بنت الأمس ، ويظن أصحابها أن الاقتصاد فيها على أشباه الأنصاف وتقييدها بالعلامات جعلها فنية راقية ، وعندى أن هذا التقييد جعلها سخيفة فى أذن الشرق . الموسيقى روح لامادة، فيجب أن توضع تحت أمر الأذن (العصب السمعى) كما يفعل العازفون العرب ، فتكون أوقع فى النفس وأكثر اندماجا بالروح وأخلب للب

أما الذين يستحبون هذه دون تلك أو تلك دون هذه فأوتار أعصابهم السمعية قد تدوزنت على سلالم ألحانهم فصارت تهتز مع اهتزازات موسيقاهم وتنفر من اهتزازات الموسيقى الأجنبية .

فهؤلاء مخطئون فى استهجان موسيقى غيرهم والعكس بالعكس . وإذا كان الشرقى أو الغربى لا يود أن يسمع إلا موسيقاه فلا تلمه إذا قال لك إن موسيقاه أطرب من تلك أو أن الموسيقى الأجنبية أطرب له من موسيقاه لأنه تعود سماع الموسيقى التى تطربه منذ صغره . فهناك أشخاص لا يتذوقون الفن ولا يفهمون أصوله ولا يطربون لأى موسيقى ، فيقولون لك إن الموسيقى الأفرنكية ذات أصول وقواعد وفنون ولذلك يحبونها، والحقيقة أنهم لا يحبون شيئا . ويقولون أيضا إن الموسيقى العربية أو الغناء العربى عار من الأصول والقواعد والأغانى لأن الأغانى كلها فوضى . هؤلاء جهلاء أغبياء جدا وإنما هم يقولون هذا القول لكى يتمسحوا بالأفرنج ويقال عنهم إنهم متمدنون . ولما كان السلم الأفرنكى لا يطابق السلم العربى حتى فى درجاته الأصيلة فيتعذر جدا على العازف أن يعزف لحنا عربيا على آلة أفرنكية مقيدة الدرجات كالبيانو والأرغن وأمثالها . فإذا عزف عازف عليها لحنا عربيا ظهر ناشزا حتى إنك لا تستطيع أن تسمعه إذا كنت قد ألفته على الآلة العربية كالعود والكمنجة والقانون . لا تستطيع أن تعزف أذان الصلاة على البيانو أو نحوه وتشمئز إذا سمعته؛ ولكن إذا سمعت الأذان من كمنجة الأستاذ سامى الشوا شعرت أنه ناطق بكلامه

وكانت فتاة لبنانية تدرس موسيقى فى إيطاليا (حسب السلم الأفرنكى طبعا) فغنت مرة سوريين أغنية بسيطة لبنانية على السلم الأفرنكى فلم يطق أحد سماعها لأنها كانت تتفق العربى على السلم الأفرنكى . وهناك أناس يستنكرون تكرار الكلام والتلحين بالغناء العربى . فهؤلاء محقون فى استنكارهم وربما كان

هذا التكرار هو العيب الوحيد فى الغناء العربى المصرى، والذنب فيه هو ذنب المغنين أنفسهم لا ذنب الملحنين . لأن الملحن قد يكرر عبارة ولكنه لا يكرر لحنها وإنما يلحن لتكرارها لحنا آخر . ومع ذلك لا نعذره كل العذر لأن الشعر عندنا سواء كان معربا أو زجلا غنى بالكلام فلاداعى لقضاء نصف ساعة أوأ كثر فى غناء أغنية كلامها معدود الألفاظ إلا إذا كان الكلام المكرر متنوع الألحان . سمعت مرة فى الإذاعة المصرية مغنيا ينشد قصيدة « نالت على يدها ما لم تنله يدى » فقضى حصته فى الإذاعة فى إنشاد الأربعة الأبيات الأولى وكان يكرر كل بيت منها بكلامه ولحنه مرارا حتى زهقت وأعتقد أن جميع السامعين زهقوا أيضا . والقصيدة تشتمل على أكثر من عشرة أبيات فكان فى وسعه أن ينشدها كلها وأن يتفنن فى ألحانها أو أن يعتمد على ملحن خاص يلحنها له

الموسيقى والشعر :

وربما كان الشعر العربى يمتازعلى أشعار معظم الأمم الأخرى ولاسيما الأفرنكية لأنه موزون وذو مقاطع معدودة ومحدودة فى كل بحر من بحوره . ووزن الشعر العربى يتفق مع الألحان الموسيقية اتفاقا طبيعيا لأن الشعر موسيقى والموسيقى شعر . ولهذا أفرد الأستاذ الله ويردى قسما من كتابه العجيب فصلا خاصا مطولا للعروض . بحث فيه بحثا فلسفيا ثم علميا مستفيضا وضبط جميع الأوزان العروضية وتفعيلاتها وشرح قواعدها شرحا علميا عجيبا. فننصح لمن يريدون درس العروض أن يطلعوا على الفصل السادس من الكتاب فى التوزين والإيقاع بل أن يدرسوه درسا

بقيت لى ملاحظه طفيلية أرجو أن يغتفرها لى حضرة الأستاذ المؤلف وهى أنه ورد فى مباحث الكتاب بعض اصطلاحات خاصة بالموسيقى . مثل ذرة وكوما وليما وبعد طبيعى وبعد طنينى وجناحان إلى غير ذلك مما هو من خصائص العلم الموسيقى وهى غير مفسرة فى الكتاب التفسير الذى يحتاج إليه الدارس . وكان جديرا بحضرة الأستاذ أن يضع لهذه الكلمات معجما فى آخر الكتاب أو فى أوله مستوفى الشرح يرجع إليه الدارس كلما وردت أمامه كلمة منها إلى أن يستوعبها تماما . وحبذا لو كان يضع للموسيقى كتابا تعليميا مدرسيا يقلل فيه جداول الأرقام للطلبة الذين يريدون أن يتعلموا الفن حسب الأصول والقواعد

وأخيرا إنى متعجب جدا من جلد الأستاذ ومقدرته على إزكان هذا الفن من الناحية العلمية ولا سيما النسب الرياضية وغيرها، ولاأظن أحداً غيره درس هذه الدراسة المستفيضة

حقا أنه يستحق جائزة نوبل إذا أمكن أعضاء لجنة نوبل الاطلاع على ترجمة هذا الكتاب

نقولا الحداد

---

٣ — لغة المستقبل..

للأستاذ محمد محمود زيتون

تحية علية إلى البرلمانى الفيلسوف أستاذى الدكتور إبراهيم بيومى مدكور بك عميد الفلسفة الإسلامية بجامعة فؤاد الأول سابقا ، وعضو مجلس الشيوخ ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

تبين لنا فى المقال السابق أن المنهج الرياضى لا يتناول غير موضوعات الرياضة البحتة بفرعيها : الحساب والهندسة . وإلى هنا يقف المنهج الرياضى . وتقام السدود من دونه فى سائر العلوم ، ومن ثم يحل محله الروح الرياضى

فالرياضى إذا اكتشف قانونا ، لن تزل قدماه حتى يقنعنا بالصلة التامة بين قانونه الجديد وباقى البدهيات المسلم بها ، أما الفيزيقى ، فإنا لا نطالبه — فى حالة ما إذا سمح الله واكتشف قانونا — بأكثر من أن يربطه بنظرية متعارف عليها ، وإذن ما أثقل العبء الملقى على عاتق الرياضيين

والفيزيقى — من جهة أخرى — يبحث عن مسائل جديدة يحدها بآلات معمله ويربطها ويعدلها حسب الحاجة ، أما الرياضى فإنه يتحسس السبيل إلى بصيص من موهبة الإبداع ليصور مسائل جديدة يستطيع بمنهجه أن يتدخل فيها ، هذه الموهبة انفرد بها كثير من المحدثين ، وبلغت أقصاها عند « أرشميدس » كما يقول Zanther

كما أن « الرياضى والفيزيقى يستعملان القياس ، غير أن الفيزيقى تظل نتائج قياسه موضعا للنظر ويعوزها التحقيق » هكذا يقول العلامة الفيلسوف (كلود برنار Claude Bernard)[١]

وإذا كانت العمليات الحسابية تدخل فى الميادين الأخرى ، فإن هذه العلوم المطعمة بالرياضة ، والعلوم التطبيقية أو الصناعات تختلف منهجا لاختلافها موضوعا

أما العلوم التى تتناول الوسط بين الفيزيقا والرياضة فإنها تستخدم منهجا هو مزاج من المنهج الرياضى والمنهج التجريبى . وإذا كان مجرد الانتقال من الهندسة البحتة إلى الهندسة التحليلية كفيلا بتغيير المنهج الذى لا يعود بعد ذلك محتفظا بخواصه البرهانية الحدسية الأولى — كما يقول أستاذنا المرحوم المسيو (لالاند)[٢] فكيف إذا انتقلنا من ميدان إلى آخر

فالعلوم تختلف موضوعا ومنهجا ، وليس ذلك بمانع من أن يكون سير الاختراع فى جميعها واحدا لا يتغير — كما يقول (تانرى Tannerey)[٣]

وإذا كان للرياضة أن تنفرد من حيث الموضوع بمثاليتها التى تتعالى بها على العلوم الأخرى فى واقعيتها ، فإن لها أن تنفرد بالمنهج البرهانى فى مقابل المنهج التجريبى الذى تسلكه الفيزيقا

فى الفيزيقا نرى أكثر القوانين إن هي إلا معادلات جبرية فقد فسر (براون) الحرارة بتوزيع الذرات حسب متوالية هندسية عرفت فى الوسط العلمى باسم « الحركة البراونية » ، وكذلك قانون الضغط وقانون الطفو كلاهما معادلات جبرية ، وكلاهما إدراك سليم للنسبة بين متغيرين ، تلك النسبة التى أدركها العقل بالحدس لا بالتجربة

ومع ذلك نرى العلماء يختلفون فى تفسير الظاهرة الفيزيقية اختلافا يذهب بأحدهم شرقا وبالآخر غربا ، فهذه ظاهرة الضوء : يفسرها (نيوتون) حسب النظرية الشيئية ويربط رأيه ببدهيات ينقضها (ويجانز) و (فرنل) إذ يفسران الضوء بالتداخل والاستقطاب ، ثم يأتى من بعدهم من يفسره بالنظرية الأثيرية

وفى الكيمياء ، ظل العلماء ردحا من الزمن يعتبرون العناصر عددا يعد على الأصابع ، وبتقدم البحث أوصلوها إلى أكثر من تسعين ، وما كان لهم أن يصلوا إلى هذا إلا بمواصلة التحليل ، فاستطاعوا أن يضعوا قوانين المزج والتركيب الكيميائى فى صور معادلات جبرية وثيقة يعتمدها العقل

وفى العلوم الكونية جميعا ، تمكن العلماء من صوغ قوانينهم فى أرقام حسابية أو أشكال هندسية ، وسبيلها العام إلى ذلك

1 — Introduction à la medecine experimentale

2 — lectures 71

3 — art de la methode

هو الاستقراء والتجريب ما دامت الموضوعات قابلة للقياس والمقدار

وفى البيولوجيا خضعت ظواهرها لهذا القياس . يقول (بيكار Bicard) « إن البحوث البيولوجية لا تقفنا على دخائل الأجهزة الداخلية ، ولا يمكن أن نكون منها معادلات لها دوال على الوجه الذى نراه فى عالم الفزيقا » (٤)

والواقع غير هذا ، فقد تقدم علم البيولوجى تقدما ملحوظا ، وعكن من قياس الظاهرات البيولوجية وتحليلها وتغيير ظروفها لمعرفة التغييرات الناشئة عن ذلك ، وهو لم يصل إلى هذا إلا بأمرين هما : التشريح والاستدلال ؛ وبهذا التحليل تمكن من معرفة تركيب الخلايا والغدد لمعرفة أثر الحياة الفيزيولوجية فى الحياة السيكولوجية ، وبذا انتهى إلى معرفة خواص (الأدرينالين) ودوره الفسيولوجى ، وانتهى إلى تأثرات الجهاز العصبى بالجهاز التناسلى ، وأثر الخلايا وتركيبها فى السلوك العام ، وانتهى إلى قوانين التنبيه الحسى أو العضلى ، وسبيله إلى كل ذلك التجريب ثم التحليل والإحصاء والمقياس والرسم البيانى والمعادلات الجبرية ، وعلى ذلك يكون الروح الرياضى هو العون الوحيد على هذه المجاهدات البيولوجية

أما فى السيكولوجيا ، فقد اعتبرت مظاهر السلوك وقائع تكشف عن طاقة كامنة هى النفس ، وبتحليل هذه الوقائع وقياسها ، ورد المتشابه منها إلى أصل واحد ، أمكن الوصول إلى بعض القوانين

وفى العلوم الاجتماعية حاول المفكرون علاجها حسب المناهج الهندسية ، دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة تعديل أى قانون بآخر ، ومنهم من استخلص نتائج سياسية من الحكم السائرة والأمثال العامية فأخطأوا جميعا ، ومرد هذا الخطأ هو محاولتهم علاج الفن على أنه علم ، ومحاولتهم الحصول على فن قياسى غير معقول (٥) كما يقول (مل Mill)

وحاول أفلاطون قديما — وهو تلميذ الفيثاغورية الرياضية — أن يشيد المدينة اليونانية على اعتبار أن بنى الإنسان أعداد ، فلم تتحقق أحلامه ، ولم يندفع به الخيال كما كان يهوى

واستطاع علماء الاجتماع المحدثون أن يتلافوا ما وقع فيه أفلاطون والفارابى وتوماس مور وكامبانيلا ، فنظروا إلى أمور المجتمع على أنها « وقائع » فى ذاتها ففسروها وجربوا عليها واتخذوا لها الإحصاءات ، واستعانوا بالروح العلمية فاستبدلوا بالنسب الرياضية « روابط » سموها القوانين التى هى أشبه بالمدن النفيس الذى كان نتيجة « انصهار » عدة عوامل فى « بوتقة » المجتمع الذى وصل (مونتسكيو) إلى أغواره فألف « روح القوانين » وكما جمله (دوركيم) ميدانا للمجال الطبيعى فانتهى إلى « الضمير العام Conscience collective » وذلك بعد أن افترض فيه جانبيه الكبيرين « الاستاتيكا » و « الديناميكا » شأنه فى ذلك شأن المغناطيسية والكهربائية والميكانيكية والفلك سواء بسواء

وبانماء النظر فى الميادين الاجتماعية ، توصل علماء الاقتصاد إلى نتائج لها قيمتها ، وذلك باكتشاف قوانين : العرض والطلب وقانون جريشام فى النقد ، وقانون ريكاردو فى الإيراد المقارى ، وقانون مالتوس فى العلاقة بين زيادة السكان ومواد المعيشة ، وقانون الغلة المتناقصة ، وقانون الغلة المتزايدة . وكذلك ظهر فى تاريخ الحضارة قانون القهقرى Ricorso الذى توصل إليه (فيكو Vico) وتقدمت النظريات الاجتماعية كثيراً بالاستعانة بالإحصاء ، وصدقت قوانينها العامة منذ اعتمدت على العناصر الثلاثة الآتية :

١ — معرفة طبيعة المجتمع معرفة مستقلة

٢ — اقتباس المنهج من صميم هذه الطبيعة الاجتماعية

٣ — السماح للروح الرياضية والعلمية بتنظيم الموضوعية الاجتماعية والإشراف على وثاقة قوانينها

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذه الروح الرياضية لن تتطاول إلى الفنون ، ولكن الواقع غير هذا : فالشعر والموسيقى يعتمدان على الانسجام أو التناسب بين الأنغام والتفاعيل مقدرا كل ذلك بأعداد . فالروح الرياضى سائد فى أوزان الشعر وقوافيه ، والفنون على اختلافها تستوعب جزءا كبيرا من المنهج الرياضى من حيث :

4 — la science moderne

5 — The systém & logic p.579

البداهة وموهبة الاختراع ، والتقدير العددى والإلهام

ولا شك بعد هذا كله فى أن المنهج الرياضى هو أوثق المناهج فى استقرار النتائج . وكم ذا يود الفكر الخـالص أن يحظى فى شتى ميـادينه بوثاقة الرياضة لولا القيود والسدود التى تعترضه وإن كان يجـد ويسعى مخلصا فى التغلب عليها والوصول إلى هدفه السامى

والرياضة إذن « قاسم مشترك أعظم » بين جميع المعارف . بل هى لغة مشتركة langage commode ووظيفتها الـكبرى هى احتمال معانى الألفاظ الوجودية والتفكيرية معا ، والارتفاع بها عن المثقلات المادية ، والأوشاب والأوضار التى طالمـا عوقت ركب المفكرين عن سعادة الدارين

والأمل اليوم معقود على « التلبانى » لتكون لغـة الجميع حيث تصفو النفوس ، وتخلص من غواشيها ، وتتحقق أحـلام فيثا غورس يوم قال « العالم عدد ونغم » . وهل ينشد المصلحون إلا العدالة بين الناس ليكون فى المساواة كالأعداد ؟ وهل ينشد المربون إلا المحبة التى هى انسجام وتوافق كما هو فى الأنغام ؟ ، وهل يكون هذا إلا بالتربية الرياضية والاسـتقامة على نهجها ، وليس بعزيز على الله أن تـكون هذه « الأعداد والأنغام » .. لغة المستقبل

(انتهى البحث) محمد محمود زيتون

شخصية

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يلتزم أكثر الناس ، أثناء أحاديثهم ، كلمة واحدة أو جملة تجرى على ألسنتهم مجرى العادة فتسمى لازمة ، وهذه اللازمة إما أن تـكون خفيفة تنساب مع الحديث انسياب الـكلمة الحشو فى بيت من الشعر لا يلتفت إليها سوى الذواقة العارف بفنون القريض ، أو تقع فى غير موقعها فتصك السمع ، وقل من الناس من سلم حديثه من لازمة واحدة أو أكثر

من هؤلاء « الالتزاميين » صديق يختلف فى لازمته عن جميع الناس لأنه شاعر ، والمفروض فى الشعراء أن تـكون لازمتهم شعرية ذات معنى ورمز وجرس . لذلك نرى شـاعرنا هذا يلتزم بيتاً واحـداً من لامية ابن الوردى المشهورة يردده فى كل مناسـبة على خلاف الشعراء الذين يفترصون كل فرصة للاستشهاد ببيت لشاعر قديم أو مخضرم أو حديث يناسب الموضوع يدللون به على قوة حافظتهم ، ومضاء ذا كرتهم ، وسعة اطلاعهم ، أما التزام هذا الشاعر بيتاً واحداً لا يتبدل ، فله دلالة نفسية سينقشع عنها اللثام خلال الحديث

ومن الظريف فى شاعرنا أنه يبدأ فى إنشاد الصدر من البيت: « لا تقل أصلى وفصلى أبداً » ويسكت هنيهة كأنه يحرض ذهن السامع على إتمامه ، والويل لمن يتلكأ فى رد الصدر على العجز فيقول : « إنما أصل الفتى ما قد حصل » لأنه سيكون حتما من البلهاء

طاب لأحـد الظرفاء من أصحاب الشـاعر ، وكنا نسميه « شاعر العرب والإسلام » أو « حسان الثورة » أن يكنيه كنية تطابق لازمته الوردية فكناه « حصل أفندى » . ومن عجب أن غاض اسم الشاعر بنعوته واندثر ، وانتشرت الـكنية المستحدثة وذاع اللقب الجديد بين جميع المشتغلين بالقضية العربية من ساسة وثوار

* * *

شخصية « حصل أفندى » كما أراها اليوم ، فريدة فى بابها بل هو قريع دهره وواحد هذا العصر ، يجمع بين جميع الصفات والمزايا ، والغرائز والملكات وأضدادها كلها ولـكن كفته إلى اليسار هى الراجحة دائماً !

ترى البشاشة فى محياه يعلوها الا كفهرار والتجهم ، إن هش ورحب بدا نابه وظفره ، وإن نظر وحدق اختلطت عليك معانى تلك النظرات ووجب عليك الاستعاذة بمن لا يستعاذ بسواه على أصحاب النظرة المختلطة . يصاحب كل الناس وفى صدره جرة من كل الناس، مودته مدخولة، ظاهر الملق، ممـاحل مداور مخادع ، يوهمك أنه يخزى ، ولـكنه فى الحقيقة لا يندى له جبين ، ولا يحمر له خد أو أذن ، يلبس ثياب التقوى ومسوح الزهـد ، ولا يتورع من اقتحام بيوت الدنس

واقتراف الإثم والرذيلة ، يحلل المحرمات جهرا ، ويتزندق ليقال إنه من زهرة أبناء العصر الحديث

يقعها كم كطفل ، ويتواضع باستكانة ، ويتعالى بحمق ، ويتظرف بسماجة ؛ ولكنه داهية داهية ، ولئيم لئيم

تراه فى كل ناد ومجتمع وحزب ، فى الأفراح والمآتم ، يصفق للخير ويطرب للشر ، يفغر فاه لكل طعام من كل مائدة ، ويكرع ما يتبقى فى الأكواب ، وإنه كأضراسه لا يفتر عن اللوك والطحن ، والمضغ والابتلاع

قد لا تعلم ، مهما أوتيت من ذكاء وقوة استلماح ، متى يتجافى الحق ، ولا كيف يرتجل الزور . تعجزك ملامحه ، وتخونك فراستك فى وجهه الكثير القسمات النائتة ، والأخاديد الغائرة ، وفى غموض فى سحنته ومواث لونها ، وهو قدير على إدماج الجد بالهزل ، والمزاح بالرصانة

يتغابى كأخرق ، ويتباله كأنه أعمى البصيرة ، لايتكدر ولا يغضب ، ولا يرتج عليه الكلام لأنه ذكى لامع الذكاء . وهو فى جملته خلط ملط كما يقول أصحاب الأمثال

يوهمك أنه كتوم للسر ، صائن للخبر ، ولكنه عقرب وشابة ، وأفعوان سعاية ، ورسول سوء وفساد ، وزارع عداوات وبغضاء

قلت إن شخصية « حصل أفندى » تجمع بين جميع الخلائق وأضدادها ، وإليك الوجه المقابل للوجه الأول

عرفنا — منذ عرفناه — أنه من خاصة أوائل الرجال الذين بذروا بذور الوطنية فى صدور الأمة التى استكانت دهراً طويلا لحكم الأتراك ، وفى مقدمة الرجال العاملين فى الأحزاب العربية التى كانت تضمهم غاية واحدة ، وأن تظاهرهم آنذاك بالتفرق والتحزب والتشيع ، بعمل هذا الحزب مع الفرنسيين ، وذاك مع الألمان أو الإنجليز ، لم يكن سوى خدعة ووسيلة للاستعانة بهؤلاء الأقوياء على الخلاص من حكم الأتراك الأقوياء الأشرار ، ولكن غايتهم ومرمى سعيهم كان منصبا على نيل الاستقلال ، وإعادة تأليف دولة عربية إسلامية تسير فى مواكب الحياة مع الشعوب الحرة

ثم عرفناه يحارب بقلمه السيال ، ولسانه الطلق ، وبيانه الواضح فى كل ميدان من ميادين استنهاض الهمم ، ونفض غبار الخمول ، واستثارة النفوس ، وإذكاء النخوة العربية

ثم رأيناه يحبس لسانه عن الخطابة ، وقلمه عن الكتابة ، وقد استبدل بهما بندقية وراح مع الثوار فى ميادين حماه ، وجبال حوران ، ومع أشاوس الدروز وأبطال منطقة الغوطة يقتنص ضباط جيوش المحتلين ، ولم يرم جنديا من الجنود المرتزقة أو من أبناء المستعمرات إلا فيما ندر

لقد كانت له مواقع مشهورة ، وحكايات فى البطولة ، ومعلقات فى المغامرات ، وكان برغم نشاطه العجيب ، ونفسه الفدارة ، لا يتخلف عن مجالس الساسة ، ولا ينى عن درس أمور الوطن وتطوراته ، وإبداء الآراء السديدة ؛ ووضع رسوم الخطط مع الزعماء ، غير أنه لما انطفأت نيران الثورة الكبرى التى تأججت سنة ١٩٢٥ من جراء اختصام الزعماء على الرياسة واقتتالهم على المال الذى تبرع به كرام المصريين والأسخياء من أبناء سورية ولبنان فى المهجر إعانة للثوار ، تحولت فوهات بنادق بعضهم إلى صدور بعضهم الآخر بعد أن كانت مسددة إلى صدور الأعداء .. أقول ما كادت تنطفئ نيران الثورة وتتفرق جماعات الثوار حتى انكفأ الزعماء والقادة متخاذلين ، منهم من يمم دمشق فى أعناقهم محارم الاستسلام للغاصب المحتل ، ومنهم من لاذ بمصر موئل الأحرار وحصن المجاهدين ، يضمدون جراحهم ، ويلمون شعثهم ، ويوحدون صفوفهم ، ويوفقون بين أحزابهم التى كانت فى الأصل حزبا واحداً ، يستأنفون جهادهم . ومن عجب أن « حصل أفندى » لم يكن مع الجماعة التى لاذت بمصر . بل راح مع من راحوا إلى دمشق يجرع ذل الاحتلال ويغب من صلف الفرنسيين أتراك الغرب

• • •

التأمت جراحات العرب الأحرار اللائذين بمصر فعاد إليهم نشاطهم ، وتوفزت حيويتهم ، وعلا صوتهم يدوى فى الجوامع والصحف ، وما عتم أن أرهف العالم أذنه من جديد يسمع شكاوى هذا الشعب العربى العجيب المتوافرة فيه خصائص العظمة والسؤدد من ناحية ؛ وعناصر الاستسلام والخضوع للأمر الواقع من ناحية أخرى . شكاوى فيها ترانيم للحياة ، وأناشيد للحرية ،

ومطالبة بالحق المغتصب ، وزغردة للثورة ، وتهديد بنسل وتطهير الأمة التي تلوثت بالاحتلال بدماء المحتلين ، ومن عجب ، بل من سخرية القدر أننا كنا نسمع أصواتا منبعثة من دمشق ينعب أصحابها كغراب البين يندبون العرب والعروبة . يلصقون بهم ما هم منه براء ، وينادون بالاستسلام للأمر الواقع ، والطاعة الشرعية لولى الأمر والخضوع له وإن كان دخيلا . وقد صار لزاما على الأحرار المقيمين بمصر أن يحاربوا في ميدانين ، ويقاتلوا عدوين ، الأول مغتصب عات هو الفرنسي المستعمر ، والثاني سورى من أبناء الوطن ضالع مع المحتل، يرى ويسمع ويتكلم بعين وأذن ولسان المحتل الذي أفسد الأخلاق والضمائر ، واستعبد الأقلام والألسنة بالمال والشهوات

في هذه الفترة من القلق والاضطراب ، في هذه الآونة الحرجة في حياة أمة رامت النجاة من براثن الذئب فوقعت في مخالب لبؤة جائعة جشمة ، في هذه الحقبة التي هي في حكم الضائع من أعمار الأمم ، في هذه الفترة برز شخص « حصل أفندى » في مصر كنبتة شيطان أو كفطر شق أرضاً رواها الندى ودفعها التعفن !!!

ومن عجب أن الذهن الشامى المفطور على الذكاء اللامع والسذاجة الصافية ، انطمس ذكاؤه وانطفأ نوره وبدت فيه السذاجة بأجلى مظاهرها فرحب بـ « حصل أفندى » « الذى كان ضالا فوجد » وغفل أو نسى أنه تخلف عمدا عن ركب أقرانه الأحرار وقد يمم الشام وفي عنقه منديل الاستسلام والعبودية

بل الأعجب والأنكى أن جميع أبواب السياسة فتحت له ، وأن أكثر طرايا الصدور نشرت له بغير ما ظن أو شك أو توجس

لقد كنت واحدا من أولئك الذين خدعتهم أعذار ذلك الداهية اللسن ، وانطلت عليه تلفيقاته البارعة وتمويهه المتقن ... لقد خفيت حقيقة « حصل أفندى » عن جميع إخوانه وأصدقائه، وأخذ كل منهم ينظر إلى الآخر نظرة فيها الكثير من معاني النفرة المستترة ، والعمت على مفض ، وما لبثنا أن أصبح كل منا يتجنب أصدقاءه الذين وحد بينهم الاعتقال وميادين القتال ، وتدبير المؤامرات ، ووحدة الغاية الوطنية

في صدر كل منا حفيظة ، وتوجس ، وخوف ! لا شك أن هناك شيطاناً يوسوس ، وأفعى تنفث سما ، وامرأة خداعة ! ولكن أين هي المرأة والحية والشيطان ؟ وراء أى قناع وتحت أى طلسان أو عمامة يستترون ؟

مقاتلة المحتلين واجب وطني وشرع مقدس ، ومحاربة المواطنين الذين خنعوا للأمر الواقع ونكصوا عن الجهاد في سبيل الحرية ليست بالحرب الشعواء ، ولكن حرب الشيطان ، حرب الطابور الخامس ، حرب دود الخل ، حرب قتل المعنويات بعقاقير محلية ، حرب صدم شعور الشباب بنصائح شيوخ رجعاء ؛ إنما هي حرب أكثر فتكا من القنابل الذرية ، وأشد وبالا من الجرائم لأنها تصيب النفوس فترديها ، وتفتك بالأرواح فتميتها

البقية في العدد القادم

حبيب الزحلاوى

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بتقديم الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

من حق القراء الأعزاء ، وقد راسلني منهم كثيرون لا تربطني بهم غير رابطة الفكر ، وتفضل بزيارتي غيرهم سائلين عن الديوان الذي انتظروه أكثر من ستة أعوام ، وانتظاره الإسلام والمسلمون أربعة عشر قرنا — ومن حق ناظمه على أن أقدم له بمزاياه ، ومنزلته الأدبية ، وصورة واضحة للملحمة الإسلامية ومكانتها من الملاحم الغربية ، ولكن تفصيل هذه المقدمة طويل ، وأنا أحرص ما أكون على الحيز الذي تكرم به الأستاذ الزيات بك على الديوان وناظمه ، فحسبي أن أذكر اليوم في تقديم الديوان أن « محرما » قد عمد إلى أروع الحوادث في تاريخ غزوات الرسول وإلى أشهر الأبطال ، من وجهة نظرته الشعرية وسجل في شعره الرصين مالهم من مواقف مجيدة وأعمال خالدة

وقد خالف شعراء الملحمة الغربية ، فكانت تغلبه عاطفته فيترجم عن شعوره بطريقة مكنته من أن يطيل الوقوف على حوادث هينة ، وأن ينفذ إلى صميم المعاني ويستقصي التفصيلات ويصور الأبطال صوراً كاملة

وإلى أن تسنح الفرصة التي نعود فيها على بدء ، أرجو أن يطالع القراء ديوان مجد الإسلام أو الإلياذة الاسلامية على هذا الضوء ؟

مطلع النور الأول

من أفق الدعوة الإسلامية

إملأ الأرض « يا محمد » نورا   واغمر الناس حكمة والدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى   يكشف الحجب كلها والستورا
عب سيل الفساد في كل واد   فتدفق عليه حتى يغورا (١)
جئت ترمى عبابه بعباب   راح يطوى سيوله والبحورا
ينقذ العالم الغريق ويحمى   أمم الأرض أن تذوق الثبورا (٢)
زاخر يشمل البسيطة مدى (٣)   ويعم السبع الطباق هديرا (٤)
أنت معنى الوجود بل أنت سر   جهل الناس قبله (الإكسيرا) (٥)
أنت أنشأت للنفوس حياة   غيرت كل كائن تغييرا
أعجب الدهر في ظلالك عصرا   نابه الذكر في العصور شهيرا
كيف تجزى جميل صنعك دنيا   كنت بعثاً لها وكنت نشورا ؟
ولدتك الكواكب الزهر فجراً   هاشمي السنا ، وصبحا منيرا
يصدع الغيهب المجلل بالوحى   الملق ويكشف الديجورا (٦)
منطق القدرة التي تزهق القا   در مجزا ، والعبقرى قصورا
كل ذمر (٧) رمى النفوس بوتر (٨)   من خطاياه (٩) رده موتورا
خرت العرب من مشارقها المل   يا توالى هويهـا والحدورا
بات فيها ملك البيان حريبا   يسلم الجند والحمى والثغورا
أنكر الناس ربهم وتولوا   يحسبون الحياة إفكا وزورا
أين من شرعة الحياة أناس   جعلوا البغى شرعة والفجورا
تلك أربابهم : أعلك أن تن   فع مثقال ذرة أو نقيراً ؟
قهروها صناعة أعجب الأر   باب ما كان عاجزا مقهورا
ما الذى (اللات) أو (مناة) أو (العز   ى) غناء لمن يقيس الأمورا
جاء دين الهدى وهب رسول الل   ه يحمى لواءه المنشورا
ضرب الكفر ضربة زلزلته   فتداعى وكان خطباً عسيرا
جثمت حوله الحصون وظن ال   قرم ظن الغرور أن لن تطيرا
هدها ذو الجلال حصنا فحصنا   بالحصون العلى وسورا فسورا
بالرسول الهادى ، وبالصفوة الأم   جاد يقضون حقه الموفورا
يهرقون النفوس تلق الردى الم   راق مثل الغدير يلقى الغديرا
إن في القتل للشعوب حياة   وارفا ظلها ، وخيراً كثيرا
ليس من يركب الدنية يخشى   مركب الموت بالحياة جديرا

---

(١) غار الماء ذهب (٢) الثبور الهلاك (٣) مد النهر سال (٤) الهدير الصوت والغليان (٥) الاكسير مايلقى على الفضة ونحوها لتحيله إلى ذهب خالص (٦) الديجور الظلام (٧) الذمر الشجاع (٨) الوتر الذحل أو الظلم فيه ، وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل (٩) جمع خطبة وهي العربية المكرمة والمعنى منصرف الى فرسان البلاغة وما يجددونه من كلامهم

أمن الحق أن تصد (قريش) عن (فتاها) وأن تطيل النكيرا ؟
سل (أبا جهلها) وقوما دعاهم فاستجابوا جهـالة وغرورا
أولعوا بالأذى، فألفوا رسول الا ه جلدا على البـلاء صبورا
كلما أحدثوا الذنوب كباراً وجدوه لكل ذنب غفورا
ما به نفسه فيغضب يرض بها وترضيه ناعما مسرورا
إن الله ، لا سواه ، ودين ملك النفس ، واسترق الشعورا
يجد النـــاس والمقادير فيه ويرى ما عداه شيئا يسيرا
مازكا سابق من الرسل إلا هو أزكى نفسا وأصفى ضميرا
جاره (عمه) يقول أترضى أن يقيموك سيدا أو أميرا(١٠)
ويصبوا عليك من صفوة الما ل حيا ماطرا ، وفيئاً غزيرا
قال : يا عم ما بعثت لدنيا أبتغيها، وما خلقت حصورا(١١)
لو أتونى (بالنيرين) لأعرضـ ت أريهم مطالبي والشقورا(١٢)
إنه يشيروا بما علمت ، فإنى لأدع(١٣) الهوى وأعصى المشيرا
دون هذا دمى يراق ونفسى تطعم الحتف راغما محذورا

المطعم بن عدى

ما رأينا كالمطعم بن عدى (١٤) جانياً واصلا ، هيوبا جسورا
آثر الـكفر ملة وأجار الد ين مستضعفا يدور شطيرا(١٥)
رام (بالطائف) المقام فأعيا فانثنى يطلب الأمان حسيرا
وكل الله بالنبوة منـه أسـدا يملأ الفضاء زئيرا
قائما فى السلاح يجمع حوليـ ـه شبولا تحمى الحمى وعورا
يمنع القوم أن يصدوا رسول الا ه عن بيته ويأبى الخفورا(١٦)

(١٠) فى البيت وما يليه اشارة الى مجىء أبى طالب عم النبى يبلغه رسالة قريش ويفاوضه فى شأنهم وشأن آلهتهم وقوله «ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه ماتركته»

(١١) الحصور هنا الضيق الصدر

(١٢) الشقور الأمور الملتصقة بالقلب المهمة له

(١٣) دعه بالتشديد دفعه دفعا عنيفا

(١٤) خرج الرســول الكريم من مكة الى الطائف بعد موت عمه أبو طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفا الى الإسلام فلقى فيه أذى شديداً وبعث الى المطعم بن عدى يقول : إنى داخل مكة فى جوارك ، فأجابه الى ذلك وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون النبى فى طوافه بالبيت (بقى المطعم بن عدى كافراً الى أن مات) وقد قال النبى فى أسارى بدر : لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له (١٥) الشطير الغريب والبعيد (١٦) الخفور نقض العهد والغدر

نقض الحلف من قريش فأمسى أسلمته المرى وكان مريرا(١٧)
عجبـا للقوى يعطيك منه عملا صـالحا ورأيا فطيرا
ما رأينا من ظن بالزرع شرا فحمى أرضه وصان البذورا
لو جزى الله كافرا أجرما أحـ ـسن يوما لخلته مأجورا

فى غار حراء

ظل مستخفيا (بغار حراء) يعبد الله عائذاً مستجيرا
يسمر القوم فى الضلال ويمسى للذى أطلع النجوم سميرا
راكعا ساجدا يسبح مولا ه ويزجى التهليل والتكبيرا
تهتف الـكائنات يأخذها الصو ت ، تحيى مكانه المهجورا
نال منهــا محلة لم ينلها صوت(داود)حين يتلو (الزبورا)
نبرات قدسية تتوالى نغماً رائعـــا وتمضى زفيرا
رب طال الخفاء ، والدين جهر رب فاجعل مدى الخفاء قصيرا
ماجت الأرض حوله ، وتجلى الا ه يهيى بركانهـا أن يفورا
أوذى الدين فى الشعاب وردت يد (سعد) (١٨) عدوه مدحورا
رقت فى الـكتاب أول سطر وأتم الدم المراق السطورا
أدبر القوم مختفين فلولا الا ه كادت رحى الوغى أن تدورا
أزمع (الضيف) أن يؤم سواه منزلا ، كان صالحاً مبرورا
حله الوحى روضة شـاع فيها رونقا ســاطعا ، وفاح عبيرا

(١٧) المرير ما اشتد فتله من الحبال ، وحلف قريش هذا الذى عقدوه ضد بنى هاشم وعبد المطلب لاباثهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ، ويؤذوا دينه مضاعفة ، فتعاهدوا على منابذتهم واخراجهم من مكة الى شعب أبى طالب ، ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم ، وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم ، أو يقبلوا لهم صلحا الا اذا أجابوهم الى طلبهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الـكعبة فجهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة اقامتهم بالشعب ثلاث سنين وقيل سنتان ، وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل انه هو الذى مزق الصحيفة

(١٨) سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضرب سعد بن أبى وقاص وكان معه رضى الله عنه رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق فى الاسلام

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأزهر قبل « بريل » :

زارت مصر أخيراً الكاتبة الأمريكية الصماء العمياء البكماء « هيلين كلر » وقد نقل عنها الصحفيون ، وتحدثت في نوادي القاهرة ، عن كفاحها في الحياة ، كفاح السياج الكثيف الذي ضرب بين حواسها الثلاث وبين الإدراك ، فإذا نجاحها معجزة ومفخرة ، وإذا بصيرتها تستشف — بوساطة اللمس — من الحقائق وفنون المعرفة ما يقصر دونه إدراك ملايين من ذوي الحواس الخمس ..

وقد عنيت « هيلين كلر » الإنسانة العظيمة بموضوع العناية بذوي العاهات في مصر ، فوقفت على القدر اليسير الذي تبذله الحكومة المصرية في هذا السبيل ، فاستشعرت لطف حسها واصطنعت اللباقة في الثناء على ذلك « الجهد » وفي الحث على المزيد منه ، ومما لا حظته أن المعاهد والدور التي تعنى بذوي العاهات عندنا لا تؤوي أكثر من خمسهم في البلاد ..

وتحية هذا القلم لهذه الضيفة الكبيرة — وهي تحية تليق بأمثالها من عظماء النفوس — أن أقدم لها « الأزهر ! » فإنه لم يبد إلى الآن أنها ستلتفت أو أن أحداً سيلفتها إلى ذلك المعهد العريق الذي عني ولا يزال يعني بالمكفوفين ، يعلمهم ، ويتيح لهم فرص النبوغ وإظهار كفاياتهم العلمية ، وييسر لهم بذلك التغلب على أهم ما يجر إليه حرمان البصر من صعاب في الحياة وهو احتلال مكانة راقية بين أبناء المجتمع بما يؤدون فيه من عمل يؤهلهم لها

وأخشى أن تنتهي زيارة « هيلين » لمصر وليس في ذهنها من العناية بذوي العاهات فيها إلا ما عرفته من ذلك الجهد الضئيل ، فلا تعلم أن مصر سبقت العالم في هذا المضمار منذ ألف سنة ، فوجد فيها الأزهر قبل طريقة « بريل » بمئات السنين

وبعد فليت الأزهر يهتم بإدخال الطرق الحديثة إلى مناهج الدراسة المكفوفين فيه ، فيبني جديداً على قديم ويضيف طارفاً إلى تليد . والأمل أن يكون ذلك على يد قائد الأزهر في وثبته الجديدة شيخه الحالي فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

ذكرى إقبال :

احتفلت سفارة الباكستان في مصر بذكرى الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد إقبال يوم الجمعة الماضي بدار نقابة الصحفيين ، وقد خطب في الحفل الأستاذ صلاح الدين خورشيد الملحق الصحفي بالسفارة ومحمد علي علوبة باشا والدكتور حسن إبراهيم حسن بك والدكتور عثمان أمين ، وألقى قصائد الشيخ الصاوي شعلان والأستاذ خالد الجرنوسي والأستاذ محمود جبر

والسفارة الباكستانية في القاهرة تبدي دائماً نشاطاً ملحوظاً في الاحتفال بالمناسبات الباكستانية والإسلامية ، وتكون هذه الحفلات فرصاً طيبة لتبادل الشعور بين المصريين ورجال الباكستان في القاهرة ؛ وقد جرت السفارة على الاحتفال بذكرى إقبال كل عام منذ قيام هذه الدولة الفتية ، وهو اهتمام تغبط عليه ، وينبغي لنا — نحن المقصرين إزاء ذكريات أعلامنا — أن نأتسي بها في ذلك ، وخاصة أن الذين يقولون في الذكريات الباكستانية عادة هم جميعاً — ماعدا الملحق الصحفي الباكستاني — مصريون أعتقد أنه من الممكن أن يقولوا أيضاً في ذكريات شوقي وحافظ والمازني وعلى طه وغيرهم من أدبائنا الراحلين الذين لا يذكرهم غير أهليهم الأقربين ...

والملاحظ في الاحتفالات السنوية لذكرى إقبال أن ما يقال في سنة يكرر في أخرى ، فكلهم يقولون إن إقبال شاعر إسلامي استمد فلسفته من ثقافة الإسلام ، وإنه استحث قومه على الجهاد والتقدم ، حتى تكونت الباكستان نتيجة لدعوته وثمرة لغرسه ، ويذكرون تاريخ ميلاده ووفاته والجامعات التي التحق بها ، ولا يفوت قائلهم أن يذكر أن إقبال لم يستطع العمل في

الحكومة لأنه سقط فى الكشف الطبي ... إلى آخر هذا الذى سمعناه فى هذا العام كما سمعناه فى الأعوام السابقة ، لا يكادون يخرجون عنه ..

وكم نود أن نسمع أستاذاً باكستانيا يحاضرنا فى « إقبال » باللغة العربية التى لا يعرفها من رجال الباكستان فى القاهرة إلا الملحق الصحفى ...

حتى علماء الباكستان الذين يفدون إلى مصر ، إذ نراهم لا يتحدثون باللغة العربية ، ويتكلمون ويخطبون فينا باللغة الإنجليزية ، ومن عجب أنهم يدعون بهذه اللغة إلى مؤتمرات من أغراضها جعل اللغة العربية لغة رسمية عامة لبلاد الإسلام . والذين توجه إليهم الدعوة هم أهل البلاد العربية الإسلامية الذين يتخذون العربية فعلا لغة رسمية لهم وغير رسمية

وأنا أعتقد أنه لا يتم التوحد والتفاهم بين شعوب مختلفة اللغات ، وقد نزل الإسلام بالعربية ، وارتضيناه ديناً ، فلا بد — لتقاربنا وتعاوننا — من التفاهم باللغة التى جاء بها وحملته إلى الناس

وأعود إلى ذكرى إقبال فأقول إن خير ما صنعته الباكستان لهذه الذكرى فى مصر هو ترجمة أشعار صاحبها إلى اللغة العربية ونشرها بين الناطقين بالضاد . وقد قام بجهد مشكور فى ذلك الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان والأستاذ الصاوى

كشكول الأسبوع

□ احتفل يوم الاثنين الماضى بتوزيع جوائز فؤاد الأول وجوائز فاروق الأول على الفائزين بها هذا العام فى الأدب والعلم والقانون . وقد فاز بجائزة فؤاد الأول فى الأدب الأستاذان عزيز أباظة باشا وفريد أبو حديد بك على أن تكون مناصفة بينهما

وفاز بجائزة فؤاد الأول فى العلوم الرياضية والطبيعية الدكتور عبد السلام عاشور والدكتور ماهر نصيف غبور — مناصفة بينهما

وفاز بجائزة فاروق الأول فى العلوم الاجتماعية الدكتور محمد عوض محمد بك

وفاز بجائزة فاروق الأول فى العلوم الكيميائية الدكتور أحمد مصطفى أحمد والدكتور رضوان عطية مباشر — مناصفة بينهما

□ عقد فى هذا الأسبوع اتفاق ثقافى بين مصر وأسبانيا ينص على إنشاء معاهد ثقافية لكل من البلدين فى الآخر ، وتبادل الأساتذة وإنشاء كراسى لحضارة البلدين فى جامعاتهما، وتبادل البعثات وتشجيع الرحلات بينهما

□ أصدر الأستاذ توفيق الحكيم كتابه الجديد « فن الأدب » وقد تصفحته عاجلا فلاح لى أنه من الكتب التى يحلو للأديب معاشرتها فترة يتمنى أن تطول . فأكتفى الآن بهذه الإشارة على أن أحدث قراء « الرسالة » عنه بعد فترة أرجو — على رغمى — ألا تطول ..

□ من أنباء « فينا » أنه قد عهد إلى أحد نقاد الأدب هناك فى إعداد طائفة من مسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم لتمثيل على بعض المسارح النمسوية

□ ومن تلك الأنباء أن بعض الصحف النمسوية أبدت رغبتها فى نشر قصص مصرية قصيرة لكبار الكتاب المصريين كمحمود تيمور بك وغيره

□ أعلنت وزارة الشؤون الاجتماعية عن نتيجة المسابقة التى أجرتها لاختيار أحسن الأفلام التى عرضت سنة ١٩٥١ ، ففاز فلما « ليلة غرام » و « أنا الماضى » وقصة

شملان ، وقد كان خير ما فى الحفل شعر إقبال الذى أنشده الأستاذ الصاوى بعد ترجمته إلى العربية

الطفولة فى الأدباء :

فى حياة بعض الأدباء والشعراء ، أو فى كثير منهم ، وقد يكون فى جميعهم ، جوانب تبدو تافهة وذات دلالة لا تتفق وعظمة ما ينتجون من أدب وشعر ، ولا شك أن المتأملين فى حالات النفس الإنسانية والباحثين عن الحقائق فى هذا المضمار يهتمون بتتبع تلك الجوانب ودراستها ، وكثيراً ما يستضىء بها النقاد المحدثون فيما يتناولون بالنقد والتحليل من حياة الأدباء وآثارهم

ويحدثنا تاريخ الأدب عن كثير من ذلك ، وإن كان منثوراً غير منظوم فى دراسات ذات مقدمات ونتائج

أقصد بذلك التمهيد لسياقة أطراف مما عرفناه فى بعض أدبائنا المعاصرين الراحلين :

كان الأستاذ كامل كيلانى يلتقى بأمير الشعراء أحمد شوقى بك فى أصائل أيام الصيف بالإسكندرية ، ومرة رآه مكتئباً مقطباً ، فسأله فى ذلك ، فقال شوقى : سكرتيرى مريض

— شفاه الله ، أليس تحت عناية الطبيب ؟

— ما إلى هذا قصدت ..

— ماذا إذن ؟

— أشار على الطبيب أن أمشى كل يوم مسافة قدرها ما بين خمس شجرات فى صف واحد على هذا الطريق، وأنا أمشى حتى أبلغ الشجرة الرابعة، فأشعر بالتعب، فأتوقف، فيقول لى «السكرتير»: من أجل خاطرى امش إلى الشجرة الخامسة! فأنا اليوم سأمشى إلى الرابعة فقط..

— المسألة هينة. أميرك سكرتيرى يقول لك..

وحلت العقدة، ولم يقطع أمير الشعراء مشيه إلى الشجرة الخامسة، وشكر «الجميل» للسكرتير الماهر..

وكان المرحوم الأستاذ صادق عنبر — فى فترة من حياته — موظفاً فى وزارة المعارف بمرتب لا يلائم مكانته الأدبية، وتولى هذه الوزارة رجل ممن يقدرون الأدباء. فرأى أديب كبير من أصدقاء صادق عنبر — وهو أيضاً صديق للوزير — أن يلفت نظره إلى الأديب المغبون فى رزقه بالوزارة، فحادث الوزير فى الأمر، فوعد بزيادة مرتبه خمسة جنيهات فى الشهر. واستقبل الوزير الأديبين الكبيرين فى داره، وكان الموقف يتطلب من الأستاذ صادق عنبر أن يقبل على الوزير بحديث يكسب به مودته وإعجابه، ولكنه لمح بيد صديقه علبة كبريت (١) أشعل منها لفافته ووضعها أمامه على المنضد وكان الأستاذ صادق «مولعاً»

(١) روى لى الأديب اللغوى المتمكن الأستاذ شوقى أمين البيت الآتى لابن رشيق
أشير بعود من الكبريت نحو فمى
وانظر إلى زفراتى كيف تلتهب

بالكبريت! فوجه همه إلى العلبة.. وجعل يخالس صاحبه ليأخذ من عيدانها وعلا عابثه! فسارع الصديق بدس الملبتين فى جيبه.. ليطمئن وبوجه انتباهه إلى الموضوع الذى أتيا من أجله... ولولا ذلك لضحى أديبنا الفقيد بخمسة جنيهات فى الشهر لقاء عيدان من الكبريت لا تساوى خمسة مليمات...

وكان فقيد الأدب الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى، إذا أراد أن يسرى عن نفسه مما يهمه، يقوم إلى المرآة فينظر فيها إلى صورته ويخرج لسانه.. وكان يعلل ذلك بأنه يريد أن يضحك نفسه ليذهب عنه ما ألم به.. وهو تعليل مقبول ولكنه يدل على ما وراءه مما يتصل بموضوعنا

ولعل تلك المشاعر، والتصرفات التى عليها، من بقايا الطفولة فى نفوس الأدباء، ولعل لكل واحد منهم طريقة خاصة به فى «طفولته» الملازمة، قد يأتيها فى العلن متماجناً، وقد يصنعها فى خلوته...

ويرى الأستاذ توفيق الحكيم أن أعمال الأديب من امتداد طفولته وأنه يحاول أن يتخلص من مكافحة المجتمع لهذه الذخيرة «الطفولية» التى هى من ألزم الأمور للأديب وذلك كما جاء فى الفصل الأول من كتابه الجديد «فن الأدب» وقد قرأت هذا الفصل بعد كتابة ما تقدم كما يقول الزملاء الصحفيون... .

عباس خضر

الفلم الأول للروائى الأديب النابغ الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، وهى قصة ذات موضوع إنسانى مما يندر وقوعه فى الأفلام المصرية، وقد استرعت انتباهنا وقت عرضها وحدثنا عنها قراء «الرسالة» فى ذلك الحين

◘ دعت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية رجال الفكر والثقافة بالعالم العربى إلى مسابقة عامة فى التأليف موضوعها «المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق» على أن يقع البحث فى نحو ثلاثمائة صفحة من الحجم المتوسط، ويكتب باللغة العربية الفصحى، ويقدم فى موعد غايته آخر أكتوبر القادم. وسيعطى صاحب البحث الفائز مكافأة قدرها أربعمائة جنيه مصرى

◘ تقرر حذف اسم الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف من عداد الأعضاء العاملين بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ومنحه لقب عضو فخرى بالمجمع، وذلك لعدم حضوره جلسات المجمع نحو عشر سنين

◘ توالى اللجنة الفنية المؤلفة بمجمع فؤاد لبحث مقترحات تيسير الكتابة — اجتماعاتها للانتهاء من المهمة الموكولة إليها قريباً. وهى تتكون من الأستاذ شارل كوتز مدير المعهد الفرنسى بالقاهرة رئيساً، والأساتذين شفيق مترى ومحمد على مكاوى عضوين. وقد قدمت تلك المقترحات إلى المجمع على أثر إعلانه عن مسابقة لتيسير الكتابة العربية يمنح فيها ألف جنيه للمقترح الفائز

◘ جاء من كراتشى أن الدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ألقى خطاباً فى مؤتمر عقد بلاهور دعا فيه إلى المحافظة على الثقافة الإسلامية والنهوض بها، وقال إن هذه هى خير وسيلة لمواجهة النفوذ الغربى فى البلدان الإسلامية

◘ قال فضيلة الأستاذ الشيخ عبد محمد اللطيف دراز لمحرر «الكشكول» إن فن الموسيقى والعزف بالآلات كان يدرس بالأزهر فى بعض العهود الماضية



الانسان بين الماديه والاسلام

تأليف الاستاذ محمد قطب

عرض وتعليق

الاستاذ حسين عبد الفتاح سويفي

لن يصدق القارئ بعد أن يفرغ من قراءة هذا الكتاب ، أن مؤلفه شاب لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، فلو أن كاتبا أفنى عمره الطويل فى البحث والاطلاع لينتج مثل هذا الكتاب لضمن لنفسه الامتياز والتفوق . إنه يسحرك ويستهويك من أول جملة فى المقدمة إلى آخر جملة فى النهاية ، إنه يرضى ذوق الأديب ، وروح الشاعر ، وعقل العالم ، ومنطق الفيلسوف

هو بحث سيكلوجى ، يعرض عليك النفس ، فى ثوب تحليلى رائع ، وتعبير أدبى موسيقى بديع ، وإنك لتجد فيه رشاقة الأسلوب وقوة التعبير والتحليل ، وسلامة المنطق وسلامته ، والمعرفة بأسرار النفس وخفاياها ، وطبيعة تكوينها ، ورأى العلماء والأديان فيها ، ومدى ارتباطها بالحياة ، وارتباط الحياة بها

وهو يضع الإنسان بين المادية والروحية ، وبين المذاهب الاجتماعية المختلفة ، والأديان السماوية ، ويسلط عليه هذه الإشعاعات ، ليقنعك فتقتنع معه بأن الإسلام دين الفطرة ، دين الحياة والأحياء

إنه يقول فى المقدمة : « بينما يتطرف فرويد ، فى إطلاق النفس من عقالها ، ورفع الكبت عن الغرائز المحبوسة ، وتتطرف المسيحية من الجانب الآخر فى فرض الكبت على الطاقة الحيوية الإنسان . يقف الإسلام بينهما موقفا وسطا ، فلا يفرض القيد إلى الحد الذى يرهق النفس ، ويعطل دفعة الحياة ، ولا يطلق الإنسان من عقاله ، إلى الحد الذى يرده حيوانا ويلغى ما تعبت الإنسانية من الوصول إليه فى جهادها الطويل ، من ضوابط لنزعات الحيوان »

هكذا فى إيجاز بسيط يعرض عليك موضوع الكتاب موجزا فى بضع جمل ، ثم يفصله لك بعد ذلك تفصيلا ، يقنعك كل ما فيه بصدق ما يقول

وإنه ليفجؤك بالرأى أحيانا ، فيترك فى نفسك مجالا للتساؤل والحيرة ، ثم لا يلبث أن يعيد إليك أمنك وطمأنينتك ويردك إلى نفسك ، ويرد نفسك إليك ، فمنذ ما تقرأ الفصل الأول من الكتاب « نظرة المسيحية » وتطالع أولى فقراته :

« المسيحية دعوة مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء ، دعوة ترتفع بالإنسان عن نفسه ، وتصل به إلى الآفاق العليا التى تسمو من الجسد والمادة ، الآفاق الطليقة من قيود الأرض . ومن نوازع الشهوات »

« إنها قصيدة رومانتيكية ساحرة ، وحلم جميل لشاعر نبيل — ولكنها مع ذلك مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء — »

لا شك أن سؤالا يقوم فى نفسك ؟! كيف تكون المسيحية مخالفة لطبيعة الحياة والأحياء وهى دين منزل من السماء ؟! ولكنه لا يتركك فى هذه الحيرة طويلا فيجيبك الإجابة المقنعة البسيطة الصحيحة

« المسيحية حقنة مضادة المادية اليهودية والرومانية التى كانت شائعة يوم بعث المسيح ، فلزم إذن أن تكون نسبة الروحانية فيها ضخمة غالبة . بل لزم أن تكون كلها روحانية متسامية ، لتتعادل مع تلك المادية، لعلها تصلح النفوس ، ولكنها ليست نظاما طبيعيا للحياة الدائمة فى كل الأجيال وفى كل الشعوب » ثم يضرب لك الأمثال

وحينما يتحدث عن فرويد ، يعترف أنه عبقرية فذة ، ولكنه لم يكن على صواب دائما فيما يبديه من الآراء . إنه ينكر عليه « نظرته إلى الإنسان على أنه كائن أرضى بحت ، لا يرتفع بمشاعره وعواطفه عن عالم الأرض إلا فى حالات الشذوذ »

وينكر عليه وعلى دارون وعلى الغربيين عامة « هذه الروح المادية المتنكرة لكل قوة خارجة عن حدود الأرض ، ولا تؤمن إلا بميدان العلم التجريبى » ثم يناقش هذا الرأى فيقول :

« إن العلم ما يزال فى طفولته ، وما يزال كل يوم يصل إلى آفاق جديدة ، فيلغى إلغاء تاما معلومات كان ينظر إليها على أنها

حقائق نهائية لا تقبل الجدل ، ولا تحتمل التأويل »

إنه يريد من هؤلاء جميعا أن يقولوا قولا غير هذا ، يتمشى مع العقل والواقع . إنه يريد من قائلهم أن يقول :

« إننى توصلت بالشواهد الثابتة ، والتجارب المؤكدة ، إلى إثبات كذا وكذا من الأمور ، ولكن أمورا أخرى فاتتنى ولم أستطع إدراكها ، ومنها سر نشوء الحياة على ظهر الأرض والسر الذى يجعل الأحياء تتشبث بالحياة ، وتتطور تبعا لذلك لمواجهة ما يحيط بها من ظروف ، ثم السر الخفى فى قدرتهـا على هذا التطور العجيب ، ولا يمكننى فى الوقت الحاضر أن أقول : إلا أنها من أسرار خالق الحياة التى لم يكشف عنها بعد الأحياء »

ولا يفوته حين يقول ذلك للغربيين ، أن يأخذ علينا نحن الشرقيين « إيماننا الأعمى بكل ما يأتى به الغرب على أنه صواب لا خطأ فيه ، ولماذا لا نعيد النظر فى هذه الآراء والنظريات فنأخذ منها الصواب ونتجنب الخطأ ، ولنا عقيدتنا الخاصة التى نعترف بالعلم كما نعترف بالدين ، ونضع الإنسان فى وضعه السوى »

وإنك لتحس الثورة العاتية فى نفسه ، على هذا العالم المادى الثقيل المتخلى عن إنسانيته حينما يختتم هذا الفصل بقوله : « ألا إنها المغالطة الكبرى لكل حقائق الحياة ، والنفس البشرية هى التى أدت العالم ، إلى الحيوانية المتجردة ، التى ارتكس فيها بغير عذر الحيوان ، ، وبغير حصافة ، الحياة التى رسمت للحيوان حدودا معينة ، تقف عندها غرائزه ... أما الإنسان الذى كرمه خالقه ورفعه ، وجعل فى يده أمر نفسه ، فإنه ينتكس اليوم إلى حاة يتعفف عنها بعض أنواع الحيوان

ثم استمع إليه ، واسخر معه كما سخر من التجربيين ، أولئك الذين يخضعون كل شئ للمعمل ، وللتجريب العملى « يؤمن الغربيون بكل ما يحمل خاتم التجريب ، ويأخذونه قضية مسلمة ، لا تحتمل الشك والتأويل ، أما ما لا يخضع للمعمل فهو خرافة ، أو على الأقل شئ ساقط من الحساب ، ولما كان الله — مثلا — لا يدخل المعمل ، ولا يخضع للتجريب ، فقد استغنوا عن خدماته ، وأعلنوا أنه غير موجود » !

على أنه مع ذلك لا ينكر خدمات العلم التجريبى ، التى أداها للبشرية ، ولكنه ينكر ، وينكر القارئ معه ، إخضاع كل شئ المعمل والتجريب ، فهناك الجوانب الروحية التى لا يمكن أن تنكر لأننا نجهل جانبا منها

« قد يستطيع الباحثون ذات يوم أن يصلوا إلى نتيجة نهائية قاطعة ، فى المظاهر المادية لهذا الكون ، أما النفس الإنسانية فهى عالم واسع غير محدود ، وما زالت البشرية منذ مولدها إلى هذه اللحظة . تتحدث عنها ، وتحاول الوصول إلى كنهها فى آدابها ، وفنونها ، وفلسفتها ، وأديانها ، واجتماعياتها ، فلا ينتهى الحديث ، ولا ينقطع عنه نقطة معينة ، وإنما يتقبل البحث كل ما قيل ، وكل ما سيقال ، ويبقى بعد ذلك الباب مفتوحا للمزيد »

هذا حديث عقلية واعية صاحية مرتبة ، تعرف كيف تعبر وتدمغ الحجة بالحجة ، وتقرع الرأى بالرأى ، وتأتى بعد ذلك بفصل الخطاب ، وهو يؤيد العلماء النظريين الذين يقولون « إن هناك نزوعا ، أو انفعالا نفسيا يؤثر فى الجسد ، فينتج عنه حركة جثمانية تهدف إلى تحقيق هذا النزوع ، أو إرضاء الانفعال ، وينكر على التجريبيين قولهم : « إن الجسد هو الذى يتصرف فى النفس »

يقول قائلهم « أى التجريبيون — إننى سمعت خبرا محزنا فبكيت ، فنشأت من ذلك عاطفة الحزن ! فالحزن نشأ من البكاء أى من الحركة الجسدية . وليس العكس ، أن الإنسان يحزن فتنهمر دموعه — كما يقول العقلاء من عباد الله »

« ويقولون إننى رأيت الأسد فجريت ، فنشأ من ذلك الخوف ، لا أننى خفت فجريت »

إن المؤلف يؤمن بأن الجسد أداة منفذة لرغبات النفس ، وينكر على فرويد إيمانه بالجبرية الشعورية التى تقول : إن الحياة النفسية مصدرها الجسد ، والجسد إفرازات كيماوية ، ونشاط كهربى ، لا سلطان لأحد عليه ، لأنه يعمل بطريقة غير إرادية فقد انتفت إرادة الإنسان التى يكون بموجبها مسئولا عما يفعل »

وهل هناك دليل على تأصل المادة فى حياة فرويد ، وعلى عدم اعترافه بالأديان ، والجوانب الروحية ، أقوى من هذا القول ؟

لأن الأديان جميعا تقول : بأن الإنسان محاسب على أعماله ، لأنها تصدر عن إرادته ، ولا تعفيه عن المسئولية حينما يرتكب خطيئة في حياته الدنيا ، حتى القوانين الوضعية ، تأخذ المجرم بالعقاب ، لأنه مسئول عما يفعل، وإلا فلم يعاقب المجرم؟ ولم وضعت القوانين؟

وليتصور القارئ أى فوضى كانت تسود البشرية ، لو ترك الناس أحرارا فيما يفعلون ، باعتبار أنهم غير مسئولين عما يفعلون ! وأى فرق بينهم وبين الوحوش فى الغابات والهوام فى مسارب الأرض

إنه حين يقول ذلك « ليسقط المسئولية الخلقية ، ويسقط معها الإنسان »

وعندما يتعرض للشيوعيين يكشف زيف مذهبهم ، حين يقولون :

« — إن الإنسان هو القوة الفعالة فى هذا الوجود — وتلك جملة براقة قد توحى بأن أنصار هذا المذهب ، يؤمنون بالإنسان وبالإنسانية فى صورها الرفيعة النبيلة ، الإنسان فى مجموعه ، بما فيه من جسد وعقل وروح » فانظر كيف يكشفهم ويفضح مذهبهم حين يقول : « أنهم لا يؤمنون بالإنسان ، ليرفعوا من شأنه ، ولكن لينفوا فقط تدخل الإله فى شؤون الخلق ، أما إيمانهم بالإنسان فعلى أساس أنه مادة ، ولكن إذا سألنا ما هو الفكر ؟ وما هو الشعور ؟ ومن أين ينبعثان ؟ يتضح لنا أنهما نتاج الدماغ البشرى ... وهذا الدماغ ليس إلا مادة ...

وهنا تظهر طبيعة المؤلف الصاحية الواعية : فيقول :

« إذا كان العقل مادة ، فإن الفكرة فى ذاتها ليست مادة ، لأنها لا تتحدد بحدود الزمان والمكان »

وهكذا يردهم إلى صوابهم حين لا يجدون الإجابة المعقولة

ثم يبين لك خطل الرأى الشيوعى فى أن المادة هى أساس النظم الاجتماعية الصالحة ، ويقارن بين الشيوعية ، وبين الإسلام ، كنظام اجتماعى ، كانت الجوانب الروحية هى الأسس الأصيلة ، التى أقام عليها نظاما اجتماعيا صالحا فى مدى سنوات معدودات

« إن الإسلام قد انتشر بسرعة مثالية ، ما تزال فريدة حتى اليوم ، ففى أقل من عشر سنوات ، أيام عمر بن الخطاب ، كان قد غمر فارس والعراق والشام ومصر والنوبة .. لم يكن ثمة بارود ، ولا اختراع حربى — مادى — يتفوق به حفنة من العرب الذين انطلقوا من الجزيرة ، يبشرون بالإسلام ، على قوى الإمبراطوريتين العريقتين ، فى فارس وبلاد الروم .. شئ واحد هو الذى تغير ، هو إحساس هؤلاء العرب بالحياة والكون ، وبالحق والعدل الأزليين .

لقد كانت العقيدة الجديدة ، هى القوة الدافعة فى هذا البناء الجديد »

وعندما ينتهى المؤلف إلى « نظرة الإسلام » يتحدث عن الفرد من خلال عدسة الإسلام، فلا يترك جزءا من جزئيات جسمه ، ولا مسربا من مسارب نفسه ، ولا هاتفا من هواتف رغباته ، ولا غريزة من غرائزه إلا ويجتها تحت ضوء هذه العدسة . ثم يبين مقدار صلة الفرد بالسماء ، ومدى سموه وصموده ، وعلاقته بالأرض ومدى انجذابه إليها — على حسب نظرة الإسلام — ثم يأخذ له صورا متلاحقة لنزعات عقله وجسمه وروحه . . وكيف أن الانسان يساير هذه النزعات ، أو يحد من قوتها بالقدر الذى يضمن للفرد والحياة ، اضطراد النمو ، ودوام الارتقاء

وإنه ليعرض عليك النظريات الاسلامية ، فى فيلم منسق ، يرضى روحك وعقلك ، ويرد بك مناهل المعرفة الاسلامية . كل ذلك فى أسلوب يكاد من الرقة يطير ، ومن القوة يلتهب

وهو مع ذلك كله ، لم يأت بجديد على حسب (نظرة الإسلام) ولكنه ارتاد فعرف كيف يكتشف ، واطلع فعرف كيف يفهم ويفهم ، فارجع إلى هذا الفصل من الكتاب لأنه أضخم من التلخيص

وفى باب الفرد والمجتمع يعرض عليك الآراء النظرية ، والتطبيقات العلمية المختلفة للحكومات ، ويبين لك خطأ أولئك الذين يغالون فى احترام الفرد على حساب المجتمع ، والمجتمع على حساب الفرد فيقول « كلتا النظرتين مبالغ فيها إلى حد الإسراف المعيب »

« فالفرد الذى يبالغ إحساسه بنفسه وذاتيته أن ينسى وجود الآخرين ، والمجتمع الذى لا يفرض للفرد ، أى وجود مستقل ، كلاهما يتجاهل طبائع الأشياء ، ويغفل عن حقيقة نفسية مهمة »

وقد كان من الممكن أن يكتفى بهذا القول ففيه وحده الإقناع ، ولكنه دائما يأخذ فى كثير من التفصيل والتعليل ، لتزداد اقتناعا على اقتناع

البقية فى العدد القادم

حسين عبد الفتاح



فتشوا عن الرجل

نعم .. فتش عن الرجل .. فهو المسؤول الأول من كل فرد من أفراد الأسرة التي يرعى شؤونها . . مسؤول عن زوجه وأبنائه وبناته . . بحكم ما خصه الله به من نفوذ ، لجعله قواما على زوجه ، ووليا على أبنائه ، وكيلا عن بناته ، راعيا لشؤون الأسرة ، شأنه شأن القبطان الذى توكل إليه مهمة القيادة ، فيتجنب مواطن الزلل والأخطار ، ليسير بالركب قدما إلى شاطئ السلامة والاستقرار .. وهذا يتطلب منه — إلى جانب حسن القيادة — اليقظة والحذر ، والتبصر بالعواقب ، ليحيط رعيته بسياج منيع يحميها ، ويقيها الأحداث

وإذا تهاون الرجل فى القيام برسالته ، فإن البيت لا يلبث أن يختل نظامه ويضطرب كيانه ، وتهدده عوامل الشقاق التى تعصف به وتقوض صروحه !

فإذا رأينا زوجة ضلت الطريق السوى ، فاعلم أن هناك رجلا لم يعرف كيف يهديها سواء السبيل ، ويوجهها الوجهة القويمة، أو أنه ترك لها الحبل على الغارب، فأفلت من يده الزمام !

وإذا رأينا زوجة خرجت عن حدود الكرامة ، وغشيت المجالس والأندية التى لا يليق بها أن تغشاها ، تراقص الرجال وتحتسى الشراب ، فاعلم أن هناك رجلا مستهترا ، أباح لها الخروج على هذه الصورة المزرية ، وعلمها كيف تتناول الكأس .. وكيف تناوله !

وإذا رأينا فتى جرفه تيار الغواية ، وصرفته شياطين الإنس عن مثل الكرامة ، فاعلم أن هناك أبا أغمض عينيه وغفل عن رعايته وتوجيهه ، فانتهى به الأمر إلى هذا المصير المظلم

وإذا رأيت فتاة خدعتها المظاهر ، وبهرتها الأضواء الزائفة ، فاعلم أن هناك أبا تهاون فى الرقابة ، فجنى على رعيته

وهذه المآسى الاجتماعية التى نشهدها بين وقت وآخر ، والتى تثير فى نفوسنا اللوعة والأسى لما تتمخض عنه من تشرد الأبناء وانفصام العرى وانهيار البيوت ؛ لو درسنا العوامل التى أفضت إليها ، لوجدنا أن للرجل الاصبع الأولى فيها ، فهذه الطفولة الشريدة التى نشكو آثارها البغيضة ، إنما هى ثمرة من ثمار الرجولة الشريدة ، وهذه الأنوثة الشريدة التى تودى بضحاياها إلى حياة الظلام إنما هى ثمرة من ثمار الرجولة الشريدة ، لأن هذا الرجل الذى تصرفه عن بيته الشواغل ، فلا يعود إلى بيته إلا فى الهزيع الأخير من الليل لا يمكن أن يحقق رسالته كزوج ووالد ؛ إنه يعود إلى البيت بعد أن يأوى الأبناء إلى فراشهم ، وقد يغادر الأبناء البيت فى الصباح المبكر قبل أن يراهم الأب ، ويناقشهم فى مختلف الشؤون التى يجب أن يحاسبهم عليها ، فكيف ينتظم البيت وهو على هذه الحال من الفوضى والتفكك ؟

فليتق الله هؤلاء الرجال فى زوجاتهم ، وفى أبنائهم ، وفى بناتهم ، وليؤدوا رسالتهم على وجه يرضاه الله ، ويرضاه المجتمع !

عيسى متولى

إلى القاضى الفاضل

أستحلفك بالله ألا تنفذ ما أوعدت به فى نقد بنى أمية بالحق فقد أفضوا إلى ما قدموا ؛ وهذا الإمام الشعرانى نراه يعقد فصلا فى بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة ووجود اعتقاد أنهم مأجورون بقوله : « وذلك لأنهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها ، كفتنة عثمان ومعاوية ، ووقعة الجمل ، وكل ذلك وجوبا لإحسان الظن بهم وحملا لهم فى ذلك على الاجتهاد، فإن تلك أمور مبناها عليه، وكل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد والمخطئ معذور ، بل مأجور . قال ابن الأنبارى : وليس المراد بعد التهم ثبوت العصمة لهم واستحالة العصمة منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم لنا أحكام ديننا من غير تكلف ببحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ، ولم يثبت لنا إلى وقتنا هذا شئ يقدح فى عدالتهم ولله الحمد ، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه فى زمن الرسول عليه السلام حتى يثبت خلافه ، ولا التفات إلى ما يذكره بعض أهل السير ، فإن ذلك لا يصح، وإن صح فله تأويل صحيح، وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : تلك دماء طهر الله منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا »

هذا وقد زاد قدر الأستاذين الطنطاوى وشاكر وعلت مكانتهما فى القلوب ولنا أن نباهى بهما !

شطانوف — محمد منصور خضر



الشيطان

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

كانت المرأة العجوز مسجاة على فراشها وهي تعالج سكرات الموت ، وترقب من بين أهدابها المرهقة ابنها وهو منتصب أمام طبيب القرية وتحاول بكل ما أوتيت من قوة وإحساس أن تتبين ماهية الهمس الذي كان يدور بينهما . كانت هادئة ساكنة رغم ثقتها من أنها ستموت عن قريب ... ولكنها كانت مستسلمة للواقع الملموس .. فهي قد أكملت الثانية والتسعين من عمرها .. وهذا يعني أنها قد أتمت رسالتها في الحياة

وتخللت شمس يوليو النافذة ... وغمرت أشعتها الملتهبة أرض الغرفة وارتفع صوت الطبيب قائلا بشدة :

— إنك لا تستطيع أن تترك أمك وحيدة يا « أونوريه » وخصوصا وهي في مثل تلك الحالة فهي قد تموت بين آن وآخر

وأجاب أونوريه بقلة اكتراث :

— مهما يكن الأمر ... يجب على أن أذهب لحصاد الحنطة ... وهاهو ذا الجو الملائم لذلك ... ماذا تقولين في ذلك ياأماه ؟

وبرغم شعور المرأة برعشة الموت وهي تسرى في جسدها .. فقد أشارت إلى ابنها بالموافقة وهي تحت تأثير جشعها وعبادتها المال

وضرب الطبيب الأرض بقدمه محنقا وهو يهتف :

— ما أنت إلا وحش غليظ القلب .. ولكنني لا أسمح لك أن تفعل ذلك .. هل فهمت ؟ إن كان عليك حقا أن تحصد - قل الحنطة فلا أقل من استدعاء المرأة « رابت » للعناية بأمك وأنا أصر على ذلك . أما إذا لم تفعل ما أشرت عليك به .. فسأتركك تموت وحيدا كالكلب الأجرب إذا ما افترسك المرض بأنيابه وحانت منيتك .. فتذكر ذلك

أى أحاسيس وجلة خالجت مخيلة أونوريه في تلك اللحظة ؟

لقد كان يخاف الطبيب الوحيد في القرية ، ولكنه إلى جانب ذلك كان يعبد المال ويقدسه ؛ وتردد قليلا قبل أن يسأل الطبيب في النهاية قائلا بارتياب :

— وكم تطلب المرأة رابت أجراً للعناية بأمي ؟

وتمتم الطبيب :

وأنى لي أن أعلم . . إنها تتقاضى أجرها بالنسبة للزمن الذي تعمل فيه ... فما عليك إلا أن تتفق معها شخصيا ... وإنني أنذرك أنني أريد أن أراها هنا قبيل مرور ساعة واحدة

— حسن . . يمكنك أن تطمئن أيها الطبيب . هأنذا ذاهب إليها

وغادر الطبيب الغرفة بعد أن قال للشاب بلهجة تهديدية متوعدة :

— مرة أخرى ... إنني لست هازلا في تحذيري إياك

وحين انفرد الشاب بأمه التفت إليها قائلا بلهجة المغلوب :

إنني ذاهب لاستدعاء الأم « رابت » كما أصر على ذلك هذا الفر ... فكوني هادئة حتى أعود ، ودون أن ينتظر إجابتها غادر الغرفة

كانت الأم « رابت » امرأة عجوزا تشتغل بكي الملابس وتنظيفها ... وإلى جانب ذلك تعمل كممرضة لقاء أجر معلوم ، وكان وجهها مجعدا كتفاحة مصمرة ... وهي حقود حسود ... ذات طبع حاد لا يمكن أن يمت للرحمة البشرية بصلة

وحين استقبلت أونوريه في منزلها ... كانت منهمكة في مزج بعض الألوان لصبغ ثياب بعض فتيات القرية فبادرها قائلا :

— كيف حالك أيتها الأم رابت ؟ هل تسير الأمور في طريقها العادى ؟

والتفتت إليه المرأة مجيبة :

— نعم ، نعم .. شكرا .. كيف حالك أنت ؟

— على أحسن حال .. إنها أمي التي تشكو

— أمك ؟ !

— نعم أمي

— وما خطبها ؟

— إنها فى طريقها نحو الأبدية وهذا كل ما هنالك

— هل بلغ بها سوء الحال هذا الحد ؟

— لقد قال الطبيب إنها لن تعيش حتى الضحى

— إذاً لا بد أن تكون انتهت الآن ؟

— وتلعثم أونوريه قليلا .. فلقد أراد أن يهون المهمة التى جاء من أجلها .. فكانت المرأة أشد منه دهاء .. فلم يجد بدا من مفاتحتها مباشرة بقوله .

— كم تأخذين للعناية بأمى حتى النهاية ؟ إننا يائسون من التحسن كما تعلمين .. وأنا أشفق على النساء اللائى يشتغلن بأنفسهن .. بالأمى المسكينة .. لقد كانت تعمل كفتاة فى العاشرة رغم بلوغها الثانية والتسعين

وأجابت الأم رابت فى اقتضاب وتحفظ :

— إننى أتقاضى سعرين . . فللأغنياء . . فرنكان لليوم وثلاثة لليل .. أما للفقراء .. ففرنك واحد لليوم واثنان لليل .. وسأعاملك كالفريق الثانى : واحد واثنان

وراح أونوريه يفكر . . إنه يعرف أمه تماما . . ويعرف مقدار مقاومتها المرض .. فاربما عاشت أسبوعا آخر رغم زعم الطبيب بموتها العاجل، فأجاب المرأة قائلا :

— كلا .. إننى أريد أن أكافئك إجماليا لإتمام المهمة . . إنه نوع من المقامرة .. فلقد أكد الطبيب أنها ستموت حالا .. فلو تم ذلك فسيكون ربحا لك وخسارة لى . أما إن عاشت يوما أو اثنين . فسيكون ذلك أقل ربحا لك وأقل خسارة لى .

ونظرت إليه الأم رابت بدهشة .. فلم يسبق لها أن عاملت محتضرا بعقد .. وترددت لحظة .. وفجأة راودتها فكرة الخداع فأسرعت قائلة :

— لا يمكننى الموافقة على ذلك حتى أرى أمك

— إذن .. هيا بنا لرؤيتها

وجففت المرأة يديها ثم تبعته صامتة طوال الطريق ، وحين مرورهم بالحقل المجاور للمنزل مرا بجموع الماشية وهى ترعى الكلأ ، فغمغم أونوريه : اطمئنوا.. فستأكلون القمح الجديد عن قريب

ولم تكن المرأة العجوز قد ماتت بعد .. بل كانت مستلقية على ظهرها ، وقد امتدت يداها فوق غطاء الفراش الملون وقد بدا عليهما الضعف والهزال . واتجهت الأم رابت نحو الفراش ثم حدقت فى المرأة المحتضرة وتحسست نبضها ثم مرت بيدها على صدرها وهى تصغى لصوت تنفسها الخافت الذى يشبه النزع ، وألقت عليها بضع أسئلة حتى تتأكد من ضعف صوتها ؛ ثم غادرت الغرفة بعد ذلك الامتحان يتبعها أونوريه . كان رأيها الشخصى أن المرأة لا يمكن أن تستمر على قيد الحياة حتى المساء

وسألها أونوريه بلهفة : والآن ؟

وأجابته المرأة بخبث :

— ستعيش يومين وربما ثلاثة أيام .. وسأتقاضى منك ستة فرنكات

وردد أونوريه قولها : ستة فرنكات ؟ يالله ..ست فرنكات كاملة ؟ هل جننت أيتها المرأة ؟ سوف لا تعيش إلا خمس أو ست ساعات على الأكثر

واشتد الجدل بين الرجل والمرأة .. وأصرت المرأة على الرحيل .. فتخيل أونوريه حنطته فى انتظار الحصاد ، فلم يجد بدا من الخضوع وتمتم مستسلما : سأعطيك المبلغ على أن ينتهى الأمر كلية مهما طال أمده

وأوسع خطاه نحو الحقل .. فى حين رجعت الأم رابت إلى حجرة المريضة وهمست قائلة لها : لا شك أنك تريدين الاعتراف يا مدام بونتمبس ؟

وأشارت مدام بونتمبس برأسها إيجابا .. فنهضت الأم رابت بسرور ونشاط وهى تهتف : ياإله السموات .. سأذهب لاحضار القس

وأسرعت المرأة فى طريقها نحو القس .. وعادت معه وهى تضطره إلى الإسراع غير عابئة بدهشة الرجال الذين ينظرون إليهما باستغراب، ولا بنظرات النساء اللائى كن يرسمن علامة الصليب على صدورهن . ورآهن أونوريه عن بعد . . فتساءل عن سبب إسراع القس ، وما كان أسرع جاره فى الإجابة عليه قائلا : إنه سيتلق اعتراف أمك دون شك

ولم يساور أونوريه العجب لذلك ..بل واصل الحصاد فى هدوء

وتلقى القس اعتراف مدام بونتمبس ، ثم غادر المكان..ومرة أخرى أصبحت المرأتان على انفراد وابتدأت الأم رابت تفقد صبرها

وهى تمجب كيف أن المرأة لم تمت حتى الآن

وشحب لون النهـار .. وازدادت برودة الجو . وراحت فراشات الليل تحوم حول النافذة تحاول التحرر من أسرها كروح المرأة العجوز التى كانت راقدة دون حراك وعيناها محملقتـان وكأنهما فى انتظار رؤية شبح الموت .. بينما كانت أنفاسها تتدافع من صدرها بطيئة ذات صفير خافت أليم

وعاد أونوريه .. فوجد أمه ما زالت على قيد الحياة .. فتساءل دهشـا عن كيفية إمكان ذلك .. ثم ودع الأم رابت بعد أن أوصاها أن تعود فى تمام الخامسة من صباح اليوم التالى .. وفعلا عادت المرأة قبل انبثاق الفجر وأسرعت بسؤال أونوريه قائلة : ألم تمت أمك بعد ؟

وأجابها وهو يسير نحو الحقل : كلا وأظنها أحسن حالا

وضاقت الأم «رابت» ذرعاً ، فتوجهت توا إلى حجرة المرأة المحتضرة فوجدتها كما كانت بالأمس تماماً .. هادئة ساكنة مفتوحة العينين ، ويداها ممدودتان فوق غطاء الفراش الملون .. يبدو عليهما الضعف والهزال ؛ ورأت الأم رابت أن المرأة يمكن أن تظل هكذا يومين أو أربعة .. بل ربما عاشت أسبوعا آخر .. فأحست بانقباض يسود نفسها .. وبحقد هائل نحو ذلك الذى خدعها بأمه التى لا تريد أن تموت . وظلت عيناها محدقتين بمدام بونتمبس طيلة هذا الصباح حتى عاد أونوريه للغذاء . ثم رجع إلى حقله لإكمال حصاد حنطته

وكادت الأم رابت تفقد شعورها . فلقد خيل إليها أن كل دقيقة تمر إنما هى زمن مسروق منها ومن حقها أن تتقاضى عليه أجرا وأحست رغبة قوية . رغبة مجنونة فى أن تضغط على ذلك العنق الهزيل فتخمد أنفاس المرأة التى كانت تسلبها وقتها المقدس ولـكنها حينئذ استطاعت أن تتصور بشاعة جريمتها

وراودتها فكرة أخرى . واقتربت من المرأة المحتضرة ، وهمست تسألها : ألم ترى الشيطان بعد ؟

فأجابتها مدام بونتمبس هامسة : كلا

وابتدأت المرضة تلقى على مسامعها بعض القصص الخرافية المخيفة . فقالت إن : الشيطان يظهر عادة لهؤلاء الذين على وشك الموت قبل موتهم بدقائق معدودات ، ثم راحت تصف لهـا شكل الشيطان ، فادعت أنه يحمل فى يده محصدا كبيرا وعلى رأسه قدر مملوءة بسائل يغلى مسمر به ثلاثة قرون . واستمرت فى حديثها الرهيب ، فعددت لها أسماء من زعمت أن الشيطان قد ظهر لهم قبل موتهم . وفعل ذلك الحديث فعل السحر فى مدام بونتمبس ؛ فبدت مضطربة حائرة ، لا يستقر رأسها على الوسادة فى مكان واحد

واختفت الأم رابت حينئذ وراء الستار بجانب الفراش . وتناولت من صندوق بالقرب منها ملاءة بيضاء ألقتها فوق رأسها فحجبتها من قمة رأسها إلى أخمص القدم . ثم وضعت على رأسها قدرا بدت أرجلها الحديدية كثلاثة قرون مدببة . ثم أمسكت بيدها مكنسة مستطيلة . وما كادت تنتهي من كل ذلك حتى صعدت فوق مقعد مرتفع

وفجأة رفعت الستار وبدت بهيئتها أمام المريضة

ومرت لحظة فزع ورعب .. وحاولت المرأة المسكينة بكل قواها أن تهرب من الشيطان .. شيطان الموت الرهيب .. ولكنها ما كادت تتحرك حتى خانتها قواها وارتمت على الفراش مرة أخرى وانتهى كل شئ

وبكل هدوء ودعة . أعادت الأم رابت بضاعتهـا إلى أماكنها ، ثم أغلقت عين المرأة الميتة ، العينين الفزعتين المحدقتين فى خوف وفزع ، ثم جثت على ركبتيها جانب الفراش وابتدأت تصلى على الراحلة بحكم العادة

وحين عاد أونوريه من الحقل عند الغروب ، وجد الأم رابت جاثية على ركبتيها تصلى ، فتأكد أن روح أمه قد فاضت وابتدأ يفكر

لقد استمرت المرأة فى خدمة أمه ثلاثة أيام وليلة ، أى أن أجرها كان يجب أن يكون خمس فرنكات ، ولـكن ، يجب عليه الآن أن يدفع ستة

وغمغم قائلا بغضب :

— يا للحظ السيء ، لقد خسرت فرنكا !

ع . ج

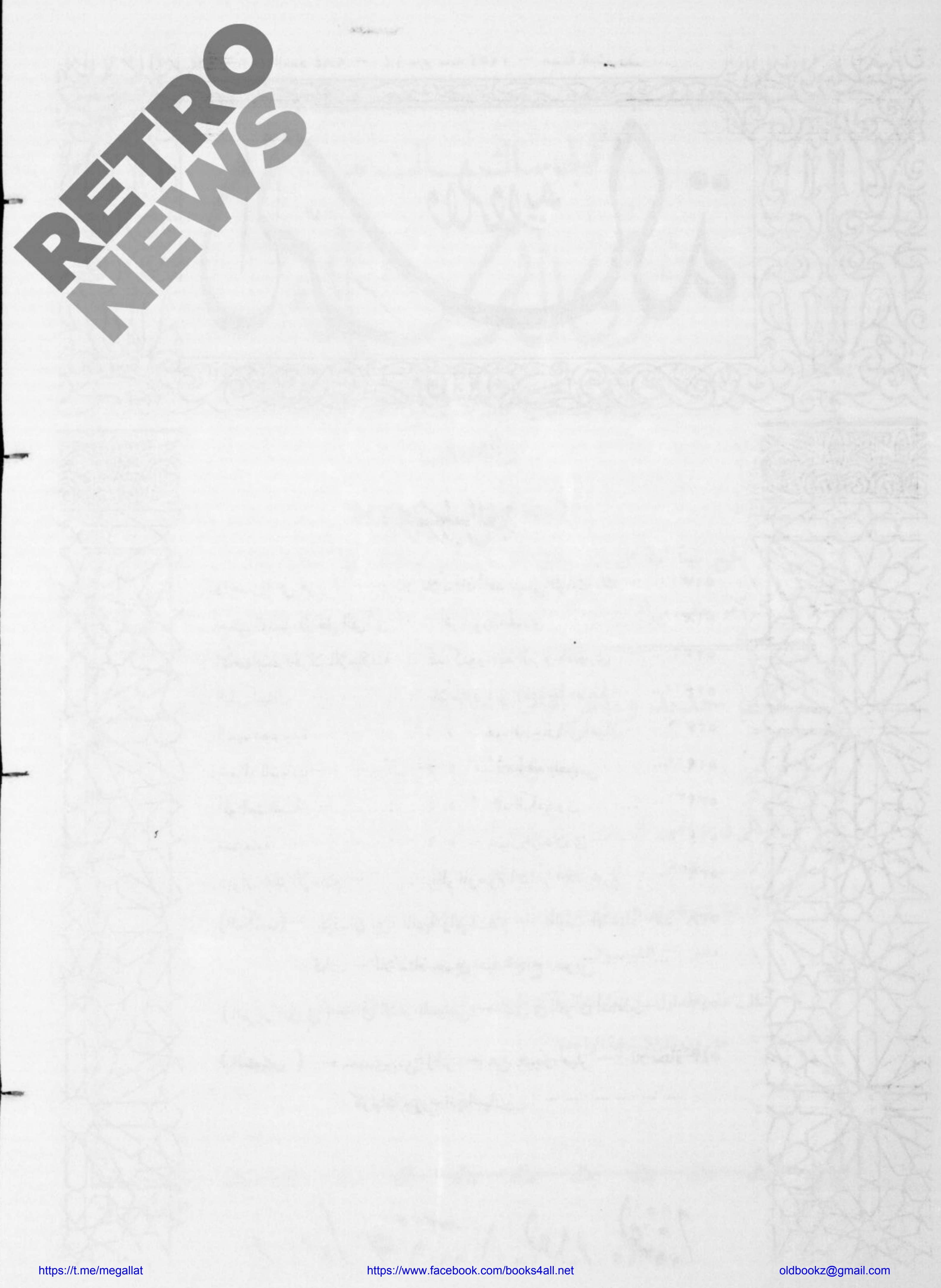

الجزء الثالث من
وحي الرسالة
فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع
والقصص
للاستاذ أحمد حسن الزيات بك
طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً
وهو يطلب من ادارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد
سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
جداول مواعيد القطارات
ليكن فى علم الجمهور بأن جداول مواعيد القطارات لفصل الصيف الحالى وزعت على المحطات للعمل بهـا ابتداءا
من أول مايو سنة ١٩٥٢ وقد راعت المصلحة عند إعدادها تحقيق رغبات الجمهور كما يتبين من التحسينات المبينة بها
كما أن قطارات الديزل الجديدة ستسير من أول مايو سنة ١٩٥٢ بين خط مصر — الإسكندرية . وخط
مصر — الشلال
وتطلب هذه الجداول من شبابيك تذاكر المحطات وكذا من الباعة المرخص لهم ببيعها مقابل
عشرون مليما للنسخة الواحدة
المدير العام
سيد عبد الواحد
مطبعة الرسالة

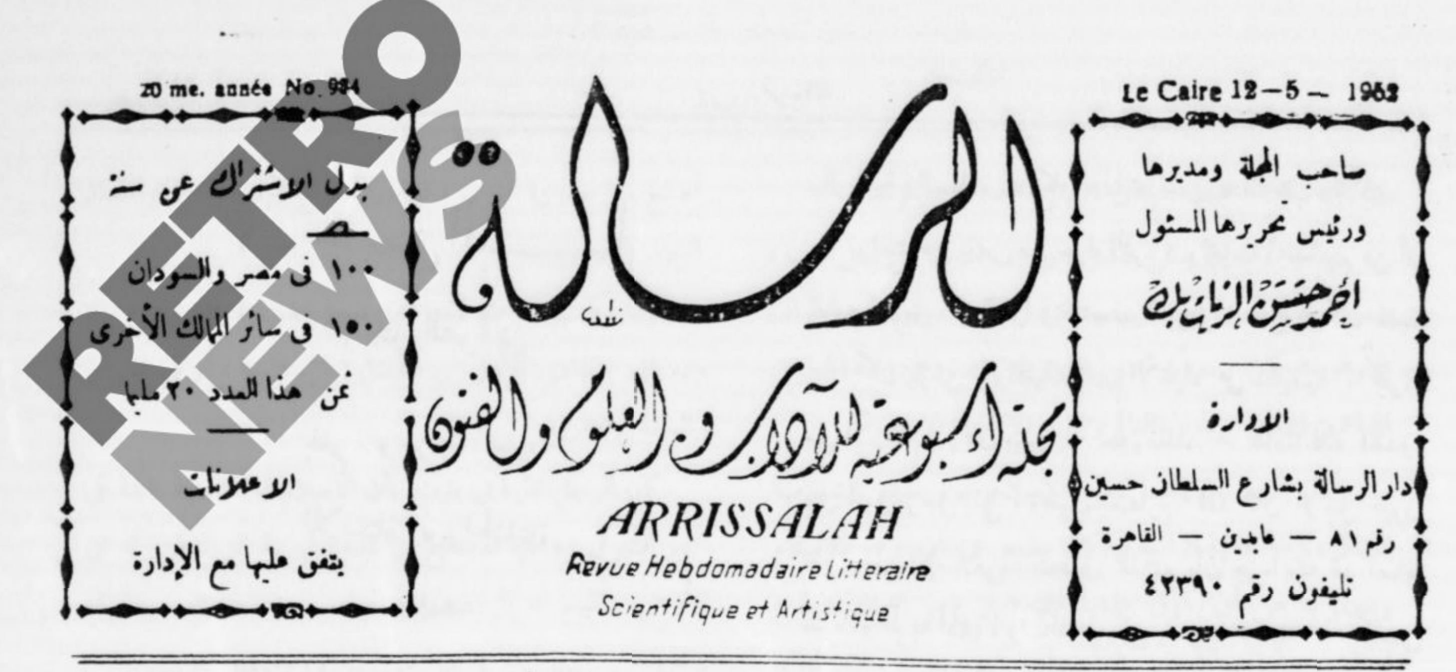


العدد ٩٨٤ — ١٢ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد





العدد ٩٨٤ «القاهرة في يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٧١ — ١٢ مايو سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

واحسرتا على عزيز!

أشهد لقد أصابني ما يصيب الحي من فجائع الموت، فحزنت حزن المفجوع، وبكيت بكاء الموجوع؛ ولكن فجيعتين بعد فجيعتي في ولدي، أشعرتاني لوعة من الحزن لم أجدها في فجيعة من قبل: فجيعة الأمس في علي طه، وفجيعة اليوم في عزيز فهمي!

لا أستطيع أن أصف لك هذا اللون من الحزن على وجه الدقة؛ لأنه نادر الحدوث في القلب فهو غريب؛ ولأنه عميق الأثر في النفس فهو غامض. إنه ذهول يتخلله وعي، وأسف تخالطه حسرة، وحرقة يغالبها دمع، وذكرى يساورها قنوط، وسخط يكفكفه إيمان.

جاءني على غير انتظار ولا توقع أن زين الشباب عزيزا أدركه الموت الأسود[1] وهو في طريقه إلى نصرة الحق وخدمة العدالة، فأخذني أول الأمر وجوم كوجوم المبهوت، فيه الدهش والشك والتبلد والحيرة. ثم تكرر النبأ الفاجع في صيغ شتى، فانجلى البهت رويدا رويدا، حتى تمثل لعيني الخطب الجلل على أبشع صوره وأفظع معانيه. تمثل لي مصاب نفسي في الخلق الرضي والطبع الحيي والفؤاد الذكي والإخاء الوامق والوفاء المنصح، فجزعت جزع الإنسان يرى قوة من الخلال الكريمة تفنى ولا تخلف. وتمثل لي مصاب وطني في المحامي الوثيق الحجة، والخطيب الحافل الذهن، والنائب الشجاع القلب، والشاعر السمح القريحة، فجزعت جزع المواطن يرى ثروة من المواهب العظيمة تفقد ولا تعوض.

جزعت للإنسانية لأني أكاد لا أعرف من هذا الناس إلا آحادا من طراز عزيز قد برهنوا بالفعل على أن الإنسان الذي يسفل فيكون شرا من شيطان، يستطيع أن يعلو فيكون خيرا من ملك. وجزعت للوطنية لأن هذا البلد البائس الذي يكابد سوء الأخلاق في داخله، ويجاهد شر الدول في خارجه، يفتقر في محنته إلى أمثال عزيز ليرفعوا قيمة الفضيلة في التعامل، ويعظموا قدر الكفاية في العمل.

عرفت عزيز فهمي في بغداد سنة ١٩٣٢، وكان قد قدمها في رحلة جامعية. لم أعرف بالطبع جميع أعضاء الرحلة، وإنما عرفت عزيزا وحده، لأنه بارز في شخصيته، متميز في خلقه. لم يكد يعرفني حتى ارتاح إلى بأنسه، وأخذ يسمعني من شعره، ويحدثني عن أمانيه. ثم توثقت بيني وبينه أسباب المودة فآزرني بحبه، وآزر (الرسالة) بأدبه. ثم أنفق في سبيل العلم والجد زهرة عمره ونضرة شبابه، حتى أصبح أديبا له أسلوب، وفقيها له رأي، ومحاميا له سلطان، ونائبا له صولة، وسياسيا له صوت، واجتماعيا له رسالة. وفي لحظة من لحظات الشؤم تنبه فيها قدر، وغفل سائق، وطاشت سيارة، ذهب هذا كله كما يذهب الحلم، وتبدد هذا كله كما يتبدد الشعاع!

أحمد حسن الزيات

(١) الموت الأسود هو الموت خنقا أو غرقا

٣ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للاستاذ أنور الجندى

... فى الأزقة (١) الضيقة ، فى أحشاء القاهرة ، فى حارة الروم ، وسوق السلاح وعطفة نافع ، وحارة الشماشرجى . . بدأ الرجل يعمل ، ويجمع حوله نفر قليل ؛ وكان حسن البنا الداعية الأول فى الشرق ، الذى قدم للناس برنامجا مدروسا كاملا ، لم يفعل ذلك أحد قبله ؛ لم يفعله جمال الدين ولا محمد عبده ، ولم يفعله زعماء الأحزاب والجماعات التى لمعت أسماؤهم بعد الحرب العالمية الأولى . .

. . وأستطيع بناء على دراساتى الواسعة أن أقول إن حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبيقا صادقا للمبادئ التى نادى بها

وقد منحه « الإسلام » كما كان يفهمه ، ويدعو إليه ، حلة متألقة ، قوية الأثر فى النفوس ، لم تتح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين !

لم يكن من الذين يشترون النجاح بثمن بخس ، ولو بجعل الواسطة مبررة للغاية ، كما يفعل رجال السياسة ، ولذلك كان طريقه مليئا بالأشواك ، وكانت آية متاعبه أنه يعمل فى مجرى تراكمت فيه الجنادل والصخور، وكان هذا مما يدعوه إلى أن يدفع أتباعه إلى التسامى ويدفعهم إلى التغلب على مغريات عصرهم ، والاستعلاء على الشهوات التى ترتطم بسفن النجاة فتحول دون الوصول إلى البر

كان يريد أن يصل إلى الحل الأمثل ، مهما طال طريقه ، ولذلك رفض المساومة ، ولقى من برنامجه أنصاف الحلول ، وداوم فى إلحاح القول بأنه لا تجزئة فى الحق المقدس فى الحرية والوطنية والسيادة . . وكان هذا مما سبب له المتاعب والأذى

واستدعى بعض من حوله الثمرة ، وعجزت أعصابهم عن أن تقاوم البريق ، فسقطوا فى منتصف الطريق ومضى الركب خفيفا

كان يؤمن بالواقعية ويفهم الأشياء على حقيقتها ، مجردة من الأوهام ، وكان يبدو — حين تلقاه — هادئا غاية الهدوء وفى قلبه مرجل يغلى ، ولهيب يضطرم ؛ فقد كان الرجل غيورا على الوطن الإسلامى ، يتحرق كلما سمع بأن جزءاً منه قد أصابه سوء أو ألم به أذى ، ولكنه لم يكن يصرف غضبته — كبعض الزعماء — فى مصارف الكلام أو الضجيج أو الصياح ، ولا ينفس على نفسه بالأوهام ، وإنما يوجه هذه الطاقة القوية إلى العمل والإنشاء والاستعداد لليوم الذى يمكن أن تتحقق فيه آمال الشعوب

وكان فى عقله مرونة ، وفى تفكيره تحرر ، وفى روحه إشراق ، وفى أعماقه إيمان قوى جارف

وكان متواضعا تواضع من يعرف قدره ، متفائلا ، عف اللسان ، عف القلم ، يجل نفسه عن أن يجرى مجرى أصحاب الألسنة الحداد

٭٭٭

كان مذهبه السياسى أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها؛ بعد أن قيل إن السياسة والأخلاق لا يجتمعان

وكان يريد أن يكذب قول تليران « إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر أن يضلل السياسى سامعيه أو أتباعه ، أو أمته

وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق خداع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب

ولأول مرة خاطب الجماهير زعيم بما يفتح العيون على الحقائق ، ووضع دعوته على الشرحة ، وقبل أن يسأل عن أدق الأشياء فيها وفى حياته الخاصة ، فقد كانت توجه إليه عقب «أحاديث» الثلاثاء قصاصات ، فيها أسئلة غاية فى الإحراج ،

(١) لم يذكر الكاتب أن دعوة الإخوان بدأت فى الاسماعيلية

ولكنه كان يجيب عنها فى منتهى البساطة والوضوح

وكأنما أراد أن ينشئ للشرق روحا جديدة من المثل العليا ، هذه المادة الضائعة ، التى هزم بها الشرق الدنيا وفتح باب أطراف الأرض ، كان يريد أن ينشئ القوة التى تصمد فى وجه الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم وهما : الإلحاد والاستعباد

كان يريد أن يجعل من الإسلام قوة تدفع الشيوعية الضالة ، والرأسمالية الزائفة ، وكان يطمع فى أن يرفع الإسلام ويسمو به عن أن يكون خادما للاستعمار باسم الديمقراطية ، أو للشيوعية باسم الاشتراكية ، وإنما كان يرى الاسلام نظاما كاملا فوق الشيوعية والديكتاتورية والرأسمالية جميعا

* * *

وقد استطاع الرجل — رغم كل ما دبر لوضع حد لدعوته أو حياته — أن يعمل ، وأن يضع فى الأرض البذرة الجديدة ، بذرة المصحف ، البذرة التى لا تموت بعد أن ذوت شجرتها القديمة ، ولم يمت الرجل إلا بعد أن ارتفعت الشجرة فى الفضاء واستقرت

ولن يستطيع مصلح من بعد ، أن ينكر أن الرجل رفع من طريقه الكثير من العقبات والأشواك والصخور

وكل حركة إصلاحية أو استقلالية تظهر فى الشرق من بعد ، سواء فى مصر أو فى المغرب أو فى إندونيسيا ، يجب أن يلاحظ فيها ذلك الخيط الدقيق الذى يربطها بالرجل القرآنى ، الذى حمل المصحف ووقف به فى طريق رجال الفكر الحديث الذين كانوا يسخرون من ثلاث كلمات : « شرق ، وإسلام ، وقرآن »

كان الرجل يريد أن يقول آن للشرق أن يمحص أفكار الغرب قبل أن نعتنقها ، بعد أن فدت الحضارة فى نظر أصحابها لاتوفى بما يطلب منها ، كان يقول علينا أن نوزن هذه القيم ، وأن نثق بأنفسنا ، وأن نعتقد أن ما عندنا لا يقل عما عند الغرب أو على الأقل لا يستحق الإهمال

وأن على الشرق أن ينشئ للدنيا حضارة جديدة ، تكون أصلح من حضارة الغرب ، قوامها امتزاج الروح بالمادة واتصال السماء بالأرض

وما كنت نعرض لأمر من أمور الحضارة الغربية ، إلا رده إلى مصادره الأول فى الحضارة الإسلامية ، أو فى القرآن والسنة والتاريخ

كان الرجل القرآنى يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية قائمة فى ضمير الشرق ، وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التى تمكن له فى الأرض وتتيح له الزحف إلى قواعده واستخلاص حقوقه وحرياته

كان يؤمن بأن الشرق وحدة قائمة كاملة ، لو تخلص من مناورات الساسة ومن خلاف الطامعين ، لقاوم وصارع

للبحث صلة أنور الجندى

الأصناف والحرف الاسلامية

للدكتور عبد العزيز الدورى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

أما كوردلفسكى وكوبرولو فيرون أن اندماج الفتوة بالنقابات حصل فى القرن الثالث عشر فى نظام (أخيان روم) وأن الأخية ظهروا فى الأناضول بعد الفتح المغولى مباشرة فى فترة فوضى واضطراب بعد أن دمر المغول الإدارة السلجوقية دون تعويض . فظهر الأخية كؤسسة قوية واسعة لهـا الرغبة والقدرة على التنظيم ، وانتشروا بسرعة فى الأرياف والمدن ، وجعلوا « التكتل والكرم » دستورهم وطبقة أصحاب الحرف أساسهم الاجتماعى « وقتل الطغاة وصنائعهم » من واجباتهم

ويلاحظ أن أعضاء كل جمعية من جمعيات الأخية كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولكن حركتهم لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب الحرفة الواحدة ، بل جعلوا واجبهم حفظ العدل ومنع الظلم وإيقاف الظالم عند حده واتباع قانون دينى وأخلاق وتنفيذ واجبات عسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . وكانت العضوية مفتوحة للمسلمين ولغيرهم وهكذا تحقق فى حركة الأخية (حسب هذا الرأى) اتحاد النقابة والفتوة والطريقة الصوفية

ولكنى أود أن أبين أن هذه افتراضات تحتاج إلى بحوث جديدة . فنظرية تيشنر معكوسة . فالتكتل الذى أدى للفتوة بدأ لدى العيارين والشطار أسلاف فتيان الناصر لدين الله . وكان بين الطبقة العامة وعلى صلة سيئة بالحكومة من قبل جماعة متهمة فى مهنها وفى سلوكها . ثم تطورت الحركة بعد أن تأثرت بوضوح بالصوفية وصار لها قانون أخلاق حسن . ولم تعترف بها الحكومة إلا فى خلافة الناصر حين أكد على الناحية العسكرية فيها . وهذه الناحية تكونت نتيجة اضطراب الإدارة وسيطرة الأجانب فى العراق . وصارت الحركة أرستقراطية فى خلافة الناصر ثم صارت حركة العامة بعد الفتح المغولى . كما أن الفوضى مسؤولة عن تكتل الحرف وعن اهتمامها بحماية نفسها

وكان الجهاد فى الأناضول والحرب على الحدود الإسلامية البيزنطية خير دافع لامتزاج تقاليد الفتوة بالمبادئ الروحية الصوفية وبتقاليد الحرفة

ثم إن ظهور بعض البدع والتساهل فى المبادئ الدينية كان واضحا فى الأناضول للضرورات الثقافية والعسكرية على الحدود . ومع أن ظهور العثمانية أفقد الأخية كثيرا من سلطتهم ونفوذهم وأدى إلى تخليهم عن فعاليتهم السياسية والعسكرية إلا أنهم حافظوا على التعاليم الروحية والأخلاقية إلى الأخير

ولا بد هنا من تسجيل ملاحظات العلم جودت لقيمتها ولأنها تلقى ضوءاً على رأينا إذ يقول : « فأما الفتوة فهى عمدة إسلامية ومدنية عامة لجميع المسالك الصناعية والعسكرية والتصوفية والأدبية والتعليمية ليست مختصة بمسلك أو طريقة » وهو هنا يتحدث عن المفهوم الأخير الذى أشرت إليه

ويذكر فى محل آخر أن الفتوة « تفيد معنى السماحة الصناعية » ويبين أن : احتياج الصناع إلى الاتحاد محافظة لحقوقهم وأموالهم ضد الجبابرة والأقوياء من بواعث تأسيس هذه الهيئات . وأخيرا ينفى أية صلة للفتوة بالباطنية والإسماعيلية ويأتى بشواهد تنفيها

ويستطرد إلى « أن الفتيان المذكورين فى صحائف التاريخ والأشعار وفى الاستعمال الجارى ليسوا كلهم من هذا الصنف بل بعضهم . فبعض الرجال المتصفين بالفتوة العسكرية والشجاعة والرجولية محرومون من سمة الجود والكرم » وهم العيارون والشطار بالعربية » وهو بذلك يؤيد افتراضنا الأول. وهكذا نتوصل إلى شكل النقابة المستقرة بشعائرها المنظمة . فلكل نقابة دستور فيه عاداتها وشعائرها وقد وصلت بعض هذه الدساتير من القرن الرابع عشر الميلادى ومايليه . وقبل الدخول فى التفاصيل هذه نبين أن هذه الشعائر فيها طابع الاستمرار والمحافظة . فالملابس التى ذكرنا مع إحلال السروال محل المئزر أحيانا ، والماء بالملح محل النبيذ، والتعاون المطلق، وفتح الباب لغير المسلمين، ومكافحة التعدى والظلم بقيت ، كما أننا نرى فى بعض الحالات عيدا عاما للحرف تظهر فيه روائع بضائعها كما كان يحصل فى بغداد فى أواخر أيام

العبـاسيين ، حيث كانت الأصناف تتقدم في موكب حافل ، كل حرفة تحتفى بنموذج لصناعتها في موكب يستمر طول اليوم

وإن دققنا في دساتير النقابات نجدها تتكون عادة من ثلاثة أقسام — الأول يتصل بأصل الحرفة ومغامرات شيخها المؤسس وتعطى سلسلة تنشئة — مثلا — الله علم جبريل — جبريل علم محمد — محمد علم علي — علي علم سلمان الفارسي — سلمان علم الأبيار وهم حماة أهل الحرف — الأبيار علموا الفروع وهم الحماة الثانويون للشعب المختلفة في الحرفة الواحدة — الفروع علموا بدورهم رؤساء الأصناف

القسم الثاني — يحوى عادة قائمة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف . وهم عادة أبطال من القرآن والتوراة والتاريخ الإسلامي — مثلا — آدم حامى الفلاحين والخبازين — شيث حامى الحياك والخياطين — نوح حامى النجارين — وداود حامى الحدادين والصياغ — وإبراهيم حامى الطباخين — وإسماعيل حامى صناع الأسلحة

القسم الثالث — يحوى التعاليم لتثقيف المبتدئين وأسئلة وأجوبتها . ومع اختلاف التفاصيل الجزئية في تنظيم النقابات إلا أن الأسس واحدة

تتكون كل نقابة من الأساتذة (مفرد . أوسطة أو معلم) وهم يشكلون القسم الرئيسي من النقابات ويليه (الخليفة أو المتعلم) ثم (الصانع) ثم (المبتدئ) وفي بعض النقابات يغفل دور الصانع ودور الخليفة ، ويكون الانتقال من مبتدئ إلى أوسطى . ويرأس النقابة (الشيخ) وهو موجود في جميع الأصناف . وقد يكون له مساعد يدعى (النقيب) منزلته منزلة الوزير من السلطان

ولا يكون الانتقال من مبتدئ إلى الدرجة التالية في وقت محدود بل يعتمد ذلك على الأستاذ . وتختلف الحالات في تطبيق دستور النقابة ، فمرة ينسب ذلك إلى الشيخ ومرة ينسب إليه بمساعدة هيئة المسنين من الأساتذة أو الاختيارية

وتلعب حفلة الانتماء أو الترقية في الحرفة دورا مهما ، وتتميز بارتداء بعض الملابس كالسروال والشد (أو شد الحزام) والمئزر أو الصدرية

ولدينا بعض الأوصاف للنقابات الإسلامية . منها وصف السائح ابن بطوطة لحركة الأخية والفتيان في الأناضول . يقول « والأخى عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم ويقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضا . وهم (الأخية والفتيان) بجميع البلاد التركية الرومانية في كل بلد ومدينة وقرية ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من النـــاس وأسرع إلى إطعامهم الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على أيدى الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم أهل من الشر . ويبنى (الأخى) زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج »

ويقول « الفتيان الأخية كلهم بالأسلحة ولأهل كل صناعة (الأعلام) والبوقات و (الطبول) و (الأنفار) وبعضهم يفاخر بعضا ويباهيه في حسن الهيئة وكمال الشكة »

ويقول « ومن عوائد هذه البلاد أنه ما كان منها ليس به سلطان فالأخى هو الحاكم وهو يركب الوارد ويكسوه ويحسن إليه على قدره ، وترتيبه في أمره ونهيه وركوبه ترتيب الملوك »

ونتنقل بعد ابن بطوطة إلى سائح تركي هو (أوليا جلبي) الذي تحدث عن الأصناف بناء على طلب السلطان في أوائل القرن السابع عشر . ووصفه أول وصف كامل لنقابات مدينة إسلامية

فبعد أن يصف (فتوت نامة) — كتاب الفتوة بتعاليمه وأساطيره ، يذكر تركيب الحرفة من (الشيخ) (النقيب) والجاويش والأوسطة (الأستاذ) ثم (الشاكرد) أو (المبتدئ) أما الصانع فلا ذكر له

ثم يعدد جميع الأصناف وحوانيتهم وشيوخهم . ولا مجال لوصف الأصناف وهي (١٠٠١ صنف) ويذكر أن الأصناف تنظم عرضا عاما (بهيئة استعراض) مرة واحدة سنويا . ويبدأ الموكب وقت الفجر ويستمر في سيره طول النهار حتى الغروب . وتمر الأصناف ببيت قاضي استانبول لأنه صاحب السلطة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس والأصناف ، ومن التقاليد أن تهدى الأصناف إلى القاضي نماذجهم التي عرضوها ولكن بعضها كان يخفي ذلك . ثم تسير الأصناف إلى محلاتها وأسواقها وتتوقف كل تجارة وحرفة لثلاثة أيام بمناسبة الاستعراض . وكانت تطلق

أهمية على الأقدمية فى السير ، ويصف (أوليا جابى) نزاعا وقع بين القصابين وبين تجار مصر حول الأسبقية حتى صدر الحكم من السلطان فى جانب التجار

ولدينا وصف آخر لتشكيلات الصناعة فى سيروز (روميلى سنة ١٢٥٠ هـ) فيذكر ابن قاضى البلدة أن لكل صنف سوقا مختصة ولكل حرفة رئيسا يسمى (أخى بابا) أو (كهيا) أو (متولى) . وإدارة شؤون الحرف بيد الرؤساء أو الأخية تعاونهم هيئة إدارة (أهل اللونجة) من خمسة أعضاء ينتخبون من أساتذة الحرفة . ويندرج المنتمون إلى الحرفة من (يماق) المبتدئ وسنه أقل من عشر سنين ، وبعد سنتين يتقدم ويصبح (جراق) وبعد ثلاث سنين يصبح (خليفة) وبعد ثلاث أخرى يصبح (أوسطة) . ويوجد مجلس أعلى لكل الحرف يمثل الحرف برؤسائها وهؤلاء ينتخبون رئيسا عاما (كهيا الرباش)

ويشرف الأخى على شؤون الحرفة الإدارية والمالية ويحل المنازعات ويرأس هيئة الإدارة ويجرى المراسيم المخصوصة للأستاذ والخليفة والجراق ويرأس الحفلات ويقوم بالنظارة الدائمة على أحوال الأصناف، أما المجلس الكبير فيقوم بالإشراف على المتولين كافة ويفصل النزاع بين أهل الحرف ويحسم المشكلات التى لم يقدر المتولون على حلها ويسوى المصالح دون مداخلة الحكومة ويعرض لدى الحكومة ما يمس حقوق أهل الصناعات ويرعى حقوق أهل الصناعة

ولكل حرفة صندوق وارداته من بدل الإيجارات وأرباح الأموال الموقوفة والوصايا ورسوم الانتماء والتبرعات من أهل الخير أو رجال الحرف . وينفق وارداته على التعميرات والرسوم ومعاونة فقراء أهل الحرفة وتقديم المونة للعلماء والجهات العلمية . وكمثل يوضح ذلك نذكر قائمة مصاريف الحلاجين سنة ١٢٩٠ ، بسيروز وفيها ما يلى : —

لحم لفقراء البلدة وأهل الصناعة (٦٨٠ قرشا) . خبز للنداء فى رمضان (١٣٠٠) . أجرة تداوى فقراء أهل الحرف وعائلاتهم (٣٥٠) . للتجهيز والتكفين (١٧٠) . للصدقات اليومية (١٨٠٠) . لمعلمى مكاتب الصبيان (١٨٠٠) . القحم والحصر للمكاتب (٥٠٠) معاونة لحسن آغا المحترق دكانه (٣٥٠) . لقراءة البخارى الشريف والشفاء (٣٥٠) . أجرة الحاكم للنظارة بأمور الحلاجين (٢٥٠) . أجرة التولية (رئاسة اللونجة ١٢٠٠) كما يصرف من صندوق الحرفة على العجزة من أهلها المعلولين

والمصدر الثالث بحث إلياس قدسى وهو مسيحى سورى قدمه إلى مؤتمر المستشرقين ١٨٨٣ (الجلسة السادسة) عن نقابات دمشق سنة ١٨٨٢ . يخبرنا قدسى أن كافة حرف المدينة لها رئيس أعظم وهو (شيخ المشايخ) وأن منصبه وراثى فى عائلة (المعجلانى) وأنه لا يمكن إقالته أو استبداله . ويذكر أن أسلافه كانت تعين المشايخ لأكثر من مئتى حرفة وتأمر وتنهى وتقاص وتفصل فى كل مسألة وتحسم كل مشكلة ولديهم يتقاضى الجميع . وكانت سلطته تمتد إلى حق الحكم بالموت . وعلى كل فقد بقيت لديه سلطة سجن رجال النقابة أو جلدهم لوقت طويل

ويعتمد شيخ المشايخ على وقف وراثى ولكن سلطاته أنقصت بعد التنظيمات من زمن السلطان عبد المجيد « فقال تسلط شيخ المشايخ إلى حد غير متناه حتى يسوغ القول أنه غدا محصورا بالتصديق على شيخ حرفة من الحرف بعد أن ينتخبه معلموها » وحتى فى هذه الحالة كان تصديق الحكومة ضروريا فكان البعض خصوصا غير المسلمين يكتفى بهذا دون الرجوع إليه . وكان هذا الشيخ عالما فى زمن قدسى ولكنه يجهل شؤون الأصناف

ونظرا لكثرة واجبات شيخ المشايخ لم يكن باستطاعته تنفيذ كافة أعماله العامة، فكان يعين موظفا يدعى النقيب وهو يمثل شيخ المشايخ فى الاجتماعات العمومية للحرف أو فى حفلات الترقية، وكان له عدة نقباء عند ما كانت وظيفته مهمة ولكن فى زمن قدسى اكتفى بواحد وكان عارفا بشؤون الحرف بصورة طيبة

ولكل حرفة شيخ ينتخبه شيوخ الكار ممن اشتهر بحسن الأخلاق والطوية وامتاز بمعرفة أصول الحرفة ، ولا يشترط فيه كونه أكبرهم سنا أو كونه من الشيوخ بل يكفى أن يكون ماهرا محترما يستطيع تمثيل النقابة أمام السلطات . ومع أن المشيخة كانت تنتقل بالإرث فى بعض الحرف إلا أن ذلك يستلزم موافقة

شيوخ الـكار وهذا يبقى صفة الانتخاب . ويبقى فى منصبه مدى الحياة ما لم يصدر منه ما يوجب إبداله بسواه

ويلاحظ قدسى أن الانتخاب يجرى من قبل الاساتذة المتقدمين يجتمعون ويتذاكرون ، فإن اتفقوا على شخص انتخب (وإلا عين شيخ المشايخ شيخا) ثم يصادق شيخ المشايخ عليه فى حفلة خاصة

أما واجبات الشيخ فتتلخص فى : أن يعقد مجالس لصالح الحرفة بترأسها ويسهر على حفظ ارتباط (الـكار)، ويقاص من أنى بإخلال فى حق الصنعة. وكثيرا ما يكون مكلفا بإيجاد شغل للعملة . فيوصى بهم (المعلمين) وله وحده أن (يشد) بالـكار (المبتدئين الماهرين) فيصيرون (صناعا) أو (معلمين) ومعه تكون (مخابرة الحكومة) فيما يتعلق بحرفته

ويساعد كل شيخ فى الحرفة (شاويش) يقوم مقام النقيب للشيخ ولكنه ينتخب من قبل الـكار . ولم تكن له سلطة خاصة . بل كان رسول الشيخ يبلغ أوامره ويمثله وهذا المنصب قديم يخبرنا قدسى أن (المبتدئ) أو الأجير — وهو الولد الحديث السن الداخل إلى الحرفة — يشتغل عدة سنين دون معاش أو أجرة ، ولكن البعض كان يستلم أجرا أسبوعيا زهيدا يسمى جمعية . وعندما يبدع المبتدئ فى مهنته يرقى إلى مرتبة صانع وأحيانا إلى مرتبة أستاذ فى نفس الوقت

وكان الصناع فى زمن قدسى يشكلون العمود الفقرى للنقابة وهم يحفظون مستوى الصناعة وأسرارها

ويصف قدسى بتفصيل حفلات الإجازة ، أو الشد . وكانت تجرى بحضور شيخ الحرفة وأساتذتها ونقيب الحرف والشاويش ويتولى الشاويش والنقيب عملية الشد

وتؤخذ العهود على العضو بالمحافظة على أسرار الحرفة والصنع الجيد وأن لا يخون الـكار ولا يغش الصنعة بشئ . ثم يتساءل قدسى فى الأخير عن التشابه بين مراسيم الحرف وبين الماسونية الحرة فى أوربا وعن شبهه

ونضيف بعض ملاحظات عن نقابات مصر فى نفس الفترة . فهنا نجد الحرف تحت إشراف رئيس البوليس ويدعى رئيس الحرفة (شيخ الطائفة) وله مجلس من المختارين يدعوه بمثابة محكمة للنقابة . ويرفع المبتدئ إلى درجة أوسطه رأسا دون وجود مرتبة صانع . وهناك نوع من التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون فى تحقيقه أعضاء الحرفة . ولن أتطرق هنا إلى (النقابات الوضيعة) للنشالين واللصوص وقطاع الطرق؛ وهذه وإن لم تكن جزءا من نقابات الحرف إلا أنها أثرت فى الحط من سمعتها

لقد تزعزعت هذه التشكيلات أمام الهزة الأوربية وزالت أو تضاءلت أمام الموجة الجديدة والتنظيمات العمالية الحديثة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

ومما مر نستخلص ما يلى : —

١ — أن النقابات الإسلامية نشأت من الشعب وكانت استجابة لحاجات العمال أنفسهم وكان موقفها أحيانا غير ودى أو عدائى للحكم ٢ — ثم نلاحظ أن أصحاب العمل من أستاذ وصانع ومبتدئ يكونون طبقة اجتماعية واحدة فيها مجال التقدم لكل فرد دون تناحر ودون الانقسام الذى ولدته رأسمالية أوربا . وهذا تطور طبيعى لظروف المجتمع الإسلامى الاقتصادية والاجتماعية

٣ — تضم النقابات الاسلامية أفرادا من مختلف الطوائف فى جو من التسامح الاجتماعى والفكرى عكس ما حصل فى الغرب

٤ — للنقابات الاسلامية حياة روحية ومثل خلقية فهى قوة تهذيبية مهنية فى نفس الوقت ولم تقتصر على المهنة

وهذه ناحية مهمة لا نراها فى النقابات الأوربية . ولكن النقابات الاسلامية لم تصل إلى الأهمية السياسية للنقابات فى الغرب وإن كانت لها أدوار هامة أحيانا

وأخيرا يجب أن نذكر أن روح التكتل والانسجام فى المؤسسات العلمية الراقية أو المدارس جعل الطلبة والاساتذة يكونون نقابة . ولهم بعض المراسيم المشتركة مع النقابات مثل اللباس الخاص (الروب) والإجازة . وتشابه الدرجات من تلميذ إلى معيد إلى مدرس إلى أستاذ

هذا ما أمكن عرضه بإيجاز

عبد العزيز الدورى

٥ – الباكستان

الحياة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

الوضع الجغرافي :

أرى لزاماً على قبل أن أتحدث عن الحياة الاقتصادية أن أتناول في كثير من الإيجاز الوضع الجغرافي للباكستان . ذلك أن الحياة الاقتصادية هي أولا وقبل كل شيء من إملاء الجغرافيا، فالعوامل الجغرافية تحتم على قوم أن يكونوا زراعاً وتحتم على آخرين أن يكونوا صناعاً أو تجاراً أو رعاة . من أجل هذا أرى من الواجب على أن أتحدث عن الطبيعة الجغرافية للباكستان حتى نستطيع فهم حياتها الاقتصادية

تتكون الباكستان من وحدتين جغرافيتين : باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، والإقليمان منفصلان يبعدان عن بعضهما بنحو ألف ميل تقريباً

فأما الباكستان الشرقية فتقع بين خطي عرض ٢٠٫٤٥ درجة شمالا و ٢٦٫٣٠ درجة شمالا وبين خطي طول ٨٨ درجة شرقاً و ٩٢٫٣٠ درجة شرقاً وتبلغ مساحتها ٥٣٫٩٢٠ ميلا مربعاً وعدد سكانها ٤٢٫١٢٠٫٠٠٠ نسمة

وتشمل الباكستان الشرقية قسما من السهل الذي ينساب فيه نهرا براهما بترا والكنج وتضم القسم الأكبر من دلتا الكنج ، ويوجد في شمالها الشرقي بعض بقاع جبلية هي أجزاء من شرق جبال الهملايا التي تقع في شمال الهند

أما مناخها فموسمي حار في الصيف إذ تبلغ درجة الحرارة نحو ٨٣ درجة فهرنهيت ويسقط المطر غزيرا في الفترة من منتصف مارس إلى نهاية أكتوبر وذلك بتأثير الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وأما الشتاء فدفء إذ تبلغ الحرارة نحو ٦٤ درجة فهرنهيت ولكنه جاف لأن الرياح التي تهب في هذا الفصل تكون الرياح الموسمية الشمالية الشرقية . وهي رياح جافة لأنها تهب من داخل القارة

أما باكستان الغربية فتقع بين خطي عرض ٢٤ درجة شمالا و ٣٧ شمالا وبين خطي طول ٦١ درجة شرقاً و ٧٥ شرقاً . وتبلغ مساحتها ٣١٠٫٢٩٨ ميلا مربعا وعدد سكانها ٣٣٫٥٧٠٫٠٠٠ نسمة

ولكن أراضي الباكستان الغربية ليست سهولا منبسطة مثل أراضي الباكستان الشرقية بل إن طبيعتها تتباين تبايناً كبيرا ، فنجد القسم الشمالي وإقليم بلوخستان جبليا مرتفعا بينما نجد إقليم البنجاب وإقليم السند والإقليم الصحراوي أرضاً سهلة منبسطة

والمناخ في الباكستان الغربية متباين أيضا والتباين واضح جدا في توزيع المطر . فالمطر يسقط غزيرا في المنطقة الشمالية صيفا بسبب الرياح الموسمية، ويقل نوعا في إقليم البنجاب ولكنه يندر في الإقليم الصحراوي وفي بلوخستان . وأما الشتاء فيغلب فيه الجفاف ولكن تسقط بعض الأمطار في إقليم البنجاب شتاء بسبب وصول أعاصير الرياح العكسية إلى هناك

وأما من حيث الحرارة فالمناخ متطرف : فدرجة الحرارة في يناير تصل نهارا إلى ٧٥ درجة ف ولكنها تهبط ليلا إلى درجة التجمد ، وأما في الصيف فتتراوح نهارا بين ٩٠ ف ، ١٢٠ ف ولكنها تقل عن ذلك كثيرا أثناء الليل

وتوزيع المطر هام جدا ، ذلك لأن حياة النبات تتوقف على الماء فإذا غزر المطر كثف النبات ، وإذا انعدم المطر انعدم الإنبات

والباكستان الشرقية غنية بأمطارها وأنهارها ، فمتوسط سقوط المطر من ٧٠ بوصة إلى ٤٠٠ بوصة ويجرى بها نهر الكنج وفروع دلتاه المتعددة ورافده البرهمابترا

وأما باكستان الغربية فيجرى بها نهر السند وفروعه الخمسة ، ونظرا لجفاف المناطق الدنيا من حوض السند كانت لمشروعات الرى فى تلك المنطقة أهمية عظيمة إذ أنه يتوقف عليها تقدم هذه المنطقة إلى حد كبير

ويجدر بى قبل أن أنتهى من هذه المقدمة الجغرافية أن أشير إلى أن الباكستان قد ظلمت تماما فى تنفيذ مشروع التقسيم فقد أخذت منها كلكتا وهى أكبر ميناء فى مصب الكنج ، وقد أخذت منها دلهى لأنها اتخذت عاصمة للهندستان ، وكذلك أعطيت بمباى للهندستان فأصبحت العاصمة والموانى الرئيسية فى حوزتها . وأكثر من هذا لقد رفضت الهندستان أن يسلم الباكستان نصيبها من الأموال المضروبة حتى تعجز عن دفع مرتبات موظفيها ويعمها الاضطراب والفوضى فتختنق الدولة الوليدة . ومع هذا كله رضى المسلمون . ألم يصبح لهم وطن مستقل يعيشون فيه أحرارا ، أجل إنه وطن فقير ولكن الله أغناه من فضله

الزراعة :

الباكستان دولة زراعية وتعتبر الزراعة المهنة الرئيسية لسكانها ؛ إذ أن ٨٠ ٪ من السكان يشتغلون بالزراعة

وتقدر مساحة الأراضى الزراعية بحوالى ٥٤ مليون فدان وهناك أرض بور يمكن إصلاحها تقدر مساحتها بحوالى ١٤ مليون فدان

ولما كانت كمية المطر فى باكستان الغربية لا تكفى حاجات الزراعة فقد أقامت الباكستان نظاما للرى لا يضاهيه إلا نظام الرى فى الولايات المتحدة الأمريكية . إن نهر السند وفروعه تنبع جميعا من جبال هملايا ثم تنحدر جنوبا فوق السهول الفسيحة ثم تلتقى جميعا فتؤلف نهرا هائلا هو نهر السند الذى يجرى جنوبا نحو ألف ميل حتى يصب فى البحر العربى . ومما لا يحتمل شكا أن هذا يلقى بكميات وافرة من مائه فى البحر فعمد

الباكستانيون إلى استغلال هذه المياه فى رى جزء من الأراضى الواسعة الصالحة للزراعة فى بلادهم ، وتحقيقا لهذه الفكرة شقت قنوات حتى تصل المياه إلى الأراضى التى لم تكن تبلغها وأقيمت السدود لحجز المياه للانتفاع بها فى الرى وفى توليد الكهرباء . ومن أكبر مشروعات الرى فى الباكستان الغربية سد سكر القائم على نهر السند قرب مدينة سكر فى حوض السند الأدنى ويبلغ طوله حوالى الميل وهو أكبر سد فى آسيا وتروى مياهه نحو ستة ملايين من الأفدنة ، وتبلغ جملة الأراضى التى تروى بالقنوات نحو ٢٣ مليون فدان؛ وهناك مشروعات لإحياء ستة ملايين فدان من الأراضى البور وجعلها صالحة للزراعة

ويمكن تقسيم غلات الباكستان الزراعية إلى قسمين : غلات تستهلك فى الداخل وغلات تصدر إلى الخارج ، فأما غلات النوع الأول فأهمها الأرز والقمح وهما الطعام الأساسى للسكان؛ وتخصص مساحة ثلاثة أخماس مساحة الأراضى الزراعية لهذين المحصولين ، ويزرع الأرز فى باكستان الشرقية ، أما القمح فيزرع معظمه فى باكستان الغربية

وأهم الغلات بعد ذلك الشعير والذرة والقصب والسمسم والكتان

وأما الغلات التجارية فأهمها :

الجوت : ويزرع فى باكستان الشرقية وتنتج الباكستان منه ٨٠ ٪ من المحصول العالمى ، ومعظم مصانع الجوت قائمة فى كلكتا ولذلك فبعد التقسيم اضطرت الهندستان إلى استيراد الجوت من الباكستان ، وتعمل الباكستان جاهدة على إقامة مصانع لصناعة الجوت فى داخل بلادها ، وتبلغ مساحة الأراضى التى تزرع الجوت مليونى فدان ويقدر المحصول بحوالى ٦٫٨٠٠٫٠٠٠ بالة (البالة = ٤٠٠ رطل)

القطن : يزرع معظمه فى باكستان الغربية وتقدر مساحة الأراضى المزروعة قطنا بحوالى ٢٫٧٠٤٫٠٠٠ فدان والمحصول بحوالى مليونى بالة ، ونوع القطن جيد

الشاى : يعتبر إحدى السلع الهامة التى تصدرها باكستان الشرقية إذ تقدر الكمية التى تنتجها سنويا بحوالى ٤٥ مليون رطل يصدر ٧٠ ./. منها إلى الخارج

التبغ : ويزرع منه فى باكستان ٣٣٫٧ ./. من مجموع إنتاج الهند ، وجملة الأراضى المزروعة فى باكستان ٣٠٨٧٠٠ فدانا ومجموع الإنتاج ١٥٦٣٠٠ طنا

التجارة : تعتبر الباكستان أهم دول العالم إنتاجا للجوت وتنتج ١٠ ./. من محصول القطن العالمى وكيات كبيرة من الصوف وتكون صادرات الباكستان من الجوت والقطن والصوف ٩٠ ./. من صادراتها

وتصدر الباكستان أيضا كيات وافرة من الشاى وبذرة القطن والتبغ والجلود والسمك المجفف والملح الصخرى وبعض المصنوعات مثل الأدوات الرياضية والآلات الجراحية

وتنتج الباكستان كميات كبيرة من القمح تكفى حاجة سكانها وتفيض ويصدر الفائض وقدره نحو نصف مليون طن إلى الدول الأجنبية وخاصة إنجلترا

أما أهم واردات الباكستان فهو الآلات الصناعية والمواد المصنوعة مثل المنسوجات القطنية والغزل والخيوط القطنية والآلات ومصانع الغزل والسيارات والمصنوعات الحديدية والمواد الكيماوية والأدوية والعقاقير والورق وتكون الآلات الصناعية والمواد المصنوعة ٧٧ ./. من مجموعة واردات الباكستان

وبريطانيا أولى الدول تجارة مع الباكستان وتليها الولايات المتحدة والهندستان وجنوب أفريقيا وبلجيكا وإيطاليا وفرنسا واليابان وهولندا والاتحاد السوفيتى ومصر

وقد صادفت التجارة صعاباً عند بدء الاستقلال بسبب هجرة التجار الهندوس إلى الهندستان ولكن التجار المسلمين سرعان ما ملأوا الفراغ فنشطت التجارة وتضاعفت حركة التوريد والتصدير

كراتشى : أهم موانى باكستان الغربية إذ أنها تقع عند مصب نهر السند ومن ثم كانت منفذه التجارى وهى عاصمة دولة الباكستان ، وقد تقدمت بعد ١٩٤٧ (تاريخ الاستقلال) تقدماً كبيرا . ويكفى لإثبات ذلك أن نذكر أن عدد سكانها كان ٤٥٠٫٠٠٠ نسمة فبلغ الآن ١٫١١٨٫٠٠٠ نسمة

وأما باكستان الشرقية فقد حرمت من مينائها الطبيعى كلكتا ، وأهم موانيها الآن شيتا جونج وهى تتقدم بسرعة لأن تجارة باكستان الشرقية تحولت إليها

البحث صلة أبو الفتوح عطيفة

السيدة زبيدة

للأستاذ عبد الواحد باش أعيان

لينحن التاريخ برأسه إجلالا لكثير من النساء النوابغ اللواتى سجلن أعظم الأعمال والمفاخر فى صحائفه ، وللمرأة العربية نصيب كبير فى مفاخر التاريخ وروائعه، فنهن الملكات الحازمات اللائى رفعن ممالكهن للسؤدد والرفعة، ومنهن المحاربات البواسل ، ومنهن الشواعر والأديبات ، ومنهن من سجلن أعمال الخير والإصلاح فى كثير من مرافق الحياة

من أشهر هؤلاء النساء النوابغ وأعظمهن أعمالا للخير واهتماما فى الإصلاح والتعمير هى الملكة العباسية الهاشمية السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد وأم الأمين وبنت جعفر بن «أبى جعفر المنصور»

ولدت سنة ١٦٥ هجرية فى أحضان العز ومهد الدلال ، وترعاها قلوب بنى العباس ويحيطها حبهم ورعايتهم ولا سيما جدها الخليفة الحازم أبو جعفر المنصور وكان يؤثرها بعنايته وحبه

وهو الذى سماها زبيدة لما رأى من نعومتها وبياض بشرتها، وقد كانت تجمع إلى الجمال الباهر والأدب العباسى السامى عقلا كبيراً وذكاء نادراً وعلماً وأدباً كبيرين

وفى خلافة عمها المهدى زفت إلى ابن عمها هرون الرشيد فكانت ليلة زفافها من الليالى المشهورة فى بغداد يومذاك بالروعة والبهاء والفرح ، وقد نثرت اللآلئ فى جنبات طريقها على البسط الموشاة بأسلاك الذهب . وقد ألقى عليها من غالى الجواهر واللؤلؤ ما أثقلها وعاقها عن السير ، فكانت عند زوجها وقد استأثرت بقلبه وخلص لها من دون جواريه وسراريه اللواتى ملأن قصره ، وقد شغف بها الرشيد واطمأن إلى رأيها وتدبيرها وكمال عقلها حين أصبح خليفة، فأخذ يسترشد برأيها فى حل المعضلات من أمور الدولة الإمبراطورية الإسلامية فى ذلك العصر الذهبى ، وأطلق يديها فى بيت المال تنفق ما تشاء ، وقد أنفقت أموالا عظيمة فى الإصلاح والخيرات، تلك الأعمال التى خلدت اسمها بين أعظم نساء العالم كرماً وخلقاً وشرفاً ، وسبقت من تقدمها من نساء الإسلام فى الأعمال. ولقد قيل إنها أنفقت فيما ابتنت فى طريق مكة من مساجد ومنازل ومشارب مليونا وسبعمائة ألف دينار زيادة على ما أنفقته « ويقدر بأكثر من مليون دينار » حين أوصلت الماء إلى مكة فى الحجاز من العين المعروفة بعين زبيدة ، فقد كان المكيون والحجاج ينقلون الماء من مسافات بعيدة مضنية لشربهم وريهم وسقى حيواناتهم، وكانوا يتكلفون بذلك ويجهدهم فلما حجت الملكة الصالحة السيدة زبيدة أمرت بإحضار المهندسين والعمال وأن يقدروا كلفة العمل وما يتطلبه من المال فبلغ مبلغاً كبيراً استثقله خازنها فقالت كلمتها الخالدة « اصرف ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً » فلم تزل حتى تم لها ما أرادت ووصل الماء إلى مكة من مسافة اثنى عشر ميلا فى أرض وعرة المسالك . ولا زال منذ عهدها إلى اليوم . ولها أعمال أخرى لا تقل عما تقدم فخراً ومنفعة ؛ فقد ابتنت المساجد الكبيرة الواسعة فى أطراف بغداد ليتعبد فيها المسلمون فابتنت مسجداً قبالة دار الخلافة يسمى مسجد زبيدة وآخر فى أراضيها وأملاكها الخاصة المعروفة بقطيعة أم جعفر وثالث بين باب خراسان ودار الرقيق ورابعاً البيت الذى ولد فيه الرسول بمكة ويسمى دار ابن يوسف، وكانت إلى كل هذا توزع العطايا والهبات على الفقراء والمحتاجين والأيامى كما كانت لا تتردد فى مساعدة ذوى الحاجة من كبار رجال الدولة والمملكة

ولقد كانت أما رؤوما تحنو على ابنها الوحيد محمد الأمين وتعنى به عناية كبرى وتحبه حبا جما ، فمن ذلك ما رواه خلف الأحمر وكان قد دعاه الرشيد لتدريس ابنه الأمين يقول : جاءتنى جارية يوماً برسالة من أم جعفر « زبيدة » تعزم على بالكف عن معاملته بالشدة فى تعليمه وتأديبه وأن أجمل له وقتاً لاستجمام بدنه فقلت : الأمير قد عظم قدره وبعد صيته . وموقعه من أمير المؤمنين ومكانه من ولاية العهد لا يحتملان التقصير ولا يقبل منه الخطل ولا يرضى منه الزلل فى النطق والجهل بالشرائع والعمى عن الأمور التى فيها قوام السلطان وإحكام

السياسة » فقالت صدقت غير أنها والدة لا تملك فيها ولا تقدر على كف إشفاقها »

وعلى ذكر ابنها الأمين ، فإنه لم يكن بين خلفاء الإسلام من كان أبوه وأمه من بني هاشم غير علي بن أبي طالب وابنه الحسين والأمين بن الرشيد وفي ذلك يقول أبو الهذيل الشاعر :

ملك أبوه وأمه من نبعة منها سراج الأمة الوهاج
شربت بمكة من ذرى بطحائها ماء النبوة ليس فيه مزاج

ولقد ماتت للأمين بنت اسمها (أم موسى) كان شديد الكلف والحب لها فجزع عليها جزعاً شديداً فسمعت بذلك زبيدة فقدمت إليه وعزته ببلاغتها

نفسي فداؤك لا يذهب بك اللهف
ففي بقائك ممن قد مضى خلف
عوضت موسى فهانت كل مرزئة
ما بعد موسى على مفقودة أسف

وكان لها قصور عديدة جميلة تتناسب مع مكانة الملكة الشابة ، منها قصر السلام وقصر القرار وغيرها في ضيعاتها وأملاكها الواسعة . وكانت على جانب كبير من الكرم والسخاء فيقول المسعودي (كتبت مرة تسأل أبا يوسف » رئيس القضاة في بغداد » تستفتيه في مسألة فأفتاها بما أوجبت الشريعة وكان يوافق مرادها فأكرمته بحق من فضة فيه ألوان من الطيب (الروائح) وجام ذهب فيه دراهم وجام فضة فيه دنانير وغلمان وتخت فيه ثياب وحمار وبغل ... الخ)

وذكر بعض المؤرخين أن لزبيدة يداً كبرى في نكبة البرامكة ، فقد كانت تخشى من جعفر البرمكي على ابنها الأمين وكان يقوم بأمر المأمون في ولاية العهد . ولكن في وصيتها التاريخية لقائد جيش الأمين علي بن عيسى حين خرج بجيشه يريد محاربة المأمون وأسره ، في تلك الوصية الخالدة تظهر النفس الكبيرة التي تتنزه عن الدنايا والقسوة والأحقاد وقد قالت له (يا علي إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي فإني على عبدالله (المأمون) مستعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى وإنما ولدي ملك نافس أخاه في سلطان ، فاعرف لعبدالله حق ولادته وأخوته ، ولا تساوه في المسير ولا تركب قبله إذا ركب وإذا شتمك فاحتمل)

وكانت على جانب كبير من الآداب والأخلاق كما كانت أديبة بارعة وشاعرة حساسة، وإليك أبياتاً رقيقة باكية رثت بها ولدها الأمين حين سمعت بقتله :

أودى بالفين من لم يترك الناسا
فامنح فؤادك من مقتلك الباسا
لما رأيت المنايا قد قصدن له
أصبن منه سواد القلب والراسا
فبت مكتئباً أرعى النجوم له
إخال سنته في الليل قرطاسا
والموت كان به ، والهم قارنه
حتى سقاه التي أودى بها الكاسا
رزئته حين باهيت الرجال به
وقد بنيت به للدهر آساسا
فليس من مات مردوداً لنا أبداً
حتى يرد علينا قبله ناسا

هذه لمحة من سلسلة أعمال جليلة خلدتها تلك الملكة العباسية الطاهرة، وتلمس منها تدبيرها وأخلاقها وأعمالها الجبارة الباقية على مدى الدهر

ولقد انطوت حياة هذه الملكة الكريمة سنة ٢١٦ هـ في بغداد بعد حياة كلها خير وجلال وسؤدد

البصرة — العراق عبد الواحد باسم أعيان العباسي

شعراء الشباب

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

ظل النـاس يتساءلون فى جزع ولهفة وحيرة عن الشـاعر الفرد الذى يخلف أمير الشعراء أو شاعر النيل بعد وفاة شـوقى وحافظ بسنوات ، وكانت هناك يومئذ أسماء لامعة تذكر فى مجال التفضيل ؛ ربما سر أحدهم أن يملأ فراغا شاغرا سواه ، وربما غضب بعضهم أن يكون بوقا لغيره ولو انعقد عليه الإجماع ... من هذه الأسماء اللامعة : العقاد ومطران ومحرم والجارم

وبينما كان الناس يختلفون فيما بينهم على هذه الأسماء وغيرها . كان هناك شبه إجماع على شاعر شـاب ، غنى الشباب بشعره الوجدانى ، فاتفقوا ، أو اتفق أهل الفن منهم خاصة ، على تسميته « شاعر الشباب »

أطلق لقب « شاعر الشباب » أول ما أطلق فى مصر على الأستاذ أحمد رامى ، وظل وحده يستمتع بهذا اللقب الجميل حينا من الدهر ، ربما يربو على عشر سنين بكثير ؛ حتى زحفت جموع الشعراء من كل صوب ، وتعددت ألوان الشعر فى كل مجـال ، وغمرت الصحف والمجلات والـكتب والإذاعة موجة واسـعة متدفقة جياشة بالشعر الجديد . فكان من العسير على شاعر غنائى واحد أن يثبت أمام هذه الجموع الزاحفة كالبنيان المرصوص

وهال الناس هذا الموكب الضخم الفخم كأنه مهرجان رائع فى ميدان فسيح يشق أجواز الفضاء بحناجر قوية وأوتار صاخبة وأبواق مدوية تكاد تصم الآذان ؛ ولم يستطع النـاس — أول الأمر — أن يميزوا بين هذه الوجوه المتلاحقة والصور المتتابعة فى وسط الزحام ؛ فسموهم جميعا « شعراء الشباب » !

فى العشرين سنة الأخيرة أطلقت كلمة « شعراء الشباب » على أكثر من ثلاثين شاعرا ، وما تزال تطلق على نحو عشرين شاعرا إلى الآن

وإذا كان من العسير إحصاء أسماء جميع شعراء الشباب فى مقال واحد — فمن السهل اليسير الإشارة إلى بعضهم على سبيل التمثيل ؛ لا الحصر والتسجيل

شاعران لا ثالث لهما اشرأبت إليهما الأعناق وتفردا بالشاعرية الخصبة والخيال الملهم والملـكة الفنية التى تندر فى كل زمان ومكان ، بين أرباب البيان وأعلام الشعر الرفيع .. شاعران اثنان لا ثالث لهما : على محمود طه وإبراهيم ناجى . لـكل من هذين الشاعرين جو فسيح يحلق فيه ، وخيال مجنح يصل به إلى آفاق المجد والخلود

كان هذان الشاعران فى مقدمة الرعيل الأول من شعراء الشباب ، منذ عشرين سنة ، وتدفقت وفود الشعراء على الميدان الأدبى بعد ذلك ، وظل على محمود طه وإبراهيم ناجى قبلة الأنظار ومهوى الأفئدة وموضع الإعجاب !

وظهرت أسماء لامعة بدأت تشق طريقها بين الزحام ، وبدأ إنتاج كل شـاعر منهم يتسم بسمة خاصة إذا استملحت حينـا للتقليد فقد انطبعت فيما بعد بطابع التجديد . من هؤلاء الشعراء : سيد قطب ومحمود غنيم ومحمود حسن إسماعيل وعبد العزيز عتيق وعبد العزيز محمد خليل ومحمد عبد الغنى حسن وعلى متولى صلاح . وبعد سنوات قلائل لاحت فى الجو الأدبى نجوم جديدة من الشعراء فى شعرهم قوة وفتوة وتدفق وتنوع والتماع ، من هؤلاء الشعراء : أحمد مخيمر والعوضى الوكيل وطاهر أبو فاشا وأحمد عبد المجيد الغزالى ومحمد هارون الحلو وعلى الجبلاطى وعبد العظيم بدوى

وهنا لا بد أن أحيى « دار العلوم » تحية عاطرة بأريج الحمد والثناء ، تلك المنارة الرفيعة للأدب العربى التى انبثقت منها كل هذه الأضواء ؛ لجميع الشعراء السـابقين — فى الفترة الأخـيرة — وغيرهم كثيرون ... هدايا إلى الشعر من دار العلوم .. دار العلوم أيام أن كانت « مدرسة » أما بعد أن صارت « كلية » جامعية فحسب المتخرج فيها أن يصيح أمام مفتش اللغة العربية : أنا من حملة الليسانس !!

وبعد فترة وجيزة من الزمن لاحت بشـائر نهضة شـعرية جديدة ، بعد ما اتضحت مدارس الشعر أمام الشباب ، وارتسمت الفوارق البعيدة بين الجديد والقديم ، وتعددت المنـاهج المختلفة

أمام الأنظار ، فسلك سبيل القافلة الصاعدة إلى السماء ، هؤلاء الشعراء : عبد الرحمن الخميسى ومحمود السيد شعبان ومصطفى على عبد الرحمن وإبراهيم محمد نجا وفؤاد كامل وعثمان حلمى وحسين البشبيشى وعبد الغنى سلامة ومحمد السيد شحاته (شاعر البرارى) وعبد العليم عيسى

وبعد وقت قصير لفتت الأنظار وجوه جديدة ، وخاضت المعركة أقلام ناشئة ، فى إنتاجها الشعرى حرارة الشباب ، وفى نزعاتها الفنية وثبات الخيال ، وإن كان بعضها لم يستقر بعد ، وهذه الفرقة هى التى تحتل الآن أماكنها المناسبة فى الصحف والمجلات ، من هؤلاء الشعراء : كمال نشأت وكيلانى حسن سند ومحمد رجب البيومى ومحمد الصادق سعود وتوفيق عوضى أباظة وعبد العزيز السمدنى ومحمد مفتاح الفيتورى ومحمد سلامة مصطفى ومحمد أحمد سالم وعمر عبد العزيز

وليس من السهل — ولا من اللائق أيضاً — أن نرتب هذه الجموع الزاخرة ترتيباً تنازلياً — أو تصاعدياً — كترتيب تلاميذ المدارس بحسب درجات الامتحان ؛ فهذا عسير جد عسير ، لتنوع المذاهب وتعدد الألوان

ولكن من السهل النص على أن هؤلاء الشعراء جميعاً من الممكن تقسيمهم إلى أربع طوائف متميزة : الطائفة الأولى جماعة الأحرار ؛ لا يتبع الشاعر منهم أحداً بالذات ، وليست له قدوة يحتذيها ولا إمام يأتم به ويسعى على هداه ، وإنما لكل منهم نهجه الخاص وطريقه المعلوم وشخصيته المتفردة . وأما الطوائف الثلاث الأخرى ، فطائفة تتبع شعر العقاد وطائفة تتبع نثر الزيات وطائفة تتبع زجل بيرم التونسى !

لست أمزح ولا أهزل حين أقول جاداً : إن طائفة من شعراء الشباب المعروفين ، ينحون فى الشعر نحو بيرم التونسى فى الزجل ! وليس معنى هذا أنهم يخطئون السبيل ، أو يرجعون القهقرى ؛ فرب قصيدة واحدة من الزجل — الشعر الشعبى — خير من ديوان كامل من شعر فلان وفلان ، وسيأتيك البيان !

وإن مما يؤسف له حقاً أن يلتفت الناقد الأدبى إلى ميدان شعراء الشباب الآن فلا يرى إلا القليل. فيتم النظر ويمد البصر إلى هنا وهناك فلا يرى إلا أشباحاً تجرى فى الظلام وراء تفاهات وحماقات لا تغنى ولا تسمن من جوع

لقد تفرق الجمع أيدى سبا .. وانصرفوا — أو كادوا ينصرفون عن الشعر الذى خلقوا له وارتفعوا به إلى القمة ! ولكن يبدو أنها قمة الحضيض إن صح هذا التعبير

بعض الشعراء استهوته الصحافة اليومية أو الأسبوعية فأدلى دلوه فى الدلاء وعلى الشعراء العفاء. وبعضهم انخدع بالإذاعة فاستسلم لما يطلب منه من القصائد والتواشيح لقاء أجر معلوم ، وبعضهم كل همه الملاوات والترقيات والاستثناءات فى كل عهد وبأى ثمن . وبعضهم غارق لأذنيه فى « شرب العرق ولعب الورق » ، وبعضهم اتخذ الكتابة والتأليف حرفة مجدية ... وأخيراً جداً اهتدى « بعضهم » إلى تقليعة ظريفة تريحه من كل هذا العناء . افتتاح « دكان شعر » لبيع قصائد المناسبات

مأساة متعددة الجوانب ، مختلفة الأشكال ، ولكن سببها واحد على كل حال . سببها أن الدولة لا تقدر الشعراء حق التقدير ، فهم يبذلون كل جهودهم للحصول على المال من أيسر طريق ، باسم الشعر فى الظاهر

حرام على هذه المواهب الفتية القوية الجبارة أن تطأ الشعر بالنعال وأن تضعه هذا الموضع المهين ؛ وإنه لشئ نفيس مقدس يصل بصاحبه إلى صميم الخلود ، لا قشور المظاهر الجوفاء !

نريد الإخلاص للشعر ، والعكوف على الشعر ، والاهتمام بالشعر ، ياشعراء الشباب ! أما أن يضيع العمر على هذا النحو فرحم الله الشعر والشعراء !

قليل لدى العمر أقضيه فى الشعر فمن لى بأعمار الكواكب والبدر !

إسماعيل بن القاسم

المعروف بأبي العتاهية

للأستاذ محمد الكفراوي

مقدمة :

يروى صاحب مسالك الأبصار (١) أن أبا العلاء المعرى كان يقول كلما أراد إنشاد شيء من شعر أبي العتاهية : قال الداهية أبو العتاهية . وتلك العبارة من أبي العلاء المعروف بدقته وعمقه ترينا مدى ما يتعرض له الباحث في حياة شاعرنا من صعوبات وما يواجهه من مشاكل ، وذلك لأن من لوازم الدهاة من الناس الالتواء والغموض مما يجعل التعرف على مقاصدهم مما يفعلون ويقولون صعباً . والحق أن الناظر في حياة أبي العتاهية أو القارئ لشعره لا يكاد يفرغ مما يصادفه من مشاكل تريد حلولا ، أو أسئلة غامضة تتطلب إجابة شافية

وأهم تلك المشاكل وأشدها تعقيداً هو تحول الشاعر في سنة ثمانين ومائة للهجرة من شاعر حب وغناء إلى شاعر حزين متشائم لا عمل له إلا تزهيد الناس في الحياة وتنفيرهم من شهواتها ، والإلحاح عليهم أن يتجهوا بقلوبهم وأعمالهم إلى ما هو خير منها وتلك هي الدار الآخرة

ولو أن الشاعر قد جعل من حياته الخاصة صورة صادقة لما يردده في شعره من دعوة إلى الزهد في الحياة ، لقلنا مع القائلين إنه قد سئم الحياة بعد أن رفضت حبيبة نفسه عتبة الزواج منه ، ومال إلى حياة الزهاد والصالحين ، وأسرف في ذلك الميل حتى لم يعد له ما يشغله إلا التحدث عنها والترويج لها في شعره . أما وإنه ما زال حريصاً على الدنيا أشد الحرص حتى بعد تحوله إلى ما يشبه حياة الزهاد ، فلا وجه إذن لإدخاله فيهم . وهنا يعرض ذلك السؤال الذي لم يصادف جواباً مقنعاً في كتابة السابقين من مؤرخي الأدب العربي ألا وهو : أي شيء كان إذن سلوك أبي العتاهية إذا لم يكن زاهداً بالمعنى الذي نعرفه ، وأي شيء كان يدفعه إلى ذلك السلوك المتناقض الغريب ؟

لعل الإجابة عن هذا السؤال هي أهم وأبرز بحث في الدراسة التي نحن بصدد التقديم لها الآن ، وقد استنفدت الكثير من وقت المؤلف ومجهوده ، إذ وجد نفسه مضطراً أن يرجع إلى بيئة الشاعر وطفولته ، لعله يجد فيها ما يلقى شيئاً من الضوء على ما اكتنف حياته من غموض واضطراب ، وبعد دراسة طويلة مضنية أسفرت الحقيقة للباحث الذي تمكن من ربط الانقلابات والاضطرابات التي طرأت على الشاعر في مختلف مراحل حياته — ومن بينها تحوله الصورى إلى حياة الزهاد — بما صادفه أثناء طفولته من ألوان البؤس والشقاء ، وما أصابه في ذلك الحين من أمراض نفسية ، وقد كان أشد تلك الأمراض تأثيراً على حياته وأعظمها إيلاماً له مولده الوضيع الذي جر عليه كثيراً من الخزي ، وملأ قلبه حقداً على ذوي الجاه واليسار من أهل عصره

على أن عوامل أخرى قد انضمت إلى تلك التجارب القاسية والأمراض النفسية التي صادفت الشاعر في طفولته ، فأحدثت مجتمعة ذلك الانفجار الذي طرأ على حياة الشاعر سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي كان يعتبر حتى كتابة هذه السطور نوعاً من الزهد في الحياة (٢) . وأهم تلك العوامل هو سخطه على

(١) ص ١٣٩

(٢) المسعودى مروج الذهب الجزء السادس ص٣٣٦ وأيضاً نيكلسون L.H.A ص ٢٩٦

ثلاثون عاماً من حياتي قضيتها ولم أقض حق الشعر مهما سما شعرى
لدى من الأفكار دنيا رحيبة رحابة آفاق السموات في فكرى
يجيش بها صدرى ويغلى بهادمى وألبث فيها كالمقيم على الجمر
أغوص وأطفو في بحور من الشعر وأسبح من بحر لبحر إلى بحر !

كان هذا منذ سبعة أعوام .. أما الآن ، ففي الأسبوع القادم وفي الأسابيع التالية إن شاء الله ، تفصيل ما أجملت وتقييد ما أرسلت في شعراء الشباب

أحمد أحمد العجمى

هارون الرشيد لأسباب سنذكرها فيما بعد ، واستغلال الفضل ابن الربيع وزبيدة زوج الرشيد لذلك السخط . فكل من الفضل وزبيدة كان ناقماً على الحياة الصاخبة العابثة التي كان يحياها هارون بين جواريه الحسان وبصحبة وزيره جعفر البرمكي ، لما في تلك الحياة من صرف للخليفة عن زوجه من جهة؛ وإضعاف لقدر الفضل بن الربيع من جهة كما سيأتي تفصيل ذلك . وقد وجدا في أبي العتاهية ضالتهم المنشودة ، فهو ساخط على الحياة والأحياء وعلى الخليفة وحاشيته بنوع خاص ، ورأيا في شعره خير وسيلة للتشهير بالملاهي وروادها ، وبالتالي خير وسيلة للحد من نشاط الرشيد في ذلك الاتجاه الذي لا يرغبان فيه

وهكذا تحول الشاعر من القول في الحب والغزل إلى التزهيد في الحياة والتنفير منها ومن شهواتها وملاذها متحاملا أثناء ذلك على ذوي الجاه واليسار من بني عصره . ومع أن ذلك النوع من الشعر لم يكن في الكثير الغالب إلا تفريجاً عن نفس الشاعر الموتورة وتعبيراً عن عواطفه المكبوتة ، ومن ثم لم يكن يستحق عليه كبير جزاء ، إلا أن الفضل وزبيدة لم يبخلا على الشاعر بالتشجيع المادي والأدبي لما كان في شعره من خدمة لأغراضهما

هذه سطور قلائل لم نقصد بها إلا أن نعرض صورة مصغرة لأحد الموضوعات التي نعرض لها بحثنا . و نا نأمل أن يجد القارئ لما كتبناه عن أبي العتاهية إجابة لكل ما يجول في نفسه من أسئلة أو خواطر

هذا وقد قسمنا البحث إلى ستة أبواب

الأول : يبحث في تأثير بيئته المضطربة ومنبته الوضيع على حياته

الثاني : يتحدث عن حبه الفاشل وإلى أي حد كان سبباً في تحوله إلى ما عرف باسم الزهد

الثالث : علاقته بالرشيد والفضل وزبيدة ، واندماجه في السياسة

الرابع : دراسة إنتاجه الشعري بعد سنة ثمانين ومائة ، ومعرفة مدى تصويره لأفكاره

الخامس : يبحث في عقيدة الشاعر

السادس : فيه نقد أدبي لشعره

طفولته وبيئته :

ولد أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم في الكوفة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وكان أبوه القاسم يشتغل حجاما بها . أما هو فكان يبيع الجرار ، ولكنه ما لبث أن اعتزل تلك المهنة واشتغل بقرض الشعر قاصدا التكسب به . وحين سطع نجمه وضاقت به الكوفة ذهب إلى بغداد وجاهد حتى وصل ذكره إلى سمع الخليفة المهدي الذي أذن له في إنشاد الشعر بين يديه وأجزل له العطاء . ولكن خلافا شديدا نشب بين الخليفة والشاعر بسبب حب الأخير لإحدى جواري الأول وذكره لها في شعره ، مما حمل الخليفة يغضب عليه ويضطهده . وحين مات المهدي اتصل الشاعر بابنه الهادي ثم الرشيد ، وبعد عشر سنوات قضاها في خدمة هارون كان أثناءها محل عطفه ورعايته ، ترك الشعر الغنائي الذي كان يؤلفه للخليفة وهجر مجالسه ، ولبس مسوح الزهاد ، وأخذ يتحدث عن الموت والقبر ويضع من قدر الدنيا وأهلها ، ويدعو الناس إلى الزهد فيها ، والبعد عن ملاذها وملاهيها ، وينصحهم بالعمل للآخرة ونعيمها . تلك فكرة يسيرة عن أبي العتاهية كما يصوره التاريخ ويتصوره الناس أحببنا أن نقدمها بين يدي بحثنا

والآن نعود إلى إبداء رأينا في الشاعر . ولابد لمن يريد أن يدرس حياة الشاعر ويفهم شعره حق الفهم ، لابد له من معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ذلك الانقلاب الخطير الذي طرأ على حياته سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي أشرنا إليه من قبل ، وبدون الوقوف على ذلك الانقلاب وأسبابه لا يمكن لنا أن نفهم كل ما جاء بعده من أشعار مع أن معظم إنتاج الشاعر وكل ما يعرف باسم الزهديات، قد نظمه الشاعر بعد ذلك التاريخ؛ ولكننا لن نستطيع معرفة أسباب ذلك الانقلاب وأسراره حتى نعرف الكثير عن بيئته الشاعر وأسرته وطفولته لنتبين مدى تأثير كل ذلك على حياته

والمعروف عن الفترة التي ولد فيها الشاعر ونشأ فيها ، أنها كانت مليئة بالفتن والاضطرابات، إذ أنه ولد قبيل سقوط الدولة الأموية وقيام العباسية . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكوفة التي

ولد بها وتربى فيها كانت مركز نشاط مناهضي الحكم الأموي من عباسيين وعلويين ، وكانت لذلك مسرحا لكثير من مناظر ذلك النضال المرير ، كان معنى ذلك أن الشاعر قد رأى وسمع أثناء طفولته بكثير من تلك الحوادث الدامية . وجدير بمثله أن يضيق ذرعا بالحياة والأحياء ، وأن ينظر دائما إلى المستقبل نظرة اليائس المتشائم . وإنه لمن المؤكد أن روح اليأس والقنوط التي يصادفها القارئ لشعر أبي العتاهية ، قد تمكنت من نفس الشاعر منذ ذلك الحين المبكر ولا سيما إذا لاحظنا أن أباه كان حجاما وكان بطبيعة عمله من ألصق الناس بتلك المناظر الدامية

وإذا كنا بالرجوع إلى بيئة الشاعر وطفولته قد استطعنا أن نهتدي إلى أحد تلك العوامل التي أدت إلى شيوع روح التشاؤم في شعر أبي العتاهية فليس بعيينا أن نتلمس الأسباب التي دفعت به إلى الحقد الشديد على ذوي اليسار والجاه من بني عصره حقدا يظهر واضحا في إنتاجه الأدبي بعد سنة ثمانين ومائة للهجرة، كما سنذكره في حينه . وقد اتضح لنا من تلك الدراسة التمهيدية أن نقمته عليهم كانت أثرا من آثار الضعة والخمول اللذين أحاطا بنسبه . فقد كان آباؤه من التفاهة بحيث لم يكن لهم نسب معروف ، فهو عربي في قول بعض الناس ومولى على رأي آخرين . ثم نراه يضطرب في ولائه فيتولى مندلا وحبان العنزيين تارة ، ومنصور بن زيد خال الخليفة تارة أخرى . ولكن ذلك الغموض والخمول لم يكن كل ما يفسد على الشاعر حياته كما ذكر آباؤه وأجداده ، فهناك والده الذي كان يشتغل حجاما ، وقد كان ازدراء الناس لتلك المهنة وأهلها شديدا ، ولا أدل على ذلك من الفقهاء — برغم ما ينادي به الإسلام من مساواة بين جميع المسلمين — لم يجدوا بدا من الخضوع لتقاليد العصر والحكم بعدم جواز زواج ابن الحجام من طبقة غير طبقته إلا في حالات خاصة ، كأن الخزي والعار الذي ألصق به شر مستطير يجب ألا يتعداه إلى سواه

ولدينا من الأدلة ما يثبت أن أبا العتاهية كان وهو لا يزال صبيا يشعر بضآلة شأنه ويتألم لموقف مجتمعه منه ونظرته إليه . فالأغاني يحدثنا أن قصابا تشاجر مع أبي العتاهية وشج رأسه فأسال دمه ودعاه نبطيا ، وذهب الصبي المسكين إلى مواليه يبكي وينتحب ويسألهم أن يمدوا إليه يد المعونة ، وليست تلك المعونة هي وقف الدم الذي يسيل منه ، ولكن محو ما أصابه من عار حين قال له القصاب « يا نبطي » ، والسبيل إلى محو ذلك العار هو أن يعلن أولياؤه من عنزة أنه عنزي وقد كان . وما حادث القصاب إلا نموذج لحوادث أخرى كثيرة تكررت وجرت على الشاعر كثيرا من الخزي والشعور بالضعة

ومن الحق أن يقال إن الشاعر كاد ينسى أو يتناسى ما مر به في تلك الفترة من تجارب قاسية ، فقد استقامت أموره ولمع نجمه في سماء المجتمع حين صار شاعرا مجيدا بعد أن كان بائع خزف مهين ، ولكن حدثا جللا قد عرض له فكدر عليه نشوة النجاح وأعاد إلى ذاكرته صورة الماضي البغيض وزاده إيمانا بأن الحياة ليست إلا موطنا للشقاء والألم ، وأعطاه دليلا جديدا على فساد نظام المجتمع ، ذلك هو حبه لعتبة وهو ما سيكون موضوع حديثنا في المقال التالي إن شاء الله

للكلام صلة

محمد السكفراوي

شخصية

الاستاذ حبيب الزحلاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

طائف من الإلهام البصير طاف فى ذهن كبير حكيم منا أن يدعونا إلى وليمة ... وما كاد الجمع المدعو يلتف حول مائدة ذلك الرفيق الداعى ، وهى تماثل فى الشكل لا فى النوع الموائد التى كانت تنشر وتطوى على عجل فى ميادين القتال ، حتى انبسطت أسارير كل نفس ، وابتسم كل ثغر ، وارتسم السرور على كل محيا ، ونصع كل جبين ، ولا أقول «اختفى» بل أقول «تبرقع» الا كفهرار والتجهم والتوجس ؛ كأن حدسا لدنيا شاع فى كل نفس يهمس أن خلف الصفاء فى موسم الشتاء سحبا وبروقا ورعودا مقبلة ، وقد بدت طلائع غيومها حين وقف رب الدعوة يرحب بالمدعوين ويقول :

الشام أيها الإخوان ، بيت واحد تسكنه أسرة واحدة متفرعة كأغصان الشجرة ، والفروع الكبيرة فيها إنما هى قواعد ثابتة لعرش عربى ، وصولجان إسلامى ، تبذل الأرواح من أجلهما والمحافظة عليهما

لم تنطو المائدة على عجل كما كانت تنشر وتطوى فى ميدان الجهاد ، بل تجلت طبيعة الشامى على حقيقتها فى المباسطة والمزاح والنكتة ، وهى لا تختلف عما هو مفطور عليه من الرزانة والجد إلا فى الإمعان بالعمق ، والإمعان فى المغالاة ، والإمعان فى الإيلام . ودارت أحاديث ، وجرى عتاب ، وانجلت أمور ، واتضحت مسائل ، وانقشعت من ظلمات الغيوم وقائع ، وافتضح سر الدساس المنافق ، وبرز وجه إبليس ببسمته المعهودة ، وحركة التواء عنقه التقليدية ، وكاد إبليس الرجيم - عليه اللعنة المؤبدة - يقول « خذونى »

نظرت إلى وجه « حصل أفندى » هذا الشاعر الذى طالما وقف فى الناس منتصب القامة ، شامخ الأنف ، رافع الرأس ، ينشد القصيد فيطرب ، يتلاعب بالعواطف ، ويهز النفوس . لقد رأيته الليلة ذابل العين ، كسيف النظر ، منحنى الرأس ، كسير النفس ، ذليل الروح ، فتذكرت موقفا لشاعر معاصر وقف أمام إسماعيل صدقى ثم بين يدى مصطفى النحاس ، فتخيلته « حصل أفندى » وقلت إن هذا هو ذاك بعجره وبجره ، وعينه ومينه ، بنفاقه وكذبه ؛ فرثيت لحال الشاعرين .

نظرت إلى وجوه الرفاق فإذا بهم يخرجون على توقرهم لرب الدار صاحب الدعوة ، وعلى تقاليدهم فى الترفع عن الضعيف المهين ، والتعاظم على الذليل الحقير ، وكادوا يفتكون بذلك الشاعر الآثم ، وقد رأيت « حصل أفندى » حسان الثورة ، شاعر العرب والإسلام ، ينكمش ويتلملم ويلصق جسمه بمقعده وسرعان ما وقف صاحب الدعوة ، ذلك الرجل الواسع الحيلة ، الذى رسم خطته بحكمة وتدبر وقال : ليس فينا من لم يقم بنصيبه فى قتال الأعداء ، ولذلك أقترح تشكيل هيئة حاكمة منكم كالتى كنا نشكلها فى ميادين الثورة لمحاكمة من يخرجون على مبادئها

لم يطل النائب العام كلامه فى بسط وقائع الجريمة لأن الخائن قد خانه دهاؤه وذكاؤه فاعترف بجريمته وعزا وقوعها إلى وسوسة الشيطان ، وطلب بذل وضراعة أن يكون مستقبل أولاده رهينة عند إخوان عرفوه فى حالتى قدرته على النفع وعلى الضرر

اتجهت الأنظار صوب رئيس المحكمة ، وتعلقت أنفاس اللئيم فى شفتى هذا الحاكم الذى لا مرد لحكمه ... وسرعان ما سمعناه يخاطب الجانى بقوله : ليس لى أن أدينك يا « حصل أفندى » بعد اعترافك . لقد كنت فيما مضى أستمد قوة حكمى من الخروج على القانون ، أما الآن فكلنا خاضع لأحكام القانون وليس فينا ، فيما أعتقد ، من يرضى بإدانتك والحكم عليك ، فلك وحدك أن تحكم على نفسك

توهمت أن يد الشاعر امتدت إلى مسدسه تنتزعه من جرابه لتفرغ منه رصاصة فى صدغه ولكن حصل أفندى كان فى شبه ذهول أو غيبوبة

علت الأصوات بالاحتجاج من كل جانب وقد أسكتها

الرئيس بإشارة منه وقال : تعرفون أيها الإخوان أنى أنا الذى أطلقت اسم « حصل أفندى » على صاحبنا هـذا الذى كنتم تقولون إنه شاعر العرب والإسلام وإنى حين كنيته تلك الكنية اعتباطا وارتجالا لم أكن أتوقع أن الحوادث وتطوراتها سترفع القناع عن داء دفين ، وعلة لابدة فى نفس هذا الذى كان دائما فى مقدمة صفوف المجاهدين وقد انقلب فأضحى فى طليعة أجراء المستعمرين

ليس بيت ابن الوردى « لا تقل أصلى وفصلى » هو التخريفة الوحيدة فى هذه القصيدة التى تدل على سذاجة نفس ناظمها وتفكيره الضحل ، وهذا عيب شائع عند من يستشهدون بقول الشاعر اعتباطا وبدون روية

لا أظن أن ابن الوردى كذاب منافق، إنما المنافق الكذاب حقا هو كارل ماركس واضع نظرية محو الطبقات وتلميذه ستالين منفذ تلك النظرية الخاطئة بالقوة لا بالإقناع ، فالمساواة بين الطبقات إنما هى التضليل بعينه ، والدعوة إلى إهمال الأصول وإنكارها والتمسك بما حصل عليه الإنسان أو بما وصل إليه إنما هو الكذب الصراح

قد نجد شعراء ومجتهدين وعلماء وأغنياء وعظماء ومصلحين نبتوا نبتة شيطان من الطبقة الدنيا

لم تكن نفوس المدعوين مهيأة إلى محـــاربة روح الشر بالتسامى أو بالإغضاء من هفوة أو هنة من مواطن فى حق وطنه ومواطنيه . وسرعان ما نهض أحدنا وهو ربع القامة ، عريض المنكبين ، مفتول العضل . يكاد أن يكون رأسه قائما على كتفيه لقصر فى عنقه ، ذو عينين صغيرتين تنبعث منهما نظرة صارمة ، حارب الألمان فى صفوف الفرنسيين ، وقاتل الفرنسيين فى كل ميدان من ميادين الثورة عليهم ، وقال بصوت بدأ هادئا ثم أخذت نبراته تشتد دون ارتفاع .

باسم الثورة لا باسم القانون أنقض حكم حضرة القاضى ، لقد غدوت من غير الخاضعين لقوانين هذا البلد الذى حمانى لأن مجلس وزرائه قرر اليوم إبعادى وسأكون قرب ظهر الغد فى سفينة تنقلنى إلى أوربا ، وإنه ليطيب لى أن أزيل الغم عن صدوركم وأعيد الراحة إلى نفوسكم ، بإصدار حكمى أنا على هذا المخادع الغشاش والداعية الأثيم للطاعة لولى الأمر ولو كان من المستعمرين والخضوع لقوانين الذل والعبودية . والتفت صوب المنكود « حصل أفندى » الذى كان قابعا فى مقعده لا يندى له جبين ، ولا يحمر له وجه ولا يصفر وقال :

لقد كنت تسعى وتتجول وتتنقل من مكان إلى مكان آخر بقدمك هذه ، وإنى لأرى من العدل بل من الرحمة أن أعفيك من إتمام سعيك ، وإبطاء تجوالك بكسر قدمك هذه . وانقض عليه انقضاض الرجل الغاضب لوطنه وكرامة عروبته بلوى مفصل قدم المنكود ليا عنيفا

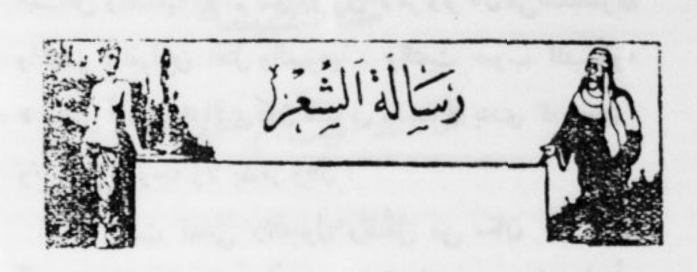
كان الرعديد يصرخ ويولول . لقد استجار بالله ، ورسله وأوليائه ، لقد حلفنا بأولادنا وأعراضنا أن ننقذه من بلائه

لقد كان أيدينا ، وعجزنا على كثرتنا عن تخليص قدم المسكين من قبضة صديقنا المنتقم ، ولم يتركها إلا بعد أن خلع مفصلها

إن أنس لا أنس صاحب الدعوة ، وهو طبيب قتل افتيالا كيف صير بيته مستشفى وقد أقامنا على خدمة من خلفه الشيطان

لقد دار الزمان دورته ولا أحسب إلا أنه أتمها وهى على غير محورها الثابت . ومن سخرية القدر أن يصبح حصل أفندى نائبا عن الأمة يمطلم حتى اليوم فى أحد مجالس نيابة دولة شقيقة

حبيب الزحلاوى



ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

يقدمه الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم

ودعا (الأرقم) استجب تلك دارى … تسع الدين محرجاً محصورا

وائها ، واجمع المصلين فيهـا … عصبة ، إن أردت أو جمهورا (١)

وأبى (ابن الخطاب) يؤمن بالله … ه ، ويختـار دينه المأثورا

قال : كلا ، ان يعبد الله سترا … ويرى نور دينه مستورا

اخرجوا فى حمى (الكتاب) أسودا

واطلعوا فى سنا (النبى) بدورا

ذلكم بيتكم ، فصلوا ، وطوفوا … لا تخافن مشركا أو كفورا (٢)

إرادة قتل الرسول الكريم وهجرته

أجمعوا أمرهم . وقالوا : هو القتـ … ـل يميط (٣) الأذى ويشفى الصدورا

كذبوا ، مادم الهزبر أمانى … مهاذير يكثرون الهريرا (٤)

(١) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضى الله عنه

(٢) لم يكن المسلمون يطوفون بالبيت أو يصلون ظاهرين قبل إسلام عمر

(٣) أماط الشىء أبعده ونحاه (٤) الهزبر الأسد ، ومهاذير جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر الهرير. صوت الكلب دون النباح

لا ورنى ، فإنما طلب الكفـ … ـار بسلا (٥) وحاولوا محظورا

إن نفس الرسول أمنع جارا … من طواغيتهم ، وأقوى مجيرا

ما لهم ؟ هل رمى النبى ترابا … أم عمى فى عيونهم مذرورا ؟

ذهلوا مدة فلمـا أفاقوا … أنكروها دهياء عزت نظيرا

ينفضون التراب : من مس منا … كل وجه ، فرده معفورا ؟

أين كنا ؟ ما بالنا لا نراه ؟ … ما لأوصالنا تحس الفتورا ؟

أمن الحادثات ما يذهل العا … قل عن نفسه ويعمى البصيرا ؟

أين ولى ؟ لقد رمانا بسحر … فسكرنا ، وما شربنا الخمورا

ياله مصعبا لو انا أصبنا … ه على غرة نخر عقيرا

راح فى غبطة ورحنا نعانى … أملا ضائعا ، وجدا عثورا

خيبة تترك الجوانح حرى … يا لها حسرة تشب وتورى

رب آتيته على القوم نصرا … فتباركت حافظا ونصيرا

أنت نجيته ، فهاجر يقضى الـ … ـحق ، لا خائفا ولا مذعورا

يوم ضجت جبال (مكة) ذعرا … وتمنت هضابها أن تمورا (٦)

تتنزى أسى ، وعسكها تـ … ـمها من ورائه أن تسيرا

هى لولاك لارتمت تقذف الصخـ … ـر وتزجى هباءها المنثورا

هاجها من جوى الفراق وحر الـ … ـوجد ما هاج بيتك المعمورا

كاد يهفو فزدته منك روحا … فانثنى راجح الجلال وقورا

يالها من (محمد) نظرات … زخرت رحمة ، وجاشت سعيرا

نظرات شجية لا تعد الـ … ـأهل أهلا ، ولا ترى الدور دورا

قال : ماف البلاد أكرم من مكـ … ـة أرضا . ولا أحب عشيرا

فاسكنى يا هموم نفسى ، إن الـلـ … ـه أمضى قضاءه المقدورا

إننى قد نذرت لله نفسى … والتقى الوفى يقضى النذورا

بقطع البيد بعد صحب كرام … قطعوا غارب العباب عبورا (٧)

كم رشيد آذاه فى الله غاو … زاده طائف الهوى تخسيرا

ضرب الصحب فى البلاد فأمسوا … لا يصيبون صاحبا أو سجيرا

فى ديار لدى (النجاشى) غير … ظل فيها سوادهم مغمورا

وتولى وللأمور مصير … يشترى ربه ، ويرجو المصيرا

(٥) البسل الحرام (٦) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم

(٧) إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين الى أرض الحبشة ، وغارب العباب أعلاه

يوم يمشى (الصديق) فى نوره الزا   هى يوالى رواحه او البكورا
ينصر الحق ثائرا يمنع البا   طل أن يستقر أو أن يثورا
لا يبالى غيظ القلوب ولا يحـ   فل فى الله لائما أو نذيرا
أقبل القوم يسألون أتحت التـ   رب، أم جاور الطريد النسورا؟
نفضوا الهضب والجبال وشقوا الـ   أرض طرا رمالها والصخورا
ويح (أسماء) إذ يجيء أبو جـ   هل على خدها المصون مغيرا
صاح أسماء أين غاب أبو بكـ   ر أجيبى، فقد سألنا الخبيرا
قالت العلم عنده ما عهدنا   أجم الأسد تستشير الخدورا
فرماها بلطمة تعرض الأجـ   يال عن ذكرها صوارف صورا (٨)
قذفت قرطها بعيدا ورضت   من وجوه النبى وجها نضيرا

فى الغار الأكبر، غار ثور

غار ثور أعطاك ربك ما لم   يعط من روعة الجلال القصورا
أنت أطلعت للمالك دنيا   ساطعا نورها ودينا خطيرا
صنته من ذخائر الله كنزا   كان من قبل عنده مذخورا
يخفر الحق لاجئا يتوق   قام فيه (الروح الأمين) خفيرا
وقفت حوله الشعوب حيارى   من وراء العصور، تدعو العصورا
يا حيارى الشعوب ويحك إن الـ   حق أعلى يدا وأقوى ظهيرا
لا تخافى فتلك دولته العظـ   مى تناديك أن أعدى السريرا
جاءك المنقذ المحرر لا يتـ   رك قيداً، ولا يغادر نيرا (٩)
ورث المالكين والرسل الهـا   دين بالحق أولا وأخيرا
الحكيم الذى يهد ويبنى   فيجيد البناء والتدميرا
والزعيم الذى يسن ويقضى   لبنى الدهر، غيباً وحضورا
تتراءى الأجيال بين يديه   تتلاقى النظام والدستورا
ليس فى الناس سادة وعبيد   كبر العقل أن يظل أسيرا
خلق الكل فى الحقوق سواء   ما قضى الله أمره مبتورا
كذب الأقدياء ما ظلم اللـ   ـه، وما كان مسرفا أو قتورا
دبر الملك للجميع، فسوى الـ   أمر فيه، وأحكم التدبيرا
يا (نصير الضعاف) حرر نفوساً   تتمنى الفكاك والتحريرا
ضجت الكائنات: هل من سفير   يتلافى الأذى؟ فكنت السفيرا

(٨) من الصوارف والصور وهما بمعنى الميل والانصراف

(٩) النير هو الخشبة توضع على عنق الثورين ليجرا ما يراد جره

رب آتيتنا هداك، وأنزلـ   ـت علينا كتابك المسطورا
فلك الحمد وافرا مستمرا   ولك الفضل باقيا مذكورا

أبو بكر الصديق وحية الغار (١٠)

صاحب القائم المتوج بالفر   قان، بوركت صاحباً ووزيرا
أنت واليته، وعاديت فيه   من توخى الأذى، وأبدى النفورا
أو لم تتخذ أباك عدوا   وتذقه الهوان كيما يجورا؟
إذ يقول (النبى) لا تضرب الشيـ   ـخ، وإن سبنى، ودعه قريرا
إنما نلت بالسعادة منه   والدا مدبرا، وشيخاً ضريرا
ليت شعرى: أصبت حية واد   نفثت السم، أم أصبت حريرا؟
نفثت سمها، فما هز (رضوى)   من وقار، ولا استخف (ثبيرا)
خفت أن توقظ (النبى) فما يرضـ   ـيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك، لقد أعـ   ـطاك سبحانه، فأعطى شكورا
أى رأس حملت يا حامل الإيـ   ـمان سمحا والبر صفراً طهورا؟

سراقة بن مالك يريد قتل النبى (١١)

إتق الله يا سراقة وانظر   هل ترى الأمر هينا ميسورا
أم تظن الجواد تمسكه الأر   ض وتلوى عنانه مسحورا؟
أم هو الله ذو الجلال رماه   بعك الشر راكضا مستطيرا؟
غرك القوم، فانطلقت ترجيـ   ـه خسيسا من الجزاء حقيرا
وضح الحق، فاعتذرت وأولا   ك الرسول الكريم فضلا كبيرا
فزت بالعهد فاغتنمه، وأبشر   (بسوارى كسرى) فديت البشيرا
قل لأهل النياق: أوتيت أجرى   حللا فابتغوا سواى أجيرا
ليس من رام رفعة أو سناء   مثل من رام ناقة أو بعيرا

بلبع

(١٠) وضع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف فى حجر الصديق فنام على ركبتيه، وقد بقى فى الغار شق لم يسد، فوضع الصديق قدمه فيه فلدغته الحية، فاحتمل أذاها، وكره أن يتحرك فيوقظ النبى، وقيل ان عينه دمعت فسقط الدمع على وجهه الشريف فأيقظه

(١١) جعل كفار قريش لمن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أو يأسره مئة ناقة – فذهب سراقة فى أثره. قال سراقة بعد أن ساخت قوائم فرسه مرارا، وبعد أن اعتذر إلى النبي الكريم: يا محمد انى لأعلم أنه سيظهر أمرك العالم، وتملك رقاب الناس، فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك – فأمر عامر بن فهيرة، وقيل أبا بكر فكتب له العهد الذى طلبه (أسلم بالجعرانة رضى الله عنه) قال له النبي عند منصرفه: كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى، وقد ألبسه عمر إياهما فى خلافته لما فتحت بلاد فارس



الانسان بين المادية والاسلام

تأليف الاستاذ محمد قطب

عرض وتعليق

للاستاذ حسين عبد الفتاح سويني

تتمة ما نشر فى العدد الماضى

« المجتمع حاجة نفسية ، تنبعث من نفس الفرد ، من رغبة ملحة فى ألا يعيش وحده ، وسواء كان الخوف، والشعور بالوحشة أمام الحيوانات المفترسة ، وقوى الطبيعة المجهولة ، أوكانت المصلحة حين وجد كل فرد أنه يستطيع أن يدرك بالاشتراك مع غيره ، مالا يستطيع أن يدركه وحده ، أو كانت غريزة الجنس ، أو نزعة التطبيع ، فالنتيجة الأخيرة واحدة ، وهى أن نزعة لا تقهر ، هى التى أنشأت المجتمع من ضمير الفرد . . . . . .

« وقد كان أمراً طبيعيا أن يكون المجتمع الأول فى أضيق نطاق ممكن ، وابسط صورة ممكنة : أسرة : زوج وزوجة وأبناء. فتلك أول مجموعة يمكن أن تتغلب فيها نزعة الاجتماع ، على النزعات الفردية المستقلة ، وتخضعها لسلطانها بأى طريق . ومنذ تلك اللحظة، صارت الأسرة ،هى الوحدة بدلا من الفرد، ومع أن الفرد ظل محتفظاً بكيانه ، كشخصية مستقلة ، إلا أنه قد اكتسب فى الوقت ذاته صفته الأخرى ، كعضو فى جماعة ، ولم يعد فى طوقه أن يحس أو يفكر أو يعمل إلا بصفتيه فى آن واحد » هذه صورة يعرض عليك فيها حاجة الفرد إلى المجتمع الذى يعيش فيه، ولا يمكن أن يكون مستقلا بذاته،غنيا بفرديته. تقابلها صورة أخرى حين يراد للفرد أن يخضع نزعته الجماعية إلى آخر المدى ، على حساب فرديته وذاتيته،فى الدول الدكتاتورية أو الشيوعية

«إن الإنسان فى آفاقه العليا، كائن له إرادة حرة، وكيان مستقل، صحيح أن له إرادة يحدها الصالح العام، وكيانه المستقل، يخضع لقدر من الإشراف يتحقق به فى النهاية صالح الفرد ذاته بتحقيق صالح المجموع ، ولكن الفرد فى المجتمع الحر له رأى فى تكييف هذا الصالح العام ، وفى طريقة تنفيذه ، رأى حر يتشاور فيه الناس علانية ، دون خوف من سلطان الدولة . . ومجسس الرقباء . . . . والفرد حر فى مشاعره التى لا تؤذى غيره ، يصوغها كما يشاء كيانه ، وبنيته النفسية الخاصة ، حر فى فلسفته الشخصية التى ينظر بها إلى الحياة والكون فى حدود الإطار الذى يتحرك فيه الجميع ، متعاونين غير متصارعين ، وحر فى اختيار العمل الذى يناسبه ويشعر أنه ميسر له »

« وإن إنكار حق الفرد الممتاز فى القيادة والتوجيه لجريمة مزدوجة ، فهو أولا يبدد طاقة بشرية من نوع نادر ممتاز كان يمكن أن يستفيد بها المجموع لو أتيحت له الفرصة المناسبة ، وهو كذلك يظلم هذا الفرد حين يعامله معاملة الأفراد العاديين ، بدعوى المساواة المطلقة بين الجميع ، فطالما أن الناس مختلفون فى طاقاتهم الفردية ، واستعداداتهم الجثمانية والفكرية والنفسية فدعوى المساواة المطلقة خرافة حمقاء »

وهذه صورة ثالثة للانسان فى وضعه السوى رسمها له الإسلام

« النظام الصالح هو الذى يوازن بين الفرد ومصالحه ، وبين صفتيه المكونين له ، كفرد مستقل ، وعضو فى جماعة، كما يوازن بين الجيل الواحد والأجيال المتعاقبة فى نطاق الإنسانية الشاملة الرحيبة

« إن مجرد الإسلام يعطى المسلم حصانة من الاعتداء على كرامته الإنسانية ، وحقوقه البشرية ، وأنه حين يكرم الفرد إنما يكرم المجتمع بأ كله »

وهل كان الفرد إلا ذرة فى المجتمع الذى يعيش فيه ؟

« لذلك يعنى الإسلام عناية شديدة بكل فرد على حدة ، لأنه الوحدة التى ينشأ المجتمع من اجتماعها بغيرها من الوحدات ،

والجنبة التي يقوم عليها البناء »

وحينما يتحدث عن الجريمة والعقاب، يقارن بين الأمم ، التي تقدس حرية الفرد وتعتبر أن المجتمع هو المسئول عن جرائم أفراده ، والأمم ذات النظم الجماعية « التي تبالغ في الحط من قيمة الفرد ولا تعترف له بكيان مستقل فتقسو تبعا لذلك في الحكم على جرائمه » . والإسلام الذي يوائم بين الفرد والجماعة فلا يحيل مع الفرد على حساب الجماعة . ولا مع الجماعة على حساب الفرد . وإليك قوله فيه

« أما الإسلام فله رأيه في الجريمة والعقاب ، ينفرد به بين نظم الأرض ، ويمسك فيه بميزان العدالة المطلقة بقدر ما يمكن أن يتحقق في دنيا البشر — فلا يسرف في تقديس حقوق الجماعة ولا يسرف في تقديس حقوق الفرد . . . . وذلك تبعا لنظريته المتوازية التي ينظر بها إلى الناس ، لا من واقعهم الأرضي المحدود ولا من زواياهم المتضاربة ، بل ينظر إليهم من أعلى ، من السماء ، فيراهم كلهم في لحظة واحدة ، بنظرة واحدة شاملة ... فحينذاك لا يبدون فردا وجماعة منفصلين متقابلين ، بل يبدون وشائج متصلة ، وعلاقات متداخلة ، لا يمكن فصل بعضها عن بعض »

« والاسلام لا ينظر للجريمة بعين الجماعة فحسب ، بل يمسك الميزان من منتصفه ، فينظر إليها كذلك وفي ذات الوقت بعين الفرد الذي تقع منه الجريمة

فهو حين ينظر إليها بعين الجماعة فيقرر حقها ، في حماية نفسها من الجريمة ، ويفرض لذلك العقوبات ، ينظر إليها كذلك بعين الفرد ، فيرى مبرراته ودوافعه لارتكاب الجريمة ، فيعترف بها ، ويعطيها حقها الكامل من التقدير والرعاية ، ويعمل على إزالة كل الدوافع المعقولة ، قبل أن يفرض العقوبة »

وحينما يتعرض للمشكلة الجنسية ، يتعرض تعرض الرجل الخبير بطبيعة الجسد ؛ العليم بطبائع النفوس ؛ فلا تفوته رغبة من رغبات الجسد ، ولا نزعة من نزعات النفس ؛ ولا رأى من الآراء إلا حلله ليأخذ منه الصواب ؛ ويدع الخطأ أو يبدى رأيه المستقل حين لا يقتنع برأى من الآراء . كل ذلك في أسلوب ساحر ؛ وحساسية مرهفة ، وشعور طلق رحيب ، وعقل باحث منقب ؛ يقتحم بك المادة فتشعر بحرارتها وثقلها ؛ وينطلق بك طائراً في روحانية شفيفة ، يجتاب الآفاق ، ويرتاد العوالم ، فتسمع معه همس الحور في قصور النور ، أو مناغاة الجنيات في عالمها المسحور

استمع إليه حينما يبين العلاقات بين الجنسين في أسلوبه الشيق العالي

« إن الرجل في حاجة إلى المرأة ، والمرأة في حاجة إلى الرجل لشيء آخر غير ضرورة الجسد ، ودفعة الغريزة ، إن كلا منهما ليجد عند الآخر ، وفي رحابه (مشاعر) نفسية . الألفة والحنان والود .والتعاطف . مشاعر لا يجدها في أي مكان آخر ، لا يجدها الرجل كاملة عند الرجل ، ولا المرأة عند المرأة

« إن كلا من الجنسين في حاجة إلى فرد من الجنس الآخر ، يلقي إليه نفسه كلها . مشاعرها ، وأفكارها ، وينكشف له عن كل أسراره الدفينة ، ويتجاوب معه ويتعاطف ، ويجد منه حافزا وعونا لمواجهة الحياة ، وتبعاتها المختلفة

« وإن الدنيا كلها لتنفتح لقلبين متحابين متآلفين ، ولا تنفتح لقلب واحد محروم من الحب والعطف ، مقطوع من الألفة العذبة ، ولو كان أكبر قلب لأعظم إنسان ، بل هو لن يكون قلبا كبيرا ، وهو محروم من غذائه الطبيعي ، الذي لا تنقضي الحاجة إليه

« وتلك وقائع . قد يفتن الشعر في تصويرها ، في عالم المثل والأحلام ، ولكنها بغير شعر ولا فن ، وقائع علمية تشهد بصحتها الحياة كلها منذ فجرها إلى اليوم »

الله . ماذا يمكن أن يقول قائل أروع من هذا . وهل في الشعر أو النثر ما يعادل هذه الروعة ، التي تأسر الألباب ، وتأخذ بمجامع القلوب ؟!

ثم استمع إليه وهو يتحدث عن شعور الحرمان ، لتحس معه أنت أيضا بشعور الرجل المحروم من الطفل ، أو المرأة المحرومة منه ، وكيف تقابل طبيعة كل منهما هذا الحرمان

« وقد يجد الرجل أحيانا عملا ، أو فكرة يغرق فيها نفسه ليسكت هذا الهاتف الملح ، والحنين الملهوف للطفل ، ولكن المرأة

ما أقسى حياتها بغير طفل ! إن الطفل جزء من المرأة حقاً ومجازاً ، جزء من جسدها تحمله ، وتغذيه من دمائها ، ثم من لبنها وهو ، خلاصة دمها ، وجزء كذلك من كيانها النفسي ، بحيث تشعر أنها معطلة ، أو ناقصة ، أو عاجزة ، إذا لم تأت بنسل »

وحينما يتحدث من الإحساس الجنسي ، يبين لك ألوانه ودرجاته ، ألوانه بريشة الفنان المبدع ، ودرجاته بمقاييس العاطفة الدقيقة ، فيشعرك بحرارة الجسد حينما تتخلله الرغبات العارمة الحارة ، وانطلاقات الروح حينما تتخلص من قيود المادة ، وتنطلق في عالم الصفاء واللطف

« هنالك الشهوة العارمة التي تتمثل في الجسد الهائج ، والجوارح الظامئة ، والعيون التي تطل منها الرغبة الهائجة المجنونة

وهنالك الشهوة الهادئة المتدبرة ، التي تمد المدة في ترتيب وأناة ، حتى تظفر بما تريد على مهل ودون استعجال

وهنالك الأشواق الحارة الملتهبة ، التي تنبع من الجسد ، ولكنها تمر في طريقها على القلب فيصفيها من بعض ما بها من (المكارة) أو يعطيها قسطاً من العاطفة تمتزج بصيحة الجسد الملهوف

وهنالك الأشواق الطائرة المرفرفة التي تنبعث من القلب ، وقد تمر في طريقها على الجسد فيمنحها بعض لهيبه المحرق وقد يختلط بها بعض المكار ولكنها تظل محتفظة بكثير من الصفاء

وهنالك إشراقة الروح الحالمة ، وقد صفيت من المكار كله ، وصارت صفاء مطلقاً ، لا يعرف الجسد ، وإشعاعة لا تعرف القيود ، تعشق الجمال خالصاً حتى من الإطار الذي يصب فيه

« وهنالك ألوان أخرى لا تدركها الألفاظ ، ولا يقدر عليها التعبير »

« وبين هذه الألوان المختلفة مئات من الأحاسيس ، تشترك في الأصل ولكنها تختلف فيما بينها أشد الاختلاف

فأي كسب للانسانية في أن تقول مع القائلين « كله في النهاية جنس »

أرأيت كيف يتدرج بك من نيران الرغبة الملتهبة إلى أنوار الحب الطاهر الطائر البرئ ، وينقلك من لفح الجحيم ، إلى نفح النعيم في خفة ورشاقة ، وبراعة ولباقة ، ودقة وأناقة

وحينما يتحدث عن القيم العليا ، ويسائل منكراً ، أو يستفهم مستنكراً لما يقوله العلماء التجريبيون ، يشعرك معه بالسخرية الحارة مما يقولون :

« هل القيم العليا كلها خرافة ، والمشاعر النبيلة كلها أوهام ؟!

« هل كانت عبثاً كل دعوة الأنبياء والمصلحين ، وكل محاولة لتهذيب الطبائع البشرية ؟! وهؤلاء العظماء من كل لون وفي كل باب الذين ضحوا بمصالحهم لصالح الإنسانية ، الذين استعصوا على دعاء الشيطان ، واستمعوا لهاتف الضمير ، الذين أقاموا أنفسهم مثلاً رفيعة للعدل والنزاهة والرحمة والتعاطف ، والاعتداد بالكرامة ، والإيمان بالأفكار العليا والجهاد في سبيلها . هل كانوا كلهم خرافة ؟!

أبو بكر . وعمر . وعلي . وأبو عبيدة . وأبو ذر . وعمر بن عبد العزيز ... وأخناتون . وغاندي . وبوذا وغيرهم وغيرهم .. كلهم أوهام ؟ »

ثم انظر إليه بعد ذلك وهو يمزق تلك الصورة القذرة . التي رسمها فرويد للانسانية ، ليلوث بها كل جميل في مشاعر البشر ، ويهوى بالإنسانية إلى درك سحيق من الانحطاط والتردي . وكيف يرد عليه من نفس كلامه ويمسك بتلابيبه ، ويضيق عليه الخناق حتى لا يستطيع جواباً

« قتلت الإنسانية أباها الأول ليستمتع الأولاد بأمهم في شهوة جنس دنس مسعور ، ولكنهم ما كادوا يصنعون ذلك ، ويرون أباهم جثة هامدة ، حتى اعتراهم الندم على فعلتهم الآثمة »

وهنا يأخذ الرجل من لسانه كما يقول :

« من أين يأتي الشعور بالندم لهذه الحيوانات الهائجة ، التي تتصرف بدافع الحيوان ؟ من الذي أوحى إليهم أن عملهم هذا كان خطأ لا يجوز ؟ إننا هنا أمام شعور إنساني يفرق بين الإنسان والحيوان

فهذا الندم على الجريمة ، يؤكد وجود الحاسة التي تفرق بين

ما ينبغى ، وما لا ينبغى أن يعمل ، وبين ما هو خير ، وما هو شر ، حاسة تقدر قيما ذاتية للأعمال ، بصرف النظر عن الدافع الفريزى الذى يدفع إليها »

هذه واحدة

« ثم نظر الأبناء فيما بينهم ، فوجدوا أن أحداً منهم لن يفوز بأمه ، إلا إذا قتل الآخرين ، وإذن فستنشأ معركة عنيفة ، لا تؤدى إلى تحقيق المصلحة المنشودة ، فاتفقوا بينهم على أن يتركوا أمهم لا يمسها أحد منهم ، وينصرفوا راشدين متآخين بدلا من أن يقتتلوا فينقلبوا خاسرين »

« وهذه هى الثانية

« شعور إنسانى آخر . شعور التآخى على مصلحة عامة ، بدل الأنانية القاتلة والصراع المرذول »

وإنما ساق هذا القول من أقوال فرويد ، ليبين أن الإنسانية فى أوضاعها الأولى ، يوم كانت على فطرتها : لم تهذبها تعاليم الرسل ، ولا آراء المصلحين ، ولا عقول المفكرين . كان فيها استعداد فطرى، لأن تندم على الإثم ، وأن تعمل على تحقيق النفع المشترك ، وأن تنفر من التنازع والخصام

وقبل أن أنتهى من هذه الكلمة ، أحب أن ألفت النظر إلى أسلوب المؤلف اللاذع الساخر ، حينما يريد أن يسخر برأى من الآراء أو يفند قولا . ولكنها السخرية التى تجرى فيها الحكمة ، ويظهر فيها الاتزان . ومع ذلك فهو يرغمك على أن تضحك ، وتغرق فى الضحك، مع أنك مع كتاب جاد رصين

فانظر إليه وتخيل معه حالة البشرية ، لو أنها نفذت كلها تعاليم المسيحية ، واعتزلت فى الصوامع والأديرة

« أى كارثة كانت تصيب الإنسانية ، لو أن الناس كلهم قد اعتزلوا فى الصوامع والأديرة ، فانقطعت الحياة بانقطاع النسل ووقف التقدم البشرى كله بانصراف الرغبة عن الحياة الدنيا ، إطاعة لأوامر السماء »

ثم استمع إليه، وهو يصور لك حالة المسيحيين داخل حدود الكنيسة ، وحالتهم وهم بمنأى عنها

« إذا كانت المسيحية لأسباب سياسية وتاريخية ، قد انتشرت فى رقعة كبيرة من الأرض ، فإنها مع ذلك لم تطبق تطبيقا عمليا ، وإنما بقيت فى حدود الكنيسة ، لا تبسط من ظلها على الأحياء إلا وهم خاشعون فى صلاتهم ، يسمعون التراتيل الساحرة ، والصلوات المؤثرة ، فإذا انطلقوا بعد ذلك إلى أعمالهم انطلقوا إليها بشراً لا مسيحيين ، لا يدير أحدهم خده الأيسر لمن لطمه على خده الأيمن ، ولا يقلع أحدهم عينه ، ويلقيها عنه لأنها تعثره ، ولا يرضى بأن يهلك عضوا واحدا من أعضائه ، تكفيرا عن إثم من الآثام »

ثم اسمع إليه وهو يسخر من الشيوعيين الذين لا يرون للأخلاق قيمة ذاتية — إنما هى أشياء ابتدعها الرأسماليون — ولا يرون فى الجريمة الجنسانية جريمة ، لأنهم مضطرون ، إلى إطلاق القطيع على سجيته . وإذن فأين الجريمة ؟

« الجريمة الكبرى فى الدولة الشيوعية ، الجريمة التى تنشق لها السماء ، وتنهد الجبال هدا ، هى انتقاد النظام الشيوعى أو التعرض للإله الأكبر « بابا ستالين » أو أحد من الآلهة السابقين وخاصة الإله — لنين — تقدست أرواحهم ولهم الأسماء الحسنى — عند ذلك ينقضون جميعا على هذا المجرم الأثيم — فيسرعون به إلى المشنقة إن أرادوا به الرحمة أو ينفونه فى ثلوج سيبريا . إذا أريد له العذاب ، وعندئذ تخرج الصحف الروسية . مفاخرة مباهية ، بأن الدولة قد قامت بحركة تطهير ، لحماية النظام »

وفى الكتاب من هذه اللذعات كثير !

وبعد — فهذا الكتاب رحلة شائقة إلى ينابيع الحقيقة ، ... ميمونة إلى مناهل المعرفة . صاحبه شاعر بارع . علاوة على أنه كاتب محقق ، وبأسلوب الشاعر وتحقيق الكاتب أخرج هذا الكتاب

صبحى عبد الفتاح سويفى



ليس في القرآن أساطير

يقول الأستاذ توفيق الحكيم في كتابه الجديد (فن الأدب) الذي طبعته ونشرته مكتبة الآداب بالقاهرة ما نصه :—

(لقد أتى القرآن بجديد في فن الكتابة لا اللغة وحدها بل القصص والأساطير ، لقد استخدم الفن القصصي في التعبير عن المرامي الدينية ، ولكن المدهش أن الأدب العربي لم ير في القرآن إلا نموذجا لغويا .. ولم يرفيه النموذج الفني . فلم يخطر له استلهام قصصه ، أو استغلال أساطيره استغلالا فنيا مستفيضا ... الخ) (صفحة ٢٤ من الكتاب المذكور)

ولست أدري على وجه التحقيق ماذا يريد أديبنا الكبير الأستاذ الحكيم بنسبة الأساطير للقرآن الكريم ؟ وهل يحتوى كتاب الله المنزل على رسوله الصادق الأمين أساطير تستغل استغلالا فنيا أو غير فني ؟ ومن هم الذين عناهم الله بقوله في (سورة الفرقان) آية ٥ (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)

وإذا كان يقصد بالأساطير القصص فإن الفارق واضح بين القصة والأسطورة .. والقرآن الكريم (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(سورة فصلت آية ٤٢)

(وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق) سورة هود

(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) (سورة يوسف آية ٣)

(كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) سورة طه آية ٩٩)

وبعد فلعل الأستاذ الحكيم يرمي إلى معنى آخر غير المعنى المفهوم من الأساطير ... وأترك المجال لغيري من أهل البحث والتحقيق . والله ولي التوفيق

سلامه خاطر

في الشعر السياسي :

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الإذاعة المصرية في عددها الصادر بتاريخ ٣ من مايو سنة ١٩٥٢ مقالا قيما للأستاذ نجيب محمد البهبيتي وقد جاء في آخره ما يلي :—

يقول شاعر الخوارج في قتل ابن ماجم لعلي كرم الله وجهه

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فيأخذه شاعر الشيعة فيقلبه هذا القلب لاعنا قائله وهو عمران بن حطان

يا ضربة من غدور صار ضاربها
أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه
وألعن الكلب عمران بن حطانا...»

وقد ذكر جمال الدين أبو بكر الخوارزمي في الباب الثامن في فتنة الخوارج من كتابه « مفيد العلوم » ما يأتي بعد أن ذكر خبر معاوية وعمرو .—

فقالت الخوارج :—

يا ضربة من تقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حينا فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فأجابه عمران بن حطان : —

يا ضربة من لعين ما أراد بها
إلا ليهدم للاسلام أركانا
أضحى غداة تعاطاها بضربته
مما عليه من الاسلام عريانا
طوراً أقول ابن ملعونين ملتقطا
من نسل إبليس بل قد كان شيطانا



هندي من الحمر

عن فرنز ميلر

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

قال التلميذ عن نفسه وهو يتحنى : روبرت سنو لكننى كنت أعرفه من قبل ، فهو أكبرنا سنا ، وإن كنا أقدم منه عهداً فى الدراسة . إنه يمتاز بلون برنزى ، وعينين غائرتين تبرقان فى الظلمة

لم نلبث أن تعارفنا . وأخذنا نتبادل التحايا والبسمات الصامتة ، ثم جاء يسأل عن حجرة يسكن فيها ، فأخبرته بوجود حجرة خالية إلى جانب الحجرة التى أقيم فيها ، فوافقه ذلك . . أصبح جارى ، فصار يزورنى مساء ، فأقدم إليه قدحاً من الشاى الساخن ... حتى أوشك تحفظه أن يزول بتوطد الصلة بيننا ، وسألته مرة :

— أتدرى أنى أغبطك ؟ .

قال باسماً : — علام ؟

— على لون طلعتك . . هذا الغريب الجذاب ، الذى يذكرنى بلون الهنود الحمر

— لا غرابة فى ذلك ، فأنا هندى من الحمر !

وطفق يحدثنى بأخباره الخاصة .. كان يحيا بين الغاب والبحيرات ، فيجد فى الغاب حيواناً يأنس إليه ، كما يجد فى البحيرات ماء يسبح فيه ويشرب منه .. فسألته :

— وما الذى دعاك إلى ترك عالمك الجيل واستبداله بعالم الدراسة

فأجابنى بقوله : — قال أحد العرافين لأبى أنى ذكى فطن ، لا يجب تركى عابثاً عند بحيرة (هرنين)

— وبعد ؟

— وبعد تركت عالمى وجئت إليكم

فصمت ، ولم ألبث أن سألته بكثير من الكياسة والتردد :

— ترى أرضيت عن ثقافتنا يا صاحبى ؟

قال :— خلت نفسى ثملا .. وأنا أرى الشوارع والنور ... وآلاف الأعاجيب الأخرى .. فكنت أمر مذهولا شارداً ، أتحسس ما أرى وما أشاهد كى أتأكد أننى لست أحلم !

إن أمواج بحيرة هرنين لم تكن لتربنى كل هذه الأعاجيب !

إن العجيبة الأولى التى أذهلتنى هى السفينة المظيمة التى حملتنى ، وعبرت بى المحيط !

لقد خلت نفسى وأنا أراها تسير بسرعة وثبات على سطح البحر الزاخر .. أنى أمام عمل من أعمال الآلهة . وقد ركعت حينئذ وصليت من شدة رهبتى !

ثم صمت ، وأنشأ يحرك الملعقة فى كوب الشاى ، فتحدث حركته رنيناً حزيناً ، عاد بعد انقطاعه يتمم حديثه فيقول .

— لم تكن حياتى الماضية تشمل غير الواضح المألوف . لكننى كنت أعجب وأنا أقصد البحيرة أن أجد فى طريق ريشة طير ذات ألوان جذابة مفرحة . كانت تبدو لى كأنها تخصنى بتحية الصباح ، لقد كنت أتناولها فرحاً وأداعبها مسروراً .. فأمسحها بجبينى تارة وبوجهى أخرى ، وإذا ما هبت الريح كنت أرفعها وأرميها عالياً مع مسرى الريح .

— يا لها من لذة !

— .. كانت أموركم ألذ بكثير

والرواية التى ذكرها الخوارزمى تدل على أن عمران بن حطان كان شيعيا وقد يكون بأبياته قد عارض الخارجى فى مدحه قاتل على كرم الله وجهه ؛ وكيف يلمن نفسه كما ذكر الأستاذ نجيب ؟

فما رأى الأستاذ نجيب فى هاتين الروايتين وأيهما أحق بالتصديق

شطانوف محمد منصور خضر

— ولماذا تقول كانت ، أو ليست كذلك الآن ؟

— أبداً ..! إن التعليل والتشريح والتبسيط حطمتها ، وذهبت بروعتها وقدسها ...

— لا أفهم ما تقول

لم يجبني ، بل نهض وفارقني بعد تحية سريعة

بقيت تلك الليلة أفكر في قول صاحبي ... حتى طار النوم من عيني !

وفي الغد كنت أجلس بجانبه في المختبر ، وأمامنا بطاريات الزجاج مبعثرة على المنضدة ، في حين كان مصباح بونش يشع نوراً أزرق ، توشك العين ألا تراه ! وما كان أستاذنا قد حضر بعد ، فقال لي رفيق :

— ألم تلاحظ وجه السبورة السوداء تلك ؟

— لاحظتها كثيراً ، فقد كتبت عليها مئات المعادلات

— لم تفهم قولي ، قلت لك وجهها ..

فحولت نظري إلى اللوحة ، فلاحظت أن الأبخرة المتصاعدة من الأحماض قد تركت على سطحها أشكالا وخطوطاً غريبة ، لو نظرها شخص بانتباه ، لبدت له من تعاريج الخطوط رسم وجه لإنسان عبوس ! فقلت لصاحبي :

— حقا إنه يبدو كوجه إنسان

— أتعلم وجه من هو ؟..

قلت ساخراً : — إنه .. وليد الاتفاق والمصادفة !

فقال مقاطعا — هذا هو وجه العلم ! قد صورته مبتكرات العلم ، فإذا هو وجه عنيد متجهم ، لا تنبئ أساريره بأي معنى من معاني الرحمة !

وهنا دخل الأستاذ ، فانقطع كلامنا ، لكني بقيت حائراً أستعيد رأي صاحبي ولا أدري أأصدقه أم أكذبه « وجه العلم العنيد المتجهم » ؟ فأمضي بنظري إلى اللوحة ، تاركا الأستاذ يشرح ويطيل ، لأرى وجها عنيدا متجهما حقا !

لا ريب أن التبسيط يحطم اللذة والروعة ، فلو بسطنا أسباب ظهور الوجه على سطح اللوحة فإننا لن نشعر بعد ذلك ، بمثل ما يشعر هذا المهندي نحو ذلك الوجه الغريب !

.. وفي طريق عودتنا إلى غرفتينا قلت لصاحبي :—

— إني قادر على فهمك بعد الآن

قال — هيهات . فأنت قد ولدت هنا في عالم العلوم ، لا في عالم الطبيعة .. إنك لم تتمدد على العشب الأخضر ، ولم تتفهم أسرار الحقول ، فلا يمكنك أن تبثها أحزانك أو تشرح لها آلامك كما أفعل أنا ! هذه لوحاتكم ، ما رأيتم فيها غير المعادلات والحاسبات .. والأحرف الكثيرة الجامدة ! حين ثمة لوحات لنا عند بحيرة هرنين ترينا الطبيعة وكيف تحنو ، والأيدي ، وكيف تتساند ! حتى أنها ترينا الآلهة وهي ترتفع وتسمو عن ...

وصمت فجأة ! وكأنه استدرك ورأى أنه يقول ما لا ينبغي ، فودعني ومضى عن طريقي .. لقد قدرت ألمه ولم أحنق عليه ، وما كان المساء حتى طرق بابي وقال :

— لقد كنت قاسيا معك

فكان جوابي أن قدمت إليه كوب الشاي

وحين رفع الكوب إلى فمه ، أخذ يبعث إلي بأنظاره من فوق حافة الكوب ، فبدت لي عيناه عندئذ غائرتين أكثر من قبل ! ثم واجهني وقال :

— كان الأجدر بي أن أتصف باسمي فأكون باردا كالثلج .. على الأقل معك أنت

فلم أجب ، فاستمر يقول :

— إن الهدوء والرزانة من صفاتي .. لكن التبسيط الذي يذهب بروعة الأشياء !

فسألته قائلا : لماذا تطلب العلم إذن ؟

— كان المبشر قد أحسن إلي كثيرا ، فحين زودني بالمال وحثني على طلب العلم لم أستطع الرفض

— ولماذا تخصصت في العلوم ؟

— أخبروني هنا أني أهل للعلوم ! إنهم يريدون أن يجردوني من الخيال ، من خيالي اللذيذ ! لأنني في المعادلات المقيمة ، لكنني لن أفعل هذا .. لن أفعل !

فصمت قليلا في حين كانت عيناه تبرقان ثم عاد يقول :

إن أهل العلوم قد أفسدوا على أحلامي وخيالي ، قالوا لي إن هذا من هذا ، وإن الماء هو الجمع بين ذرة من أكسجين مع ذرة

من هيدروجين ! وإن ورد الزنبق مؤلف من هيدرات الكاربوليك والنيتروجين ! وإن ماكنة السفينة بسيطة ، فالمحرك لا يدور بقدرة الإله كما كنت أعتقد ، بل بقدرة .. البخار ! لقد حللوا لى الأشياء ، وبسطوها وشرحوها ، حتى بدت لى عادية بسيطة تافهة لا روعة فيها أبدا

قلت له : إننا لا نؤمن بوجود الإله فى محرك السفينة ، لكننا نؤمن بوجوده فى محل آخر

— تعنى الكنيسة ؟ دخلتها مرة فشعرت بنفور أعمق من نفورى من المعادلات

— ما قولك إذن فى شعرائنا ؟

— أولئك شعراء ؟ إنهم لا يؤمنون بالله فى حين يدعون أبدا أنهم يؤمنون ! لقد لاحظتهم وهم منفردون بأنفسهم يرتلون الشعر ، فرأيت السخرية تبدو فى وجوههم واضحة كلما جاء ذكر الإله !

وقلت وقد أزعجنى كلامه — ألست معى فى أن للعالم اسما مهيبا محترما ؟

— أنا معك فى أن له اسماً مهيباً محترما.. فقط ! لكنه هو نفسه خال من الصفتين ! أنكم تقولون عن العلم أنه سام كالآلهة وأن له أغواراً عميقة ليس لها قرار ! ثم أراكم تنزعون ثوب تلك الآلهة ، المعبودة ، وتتركونها عارية ، ثم تجهزون عليها وتجردونها حتى من الخجل

— الخجل ، ما معنى الخجل ياسيدى ؟

— ألم تسمع قول أستاذنا فى الكيمياء ؟ لقد قال ان ما ندعوها (بالحياة) مؤلفة من كذا أحماضا وكذا قلويات .. إلى آخر هذه الأشياء التى نسيتها

فوجدت صاحبى يمضى إلى مذاهب متشعبة ، وأن لا فائدة من معاندته ولا من تشجيعه على ما هو فيه ، فقلت له :

— إذا نلت الدكتوراه فستغدو حرا ، ولك ألا تنتبه إلى المحاضر ولا إلى المعادلات ، ولك ألا تهتم إلا بعالمك الذى نحن إليه

* * *

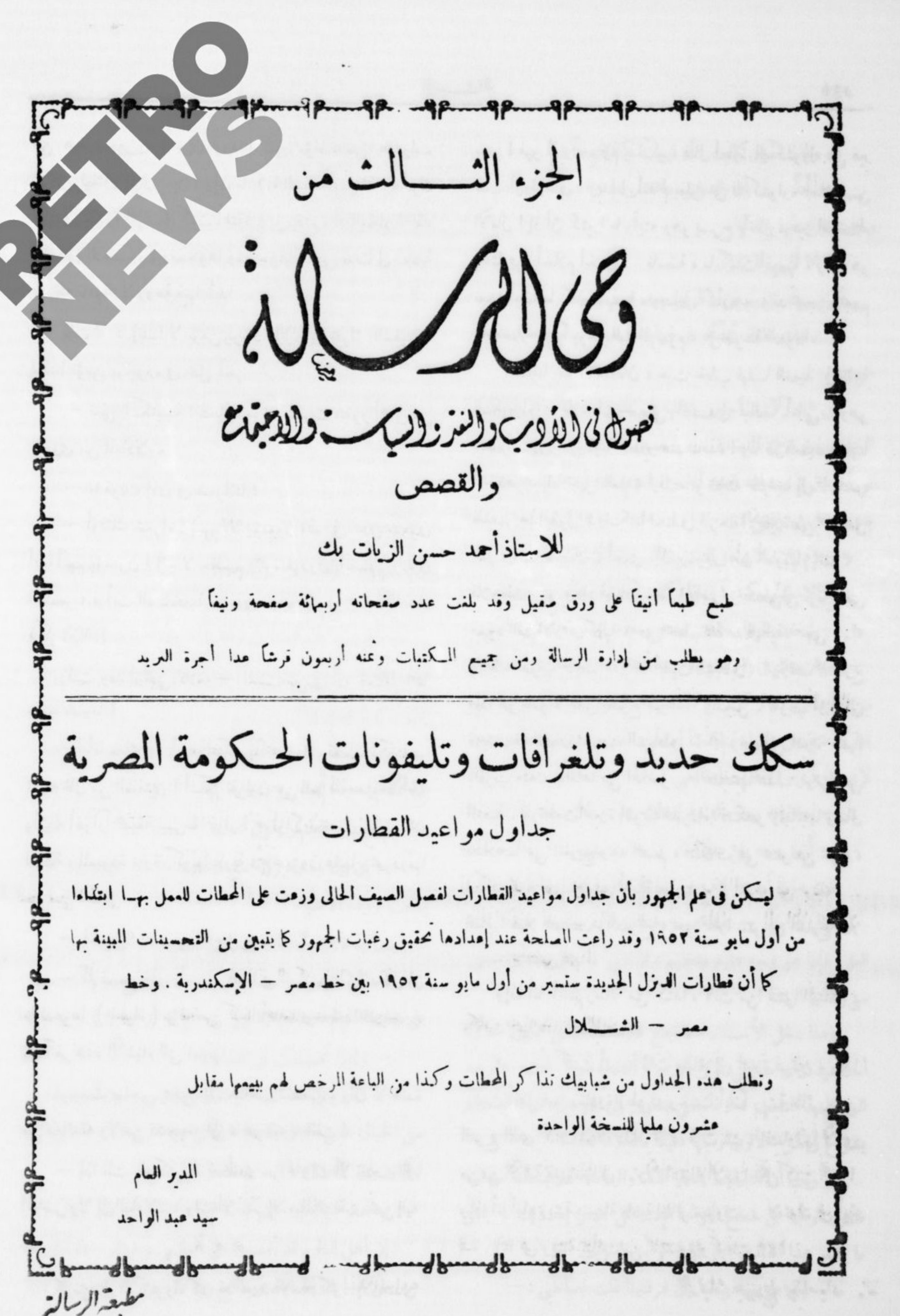
كل من نال الدكتوراه كان قد أجهده الاستذكار .. إلا الهندى سنو ! فهو لم يراجع ولم يذاكر ، فنال أجازة الدكتوراه من غير تعب أو ارهاق . وبدا لى أنه لم يعلق على الدكتوراه أملا من الآمال ! إذ أن كثيرا ما رأيته وهو يسرح بأنظاره عبر الفضاء باحثا عن أحلام أخرى . غامضة ، ما كنت أفهمها ، ولعله هو نفسه أيضا ما كان يفهمها ، وبدا لى كأن وجهه قد تحجر وتجهم وأنه صار شبيهاً بوجه العلم المرسوم ، على اللوحة السوداء

احتفلنا بعد الامتحان ، حيث خطب فينا العميد فى قاعة الكيمياء ، فلاحظت صديق الهندى جالساً أمامى ، وهو منصرف إلى تأمل ذبابة تتطاير عند النافذة ! ولما قال العميد « علينا أن ندعو جيلنا بجيل العلم » ترك سنو ذبابته فتوجه إلى المحاضر فاستمر هذا يقول « ولكننا لسنا فى المرحلة الأخيرة من مراحل العلم ، فثمة معضلات أخرى كثيرة يجب أن نحاربها بالعلم » . فلاحظت سنو يزداد انتباهاً . قال المحاضر « فنحن لن نرتاح حتى يسود العلم الأرض كلها ، حتى نحطم العقائد البالية ، حتى . . » وقاطعه صوت عنيف « وماذا أبقيت للشيطين » ؟ ووقف الصارخ فإذا هو سنو ! فجعل يصرخ صراخاً كالعويل .. لاريب أن أهالى قريته يتسلحون به ضد الشياطين ! ثم وثب على محبرة على مقربة منه ، فألقاها على المحاضر .. ! فتجنبها هذا .. ونزل من المنصة ، فارتطمت المحبرة باللوحة السوداء ، فتكسر زجاجها وسال مدادها على تماريج وجه العلم ، فتكالب على سنو من حوله ، لكنه قاوم حتى نجح فى أن يقذف بمحبرة أخرى فى وجه العالم ! فملأ الصخب والصراخ ، حتى حملوا سنو إلى الخارج حملا .. ومضى عام !

وإذا أنا أستلم رسالة من كندا ، كانت من سنو الهندى ، وكانت فيها هذه الكلمات :

« .. بينما كنت أتوجه ذات صباح إلى بحيرة هرنين ، مثلما كنت أفعل قبل مغادرة وطنى ، وجدت أيضاً ريشة طائر ، من النوع الذى كنت أجده دائما كما ذكرت لك ، فتناولتها لأرى من من الآلهة قد بعثها لى .. ولأداعبها وألاعبها كما كنت أفعل ! وإذا أنا أمام ريشة بسيطة عادية لطائر معروف ، لا تولد فى أية لذة . إنما هى ريشة تتألف من كالسيوم وكوبلت ٣ » !

فارنيك جورج مِيناسيان

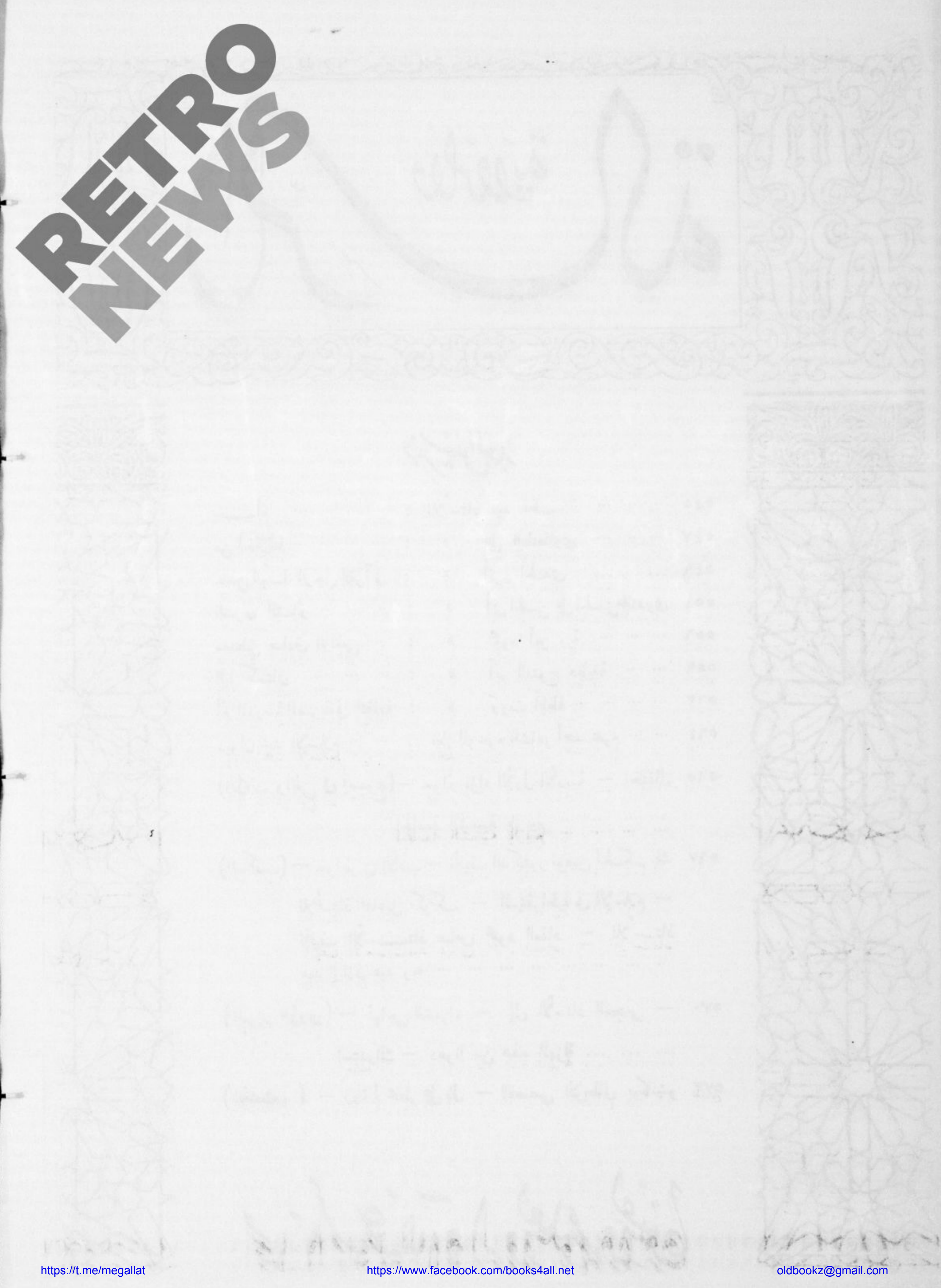


مطبعة الرسالة



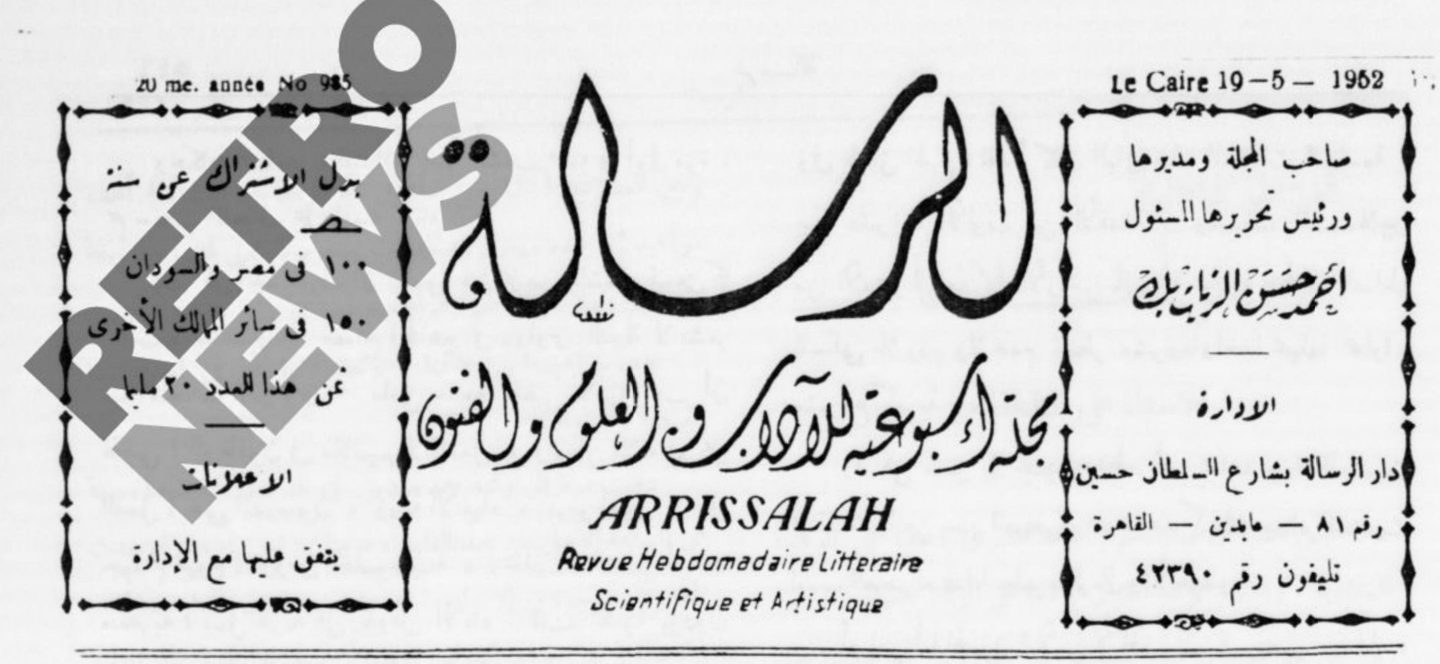


فهرس العدد



20 me. année No 985

Le Caire 19-5 — 1952


الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

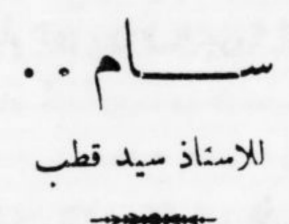
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٥ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٧١ — ١٩ مايو سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



سأم ..

للأستاذ سيد قطب

ذلك الذى تلمحه على وجوه الناس فى هذه الأيام ، وتلمسه فى أحاديثهم فى كل مكان . .

سأم من كل شئ ، ومن كل فكرة ، ومن كل عمل ، ومن كل أحد ، ومن كل اتجاه . .

سأم هو مزيج من ألم قد مات ! ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن « قرف » شامل ، ومن استهتار

يقلب الناس صفحات الصحف ، ويمرون على العنوانات الضخمة بدون اكتراث ، كأن لم يعد شئ يدعو إلى الاكتراث

هذه الردود الذاهبة إلى لندن ، الآيبة إلى القاهرة وبالعكس ، إنها لا تعنى أحدا . إن كل أحد يحس أنها ليست له ، وليست من شأنه ، وليست بشأنه ، إنها أمور تعنى أصحابها ، تعنى الذين يهمهم « قتل الوقت » هنا أو هناك !

كل أحد فى هذا الشعب يعرف أن هذه الردود الذاهبة إلى لندن ، الآيبة إلى القاهرة وبالعكس ، ليست هى التى تخرج الإنجليز من الوادى . كل أحد يعرف أنه وقت ضائع ذلك الذى يصرف فيها . وأن الانجليز يهمهم دائما أن يسوفوا انتظار لتحسن الظروف

كل أحد فى هذا الشعب يعرف أن الإنجليز يعرفون ، أن هناك عشرين مليونا من البشر يعيشون خلف القضبان ، وأن الذين يعيشون خلف القضبان لاحق لهم فى الاستقلال !

ولكن أحدا لا يقول شيئا عن هذه المسألة ، ولا يهم أن يفتح فمه عنها بحديث ، ما فائدة أن يتكلم ؟ ماجدوى أن يقول ؟ سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

والأزمة الاقتصادية ، إن بوادرها فى الأفق تلوح . بل إنها لتجتاح الوادى . كل شئ فى الريف يهوى : القطن ، الإيجارات ، المعاملات ، بينما تكاليف المعيشة على حالها ، والغلاء آخذ بالخناق

ولكن أحدا لا يهم أن يصرخ ، ولا يهم أن يستغيث ، ولا يهم أن يشير بعلاج

لقد سئم الناس تكرار الصراخ وتكرار الاستغاثة وتكرار الكتابة حول النقائص والعيوب .. كل كلام ذاهب كصرخة فى واد ، ليس لها من سميع

لذلك لم يعد أحد يشكو . إنه ما فائدة الشكوى ؟ ما جدوى الألم ؟

سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه

* * *

وحكاية التطهير ، لقد ألقى إليها الشعب سمعه فى أول مرة . ثم سحب اللحاف على رأسه ونام !

إن كل أحد يعرف أن الأمور فيما يختص بالشعب تسير كما كانت دائما تسير ... مصالح الجماهير فى دواوين الدولة لا يشعر بها أصحاب الدواوين ... ما من حاجة تقضى لأنها يجب أن تقضى ؛ الموظفون فى مكاتبهم لا للعمل ، ولكن للاتفاق على العمل ! حتى المدرسون ، ورثة الأنبياء ، مربو الجيل ، كل جهدهم اليوم للدروس الخصوصية ، ومجانية التعليم أمست سخرية ، بل كارثة على رؤوس الآباء . لقد كانوا يؤدون المصروفات المحدودة فيتعلم أبناؤهم . أما اليوم فلا يتعلم إلا من يؤدى ضريبة الدروس الخصوصية . هنالك عصابات من « المربين » ، عصابات تفرض ضرائب معينة على الآباء ، وإلا فليستمتعوا هم وأبناؤهم بتعليم المجان !

ولكن أحدا فى الشعب لا يتألم ولا يصرخ ، كما أنه لا يحفل بحكاية التطهير . إنه يعرف ما هنالك . فلا داعى إلى الكلام ! سأم . سأم . سأم تموت منه الكلمات فى الشفاه .

* * *

ومصر بلد مجنون والحمد لله ! بلد يحاول أن يستنقذ من رمال الصحراء ومن ركام الأملاح أشبارا أو أمتارا من الأرض كل عام . وتنفق وزارة الأشغال ، ومصلحة الأملاك ، ووزارة الزراعة ما تنفق من جهد ومن مال فى استنقاذ هذه الأشبار والأمتار من فم الصحراء ، وردها إلى الخصوبة والعمار ، ولكن هذا البلد نفسه يطمر مئات الأفدنة كل عام بالرمال والأحجار ، مئات الأفدنة من أخصب بقاع هذا الوادى ، يطمرها تحت الرمال والأحجار كى يحولها إلى مساكن ! وهأنذا صباح مساء أبصر مئات من الرجال يكدون اليوم بطوله ليفرشوا مساحات من الأراضى الخصبة بين المعادى والبساتين . على خط حلوان . يفرشونها بالرمال ، ويطمرون ما عليها من زرع أخضر حى . يدفنونه بلا شفقة ولا رحمة ، لتتحول هذه الأرض الخصبة إلى مساكن لشركة المعادى !

ومن قبلها حدث مثل هذا فى مدينة الأوقاف ، وفى الدقى وفى طريق الهرم ، لقد أكلت المبانى هذه المساحات الشاسعة ، بينما عشرات الألوف من الأفدنة ، ومئات الملايين من الأمتار المربعة من الأراضى الرملية الجافة الجيلة الصالحة للسكنى بلا ردم ولا هدم تنتظر مشروعا واحدا يحيلها عمارا ، مشروع كهربة خط حلوان ..

ولكن مصر بلد مجنون والحمد لله . يجاهد جهاد المستميت لينقذ شبرا من عدم الصحراء ، ويجاهد كذلك جهاد المستميت ليهب الصحراء فدانا يطمره بالرمال والأحجار

أم إننى أنا المجنون ؟ لأننى لا أفهم أن فى مصر مصالح ، وأن فى مصر شركات ؟

ثم مالى لا أصمت كما يصمت الشعب فى هذه الأيام ؟ ألا أحس ذلك السأم الذى يرين على الوجوه ؟ ألا أشعر بذلك الهم الجاثم على الصدور ؟

* * *

وفى هذا الوقت بالذات يطلع علينا الأستاذ أحمد العجمى فى الرسالة بهتاف حار : أين الشعر أيها الشعراء ؟

الشعر ! الشعر يا سيدى هتاف حياة ، ودعوة حياة ، وتعبير حياة

الشعر طاقة فائضة تريد لها متنفسا ، وحيوية دافقة تبتغى لها مسيلا

الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير ، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان

الشعر انتفاضة قلب ، وتحليق روح . لا وسوسة السلاسل ولا جرجرة الأغلال

انظر يا سيدى حولك ! أنظر إلى ذلك الذى تلمحه فى الوجوه ، وتراه فى السمات

إنه مزيج من ألم قد مات ، ومن يأس من الأعمال والرجال ، ومن «قرف» شامل ، ومن استهتار

إنه السأم . السأم الذى تموت منه الكلمات فى الشفاه !

سيد قطب

في سبيل الإصلاح

من أخـــلاقنا

للأستاذ علي الطنطاوي

أليس عجيبا أن صار اسم (الوعد الشرقي) علما على الوعود الكاذبة ، واسم (الوعد الغربي) علما على الوعد الصادق ؟

من علم الغربيين هذه الفضائل إلا نحن ؟ من أين قبسوا هذه الأنوار التي سطعت بها حضارتهم ؟ ألم يأخذوها منا ؟

من هنا أيام الحروب الصليبية ، ومن هناك ، من الأندلس بعد ذلك ، وهل في الدنيا دين إلا هذا الدين (الشرق) يجعل للعبادات موعدا لا تصح العبادة إلا فيه ، وإن أخلفه المتعبد دقيقة واحدة بطلت العبادة ؟ إن الصوم شرع لتقوية البدن — وإذاقة الغني مرارة الجوع حتى يشفق على الفقير الجائع — وكل ذلك يتحقق في صوم اثنتي عشرة ساعة ، واثنتي عشرة ساعة إلا خمس دقائق ، فلماذا يبطل الصوم إن أفطر الصائم قبل المغرب بخمس دقائق ؟ أليس لتعليمه الدقة والضبط والوفاء بالوعد ؟ ولماذا تبطل الصلاة إن صليت قبل الوقت بخمس دقائق ؟

والحج ؟ لماذا يبطل الحج إن وصل الحاج إلى عرفات بعد يوم الوقفة ، أليس لأن الحاج قد أخلف الوعد ؟

أو لم يجعل الإسلام إخلاف الوعد من علامات النفاق ، وجعل المخلف ثلث منافق ؟ فكيف نرى بعد هذا كله كثيرين من المسلمين لا يكادون يفون بوعد ، ولا يبالون بمن يخلف لهم وعدا ، أو يتأخر عنه ، حتى صار التقييد بالوعد ، والتدقيق فيه والحرص عليه ، نادرة يتحدث بها الناس ، ويعجبون بصاحبها ويعجبون منه ... وحتى صارت وعودنا مائعة مائمة لا تعرف الضبط ولا التحديد

يقول لك الرجل (الوعد صباحا) صباحا ؟ في أي ساعة من الصباح ؟ في السادسة ؟ في السابعة ؟ في الثامنة ؟ إنك مضطر إلى الانتظار هذه الساعات كلها . (الوعد بين الصلاتين) وبين الصلاتين أكثر من ساعتين . (الوعد بعد العشاء) . أهذه مواعيد ؟ ! هذه مهازل وسخريات ، لقوم لا عمل لهم ، ولا قيمة لأوقاتهم ، ولا مبالاة لهم بكراماتهم !

هذه مواعيدنا في ولائمنا ، وحفلاتنا ، وفي اجتماعاتنا الفردية والعامة

دعيت مرة إلى وليمة عند صديق لي قد حدد لها ساعة معينة هي الساعة الأولى من بعد الظهر ، فوصلت مع الموعد فوجدت المدعوين موجودين إلا واحدا له عند صاحب الدار منزلة . وتحدثنا وحلت ساعة الغداء وتوقعنا أن يدعونا المضيف إلى المائدة فلم يفعل ، وجعل يشاغلنا بتافه الحديث ، ورائحة الطعام من شواء وقلاء وحلواء ، تملأ آنافنا ، وتصل إلى معدنا الخاوية ، فتوقد فيها نارا ، حتى إذا اشتد بي الجوع قلت :

— هل عدلت عن الوليمة ؟

فضحك ضحكة باردة وخالها نكتة ، فقلت :

— يا أخي جاء في الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة .. حبستها ، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض . ونحن جماعة وهي واحدة ، وهي قطة ونحن بشر !

فتغافل وتشاغل . ثم صرح فقال : حتى يجيء الشيخ فلان

— قلت : إذا كان الشيخ فلان قد أخلف الوعد ، أفنعاقب نحن بإخلافه ؟ وهل يكون ذنبنا أنا كنا غير مخلفين ؟

* * *

والحفلات مثل الولائم ، يكتب في البطاقة أنها تبدأ في الساعة الرابعة ، وتبدأ في نصف الخامسة . وأعمالنا كلها على هذا النمط ، ركبت مرة الطيارة من مطار ألماظة في مصر فتأخرت عن القيام نصف ساعة انتظار راكب موصى به من أحد أصحاب المعالي . ولما نزنا معشر الركاب وصخبنا طار بنا ، فلم يسر والله ربع ساعة حتى عاد فهبط فارتعنا وفزعنا وحسبنا أن قد جرى شيء ، وإذا العودة من أجل الراكب المدلل صديق صاحب المعالي ، وقد كان تأخر لأنه لم يحب أن يسافر حتى يدخل الحمام ، ويستريح بعد الخروج كيلا يلفحه (اسم الله عليه) الهواء البارد . وكنت عائدا من رحلة رسمية فلما وصلت إلى مطار المزة وجدت أكثر

من مئتى إنسان بينهم مندوب وزير العدل ، ينتظرون فى الشمس منذ ساعة كاملة

والسيارات مثل الطيارات، والدكاكين والدواوين، والمقاهى والملاهى ، كل ذلك يقوم على تبديل المواعيد وإخلافها ، حتى لم يبق لشيء موعد معروف . فيا أيها القراء خبرونى سألتكم بالله ، أى طبقة من النـاس تفى بالوعد ، وتحرص عليه وتصدق فيه ، وتدقق فى إنجازه ؟ الموظفون ؟ المشايخ ؟ الأطباء ؟ المحـامون ؟ الخياطون والحذاؤون؟ سائقو السيارات؟ من؟ من ياأيها القراء ؟

يكون لك عند الموظف حاجة لا يحتمل قضاؤها خمس دقائق، فتجيئه وهو يشرب القهوة ، أو يقرأ الجريدة ، أو يشغل نفسه بما لا طائل تحته ، فيصعد فيك بصره ويصوبه، ويقومك بعينه، فإن أنت لم تملأها ، ولم تدفعه إلى مسـاعدتك رغبة فيك ، أو رهبة منك ، قال لك : ارجع غدا . فترجع غدا ، فيرجئك إلى ما بعد غد ... لا أعنى موظفا بعينه ، ولا عهدا بذاته ، بل أصف داء قديما سرى فينا واستشرى ، ودخل وتغلغل ..

ويكون لك موعد مع الشيخ ، فيجيئك بعد نصف ساعة ، ويعتذر لك ، فيكون لاعتذاره متن وشرح وحاشـية ، فيضيع عليك فى محاضرة الاعتذار نصف ساعة أخرى. وإن دعوته السـاعة الثانية جاء فى الثـالثة . وإن كان مدرسا لم يأت درسه إلا متأخرا

والطبيب يعلن أن العيادة فى الساعة الثامنة ولا يخرج من داره إلى العاشرة ، وتجيئه فى الوعد فتجده قد وعد خمسة من المرضى مثل موعدك ، واختلى بضيف يحدثه حديث السياسـة والجو والـكلام الفارغ ، وتركهم على مثل الجمر ، أو على رؤوس الإبر ، ينتظرون فرج الله ، حتى يملوا فيلعنوا السـاعة التى وقفوا فيها على باب الطبيب ، ويذهبون يفضلون آلام المرض على آلام الانتظار ، ويؤثرون الموت العـاجل الفاجئ على هـذا الموت البطئ المضنى

أما الخياطون والخطاطون ، والحذاؤون والبناؤون ، وأرباب السيارات ، وعامة أصحاب الصناعات ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنهم من أكذب خلق الله ، وأخلفهم لوعد . الـكذب لهم دين ، والخلف عادة ، ولطالما لقيت منهم ، ولقوا منى ، وما خطت قميصا ولا حلة ، ولا صنعت حذاء ، ولا سافرت فى سيارة عامة مسـفرة ، ولا بعثت ثوبا إلى مصبغة لـكيه أو غسله أو تنظيفه ، إلا كووا أعصابى بفعلهم ، وشووبهم بلسانى ، وإن كان أكثرهم لا يبالى ولو هجاه الحطيئة أو جرير أو دعبل الخزاعى ، بل إنهم ليفخرون بهذه البراعة فى إخلاف المواعيد، والتلاعب بالنـاس، ويعدونها مهارة وحذقا

فتى يجئ اليوم الذى نتكلم فيه كلام الشرف ، ونعد وعد الصدق ، وتقوم حياتنا فيه على التواصى بالحق لا يعد فيه المرشح وعدا إلا وفى به بعد أن يبلغ مقاعد البرلمان ، ولا يقول الموظف لصاحب الحاجة إنى سأقضيها لك إلا إذا كان عازما على قضائها ، ولا يعد الصانع بإنجـاز العمل إلا إذا كان قادرا على إنجـازه ، والموظفون يأتون من أول وقت الدوام ويذهبون من آخره، والأطباء لا يفارقون المـكان ساعات العيادة ، والخيـاط لا يتعهد بخياطة عشرة أثواب إن كان لا يستطيع أن يخيط إلا تسعا ، وتمحى من قاموسنا هذه الأكاذيب . تقول لأجير الحـلاق : أين معلمك ؟ فيقول ، إنه هنا سيحضر بعد دقيقة ، ويكون نائما فى الدار لا يحضر إلا بعد ساعتين

ويقول لك الموظف، من فضلك لحظة واحدة . فتصير لحظته ساعة

ومتى تقوم حياتنا على ضبط المواعيد وتحديدها تحديدا صادقا دقيقا ، فلا يتأخر موعد افتتاح المدارس من يوم إلى يوم ويتكرر ذلك كل سنة، ولا يرجأ موعد اجتماع الدول العربية فى الجامعة من شهر إلى شهر، ولا نعاد فى تاريخنا مأساة فلسطين التى لم يكن سببها إلا إهمال ضبط المواعيد وإخلافها . ولو أنا حددنا بالضبط موعد القتال ، وموعد الهدنة ، وجئنا (أعنى الدول العربية) على موعد واتفاق ، لـكان لنا فى تاريخ فلسطين صفحة غير التى سيقرؤها الناس غدا عنا

إن إخلاف الموعد الصغير ، هو الذى جر إلى إخلاف هذا الموعد الكبير . فلنأخذ مما كان درسا ؛ فإن المصيبة إذا أفادت كانت نعمة . ومتى صلحت أخلاقنا ، وعاد لجوهرنا العربى صفاؤه وطهره ، وغسلت عنه الأدران ، استعدنا فلسطين ، وأعدنا ملك الجدود

فابدؤوا بإصلاح الأخلاق ، فإنها أول الطريق

على الطنطاوى

٤ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآني

بقلم روبير ما كسوند

الاستاذ أنور الجندى

... أعتقد أن حسن البنا كان أهلا للمكان المرموق ، والزعامة الحقة التى وصل إليها .. فقد كان تركيبه الجسدى والفسيولوجى ، وأخلاقه وشمائله ، وعواطفه وأشواقه .. وذكاؤه وعبقريته ، ودهاؤه وحيلته ، وقدرته على مواجهة الظروف والأحداث

كان الرجل يفهم دعوته التى يدعو إليها على أوسع نطاق ، وكان يؤمن بها أصدق إيمان ، وكان يراها وسيلة إلى تحقيق وحدة الشرق ، وتحريره ، وخلق جيل جديد ، يكسر قيود الاستعمار ويحرر الأوطان ، وينفذ فى الأرض شريعة الحق ...

كان الرجل علما على دعوته .. ذلك أنه ليس من اليسير أن ندرس فكرة منفصلة عن قائدها ، بل إننا لا نعتقد أن هناك رسالة يمكن أن تنفصل عن الداعى إليها ، أو تقوم بعده على الوجه الذى رسمه لها ...

فهى جزء منه وهو جزء منها ، أو هما شقان للحقيقة الخالدة القائمة التى تنتظم نفوس التابعين له ، أو المنضوين تحت لوائه ...

وليس شك أن الزعماء والقادة هم أوعية المبادئ والبرامج والمذاهب .. هذه المبادئ التى ليست إلا كلمات منثورة فى بطون الكتب ، ليست العبرة بنصوصها بقدر ما تكون العبرة بالقائمين عليها وتنفيذها

وعلى قدر إخلاص الداعية لمبادئه ، وتطبيقها على نفسه ، وعلى قدر صلابة عزيمته فى تنفيذها وتطبيقها يتوقف نجاحهم

أنا أومن بأن مبادئ الإخوان مرتبطة إلى حد كبير بذلك الرائد الأول الذى رسم خطوطها ، وأقام بناءها حجراً حجراً .. فإذا ما قضى فأنا لا أستطيع أن أحكم على مدى اتجاه هذه المبادئ إلا بعد وقت طويل ..

لم يكن الرجل القرآنى ، فيما علمت ، يسعى إلى فتنة ، أو يؤمن بالطفرة .. ولكنه كان يريد أن يقيم مجتمعا صالحا قويا حرا ، وينشئ جيلا فيه كل خصائص الأصالة الشرقية ..

لقد ظهرت حركات إصلاحية كثيرة خلال هذا القرن .. فى الهند ومصر والسودان وشمال أفريقيا . وقد أحدثت هزات لا بأس بها ولكنها لم تنتج آثاراً إيجابية ثابتة

وقد جاء هذا نتيجة لعجز بعض المصلحين عن ضبط أعصابهم عن مواجهة الأحداث واندفاعهم إلى الحد الذى وصل بهم إلى مرتبة الجرح قبل أن يتم البناء ، كما جاء أثراً من آثار عزوفهم عن الاتصال بالشعب وتكوين رأى عام مثقف

اختفت هذه الدعوات ، وبقيت عبارات على الألسن ، وكلمات فى بطون الكتب ، حتى قيض لها أن تبعث من جديد ، وأن تستوفى شرائطها ومعالمها .. وأن تأخذ فترة الحضانة الكافية لنضوجها ، وأفاد الرجل من تجارب من سبقوه ، ومن تاريخ القادة والمفكرين والزعماء .. الذين حملوا لواء دعوة الإسلام ، ولم يقنع بأن يكون مثلهم .. ولكنه ذهب إلى آخر الشوط ، فأراد أن يستمد من عمر وخالد وأبى بكر . فأخذ من أبى بكر السماحة ، ومن عمر التقشف .. ومن خالد عبقرية التنظيم

وربط خصومه بينه وبين الأحداث العالمية ، فاتهم فى حادث اليمن ، ونسب إليه شئ من جهاد إندونيسيا . وكان له أثره فى حوادث فلسطين

وكان له موقف إزاء معاهدة صدق بيفن ، وموقف عندما اتجهت مصر إلى مجلس الأمن ..

* * *

كان حسن البنا لا ينام إلا بضع ساعات .. ثم ينفق وقته كله ساعة ساعة ، ولحظة لحظة .. فى العمل المتصل ، وكان عقله مثلا رائعا للإعداد والابتكار والإنشاء .. الذى لا يقف ولا ينقطع ، فهو إذا أصبح الصباح يكون قد أعد قائمة بالأفراد

الذين يهمه الاتصال بهم .. ويحضر إلى مكاتب العمل قبل الموظفين .. ويظل يتنقل بين المركز والجريدة .. والشباب والمنزل ، وفى كل مرحلة يؤدى عملا والتليفون يلاحقه .. وفى خلال ذلك يتحدث مع الناس ، ويستمع إليهم ، ويخطب ، ويقرأ الصحف ، وتعرض عليه عشرات الأوراق التى تتطلب رأيه ، والخطابات التى ترد من أنصاره المديدين ، فى مختلف أنحاء العالم ، وهى غالبا ما تكون مشفوعة بشيكات أو حوالات مالية ..

.. لقد رأيته وهو يقرأ خطابا من شاب من أتباعه ، قد أرفق به نصف راتبه الشهرى .. وفجأة ، تساقطت دموعه على الخطاب فبللته .. ورأيته وهو يودع بعض أنصاره المسافرين إلى خارج مصر ، وهو يرسل نظراته الحادة فى وجوههم المشرقة المتحفزة ..

وكان هذا العمل المجهد يزيده قوة .. ، وكان لقاء أتباعه الذين يردون من مختلف أنحاء القطر يملأ نفسه بالرضا ، ويزيد عزمته مضاء .. كان كل منهم ، يحمل له أنباء جديدة ، سارة ، عن اتساع نطاق الدعوة وانضواء الشباب ..

وكان يوم الثلاثاء .. يوما مشهوداً يتجمع فيه بضع مئات من أنحاء القاهرة ، ليستمعوا إلى هذا الرجل الذى يصعد المنصة فى جلبابه الأبيض وعباءته البيضاء وعمامته الجيلة فيجيل النظر فى الحاضرين لحظة .. بينما تنطلق الحناجر بالهتاف ..

.. ولا تدهشك خطابته بقدر ما يدهشك إجابته على القصاصات .. كان بعض هذه يتصل بشخصيته وحياته وأسرته

وقد سئل مرة بعد أن ترك عمله فى الحكومة ورفض مرتب الجريدة الضخم الذى كان يبلغ مائة جنيه : مم يأكل .. فقال فى بساطة : كان محمد يأكل من مال خديجة وأنا آكل من مال « أخ » خديجة . يقصد صهره ..

وكان أعجب مافى الرجل صبره على الرحلات فى الصعيد .. هذه الرحلات التى لا تبدأ إلا فى فصل الصيف حيث تكون بلاد الوجه القبلى فى حالة غليان .. وفى أحشائها يتنقل الرجل بالقطار والسيارة والدابة وفى القوارب وعلى الأقدام

وهناك تراه ، غاية فى القوة واعتدال المزاج .. لا الشمس اللافحة ، ولا متاعب الرحلة .. تؤثر فيه ولا هو يضيق بها .. تراه منطلقا كالسهم ، منصوب القامة ، يتحدث إلى من حوله ، ويستمع ، ويفصل فى الأمور .

وقد أمدته هذه الرحلات ، فى خمسة عشر عاما ، زار خلالها أكثر من ألفى قرية وزار كل قرية بضعة مرات ، بفيض غزير من العلم والفهم للتاريخ القريب والبعيد ، وللأسر والعائلات والبيوتات وأحداثها وأمجادها وما ارتفع منها وما انخفض ... وألوانها السياسية وأثرها فى قراها وبلادها ورضى الناس عنها أو بغضهم لها .. وما بين البلاد أفراداً وأحزابا وهيئات وطوائف من خلافات أو حزازات ...

كان يزور أحيانا بلداً من البلاد بلغت فيها الخصومة بين عائلتين مبلغها ، وكل عائلة تود أن تستأثر به لتنتصر على الأخرى ، فيقصد إلى المسجد مباشرة ، أو يغير طريق سفره فلا يستقبله أحد إلا بعد أن يكون قد قصد إلى دار عامل فقير فى البلدة

... وكنت إذا قلت له فلان .. الحسينى مثلا أو الحديدى أو الحصانى قال لك ... إن هذا الاسم تحمله خمس أسر أو أربعة .. إحداها فى القاهرة والثانية فى دمنهور والثالثة فى الزقازيق .. والرابعة فى ... فأيها تقصد ؟

وكانت هذه الزيارات المتوالية طوال هذه السنوات المتتالية ، قد كونت له رأيا فى الناس .. فقل أن تكون قرية فى مصر لا يعرف الرجل شبابها وأعيانها ووزراءها ورجال الأحزاب والدين والمتصوفة فيها .. ولا يكون قد تحدث إليهم واستمع منهم .. وعرف آمالهم ورغباتهم ، ومن هذه الأحاديث الواسعة المستفيضة كان الرجل يستكنه « الضمير » الشعبى المصرى على صورة قل أن أتيحت لزعيم أو داعية من قبل ، فإذا أضفت إلى هذا قراءاته الواسعة واطلاعه الضخم ، والتهامه لكل ما كتب فى العربية عن الشرق والغرب ، ونظريات العلماء والفلاسفة ، عجبت لهذه القوة الكبرى التى فقدها الشرق .. يوم غيب الثرى هذا الرجل . ولدهشت كيف يمكن أن يملأ هذا الفراغ . أو بعد هذا

النقص ، وفى خلال هذه الزيارات .. كنت ترى الرجل بسيطا غاية البساطة ، ينام فى الأكواخ أحيانا ، ويجلس على « المصاطب » ويأكل ما يقدم له .. لا يحرص إلا على شئ واحد ، هو ألا يفهم الناس عنه أنه شيخ طريقة .. أو من الطامعين فى المنفعة العاجلة . ولقد حدثنى أنه كان يدخل بلدا من البلاد أحيانا لا يعرف فيه أحدا فيقصد إلى المسجد ، فيصلى مع الناس ، ثم يتحدث بعد الصلاة عن الإسلام .. وأحيانا ينصرف الناس عنه فينام على حصير المسجد وقد وضع حقيبته تحت رأسه .. والتف بعباءته

ولا شك أن هذا الجهد الضخم ، قد أتاح له أن يلتقى بعشرات الآلاف من الناس .. خصوما وأنصارا ، شيوخا وشبانا ، مثقفين وعوام .. وأنه قد استمع إليهم وقال لهم .. وأفاد منهم خبرة ضخمة واسعة ، أضافها إلى علمه وثقافته

وإننى على ثقة من أن حسن البنا رجل لا ضريب له فى هذا العصر ، وأنه قد مر فى تاريخ مصر ، مرور الطيف العابر .. الذى لا يتكرر .. ولقدطالما كان يردد كلمته المشهورة «[1] الناس كإبل مائة لا تجد فيها الراحلة ... »

لبحث صلة — أنور الجندى

(١) هذا حديث نبوى وليس من كلام الشهيد الإمام

الشرق الثائر

للاستاذ أبى الحسن على الحسنى الندوى

إن ما يرجع إليه الفضل فى أهم الأحداث التى غيرت مجرى الأمور وفكت السلاسل وحطمت الأغلال وردت الأمر إلى نصابه والحق إلى أصحابه « غضبة » غضبها حق مهضوم ، أوشعب مظلوم ، أوحر يستعبد ، أودين يضطهد ، أو كرامة تتهدد ، أو كريم يتحدى

إن الغضب — مهما قال فيه علماء الأخلاق وكيفما حلله المؤلفون فى علم النفس — من علامات الحياة وسمات الرجولة ، إذا حرمه فرد كان بالجماد أشبه منه بإنسان حى . وإذا تجردت منه أمة كانت قطيعا من غنم أو لحما على وضم ، لا تستحق الحياة فضلا عن الاستقلال ، ولا تستحق الاحترام فضلا عن الإكبار والإجلال

إن الغضب هو حمة الفرد والجماعة التى يحميان بها نفسهما ويصونان بها حياتهما ، وإن الله لم يحرم مخلوقا من سياج يحوطه ومن حامية تذب عنه ، ولما منح الورد طبيعة الحرير ، رزق الأشواك التى حوله طبيعة الحديد .. ولا بقاء لحرير إذا لم يكن دونه شديد أو حوله حديد

إن الغضب قوة كامنة فى النفس قد لا يعلمها صاحبها ، فإذا أثيرت هذه القوة وانطلقت أتت بالمعجزات ، وأظهرت الآيات البينات ، وقربت البعيد ، وأذابت الحديد ، وأحالت اليأس رجاء ، والممتنع ممكنا ، وطوت المسافات البعيدة فى لمح البصر أو أقرب

إن للغضب فى تاريخ الإنسان العام وفى تاريخ الإسلام أياما مشهورة ، وفضائل مأثورة ، ومواقف مشكورة ، وإن أروع هذه الأيام وأفخرها يوم غضبت الأمة وثارت الجماعة ، وما أمثلة هذه الغضبات فى تاريخ هذه الأمة بنادرة

إن أشد ما نكب به هذا الشرق الإسلامى وإن أكبر ما جنى عليه فى العهد الأخير أنه فقد طبيعة الغضب والتزم الحلم والأناة والرحمة والعفو والتنزل عن الحق فى كل وقت ومع كل أحد ، مع أنه لا حلم مع الضعف ولا رحمة مع العجز ولا عفو مع الإرهاق ولا تنزل مع القهر ، إنما هى كلها أخلاق اضطرارية لا قيمة لها ولا فضل ، وليس مصدرها إلا برودة الدم وموت الرجولة وانحطاط الإنسانية .. وقديما وصف الشاعر العربى قبيلة أسرفت فى السماحة والعفو

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته
سواهم من جميع الناس إنسانا

لقد هجم الغرب على الشرق بدون داع ولا مبرر ، لا دين ينشره ولا رسالة يبلغها ولا فضيلة يحميها ولا عقيدة يدعو إليها .

إنما هو الجشع الأرضى والشره الاقتصادى والاستغلال التجارى والاحتلال السياسى وبالإجمال طبيعة قابيل القديمة، هجم عليها بدافع الطمع والحرص فغزا عقوله ونفوسه وأسواقه وبيوته واتخذه ناقة ركوباً حلوباً يحلب ضرعها ويجز صوفها ويقتر عليها فى مائها وعلفها، ويقسو عليها فى استخدامها، واستأثر بموارد هذا الشرق، وخيراته وأصبح فى بلاده الغنية التى تدر لبناً وعسلا كالأسفنج يمص الماء هنا ويصبه هناك، استأثر بمعادنه ومناجمه وبالذهب الأصفر والأسود، وأملى على شعوبه معاهدات وإيجارات جار فيها وغش وطفف الكيل وأخسر الميزان.. وضحك عليه كما يضحك على الأطفال وأقام عليه الحجر والوصاية كما تقام على السفهاء

هجم عليه الغرب فاتخذه سوقاً مفتوحة لبضائعه وزبوناً دائماً لسلعه وعمالا مخلصين لمصانعه ووقوداً حاضراً لحروبه يسخر لأغراضه كيف شاء، ويسوقه إلى ميدان الحرب متى شاء ويجعله وقاية وجنة دون رجاله وبلاده، ويعيش فى بلاده بفضل هذه الخيرات والأيدى العاملة والجيوش الحامية عيش الأحرار والملوك، ويدل بمستعمراته وأسواقه وعبيده فى الشرق على جيرانه ومنافسيه فى الغرب

وكان أكبر مجرم تولى كبر هذا الاستعمار الغاشم، وتفرد بالقسط الأكبر فى هدر الحريات والكرامات واستعباد الشعوب والأمم ونشر القلق والاضطراب فى العالم، وكان أكبر عامل من عوامل الفساد الخلقى والأثرة الاجتماعية واختلال النظم الاقتصادية وأكبر معاداة الاسلام وكيداً لأهله هى بريطانيا «العظمى» التى سبقت جاراتها وشقيقاتها إلى غزو الشرق واحتلال أقطاره واستعباد شعوبه

وكانت أكثر هذه الأقطار الشرقية التى احتلتها بريطانيا إسلامية بالطبع، فكانت الهند التى لا تزال بلداً إسلامياً تحكمها — ولو بضعف كبير — أسرة مغولية، وكانت مصر التى تحكمها الأسرة العلوية وسواحل الجزيرة العربية الخاضعة للامبراطورية العثمانية، هى التى تكون الإمبراطورية البريطانية الجديدة، إذن فكانت بريطانيا هى المعتدية الغاصبة الظالمة. وكان الشرق الإسلامى هو المعتدى عليه

ثم كانت بريطانيا هى التى ولدت الشقاء كل للشعوب الإسلامية وخلقت لها أزمات طريفة، فهى صاحبة الوحى وصاحبة الفكرة فى دولة إسرائيل الجاثمة على صدر العالم العربى. وهى التى أبرزتها من العدم إلى الوجود، ومن التمنيات إلى عالم الواقع، وهى المسئولة عن جلاء العرب وضياع فلسطين العربية وشقاء أهلها والخطر الذى يهدد الحكومات العربية كلها

ثم فاقت بريطانيا الحكومات المستعمرة كلها فى النفاق والتزوير وأخلاق الثعالب والمكر والدهاء ونكران الجميل ونسيان الوعود، ونقض العهود، قد أثبت تاريخها أنه لا أيمان لها.. وأنها لا ترقب فى مؤمن إلا ولا ذمة

إن فى تاريخ بريطانيا السياسى صفحات سوداء، لعلها لا توجد فى تاريخ دولة مستعمرة أخرى، مع أن الاستعمار كله صحيفة سوداء.. فإذا اقتصرنا على تاريخ الاستعمار البريطانى فى الهند وجدنا فظائع لا تزال وصمة عار فى وجه الحكم الإنجليزى. ففى ١٣ من ابريل عام ١٩١٩ م انعقدت — أيام حركة الاستقلال الوطنية فى الهند — حفلة شعبية عظيمة فى «جليان والاباغ» فى مدينة أمرتسر حضرها عشرون ألفا من الجماهير، وكانت الحديقة التى احتفل الناس فيها محاطة بالأسوار من جوانبها الأربعة، وليس لها إلا منفذ واحد تخرج منه عربة واحدة، وحضر الجزار الإنجليزى المعروف بالجنرال «داير» ومعه مائة وخمسون «١٥٠» جندياً، فأمر المحتفلين بالانفضاض وبعد دقيقتين — كما جاء فى تقريره — أمر بإطلاق النار على هذا الجمع الحاشد الوديع، وأطلقت عليه ألف وستمائة طلقة «١٦٠٠» مات منها — كما جاء فى التقرير الرسمى — أربعمائة رجل مع أنه غير معقول ومخالف للبداهة أن يموت أربعمائة فقط بطلقات نارية يبلغ عددها إلى ألف وستمائة طلقة فى مكان ضيق محصور على هذا الجمع الحاشد. أما عدد الجرحى فيتراوح كما قالت المصادر الرسمية بين ألف وألفين، وبات القتلى والجرحى طول الليل من غير ماء وإسعاف طبى

وفى سنة ١٩٤٣ م كانت مجاعة بنغال الكبرى التى خلقتها الحكومة الانجليزية فى الهند وفرضتها على أهل بنغال فرضاً لمصالحها الاستعمارية والسياسية كما تحقق علمياً وتاريخياً، وبقدر

أن الذين هلكوا فيها يبلغ عددهم إلى خمسة ملايين

وفي سنة ١٩٤٧ م وقعت الاضطرابات الطائفية الهائلة التي هيأتها ومهدت لها الحكومة الإنجليزية وتغافل عنها وارتضاها ممثلها الرسمي اللورد « مونت بيتن » المجرم حاكم الهند العام حينئذ ، وكان أكثر من نصف مليون نسمة فريسة هذه المجزرة الإنسانية

إن طبيعة الأشياء وغريزة الإنسان وشريعة العدل كل ذلك كان يحكم بل يفرض أن يغضب الشرق — وبالأخص الشرق الإسلامي — ويثور وينتهز كل فرصة للانتقام من بريطانيا وتصفية الحساب معها

ظل الشرق الاسلامي خاضعاً — ولا أقول راضياً — لهذه الأوضاع التي تثير غضب الحليم لا يحرك ساكنا ولا يبدي سخطا بل يتحيز بين حين وآخر إلى المعسكر المجرم الذي يسميه الحلفاء كذباً ومينا بالمعسكر الديمقراطي ويحارب بجانبه ويستميت في سبيل شرفه وكرامته ويصدقه في عهوده ويحترم معاهداته ، فاسترسلت بريطانيا — وأخواتها على أثرها — في سياستها الجائرة وأمعنت في غلوائها فأضر ذلك بالسياسة الأوربية كلها لأنها أصبحت كالفيل الهائج ، وفقدت السياسة الدولية الاتزان والتفكير ، وأغرى سكوت الشرق وهدوءه الزائد واحتماله المسرف المستعمرين بالاستمرار في سياستهم الغاشمة والانتصار للمدرسة السياسية الغربية القديمة التي تفكر التفكير الاستعماري وتحلم بالإمبراطوريات والمستعمرات

فكان لابد أن يغضب الشرق غضبة ترد المستعمرين إلى صوابهم ورشدهم وترد إلى السياسة العالمية اتزانها وتعادلها وترد إلى شعوب الشرق شرفها وكرامتها وترد إلى العالم الأمن والسلام

وما كان يدري أحد أن إيران ستكون السابقة إلى هذه الثورة العادلة والغضبة الموفقة ، وستنتصر هذا الانتصار الباهر ، وستهاجم الغرب المتغطرس هذه المهاجمة الفاجئة القوية وتصفع بريطانيا الكريمة هذه الصفعة المؤلمة المخجلة التي يحمر لها وجهها وينتكس لها رأسها ، إنها لصفعة موجعة حقا ، مخجلة حقا ، تألم لها كل إنجليزي في كل ناحية من نواحي العالم بل تأثرت بها أرواح وبناة الإمبراطورية البريطانية ومؤسسو مجدها في السابق ، وسيلتصق عارها بكل مولود يولد في بريطانيا إلى عهد بعيد

لقد سر كل شرقي وكل مسلم بهذه الغضبة الفارسية ، وكان يتمنى أن يغضب العالم العربي ويثور ويقوم قيام الثائر الموتور لأنه أحق بالغضب وأولى بالثورة من كل بلد وقطر ، لأن بريطانيا « الصديقة للعرب » قد طوقته من كل جانب وتملكت جميع منافذه .. فهذا عدن العربي لا يزال مرفأ بريطانيا وقلعة بريطانيا الحصينة، والعقبة ومعان مما تحرص بريطانيا على الاحتفاظ بهما واحتلالهما ،ولا تزال إمارات الخليج العربية خاضعة للنفوذ البريطاني ،ولا يزال العراق مرتبطا بالمحالفة البريطانية ،ولا تزال فلسطين العربية تشكو بثها وحزنها وتئن من جراحاتها وآلامها، ولا تزال دولة إسرائيل برهانا ساطعا على صداقة بريطانيا للعرب ووفائها لهم، ولا تزال مصر محتلة بالجيوش البريطانية ولا يزال السودان المصري يرزح تحت أثقال الحكم البريطاني

إذن فكانت غضبة العالم العربي — لو غضب — من أعدل ما شهد التاريخ من الغضبات ، وكانت ثورته — لو ثار — من أشرف ما دون في الكتب من الثورات

وكان لا بد من أن يغضب بلد عربي يتزعم العالم العربي ويقوده فكريا وثقافيا وسياسيا ويتمتع بمركز محترم ومكانة مرموقة ونفوذ ملحوظ حتى يسري هذا الغضب في جميع أقطار العالم العربي ويتردد صداه في جميع الشعوب العربية ويكون كما قال جرير الشاعر العربي

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

هنا لك طالت مصر وغضبت غضبة جاءت على قدر وأرضت جميع المنصفين في العالم ، أما العرب فقد أنشدوا بلسان واحد

هذا الذي كانت الأيام تنتظر فليوف لله أقوام بما نذروا

حياك الله يا مصر العزيزة وبارك جهادك وقوى أبطالك وثبت مجاهديك . إن غضبتك سترضى أجيالك القادمة وتشرفها وستسجل لك فتحا عظيما في الشرق ، فانظري في المستقبل

وما يخطه لك القلم المؤرخ من سطور الثناء والإجلال، ولا تنظرى فى العقبات التى تعترضك فإنها زائلة وذائبة ، وانظرى إلى الثمار التى سيجنيها العالم العربى بالأخص والعالم الإسلامى بالأعم من جهادك فإنه يبث فى العالم العربى الروح والحيـاة — وما أحوجه اليوم إلى الروح والحياة — ويحرك فيه الحمية والأنفة ، ويوقظ فيه الشعور ويوجد فيه الوعى السياسى ، وصدق يا مصر أن العـالم العربى قد بلغ من الجمود مبلغـا لا تهزه فيه إلا ثورة جبارة مثل ما تقومين به اليوم ، فليست ثورتك هى ثورة مصر المحلية إنما هى نفخة صور للعالم العربى وفاتحة عهد جديد إن شاء الله فى تاريخ العرب السياسى — احتسبى جهادك يا مصر وقدسيه بنفسك فإنه جهـاد يعلى كلمة الله ويشرف الإسـلام والمسلمين ويرفع رأسهم عاليا أينما كانوا ، وإنه جهاد يغيظ أعداء الإسلام فحيى أبناءك المرابطين وأبطالك المجاهدين « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيـلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين »

إعلمى يا مصر العزيزة أن القوة الوحيدة التى يخضع لهـا الغرب هى إرادة الشعب القوية والعزم الصادق الثابت والجبهة الموحدة ؛ فاحرصى على قوة إرادتك حكومة وعلى وثبات العزم وتوحيد الصفوف وآمنى بأن شـعبا قد صدقت عزيمته وقويت إرادته وتوحدت صفوفه لا يمكن أن يجبر على مالا يرضاه ويفرض عليه ما يأباه؛ فقوتك فى الداخل لا فى الخارج. قوتك فى أبنائك ونفوسـهم وعزمهم؛ فإذا أبوا إلا جلاء الجيوش الإنجليزية من منطقة القنال ، ووحدة وادى النيل ، فليست فى العالم قوة تقف فى سبيل هذا العزم، وإذا ألغوا معاهدة سنة ١٩٣٦ م فى نفوسهم واستنكفت من استمرارها حتى فضـلوا الموت على عودتها فاعلمى يقينا أنها قد ألغيت وليس لأمة فى العالم أن تعيدها

إعلمى يا مصر أن السياسة متقلبة بطبيعتها وأن الدين ثابت بطبيعته، وأن المصلحة متحركة بطبيعتها، فاستندى فى جهادك إلى الإيمان والعقيدة أكثر مما تستندين فيه إلى السياسة والمصلحة، وأيقظى الروح الدينية وروح الجهاد فى سبيل الله واعتمدى عليها وعلى رجالها فإنها أمضى سلاحك وأقوى جنودك

وأنت أيها العالم العربى فقم بواجبك وانتهز فرصة غضب مصر وثورتها واعلم أنها من الفرص السانحة التى لا تدوم ولا تعود ، فاغضب غضبة واحدة وقم قومة رجل واحد ، اغضب لنفسك إن لم تغضب لمصر — وهل هى إلا جزء من أجزائك وابن كريم من أبنائك، وانصح لنفسـك إن لم تنصح لغيرك، فكرامتك اليوم منوطة بمصر فلا كرامة لك إن هدرت كرامة مصر . فاحرص على كرامة مصر حرصك على كرامتك وجاهد فى سبيلها جهادك فى سبيلك.. أستغفر الله بل جهادك فى سبيل الله وفى سبيل الدين وفى سبيل الحق والعدل

إنك مسئول أيهـــا العالم العربى ومعاتب وملوم على كل تقصير فى جنب هذا الجهاد المقدس، وإنه محسوب عليك كما هو محسوب على مصر

إن العدو ماكر داهية وقد جرب منك سقطات وزلات فى السابق ، وإنه واثق بولائك ووفائك فلا يخدعنك عن نفسك وعقيدتك ، ولا يحولن بينك وبين مصر ، ولا يشترين دولة من دولك أو شعبا من شعوبك بأرفع ثمن فإنه نار فى الآخرة وعار فى التـاريخ — ولا أنسى أن أخاطبك يا مستر « جون بول » فأنت صاحبنا القديم عرفناك فى الهند وعرفتنا ،وأعتذر إليك إن كنت آلمتك بذكر الهند التى فقدتهـا ، أريد أن أسألك أيهـا الشيخ السياسى المحنك عن هذا الدفاع الذى تفرضه على الشرق الأدنى فرضا وترهق به مصر الإرهاق الذى ضاقت به وغضبت عليه ، هل يصح أن يسمى دفاعا؟ وأى فرق بينه وبين الاحتلال؟ وهل يجدى هذا الدفاع إذا لم ينشط له هذا الشعب الذى تدعى أنك تدافع عنه ولم يتحمس ولم يعاونك عليه ؟ وكيف بك لو احتلت جنود أمريكا الحليفة الصديقة الزميلة بلادك على رغم منك ورغم من المستر تشرشل بحجة الدفاع عنك لأنك ضعيف قد أنهكتك الحرب الماضية هل تقر هذا الاحتـلال وتسكت عنه يا مستر جون بول ؟

إنى لا أجد لك يا « جون بول » ولمصر مثلا إلا مثل زنجى

وطفل .. فقد زعموا أن زنجيا كان يحمل طفلا وكان الليل شديد الظلام ولم يكن الزنجى أقل سوادا من الليل وكان الطفل كلما رأى الزنجى ارتعب وفزع ، وبكى وكان الزنجى كلما بكى الطفل وخاف ضمه إلى صدره وآنسه وقال له مرة لماذا تبكى يابنى وأنت فى حجرى وأنا لا أفارقك ؟ فقال الطفل أنت أصل بلائى وشقائى ومنك أبكى وأرتعب فياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين

وهكذا أنت يا مستر جون بول تريد أن تدافع عن مصر وأنت بغيض ما تقيل على مصر ولا أحب إليها من مفارقتك ، واعلم أخيرا يا مستر جون بول أن عهد الاستعمار قد انتهى من غير رجعة فلا تتعب نفسك فى استرداده ، وقل للمستر تشرشل كان خيرا لك أن تبقى بطل الحرب الثانية وقاهر الألمان وأن تحتفظ بسمعتك: وعلى نفسك جنيت إذ رجعت إلى الحكومة .. وأخاف أن يكون مصيرك كمصير الإمبراطور البيزنطى هرقل الذى انتصر على الفرس وسجل لنفسه فتحا رائعا فى التاريخ ثم صادم العرب فلم يمت حتى انهزم أمامهم فأحبط ماضيه وأساء إلى نفسه وكان كالساعى إلى حتفه بظلفه

وكلمة أخيرة إلى الرئيس ترومان ، ما هذا التعاون على الإثم والعدوان أيها الرئيس الجليل! وأين الديمقراطية التى تزعمها وتزعم أنك تدافع عنها وتجاهد فى سبيلها فلم نرك إلا مرددا لصدى بريطانيا ، كأنك جبل لا تملك إلا الصدى ، ولم نرك تقبض مرة على الظالم وتنصر المظلوم وتغضب للحق ، ولم نرك انتصرت لشعب مستضعف ومنعت زميلتك بريطانيا من الظلم وحذرتها من عواقبه ! بل بالعكس رأيناك تسابق بريطانيا وساويتها فى جحد الحق والمكابرة وإرغام الشعوب على ما لا ترضاه ثقة بثروتك الضخمة ومواردك العظيمة . وما ننس فلا ننسى سياستك الغاشمة فى قضية فلسطين ومماثلتك السافرة لليهود وكيف احتضنت الصهيونية وتبنيت إسرائيل ولا تزال تحدب عليها كالأم الرءوم ، أفليس من السذاجة ، أو من الوقاحة — إذا صحت — طمعك فى صداقة العرب بعد ذلك

ألا فليسمع مستر ترومان وليسمع الذى له أذنان أن سياسة الاستعمار قد فشلت ، وأن الشرق قد بدأ يفهم الحقائق ، وإن جرب الغرب بمعسكراته وجيوشه فلم ير إلا شرا ومرا وظلما وجحودا ودعاوى فارغة وتبجحا وتنطعا وعبثا بالعقول .. وأن فى الشرق الإسلامى عقولا لا تخدعها البهرجة والتزويق والوعود الخلابة .. وأن هنا لك ضمائر وذمما لا يستطيع الدولار الأمريكى أن يشتريها ويتملكها .. فليرجع الغرب أدراجه وليشتغل بنفسه والدفاع عنه وليترك الشرق الاسلامى يقول كلمته ويدبر شؤونه ويدافع عن نفسه .. ومن المقرر أن الشرق الإسلامى والأقطار الإسلامية بعيدة من كل هجوم وخطر إذا دفع المعسكر الغربى عنها حضانته وابتعد عنها

أبو الحسن على الحسنى الندوى

مصطفى صادق الرافعى

بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة على وفاته

للأستاذ محمود أبو رية

ينقضى بانسلاخ اليوم التاسع من هذا الشهر (مايو) خمسة عشر عاماً على وفاة نابغة الأدب وحجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعى ، فقد انتقل رحمه الله إلى الرفيق الأعلى فى فجر يوم الاثنين الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٣٧ ، وانقطع من هذا اليوم وحى البيان العربى الذى كان يتنزل على قريحة هذا البليغ الكبير فتخرجه آيات من البيان العربى لا تكاد تتفق إلا للأفذاذ من البلغاء الملهمين

وإذا كان قد جاء فى الأثر أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد للمسلمين دينهم ، فإنه سبحانه يبعث بين الحين والحين من يجدد للغة العربية بلاغتها ويحيى فى كل عصر معجزتها ، ذلك أن حكمة الله لا تذر هذه المعجزة بغير أن يرسل لها من يحامى عنها ، ويجدد فيها

ولا يستريب أحد أن هذا النابغة قد بعثه الله فى هذا العصر ليجدد من بلاغة البيان العربى ، ويضيف من وحى قريحته إلى الميراث الأدبى

وقد كان هو على يقين من أنه رسول بيانى أرسل لتأييد بلاغة القرآن ، ويحيى آدابه وأخلاقه التى هى حصون الإسلام ، وأن عليه رسالة ثقيلة لابد له أن يؤديها على وجهها ، مهما ناله من العنت فى سبيلها ، وقد أجملها رحمه الله فى قوله : —

« القبلة التى أتجه إليها فى الأدب إنما هى النفس الشرقية فى دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد فى حياتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها فى الحياة ، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ، ثم إنه يخيل إلى دائماً : أنى رسول لغوى للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه »

وقد عاش ما عاش يجاهد فى سبيل هذه الرسالة لا يمل ولا يلين ، وناله فى هذا الجهاد ما ينال الرسل فى جهادهم من أذى ، وأصابه ما يصيبهم من إرهاق حتى لقى ربه راضياً مرضياً

وإذا كنا اليوم لا نستطيع إشباع نهم القول فى نواحى هذه الرسالة لأن المقام لا يحتمل ذلك ولا يتسع له ، وهذه الكلمة التى ننشئها لم تكن إلا من قبيل الذكرى فى مناسبة عابرة ، وكان لابد لنا أن نعطر كلمتنا بشذا من أريج حياته ، فإنا نأتى بنذرة ومن جليل أعماله التى كان لها أثر خالد فى الأدب العربى

فى أوائل هذا القرن ظهرت فى مصر (بدعة لغوية) نادى بها ودعا إليها نفر من كتابنا ، وكانت هذه البدعة تدعو إلى (تمصير اللغة العربية) بأن تدخل فيها من الألفاظ السوقية وتمزج تراكيبها بالمصطلحات العامية حتى تخرج لغة الكتابة فى أسلوب يجمع كل اللهجات المصرية فيفهمها الناس جميعاً

وكان يؤيد هذا الرأى الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد باشا بما ينشره فى (الجريدة) التى كان يتولى تحريرها

وما لبثت هذه البدعة أن أنجبت مولوداً سموه (الجديد) ومعناه أن تكون لنا عربية جديدة لا تجرى فى بيانها على أساليب العرب الفصحاء ، وأن لا نتقيد فيما نكتب بأصول البلاغة العربية وجعلوا الميراث الأدبى البليغ (قديماً) يجب أن يذهب بذهاب أهله ، ولأن هؤلاء الدعاة لم يجدوا أمامهم من يذود عن هذا الميراث ويدافع عن لغة القرآن أقوى من الرافعى فقد نحلوه زعامة هذا الأدب الذى أصبح فى رأيهم (قديماً) ونشبت بينه وبينهم معارك طاحنة كان ينازلهم فيها وحده (تحت راية القرآن) فى حين أنهم كانوا جمعاً كبيرا ذا قوة وجاه وسلطان ، ولم يزل يكافحهم بشباة قلمه البليغ حتى قضى على تلك البدعة وما نحلت وكتب الله النصر للغة كتابه

ومن عجيب الأمر أنك ترى اليوم بعض من كانوا يدعون إلى هذه البدع قد أصبحوا من أشد الناس تعصباً لأساليب العربية فى بيانها ولغتها

ومن مآثره التى سجلها له الأدب العربى فى صحائف مفاخره أنه لما أنشئت الجامعة المصرية فى سنة ١٩٠٨ لم يكن

من مناهجها دراسة آداب اللغة العربية فقضب فضبة مضرية وحمل حملة صادقة على إدارة الجامعة لكي نتدارك تفريطها العظيم فى جنب الآداب العربية، ومالبثت هذه الإدارة أن عادت إلى الصواب وقررت تدريس آداب اللغة العربية، ولا تزال هذه الدراسة تنمى وتزدهر

ولم يقف جهاده وفضله فى هذا السبيل عند ذلك النصر؛ بل دفعه اعتزازه بلغته وعكنه من آدابها إلى أن يخرج فى هذه الآداب وتاريخها كتاباً بعد أن لم يكن لها كتاب شامل، فأظهر فى سنة ١٩١٢ كتابه الخالد (تاريخ آداب العرب) ذلك الكتاب الذى لم يؤلف فى موضوعه مثله؛ وبحسبك أن ترى شيخ المجلات العربية (المقتطف) التى كانت تزن المؤلفات العربية بميزان دقيق قد عقدت له يوم صدوره فصلا ممتعا من إنشاء محررها العالم الجليل الدكتور يعقوب صروف تحدث فيه عن مزايا هذا الكتاب وفضائله ختمه بهذه العبارات الدقيقة:

« والكتاب حافل بالفوائد اللغوية والأدبية والنتائج الفلسفية، ولغته فى المقام الأول من الفصاحة، وهو حقيق بأن يدعى كتاب الشهر بل كتاب السنة، لأننا لا نذكر أننا رأينا منذ سنة إلى الآن كتابا عربيا اقتضى جمعه وتبويبه واستنباط أدلته ما اقتضاه هذا الكتاب، وعسى أن يجد من إقبال القراء عليه ما هو أهل له » (١)

ولم يكد الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد باشا يطالع هذا الكتاب حتى أنشأ من أجله مقالا ضافيا ملأ به صدر (الجريدة) (٢) نجتزئ منه بما يلى

قرأنا هذا الجزء فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسناً. وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التى بسطها فى هذا الجزء الأول إلا بعد درس طويل وتعب ممل

وأما أسلوب الرافعى فى كتابته فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التى تقع لنا فى كتاباتنا نحن العرب المتأخرين، فكأنى وأنا أقرؤه أقرأ من قام المبرد فى استعماله المساواة وإلباس المعانى ألفاظاً سابقة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ولا قصيرة تؤدى بعض أجزائها، وإنا نكبر غرض الرافعي ونشكره على ما حققه »

أما أمير البيان شكيب أرسلان رحمه الله فقد جرد له مقالا بليغاً حلى به صدر جريدة « المؤيد » (٣)، مهد فيه بفذلكة نفيسة فى دراسة الأدب العربى ثم استطرد إلى الإشارة بفضل هذا الكتاب وكان مما قاله:

« ... كتب تاريخ الآداب العربية، ولم تكن الآداب وقائع تؤرخ ولا أدوارها عند العرب مما يسهل تتبعه وتبصر أعلامه على نصب من تآليف سابقة، بل هى أعلام طامسة ودروس دارسة، فرع لها ذلك الكاتب الضليع طنوب التحقيق حتى جمع من عظامها المبثوثة ورمامها المبعثرة هيكلا صحيحاً. وزاد بهجته ووفر شطر حسنه ما أوتيه من ملكة العربية الفصحى والتمكن من ناصية التعبير عن كل ما أراد، فلو كان هذا الكتاب خطا محجوبا فى بيت حرام إخراجه منه لاستحق أن يحج إليه، ولو عكف على غير كتاب الله فى نواشئ الأسحار لكان جديرا بأن يعكف عليه » (٤)

وقد صدر من هذا الكتاب جزء ثان فى « إعجاز القرآن » نجتزئ فى بيان قدره، بما وصفه سعد زغلول به، وهو شيخ زعماء مصر، وأبلغ سياسى فى هذا العصر، وهاك جملا من خطاب طويل أرسله إلى الرافعى من مسجد وصيف مؤرخ ١ / ١١ / ١٩٢٦

« ... ولكن قوما أنكروا هذه البداهة (أى عجز أهل

(١) ص ١٩٨ – ١٩٩ من جزء فبراير سنة ١٩١٢ المجلد (٤٠)

(٢) الجريدة الصادرة فى ٤ مارس سنة ١٩١٢ وص ٢٨٤ الى ٢٨٩ من كتاب المنتخبات لسعادة أحمد لطفى السيد باشا

(٣) جريدة المؤيد الصادرة فى ٩ فبراير سنة ١٩١٢

(٤) كانت هذه الفذلكة جواباً من سؤال منا وارجع فى ذلك الى الصفحات ٧ – ١٢ من كتاب (رسائل الرافعى) الذى نشرناه فى سنة ١٩٥٠ أبو رية

البيان عن الإتيان بمثل القرآن) وحاولوا سترها لجاء كتابكم « إعجاز القرآن » مصدقاً لآياتها ، مكذباً لأفكارهم، وأيد بلاغة القرآن وإعجازها بأدلة مشتقة من أسرارها فى بيان مستمد من روحها، كأنه تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم .

فلكم على الاجتهاد فى وضعه والعناية بطبعه شكر المؤمنين وأجر العاملين والاحترام الفائق »

وهذا الخطاب لم يكتب مثله هذا الزعيم الكبير لأحد غير الرافعى ، ولا جاء فى التاريخ كله كلة فى وصف كتاب مثل هذه الكلمة البليغة

ومما يملأ القلب حسرة والنفس أسى أن قضى الرافعى رحمه الله قبل أن يتم هذا الكتاب ، ومما يزيد فى الأسى ويضاعف فى الحسرة أنا لم نجد من أدبائنا الكبار من يتقدم ليحمل هذا العبء ويقوم بأداء هذا الواجب الذى هو فى الحقيقة دين فى أعناقهم جميعاً لا تبرأ ذمتهم منه حتى يؤدوه كاملا ، وهم غير معذورين، وبخاصة فإن الأمور الآن ممهدة والطرق معبدة، وللأدب العربى عديد من الكليات بالأزهر والجامعات

والحسرة فى مثل هذا الأمر لا يضارعها إلا حسرة أخرى على تفسير القرآن الحكيم الذى أخرجته قريحتا الإمامين الجليلين محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهما الله فإنا — وا أسفا — لم نجد (عالماً) من علمائنا (وهم ألوف) قد نهض لإتمام هذا التفسير، وكأن الأزهر «المعمور» قد عقمت أمه فلم تلد بعد الأستاذ الإمام محمد عبده أحداً . رحمه الله ورحم تلميذه النجيب السيد رشيد رضا

ولقد كنا قرأنا منذ أكثر من ربع قرن فى المقدمة التى أنشأها الدكتور طه حسين باشا لكتاب فجر الإسلام ، أنه فرغ من وضع الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى ففرحنا وانتظرنا أن تشرف علينا غرة هذا الجزء ومايليه ، ولكن انتظارنا ذهب عبثاً

ولقد كان للرافعى أسلوب فى البلاغة خاص به بائن بنفسه لا يشاركه فيه أحد من الكتاب، يعرفه كل من وقف على أساليب الكتابة العربية حتى لو أخفاه عن الناس

كنت مرة مع الأديب الكبير عبد الرحمن البرقوقى نجلس على أحد الأندية بالقاهرة فى سنة ١٩٢١ ومر بنا بائع الصحف فتناول منه رحمه الله (جريدة الأخبار) وأخذ يقرؤها وإذا به يجد فى صدرها كلة أخذت نصف عمود عنوانها: (عجيبة لغوية — جنود سعد) ما كاد يقرؤها حتى دفع لى الصحيفة وقال : ترى لمن هذه الكلمة . ودفع لى الجريدة فقرأتها وقلت له : إن الظن الغالب أنها للرافعى ولم يكن قد وضع اسمه عليها. فقال هى له من غير شك ولا يستطيع غيره أن ينشئها (٥)

وكان رحمه الله يعنى بتجويد عباراته ويبالغ فى صقلها حتى تخرج فى أروع صورة من البيان العربى ، وكان لا يترخص فى ذلك ولا يتسهل

قلت له مرة بعد أن ظهر كتاب (حديث القمر) إن طائفة كبيرة من القراء لا تبلغ أفهامهم بعض عبارات هذا الكتاب، وارأى أن تنشئ كلاما لا يعلو على أفهام القراء ! فغضب وقال : أتريدنى على أن أنزل بأسلوبى إلى إفهام عامة القراء ؟ إنى أريد أن يرتفعوا هم إلى لا أن أهبط أنا إليهم ، ولأن يكون لى ألفان من القراء الذين يفهمون أساليب العربية العالية خير لى من أن يكون لى عشرات الألوف من عوام القراء

وجرى بينى وبينه مرة حديث عن أسلوب المغفور له الدكتور زكى مبارك فكان من قوله : إنك مهما قرأت له فإنك لا تكاد تجد من إنشائه عبارة بليغة يشرق منها نور البيان ، وهو لا يعتبر شاعرا ولا ناثرا ! فقلت له : وماذا يكون إذن بين كتاب البيان فقال (سمه نثرورا !) وهذه اللفظة التى استعرتها قد قاسها على لفظة شمرور . وقد كان مجتهدا فى اللغة وله رأى فى القياس اللغوى مبثوث فى كتبه، وقد نشرناه فى الرسالة على ما نذكر

وإذا كان الدكتور زكى مبارك رحمه الله فى رأى سيد البلغاء (نثرورا ! فسترى ماذا نكون درجات أولئكم الذين يظنون

---

(٤) ارجع الى الصفحتين ٧٧ و ٧٨ فى كتاب (رسائل الرافعى) تجد صورة هذه الكلمة البليغة

أنفسهم أنهم من كبار الـكتاب ويسودون الصحف كل يوم بما يكتبون ؟؟

ومن عجيب أمر هذا الرجل أنه كان من عزة النفس وكبريائها بحيث لا يخضع لإنسان ولا يطاوع مخلوق ولا يستعين بكبير ولا يستنصر بوزير كأنه الجبـل الأشم الذى لا يستند إلى شئ، وأن مرد ذلك إلى قوة إيمـانه وكمال يقينه ، ومن كان مثـله فى قوة الإيمان وخالص التوحيد فإنه لا يستعين إلا بالله ولا يخشى إلا الله ولا يتوكل إلا على الله الذى إليه يرجع الأمر كله

هذا ما تيسر لنا اليوم من القول فى هذا العظيم الذى خلا مكانه «لا ريب كما يقول العرب» وهذه الـكلمة التى نرسلها اليوم فى ذكرى وفاته إنما هى سطر نضعه على هامش تاريخه الحـافل بالمآثر والمفاخر إلى أن يأذن الله بتدوين هذا التاريخ الذى لا نظن أن أحدا يستطيع أداءه إلا إذا كان فى مثل بلاغته حتى يأتى به كاملا على حقيقته

ولعلنا بهذه الـكلمة الصغيرة نكون قد أدينا بعض ما يجب علينا فى هذه المناسبة ، وأن تكون آية وفاء لشيخنا الرافعى رحمه الله، وتحية طيبة تصعد إلى روحه الطاهرة فى الملأ الأعلى يرضى هو بها ويرضى الله عنها

محمود أبو رية

٦ـ الباكستان

الحياة الاقتصادية

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

التعدين :

باكستان غنية بثروتها المعدنية وإن كانت هـذه الثروة لم تستغل الاستغلال الـكافى حتى الآن

فالبترول يوجد فى باكستان الشرقية والغربية بكميات وافرة ويبلغ ما تنتجه حقول البترول فى البنجاب وحدها ١٥ مليون جالون فى العام ، ومن المنتظر أن يزيد الإنتاج كثيرا . ومما يدل على وفرة البترول فى باكستان أنه عـثر على بئر فى غرب البنجاب ١٩٤٨ بلغ إنتاجها فى اليوم ١٠٠٠٠ جالون

وباكستان ثانية دول العالم غنى بالـكروم chromite ويوجد فى بلوخستان وإقليم الحـدود الشمالية الغربية وتقدر قيمة ما يستخرج منه سنويا بنحو ١٢٠٠٠ طن

ويوجد الفحم فى إقليم غرب البنجاب وفى بلوخستان وفى إقليم الحدود الشمالية الغربية وفى باكستان الشرقية

أما الحديد فيوجد فى إقليم الحدود الشمالية الغربية وفى إقليم السند الأدنى

ويوجد الـكبريت والذهب والنحاس والملح وأملاح البوتاس وأملاح الصودا والصوديوم بوفرة فى باكستان

ونظرا لوجود الفحم والبترول والحديد فإنه من المنتظر أن تزدهر الصناعة فى باكستان وخاصة بعد توليد الـكهرباء من مساقط المياه . وتولى حكومة باكستان اهتماما خاصـا بترقية مشاريع توليد القوى الـكهربائية ، ويدلنا على ذلك أن مؤتمر الصناعات الذى عقد فى ديسمبر ١٩٤٧ قرر إنشاء مشـاريع يتسنى معها توليد ٥٠٠٠٠٠ كيلوات كما أوصى بإتمـام أعمال مشروعين : أحدهما فى غرب البنجاب يمـكن بواسطته توليد ٢٦٠٠٠ كيلوات، والآخر فى باكستان الشرقية يمكن بواسطته توليد ٦٠٠٠٠ كيلوات ، وكل هذه المشاريع تهدف إلى النهوض بالصناعة فى باكستان

الصناعة

تعتبر صناعة السكر من أهم صناعات الباكستان ، وقد أسس منذ سنوات مصنع هائل للسكر يعتبر الأول من نوعه فى آسيا كلها ؛ إذ يبلغ إنتـاجه السنوى نحو ٥٠٫٠٠٠ طنا ، وتعمل الباكستان على مضاعفة إنتاجها ويسـاعدها على تحقيق ذلك صلاحية أرضها ومناخها لزراعة أنواع جيدة من قصب السكر

صناعة الجوت

تنتج باكستان ٨٠ ٪ من الجوت العالمى . وقد كانت

كلكتا مركز صناعته الرئيسية ، ولكن فى مشروع التقسيم أعطيت كلكتا للهندستان ، وكان طبيعيا أن تعمل باكستان على إنشاء المصانع اللازمة لصناعة الجوت . وقد أخذت الباكستان فعلا فى إنشاء المصانع واستوردت الآلات اللازمة لها

صناعة الورق

المواد الخام اللازمة لصناعة الورق موفورة فى باكستان وخاصة فى باكستان الشرقية حيث تنمو الغابات بوفرة . ولهذا قررت حكومة الباكستان إنشاء مصنع لصناعة الورق فى باكستان الشرقية

صناعة المنسوجات

من الطبيعى أن تعنى الباكستان بصناعة المنسوجات وخاصة القطنية والصوفية، وذلك بسبب حاجة السكان إليها وبسبب توافر القطن والصوف . ولهذا أنشأت الحكومة مصنعا للصوف ينتج يوميا ١٤٫٠٠٠ رطل ومصانع أخرى لنسج القطن

صناعة السفن

تقوم هذه الصناعة فى الموانئ، وأهم مركز لها فى كراتشى فيها عدة مؤسسات صناعية تصنع فيها القوارب والسفن الصغيرة وتصلح فيها السفن الكبيرة

وفى باكستان الشرقية توجد عدة معامل لبناء القوارب وإصلاح السفن . وتهتم الحكومة المركزية بالنهوض بهذه الصناعة

وإلى جانب هذه الصناعات تقوم صناعات أخرى هامة أهمها صناعة إنتاج الزيوت والمصابيح الكهربائية وصناعة الآلات الحديدية والصناعات الكيماوية وصناعة الأسمنت

وإن باكستان تحاول جاهدة تدعيم الإنتاج الصناعى بها حتى تستطيع أن تنتج ما تحتاج إليه

مستقبلها

الباكستان دولة ناشئة ، وحاضرها يبشر بخير كثير إن شاء الله ، وعناصر قوتها موفورة : فهى دولة واسعة المساحة ، كثيرة السكان؛ غنية بمواردها الطبيعية

ولكن أهم من هذا كله أن حياتها تركز على دعامتين هما أساس قوة كل شعب ومصدر عظمة كل أمة : فالباكستانيون قوم مؤمنون بدينهم ، وفى الدين من غير شك قوة تهدى إلى السبيل الأقوم ، ومشكاة تنير سبيل الرشاد . ويتجلى هذا واضحا قويا فى كلمات أبى الباكستان محمد على جناح : « ليس الإسلام مجرد مجموعة طقوس وتقاليد وتعاليم روحية ، إنما هو دستور حياة كل مسلم ... دستور ينهج عليه فى حياته وتصرفاته فى جميع النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهو دستور قائم على أسمى مبادئ العزة والنزاهة والعدالة

إنما الحكم إله واحد ، وإن صفة الوحدانية من مبادئ الإسلام الأساسية، وليس فى الإسلام ثمة فرق بين شخص وآخر، فن مبادئه الأساسية المساواة والحرية والأخوة

لا يستطيع شعب من الشعوب أن يتطور ويرتقى مالم يكن متكافئا متآزرا ، إننا كلنا مسلمون وكلنا باكستانيون، وعليكم بصفتكم أبناء الدولة أن تخدموها وتضحوا ، بل وتموتوا من أجلها، لكى تجعلوها دولة سائدة »

وفى قول لياقت على خان :

« ... والباكستان لم تنشأ إلا لأن مسلمى شبه القارة أرادوا أن يتبعوا فى حياتهم الطريق السوى الذى رسمه لهم الإسلام ، وأن يتعاملوا حسب تعاليمه وتقاليده السمحاء ، وإلا لأنهم أرادوا أن يبينوا للعالم أن الإسلام يستطيع أن يجد الدواء الناجع لتلك الأمراض والعلل التى تتفشى اليوم فى كيانه وتسرى فى بنيانه

... إننا كباكستانيين لا يعنينا أننا مسلمون ، لأننا نعتقد أننا باتباع ديننا القويم وتعاليمه السمحاء نستطيع أن نسهم بقسط كبير فى رفاهية هذا العالم

... ونحن — شعب الباكستان — نعتقد بإخلاص ويقين كما نؤمن بشجاعة بأن كل قوة وكل سلطان يجب أن يتمشى مع تعاليم الإسلام »

وهكذا نجد فى باكستان أمة مؤمنة قوية تعتمد على نصر الله (ولينصرن الله من ينصره)

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تلتمس الباكستان أسباب القوة المادية فتعمل جاهدة على أخذ أحسن ما فى الحضارة الغربية من علم وفن . وإذا اجتمع العلم والإيمان فالنصر محقق بإذن الله

وتحقيقاً لهذه الغاية تعنى الباكستان بجيشها عناية كبرى وميزانيته تبلغ حوالى ٤٠٪ من ميزانيتها . وتعنى أيضاً بنشر الثقافة والتعليم فلديها أربع جامعات ، ٩٨ كلية ، ١٧٠٠ مدرسة عليا ، ٥٠٠٠ مدرسة ثانوية ، ٤٠٠٠٠ مدرسة ابتدائية ، ١١٠ مدرسة فنية صناعية الخ

وتقوم المرأة فى حياة الباكستان بواجبها خير قيام ، فهى شقيقة الرجال وأم الأبطال وطبيبة المرضى والجرحى . وقد قام نساء الباكستان بجهد مشكور فى حل مشكلة اللاجئين الذين وفدوا إليها من الهندستان عراة معوزين تركوا أموالهم وديارهم وأملاكهم وفروا بدينهم إلى الباكستان . أثارت هذه الويلات نفوس الباكستانيات فقمن بنصيب موفور فى التخفيف عن المعوزين ومواساة الجرحى والمنكوبين

ولم يقف جهد المرأة عند هذا الحد ، بل نزلت إلى ميدان الصناعة والتجارة والطب ، بل وأكثر من هذا أن المرأة تقدمت فحملت السلاح للذود عن الوطن ، ودخلت معترك السياسة دون ضجيج أو جلبة ، وهى قبل كل شئ وبعد كل شئ قدوة للمرأة الصالحة

يقول الدكتور عمر فروخ : لقد دخلت المرأة الباكستانية معترك الحياة : فى التمريض والطب والتجارة والصناعة وفى الجيش والأسطول وفى المجالس التأسيسية ودوائر الحكومة ...

أما المرأة العربية فقد بدأت الاختلاط من الجانب الآخر : بدأت بالسينما وحمامات البحر وبالنزه وحفلات الشاى والكوكتيل ...

إن الوطن العربى لن يستطيع أن يحفظ أخلاقه ولا أن [illegible]

برنامجاً جديداً للتربية والتعليم ! !

وهكذا نجد أن المرأة الباكستانية تقوم بدورها فى إعداد أمة صالحة خير قيام ، ويا حبذا لو اتخذتها المرأة العربية قدوة لها

وأحب قبل أن أختتم بحثى أن أذكر أن اللغة العربية منتشرة بين الباكستان ، وإن كان معظم سكان باكستان الغربية يتكلم باللغة الأردية والبنغالية فى باكستان الشرقية . ولكن الاتجاه الآن موجه إلى نشر اللغة العربية لأنها لغة القرآن

وأخيراً : إن فى جميع ما سبق ما يبشر بمستقبل عظيم للباكستان ، ويكفى أن تكون أمة مؤمنة يربها قوية برجالها ونسائها ، فإن هذا كله كفيل بتحقيق آمالها وآمالنا فيها إن شاء الله

باكستان زنده باد

أبو الفتوح عطيفة

أثر المدرسة المصرية فى الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

التثقيف فى اللغة التهذيب ..ويقول العرب ثقف القناة أى شذبها . ومن هذا المعنى وجدت كلمة الثقافة . غير أن العقل أخذ مكان القناة وتدرجت الكلمة فى هذه المدارج وأخذت سمتها منذ أزمان غاية فى البعد . هذا هو التثقيف فى معناه اللغوى.. أما من هو مثقف فهذا ما لم يدره أحد حتى الآن، فقد كثرت التعاريف وتعارضت . وأغلب الظن أن كل واضع لتعريف كان ينظر إلى نفسه حين يضع تعريفه فيجعل شخصه هو المثقف ومن دونه ليسوا جديرين بهذا اللقب . ولا شك أن فى مثل هذه الأحكام الذاتية الشخصية جنوحا عن الدقة وابتعادا عن الحق

وإنى لأعجز أن أضع تعريفا للمثقف لأنى أخشى أن أزل بى التعبير .. ولكننى أستطيع أن أتصوره شخصا بعيدا عن التفاهة رفيعا عن الصغار احتك بالتجارب وتعلم منها بعد أن استوعب الكتب وفهمها . وأستطيع أن أتصوره شخصا بعيد الأفق متسع التفكير يقبل ذهنه أن يتفهم ما يعرض عليه ، لا يرى فى جهله بأمر مسبة وهو يقر بالجهل ويسعى إلى العلم . وأستطيع أن أتصوره شخصا قد بعد عن فترة الغرور .. ذلك الغرور الذى لا أعنى به الثقة بالنفس فإن الفارق بينهما دقيق. والشخص الواثق بشخصيته إذا غلا بعض الشئ فى هذا الوثوق أصبح مغرورا .. والمثقف كما أتصوره من استطاع أن يضع الحد الفاصل بين الغرور والثقة ، أو هو ذلك المرء الذى دعا له النبى عليه الصلاة والسلام حين قال : « رحم الله امرءا عرف قدر نفسه فأراح واستراح » فذلك الشخص الذى يستطيع أن يصل إلى هذه المرحلة من الله عارفا قدر نفسه مريحا مستريحا . . ذلك الشخص — إذا وجد — مثقف تهذبت نفسه ؛ والنفس لا تهذب إلا إذا هذب العقل

هذا هو الرجل المثقف كما أتصوره فى مظهره الخارجى .. أما كيف يثقف المرء ؟ ومتى يصل من الثقافة إلى المكان الذى يقال فيه إن الرجل قد تثقف .. أما هذا فما أحسبنى مستطيع الوصول إليه على وجه القطع ، فالثقافات متعددة متشعبة، وقد يكون الشخص عالما بمادة ما كالكيميا مثلا ثم هو لا يفقه شيئا فى الأدب ، أو قد يكون أديبا كبيرا وهو لا يعرف عن علم الإحصاء شيئا

فهل يحسب المرء أن يكون عالما فى ناحية من نواحى الحياة الثقافية حتى يكون مثقفا، أم لزام عليه أن يكون ملما بكل فن — فى هذا اختلفت الآراء .. فإن من الإنجليز من يقول Jack of all tiades master of none من يعلم كل شئ لا يجيد شيئا . وصاحب هذا الرأى يرى أن يثقف المرء نفسه فى الناحية التى تلتقى بميل طبيعى فيه حتى يصل منها إلى المدى البعيد — وإنى — إذا جاز لى أن أبدى رأيى ، أرى أن هذا النهج فى الثقافة أمكن لمنتهجه وخاصة فى هذا العصر الذى أصبح التخصص فيه هو الأساس العلمى

أرى ذلك فى بدء التكوين على الأقل ؛ أما إذا كان الرجل قد بلغ فى ناحية ما مبلغ الأساتذة الكبار فإنه لا جناح عليه إن ألم بالفنون الأخرى

على أن منابع الثقافة تكاد تتحد مهما اختلفت الآراء فى سنن الثقافة نفسها ، فهناك الثقافة المدرسية وتلك سنتركها إلى الكلام عن المدرسة ، وهناك الثقافة التجريبية وهى التى تكونها حادثات الزمن وماجرياته، وهناك الثقافة الحرة وهي أغزر الثقافات تدفقا ، فما أحسب رجلا تثقف من المدرسة وحدها ، ولا من الزمن وحده، بل لا بد له من تلك الثقافة الحرة التى لا تقيده بمنهج معين ، بل هى ميل طبيعى فى النفس يغذيه صاحبه بما يقع فى يده متصلا بهذا الفن بسبب ما ولا ضابط عليه فى الاختيار ، إنما هو يقرأ الرائع الشامخ ، والمزيل الضئيل ، فتنمو إمكانيته قوية فى الإنتاج بما اكتسبه من العمل الكبير، قوية فى النقد بما أخذ على العمل الصغير . وإننا إذا أمررنا بأذهاننا أسماء الأئمة الكبار من كل فن وعلم وجدنا أن الجانب الأكبر من ثقافتهم قد تكون من تلك الثقافة الحرة

وقد رأى بعض الكتاب الغربيين أن العقلية المثقفة لا تبلغ

المحاضرة التى ألقيت يوم الخميس ٨ مايو بنقابة الصحفيين

أوجها إلا بعد مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى .. ونستطيع أن نسميها مرحلة الكسب وهذه المرحلة هي التي تتجمع فيها لدى المرء المعلومات المتناثرة فتتجلى في خلال هذه الفترة الناحية التي تتألق فيها الملكة الكامنة في نفس صاحبها ، ويأخذ من نثار هذه المعلومات ناحية معينة يميل إليها ببحثه فتأخذ عقليته المقفلة في التفتح وتندى من بعد جفاف

أما المرحلة الثانية .. فهي تلك التي ينسق فيها المرء معلوماته ويهذبها ، ويقول صاحب هذا الرأي : إن المرء في هذه المرحلة إذا نسق معلوماته تنسيقا صحيحا يكاد يصل إلى الخالق بحيث يدق على الرجل العادي أن يفرق بين منسق وخلق

أما المرحلة الثالثة .. فهي مرحلة الخلق ومن نتاجها الروائع الخالدات من كل فن وعلم . المفروض أن يكون هذا التقسيم منطقيا على العلوم والفنون، ولكن الواقع من الأمر أنه لا يكاد ينطبق إلا على دقة نادرة

فإننا إذا ماشيناه أصبح حتما علينا أن نصدق أن كل ملتحق بكلية الحقوق يعرف من القانون ما جعله يميل إلى هذه الناحية ، أو أن ملتحقا بكلية الهندسة بحث قبل أن يلتحق بها ودرس علوما عدة حتى اختار الهندسة بالذات . كما يجبرنا أن نفهم أن كل أديب درس قبل دراسته للأدب ضروبا أخرى من الفن كالرسم أو الموسيقى ، ثم عزف عن كل هذا ليختار الأدب فنا — يجبرنا هذا التقسيم على هذا الفهم ، ولكن الواقع من ناحية أخرى يجبرنا على عدم التصديق ولما كان الواقع دائما هو الغلاب المنتصر فإنه لا يسعنا إلا أن نحنى له الهام ، فلا نجارى التقسيم في مرحلته الأولى هذه ، قائلين له إننا لا نستطيع أن نترك ، فإنه ليس حتما أن يقرأ المرء كل العلوم والفنون حتى يتمكن من اختيار علم أو فن ؛ وإنما هي في أغلب الأحايين الصدفة أو البيئة . التقسيم إذن ليس شاملا فيما يختص بالاختيار

أما فيما يختص بالمرحلة الثانية التي تنص على التنسيق والتقسيم فإنها تقصر هي أيضا على الأدب مثلا فما رأينا أديبا ينسق معلوماته فيقول إن هذه الأبيات تنفعني في علم البديع ، وهاته تفيدني في علم النحو ، وهذه الكلمة حسنة أحفظها ، وتلك قبيحة أنساها ، وهذه بين وبين . إن أديبا ما لو فعل هذا لكان من أعظم جهلاء الأدب . والواقع مرة أخرى أن أحدا لا يفعل هذا ، فالتقسيم قاصر ، ولا شك أن الفارق بين تنسيق المعلومات وهو ما قصد إليه التقسيم وبين تنسيق العقلية وهو ما لم يقصد إليه التقسيم . الفارق بين التنسيقين كبير .. فتنسيق المعلومات خطة استنها أحد الفلاسفة الغربيين ليصل بها إلى بعض الحقائق الفلسفية . فليس من الضروري إذن أن تكون هذه الطريقة ناجحة في كل علم ، بل إن أغلب الفلاسفة لا يعترف بها في الفلسفة نفسها ، أما تنسيق العقلية فهو أمر آخر ليس هنا مجال البحث فيه

المرحلة الثالثة .. من هذا التقسيم رتب الخلق على التنسيق أي أن صاحب هذا السؤال يرى أن من نسق معلوماته خلق ، ومن لم ينسقها لن يخلق ، وهو قول واضح العجب

رون أنه من الصعوبة بمكان أن نحدد الثقافة أو نحدد المثقف ، وليس عجيبا أن نعجز نحن ، فقد قال ديهاميل: «الثقافة كالإيمان الذي لا يكفي أن نطلبه لنناله فهي نتيجة لمجموعة من الملابسات التي لم يكشف لنا العلم بعد تكوينها الحقيق ، ومع ذلك فنحن نعرف على الأقل بعضا من عناصرها المكونة »

وهذا القول يريكم كم يصعب الأمر على التعريف ، ولكن هذا لن يمنعنا من البحث وراء تلك العناصر القليلة التي تدخل ضمن تكوين الثقافة . واعتقادي أن الاعتراف بالجهل هو أول هذه العناصر ، فحين يعلم المرء أنه ما زال يجهل لا بد له أن يسعى ليمنع عن نفسه هذا الجهل ، وقد ترجم هذا شعرا أحد شعرائنا المعاصرين إذ قال :

هل رأيت الراكض المجنون يعدو خلف ظله
جاهدا يسبقه الظل ويغريه بنوله
هو منه خطوة لكنها كالكون كله
هكذا الإنسان في الدنيا ضليلا خلف عقله
كلما ازداد علوما زاد إيقانا بجهله

البقية في العدد القادم

ثروت اباظة

رسالة الشعر

ديوان مجد الاسلام

نظم المرحوم الشاعر أحمد محرم

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد اللطيف نعيم

بريدة بن الحصيب وأصحابه يأتون بعده

وأتى بعده (بريدة) يرجو أن ينال الغنى ، وكان فقيرا
يركب الليل والنهار ويطوى ال بيد غبراً سهولها والوعورا
فى رجال من صحبه زعموا ال إغراء نصحاً ، واستحسنوا التغريرا
آثروا الله والرسول ففازوا وارتضوها تجارة لن تبورا
أسلموا ، وارتأى (بريدة) رأياً ألمعيا ، وكان حرا غيورا
قال : ما ينبغي لمثل رسول الله أن يألو البلاد ظهورا
كيف تمشى بلا لواء وقد أو تيت من ربك المقام الأثيرا ؟
ليس لى من عمامتى ومن الرمح عذيرا إذا التمست عذيرا
أخفق يا عمامتى واعلِ يا رمحى فقد خفت أن تعود كسيرا
ومشى يا للواء بين يديه يتلقى السنا البهي نضورا

فى خيمة أم معبد

ما حديث لأم معبد تستسقيه ظمأى النفوس عذبا نميرا ؟
سائل (الشاة) كيف درت وكانت كزة [(١)] الضرع لا ترجى الدرورا
بركات (السمح المؤمل) يقرى أمم الأرض زائراً أو مزورا
مظهر الحق للنبوة سبحانك ربا فرد الجلال قديرا

(١) يابسة الضرع ، والدرور مصدر من در

فى قباء

يا (حياة النفوس) جئت (قباء) جيئة الروح تبعث المقبورا
إرفع (المسجد المبارك) واصنع للبرايا صنيعك المشكورا
معقل يعصم النفوس ويأبى أن يميل الهوى بها أو يجورا
أوصها بالصلاة فهى علاج أو سياج يذود عنها الشرورا
غرس الله دوحة الدين قدما وقضاها أرومة وجذورا
لو أردت النضار لم تحمل الأحجار ، توهى القوى ، وتحنى الظهورا (٢)
أرأيت (ابن ياسر (٣)) كيف يبنى ؟ أرأيت المشيع الشميرا ؟
أرأيت البناء يستبق القوم صموداً ، ويزدهيهم سؤورا(٤)
أرأيت الفحل الأبى جنيبا(٥) فى يد الله ، والهزبر المصورا ؟
ينصب النحر للحجارة والطين ، ويغير الحلى، ويفرى النحورا
ما بنى مثله على الدهر غر(٦) راح يبنى (خورنقا) أو (سديرا)
يجد الحق فى البناء حصونا ويرى الطير فى البناء وكورا(٧)

حى بنى عمرو بن عوف (٨)

(بورك الحى حيكم يابنى عمرو بن عوف، ولا يزل ممطورا)
كنت فيه الضيف الذى يغمر الأنفس والدور نعمة وحبورا
ما رأت مثلك الديار ، ولا حيالك القوم فى الضيوف نظيرا
كرهوا أن تبين عنهم ، فقالوا أملالا أزمعت عنا المسيرا ؟
قلت: بل (يثرب) انتويت وما أُلفيت نفسى بغيرها مأمورا
قرية تأكل القرى وتربها كيف تلق البلى، وتشكو الدثورا
طربت ناقتى إلى لابتيها فدعوا رحلها، وخلوا الجريرا(٩)
رحمة الله والسلام عليكم (آل عوف) كبيركم،والصغيرا

(٢) كان صلى الله عليه وسلم يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له ، فيقول : لا ، خذ مثله ، (٣) هو عمار بن ياسر رضى الله عنه ، أسس النبي المسجد وأتمه هو ، والشمير الماضي فى الأمور المجرب (٤) السؤور الوثوب والارتفاع (٥) الجنيب والمجنوب ما يقاد من الخيل ونحوها (٦) هو من لم يجرب الأمور (٧) اشارة الى قول الشاعر فى بعض الأبنية العظيمة: شاده مرمرا وجلله كلسا، فللطير فى ذراه وكور
(٨) نزل النبي صلى الله عليه وسلم فى قباء على كلثوم بن الهدم كبير بنى عمرو بن عوف ، وهم من الأوس ، وكان للموضع الذى بنى فيه المسجد مربداً له (٩) الجرير الزمام

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

جوائز فؤاد الأول الأدبية:

احتفل يوم ٢٨ إبريل الماضى بتوزيع جوائز فؤاد الأول على الفائزين بها فى هذا العام ، وقد فاز بجائزة الأدب الأستاذان عزيز أباظة وفريد أبو حديد بك ، على نحو ما أشرنا إليه فى العدد الأسبق من «الرسالة»

وقد أجيز عزيز باشا على مسرحيته الشعرية « العباسة » وهى رواية إنسانية حلل فيها الشاعر موقف العباسة أخت الرشيد فى زواجها السرى بجعفر بن يحيى البرمكى ، كسيدة من البيت المالك خفق قلبها بحب الزوج وحب الولد ، وصور الصراع بين هذه العاطفة وبين الاعتبارات الأخرى التى جعلت الرشيد يعقد زواج وزيره بأخته سرا . وفى رأيى أن هذه المسرحية أحسن مسرحيات عزيز باشا كلها ، وهى من الأعمال الأدبية الخالدة

أما الأستاذ أبو حديد بك فقد أجيز على قصته (الوعاء المرمرى) ولم يتح لى بعد قراءة هذه القصة . على أننى أعرف الأستاذ كما يعرفه الكثير قصاصا بارعا ظفرت ثروتنا الأدبية منه بطائفة من المؤلفات والقصص القيمة

وبعد فلى ملاحظتان : إحداهما خاصة بتقسيم جائزة هذا العام ، وتتعلق الأخرى بتكوين لجنة الجوائز الأدبية

أعتقد أن الغرض من هذه الجوائز الملكية الكريمة — وهو تتويج عمل أدبى بارز — لا يتحقق كاملا إلا بمنح الجائزة كاملة لمؤلف واحد ، وهى تماثل جائزة « نوبل » والتى نعرفه أن هذه الجائزة لم تمنح مجزأة للغرض السالف ، لذلك لم يكن لجائزتنا هذا العام وقعها المأمول ، إذ قسمت بين الفائزين الكبيرين

تلك هى الملاحظة الأولى ، أما الثانية فقد أثارها فى خاطرى أن الأستاذ فريد أبو حديد بك كان عضوا فى لجنة الجوائز ، فاعتذر من عدم الاشتراك فيها هذا العام ، فكان هذا فرصة طيبة لتقدير إنتاجه . ترى هل ننتظر اعتذرات أعضاء آخرين حتى يمكن تقدير آدابهم !

الرأى عندى أن يعاد تكوين اللجنة بحيث تشمل الأدباء الذين فازوا ، حتى الآن ، بالجائزة ، وهم الدكتور طه حسين باشا والأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد أمين بك والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومحمود تيمور بك وتوفيق الحكيم بك وعزيز أباظة باشا وفريد أبو حديد بك . ويتنحى عن عضوية اللجنة كل من له إنتاج تنطبق عليه الشروط

احتفال الجامعة الشعبية بالربيع:

أعلنت الجامعة الشعبية أنها ستقيم « مهرجان الأدب والفن فى عيد الربيع » ووصلتنى دعوتها فى يوم لا ربيع فيه . . فقد كان مغبرا حامى الأنفاس كأن هواءه ينبعث من أتون . . فشعرت بشىء من الغيظ لطفته المفارقة بين دعوة الجامعة والحال الواقعة ، ثم داخل نفسى شئ من الخبث ، إذ رجوت أن يأتى يوم المهرجان من هذه الأيام الفكراء التى يتعاقب فيها الحر والبرد فيؤذى تقلبها الجسم ويقذى العين ويزكم الأنف ويسقم النفس ، فأشمت بمن سيتغنون بالربيع وبهجته واعتدال جوه . . ولكن خاب رجائى ، فقد كان ذلك اليوم الذى ذهبنا فيه إلى نادى الصحفيين لشاهدة المهرجان ، من الأيام النادرة الخاطفة التى يطل فيها الربيع على بلادنا ثم لا يلبث أن يعدو

فلنغض هنا عن أعاصير الربيع و « خماسينه » ولنستمع إلى خطباء المهرجان وشعرائه ، فقد نجد فى ربيع الأدب ما يعوضنا عن ربيع الطبيعة

افتتح الحفل بكلمة للأستاذ الشاعر الكبير عزيز أباظة باشا أثنى فيها على جهود الجامعة الشعبية فى خدمة الفن والأدب ، ثم قال إن العرب شغفوا بكل ما تزخر به الطبيعة من مباهج وفنون ، وكان للربيع فى الأدب العربى لمحات وإن كانت باهتة الأضواء إلا أنها تومئ إلى مدى تعلق النفس العربية بالجمال

السكونى فى شتى ألوانه وصرائبه ، ومما يعجبنى من وصف العرب للربيع قول ابن الرومى :

حيتك عنا شمال طاف طائفها

بجنة فجرت روحا وريحانا

هبت سحيراً فناجى الغصن صاحبه

سراً بها وتداعى الطير إعلانا

ورق تغنى على خضر مهدلة

تسمو بها وتمس الأرض أحيانا

تخال طائرها نشوان من طرب

والغصن من هزه عطفيه نشوانا

ثم قال الأستاذ عزيز باشا : إن رأيى فى الذى كتبه العرب عن الربيع أنه بصفة عامة بعيد عن الروح الشعرية التى نأمل أن نجدها فى أدبنا الحديث ، فأغلب الذين تحدثوا عن الربيع لم يتجاوزوا حدود المحسوسات والمرئيات حتى كأن الحياة ، وهى العنصر الجياش فى تكوين الربيع ، لا تمت إليه بصلة من الصلات

وأنا لا أستريح إلى مثل هذه الأحكام المطلقة ، فلا شك أن كل أدب يشتمل على الصادق والمزور والرائع والتافه . وأعلم أنه لا جدوى من المناقشة فى هذه القضية ، فلو استدل أحد الطرفين بأمثلة تتوافر فيها الروح الشعرية الصادقة ، الطرف الثانى إنها من القليل ، وإن أتى الثانى بما لا يصور الحياة الجياشة . . فلن يعجز الأول عن أن ينسبه أيضاً إلى القلة . . . ومن لا يقتنع فليحص . . .

كشكول الأسبوع

▫ قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية إقامة حفلة استقبال للدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة ابراهيم وعضو المجمع الجديد يوم الإثنين ١٩ مايو الحالى ، ويلقى كلمة استقباله الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

وكان المقرر أن تقام حفلة الاستقبال لواصف غالى باشا والدكتور كامل حسين اللذين انتخبا وعينا معا ، ولكن حدث أن سافر الأول الى أوربا ، وقد علم محرر «الكشكول» أن سعادته أبدى رغبة فى إعفائه من عضوية المجمع لأن وقته لا يسمح بالمشاركة فى أعماله

▫ جاء من باريس أن أعضاء المجمع الفرنسى وافقوا بالإجماع على ضم مجمع فؤاد الأول للغة العربية الى الاتحاد الدولى للمجامع

▫ دعا معرض الفنون بميلانو سعادة الدكتور طه حسين باشا الى حضور مؤتمر الفنون الدولى الذى سيقام هناك فى يولية القادم ويحضره أقطاب الفنون فى العالم ليحاضروا به كل فى اختصاصه حول الموضوع الأساسى « الفنان والمجتمع » وسيحاضر عميد أدباء العرب فى « الأديب والمجتمع »

▫ كنا نخال العميد يستجم بعد خروجه من الوزارة بالخلود الى الراحة بعض الوقت فاذا هو — كما فهمنا من مقال له بالأهرام — « يستجم » بتأليف الجزء الثانى من « الفتنة الكبرى »

▫ اجتمع طائفة من أعلام القصة فى مصر وقرروا تكوين « نادى القصة » وهو يهدف الى أمرين ، الأول نشر إنتاج القصصيين المعروفين بطريقة تيسر حصول الجماهير على هذا الانتاج فى نطاق واسع ، والأمر الثانى إتاحة الفرص لذوى المواهب من الناشئين بنشر الجيد مما يكتبون وممن يضمهم هذا النادى الأساتذة فريد أبو حديد بك واحسان عبد القدوس وصلاح ذهنى وأمين يوسف غراب ومحمد عبد الحليم عبد الله وعبد الحميد جودة السحار ويوسف السباعى

وألقى الأستاذ على عزت الأنصارى كلمة عنوانها « الربيع فى الأدب العربى » أشار إلى مثل ما قال به عزيز باشا . وقد أحسن بعرضه طائفة من الشعر العربى الذى قيل فى الربيع مع شئ من التحليل لا بأس به

وكانت كلمة الأستاذ محمد مصطفى حمام ظريفة كدأبه ، وكان موضوعها « الربيع فى الأدب الشعبى » وقد استرعى التفاتى قوله : أشهر أنواع الأدب الشعبى الزجل والشعر السهل الذى لا يعسر فهمه على العامة . فقد جعل الشعر السهل من الأدب الشعبى ، ولست أدرى هل فعل ذلك توطئة لقصيدته فى الربيع التى أولها :

لى وللناس فى الربيع معانى

ولنا فى الربيع أحلى الأمانى

فربيع الحياة عصر صبانا

وشباب الأرواح والأبدان

وربيع القلوب حب وقربى

وتواصى برحمة وحنان

إلى أن تدفعه روح المرح والدعابة التى جبل عليها فيقول

وربيع الجيوب إحراز مال

وامتلاء بالأصفر الرنان

وربيع الموظفين علاوات

ورزق يأتى بغير أوان

وقد نال الإعجاب واشتد التصفيق له إذ قال :

وربيع المصرى يوم خلاص

وجلاء عن مصر والسودان



الديمقراطية في الاسلام

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

للاستاذ عبد الرازق عبد ربه

ظهرت فى السنوات الأخيرة ، مؤلفات عديدة فى اللغة العربية تبحث فى موضوعات إسلامية ، ولم تكن تلك المؤلفات بأقلام الغربيين أو المستشرقين كما كان الأمر من قبل ، وإنما كانت كلها بأقلام سادة من كبار الكتاب المصريين فى هذا العصر الحديث ؛ فالأستاذ سيد قطب بحث في العدالة الاجتماعية فى الإسلام ثم خص الرأسمالية والإسلام بكتاب ، وأستاذنا الدكتور أحمد أمين بك يصدر كتابا عن الإسلام بعنوان « يوم الإسلام » وها هو ذا أستاذنا الكبير العقاد الذى درس بطريقته المبتدعة الرصينة عظماء الإسلام فى سلسلة العبقريات يصدر اليوم كتاب « الديمقراطية فى الإسلام » بعد أن أصدر منذ خمس سنوات كتابه « الفلسفة القرآنية » ومن أحق من أستاذنا العقاد بالكتابة عن الديمقراطية ؟ فهو كاتبها الأول المنافح عنها الذائد عن حياضها حتى تعرض لما تعرض له من أقوال ذوى النظر القصير ، وآراء ذوى العقل الكليل ، ورمى بما لا يصح أن يرى به الأستاذ العقاد

فإذا كان الأستاذ العقاد يكتب اليوم عن الديمقراطية فى الإسلام فقد كتب من قبل عن « الحكم المطلق » منددا به ، ولعل حبه للديمقراطية وكراهيته للاستبداد حدا بأستاذنا الكبير أن يكتب عن هتلر فى كتابه « هتلر فى الميزان » وإن حيك حول هذا الكتاب من أباطيل لا تدل إلا على سخف فى التفكير وفساد فى الضمير

وكتاب « الديمقراطية فى الإسلام » يقع فى ثمان وسبعين ومائة صفحة من القطع المتوسط ، قامت بنشره دار المعارف . والمسحة الغالبة فى هذا الكتاب هى تلك المسحة التى يمتاز بها الأستاذ العقاد فى كل ما يكتب ، وأعنى بها الثقة الواعية المتثبتة التي تدعوه أن يقرر ما يقرر فى غير ما شك أو تردد . وشيء آخر يجده المتتبع لكتب العقاد أن أسلوبه مهما طال الكتاب أو قصر فى مستوى واحد من البيان

وما أجمل ما دفع الأستاذ الكبير إلى كتابة هذا البحث القيم « فإن الأمم الإسلامية فى عصرنا تنهض وتتقدم ، وأنها أحوج ما تكون فى هذه المرحلة خاصة إلى الحرية والإيمان متفقين ، لأن الحرية بغير إيمان حركة آلية حيوانية أقرب إلى الفوضى والهياج منها إلى الجهد الصالح ، والعمل المسدد إلى غايته ، ومن الخير أن تذكر الأمم الإسلامية على الدوام أن الحرية عندها إيمان صادق ، وليست غاية الأمر فيها أنها مصلحة ونظام مستعار (١) »

ثم ينتقل الأستاذ بالقارئ من فصل إلى فصل تنقل الخبير

(١) ص ٧ من الديمقراطية فى الاسلام

ولم ألتفت إلى ذلك لأخالفه فى اعتبار الشعر السهل من الأدب الشعبي بل لأوافقه .. فالأدب ينسب إلى الشعب لأنه يعبر عنه ولأنه يفهمه ، فإن كان جاهلا باللغة العربية لا يفهم ما يصاغ بها ، فالأدب الشعبي هو العامى فقط ، وإن تقدم فى فهمها — كالواقع الآن — فكل ما يستسيغه من الأدب شعبي ولو كان بالفصحى

ومن طريف الزجل الذى أورده الأستاذ حسام للأستاذ محمود بيرم التونسى — وهو نسيج وحده فى هذا الميدان — قوله :

يا ورد أستنظرك قبل الربيع بربيع واوهب لك العمر
وأجمل لأهل الملامه فى هوا شفيع أوراقك الحمر
إنت اللى خليتنى وحدك عبدلك ومطيع للبيض والسمر
واوهب لك العمر باللى عمرك انت قصير ويقصر الهم
أوراقك الحمر تشرب دم قلبي عصير يا اغلى من الدم
للبيض والسمر تهدى وانت حر أسير تنباس وتنضم

عباس خضر

بالمسالك والدروب دون أن يشعر بيأس أو فتور ، ولا يسع القارئ إلا أن يمضي قدماً في القراءة حتى يصل إلى الخاتمة

ولا يسعني في هذا المقال إلا أن أشير على أولئك الذين ينفثون سموم المبادئ الهدامة بين الطبقات الجاهلة ، أولئك الببغاوات التي تنطق ولا تعرف ما تقول .. أن يقرءوا ويتدبروا الفصل القيم الخاص بالديمقراطية الاقتصادية ؛ ومن الخير أن يقرأ أولئك المتعصبون على الإسلام والمسلمين ذلك الفصل النفيس « مع الأجانب » ليعرفوا مدى تسامح الإسلام والمسلمين مع الأجانب .. ولن يقرأ أولئك المتعصبون ذلك الفصل إلا إذا ترجم الكتاب إلى الأوربية ، ولعل الحاذقين لهذه اللغات ينهضون بهذا العمل الجليل ، ولن أنسى ذلك الفصل الممتع « أقوال المفكرين الإسلاميين » وفيه عرض واضح على الإمامة والسياسة في الإسلام، إلا أن لي ملاحظة واحدة، وهي أن أستاذنا الكبير أتى بجزء من وصية الإمام علي بن أبي طالب لمالك بن الحارث الأشتر النخعي حين ولاه مصر ، وهذه الوصية منسوبة إلى الإمام علي فيما نسب إليه . نعم ، إن الوصية ليست من كلام الإمام علي ، وإنما هي بكلام العباسيين أشبه ، لأن الكتابة المطولة لم تكن معروفة في العصر الأول من الإسلام ولم تكن لدى الإمام علي سعة الوقت وهدوء البال ليكتب هذا العهد المسرف في الطول ، وما كان أجدر أستاذنا الكبير أن يحقق هذه المسألة وهو على ذلك قدير إن أراد

على أن مثل هذه المسألة التي تدل على وجهة نظر خاصة بي ، لا يمكن أن تقلل من قيمة هذا الكتاب القيم على ما به من أخطاء مطبعية يقع اللوم كله فيها على عاتق دار المعارف التي عودتنا أن نرى مطبوعاتها في حلل قشيبة من الطبع الأنيق الصحيح

ولن أضع القلم قبل أن أرفع إلى أستاذنا العقاد تحية ملؤها الإكبار والإجلال ، داعياً الله أن ينسئ في عمره لمجد المكتبة العربية بنفائس الكتب وفرائد المؤلفات

عبد الرازق عبد ربه

خواطر « في فن الأدب »

تأليف الدكتور توفيق الحكيم بك

للأستاذ اسماعيل كوكب

في الأمثلة الجارية : الكتاب يقرأ من عنوانه : يقال هذا في المقابلات وفي المعاملات وفي ظواهر الأشياء .. وعلى ضوئه احتلت الدعايات صدارة الحكم الابتدائي في المرئيات : وسار النظار والحكمون والنقاد على سنن الدعايات حتى النهاية، فمن وجدها سراباً لعن الدعايات المترضة وطالب بتغيير المسميات أو تعديلها ، ومن وجدها نبعاً لا سراباً استنبط منها زاد المعرفة وأضاف إلى دعاية الأرض دعوة السماء « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

عندما بدأت في قراءة « كتاب فن الأدب » لاح أمامي عنوانه الدخيل على القدامى وقراء الأدب ، وعادت بي الذكريات إلى المساجلات بين نقاد الحكيم وعشاقه ، وتذكرت صديقي الذي جن بأسلوبه كما جن « قيس بحب ليلى »

وقد استقبلت هذا الكتاب بتلك الخواطر فما كدت أرى دقة معانيه البارزة في ربط ماضي الأدب بحاضره ومستقبله، وقوة تعبيره في مزج غربيه بشرقيه وسلامة خياله في إدماج القصة بالتصوير ، وسرعة الخاطر في مسايرة المسرح والإذاعة والسينما ، حتى كون إرهاصاً في ربط مستحدثات الأدب بمناهل لغة الضاد بعد أن سبكها بالفارسية ومزجهما بتليد الأدب في الجاهلية وبعد الفتوح الإسلامية تدرج من أدب القفرة إلى أدب الواحة إلى أدب المدينة، ومن أدب الغابة إلى أدب الحانة، ومن أدب الدف والمزمار إلى أدب النوتة والأوتار، بعد أن سار في أسواق عكاظ ونقل من محاسن باريس وبغداد خلاصة تأملاته بين المدائن والقفار

بعد هذا كاد أن يدركني جنون صديق في كتاب الحكيم الجديد وعجبت من التسمية التي لا تقرأ في عنوان الكتاب.. فإن الفن الذي يقصده بموازينه وأصوله التي تفرع منها التسميات الجديدة للسينما وغيرها ليست كافية وليست أصيلة في التسمية بعد أن جمله جامعة عامة لفن الأدب والفيرفنه، ولذلك فإني أخالفه في التسمية كما أخالفه في بعض الآراء والنظريات، تاركا الحكم فيها للمحكمين من الأدباء وتقديرها للرأي العام بعد هذا

أوجه الخلاف : في صفحة ٨ تحليل دقيق للابتكار الأدبي استشهد فيه بشكسبير وما نقله عن بوكامنو وغيره من علماء الغرب : ولم أر استشهاداً لعالم شرقي « وما أكثرهم في هذا العصر » فهل عزت الفاضلة أم لم ينقل متقدم من متأخر ما يستحق التسجيل : أم شيء آخر ؟ وفي صفحة ١٤ مزج للبلاغة والنقد لم أقنع بأسبابه ، فإذا أجازه كان ماجاء بصفحة ١٧ لا يصلح دستوراً انقده الجديد لأنه واحد في جميع العصور .. وفي صفحة ٢٢ مراحل تنقلات الأدب الزمانية والمكانية واستشهادات عربية لم تر للائمة الشرقيين المعاصرين من استشهادات أو عرض حق للضروري من مستلزمات هذا التحول . وفي صفحة ٢٤ قال « إن الأدب العربي لم ير في القرآن إلا نموذجاً لغويا ولم تر فيه النموذج الفني » فهل القرآن الذي لم يفرط في الكتاب من شيء قد أغفل هذا المستحدث الجديد.. أم عقلية معاصريه لم ترق في ذلك الحين إلى تذوق معانيه ولم يتدارك أحد هذا النقص إلى اليوم : أم هناك تقصير من المعاصرين وهم الذين نزل بلغتهم القرآن اقتضته كراهيتهم لصاحب الرسالة في بدئها فأوجبت هذا الإهمال الجسيم الذي ظل عالقا إلى الآن : أم كما قال المؤلف « إن وحي الأدب العربي لم يرد أن يتحرك لا إلى أعلى ولا إلى أسفل لا نحو القرآن ولا نحو الشعب حتى تدارك الجاحظ هذا النقص فساير الشعب فاستحق اللوم لركاكة الأسلوب وعاميته « كما صور »

ولم يسعف هذا النقص مقامات الحريري وبديع الزمان من حيث اللغة والفن لسجعها وبلاغتها المصطنعة. وفي صفحة ١١٩ مقارنات بين حقوق المرأة الغربية والشرقية وعدم تمتع الغربية بحقوقها السماوية وتمتعها ببعض الحقوق الوضعية التي لا فائدة فيها في غير المنظر ، وتمتع الشرقية بواجبات تتمنى الغربية أن تصل إليها، وهاتان مشكلتان تتطلب كل واحدة منهما البحث والإفصاح وفي صفحة ١١٢ عرض لكساد أسواق الشعر والأسباب وقد ذكر العلاج الانجليزي لهذا التدهور ولم يأت بجديد في الأدب العربي . وفي صفحة ١٨٧ إشادة بأثر الشعر الرديء في السينما ولم تر الأراجيز المحلية والأغاني البلدية في غير أسواق بعض العوام، أما القيم المعنوية والفنية فأثرها شائع بين العامة والخاصة

وبالنظر إلى كل باب من أبواب هذا السفر الجديد نرى فيه مدرسة قائمة في أسلوبها ومعانيها وتوجيهاتها ، فإذا جاز للعربية في تحولها الأدبي والفني وفي مستقبلها أن نضع فوق هامتها كتاباً نسجله للأجيال القادمة في سجلات الخلود ، فإن كتاب جامعة الأدب « لا فن الأدب » في نظري هو كتاب الجيل

اسماعيل كوكب



تهاجي الشعراء

قرأت فى العدد « ٩٨١ » من الرسالة الغراء مقالة المرحوم صديقنا الدكتور زكى مبارك « البلبل الذبيح » التى كتبها فى رثاء زميله الشاعر الخالد المرحوم الأستاذ على محمود طه ، فاستوقفتنى العبارات التالية منها :

كان الشاعر على محمود طه بكره الشاعر محمد الهراوى ، وكانت بينهما مهاجاة تذكر بالمهاجاة بين عبد اللطيف النشار وعثمان حلمى وهما شاعرا الإسكندرية

إن المهاجاة كانت أيضا تحصل بين المرحومين الرصافى والزهاوى ، تحدث فى بعض الأحايين حتى تصل إلى الخصومة والقطيعة ، ومما حدث بينهما أنه بعد هجرة الرصافى إلى سورية ورجوعه إلى بغداد أقام له المعجبون بشاعريته حفلة تكريمية ألقى فيها قصيدته المشهورة ومطلعها

مر فى حياتك سير نابه ولم الزمان ولا تحابه

ومنها هذه الأبيات الرائعة :

كم مدع وطنية من لم تكن مرت ببابه
فتراه ينفج لاغبا فيها وينفخ فى جرابه
ليكون مكتسبا بها مالا تهالك فى اكتسابه
فكأنما هو سائل وكأنما هى من كلابه

أما الزهاوى وكان أحد المشاركين فى هذه الحفلة فاستقبل الرصافى بقصيدة ختمها بقوله :

« وهذا أخى « معروف » أشدد به أزرى »

فقال الرصافى لم يشأ إلا أن جعل نفسه « موسى » وجعلنى « هارون » ثم أخفاها فى نفسه ، حتى إذا ما قدم بغداد الزهاوى بعد مكوثه مدة فى مصر أقيمت له حفلة تكريمية استهلها الرصافى بأبيات فى تكريم الزهاوى منها :

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بقدوم شاعرها الزهاوى

فعندما وصل إلى هذا البيت التفت الزهاوى إلى خاصة الرصافى وقال لهم :

هذا واجب علمه لأنى بحق شاعر بغداد وكما قال أنا أمنيه فى قولى :

قد نسقط النخلة الميطاء لى رطبا فقد رميت على هشكول ما حجرا

وعندما سمع الرصافى ذلك أجاب :

لقد أنصف الزهاوى نفسه ، جعل نفسه طفلا وأنا سامق كالنخل « وكل إناء بالذى فيه ينضح »

ومن ذلك اليوم انقطع الزهاوى عن لقاء الرصافى والكلام معه . حتى فارقا الحياة . فبدد الموت ما علق بقلبيهما من أحقاد

رواية بيت

فى العدد ٩٨١ روت الأستاذة زينب الحكيم بيت أبى نواس على الوجه التالى عند تأبينها المرحوم الدكتور زكى مبارك

لا أذود الطير عن شجر ذقت طعم المر من ثمره

والذى أعرفه كما هو فى الديوان على الصورة الآتية

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

إلى هنا واعل « بلوت » أقرب لألفاظ النواسى من ذقت الطعم

عبد القادر رشيد الناصرى

إلى الأستاذ العجمى

قرأت باعجاب — فى العدد الأخير من مجلة الرسالة — البحث القيم الذى تؤرخ فيه لشعراء الشباب المعاصرين فى مصر ، وترتهم بميزان النقد الفنى الأدبى ، وتضع فيه لكل مدرسة من مدارس الشعراء منهجا واضحا محددا ، وتلك روح طيبة تتسم بالجرأة والصراحة فى الحق لا أشك فى أنها أساس يقوم عليها النقد الأدبى فى كل جيل

غير أنى آخذ على الأستاذ بعد أن وقف موقف الحمد والثناء من دار العلوم لما أنجبت للنهضة الأدبية الشعرية من شعراء يوم أن كانت مدرسة ، آخذ عليه أنه ألقى الكلام جزافا حين أنحى باللائمة على دار العلوم وخريجيها بعد أن أصبحت كلية يكفى المتخرج منها أن يصيح أمام مفتش اللغة العربية : « أنا من حملة الليسانس » !

ولا أكتب تعقيبى هذا لأنى طالب فى دار العلوم فحسب ،

أدافع عنها ؛ ولكن لأن الواقع والحقيقة يقرران عكس ماذهبتم إليه ، إذ ليس السبب فى أن دار العلوم خرجت من شعراء أفذاذ لأنها كانت مدرسة ، وتخلفت عن الركب – كما تدعى – لأنها أصبحت كلية جامعية ، فدار العلوم كانت وما تزال إلى اليوم تحمل لواء نهضة أدبية مستقلة متميزة فى طابعها العام عن سواها

ولا أحسب الأستاذ – وهو شاعر مجدد – يتناسى أن للشاعر وطنا خاصا يعيش فيه ، ومصادر إلهام يستق منها ، بعيدة كل البعد عن المعهد أو المدرسة التى تلقى فيها العلم . ولا أحسبه إلا مؤمنا بأن السبب فى شاعرية الشاعر ليس وقفا على أنه من دار العلوم أو من الآداب أو الأزهر ؛ فذلك – على ما أعتقد – ما لا أثر فيه لشعر شاعر ، وإلا فما هى الدراسات الأدبية التى تدرس فى كلية الهندسة التى ينتسب إليها المرحوم الشاعر على محمود طه ؟ وهل تخرج شوقى أمير شعراء عصره من الأزهر أو دار العلوم أو الآداب ؟

ولو أن الصحافة الأدبية أفسحت صدرها لكثير من طلبة دار العلوم وخريجيها فى عهدها الحديث ، لشهد الأستاذ أن فى كلية دار العلوم نهضة أدبية لا تنكر ، وشعراء مجددين يسيرون فى الموكب جنبا إلى جنب مع طليعة شعراء مصر المعاصرين .

هذا ولا يمنعنى ذلك من إزجاء الشكر خالصا على بحثكم القيم

محمود محمد سالم

استدراك

سقطت جملة من المقال المنشور فى العدد السابق من الرسالة بعنوان « شخصية » جعلت الجملة مضطربة والمعنى غير واضح. وسأتدارك هذا البتر الذى أظن أنه كان مقصودا فى كتابى المعد للطبع

كذلك وردت كلمة « يضطلع فى السطر الأخير من المقال وصحتها « يطلع » فتكون الجملة هكذا « ومن سخرية القدر أن يصبح حصل أفندى نائبا من الأمة يطلع فى أحد المجالس ...

حبيب الزحلاوى

دعونا من هذه المهزلة

إنى أعتبر مجرد الحديث عن المرأة وحقوقها السياسية مهزلة يجب أن يوضع لها حد ، كما أعتبر محاولة شغل الرأى العام بهذه المهزلة جريمة لا تغتفر فى حق وطننا المنكوب . . فهل انتهت مصر بعد من تحقيق أعز أمانيها : الجلاء الخالص والوحدة الصادقة ، حتى نشغل أنفسنا بحقوق المرأة السياسية ، وتفسح صحافتنا السيارة – باستثناء الرسالة المحترمة – صدرها لمبارزة الفريقين المؤيد والمناهض ، فتشمل بذلك معركة صاخبة يتلاشى فى صخبها أعز الأمانى وأطيب الآمال ؟

إن المستعمر الغاصب بخير ما دام الرأى العام فى مصر مصروفا عما يزلزل أقدامه ويقلق كيانه ، ومشغولا بالجدل الممل المتعب فى سفساف الأمور ، وصغار القضايا ، وتوافه المسائل .

إننا نريد أولا تحقيق الجلاء التام الناجز عن وادى النيل حتى تطهر أرضه من رجس الاحتلال البغيض ، وتحقيق الوحدة لشعبه حتى تعتمد على دعائم من الحق والقوة ، والحرية والأخوة ، وبعد تحقيق هاتين الأمنيتين تحقيقا صادقا لا زيف فيه ولا التواء ، يجوز لنا أن نبحث ونجادل فى مسألة حقوق المرأة السياسية وغيرها مادام فى ذلك خير يعود على الوطن العزيز

إن من الحزم والإخلاص لوطننا أن نترك هذه الأمور اليوم ، حتى ننتهى مما هو أهم وأحق ، ويجب أن نفهم أن الرأى العام العربى يسخر اليوم منا ، لأننا نسخر هممنا فى توافه الأمور التى يمكن أن نستغنى عنها قليلا ، تاركين المهام التى تصون عزتنا ، وتحوط كرامتنا بالمهابة والإجلال ، وتسبغ على وجودنا وكياننا جوا من العظمة والتقدير !

فمتى يفهم هذا جيدا أشياع الفريقين المتناضلين ؟ متى يتقون الله فى دينهم ووطنهم ؟

نفيسة عبد اللطيف الشيخ



ثروة لم تخطر على بال

للقصصى الإيطالى بوكاتشو

لقد أجمعت الآراء على أن البلاد الواقعة على شاطئ البحر من ريجيو إلى جابتى هى أجمل البلاد موقعا فى إيطاليا . وهناك على مقربة من سالرن عراء تطلق عليه الأهالى اسم شاطئ ملفى، به مدن صغيرة وحدائق ، وكانت مدينة رافللو فى ذاك العهد أبرزها رشاقة وازدهاراً ، وكان بها رجل يسمى لاندولف من كبار الأغنياء ولكن نهم المال لا يشبع ولا يقنع ، إذ أراد هذا الرجل أن ينمى ثروته فقضى طمعه على جميع ما ملكت يداه

وبعد ما فكر فى الأمر طويلا كعادة التجار اشترى سفينة عظيمة وشحنها بمختلف البضائع وسافر إلى قبرص . وحينما وصل إليها وجد كثيراً من السفن مشحونة بنفس البضائع التى جلبها فاضطر أن يبيع شحنته بأبخس الأثمان ؛ فتملكه هم شديد لهذه الخسارة الفادحة التى ذهبت بغناه ، وصمم على الانتحار أو الاستعاضة عما فقده بواسطة شخص آخر، فلا يرجع إلى بلده على تلك الحال بعد أن خرج منها غنيا محترما . وباع سفينته واشترى بثمنها والمبلغ الضئيل الذى باع به بضائعه مركبا خفيفاً يصلح لأعمال القرصنة وسلحه جيداً واختار له بعض الرجال الأشداء وطفق يجوب البحار ويسطو على كل من يصيبه ولاسيما الأتراك حتى زادت ثروته وفاقت ما كان يملكه وقت ازدهار أموله

رأى أن غناه أصبح كافيا وأنه فى حاجة إلى عيش شريف محبوب لا يحتاج إلى تعرض جديد للبؤس وتقلبات الأيام . وعزم على الرجوع إلى بلده والاكتفاء بما غنمه لأن ما حاق به من صروف الدهر جعله يخشى العودة إلى أعماله السابقة . فسافر إلى رافللو بهذا المركب الخفيف ، ولما ابتعد عن الشاطئ هبت رياح عنيفة فهاجت الأمواج ورأى لاندولف أن سفينته الصغيرة لا تستطيع مقاومة اللجج المائجة فعزم على الالتجاء إلى جزيرة صغيرة ، وبعد لحظة أقبلت سفينتان جنويتان احتميا فى هذا الموضع من الجزيرة وكانتا آتيتين من الآستانة . وقد علم الركاب أن هذه السفينة الصغيرة يملكها لاندولف وكانوا يسمعون أنه من الأغنياء المولعين بالذهب والسطو على مال الغير ، فاتفقوا على مهاجمته وسدوا عليه المسالك أولا ثم أنزلوا عددا من رجالهم إلى البر وبأيديهم قسيهم وسهامهم وتخيروا لهم مكانا يمكنهم من إصابة كل من يخرج من السفينة . ثم هب الباقى إلى القوارب وذهبوا إلى سفينة لاندولف وأسروها بدون مقاومة ثم نهبوا جميع ما فيها وأغرقوها واعتقلوا لاندولف فى قاع مركب من مراكبهم ولم يتركوا عليه غير بعض ثياب خلقة . وفى الصباح تحسن الجو فسافر الجنويون إلى بوتان وسارت مراكبهم بكل اطمئنان طول النهار . وحينما أقبل الليل هاجت رياح عنيفة ، واضطرب اليم فانفصل المركبان بعضهما عن بعض وارتطم أحدهما الذى يقل لاندولف فى صخور جزيرة سيفالونى فتحطم كالزجاجة وافترس اليم مختلف البضائع والصناديق وحطام السفن ، وطفق الملاحون يسبحون ويجالدون اللجج المائجة فى الظلام الحالك ويتمسكون بكل ما يصادفهم لينجوا بأنفسهم

وأما لاندولف التعس الذى كان بالأمس يتمنى الموت لفقد ثروته فقد تملكه الخوف حينما رأى نفسه مشرفاً على الهلاك ، ولحسن حظه صادف لوحاً من الخشب فتمسك به إلى أن ييسر الله له من ينتشله من الخطر

ظلت الأمواج تتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار إلى أن طلع النهار فنظر إلى ما حوله فرأى صندوقاً صغيرا عائماً فحاول الوصول إليه ولكن هبت زوبعة ضاعفت عنف الأمواج وقذفت الصندوق حتى اصطدم باللوح الذى بين يدى الغريق فأفلت من يده وغاص لاندولف من قوة الصدمة ، ثم طفا وشاهد اللوح بعيداً عنه ولكنه لمح الصندوق على مقربة منه فسبح حتى أمسك به وامتد

على غطائه، وطفق يستعمل ذراعيه بدلا من المجاذيف، وأخذت تطوح به اللجج فى كل صوب دون طعام، وقضى نهاره وليله على تلك الحال المضنية دون أن يعرف إن كان قريبا أو بعيدا عن البر لأنه ما كان يرى غير الماء والسماء ...

وفى الغد طوحت به الرياح أو على الأصح إرادة الله السامية إلى جزيرة جولف، وأصبح جسمه كالإسفنج وهو منكمش على الصندوق كما يفعل الغرقى عند إشرافهم على الهلاك

وكانت فى تلك الساعة امرأة فقيرة تغسل آنيتها على الشاطئ فذعرت لرؤيته على تلك الحال وصرخت صراخاً عنيفاً. وكان لاندولف منهوك القوى حتى أنه لم يستطع النطق بكلمة. ولما اقترب الصندوق من الشاطىء وتأملت فيه المرأة ميزت شكل الصندوق ولمحت وجه الغريق فتأثرت بعاطفة الشفقة والحنان ونزلت بقرب الشاطىء وكان البحر هادئا وأمسكت لاندولف من شعر رأسه وجرته هو والصندوق إلى الشاطئ ونزعت يديه المتشنجتين من الصندوق بقوة ثم وضعت الصندوق على رأس فتاة كانت معها ثم حملت لاندولف على ظهرها كالطفل وذهبت به إلى المدينة ثم أدخلته فى حمام حار وغسلته ودلكته بالماء الساخن إلى أن أفاق وتحرك، وبعد إخراجه من الحمام سقته نبيذاً وأطعمته قليلا من الربى حتى انتعش وعاد إليه رشده. رأت هذه السيدة أن ترد إليه صندوقه وأن تشجعه على ما أصابه من المحن

لم يفكر لاندولف قط فى الصندوق إلا أنه ظن أن يجد فيه شيئاً يستعين به على القوت بضعة أيام. ولما أراد أن يفتحه وجده خفيفا جدا فتملكه اليأس والقنوط، ثم فتحه بفارغ الصبر تطلعا لما يحتويه، وكانت السيدة قد غادرت بيتها لقضاء حاجاتها، فوجد فيه كمية من الأحجار الكريمة بعضها مصقول والآخر كما هو. ولسابق معرفته بالجواهر تحقق أنها ذات قيمة كبيرة، حمد ربه على هذه النعمة العظيمة وحده، لأنه قد حرسه بعين عنايته وعوضه أضعاف ما فقد. وتشجع ونشط ونسي همومه، وعزم على أن يتصرف بكل رزانة وحكمة ليصل إلى بيته آمنا مطمئنا ولا يكون عرضة لمصاب جديد أو محنة غير منتظرة. ثم صر جواهره فى قطعة من النسيج وعرض على السيدة أن تأخذ الصندوق مقابل كيس، فلبت طلبه ثم شكر لها حسن صنيعها ووضع كيسه على كتفه وسافر فى مركب. ولما وصل إلى برنديزى انتقل إلى ترانى وصادف هناك عدة رجال من بلده وكانوا من تجار القز والديباج فقص عليهم ما أصابه، ولكنه لم يبح لهم بالصندوق وما حواه فأعطوه حلة وأعاروه جواداً وبحثوا له عن رفقاء يصحبونه فى سفره إلى رافللو

ولما آب إلى بلده عاين جواهره فوجد فيها كثيرا من الماس الجيد بحيث أنها إذا بيعت بثمن معقول كانت قيمتها تساوى ضعف ثروته حينما فارق بلده. ثم أرسل مبلغا من المال إلى السيدة التى انتشلته من اليم فى مدينة جولف وكافأ تجار الحرير الذين ساعدوه فى ترانى وعاش بقية عمره عيشة هنيئة شريفة

م ع



مطبعة الرسالة





فهرس العدد

الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، تدعو رجال الفكر فى العالم العربى إلى

مسابقة عامة فى التأليف

تعيد الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية الإعلان عن مسابقتها الجديدة فى التأليف ، التى يستطيع أن يشترك فيها رجال الفكر والثقافة فى العالم العربى وموضوعها :

المشاكل التى تعوق العالم العربى عن التقدم فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق ، وذلك بالشروط الآتية

١) أن يقع البحث فى نحو ٣٠٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وأن يكون مكتوبا باللغة العربية الفصحى

٢) أن يرسل البحث المقدم للمسابقة إلى الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية (١٠٢ شارع فاروق الأول بالعجوزة — الدقى) فى موعد غايته آخر أكتوبر سنة ١٩٥٢

٣) أن تكون نسخ البحث المرسلة منسوخة على الآلة الكاتبة أو مكتوبة بخط واضح

٤) يعطى صاحب البحث الفائز فى المسابقة مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه (أربعمائة جنيه مصرى ، على أن تترك له الإدارة الثقافية حق طبع بحثه ، فى مقابل تعهده بتسليمها ٢٠ ٪ من نسخ كل طبعة

٥) يجوز لصاحب البحث المقدم أن يتخذ لنفسه إمضاء مستعارا إذا رغب فى ذلك ، على أن يبعث باسمه الحقيقى فى ظرف مغلق

٦) تظهر نتيجة المسابقة فى موعد لا يتجاوز آخر يناير سنة ١٩٥٣

وزارة المعارف العمومية — إعلان

ستقوم الوزارة بتنظيم دراسات مسائية لمدة تسعة أسابيع فى القاهرة والاسكندرية، تبتدئ فى ٢٨ يونية سنة ١٩٥٢ للفئات الآتية :

١) حملة الشهادتين الثانوية والابتدائية من الأزهر

٢) الراسبين فى امتحان كفاءة التعليم الأولى بشرط ألا يكون رسوبهم فى اللغة العربية

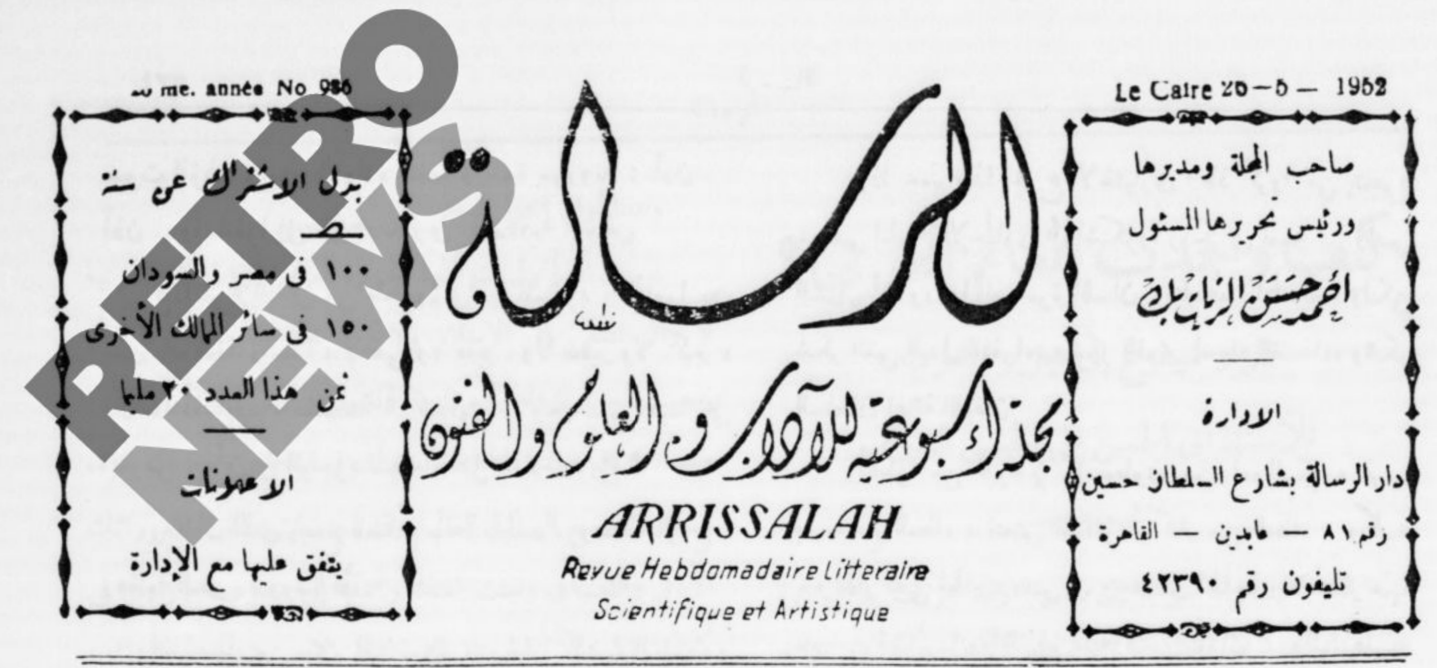
٣) خريجات الفنون الطرزية

٤) حملة شهادة إتمام الدراسة الثانوية القسم الخاص

ومواد الدراسة : التربية النظرية والطرق الخاصة مع مادة اللغة العربية للفئات الثلاث الأولى ، ومع المواد الاجتماعية أو العلمية للفئة الرابعة. والذين ينجحون فى الامتحان الذى سيعقد فى نهاية مدة الدراسة ، يعينون على قدر حاجة الوزارة ، مدرسين بمدارس المرحلة الأولى فى أى مكان تحدده الوزارة

فعلى من يرغب فى الالتحاق بهذه الدراسات من الفئات الأربع المذكورة أن يقدم طلبا على استمارة ١٦٧ ع . ح ومعه ما يثبت حصوله على أحد المؤهلات المذكورة ، إما إلى حضرة ناظر مدرسة شبرا الثانوية وإما إلى حضرة ناظر مدرسة رأس التين الثانوية. ويرفق بالطلب تعهدا بالاشتغال بالتدريس لمدة ثلاث سنوات على الأقل بضمان اثنين من موظفى الحكومة على أن تصل الطلبات فى ميعاد غايته ٥ يونيه ١٩٥٢

١٦٥٠



العدد ٩٨٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢٦ مايو سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

رمضـــــان

للاستاذ على الطنطاوى

لما قعدت أكتب هذا الفصل ، تقابلت فى نفسى صورتان لرمضان :

رمضان المزعج الثقيل ، الذى قدم بحمل الجوع فى هـذه الأيام الطوال ، والعطش فى هذا الحر المتوقد ، يمشى فى ركابه المسحر بنشيده الممل ، وصوته الأجش ، وطبلته التى يقرع بها رؤوس النائمين ، من نصف الليل ، من قبل السحور بساعتين ، فترج أعصابهم رجا ، وتنفى النوم عن عيونهم ، والراحة عن أجسادهم . .

ورمضان الحلو الجميل ، الذى يقوم فيه الناس فى هدآت الأسحار ، وسكنات الليالى ، حين يرق الأفق، وتزهر النجوم ، ويصفو الـكون ، ويتجلى الله على الوجود يقول : ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من سائل فأعطيه ؟ ألا من تائب فأتوب عليه ؟ يسمعون صوت المؤذن يمشى فى جنبات الفضاء ، مشى الشفاء فى الأجسام ، والطرب فى القلوب ، ينادى : يا أرحم الراحمين . فيسرى الإيمان فى كل جنان ، ويجرى التسبيح على كل لسان ، وتنزل الرحمة فى كل مكان

رمضان الذى ينيب فيه الناس إلى الله ويؤمون بيوته ، فى كل بلد من بلاد الإسلام مساجد ، حفل بالعباد والعلماء ، ليس يخلو مجلس فيها من مصل أو ذاكر ، ولا أسطوانة من تال أو قارئ ، ولا عقد من مدرس أو واعظ ، قد ألقوا عن قلوبهم أحمال الإثم والمعصية ، والغل والحسد ، والشهوات والمطامع ، ودخلوا بقلوب صفت للعبادة ، وسمت للخير ، قطعوا أسبابهم من عالم الأرض ليتصلوا بعـالم السماء . تفرقوا فى البـلدان ، واجتمعوا فى الإيمان ، وفى الحب ، وفى هذه القبلة يتوجهون كلهم إليها ، لا عبادة لها ، ولا التجاء إليها ، فما يعبد المؤمن إلا الله . وما الحجر الأسود إلا حجر لا يضر ولا ينفع ، ولـكن رمزا إلى أن المسلمين مهما تناءت بهم الديار ، وتباعدت الأقطار دائرة واحدة ، محيطها الأرض كلها ، ومركزها الـكعبة البيت الحرام ، رمضان الذى تجتلى فيه أجمل صفحات الوجود

إن الحياة سفر فى الزمان ، وركب الحضارة الغربية يقطع أجمل مراحل الطريق : مرحلة السحر ، وهم نيام ، ولولا رمضان ما رأينا جمال السحر

رمضان الذى تتحقق فيه الاشتراكية ، وتكون المساواة ، فلا يجوع واحد ويتخم الآخر ، بل يشترك الناس كلهم فى الجوع وفى الشبع ، يفطرون جميعا فى لحظة واحدة ، ويمسكون جميعا فى لحظة واحدة ، كأن المسلمين كلهم طلاب مدرسة داخلية ، يجتمعون على مائدة واحدة . تراهم فى المساء مسرعين إلى بيوتهم ، أو قائمين على مشارف دورهم ، أو على أبواب منازلهم ، فإذا سمعوا طلقة المدفع ، أو رأوا ضياء المنارة ، أو رن فى آذانهم

صوت المؤذن ، صاح الأولاد بنغمة واحدة موزونة : أذن .. أذن .. وانطلقوا إلى دورهم طائرين كعصافير الروض

فإذا فرغ الناس من طعامهم ، أموا المساجد ، فقاموا بين يدى الله صفا واحدا ، لا غنى ولا فقير ، ولا صغير ولا كبير ، متراصة أقدامهم ، ملتحمة أكتافهم ، وجباههم جميعا على الأرض ، فأين فى الوجود مساواة مثل هذه المساواة ؟

رمضان الذى يجمع للصائم صحة الجسم . وصحة الروح ، وعظمة النفس ، ورضا الله

إن الصيام من سنن الرياضيين ، وسلوا كتب الرياضة ، وسلوا شيخها اليوم مكفارن ، ولست طبيبا ولكنى جربت بنفسى ، ورب مجرب أوعى من طبيب

فأنا أحد من أضنتهم الرثية [1] والحصوات فى الكلى ، وثقوا أنى راجعت فى علاجها ستة وثلاثين طبيبا ، إى والله ، واحسبنى جربت كل علاج ، فلم أجد لها مثل الصيام إلا عن الماء والحليب وعصير البرتقال

وهذه سنة من سنن الله فى الكون : من أكل أقل أصابه السل ، ومن أكثر ركبته الأملاح والرثيات والنقرس ، ولولا ذلك لأكل الأغنياء أكل الفقراء . تقول لهم (الطبيعة) التى طبعهم الله عليها : قفوا ! فالمرض بالمرصاد ، لمن نقص فى الأكل أو زاد

هذه صورة رمضان الحلوة ، أفلا تستحلى معها مرارة الصورة الأخرى ؟

رمضان الذى تشيع فيه خلال الخير ، ويعم الحب والوئام ، فإذا أردتم أن تصوموا حقا فصوموا عن الأحقاد ، واذكروا ما فى أعدائكم من خلال الخير ، فأحبوهم لأجلها ، واغفروا لهم ، وادفعوا بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينكم وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وليس يخلو أحد من خلة خير ، وليس فى الدنيا شر مطلق ، حتى الموت ! فإنها قد تمر بنا ساعات نرتجى فيها الموت ، حتى إبليس فإن له مزية الثبات والقوة كله . وما أمدح إبليس ؛ لعنة الله على إبليس ، ولكن أضرب للناس الأمثال !

---

[1] الرثية : الروماتيزم

وإذا جمتم هذا الجوع الاختيارى ، فاذكروا من يتجرع غصص الجوع الإجبارى ، واشكروا ربكم على نعمه . وليس الشكر أن ترددوا ألف مرة باللسان : الحمد لله ! الحمد لله ! ولكن شكر الغنى البذل للفقراء ، وشكر القوى إمداد الضعفاء ، وشكر السلطان إغاثة اللهفان

وأعطوا من نفوسكم كما تعطون من أموالكم ، فرب بسمة مع العطاء ، تنعش السائل أكثر من العطاء ، وكلمة خير لجار تحيى الجار ، وبش فى وجه ذى الحاجة والاعتذار عنها خير من قضائها مع الترفع عليه عند السؤال ، والمن عليه بعد النوال

واذكروا أن الله خلق الإنسان مركبا من ملك وشيطان وحيوان ، فإذا هدأ الحيوان فى رمضان بترك الطعام ، وخنس الشيطان بردع الشهوة ، بقى الملك ، فتخلقوا بأخلاق الملائكة ، فلقد كان المسلمون الأولون ملائكة الخير فى الأرض ، وكانوا يعيشون عيش الملائكة ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، قد فرغوا من شهوات البطن ، فأجزأتهم تمرات فى اليوم ، وفرغوا من هم ما تحته ، فلا تستهويهم شهوة ، ولا يستعبدهم جمال ، وعاشوا لهدف واحد ، هو الواجب ، فكان كل مسلم قطعة من هذه الآلة الضخمة الهائلة ، التى أدارها الشرع ، فأدارت الفلك

كانوا يقومون لله ، ويقعدون لله ، ويأخذون لله ، ويدعون لله . دعوا إلى البذل فأعطوا ؛ جهز عثمان جيش العسرة من ماله ، وأعطى عمر نصف ماله ، وأعطى أبو بكر ماله كله ، فقالوا ماذا تركت لأهلك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله

ودعوا إلى الجهاد ، فجادوا بنفوسهم فى سبيل الله ، وأتوا العجائب ، وتحملوا الأهوال ، حتى فتحوا ثلث العالم فى ثلث قرن ، ودعوا إلى العلم فكانوا أساتذة العالم كانوا جنا فى النهار ، ورهبانا فى الليل ، وكانوا أكبر من الدنيا ، لا لأنهم ملكوا الدنيا ، فالدنيا لا يملكها كلها أحد ، بل لأنهم زهدوا فى كنوزها ، فصارت كنوزها هى والتراب عندهم سواء . وأنت إن كنت تملك قرشا ولا تطلب غيره ، أغنى

كيف وجدت العالم العربي؟

تقرير مرفوع إلى جزيرة العرب

للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي

لقد كتبت وأنا متوجه إلى مصر ، وقد تحركت بنا الباخرة في ميناء جدة يوم السبت ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ هـ ٢٠ يناير ١٩٥١ م ، « وداعاً أيتها الجزيرة العربية غير مهجورة ولا مملولة ، فليست هذه الرحلة إلا في سبيلك والاتصال بأسرتك المزيزة المنتشرة على ساحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، أبلغها تحياتك وأرى ما فعلت الأيام بها بعد انفصالها عنك ، ومافعلت برسالتك التي حملتها عنك للعالم والأمانة التي تقلدتهـا، ثم أعود إليك إن شاء الله أحكي لك قصة هذه الأقطار الإسلامية العربية وما شاهدت في هـذه البلاد من خـير وشر ، وما رأيت لأبنائك من وفاء لك وجفاء ، بكل أمانة وصراحة ، فالرائد لايكذب أهله ، ومن الـكذب المهلك والخيانة الرديئة الجاملة في الأخبار والمبالغة في التفاؤل »(١)

وهذا أوان إنجاز الوعد

يسرني أن أقول لك أيتها الجزيرة العزيزة أن أسرتك العربية لا تزال تنتمي إلى الإسلام ولا تزال تعتز بعروبتها ولا تزال تنسب نفسها إليك وترد دينها ولغتها إلى منبعهما في ربوعك ، وتبدأ تاريخ حياتها الجديدة بيوم أشرق فيه النور من غار حراء فكان الصبح الصادق للعالم ، وقد احتضنت هذه البلاد تراثك الأدبي والثقافي وتبنت لغتك وضمتها إلى صدرهـا وزادت في ثروتها زيادة لا تخطر على بال منك ولا من شعراء جاهليتك ، ولا يسعك عليها إلا الشكر والاعتراف بالجميل، وقد كانت هذه البلاد وفية للغتك، وفية لقوميتك، وفية لثقافتك وفية لتاريخك

وإن أسرتك العربية لم تقطع صلتها في يوم من الأيام عن دينك الذي عاهدتهـا عليه وأوصيتها به يوم ودعتها وأرسلتها لتفتح العالم وتنقذه من الجاهلية . وكم حاول الحساد أن تقطع هذه الأسرة الكريمة صلتها عن الإسلام وترجع إلى جاهليتها الأولى أو تعتنق الجاهليات الحديثة . وكم زينوا لها الانسلاخ عن عقيدتهـا الإسلامية والانفصال عن الجامعـة الإسلامية ، وأن تدين بالقومية العربية والوطنية الضيقة ، فلم تـمكن منها في كل عصر ومصر إلا أن ثارت روحها الإسلامية وهاجت غيرتها الدينية فازدادت إيماناً بهذا الدين وأحبطت مساعي المفسدين ، ولا نعرف من بين الشعوب والأمم أسرة أ كثر وفاء وأعظم أمانة وأشد تعلقاً بالماضي وغيرة على اللغة من هذه الأسرة العربية التي تسكن الشرق الأوسط الذي هو مجرى تيارات المدنية والغزوات السياسية، فقد تطور كل شيء وقد تطورت هي كذلك في ثقافتها وأدبها وحياتها تطوراً كبيراً ولـكنها لا تزال متشبثة بدينها متعصبة للغتها، فليهنك أيتها الجزيرة من أبنائك هذا الوفاء وهذه الاستقامة

إن في العـالم العربي كثيراً ممـا يسرك ويسر جيلك الاول لو بعث، فلا يزال الأذان تدوى به الآفاق؛ ولا يزال التوحيد والرسالة المحمدية يعلن بهما على الشرفات، والصلوات تقام والقرآن يتلى بلحن عربي شجي لو سمعته أيتها الجزيرة لطربت له واعتقدت أنه لم يقرأ إلا في هـذه البلاد ، ولو سمعت العلمـاء يفسرونه

(١) يوميات سائح في الشرق الأوسط

ممن يملك المليون ويطلب مليونين ، لأن ذلك ينقصه مليون ، فهو يحن إليه ، ويتحسر عليه ، وأنت لا ينقصك شيء

جربوا هذه العظمة في رمضان ، لا تفكروا في الطعام ، لا تثر كم موائد الملوك ، ولا ما احتوت المطاعم ، ولا تفكروا بالنساء ، لا يثركم حور الجنان

هذا رمضان يا أيهـا الإخوان ، فخذوا منـه الصحة لأجسامكم ، والسمو لأرواحكم ، والحب لقلوبكم ، والعظمة لنفوسكم ، والقوة والنبل ، والبذل والفضل ، وخذوا منه ذخرا للعالم كله يكن لـكم ذخرا

أعاده الله عليكم بالخير والنصر والإقبال

علي الطنطاوي

ويتكلمون فى موضوع دينى لتوهمت أنه لم يفهم إلا فى هـذا العصر، والعالم يخدم وينشر، وفى كل يوم يتدفق سيـل من المطبوعات الدينية لا يقل فى الفيضان عن الزيت الذى يتدفق من شرقك إلى غرب العالم

هذا كله مما أشهد به وأهنئك عليه، فقرى عيناً وطيبى نفساً يا أم العالم العربى؛ فمن أحق منك بالسرور على ذلك ومن أجدر منك بالتهنئة ؟

ولـكنى وعدتك وأنا أودعك على ميناء جدة أنى لا أخفى عنك شيئاً وأنى أحمل إليك فى رجوعى كل حلو ومر، وأروى لك من رحلاتى ما يسوء ويسر، وقديماً قلت: أنجز حر ما وعد

لست أدرى أيتها الجزيرة العزيزة كيف أعبر عن شعورى المزدوج المركب، وكيف أصف لك ما وجدته وما افتقدته فى هذه الرحلة الطويلة، وكيف أصور المعانى المتناقضة وكيف أجمع لك بين آلام وآمال. إنى أستعير أولا كلمة لشاعر مؤمن من بلادى قد زار العالم العربى قبلى ورجع منه حزيناً يلخص رحلته فى بيتين من شعر، ذلك الشاعر هو الدكتور محمد إقبال الذى يقول:

« لم أسمع فى مصر ولا فى فلسطين ذلك الأذان الذى ارتجفت له الجبال بالأمس. إن السجدة التى كانت تهتز لها روح الأرض لقد طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد كما تشتاق الأرض الجديبة الخاشعة إلى المطر »

لا يخفى عليك أيتها الجزيرة أن مصدر هذا الأذان الذى كانت الجبال ترتجف له ارتجافا وهذه السجدة التى كانت الأرض تهتز لها اهتزازاً، إنما هو القلب الفائض بالإيمان، الممتلئ بالحب والحنان، الجرىء على الموت، الحريص على الشهادة، الزاهد فى الدنيا، المستهين بالمادة، وقد ضعف هذا القلب من مدة طويلة وجنت عليه المادية الغربية والتعليم المادى فأفقدته كثيراً من حنانه وحرارته وخفقانه، وتأثرت بهذا التحول الحياة فى كل ناحية من نواحيها ومظهر من مظاهرها وعم المسجد والمدرسة والمنزل والسوق، وشعر به كل من لم يفقد شعوره حتى قام بالأمس أمير الشعراء شوقى فى دمشق يقول

فلا الأذان أذان فى منارته إذا تعالى ولا الآذان آذان

لقد عانت هذه البلاد العزيزة على هذا التحول كثيراً وحدثتها حديث رجل لرجل، ولـكنها قالت لى: إن الجزيرة العربية هى المسئولة عن هذا التحول، فقد كانت مصدر الحياة والقوة والإيمان والروح فى العالم كله، وقد كانت توزع الدم الجديد إلى شرايين العالم الإسلامى وعروقه فضلا عن العالم العربى فشغلت فى العهد الأخير بتصدير البترول عن تصدير دم الحياة الإيمانية، واكتفت باستصدار البضائع الأجنبية عن توريد بضاعة الإيمان وغذاء الروح إلى العالم. وجادلت عنك أيتها الجزيرة العربية كثيراً ولقد أوتيت جدلا ولـكنها أفحمتنى بالدلائل والأمر الواقع، فأقنعيها بما شئت وأدلى بحجتك فإنما هى أسرتك ومن أقرب الناس إليك

وسواء كان منك التقصير أولا، وكنت المسئولة عن هذا التحول المؤسف أم كان غيرك، فإنى أبشرك أنى شاهدت فى العالم العربى طلائع نهضة إسلامية قوية شاملة، وتباشير صبح صادق، فقد بدأ الرأى العام يستيقظ، وبدأ القلق الشديد يساور النفوس، والتذمر من الأوضاع الفاسدة يكاد يكتسح البلاد. وقد بدت حركة رد فعل عنيفة ضد الحضارة الغربية وقيمها، وظهرت آثار ثورة فكرية سياسية ضد سيادة الغرب والوصاية العالمية التى سلطها الغرب على العالم وفرضها على العالم العربى فرضاً، واستمر يتحكم فى أمواله وكنوزه وخيراته، كأنه سفيه أو مجنون أو طفل لم يبلغ سن الرشد، فها هى الأقطار العربية قد بدأت تفهم الحقائق وبدأت تواجه الغرب المتغطرس كرجل كريم يؤمن بشرفه وإنسانيته ويشعر بشخصيته وكرامته، وكرجل حى يعرف الغضب كما يعرف الرضا ويملك حق الثورة إذا وجدت لها موجبات

لقد بدأ العالم العربى يكفر بالغرب أحيانا بعد ما آمن به طويلا وخضع له طويلا وربط نفسه بعجلاته فأصبح يرى نفسه مستقلا، وعضوا كريما فى أسرة العالم، يعلم المفسد من المصلح ويميز بين الصديق والعدو ويحتفظ بحقه فى الصلح والحرب والحلف والصداقة

لقد بدأ بعض الأقطار العربية يرنو إلى التقدم الصحيح والاستقلال الصادق. قد بدأ يفهم أهميـة الصناعات الوطنية

والإنتاج والاكتفاء الذاتى والاستغناء عن البلاد الأجنبية فى مرافق الحياة، وقد بدأ بعض هذه الأقطار يخطو نحو هذه الغاية وإن كانت هذه الخطوات بطيئة وقصيرة، خطوات رجل مثقل يئن من أثقال القديم. ولكنها بدأت تزحف كما يزحف الطفل بعد ما بقيت مدة طويلة تلهو بما كان الغرب يرمى إليها من ودعات، وبما يصدر إليها من بضائع وآلات. لقد بدأت الأقطار العربية تتعلم صناعة الموت بعد ما جهلتها طويلا وهجرتها طويلا، وأصبحت تعتقد أنه لا يعيش فى العالم إلا من يستطيع أن يموت

وأعظم ما يبعث الأمل فى النفوس ويبشر بالمستقبل الإسلامى هو ظهور آثار الإيمان الجديد فى العالم العربى، فانك تملين أيتها الجزيرة العربية حق العلم أن أسرتك الكريمة ليست فى حاجة — وكذلك العالم البشرى كله — إلى دين جديد، فإن الدين الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الدين الخالد والرسالة الأخيرة، وأنه لا يزال على جدته وقوته مهما تقادم الزمان، وأنه يسع العالم كله والعصور كلها. ولكن أسرتك التى تدين بهذا الدين فى حاجة ملحة اليوم إلى إيمان جديد بهذا الدين الخالد، دين كل عصر وجيل، فقد ضعف هذا الإيمان، وقد تجددت فتن، ونشطت دعوات متطرفة وقويت، وكثرت النكبات، ولا يمكن أن يواجه العالم العربى هذه الفتن، وهذه الدعوات، وهذه النكبات بإيمان ضعيف بال، لا يستطيع أن يتحمل صدمة، أو يتغلب على شهوة، أو ينتصر على أنانية، أو يتحمل شدة، أو يقف فى وجه دعوة، إنما هو إيمان منهار لا يستطيع أن يعيش ويتماسك فى عصر قد جد فيه الجد

ولكنى رأيت فى الأقطار التى مررت بها فى هذه الرحلة بواكير إيمان جديد وطلائعه. لقد رأيت إيمانا فتيا وثابا، لقد رأيت فتية وصفهم ربهم قديما بقوله «إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططا. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا» هؤلاء الفتية الأقوياء فى إيمانهم — وإن كانوا كباراً فى سنهم — الذين يعتزون بهذا الدين أكثر ما يعتزون بشىء، إنهم لا ينظرون إليه كتراث قديم وكأثر من الآثار العتيقة أو كشجرة قد انتهى نموها وانقطعت أثمارها، إنما ينظرون إليه كنبع فياض يستمدون منه القوة والحياة، وكشمس ساطعة يقتبسون منها النور والحرارة فى كل زمان ومكان، ولا قديم فى الشمس ولا جديد، إنما هى حاجة الإنسانية الدائمة ورسول النور والحياة فى كل عصر ومصر، وبينما كان ينظر إلى الدين كقضية شخصية لا دخل لها فى الحياة العامة، ولا رسالة لها للسياسة والاجتماع، ولا صلة لها بالحكم والتشريع، أصبح ينظر إليه كمنهج للحياة ومنهج للتفكير تتوقف عليه سعادة البشرية، وتنحل به عقد المدنية الحديثة. إن الإسلام لا يعيش على هامش حياتهم إنما يحل منهم محل القلب والعقل والروح. إنهم لا ينظرون إليه كدين من الأديان الكثيرة وكمنهج للحياة من مناهجها الجديدة، إنما ينظرون إليه كالدين الحق الوحيد الذى لا يبقى بعده إلا الضلال ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه. هؤلاء هم الذين قام بهم الإسلام فى عصره الأول وسيقوم بهم فى هذا العصر

وأعجب ما رأيت هو قوة هذا الإيمان وجدته فى الشباب المتعلم، فقد رأيت هذا الجيل الجديد يكاد يفوق الجيل القديم فى قوة الإيمان والحماسة الدينية، رأيته يقبل على الدين كنعمة جليلة أوطرفة ثمينة، ويذكرنا بسروره وتقديره أولئك الرواد المغامرين الذين كانوا يخرجون لاكتشاف البحار والأقطار المجهولة ويتكبدون فى سبيله من المصائب ما يشيب لهولها الولدان، فكان إذا نجح أحدهم فى مهمته ملكه الفرح واعترته نشوة الانتصار ونسى ما لقى فى طريقه من النصب والتعب واعتبر ما اكتشفه فتحاً جديداً فى حياته وأعز من كل ما يملكه من قديم وما يعلم من قديم، رأيت فى هذا الشباب من الشجاعة الأدبية ومن الثقة بالدين وتعاليمه والإعجاب بشخصياته التاريخية ومن التطلع إلى النظام الصالح ومن روح التضحية والإيثار والثورة على النظم الجائرة والأوضاع الفاسدة والتمرد على المادة وميكانيكية المجتمع الزائفة ما يندر وجوده فى الجيل القديم. لقد قرت بهم عينى وانشرحت لهم نفسى واجتمعت بهم وحادثتهم كثيراً فى عواصم الشرق الأوسط، وقلت: هذا هو الجيل المنتظر الذى سينهض بالشرق ويرد إليه قوته، وزعامته إن شاء الله

وجهات النظر فى مؤتمر موسكو الاقتصادى العالمى

للدكتور عمر حليق

يعتبر المؤتمر الاقتصادى العالمى الذى أشرفت الحركة الشيوعية العالمية على عقده فى موسكو فى أوائل شهر ابريل من أنجح خطوات الدعاية « لحملة السلم » التى أخذت الشيوعية العالمية تدعو إليها فى حماس شديد فى المدة الأخيرة

فقد استمدت المحافل الشيوعية فى موسكو وفى كثير من بقاع العالم استعدادا فائقا فى الدعوة للمؤتمر على أنه مجرد خطوة عملية لتشجيع التبادل التجارى الحر بين الدول الشيوعية من جهة، وبين دول العالم الأخرى سواء أكانت هذه الدول « محايدة » أو من خصوم النظام الشيوعى

وقد حضر المؤتمر مئات من رجال الأعمال (من غير السياسيين) من شتى بقاع العالم بما فيها أمريكا وبريطانيا ومصر والهند والباكستان ولبنان وإيران وغيرها من الدول التى لها صبغة حيادية أو تلك التى تخاصم الشيوعية مخاصمة سافرة

وقد توصل المؤتمرون إلى عقد صفقات تجارية واسعة مع أصحاب الأعمال الروس والبولنديين والتشيكوسلوفاكيين والشيوعيين الصين وغيرهم من الشعوب التى اتخذت الشيوعية لها عقيدة ونظاما

والذى أدى إلى نجاح هذه الصفقات التجارية الواسعة ما عرضه الروس والمندوبون الشيوعيون الآخرون من مغريات . فقد أعلنوا بأنهم على استعداد لتصدير الحبوب والأدوات الصناعية والمواد الكيماوية والأخشاب وغيرها من السلع والمنتجات إلى أوربا الغربية وأمريكا وآسيا مقابل الحصول على الأنسجة والمنزولات والمطاط والأدوات الكهربائية والسفن وقائمة طويلة عريضة من المواد التى لا تمت بصلة مباشرة إلى الاستعداد العسكرى الذى يجتاح العالم هذه الأيام

ولم يكتف المندوبون الشيوعيون فى عروضهم الجارية على أساس المبادلة (مبادلة الاستيراد بالتصدير) مع الدول الغربية والأسيوية، وإنما أعلنوا استعدادهم كذلك لقبول أثمان ماتستورده البلدان الخارجية من محاصيل ومنتجات البلدان الشيوعية بالعملة المحلية للبلد المستورد

وهذا يعنى بأن الروس وحلفاءهم راضون بالتعامل بالجنيه الاسترلينى والروبية الهندية والباكستانية والعملة المصرية وغيرها من العملة المتبادلة خارج منطقة الدولار الأمريكى والفرنك السويسرى والمارك السويدى وغير ذلك من أنواع العملة الصعبة

ولهذا الأسلوب إغراؤه الشديد خصوصا لدى بريطانيا ودول أوربا الغربية وشعوب آسيا وأمريكا اللاتينية التى تعانى أزمة فى توفير العملة الصعبة لاستيراد ماهى فى حاجة إليه من محاصيل وسلع ومنتجات صناعية لا تستطيع الحصول عليها إلا بالدولار — والدولار عزيز هذه الأيام فى كثير من بقاع العالم خارج أمريكا الشمالية

وثمة أمر آخر له أهميته الاقتصادية . فقد أدى اشتراك الصين الشيوعية فى مؤتمر موسكو الذى نحن بصدده إلى سيل

إن نهضة العالم الإسلامى ونهضة العالم العربى أمر واقع لا يقبل شكا ولا جدلا ، ولكن الذى أخشى أن تسبقك هذه الأقطار وأن يتأخر دورك كثيراً وحقك أن تسبقها وتتزعمى هذه النهضة المباركة فأنت مادة الاسلام والبلد الأمين

أما بعد فإنى لست يائساً من العالم العربى ولا منك أيتها الجزيرة العربية ، وأقول فى لفظ شاعر الإسلام « إن إقبال ليس يائساً من زرعه الكريم الذى عاث فيه الوحوش والسباع فإن تربته الكريمة تأتى بحاصل كبير إذا تندت قليلا » ولك أيتها الجزيرة أن تسق هذه التربة الكريمة بزمزم ، وبما شئت من دمع ودم

ابو الحسن على الحسنى الندوى

لحساب الدول التجارية الكبرى كبريطانيا مثلا . فبريطانيا تعانى الآن ضائقة مالية امينة مبعثها اختلال الميزان التجارى وقصور الصادرات البريطانية عن اللحاق بالواردات، وهذا وضع أرغم بريطانيا على أن تنفق على استيراد الطعام والمواد الأولية من الخارج بنسبة تفوق بكثير مايدخل إلى الاقتصاد البريطانى من أثمان الصادرات البريطانية إلى الأسواق العالمية . والبريطانيون يدركون أن الصين الشيوعية سوق تجارى مغرى يعيش فيه أكثر من ٤٠٠ مليون نسمة . فإذا توفر لبريطانيا بيع منتجاتها وبضائعها فى السوق الصينى فإنها لا ريب مفرجة عن كثير من أوجه ضائقتها الاقتصادية الحادة

وقد عرض المندوبون الروس على المندوبين البريطانيين فى مؤتمر موسكو الذى نحن بصدده أن تشترى روسيا من المنسوجات البريطانية ما يبلغ ثمنه ٣٠ مليونا من الجنيهات . فإذا تمت هذه الصفقة فإنها ستعيد الحياة إلى مصانع الغزل والنسيج البريطانية فى منطقة (لانكشير) المشهورة بجودة إنتاجها والتى أخذت فى المدة الأخيرة تعانى أزمة بطالة حادة سببها قلة التصدير إلى الخارج بعد أن استعادت المنسوجات اليابانية مركزها فى أسواق الشرق الأقصى والهند؛ وبعد أن عادت الحياة الصناعية فى ألمانيا إلى البروز بشكل سريع خلق للانتاج البريطانى منافسة شديدة فى كثير من أسواق العالم

ولما كانت شؤون ألمانيا واليابان الاقتصادية لا زالت الآن إلى حد بعيد فى يد السلطات الأمريكية والحليفة ، فإن هذه السلطات لم توفر بعد فرصة لليابانيين والألمان بالتعامل التجارى مع الصين الشيوعية ، الأمر الذى يوفر لبريطانيا فرصة ذهبية لاكتساح السوق الصينى من جديد على نحو ما كانت تكتسحه قبل قيام النظام الشيوعى هناك

وهذه الحقيقة الاقتصادية تنطبق على بريطانيا انطباقها على معظم بلدان أوربا الغربية . ولذلك وجدت عروض الشيوعيين فى مؤتمر موسكو لدى الأوساط التجارية فى أوربا الغربية قبولا حسنا

وقد سبق لخبراء الأمم المتحدة الاقتصاديين أن أوصوا فى العامين الأخيرين بضرورة إعادة التبادل التجارى بين دول أوربا الشرقية وبين شعوب أوربا الغربية بعد أن كان هذا التبادل قد توقف أو كاد نتيجة لنجاح مشروع مارشال ومساعدات أمريكا المالية والعسكرية لدول الحلف الأطلنطى . فى التقريرين الأخيرين اللذين وضعتهما لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأوربا إصرار على ضرورة إعادة هذا التبادل على نطاق واسع إذا أريد لدول أوربا أن تكافح البطالة وسوء الأوضاع الاقتصادية المتفشية الآن فى معظم القطاعات الأوربية

وقد جاء فى هذين التقريرين بعض الحقائق عن ضائقة أوربا الاقتصادية . فقد ارتفعت البطالة فى إيطاليا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا وبعض الدول الإسكندنافية ارتفاعا بلغ فى بعض هذه البلدان أعلى نسبة وصلت إليها البطالة منذ أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها

فى ألمانيا يبلغ عدد العمال العاطلين أكثر من عشرة ملايين، فانتعاش الصناعة الألمانية لم يصاحبه توسع فى الأسواق الخارجية، وقد زاد الطين بلة ازدياد اللاجئين الألمان من المنطقة الشرقية (التى يسيطر عليها الروس) إلى المنطقة الغربية التى تشرف عليها سلطات الاحتلال الغربية

وفى إيطاليا أصبحت البطالة مزمنة بسبب ازدياد عدد السكان وتوقف هجرة الطليان إلى العالم الجديد ورغبة الشعب فى تحقيق مستوى من المعيشة عال لم تستطع الحكومات الإيطالية المتعاقبة أن تنميه بسبب فشل السياسة المالية وانتشار الأفكار الاشتراكية وعدم توفر المواد الخام للمصانع الإيطالية

وقد ارتفعت أثمان هذه المواد الخام إلى درجة عالية بسبب منافسة الأمريكان والروس على شرائها من مصادرها الأصلية

وقدعرض المندوبون الشيوعيون فى مؤتمر موسكو على المندوبين الطليان طلبات تجارية لبناء السفن فى الأحواض الإيطالية بمبالغ ضخمة بحيث تعود الحياة إلى هذه الأحواض التى أصبحت تعانى أزمة بطالة حادة

وفى بلجيكا وهولنده ودول اسكندنافيا توقفت بعض المصانع عن الإنتاج لعدم توفر الأسواق ، فجاءت عروض الدول

الشيوعية على مندوبى هؤلاء الدول مغرية

وجدير بالذكر أن النشاط الاقتصادى فى دول أوربا الغربية وبريطانيا محصور الآن فى الصناعة الثقيلة التى لها علاقة بالمجهود الحربى . أما صناعة النسيج والأحذية والمنتجات الكيماوية وغيرها من الصناعة الخفيفة السليمة فقد تعطل البعض الأكبر منه عن العمل . وحين يتوفر لها مثل هذه العروض التى قدمها الشيوعيون فى مؤتمر موسكو الاقتصادى فإن من الصعب مقاومة الإغراء فى إعادة التبادل التجارى بين شرقى أوربا وغربيها

وهذا بالضبط ما دفع أوساط السياسة المالية للاهتمام بهذه الخطوة الروسية فى مؤتمر موسكو التى تركز الجهد فى الناحية الاقتصادية البحتة من حرب الأعصاب

وكان طبيعيا أن تدرك الأوساط الأمريكية وجه الخطورة الروسية الجديدة وما لها من أثر على مصالح أمريكا السياسية والعسكرية والاقتصادية وصميم علاقاتها مع دول الحلف الأطلنطى وبقية أقطار العالم

ويعلل الأمريكان هذه الخطورة الروسية الجديدة بأنها جزء من حملة « السلم » التى أخذ الشيوعيون يعملون لها بنشاط فائق على أساس ما يقول الأمريكان بأنه مبدأ جديد فى السياسة الروسية . وفلسفة هذا المبدأ تقول « اربح عن طريق السلم ما نحتاج إليه فى صراعنا المسلح »

ويقول الأمريكان إن حركة السلم الروسية هذه تتناقض وبعض الحقائق السافرة التى تعيش عليها سياسة موسكو الخارجية والداخلية

ومن هذه الحقائق كون الميزانية الروسية الحكومية معقدة بشكل لا يستطيع معه الناس أن يقدروا تقديرا سليما مبلغ حصص الاستعداد العسكرى الروسى من ميزانية الدولة العامة

ومنها كذلك تركيز الإنتاج الصناعى الروسى فى تنمية الصناعات الثقيلة التى تعزز الاستعداد الحربى وتخفيض إنتاج السلع التى تصلح للاستهلاك السلمى .

ومن هذه الحقائق أيضا هذا العدد الهائل من القوات العسكرية الروسية التى توجد الآن تحت السلاح أو فى عداد القوات الاحتياطية

ويستشهد الأمريكان فى معرض انتقادهم لحملة السلم الروسية بما يلمسه المراقبون فى منطقة النفوذ السوفيتى من ازدياد السيطرة الروسية على مقدرات دول أوربا الشرقية والصين الشيوعية

وحين يحلل الساسة الأمريكان حملة السلم الروسية على هذا النحو فإنهم بالطبع واثقون من أن مؤتمر موسكو الاقتصادى لترويج التبادل التجارى بين الغرب والدول الشيوعية هو جزء من هذا التشويش السياسى الذى تهدف إليه روسيا فى حملتها السلمية

ورأى خبراء الشؤون الروسية فى وشنطن أن مؤتمر موسكو يهدف إلى ثلاثة أمور رئيسية

أولها — تشجيع الدول الأوربية الأسيوية ودول أمريكا اللاتينية التى تعانى أزمة اقتصادية بأن تقدم على المتاجرة مع الشعوب الشيوعية على أساس يضمن لهذه الدول التغلب على ضائقتها الاقتصادية ومن ثم انجذابها أكثر فأكثر نحو موسكو فى السلوك التجارى والسياسى

فإذا استدرجت روسيا وحلفاؤها فى بادئ الأمر هذه الدول الأوربية الأسيوية واللاتينية إلى المتاجرة الحرة فإن هذا الاستدراج كفيل بأن يربط عجلة الاقتصاد فى هذه الدول التى ليست شيوعية إلى عجلة الاقتصاد السوفيتى بحيث تستطيع روسيا وحلفاؤها الشيوعيون معه الحصول على بعض المواد الحربية مع مضى الزمن

ثانيها — تستطيع روسيا بخطوتها الأخيرة فى مؤتمر موسكو أن تصرف ما تختزنه من بضائع ومنتجات لا يسرى عليها الحظر الذى فرضه الأمريكان على حلفائهم فى المعاملات التجارية مع منطقة النفوذ السوفيتى

فالمعروف مثلا أن محاصيل القمح والحبوب فى روسيا تفوق حاجة الشعب الروسى . والروس منهمة فى تصريف هذه المحاصيل مقابل الحصول على سلع يستهلكها الشعب الروسى؛ وبذلك تتجه المصانع والأيدى الروسية العاملة التى تنتج الآن هذه السلع السلمية إلى إنتاج الصناعات الثقيلة اللازمة للمجهود الحربى

ثالثها — حين يزداد التبادل التجارى بين منطقة النفوذ السوفيتى والعالم الخارجى تزول بالتدريج من أفكار الناس المخاوف التى تحيط بنشاط الروس وعملائهم فى سائر أقطار العالم . وهذا

٥ – حسن البنا
الرجل القرآني
بقلم روبير جاكسون
للأستاذ أنور الجندي

« ... في هذا الفصل ، والفصل الذي يليه ، والذي تنشره الرسالة في العدد القادم ، يتحدث « روبير جاكسون » عن الشهيد « حسن البنا » ، حديث ما سمعه وما عرفه منه. وقد أطلق عليه عنوان « مولد العملاق » وتبقى بعد هذا خطوط « عريضة » لفصل مطول مسهب بعنوان « الاسلام عند حسن البنا ...
وقد بعثت في طلبه من صاحبي صديق الكاتب الأمريكي وقد عولت على أن أجمع هذه الفصول مضافاً إليها فصل « الاسلام » في كتاب خاص .. أرجو أن يتاح له أن يرى النور قريباً ..
الجندي

كان لابد أن يموت هذا الرجل الذي صنع التاريخ وحول مجرى الطريق شهيداً .. كما مات عمر وعلي والحسين ، فقد كان الرجل يقتفي خطواتهم

مات في عمر الزهر النضير ، وفي نفس السن التي مات فيها كثير من العباقرة ورجال الفكر والفن .. وقضى وهو يسطع ويتألق

وعاش الرجل كل لحظة من حياته ، بعد أن عجزت كل وسائل الإغراء في تحويله عن « نقاء » الفكرة وسلامة الهدف لم يحن رأسه ولم يتراجع ولم يتردد ، أمام المثبطات ولا المهددات .. وكان الرجل قذى في عيون بعض الناس ، وحاول الكثيرون أن يفيدوا من القوة التي يسيطر عليها ، فقال لهم إن أنصاره ليسوا عصا في يد أحد ، وإنهم لله وحده

وحاول البعض أن يضموه إليهم أو يطووه ، فكان أصلب عوداً من أن يخدع أو ينطوي ..

وكان على بساطته التي تظهر للمتحدث إليه ، بعيد الغور إلى الدرجة التي لا تفلت متصلا به أو متحدثا إليه من أن يقع في شركه .. ويؤمن بالفكرة التي يدعو إليها

وكان لا يواجه إلا من يعترض طريق دعوته ، وكان يستر من لم يكشف خصومته ..

وكان لا يهاجم عهداً مادام هذا العهد لا يحول دون الامتداد الطبيعي لدعوته .. وكان يدخر قوته للوطن ، ويكبر نفسه ودعوته من أن يكونا أداة صراع داخلي .. وظن بعض الناس أن هذا ضعف ولين ومسايرة ، وما كان كذلك ، فالرجل بطبيعته لم يكن يحب الصراع في معركة جانبية ، ولا يقبل توزيع قواه .. وإنما يؤمن بالتطور والانتقال من مرحلة إلى مرحلة ومن دور إلى دور على أساس النضوج والتكامل ، وكان هذا يزعج خصوم الوطن الذي لم يعهد سياسته تعلو على المطامع الفردية ، وتتعالى على المطامع الفردية ، وتعالى على الأغراض الذاتية ، وتنقى جوها من الدوافع الشخصية الخاصة

وكان الرجل على قدرته الفائقة في ضبط أعصابه ، كيساً في مواجهة الأمور ، لبقاً في استقبال الأحداث والأزمات

وإلى هذا كله كان غاية الاعتدال ، فكان يعيش براتب

أسلوب يلائم النفوذ الواسع الذي بناه الأمريكان في أوربا الغربية وبقية بلدان آسيا وأمريكا اللاتينية وتصاب فكرة الحلف الأطلنطي ومشاريع الدفاع عن الشرق الأوسط ومن المحيط الهادي بنكسات خطيرة

هذا بعض ما أثاره مؤتمر موسكو الاقتصادي من تعليقات في صحف العالم وأنديته

ولقد انفض المؤتمر الآن ونتائج أعماله رهينة بمدى حماس الأوساط التجارية في أوربا الغربية وآسيا وأمريكا الجنوبية إلى متابعة الاتصال بالأوساط التجارية الشيوعية التي كان عملاؤها يملؤون قاعات الاجتماع وأروقته في مؤتمر موسكو . وقد عاد بعض رجال الأعمال الأوربيين والآسيويين إلى بلادهم يحملون عروضاً تجارية للتبادل التجاري مع الدول الشيوعية بمبالغ قدرت بحوالي ٣٠٠ مليون دولار

إن هذه الخطوة الروسية الأخيرة دليل على أن العقلية الشيوعية مرنة تتلون حسب الحاجة وتتلاءم مع الظروف والمناسبات ، وتستنبط من أساليب السلوك ما يلائم الأوضاع الطارئة وإن كانت هذه العقلية في قرارة النفس مقيدة بالهدف الجوهري لفلسفة ماركس ولينين وستالين عمر حليق

لا يزيد على راتبه المدرسي المحدود ، وبين يديه الأموال الضخمة المعروضة من أتباعه وحوله من العاملين معه ، ما يصل إلى ضعف أو أضعاف ما يحصل عليه

وكان في بيته مثال الزهادة ، وفي ملبسه مثال البساطة ، وكنت تلقاه في تلك الحجرة المتواضعة الفراش ، ذات السجادة العتيقة والمكتبة الضخمة ، فلا تراه يختلف عن أي إنسان عادي ، إلا ذلك الإشعاع القوي والبريق اللامع الذي تبعثه عيناه . والذي لا يقوى الكثيرون على مواجهته ، فإذا تحدث سمعت من الكلمات القليلة المعدودة موجزا واضحا للقضايا المطولة التي تحتويها المجلدات ، وكان إلى هذه الثقافة الواسعة الضخمة ، قديرا على فهم الأشخاص . لا يفجأك بالرأي المعارض ، ولا يصدمك بما يخالف مذهبك ، وإنما يحتال عليك حتى يصل إلى قلبك ويتصل بك فيما يتفق معك عليه . . ويعذرك فيما تختلفان فيه

وهو واسع الأفق إلى أبعد حد ، يفتح النوافذ للهواء الطلق ، فلا يكره حرية الرأي ، ولا يضيق بالرأي المعارض ، وقد استطاع أن يحمل الرأي الجديد إلى الجماهير دون أن يصطدم بهم . . هذا الجديد الذي لو عرض بغير لباقة لوقفوا ضده وحاربوه . .

لقد نقلهم من ورائياتهم ، وغير فهمهم للدين ، وحول اتجاههم في الحياة ، وأعطاهم الهدف ، وملأ صدورهم بالأمل في الحرية والقوة . .

وكان له من صفات الزعماء ، صوته الذي تتمثل فيه القوة والعاطفة ، وبيانه الذي يصل إلى نفوس الجماهير ، ولا تنبو عنه أذواق المثقفين . وتلك اللباقة والحنكة والمهارة في إدارة الحديث والإقناع

وبهذه الصفات جميعها استطاع كسب هذه الطائفة الضخمة من الأنصار في هذا الوقت القصير من الزمن ، فحول وجهات نظرها ، ونقلها نقلة واسعة . . دون ارتطام أو صراع

كان سمته البسيط ولحيته الخفيفة ، وذلك المظهر الذي لا تجد فيه تكلف بعض العلماء ، ولا عنجهية المتمسكين بالسنة ، ولا سذاجة الصوفية . . قد أكسبه الوقار

ولقد كانت شخصية حسن البنا جديدة على الناس . . عجب لها كل من رآها واتصل بها . .

كان فيه من الساسة دهاؤهم ، ومن القادة قوتهم ، ومن العلماء حججهم ، ومن الصوفية إيمانهم ، ومن الرياضيين حماسهم ، ومن الفلاسفة مقاييسهم ، ومن الخطباء لباقتهم ، ومن الكتاب رسانتهم

وكان كل جانب من هذه الجوانب يبرز كطابع خاص في الوقت المناسب ، ولكل هذه الصفات التي نقرأها في كتب شمائل الصحابة والتابعين ، لم يكن مقدراً أن يعيش طويلا في الشرق . . وكان لابد أن يموت باكرا ، فقد كان غريبا عن طبيعة المجتمع ، يبدو كأنه الكلمة التي قد سبق وقتها ، أو لم يأت بعد

ولم يكن الغرب ليقف مكتوف اليدين ، أمام مثل هذا الرجل . . الذي أعلى كلمة الإسلام على نحو جديد . . وكشف لرجل الشارع حقيقة وجوده ومصيره ، وجمع الناس على كلمة الله . . وخفت بدعوته ريح التغريب والجنس ، ونزعات القومية الضيقة ، واعتدلت لهجات الكتاب ، وبدأ بعضهم يجري في ركب « الريح الإسلامية . . »

للكلام صلة — أنور الجندي

فى تاريخ الادب التركى

للاستاذ عطا الله ترزى باشى

تحدثت إلى القراء فى أعداد الرسالة السابقة (١) عن تاريخ الأدب التركى فى عصوره المختلفة منذ النشأة حتى أوائل العهد العثمانى بصورة مجملة

وأعود اليوم إلى مواصلة البحث بدراسة الأدب العثمانى دراسة عاجلة؛ على أن أترك أمر التفصيل والتمحيص فيها للقراء يراجعون المصادر التى استقيت منها مواد هذا المقال

وأود قبل الخوض فى مواد البحث أن أشير إلى أن الأدب التركى فى هذا العهد لم يكن أدبا منحصراً فى المناطق التى شملها الحكم العثماني فقط، وإنما كان نطاقه ممتدا إلى بلاد غير خاضعة للحكم العثمانى، يقطنها الأتراك. فهناك الأدب الآذرى، وهو فرع هام من فروع الأدب التركى المنتشر فى أرجاء العجم وبلاد الآذربيجان: وقد نشأ بعد انقراض السلجوقيين وظهور المغول فى تلك الأنحاء، ونما نموا سريعاً حتى تغلغلت فروعه فى الأدب العثمانى، وعاش متأثرا به ومؤثرا فيه، محافظاً على صبغته الآذرية حتى اليوم. وقد آثرنا أن نتحدث — عند الكلام عن الأدب العثمانى — عن هذا الأدب بإيجاز، وذلك وفق ما يتطلبه الحاجة ويهواه المقام (٢)

وهناك بجانب الأدبين العثمانى والآذرى الأدب الجغتائى، وقد انتشر فى مناطق (الخوارزم وآلتون أوردو). نبغ فيه أدباء مفكرون وشعراء معروفون؛ وقد انتقل إلينا كثير من الآثار التى ألفوها فى مواضيع الدين والأخلاق والتصوف. ويعد (قطب) أول شاعر جغتائى نعرفه. له منظومة تركية قيمة بعنوان «خسروشيرين» (٣). وكذلك (خوارزمى) من شعراء الجغتائية المعروفين الذى أشتهر بكتابة المنظوم «محبتنامه» (٤) وغيره من الشعراء كثير، سواء عاشوا فى بداية تأسيس الحكم العثمانى (٥) أو ظهروا فى القرون التى تلتها (٦)

وهناك أدب المماليك، وظهر بين الأتراك الذين عاشوا فى مصر زمنا وأسسوا لهم إمارات صغيرة هناك. وتميز هؤلاء بنشاطهم الأدبى الفعال وقدرتهم العظيمة على تنظيم الحركة الفكرية فى البلاد. نشأ منهم عدد لا يحصى من العلماء والشعراء، وقد تركوا آثارا فكرية كثيرة ومؤلفات أدبية قيمة. ويعد الشاعر (سيف سرائى) أشهرهم، وهو الذى ترجم كتاب «كلستان» للشاعر الإيرانى (سعدى) إلى التركية نظما

وهكذا فإن نظرة عاجلة فى الأدب التركى تطلعنا على أن هذا الأدب كان متفرعاً عند ظهور العثمانيين إلى عدة فروع هامة، منها العثمانى والآذرى والجغتائى والمملوكى . . .

ولقد امتد أثر الأدبين الجغتائى والآذرى قروناً طويلة وذلك بامتداد الأدب العثمانى، حتى فقد الأول منهما مميزاته الجوهرية الخاصة واندمج فى غيره من الآداب (التركية). ولا يزال الأدب الآذرى قائماً بنفسه، محافظاً على مقوماته الأساسية حتى اليوم. أما الأدب العثمانى، وهو موضوع دراستنا، فقد انقرض تدريجاً بعد زوال الحكم العثمانى وظهور الدولة التركية الحديثة، وغدا اليوم أدبا تاريخيا مقصوراً على بعض الأندية الأدبية ويمثله فى الوقت الحاضر شعراء محصورون

ولننتقل الآن إلى العهد العثمانى، وقد رأينا أن نتبع فى تقسيمه إلى الأدوار هذا الشكل:

---

(١) مجلة الرسالة العدد ٩٧٨ و ٩٧٩

(٢) وللاستفاضة فى دراسة الأدب الآذرى راجع عن هذه المادة الأستاذ فؤاد كوبريلى فى دائرة المعارف الإسلامية «الترجمة التركية». وراجع أيضا دائرة المعارف التركية «إينونو» ج ٤ ص ٢٤٧

(٣) والمخطوطة الوحيدة منها محفوظة فى دار الكتب الفرنسية بباريس تحت رقم ٣١٢ Ancien Fond Turc

(٤) انظر فؤاد كوبريلى فى كتابه «تتبعات فى اللغة التركية وآدابها» ص ٢٣٧ — ٢٥٢

(٥) راجع من هؤلاء الأستاذ نهاد سامى فى تاريخ الأدب التركى المصور ص ١٠٨

(٦) وقد تطرقنا إلى حياة البعض منهم فى هذا المقال

(أولا) صدر الدولة العثمانية (ثانيا) دور الدواوين
(ثالثا) دور التنظيمات (رابعا) دور ثروة الفنون

صدر الدولة العثمانية :

ويبتدئ هذا الدور ، حسب ما نراه ، من وقت تأسس الدولة العثمانية (سنة ١٣٠٠ م — ٦٩٩ هـ) حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى

ويتميز الشعر فى هذا الدور بنقاوة اللغة وسلاسة الألفاظ ورقة الأسلوب وقلة التكلف . فكان الشعراء يتجنبون غالبا استعمال الكلمات الغريبة فى أشعارهم وينفرون من التصنع والتلاعب بالألفاظ . ولذا فإن شعرهم يمثل باستثناء أشعار بعض المتأخرين من الشعراء أبدع ما نظمه الشعراء العثمانيون على الإطلاق

وامتاز هذا الدور بشيوع (المثنوى) بين الشعراء شيوعا هائلا ، إذ لا يخلو أثر من الآثار التى ألفها الشعراء فى هذا الدور من شعر المثنوى

والمثنوى لون من الشعر اشتهر به الفرس منذ القديم . فنظموا به الملاحم التاريخية الكبرى والقصص الخيالية الرائعة أمثال « الشاهنامه » للشاعر الفارسى العظيم (فردوسى) . و « المثنوى » لمولانا جلال الدين الرومى . وقصة « يوسف عليه السلام » وقصة « ليلى ومجنون » وغيرها كثير .. ويميز المثنوى عن غيره من الأشعار وجود القافية بين شطرى كل بيت من أبيات المنظومة؛ ولا يشترط اتحاد الأبيات فى القافية إذ يكفى أن يكون شطرا البيت مقفيين (٧)

وللشعراء الأتراك آثار شعرية كثيرة جرت مجرى المثنوى . وقد امتاز شعراء هذا الدور بتعصبهم لنظم المثنوى . فلا نكاد نرى شاعرا إلا وشغل نفسه بهذا النوع من الشعر

(٧) كما فى نظم إبان بن عبد الحميد قوله فى باب الثور والأسد من نظم كليلة ودمنة :

وإن من كان دنى النفس يرضى من الأرفع بالأخس .. الخ المنظومة .
ولبحث المثنوى فى الأدب التركى انظر الأستاذ إسماعيل حبيب فى كتابه « أدبيات يلكيلرى » ص ١٤٢ ـ ١٤٦

وأول من اشتهر منهم فى نظم المثنوى (مصطفى شيخ أوغلو) صاحب المثنوى المعروف « خورشيد نامه » ومترجم كتاب « كليلة ودمنة » إلى اللغة التركية . وقد عاش هذا الشاعر فى عصر السلطان يلدرم بايزيد . وكذلك الشاعر المشهور (عاشق باشا) (سنة ١٢٧٢ — ١٣٣٣ م) وقد اشتهر بمؤلفه « غريبنامه » فى التصوف والأخلاق . وهو كتاب قيم يقع فى اثنى عشر ألف بيت من الشعر ، فى أوله مقدمة فارسية تتبعها قصائد تركية فى نعت الإله ومدح الرسول ووصف المشاهير من المسلمين ثم يليها أبواب الكتاب العشرة ، وكل باب مقسم إلى عشرة فصول تتضمن ملاحم شعرية مختلفة فى وصف الجنة والجحيم والدنيا والآخرة والسماء والأرض والعناصر الأربعة فى تكوين الحياة .. الخ

ومن شعراء هذا الدور ، (كلشهرى) وقيل إنه عاش قبل (عاشق باشا) بمدة . له منظومة مترجمة من كتاب « منطق الطير » للشاعر الفارسى (عطار)

أحمدى :

ويعد زعيم الشعراء فى عصره . ولد سنة ١٣٣٤ م فى مدينة (كوتاهيه) (٨) أو فى مدينة (كرميان) من ولاية (بروسه) وذلك فى سنة ٧٣٥ هـ حسب ما ذكره طاشكبرى زاده ، كما أن لطيفى صاحب تذكرة الشعراء ذكر أن مسقط رأسه هو مدينة سيواس حيث درس فيها العلوم وارتحل بعد ذلك إلى القاهرة ، وكان يتردد هناك على مواطنيه حاجى باشا الذى اشتهر فى الطب ومولانا محمد شمس الدين الفنارى . وعند عودته إلى وطنه الأصلى التحق بخدمة أمير كرميان (٩)

وأدرك أحمدى غزوة تيمورلنك فى البلاد العثمانية ، وحظى عند هذا الطاغية وأصبح نديما له . ويروى عنهما لطائف كثيرة ، وقيل إنه لم يعجبه البقاء عند تيمورلنك فالتحق بخدمة الأمير

(٨) نهاد سامى : المرجع السالف الذكر ، ص ١٠ .

(٩) دائرة المعارف الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ وقد التبس على المترجم العربى تعريب « كرميان » فثبتها فى مواضع عدة على شكل « كرمان »

سليمان من أبناء السلطان يلدبرم بايزيد، وظل يصاحبه حتى مات السلطان فعاد أحمدى إلى أماسيه

وأحمدى شاعر مبدع، وأهم ما يمتاز به هو إدخاله المواضيع الدنيوية فى الأدب التركى الغربى. ويعتبر كتابه «اسكندر نامه» أول مؤلف تركى قصصى بأسلوب الملاحم، فقد وصف فيه حروب الملك إسكندر المقدونى فى (٨٢٥٠) بيتاً من الشعر (١٠) ويتضمن هذا الكتاب آراء فلسفية طريفة وأبحاثاً فى الطب قيمة. ولأحمدى ديوان نفيس ضم مجموعة من أشعاره فى القصائد والغزل، وله منظومة بعنوان «جمشيد وخورشيد». وهى مثنوى يحتوى على خمسة آلاف بيت من الشعر. وقد عثر على هذا الكتاب قبل عشر سنوات وبضع سنين الأستاذ نهاد سامى وحققه مع كتاب آخر لأحمدى هو التاريخ العثمانى فنشرهما فى مجلد سنة ١٩٣٩

أدب السلاطين .

ويعد السلطان عثمان غازى مؤسس الدولة العثمانية أول من نظم الشعر بين السلاطين. له منظومات شعرية بديعة فى الحماسة (١١)

وهناك سلاطين كثيرة اشتغلوا فى ساحة الأدب منهم السلطان بايزيد الثانى والسلطان مراد الثانى من شعراء هذا الدور، ويعد الأخير أول سلطان عثمانى جمع أشعاره فى ديوان خاص ١٢). ويعتبر السلطان محمد الفاتح أثقف سلطان عثمانى على وجه الإطلاق. فقد كان هذا السلطان يجيد، بالإضافة إلى اللغة التركية، اللغات العربية والفارسية (وله فيهما أشعار) والعبرانية ولغة الصرب ١٣). وقيل إنه تعلم اللغتين اليونانية واللاطينية أيضا ١٤)، وهو شاعر مجيد، اختار له فى الشعر اسم عونى مخلصاً (١٥)

وكان السلطان بايزيد الثانى، ابن السلطان محمد الفاتح، شاعراً وعالماً. وكذلك كان أخوه السلطان (جم) شاعراً مبدعاً له مكانة مرموقة فى الأدب التركى. وأشعاره فى غاية من الرصانة. وكلها فى الحزن. وقد لاقى السلطان فى حياته أنواعاً شتى من الهموم وألواناً مختلفة من العذاب مالا يتحمله الإنسان.. لقد دب دبيب الفساد بينه وبين أخيه على السلطنة فأغواهما الشيطان حتى تقاتلا، وقدر له ولجيشه أن ينهزم. ففر إلى أوربه، ووقع بيد البابا الذى وعده خيراً ولكنه لم يف. فلقى السلطان حتفه من كأس هيئت له وفيها سم مميت

ووقائع هذا السلطان مشروحة فى المصادر التاريخية بكل اهتمام ١٦). ولهذه الوقائع علاقة وطيدة بشعره. فهو يصف به آلامه ومصائبه بأسلوب عاطفى فياض يبعث فى النفوس الألم، ويحدث فى القلوب كلوماً لا تلتئم

مميزات هذا الدور

ذكرنا أن هذا الدور كان قد امتاز بكثرة ما نظمه الشعراء من المثنوى ووفرة ما أنتجه رجال الفكر والأدب من الملاحم والقصص. ونضيف إلى ذلك بعض المميزات الأخرى. وأول ما يبدر إلى الذهن فى هذا الخصوص هو ما نلحظه من الاهتمام الشديد بالأدب الشعبى والعناية البالغة به. وقد ظهر شعراء سلكوا مسلك الصوفى المعروف الشاعر الشعبى (يونس أمره)؛ منهم (سعيد أمره)؛ من منتسبى الطريقة البكتاشية.. و(قايغو سز آبدال) الذى عاش فى دور السلطان مراد الثانى.. و(حاجى بايرام) مؤسس الطريقة البايرامية فى الأناضول.. و(أشرف أوغلو) المتوفى سنة ١٤٦٩م وغيرهم من الشعراء الذين كانوا متأثرين بأدب (يونس أمره) وبأسلوبه فى الشعر

وإن من أهم ما يختص به الأدب الشعبى فى هذا الدور نشوء القصص الحديثة. وقد ظهرت هذه القصص تحت عنوان «حكايات دره قورقوت». وهى تعتبر كنزاً ثميناً للأدب

---

١٠) دائرة المعارف نفسها

١١) حيد وهبى: مشاهير الاسلام، ج ١ ص ٥١

١٢) قطين: تذكرة الشعراء

١٣) وفى تحقيق معرفة السلطان لهذه اللغة مقال ممتع للأستاذ أحمد جعفر أوغلو فى مجلة أولكو العدد ٤٣

١٤) نهاد سامى: المرجع السابق ص ١٣٣

١٥) المخلص هو الاسم المستعار الذى يكرره الشاعر فى نهاية شعره. والغالب أن يرد هذا الاسم فى البيت الأخير من الشعر. وهو خاص بالشعرين التركى والفارسى

١٦) للمؤرخ الشهير أحمد رفيق مؤلف نفيس عن حياة السلطان جم باللغة التركية القديمة ١٩٢٣ كما وأن للاستاذ محمد نورخان أثراً شبيهاً بالأول نشره فى سنة ١٩٣٩ وراجع عن مادة جم ش سامى فى قاموس الأعلام

التركى ، وقد كتبها أحد الشعراء (١٧) بلغة تركية سليمة وبأسلوب ممتع جذاب ، مصوراً الحياة الاجتماعية والأخلاقية عند الأتراك فى العصور القديمة تصويرا بديعاً؛ فيحدثنا فيها عن الحياة العائلية وعن العلاقة الزوجية ، وعن موقف الأولاد من الأسرة ، وكذلك يبحث لنا عن النواحى الثقافية والأدبية بصورة عامة

ويمتاز هذا الدور من تاريخ الأدب التركى بنمو الأدب الجغتائى وتكامله . ولقد سبق أن رأينا أن الأدب التركى كان قد تفرع إلى فروع رئيسية ثلاثة : العثمانى والآذرى والجغتائى . وكلها آداب متشابهة من حيث الروح والجوهر ، وإن كانت مختلفة فى الشكل والمظهر . فنجد أنها جميعاً تنتظم تحت قواعد معينة وقيود متشابهة · فالأشعار فى هذه الآداب التركية الثلاثة بأوزانها وأساليبها ومقاييسها ومفاهيمها متجانسة ومتشابهة إلى حد بعيد ، وإنما الاختلاف كان فى الألفاظ والحروف وفى قواعد اللغة وتنوع اللهجات فى البلاد

وامتاز الأدب الجغتائى فى هذا الدور بنمو الوعى القومى بين شعرائه . وكانت فكرة القومية عندهم تستند على أسس علمية قوية وعلى مبادئ أخلاقية متينة . ويعد الشاعر (على شير نوائى)(١٨) من أعاظم الشعراء الذين قاموا بتمثيل الأدوار الرئيسية لتلك الحركة . فقد سجلها فى كتابه الموسوم بـ « محاكمة اللغتين » ألفه فى المفاضلة بين اللغتين التركية والفارسية، وترجيح الأولى بعد مقارنة دقيقة على الثانية . فنراه يذكر فى هذا الكتاب على سبيل المثال مئات الألفاظ التركية التى يندر العثور على مرادفاتها فى اللغة الفارسية .. بل ويتعذر على الفارسى أن يعبر عن معانى تلك الألفاظ من دون أن يلجأ إلى استعمال عدة كلمات مقابل لفظة تركية واحدة . . ونراه بعد ذلك يخلص لنفسه برأى خاص وهو أن اللغة التركية أوسع مادة من الفارسية وأغزر منها موردا

وعلى شير نوائى عالم وأديب وشاعر قدير . نظم الشعر فى اللغتين ، وكان فيهما مبدعا مجيدا . ولقد ذهب البعض — على خلاف الأكثرية — إلى أن على شير كان فارسيا . ولنا فيه رأى نبديه فى عدد قادم من الرسالة

وبقدر ما كانت فكرة الميل إلى اللغة التركية ظاهرة بين الشعراء الجغتائيين فى ذلك الدور ، فإننا نتلمس آثار هذه الفكرة فى كلام الآخرين من الشعراء بوضوح . وفى كتاب « غريبنامه » وقد أشرنا إليه فى أعلاه ، أشعار يستدل منها على أن صاحبها كان متحمساً للأدب التركى واللغة التركية ، حيث يبدى أسفه على وضع اللغة وحالة الترك بقوله :

تورك ديلنه كيمسنه باقماز ايدى

توركاره هر كز كوكل آقماز ايدى . . الخ المنظومة

بمعنى أنه لم يكن هناك من يهتم باللغة التركية ويبالى بها . ولم يكن كذلك من يعطف على الأتراك ويبدى لهم الحنان

شيخى ونجاتى

وهما من مشاهير الشعراء الذين عاشوا فى نهاية هذا الدور . ويعتبران بحق من مؤسسى الشعر العثمانى فى القرن الخامس عشر الميلادى . لا يعرف تاريخ ولادتهما على وجه التحقيق . وقيل إن الأول ، واسمه الحقيقى سنان ، توفى سنة ١٤٢٩ م ، والثانى ، واسمه عيسى ، توفى سنة ١٥٠٨ م . وكان شيخى متصوفا سالك طريقة (حاجى بايرام ولى) وله مثنو منظوم بعنوان « خسرو شيرين » وآخر يدعى بـ « خرنامه »(١٩) ويتضمن نصائح وإرشادات على لسان الحيوانات . وله ديوان حققه الأستاذ (على نهاد) ونشره فى سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ . كما وقام مؤتمر اللغة التركية بطبعه فى سنة ١٩٤٢ . ولنجاتى ديوان يضم أشعاره كلها ، وليس له أثر غيره . وقد اشتهر هذا الشاعر بعد إسلامه إذ كان نصرانيا ووقع أسيراً بيد الأتراك فأسلم واقترب من السلاطين وحظى كثيراً عند بايزيد الثانى . وصاحب أحمد

---

(١٧) ولم يعرف اسمه حتى اليوم

(١٨) وقد ذكرناه سهواً مع بعض الشعراء فى عهد ما قبل العثمانيين

(١٩) ومعناه رسالة فى الحمار

(٢٠) ويذكر لطيف صاحب تذكرة الشعراء أنه اطلع على مائة كتاب فى نظم المولد ، لم يكن واحد منها فى درجة مولد سليمان جلبى . ويشير محمد طاهر البرسوى فى كتابه « عثمانلى مؤلفلرى » الى أسماء ما يقارب الثلاثين « مولدا »

باشا وزير السلطان محمد الفاتح ، وكان هذا الوزير من الشعراء البارزين

وهناك غيرهم من الشعراء أمثال جمالى ونظامى وخليلى والشاعرة زينب خاتون والأديبة الفاضلة مهرى هانم ، ممن عاشوا فى القرن الخامس عشر الميلادى وتركوا آثاراً شعرية كثيرة

أدب المولد

قلنا إن هذا الدور من الأدب التركى تميز بكثرة التآليف الدينية والمنظومات الأخلاقية ، وقد أشرنا إلى البعض منها فى هذا المقال . ولعل أهم حادث أدبى ظهر فى نهاية هذا الدور هو ما استحدثه الشاعر الدينى المظيم (سليمان جلبى) المتوفى سنة ١٤٢١ م بتأليفه المنظومة المعروفة فى مدح الرسول (ص) وسيرته المسماة بـ « مولد » . وهى منظومة لها قيمتها الكبرى فى الأدب التركى . لحنها أهل الفن وتغنوا بها زمناً . ولا يزال الأتراك يتغنون بها فى ذكرى المولد النبوى من كل عام ، ويرددونها فى إقامة المناقب النبوية فى بعض الأوقات والمناسبات. وقد امتازت هذه المنظومة النفيسة بروعة النظم وطراوة الموضوع. ويعتبر أسلوبها مثالا واضحا للأسلوب السهل الممتنع . وهى بهذا الاعتبار تعد بمثابة قصيدة البردة للبوصيرى . وقد ألفها صاحبها فى سنة ١٤٠٩ م إثر واقعة أثارت فى نفسه الفيظ فأبدع فى النظم ؛ فجاء أثراً رائعاً لا يضارعه فيه أحد . وقد قلده شعراء كثيرون (٢٠) لم يبلغ أحد شأوه حتى اليوم

عطا الله ترزى باشى

جوته

حياته وكتبه

للكاتب الألمانى توماس مان

الأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

عندما دقت الساعة الثانية عشرة فى الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٧٤٩ ، ولد فى بيت نبيل من نبلاء فرانكفورت طفل شاحب اللون تبدو عليه علائم الموت بعد شدة مضنية من أم تبلغ الثامنة عشرة . . لم تمض بضع دقائق على ذلك حتى نادت الجدة التى كانت قابعة على الفراش .. (البرابيت ؛ إنه حى !)

كانت هذه الصرخة ، صرخة امرأة إلى اخرى ، وكان الصوت صوتاً رقيقاً فيه المرح والفرح وفيه الإبشرى والحبور . إن الطفل الذى اجتاز البوابة السوداء مختنقاً ضعيفاً ، كان مقدراً له أن يقضى حياة فيها جلالة الوجود وعظمته . مضى على ذلك ثلاث وثمانون سنة تقلبت عليه صفحات من التاريخ تحدثه ومنها حرب السبع سنوات ، ونضال أمريكا فى سبيل الاستقلال ، والثورة الفرنسية . وقيام نابليون وسقوطه ، وانحلال الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، وانبثاق فجر العصر البرجوازى

هذا الشيخ الذى تعاقبت عليه كل هذه الحوادث ، يقف أمام منضدته برأسه الأشيب ونباته والحلقات الغريبة من عمره المديد تضفى ظلالا على عيونه السنجابية وتكسبها معنى خاصا وهو يكتب آخر رسالة إلى صديقه القديم ، الفقيه والسياسى (ولهلم فون همبولدت) فى برلين فيقول فى سياق رسالته « العبقرية هى تلك الموهبة التى تتشرب كل شئ دون أن تسئ إلى مقدراتها الأصلية .. وبالممارسة والتعلم والنجاح والتأمل والفشل — وبالتأمل أكثر فأ كثر — تتلى أعضاء الإنسان بحريتها الغريزية إلى أن توحد المكتسب بالكامل لتنتج وحدة منسجمة تدهش العالم . المخلص فونه .. » وما كادت تمضى على وفاة جوته أيام قليلة حتى كتب فون همبولدت صاحب الشخصية الوهاجة الصريحة .. كتب معلقاً بأن هذا الإنسان أثر تأثيراً لا شعوريا وبمجرد وجوده فقط وبدون مشقة بما يحيط به وقال « إن هذا التأثر منفصل كل الانفصال عن عمله الإبداعى كمفكر وككاتب ، ومرجع ذلك إلى شخصيته العظيمة وعبقريته الفذة . إن شخصية كهذه هى التى تمكنت بقوتها الخاصة من جذب أنظار العالم إليها بصورة مدهشة ، فكأن الطبيعة شاءت أن تظهر فيه سرا من أسرارها العجيبة » . وقد عرض جوته يوماً من الأيام إلى ذلك بقوله « إن العوائل التى تستمر طويلا فى وجودها

تبدع قبل انقراضها شخصاً يجمع كل ميزات أجداده بالإضافة إلى العواطف والمطامح الكامنة التي ظلت خافية عن الأنظار، ويعني هذا بمفهومنا المصري أن جوته لا يقصد من ذلك إلا نفسه.

ولنا أن نتساءل وكيف حدث ذلك؟ وما يعني الاندماج في الحقيقة؟ إن جميع ذلك حدث — وما يزال يحدث — بصورة عفوية بسيطة، وكثيراً ما امتزجت عوائل وتزاوجت، وهذا التزاوج والتمازج يبدوان جليين فيما لو لاحظنا ما يحدث بين ممتهني الحرف المختلفة من كافة العوائل والطوائف والملل، ولنا في عائلة (لندهاءر) التي تصاهرت مع عائلة (تكستر)، مثال واضح لعائلة نزحت من فرانكفورت التي هي في جنوب ألمانيا، واتصلت بعائلتي غوته وتكستر، اللتين تسكنان في الشمال ما بين غابة تورجينيا وجبال هارس. إنني أعتقد شخصيا أن عرق لندهاءر ينتسب بصلات قوية إلى الرومان — أي إلى منطقة البحر الأبيض المتوسط — كما أن لها نسبا بالعروق البربرية التي امتزجت بها من زمن بعيد، وأن هذه العائلة كان لها التأثير الحاسم في تكوين طبيعة الشاعر العظيم، فقد ورث عن أمه — التي هي من هذه العائلة — والتي كانت قوية البنية، واضحة الملامح، رقيقة المزاج، سمراء اللون، ورث منها — اعتمادا على الصور التي في حوزتنا — جبهته وشكل رأسه، واتجاهاته الفكرية الكلاسيكية، ورغبته في الأسلوب الجلي الواضح، وروحه المرحة، وسخريته، وجاذبيته، ونقداته، وكراهيته للطبيعة الألمانية، ومع ذلك فإن الطبيعة الألمانية كان لها تأثير غير منكور فيه يتبين ذلك من هدوئه ونقده الرائعين اللذين يمتاز بهما الألمان، أما من الناحية البايولوجية، فقد كان هذا الاتحاد العائلي مقدرا له أن ينتج هذه الظاهرة الملائكية. كان جده خياطا يدعى فردريك جورج غوته، وكان فاشلا في أعماله، تزوج مرتين ومات أكثر أولاده الأحد عشر في سن الطفولة إلا ثلاثة وأكبرهم كان مختل العقل، مات في سن الثالثة والأربعين مجنونا لا رجاء فيه. أما والد الشاعر جوهان كاسبر، فقد كان العاشر لأبويه، وأصبح قاضيا يلقب بـ (المشاور الإمبراطوري)

وكان هذا رجلا شرسا مضطربا يعيش في عزلة عن الناس، ولم يقم بواجب وظيفته مطلقا، وأما زوجته (اليزابيث) فقد ولدت له ستة أطفال، عاد منهم أربعة إلى عالم الظلال مبكرين، وبقيت أخت (وولف كانغ)[1]، قرناليا، وكانت نسمة كئيبة، وكان الأجدر بها أن تكون راهبة من أن تكون زوجة كما قال أخوها، ومع ذلك فقد تزوجت لكي تموت في أيام نفاسها، تلك الأيام التي كانت تنظر إليها بعين ملؤها المقت والكراهية. وهكذا عاش (وولف كانغ) وحيدا فريدا، وقد تمكن أن يعوض بحياته المديدة عن حياة الجميع، ولكن حياته الأولى كان يعوزها الصحة كما كان الحال مع الآخرين، فداهمه السل طوال حياته الجبارة، ذلك المرض الخبيث الذي كان كامنا من سنين كثيرة في أعماقه، على أن هذا المرض لم يمنعه من الدراسة ودليل ذلك التحاقه بمدرسة (لنبرغ). وقد تألم كثيرا من النزيف الذي كان يعاوده بين حين وآخر مما اضطره إلى العودة إلى بيته شابا مهيض الجناح، فاشلا في دروسه ليزيد في آلام والديه. ولكن ذلك لم يدم طويلا، لأن قواه عادت إليه في (ستراسبورغ) ما بين سن العشرين والثالثة والعشرين، حيث أكمل دراسته الحقوقية وسط صعوبات هائلة، وبعد أن راجع عن منهاجه الذي رسمه لنفسه، وأخيرا حصل على الليسانس من كلية (وتيسلر — آن — دبرلاهن)

اشتغل الشاعر مدة من الزمن في المحاكم الإمبراطورية بصورة رتيبة، وبدون أي رغبـــة، وهكذا نراه لم يعمل شيئا يستحق الذكر، غير أنه همه كله في الحب والتألم والأحلام والكسل، وغير تركه لروحه لتنمو نموا حرا بديعا في عوالم الأحلام. لقد كان يجذب إلى نفسه، بأسلوبه الخاص في لباسه وعاداته وتقاليده، يجذب إليها سخرية الناس وضحكهم واستهزاءهم، إلا أن ذلك لم يكن يؤثر في جاذبيته المشعة، وشبابه النادي، وتباهيه وخيلائه. كما أن موهبته الإشعاعية التي كانت تظهر بصورة جليـة، كانت تنز بالقوة الجبروتيـة والروح المتعالية الوحشية، على أن هذه الروح تأنست بسذاجته

---

[1] وولف كانغ هو الاسم المسيحي (اسم التعميد) للشاعر العظيم

التى لا توصف ، وطيبته الحلوة وشبابه الغض البهى . كان رائع الجمال ، وصديقا حميما للأطفال وللناس العاديين ، لا بل إنه كان صديقا للطبيعة نفسها ، وكان فى نفس الوقت «يشبه العصفور فى تنقلاته وتجواله» كما حدثنا بذلك الشاعر هردر « كان سيدا عالى الجناب ، ولكن بأرجل ضعيفة كأرجل الديك » . وقد كتب غوته يوما عن نفسه قائلا : « أنا لا أعرف ما هو نوع التأثير الذى يكمن فى ، والذى يجذب الناس إلى ، إن أكثر الناس تحبنى ، ولا طاقة لى بمعرفة ذلك » . ولابد أن هذا التملق كان فى أوجه عند بلوغ شاعرنا السادسة والعشرين ، وخصوصا لما أصبح مؤلفا ذائع الصيت ، وناظما لقصائد باروعة الجمال ، ومن هذه المؤلفات كتابه (برلنكن) و (فرتر) وقطع شعرية أخرى من قصيدة (فاوست) . إن جميع ذلك جعل من دخوله إلى (واعر) نصرا رائعا له ، حيث ضمه إلى حاشيته دوقها الصغير ، وكان غرضه من ذلك زيارة المدينة ليس إلا . إن هذه الزيارة طالت حتى شملت كل حياته . وإذن فدخوله إلى (واعر) والتحاقه بالوظيفة فيها كان مجرد صدفة ، هذه الصدفة التى خدمت خطته النفسية ، والتى أسماها (القيادة من أعلى)

اتصل جوته بالأمير (كارل أوغست) فى (كارلز روهه) ، بتوسط اثنين من الأرستقراطيين المعجبين به . وخطب هناك (ليلى شون مان) ابنة أحد نبلاء (فرانكفورت) ولكن خطوبته هذه لم تكن مستندة على حب أو افتتان ، لأن الخاطب الصغير كان تعيسا جدا فى أعماق قلبه ، على ما حدث له من خبال كاد يمنع نفسه النقية من أن تقوم بواجبها ، فاضطره ضجره إلى الهروب ، فهرب إلى سويسرا بصحبة نبيلين متحمسين له ، وكان قلبه يصرخ من أعماقه « يجب على أن أذهب إلى العالم » وكان لصوته هذا صدى عميق فى كتاباته ، أما الصوت الذى تجلت فيه هذه الصرخة ، فقد كان صوت عمله الحبيب ، حياته التى كانت فى أوج جاذبيتها وكمال نضجها ، هذا الصوت الذى تكلل بالجمال والجلال ، والعظمة الحقة ، إنه صوت فاوست الذى أريد له أن يظهر فى عالمنا هذا ذى الشئون والشجون ، بصورة باهرة عذبة ، جميلة رائعة فخمة

وقع كارل أوغست فى حبائل الحب مرتين ، الأول بتعلقه بالأميرة لويزا من (دار مستاد) والثانية مع الدكتور غوته نفسه ، ولما تلاقيا كان كارل أوغست متزوجا وأميرا ذا نفوذ وسطوة ، فوضع كلا منهما — أى لويزا وغوته — تحت رعايته وكانت عاصمته الصغيرة (مانيز) ومن حولها القرى مسرحا للصيد والفروسية ، وقد بلغ بشاعرنا السرور غايته القصوى ، إذ كان يتمتع بالجاه العريض والنفوذ الواسع ، وبصداقته وحبه للمتملقين به كان يضفى عليهم شخصيته وشرفه وعظمته ، حتى أصبح ذلك كله مدعاة لكراهيته !

يتبع بعقوبة . العراق يوسف عبد المسيح ثروة

إسماعيل بن القاسم

المعروف بأبي العتاهية

للأستاذ محمد الكفراوى

حبه الفاشل ومدى تأثيره على حياته

أوضحنا في المقال السابق مدى تأثير بيئة شاعرنا على شخصيته، وانتهينا إلى أنها قد غرست في نفس الشاعر عدة أمراض نفسية ؛ أهمها التشاؤم والشعور بالضعة والنقمة على الأغنياء ، ووعدنا أن نفصل القول اليوم في شأن ذلك الحب الفاشل الذى زاد حياة الشاعر تعقيدا وأدى إلى تمكن تلك الأمراض الاجتماعية من نفسه

وقصة ذلك الحب تبدأ برحلة الشاعر إلى بغداد طالبا للشهرة ، فقد كان يرجو أن يصل ذكره إلى سمع الخليفة المهدى عسى أن يعجب به ويستدعيه لإلقاء الشعر بين يديه . ولكن أنى له ذلك وهو شاعر ناشئ مغمور ! لقد هداه شيطانه إلى أن يتغنى في إحدى جوارى القصر، راجيا أن يدفعها الغرور وحب الظهور إلى ترديد ذلك الشعر في قصر الخلافة ولفت نظر المهدى إليه

ونحن لا نشك في أن المصادفات لعبت دورا خطيرا في حياة الشاعر فجمعت بينه وبين جارية ماكرة طموح من جوارى الخليفة ، وقد كانت في نفس الوقت تبحث عن مثل ذلك الشاعر الناشئ المغرور لحاجة في نفسها ، تلك الحاجة هى التغنى بجمالها وسحرها في شعره ، وغايتها من ذلك لا تكاد تخفى على كل من له خبرة بشؤون ذلك العصر . فقد كانت الجوارى إذ ذاك مطمح الأنظار، ويكفى لتأكيد تلك الدعوى أن نعرف أن الخيزران زوج الخليفة المهدى وأم الهادى والرشيد كانت من بين أولئك الجوارى، ولم يقف بها سعد الطالع عند ذلك ؛ بل استطاعت أن تجعل من بنات أخيها وأختها زوجات للهادى والرشيد. وليست الخيزران بفريدة في ذلك الشأن، فقد أقبل الخلفاء على الإماء إقبالا شديدا حتى أن الرشيد قد أنجب من نحو عشر منهن ، وناهيك بمن لم ينجب منهن . والدرس الذى يمكن أن تتعلمه الجوارى من مثل تلك الحال غير خفى ، فلم يكن يعوز إحداهن لكى تصبح صفية أحد الخلفاء أو زوجه إلا أن تلفت نظره إليها بوسيلة من الوسائل . فما الذى يمنع عتبة والحال كذلك أن تتقبل بصدر رحب غناء أبى العتاهية وإشادته بذكرها .. وهل هناك وسيلة للفت الأنظار إليها أيسر من شعر الغناء ؟

هكذا بدأت علاقة الشاعر بعتبة كل منهما يحاول استغلال صاحبه لمصلحته الخاصة . ولكن العلاقة بينهما لم تقف عند ذلك الحد المادى . فعتبة يسرها ويرضى كبرياءها أن يكون الهائم بها المشغوف بحبها ذا مظهر حسن حيث أن قدرها وخطرها يرتفعان بقدر ما يرتفع قدر المعذب في سبيلها .. على حين كان شاعرنا ما يزال فقيرا مغمورا . وقد كان علاج ذلك عندها أن خلت بالشاعر يوما من الأيام وأبدت اهتمامها بشأنه وناولته بضع مئات من الدنانير كي يرفع بها مستواه ؛ وذلك بشراء ملابس فاخرة وحمار وما إلى ذلك

وقد كان هذا مبدأ تحول خطير في نظرة الشاعر إلى عتبة ؛ فلم تعد صلته بها نوعا من عبث الشباب أو وسيلة إلى تحقيق ربح عادى، ولكن حبا شريفا عميقا فهى في رأيه ذلك الملاك الرحيم الذى لا يبادله حبا بحب وإخلاصا بإخلاص فقط، بل يشفق عليه ويفكر في أمره ويسعى إلى رفع مستواه المادى والأدبى.. فكيف لا يحبها إذن ويسرف في حبه لها . أما عتبة فلا تزال حيث بدأت ولا يزال طرفها متعلقا بالخليفة (١) أو أحد أمراء البيت المالك، ولا يزال أبو العتاهية في نظرها ذلك الشاعر المغمور الذى لا يجيد شيئا ولا يصلح لشئ إلا التغنى بجمالها والعذاب في سبيلها . وقد اتبعت معه سياسة ماكرة ملتوية المراد بها إطالة تعذيبه وهيامه، وذلك بأن تدنيه وتقربه وتمده وتمنيه كلما اشتد به اليأس منها وعزم على نفض يده من شأنها.. ثم تمهله وتتغافل عنه كلما اشتد هيامه بها وإلحاحه عليها..وأشعاره تمثل لنا الحالين. وإذا شئت فاستمع إليه وقد طلبت صراحة أن يتغنى بحبها حتى

(١) ذهبت صاحبة « Two Queens of Baghdad » إلى أن المهدى كان يحب عتبة ، وليس في المرجع الذى أشارت إليه ما يفيد ذلك . ولكنها أخطأت في فهم العبارة

يعرفه القاصي والداني :

أعلمت عتبة أننى منها على خذر مطل
وشكوت ما ألقى إليهـــا والمدامع تـــنهل
حتى إذا برمت بما أشكو كما يشكو الأقـل
قالت فأى الناس يعـــلم ما تقول فقلت كل

أو شئت فاستمع إليه إذ يشكو هجرها له :

بخلت على بودها وصفائهـا ومنحتها ودى ومحض صفائى
فتخـالف الأهواء فيما بيننا والموت عند تخالف الأهواء

فإذا أضفنا إلى ذلك ما بدأت به من إعطائه قدرا عظيما من المال مظهرة عنايتهـا به وما انتهت إليه من رفضها الزواج منه رفضا باتا رغم توسط الرشيد .. ازددنا يقينا بصحة ما ذهبنا إليه من أنها لم تكن جادة ولا مخلصة (٢) فى حبها له

وقد كان من نتائج ذلك السلوك المضطرب أن ساءت العلاقة بين الشاعر والمهدى؛ فقد كان من الضرورى لعتبة أن تقدم لأبى المتاهية سببا معقولا لترددها فى أمر الزواج وإدبارها عنه كلما أقبل عليها . ولم يكن من العسير عليها أن تدعى أنها إنما تفعل ما تفعل خوفا من إثارة غضب الخليفة وزوجه اللذين كانا يحرصان على بقائها فى خدمتهما وانقطاعها إليهما . وازداد الطين بلة حينما أبرق الخليفة وأرعد على أثر سماعه شعرا لأبى المتاهية يعرض فيه بعتبة ويقحم الخليفة فى أمره :

ألا إن ظبيـا للخليفة صادنى ومالى على ظبى الخليفة من عدوى

وما كان من الخليفة إلا أن جلده وسجنه ثم نفاه إلى الكوفة؟ . بل كاد يقتله بتهمة الزندقة لولا أن تدخل يزيد بن منصور خال المهدى لمودة كانت بينه وبين الشاعر

كان من الطبيعى أن ينقم الشاعر على المهدى (٣) الذى أيقظه من حلمه الجميل على صوت السياط وهى تلهب ظهره وتفرى جلده. وهنا أخذت تجارب الشاعر فى طفولته وبغضه للسادة والأمراء تستيقظ فى نفسه ، أليس الخليفة أحد أولئك الأمراء القساة الطغاة بل قائدهم وقدوتهم فيما يفعلون ؟ ألم يتخذ من سلطانه أداة للعدوان على شاعر بائس طموح لا جريرة له إلا أن أحب فتاة وأحبته ؟ ألم يلصق به ذلك اللقب البغيض الذى وجد فيه منافسوه من الشعراء مادة خصبة للعبث به ومن ذلك قول والبة ابن الحباب : —

كان فينا يكنى أبا إسحق وبها الركب سار فى الآفاق
فتكنى معتوهـــا بعتاه يا لها كنية أتت باتفاق

وإذن فلا سعادة ولا استقرار للشاعر ولا للضعفاء من أمثاله حتى تبيد تلك الطائفة الطاغية المفسدة التى تتمثل فى الخليفة ومن حوله من سادة وأمراء وقواد

وهكذا كان حبه الفاشل سببا من أسباب تغلغل حقده على ذوى الجاه والنفوذ فى عصره على نحو ما سنبينه بعد

وقد قضى الشاعر بقية أيام المهدى صامتا عن عتبة لا يكاد يذكرها يتقى خوفا من الخليفة . وما كاد الأخير يقضى نحبه حتى شعر أبو العتاهية بالأمن بعد الخوف والفرج بعد الضيق كما يصوره قوله : —

مات الخليفة أيهـا الثقلان فكأننى أفطرت فى رمضان

وقد ذهب بعض النقاد إلى أن الشاعر إنما يعبر هنا عن أسفه لموت الخليفة وأنه إنما يشعر بما يشعر به كل من أفطر عمدا فى رمضان.. ولـكن هذا فى نظرنا تأويل بعيد كما أنه يناقض تلك الأبيات المشهورة التى قالها أبو العتاهية فى موت المهدى والتى تبدو فيها روح الشماتة الوضيعة . قال الشاعر مشيرا إلى جوارى المهدى : —

رحن فى الوشى وأصبحـــن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـــر له يوم نطوح
نح على نفسك يامســـكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمر ت ما عمر نوح

يتبع

محمد السكفراوى

(٢) ذهب الأستاذ أحمد برانق فى كتاب له عن أبى العتاهية إلى أن عتبة كانت مخلصة فى حبها للشاعر وإنما رفضت الزواج منه لـكيلا تغضب سيدتها (زوج المهدى) وليت شعرى لم استمرت على رفضها حتى بعد موت سيدتها ؟

(٣) كان المهدى أول من نادى شاعرنا بأبى العتاهية

أثر المدرسة المصرية فى الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

— ٢ —

ويعقب عنصر معرفة المجهول حب المرء للعلم أو الفن ، وهذا الحب يكون وليد البيئة أو المصادفة، فكثيرا ما نرى شعراء لم يتلقوا فى المدرسة علوما ، بل إن الشعراء الأقدمين جميعا لم يعرفوا سبيلا إلى المدرسة ، وإنما هى الملكة والثقافة الحرة . وهكذا الشأن أيضا مع القادة الأول الخالقين للنظريات العلمية الجليلة الأثر فى الحياة المصرية ، وأذكر منهم أديسون واستيفنسون

يلى ذلك الصبر والمثابرة ، إذ لا بد للمثقف أن يقرأ ويكثر من القراءة ، بل لا بد أيضا أن يصبر الإنسان نفسه فيقرأ مالا يحبه ليصل إلى ما يريد ، فمن الأدباء مثلا من لا يحبون النحو ولكن لا غنى عنه لاستكمال ثقافتهم الأدبية . ومن رجال القانون من لا يحبون علم المالية العامة مثلا أو القانون الرومانى ، ولكن لا بد لنا مما ليس منه بد ، فهم يقرأونه بل ويدرسونه ليتموا ثقافتهم القانونية ، هذا هو الصبر الذى أعنيه

أهم العناصر جميعا هو العقلية .. هناك عقليات حديدية مهما تثقفت بقيت جامدة ، فإنك لتجد كثيرا من العلماء فى القانون مثلا أو الطب لا يعرفون عن غير علمهم فى الحياة شيئا ، وإذا جلست إليهم وتحدثوا فى غير ما يجيدون وجدتهم إلى العوام أقرب ما يكونون، وأشبه شئ بالقلم الرصاص يراه صاحبه من ناحية واحدة لا يكتب إلا منها فإن أدرته فى يدك صار خشبا

ليس حتما على المثقف أن يعرف كل شئ ، ولكن حتم على من يريد أن يقال عنه مثقف أن يفهم ، والفهم من الله هبة إذا لم يعطها إنسان فحسبه وحسبنا معه الله ونعم الوكيل

بعد هذا العرض السريع للثقافة والتثقيف دعونا نتوكل على الله ونذهب إلى أبواب المدارس والجامعات المصرية لنرى ما نصيب الثقافة من هذه البيوت التى يقول عنها شوقي الخالد ..

بيوت منزهة كالعتيق	وإن لم تستر ولم تحجب
بدانى تراها ترى مكة	ويقرب فى الطهر من يثرب
إذا ما رأيتهمو حولهـا	يموجون كالنحل عند الربى
رأيت الحضارة فى حصنها ...	هنالك وفى جندها الأغلب

هكذا تصور أمير الشعراء المدرسة .. أتراه كان فى هذه الأبيات شاعرا خياليا أم شاعرا واصفا . رحم الله شوقى لقد رسم المثل الأعلى للمدرسة وأرادها حصن حضارة وغاب جنود .. ترى هل مدارسنا المصرية هكذا ؟ هل تعمل المدرسة المصرية على تثقيف تلاميذها والارتفاع بمستواهم العلمى والأدبى ؟ وهل يتجه الجهد فى هذه المدارس إلى العناية بهؤلاء التلاميذ حتى يصبحوا كما قال شاعرنا الخالد جند الحضارة الأغلب وحصنها المكين

إنه مما يؤسف له حقا أن الجواب (لا) ، إن المدارس المصرية لا تعمل على هذا ، وإذا كان لا بد لنا من التفاؤل فلنقل إن أغلب المدارس المصرية لا تعمل على هذا حتى الآن

فمدارسنا المصرية ما زالت تسير على النظم القديمة فى التربية وهى المعروفة باسم التربية التقليدية . وحسبكم أن تعرفوا أن طريقة وست لتدريس اللغة الإنجليزية هى أحد النظم التى أدخلت إلى المدارس المصرية ، وطريقة وست هذه فيما وصل إلى علمى معمول بها منذ نصف قرن أو أقل قليلا ، أى أن أحدث تجديد حصل فى طرق التدريس بوزارة المعارف كان منذ خمسة وعشرين عاما . وبعد هذه الحقبة الطويلة من السنين تألفت لجنة قائمة الآن تحاول أن تتحرر من هذه الطريقة مبقية على أجزاء يسيرة منها

نظام التربية التقليدية إذن هو النظام السائد فى المدارس المصرية ، وهذا النظام من شأنه أن يتوجه بعنايته إلى المواد الدراسية ، فنرى المدارس وقد أوسعتها تبجيلا واحتراما ، ونرى التلاميذ ركعا لهذه المواد سجدا يؤمهم فى صلاتهم الوثنية رائدوهم من الأساتذة والمربين ، فالمادة العلمية هى السيد الذى لا يحفل بالميول الشخصية ولا يعبأ بالاستعداد الطبيعى ، وإذا كانت المدارس فى أصل نشأتها قد قامت ليستفيد منها التلاميذ بالمواد إلا أن المدارس نفسها قد رأت أن تستفيد المواد بالتلاميذ ، ثم استقرت على رأيها فوجدت أن الأمر هكذا أهدى وأيسر سبيلا . فليس من الضرورى عندهم أن يتفهم التلميذ المادة ويفقهها ، بل حتم عليه أن يجيب إذا سئل ، وحق عليه العقاب إن سكت . بل لقد جرفهم هذا المذهب إلى ما هو أدهى من ذلك وأظلم ، فالتلاميذ بناء على أوامر وزارة المعارف يطالبون فقط بما يلقى إليهم بين جدران المدارس ، فإذا راق لتلميذ ما أن يدرس فى خارج

المدرسة متزيدا فى علم يميل إليه فإنه يحتم عليه كل الامتناع أن ينطق حرفا مما تعلمه فى الخارج . وإليكم مثلا : لى صديق ظل يكتب فى نقد الشعر مدة ثلاث سنوات فى كبريات المجلات الأدبية ثم نقل إلى التوجيهية ، وكان ضمن المنهج المقرر عليه فصل فى نقد الشعر ، ولكن صديقى بما يملك الشباب من غرور استكبر أن يذاكر هذا الباب ، فحين امتحن أثناء العام فى النقد ، نقد الشعر الذى عرض عليه بغير الألفاظ التى ينقدها به النص مستحدثا بذوق أدبى سليم فأبى عليه أستاذه هذا ، وسقط فى امتحان نصف العام . قد تقولون إنه مثل فردى يستثنى من القاعدة العامة والاستثناء لا قياس عليه ولا يتوسع فيه — ولكنه يؤسفنى كل الأسف أن أقرر أن هذا الذى تعدونه استثناء ، هو القاعدة التى يتوسع فيها ولا يقاس إلا عليها، ويحسبنا نظرة إلى كتاب من كتب النقد التى تدرس فى المدارس حتى اليوم ، فإننا نجد بيتين مثلا يمقهما النقد الذى يطلب إلى التلميذ أن يقوله ، موضوعاً تحت الأبيات ، يلزمه أن يقول إن فى البيت إطنابا وحشوا ، وركاكة فى التعبير ، وضعفا فى المعنى ، أو يقول : إن فى البيت جزالة فى التعبير ، وطرافة فى المعنى ، والنقد فيما نعلم ، ذوق وتذوق ، وليس ألفاظا ونصوصا ، ولكنه فى وزارة المعارف ، هو هذه الكلمات التى أسمعها لكم الآن ، بحيث يأتى الامتحان فى آخر العام ، والممتحن ملزم أن يسأل التلميذ فى نص من هذه النصوص المقررة ، والتلميذ ملزم أن يجيب بهذه الألفاظ المكررة ، فإن رأى فى الأبيات رأيا غير رأى واضع النصوص ، فهو لا شك ساقط ، وأقول لا شك لا استنتاجا ، وإنما عن علم ، فهكذا درس لى النقد ، وهكذا درس لمن أعرفه من زملائى وإخوانى ، وهكذا يدرس الأدب فى المدرسة ، فهو علم محفوظات ، لا ماء فيه ولا استرواح ، يمسك الذهن فلا يطلقه ويحده ، وكان من شأنه أن يفسحه

ذكرت الأدب مثلا لأنه الفن الوحيد الذى يستطيع المدرس أن يحمل منه شيئا جميلا فى أذهان الطلاب، فإن كان هذا الفن يسام هذا الخسف ، فما الخطب بالجغرافيا والتاريخ والكيمياء والطبيعة .. كلها علوم جامدة مستعصية ، ولكن الطريقة التى تتبع فى المدارس اليوم تزيدها جمودا واستعصاء، وأيسر مثال لهذا أننى اليوم لا أفهم من الكيمياء كلها إلا أن الماء يتكون من أكسوجين وايدروجين فيه ١ ، ٢ أيهما الواحد وأيهما الاثنان، نسيت. أما باقى المنهج الذى درسناه وهو ما يملأ كتابا يقع فى خمسمائة صفحة من القطع الكبير فأنا لا أعرف منه شيئا، وأقول لا أعرف لا لأذكر، ومع هذا فقد امتحنت فى الكيمياء ونجحت لأننى — وأعترف — حفظتها على غير فهم، فسلمت ورقة الإجابة إلى الراقب حتى سلمت معها كل ما كنت أحفظه . قد يكون غباء ما ألم به إزاء الكيمياء ، غير أنى أجد الكثيرين من الأذكياء يشاطروننى هذا الجهل

العلوم أشياء جامدة ينفخ فيها المدرس من روحه فيهب فيها الحياة ، ولا يهب الحياة إلا خالق ، ولا يصل إلى مرتبة الخلق إلا من تكاملت مقوماته وتوثقت ثقافته، ولا يمكن لهذه المواهب أن تكتمل ، ولا لهذه الثقافة أن تتوثق إلا لشخص اطمأنت له جوانب الحياة وارتاح فى مجال حياته ، وهدأ تفكيره فيما يرتزق منه. أما إذا أكبت عليه المطالب الدنيوية وعلا صراخ أطفاله فى أذنيه وانسعرت من حوله الأيدى المطالبة ، وانثنت عنه الأيادى الواهبة، فلا أمل لنا فيه وقد كان المدرس إلى عهد قريب لا ينال من العناية المادية ما يشجعه على المضى فى أداء الرسالة الضخمة الملقاة على عاتقه ، فإن كان قد أهمل أو تراخى فلا جناح عليه ، وإذا كان قد قدر لواحد من هؤلاء المدرسين أن يتغلب على هذه المصاعب المادية بروح له سامية أو بمورد آخر يدر عليه شيئا ، إذا كان قد قدر له هذا فهو لا بد قد اصطدم وما يزال يصطدم بشاهقة أخرى عنمه أن يخرج بتلاميذه عما أمرت وزارة المعارف دون التلاميذ، وشروط الإرضاء سهلة ميسورة، فما عليه إذا أراد أن يرضى المفتش إلا أن يتبع أوامر الوزارة فى إلقاء درسه بعد أن يحمل كراسة تحضيره ، فإن نفذ هذا أصابه من الخير ما تتقاصر دونه شم الهمم ، وما على المدرس إذا أراد أن يرضى الناظر إلا أن ينجح تلاميذه فى امتحانات السنة الدراسية ، فيصبح له المكان السامق الرفيع ، أما إذا أراد أن يرضى ضميره ، فهو سيغضب المفتش والناظر جميعا ، وما أظننا نقسو عليه فنطالبه بإرضاء ضميره المستخفى فى أغوار نفسه ، ليغاضب الرؤساء ، ويغاضب بغضهم عيشه وحياته

البقية فى العدد القادم

ثروت أباظة

رسالة الأدب

بين الأصفهاني والثعالبي

للأستاذ حامد حفني داود

— ٢ —

لعلك بعد هذا العرض المنهجي — الذي أوضحته لك في المقال السابق — توافقني على أن الثعالبي كان مؤرخاً فنيا وأديبا لوذعيا ، على حين كان الأصفهاني مؤرخاً استطراديا يقصر جهوده عند سوق الأخبار وهو يكيلها لك بغير حساب أو منهج يرتضيه عرف المحدثين اليوم

ولعل المقارنة بين الرجلين لا تقف بنا عند هذا القدر . فهناك جانب خطير أول ما يستلفت الباحث فيه سعة الأفق التي نلحظها في مؤلفات الثعالبي حيث لم يكتف بما اكتفى به الأصفهاني من مؤلفات لا تتجاوز مادة الأدب . يدلك على ذلك أنك لا ترى علماً من علوم العربية إلا وله فيه إصبع ومشاركة وجولات واسعة تميزه عن غيره

صحيح أن الأصفهاني يشارك صاحبه في تاريخ الأدب ولكنه خالفه في الطريقة حيث لم يتجاوز هذا التاريخ الاستطرادي الصامت الذي ذكرناه . ولا نكاد نستثني من ذلك إلا شذرات اعترف له بها المؤرخون في « تاريخ النقد الأدبي »

فقد عاش الأصفهاني في عصر كان مليئا بالأصداء النقدية ، رسم النقاد خلاله خطوطهم الأولى في حياة النقد الأدبي . وقد كان ذلك عقب المعارك الأدبية التي دارت حول أبي تمام (٢٣١ هـ) والبحتري (٢٤٨ هـ) من ناحية ، وحول أبي الطيب المتنبي (٣٥٤ هـ) شيخ شعراء ذلك العصر ، والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) زعيم نقدة الكلام وحامل لواء الكتابة والبيان في النصف الثاني من القرن الرابع — من ناحية أخرى [١]

هاتان المعركتان الأدبيتان وأمثالهما في القرن الرابع خلقت جيلا عظيما من النقاد الذين حملوا لواء النقد ووضعوا الأسس الأولى في حياته العلمية ؛ فكان من بينهم : أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (٣٣٥ هـ) صاحب كتاب « أخبار أبي تمام » وأبو الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) والقاضي عبد العزيز الجرجاني (٣٦٦ هـ) صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وأبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧١ هـ) صاحب كتاب « الموازنة بين الطائيين » [٢] والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) صاحب كتاب « الكشف عن مساوئ شعر المتنبي » وأبو منصور عبد الملك الثعالبي (٤٢٩ هـ) صاحب كتاب « أبو الطيب المتنبي : ماله وما عليه »

وأنت تستطيع من هذا الثبت التاريخي في حياة النقد الأدبي أن تستشف الخطوط الأولى في حياة النقد وأن تكشف اللثام عن معالمه الكبرى ، ولعلك ترى معي أن الأصفهاني — رغم ما نسب إليه المؤرخون من مشاركة في « النقد الأدبي » — لم يترك لنا سفرا مخصصا في حياة النقد كما فعل معاصروه الذين ذكرناهم لك . وأكثر من هذا ترى أن الصولي الذي كان أسبق منه في الزمن قد ترك لنا ما يصح أن نعتبره دستورا قديماً في تاريخ النقد وهو كتاب « أخبار أبي تمام » . ومن ذلك نعلم أن القول بمشاركة الأصفهاني في تدوين دعائم النقد الأدبي قول أجوف لا يستريح إليه الباحث المحقق ، وعلى العكس من ذلك فإنك ترى الثعالبي — وهو آخر من ذكرتهم في ثبت النقاد — ترك كتاباً خاصا في النقد هو كتاب « أبو الطيب المتنبي : ماله وما عليه » ومع أن الكتاب في جملته كان صورة معادة لما جاء به سلفه الصاحب بن عباد ، ولكنه على أي حال كتاب مفرد أورد فيه صاحبه كل ما ذكره الصاحب في نقد المتنبي وأضاف إليه شذرات في تاريخ الحياة النقدية وما دار بين المتنبي والصاحب من عصبية كان لها الفضل الأكبر في خلق شطرين من النقاد : شطر يتعصب للمتنبي وآخر يتعصب للصاحب [٣]

وإذا تجاوزت معي دائرة تاريخ الأدب ودائرة النقد

---

١ — الصاحب بن عباد لصاحب هذا المقال (تحت الطبع)

٢) أصول النقد الأدبي لأستاذنا أحمد بك الشايب ص ١٠١ (بتصرف)

(٣) راجع كتاب « أبو الطيب المتنبي : ماله وما عليه » رقم ٢٧٨١٦ (مكتبة الجامعة)

انكشف لك ما كان محجوباً عليك من أمر الثعالبي وشخصيته العجيبة ، ورأيت كيف كان الرجل يمثل عدة أجيال في جيل، ويصور عدة مدارس في شخص واحد

ولعل أول ما يلفت الباحث منزلة الرجل في تاريخ البلاغة ، فقد انقضى القرنان : الثالث والرابع والبلاغة لا تتجاوز في مؤلفاتها الخطيرة كتاب « البديع » لأمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، وكتاب « نقد الشعر » للكاتب قدامة بن جعفر و« كتاب الصناعتين » لأبي هلال العسكري . فلما أن كان أواخر القرن الرابع ومستهل القرن الخامس وكان الثعالبي استظلت البلاغة في ظل المدرسة الأدبية المتحررة التي أسسها ابن المعتز منذ قرن ونصف من الزمن ، وكانت علومها وقتئذ تسمى « البديع » . وقد نضج البديع عند الثعالبي نضوجاً ملموساً واتسعت أبوابه عما كان عليه . فأنواع البديع التي كانت لا تتجاوز سبعة عشر نوعاً في مدرسة ابن المعتز صارت في مدرسة الثعالبي خمسة وثلاثين نوعاً ، شرحها الثعالبي في كتابه « روضة الفصاحة وبهجة البلاغة في علم البديع » (٤)

والثعالبي الذي اعتز بذاتيته في تاريخ الأدب لا ينساها حين يحدثك عن أنواع البديع، كما أنه لا ينسى أن يبدأ كتابه هذا بمقدمة فنية تناسب طبيعة المدرسة الأدبية التي كان يرأسها. وأنت تلمس ذلك حين يعرف لك الفصاحة والبلاغة ، ويوضح الغرض منهما . وهو يسمى علم البديع — أو علوم البلاغة على حد تقسيمنا اليوم — علم الأدب . ويريد به الوسيلة التي تؤديك إلى صناعة الأدب

وهو لا يكاد يحقق هذه النهضة البلاغية التي شرحناها حتى يطالعنا بأخرى حين يضع كتبا مفردة في البديع ، يجعل كل كتاب منها خاصا بالحديث عن نوع معين من أنواع ذلك العلم من هذه الكتب كتاب « النهاية في الكناية » وكتاب « الإعجاز والإيجاز » وكتاب « المتشابه أو أجناس التجنيس » ونعتبر هذه الكتب في تاريخ البلاغة أول محاولة في الأبحاث البلاغية الخاصة أو المفردة في باب واحد من أبوابها . وأنت حين تقرأ الأخير منها تحس بروح النظام والمنهج الثابت الذي لا يعتريه الاضطراب والملل كما كنت تحس ذلك عاماً في « يتيمة الدهر » حين أرخ للشعراء والكتاب. وهكذا يفتح أمامنا فتحاً جديداً آخر

ثم نتقدم خطوة رابعة فنرى أن الثعالبي الذي شارك في تاريخ الأدب والنقد وعلوم البلاغة — تراه — يرفع القواعد من المدرسة اللغوية كما رفعها من مدرسة البديع . وهنا يضع أمامنا كتابه « فقه اللغة وأسرار العربية » على نحو خاص يخالف فيه أصحاب المعجمات في وضعهم ؛ حين يرتبون مفردات اللغة ترتيباً أبجديا ثم يأخذون في تفسير معانيها . فالثعالبي لا يذهب في كتابه هذا مذهب ابن دريد (٣٢١ هـ) في « الجمهرة » والأزهري (٣٧٠ هـ) « في التهذيب » والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) في « المحيط » وابن فارس (٣٩٥ هـ) في « المجمل » والجوهري (٣٩٨ هـ) في « الصحاح » — مع ما بينهم من اختلاف جزئي . ولكنه يجعل المعاني محور منهجه وأساس بحثه ، فيذكر لك المعنى ثم يسرد ما يدخل تحته من ألفاظ . وهو في ذلك يرتب الألفاظ ترتيبا زمنيا أو تصاعديا أو تنازليا أو نوعيا حسب جوهر المعنى الذي يذكره ويقتضاه

وأرجح كثيراً أن ابن سيدة الأندلسي (٤٥٨ هـ) تأثر به حين وضع كتابه « المخصص » مع شيء من التوسع الذي نرجئ بيانه في مجال آخر

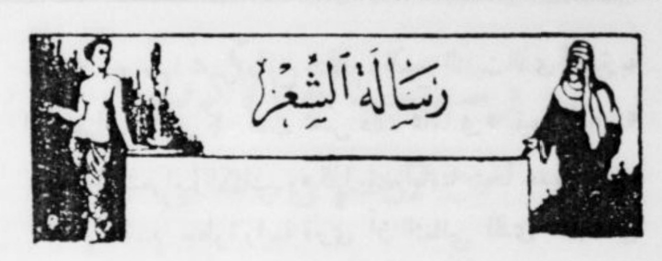
ولم يقتصر الثعالبي على ما ذكرناه له من كتب في البلاغة واللغة، بل كان من النفر القليل الذين زودوا « المكتبة العربية » بكتب تزيد على الخمسة وعشرين كتابا وليس للأصفهاني ما يقابلها

وبعد فقد عرفت كيف كان أبو منصور الثعالبي مجدوداً في تاريخ الأدب متزعما لمدارس النقد والبلاغة واللغة في الوقت الذي كان فيه الأصفهاني لا يتجاوز دائرة التاريخ الاستطرادي الصامت فشتان ما بين الرجلين !

إن مثل الثعالبي فيما أداه للعربية من رسالة الأدب في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس مثل أبي عثمان الجاحظ في القرن الثالث . إلا أن أبا عثمان كان فيلسوفا متفننا في أسلوب العربية على حين كان أبو منصور مؤرخا بارعا للعربية ، دارسا لعلومها وآدابها

حامد حفني داود الجرجاوي

(٤) تاريخ البديع = لصاحب هذا المقال ص ٥٥ مخطوط



في الذكرى

١٥ مايو

للأستاذ كامل الدجاني

إذا الشعب استكان أمام خطب   فعقباه التردي والبوار
وإن تهن الخطوب لديه يوما   فلا يقضي على الشعب المثارا
كذلك سنة الدنيا : غلاب   وإيمان وعزم وانتصار

***

وذا شعب تصارعه الدواهي   يطول به الشتات والانتظار
ودون الأفق بيت ، عز دهرا   ينيخ على مرابعه الإسار
وخلف السور يرصد مكر سوء   وأطماع وأعداء شرار
وذا عام يمر وراء عام   وذا ليل يكر وذا نهار
وليس ببارح خطر وضيم   وليس بزائل رجس وعار !

***

بدارا ، فالحوادث راصدات   وفي ما كان درس واعتبار
وصبرا للشدائد فالعوادي   يعين على تخطيها اصطبار
وتوطين النفوس على حياة   جهاد الخالدين لها شعار
وسير الجد ، فالسرى طويل   ومأمن دون غايته قرار

***

وذكرا للديار وللمغاني   فإن الدار يدنيها ادكار
ونقشا لاسمها في كل قلب   يخط حروفه نور ونار
أقيموا في الجوانح من سناها   منار هدى بذكراها ينار
وشبوا فيه نارا من لظاها   مقدسة يدوم لها استعار
يؤججها حنين مستديم   ويقبسها مع اللبن الصغار

***

وحجوا بيتها الباقي وطوفوا   حواليها ، وإن شط المزار
وعوجوا نحوها حتى تطلوا   ويظهر من معاهدها شعار
وتخفق عند رؤيتها قلوب   ويخفق من معالمها منار
هنالك كبروا سبعا ولبوا   يلب البر منها والبحار
هنالك جددوا عهدا قديما   نجدد عهدها لكم الديار

***

وعودوا من مشاهدها بزاد   يزوده الفؤاد المستطار
إلى يوم لها لا ريب فيه   يفك به عن الدار الإسار
ويجتمع الشتات بها ، ويلقى   أليف إلفه ، أهل ودار
ويرجع نازح ، ويفك عان   ويصدح فوق دوحته الهزار

***

وثارا للكرامة في حماها   إلى أن يمحى بالثأر عار
وثارا للكرام من الضحايا   إلى أن يرضى الشهداء ثار
وثارا ترخص الأرواح فيه   إلى أن تسترد به الديار
وثارا تشتفي فيه نفوس   بها من « دير ياسين » أوار
وما نبغي كبغيكم ولكن   قصاص فيه عدل واعتبار

***

جيوش العرب أي أليم ذكرى   تعاودنا ، وأي أسى يثار
وأي عميق جرح ذي قروح   بأعماق النفوس له قرار
لقد أجهزت حين أردت غوثا   وجئت لنجدة فإذا بوار
وسلمت البلاد بغير حرب   وقصر عن عطاياك «القرار»
وعدت سليمة ، وهوى شهيد   وتم الدور وانسدل الستار !

***

إذا كان العنان رهين حبس   فلا يرجى إذا ثار الغبار
ولا غوث لديك لمستغيث   إذا دجت الخطوب ولا بدار
فما أغناك عن إعلان حرب   ومالك في الطراد بها خيار
وما يغني أسير عن أسير   إذا الأعداء في يوم أغاروا
لحسبك دمعة حرى وعذر   قصارى العجز دمع واعتذار

***

أما لك ، شط في عتب لساني   وما لك ذا العتاب وذا الحوار
ولكن للأولى اتخذوك سترا   ليحجبهم فما حجب الستار
فما زال الجناة بكل أرض   يجرون الذيول بحيث ساروا
وأنت رجاؤنا في كل حال   تقوم عليك آمال كبار
ليوم تشخص الأبصار فيه   ويغسل عن جبين العرب عار

كامل الدجاني

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

سعودى بالولاء

وقع فى الأسبوع الماضى حادث السيارة التى قادها أحـد السعوديين إلى حتفـه . وقد ذكرت الصحف اسمـه « سعـد البلوشى » وقالت إنه من خدم الأمير طلال ، وقالت إحـدى المجلات إنه سكرتير الأمير ، وسمته مجلة أخرى : « سعد طلال »

والرجل ليس سعوديا إلا بالولاء ، فقد كان العرب ينسبون بالولاء كما ينسبون بالقرابة ، ومن ذلك بشار بن برد العقيلى ، ولم يكن بشار من بنى عقيل وإنما كان ولاؤه لهم

وقد تعلمنا فى قواعد اللغة العربية أن التوكيد بالنفس والعين لرفع الاحتمال ؛ فإذا قلت : قدم الأمير ، احتمل أن يكون القادم خادمه أو « سكرتيره » فإن أردت أن تقطع هذا الاحتمال قلت : قدم الأمير نفسه أو عينه

وهكذا : تتحدث الصحف عن الحادث وما يدل عليه ونتحدث نحن عنه فى باب الأدب والفن بمجلة « الرسالة » من حيث اللغة وقواعدها ... ولكل طريقته

مجلة الأزهر

من الحوادث الأدبية الهامة هذا الأسبوع صدور مجلة الأزهر ، فى شكل جديد ، وتحرير جديد ، بعـد أن أسندت إدارتها ورئاسة تحريرها إلى الأستاذ صاحب الرسالة . وقـد علمنا أنه حشد لها صفوة من أقطاب الفكر والثقافة ، وأرباب الأدب والبلاغة ، ووزع أقلامهم على الأبواب المختلفة لهذه المجلة ، من فقه ولغة وأدب وتاريخ واجتماع وفلسفة وعلم وشعر وقصص وتراجم وطرائف وأخبار . ثم زيدت صفحاتها إلى ١٢٤ صفحة ؛ فإذا اجتمع لهذه المجلة المادة والفن والقوة والاختصاص ، وكان لها رسالة معينة وغاية معلومة ؛ كان لنا أن نرجو منهـا الشئ الـكثير ، ونتوقع لها الفوز المبين ، ونعقد عليها الأمل الواسع .

وسيصدر عدد رمضان من هذه المجلة فى الموعد الذى تصدر فيه (الرسالة) ، فلا يسعنا فى هذا الأسبوع إلا أن نرحب بها ، أما وصفها والحديث عنها فسيكون إن شاء الله فى الأسبوع القبل بعد أن نقرأها قراءة استيعاب وتعقيب

أيها الأدباء — اسرقوا الدولة

ماذا فعل أولئك الأدباء الذين كان لهم نفوذ فى وزارة المعارف .. ماذا فعلوا حتى استهدفوا لحملات صحفية ساقت بعض مثيريها إلى ساحة القضاء ؟

كل ما فعلوه أن باعوا كميات من مؤلفاتهم لوزارة المعارف كى توزعها على الطلبة ليقرأوها ..

ثم قال الحاسدون : أخذت الوزارة لهذا وتركت ذاك . . وكان « ذاك » قد أخذت الوزارة له من قبل

وسمع الدكتور طه حسين باشا كلاما يقال وغبارا يثار ، فآثر مذهب « ابن حنبل » ومنع كتبه عن التلاميذ . . ومع ذلك لم يسلم من التطاول والتجريح !

وليس فى الأمر كله ما يستحق كل ذلك ... بضع مئات من النسخ أو آلاف أخذتها الوزارة كأسلحة تغزو بها الجهل ، وقد حوت من الأفكار ذخيرة غير فاسدة . . . وعادت على المؤلف بعشرات أو مئات من الجنيهات لقاء سهر الليالى وعنا لعصير العقول وكد القرائح

والدولة تقدر بطولة الأجسام وتهمل بطولة الأفكار ، فقد نص قانون إلغاء الاستثناءات — مثلا — على إبقاء ما منح لأبطال الرياضة ، وتركت إدارات المستخدمين فى وزارة المعارف وفى غيرها تهوى بالأدباء ...

أيها المؤلفون — بيعوا للدولة ما استطعتم بيعه من كتبكم

واستغلوا نفوذكم في ذلك إن تيسر لكم نفوذ، وإذا عد عن هذه الكتب مالا مسروقاً فأكثروا من هذه السرقة ..

وإني أحرضكم على ذلك وأمري وأمركم إلى الله ...

استقبال عضو جديد
بمجمع فؤاد الأول

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الاثنين الماضي باستقبال عضو جديد هو الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة إبراهيم

وقد ألقى كلمة الاستقبال الدكتور إبراهيم بيومي مدكور، فتحدث عن نشأة الدكتور كامل حسين، فقال إنه كان يكتب في إحدى الصحف الأسبوعية منذ ربع قرن مقالات يذيلها باسم مستعار هو « ابن سينا » وكان إذ ذاك طبيباً شاباً يستكمل دراسته في إنجلترا، وقد عاد إلى مصر سنة ١٩٣٠ فاشتغل بالتدريس في كلية الطب، وقضى بها تسع سنوات أستاذاً لجراحة العظام، ثم اختير عند إنشاء جامعة إبراهيم مديراً لها

وأشار الدكتور مدكور إلى النواحي المختلفة لشخصية الدكتور كامل حسين، ثم خص الناحيتين العلمية والأدبية بشيء من التفصيل. ومما قاله إن العالم الكبير يؤمن بالتجربة باعتبارها وسيلة المعرفة في العلم الحديث، ويؤمن بالعقل كوسيلة لاستخلاص القضايا العامة من التجارب الجزئية.

ولما عرض للناحية الأدبية قال إن نشأته الأولى — من حيث حياته المدرسية — لم يكن فيها مجال أو باعث على الدراسة الأدبية، وإنما ساقه إلى الأدب حسه المرهف وقراءاته الشخصية، وقد دفعه كذلك إلى الأدب علمه، فهو يؤثر الفكرة الواضحة ويرى أن الحقائق العلمية تحتاج إلى التعبير الدقيق السليم، وقال إنه مزج العلم بالأدب، إذ عرض العلم عرضاً طليا، ونحا في الأدب منحى العلم من حيث الدقة والتحليل والمقارنة، وأتى برأي له فيما وقع بشعر المتنبي من تعقيد إذ علله تعليلا نفسيا بأن المتنبي طالب في حياته أموراً عزت عليه، فشعر بالإخفاق وتكونت عنده عقدة بسبب ذلك، فعمد إلى خلق صعوبات في شعره ليقنع نفسه بالتغلب عليها

ثم ألقى الدكتور محمد كامل حسين كلمته، وقد تحدث فيها

كشكول الأسبوع

□ تنتهي الدورة الحالية لمجلس مجمع فؤاد الأول للغة العربية، بجلسة يوم الإثنين ٢١ مايو الحالي، وتستأنف الدورة القادمة في أوائل أكتوبر القادم

□ من أنباء العراق أنه تألفت لجنة ببغداد من بعض الأدباء والصحفيين لإقامة حفل تأبين لفقيد الأدب الدكتور زكي مبارك

□ طلبت السفارة الأمريكية من الأزهر إيفاد خمسة من علمائه المعروفين بسعة الاطلاع ليلقوا محاضرات على طلاب الثقافة الإسلامية الأمريكيين في شهر رمضان. وقد وافق فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم على هذا الطلب وأشار باختيار خمسة علماء لهذا الغرض

□ تقدم محطة الإذاعة – بوساطة كلية الآداب بجامعة فؤاد – برنامجا أطلقوا عليه « قصة الأدب العربي » والمستمع إلى أحاديث هذا البرنامج يجدها موضوعات مختلفة من تاريخ الأدب العربي على نمط المحاضرات التي تلقى على الطلبة. ويظهر أن كلمة « قصة » في اسم البرنامج كلمة « مودرن » حلا لبعض المتحذلقين أن يضعها مكان لفظة « تاريخ » القديمة ..

□ تعمل مؤسسة الثقافة الشعبية على تنظيم مكتبات المراكز الثقافية التابعة لها في الأقاليم، على اعتبار أن المكتبة وما تيسره للجمهور من المعرفة والاطلاع جزء أساسي من أغراض المؤسسة. فاشترت لتزويدها كتباً بنحو ثمانمائة جنيه « دفعة أولى » على أن تتبعها بأكثر منها بعد اعتماد الميزانية الجديدة

□ وقد نظمت المؤسسة لموظفي تلك المكتبات دراسات في « فن المكتبة » بمعهد القاهرة حيث حضروا إليه ومكثوا به مدة الدراسة، وقد أتموها في الأسبوع الماضي تحت إشراف الدكتور عبد الدايم أبو العطا مدير إدارة المكتبات بالمؤسسة

□ وضع الدكتور أبو العطا نظاماً لفهرسة تلك المكتبات على طريقة « ديوي » العالمية

□ يبلغ « شاعر الشباب » الأستاذ أحمد رامي وكيل دار الكتب المصرية سن الإحالة إلى المعاش قريباً. وقد قرر مجلس الوزراء مد خدمته سنتين. أطال الله « شباب » الأستاذ الكبير



حول خطوط

عقب الأديب السوري الفاضل الأستاذ عفيف الحسيني على قصيدتي « خطوط » بكلمة نقد رقيقة ، وشاها بما شاء له أدبه من جميل الشعور وجمال التعبير ، ولقد رأيت أن أعقب على تعقيبه ، بذكر وجهة نظري فيما أخذه حضرته على البيت :

حصير تقادم حتى يكاد .. يخضر ، يرجع معشبا نضير

أنا لا أخالف الأستاذ في أن الحصير المتقادم يسود إذا كان في مكان رطب ، ولكن الا يرى معي أننا لو وضعنا كلا من كلمتي « يسود ويخضر » في كفتي الميزان الذوق لكانت الأخيرة أرجح وأسمح ؟

ومعروف للجميع أن العرب يتخذون « الفعلين » طريقا إلى معنى واحد هو شدة الاخضرار ، ونكتفي بإيراد مثال من أدب القرآن الكريم في هذا الصدد : « ومن دونهما جنتان .. مدهامتان » ، حيث عبر القرآن عن الخضرة الشديدة بالدهمة ، وهي السواد الشديد ، جريا على المألوف من استعمال كل من الكلمتين في مكان الأخرى ..

ويقول الأستاذ الناقد عن البيت الآخر :

ويهرق معوله في تراب لياليه .. محتفرا رمسه

إنني لا أستطيع أن أتصور إهراق المعول في التراب ..

وهنا أيضا لا أستطيع أن أخالفه في استحالة إهراق المعول إهراقا جديا ، ولكن ألا يرى حضرته أن الحركة الفعلية التي تصاحب المعول ، من ارتفاع إلى انثناء إلى انخفاض ، حتى يغيب في التراب . هذه الحركة أليست شبيهة بكل ما من شأنه أن يهرق محتواه كالكوب مثلا ؟ ولقد كان في مقدوري أن أعبر بـ (يضرب) أو (يهوي بمعوله) مع الاحتفاظ باستقامة الوزن ، وأداء المعنى ، بل وا كتمال الصورة أيضا . لولا ما خيل لي من أن في هذا التعبير بالذات شيئا مما يتساءل عنه الباحثون من التجديد في الشعر الحديث ، أما هذه الصداقة التي أبي الأستاذ الحسيني إلا أن يتوجني بها رغم ما رسمته (خطوط) من غرابة الخاتمة ، وشذوذ التكوين ، فأنا أعتز بها ، وأحرص عليها ، وأعدها من حسنات الزمان الضنين علي

محمد مفتاح الفيتوري

تصحيح في مقال فلسفة الموسيقى الشرقية

طالعت في عددي الرسالة ٩٨٢ ، ٩٨٣ مقالا بقلم الأستاذ الفاضل السيد نقولا الحداد ، فأشكر لكم اهتمامكم ، وللكاتب المحترم فضله وجهده ، ومع أن في المقال أخطاء لا تخفى على اللبيب ، إلا أن هنالك ما يقتضي تصحيحه ، فقد جاء بصفحة (٤٩٨) في رأس جدول الأرقام الأول كلمة (اهتزازات) والصواب (ذرات) ، بمعنى أن العمود الأول هو الذرات الصوتية لدرجات السلم المعدل ، ذي الأربعة وعشرين ربعا ، والعمود الثاني هو الذرات الصوتية لدرجات السلم التركي ، التي توجد في عدادها درجات السلم العربي . وبناء على هذا التصحيح لاحاجة للعبارة التي وردت بعد الجدولين المذكورين مباشرة ، إذ لا يخفى أن عدد اهتزازات أية درجة صوتية ، هو ضعف اهتزازات قرارها ، ونصف اهتزازات جوابها

دمشق **ميخائيل خليل الله ويردي**

من سلفه في عضوية المجمع المرحوم أحمد حافظ عوض بك ، واستطرد إلى المحاضرة في الحياة الفكرية عندنا وموقفنا من المدنية الغربية

والواقع أن الدكتور كامل حسين قدم نفسه بهذه المحاضرة تقديما رائعا ، وقد دل بها على أنه أديب مطبوع ومفكر ممتاز ، وقد تضمنت محاضرته آراء وخواطر قيمة ممتعة في الأدب واللغة والفكر والحياة . وأعد قراء « الرسالة » بخلاصتها في الأسبوع القادم إن شاء الله

عباس خضر



الحب فوق الجبـــــل

عن الانكليزية

كانت مارى تستطيع فى يسر أن تسمع الحديث بين الشابين الجالسين على مقربة منها إلى منضدة فى فندق بشارع « فليت ستريت » ولـكنها لم تمر أحدهما التفاتاً خاصاً

طريق شائك .. لا تفرشوه بالورود

من المآخذ التى نسجلها على كثير من صحفنا ، اهتمامها البالغ بأنباء بعض الفنانات والراقصات ، بنشر صورهن فى أوضاع مختلفة ، وكتابة الكثير عن أسفارهن ، وتنقلاتهن من قطر إلى قطر ، ووصف ما ترتديه كل منهن ، من فاخر الثياب وما تقتنيه من حلى ومجوهرات ، وما يهدى إليهـا فى مختلف المناسبات من الهدايا القيمة. فهم بهذا يزينون لكثير من الفتيات الحياة التى تحياها هؤلاء الفاتيات ، وأخشى ما نخشاه أن تتأثر نفوس بعض الساذجات ممن تضيق بهن سبل العيش بما يقرأن ويشهدن ، فيزين لهن الشيطان الفرار من الضيق إلى السعة ، فتزل قدم بعد ثبوتها

إننا نربأ بصحافتنا أن تهبط إلى هذا الدرك ، والمفروض أن الصحافة رسالة سامية ، لها أهداف نبيلة ، هى توجيه النشء الوجهة القويمة ، وتثقيفه الثقافة الصحيحة ، وتلقينه المثل العليا ، وتحبيب الفضائل إلى قلبه !

ونحن لا نحب أن تشيع هذه البدعة بين العذارى ، فـلا تزينوا لهن هذه الحياة ، والطريق شائك محفوف بالأشواك . . فلا تفرشوه بالورود !

عيسى متولى

قال أكبرهما وهو أجملهما للآخر: « إذا كنت لم تذهب قبل الآن إلى اسكوتلاندا فاطلب إجازة واذهب إليها. وقد يشكو بعض المتقدمين فى السن وضعاف الأبدان من شدة البرد فيها، ولـكن هذا لا يمنع من وصف جوها بأنه جميل

« وسأدلك على مكان بين الجبال ليس أطيب من هوائه ولا أروع من مناظره ولا أوفر من حاجياته مع يسر الثمن ، ولا أجمع لأسباب الراحة والسرور، وقد طال ترددى عليه وآمل أن أذهب إليه أيضاً فى الخريف »

ورأت مارى المستمع يشير بالموافقة ويقول : « لست أعرف هل أتمكن من الذهاب إليها أم لا ، ولـكنى أريد أن أسألك عن بعض التفاصيل ، وأنت تعرف أننى لا أحب النزول بالفنادق فهل من الممكن إقامة كوخ هناك خارج القرية ؟ »

فأجابه : « ذلك سهل . وسأدلك على نفس الـكوخ الذى كنت أقيم به ، وهو فى جهة برتشاير الغربية فاكتب إلى مستر « ماك بين » وقل لها إنك أخذت العنوان من جارفى بلير »

ولم يكن المستمع يعرف الجهة التى ذكرها جارفى بلير . ولـكن مارى عرفتها وكتبت على ظهر مجلة كانت معها ذلك العنوان . ولم يخطر ببالها أنها أخطأت فى ذلك لأنها كانت تريد الاصطياف أيضاً ، وكانت اسكوتلاندا حلماً من أروع أحلامها ولـكنها لم تـكن تعرف أحداً هناك ، وليس أجدر بإرشادها إليها من هذا الرجل الأسود الشعر والعينين الذى كانت تراه كل يوم على هـذه المنضدة بالفنـدق وإن كانت إلى اليوم لم تبادله كلمة واحدة.. على أنهما كانا يتبـادلان النظرات فى كثير من الأحيان

وفى تلك اللحظة كتبت مارى خطاباً رقيقاً إلى مسز « ماك بين » قالت فيه إنها سمعت اسمها وعنوانها مصادفة، وأنها ترجو أن تسمح لها بالإقامة فى الـكوخ مدة أسبوعين وتسألها عن شروطها فى مقابل ذلك

وفى اليوم الثالث وصل إليها الرد وكان مرضيا وفيه تطلب مرسلته تحديد اليوم والساعة لترسل إليها العربة تنتظرهـا وأمتعتها عند أقرب محطة لتنقلها إلى الـكوخ الذى يبعد من

المحطة ثلاثة أميال

وتم كل ذلك . وفى ليلة هادئة الجو ممطرة النسيم كانت مارى واقفة أمام الكوخ وصاحبته مارجريت ماك بين ترحب بها ترحاب الصديق بالصديق

قالت مارجريت : « أخشى أن يكون هذا المكان موحشاً لشدة هدوئه وخلوه من الأنيس . ولكنه يوافق اشتراطك فى خطابك ، وليس عمل يمكن أن يعمل هنا إلا المشى على سطح الجبال المزدانة بأعواد الزهر »

فابتسمت مارى وقالت : « إنها تألف هذه المناظر وتحبها ، فقد اعتادت الاصطياف فى الريف، وإنها لا تنتظر أن تسبب لها هدأة الحياة شيئاً من السأم

وكان من حسن حظها أن الجو اعتدل وراق فى الأيام الأولى من زيارتها لهذا المصيف . وفى يوم من الأيام قالت « مارجريت ماك بين » : « إنه فى المساء سيأتى مصطاف جديد وسيقيم فى غرفة أخرى من ذلك الكوخ »

وقالت : « فإذا راقك مجلسه بعد التعرف به قدمت لكما الطعام معاً وإلا فإنى سأدبر لذلك وسيلة تريحك »

فلم تبد مارى أى اعتراض بل سرت من وجود زميل من أهل بلدتها فى هذا المصيف . وفى أصيل ذلك اليوم خرجت لتتنزه على سفح الجبل فى طريق المحطة وهى تمد نفسها بأن تكون نزهة الغد برفقة رجل هى إلى اليوم لم تصاحبه . وفيما هي تعلل النفس بوعد جميل زلت بها القدم عند محاولتها الصعود إلى مرتفع من سفح الجبل فهوت وجرحت ركبتاها واستحال عليها النهوض ورأت رجلا يسلك الطريق بين المحطة وبين الكوخ

ولما دنا عرفت فيه صاحبها أسود الشعر والعينين « جارى بلير » . ونظر إليها وكاد أن يمشى دون أن يتكلم لولا أنها استوقفته وأخبرته بالخبر ، وطلبت إليه أن يبلغ صاحبة الكوخ رجاءها لترسل إليها عربة تقلها : فقال : إن الكوخ قريب فإذا شئت فلنذهب إليه مستندة إلى ذراعى. وفى بمحمد الله من القوة فوق ما قد تظنين

قبلت مارى على خجل ما طلبه إليها . وكان لابد لهما من التحدث فى أثناء الطريق فاعترفت له بأنها عرفت المكان من حديثه مع صاحبه . وقال لها : إنه كان يريد أن يأتى فى الخريف ولكن طرأ ما دعاه إلى التعجيل

وقالت : « أرجو ألا يغضبك انتفاعى بعنوان كنت أنت عليه على آخر » فقال : « كيف أغضب ؟ لا بل يسرنى كل السرور أن تشهدى صدق النصيحة التى قدمتها لصديق، وأرجو ألا تضطرك الإصابة الحاضرة إلى لزوم الكوخ باقى مدة الاصطياف »

وفى اليوم التالى كانا واقفين أمام الغدير يتحادثان فقالت: « ما أجمل هذا المنظر ! »

قال : « إننى لو أوتيت ثروة لحققت حلماً طالما كنت أنعش نفسى بتصوره، وهو أن اشترى كوخاً فى مثل هذا المكان فأنفق فيه ستة أشهر من كل عام» . قالت : « أهذا حلمك ؟ » فقال: « نعم ولى حلم مرتبط به » . قالت : « أتخبرنى ماهو ؟ »

فقال : « منذ عام رأيت فتاة فأحببتها وأريدها زوجة ولكنى لا أملك ما أسديه إليها غير حبى »

فتشجعت الفتاة أكثر مما كانت وقالت : « ربما كانت الفتاة لا تطمع فى غير الحب »

ثم قالت : « هل أرشدتها إلى هذا المكان الذى أرشدت إليه صديقك ؟ » فابتسم وقال : « إننى لم أكن كلمتها على الرغم من أنى كنت أراها كل يوم . وقد انتهزت جلوس صديق معى فرصة لأذكر المكان بصوت عال على مسمع منها . وكنت أعلم أنها تريد الاصطياف »

فاحمر وجه مارى وقالت : « ربما كان عند صاحبتك مثل الذى عندك ، وربما سبقتك إلى الكوخ طمعاً فى لقائك »

وعادا إلى الكوخ . وبعد ذلك اليوم اشتد قلق « مارجريت ماك بين » بسبب التصاقهما لزاماً ،ولكن قلقها عاد سروراً حين أعلناها أنهما يريدان البقاء بالكوخ شهراً آخر هو شهر العسل

ع . ه



الجزء الثالث من

وحي الرسالة

فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

طبع طبعاً أنيقاً على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحاته أربعمائة صفحة ونيفاً

وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد

مطبعة الرسالة

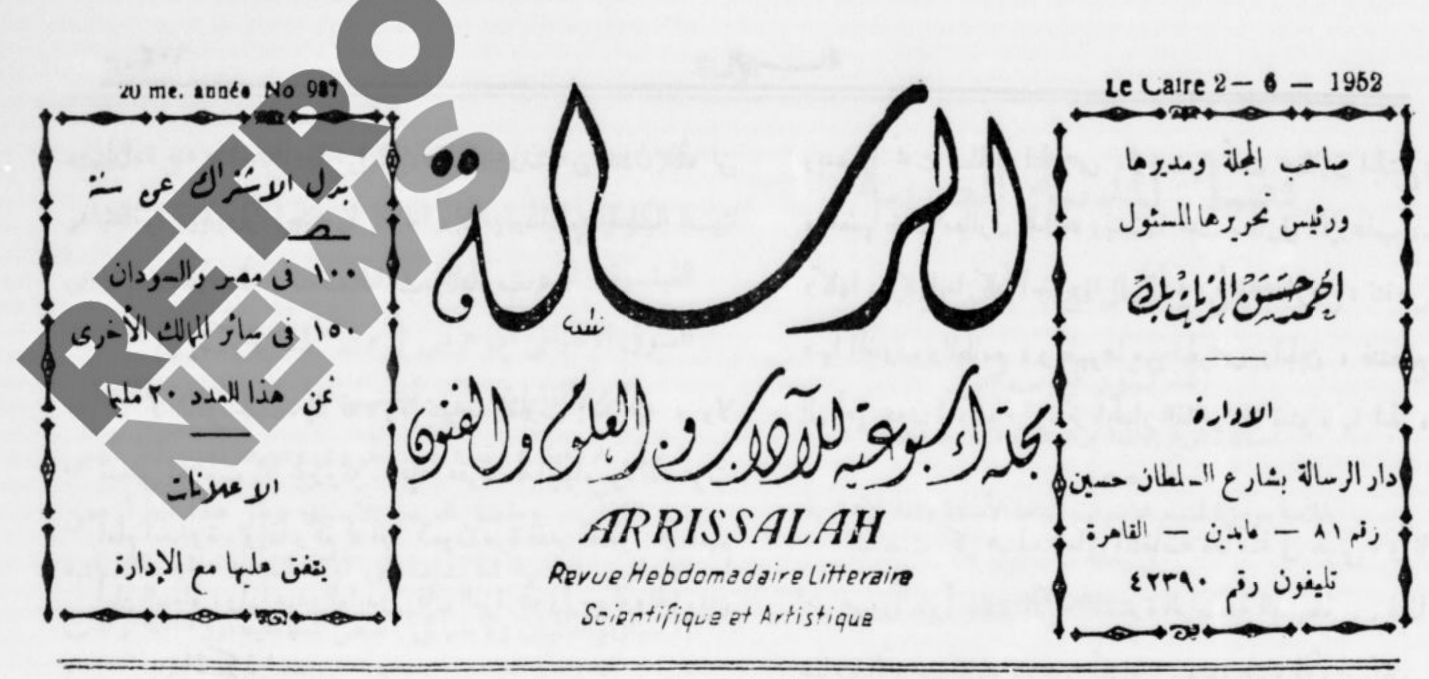


العدد ٩٨٧ — ٢ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون



فهرس العدد





العدد ٩٨٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إن الحكم لواحد ..

للأستاذ سيد قطب

عجيب هذا القرآن ! يقرؤه القارئ ويعيده ، ويحفظه ويرتله ، ويفسره ويفهمه ، ويخيل إليه أنه قد استوعب معانيه وأدرك مراميه ، ويمر بالنصوص بعد هذا مرا عابرا ، غير متوقع أن يجد فيها جديدا غير ما فهمه منها ووعاه

وفجأة يتلو أو يستمع ، فإذا انبثاقات جديدة عجيبة للكلمة وللآية تلتمع فى الذهن والحس والقلب، لم تخطر من قبل أبدا ؛ وإذا آفاق من التأملات والمشاعر والتأثرات تتفتح ، لا يدرى أين كانت مخبوءة فى النص الواضح البسيط !

وهكذا يبدو أن رصيد هذا الكتاب العجيب الخالد لا يفنى ولا ينتهى ، وأن معين الإلهام فيه لا يضمحل ولا يغيض، وأن الدنيا ستظل تكشف فيه آفاقا بعد آفاق ، كلما استعدت طاقتها لتلقى ما فيه من إيحاءات : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

تلك الآية البسيطة القصيرة التى عنونت بها هذه الكلمة « إن الحكم لواحد » .. كم من مرة تلوتها ، وكم من مرة سمعتها ، وكم من مرة ضمنتها .. ولكننى أنتفض فجأة على لمسة منها لروحى وحسى ومشاعرى جميعا . لمسة لم أعهدها من قبل فيها ، على طول صحبتى للقرآن ، وعلى طول عيشى فى ظلال القرآن ..

إن الحكم لواحد ..

إنه مفرق الطريق فى حياة البشرية .. إنه الانقلاب الأكبر فى خط سيرها الطويل .. الانقلاب من العبودية إلى الحرية ، من الخوف إلى الأمن ، من المهانة إلى الكرامة ، من السيئة والضلال والفوضى ، إلى الهدى والنور والنظام . إنه إعلان وجود الإنسان ، الذى لا يستذل لإنسان مثله ، كائنا من كان

وإننى لأنظر إلى البشرية فى تاريخها المتطاول ، قبل أن توحد الإله ، فأطلع على صحائف من الهوان ، وعلى أودية من الحيرة ، وعلى ألوان من القلق .. الأوهام تسحقها ، والمخاوف ترهقها ، والعبودية تطحنها .. وإن هى إلا جملة واحدة . جملة مشحونة بما يملأ صفحات وكتبا. بل بما يشغل أجيالا وقرونا . جملة واحدة تغير وجه التاريخ ، وطبيعة الحياة ، وضمائر الملايين وعلاقات الأفراد والجماعات ؛ وتلغى كتاب البشرية كله لتخط صفحة خالدة فى كتابها الجديد..

إن الحكم لواحد ..

هو وحده القادر ، وهو وحده القاهر .. لو اجتمع أهل هذه الأرض على أن يضروا أحدا من خلقه بغير إرادة منه ماقدروا ؛ ولو اجتمع أهل هذه الأرض على أن ينفعوا أحدا من خلقه بغير

إرادة منه ما استطاعوا : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »

إن الحكم لواحد ..

لا تعنو الحياة إلا له ، ولا تتوجه القلوب إلا إليه ، ولا تنحنى الهامات إلا لجبروته . فإذا عفرت له الجباه مرة فقد عزت أمام الجبابرة . وإذا ركع له الراكعون مرة فقد نصبوا هاماتهم أمام الطغاة ، وإذا عبده العابدون فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

إن الحكم لواحد ..

هو وحده والكل سواء عال . هو وحده والكل دونه ضئال . هو وحده يخفض ويرفع ، ويعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير . إنك على كل شئ قدير »

إن الحكم لواحد ..

عقيدة ما أحوج المكافحين إليها . تشد من عزائمهم ، وتمنحهم القوة التي لا تصمد لها قوة ، وتصلهم بالواحد الأحد الذي يجير ولا يجار عليه

ما أحوجنا إلى هذه العقيدة — ونحن نجتاز امتحانا عسيراً ، سقطت فيه رجولات كثيرة . رجولات زائفة مموهة ، خدعت الكثيرين . حتى إذا جاء دور الامتحان تهاوت تحت مطارقه ، وتساقطت ذابلة ذليلة صفراء كأوراق الخريف

ما أحوج الذين جبنوا بعد تشجع ، وتخاذلوا بعد تماسك ، وأحجموا بعد إقدام — ما أحوجهم جميعا أن يتدبروا تلك الآية القصيرة ، وأن تلمس قلوبهم جذوتها المقدسة ، فيرتد الجبناء شجعانا ، والمتخاذلون أقوياء ، والمحجمون أجرياء . ويستشعروا كرامة الإنسان التي تأبى ذل الإنسان

ألا كم سقطت رجولات مزيفة في غمرة الامتحان .. سقط بعضها تحت مطارق الخوف ، وبعضها تحت مطارق الطمع ، وبعضها تحت مطارق الحرص ، وبعضها تحت مطارق الجشع ، وبعضها تحت مطارق الذل ، وبعضها تحت مطارق الإرهاب .. وكلها .. كلها ما كان أحوجها إلى لمسة من ذلك الروح ، تنفض عنها المخاوف والمطامع ، وتطهرها من الحرص والجبن ، فتتطلع إلى أعلى دون انحناء ، وتعتز بالجبار القاهر فلا تعنو منها الجباه

* * *

انتفضت كل هذه المعاني انتفاضة مفاجئة في نفسي ، وأنا أمر مروراً عابراً بتلك الآية القصيرة الواضحة البسيطة .. فإذا جبابرة الأرض كلهم في عيني أقزام .. وإذا طغاة الأرض كلهم في حسي أوهام .. وارتسمت في نفسي بحروف من نور كلمات أخرى من ذلك القرآن

« أأرباب متفرقون خير ؟ أم الله الواحد القهار ؟ »

لا بل الله الواحد القهار ، الله أحنى له الرأس مرة ، ثم أنظر من عل إلى جميع الرؤوس . الله أسجد له مرة ، ثم أنهض لأحتقر الجبارين ، الله ، تستمسك يدى بعروته ، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون

* * *

بعض من يختانون أنفسهم ، ويخونون الإنسانية كلها معهم ، راودوننا على أن نفقد هذا الإله بعد ما وجدناه ! راودوننا على أن نجرد نفوسنا من هذه القوة الكبرى . راودوننا على أن نواجه قوة الشر والظلم دون سلاح

إنهم يختانون أنفسهم ، وإنها الخيانة للبشرية كلها في كفاحها الطويل ، كفاحها ضد الظلم والشر ، كفاحها ضد الحرص والجشع ، كفاحها ضد الهوى والشهوة ، كفاحها ضد الضعف والترهل ، كفاحها ضد العبودية التي استبدت من قبل بالإنسان

إنها معركة طويلة الأمد ، فما أحوج الإنسان فيها إلى إله ، إله واحد لا معبود للناس سواه

سيد قطب

فضل المدنية العربية
على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى
أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية
فى جامعة سان باولو

---

١ — فى الأدب

هنالك جسور ثلاثة اجتازت عليها المدنية العربية بعناصرها الأدبية والعلمية والفلسفية والفنية من الشرق العربي إلى الغرب الأوربي: وهى سورية فى العهد الصليبي (١٠٩٨ — حوالى ١٣٠٠) وصقلية فى عهد الأغالبيين (٨٣١ — ١٠٩١) ثم النورمنديين، وإسبانيا فى عهد الإسلام. والذى نعنيه بالأدب العربي ما أنتجته بالأكثر قرائح الشعوب السورية واللبنانية والعراقية والفارسية وتضمنته اللغة العربية. وأهم هذه الجسور إسبانيا التى أقام العرب فيها نحو ثمانية قرون (٧١١ — ١٤٩٢) ومن مدنها طليطلة التى أصبحت فى القرن الثانى عشر مركزاً هاما للترجمة من العربية بفضل رئيس الأساقفة ريموند. وعقب طليطلة كاستيل وليون برعاية الملك ألفونسو الحكيم (١٢٥٢ — ٤) الذى أولع ولعاً خاصا بالأدب العربى. حتى بعد أن طرد الاسبان العرب من البلاد بقى الورسكو لمدة طويلة يكتبون الإسبانية بأحرف عربية وينشئون الأدب المعروف بالأدب الأعجمى (literatura Aljamiado)

أهم مادة فى الأدب العربى إنما هى المادة الدينية. نعم إن القرآن الكريم ترجم إلى اللاتينية (١١٤١) ومنها إلى الفرنسية ومن هذه إلى الانكليزية (١٦٤٩) ولكنه لم يكن له أثر بين فى الأدب الغربى لما اتصف به أبناء الغرب من التعصب الدينى ضد الإسلام. ولعل أهم أثر هو قصة «المعراج والإسراء» المشار إليهــا فى القرآن من طرف خفى (سورة ١٧:١) والتى توسع فى شرحها والإضافة إليهــا القصاص وأصبحت

مثلا تحداه الشـــاعر الإيطالى الخـالد دانتى فى ملحمته «الكوميديا الالهية». والظاهر أن دانتى تأثر بكتابات الشاعر الفيلسوف السورى المعرى (توفى ١٠٥٧) والشاعر العربى الصوفى الاسبانى ابن عربى (توفى ١٢٤٠)

ولعل المقامات التى أنشـــأها بديع الزمان الهمذانى «توفى ١٠٠٨» وتبعه فيها الحريرى وغيرها أغنى كنز أدبى بعد القرآن. وبفضل العرب الأسبان دخل هذا الطراز من الأساليب الأدبية الجديدة إلى أوربا الغربية فقلده الكتبة الاسبان والطليان ولاسيما فى القصص المسماة فيجارو Figaro وكانت أول قصة إسبانية من هذا النوع (El Cavallero Cifar) وفيها ما يماثل قصص جحا

اتخذ الشعر العربى فى إسبانيا ميزة جديدة قوامها وصف الطبيعة والتغنى بجمالها. ومن هذا القبيل بعض أشعار عبد الرحمن الداخل «٧٥٥ — ٨٨» وابن زيدون «توفى ١٠٧١»

ومن المواضيع الجديدة التى عنى بها الشعر العربى الاسبانى الهوى العـذرى الذى يرافق المجتمع المتصف بانعزال الحريم وتحجب النساء. فنسج على منوال هذا الأسلوب الجديد شعراء مسيحيون فى إسبانيا وفى أوائل القرن الحادى عشر انتقل هذا الأسلوب إلى جنوبى فرنسا وظهرت آثاره فى أدب الـ Provencal

وهنالك ضرب من الشعر القروى أنشده الشعراء العاميون من مسلمى إسبانيا بداهة مما يذكرنا بأناشيد القوالين اللبنانيين المعاصرين. وكان من أهم أنواعه الزجل والموشح اللذان نسج على منوالها شعراء إسبانيا والبرتغال، ومن إيبيريا سار هذا الأسلوب إلى فرنسا. وكان المنشدون الجوالون المدعوون تروبادور Trovadores من جملته. ومن أول شعراء الزجل وأعظمهم ابن قزمان القرطبى «توفى ١١٦٠». ومجموعة الأناشيد التى جمعها ألفونسو الحكيم تحت عنوان Cantigos de Santa Maria والمحسوبة من أطرف المجموعات الشعرية فى القرون المتوسطة إنما أوزانها من نوعي الزجل والوشح. وكذلك الأغانى المسيحية المعروفة بـ Villancico من هـذا الطراز. وكان المستعربون Mozarades من أهم نقلة هذا الشعر

ومعظم الأدب العربى من النوع القصصى ومن أبكر

أمثلته « كليلة ودمنة » المترجمة عن السنسكريتية . هذه المجموعة العربية ترجمها ألفونسو فكانت من أول الكتب النثرية بالاسبانية ومن أول الكتب القصصية في هذه اللغة ، وبعد القرن الثالث عشر أخذ الكتبة الاسبان والبرتغاليون ينسجون على منوالها ، وتبعهم الكتبة الفرنسيون . ومما حبب الأسلوب القصصي العربي إلى أبناء الغرب ألوانه الزاهية وخياله الفني وتضمنه أمثولات أخلاقية لمنفعة السامع والمطالع ، ويدخل في هذا الباب « مختار الحكم » الذي وضعه الأمير السوري مبشر ابن فاتك زهاء حوالي ١٠٥٣ والذي ترجم إلى الاسبانية بعنوان Bokados de Yeo وطبع بالإنكليزية عام ١٤٧٧ فكان أول كتاب طبع في هذه اللغة

أما ألف ليلة وليلة وهي أهم مجموعة قصص عربية فجاءت متأخرة ولم تظهر بشكلها الحالي حتى القرن الخامس عشر ، ولكن منها قصص كقصة السندباد البحري وصلت شفاها إلى الاسبان وترجمت إلى لغتهم . ومما لا ريب فيه أن بعض قصص شوصر Chaucer بالانكليزية وقصص بوكاشيو Boccacio بالايطالية ترجع إلى ألف ليلة وليلة الشفهية . ويذهب المستشرقون إلى أن الرواية الحديثة على ما يعرفها أبناء الغرب ترجع إلى قصة ابن سراج بالاسبانية h.storia del Abencerrage

أما الروائي الشاعر الاسباني العظيم سرفانتس Cervantes فالمعروف عنه أنه بقي أسيراً في أيدي قرصان عرب من الجزائر نحو خمس سنوات وهو يدعي في مقدمة مؤلفه الرائع Don Quixote بأن كتابه من أصل عربي

٢ — في العلوم

لم يكن لأبناء الجزيرة العربية لدى ظهور الاسلام علم بالمعنى الاصطلاحي ، ولكنهم بعد أن تغلبوا في القرن السابع على الهلال الخصيب وفارس ومصر أخذوا عن الشعوب المغلوبة من سورية ولبنانية وعراقية وغيرها ، العلوم الحقيقية ، وكانت العلوم السورية مؤسسة على اليونانية والآرامية والسامية القديمة . أما عصر الترجمة من اليونانية إلى العربية فيتناول نحو قرن « ٧٥٠ — ٨٥٠ » وكان مركزه بغداد وقوامه العلماء السوريون الذين كانوا يتقنون اليونانية منذ فتوح الاسكندر في القرن الرابع قبل المسيح

وفي هذا القرن جاءت من الهند مخطوطة في علم الفلك فترجمت إلى العربية في بغداد وأصبحت مصدراً للزيج الفلكي الذي نشره الخوارزمي «توفي نحو ٨٥٠» وكذلك جاءت من الهند مخطوطة رياضية دخلت بفضلها الأرقام الهندية إلى العالم العربي بما فيها الصفر

ومن الأدب الفارسي نقل ابن المقفع في بغداد قصص كليلة ودمنة كما نقل أبناء بختيشوع ، الأسرة السورية المسيحية ، مبادئ الطب الفارسي الذي كان قد تأثر بالطب اليوناني

ولكن أهم مصدر وأغزره نقل عنه العرب في ذلك العهد إنما كان المصدر اليوناني وذلك كان بفضل نشاط علماء سورية المسيحيين وشيخهم حنين بن إسحق « توفي ٨٧٣ » الذي كان له ولتلاميذه اليد الطولى في نقل كتب جالينوس الطبية ومؤلفات أرسطو العلمية والفلسفية . وكانت عملية النقل من اليونانية إلى الآرامية أو السريانية لغة سورية يومئذ ومن هذه إلى العربية . أما السوريون غير المسيحيين وهم الصابئة عبدة النجوم في حران فإن اهتمامهم اقتصر على علمي الفلك والرياضيات ؛ فنقلوا من اليونانية إلى العربية مؤلفات اقليدس وأرخميدس وكتاب بطليموس في الفلك والجغرافية وهو « المجسطي »

وعقب عصر الترجمة عن الهندية والفارسية والآرامية واليونانية عهد الابداع . فلم يكتف العلماء العربيون بنقل تراث الأجيال السابقة ؛ بل أضافوا إليه الكثير من نتائج تنقيباتهم وأبحاثهم وأغنوها من عندهم قبل أن يورثوها لخلفائهم

ففي الطب نشأ الرازي « توفي ٩٢٥ » الذي كان أول من ميز بطريقة علمية بين الحصبة والجدري . وترجمت كتبه إلى اللاتينية في طليطلة من أعمال إسبانيا بهمة جيرارد الكريموني توفي (١١٨٧) وبعد ذلك في صقلية . وأصبحت كتب التدريس المعول عليها في كليات الطب الأولى في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا. كذلك ترجم جيرارد كتاب « القانون » في الطب لابن سينا « توفي ١٠٣٧ » ولعله أول كتاب يقول بعدوى السل . أما

الطبيب الدمشقي ابن النفيس «توفي ١٢٨٨» فإنه وصف الدورة الدموية قبل سرفيتس البرتغالي المنسوب فضل هذا الاكتشاف إليه بنحو ثلاثة قرون

وفي إسبانيا زها أبو القاسم الزهاوي القرطبي (توفي ١٠١٣) أعظم جراحي عصره . وكتابه في الجراحة ترجم إلى اللاتينية في طليطلة وأصبح الكتاب المعول عليه للتدريس في جامعات أوربا وبقي كذلك في جامعة أكسفورد حتى عام ١٧٧٨ . وزها بعده ابن رشد (توفي ١١٩٨) المشهور بفلسفته الأرسطالية الذي كان أول من لاحظ أن من مرض بالجدري لا يعرض بهذا الداء ثانية ، والذي كان أول من فهم وظيفة شبكة العين . ومعاصر ابن رشد وصنوه في الفلسفة ابن ميمون اليهودي (توفي ١٢٠٤) كان أيضاً طبيباً، ولعله أول من وصف انطمام النباتي المصاب بالبواسير . أما ابن الخطيب (توفي ١٣٥٠) المعروف بأدبه فإنه كان أحد الأطباء القليلين الذين أدركوا أن الطاعون المعروف باسم الموت الأسود الذي اجتاح أوربا يومئذ وكاد يتركها خلوا من السكان إنما كان ينتشر بالعدوى من المريض إلى السليم لا بأمر الله

وهنالك علمان مساعدان للطب رقاهما العرب إلى حد غير مسبوق : النبات والكيمياء . من هو أعظم عالم نباتي وصيدلي أنجبته القرون الوسطى في العالم المتمدن ؟ هو بلا ريب ابن البيطار (توفي ١٢٤٨) من مواليد ملقا باسبانيا ودفين دمشق الشام . ففي كتابه «الأدوية المفردة» وصف ابن البيطار ١٤٠٠ نبتة منها ٢٠٠ لم يسبقه أحد إلى وصفها . أما علم الكيمياء فيكفي القول أن هذه الكلمة دخلت اللغات الأوربية عن طريق العربية وأن أبا هذا العلم هو جابر بن حيان الذي زها في العراق حوالي ٧٧٦

وفي الكلمات العربية الكيماوية والطبية التي تسربت إلى اللغات الأوربية من العربية — كالإكسير والسودا والشراب والقلي والكحول والأثمد والأنبيق — دليل ساطع على ما هو مدين به العلم الغربي للعلماء العرب

وفي علمي الرياضيات والفلك لمع العالم الفارسي الأصل البغدادي الاقامة الخوارزمي (توفي حوالي ٨٥٠) . فهو أول من صنف كتاباً في الرياضيات وعنونه «الجبر» ولما ترجم كتابه في توليدو في أواخر القرن الثاني عشر دخل هذا العلم إلى أوربا ودخل معه اسمه . وبفضل ترجمة هذا الكتاب دخلت «الأرقام العربية» بما فيها الصفر إلى اللغات الأوربية . وكلمة صفر في اللغات الأوربية الحديثة مأخوذة عن الكلمة العربية . والخوارزمي هو أيضاً واضع الزيج الفلكي الذي نقله ألفونسو الحكيم ملك قشتالة وليون (توفي ١٢٨٤) إلى الإسبانية وأصبح أساساً للزيج الفرنسي الموضوع بعدئذ في مرسيليه وانتشر شرقاً حتى الصين

ويكفي للدلالة على فضل علماء العرب على أبناء الغرب أن عدداً من أسماء النجوم — كعقرب والجدي وذنب — لم تزل لليوم في اللغات الأوربية محتفظة بأسمائها العربية

البقية في العدد القادم

فيليب حتي

٦ ـ حسن البنـــا

الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للأستاذ أنور الجندى

«يروى روبير جاكسون فى هذا الفصل قصة لقائه مع الشهيد البنا»

فى فبراير سنة ١٩٤٦ ، كنت فى زيارة للقاهرة .. وقد رأيت أن أقابل الرجل الذى يتبعه نصف مليون شخص ، وكتبت فى النيويورك كرونيكل بالنص :

« زرت هذا الأسبوع رجلا قد يصبح من أبرز الرجال فى التاريخ المعاصر ، وقد يختفى اسمه إذا كانت الحوادث أكبر منه ، ذلك هو الشيخ حسن البنا زعيم الإخوان . وقد صار الإخوان عاملا مهما فى السياسة المصرية ، ويقال إن جملة الإخوان ٨٠ ٪ من لجان العمال والطلبة الذين كانوا فى طليعة الحوادث الصاخبة الأخيرة فى مصر . ويقول الأستاذ البنا : إن حركة الإخوان فوق الأحزاب ، وسبيلها هو العودة إلى القرآن ، وغايتها جمع كلمة المسلمين فى كل أرجاء الدنيا

هذا ما كتبته منذ خمس سنوات ، وقد صدقتنى الأحداث فيما ذهبت إليه ، فقد ذهب الرجل مبكرا .. وكان أمل الشرق فى صراعه مع المستعمر ، وأنا أفهم جيدا أن الشرق يطامح إلى مصلح يضم صفوفه ، ويرد له كيانه ، وطالما رجا الكتاب والمفكرون الغربيون اقتراب اليوم الذى يتحقق فيه هذا الأمل

غير أنه فى اليوم الذى بات فيه مثل هذا الأمل قاب قوسين أو أدنى ، انتهت حياة الرجل على وضع غير مألوف .. وبطريقة شاذة !

هكذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلا بالكنز الذى يقع فى يده ..

.. لقد لفت هذا الرجل نظرى بصورته الفذة ، عندما كنت أزور القاهرة بعد أن التقيت بطائفة كبرى من زعماء مصر ورؤساء الأحزاب فيها

كان هذا الرجل خلاب المظهر ، دقيق العبارة ، بالرغم من أنه لا يعرف لغة أجنبية . لقد حاول أتباعه الذين كانوا يترجمون بينى وبينه أن يصوروا لى أهداف هذه الدعوة ، وأفاضوا فى الحديث على صورة لم تقنعنى

وظل الرجل صامتا ، حتى إذا بدت له الحيرة فى وجهى ، قال لهم قولوا له شيئا واحدا : هل قرأت عن محمد ؟ قلت نعم . قال : هل عرفت ما دعا إليه وصنعه ؟ قلت نعم . قال هـذا هو ما نريده

وكان فى هذه الكلمات القليلة ما أغنانى عن الكثير مما حاول بعض أنصار البنا أن يقولوه لى

.. لفت نظرى إلى هذا الرجل سمته البسيط ، ومظهره العادى ، وثقته التى لا حد لها بنفسه ، وإيمانه العجيب بفكرته

كنت أتوقع أن يجئ اليوم الذى يسيطر فيه هذا الرجل على الزعامة الشعبية ، لا فى مصر وحدها ، بل فى الشرق كله

وسافرت من مصر بعد أن حصلت على تقارير وافية ضافية عن الرجل وتاريخه ، وأهدافه وحياته ، وقد قرأتها جميعا وأخذت أقارن بينه وبين جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، ومحمد أحمد المهدى ، والسيد السنوسى ، ومحمد بن عبد الوهاب ، فوصل بى البحث إلى أن الرجل قد أفاد من تجارب هؤلاء جميعا ، وأخذ خير ما عندهم ، وأمكنه أن يتفادى ما وقعوا فيه من أخطاء . ومن أمثلة ذلك أنه جمع بين وسيلتين متعارضتين ، جرى على إحداهما الأفغانى ، وارتضى الأخرى محمد عبده

.. كان الأفغانى يرى الإصلاح عن طريق الحكم ، ويراه محمد عبده عن طريق التربية .. وقد استطاع حسن البنا أن يدمج الوسيلتين معا ، وأن يأخذ بهما جميعا ، كما أنه وصل إلى ما لم يصلوا إليه ، وهو جمع صفوة المثقفين من الطبقات والثقافات المختلفة إلى مذهب موحد ، وهدف محدد

ثم أخذت أتتبع خطوات الرجل بعد أن عدت من أمريكا وأنا مشغول به حتى أثير حوله غبار الشبهات حينا ، مما انتهى

إلى اعتقال أنصاره ، وهى مرحلة كان من الضرورى أن يمر بها أتباعه ، ثم استشهاده قبل أن يتم رسالته

وبالرغم من أننى كنت أسمع فى القاهرة أن الرجل لم يعمل شيئا حتى الآن ، وأنه لم يزد على جمع مجموعات ضخمة من الشباب حوله ، غير أن معركة فلسطين ، ومعركة التحرير الأخيرة فى القنال ، قد أثبتتا بوضوح أن الرجل صنع بطولات خارقة . . قل أن تجد لها مثيلا ، إلا فى تاريخ العهد الأول للدعوة الإسلامية

وقد تقرر أن الرجل كان بعيد الأثر فى كثير من الأحداث العالمية التى وقعت فى الشرق ، بل إن ما وقع فى إيران كان خليقا أن يقع فى كل بلدان الشرق ، لو طال عمر هذا الرجل . . وكان يمكن أن يتحقق لهذه البلاد الكثير لو اتفق حسن البنا وآية الله كاشانى على أن يزيلا الخلاف بين الشيعة وأهل السنة

لقد التقى الرجلان فى الحجاز سنة ١٩٤٨ ، ويبدو أنهما تفاهما ووصلا إلى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال

كل ما أستطيع أن أقوله فى هذه المقدمة ، أن الرجل أفلت من غوائل المرأة والمال والجاه ، وهى المغريات الثلاث التى سلطها المستعمر على المجاهدين ، وقد فشلت كل المحاولات التى بذلت فى سبيل إغرائه

وقد أعانه على ذلك صوفيته الصادقة ، وزهده الطبيعى ، فقد تزوج مبكرا ، وعاش فقيرا ، وجعل جاهه فى ثقة أولئك الذين التفوا حوله ، وأمضى حياته القصيرة العريضة مجانبا لميادين الشهرة الكاذبة ، وأسباب الترف الرخيص

وكان يترقب الأحداث فى صبر ويلقاها فى هدوء ، ويتعرض لها فى اطمئنان ، ويواجهها فى جرأة

لقد شاءت الأقدار أن يرتبط تاريخ ولادته وتاريخ وفاته بحادثين من أضخم الأحداث فى الشرق ، فقد ولد عام ١٩٠٦ وهو عام دنشواى ، ومات ١٩٤٩ ، وهو عام إسرائيل

وكان الرجل عجيبا فى معاملة خصومه وأنصاره على السواء ، كان لا يهاجم خصومه ولا يصارعهم بقدر ما يحاول إقناعهم وكسبهم إلى صفه ، وكان يرى أن الصراع بين هيئتين لا يأتى بالنتائج المرجوة

وكان يؤمن بالخصومة الفكرية ، ولا يحولها إلى خصومة شخصية ، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه ومنافسيه ، فقد أعلنت عليه الأحزاب حربا عنيفة . .

كان الرجل يقتفى خطوات عمر وعلى ، ويصارع فى مثل بيئة الحسين ، فمات مثلهم شهيدا

وإنى على أتم يقين من أن أى حركة وطنية يمكن أن تظهر فى الشرق بعد ذلك يمكن إرجاعها إلى المقاييس التى وضعها هذا الرائد العملاق

ولا يستبعد أن تؤرخ به الحوادث بعد قليل . .

لقد سمعت الكثير من خصومه ، وكان هذا طبيعيا ، بل كان من الضرورى أن يختلف الناس فى رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس بسحر حديثه وجمال منطقه ، وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات والفرق الصوفية والقهوات ودور اللهو

وكان لا بد أن يصبح هذا مثار حقد بعض الناس الذين أدهشهم أن يستطيع هذا الرجل المتجرد الفقير أن يجمع إليه مثل هذا الشباب

ومن الأمور التى لفتت نظرى أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله ، تلك هى إبعاد الأهل عن مغانم الدعوة ، فقد ظل عبد الرحمن ومحمد وعبد الباسط ، وهم إخوته بعيدين عن كبريات المناصب ، ولطالما كان يحاسبهم ، كما كان عمر يحاسب أهله ويضاعف لهم العقوبة إذا قصروا

وقد أتيح لى أن ألتقى بوالده الوقور ، الشيخ عبد الرحمن البنا ، وسمعته يتحدث مع بعض الإخوان . إنه كان يتمنى لو أن ابنه وضع الكتب فى أمر الإسلام واكتفى بذلك ؛ وقد رد عليه الأستاذ البنا بأنه منشرح الصدر لمعالجة الإسلام عن طريق إنشاء الجماعات وتأليف الرجال

للكلام صلة

أنور الجندى

١ - إندونيسيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« إنها لسلاسل متصلة من الحدائق الغناء »

سمو الأمير محمد علي

« إندونيسيا هي جزر الجنة »

إنها قطع من الماس تزين خط الاستواء »

ملنا نولى

بهذه الصفات وصف الكتاب والجغرافيون إندونيسيا . ونحن في هذه الأيام في أشد الحاجة إلى أن يعرف بعضنا بعضا مما يؤدي إلى مزيد من التعاون بيننا ؛ فربما كان في ذلك خير لنا وللناس جميعا . وقد تحدثت إلى القراء الكرام عن الباكستان ، وها أنذا أحدثهم عن إندونيسيا

هناك في جنوب شرق آسيا وبينها وبين أستراليا تنتشر مئات من الجزر الكبيرة والصغيرة تداعبها أمواج المحيطين الهادي والهندي منذ أقدم العصور..هذه الجزر هي إندونيسيا

ولفظ إندونيسيا مركب من كلمتين : « إندو » ومعناها الهند « ونيسيا » ومعناها جزر . فإندونيسيا معناها جزر الهند . وكانت هذه الجزائر تعرف فيما مضى باسم جزائر الهند الشرقية ، وكان العرب يطلقون عليها اسم جاوة ، مع أن جاوة اسم لجزيرة واحدة من تلك الجزر المتعددة . وقد حاول الهولنديون تسميتها بالهند الهولندية ولكن الوطنيين رفضوا ، واضطرت الحكومة الهولندية إلى الاعتراف رسميا باسم إندونيسيا في ٢٣ أغسطس ١٩٤٠ تحقيقا لرغبة الوطنيين الإندونيسيين

وفي ١٧ أغسطس ١٩٤٥ أعلنت إندونيسيا استقلالها ، وجاهدت في سبيله ، وأرغمت هولندا على الاعتراف به

تتكون إندونيسيا من مئات من الجزائر يبلغ تعدادها أربعة آلاف تقريبا ، ولكن أهمها : جاوه وسومطره وبورنيو وغينيا الجديدة (تريان) وسليبس

وتبلغ مساحتها ٧٤٣٫٣٤٠ ميلا مربعا ، أي قدر مساحة أوربا تقريبا ، وعدد سكانها ٧٢ مليونا منهم ٩٥٪ مسلمون، ٥٪ مسيحيون وبوذيون

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر وهي أن إندونيسيا بمعناها السياسي تشمل الجزائر التي كانت خاضعة لحكم هولندا ثم استقلت عنها وهي التي ذكرناها سابقا . أما إندونيسيا (١) بمعناها الجغرافي فتشمل : جزائر الفلبين وكانت خاضعة للولايات المتحدة الأمريكية ثم استقلت عنها ؛ وجزيرة فرموزا وهي مقر حكومة الصين الوطنية حاليا ؛ وشبه جزيرة الملايو وهي تحت حكم بريطانيا ؛ وجزيرة مدغشقر وهي تحت الحكم الفرنسي

ويتكلم الإندونيسيون اللغة الإندونيسية وهي لغة دولتهم الرسمية ، ولكن اللغة العربية منتشرة تؤدى بها الصلاة ويقرأ بها القرآن وتخطب الجمعة ثم تترجم إلى اللغة الإندونيسية

ومناخ إندونيسيا استوائي ، ذلك أن خط الاستواء يمر بوسطها ، فهذه الجزائر تقع بين خطي عرض ٢٠ درجة شمالا و ٢٠ درجة جنوبا . ولكن يجب أن نذكر أن ارتفاع سطح هذه الجزائر وإحاطة البحر بها كان لهما تأثير كبير في المناخ، فقد خففا من حدة الحرارة وجعلا مناخ هذه الجزائر جميلا معتدلا وهواءها رطبا نقيا . والدليل على ذلك أن درجة الحرارة في جاكارتا (بتافيا) تتراوح بين ٢٠° ، ٢٥° ويبلغ متوسطها في شهري فبراير ويناير ٢٥٫٣° وفي شهري يولية وأغسطس ٢٥٫٨° وفي هذه الشهور تكون الشمس متعامدة على خط الاستواء

وفي هذه المنطقة تنعدم الفصول، فالحرارة دائمة ولكنها تزيد نوعا عند تعامد الشمس على خط الاستواء في مارس وسبتمبر وتقل نوعا في يونيه وديسمبر لأن الشمس تتعامد في هذين الفصلين على مداري السرطان والجدي

والمطر في هذه المنطقة كما هو الحال في الأقاليم الاستوائية دائم، ولكنه يزداد في فصلي تعامد الشمس على خط الاستواء ويقل نوعا عند تعامدها على المدارين

ونظرا لوفرة المطر والحرارة غزر الإنبات في إندونيسيا ،

(١) إندونيسيا العظمى

وهى غنية بمناظرها الطبيعية الساحرة ، وتكثر فيها البراكين والجبال الخضراء كما تكثر فيها البحيرات والأنهار التى تروى تلك الأرض الواسعة المنبسطة المكسوة بالسندس الأخضر الذى يعطى منظرا فردوسيا جميلا ورونقا سحريا أصيلا ، وقد قال سمو الأمير محمد على حين زار إندونيسيا « إنها سلاسل متصلة من الحدائق الغناء »

وهذه الجزائر غنية بالإنتاج الزراعى والمعدنى ، فهى تنتج المطاط وجوز الهند والسكر والشاى والبن والتبغ والسكينا والتوابل والخيزران والأخشاب والأرز والفواكه والبترول والفحم والقصدير والرصاص والذهب والحديد

وتنتج إندونيسيا ½ المطاط العالمى و ⅔ قصدير العالم

دولة إسلامية

يتجنى كثير من المستشرقين على الإسلام ويقولون عنه إنه دين انتشر بحد السيف . وليس أقوى فى الرد على هؤلاء المفترين من ذكر قصة انتشار الإسلام فى إندونيسيا . ذلك أنه معروف بداهة أن العرب لم يرسلوا حملة أو حملات إلى إندونيسيا لفتحها أو لنشر الإسلام بها .. وإذن فكيف دخل الإندونيسيون فى الإســــلام ؟

وللاجابة عن هـذا السؤال أحب أن أتحدث فى كثير من الإيجاز عن تاريخ إندونيسيا

يعتقد بعض الجغرافيين أن الإنسان الجاوى كان أقدم أنواع السلالات البشرية التى وجدت فى العالم . ويؤمن هؤلاء بأن موقع جاوة المتوسط فى العالم مما ساعد على انتشار الإنسان فى الكرة الأرضية ، فجاوة سهلة الاتصال بأستراليا وبآسيا ومنها إلى أوربا وأفريقيا وأمريكا . لكن هـذه النظرية ما تزال فى حاجة قوية إلى براهين تؤكد صحتها ، وإن كان من الثابت أن الإنسان الجاوى كان من أقدم سلالات الإنسان ، فقد وجدت بقايا جثمانية يقدر عمرها بأربعين ألف سنة

ويرجع أصل الإندونيسيين الحاليين إلى الجنس المغولى الطورانى . وقد هاجروا إليها من وراء جبال هيمالايا ووصلوا إلى الساحل الهندى ومن هناك ركبوا البحر إلى الأرخبيل الإندونيسى . وهناك هجرات أخرى وصلت إلى إندونيسيا عن طريق جنوب شرق آسيا والصين والصين الهندية

وفى ٥٤٥ م تعرضت إندونيسيا لهجرات أخرى من الهند ، وتتابعت تلك الهجرات ، واستوطن الهنود وتناسلوا حتى أصبحوا من أهالى البلاد الحقيقيين ، وأقاموا فيها ممالك ودولا واسعة الأرجاء مترامية الأطراف ، وكانت لها مستعمرات وأساطيل تشق عباب البحار ، ووصلت تجارتها إلى الصين وأستراليا الشمالية وأفريقيا والهند وبلاد الفرس ، ومن هنا كانت البضائع تنقل بواسطة القوافل إلى البندقية بإيطاليا عن طريق آسيا الصغرى ومنها توزع فى سائر أنحاء أوربا

وفى هذا العصر انتشرت الديانة الهندوكية فى إندونيسيا وشيدت كذلك المعابد والتماثيل للاله بوذا ، وكذلك تشبع الإندونيسيون بالثقافة الهندية واصطبغ المجتمع الإندونيسى بالصبغة الهندية فظهر نظام الطبقات المعروف عند البراهمة : طبقات الكهنة ورجال الدين وطبقة الأشراف والحكام وطبقة التجار والصناع وطبقة العمال والرقيق

ويسمى هذا العصر بعصر الديانة الهندية

دخول الإسلام

ليس من السهل تحديد مبدإ دخول الإسلام فى إندونيسيا ، ولكننا نستطيع أن نحدده بالتقريب على قدر الإمكان . فقد ورد فى بعض كتب التاريخ أن التجار المسلمين من الهنود والفرس والعرب قد وصلوا فى القرن التاسع الميلادى إلى شبه جزيرة الملايو . وليس معنى هذا أن الإسلام دخل تلك المنطقة فى ذلك الوقت ، ولكن معناه أن الاتصال بدأ بين المسلمين وبين سكان تلك البلاد فى ذلك الوقت على وجه التقريب

وتروى كتب التاريخ بعد ذلك أن أحـد الأمراء المسلمين من الهنود قد هاجر إلى سومطرا وعرض على سلطانها أو أميرها الإسلام فأسلم ولقب بالملك الصالح وقد توفى هذا الملك ١٢٩٧ م

ويؤيد هذه الرواية ما ذكره الرحالة الإيطالى ماركو بولو الذى زار سومطرا ١٢٩٢ حيث قال « إن سكان مدن هذه المملكة مسلمون »

وهكذا نستطيع أن نقول إن الإسلام قد دخل إندونيسيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

على يد من دخل الإسلام إندونيسيا ؟ ليس من السهل تبيان ذلك على وجه التحقيق . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن التجار العرب هم أول من أدخل الإسلام ؛ ويقول فريق آخر إن الهنود أول من نشر الإسلام في تلك البلاد ، ويذهب فريق ثالث إلى أن الإسلام قد دخل إندونيسيا على يد علماء من الفرس ، ويؤيدون ذلك بوجود بعض كلمات إندونيسية مشتقة من أصل فارسي

ويذهب فريق رابع إلى أن الإسلام دخل إندونيسيا بواسطة التجار الإندونيسيين الذين وصلوا بتجارتهم إلى الخليج الفارسي حتى بغداد وغيرها من المدن الإسلامية ، ثم بواسطة الهنود والفرس والعرب بعد ذلك

ومهما يكن الأمر فإن دخول الإسلام في إندونيسيا لم يتم بواسطة سيف أو رمح وإنما تم على يد التجار المسالمين الذين دعوا الإندونيسيين إلى الإسلام فاستجابوا لهم ودخلوا في دين الله أفواجا

وقد كانت سومطرا أول الجزائر دخولا في الإسلام ومنها انتشر في سائر أنحاء إندونيسيا ، وبهذا انكمش ظل البوذية وأصبح ٩٥٪ من الإندونيسيين مسلمين

وقد كانت الدول الإسلامية التي قامت في إندونيسيا عظيمة قوية ، وظل المسلمون سادة إندونيسيا حتى بدأت النهضة الأوربية الحديثة، وكشف طريق رأس الرجاء الصالح وتكالبت الدول الأوربية على الاستعمار . هنا بدأ صراع رهيب بين الهولنديين الذين عملوا على استعمار إندونيسيا وبين الإندونيسيين، وقد انتهى النزال بسيادة هولندا على حكام تلك الجزائر . ولكن الشعب الإندونيسي ظل يقاوم . وقد تعرض دعاة النهوض من أبنائه لكثير من الأذى والاضطهاد ، فقد سجن ونفي الكثيرون، وعذب وشرد آخرون ، ولكن الإندونيسيين صبروا والعقبى للصابرين

ذلك أنه في ١٩٤٠ دخلت اليابان الحرب وبدأت تستولى على الممتلكات الأوربية في جنوب وشرق آسيا ، فاستولت على الصين وعلى الصين الهندية وعلى إندونيسيا وطردت الهولنديين ووقفت على أبواب الهند

وفي ١٩٤٥ هزمت اليابان وسلمت . حاول الهولنديون أن يعودوا إلى حكم الإندونيسيين ، ولكن الإندونيسيين أعلنوا استقلالهم في ١٧ أغسطس ١٩٤٥ . حاولت هولندا إرغام الإندونيسيين على عودة الحكم الهولندي، ولكن الإندونيسيين استبسلوا في الدفاع عن حريتهم وهزموا الهولنديين ، واضطرت هولندا إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا في ١٧ أغسطس ١٩٤٩ . مرديكا

للبحث صلة — أبو الفتوح عطيفة

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

أبو العتاهية والرشيد :

ليس يعنينا من حياة الشاعر فى عهد موسى الهادى إلا ما أظهره الأول من قصر النظر ونكران الجميل ، فقد كان الشاعر أثناء حكم المهدى صنيعة من صنائع هارون الرشيد ، وكان ذلك بالطبع يغضب الهادى المنافسة التى كانت بين الأخوين . ولم يكد الأخير يلى الحكم حتى أقبل عليه الشاعر إقبال المنقطع إليه ، وأعرض عن هارون بل آذاه إيذاء مريراً لا ضرورة إليه ولا مبرر له . انظر إليه كيف يعرض بهارون فى أبيات قالها مهنئاً الهادى بمولود : —

أكثر موسى غيظ حساده ... وزين الأرض بأولاده

وجاءنا من صلبه سيد ... أصيد فى تقطيع أجداده

كأننى بعد قليل به ... بين مواليه وقواده

فى محفل تخفق راياته ... قد طبق الأرض بأجناده

من ذلك الحاسد الذى أكثر موسى غيظه ؟ أليس ذلك الحاسد هو الرشيد ؟ إننا لا نشك فى أن ذلك هو مراد الشاعر ؛ إذ أن نزاعاً مريراً كان قائماً إذ ذاك بين الرشيد والهادى بسبب محاولة الأخير تولية ابنه جعفراً العهد بدلا من هارون ولى العهد الشرعى

فليس عجيباً والحال كذلك أن يبادر الرشيد بإرسال أبى العتاهية إلى السجن عقب تولية الخلافة عقاباً له على ما أظهره من نسيان للجميل وخروج على مقتضيات اللياقة . بل العجيب حقا أن يذكر صاحب الأغانى أن الرشيد إنما أرسل الشاعر إلى السجن لامتناع الأخير عن إنشاد شئ من الشعر له ، وما امتنع فيما يرويه الأغانى إلا حفظاً لعهد الهادى وضنا بشعره أن ينشد لأحد من بعده ، وكيف يصبر الرشيد على كل هذا العبث ؟ بل كيف ينسى للشاعر تعريضه به فى شعره وهو الذى قتل أبا عصمة رئيس حرس جعفر بن الهادى لقوله له يوماً وقد قابل جعفراً على أحد جسور بغداد : — « انتظر حتى يمر ولى العهد »

ومهما يكن من أسباب تلك الجفوة القصيرة فقد عادت الحال بين الرشيد والشاعر إلى ما كانت عليه من قبل ، ونسى الخليفة أو تناسى ما كان من سوء أدب الشاعر وقلة وفائه . والحق أن هارون كان مضطرا إلى مثل ذلك التغافل والتجاوز عن سيئات الشاعر إذ لم يكن له غنى عنه . فهارون مولع بالفتيات الحسان يحادثهن ويختلط بهن ويسمع إليهن ينشدن الشعر ويغنينه أو يعزفن على نغماته ، وما أكثر ما يجيش فى صدر الخليفة من عواطف أو يمتلج بباله من خواطر نتيجة لاختلاطه بأولئك الجوارى الحسان . وما أشوقه إلى أن يرى خواطره وقد ترجمت فى شعر عذب وصارت أغانى وأناشيد تصدح بها جواريه الفاتنات . يروى لنا التاريخ — وما أقل ما يروى بجانب ما يهمل — أن الرشيد ربما أنشد البيت أو البيتين محاولا التعبير عن فكرة أو خاطر خطر له ثم يكل ذهنه ، وهناك يتلفت إلى من حوله من الشعراء علهم يسعفونه بإتمام ما بدأ . ويروى التاريخ أيضاً أنه ربما أعجب الرشيد بالبيت أو البيتين من الشعر وشرب عليهما وطرب وعنى أن لو وجد من الشعراء من يلحق بهما بيتاً أو أكثر حتى يطول طربه وسروره ، ومن أولى الناس بالجلوس إلى جانب الخليفة وإسعافه فى مثل تلك الحال من أبى العتاهية الذى يقول فيه بشار بن برد وقد عجب من سرعة خاطره وسهولة قول الشعر عليه : « أشعر الناس مخنث أهل بغداد الذى يتناول شعره من كمه »

على أن شيئاً آخر كان يزيد فى تعلق الرشيد بأبى العتاهية وشغفه بشعره وذلك هو حبه لعتبة ، فقد خلق ذلك الحب بين الشاعر والخليفة نوعاً من المشاركة الوجدانية حيث كانا يجتمعان فيشكو كل منهما ما يلاقى فى سبيل غرامه . ولعل الأبيات التالية تصور لنا أدق تصوير ما كان بينهما من علاقة فى ذلك الشأن ، وقد بلغ من تذوق الخليفة لتلك الأبيات وإحساسه بصدق معانيها أن أمر بإحضار الشاعر من سجنه وطلب إليه أن يعيد إنشادها

على مسامعه ثم أمر له بخمسين ألف درهم على أثر سماعها ، وإليك الأبيات : —

يا عتب سيدتى أمالك دين	حتى متى قلبى لديك رهين
وأنا الذلول لكل ما حملتنى	وأنا الشقى البائس المسكين
وأنا الفداة لكل باك مسعد	ولكل صب صاحب وخدين
لا بأس إن لذاك عندى راحة	للصب أن يلقى الحزين حزين

أحس أبو المتاهية حاجة الرشيد الشديدة إليه فداخله شئ من الغرور والبطر، ولم يعد يكفيه أن صار جليس الخليفة وشاعره الأول، وفى ذلك مافيه من تكريم ، ولا أن يتناول كل عام خمسين ألف درهم عدا ما يتفضل به الخليفة من منح وعطايا فى شتى المناسبات، بل أخذ يلح عليه فى أن يزوجه من عتبة، ولم لا؟ لقد كانت عتبة فيما مضى تعتذر عن الزواج بأنها كانت تخشى غضب المهدى أو زوجه .. أما الآن وقد ماتا وأصبح أمرها بيد هارون فما الذى يقف فى سبيل زواجه منها ؟ ولم يكن الرشيد متحمساً لذلك الزواج، ولعله كان يعرف من أمر عتبة الشئ الكثير ، ويعلم مقدما أنها لن توافق عليه ، ومن ثم أخذ يكسب الوقت بإعطائه ميعاداً إثر ميعاد، واستمرت الحال على ذلك عشر سنوات كاملة . عشر سنوات ملأت الشاعر نقمة على ذلك الخليفة الذى يشرب ويطرب على ما أنشده الشاعر فى عتبة من أشعار أودعها ذوب قلبه وعصارة نفسه ، ثم لا يتحرك لإنقاذه أو يخف لتخفيف آلامه. نعم يروى المؤرخون أن الرشيد زار عتبة يوما من الأيام وفاتحها فى شأن الزواج من أبى المتاهية فرفضت ، فعاد الخليفة أدراجه واعتبر الأمر منتهيا . وما كان الشاعر من السذاجة بحيث يعتقد أن هارون مع ما كان عليه من بطش وجبروت قد عجز عن أن يحمل عتبة على الزواج منه لو أنه أخذ الأمر بشئ من الحزم والجد . وهكذا وقر فى نفس الشاعر أن عشر سنوات كاملة كلها إخلاص وتفان فى خدمة الرشيد ما كانت لتوجب للشاعر عليه وقفة واحدة حازمة ، وقفة لو أنها تمت لغيرت من حياة الشاعر وذهبت بكل ما كان يعانيه من بؤس وحرمان، وما يحسه من ضعة وهوان . ومن الحق أن يقال إن عتبة لم تكن فى نظر الشاعر مجرد فتاة ينالها أو يفشل فى الحصول عليها ، وما كان أهون خطبها لو كانت كذلك ، فما أكثر أولئك الذين يحبون ويفشلون ثم لا يغير ذلك الفشل من مجرى حياتهم أو يضع من أقدارهم أو يسئ علاقتهم بغيرهم ، ولكن لشاعرنا ظروفا خاصة.. فقد كان فشله فى الزواج من عتبة الدليل الواقع على صحة ما كان يهجس فى نفسه وما يتحدث به أعداؤه ومنافسوه من أنه وضيع بحكم مولده ونشأته.. وأن أى نجاح أدبى أو ثراء مادى لن يغير من تلك الحقيقة شيئا.. ومكن ذلك المعنى فى نفسه إشارة عتبة أثناء رفضها الزواج منه إلى نشأته المتواضعة . ومن ثم ود الشاعر لو بدد تلك الهواجس التى كانت تلاحقه وا كتسب ثقة بنفسه عن طريق الزواج من عتبة

ونعود إلى هارون فنرى الشاعر وقد مل مقامه عنده وغناءه له، وتمنى أن لو وجد بابا غير بابه يذهب إليه، وقد سنحت له الفرصة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، فقد تولى الفضل بن الربيع حجابة الرشيد فى تلك السنة، وأخذ يضع الخطة لتقويض سلطة البرامكة، وسلاحه الأول فى ذلك الدس والوقيعة ، ذلك السلاح الفتاك الذى استعمله والده بنجاح ضد منافسه أبى عبيدالله وزير المهدى. ولكن أنى له ذلك وهارون وجعفر البرمكى روحان فى بدن واحد[1] ومجالس المنادمة والغناء تجمع بينهما من يوم لآخر ، فإذا ما شربا وطربا تكاشفا حتى لا يكاد يخفى أحدهما عن أخيه شيئا . فكيف يكون الحال لو كذب الفضل كذبة أو افترى فرية وألقى بها فى أذن الرشيد فاكتشفها جعفر ولما تعمل عملها فى نفسه بعد ؟

لابد إذن لضمان نجاح خطة الفضل والتأكد من سريان سمومه فى ذهن الرشيد من وضع حد لتلك المجالس الصاخبة التى تجمع بينهما ، فلينتزع الفضل من مجلسهما إذن أبا المتاهية حتى لا يشيع البهجة والمرح فيه بما يمدهما به من شعر الغناء ؟ بل ولتوجد الوسيلة للتشهير بتلك المجالس، وليذكر الناس بما فيها من مخالفة للدين ، ولتوضع الأشعار للتنفير منها وممن يرتادها من الناس

ومن أولى بأداء تلك المهمة من أبى المتاهية فهو ساخط على الرشيد بل ساخط على الحياة والأحياء جميعا ، وهو رجل

(١) كان هارون وجعفرا يلبسان فى بعض مجالسهما ثوباً واحداً ذا فتحتين للرقبة

حريص يحب المال ويسعى إليه ولا يبالي بما يركبه من أهوال في سبيل الحصول عليه . وهو قبل كل ذلك شاعر مطبوع قادر على قول الشعر في كل فن وبكل مناسبة . فاتح الفضل أبا العتاهية في ذلك الأمر، وأيأسه من هارون ومن عتبة ووعده الحماية من كل سوء أو مكروه يصيبه بسبب إعراضه عن الرشيد وهجره لمجالسه ، ووعده إلى جانب ذلك مالا كثيراً إن أنصت إليه واستجاب لرجائه . وانضمت زبيدة إلى الفضل، فهي حريصة على وضع حد لمجالس اللهو والطرب التي كان يجلسها الرشيد لأسباب لا تقل وجاهة عن تلك الأسباب التي حملت الفضل على بغضها والعمل على فضها ، إذ أن تلك المجالس تجمع بين الرشيد والجواري الحسان من مغنيات وراقصات وعازفات ، وفي ذلك ما فيه من استهواء للرشيد وشغل له عن زوجه وابنة عمه زبيدة

وما إن سمع الشاعر ذلك العرض حتى قرر أن يقف من الرشيد موقفاً حازماً لا تردد فيه ولا هوادة، فأخبر الرشيد أنه لن يقول شعرا في الحب مالم يخط خطوة عملية في شأن تزويجه من عتبة التي تلهمه ذلك الشعر

وتعقد الموقف حين ثارت ثائرة الرشيد .. فأمر بإرسال أبي العتاهية إلى السجن وأقسم ألا يخرجه منه حتى يقول شعرا . وهنا أقسم الشاعر أيضاً أنه لن يتكلم سنة إلا بالقرآن أو .. لا إله إلا الله ، وتلك حيلة بارعة من الشاعر.. فهو يعطي الخليفة سنة كاملة كي يصحح موقفه فيها فإن رجع لصوابه وزوجه من عتبة عاد إلى حظيرته.. وإن أبى إلا إهمال الشاعر والاستهانة بشأنه انضم إلى معسكر الفضل وزبيدة غير آسف ولا متردد ، ولم ينس الشاعر أن يكتب إلى الخليفة من سجنه بأشعار ذات مغزى واضح ، أنظر إليه وهو يجادل الرشيد جدالا منطقياً ويعجب له كيف يطلب إليه أن يقول شعراً في الحب وقد حرمه من عتبة التي كانت تلهمه ذلك الشعر :—

وكلفتني ما حلت بيني وبينه   وقلت سأبغي ما تحب وما ترضى
فلو كان لي قلبان كلفت واحداً   هواك وكلفت الخلي لما يهوى

ثم انظر إليه وهو يذكر الرشيد بمواعيده التي لا تنتهي إلى غاية : —

يا رشيد الأمر أرشدني إلى   وجه نجحى لا عدمت الرشدا
وابلائي من دعاوى آمل   كلما قلت تدانى بعدا
وأماني بعد بعد غد   ينفد العمر ولم ألق غدا

ومضت السنة ولم يستجب الرشيد أو قل لم تستجب عتبة لدعاء الشاعر الذي لم يجد بدا من الانضمام إلى المعسكر الآخر ، متخذاً لنفسه أسلوباً جديداً في الحياة ، بنى بأغراض زبيدة والفضل ويقضي حاجات في نفسه هو، وتلك الحاجات هي التنفيس من عواطفه المكبوتة ، والتعبير عما يكنه للحياة والأحياء من سخط ونقمة

وبعد فقد بينا هنا ما كان للفضل وزبيدة من أثر في ذلك الانقلاب الذي طرأ على الشاعر سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وسنكشف في المقال التالي بعون الله تعالى عما لدينا من أدلة تثبت أن اتفاقاً كهذا قد تم بين الفضل وزبيدة من جهة ، وأبي العتاهية من جهة أخرى

دكتور محمد السكفراوي

تاريخ الحركة العلمية الحديثة في حضرموت

للأستاذ أحمد عوض باوزير

قبل خمسين عاما ، أو أكثر كانت (حضرموت) تعيش في عزلة تامة عن تطورات الثقافة في الأقطار العربية . وكانت دور (الكتاتيب) التي عاشت إلى وقت متأخر جدا هي كل ما هناك من مظاهر الحياة العقلية والعلمية

ويجوز أن تكون (حضرموت) قد عرفت من مظاهر الحياة العلمية والعقلية غير هذه (الكتاتيب) . إلا أننا لا نستطيع أن نحدد ، من الناحية التاريخية ، معالم تلك الحياة ، أو نتبين آثارها الأدبية . فإن دراسة تاريخ الحياة الأدبية ، والسياسية، والعقلية في حضرموت ليس من المتعذر فحسب وإنما كذلك عمل شائك لا يخلو من المفارقات والملابسات

ونحن لا نريد أن نتبع مذهب (ديكارت) في هذه الدراسة العلمية ، أو مذهب (الشك) كما يسميه الدكتور (طه حسين) ؛ لأننا في فجر هذه النهضة الحديثة نطمع في الظفر بمعلومات أوفى ، عن مظاهر الحياة العقلية ، والعلمية . ولقد سررنا كثيرا ، للفتوحات الجديدة ، في التأليف عن التاريخ العام لحضرموت ، وهي الفتوحات التي بدأها الأستاذ (صلاح عبد القادر البكري) حين أخرج كتابه (تاريخ حضرموت السياسي) وهو تعريف موجز بالحكومات السياسية ، التي تعاقبت على (حضرموت) منذ صدر الإسلام إلى أواخر عهد السلطنات القائمة

أما بعد : فإن (الكتاتيب) التي أثبتنا أنها كل ما بقي لنا من مظاهر الحياة العقلية والعلمية ، فيما قبل الخمسين عاما الماضية لا ينفي أن يكون هناك من (النوابغ) من كانت ظروف حياته الماضية أو أحوال استعداده الفطري قد أعانته على التفوق في العلوم الدينية والعربية ، غير أن هذه (الحالات) الفردية لا يصح أن تكون مرآة صادقة للحياة العقلية والأدبية

والذي يمكن الاطمئنان إليه في معرفة نشأة الحياة العقلية ، في (حضرموت) هو أن ظهور المدرسة القديمة ، أو ما يسمونه (بالجامع العلمية) ، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري كان بداية طبيعية لتلك الحياة . وهذه (الجامع) تشبه إلى حد ما في نظام دراستها ، تلك الجوامع القديمة التي كانت منتشرة في حواضر الدولة العباسية

وأشهر هذه (الجامع) التي نريد التنويه بفضلها ، هو (مجمع الشاطرى) في سيئون ، ومجمع (ابن سلم) في الغيل ، ومجمع (مشهور) في الشحر . والمجمعين الأولين ، أكثرهما تأثيرا في الحياة العقلية ، وأبعدهما خطرا ، في الحياة الاجتماعية . وإليهما ينتسب أغلبية (المتعلمين) من ذوى الكفاية النادرة ، والإنتاج الرفيع . وقد كان يقوم بتدريس اللغة العربيه ، وأصول الشريعة الإسلامية فيهما أساتذة قديرون حذقوا تلك (الاختلافات) في المسائل الفرعية التي امتلأت بها كتب (الحواشي) المطولة و (الشروح) التقريرية

ويكفي للتدليل على أهمية هذه (الجامع العلمية) أن يكون من خريجيها أمثال السيد (ابن هاشم العلوى) والمرحوم الشيخ (عبد الله محمد بن طاهر) والأديب المؤرخ (سعيد عوض باوزير) والسيد (محسن جعفر بوفى) . وغيرهم كثيرون

وهذا لا يمنع أن يكون لدينا من الملاحظات عن هذه (الجامع العلمية) ما يفيد في تصوير الأحوال ، داخل هذه (الجوامع) . وهي ملاحظات استخلصناها أثناء مراجعاتنا للأنظمة التعليمية في المدة الحاضرة ، وأولى هذه (الملاحظات)

هو ما نسميه اليوم (بفوضى المناهج) فالطالب فى هذه (الجامع) لا يمكن أن يتقيد (بالزمن) سواء أكان فى التحاقه، أو فى الأعوام الدراسية أو فى مواعيد حضوره وغيابه

وقد يبدو أن هذه (الملاحظة) ليست على شئ من الأهمية ، أو الخطورة والعكس — فى نظرنا — هو الصحيح . فإن هذه (الفوضى) تكون قد حرمت الكثير ، الفرصة للاستفادة من (المواعيد) ولذلك تضطرهم إلى البقاء داخل هذه (الجوامع) أعواما أطول

وثانى هذه (الملاحظات) أن هذه (الجوامع) تسرف كثيرا فى مناقشة (الآراء) المتضاربة أو ما يسمونه بأقوال (الحواشى) وهى أقوال عديمة الفائدة ، تؤثر فى نفسية (الطالب) تأثيرا خطيرا ينتهى به إلى (الفناء) وسط تلك (الحواشى) ويبعده عن الجوهر والغرض

وهناك غيرهما من (الملاحظات) . غير أننا لسنا بصدد الدراسة الخاصة . وفى هذا القدر الذى أثبتناه ما يكفى للتعريف بأحوال (الجامع) ونظام دراستها

وظهرت فى هذه الأثناء (المدرسة الحديثة) وهى تختلف تمام الاختلاف عن نظام الدراسة فى تلك (الجوامع العلمية) . وأولى هذه المدارس هى مدرسة (الدباغ) فى المكلا . وكان قد دعا إلى تأسيسها السيد (حسين آل الدباغ) وهو من الحجازيين الذين فروا على أثر الحملة النجدية الوهابية

وأنشأت (مدرسة الدباغ) فى المكلا فرقة للكشافة ، كانت أول فرقة منظمة . كما قد أجازت تعليم (الجغرافيا) و (التاريخ) و (الأشياء) وهى العلوم التى كانت (العامة) تعتقد أنها تفسد الدين ، وتؤذى (الأسلاف) ..

وعلى أثر ارتقاء عظمة السلطان (صالح بن غالب القعيطى) عرش السلطنة القعيطية ، تغيرت الحياة العلمية تغيرا كبيرا . واقترن عهده (الزاهر) بالنهضة الحديثة التى سنأتى على وصفها فى النبذة التالية : —

وقبل الإفاضة فى الحديث عن مقومات النهضة الحديثة نعود إلى ذكر الحكومات السياسية المعاصرة التى تحكم (حضرموت) . وهى الحكومات التى ترتبط و(الدولة البريطانية) بمعاهدة التحالف والصداقة . وأكبر هذه الحكومات نفوذا ، وأوسعها رقعة . هى الحكومة (القعيطية) . ويتولى عرش هذه الحكومة ، عظمة السلطان (صالح بن غالب القعيطى) وهو يحكم القطاع الساحلى ، ومناطق أخرى فى البلاد الداخلية ؛ وأشهر مدنها (المكلا) . وهى من الموانى الهامة فى جنوب الجزيرة العربية ، وعاصمة الحكومة القائمة . و (الشحر) وهى المدينة التاريخية القديمة . و (الغيل) وهى من المناطق الزراعية ، ومركز النهضة العلمية الحاضرة . و (شبام) وهى مدينة التجارة

وثانى هذه (الحكومات) هى الدولة الكثيرية . وهى من الحكومات القديمة التى يعود تاريخها إلى أواخر القرن الثامن الهجرى . ورئيس الحكومة الحالى هو السلطان (حسين بن على بن منصور الكثيرى) و (تريم) و (سيئون) وهما من المراكز العلمية والأدبية فى تاريخ النهضة — يخضعان (للحكومة الكثيرية) والأولى من المدن التاريخية القديمة ، والثانية عاصمة الحكومة الحاضرة ، ومهبط الأدباء ، والمؤرخين من المحدثين

وهناك غيرهما من الحكومات . وهو ما نسميه بالحكومة القبلية . ولكن هذه الحكومة آخذة فى الزوال بفضل سياسة دار المستشار البريطانى المقيم التى دأبت على نشر الأمن العام والقضاء على العصاة ، من الخارجين على الحكومتين ، القعيطيتين

ولعل من أبرز مقومات النهضة الحديثة ، فى بلدان السلطنة القعيطية ، هو تلك الجهود الصادقة التى يبذلها عظمة السلطان لتشجيع الحركة العلمية والاقتصادية . فقد ظل يتعهدهما برعايته ويتعهدهما بتوجيهه وإرشاده . وكان قد عهد إلى دار المستشار البريطانى المقيم فى وضع تقرير شامل لإصلاح التعليم . ووضع هذا التقرير ، عميد معهد التربية بالسودان المستر (قرفث) بدعوة من الحكومة القعيطية . ووكل المستر قرفث إلى الأستاذ

(القدال) تنفيذ تلك المقترحات . وهو من المواطنين السودانيين والأستاذ القدال هو الذى تولى بعد ذلك ، سكرتارية الدولة القعيطية . بعد أن أمضى عشر سنوات ، فى خدمة التعليم بحضرموت ، وتم فى العشر السنوات الماضية ١٩٣٩ — ١٩٥١ توحيد المنهج العام وترميم المدرسة الوسطى . وإنشاء مدرسة المعلمين والثانوى الأصغر والمعهد الدينى الجديد . ووسعت خزينة الدولة الإنفاق على هذه المشاريع العلمية ، كما استجلبت عددا من الموظفين السودانيين للعمل على تنفيذ توصيات المستر قرفث بشأن تقدم التعليم

وقد تم فى السنوات الخمس الماضية إيفاد المبعوثين من خريجى التعليم الأوسط ، إلى المدارس الثانوية فى مصر ، والسودان ، وسوريا ، والعراق . وقد عاد بعض هؤلاء إلى حضرموت والتحقوا بالمصالح الحكومية فى الدولة

ومن المآثر الطيبة التى خلدها عظمة السلطان ، هو تأسيس المكتبة السلطانية بالمكلا ، وهى من المكتبات الشهيرة ، وتضم من المؤلفات القديمة والحديثة ما يربو على الثلاثة الآلاف فى مختلف الفنون والعلوم

وعلى الرغم من النقص المالى الذى تعانيه خزينة الدولة الكثيرية فإنها لم تقصر فى العناية ، بالشؤون التعليمية . فقد أنشأت المدرسة السلطانية فى سيئون . وتولى إدارتها على التوالى، السيد محمد بن هاشم العلوى والسيد على بن شيخ بلفقيه ، وتدرس الحكومة الحاضرة مشروعا جديدا . لإنشاء نظارة للمعارف . وأعربت دار المستشار البريطانى عن استعدادها لتقديم الإعانات المالية لهذا الغرض . ويقوم السيد على بن شيخ بلفقيه فى هذه الآونة بدراسة نظام التعليم الحالى فى مدارس الدولة القعيطية ، وهو من المتحمسين للفكرة والداعين إلى الوحدة

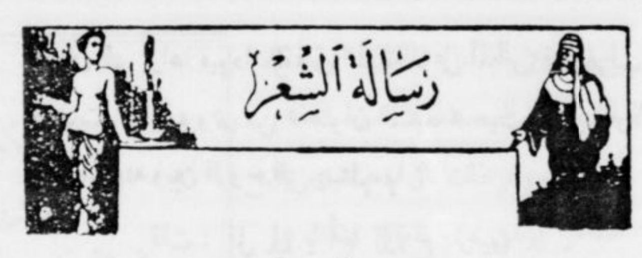
وهناك غير هذه المدارس الرسمية فى الحكومتين المدارس الأهلية ، وهى تسير وفق مناهج خاصة ، مقتبسة من مناهج التعليم فى البلاد العربية . ولا يزال التعليم الأهلى يفتقر إلى الجهود الكثيرة ، والإعانات المالية ، ليؤدى رسالته العامة على الوجه الصحيح

ويقترح الأستاذ صلاح عبد القادر البكرى فى كتابه الجديد من رحلته فى جنوب الجزيرة العربية ، أن يقوم المسئولون ، فى نظارة المعارف على إجراء تعديل شامل ، فى المنهج السودانى ليتمشى والأحوال الطبيعية ، والتربوية فى حضرموت

هذا هو تاريخ الحركة العلمية الحديثة . فى حضرموت . أجملناه فى هذه الصفحات . وهو تعريف بأوجه النشاط العلمى والثقافى فى الخمسين عاما الماضية من تاريخ حضرموت . نرجو أن يفيد فى التعريف ، بهذه البلاد العربية ، التى تسعى حثيثا إلى النهضة والرقى

أحمد عوض باوزير





ربيع الشاعر..

للأستاذ حسين محمود البشبيشي

من أي عهد عتقت نشواني … سكر الرحيق وعربدت كاساتي
ما الخلد، ما روضاته، ما السحر ما … آياته .. من هذه الآيات
ما العود ما رناته، ما الناي ما … حناته .. من هذه الحنات
ما الظل، ما أفياؤه، ما النور ما … لماحه .. من هذه اللمحات
دنيا من الألق العلي تنزلت … من أفقها السامي لنور حياتي
فإذا الربيع يلفني بصفاته … وألفه بمشاعري وصفاتي!
وإذا حياتي جنة. جل الذي … قد صاغها من صحوة وسبات
ينساب فيض العطر بين زهورها … كمشاعري تنساب منتشيات
كمشاعري رشفت سلاف ربيعها … حسا، وكم سكرت من الرشفات
فهتفت من فرط الهيام وعربدت … كأسي وجن الخمر من نشواتي
أنا من ربيعك يا وجود فلا تدع … صنو الربيع يهيم في ظلمات!
علمتني أن الحياة حقيقة … ضحكت فهل علمتني ضحكاتي؟
هذا الربيع اليوم لست أحسه … وهماً، ولكني أحس حياتي
قد كان يعبر بي كلمحة واهم … واليوم أعبره وبي صبواتي!
الكون هذا الكون بين مشاعري … والغيب سر الغيب في خطراتي
إني أحسك يا ربيع بكل ما … يبدو لعيني رائع القسمات
فإذا مضيت إلى التراب ولفني … أصلي، وعدت إلى الظلام العاتي
وفقدت كل معالمي ومظاهري … غير انطلاق الروح بعد مماتي
سأرى الحياة هدى وأدرك كنهها … معنى. ويبعد صمتها سكناتي
وأعود في قبل الندى لزهوره … لأرى الربيع الطلق في سبحاتي
وأسير في الدنيا ربيعاً خالداً … سكب الندى ولى بكأس الآتي
من ذلك النشوان يخطر في الربى … ثملا، فيسكرها صدى الخطوات
تتفجر البيداء من خطواته … ماء، وتنبت رائع الزهرات
من ذلك الفنان، يعثر روحه … وفؤاده في السهل والربوات
فإذا السراب حقيقة وإذا الصدى … لحن يفيض بأقدس النغمات
من ذلك الخلاق من أجرى الهوى … والسحر من أحيا جديب حياتي
فإذا حياتي والربيع جديدة .. … وإذا ربيعي بالحياة موات!!
من ذلك المستور راح يهزني … هزا، ويغمر نشوة جنباتي
كحقيقة خفيت علي ولم تزل … أسرارها تنساب في خطراتي
وأكاد أدركها بقلبي صورة … كملت، وإن عزت على نظراتي
كالله لست أراه، لكن كل ما … يوحي به يهتز في جنباتي
ألقاه في حلمي وفي صحواتي … وأراه في صمتي وفي سجداتي
هو خالق الجنات، إن صفاته … سطعت ربيعا عاطر الجنات
وترى الحياة كأن روحاً طائراً … يهفو بها نشوان في لهفات
تتخطر الأنسام بين رياضها … كتخطر الأنغام في صدحات
وتذيبني وأذيبها وأكاد من … وله القصيد أذوب في أبياتي
هـذا ربيع الملهمين فغنني … شعرا ندى الروح واللفتات
أنا قد ولدت مع الربيع فلا تسل … عني وسل إن شئت عنه حياتي
الشعر ألف بيننا بفنونه … والحب صورنا من الصبوات
والشعر ذوب مهجتي بكؤوسه … وأسال أكؤسه على طرقاتي!
فتان الإلهام فوق عيونه … وروائع الأشعار في خطواتي!
يا ومضة من عالم قد أشرقت … جنباته نشوى من الومضات
يا قبلة تركت على ثغر الربى … زهر الحنان وحنة الزهرات
يا مهبط الوحي الشرود وتدفقت … آياته بالوحي منتشيات
يا نبضة الحيوات في قلب الدنا … قلبي بحبك واله النبضات
يا شاعراً بعث الوجود قصيدة … سجد الوجود لها من اللهفات
يا مهجة طهرت ففاض نقاؤها … سحراً يبث الطهر في المهجات
الله صورنا نقاء طاهراً … والله طهرنا من النزوات
وأسال في جنبيك خمر حنانه … وأسال خمرك في منابع ذاتي!
فإذا كؤوسك روضة وإذا الطلى … عطر يضوع بأقدس النفحات
وإذا حياتك فرحة تجتاح ما … يجتاح نفسي من جوى وشكات
تأسو إذا جرح الشتاء وكم سرت … لمسات كفك في الربى حبوات
عجبا يكاد الترب ينبت ألسنا … تشدو الحياة وأعينا ألقات
كم مجدب فجرت ميت صخوره … مهجا تراقص أغصنا ثملات
فغدا زماني حانة ندمانها … أنا والربيع، فهات خمرك هات

حسين البشبيشي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

حول محاضرة عن شعر أبو الوفا:

دعينا يوم الخميس الماضي إلى سماع محاضرة للدكتور إبراهيم ناجي بك بجمعية الشبان المسيحية، عنوانها «سيكولوجية شعر محمود أبو الوفا»

والدكتور ناجي له جولات موفقة في التحليلات والتحليلات النفسية، والأستاذ محمود أبو الوفا شعره حبيب إلى النفس

لذلك كنا نتوقع أن ينال شعر أبو الوفا عناية العالم النفسي والأديب الكبير إبراهيم ناجي، ولكنا سمعنا بحثا تسعة وتسعون في المائة منه كلام في تعريف الشاعر والفرق بينه وبين الناثر، والواحد الباقي من المائة في شعر محمود أبو الوفا .. قد وصل إليه من حيث قال إن الكلمات العادية الجارية على الألسن يتناولها الشاعر فيبعث فيها الحياة ويكسبها إشعاعات يبلغ بها عواطف الجماهير، وكذلك أبو الوفا

وقام — بعد محاضرة الدكتور ناجي التي ألقاها نائب عنه إذ اعتذر هو من عدم الحضور — الأستاذ حليم دمتري، فتحدث عن «عنوان النشيد» للأستاذ أبو الوفا حديثا خلط فيه قليلا من الكلام على هذا النشيد وكثيرا من الكلام الذي يقصد به الدلالة على غزارة العلم وسمة الاطلاع! ثم ألقى النشيد كله وهو نحو ثلاثمائة بيت، وقطعا أخرى للشاعر، حتى استغرق ذلك نحو ساعة أمل فيها كل الإملال، لا بالشعر نفسه بل بما صنع في إلقائه .. ويظهر أن الأستاذ دمتري لم يمرن لسانه على النطق الفصيح وبخاصة نطق الشعر، وقد حطم الأوزان تحطيم الأصنام ..

والعجيب أن الأستاذ دمتري طرق موضوع التحرر من الأديان التي يراها قيودا عائقة في الحياة، على أساس فهم غريب للأبيات الآتية، وهي من «عنوان النشيد» حيث قال أبو الوفا في حوار بينه وبين الروح التي يستلهمها:

قلت: قل لي يا أخا الروح الرفيعه
ما لزوم الدين أو أي شريعه
لنفوس الناس ما دامت رفيعه
حين أن النفس مذ كانت ولوعه
بالتسامي والتعالي بالطبيعه؟
قال: لما لا ترى النفس الوضيعه
ثم، أخلوا الأرض من كل شريعه
إنما، والنفس ما زالت رضيعه
من أب سوء، ومن أم وضيعه
كيف نرك الدين أو نلغي الشريعه

إلى أن قال:

إنما الأديان آداب رفيعه
وهي تفسير جميل للطبيعه

فهم السيد دمتري من هذه الأبيات ومن مثيلات لها في «عنوان النشيد» أن الشاعر يدعو إلى نبذ الأديان! وما كنت أظن أن مثله يحتاج إلى أن أقول له إن الشاعر يقول: إذا كنت لا ترى في هذه الدنيا نفسا وضيعة وكان إنسانها كاملا فلا مقتضى للدين والشريعة، ولكن الناس هم كما نراهم في ضعتهم ودناياهم، فكيف نستغني من الأديان ذات الآداب الرفيعة وهي تفسير جميل للطبيعة ..؟

ولم يكن لائقا من السيد دمتري أن يصول ويجول في ميدان «اللادين» وهو يتكلم في جمعية دينية!

وعلى رغم أن دمتري قرأ «عنوان النشيد» كله، وفيه قول الشاعر بعد أن عرض حال العالم وما هي عليه من شر ونزاع:

ولئن تسألهم: فيم الخصام؟
لأجابوا هو من أجل السلام!
قل لهم: يا قومنا أي سلام!

ليس بين العقل والقلب انسجام
ذى هى العلة لا سوء النظام

على رغم ذلك قال ديمترى إن الشاعر يؤمن بأن العقل وحده هو الذى ينبغي أن يسود !!

وقد عقب الأستاذ محمد قطب على ذلك، فاستدل بتلك الأبيات وبقول الشاعر أيضا:

لا أرى الإيمان تشريعا وكتبا
بل أرى الإيمان وجدانا وقلبا

على أن شاعرنا يؤمن بالقلب وبالعقل، فهو يرى أن الدول الكبيرة التى تتحكم فى العالم اليوم لا ينقصها العقل، ومع هذا نراها تحدث فى العالم الشر والنكر والعقل لديهما متوافر! فالشاعر يدعو إلى مشاعر إنسانية تطهر هذا العالم الذى يتخاصم من أجل السلام

الحياة الفكرية فى مصر الحديثة:

أشرت فى الأسبوع الماضى إلى المحاضرة التى ألقاها الدكتور محمد كامل حسين فى حفلة استقباله عضوا جديدا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية واعدا بخلاصتها فى هذا الأسبوع، وهذه هى الخلاصة:

تحدث عن سلفه فى عضوية المجمع أحمد حافظ عوض، فكان مما قاله: أنه نشأ فى عصر لا يعد خير عصور الحياة الفكرية فى مصر، وآثاره الأدبية لا تخلو من صفات ذلك العهد، ولا يعد هذا عيبا، فحسب المرء أن تكون آثاره فى ميدان الفكر صورة صادقة واضحة للعصر الذى يعيش فيه، وكذلك كانت آثار سلفى، ففيها تخبط الذين يلتمسون أسلوبا جديدا وتمرد الذين يتحسسون منهجا غير مألوف، ولا أكتمكم أنى أحب كثيرا من هذا التخبط وذلك التمرد، بل بعضه أحب إلي نفسى من الكمال الفنى، وإنى لأجد سقارة أحب إلى من وادى الملوك، وأقدم الشعر عندى خير من شعر أبى تمام، وإن كنا لا نعرف للشعر العربى دور تمتروالطور بداءة، كأنما هو قد انبعث من رمال الصحراء أتم ما يكون جمالا، كما خرجت «فينوس» من أمواج البحر، والصورة القديمة أشهى إلى نفسى من روائع «روفائيل» كأن الكمال الفنى يشعرنى قرب النهاية وضعف الشيخوخة

ثم تحدث عن الحياة الفكرية فى مصر الحديثة فقال: إنى ممن لا يزالون يؤمنون بالفكر المحض وأثره فى الحياة العامة. وأكثر الناس على أن الحياة الحديثة شغلتنا عنه بما هو أقرب منالا وأسرع جزاء، وأن المحدثين يفضلون العمل على الفكر، وأن الغلبة اليوم لما سميناه الماديات. وأننا فقدنا الإيمان وهجرنا الأخلاق واختلط علينا الخير والشر، ولا أريد دفاعا عن المحدثين، ولكنى أقول إن هذه آراء لا تصدق إلا على ظاهر الأمور، وأصل الخطأ فيها ما طرأ من تغير على

كشكول الأسبوع

▫ «إن جمال الكلام هو الذى يعين على جمال النغم، ولا يكون الغناء شيئا حتى يكون المعنى طريفا والصياغة حلوة، ولا يجود التلحين حتى يكون موقع الكلمة فى التأليف إلى جوار أختها مرضيا مصوغا بحكمة»

هذه فقرة من حكم أصدره القاضى الأديب الأستاذ محمود عبد اللطيف فى قضية أقامها الأستاذ الأسمر ضد محطة الإذاعة والآنسة أم كلثوم مطالبا بنصيبه فيما تدفعه الإذاعة لغناء كل مرة تذاع فيها أغنية من تأليفه. وكان الحكم باقرار حق المؤلف

▫ جاء من باريس أن الاتحاد الفرنسى المصرى للجوائز الأدبية السنوية قرر منح جائزة واصف غالى باشا للسيدة الأديبة قوت القلوب الدمرداشية لروايتها «الخزانة الهندية» التى تقدمت بها الى المسابقة

▫ قررت جامعة الدول العربية إيفاد الدكتور على سامى النشار المدرس بكلية الآداب بجامعة فاروق، إلى ألمانيا والدانمرك وهولندا وإنجلترا، لفحص المخطوطات العربية هناك والعمل على تصوير المهم منها

▫ جاء فى قرارات مؤتمر الشعوب الإسلامية الذى عقد أخيرا فى كراتشى — ما يلى:

«الحث على تدريس لغة القرآن للشعوب الإسلامية لأنها لغة دينهم ويتحتم على كل مسلم أن يلم بها»

▫ تقرر أن يشغل متحف الفن الإسلامى الذى كان يعرف من قبل باسم «دار الآثار العربية» — المبنى الحالى لدار الكتب المصرية، على أن تنتقل هذه الدار الى مبنى خاص يشيد لها، ولم يقع الاختيار الى الآن على الموقع الذى يبنى فيه

▫ وعدنا فى الأسبوع الماضي بالكتابة عن العدد الأول من «مجلة الأزهر» فى عهدها الجديد، ولكن لم يتسع الوقت فى هذا الأسبوع لما هى جديرة به من إنعام النظر وتمام الاستيعاب. وموعدنا لذلك الأسبوع القادم إن شاء الله

مكان التفكير من حياة الناس وعلى الصورة التي تتمثل فيها الأخلاق . إلى أن قال : والناس في عصرنا هذا لم يفقدوا الإيمان وإنما شكوا فيما يؤمنون به ، ولم ينكروا الأخلاق وإنما التمسوا لها وجوها غير التي اصطلح عليها القدماء ، ولم يهجروا الكثير من الفضائل الفردية التي عكف عليها الأولون إلا ليستبدلوا بها فضائل اجتماعية ذهبوا إلى أنها لا تقل فضلا

ثم عرض للاتجاه إلى المدنية الغربية ، فقال إذا كانت المدنيات كلها قد ولت وجهها شطر المدنية الغربية فإن ذلك ليس إعجابا بها أو خضوعا لقوتها ، بل يرجع إلى أن طبيعة التفكير البشري في جوهرها واحدة ، وأن كل ثقافة لا يقف بها النمو ستجد نفسها تسير على نهج يؤدي بها إلى ما يشبه المدنية الغربية

ثم قال : وكان أول ما اتصلت الأسباب بيننا وبين التفكير الغربي تلك المؤلفات التي كتبت في خلال القرن التاسع عشر يسيرة هينة التفكير بسيطة الأسلوب رقيقة المعنى ، فيها ظرف وإعجاب يشبه إعجاب المراهقين بالكبار ، ثم تبين بعد قليل أن السير بطيء لن نبلغ به ما نبغي بعد أن سبقنا الغربيون بقرون ، فهرولنا وأخذنا نجرع من الحضارة الغربية جرعا قويا روى به ظمأ شديداء وأهل البدو — وهم أعلم الناس بالظمأ — يقولون : الجرع أروى والرشيف أنقع . ونحن لا نزال نفضل الري على النقع ، ولا يزال فينا أثر الهرولة التي أرغمنا عليها إرغاما

وذكر صفات للتفكير عندنا ، فعد منها الهرولة وأتى ببعض مظاهرها ، ثم قال : ومن تلك الصفات الكلاسيكية المبكرة ، والكلاسيكية تعني في العادة المحافظة على أسلوب خاص من حيث الشكل وحده ، ذلك أن كل تفكير صادق أو فن جديد ينشأ معه أسلوب في التعبير خاص به ، ثم لا يزال ينمو حتى يبلغ درجة من الكمال يعترف بها الناس ، حتى إذا نفد ما في هذا التفكير أو الفن من قوة بقي الشكل يرجى لذاته

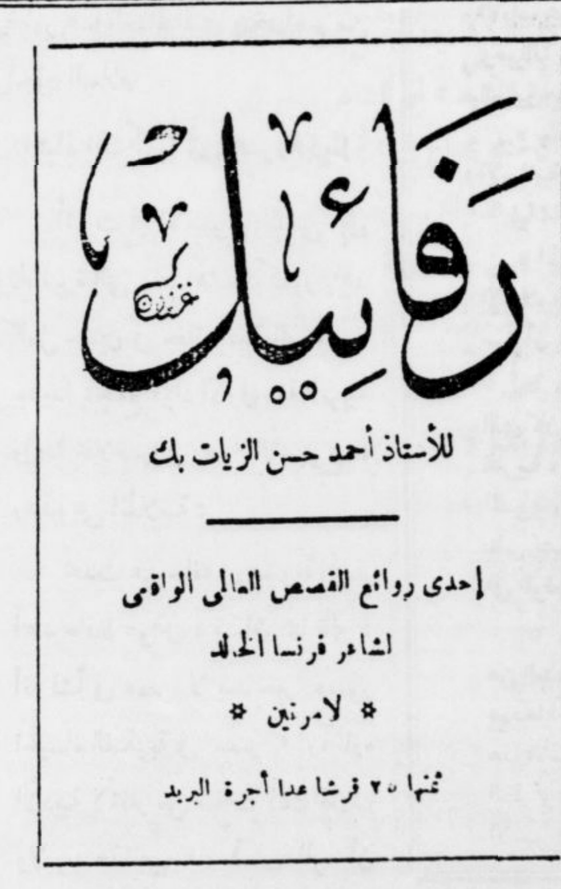
إلى أن قال : وعلينا أن نقتل الفصاحة فينا فهي شكل محض ، وأن نتجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير ، وألا نضع للأسلوب قواعد لجلاله فالقاعدة الوحيدة للجمال هي أن يكون الشيء جميلا . ثم قال : وأول ما يجب علينا عمله أن نترك وراءنا ظهريا كل ما حملنا عليه من هرولة وعوج ، والتقلم عن المحاكاة والاحتذاء ، فقد بلغنا من الحياة الفكرية مبلغا يستحيل معه النكوص إذا تركنا أنفسنا على سجيتها . وأهم ما يجب أن نعنى به هو العلم بالعربية ؛ فإن أحدا لا يستطيع أن يأتي بعمل ذي خطر إلا أن يكون ذلك بلغته . والذين لا يملكون ناصيتها يظلون حيارى لا يقدرون على شيء من الأدب الرفيع

تعقيب :

وبعد فإن التأمل في تلك المحاضرة القيمة يراها — على قيمتها وما حوته من آراء ناضجة وأفكار طريفة وعلى سياقها الجميل — لم تخل من « الهروله » وهذا طبيعي ، لأنها جزء من الإنتاج الفكري الحديث الذي قال الدكتور كامل حسين إن من صفاته الهرولة ..

وبيان ذلك في الأسبوع القادم إن شاء الله

عباس خضر





مذكرات واعظ أسير

تأليف الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي

للأستاذ كامل السيد شاهين

ما كان لمحنة الإخوان المسلمين أن تمر بغير تسجيل، وما كان لهذا العسف الوبيل الذي نالهم أن يذهب دون أن يدفع هؤلاء الذين بطشوا بهم دفعاً بليغاً!.

وهذا الكتاب الذي أخرجه لنا الشيخ الشرباصي، وإن كان مذكرات؛ والمذكرات عادة تبرز فيها الذاتية، وتختفي الجماعية، إلا أنها ليست مذكرات في أيام طبيعية، بل في أيام عصيبة شاذة، مفرطة في الحلوكة والشذوذ — ومن ثم كانت تدور مع شخص كاتبها على الأحداث العامة والأوضاع المنحرفة، وكانت عين صاحبها يقظى لا يفوتها فائت، وكانت نفسه مرهفة لا تمر بها الحوادث دون أن تتردد فيها، وتمتزج بها، ثم تحكم عليها الحكم الذي ترتاح له

لقد كان قلم الشرباصي في هذه المذكرات مصوراً. فهو يصور الحجز الكريه وما يجد المحجوز فيه من كرب عظام، وما تقاسي فيه الإنسانية من ذلة وامتهان، وما يسمع البرءاء فيه من دروس تخلق روح الإجرام وتغري بالفساد. وهو يصور جماعة (البوليس) تلك لا يعوذ بها البريء فتحميه، ويستجير بها الخائف فتجيره، ولكنها أداة صماء مسيرة يحركها الباطش كيفما شاء. تلك لا تفهم من القانون إلا أنه الغطرسة الكذب والاستعلاء المقيت والاستبداد بالمجرم والبريء على السواء. وفرق أنها مفتونة بمكانتها، مجنونة بطغواها — تجدها تتطامن للرشوة، وتباع ذممها بالمال، وتلفق وتزور، وتداجي وتنافق.

لقد حدثنا عنهم الأستاذ حديثاً منثوراً: حدثنا حديثهم في التفتيش، وحديثهم في القسم، وحديثهم في الطريق إلى المعتقل، وحديثهم في المعتقل نفسه. فمن كان باخعاً نفسه أسفاً على شيء فعلى وضع هؤلاء موضع الصيانة والحفظ، والتحكم في مصائر الناس فليفعل!.

وهو يصور لنا الاضطهاد المرير الذي يلقاه المعتقلون: من تأخير الطعام، ومنع الزائرين، وتكويم الفضلات يفرخ فيها الذباب الجسور، وأذى خاص للذين يكبرون ربهم، أو يؤذنون للصلاة، أو يعكفون على القرآن وكتب الحديث، أو يخطبون للجمعة، أو يوقظون إخوانهم ليجتمعوا على أداء حق ربهم!

وهو يصور لنا في سخرية أولئك المتقطعين من المعتقلين الذين يبهرون الناس ليظهروا بمظهر الغيرة الدينية، أو يحاولون أن يثبتوا تدينهم بشتم الذين تقعد بهم أعذار قاهرة عن القيام الباكر لصلاة الفجر، وأولئك الذين يجلسون مجالس الفتيا وبضاعتهم كلمة من شيخ أو خطبة من واعظ أو فتوى من عالم. وما أكثر ما تجد هؤلاء، وما أكثر ما تجد منهم، وما أكثر ما يجنون على أنفسهم وعلى غيرهم وعلى دينهم أيضاً!

وهو يصور لنا أفاعي اليهود، يتمتعون في معتقلاتهم ويسمرون ويشربون ويقيمون الحفلات راقصة معربدة، وهم في خفارة رجال الأمن، وربما أشركوهم معهم في الطرب والفجور. فأما الإخوان المسلمون، فتصادر حرياتهم، وتقطع على ظهورهم بطون السياط، ويذهب بهم إلى الطور صاغرين واجمين، ويوقفون صفوفاً أمام شرطي صغير يأمرهم وينهاهم فلا يردون له أمراً، ولا يخالفون له نهياً، وترد إليهم معونات وإعانات من أهليهم فلا يصل إليها أيديهم.

وأبشع ما يطالعك من هذه الصور هذا الذي يشيع في الكتاب كله، من فوضى القسوة التي يلاقيها المعتقلون، فكل أحد يستطيع أن يغيظهم وأن يسطو بهم وأن يتحكم فيهم: متعهد الطعام، ومندوب الصحة، وقومندان المعتقل، وحراس الأبواب، وكل من اتصل بهم بسبب قريب أو بعيد

والعجيب أن يمالأ هؤلاء جميعاً على النكاية بهذه الصفوة المختارة، فإن دل ذلك على شيء، فعلى تغلغل روح الفساد والانهيار في طبقات الأمة دون استثناء. وأعجب من هذا أن تكون الأحكام العرفية — في بعض الأحيان — أداة لخلق الفتنة، ورد الأيدي في الأفواه، والجريمة الكبرى أن يدعى البطشة الفجرة

أن بغيهم وعدوهم إنما هو استجابة لرغبة كريمة . فلعمرى ذلك الاؤم المضاعف !

الصور لا تنتهى .. فأينما رميت ببصرك فى هذا الكتاب طالعتك صورة معتمة مؤلمة . وأنت بين ذلك واجد صوراً مشرقة وضيئة فى صور التعاون والتضامن الذى تخلقه المشاركة الوجدانية فى المحن الرازئة ، وصور الإبداع والاختراع الذى تظاهره الحاجة الملحة ، وصور الصفاء الروحى والمراقبة التى يدافع إليها العجز المطلق وضيق الحيلة والأمل فى القوة الغالبة التى تعنو لها القوى جميعاً ، وصور الحنين إلى الحرية التى يوحى بها الأسر الظالم والبطش الغاشم . وصوراً أخرى لا يبلغها الاحصاء وكلها واضحة ناطقة أبلغ النطق ، صادقة أنصع الصدق ، مؤثرة أبعد التأثير !

وفى الكتاب على ذلك مآخذ لولا أن الأستاذ صديق عاقل لأعفيناه من الخوض فيها . مآخذ لاتشين الكتاب ، ولو أنها تورث هذه الصور كلما من بعض الجوانب . . فالأستاذ حريص الحرص كله على أن يذكر دائماً بأنه رجل خطيب وأن له جهوداً ملحوظة فى نشر الدعوة ، وأن له أتباعا وأحباء .. وشهد الله أن ذلك صدق خالص ، ولكن المكروه فيه أن يكون حديثا على لسان صاحبه وبقلمه ، وقبيح بمثل الأستاذ أن يذكر بذلك ويكرره حتى يجد القارئ فى نفسه استكراها وملالة من معاودته ، وأخشى أن أقول إنه ربما أفضى به هذا الإلحاح المنيف إلى إصغار الكاتب والتهوين من أمره ، ومثل هذا العيب جار فى كتب كثيرة للأستاذ ؛ نرجو أن يبرأ منه فى كتاباته المقبلة إن شاء الله

وأحسب أن من ذلك ما ذيل به كتابه من تقريظ مهما يقل فيه ، فهو غال غلوا شديداً ليس من السداد إثباته ، وليس هو بالأثر الأدبى حتى يغتفر للأستاذ وصله بكتابه النافع ، فسائر هذه التقريظات غاية فى الغثاثة والتفاهة ، ومن ذا الذى يكتب كتاباً أو مذكرة ثم لا يجد من طلبته — وهم كثر — من يقرظه بمثل قول (الشاعر) فيما يقول الأستاذ للمؤلف : —

القلب فيك متيم لنضالكم وكفاحكم للحق والإخلاص
أهلا بطلعتك السعيد عزيزنا أهلا فضيلة (أحمد الشرباصى) !

لا أظن أنى أفف الأستاذ على جديد إن أنا زعمت له أن ذلك شين عائب لكتابه هذا . ولا أظن أنى أذكر منه ناسيا ، إن أنا لفته إلى أن الكتاب حق القارئ ، وليس حقا له حتى يشجع صغار تلاميذه على حساب القراء !

تلك هفوة .. وأخرى أن الأستاذ ربما ظن أنه وقف موقفا كريما بدفاعه عن الأزهر . وشر ما فعل بهذا الدفاع الذى لا يرعى الحق . فالإخوان يقومون بلب اللباب من رسالة الأزهر . ومجادة الأزهر كادت تلفها الأالفاف لولا هبة الإخوان . فإذا لم يرفع الأزهر صوتا بالاحتجاج ، ولم يستطع إظهار غضبته من أن يكون التدين سبة وداعية للاضطهاد والعسف .. فإنه من الخسة والدنية أن يسخر الأزهر وعاظه فى أن ينالوا من الإخوان ويحكموا قيود البطش .. ألا إنه قليل للأزهر أن يلام ، وقليل لرجاله أن يتهموا بالخور والضعف والتدليس وحب الدنيا .. وإذا كانت فعلتهم فى النكر ما هى ، فإنه لأنكر منها أن يدافع عنها ويوقف إلى جانبها

وآخر ما آخذه على الأستاذ هفوة أدبية — ولو أنها ليست فى موضوع الكتاب إلا أنها جاءت متصلة بموضوعه :

فالأستاذ يرى أن المتنبى كان مرغما على مدح كافور الإخشيد .. ولست أدرى ماذا أرغمه ، ولم جاء إلى مصر إن لم يكن قصده المديح .. المتنبى رجل مداح لا أقل ولا أكثر . فإن ذهب إلى الشام فلمدح أمرائه قصد ، وإن جاء إلى مصر فلمدح حاكمها أراد ، وإن رحل إلى العراق وفارس فلهذه الغاية رحل ، فهل مثله يقال فيه إنه أرغم على مدح كافور ؟ ..

ويحدث عن كافور أنه كان عبدا بليدا .. فأما العبودية فليست مما يعاب به الإنسان كإنسان ولا يسب بها من ربى تربية بريئة من روح الجاهلية ، وأما البلادة .. فالحكم بها على كافور أمر يدعو إلى الضحك الذى تمسك منه البطون ، فأين وجدها الشرباصى ، وكيف ألصقها بهذا الحاكم الذكى الداهية .. لقد هجا المتنبى كافورا بما لم يسمع بمثله فلم يقل قط أنه كان غبيا ، وعند ما تهيأ لمدحه لم يجد أفقاً أوسع للكلام من أفق ذكائه ودهائه :

مجربا فهما من قبل تجربة مهذبا كرما من غير تهذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتها وهمه فى ابتداءات وتشبيب

يدير الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الشام فالنوب

ويقول الشرباصي إن الناس كانوا يسخرون منه عند ما يلقبونه (مولانا الأستاذ)، والذي يظهر لي أن الأستاذ (أحمد لا كافور) لا يعلم أن كافورا كان قبل توليته الملك، يدير بيت الإخشيد.. وأن كلمة أستاذ كلمة فارسية من معانيها (المدبر).. فهذا لقبه؛ فهل — بعد ذلك — يكون من السخرية أن ينادى المرء بلقبه

ويستدل الشيخ الشرباصي على غبائه وقلة فهمه بأن المتنبي كان يذمه ويهزأ به وهو لا يفهم، وآية ذلك عنده أنه قال فيه: —

وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

والبيت — في الحق — محتمل للسخرية، محتمل المدح، ولو سيق للمدح كان ضعيفا.. ورأيي أن المتنبي لم يقصد إلا المدح، وأن هذا من ضيق باعه لا من سوء قصده، ودليلي على ذلك عتيد.. دليلي من القصيدة نفسها، وشاهدي في سوابق هذا البيت ولواحقه.. قبل هذا البيت أبيات فيها رجاء ضارع، وخنوع ذليل، والتماس وضيع، وسؤال ملحف. أفيكون من المعقول أن يقف الإنسان موقفا يمرغ فيه حر وجهه في التراب ثم يكون ساخرا في الوقت نفسه؟ لا: إسمع إذن وتصور أبا الطيب: —

أبا المسك، هل في الكأس فضل أناله فإني أغني منذ حين وتشرب

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب

إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

أفهذا قول ساخر؟ أيتفق أن يكون المتنبي في هذه الذلة الذليلة ثم يقول ساخرا من كافور إنني لما رأيتك شاع في نفسي السرور فأنت مما يتلهى ويتلهى به الناس؟ أما إنه لو جاء هذا البيت فريدا مسلوخا من سوابقه ولواحقه لكان سخرية خالصة! ولحق لابن جنى أن يقول للمتنبي: ما زدت على أن جعلت الرجل (أبازنة) يعني قردا!. وإني أحيل الأستاذ إلى ما كتبه الدكتور طه حسين في كتابه (مع المتنبي) عن هذه الأبيات ليرى إن كان المتنبي ساخرا حقا.. وأن حاله كانت تستحق أحر الرثاء!

فأما قصيدته التي يزعم الأستاذ الشرباصي متابعة لمتأولة النحاة أنها جانية على التوجيه محتملة المدح والهجاء التي أولها:

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

فإنما يذهب بها مذهب الاحتمال أو التحميل أولئك الذين يتحاذقون بقدرتهم على التأويل والتخريج، فأما أحرار الأدباء والنقاد فليسوا من هذه الدعوى في شيء.. فلا يتم للأستاذ مازعم أنه كان يمدح كافورا بهذه الوجهات إلا إن كان من عشاق التأويلات المقيمة التي لا وزن لها في شرعة الأدب الصحيح!.

وأعجب مما رأيت أن يقول لنا الشيخ الشرباصي أن المتنبي في هذه النونية مدح شبيبا مدحا بليغا في حضرة عدوه وقاتله كافور، وهذا أمر نوافقه عليه، ثم قال إن هذا المدح البليغ كان من المتنبي استجابة لدواعي الرجولة والبطولة، وهذا ما نراه فيه قد سقط، وإليك أولا الأبيات:

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

وما كان إلا النار في كل موضع تثير غبارا في مكان دخان

فنال حيـــاة يشتهيها عدوه وموتا يشهى الموت كل جبان

وقد قتل الأعداء حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان

اهتز الشيخ أحمد كما يقول اهتزازا عنيفا لهذا الموقف، ففيه — على ما يدعي — جراءة وشجاعة، وفيه صدع بكلمة الحق لوجه الحق، وهو — أي الشيخ أحمد — رجل مولع بعظائم الأعمال فيما قال أو كما قال!

يا لله من رجل طيب القلب، ماذا كنت تنتظر من المتنبي في مدح كافور بعد قتل شبيب؟ أكنت تنتظر أن يقول له: لقد قتلت شبيبا الجبان الخوار الذي كان يفرق من قتل دجاجة!.. لو قال ذلك لكان أجهل الناس بأسلوب المديح، ولكان قتل شبيب عملا تافها ساقطا لا وزن له. ولكان المتنبي لم يأت في مدح كافور بشيء.. ولكن المتنبي عمد إلى رفع شبيب وإعظام شأنه، والإشادة ببطولته، ونصب حوله هذه القلاع المحصنات فجعله صديقا للسيف، وأبرزه نارا مجتاحة لا تثير الدخان ولكنها تثير الرماد.. ثم تهيأ له بعد أن جعله أمنع من بيض الأنوق أن يقول



سلسلة رسائل الإمام الغزالي

وقعت في يدي خلال الأيام القريبة السابقة رسالة صغيرة عنوانها « التوبة بعد الذنب للامام الغزالي رضي الله عنه » وفي مقدمتها كتب الناشر أنه يقدم رسائل الإمام الغزالي التي تقع في حوالي ثلاثين رسالة ، وأنه قد عثر على الأصل مخطوطا في مكتبة قرطجنة بإسبانيا بعد أن تحمل في الحصول عليها مشقة كبيرة ..

وما إن قرأت هذا الكلام حتى أخذ مني العجب مأخذا ، فما كنت أعتقد أن الاستخفاف بالأمانة العلمية يحدو بإنسان كائنا من كان أن يعبث بعلم رجل كالإمام الغزالي ، ويقدم للناس منه زادا غثا ، وقدرا ركيكا مضطربا ، مدعيا أن هذا وذاك بضاعة الإمام الحجة ، ومدعيا مرة أخرى أنه عثر عليها في مخطوطات بمكتبة قرطجنة في إسبانيا . بعد أن تحمل في سبيل الحصول عليها مشقة كبرى ..

ولست أدري ما الذي يحمله على أن يتحمل مشاق السفر إلى إسبانيا ، ويتكبد النفقات الباهظة وغيرها ، ورسالته الأولى هذه موجودة في الجزء الرابع من كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالي ، وقد كان في استطاعته وهو في بيته أن ينقل منه رسالته المزعومة ، دون أن يضطره الإبهام والتغرير إلى التحوير والتغيير والعبث بالمقدسات العلمية ..!

اتخذ الناشر المصطنع عناوين رسالته المزعومة ، هي نفس العناوين الموجودة في الجزء الرابع من إحياء علوم الدين ومن كتاب التوبة وهو الأول من ربع المنجيات ، مع التحوير والتبديل ، فالعنوان الأول في رسالته هو « حقيقة التوبة » وفي كتاب الإحياء الطبعة العثمانية « بيان حقيقة التوبة وحدها » ص ٣ ، وعنوان الرسالة الثاني « بيان وجوب التوبة وفضلها » وفي الإحياء نفس العنوان ص ٤ ، وعنوان الرسالة الثالث « وجوب التوبة على الفور وعلى الدوام » وفي الإحياء « بيان أن وجوب التوبة على الفور » ص ٧ ، وعنوان الرسالة الرابع « بيان أن التوبة الصحيحة مقبولة » وفي الإحياء « بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة » ص (١١) ، وعنوان الرسالة الخامس « بيان ما تكون عنه التوبة وهي الذنوب » وفي الإحياء « الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها » ص ١٤ ، وعنوانها السادس « انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر » وفي الإحياء « بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد » ص ١٤ ... وهكذا ...

ولم يستطع الناشر المصطنع أن يجعل رسالته خاصة بموضوع التوبة ، فتراه قد ألحق به موضوعا آخر هو موضوع الصبر والشكر ، وكما عاث فسادا في نقل باب التوبة عاث فسادا أيضا في نقل باب الصبر والشكر ، وكأنه يلهو في ميدان لا فرسان فيه ، والغريب أن الناشر المصطنع لم يتحر ذرة من الأمانة في النقل مما جعل علم الإمام الحجة ركيكا مضطربا يسيء إلى قدره ، ويظهر أن مهمته كانت قاصرة على التجارة المزيلة ولو على حساب الأئمة من العلماء ..

وبعد ... فمتى توجد الرقابة القوية التي تعمل على صون المقدسات العلمية ، وتضرب بيد من حديد على أيدي اللهاة العابثين بها.. حتى يبقى للعلم جلاله وقدسيته ؟!

محمد عبد الله السمان

حول معنى « الأساطير »

انشرح صدري ليقظة الأستاذ « سلامة خاطر » الناقدة

إن كافورا صاده بأيسر سلاح وبأدنى جهد ، فجعل كافورا بطلا أقوى وأعز وأمنع ، وعاد بهذا اللباس الذي حاكه بديا الشبيب ، فألبسه لكافور (بعد أن عزه ومنعه) زاهيا سابغا ! وبعد :

فقد قدمت أن هذا ليس من موضوع الكتاب ، وأملي أن يسير المؤلفون من النقد الاجتماعي في هذا السير الحميد الذي سلكه الأستاذ باصي . وإنني أعد هذا بدء الطريق للوصول إلى سلامة المجتمع ونظافته

كامل السيد شاهين

حينما قرأت ما كتبته فى عدد الرسالة (٩٨٤ ص ٥٤٢) نافيا عن القرآن الأساطير ، راجيا أن يكون الأستاذ توفيق الحكيم فى إثباتها للقرآن راميا إلى معنى آخر غير المعنى المفهوم من الأساطير

والحق الذى يتصوره البحث العلمى الدقيق فى منهجه الحديث هو أن الكلمات والعبارات تختلف مدلولاتها باختلاف الزمن وتطوره ، فإذا أراد أديب أن يكتب أو يبحث فليجعل فى حسابه فرق الزمن فى تطور مدلول العبارة أو الكلمة

وهذ أمر تدعو الحكمة « الحكيم » فى كتابه « فن الأدب » أن يلحظ قدسية القرآن ، فينزهه عن الشبهة ، بل هذا خطأ منهجى يغفره أن نلحظ ما عناه القرآن الكريم نفسه من كلمة « أساطير » وأن ننوه عن حياة هذه الكلمة فى مدارج التاريخ

إن القرآن يريد بالأساطير فى جميع آياته التى حكى بها شبهة المنكرين الصادين عن سبيل الله — يريد بها : الخرافات والأباطيل ، والكذب والأضاليل . وجل القرآن أن يوصف بشئ من ذلك فليس فيه أساطير ، وإذا أراد كاتب أن يصف قصصه فلينزل عند إصطلاح القرآن حتى يكون صادقا فى التعبير عنه ، معطيا للحق المنهجى قسطه كاملا غير منقوص ، مراعيا روح عصر التنزيل . لقد سمى القرآن الأساطير لهو الحديث فى سورة لقمان : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ، ويتخذها هزوا »

وقد نهى الصحابة عن التعلق بها .. فقد ذكر المفسرون أن بعضهم كان يقرأ فى « اسفنديار » فأنزل الله الآية : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » (سورة العنكبوت)

فإذا تحدثنا عن الفهم الصحيح لأى كلمة فلنتبع الطريقة التاريخية فى الدرس ، وبذلك نرتفع فى بحوثنا الأدبية والعلمية، فوق الشبهات . إن كل كلمة من الكلمات (الرأى — التحريم — الكراهة — القياس) قد تباين مدلولها على مر الزمن فى تاريخ الحياة الفقهية ، عرف ذلك من عرك ميادينها

وإن كل كلمة من الكلمات (الإعراب — النحو — الرفع — النصب — الجزم ...) قد اختلف مدلولها فى مدارج الزمن فى حياة « النحو العربى » حسبر فوره من مرن على « فنائله » [1]

وإن كل كلمة من الكلمات (أدب — علم — فن) قد تباعد مدلولها القديم عن مدلولها الحديث فى حياة العلوم والفنون ، وإنه لا يتسنى لباحث فى أية مادة علمية أو فنية أن يكون دقيقا إلا إذا رعى هذا التطور التاريخى لمدلول الكلمات فيما يكتب أو يحرر

فإذا قصد « الحكيم » بالأساطير معناها الفنى المعاصر أو معناها القديم الغابر ، فإنه — عندى — على كل حال ملوم

إن قصص القرآن حق : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق » (سورة البقرة) — وهو فكرة : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (سورة الأعراف) — وهو عبرة : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . (آخر يوسف)

وهو بذلك تثبيت لأفئدة المؤمنين

فكيف تلتقى قصصه — وتلك حالته — بالأساطير ! ؟

اللهم غفرا

محمد اسماعيل الشابى

دار العلوم

سرنى دفاع الأديب اللبيب محمود محمد سالم عن دار العلوم مع أنها لم تكن متهمة ولا مظلومة فى كلمتى عن شعراء الشباب بالعدد الأسبق من الرسالة ، وأنا أقر الأديب على رأيه الصحيح فى الشعر والشعراء ، وأشكره على ثنائه العاطر ، ولكن الشئ الوحيد الذى أخالفه فيه ، هو أن فى الاستطاعة أن يحصى الناقد خمسة عشر شاعرا من أبناء دار العلوم أيام أن كانت مدرسة ، أما بعد أن صارت كلية جامعية ، فهل يستطيع أحد أن يحصى لنا شاعرا أو اثنين ؟ مع الاعتراف الكامل بمستوى دار العلوم الأدبى الرفيع فى كلا العهدين

احمد احمد العجمى

---

(١) « الفنائل » كلمة تطلق على الحوار العلمى « فإن قيل . قلنا . »



هيكل عظمى

لفيلسوف الهند وشاعرها رابندرانات

كان فى الغرفة المجاورة لغرفة نوم الأطفال هيكل عظمى معلق يقرقع حينما تعبث به الريح وفى النهار كنا نسر بالاصطدام به

وكان فى هذا الوقت طالب من مدرسة الطب بكامبيبل يعلمنا تشريح العظام لأن أوصياءنا كانوا يزعمون أنهم ينقشون فى عقولنا العلم التام. ليت شعرى لأى حد نجحوا؟ ولا حاجة لأن نقول ذلك لمن يعرفنا. والأفضل بلا شك أن نلتزم الصمت أمام من يجهلنا

وقد كرت الأعوام واختفى الهيكل العظمى من الغرفة كما اختفى تشريح العظام من ذاكرتنا دون أن يترك أى أثر

ازدحم منزلنا أخيراً بالمدعوين فاضطررت أن أقضى الليل فى تلك الغرفة التى كان معلقاً بها الهيكل العظمى والتى انقضى الزمن الذى كنت آلفها فيه. حاولت النوم بكل وسيلة فلم أستطع، أخذت أتقلب وأعد دقات ساعة الكنيسة طوال الليل ... طفق مصباحى يختلج لحظة ثم انطفأ، وقد أسرتنا بعض أعضائها حديثاً، وهذا ما اقتاد فكرى نحو الموت..

ساءلت نفسى ألا يشبه نور المصباح الذى يتيه فى الظلمات من مسرح الحياة العظيم ضوء حياتنا الضئيلة الذى لا يلبث أن ينطفئ فى كل ساعة من ساعات الليل أو النهار؟

ولتداعى الفكر عاودتنى ذكرى الهيكل العظمى، وبينا أنا أتصور شكل الجسم الذى كان يكسو تلك العظام، شعرت أن شخصاً يدور حول سريرى يسير متمسكاً بجانب الحائط، ولقد شعرت بتنفسه السريع، وخيل إلى أنه يبحث عن شئ لا يجده، ويدور حول الغرفة بخطى سريعة

ولقد خدعت فى الحقيقة من شئ خلته مخ المضطرب الذى حرم نومه، وظننت أن وقع الأقدام التى سمعتها ماهو إلا دقات شرايينى فى صدغى، ورغم ذلك شعرت بارتعاد متناج.. ولأطرد من مخيلتى هذا الهذيان صحت بأعلى صوتى: «من هناك؟» فأحسست بأن الخطى وقفت بجانب سريرى وأجابنى صوت «أنا الطارق وقد أقبلت لأختبر هيكلى العظمى»

ومن السخف أن يظهر الإنسان الهلع والخوف من خيال بسيط، ثم اكتفيت بأن أضغط على وسادتى وأصيح بلهجة مخالفة للأولى: «إن هذا الشاغل الذى افتادك فى مثل هذه الساعة من الليل لمضحك! وماذا يهمك هذا الهيكل العظمى»

ويظهر أن الجواب انبعث من كاتى نفسها: «إن عظام هذا الهيكل قد أحاطت قلبى ورأت محاسن شبابى الخلابة فى ربيعها السادس والعشرين! وكيف أقاوم الرغبة الملحة فى رؤيتها ثانية؟»

فقلت له بدورى: «إنها لرغبة شرعية فتمم بحثك واتركنى لشأنى عسانى أجد النوم»

فرد الصوت: «إخالك وحدك وأود أن أجالسك لحظة نتسامر فيها. لقد كان يسرنى أن أساجل الناس الحديث ولكنى لم ألق فى هذه الخمسة والثلاثين سنة الأخيرة إلا الأنين فوق نيران الموت، وما أحبلى أن أحادث اليوم رجلا مثل العهد السابق»

وقد شعرت أن شخصاً أقبل وجلس بجانب ستائرى فاستسلمت واستمعت بترددى قائلا:

— ما أعظم ابتهاجى وسرورى للسمر ولنبحث سوياً عن موضوع شائق نتحدث فيه..

إنى لا أجد موضوعاً مسلياً أعظم من قصتى الشخصية فهل تسمح لى بسردها؟

وقد دقت فى هذه الآونة ساعة الكنيسة الثانية صباحاً

قال الصوت: «حينما كنت فى عنفوان شبابى وكنت أقطن بين الأحياء سببت لى أحد الناس فزعاً ورعباً يفوقان رعب الموت: ولم يكن ذلك غير زوجى. وإنى لا أجد ما أقارن به شعورى غير السمك العلق فى سن الشص فكان شخصاً

أجنبيا علقني بشص عنيف وانتزعني من دار طفولتي السعيدة حتى كنت لا أستطيع أن أفكر في الخلاص ، وقد مات زوجي بعد الزفاف بشهرين بينما كان أقاربي وأصدقائي يبكون بكاء مرا لحظي التعس المنكود . وفي ذات يوم قال حمى لحماتي بعد ما أطال النظر إلى وجهي : « ألا ترين أن زوج ابننا لها عين سوء صائبة حاسدة ؟ » هل أنت مصغ إلي ؟ وهل يهمك حديثي ؟

— يهمني جدا وإن أوله ليدل على أنه شائق ممل !

— أتمم إذن حديثي . ولقد عدت إلى بيت أبي بكل سرور . ولو أن البيئة التي كنت فيها ما كانت تشعر بشيء من محاسني .. لكنني كنت واثقة من أنني أحرز جمالا رائعا نادرا . فما رأيك ؟

— هذا شيء معقول جدا ، ولكن لا تنسي أنني لم أرك قط

— قط ؟ وماذا تعمل بهيكلي العظمي ؟ ها ! ها ! هذا لا يهم فإنني أمزح

وكيف أجعلك تتصور أنه كان في هذين التجويفين اللذين تجردا من لحمهما عينان سوداوان يتلألآن بأنواع السحر والفتنة ؟ أو أن الابتسام الذي كان يفيء هاتين الشفتين الورديتين لا يشبه في شيء هيئة الضحك العابس التي عرفتها ، وعندما أذكر كل المحاسن والرشاقة ومتانة هاته الانحناءات التي كانت في شرخ الشباب تتفتح كالأزهار فوق هذه العظام النخرة لا أستطيع أن أكتم ابتسامي . وإني لأتألم من ذلك . وهل يستطيع مشاهير العلماء في زمن أن يفرضوا أن عظام جسم مثل هذا تخصص لدراسة تشريح العظام ؟ واعلم أن طبيبا من الشبان المجاورين لنا شبهني بزهرة (الشمباك) الذهبية ؟

حينما أمشي كنت أشعر بأن أقل حركاتي تفجر أمواجا منسجمة تنبعث من كل صوب كلألاء الماس . كانت تمر علي ساعات وأنا أشاهد في يدي اللتين كبلتا برشاقة الرجال الذين يتأجج فيهم نشاطهم

ولكن هذا الهيكل العظمي قد أخفى عنك الحقيقة كشهادة الزور ، ولم يكن في ميسوري أن أدحض تأكيداته الوقحة . أشعر أنني أحب أن أطرد النعاس من عينيك إلى الأبد بأن أستحضر أمامك الصورة الوردية الحية لجمالي بحيث أمحو من أمامك كومة العظام المشؤومة التي تملأ ذهنك

— كنت أستطيع أن أقسم بجمالك إذا كان لم يزل حيا ، ولو أنه لم يترك منه أي أثر من العظام ؟ لكن عقلي افتتن بالصورة الوضاءة لجمال كامل يظهر بهاءه بقوة التضاد هذا الليل الفاحم الذي يحيط بها ، وإني لا أقدر أن أقول أكثر من هذا

— استمر الصوت في حديثه قائلا : لم تكن لي صاحبات لأن أخي الوحيد صمم على عدم الزواج . كنت وحدي في خدري وقد اعتدت أن أستاق في الحديقة في ظل شجرة ، وكانت الأحلام تستدرجني في يقظتي حتى خلت أن العالم كله قد شغفه حبي ، وأن الدراري التي ما فتئت مستيقظة على الدوام لتتمل من نشوة بهائي . إن الصبا لتتنهد حينما تنتحل لها عذرا لتتمسح بي بجناحها . وإن داست قدمي مرجا فإن مجرد اللمس يفقده رشده . وإن فتيان العالم يظهرون أمامي كأنهم أعواد الكلأ تحت قدمي ، ولا أدري لأي سبب يلازمني الحزن والكآبة

وحينما تخرج شيكهار صديق أخي من مدرسة الطب أصبح طبيب أسرتنا ، وقد لمحته مرات مختبئا وراء ستار ، وكان أخي رجلا غريب الأطوار لا يهتم بالنظر إلى العالم الخارجي ، وكان بوده ألا تكون الدنيا مقفرة ويبتعد بالتدريج إلى أن يقبع في ركن مظلم . كان شيكهار صديقه الوحيد الذي أتاحت لي الفرص مقابلته ، وفي بلاط الفتونين يحيى الذي كنت أتخيله في أوقات زهوتي الليلة كان كل شاب مشتت الفكر عند قدمي يستعير وجه شيكهار . هل أنت مصغ إلي ؟ وما قولك في قصتي هذه ؟ »

فأجبت وقد سبقت لساني زفرة :

« وددت لو كنت شيكهار ! »

— انتظر قليلا واصغ أولا لآخر الحديث ، وفي ذات يوم مطير أصابتني الحمى فجاء الطبيب يعودني ، وكانت هذه أول حادثة جرت بيننا . كنت راقدة أمام النافذة وقد لطف ضوء الشمس عند غروبها بياض لوني ، وحينما نظر إلى الطبيب رضت نفسي مكانه وطفقت أنظر إليه مغرقة في التصور والتأمل ، وشاهدت وجهي الشاحب في ضوء الأصيل موضوعا فوق الوسادة البيضاء كزهرة ذابلة ، وحلقات شعري الحق تعبث بجبيني ،

بينما أجفاني مطرقة باستحياء ناشرة ظلا معبرا فوق سحنتى

سأل الطبيب أخى والحياء يلعثم لسانه ويخفض من صوته :

« أتسمح لى أن أجس نبضها ؟ »

« أخرجت من تحت الغطاء قبضة مستديرة مدنفة ولاحظت حينما تفرست فيها أنها عاطل من سوارى الصغير ! » (١)

لم أر فى حياتى أجهل من هذا الطبيب فى جس النبض . كانت أصابعه ترتعد حينما تمس ذراعى ، فإن قاس درجة الحمى فى جسمى فإنى شعرت بدقات قلبه وقستها من أصابعه — هل وعيت حديثى ؟

فقلت : بكل سهولة ، إن دقات قلوبنا تعبر عن أفكارنا

— وبعد عدة وعكات وكثير من الشفاء والمعافية وجدت أن عدد المفتونين الذى يؤمون بلاط حبى الخيالى آخذ فى النقص حتى انتهى إلى فرد واحد ، وفى النهاية استحال عالمى الصغير إلى طبيب ودنفة

وبمناسبة مقابلتى اعتدت أن ألبس سرا طيلسانا أصفر وكنت أعقد حول شعرى عقداً أبيض من أزهار الياسمين ، ثم أتناول مرآتى وأذهب إلى مكانى الذى ألفته تحت الأشجار

إنك ترى بلا شك أن مشاهدة جمالنا فى المرآة يكون على مر الزمن مملا ؟ ولكن شيئا من ذلك لم يحصل لأنى لا أنظر بعينى نفسهما لأنى كنت فى الوقت نفسه أحد الشخصين ، فكنت أختبر كما يختبر الطبيب ، وكنت أطيل النظر وأفتتن وأشتعل بنار الحب . ورغما من انتباهى وحذرى أثار أنين على فؤادى وسمع له صوت كنسيم الصبا فى المساء

ومن هذا العهد كففت عن الشعور بالوحدة ، وفى أثناء نزهتى كنت أتتبع بنظراتى عبث أصابع رجلى الصغيرة بالرمال الناعمة ، وكنت أسائل نفسى ماذا يكون شعور الدكتور لو كان حاضرا . كنت أمثل الشمس وقت الزوال مغيرة على الزرقاء بنورها الوهاج ، ولم يعكر صفاء السكون غير صياح متقطع للنسر بعيد ، وصوت وراء سياج الحديقة لبائع خواتم من البلور وهو ينادى نداء شجيا ! فرشت على الكلأ ملاءة بيضاء لأستلقى عليها وأسندت رأسى إلى ذراعى وأرحت ذراعى الأخرى فوق الملاءة بشكل رشيق ، وقد تخيلت أن شخصا بين لاحظ وضع يدى الشائقة فشد عليها بين يديه ووضع فى راحتى قبلة ذهبية وابتعد ببطء . وإن وقفنا الحديث هنا فما رأيك ؟

— «يكاد يكون ختاما مقبولا» وقد أجبتها بلهجة حالم .

قالت : وستبقى الصورة ناقصة قليلا ولكننى سأقضى بقية الليل فى إصلاح هذا النقص

— ولكنها تكون جافة . وكيف تدخل فيها الضحك ؟ وكيف تصل إلى جمل الهيكل العظمى يضحك وينكر ملامحه ؟

— دعنى الآن أتم الحديث . وما إن وجد الطبيب بعض المرضى حتى أخذ غرفة أرضية من منزلنا وأعدها لعيادته . وفى هذا الزمن كنت ألهو بسؤاله عن تأثير العقاقير والسموم والكمية الكافية لقتل رجل ، فكانت هذه الأسئلة ملائمة لطبيعته فأجاب عنها بفصاحة ولباقة ، وكان من نتيجة هذه المحادثات أن صارت عندى فكرة الموت عادية لا تثير أى اهتمام ، وبذلك نوطن الحب والموت عالمى الباطنى . إن حديثى قد قارب النهاية لأننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة

— كما أننا وصلنا إلى المرحلة الأخيرة من الليل

— وقد لاحظت بعد مدة من الزمن قلقا غريبا يساور الطبيب وظهر عليه كأنه يخجل من أمر يريد أن يخفيه عنى . وقد حضر مرة بثياب فاخرة وهندام ظريف ليستعير عربة أخى

« كنت فريسة لتطلع شديد فصممت على سؤال أخى ؛ وبعد أن دار بيننا الحديث من الشرق إلى الغرب قلت له : خبرنى بالحقيقة يا أخى ، أين يذهب الطبيب الليلة فى عربتك ؟

فأجاب أخى باختصار : إلى الموت

— خبرنى بكل صراحة أين ذهب ؟

— « ذهب ليتزوج » وقد أجاب أخى بطريقة أكثر وضوحا

— أحقا ما تقول ؟ وقد نطقت هذه الكلمة مصحوبة

---

(١) من عادات الهنود أن الأيامى لا يلبسن غير الثياب البيضاء ويكن عاطلات من الحلى

بقهقهة طويلة

وقد علمت فى آخر الأمر أن الخطيبة كانت غنية ورثت ميراثا عظيما سيغدق على الطبيب ثروة طائلة . ولكن لم أهانى بإخفائه هذا المشروع ؟ هلا سألته يوما أن لا يتزوج حتى لا يصمى فؤادى ؟ ولكن الرجال لا يؤتمنون . لم أعرف فى حياتى إلا رجلا واحدا ، ولكن لحظة واحدة كانت كافية لكشف الحقيقة

ولما رجع الطبيب من عمله وتهيأ للرحيل قلت له والضحك يغالبنى : « ستتزوج فى هذا المساء أيها الطبيب ؟ »

— إن فرحى قد أربكه بل زاده غيظا وحنقا

— ماذا جرى فإنى لا أرى الأوركسترا ؟

— فأجاب بتأوه : هل الزواج حادث مفرح ؟

« عاودنى ضحك عنيف لا يغلب ثم قلت له

لا ! لا ! فذاك من المستحيل أن يعلن زفاف دون أضواء وموسيق !

ثم ضايقت أخى حتى أعد معدات العرس وجعله بهيجا سارا

ولم أنقطع لحظة عن التندر بالخطيبة وعن الوقائع التى ستمر بها وعن حالتى تلقاء هذه الواردة الجديدة

— خبرنى أيها الطبيب ، هل ستستمر فى جس نبض مرضاك ؟

بخ بخ ! إن عمل العقل الباطن وإن كان غير منظور لاسيما عند الرجال فإنى أستطيع أن أؤكد بأن قولى كان على فؤاد محدثى كالحراب الفولاذية

إن الزواج سيشهر بعد قليل فى الليل . وقبل الذهاب شرب الطبيب هو وأخى كأسا من النبيذ كعادتهما اليومية ، وفى هذا الوقت طلع القمر

« ثم تابعت حديثى قائلة والابتسام يعلو وجهى : هل نسيت زواجك ؟ قد آن المسير »

وقد فاتنى بعض التفصيل ، فإنى قبل هذه المدة قد هرولت إلى الميادة وأخذت منها مسحوقا ووضعته خفية فى كأس الطبيب

لقد شرب الطبيب كأسه بجرعة واحدة ثم قال لى بصوت متهدج من التأثر مصحوب بنظرة اخترقت فؤادى : « سأذهب » صدحت الموسيق بأنغامها الشجية ، ثم ذهبت إلى خدرى ولبست ثوب الزفاف المنسوج من خيوط الذهب والفضة وتزينت بحلي ووضعت على شعرى العلامة الحمراء التى تميز الزوجة وذهبت إلى الأشجار لأهيئ مضجعى

وكان الليل جميلا وقد ذهبت رياح الجنوب المنعشة بمتاعب الدنيا ؛ وقد تضوع شذا الياسمين والورد حتى غمر البستان البشر والفرح

وكانت أصوات الموسيق تصل إلى سمعى أضعف مما كانت عليه، وطفق لألاء القمر آخذا فى النقص، وانمحت من ذاكرتى الدنيا وصورة بيت الأسرة كأنها وهم تبدد ثم أغمضت عينى وأنا مبتسمة

وقد تخيلت أن الذين سيقبلون لمشاهدة بسمتى الأخيرة المنطبعة على شفتى كأنها آثار نبيذ وردى ، وأنى سأدخل فى مخدع زفافى الدائم ووجهى مضىء بنفس الابتسامة

وأأسفاه على مخدع زفافى وثوب عرسى المنسوج من الذهب واللجين ! لأنى حينما استيقظت من فرقعة العظام التى يخيل إلى أنها صادرة من هيكلى العظمى وجدتنى فى حضرة ثلاثة غلمان يتعلمون تشريح العظام فى هيكلى . وفى هذا الصدر الذى كانت تخفق فيه أفراحى وأتراحى والذى تفتحت فيه وريقات زهرة صباى كان الأستاذ يبين بسبابته عظامى واحدة فواحدة ، هلا وجدت أثرا من هذا الابتسام الذى درسته بكل عناية ؟

وكيف وجدت قصتى ؟

— إنها للذيذة محبوبة .

وفى هذه الفترة ابتدأ ينعق أول غراب

ثم سألت : « هل أنت هنا ؟ »

فلم يرد على أحد

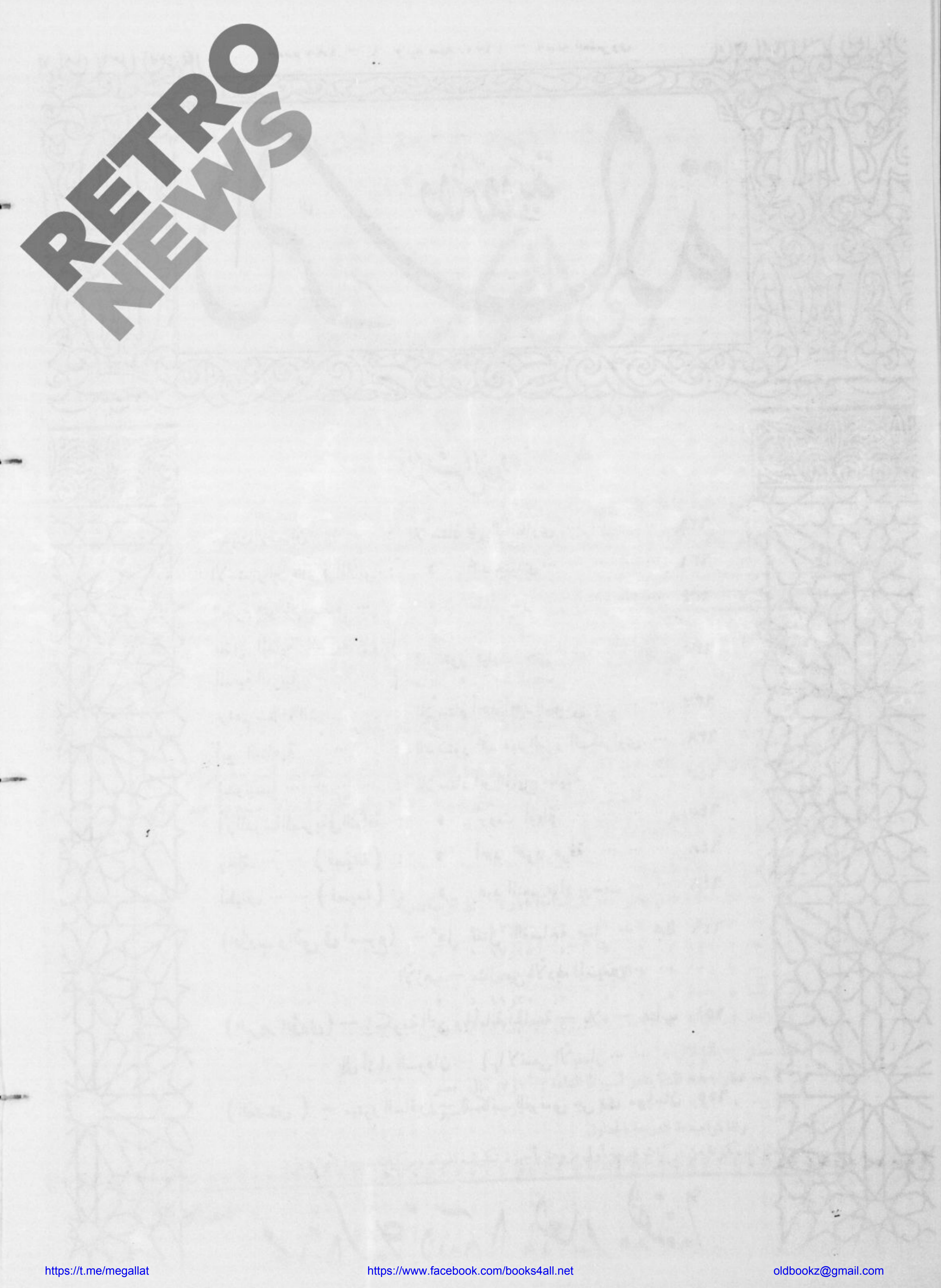
واخترقت أشعة الصباح مخدعى فأضاءته

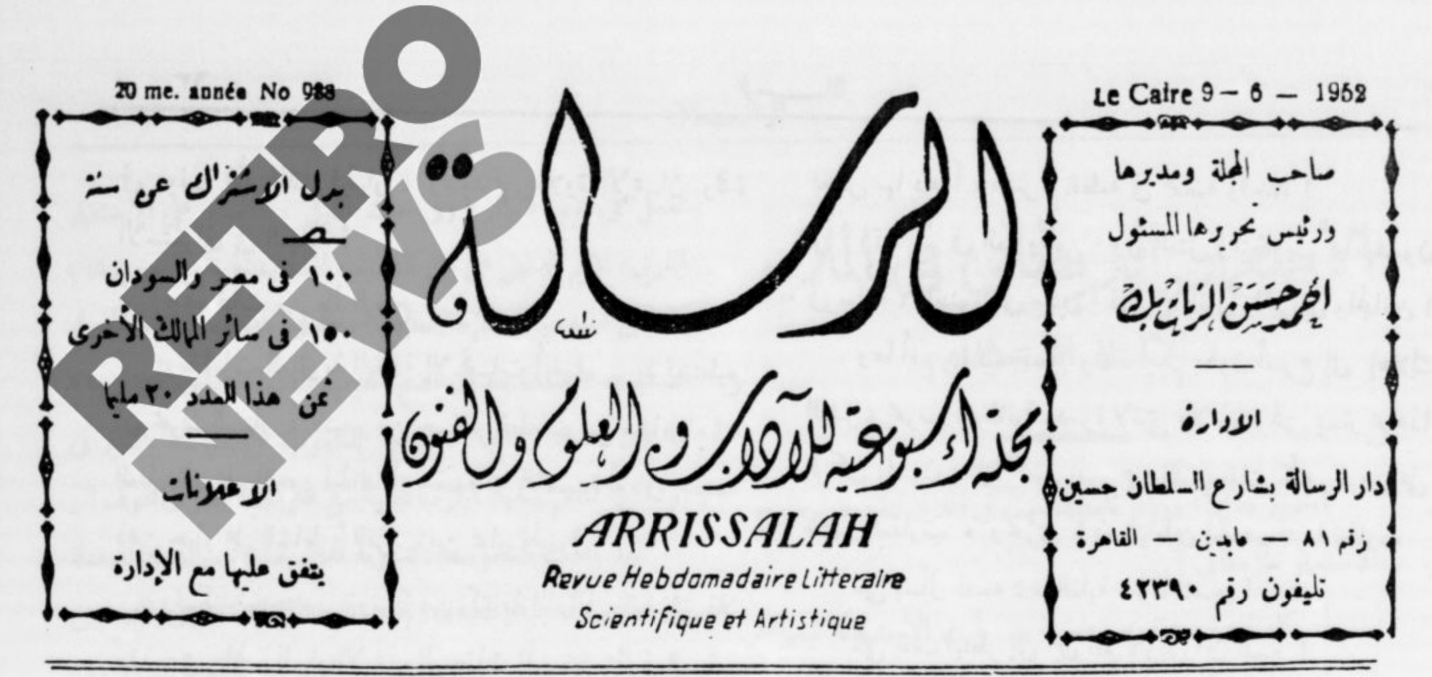
م . ع





فهرس العدد


RETRO
NEWS


20 me. année No 988
Le Caire 9 – 6 – 1952

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٨٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ رمضان سنة ١٣٧١ — ٩ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

حديث رمضان*

للأستاذ على الطنطاوى

(أهديه إلى روح شاعر الروح ، وأديب الشرق محمد إقبال)

على

صدقونى أنى لم أجد أشق على من هذا الحديث

كيف أشق بصوتى عجيج المعامل ، وضجيج المصافق (١) وصياح الملاهى والحانات ؟

كيف أخاطب خطاب الروح من لا يعيش إلا للجسد ، وأحدث حديث الآخرة من لا يؤمن إلا بالدنيا ؟ كيف يذكر أنه جاء من التراب ، وسيعود إلى التراب ، من نقر الصخر ، ونقل البحر ، وخرق الأرض ، وركب الهواء ، وفجر الذرة ، وأنطق الجماد ، فامتلأ كبراً وغروراً ، حتى نسى من خلقه ، فقال : أنا ربكم الأعلى ؟!

ومن جعل من الحديد والنحاس آلات لها لسان ، فيه أجلى البيان؛ وأذنان تسمعان ، مالا تسمع الآذان ، وعقل يحسب ما يعجز عن حسابه عقل الإنسان ؟

نعم ، إنكم تستطيعون أن تصنعوا من المادة تمثالا على صورة الحبيبة ، له لونها ولينها ، وله رائحتها وحرارتها ، وأن تلمسوه بأيديكم ، وتسمعوا معه صوتها من الراد ، وتروا صورتها فى الرائى (٢) ، فتشغلوا حواسكم الثلاث بها ، وإسانكم بمناجاتها ، وعقلكم بتصورها ، ولكن هل يغنيكم ذلك عن جسدها النابض بالحياة ؟

هل تجدون فى ذلك لذة الوصال ؟

كلا . إنكم صنعتم الجسد ، ولكنه كان جسداً بلا روح . وكذلك كانت حضارتكم

لقد ملكتم عالم المادة ، ولكنكم خسرتم عالم الروح

تقولون : ما عالم الروح ؟

أما قمتم مرة فى هدأة الليل ، فتأملتم صفاء السماء ولمعة النجم ، فأحسستم فى قلوبكم بعظمة الكون ؟

أما سمعتم مرة نغمة عذبة تسرى فى جنبات الليل مسربان الصحة فى الأجسام ، فحملتكم نبراتها إلى أودية الأحلام ؟

أما قرأتم مرة قصة فوجدتم لما ختمتموها أنكم فقدتم شيئا ، وأحسستم فى نفوسكم فراغاً ، وأنكم هبطتم من الفضاء الواسع إلى أرض الواقع ؟

أما تركتم مرة زحمة الناس ، وضجة الحياة ، ودخلتم بيتاً من بيوت الله ساكنا ، فشعرتم بهوان الدنيا ، وصغر الأرض ،

(*) يذاع من محطة « صوت أمريكا » وكتب بطلب منها

(١) أعنى البورصات

(٢) أعنى التلفزيون – اصطلاح على طريق المجاز المرسل . أما الراد فقد وضعتها للراديو واستعملها الناس

فى جنب الله الملك الجبار ، ووجدتم حلاوة الإيمان ولذة الاستغراق فى العبادة ؟

هذه لمحات من عالم الروح

وما لمات العبقرية المبدعة إلا لمحات أخرى : يد تستطيع أن تحرك الستار ، فتبدو من خلاله خطفات من مشاهد ذلك العالم تظهر فى اللحن الخالد أو القصة أو القصيدة أو فى هجمة ذهن جبار على الشاطئ القريب من بحار المجهول

ولكنكم حبستم نفوسكم من كثافة المادة فى غار مغلق فلا ترون من بياض النهار إلا هذه الومضات تلمع من شقوق الصخر ثم تختفى

إنكم غارقون فى لج المادة ، فمن أين يتنفس الغريق فى البحر نسمات الأسحار ؟

إنكم تركضون فى حلقة مفرغة ، تسيرون سير السوانى ، تفيقون فتسرعون إلى الطعام تبتلعونه ابتلاعا ، والجريدة تلتهمونها التهاماً ، فإذا لبستم ثيابكم أسرعتم إلى العمل فانغمستم فيه ، فإذا كان الظهر عدتم مسرعين إلى الدار فأكلتم وأسرعتم إلى الخروج ، ثم عدتم مسرعين إلى المنام

ثم بدأتم من غد من حيث انتهيتم اليوم ! ركض أبداً ، وإسراع دائماً ، ولا تعرفون إلى أين المسير !

قد غفلتم عن جمال الطبيعة من حولكم ، فأنتم تقطعون أجمل مراحل الطريق ، مرحلة السحر وأنتم نيام ، لا تقفون على الروض تجتلون جمال الروض ، ولا ترفعون أبصاركم إلى السماء ، تفكرون فى عظمة السماء ، وغفلتم عن نفوسكم ، فلا تخلون بها ساعة كل يوم ، تسألونها ، وتتعرفون أسرارها ، وتغوصون على جواهرها

حياتكم كلها سرعة وسباق ! سباق فى الخير والشر ، إسراع إلى الشر والخير

تسابقتم فى قطع المسافات ، فصرنا نطير من دمشق إلى بغداد فى ثلاث ساعات ، وكنا نبلغها فى ثلاثة أشهر ، فهل ربحنا ؟ ربحنا الزمن ، ولكنا خسرنا العواطف والشعور . كان الطريق يثير فى نفوسنا ألف عاطفة ، ويبقى فيها ألف ذكرى ، نعيش بها دهراً ، فصرنا نقطعه فى غمضة واحدة !

وتسابقتم فى العلم والفن ، وفى القتل والتخريب . تهدمون فى ساعة ، ما تبنونه فى سنين ، فمل الأطفال والمجرمين والجانين ! وها أنتم هؤلاء تتسابقون ، أيكم يكون أسرع إلى إهلاك البشر ، بحرب شيطانية مدمرة لا تبقى ولا تذر . فتى يسترح هذا الركب المجنون ، الراكض المسرع ، الذى يقفز كأنه يدوس على ظهور العقارب ، ويجرى كأن شياطين الجحيم جميعا تطارده

متى يسأل نفسه : ما الغاية ، وما المصير ؟

متى يقف لينظر إلى أين بلغ ، وإلى أين المسير ؟

أين يلقى المحطة فى هذا السفر الطويل الذى لا غاية له ، ولا أول ولا نهاية

فى رمضان !

فى رمضان يا أيها القارئ

هذه هى المحطة التى أقامها الإسلام فى طريق البشرية لتقف عليها وقفة كل عام ، تفرغ فيها من هم البطن ، وهم ما تحت البطن . ليسأل كل نفسه : من أنا ؟ من أين جئت وإلى أين أصير ؟

من أنا ؟ أنا خط طويل ، أقله فى النور ، وسائره فى الظلام . لقد كنت قبل أن أعرف نفسى ، وسأبقى بعد ما يذهب عقلى وحسى ، ولو حق لى أن أنكر مصيرى بعد الموت لأنى لا أراه ، لحق لى أن أنكر ماضى قبل الولادة لأنى ما رأيته

وما أحوج أبناء هذه الحضارة اليوم إلى مثل هذه المحطة فى طريق الحياة !

ما أحوجكم إلى من يذكركم بأن فى الوجود ربا ، وأن بعد الدنيا آخرة ، وأن الله ما خلق الناس عبثا ، ولا تركهم سدى

إنكم أغنى مناما لا ، وأقوى قوة ، وأكثر عمرانا ، وأعرف منا بأسرار المادة وسنن الكون ، ولكنا أغنى منكم بكنوز الروحيات ، فتعالوا خذوا منا ، فإن الإنسان قد عاش بلا علم ولا مال ، ولكنه لا يعيش بلا روح

ولقد جعل الإسلام الصلوات الخمس كل يوم ، لتعود الروح فى هذه اللحظات ، إلى عالم الروح ، وجعل الصيام شهراً فى العام ، لينطلق الإنسان من إسار المادة شهراً فى العام ، ويحس

اللذائذ العليا ، ويتصل بالله

فذلك كان رمضان

فيامن لهم رمضان ! لا تظنوا رمضان شهر جوع وعطش !
إن رمضان شهر صفاء وحب وتأمل ، وترفع عن المادة وأوضارها ، وعن شهوات النفس وأوزارها ، وإعراض عن مشاهد الطريق ، للتفكير فى غاية الطريق

ويا من ليس لهم رمضان ! اجعلوا لنفوسكم رمضان مثلنا ، تعودون فيه إلى نفوسكم التى نسيتموها ، وإلى إنسانيتكم ، وإلى ربكم

ويا أيها القراء من إخواننا العرب فى العالم الجديد ، ترجموا هذا الكلام ، لإخوانكم (الأميركان) ليعرفوا ما هو رمضان

على الطنطاوى

الاستعمار البريطاني فى الملايو

للأستاذ محمد جنيدى

أعاصير هائجة، ورياح عاصفة، تهب فى الملايو لتقويض صرح الاستعمار البريطانى ! ...

أفكار ثائرة ، ونفوس غاضبة . . . أبت الاستكانة لسيادة قوم فرضوا نفوذهم على شعوب ضعيفة بوسائل الخداع والنفاق ، والقوة والطغيان ، فسلبوا حقوقها ، ومحوا استقلالها ، فعادت القهقرى إلى حقب بعيدة ... وقد دار الزمان دورته ، وعادت الحياة إلى أجسام الشعوب المستعبدة ، ودب النشاط فيها ، فشرعت تكافح فى سبيل استعادة حريتها المسلوبة ، لتعيش على سطح هذا الكون حرة مستقلة ، تشارك الشعوب الحرة فى حفظ تراث الإنسانية ، ودعم أسس السلام العالمى

وعندما وقفت أجهزة الحرب العالمية الثانية فى الشرق الأقصى لتستريح من النصب الطويل الذى لاقته فى سبيل استعباد الأمم الضعيفة ، واستغلال خيرات أراضيها ، ظهرت على مسرح السياسة الدولية أجهزة التحرير للشعوب الأسيوية تعمل فى ضوء النهار ، وفى حلك الليل ، للقضاء على الاستعمار الغربى، لتقيم الدليل على حق الشعوب المستعبدة فى تقرير مصيرها ، كما نص عليه ميثاق الإطلانطيق ... الذى كان رمزاً لغاية الدول الكبرى لأعمالها بعد أن تضع الحرب العالمية الأخيرة أوزارها ، كما كان شعلة وهاجة تشير بها للشعوب الضعيفة بالسير فى موا كبها لتنعم بالحياة الحرة الخالية من شوائب الفقر والخوف

لقد بدأت الشعوب الأسيوية المستعبدة تنتهج السبل الموصلة إلى تحقيق آمالها الوطنية ، وتتخذ الوسائل الفعالة إلى التخلص من براثن الاستعمار الغربى ، منتهزة الظروف القاسية التى أقعدت الدول الكبرى المهيضة الجناح عن المضى فى مناهضة الحياة الحديثة الثائرة التى برزت فى الشرق تطالب بنصيبها من الحرية

ففى الشرق الأقصى فى إندونيسيا ، أعلن الإندونيسيون استقلالهم وقيام حكومة جمهورية مستقلة فى السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٥ (بعد مرور يومين على وقوف آلات الحرب والدمار فى الشرق الأقصى) وأعدوا عدتهم للاقاة كل الاحتمالات المتوقعة التى سوف تظهر من جانب الدول الكبرى الاستعمارية، محاولة منها القضاء على استقلال إندونيسيا، وإعادة سيادتها مرة ثانية عليها ... فاتحدت القوات الاستعمارية — الإنكليزية والهولندية واليابانية — للقضاء على استقلال إندونيسيا، وهدرت أفواه مدافعها تصب نيرانها الحامية على الإندونيسيين الأحرار ، وضحى الشعب الإندونيسى فى سبيل حفظ حريته وتدعيم أساس جمهوريته كثيراً من النفوس الطاهرة التى قدمت نفسها رخيصة على مذابح الحرية ...

هذا فى إندونيسيا ، البلد المجاور للملايو ، وهناك على الجانب الآخر من الملايو بلد ثائر غاضب ... هو (فيتنام) فقد أعلن الفيتناميون الأحرار استقلالهم وظهور جمهورية شعبية مستقلة تتولى إدارة شؤون البلاد ، وذلك فى شهر أغسطس عام ١٩٤٥

ولم ينج الفيتناميون الأحرار من غضب المستعمرين الغربيين الذين لعبوا دورهم السياسى والعسكرى فى فيتنام ... فجهزوا عليهم جيوشاً جرارة للقضاء على حكومة فيتنام الحرة ، كما سلحوا أذنابهم من الفيتناميين أتباع الإمبراطور باوداى ، وقد خلق المستعمرون فى الهند الصينية قوة دولية للقضاء على حكومة فيتنام

الحرة ، وبذل الفيتناميون دماءهم وأرواحهم فى سبيل حفظ حكومتهم الحرة ، ولا يزالون يكافحون الجيوش الاستعمارية ويكبدونها الخسائر الفادحة حتى تعترف السلطات الاستعمارية بحريتهم واستقلالهم ، وفى خضم هذه المعارك التحريرية الأسيوية فى الشرق الأقصى تحرك الشعب الملايوى ، والتف حول زعمائه الأحرار، فنظموا صفوفهم ووحدوا جهودهم، وأنشأوا الأحزاب السياسية ، وأقاموا المنظمات الثقافية ، لتتولى شؤون الحركات التحريرية التى تتطلب التضحية فى المال والرجال ، ليقيموا حياة جديدة حرة فى وطنهم الذى يلاقى الأمرين من الاستعمار الإنكليزى

لقد نهض الشعب الملايوى بعد ما رأى المعارك الاستقلالية الدامية تدور حوله بين الأسيويين الأحرار والغربيين المستعمرين، فطالب السلطات البريطانية بحرية بلاده ، مستندا فى ذلك إلى حقه الطبيعى والشرعى فى الحرية والاستقلال ، وعلى ما جاء فى ميثاق الأطلسى الذى ضمن للشعوب الضعيفة حق تقرير مصيرها

وهنا تقف إنكلترا حائرة فى هذا الجو المضطرب، أو فى هذا الخضم الثائر فى الشرق الأقصى ، فالحركات الاستقلالية تلفح نارها الهند الصينية التى يقاتل فيها الفرنسيون قتالا مريرا لإيقاف الزحف الشيوعى عن مناطق نفوذهم فيها ، وتؤيد — إنكلترا فرنسا فى حركاتها العسكرية الضخمة فى الهند الصينية لصد التيار الشيوعى عن المستعمرات الغربية فى الشرق الأقصى فتشبثت إنكلترا بحقها الدولى فى بقاء سيادتها على الملايو ، وكان رد فعل لهذا أن غدت ملايا بركانا ثائرا ، يشيع فيها الاضطرابات والثورات

إن الاستعمار الغربى فى الملايو هو المسئول الأول عن الاضطرابات الحاضرة فى جميع أنحاء ملايا ، أو بعبارة — أوضح إن الاستعمار الغربى هو الذى أثار هذه الاضطرابات ، وأشعل هذه الثورات ، فالثورة الحاضرة فى الملايو هى ضد الاستعمار البريطانى الذى رفض التسليم بحق الملايويين الشرعى فى حرية بلادهم ، وهى ثورة شعب على وضع يناهض تقدمه ويعرقل سيره. فلو أن السلطات الاستعمارية البريطانية قدرت مدى تغلغل الروح القومية فى نفوس الشعب الملايوى كما قدرت مدى انتشار الروح الوطنية فى الهند ، لأفسحت المجال للشعب الملايوى ليسير فى طريق الحرية والاستقلال ، وليلحق الشعوب الأسيوية التى سبقته فى هذا المضمار فغدت حرة مستقلة، ولكنها أغمضت عينيها عن هذه الروح الثائرة وعن هذه الحركات الجامحة ، فأرسلت جيوشها الجرارة إلى الملايو لتخمد أنفاس الملايويين ، وقد بلغ عدد الجنود التى — قذفتها بريطانيا إلى ملايا بعد الاضطرابات الحاضرة مائة وخمسة وعشرين ألف جندى ، تؤيدها مائة ألف جندى كانت موجودة فى ملايا قبل الحوادث الأخيرة

يزعم الاستعمار الإنكليزى فى الملايو بأن بقاءه فيها هو لحفظ النظام الديمقراطى والحقوق الإنسانية من داء الشيوعية التى تقضى على الحقوق الديمقراطيه ، وتقلب أوضاعها رأسا على عقب، وهذا الزعم ينهار تحت الحقائق الناصعة التى تثبت أن الشعب الملايوى شعب شرقى مسلم قد حماه دينه من العقائد الضارة والنظم الفاسدة التى تهدم كيان المجتمع

وهناك ادعاء آخر ، وهو آخر ما فى جعبة إنكلترا من الادعاءات التى تبرر بها بقاءها فى الملايو ، وحقها فى استعمال الأسلحة ضد الثوار ، وهو أن الثوار فى ملايا ليسوا هم الوطنيين بل هم الصينيون الشيوعيون الذين يستمدون العون من الصين الشيوعية ، وغايتهم القضاء على الاستعمار الإنكليزى فى الشرق الأقصى . فهل هذا الادعاء قائم على دليل مستخرج من الحياة الملايوية الحديثة تستند عليه إنكلترا فى حق قيامها بواجبها العسكرى للقضاء على الحركات الشيوعية فى الملايو ؟ كلا ... إنه ادعاء لا يرتكز على دليل ملموس . وهو إدعاء باطل ، أريد به تضليل العالم بأن الملايويين قانعون بحياتهم الحاضرة تحت ظل الحكم البريطانى ... وهذا إفك وافتراء ... فإن الشعب الملايوى قد أبى الخضوع للحكم البريطانى ، ولا يريد إلا التحرر من نفوذه الذى عاقه عن الحركة والتقدم مدى قرون طويلة

وإذا درسنا الحياة الحديثة فى ملايا دراسة صحيحة من الناحية السياسية والثقافية — وهما الناحيتان البارزتان — لمعرفة مستوى نضوج الشعب ، نجد أن الشعب الملايوى كغيره من

الشعوب الأسيوية التي كانت مستعبدة قد عرقل سيره الطبيعي الاستعمار البريطاني ، فالحكم البريطاني قد أغلق أبواب العلم والمعرفة أمام الشعب الملايوي ، وحصره في محيطه الضيق ، وفي أفقه المـادي ، لايرتشف من منهل العلم ، ولا يتصل بالعالم الخارجي ، برغم أن هذا الشعب محب للعلم ، تواق إلى المعرفة ، فهو شعب مسلم ، يحثه دينه على التسلح بسلاح العلم ، والتزود بالفنون الحديثة ، كما أن الاستعمار البريطاني قد حظر على الشعب الملايوي إنشاء الأحزاب السياسية ، وإقامة المنظمات الثقافية ، فمنذ وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها لم تظهر في ملايا أحزاب سياسية أو منظمات ثقافية تدعو الشعب إلى التحرر من الاستعمار البريطاني ؛ فالسلطات البريطانية أبعدت الشعب الملايوي عن ميادين الجهاد المقدس بعد الحرب العالمية الأولى كيلا تتقلص سيادتها عن ملايا ، بينما كانت الأحزاب السياسية والمنظمات القومية قد برزت في إندونيسيا من ١٩٠٨ وهي البلد المجاور لملايا

ومن المشكلات الصعبة التي تعانيها ملايا في حركاتها التحررية اليوم ، مشكلة الجاليات الأجنبية . فالزعماء — الملايويون يريدون التوفيق بين وجهات نظرهم ووجهات نظر الجاليات الأجنبية التي تكون عدداً مساوياً لعدد الوطنيين ... ويبلغ عدد سكان ملايا خمسة ملايين ونصف مليون نسمة ، ومن الطبيعي أن وجود هذا العدد الهائل من الأجانب في ملايا له تأثيره البارز في الحركات التحريرية الملايوية — نجاحا وفشلا ، تقدما وتدهوراً

والتوفيق بين وجهات نظر الملايويين والأجانب هو كما يريده الملايويون الأحرار ، اندماج الأجانب وهم يمثلون الصينيين في القومية الملايوية ، بحيث يشعرون بما يشعر به الملايويون من الآلام والإحساسات إزاء مشكلاتهم القومية الكبرى . وقد تشبث الصينيون بوجهة نظرهم وهي بقاؤهم متمسكين بقوميتهم الصينية، ووجوب انتقال سيادة ملايا إليهم ،وظهر من هذا تباين تام في الآراء والأفكار ، واختلاف في الشعور والإحساس بين الملايويين والصينيين ، وهذه العوامل المنوية لها تأثيرها الخطير في الحركات القومية الملايوية ، ولاشك أن هذا التباين من أحد العوامل التي تعرقل سير الحركات التحريرية الملايوية اليوم .

ويجد الشعب الملايوي نفسه أمام عاملين خطيرين يناهضان حركاته ومقاوماته ضد الحكم الأجنبي . فالعامل الأول هو الاستعمار البريطاني ، والعامل الثاني هو العدد الهائل من الصينيين الذين يشعرون بشعور وطنهم ، ويحسون بإحساس بلادهم ، ويستغرب القارئ الكريم من وجود هذا العدد الكبير من الصينيين في بلد صغير كملايا ، ونحن نوضح له أسباب ذلك

إن الاستعمار الإنكليزي هو الذي فتح أبواب الهجرة أمام الصينيين في ملايا ، منذ بدأ يبسط حكمه عليها ، كي يجد الملايويون عنصراً أجنبيا يزاحمه ويقعده عن العمل ، سواء كان في حقل الاقتصاد أو في ميدان السياسة . وقد نجحت السياسة الاستعمارية الإنكليزية في عملها نجاحا تاما ، فاليوم يجد الملايويون الأحرار عقبة كأداء في سبيل حل قضيتهم الوطنية مع السلطات البريطانية ، فالصينيون ويبلغ عددهم مليونين ونصف مليون يطالبون الحكومة البريطانية بالسيادة على ملايا ، تاركين الشعب الملايوي صاحب البلاد وراءهم . وقد أنتج موقف بريطانيا الصلب العنيد تجاه مطالب الملايويين في الحرية والاستقلال أن قام الصينيون بأعمال التخريب والتدمير في الملايو مشوهين بذلك روعة الحركات التحريرية الملايوية التي شملت جميع أنحاء ملايا . ويدل سير الحركات التحريرية اليوم في الملايو . على أن الشعب الملايوي سائر في طريقه المرسوم . . . لتحقيق حريته واستقلاله برغم العوامل المناهضة له ؛ وتشرق على ربوع وطنه شمس الحرية ، فيغدو شعبا حرا يشارك شعوب العالم في إقامة صرح حياة جديدة قائمة على أساس العدل والرخاء

وإتماما لهذا العرض الموجز عن الاستعمار الإنكليزي في الملايو أقدم للقارئ الكريم موجزاً عن الوضع الإداري الحاضر في ملايا ، وعن مركزها الاستراتيجي ، وعن النشاط الثقافي الذي سيكون له الأثر الكبير في نجاح الحركات التحريرية التي يستعر لهيبها في ملايا

تنقسم ملايا إلى بضع ولايات يتولى الحكم على كل منها حاكم يلقب بسلطان ، تنتقل سلطته إلى ذريته من بعده .ولكل سلطنة مظاهر الدولة والحكومة ، جيش وعلم وطوابع بريد وإدارات

خواطر مسبوقة:

الصوم سمو بالإنسانية

للأستاذ حامد بدر

الصوم سمو بالإنسانية : وتحرر من الحيوانية ؛ فإن الشبع يدنى الآدميين من البهائم ، ويقلل الفرق بينهم وبين السوائم ؛ والصوم يبعد أولئك عن أولئك ، ويدنى الأناسى من الملائك

والصوم تعذيب ، لكنه تأديب وتهذيب ؛ يقهر الطغاة ، وينشر المساواة ؛ فالمحروم فيه كالمالك ، لا فرق بين هذا وذلك

والصوم حرمان ، لكنه إذعان وإيمان ؛ فلا يكون ظمأ وجوعا ، قبل أن يكون إنابة إلى الله ورجوعا

شرع ليألف الصائم الزهادة ، ويفقه حقيقة الورع والعبادة ، فيقنع بما يكفيه مختارا ، بعد أن أقنع إجبارا . ويرحم الفقير والمسكين ، ويقدم من أيام الدنيا ليوم الدين ، تاركا ما فضل لغيره ، مشركا المحروم فى خيره . ذاكرا أن ما عنده إلى نفاد ، وأن البر والتقوى هما خير الزاد

ولا صوم لمن أمسك فكيه عن الطحن ، ولم يمسك ما بينهما عن الطعن ؛ أو صام عن الزاد ، ولم يصم عن إيذاء العباد ، فتناثر عابه ، وتكاثر سبابه ، واشتد هجره ، ونفد صبره

فإن من لم يتق راضيا ، ولم يبتغ مرضاة ربه متفانيا ، ذهب صومه ضحية ثورته ، وتلاشى ربحه أمام خسارته ، وسبقه الحيوان الذى يصوم الأيام فى صبر ودعة ، ويصل فى صومه الليل بالنهار من غير بهيمة . يطوى البيد طاويا ، ويطأ الرمضاء صاديا راضيا

والصوم سر بين العبد ومولاه ، لا يطلع على حقيقته إلاه . تبيت ناويا ، وتصبح طاويا ، زاهدا فى مطعمك ومشربك ، من لجرك حتى مغربك ، كلما ألح الظمأ والسغب عليك ، والزاد فى متناول يديك ، قال الضمير : أمسك ، واحكم نفسك بنفسك ، وأذقها الحرمان ، من آن إلى آن ؛ لا تخضع لها دهرا ، وتحرر فى العام شهرا . وتب إلى الله نصوحا ، واخشع له جسدا وروحا . فإن أعز أهل العزة ذليل بين يدى الله . وأذل أهل الذل ذليل بين يدى هواه !

حامد بدر

حكومية وقضائية ومالية ، وبجانب السلطان الوطنى مستشار بريطانى يستمد سلطته من وزارة الخارجية البريطانية، وللحكومة البريطانية ممثل لها يلقب باسم (المندوب السامى) هو الذى يشرف على سياسة ملايا الخارجية والمالية والعسكرية ، وهناك بعض مقاطعات تحت الإشراف البريطانى المباشر، وتعدها بريطانيا ممتلكات لها

وتحتل ملايا مركزا هاما من الناحية الاستراتيجية لدول شرق جنوب آسيا ، إذ تتسلط على مداخل الهند — وبورما وسيام والهند الصينية وإندونيسيا ، وقد جعلت بريطانيا من جزيرة سنغافورة قاعدة حربية تتحكم فى مياه المحيط الهندى

والحياة الثقافية الحاضرة فى ملايا تبعث على الاطمئنان على مستقبلها ، فقد فتح الأحرار الملايويون المدارس ، وأنشأوا المنظمات الثقافية لتنوير أفكار الشعب ، وتوجيهه إلى ما فيه نجاحه فى حركاته التحريرية الحاضرة ، ولنا عودة إلى البحث عن الحياة الحديثة فى الملايو ، لعلنا نوفق فى إعطاء القارئ الكريم معلومات دقيقة عن ملايا الحديثة

محمد جنيدى

فضل المدنية العربية على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى

أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية في جامعة سان باولو

٣ — في الفلسفة

كان للعرب قبل الإسلام أمثال وأقوال حكمية يتداولونها على الألسنة ويتناقلونها من جيل إلى جيل، وكان لابد من الانتظار إلى ما بعد الفتح كيما يحكموا الاتصال بالفلسفة اليونانية عن طريق الترجمة بواسطة العلماء السوريين واللبنانيين قبل أن تغتني اللغة العربية بنظام فلسفي

وكان حنين بن إسحق (توفي ٨٧٣) السوري المسيحي شيخ المترجمين في أيام الخليفة العباسي المأمون في بغداد؛ وهو الذي نقل مع تلامذته فلسفة أرسطو والأفلاطونيين الجديدين من اليونانية إلى الآرامية لغة البلاد السورية ومن هذه إلى العربية. وللحال أصبح أرسطو « المعلم الأول » في الإسلام، وكان لا بد من التوفيق بين تعاليمه وتعاليم القرآن، وهو المشكل الذي شغل أفكار فلاسفة العرب الأولين

وأول فيلسوف عربي عني بهذا الموضوع هو الكندي الذي زها في أواسط القرن التاسع. وكان الكندي فيلسوفا ورياضيا وموسيقيا. وتبعه الفارابي من مواليد تركستان ودفين دمشق (٩٥٠) الذي أصبح (المعلم الثاني) بعد أرسطو ووضع كتابا بعنوان « المدينة الفاضلة » على منوال « جمهورية أفلاطون »

كذلك فلاسفة العرب في الغرب فإن جهودهم العقلية تتوجت بالتوفيق بين الإسلام وفلسفة اليونان. وكان نجاحهم موفورا لأن الإسلام لم يكن فيه من العقائد والأسرار ما في المسيحية، ولم يكن له رجال دين لهم رأس ونظام شامل. ومن المعلوم أن الفلسفة اليونانية هي أعظم تراث من الفكر الأوربي القديم، والإيمان بوحدة الله هو أعظم تراث من الفكر السامي القديم. وهذان الجريان الفكريان التقيا في إسبانيا الملة وسارا جنباً إلى جنب متآلفين متصافيين

إن مشكل التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية هو نفسه اعتراض العلماء السكولاستيكيين، ولكنهم لم يوفقوا إلى حله لما في العقائد المسيحية من التعقيد ولما في الكنيسة من الأنظمة الأكليركية

والفضل الأكبر في شرح أرسطو وجعله مقبولا لدى الإسلام أولا والمسيحية ثانياً يعود إلى ابن رشد القرطبي (توفي ١١٨٩) الذي ترجمت شروحه في طليطلة في أواخر القرن الثاني عشر إلى اللاتينية وترجمت أيضاً في صقلية إلى هذه اللغة، لغة العلم في تلك الأيام وما لبثت أن أصبحت كتب التدريس الفلسفية في جامعات إيطاليا ومنها نابولي، وإسبانيا ومنها قرطبة، وفرنسا ومنها باريس؛ وغيرها من البلدان الأوربية

وابن ميمون اليهودي (توفي ١٢٠٤) معاصر ابن رشد قام في سبيل الفلسفة اليهودية بالخدمة التي قام بها ابن رشد في سبيل الفلسفة الإسلامية. وكانت طريقته في التوفيق تفسير بعض آيات الكتاب المقدس تفسيراً مجازيا استعاريا. ومن الواضح أن البيرت ماغنوس وسبينوزا وكانت وغيرهم من فلاسفة أوربا المتأخرين من مسيحيين ويهود تأثروا بأفكار ابن ميمون

ونشأ في غرناطة فيلسوف مسلم لم يسبق له مثيل في تاريخ الفلسفة وهو ابن طفيل (توفي ١١٨٥) الذي وضع رواية « حي ابن يقظان » حاول فيها إثبات أن المرء إذا ترك لنفسه ولم يتأثر بعوامل خارجية من تربوية أوغيرها يستطيع أن يدرك حقيقة الخالق وواجباته نحوه، وبذلك أزال الحائط الفاصل بين ما هو طبيعي وما هو فوق الطبيعة. وترجم هذا الكتاب البديع إلى اللاتينية أحد أساتذة أكسفرد عام ١٦٧١. ومما لا ريب أن « قصة روبنسون كروسو » الطريفة منسوجة على منواله

٤ — في الفن

ذهب المسلمون إلى أن تمثيل الإنسان أو الحيوان بواسطة

التصوير أو النحت أو الحفر إنما هو نوع من الخلق . والخلق هو ميزة إلهية فلا يجوز للانسان أن يحاوله . وذلك كله نتيجة الاعتقاد بوحدة الله وأثر من أثر العبرانية القــائلة بمنع عمل الأصنام

لذلك اقتضى أن يظهر الإسلام ميله الفنى بوسـائل جديدة من الزخرفة واستخدام الألوان الزاهية المتناسبة والأسـاليب الهندسية والنباتية

أما الفرس الذى كان لهم تقليد فنى عريق فإنهم بعد دخولهم فى الإسـلام استنبطوا التصوير المصغر ، وأول كتب ظهرت فيه هذه التصاوير هى « كليلة ودمنة » و « المقامات » . وفى إسبانيا تأثر المسلمون بالتقليد المسيحى، فلم يتردد عبدالرحمن الثالث الذى أعلن نفسه خليفة عام ٩٢٩ عن وضع تماثيل إحدى سراريه فى قصر الزهراء الذى شاده على اسمهـا . كذلك أقام بنو نصر الذين بنوا الحمراء تماثيل للأسود فيها

برع العرب فى الشرق والغرب فى الفنون الصناعية . فالقرميد الملون لم يزل فى الإسـبانية والبرتغـالية معروفا باسمه العربى (الزيجى) . وبفضـل العرب أصبحت طليطلة وقرطبة ومالقة مراكز هامة للخزف . وأصبحت طليطلة مركـزا للقواطع والسيوف كما كانت دمشق . ولم تزل صناديق عاجية كثيرة من صنع قرطبة معروضة فى متاحف أوربا وأميركا للآن . واشتهرت بلنسيه بصناعة الزجاج التى امتازت بها سورية ولبنان من العهد الفينيق ، ومن إسبانيا انتقلت هذه الصناعة إلى فرنسا وغيرها فتمركزت صناعة الخزف فى بواتيه وقلدها عملة أولئك حتى القرن الخامس عشر

ومن الفنون التى رقاها أبناء العرب فن الخط الذى تقلده الصنعة المسيحيون على الأوانى دون أن يفهموا فحواه

وبلغت الأقمشة حدا من الانتشار لم تبلغه قبل الفتح الإسبانى والحروب الصليبية . ومن الـكلمات العربية التى أخذها الأفرنج من العربية « مصلن » من الموصل و « بلدكن » من بغداد و « ديوان »

وفى البناء أسلوب معروف يدعى الأسـلوب المغربى الذى امتزجت فيه عناصر إسلامية وقوطية مسيحية . ومن مميزات هذا الأسلوب القنطرة المشابهة لنعل الحصان والتى كان ظهورها المرة الأولى فى المسجد الأموى بدمشق فى أوائل القرن الثامن . وقصور طليطلة وإشبيلية وقرطبة هى من أهم الآثار البنائية العربية وأجل أثر هو الحمراء . أما المسجد الذى بناه عبد الرحمن الأول (توفى ٧٨٨) وفيه ١٢٩٣ عموداً فإنه الآن كاتدرائية . والزهراء لم يبق منها أثر مذكور

والـكلمات التى يستعملها البنـاء والنجار فى الإسـبانية والبرتغالية معظمها عربية الأصل . ومن أمثلة ذلك « الخزانة » و« القبة » و « الدعامة » و « الشطيحة » و « الطاقة »

ومن آثار الموسيقى كلمات عربية كثيرة لم تزل إلى يومنا الحاضر دارجة فى اللغات الغربية . ومنها «العود» و« القيثارة » و « الصنوج » و « النفير » و « البوق »

البقية فى العدد القادم

فيليب حتى

براعم شعراء الشباب

للأستاذ أحمد أحمد العجمي

في فصل الربيع من كل عام تأخذ الأرض زخرفها ، وتلبس أجمل ملابسها المزركشة الملونة بأجمل الألوان ، وتتجلى مفاتن الطبيعة في أبهج صورها البهية على ضفاف الترع والجداول وشواطئ الأنهار ، بأفواف الأزهار والنوار والرياحين ، في بطون الوديان وعلى ظهور الكثبان وبين جنبات الحقول والبساتين

وتبدأ الأشجار تروى قصة الخصب والرى والنضارة ، وتؤدى دورها الخالد المتجدد على مسرح الحياة : تكتسى بعد عرى ، وترتوى بعد ظمأ ، وتلين بعد جفاف طويل . كل يوم يمضى تبرز إلى الوجود براعم جديدة وليدة ، تبدو على جوانب الأغصان ، وتتفتح على أشعة الشمس ، وتنعقد عليها أكاليل الندى كل صباح

هذه البراعم الجديدة الوليدة في الحدائق والبساتين هي براعم شعراء الشباب في حديقة الشعر والشعور

تظل براعم الأشجار تتجدد وتتعدد وتنمو في كل ربيع ، بعضها يبلغ منتهاه ويصل إلى مداه في النمو الدائم عاماً بعد عام ، وبعضها يدركه العطب أو يلحقه الجفاف فيذوى وهو غصن صغير

وهكذا براعم شعراء الشباب !

بعضهم تنمو قريحته وتزهو عبقريته عاماً بعد عام ، فيتوالى إنتاجه ويتضح منهاجه وتصفو ملكته من الصنعة أو الزيف أو التقليد ، وبعضهم يدركه العجز أو الوهن فيظل كالفاكهة الفجة ، هي على الشجرة فاكهة بين الفواكه ، ولكنها لا تروق ولا تشوق ولا تذاق !

في النصف قرن الأخير ، شهدت مصر خاصة ، وشهد العالم العربي عامة ، بل شهد العالم في كل قطر ومصر — نهضة أدبية شاملة ، في كل لون من ألوان الأدب ، وفي كل عنصر من عناصر الفن ؛ كانت رد فعل طبيعي لما ران على العقول والمواهب والملكات ، من ظلمات العصور الغابرة : عصور الظلم والنهب والاستبداد في الحكم ، وعصور الجهل والجدب والتقليد في الآداب والعلوم والفنون

وكان حظ مصر عظيما موفورا في الحالين : كان حظها في عصر المماليك وقبله بقليل بضع محسنات لفظية سخيفة يسمى إليها الشاعر سعيا واضحا مكشوفا كاللص الأبله يسرق الناس في رائعة النهار ! فإذا تجاوز المحسنات كان همه السطو على المعانى القديمة أو تقليد كبار الشعراء في عصور الحضارة السالفة ، وكان حظ مصر عظيما في النهضة الأدبية الأخيرة المباركة في كل وجه من وجوه الثقافة ، ولاسيما الشعر ، فقد قطعت فيه شوطا بعيدا وأحرزت فيه قصب السبق في حلبة الفنون

في الخمسين سنة الأخيرة ، منذ وفاة محمود سامى البارودى ، أول طلائع النهضة الحديثة ، إلى الآن — لمعت في سماء الشعر شموس وأقمار وكواكب متعددة ، توشك أن تكون خمسين شاعراً ، وهو عدد — بحمد الله — ليس بقليل !

ربما يخطر في بالك الآن ، هذا المثل العامى الظريف : « العدد في الليمون .. ! » وربما تستغرق في الفكاهة ، أو تسرف في التجنى ، فتقول : إن خمسة فقط من هؤلاء الخمسين هم الخالدون الذين يعتد بهم ويعول عليهم ، وتحفظ أشعارهم على أنها نماذج رائعة للخيال المنتج والتعبير الجميل ، ومناهج مبتكرة للشعور الصادق والفن الأصيل . وأن هؤلاء الخمسة كالصلوات المكتوبة ، خمس في العدد ، وخمسون في الأجر والثواب !

فدعنى أسألك هذا السؤال : من هؤلاء الخمسة الشعراء ؟ فتسرع بالجواب : البارودى وصبرى وشوقى وحافظ ومطران ، فأقول : هؤلاء جميعا في فراديس الجنان ، فما بالك بالأحياء ؟ فتقول : العقاد وناجى ورامى وعزيز أباظة وعبد الرحمن صدقى ، فأستدرك قائلا : ولكن في الطائفة الأولى أعلاماً يجب أن تذكر بالحمد والثناء . حفنى ناصف وولى الدين يكن ومحمد عبد المطلب وأحمد محرم وعلى الجارم وزكى مبارك وعلى محمود طه وعبد الحميد الديب وتخرى أبو السعود ؛ وفي الطائفة الأخيرة عبد الرحمن شكرى ومحمد الأسمر وصالح جودت ومحمد مفيد الشوباشى وعبد اللطيف النشار . . فتصيح من فرط الغضب أو من فرط الدهشة ، أو من ملل السرد على الأصح : آمنا وصدقنا

يا أخى !! عشرون شاعراً أو ثلاثون ..

كم شاعراً من هؤلاء جميعاً يستحق الدراسة ، ويحتاج إلى البحث والاستقصاء ؟ — جميعهم بلا استثناء .. !

نعم جميع هؤلاء الشعراء فى حاجة ماسة إلى دراسة جديدة تبتعد عن الغلو والملق والمجاملة ، وعن التجنى وسوء الظن والزراية . وقد كتبت فيهم جميعاً كتابات أكثرها إن لم يكن جميعها لا يخلو من عيب من هذه العيوب

وليس هؤلاء الشعراء وحدهم فى حاجة إلى أمثال هذه الأبحاث ، بل إن هناك من هم أحق منهم بهذه الدراسات وأولى بالنظر والتعريف ... هؤلاء هم شعراء الشباب

ما أحوج شعراء الشباب جميعاً إلى دراسات منظمة وأبحاث مستفيضة فى اتجاهاتهم الفنية ومذاهبهم الشعرية وألوانهم المختلفة فى الشعور والتعبير ، وما أشد حاجة هذه البراعم الغضة البضة فى حديقة الشعر إلى من يتولاها بالرى والتشذيب وينير لها السبل . فى الصفوف الخلفية مواهب وقرائح وعبقريات مبعثرة ، أكثرها مع الأسف مدفون فى التراب ، لولا ما يتنفس به بعضهم حيناً بعد حين ، فى الهواء الطلق والجو الفسيح ولو أتيحت الفرصة المناسبة لكثير من براعم شعراء الشباب لكان لنا طبقة جديدة وجبهة قوية تتجه بالشعر إلى أسمى المناهج الحديثة ، وتصل بالفن إلى أعلى مراتب الخلود

وإذا كانت هذه البراعم الغضة فى حاجة إلى النقد والتمحيص فلكى ننوه بها ونشد أزرها ونشجعها على السير الطويل فى طريق الشعر بخطى راسخة وجهاد لا يلين ، بدقة وفطنة وإحكام ؛ حتى لا تتكرر المأساة من جديد . . . مأساة التخبط والتقليد

لو أن إسماعيل صبرى أخلص النصح لشوقى ، وزين له فى نشأته الأدبية اعتماده على نفسه ؛ فنبت على ساقه وغاص إلى أعماقه ، وعبر عن نفسه ورأيه وشعوره لكان لنا من شوقى « أمير شعراء » غير الذى كان ...!

ولو أن شوقى رسم الطريق أمام رامى ، فحبب إليه الجزالة والرصانة والفحولة — لكان رامى شاعر الشباب الدائم ولو جاوز الخمسين ...!

ولو أن مصطفى على عبد الرحمن ، اغترف من بحر رامى ، ونسج على منواله فى الشعر الغنائى مع تعمق ورسوخ لرق شعره وراق !

ومن ناحية أخرى لولا أن العقاد آثر ابن الرومى كل هذا الإيثار ، وأحب مذهبه الشعرى كل هذا الحب — لما جنى ابن الرومى على شعر العقاد ، وكاد يحمل بعضه سراديب عقلية وفكرية ينقصها نور العاطفة المشبوبة فى شاعر كبير كالعقاد ..!

وكذلك لولا أن سيد قطب وأحمد مخيمر والعوضى الوكيل هاموا زمناً طويلا بشعر العقاد وطريقة العقاد — لكان لإنتاجهم رونق أجمل ولشخصياتهم صور تختلف عن الأصل فى بعض الملامح والسمات !

من هنا تبدو بوضوح جناية التقليد والاحتذاء ، وتبدو من الجانب الآخر جناية السير على غير هدى ولا اقتداء . ومن هنا أيضاً تأتى مهمة الناقد الأمين الحريص على رسم الخطوط ، وهداية الضال إلى الطريق القويم

ويخيل الى أن نقد كبار الكتاب والشعراء والفنانين عامة ليس نقداً صحيحاً صريحاً ؛ لأنه يغلب عليه الإعجاب والإكبار ، وتبرير الأخطاء أحياناً ، وأحياناً يغلب عليه التهجم والتنقص والتجريح لسبب من الأسباب

ويخيل إلى أيضاً أنه مضت فترة طويلة خلا فيها الجو الأدبى من النقد الصحيح فى ميدان الشعر الحديث ، وأن الحاجة ماسة إلى ناقد يكمل هذا النقص ويسد هذا الفراغ الوحش الرهيب . وسأحاول بقدرتى المحدودة وجهدى الضئيل ، أن أحمل على عاتقى هذا العبء الثقيل

وأود قبل أن أتناول بعض الشعراء بالنقد والدراسة أن أشير إلى منهجى فى البحث إشارة خاطفة : سأخص كل شاعر على انفراد بدراسة مجملة أنبه فيها إلى الخطوط الرئيسية فى شعره ، فأشيد بحسناته ومزاياه ، وأشير إلى بعض العيوب رجاء اجتنابها والسعى الحثيث إلى الكمال ، على أننى سأبدأ بدراسة « براعم شعراء الشباب » ؛ لإمكان انتفاعهم بهذه الدراسة ، وشحذ ملكاتهم النفاذة إلى الأعماق . وسأتناول شعراء مصر وشعراء

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

أبو العتاهية مع الفضل بن الربيع وزبيدة

وعدنا فى المقال السابق أن نورد الأدلة التى تثبت صحة ما ذهبنا إليه من أن الفضل بن الربيع وزبيدة قد شجعا أبا العتاهية على الإضراب عن إنشاد شئ من شعر الحب للرشيد ووعداه المال والحماية من كل سوء يتعرض له بسبب ذلك الإضراب. وقد حان اليوم موعد الوفاء بذلك الوعد، وسنبدأ بما يتعلق من ذلك بالفضل. ولعل أول ما يلفت نظر الباحث إلى وجود علاقة بين الشاعر وبينه هو انقطاع الشاعر عن مجالس الخليفة بعد شهور قلائل من تولى الفضل الحجابة للرشيد. والحق أن ذلك التقارب فى الزمن بين الحدثين كان أول ما نبه أذهاننا إلى احتمال وجود علاقة بينهما. بل كان الشرارة الأولى التى انبعثت من أعماق ذلك الماضى البعيد لتفتح أعيننا على ما كان من انزلاق الشاعر إلى ميدان السياسة وتعاونه مع الفضل وزبيدة

وإن المرء ليعجز عن أن يجد مناسبة أخرى لتشدد الشاعر فى مطالبة الرشيد بالتدخل السريع فى أمر زواجه من عتبة، وإنا لنسأل أنفسنا لم اختار الشاعر ذلك الوقت بالذات؛ مع أن أنسب الأوقات لمثل ذلك الموقف الصلب كان عقب موت الخيزران، فقد كانت عتبة تعتذر عن الزواج باحتياج سيدتها إليها وعدم رغبتها فى إغضابها؛ أما وقد توفيت الخيزران سنة ثلاث وسبعين ومائة للهجرة فإنا لنعجب لم انتظر الشاعر بعدها سبع سنوات كاملة ليثور فجأة سنة ثمانين ومائة للهجرة؟. وما صمت فى رأينا إلا لعجزه، وما ثار إلا لتقويه بما رأى من تشجيع الفضل وزبيدة

ويلفت النظر أيضا ما أورده ابن الشاعر خاصا بإضراب أبيه عن قول الشعر فى الحب: « ... لما ذهب الرشيد إلى الرقة لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول فى الغزل ... » أليس للمرء أن يسأل لم اختار ابنه ذهاب الخليفة إلى الرقة ليؤرخ به لإضراب أبيه عن القول فى الغزل؟ ألا يمكن أن يكون هناك علاقة بين الحدثين. يبدو لنا أن الرشيد إنما ذهب إلى الرقة فرارا من زبيدة التى كانت تدفعها غيرتها الشديدة إلى التضييق على الخليفة وتنغيصه كلما خلا إلى جارية من جواريه؟ فإذا صح هذا الافتراض كانت العلاقة بين الحدثين قوية، إذ يتصل كل منهما بالنزاع الذى كان قائما بين الخليفة وزوجه حول اتصاله بجواريه على حسابها

ولندع هذا الاستنباط جانبا؛ ولنمط للشاعر للفرصة كى يتحدث لنا بصراحة عما كان بينه وبين الفضل من اتفاق فى هذا الشأن: — روى أبو الفرج فى الأغانى أن الرشيد وجد وهو بالرقة على أبي العتاهية وهو بمدينة السلام؛ فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلم الفضل بن الربيع فى أمره فأبطأ عليه بذلك فكتب إليه أبو العتاهية: —

أجفوتنى فيمن جفانى وجعلت شأنك غير شانى
ولطالما أمنتنى مما أرى كل الأمان
حتى إذا انقلب الزمان على صرت مع الزمان

فكلم الفضل فيه الرشيد فرضى عنه ورجع إلى حالته الأولى. ولعل القارئ يرى معنا صحة ما ذهبنا إليه من صراحة هذا النص فيما ندعيه من وجود اتفاق سابق بين الشاعر والفضل، وإلا فلم يتوقع أبو العتاهية أن يتكلم الفضل فى أمره؟ ولم يسرع بتقريعه حين يتباطأ فى ذلك التكلم؟ ثم انظر إلى الشاعر وهو يبدى دهشته وعجبه من أن يجفوه الفضل فيمن جفاه من الناس نتيجة

البلاد العربية؛ ففى كل بلد منها طائفة من شعراء الشباب النابهين؛ فى الإغضاء عن الإعجاب بقدرتهم الفنية إثم كبير

وليس فى استطاعة أحد أن يلم بكل هذا العدد الضخم من النابهين والمغمورين من الشعراء، وسأقتصر على اختيار بعض نماذج صالحة للعرض والتقديم، من المغمورين أولا ثم من المعروفين أخيرا ممن يناط بهم الرجاء. وقد أشرت إليهم إشارة موجزة فى كلمتى السابقة، وفى الكلمات التالية إن شاء الله تفصيل هذا الإجمال. وإلى اللقاء مع الشعراء كل أسبوع

أحمد أحمد العجمى

لغضب الرشيد عليه كأن لم يكن هناك صلة بينهما، ثم يذكره في البيت الثاني بما كان من تشجيعه له على الثورة ضد الرشيد، ويؤكد له أنه لن يتعرض لمكروه ما بسبب تلك الثورة

ومن أدلة ذلك التفاهم والتعاون أيضا ما كان يصيبه الشاعر من مال الخلفاء نتيجة لتوسط الفضل له، وأمثلة ذلك كثيرة، فمنها ما حدث به الأغاني من أن الرشيد قد حم يوما فذهب أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم ماتوا إذا ما ألمت أجمعهم
خليفة الله أنت ترجح بالنا س إذا ما وزنت أنت وهم
قد علم الناس أن وجهك يستغني إذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد فأمر بإحضار أبي العتاهية فما زال يسامره ويحدثه حتى برئ ووصل إليه بذلك السبب مال جليل . ويذكر أبو الفرج أن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالرجشي إلى ناحية الوصل فجبى له منها مالا كثيرا من بقايا الخراج ، فوافى به باب الرشيد فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه، فاستعظم الناس ذلك وتحدثوا به، فرأيت أبا العتاهية وقد أخذه شبه الجنون فقلت له : مالك ويحك ؟ فقال لي : سبحان الله أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة ولا يتعلق كفي منه بشيء ! ثم دخل إلى الرشيد بعد أيام فأنشده :

الله هون عندك الدنيـــا وبغضها إليكا
فأبيت إلا أن تصغر كل شيء في يديكا
ما هانت الدنيـا على ... أحد كما هانت عليكا

فقال له الفضل بن الربيع يا أمير المؤمنين ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا المدح، فقال يافضل : أعطه عشرين ألف درهم. ولم يقتصر هذا التعصب للشاعر والترويج له على عهد الرشيد . بل ظل الفضل على وفائه للشاعر حتى عهد الأمين . ومثال ذلك ما كان من الفضل حين ذهب إليه الشاعر بنعل مكتوب على شراكها :

نعل بعثت بهـــا ليلبسها قرم بها يمشي إلى المجـد
لو كان يصلح أن أشركهـا خدي جعلت شراكها خدي

فدخل بها الفضل إلى الأمين وأهداها إليه فاستخلص بها عشرة آلاف درهم للشاعر

أما تشيع الشاعر لزبيدة فقد بدا واضحا في أشعاره المختلفة التي كان يخدم قضيتها بها كما سنشرحه في حينه، ونقتصر الآن على مقطوعة واحدة أنشدهـا لأول خروجه من سجن الرشـيد حين قرر أن ينضم إلى معسكر زبيدة والفضل

من لقلب متيم مشتــــاق شفه شـوقه وطول الفراق
طال شوقي إلى قعيدة بيتي ليت شعري فهل لنا من تلاق
هي حظي قد اقتصرت عليها من ذوات العقود والأطواق
جمع الله عاجلا بي شملي عن قريب وفكني من وثاق

لا يرى مؤرخو الأدب في هذه الأبيات إلا احتيـالا من أبي العتاهية للخروج من سجن الرشيد الذي أقسم ألا يخرجه حتى يقول شعراً في الحب . وأما نحن فنرى فيها شيئا آخر إلى جانب ذلك بل وأهم من ذلك . نرى فيها مبادرة من الشاعر إلى البر بالعهد الذي قطعه على نفسه لزبيدة بأن يلتزم جانبها في كل ما يقوله للرشيد من أشعار . وها هو لم يعد ينشد الرشـيد من أشعار الحب مايغريه بالجواري كما كان يفعل من قبل ، بل يضرب للرشيد المثل فيما يجب أن يفعله في حياته الخاصة من الاقتصار على امرأة واحدة ، وما تلك إلا زوجه وابنة عمه زبيدة، وكأنه يقول للخليفة إن حياة الاستقامة والزهد التي يستقبلها لا تستقيم له إذا فكر في أخرى بجانب زوجه . ولا شك أن الترويج لمثل تلك الأفكار يسر زبيدة ويثلج صدرها، ألا ترى أنها قد أغرت بعض جواريها بأبي نواس يضربنه حتى أشرف على الموت حين استباح لنفسه أن يتحدث إلى الرشـيد في جمال الجواري وعذوبتهن ؟ ثم عادت فأجزلت له العطاء حينما علمت أنه انتفع بالدرس القاسي الذي ألقته عليه وأخذ ينفر الخليفة من أولئك الجواري وينصحه بالاقتصار على زهرة قريش ، وما كان يعني إلا زوجه وابنة عمه زبيدة . أليس ذلك هو نفس ما فعله أبو العتاهية في أبياته سوى أنه كان لبقا في خطابه فبدا وكأنه يتحدث إلى نفسه .. وإنما كان يتحدث إلى الخليفة

هذا بعض ما كان من مظاهر تشيع أبي العتاهية لزبيـدة . أما ما كان من تعصبها له ومناصرتها إياه فقد كان معروفا غير مجهول. وقد تحدثت عنه كتب الأدب في غير موضع، ومثال ذلك ما كان من مناصرتها له حين اختلف مع القاسم بن الرشيد وأحد

ولاة عهده . فقد وقف الشاعر إجلالا للقاسم حين مر به موكبه ولكن الأخير تجاهله ولم يلتفت إليه فأنشأ :

يتيه ابن آدم من جهله كأن رحا الموت لا تطحنه

وبلغ ذلك القاسم فأحضر الشاعر وضربه مائة مقرعة وحبسه عنده، وما كان من أبى العتاهية إلا أن أرسل إلى زبيدة يشكو ما أصابه فى أبيات لا تختلف فى معناها عن البيت السابق، وما لبثت زبيدة أن كلمت الرشيد فى أمره فاستدعاه إليه وكساه ولم يرض عن القاسم حتى بر الشاعر وأدناه واعتذر إليه

وليس القاسم هو الأمير الوحيد الذى يبسط فيه الشاعر لسانه غير هياب ولا وجل ، بل نراه يغلو فى إيذاء أمير آخر هو صالح المسكين عم الرشيد ويهدده بالقتل فى أبيات غاية فى الجرأة والتهور :

مددت لعرض حبلا طويلا كأطول ما يكون من الحبال
حبال بالصريمة ليس تفنى موصلة على عدد الرمال
فلا تنظر إلى ولا تردنى ولا تقرب حبالك من حبالى
فليت الردم من يأجوج بينى وبينك مثبتا أخرى الليالى
فكرش إن أردت لنا كلاما ونقطع قحف رأسك بالقتال

ولم يكد ينجو من لسان الشاعر أحد من رجال الدولة ، وما حميد الطوسى وخازم بن خزيمة ويحيى بن خاقان وعمرو بن مسعدة إلا بعض من شملهم الشاعر بإيذائه لأتفه الأسباب . نحن لا نشك فى أن الشاعر كان مريضا مرضا نفسيا دفعه إلى بغض ذوى الجاه والنفوذ فى عصره كما ذكرنا من قبل، ومع ذلك فنحن لا نشك فى أنه ما كان ليسرف فى هجومه ذلك الإسراف لو لم يكن له ركن شديد يأوى إليه كلما أوقعه لسانه فى مأزق ، وما حادث القاسم السالف الذكر إلا مثال واحد يبين لنا سر قوة الشاعر وإسرافه فى عدوانه

ويظهر أن صلة الشاعر بزبيدة والفضل قد أكسبته جاها عريضا ومركزا رفيعا فى الدولة، فأبو الفرج يروى أن منصور بن المهدى طلب إلى الشاعر أن يزوجه إحدى ابنتيه ، وما كان منصور هذا بالضعيف ولا الخامل ، وحسبك أن تعلم أن أهل بغداد قد عرضوا عليه الخلافة حينما اضطرب أمرها نتيجة للحروب التى كانت بين الأمين والمأمون . ويظهر أن منصورا كان حازما عاقلا إلى جانب نباهة شأنه وعلو قدره ، وآية ذلك أنه رفض الخلافة وعمل فى الوقت نفسه على تهدئة الفتنة وجمع كلمة الأمة

وقد ظلت صلة الشاعر بزبيدة وثيقة إلى آخر أيامها ، فنراها تلجأ إليه حين قتل ابنها الأمين واحتاجت إلى أبيات من الشعر تستعطف بها المأمون ، وقد أحسن الشاعر ترجمة شعورها فرضى المأمون عنها وأكرمها، وسأل عن صاحب الأبيات وكافأه بمثل ما كافأته به زبيدة

وإنا لنراه لزاما علينا وقد تعرضنا لما كان لزبيدة من أثر فى حياة شاعرنا نتيجة لغيرتها أن نذكر أمثلة لما كانت تثيره فى نفسها من تلك الغيرة المريرة من عواطف وتدفعه إليها من أعمال . من تلك الأمثلة ما كان منها حين أحست تملق الرشيد بجارية تدعى دنانير . وقد كانت دنانير هذه مملوكة ليحيى بن خالد البرمكى ، وقد بلغ من افتتان الرشيد بها أن كان يزورها فى بيت سيدها من وقت لآخر، وأهداها إلى جانب ذلك عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار . نسيت زبيدة كبرياءها وراحت تشكو الخليفة إلى أعمامه، وقد كان رده عليهم حين خاطبوه فى شأن دنانير أنه إنما يعنيه منها غناؤها فقط ولا يهتم بشئ وراء ذلك . ولم تجد زبيدة بدا من التظاهر بالرضا بذلك الوضع، بل ذهبت فى مجاملتها إلى أبعد الحدود فأهدت للرشيد عشر جوار اعتذارا عما أبدته من غيرة لا مبرر لها . هكذا يروى المؤرخون ، ونحن لا نستبعد أن تكون زبيدة إنما أهدت إليه هؤلاء الجوارى لتشغله عن دنانير التى أشعلت فى نفسها أحر نيران الغيرة

ويقع الرشيد فى حبال جارية أخرى فتهرع زبيدة لا إلى أعمام الخليفة كما فعلت من قبل ، بل إلى أخته علية التى أقسمت لزبيدة لتجتذبن الخليفة إليها ثانية . وذات ليلة بينما كان الخليفة جالسا بفناء قصره أقبلت علية وزبيدة كل على رأس صف من جواريها وقد لبسن أفخر ثيابهن وأخذن يغنين :

منفصل عنى وما قلبى عنه منفصل
يا قاطعى اليوم لمن نويت بعدى أن تصل

والحق أن المرء لا يكاد يتصور ذلك المنظر حتى يشعر بالرثاء لتلك الملكة التي دفعتها غيرتها الشديدة إلى مثل ذلك الموقف الذي لا تحمد عليه . ومع أن قصص زبيدة كثيرة إلا أننا نختتمها بالقصة التالية لما فيها من طرافة . وخلاصتها أن الرشيد هام يوما بجارية تسمى عنان ، وكانت عنان هذه شاعرة من الطبقة الأولى ، وكان الرشيد يعتذر من تعلقه بها كلما خوطب في شأنها بأنه إنما يحبها لشاعريتها . وأوحت زبيدة إلى الأصمعي أن يحتال في تنفير الخليفة من عنان بوسيلة ما.. ووعدته على ذلك أجرا عظيما . وما زال الأصمعي يترقب فرصة للوثوب على فريسته حتى قال الخليفة يوما وقد ذكرت عنان في مجلسه : علم الله أنني لا أهتم بهـا إلا لشاعريتها .. فقال الأصمعي : هلا أحب أمير المؤمنين الفرزدق إن كان كل ما يعنيه من عنان هو شاعريتها ؟ وهنا ضحك الرشيد وضحك الحاضرون معه وهدأت فورة حبه لعنان ولو إلى حين

ويظهر أن زبيدة قد نفد صبرها ولم يعد لها قدرة على احتمال اللطمات المتوالية التي يكيلها لهـا هارون، فراحت تثأر منه بحيلة بارعة، وقد يكون من الخير أن نذكر تفاصيل تلك الحيلة كما رويها المؤرخون ثم نذكر رأينا الشخصي فيها . روى المؤرخون أن زبيدة كان لها قرد يسمى أبا خلف ، وأنها كانت تعنى به عناية زائدة ، فكانت تقلده سيفا وخصصت له ثلاثين شخصا يقومون على خدمته ويسيرون بين يديه في شبه موكب كلمـا قام بجولة في المدينة . وأصدرت أمرها بأن يؤدى التحية لقردها كل من يدخل عليها ، ولم تكن تقنع ممن يدخل عليها كبيرا كان أوصغيرا بأقل من تقبيل يد أبي خلف . وقد ظل أبو خلف موضع الحفاوة والتقدير حتى دخل يزيد بن مزيد على زبيدة في بعض الشؤون وطلبت إليه أن يقبل يد قردها، فما كان من ذلك القائد الصعب المراس إلا أن استل سيفه وشطر القرد نصفين . وحزنت زبيدة لموت قردها حزنا شديدا وعزاها فيه الناس واستدعى الرشيد يزيد وطلب منه تفسيرا لمـا فعل بأبي خلف فأجاب : ما كنت لأخدم القردة بعد خدمة الملوك يا أمير المؤمنين . وهكذا يبدو أن المؤرخين لا يرون في أمر أبي خلف إلا عبثا بريئا من زبيدة . ونحن لا نشاركهم هذا الرأى، وأول ما لفت نظرنا إلى ما يكمن خلف ذلك العبث الظاهرى من معان هو الشبه بين اسم القرد « أبو خلف » ولقب الرشيد « الخليفة » وتأويل ذلك أن زبيدة وقد ضاقت ذرعا بالرشيد أرادت أن تسخر منه في شخص ذلك القرد الذي أقامته مقام الخليفة بما أحاطته به من مظاهر العظمة من سـيف في وسطه وحرس من حوله.. وما من شك في أنها كانت توجه إلى ذلك القرد من النكات اللاذعة ما يشق عليها أن توجهه إلى الخليفة نفسه . ولعلها أرادت إلى جانب ذلك أن تخبر الرشيد بأنه إذا كان قد وجد عوضا عنها في الجوارى يخلو إليهن ويسعد بلقائهن ، فقـد وجدت هي الأخرى عوضا منه في ذلك القرد الذي يضحكها بما يأتيه من حركات أو يرسله من نظرات، وما من شك في أن الرشيد قد عرف ما تهدف إليه زبيدة واستاء له أشد الاستياء.. فكلف يزيد بن مزيد بقتله . وما كان استجوابه له فيما بعد إلا خدعة أراد بها استرضاء زبيدة

أما وقد فرغنا من الحديث عن علاقة الشاعر بزبيدة والفضل ابن الربيع فواجبنا أن نتحدث عن علاقته بالبرامـكة خصوم الفضل .. وهو ما سـيكون موضوع حديثنا في المقال التالي إن شاء الله تعالى

يتبع دكتور محمد الكفراوى



٢ – إندونيسيا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« ما من قوة فى الأرض – حتى القنبلة الذرية – تستطيع أن تقضى على إرادة شعبنا فى أن يصبح أمة مستقلة »

«ليس فى استطاعتى أن أتصور عالماً نصفه من الأحرار ونصفه الآخر من العبيد »

« إن إندونيسيا قد أخذت على نفسها ميثاقا مقدسا بأن تحارب الاستعمار وتكافحه أينما كان »

«إن إندونيسيا تعلن تأييدها التام لمصر وإيران»

الرئيس سوكارنو

مرديكا :

كلمة إندونيسية معناها الحرية والاستقلال ، فإذا قلنا إندونيسيا مرديكا فإنا نقصد بذلك إندونيسيا الحرة المستقلة . ومرديكا (الاستقلال) هى صيحة الإندونيسيين الوطنية

والإندونيسيون قوم يؤمنون بالحرية ويقدسونها ، وليس فى هذا ريب فما زالت سياط المستعمر وويلات الاستعمار الهولندى ماثلة فى الأذهان

لقد ظلت هولندا جاثمة على صدر إندونيسيا قرونا طوالا ومع هذا لم يضعف إيمان الإندونيسيين بالحرية ، وقد كان انتصار اليابانيين على الروس ١٩٠٥ أول خيط فى ثوب الحرية الأسيوية ضد الاستعمار الأوربى . فقد آمن سكان آسيا بأن حريتهم يمكن أن تتحقق ولابد يوما أن يصلوا إليها . ولم يأت منتصف القرن العشرين حتى تحقق استقلال كثير من الشعوب الأسيوية : الباكستان إندونيسيا الهندستان برما وغيرها

وكما زلزل انتصار اليابان ١٩٠٥ أقدام الاستعمار الأوربى لآسيا .. زلزل انتصارهم واحتلالهم لإندونيسيا ١٩٤٢ أقدام الاستعمار الهولندى . فقد طرد اليابانيون الهولنديين واحتلوا الأرخبيل الإندونيسى . ولم يرض الإندونيسيون بهذا فإنهم كانوا ينشدون الحرية ولا يريدون إبدال استعمار باستعمار ، ومن ثم أخذوا يعدون أنفسهم للجهاد المقبل . وقد ساعد اليابانيون على تدريب الإندونيسيين مما أكسبهم قوة عظيمة

وفى ١٩٤٥ سقطت القنابل الذرية على المدن اليابانية فكانت إيذانا بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، وباستقلال إندونيسيا . ذلك أنه ما أن سلمت اليابان حتى أعلن الإندونيسيون استقلالهم فى ١٧ أغسطس ١٩٤٥ . وقد حاولت هولندا العودة إلى احتلال إندونيسيا ولكن الإندونيسيين قابلوا القوة بمثلها واضطرت هولندا إلى الاعتراف باستقلال إندونيسيا فى ٢٧ ديسمبر ١٩٤٩

وقد أعلن الدكتور سوكارنو فى يوليه ١٩٤٥ المبادئ الخمسة (البانتشا سيلا) التى قامت عليها الجمهورية الإندونيسية وهى: الإيمان بالله والمودة للانسان والاعتزاز بالقومية والاعتراف بسيادة الأمة وتحقيق العدالة الاجتماعية

ووصف هذه المبادئ بأنها « أساس نفسانى لإندونيسيا الحرة ، فلسفة ذات تفكير عميق وروح ورغبات تامة يقوم عليها بناء إندونيسيا الحرة ثابتا مستقرا إلى الأبد . »

وقد زاد الرئيس سوكارنو هذه المبادئ إيضاحا وتفسيرا فقال : إننا قوم نؤمن بالقومية ويقصد بالقومية إقامة دولة إندونيسية تضم جميع الإندونيسيين تحت لوائها ويشعر جميع أبنائها بحاجتهم إلى أن يكونوا يدا واحدة وأمة متحدة le désire d' être ensmble ولا يمكن الفصل بين الإنسان والمكان ، فوجود المكان شرط لقيام الدولة . والله قد خلق العالم وأقام فيه الوحدات الطبيعية : فجزائر إندونيسيا التى تتكون من جاوة وسومطرة وبورنيو وسيبس وغيرها تقف حاجزا بين المحيطين الهادى والهندى وعليها تتحطم أمواجهما . هذه الجزائر تكون وحدة طبيعية ويسكنها ٧٥ مليونا من البشر فلم لا تكون دولة حرة مستقلة !

وإندونيسيا لا تريد أن تكون دولة حرة فحسب ، وإنما تريد أن تكون دولة حرة فى عالم حر . لقد ذاقت إندونيسيا ويلات الاستعمار فلتكن سياستها الجديدة مقاومة الاستعمار والوقوف فى جانب الحرية

من أجل هذا وقفت إندونيسيا بجانب مصر وإيران فى

إبان صراعهما الأخير ضد الاستعمار البريطاني ، وقد كانت إندونيسيا من أسبق الدول إلى الاعتراف بجلالة الملك فاروق ملكا لمصر والسودان وهو لقب جلالته الذي أقره البرلمان المصري بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ في أكتوبر الماضي

ولم تكن مصر أقل حبا لإندونيسيا ، فقد كانت مصر من أسبق الدول إلى الاعتراف بالجمهورية الإندونيسية الوطنية الحرة، وليس هذا بكثير بل إنا نطمع فيما هو أكثر في المستقبل القريب إن شاء الله . إننا نريد إقامة وحدة إسلامية حرة تعيش في عالم حر

والمبدأ الثالث الذي تدين به إندونيسيا هو الديمقراطية بمعنى أن يكون الكل للكل والواحد للكل والكل للواحد : All for All . One for All . All for One وبمعنى آخر أن تقوم حكومة إندونيسية يتمتع جميع رعاياها من مسلمين ومسيحيين وبوذيين بكافة الحقوق والواجبات، ولينعموا بالسعادة والطمأنينة والرفاهية والرخاء

وأما المبدأ الرابع فهو إقامة دولة تنهض بإندونيسيا وتجعل منها شعبا قويا يتمتع جميع أفراده بالحياة الهانئة مما يحقق العدالة الاجتماعية

وأما المبدأ الخامس والأخير فهو أن تقوم في إندونيسيا حكومة تكفل للجميع حرية العبادة ، تكفلها للمسلم والمسيحي وللبوذي على السواء

ويختتم الرئيس بيانه قائلا : إن الحرية والاستقلال لا يمكن أن ينالهما شعب إلا إذا اشتملت روحه بالعزم على الحصول عليهما أو الفناء في سبيلهما »

نظامها الحكومي :

إندونيسيا جمهورية وقد نص دستورها على أن السيادة فيها يجب أن تكون للشعب الذي سيباشر تلك السيادة بواسطة المؤتمر الشعبي الذي يتكون من أعضاء المجلس النيابي ومن مندوبي المناطق والطوائف

والرئيس يتولى السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وهو القائد الأعلى للجيش والبحرية والطيران . وله وكيل أو نائب وكلاهما يختار بالانتخاب ومدة ولاية كل منهما خمس سنوات

وقبيل مباشرة الرئيس لسلطاته يقسم اليمين التالي أمام المؤتمر الشعبي أو المجلس النيابي :

« إنني أحلف أنني سأقوم بواجبي كرئيس للجمهورية الإندونيسية بأمانة وإخلاص لصيانة الدستور وتنفيذ القوانين وتكريس نفسي لخدمة الدولة والشعب »

وللرئيس حق إعلان الحرب وعقد الصلح وإبرام المعاهدات بموافقة المجلس النيابي ، وهو الذي يعلن الأحكام العرفية ويعين السفراء والوزراء المفوضين والقناصل

والسلطة التنفيذية في يد الوزراء الذين يعينهم ويقيلهم رئيس الجمهورية وهم مسئولون عن وزاراتهم أمام الهيئات النيابية

وتنقسم إندونيسيا إلى وحدات إدارية تحتفظ كل منها باستقلالها الذاتي إلى حد كبير

وقد نصت المادة الرابعة والعشرون على أن السلطة القضائية يجب أن تكون في يد المحكمة العليا والمحاكم التابعة لها

ونصت المادة السابعة والعشرون على أن المواطنين يجب أن يكونوا كلهم في منزلة واحدة أمام القانون ويجب أن يكون لهم حق في العمل وفي توقع المستوى المعقول للمعيشة

ونصت المادة التاسعة والعشرون على أن الدولة تؤسس على الإيمان بالله رب العالمين وعلى أن الدولة تضمن حرية الشعب في إظهار الدين الذي يؤمن به وفي العمل به

وكذلك كفل الدستور لكل مواطن أن ينال حظه من التعليم ونص على أن تمد الدولة المعاهد اللازمة لذلك

وكذلك قرر الدستور أن الدولة يجب أن تعنى بالرخاء الاجتماعي وبالفقراء والأطفال المشردين

هذا عن دستور إندونيسيا . أما عن مؤسساتها الدينية والسياسية فأهمها : ١ : مجلس شورى مسلمي إندونيسيا ٢ : حزب دار الإسلام ٣ : شركة إسلام ٤ : الجمعية المحمدية ولها فرع نسائي يسمى الجمعية العائشية . ٥ : جمعية نهضة العلماء ٦ : الاتحاد الإسلامي

أثر المدرسة المصرية فى الثقافة

للأستاذ ثروت أباظة

« تتمة »

وهكذا يدخل المدرس إلى الفصل وقد كتب عناوين درسه باللون الأحمر والتاريخ باللون الأزرق . ثم هو يلقى ما تقرر عليه أن يلقيه ، ثم هو يسأل فيثور ويغضب أو يسر فيمدح لايهمه فهم التلاميذ الدرس أو لم يفهموه .. فلقد أدى ما أرادت وزارة المعارف أن يكون واجبه ، أما الفهم وعدمه فلا شأن له ، فإنما يختص بهذا — فى رأيه — عقلية التلميذ فيطمئن نفسه أن الذكى منهم سيفهم والغبى لن يستطيع أن يفهم وإن رزق صبر أيوب

وواضح أن هذا الرأى إنما هو مخادعة للنفس ، فقد استقرت معظم الآراء على أن الغباء المطلق غير موجود أو يكاد ينعدم ، فلو فهم الأستاذ هذا لحاول أن يتعرف الناحية الذكية فى تلميذه فيعالجها ، ولكن هذا مرة أخرى سيعود به إلى ضميره ليحاول أن يرضيه، ومرة أخرى سيغاضبه المفتش والناظر فيغاضب عيشه وحياته

والطامة الكبرى أن يشعر المدرس أن المادة التى يدرسها لا تتلاءم وميول بعض التلاميذ ، ولا شك أنه فى هذه الحالة سيدير بذهنه أن الأمر إذا استقر على عدم ميل التلاميذ إلى مادته ونفورهم منها قد يكون مجلبة للشر موجها إليه ، فإن الإدارة لاتفهم معنى ملاءمة أوعدمها بالنسبة للتلاميذ . وإنما تفهم أن مدرسا ما قد أحسن · فأنجح تلاميذه أو أن آخر قد أساء فأسقط ، وإنما تبعا لأوامر وزارة المعارف نعذره إذا غضب من هؤلاء التلاميذ . وتجلى غضبه فى الثورة بهم والإساءة إليهم حتى لا يضطر التلاميذ الذين لا يميلون إلى هذه المواد إلى حفظها فهموها أولم يفهموها . فإنما أمنياتهم لا تمتد إلى أكثر من رضاء المدرس عليهم . وإذا شاء سوء حظ تلميذ ما ألا يحفظ إلا ما يفهم . فمصيره لا شك أن يعير بفشله من إخوانه البيناوات وأستاذه الثائر . فتنمو العقدة فى نفسه . ويعتقد أنه شخص فاشل فى الحياة وإن لم يتداركه الله برحمته . فمصيره الفشل فى كل أمر يتولاه . ولو قد فهم الأستاذ كيف يعامل هذه العجينة اللدنة فى يده ، وكيف يشكلها صحيحة مبرأة من العقد . ولو عرف الأستاذ كيف تتطمس ميول تلميذه حتى يعرفها . ثم يوجهها إلى الطريق القويم . لو عرف الأستاذ لانبثق لنا جيل مقبل على عمله حتى وإن كان فاشلا فى الدراسة . فما الدراسة بدليل النجاح فى الحياة ، وإنما هى فرع من فروع هذا النجاح، وليس حتما أن يفشل فى الحياة كل كاره لناحية من نواحى هذه الحياة . وأن المستقرئ لحيوات العظماء فى الشرق والغرب يدرك كم نبغ فى الفنون والعلم أناس فشلوا فى المدرسة · ومن الناحية الأخرى ليس حتما أن ينجح فى الحياة كل ناجح فى المدرسة ، وهذا قول ما أظننى فى حاجة إلى التدليل عليه . فالشواهد أكثر من أن تعد . رحم الله شوقى الخالد حين يقول

وكم منجب فى تلقى الدروس   تلقى الحياة فلم ينجب

لاشك أن فى أخذ التلاميذ بهذه الشدة فى التدريس كبتاً لأرواحهم الحرة المرحة . فهم لا يشبعون رغباتهم من ناحية الميل الثقافى وهم لا ينطلقون إلى اللعب إلا وعلى أكتافهم واجبات من المدرسة ، وفى آذانهم توجيه آبائهم ، وسخرية أساتذتهم ..

وهذه الهيئات الإسلامية كانت تعمل على تحرير إندونيسيا فلما استقلت إندونيسيا أخذت تعمل على الاحتفاظ بهذا الاستقلال وصيانته وإعزاز كلمة الدين الاسلامى

وأهم الأحزاب بعد ذلك الحزب الوطنى الاندونيسى وكان ينتمى إليه الرئيس سوكارنو قبل تولى رئاسة الجمهورية

أبو الفتوح عطيفة

والضحك غريزة لابد يتنفس عنها المرء . وما دامت الحياة المدرسية لا تفسح له المتنفس مبرأ من الشوائب . فهم معذورون إذا شاكسوا الأستاذ في أثناء الدرس وعذرهم لا يبرر عملهم . إذ أنه أمر لا يجب السكوت عليه، لأنه يعودهم ألا يأخذوا من الحياة ناحية جدية، ولكن الطريقة التي يعاقبون بها تزيدهم إصراراً على الضلال ، وما كان الضرب أو الطرد بوسيلة ناجحة في يوم من الأيام لأنهما إذا أصلحت المظاهر ؛ فهي لم تصل مطلقا إلى الجوهر ، وإن وصلت فبعقدة نفسية أخرى من الخوف فتزداد المشاكل ، وتصبح نفسية الطالب أشبه شئ بشبكة الصياد لا تحل إلا إذا قطعت

قد يظن البعض أنه وإن كانت المدرسة ملومة في هذا فالبيت ملوم معها ؛ لأن أكثر الآباء يبنون معاملتهم لأولادهم على الشهادات التي تصل إليهم من مدارسهم . والشهادات كما بينت لا تدل على حقيقة عقلية التلميذ ؛ وإنما هي في الأغلب تدل على أن هذا التلميذ يجيد الحفظ ، وهذا الآخر لا يجيده . والأب إزاء ما يرى في شهادة ابنه لا يهتم مطلقا بمعرفة العلوم التي يميل إليها ولده . وتلك الأخرى التي لا يميل إليها فيعالج الأمر بما تقتضيه الأبوة الرحيمة وقواعد التربية الحديثة . بل هو يسارع فيسب ابنه إن لم يضربه ؛ وإن غلا في العطف عليه أحضر له مدرسا خصوصيا يأتي إليه التلميذ بجهوله راجيا منه أن يزيله . قد يظن البعض أن الآباء في هذا ملومون ؛ ولكنني أعتقد أن لهم فيما يفعلون عذرا . فإنما أملهم أن يتسلح أولادهم بالشهادة يجابهون بها الزمان . فإن أحضروا المدرسين يقومون بهم ضعف أولادهم، وإن حاربوا سقوطهم بكل الوسائل التي تصل إليها أيديهم فإنما هم آباء يزهيهم أن يقال عن أبنائهم أنهم نالوا الشهادة، ولا يهمهم من بعد تثقف هؤلاء الأبناء أم لم يتثقفوا ، ولا بد لنا أيضا أن نضع عقلية الآباء موضع تقدير ؛ فإن الكثيرين منهم لم يتعلموا ، فإن كنا نعذر المتعلمين منهم إذا هم أخذوا أبناءهم بالشدة دون النظر إلى ميولهم ، فإنه من باب أولى حتم علينا ألا نأخذ على غير المتعلمين معاملتهم لأبنائهم

بين أوامر وزارة المعارف وبين تنفيذ المدرسين لها ، وبين شدة الآباء أو جهلهم لا يمكن للطلاب أن ينالوا ثقافة من المدارس الابتدائية والثانوية. واعتقادي أن الميل إلى التثقيف إذا لم يتكون في هاتين المرحلتين فالأمل في تكوينه بعد ضعيف. ونظرية الضغط الذي يولد الانفجار قديمة معروفة، ولا شك أنكم قد لمستم مقدار الضغط في حيـــاة التلاميذ في المدارس الأبتدائية والثانوية ، حيث يصبحون كالآلات تتحرك إذا حركت تبعا لتلك الإرادات الثلاث من وزارة المعارف والمدرس والأب . وهي تيارات متعارضة . فوزارة المعارف تريد أوامرها أن تنفذ ؛ والمدرس يريد أن ينتهي من المقرر أيا يكون ذلك الانتهاء ؛ والوالد يريد لابنه أن ينجح أيا كان ذلك النجاح . وهكذا تتعارض الإرادات في اتجاهات لها شتى ؛ ولكنها جميعا تلتئم على ألا ينال التلميذ ثقافة حقيقية وتتضافر على كبت ميوله الثقافية . وينعقد إجـــماعها على ألا يصيب التلميذ قسطا من الاسترواح النفسي؛ بل هو دائما بين عقاب وتوبيخ وسوء معاملة، وهو كالآلة أمام هـذه الإرادات ، تسيرها كل إرادة على حسب هواها ، فيزيد الضغط .. فما ينفلت التلميذ من التوجيهية إلى الجامعة حتى يحدث الانفجار .. انفجار ضخم .. فينتقم من التلميذ من سنوات في حياته عكرة مظلمة .. أنه في الجامعة ولا رقابة ، وخاصة إذا كان في إحدى الكليات النظرية ،فإنه هناك لا يرتبط بالجامعة في شئ إلا في اسمه يقيد بهـا . ثم في تلك المنضدة يجلس إليها في أوائل الصيف من كل عام حيث يؤدي امتحانه . والصلة بينه وبين أستاذه بعد ذلك مفقودة كالعدم ، فإننا اليوم نلاقي أساتذتنا فنعرفهم ولا يعرفوننا . وهم معذورون ونحن معذورون . والنظام هو المسئول ؛ إذ يستحيل على الأستاذ بالكلية أن يتعرف هذا العدد الهائل الذي يحشد له في المدرج ، فقد بلغ عدد الطلاب الذين التحقوا بكليات الحقوق في سنة ما ألف طالب . فإذا أعطى الأستاذ لكل طالب دقيقة في اليوم أو دقيقة في الأسبوع فإنه يستحيل عليه أن يتعرفهم جميعا . فإذا كان التعرف يستحيل فكيف يتمكن الطالب من الاتصال بأستاذه صلة تقرب له مناهل التثقيف . والتعمق في المواد

الحال فى الكلية إذن أن الطالب على نفسه رقيب ، فالأب لا يعرف عن ابنه شيئا ، والأستاذ لا يعرف عن تلميذه شيئا . والطالب لم يتعود الميل إلى الثقافة حتى يحاول أن يثقف نفسه . والمواد التى تدرس له يحفظها فصصا رغم أنفه فى الشهرين الأخيرين من العام لينجح فقط . وإذا لم يتسع له الوقت فحسبه أن يذاكر نصف المواد ، ويترك النصف الآخر إلى الدور الثانى ، وإن ازداد الوقت ضيقا فليذاكر الأجزاء المهمة من مواد الدور الأول ، ويعتمد على الحظ من بعد الله ، وهكذا لا يتاح للطالب الجامعى أن يدرس حتى المواد المقررة عليه جميعا ، فهو قد أضاع العام فى الانتقام من الأعوام الماضية ويكاد يكون من المقطوع به أن الطالب الجامعى حتى إذا درس هذه المواد فإنها لا تكفيه حتى يقال عنه مثقف

إنى آسف كل الأسف إذ أقرر أن الشهادة لا تعنى مطلقا أن حاملها قد تثقف ، بل أعتقد أن الشهادة قد تقف بالمرء عن التثقيف ، لأن أغلب حامليها يصيبهم الغرور فيعتقد المتخرج منهم أنه أصاب مالم يصب الأولون والآخرون ، فإن سعى إليه الحظ بوظيفة ما مهما كانت بعيدة عن المؤهلات العلمية اكتفى وحمد الله ، وقبل راحتيه من ظهر لبطن، ثم نسى ما تعلم فيضيع منه ما كان يجوز أن يصبح أساسا لثقافة معينة إن هو حاولها

أجدنى مضطرا لأن أعقد شبه مقارنة بين هذه الحال وبين الحال فى الغرب حيث يهتم المربون هناك بالشخصية الأدبية منذ بدء تكوينها ، فيرسون الأسس السليمة والطفل مازال فى الرياض ، ولعلكم تدرون أن أساتذة رياض الأطفال هناك هم أعظم الأساتذة تثقيفا ، وأخبرهم بالنفس وتكوينها ، فهم الذين يخلقون العجينة الأولى ويهيئونها لتتداولها بعد ذلك أيدى صناع تتعرف عقليات الطلبة وتتمشى معها ، فيجد الطالب نفسه محاطا بجو اجتماعى صالح لتكوين سليم فى كل مراحل تعليمه ، ومن حوله الأساتذة يهدفون دائما إلى أن يقيموا رجالا قد اكتملت شخصياتهم ، بعيدة عن العقد النفسية ، وإذا كان علماء النفس قد أقاموا تقسيمات ثلاثة من المعرفة والوجدان والنزوع ، فإنهم فى الغرب يولون هذه الأقسام جميعا عنايتهم دون أن تطغى واحدة منها على الأخرى ، فى حين نعنى نحن بالمعرفة فحسب ، فلا نتمكن حتى من نوالها ، وإنك لتجد التعليم هنا يرهب أمم الغرائز ولا يجرؤ على ذكرها ، بينما تجدهم فى الغرب يعترفون بها ثم يولون السيء منها ، ويهذبون ويتناولون النزعات المختلفة فيوجهونها التوجيه الصحيح ، بل إن بعض المدارس تعتبرها نقطة البدء فى تكوين الشخصية ، والأساتذة فى كل الأدوار يشركون طلابهم فى تثقيف أنفسهم ، فلا يجعلونهم آلات استقبال فحسب ، بل يقدرون معهم حتى يعرفوا ميولهم فيذكونها، ولا يمكن أن يصل الأستاذ إلى هذه المعرفة أو يعتقد أن هذا الجالس أمامه آدمى له عقل يفهم وينتج ، وليس آلة تسجيل تلتقط لتحفظ

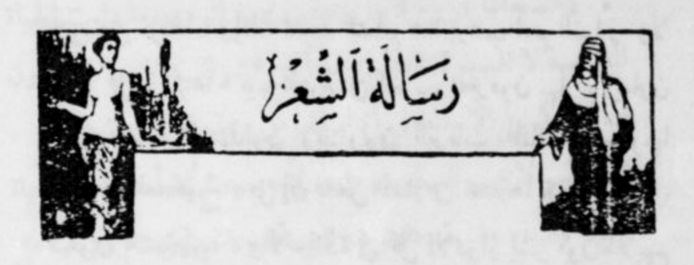
إنهم فى الغرب يهتمون بالشخص ليخلقوا منه مثقفا فيخلقونه، ونهتم نحن بالمواد لنخلق منها أشخاصا فنفشل

جرت العادة عند كل مقارنة بيننا وبين الغرب أن ننسب أنفسنا لنمدحهم وكم كنت أتوق لغير هذا ، ولكننى أعتقد كما سبق أن قلت . . . أن أولى درجات الثقافة أن يعرف المرء بجهله حتى يسعى إلى العلم ، فلابد لنا أن نعرف مكاننا حتى نسعى إلى ما هو أرفع منه ، ونحمد الله ، فقد علم القائمون بالأمر أين نحن ومدارسنا من الثقافة الحقيقية ، فقاموا يحاولون أن يقربوا بين الناحيتين المتنافرتين

فتألفت لجان تنعقد فى هذه الأيام لتنظر فى المقررات والمناهج وطرق التدريس؛ وتحاول أن تزيل عنها الأتربة المتكاثفة وتجعلها مواتية للتربية الحديثة ، ومن بين هذه اللجان تألفت أخريات لوضع الكتب التى تتمشى مع النظم الجديدة المقترحة، وإلى جانب هذا أنشئت المدارس النموذجية محاولة للتحرر من قيود التقاليد العتيقة، فأصبح التعليم فيها يهدف إلى أن تطبق التلاميذ ما تعلموه، وفى بعض العلوم الأخرى نجدهم يقدمون التطبيق على القاعدة العامة

وهكذا راحت هذه الأجنحة من التجديد تريش متحفزة للتحليق ، والنية إن صدقت والعزم إن مضى سامقان بالتعليم المهيض إلى سماوات الثقافة الحقة فتصبح مع هذا الغرب العنيد فى سماء واحدة ، وإن أملنا إلى السماء أقرب عاض لنا عبقرى وأمل لنا مرتقب ، والله من فوقنا هو الهادى وهو المولى ونعم النصير ..»

ثروت أباظة



رحلة

للأستاذ أحمد محمود عرفة

ما للنسيم ترق لمسته فكأنه متودد غزل
أو طفلة عشقتك نظرتها فثنى إليك فؤادها الجذل
أو بعض أطياف النعيم أتت ممشوقة همت بها القبل
أردانها عطر ، وأخيلة وتوهج ، كالنار تشتعل

* * *

هذا الصباح منى محلقة أم غادة يجثو لها الأمل
أو دفقة الإبريق فى ظمأ عات عليه بعذب العلل
ناداك مبتهجاً فقمت له والبشر فى عينيك مكتمل
والروح أصفى فى تألقها من ماسة ضحكت لها المقل

* * *

ما زلت تمشى فوق أخيلة وندى الصباح عليه ينتقل
والكون كالمحراب أعينه مسدولة الأهداب تبتهل
والطير تسبيح على فنن أو رحلة بالأفق تحتمل
حتى شرقت من الجمال كما بالماء غص الشارب الثمل

* * *

ورجعت تضرب فى الضحى أسفاً والناس حولك ضجة جلل
والدرب أشواك تمد إلى قدميك أنيابا هى الخبل
والنفس فى أكفان وحشتها ثكلى تذبح أنينها الثكل
والبيت قبر فاغر فمه والقبر بيت أهله رحلوا

أحمد محمود عرفة

أطياف!

للأستاذ عبد المنعم عواد يوسف

لئن كنت قد غبت عن ناظرى فما زلت كالحلم فى خاطرى
ترفرف مثل الشعاع الجميل وتبرق مثل السنا الغامر!
ويبعث فى النفس عذب الرجاء وتوحي الفنون إلى الشاعر
فمهما تناءيت عن أعينى ففى القلب ذكرك يا هاجرى

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى فما زلت كالحلم فى خاطرى
أراك تصفق فى أضلعى طروبا كتصفيقة الطائر
سعيدا بما ذقته فى هواك من الحزن واليأس يا آسرى
وآه لقلبي من بائس وآه لقلبك من غادر

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى فما زلت كالحلم فى خاطرى
تفجر فى القلب نبع الأسى فأنساب فى هيئة الحائر!
أحدق فى الأنجم المزهرات وأرنو إلى الكوكب الساهر
فأحظى بطيفك من بينها فأرجع فى نشوة الظافر

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى فما زلت كالحلم فى خاطرى
تجدد فى النفس ذكرى غرام طوته يد الزمن الجائر
وأحلام عهد مضى هاربا بأطياف ذاك الهوى الغائر
ولكن منى الروح هل من لقاء يهدئ من قلبي الثائر

* * *

لئن كنت قد غبت عن ناظرى فما زلت كالحلم فى خاطرى
أحبك تحيا هنا فى دمى مطلا على جرحى الفاغر!
وتنظر ما نالنى من جفاك فتأخذ فى ضحكة الساخر
فيالك من مستبد جحود ويالى من عاشق شاعر!

عبد المنعم عواد يوسف

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل نقتل الفصاحة فينا ؟

أتيت في الأسبوع الماضي بفقرات من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التي ألقاها في حفلة استقباله بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وفيها وصفه الإنتاج الفكري الحديث في مصر بالمرولة ، وهو يعني أن أصحاب هذا الإنتاج لا يتأنون ولا يتمهلون للتمحيص والإجادة ، فهم مسرعون كأنهم مسوقون

ومن تلك الفقرات قوله : « وعلينا أن نقتل الفصاحة فينا فهي شكل محض ، وأن نتجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير »

نريد أولا أن نعرف الفصاحة لنرى هل تستحق القتل ، وننظر في أمر البلاغة كذلك ولماذا نتجاهلها

الفصاحة هي أن يخلو الكلام من عيوب ليكون واضحا بينا عذبا ، ومن هذه العيوب أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان أو مكروهة في السمع أو غريبة وحشية غير مألوفة الاستعمال ، ومنها أن يقع في الكلام تعقيد ، أو تتنافر ألفاظ التركيب ، وقد مثلوا لذلك بأمثلة كثيرة ، منها كلمة « الجرشي » في قول المتنبي :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشي شريف النسب

لأنها مجوجة لا يسترع إليها السمع ، ومنها الشطر الثاني من البيت الآتي :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

لثقل تركيبه على اللسان ، ومنها قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

لتعقيده الناشئ من خلل النظم

أما البلاغة في الكلام فقد عرفوها بأنها مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته

فماذا جنت الفصاحة ليطالب الدكتور كامل حسين بإعدامها . . ؟ هل يريد أن نفقدها لنكتب كلاما متنافرا غريبا معقدا فنقول مثلا « كريم الجرشي » بدلا من « كريم النفس » ؟ وهل يريد أن نتجاهل البلاغة لنؤلف كلاما لا يلائم الأحوال ؟

أنا على يقين من أنه لا يريد ذلك ، وإنما يريد عكسه ، ولكنه « هرول » فمس التشدق والتفاصح والإغراب وتكلف الإتيان بكلام يبهر النـــاس — فصاحة وبلاغة ، ثم « هرول » مرة ثانية فدعا إلى خنق الفصاحة والإعراض عن البلاغة

ولو روى قليلا لتجنب الوقوع فيما عابه ، ولبرئت محاضرته الرائعة من « المرولة » ، ولعلم — ومثله جدير بأن يعلم — أن ما يدعو إليه هو نفسه ما يرمى إلى إحيائه والعمل به

مجلة الأزهر :

هذا أول عدد يصدره من مجلة الأزهر ، الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات بك صاحب « الرسالة » وقد جعل فيه لمجلة الأزهر رسالة أوضحها في مقاله الافتتاحي « عهد جديد » فهي الناطقة بلسان الأزهر ، « وليس الأزهر هذه البنايا ومن يعمرها من أساتذة وطلاب » إنما هو الإسلام ، و « ليس الأزهر إذن جامعا للصلاة كجامع عمرو ، ولا جامعة للعلم كجامعة فؤاد ، وإنما هو فضلا عن التعبد فيه والتعلم به رسالة ودعوة » فالمجلة إذن « تدعو إلى الله بالدعاء البين ، وتجادل عن دينه بالقول اللين ، وترفع صوت الأزهر نديا فوق هذه الأصوات المنكرة التي تتخاطب بالحديد ، وتتجاوب بالوعيد » (١)

وهكذا جعل أستاذنا لمجلة الأزهر رسالة ، فحق لنا أن نطلق عليه « صاحب الرسالتين »

والهدف البارز الذي ترمى إليه المجلة في زيها الجديد الذي خرجت به على الناس في غرة شهر رمضان ، هو جلاء الثقافة الإسلامية وإبراز الفكر الإسلامي بصوره المختلفة من فقه وأدب واجتماع وفلسفة وتاريخ ، يتمثل ذلك في هذه المقالات التي كتبها رجال أستطيع أن أقول إنهم جميعا من الأزهر ، وهم ثلاثة

(١) مابين علامات النص فقرات من مقال الأستاذ الزيات بك

أنواع : أزهريون أقحاح كأصحاب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ محمد محمد المدنى ، وأزهريون نشأوا فى الأزهر ثم فصلوا عنه وأخذوا بألوان أخرى من الثقافة والحياة ، كالدكتور طـه حسين باشـا والأستاذ صـاحب الرسـالتين ، وأزهريون اتصلوا بالثقافـة الأزهرية عن طريق الاطلاع والأخذ عن شيوخه كما قال شوقى يخاطب الأزهر :

ماضرني أن ليس أفقك مطلعى ... وعلى كواكبه تعلمت السرى

ومن هؤلاء الأستاذ العقاد والأستاذ فريد أبو حديد بك

ويحوى العدد إلى جانب مقـالات أولئك الأقطاب أبوابا يقتضيهـا الفن الصحفى مثل « الآداب والعـلوم فى شهر » و « أنباء العالم الإسلامى » و « النشاط الثقافى للأزهر »

وبعد فلى ملاحظات على هذا العدد من مجلة الأزهر ، لا أرى مكانى من أستاذنا مانعا من إبدائها ، وطالما فسح لنـا فى نقد الآخرين . .

١ — ظهر هذا العدد فى غرة شهر رمضان ، وليس به شئ عن شهر رمضـان ، والعالم الآن يسمع من « صوت أمريكا » أحاديث عن الصوم وما يتصل به ، ولا بد أن الأحاديث التى سجلت بالسفارة الأمريكية لخمسة من علماء الأزهر بمناسبة الصيام تلق الآن فى الولايات المتحدة ، فلم يكن ينبغى أن تخلو مجلة الأزهر من شئ فى هذه المناسبة

٢ — تبويب المجلة منوع منسق ، ولـكن الباب الأول « فى الدين والفقه » كنت أفضل أن يكون « فى فقه الدين » . وقد نشرت مقالة الدكتور طه حسين باشا فى باب « اللغة والأدب » وإنمـا هى تاريخ . وما نشر فى باب « طرائف علمية وأدبية » لا يختلف فى شئ عن موضوعات « العلوم والآداب فى شهر » . ويظهر أن بابى « مايقال عن الإسلام » و « النشاط الثقافى للأزهر » كتبهما كاتب واحد ، فهو مولع بالمقدمات وقد بدأ كلا منهما بـ « تمهيـد » مطـول كان أولى منـه بالعناية الموضوعات نفسها

٣ — أهمس لبعض الـكتاب : أن جددوا ولا تكرروا قول ما قلتموه من قبل . والمجلة تجزيكم فلا بأس أن تحملوا أنفسكم على شئ من التعب

مثال من الأدباء المضيعين

« دخل حضرة محمد شوقى أمين أفندى خدمة مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ إنشائه فى سنة ١٩٣٤ بمكافأة شهرية بلغت الآن ثمانية جنيهات ، وهو على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية ، وله من سعة الاطلاع ما يقوم مقام الشهادات العلمية ، وقد استطاع أن يقوم بأعمال فنية كالتحرير فى مؤتمر المجمع ومجلته ولجانه بكفاية وإخلاص وجدارة وامتياز ، ممـا يستوجب إنصافه وتشجيعه وحسن تقديره »

هذه فقرة من مذكرة رفعتها وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء سنة ١٩٤٦ لإنصاف أديب أقرت له بالـكفاية والجدارة والامتياز ، وطلبت لتشجيعه وحسن تقديره منحه الدرجة السابعة بأول « مربوطها » وهو عشرة جنيهات ، ووافق مجلس الوزراء على ذلك

وفى خلال ثمانى السنوات التى تلت ذلك التاريخ إلى الآن منح الدرجة السادسة ثم الخامسة فصار مرتبه خمسة وعشرين جنيهـا

ولم يكن ذلك القرار ومانلاه «استثناء» ، وإنما كان لتسوية حالته وفقا للقواعد المقررة والأسس المالية لمعاملة الموظفين دون نحط أو زيادة ، كما جاء فى مذكرة معالى رئيس المجمع التى وضعها أخيرا طالبا فيها استدراك الخطأ الذى وقع ،

والذى وقع هو أن إدارة المستخدمين بوزارة المعارف رأت أنه ينطبق عليه قانون إلغاء الاستثناءات

الأستاذ شوقى أمين الأديب اللغوى الذى كان يشغل عالم الأدب واللغة من نحو ربع قرن بكتابته فى المجلات والصحف أيام كانت الصحف تعنى بالأدب واللغة ، والذى آثر فى السنوات الأخيرة أن يعمل فى خدمة اللغة والأدب جنديا مجهولا ، وقد استهلـكه مجمع اللغة ثمانية عشر عاما ، والذى هو على جانب كبير من الثقافة الأدبية .. الخ ، ذلك الأديب تضيق الدولة به ، لأنه لا يحمل شهادات عالية ، فتنكبه فى رزقه ورزق أسرته . وتعود به إلى الوراء منذ دخل المجمع موظفا على غير درجة بعشرة جنيهات فى الشهر



باحكومة اليمن وبأمانة الجامعة

يسوءنى علم الله أن أعلن لقراء الرسالة فى شرق العالم العربى وغربه نبأ تلك المأساة التى يعانيها فى مصر سبعون شابا من خيرة شباب اليمن ، ولا أدرى من المسئول عنها ، ولو علمت طريقة أخرى غير طريقة النشر فى الرسالة تضع حدا لهذه المأساة الأليمة لفعلت . ولكنى لا أجد إلا هذه الوسيلة لأستصرخ حكومة اليمن ومفوضيتها فى مصر ، وأمانة الجامعة العربية وسائر من يهمهم أمر العرب والمسلمين ويحمهم فى كل مكان ..

وتتلخص المأساة فى أن للحكومة اليمنية بعثة من الطلاب فى شتى المعاهد المصرية ، يجمعهم بيت فى حلوان أو يجمع معظمهم . وتتولى حكومة اليمن الإنفاق عليهم فى مصر وعددهم حوالى السبعين شابا ، كلهم متعطش إلى العلم لا يضيع الفرصة التى أتاحتها له حكومته فى الأيام الأخيرة

ومع أن هؤلاء الطلاب كانوا يعيشون معيشة التقشف ، لأن مخصصاتهم فى ذاتها ضئيلة . إلا أنهم كانوا صابرين لا يشكون ، قانعين بالفرصة التى تتيح لهم التزود بالعلم ، مهما قاسوا من شظف

ثم حدث — ولا أدرى كيف — أن قطعت عنهم مخصصاتهم فجأة ، وتركوا يواجهون هذا المصير الفجع وهم — على كل حال — غرباء . ولما لم يكن بد أن يأكلوا ، وأن يشربوا ، وأن ينيروا دارهم التى يسكنونها فى حلوان ، فإن الديون قد تراكمت على البعثة . وهى ديون للجزار والبدال وبائع اللبن وبائع الخبز وإدارة التنظيم فى حلوان نظير النور والماء .

وصبر البدال والجزار وبائع اللبن وبائع الخبز شهراً فشهرا ، ثم أخذت تقع حوادث مؤسفة لا تليق بكرامة بعثة ، ولا بكرامة دولة . وصار المار فى الشارع الذى به بيت البعثة — وهو نفس الشارع الذى أسكنه فى حلوان — يسمع مشادات متكررة بين الدائنين والطلاب على قارعة الطريق . يتدخل فيها الخيرون من سكان الحى لفض النزاع ، ورجاء البدال أو القصاب أو بائع اللبن الزبادى « أن يمهل الطلاب بعض الوقت ، حتى ترسل إليهم حكومتهم مخصصاتهم الشهرية . ثم يتوسط أهل الخير عند تنظيم حلوان كى لا يقطع عنهم الماء والنور . . ومتى هذا كله ؟ فى أيام الامتحان التى يجب أن يتفرغ الطلبة فيها للاستذكار !

إنها مأساة فى صورة مهزلة ، تتعرض لها كرامة هؤلاء الشبان الكرام ، الذين تركوا أهلهم ووطنهم فى طلب العلم ، ليعودوا فيكونوا النواة الأولى فى الأداة الحكومية الحديثة المستنيرة فى اليمن . وكل ملم بحالة هذا القطر العربى الشقيق يدرك مدى حاجته لعشرات من أضعاف هؤلاء الطلاب ، كى يدخلوا النور إلى ذلك القطر ، وكى ينقلوه إلى العالم الإنسانى المتحضر

ولقد كان المنتظر أن توالى الحكومة اليمنية إرسال أفواج جدد من الطلاب بعد أفواج إلى البلاد الإسلامية المتحضرة ، كى يتعلموا ثم يساهموا فى إنشاء وطنهم ، ولا أقول فى تقدمه ، فهو أولا فى حاجة إلى الإنشاء !

إن الحكومة اليمنية جديرة بأن تحقق فى هذه المأساة لترى

وفى حملة الشهادات العالية من ليسوا على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية ، ومن ليسوا على شئ من سعة الاطلاع

وفيهم أعفى من تطبيق إلغاء الاستثناءات من عبر « المانش »

أما من أنفق الشباب وسهر الليالى وآذى عينيه وأسقم جسمه فى التحصيل والتثقيف فلا حساب له — فى نظر دولتنا — مع هؤلاء ولا هؤلاء ! ويجب أن تمنع القطرات التى قطرتها الدولة فى فمه وفم عياله فى مدى ثمانية عشر عاما

وهكذا وزن قيم الناس فى هذا البلد

عباس خضر

من هو المسؤول عن إهانة كرامة طلاب البعثة وهم فى غير وطنهم الأصيل . لا بل لترى من هو المسؤول عن إهانة كرامة الحكومة اليمنية ذاتها وسمعتها فى العالم الإسلامى على ألسنة البدالين والقصابين وبائعى الخبز واللبن فى حلوان !

وإلى أن تقوم الحكومة اليمنية بهذا التحقيق ، فإننى أستصرخ أمانة جامعة الدول العربية هنا لتسرع بتقديم الإسعافات الضرورية لحفظ حياة سبعين طالبا مهددين بالجوع والعطش وقطع التيار الكهربائى ، بل مهددين بالإيذاء من الدائنين الذين طال صبرهم فى انتظار مخصصات الطلاب ، وانطلقت ألسنتهم بالسخرية والنكات اللاذعة ، موجهة للطلاب المساكين !

إنها مأساة لا ترضاها دولة فى القرن العشرين

سيد قطب

عتاب الى أدباء السودان

على أثر المقال الذى نشرته فى مجلة « الرسالة » الغراء بعددها ٩٨٢ ، الصادر فى ٢٨ أبريل سنة ١٩٥٢ . والموسوم بـ (نماذج من الشعر السودانى الحديث) ، حمل إلى بريد مصر والسودان طائفة من الرسائل يعبر بعضها عن حسن ظن مرسليها بأدب أخيهم الكاتب وحبه للعروبة فى أنحاء المعمورة كافة ؛ ويحمل البعض منها لونا طريفا من العتاب هو أشبه مايكون بهمسة المحب إلى الحبيب ، أو الصديق إلى الصديق، وها أنا أعرض طرفا منها ثم أعلق عليه حسب ما أرتئيه، على أن أترك المجال لأخواننا أدباء السودان للكلام حوله

يقول لى الصديق الفاضل الأستاذ الشاعر هدى الأمين فى رسالته المؤرخة فى ١١ مايو ، بعد التحية الرقيقة التى أقدم اليه أحسن منها

إنى أوافقك على توجيه اللوم لنا نحن شعراء السودان وأدبائه لا إلى اخواننا فى البلاد العربية الأخرى ، ومرد هذا التقصير لسببين :

أولها ، فقدان الصحف الأدبية التى تصلح لنشر الشعر والأدب فى السودان ، وهذا يعزى إلى عدم توفر المادة الكافية لديها ، وثانيهما خجلنا وانكماشنا على نفوسنا ، وهذا طابع ظاهر فى الخلق السودانى لم تعمل الحضارة الحديثة على إزالته . أما أنت فقد بدأت فى كشف وشاح الخجل من عواطف شعرائنا . وإن يقف فلمك الفياض قبل أن يقدم إلى قلوب أبناء لغة الضاد وعقولهم بعض ما يخفق به القلب السودانى وما يوحى به العقل..

وأنا أقول للأستاذ الأمين — بعد شكره على ما أرسل إلى من شعره ، الذى أرجو أن أكتب عنه بعد أن تجتمع لدى بعض النماذج الأخرى من أخوانه الشعراء — ترى ماهو السبب فى خجل شعراء السودان وعدم تقديم ثمار عقولهم إلى القراء ؟ أليس هو فقدان الثقة بالنفس ؟ فهل بعد هذا الدليل سبب آخر؟ لذلك أرجو أن يكون الأدباء عندكم أكثر جرأة ، ولديهم من الشجاعة ما يكفى إلى فرض أدبهم على القراء مادام هناك صحف دائمة تحمل كل ما هو جدير بالإعجاب والخلود . ثم يا صديق ما السر فى هذا التشاؤم الذى يسيطر على كل بيت من أبيات شعرك ؟ أليس هذا من عدم الثقة بالنفس ؟ إن الرجل يا صديق لا ينظر إلى الحياة بمنظار أسود إلا بعد اليأس الشديد ، فهل سمعت قبل الآن بشاعر يطلب الموت سواك

فى القبر ملتجأ لمن قضى الحياة كميت
فلم التعلق بالحيا ة وغايتى هى غايتى

لماذا كل هذا اليأس ياصاحبى ، وأنت لاتزال طرى العود ، ندى الإهاب ؟ أرجو ألا أسمع منك بعد اليوم إلا كل لحن ينبض بالأمل والحب والشباب ..

ويكتب إلى الأديب الزبير على ، فى رسالته المؤرخة فى ٨ مايو ٥٢ فيقول :

«ليست لدينا صحيفة أدبية بالمعنى الصحيح. لأن أكثرها لا يعنى بالآداب ، ولا هم لها إلا تسويد صفحاتها كل صباح بالمهاترات السخيفة »

أنا معك يا صديق فى هذه الناحية.. وهذا الأمر هو السبب أيضاً فى عدم اطلاع أدباء العربية على الأدب العراقى عدا ماينشره بعض النابهين منا على صفحات مجلات مصر .. وأنا أرجو مخلصا من إخواننا السودانيين أن يفهموا أن الأدب فوق السياسة وأبقى من كل ما يسودون به من صفحات ، مصيرها

الفناء، فهل ترى يدرك أصحاب الصحف هذه الغاية ؟

ويكتب إلى الأستاذ الشاعر جعفر عثمان موسى فيقول

« .. فكرت جدياً بعد كتابتك عنى وإلحاح الأصدقاء فى نشر شعرى .. » وأنا أحب أن أهمس فى أذنه مشجعاً على النشر لأن إذاعة ثمار القرائح على الناس .. أثمن هدية يقدمها الفنان إلى بلده ...

ويقول لى الأستاذ عبد الهادى مراد محمد فى رسالته المؤرخة ١٥ مايو سنة ١٩٥٢ » .. وقد كتب لك من السودان — على ما أعتقد — جماعة أبانوا لك هل فى السودان أدب بالمعنى الصحيح ، بل لعلهم كانوا أصرح من ذلك فكشفوا لك العوامل التى حالت دون انتشار أدبنا ... »

أما أنا فأجيبه بأنى عاتب على أدبائكم وعلى الصحافة السودانية أيضاً . وسبب ذلك هو عدم الكتابة إلى عما طلبت.. كما أنى لست أدرى ما السر فى تهجم صحفكم الزاهرة علينا ، وها أنا أنقل إلى قراء « الرسالة » ما نشرته صحيفة « النيل » فى عددها الصادر يوم « ١٥ مارس ١٩٥١ » تعليقاً على النداء الذى نشره عن لسانى الصديق الشاعر الأستاذ جعفر حامد البشير قال

« ... يجد القارئ فى هذه الصحيفة دعوة كريمة وجهها الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى شاعر الشباب العراق بواسطة صديقه الأستاذ جعفر حامد البشير الأديب المعروف لدى قراء « النيل » ، والتى يدعو فيها أدباءنا وشعراءنا السودانيين بمواتاته بمنتجاتهم فى الأدب لإذاعتها ونشرها ..

هذا ما جاء فى كلمة صديقنا الأستاذ البشير ، ومن قبل ذلك وبسنوات طلب الأستاذ الدكتور زكى مبارك من أدبائنا أن يوافوه بمنتجاتهم الأدبية ليقدمها للعالم العربى . والذى يهمنى فى هذه المسألة هو لماذا يفكر إخواننا فى البلاد العربية هذا التفكير العجيب ، فالسودان قطر تسوده اليقظة ، وله من أدبائه وشعرائه مالا يقل عن أى بلاد أخرى . ولهم مؤلفاتهم وكتبهم الخاصة ، وفى إمكان إخواننا فى البلاد العربية أن يسعوا لاقتناء هذه الكتب والمؤلفات، ومنها مايمكنهم أن يكونوا فكرة عن الأدب والأدباء السودانيين

.. إن السعى الحثيث الذى يتكبده أبناء السودان فى الحصول على المعلومات الأدبية والسياسية والاقتصادية من البلاد الأخرى لايقابله أى مجهود من جانب الأدباء فى البلاد العربية . وإنى لأرجو أن يقرأ أبناء البلاد العربية صحافتنا ويعمشوا إلينا بنتائج أفكارهم ويفسحوا لنا المجال فى صحافتهم .. الخ .. »

هذا بعض ما كتبته صحيفة « النيل » الزاهرة .. والذى أود أن أعرضه لأخواننا فى السودان، هو إن الباطل إذا قلب حقاً فى عرفهم فانه باطل فى عرف النقد والميزان الأدبى ، لأننا لانعرف قطراً من الاقطار العربية يهتم بتكوين رأى ناضج عن مدى تطور النهضات الفكرية والاجتماعية فى البلاد الأخرى غير العراق .. والعراق بغير تبجح أكثر الأقطار العربية الأخرى استهلاكا للكتب .. أما عن تكاسلنا فى اقتناء مؤلفات أدباء السودان فأقول أين هى ؟ إننى أفتش يومياً فى مكاتب بغداد فلا أجد ذكراً لكتاب سودانى ، ترى ما هو السر ؟ أما من صحافة السودان فكيف تستطيع الحصول عليها إذا كانت لا ترد العراق؟ إذا كان أصحاب الصحف أشحاء حتى فى إرسالها إلينا ! أما عن التعريف بالأدب السودانى فالجواب أتركه لأخوانى أدباء السودان ، ألم أعمل جاهداً فى سبيل هذه المعرفة بواسطة ما أنشره عنهم فى صحف العراق وغيرها من صحف البلاد العربية ؟ ألم أسع فى نشر آثارهم على القراء ؟ أبعد كل هذا الجهد والعمل الذى لا أرجو منه سوى التقارب بين البلاد العربية أهاجم وأطعن فى الصميم ؟ ماذا تريد منا صحيفة « النيل » بعد هذا ؟ أتريد أن تسلب منا حتى شعور الوحدة ؟ لقد حاربنا بعض الساسة والرجعيين والأدباء فى العراق لجرأتنا وقولنا الحق وتفضيلنا شوقى على الرصافى ومناداتنا بزعامة مصر وإعجابنا بنهضة مصر الأدبية حتى كدنا أن نحطم القلم ونهجر قول الشعر لنترك للغربان النعيب ، فهل تريد أسرة تحرير « النيل » أن تحذو حذو الجهلة فى العراق ؟ هذا ما أتركه لأبناء السودان ، لأننا نعرف جيداً أن من واجبنا تأدية الرسالة التى نضطلع بها ، ولو ذقنا من أجلها الدمار . أما الشهرة الجوفاء والصيت الفارغ فنحن نتركه للمغرورين وحسبنا قوله عز وجل

« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .. » والسلام على من اتبع الهدى

بغداد — عبد القادر رشيد الناصرى

بلاء!

لك أن تضحك بملء فيك، ولك أن تبكي حتى تستغرق في البكاء ولماذا لا يجوز لك أن تضحك وتبكي في آن واحد وأنت في مصر:

قبيل شهر رمضان المبـــارك ملأت شوارع القاهرة والإسكندرية إعلانات ضخمة تهلل وتكبر لقدوم رمضـان لا أظن أن يدا واحدة سلمت من أن تنال منها، ولا عينا واحدة أيضا برئت من أن تقع عليها لـكثرتها وشدة الإلحاح في توزيعها

وإملاك قبل أن تعرف الحقيقة المرة تحسب أن وراء هـذه الإعلانات خيرا سيعود على المجتمع في رمضان، أو برا سيخفف لوعة البائسين والمحرومين في هذا الشهر المعظم، أو فتحا جديدا في الصناعة المصرية سـترقص له جنبات الوادي غبطة وفرحا، أو تهاونا في أسـعار الضروريات بعثته رحمة رمضـان في قلوب الذين لا يعرفون الرحمة حتى في شهر البركات والرحمات.. قد تحسب أن وراء هذه الإعلانات كل هذه أو شيئا منها، ولكنك حين تقف على الحقيقة المرة لا بد أن تنال الحسرة من نفسك والألم من قلبك، فلم تكن هذه الإعلانات إلا حملة من الدعاية الساخرة، للفرق اللاهية العابثة الراقصة، التي أبت إلا أن تلهو وتعبث ... ابتهاجا بشهر رمضان.!

والغريب العجيب أنه ما من إعلان واحد إلا وكتب بالخط العريض البارز في أوله « ابتهاجا بشهر رمضان المعظم تحيى ..» وكأن رمضان المعظم الذي يبتهج به عباد الله المؤمنين في الأرض، وملائكته الأبرار في السماء، تبتهج به الفرق المهرجة الراقصة في صالاتها! وكأن لياليه لم تكن لتجتمع خلالها قلوب العباد بالتزوار البرئ، ولتستمطر رحمات الرحمن بالفزع إليه في أسحارها، وإنما كانت لتقضى في حفلات من اللهو والفوضى والتهريج

لو أن هذه الفرق التي لم تجد رادعا في مصر يردعها. ولا يدا من حديد تضرب عليها، ولا جرأة من الرأي العام تضع حدا لها ... لو أنها أعلنت عن تهريجها دون أن تشير إلى أن استعدادها لم يكن إلا ابتهاجا برمضان لهان الأمر، ولكن ماذا نفعل والحياء قد ضاقت به أرض مصر، والخجل أوشك أن يهاجر منها، كما هاجر منها المتنبي من قبل وهو يردد قوله المأثور

وكم ذا بمصر من المضحكات — ولـكنه ضحك كالبكا

رمل الإسكندرية نفيسة عبد اللطيف الشيخ

إنها لا تعمى الأبصار

بعثت السيدة هيلين كيلار كتاب شكر إلى وزارة الشؤون الاجتماعية تسجل فيه شكرها على حفاوة المصريين بهـا.. بمناسبة عودتها إلى وطنها..

ولقد أثارت قصة هذه السيدة دهشة الكثيرين ممن قرأوها وعجبوا كيف استطاعت أن تشق طريقها نحو المجد فتنال درجة (الدكتوراه) وقد حرمتهـا الطبيعة ثلاث حواس لا يستغني الإنسان عن واحدة منها.. وهل يستغني الإنسان عن قوة الإبصار يميز بها الألوان والأحجام.. أو قوة الكلام والإفصاح يعبر بها عما يجول بنفسه وخاطره.. أو قوة السمع التي تربطه بالمجتمع الذي يعيش فيه؟!

كم من الناس يتمتعون بحواسهم وقواهم كاملة، ولـكنهم لا يحققون شيئا مما حققته هذه السيدة التي لم يقعدها عجزها عن السعي والدأب والمثابرة!

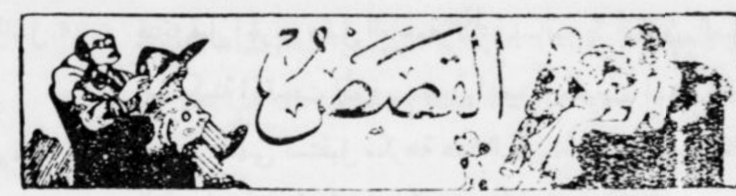
كم من الناس لهم أعين لا يبصرون بها.. أعمتهم الجهـالة عن الحقائق فعميت عليهم، وصرفت أبصـارهم إلى ما يضرهم ولا ينفعهم!

وكم من الناس لهم آذان لا يسمعون بها.. يصمونها عن الاستماع، فلا تصل إليها صيحة مظلوم يطالب بحقه، أو مستغيث نزل البلاء بساحته.. أو مستجير يلتمس العون والغوث

كثيرون يتمتعون بحواسهم وقواهم كاملة ولـكنهم يعيشون على هامش الحياة، ولا يوجهون هذه الحواس الوجهة التي تحقق لهم بلوغ أهدافهم، لمـاذا؟ لأنهم حرموا قوة لا تقل قدرا عن قوى الحواس الخمس جميعا، وأعني قوة الإيمان، إيمانهم بالله، وإيمانهم بأنفسهم، وهذا الإيمان من مقومات النجاح في الحياة تعوض على الفرد النقص الذي يحسه بحرمانه من حواسـه، وهذا هو المثل الناطق نراه أمامنا مجسما في حياة هذه السيدة التي استطاعت أن تثبت للعالم أجمع أن العمى لا يصيب العين، إنمـا يصيب القلب، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه المـكنون « فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

أنار الله أبصارنا وبصائرنا، وهدانا سواء الصراط

عيسى متولي



مبتور الساقين

للكاتب الفرنسي جي دي موبسان

جرت لي هذه الحادثة سنة ١٨٨٢ وكنت مسافراً في القطار ومزمعا الانزواء بنفسي في إحدى مقاصيره، حين انفتح بابها وسمعت صوتاً يقول لآخر:

— خذ حذرك من الزلل ياسيدي، فقد بلغنا ملتقى الخطوط « المقص » ثم إن مرتقى القطار مرتفع

فأجابه صوت آخر:

— لا تخف يا لوران فسأعتمد على مقبض عكازي ثم ظهر لي رأس مبتور بقبعة مستديرة وبدان تماق بهما سيران من جلد، أخذتا تمتدان وتستندان إلى جانبي باب القطار. ثم رفعتا بهوادة وبطء جسما بديناً بعض الشيء. سمعت لوقع أقدامه الخشبية نقرا على مرتقى القطار، وحين هم الرجل بالدخول إلى مقصورتي أبصرت نهاية بنطلونه المتراخي فبرزت لي من خلاله رجل خشبية سوداء لم تلبث أن لحقت بها أختها، فعلمت أن رفيقي مبتور الساقين ثم برز لي من ورائه رجل آخر راح يقول له:

— هل أنت مرتاح في جلستك ياسيدي؟

— نعم يا ولدي

— وإذن فهاك صررك وهذا عكازك، وهنا أبصرت خادما تبدو في سحنته معارف جندي قديم يصعد إلى صاحبنا حاملا له بين ذراعيه كدسة من أشياء ملفوفة بأوراق، بعضها أسود وبعضها أصفر، حتى إذا وضعها في رف القطار الواحدة بجانب الأخرى، قال لسيده:

كل شيء معد لك ياسيدي: ففي هذه الصرر الخمسة أشياء: السكر والملبس، والدمية، والطبل، والبندقية، وأخيرا الفطيرة الدسمة

— حسن جدا يا ولدي

— أتمنى لك سفرا ميمونا ياسيدي

— شكرا « يا لوران » وأنا أتمنى لك صحة موفورة، ثم غادر الخادم القطار بعد أن أغلق على سيده باب المقصورة

كان رفيقي في السفر في الثالثة والثلاثين من عمره تقريباً، على رغم أن شعره وخط أكثره الشيب، وكان حسن البزة والشارة، غليظ الشارب تبدو عليه الفراهة والقوة واكتناز اللحم، فبعد أن استقر ومسح جبينه وراح ينفث في الهواء دخان سيجاره رمقني بنظرة هادئة ثم قال:

— أمل دخان سيجاري يزعجك ياسيدي؟

— فقلت له: كلا، ولكن ما كدت أنطق حتى دهشت، ذلك أن هاتين العينين وذلك الصوت وحتى هذه السحنة لم تكن غريبة عني، نعم كنت أعرفها ولكن أين .. ومتى؟ وفي الحق لقد بدا لي أني لاقيت هذا الشاب وكلمته وضغطت على يديه ولكن ذلك كان بعيدا حتى لقد ضاع في ضباب كثيف يخيل للفكر معه أن يتلمس ذكريات الماضي ويتبعها كأنها الأطياف العابرة الهاربة، كان هو أيضاً يحدجني بنظره ويتفرس في وجهي متمرقاً كأنما داخله من التشكك بمعرفتي مثل ما داخلني، وتضايق نظرانا من هذه الملاقاة الملحة فافترقا، على أنه لم تمض إلا ثوان حتى عادا وتلاقيا ثانية بتأثير حب الكشف والاستطلاع، وابتدرته أنا قائلا:

— يالله ياسيدي: ألا ترى أنه يحسن بنا بدلا من أن يسارق كل منا صاحبه النظر أن نبحث معا عن المكان والزمان اللذين تعارفنا فيهما أول مرة؟ فأجاب بلطف:

— إنك لمحق ياسيدي، وهنا سميت له نفسي قلت:

— إني أدعى القاضي هنري « بونكلير » فتردد برهة ثم قال بعين غائمة بضباب الذكرى وصوت من يحضر ذهنه كي يستذكر شيئاً عفى عليه الزمن:

— آه .. ذكرتك تماماً ، فقد صادفتك في « بوانسل » وكان ذلك منذ اثني عشر عاما قبل الحرب المشئومة ...

— نعم يا سيدي ... أوه ... وإذاً فأنت الليوتنان فاليه ؟

— نعم أنا بعيني، ثم أصبحت الكابتن «فاليه» قبيل اليوم الذي فقدت فيه ساقي الاثنتين بإصابة فظيعة من قنبلة حربية

وهنا حدق كل منا في صاحبه من جديد بعد هذا التعارف . وتمثل في خاطري هذه الساعة منظر ذلك الشاب الجميل اللطيف الذي كان ملء العين والفؤاد بلباقته وخفته وجماله . ولكن وراء هذه الصورة الغامضة الملفوفة بضباب النسيان، كانت تطفو على ذاكرتي قصة لهذا الشاب ، كنت أعرفها وأنسيتها الآن ، ولكني لم أنس أنها قصة جذابة الحوادث مغرية رغم قصرها لأن الحب لعب على مسرحها . ثم أخذت ظلال النسيان تنحسر عن ذاكرتي شيئاً فشيئاً ؛ وإذا بها تتضوء وتستنير بها المسالك، فيطالعني من خلال سطورها الممحوة وجه فتاة مليحة ، وإذا باسمها يرن في سمعي ويجري على لساني : الآنسة « ماندال » .. لقد ذكرت كل شيء الآن .. وفي الحق لقد كانت قصة غرام تلك التي نسيتها أولا . كانت تلك الفتاة تحب هذا الرجل حين التقت به ، وكان الناس يتحدثون عن زواجهما المنتظر القريب الذي كان يفجر ينابيع الفرح والسعادة في قلب صاحبنا الضابط

وهنا صوبت بصري إلى الصرر الموضوعة على الرف فوق رأس الضابط الكسيح . فإذا بها تهتز وتضطرب من حركة القطار ، وإذا بي كأني أسمع الآن صوت الخادم يقول لسيده : كل شيء معد لك يا سيدي . ففي هذه الصرر الخمسة أشياء : السكر ، والملبس، والبندقية . والطبل وأخيرا الفطيرة الدسمة . وتألفت في لحظة بخاطري رواية لهذا الكسيح الذي أراه أمامي: رواية تشبه الشبه كله جميع ما كنت قرأته في القصص أو رأيته في المسارح ؛ وذلك إما أن يتزوج الخطيب ذو العاهة خطيبته السليمة أو لا . وإذن فإن هذا الضابط المبتور الساقين قد وجد خطيبته بعد الحرب فوهبت نفسها له رغم مصيبته بساقيه . تمثلت كل هذا جيدا في بساطة ، ثم عرض لي فجأة افتراض آخر أشبه بالحق وأقرب إلى الواقع المنتظر أيكون الرجل قد تزوج من فتاته قبل الحرب وقبل الفاجعة الأليمة بساقيه ؟ أتكون الصبية المسكينة احتسبت الله في مصيبتها فيه وخضعت لمشيئة القدر القاسي ، فهي تستقبل مكرهة هذا الكسيح الذي غادرها ملء العين ملاحة وسلامة قبل الحرب ، وآب إليها بساقين خشبيتين وجسم ناقص لا يتحرك إلا على عكازين ؟ أتراه سعيداً أو متألماً ؟! وقامت في نفسي رغبة لا تقاوم في الاستعلام عن قصة زواجه والاستفسار على الأقل عن النقطة المهمة التي أستطيع أن أبصر على ضوئها ما يود هو إخفاءه عني أو ما لا يمكنه الإفضاء به . ورحت أكلمه بأحاديث شتى ، بينما عيناي مثبتتان على الصرر الملفوفة التي وضعها خادمه على رف القطار ثم استنتجت من محتوياتها أن له امرأة وطفلين : أما السكر والملبس فلامرأته ، وأما الدمية فلطفلته ، وأما الطبل والبندقية فلطفله ، وأما الفطيرة الدسمة فله هو ؛ وفجأة قلت له :

— أملك أب لعائلة يا سيدي ؟

— كلا

فشعرت بشيء من الخجل والربكة لهذا السؤال كأني ارتكبت ما لا يتفق وحسن العشرة . لهذا عقبت :

— معذرة ياسيدي لقد ظننت ذلك مما سبق إلى سمعي من قول خادمك وإشارته إلى هذه اللعب. وأنت تعلم أن المرء لا يملك أذنه حتى ولو لم يرد ذلك . فافتر ثغره عن بسمة راضية ثم قال :

— وما قولك أني لست متزوجاً ؟

وهنا بدت علي دلائل الاستذكار والتأمل ؛ ثم قلت فجأة :

— أوه ! إن ماتقوله الحق ، فحين تعرفت بك كنت عاقداً خطبتك على الآنسة ماندال فيما أظن ؟

— نعم يا سيدي إن ذاكرتك جيدة جدا . فاجترأت وتابعت :

وأذكر أيضا أني سمعت أن الآنسة ماندال خطيبتك تزوجت موسيو ... موسيو ... فلفظ الضابط في سكون هذا الاسم :

— موسيو فلوريل ، أليس كذلك ؟

— نعم هو بعينه . وأذكر أيضا أني سمعت في ذلك الحين قصة فاجعتك ، ونظرت إليه من جانب عيني فإذا بالدم يتدفق

في وجهه أحمر قانيا ، ثم إذا به يجيبني في حمية ونشاط مثل من يدافع عن قضية ضاعت له سابقا وفرط في حقه فيها وهو يريد الآن تبرير موقفه فقال :

— لقد كان من أعظم الخطأ بل والألم أن يذكروا أمامي اسم خطيبتي « ماندال » بعد إذ أبت من الحرب بدون ساقين ، ويا للأسف ، لم يكن بوسعي أن أقبل دون ألم وتقريع ضمير أن تصبح « ماندال » امرأتي : أترى ذلك يكون ممكنا ؟ حين يتزوج المرء يا صديقي لا يفعل ذلك كي يتباهى على الناس بامرأة جميلة فتانة ! إنما يفعل كي يعيش بجانبها ويتصل بها طوال الأيام والساعات والدقائق والثواني . فإذا كان الزوج مثلي كتلة شوهاء مبتورة فإنه بزواجه من فتاة ريانة الشباب يكون قد حكم عليها بالألم الممض وقسرها على حياته الناقصة المحطمة حتى الموت ، أنا أفهم وأقدر بل وأعجب بجميع التضحيات ، ولكن حين يكون لها حدود تنتهي إليها ، لهذا فأنا أستنكر من نفسي أن تحرم فتاة جميلة نفسها لأجلي من كل ما تهفو إليه جوارحها ونفسها من سعادة وملاذ وأحلام للصبا وللجسد أيضا ، كل ذلك كي يقال عنها إنها عفيفة ظريفة كريمة ، ثم كيف أطلب منها هذا وأنا نفسي حين أسمع على أرض الدار وقع عكازي وأنا أمشي وأحجل ، أنا نفسي حين أسمع هـذا الصوت الذي يشبه وقع أقـدام البغال يجيش في نفسي الحنق فأود خنق خادمي ، وهـل تظن أنه يمكن أن يقبل الزوج من امرأة أن تتسامح في شيء هو نفسه لا يغتفره لنفسه ، ثم أتعتقد وتتصور أن سـاقي الخشبيتين هاتين جميلتان في النظر فاتنتان للعين؟ وسكت وسكت فما عساي مجيبه ؟ إن كلامه الصدق فهل بوسعي أن ألومه أو أخطئه ، ثم سألته فجأة :

— هل لمدام فلوربل خطيبتك المتزوجة أولاد ؟ !

— نعم ، طفلة وصبيان ، ولهؤلاء الأطفال ما أحمل من لعب في هذه الصرر كهدية ، إنها وزوجها طيبان ، وكان القطار في هـذا الوقت يصعد ملتقى خطوط « سان جرمان » ثم يمضي تحت الأنفاق المتعاقبة في المحطة ، ثم يقف ، وعزمت على تقديم ذراعي تُكأةً للضابط الـكسيح كي يستعين عليها في النزول من القطار لولا أن يدين امتدتا من باب القطار المغلق لمساعدته

— نهارك سعيد يا فاليه ، فأجاب صاحبي الضابط

— سعد نهارك « يا فلوربل » ، وقد كان خلف الرجل امرأته الجميلة تبتسم له أيضا وهي ترسل التحيات الحارة المستورة بقفازين ، وبجانبها طفلة صغيرة كانت تطفر من الفرح والابتهاج بلقاء صاحبي الضابط وبجانبها الآخر صبيان صغيران كانا يتناولان بشغف ونهم الطبل والبندقية وقد برزا من طرف الصرر التي تسلمها أبوهما فلوربل

وحين هبط الضابط إلى إفريز المحطة أسرع إليـه الأطفال فعانقوه في محبة وألفة وشوق ؛ ثم اتخذت العائلة طريقها إلى المنزل ، وفي أثناء الطريق أخذت الطفلة تسند بكفها اللينة الفضة مسند عكاز الضابط الكسيح وقد فاض وجهها بماء الابتهاج والطيبة والمحبة البريئة

ك . ع



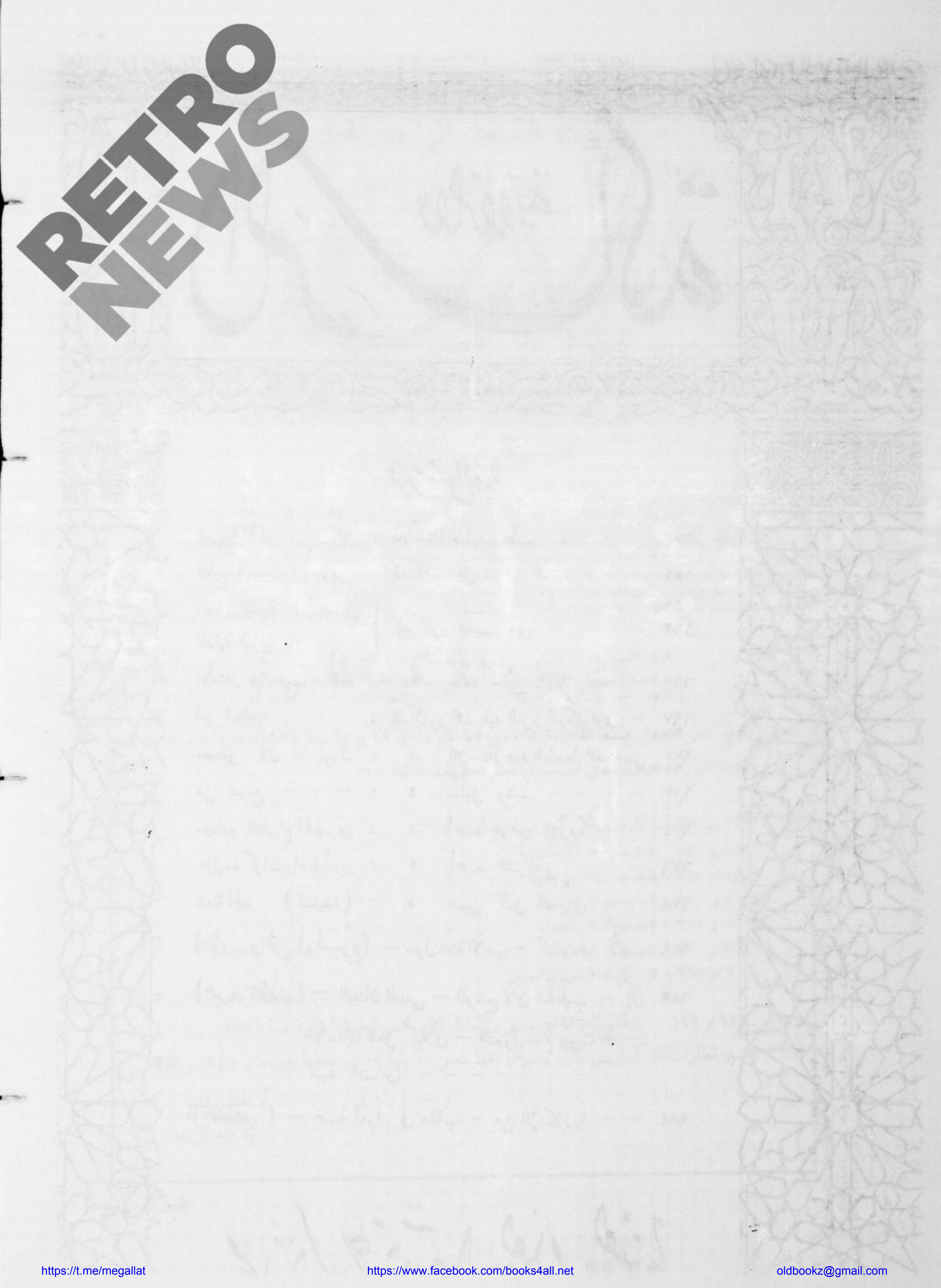
مطبعة الرسالة

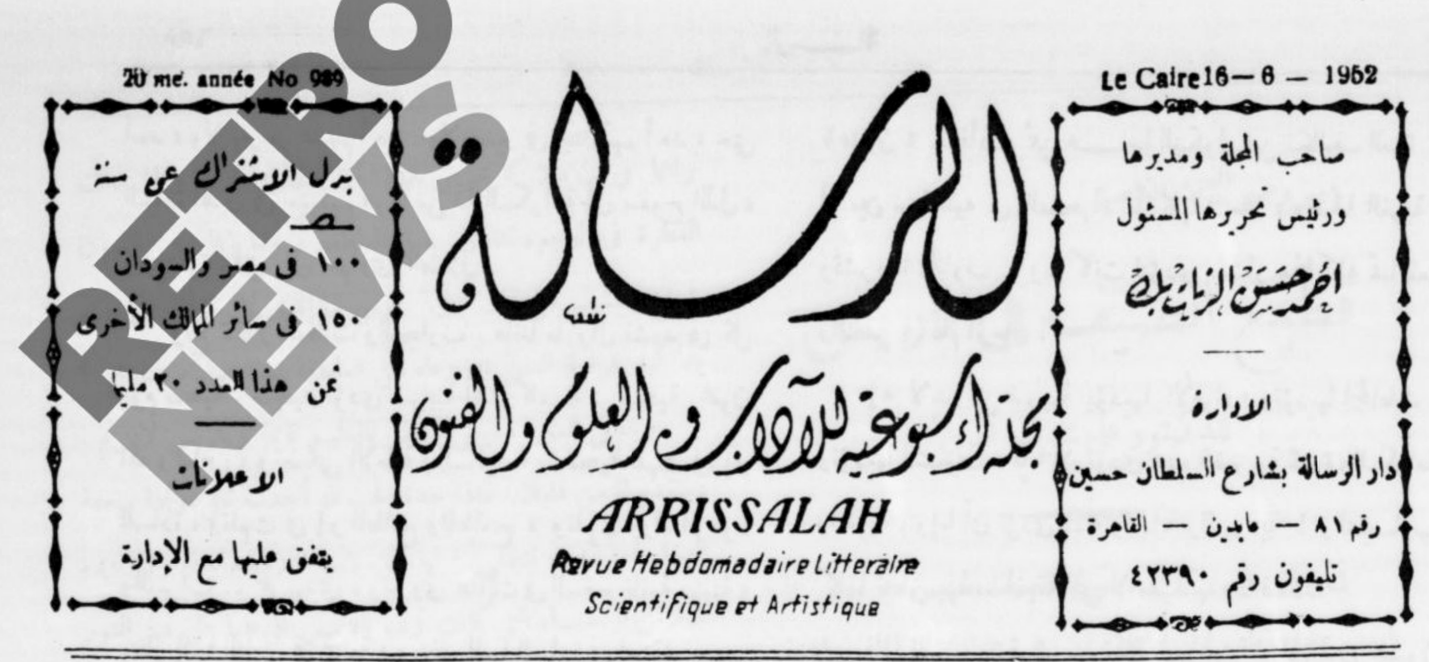


السنة العشرون



فهرس العدد





العدد ٩٨٩ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ رمضان سنة ١٣٧١ — ١٦ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

ضريبة الذل ...

للأستاذ سيد قطب

بعض النفوس الضعيفة يخيل إليها أن للكرامة ضريبة باهظة لا تطاق ، فتختار الذل والمهانة ، هربا من هذه التكاليف الثقال ، فتعيش عيشة تافهة رخيصة ، مفزعة قلقة ، تخاف من ظلها ، وتفرق من صداها ، يحسبون كل صيحة عليهم ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة !

هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة . إنهم يؤدون ضريبة الذل كاملة . يؤدونها من نفوسهم ، ويؤدونها من أقدارهم ، ويؤدونها من سمعتهم ، ويؤدونها من اطمئنانهم ، وكثيرا ما يؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون

وإنهم ليحسبون أنهم ينالون في مقابل الكرامة التي يبذلونها قربى ذوي الجاه والسلطان حين يؤدون إليهم ضريبة الذل وهم صاغرون . ولكن كم من تجربة انكشفت عن نبذ الأذلاء نبذ النواة ، بأيدي سادتهم الذين عبدوهم من دون الله

كم من رجل باع رجولته ، ومرغ خديه في الثرى تحت أقدام السادة ، وخنع وخضع ، وضحى بكل مقومات الحياة الإنسانية ، وبكل المقدسات التي عرفتها البشرية ، وبكل الأمانات التي ناطها الله به أو ناطها الناس .. ثم في النهاية إذا هو رخيص رخيص ، هين هين ، حتى على السادة الذين استخدموه كالكلب الذليل ؛ السادة الذين لهث في إثرهم ، ووصوص بذنبه لهم ، ومرغ نفسه في الوحل ليحوز منهم الرضاء !

كم من رجل كان يملك أن يكون شريفا ، وأن يكون كريما ، وأن يصون أمانة الله بين يديه ، ويحافظ على كرامة الحق وكرامة الإنسانية ، وكان في موقفه هذا مرهوب الجانب ، لا يملك له أحد شيئا ، حتى الذين لا يريدون له أن يرعى الأمانة ، وأن يحرس الحق ، وأن يستعز بالكرامة ، فلما أن خان الأمانة التي بين يديه ، وضعف عن تكاليف الكرامة ، وتجرد من عزة الحق ، هان على الذين كانوا يهابونه ، وذل عند من كانوا يرهبون الحق الذي هو حارسه ، ورخص عند من كانوا يحاولون شراءه ؛ رخص حتى أعرضوا عن شرائه ، ثم نبذ كما تنبذ الجيفة ، وركلته الأقدام ، أقدام الذين كانوا يمدونه ويعنونه ، يوم كان له من الحق جاه ، ومن الكرامة هيبة ، ومن الأمانة ملاذ

كثير هم الذين يهوون من القمة إلى السفح ، لا يرحمهم

أحد ، ولا يترحم عليهم أحد . ولا يسير في جنازتهم أحد ، حتى السادة الذين في سبيلهم هووا من قمة الكرامة إلى سفوح الذل ، ومن عزة الحق إلى مهاوى الضلال

ومع تكاثر العظات والتجارب . فإننا ما نزال نشهد في كل يوم ضحية . ضحية تؤدى ضريبة الذل كاملة . ضحية تخون الله والناس ، وتضحى بالأمانة وبالكرامة . ضحية تلهث في إثر السادة ، وتلهث في إثر المطامع والمطامح ، وتلهث وراء الوعود والسراب .. ثم تهوى ، وتنزوى هنالك في السفح خانعة مهينة ، ينظر إليها الناس في شماتة ، وينظر إليها السادة في احتقار

لقد شاهدت في عمرى المحدود — وما زلت أشاهد — عشرات من الرجال الكبار يحنون الرءوس لغير الواحد القهار ، ويتقدمون خاشعين ، يحملون ضرائب الذل تبهظ كواهلهم ، وتحنى هاماتهم ، وتلوى أعناقهم وتنكس رؤوسهم .. ثم يطردون كالكلاب ، بعد أن يضعوا أحمالهم ، ويسلموا بضاعتهم ، ويتجردوا من الحسنيين : في الدنيا والآخرة ، ويمضون بعد ذلك في قافلة الرقيق لا يحس بهم أحد حتى الجلاد !

لقد شاهدتهم وفي وسعهم أن يكونوا أحراراً ولكنهم يختارون العبودية ، وفي طاقتهم أن يكونوا أقوياء ، ولكنهم يختارون التخاذل ، وفي إمكانهم أن يكونوا مرهوبي الجانب ، ولكنهم يختارون الجبن والمهانة .. شاهدتهم يهربون من العزة كي لا تكلفهم درهما ، وهم يؤدون للذل دينارا أو قنطارا .. شاهدتهم يرتكبون كل كبيرة ليرضوا صاحب جاه أو سلطان ، ويستظلوا بجاهه أو سلطانه وهم يملكون أن يرهبهم ذوو الجاه والسلطان !

لا بل شاهدت شعوبا بأسرها تشفق من تكاليف الحرية مرة ، فتظل تؤدى ضرائب العبودية مرات . ضرائب لا تقاس إليها تكاليف الحرية . ولا تبلغ عشر معشارها . وقديما قالت يهود لنبيها : « يا موسى إن فيها قوما جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون .. » وقالت : « يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا . إنا ها هنا قاعدون » .. فأدت ثمن هذا النكول عن تكاليف العزة ، أربعين سنة تتيه في الصحراء تأكلها الرمال ، وتذلها الغربة ، وتشردها المخاوف .. وما كانت لتؤدى معشار هذا كله ثمنا للعز والنصر في عالم الرجال !

إنه لابد من ضريبة يؤديها الأفراد ، وتؤديها الجماعات ، وتؤديها الشعوب . فإما أن تؤدى هذه الضريبة للعزة والكرامة والحرية ، وإما أن تؤدى للذلة والمهانة والعبودية ! والتجارب كلها تنطق بهذه الحقيقة التي لا مفر منها ولا فكاك

فإلى الذين يفرقون من تكاليف الحرية ، إلى الذين يخشون عاقبة الكرامة ، إلى الذين يمرغون خدودهم تحت مواطئ الأقدام ، إلى الذين يخونون أماناتهم ، ويخونون كراماتهم ، ويخونون إنسانيتهم ، ويخونون التضحيات العظيمة التي بذلتها أممهم ، وبذلتها الإنسانية لتحرر وتتخلص

إلى هؤلاء جميعا أوجه الدعوة أن ينظروا في عبر التاريخ وفي عبر الواقع القريب ، وأن يتدبروا الأمثلة المتكررة التي تشهد بأن ضريبة الذل أفدح من ضريبة الكرامة ، وأن تكاليف الحرية أقل من تكاليف العبودية ، وأن الذين يستعدون للموت توهب لهم الحياة ، وأن الذين لا يخشون الفقر يرزقون الكفاية ، وأن الذين لا يرهبون الجاه والسلطان يرهبهم الجاه والسلطان

ولدينا أمثلة كثيرة وقريبة على الأذلاء الذين باعوا الضمائر وخانوا الأمانات وخذلوا الحق وتمرغوا في التراب ، ثم ذهبوا غير مأسوف عليهم من أحد ، ملعونين من الله ! ملعونين من الناس . وأمثلة كذلك — ولو أنها قليلة — على الذين يأبون أن يذلوا ، ويأبون أن يخونوا ، ويأبون أن يبيعوا رجولتهم بيع السماح . وقد عاش من عاش منهم كريما ، ومات من مات منهم كريما

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

سيد قطب

من وحى "القمة القاصية":

قطيع الصيف في باريس

للدكتور على شرف الدين

فى كل عام — وفى مستهل الصيف خاصة — يقبل على باريس هذا القطيع من أطراف أوروبا . مختلفات الجنس واللغة، متباينات الأعمار والثقافة ، فى عيونهن فرارة ، وخلف الأجفان مستقبل حافل بالدموع ، ما عرفته ولا فكرن فيه، وفى إشاراتهن براءة ، وما تصيب الفواجع غالبا غير القلب البرئ ، كأنما تحب السماء هذه القلوب ، فهى تمتحنها بالآلام لتزيد فى طهارتها قبل أن ترفع إليها

أطلقهن الرعاة من مراعيها الآمنة ، وأبحن لهن — وهن الناشئات — أن يقبل عليهن المساء ؛ وهن فى غير مراح الحقل بعيدات عن سمع الراعى ونظره ، وما بالغ من أطلقهن فى الثقة ، ولا أسرف فى حسن الظن ، ففى قلوبهن من وحى الفطرة الأصيلة عصمة ، وفى آذانهن من ترانيم الكنيسة صدى رائع يغلب كل الأصداء ، ولكنها سنة الشباب والحب ، جديدة فى كل عصر ، وإن أعادت نفس القصة فى كل جيل

أقامت لهن باريس معارض للفن ومناهل للأدب ، وحشدت لهذا أقوى ما يأسر النفس والعين . يمضى الصيف وهى مع الرعيل فى الغدو والرواح ، يهديها رسول الأمن فى الجماعة ، ويملأ عينيها نور الفرح بما ترى وتسمع ، لا تلبى غير نداء المعرفة، ولاتغشى غير المواطن الآمنة ، فى صالات الموسيقى، وفى لكسمبور ، وتحت قباب البانثيون . . .

فإذا تقدمت بهن الإقامة رأيت شيئا جديداً : رأيت أن القطيع قد استحال إلى أسراب ، ثم استحال السرب أخيراً إلى « القمة القاصية » ؛ ولكن فى صحبة جديد ، ولا تشك حين تراها فى أن ملاكا كان يحرس هذا الحب الجديد ، فما تزال سمات الفطرة فى الوجوه تنادى بنبل العاطفة ، وما تزال فى العيون شعاع يكشف عن قلب برئ . ومن ذا الذى لا يبارك على حب تذكيه غرارة السن ، ويرعاه من العاطفة ميل ساذج صريح ؟

ويمضى الصيف فيبقى نصف القطيع قائما فى باريس لا يريم . ويتقدم الزمن قليلا ، فإذا جدة الحب قد أخذت تبلى ، وإذا بهجة اليسار قد أخذت تنطفئ ، ليأخذ مكانها ظلام الحاجة ، وإذا هذه الفلائل البيضاء التى كانت ترف بالأمس على هيا كل من النور كما يرف جناح الحائم السابحة فى صبح الربيع . . قد استطال الفقر فى ذيولها ، كما استطال الحزن والألم فى هياكلها . بقية من جمال يغزوها الهم الناصب ، والضنى الملح ، فى انتقال مفاجئ من حياة إلى حياة ، ما أبعد كلا منهما عن الأخرى

هذه المدللة التى أكرمها الفلاح ، وأقامها فى الحقل (الآمن) تستملى حياة الدعة والسعادة ، وتضفى على الحقل ربيعا أجمل من ربيع مروجه ، قد أصبحت تعمل فى حقل آخر ، عمل الأجير لا المالك ، ويهولك ما ترى حين ترى أن هذه المدللة التى لم تجاوز العشرين قد أخذت تؤجر فى الحقول . . . لم تعد تصغى للموسيقى ولا تغشى محاضرة ، ولا تحفل لهذا التاريخ الرابض فى معالم باريس ، ولكنها فى مقاهى سان جرمان مع الناضبات من الأهل ، الساخطات على الحياة ، وأخيراً فى كهوف الليل الحمراء على ضفة السين . . .

إن لها شخصية كما يدعى صاحبها الذى أطلقها من المرعى « الآمن » فهو لا يسأل ـ ولا يحب أن يسأل ـ كيف تعيش ؟ وهى « الحضرية » المدللة التى ما عرفت العمل ، وما خلقت إلا لتضفى النور على ما حولها ... إنها شخصية تمنحها إياها الحضارة فى تمام العشرين ، وقد نسيت الحضارة أن الزهرة هى الزهرة ، فى أول الربيع ، وفى عنفوانه ، وفى نهايته ، وأن الطبيعة عرفت هذا فنثرت من حولها الشوك لترهب القلوب الطامحة ، وتدفع الأيدى عن جناها ، وتمر بك هذه الذابلة التى كنت تسعد بالنظر

إليها . فتخاف أن تراها رحمة وإشفاقا ، ولكأن هذا العربي قد أرادها في هذه الصورة القوية من شعره

كنت مشفوفا بكم إذ كنتم شجراً لا تبلغ الطير ذراها

لا تبيت الليل إلا حولها حرس ترشح بالموت ظباها

وإذا مدت إلى أغصانها كف جان قطعت دون جناها

فتراخى الأمر حتى أصبحت هملا يطمع فيها من يراها

ويح المسيحية وويح الشرق منك يا أوربا ! ألا تذكرين حديث « الغنمة الضالة » في الإنجيل ؟ ألم يطالب إلى الراعي أن يبحث عنها حتى ولو تعرض القطيع كله للضياع ؟ إنه يعلمك كيف تكون القيم الإنسانية عندك خيراً من « المصلحة » وكيف تحرصين على الاستجابة لهواتف الروحية ، وإن لم تدع إليها « المنفعة » . إن القطيع من غير شك خير من الواحدة ، ولكنها الساعة الرحيمة التي تكسر كل مقاييس الموازنة ، وتحطم كل موازين المقارنة

هي إذا « الشخصية » أو « الحرية » أو « سن الرشد » وغير هذا من الكلمات التي تزجينها في بطون القواميس — تقيمين منها قانونا حين شعرت بالاستخذاء والظلم ، سن الرشد !! المعروف أو سن الرشد الحقيقية تبتدئ منذ الميلاد ، وتنتهي غالبا قبيل العشرين أو عندها ، وعند العشرين تبتدئ سن الرعاية والملاحظة . . .

على أن لك في سن الرشد رأيا غريبا — رأى يتغير حسب المصلحة والعصبية الشعوبية : تعطين سن الرشد للأفراد ، وتحرمين منها الجماعات ، تعطينها للغنمة القاصية وتمنعين منها الجماعة تستمد القوة والرشد من جماعتها وائتلافها . ألم تعمدين إلى القطيع تمزقين من وحدته حتى استحال إلى غنمات قاصية لاتكاد إحداها تسمع نداء الأخرى ، ثم زعمت لنفسك عليها سلطانا في دعوى باطلة مزورة ، تارة (برسالة الحضارة) وأخرى بأنها لم تبلغ سن الرشد ، وقد كان في اجتماعها وتآلفها الرشد كل الرشد ، ولكنها المصلحة التي أنكرت فيها حقوق الإنسانية

ويح المسيحية وويح الشرق منك يا أوروبا !

أسرفت في المرور حتى قتلت في نفوس أبنائك الإحساس بالمرور ، وأقمت للوثنية هيا كل مكذوبة ، تقدمين لها قرابين دامية ، هي أشلاء ضمير ممزق في معركة صرعت فيها (الغنمة) كل هواتف الروح ، وما رضيت أن تشهدى وحدك هذه الأصنام بالأمس في قصر شايو ، ولكنك تدعين معك فرائس السياسة ، وغنائم القوة ، ليشهدوا مصارع حقوقهم وأمانيهم . . .

حتى (الإنيسكو) هذا الرجل الوقور ، سخرت منه أوربا و (ضحكت عليه) فغرزت في عمامته أعلام الشعوب ترفرف متساوية متكافئة . نعم نعم ترفرف متساوية متكافئة في (الهواء) تقولين له : (ما أحوجنا إلى رأيك في التربية والتعليم) ثم تسرين له في أذنه : (رسالتك شاقة ، وإلك لتعرف ما بين السطور ، فكن ماهر النفاذ ، لطيف الأداء ، فما أحوجك إلى (الكياسة) لتضل من التربية إلى (. . . .) فيبتسم هذا الرجل الوقور بينما ينكت أطراف لحيته الســـ تمارة « إنني خبير (بالسجمة) المقصودة ، وما أيسر أن نجمعهم على ضرب واحد من التعليم ، ومنهج متحد من التربية ، حتى تلتقي الأهواء ، وتتآلف النزعات ، وهناك تتم (السجمة المفقودة) ، وقد نسيت أوروبا ونسي معها هذا الرجل شبه الوقور أن الشعوب لم تكن شعوبا لأن الأنهار تفصلها أو لأن الجبال تحد مابين تخومها ، ولكن الشعوب كانت شعوبا لأن لكل شعب أمنية يفيض بها قلبه ، أمنية تستغل حياته وتأخذها من أقطارها لا تلبث أن تستحيل إلى مادة حية في أغنية خالدة مقدسة . مالي أنسيت الحديث ؟ لقيتها مرتين مواظبة على محاضرات (أحلام معتزل) لجان جاك روسو . إنها تلتمس عنده في ساعات عزلته ، ما يمسح على جراح نفسها . إنها قد نســـيت الماضي ، الماضي البعيد والقريب ، وما كانت تحب أن تثير هذي الذكرى ، فإنها قد تجاوزت منطقة الألم ، واستراحت إلى نسيان يوشك أن يسبغ الطمأنينة والهدوء على قلبها ، وكانت نفسها صحيحة لم تنكسر ، مشرقة لم تنطفئ ، وإن كان يسبح في جبينها الهادئ شعاع

شاحب ترف على حواشيه ذكريات خافتة ، تدافعها بالصبر والأمل ، وقوة الإيمان بحياة جديدة

وكان شأني يضيق بمعاونة تفنيدها ، ولم أجد غير سيدة تركية هي وزوجها مثل عال لحضارة الإسلام في باريس ، قلت لها : إنها كما ترين حزينة كسيرة وما أحسبها تحسن الكثير من عمل المنزل ، وما أحسبها إلا حملا عليك ان تضيقي به ، ولها من ثقافتها في منزل شرقي ما يهيئ لها الحياة فيه ، فطالعت السيدة أسارير وجهها ، فلم تشهد تمردا ، ولم تر أثرا لهذه النكسة التي تطبع على وجوه المغلوبين في حياتهم الساخطين عليها ، فابتدرت قائلة (فابنتي إليها منذ اليوم) ثم استدركت مستعجلة (معلمتها لا خادمها) ثم التفتت إلى زوجها كن تطمئنه على نهوضها بحياتها (وعندي لها من ستسعد بهن ويسعدن بها ، ولن تضيق بحياتها من نشأت في سويسرا الفرنسية . ..)

مضت أيام لقيتهم بعدها ، وكان السيد التركي كعادته يقضي الساعات في مكتبته ، رأيته أشبه ما يكون بالمستغرق في حلم . فلم أشأ ان أقطع عليه تأمله ، حتى انتبه متهلل الوجه مسروراً « إنه شعر حسن جميل » قلت لمن ؟ قال لشاعر تركيا ارف حكمت المرسكي ، ثم أقبل يقرأ ، ولكن صوتا آخر قطع عليه قراءته ، صوت أحسب أني سمعته قبل اليوم ، فاتجهت نحوه فإذا في الحجرة القريبة منا قد جلست هيلين وإلى جوارها طفلة في العاشرة من عمرها ، ومن حولها ثلاثة من فتيات تركيا الحديثة ، أقبلن للدراسة في باريس ، ولاغنى لهن من دراسة اللغة ، سمعتها تملي عليهن قطعة لأندريه جيد ، يصف فيها سمات الإدراك والفهم ، تجري في أسارير طفلة بكماء قام على تربيتها قس سويسري ، حتى أدركت الأصوات وفهمت الحديث يجري من حولها « ... لقد نبضت سماتها بالحياة فجأة ، وجرى في جبينها إشراق أشبه ما يكون بالشعاع الذي يسبق الفجر في أعالي الألب والذي ترف له القمة المتوجة بالثلوج .. لم يكن ابتساما ، ولكنه لون من خواطر المتصوفة ... لم يكن قط ما زادها في هذه اللحظة معرفة وإدراكا أكثر منه حبا وهياما ... »

قلت للسيد « لست أدري أيهما خير من الآخر : الباستير السويسري مع جرترود ، أم السيد التركي مع هيلين ؟ » قال « الباستير من غير شك لأن جرترود قد خرجت على يديه من الصمت إلى الإفصاح .. أما أنا فلم أصنع إلا ما يجب لها ، وما هو من حقها في الحياة ، وخير منهما جميعا المرسكي الشاعر ، ثم أعاد إلى يده ديوانه وأخذ يترجم عن التركية :

« ليس حتما أن تنتقل النفس من النور إلى الظلمة ، لأن النور طبيعتها فقيم التحول وهي مستريحة إليه » « ومن الحتم أن تنتقل من الظلمة إلى النور ليس فقط لأنهـا تشعر بالغربة والإيحاش ، ولكن لأن وطنها الأول يحمي هو الآخر رعاياه »

باريس — علي شرف الدين

دكتور في الأدب الفرنسي البحت من السوربون

فضل المدنية العربية
على المدنية الغربية

للدكتور فيليب حتى
أستاذ التاريخ بجامعة برنجستون بالولايات المتحدة

خلاصة موجزة لسبع محاضرات ألقاها الأستاذ باللغة الإنجليزية
في جامعة سان باولو

٥ — نهوض الشعوب العربية الحديثة

العالم العربي قطعة متصلة تمتد من مراكش على الأتلنتيكي غرباً إلى العراق على خليج فارس شرقاً تجمعها اللغة والثقافة. وهي تتألف من وحدات أربع: إفريقية الشمالية، مصر، الجزيرة العربية، والهلال الخصيب

فأفريقيا الشمالية هي من حيث الجغرافية جزء من القارة الإفريقية، ومن حيث الثقافة والتاريخ جزء من الشرق الأدنى. وهي تتميز عن غيرها من الوحدات العربية بقربها من أوربا وبعدها عن قلب الإسلام وقلة الدم العربي في سكانها وكثرة المستعمرين الأوربيين المستوطنين فيها مما جعلها تسير في طريق لنفسها. وهذه الوحدة الإفريقية هي الأولى التي وقعت تحت النفوذ الأوربي السياسي وانفصلت عن جاراتها المسلمات. فالروح القومية العربية للآن لم تبلغ فيها حداً عالياً

وكانت الجزائر أول بقعة فيها احتلها الأوربيون وهم الفرنسيون وذلك عام ١٨٣٠. وتبعها تونس التي احتلها الفرنسيون عام ١٨٨١. أما مراكش فتقاسمها الفرنسيون والإسبان في بداءة القرن العشرين؛ وبقيت طرابلس الغرب في حوزة الأتراك العثمانيين إلى عام ١٩١٢ عندما احتلها الطاليان وأطلقوا عليها الاسم الروماني القديم ليبيا. وستكون ليبيا أول بلاد من هذه الوحدة تتحرر وتستقل بفضل قرار من الأمم المتحدة يقضي بذلك في أول كانون الثاني من عام ١٩٥٢

ومصر من حيث الجيولوجيا والجغرافيا جزء من إفريقية ومن حيث التاريخ والثقافة جزء من آسيا الغربية. فمصير مصر في كل أدوارها كان مرتبطا بالبلدان في شرقها لا في غربها. وهي باعتبار سكانها (٢٠٠٠٠٠٠٠) وخصب أرضها وغنى أبنائها في مقدمة الدول العربية وتطمح إلى الزعامة بينها. وكان الإنكليز قد احتلوا مصر عام ١٨٨٢ ولكنها نالت استقلالها الناجز سنة ١٩٣٦

والجزيرة العربية تمتاز باحتوائها الأماكن المقدسة، مكة والمدينة. وهي بداعي تقاليدها الدينية وجغرافية أرضها تعيش عيشة منفردة انعزالية غير متأثرة بالعوامل الخارجية. لذلك انكسرت موجة التأثير الغربي الأوربي بما فيها من قومية وعلمانية ونزعات عصرية حديثة، على شواطئ الجزيرة دون أن تحدث فيها هياجاً ملحوظاً. وفي أوائل الثلاثين من هذا القرن اكتشف الأمريكيون في شمالها — في البلاد السعودية — معادن غنية للزيت ولكن أثر الشركة الأمريكية يكاد يقتصر على بقعة محاذية للخليج الفارسي. وفيما سوى المملكة السعودية فهنالك مملكة اليمن المستقلة وهذه أيضا متصفة بالمحافظة على القديم وعدم الإجابة لدواعي المدنية العصرية الحديثة

والهلال الخصيب يتألف من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق. ولقد كانت سورية ولبنان إلى نهاية الحرب العالمية الثانية تحت الانتداب الفرنسي ولكنهما اليوم جمهوريتان مستقلتان. وكانت فلسطين وما وراء الأردن والعراق تحت الانتداب الإنكليزي. ومقاومة الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان نشط الروح القومية الوطنية؛ كما أن مقاومة الانتداب الإنكليزي في سائر بلدان الهلال الخصيب ومقاومة الصهيونية نشط الروح القومية فيها. ولقد كان تقدم العراق السياسي من الانتداب في عام ١٩١٨ إلى الملكية عام ١٩٢١ إلى الاستقلال والانضمام إلى جامعة الأمم عام ١٩٣٢ أمراً مذكوراً. والعراق اليوم مثل مصر حكومته ملكية دستورية

وعليه نرى أن الأمم العربية في غربي آسيا التي كانت حتى الحرب العالمية الأولى خاضعة للحكم العثماني قد فازت بين الحربين العالميتين باستقلالها وأخذت تسير في قافلة الأمم العصرية الديمقراطية الناهضة

٦ — أثر الغرب الحديث في البلدان العربية

ظلت البلدان العربية رازحة تحت الحكم العثماني أربعة قرون (١٥١٦ — ١٩١٨) كانت بمثابة القرون المظلمة في تاريخها الطويل . عاش أبناء العربية في هذه القرون محافظين على القديم مقيدين بالتقاليد لا يشعرون بشيء من التقدم الأوربي ولا يهتمون به . فكان الجمود أهم ميزة لمدنيتهم

وجاءت حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٧ بمثابة الهزة الأولى التي أيقظتهم من سباتهم . وكان نابليون قد جاء بمطبعة عربية من رومة فأقامها في القاهرة وأنشأ معها أكاديمية للآداب والعلوم ومكتبة . فكانت هذه المطبعة أول مطبعة في وادي النيل . وعقب نابليون في حكم البلاد محمد علي فأرسل البعثات العلمية والحربية إلى البلدان الأوربية ولاسيما فرنسا وإيطاليا، ولم يكتف بذلك بل استدعى من أوربا إلى بلاده ضباطاً وأساتذة وأطباء ومهندسين ، وأسس في القاهرة مدرسة طبية وأخرى هندسية . وكان يحلم محمد علي بتشييد إمبراطورية عربية يكون هو على رأسها

وأثر الغرب الذي بدأ في مصر ما لبث أن امتد إلى سورية ولبنان وذلك في عهد إبراهيم باشا ابن محمد علي في العقد الرابع من القرن التاسع عشر (١٨٣١ — ٤٠) فأخذت الرسالات التبشيرية من كاثوليكية وبروتستانية تشيد المدارس والكنائس . فالأمريكيون أسسوا في بيروت عام ١٨٣٤ المطبعة التي لم تزل تعمل باسمهم . وفي عام ١٨٦٦ بنوا الجامعة الأميركية . وعلى الأثر شيد اليسوعيون الفرنسيون مطبعتهم التي لم تزل في مقدمة مطابع الشرق وجامعتهم المعروفة في بيروت . وما لبث أبناء لبنان وسورية أن أقاموا المطابع والمدارس والمكاتب والجمعيات العلمية والأدبية على منوال المنشآت الغربية . وعقب عصر الترجمة من الإنكليزية والفرنسية عصر الإبداع والاستنباط في الأدب والعلم والفن

وكان من نتائج النهضة الأدبية أن تولد الوعي القومي بين أبناء العربية وذلك بعد أن أدركوا بفضل هذه المدارس شيئاً من ماضيهم المجيد وتاريخهم الملىء بالمفاخر . فاليقظة السياسية عقبت اليقظة الأدبية . وتولدت في أفكار القوم الروح القومية بما فيها من الرغبة في التخلص من الحكم التركي وتقرير المصير والاستقلال السياسي

وكان رواد هذه النهضة معظمهم من أبناء لبنان المسيحيين ومن خريجي المدارس الأميركية الذين وجدوا في مصر مجالا أوسع للعمل

فأساس النهضة العربية الحديثة إذن أدبي علمي . وعلى ذلك الأساس تشيدت دعائم الوطنية والقومية العربية . وكل ذلك بتأثير الموجة الغربية التي نقلت إلى الشرق أفكاراً علمانية واقتصادية واجتماعية وسياسية جديدة . وكان من أهم الأفكار السياسية فكرة الديمقراطية وتقرير المصير

ولم تكن الروح القوميه العربية في بادئ أمرها من النوع الإقليمي بل من النوع الشامل . كان أساسها اللغة والثقافة لا الدين ، وكانت ترمي إلى جمع المسلم والمسيحي المصري والسوري واللبناني على صعيد واحد هو الصعيد الأدبي

٧ — نشوء القومية والفوز والاستقلال

كانت البلدان العربية الآسيوية حتى الحرب العالمية الأولى وحدة مفردة تخضع للحكم العثماني . على أن تلك الحرب كان من نتائجها تفكك عرى الإمبراطورية العثمانية وسلخ البلدان العربية وتجزئتها إلى وحدات متعددة مما آل إلى تجزؤ القومية العربية البدائية

فمصر بعد أن احتلها الإنكليز عام ١٨٨٢ صار همها الأول التخلص من ذلك الاحتلال . فأصبح لها مشكل خاص بها . وبفضل ذلك أخذت القومية فيها تصطبغ بصبغة محلية موضعية وانفصلت عن القومية العربية الشاملة . يومئذ اكتشف المصري أنه مصري واتخذ شعاره « مصر للمصريين » . وفي عام ١٩٣١ نالت مصر استقلالها بعد أن أمضت مع إنكلترا معاهدة لعشرين سنة تخول الإنكليز حق استخدام المرافئ وطرق المواصلات المصرية في أيام الحرب وإبقاء حامية بريطانية على ترعة السويس

كذلك سورية ولبنان بفضل مقاومتهما للانتداب الفرنسي الذي أصبح مشكلهما الخاص بهما افترقتا عن بقية البلدان

العربية وتولدت فيهما روح إقليمية خاصة . وكان أبناء سورية ولبنان يشكون من عدم اعتبار فرنسا لقوميتهم ومن فرض اللغة الفرنسية عليهم ومن تقسيم البلاد السورية إلى ولايات والسماح لتركيا باحتلال سنجق هاتاي . فمقاومة الانتداب جاءت بمثابة مسن يشحذ عليه القوميون سيوف وطنيتهم إلى أن أعلن لبنان جمهورية مستقلة وكذلك سورية وذلك عام ١٩٤٥ . وكان لبنان في الكثير من أحقابه ولا سيما في العهد العثماني يتمتع بمقدار مختلف من الحكم الذاتي

أما مشكلة فلسطين التي وقعت تحت الانتداب الإنكليزي فما زاد عرقلته حشر الصهيونية فيه . وهي الحركة الأجنبية التي اعتبرها العرب بكليتهم حركة اعتداء وظلم . فالجهاد ضد بريطانيا والصهيونية نتج عنه روح فلسطينية محلية . وبعد أن ظهرت إسرائيل (١٩٤٨) ضم الملك عبد الله ما تبق من فلسطين إلى مملكته وبذلك زالت فلسطين من الوجود

وكان الملك عبد الله قد بدأ حياته السياسية العامة أميراً على ما وراء الأردن وذلك عام ١٩٢٢ بعد أن طرد الفرنسيون أخاه فيصل من عرش سورية المحدث

بيد أن سياسة الانتداب الإنكليزي في العراق جاءت من الطراز المستنير المتساهل ، ففي عام ١٩٢١ بعد أن فشل الأمير فيصل في محاولته الملكية في دمشق نصبه الانكليز ملكا على العراق . وفي عام ١٩٣٠ تخلى الانتداب البريطاني عن كل حقوقه في هذه البلاد واعترف بالعراق بلاداً مستقلة . فالعراق سبقت شقيقتها سورية في ميدان التطور السياسي مع أن سورية كانت تسبقها في التقدم العمراني والثقافي

والمملكة العربية السعودية هي من صنع ملكها الحالي عبد العزيز بن سعود الذي شيد لنفسه مملكة جديدة منتشرة من الخليج الفارسي إلى البحر الأحمر ومنطوية على معظم الجزيرة العربية الشمالية والمتوسطة . وهو الذي طرد الملك حسين والد عبد الله وفيصل من الحجاز . وجاء اكتشاف الزيت بغزارة فائقة في صحارى هاته البلاد حادثاً تاريخيا هاما إذ بواسطته فتحت بعض أطراف البلاد أبوابها لقبول العوامل العمرانية الغربية الحديثة . ولشركة الزيت الأميركية التي نالت امتياز الاستثمار عام ١٩٣٣ الفضل في جعل دخل المملكة العربية السعودية أعظم دخل لبلاد عربية في العالم

وفيما سوى هذه المملكة فهنالك مملكة اليمن في الجنوب التي لا تزال حكومتها ثيوقراطية وأبناؤها بعيدون عن المؤثرات الخارجية العصرية من علمية وفنية وعلمانية . فاليمن لا تزال محافظة على القديم بعيدة عن مجارى العمران التقدمي الحديث

إن كانت الحرب العالمية الأولى نتج عنها تقسيم البلدان العربية وتجزئتها وتوليد قوميات وطنية فيها فالحرب الثانية جاءت نتائجها عكس ذلك . شعر أبناء العربية أن مصلحتهم الاقتصادية والسياسية تقضي بجمع كلمتهم وتوحيد أهدافهم فمالوا إلى التعاضد والتعاون والوقوف المتحد في وجه العدو الخارجي . وكان من نتيجة ذلك تأليف جامعة الدول العربية وقوامها مصر وسورية ولبنان والأردن والعراق والبلاد العربية السعودية واليمن . وللجامعة دستور يكفل لكل دولة فيها الاستقلال التام ويقضي بحل المشاكل بين الأعضاء إذا كان ثمة مشاكل بطرق سلمية ويفرض التضامن على دفع الاعتداء من الخارج . وللجامعة لجنة سياسية وثانية اقتصادية وثالثة ثقافية . ومع رغبة الجزائر ومراكش وتونس في الانضمام إلى عضويتها فالدستور لا يجيز ذلك إلى أن تحقق كل واحدة من هذه البلدان استقلالها الداخلي التام

ومع أن الجامعة نالها شيء من الكسوف بداعي المعضلة الصهيونية التي تولدت منها إسرائيل فهي الآن تحدد حياتها وتسعى للعمل الصالح الشامل . وعلى نسبة ازدياد شأن هذه المنظمة في الشؤون الدولية تزداد قيمة الأعضاء فيها

فيليب حتي

الأمثال في حياة اللغة

للأستاذ حامد حفني داود

الأدب العربي بمعناه الخاص ينقسم إلى قسمين : شعر ونثر. النثر العربي صور شتى أهمها : الرسائل الأدبية بأنواعها الثلاثة : الديوانية والعامة والخاصة — ثم التأريخ الفني والقصص — ثم الحوار والمناظرات — ثم المقتضبات والتوقيعات — ثم الحكم والأمثال — ثم الملح والفكاهة

وقد آثرت في هذا المقال أن أتحدث عن «الحكم والأمثال» لما لاحظته فيها من تطور عجيب تخالف فيه فنون النثر العربي سواء في نشأتها وتأريخها

والحكمة في اللغة : القول الجليل ذو المعنى الشريف ، والمثل : القول البليغ المقتضب يضرب لشرح أمر أو تفسير ظاهرة أو تأكيد معنى من المعاني . ولا تختلف الحكمة عن المثل كثيرا ، وربما كان أخص ما تمتاز به أنها أقدم منه استعمالا وأشرف معنى وأعمق فكراً وأدل على المقصود وأبق مع الزمن

ooo

أما نشأتهما فترجع إلى أحداث قديمة تتعلق بنواحي اللغة أو المتكلمين بها في أقدم عهودها ؛ فأكثر الأمثال يعود بنا في نشأته وظهوره إلي العصر الجاهلي ، يوم كانت اللغة في عنفوان شبابها ، وكادت تنحصر في الجزيرة العربية ، والعرب بعيدون عن الأعاجم تقريبا ، وقبل أن يختلطوا بهم ويتفشى اللحن فيهم

ولكن من هؤلاء الذين أرسلوا هذه الأمثال ؟ لا شك أن هذه الأمثال لم تنزل من السماء أو ينزل بها الوحي . ولو أننا استطعنا أن نصدق أن مفردات اللغة كانت « تلقينيه توقيفية » كما يزعم الفقهاء استدلالا بقوله تعالى « وعلم آدم الأسماء كلها »[1] فإننا نجزم أن أكثر الأمثال — إن لم يكن جميعها — « اصطلاحي » ؛ لأنها — كما سنحقق — من صنيع العربي الصراح ووليدة تفاعله المستمر مع بيئته

وربما كان شعراء الجاهلية أسبق من خطبائها إلى هذا اللون من الفن النثري . وقد نعجب لذلك لأن أكثر الأمثال لون من ألوان النثر وليست من باب الشعر . ولكنك لا تلبث أن تقتنع إذا علمت أن العناصر الأدبية وهي : الفكرة والخيال والعاطفة والأسلوب . تتحقق في نفسية الشاعر قبل الناثر . ومن هنا كانت الأمثال أشبه بالشعر المنثور يرسله الشاعر قبل الناثر

ولعلك تؤيد هذا الزعم الذي ذهبت إليه إذا علمت أن أكثر الأمثال العربية التي دونها لنا القدماء من مؤرخي الأدب العربي ترجع في وضعها إلى هؤلاء الشعراء الجاهليين

وقد كان شعراء الصعاليك — وهم الرعيل الأول من شعراء العصر الجاهلي — أعظم حظا وأوفر نصيبا من إخوانهم في هذا الباب . ولعل ذلك يرجع إلى استعدادهم الفطري البالغ وتفاعلهم الصريح بالبيئة العربية الصارخة التي أبدعت هذا اللون من الأدب النثري . واشتهر من بين هؤلاء جماعة كثيرون عرفوا بضربهم في فيافي الجزيرة وتصرفهم في مجاهلها . نذكر منهم على سبيل المثال : « تأبط شرا » و« أبا الطمحان القيني » و « السليك بن السلكة » و « والشنفرى »

وقد كانت هذه الأمثال وليدة أحداث ووقائع اعترضت هؤلاء الشعراء في حياتهم . قيل : لما أسر أسيد بن جابر « الشنفرى » ، قال إخوان أسيد للشنفرى : أنشدنا . فقال : (إنما النشيد على المسرة) وأرسلها مثلا . وحكوا أن « السليك » سار ليلة على رجليه رجاء أن يصيب شيئا ثم نام ، وبينما هو نائم جثم عليه رجل وقال له : استأثر ، فرفع السليك رأسه قائلا (الليل طويل وأنت مقمر) فذهبت مثلا[2] حدث كل ذلك والعرب في بيئتهم ، ونطقوا به منجما وفق أحداث الحياة ووقائعها ، ولم يرثوه عن أجدادهم تلقينا وتوقيفا كما ورثوا مفردات اللغة[3] وإنما تحكمت البيئة في الاصطلاح

(١) المزهر لمجدد القرن العاشر جلال الدين السيوطي ص ١١ ، ١٢

(٢) شعراء الصعاليك من العرب «لصاحب هذا المقال»

(٣) على رأى القائلين بالتوقيف

والتواضع عليه

* * *

ولم يكد يظهر الإسلام وينتشر فى بقاع الأرض شرقا وغربا حتى عت هذه الأمثال — كما عمت غيرها من آداب اللغة — إلى ألسنة المتأدبين والناطقين بالعربية من عرب وأعاجم . ولكن قافلة الأمثال لم تسلك الطريق الذى سلكته قافلة الرسائل وغيرها من صور النثر . أريد أن أقول : إن تاريخ الأمثال العربية يغاير فى نشأته وتطوره تاريخ الكتابة والرسائل مغايرة تامة . ذلك لأن الأمة العربية لم تنشأ حاجتها إلى الكتابة المنظمة والرسائل المدونة التى نقرأها فى كتب الأدب إلى حين تعقدت الحياة واتسعت رقعة الدولة واحتيج إلى العمال فى الأقاليم لإحصاء أمور الإمبراطورية الإسلامية وتنظيم سياستها الداخلية والخارجية . أما الأمثال فإنها لم تتحدد بهذا الزمن أو تختنق فى هذه الدائرة الضيقة أو تتوقف على هذه الأسباب لأنها من الحياة اليومية فى الأسرة والمجتمع . وقد كانت ولا تزال فى كل زمان ومكان من الرجل الساذج والعامى والجاهل ومحدود الثقافة فى الوقت الذى كانت فيه ولا تزال من الكاتب الكبير والأديب المبتكر . بل ربما كانت عند الساذج والجاهل أوفر استعمالا من غيره

ومن هنا نستطيع أن نعلل كيف كانت الأمثال أسرع فنون النثر تطوراً ، وكيف سلكت طريقها فى الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموى وهى تنمو نموا مطرداً . إنها لم تتأخر إلى هذا الحين الذى نشأت فيه الكتابة الديوانية ؛ التى جودها عبد الحميد الكاتب وأستاذه سالم . بل سلكت طريقها صعداً إلى الأمام منذ مولدها على لسان العربى فى بيئته الجاهلية ، وتلونت بالحياة الاجتماعية فى شتى أحوالها وأطوارها وصورها المختلفة فى التاريخ ؛ ذلك لأنها — كما قدمت — كانت جزءا من لغة الحياة وزخرف القول الذى لا بد للناس منه فى كل يوم

وهنا لا نعجب إذا رأينا أن تطور الأمثال لم يقف أو يجمد فى اليوم الذى وقفت فيه وجمدت حياة الكتابة الديوانية أواخر القرن السابع الهجرى(٤) ولا شك أنك ترى معى أن هذا راجع إلى السبب الأول نفسه — وهو أن الأمثال من الأدب اليومى عند العامى والبليغ على السواء . فظاهرة الاستعمال والتفاعل مع الحياة اليومية هى التى حفظت للأمثال رونقها وأبقت عليها حياتها

* * *

وثمة فارق آخر تتميز به الأمثال عن غيرها من فنون النثر ، ذلك أن هذه الفنون الأخرى حين جمدت فى أواخر القرن السابع صارت صوراً أدبية قديمة كلاسيكية لا وجود لها فى واقع حياتنا اليومية ، فلم يستطع أحد من الأدباء المتأخرين أن ينقلها إلى واقع الحياة ، كما لم يستطع العامة أن ينقلوها إلى لغتهم الدارجة أو تأخذ مكانها من نفوسهم وحياتهم التى تتطور يوما بعد يوم . لقد عجزت هذه الفنون عن مواصلة حياتها لأنها جفت قبل أن تصل إلى أيدى العامة واستعمال سواد الناس لها ، على حين تلونت الأمثال تلوناً سريعا بعاميتنا العربية وخاصة فى العصرين : المملوكى والتركى . واستطاعت خلال هذه الحقبة الطويلة أن تخوض معركة العامية وأن تحرز النصر وأن تكسب جائزتى « التحرر » و « الخلود » معاً — دون أخواتها من فنون النثر . ومن ثم فرضت نفسها على الحياة كما فرضت العامية نفسها

ولعلك تعجب كثيرا حين ترى سبعة أعشار لغتنا العامية — اليوم — من هذه الأمثال . فلا تكاد تسمع أحداً ممن يتكلمون بالعامية الصرفة أو العامية المهذبة لا يستعمل هذه الأمثال بين الفينة والفينة . وهناك كثيرون من مفطورى العامة من يستطيعون أن يجعلوا حديثهم كله سلسلة عجيبة متتالية من الأمثال . ولم العجب وقد ولدت وتحورت فى بيئتهم التى يعيشون فيها وورثوها عن آبائهم . فهى صنيعة وراثتهم وبيئتهم وعقليتهم وطوع ألسنتهم

وهل منا من ينكر ذلك ونحن نتحدث عن ظاهرة طبيعية واجتماعية . لغوية من مظاهر الطبع والسليقة . وإذا كنا نصدق أن من الصوفية من تحرز فى كلامه المباح من أن ينطق بغير الآيات القرآنية فى كل ما يسأل فيه أو يجيب عنه ، وأن من الشعراء من حاول أن يجعل جميع كلامه من الشعر لا فرق عنده بين أحاديث الأدب والأحاديث المباحة . وأن الكسائى قال : لو شئت أن أجعل جميع كلامى مما يقوله النحاة فى اصطلاحاتهم

(٤) المنهج العلمى الحديث فى تاريخ العلوم العربية (لصاحب هذا المقال)

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي

علاقته بالبرامكة

ذكرنا فيما سبق أن أبا العتاهية كان يلتزم جانب الفضل ابن الربيع في النزاع الذي نشب بينه وبين البرامكة ، وقد أقمنا الدليل على ذلك بما كان بين الشاعر والفضل من تواد وتعاطف . وسنحاول اليوم أن ننظر إلى المسألة من جانبها الآخر ، فنرى مدى ما كان بين الشاعر والبرامكة من عداوة أو صداقة ، فإن كانت الأولى فقد استقام لنا ما ذكرناه آنفا من أن التعاون بين الشاعر والفضل كان تعاونا سياسيا يهدف إلى مضادة البرامكة ، وإن كانت الأخرى فقد التوى الحديث واضطرب

ومن حسن الحظ أن نرى الأدلة على ما كان بين البرامكة وأبي العتاهية من خلافات متعددة ، بقدر ما كانت شواهد انسجامه مع الفضل متنوعة ، ومن ذلك ما حدثنا به أبو الفرج من أن متحدثا ذكر في مجلس يحيى بن خالد البرمكي يوما أن أبا العتاهية قد نسك وجلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك ؛ فقال يحيى : ألم يكن يبيع الجرار قبل ذلك ؟ فقيل له نعم ، فقال أما في بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغنى به عن الحجامة ؟ فإذا عرفنا أن يحيي بن خالد كان على جانب عظيم من الحصافة والرزانة؛ أيقنا أنه ما كان ليفوه بتلك العبارة المنكرة لو لم يضمر للشاعر حقدا شديدا أنساه حلمه ووقاره . ومن ذلك ما روى أيضا من أن الرشيد قال يوما للشاعر ، وقد أعجبه ما رأى حوله من مظاهر ملكه : صف لنا ما تراه في مجلسنا من مباهج الحياة . فأنشد :

عش ما بدا لك آمنا ... في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيـ ... ـت لدى الرواح أو البكور
فإذا النفوس تقعقعت ... في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ما كنت إلا في غرور

وما كاد الرشيد يسمع الأبيات حتى بكى بكاء مرا ، فقال الفضل بن يحيى وكان بالمجلس : استدعاك أمير المؤمنين لتسره فسئته ! فقال الرشيد : دعه وما يريد ، لقد رآنا في عمى فأحب ألا يزيدنا منه . أرأيت كيف كان الفضل بن يحيى يضيق ذرعا بأبي العتاهية وبالطريقة التي كان يتبعها في بلبلة بال الرشيد وتنفيره من الحياة وزينتها ، على حين كان الفضل بن الربيع يغريه بذلك ويقيمه عليه

وشيء آخر يزيدنا إيمانا بما ذهبنا إليه من انقطاع صلات المودة بين أبي العتاهية والبرامكة ، وذلك هو أننا لا نجد له بيتا واحداً من الشعر في مدحهم . أليس ذلك عجيبا حقا في ضوء ما نعلمه من حرص أبي العتاهية الشديد على جمع المال ، وما نعلمه إلى جانب ذلك من كرم البرامكة الذي كان مضرب الأمثال ؟ فهل كان أبو العتاهية جاهلا بأنباء ذلك الكرم والبرامكة منه قاب قوسين أو أدنى يغادونه ويراوحونه في بغداد ؟ كلا لم يكن شاعرنا جاهلا بشيء من ذلك ، ولكن صلته بالفضل بن الربيع

لغملت ، وأن إنسانا سأله : ما حكم رجل سها في سجود السهو فأجابه باصطلاحات النحاة : « المصغر لا يصغر »

أفبعد ذلك كله نعجب — ونحن في معرض الطبع — من أن تمثل الأمثال السواد الأعظم من لغتنا العامية أو تصبح سبعة أعشار ما ينطق به العامة في الشارع والمنزل ومكان العمل . إنها ليست سوى ظاهرة طبيعية لا عجب فيها

وإنما العجب الأكبر إن كان لا بد من العجب أن تنطلق « الأمثال » وهي صورة من صور النثر الفني في هذا النماء السريع العجيب المطرد ، وأن تتطور مع الحياة ويكتب لها الخلود في كل عصر كما تطورت « لغة الحديث » وكتب لها الخلود عاما . فتراها تظهران في ثوبين من العامية الإقليمية في مصر أو غيرها من الأقطار العربية

ولعل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على ما بين « التراكيب المثلية » — إن صحت هذه النسبة — وبين لغة الحديث اليومية من قرابة جوهرية واضحة أصيلة لا نستطيع دفعها أو إنكارها

للكلام صلة — حامد حفني داود

ومناصرته له عليهم حرمته عطفهم ، وباعدت ما بينه وبينهم .

وإذا أعوزك الدليل على ذلك ، فاستمع إلى أبي الفرج إذ يقول : سأل أبو العتاهية صالحا الشهرزوري — وكان صديقا له — أن يكلم الفضل بن يحيي فى حاجة له ، فتردد صالح فى ذلك وأبدى استعداده لأن يمنح الشاعر ما يشاء من ماله الخاص ، ولكن الشاعر أبى إلا ما يريد ، وأنب صالحا وقرعه فى عدة مقطوعات شعرية ، ولما وصل صالحا الأبيات التالية :

أهل التخلق لو يدوم تخلق لسكنت ظل جناح من يتخلق
ماالناس فى الإمساك إلا واحد فبأيهم إن حصلوا أتملق
هذا زمان قد تعود أهله تيه الملوك وفعل من يتصدق

لم يجد بدا من الذهاب كارها إلى الفضل ومعه الأبيات السالفة ، وكلمه فى شأن أبي العتاهية ، فقال الفضل : لا والله ما شئ على الأرض أبغض إلى من إسداء عارفة إلى أبي العتاهية ، وقد قضيت حاجته لك

أرأيت كيف كان الفرق واضحا بين معاملة الفضل بن الربيع للشاعر ، ومعاملة الفضل بن يحيي له ؟ فبينا نرى الأول لا يكتفى بما يسبغه على الشاعر من ماله الخاص ، بل ينتزع له الأموال من الخلفاء ، ويروج لأشعاره عندهم ، إذ بنا نرى الشاعر لا يكاد يجرؤ على القرب من الفضل بن يحيي حينما تعرض له حاجة عنده ، بل يطلب له الشفعاء والوسطاء

وإننا لنعتقد أن فهم ما كان بين الشاعر والبرامكة ، وما كان بينهم وبين الفضل بن الربيع من خلاف على النحو الذى ذكرناه ؛ هو الطريق السليم إلى تفسير حدث غامض فى الأدب العربي ، لا يكاد المرء يتدبره حتى يحس أن هناك فراغا فى نفسه أو فى القصة يحتاج إلى ملء . فقد روى الصولى فى أوراقه أن يحيى بن خالد البرمكى شعر بحاجة إلى حفظ كتاب كليلة ودمنة ، ولكى يسهل ذلك الأمر على نفسه طلب إلى صنيعته أبان اللاحق أن ينظمه له . ويشتد حرص يحيي على إنجاز نظم الكتاب فى أقصر وقت ، فيحبس أبانا فى منزله إلى أن يفرغ منه ، ثم يعطيه جائزة سنية عند انتهائه من الكتاب . ويذكر الصولى أن جعفرا البرمكى كان يحفظ الكتاب أيضا . ثم يذكر فى مكان آخر أن يحيي قال لأبان : هلا قلت شيئا فى الزهد ، وأن أبانا نظم أشعارا كثيرة فى الزكاة وغيرها من العبادات .

ويروى أبو الفرج أنه نظم قصيدة سماها ذات الحلل ، ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وشيئا من المنطق ، وينسبها بعض الناس إلى أبي العتاهية . والآن فلنناقش هذه الأخبار واحدا فواحدا .

أما ما كان من رغبة يحيى وجعفرا فى حفظ كليلة ودمنة فأمر يستوجب التساؤل : لم عنى البرامكة بهذا الكتاب تلك العناية الشديدة ، ولم حرصوا على حفظه أو حفظ شئ منه ، ولم كانت العجلة فى نظمه عجلة أدت إلى حبس ناظمه ؟

والإجابة عن تلك الأسئلة تسهل علينا إذا نظرنا إلى موضوع الكتاب ، فما هو إلا محاورات وضعت على ألسنة الحيوانات ، وتدور حول ما يدبره بعض الناس للبعض الآخر من مكائد ، وما يبيتون لهم من شرور ، وآية ذلك أن أولى قصصه وأهمها تصف حال شخصين متحابين متوادين دخل بينهما ثالث ، وما زال يسعى بينهما بالسوء حتى أفسد ما كانا عليه من مودة ثم أهلكهما جميعا . ولعل القارئ الكريم قد رأى معى تمام الشبه بين موضوع الكتاب وما كان يمثل إذذاك على مسرح بغداد من روايات ؛ أليس هذان المتحابان هما البرامكة أو قل جعفر البرمكى بالذات من جهة ، وهارون الرشيد من جهة أخرى ، كما أن الداخل الثالث بينهما هو الفضل بن الربيع . ألا يمكن أن يكون يحيي وابنه جعفر ، إنما أرادا بحفظ ذلك الكتاب أن يجدا المادة حاضرة كلما عنت مناسبة لتبصرة الرشيد بما كان يدبره له ولهم الفضل بن الربيع من مكائد توشك أن تذهب بأكفأ وزرائه وأوفى أصدقائه ، وكفى بذلك وبالا على الطرفين ؛ نعم ، قد يكون ذلك بعض ما قصدوا إليه من حفظ الكتاب . وليس ببعيد أن يكون البرامكة — وقد حاروا فى أمرهم لكثرة ما يرميهم به الفضل من مكائد — قد عمدوا إلى حفظ ذلك الكتاب حتى يجدوا فيه جوابا شافيا لكل ما يعرض لهم من أسئلة ، ومخرجا مما يقعون فيه من مآزق ، وإرشادا لما يمكن أن يلتزموه من أساليب الحيطة والحذر . والحكمة حينئذ فى وضع الكتاب فى قالب شعرى واضحة ، فإن الشعر أيسر فى الحفظ وأخف على اللسان ؛ ولذلك كان مستودع المثل السائر والحكمة البالغة منذ القدم ، ولاشك أن فنا كهذا

شأنه أكثر ملازمة لمجلس الخليفة من الفتر

وأما ما كان من إيحاء يحيى بن خالد إلى أبان بأن يقول شيئا فى الزهد ، مع ما يعلمه من أن الزهد ينبعث من النفس ولا يفرض عليها ؛ وما يعلمـه أيضا من أن أبانا كان رأسا من رؤوس الزنادقة فى عصره ، فأمر أريد به النيل من أبى العتاهية الذى كان يحتكر (١) ذلك الفن الأدبى ، ويبنى عليه صرح عظمته الشعرية ، ولا أدل على غيرته على ذلك الفن وحرصه على ألا يشاركه فيه أحد ، من انزعاجه حين علـم يوما أن أبا نواس قد بدأ يقول الشعر فى الزهد ، ثم ما كان من إرساله رسولا إلى أبى نواس يحذره أن يقول شيئا فى الزهد ؛ ويخبره أن ذلك فن اخترعه هو وسيحميه من كل مغير عليه أو مشارك فيه ، ويظهر أن أبانا لم يستطع إقحام نفسه فى عالم الزهاد ، لما عرف عنه جيدا من انتمائه إلى دنيا الزنادقة ، ولما كان لابد له من من الاستجابة لمولاه فى صورة من الصور ، فقد أخذ ينظم الأشعار فى العبادات من زكاة وصلاة ونحوها ، وكأن أبانا قد أراد أن يذكر أبا العتاهية بالأثر المشهور (ما تقرب عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه » ، وأن يخبره بأنه يجب على المرء أن يشغل نفسه بالعبادات ، لا أن يطيل الحديث عن الموت والقبور وما تؤدى إليه من خراب العالم ودماره ، مسميا ذلك زهدا وورعا

وأما ما أورده الصولى من أن أبانا قـد أنشأ قصيدة سماها ذات الحلل ، وقد أودعها شيئا من المنطق ، وأن بعض الناس كان ينسبهـا إلى أبى العتاهية ، فدليل جديد على أن أبانا كان يعارض أبا العتاهية فى شعره ، ويحاكيه محاكاة شديدة ، حتى اختلط أمرهما على الناس ، وصاروا ينسبون ما لأحدهما للآخر

والآن وقد عرفت رأينا فى الدوافع المختلفة التى أفضت إلى ما حدث من تحول فى حياة شاعرنا من مرح إلى كآبة ، ومن تفاؤل إلى تشاؤم ، لعلك متطلع إلى معرفة آراء السابقين فى ذلك . ونحن حين نحاول الإشارة باختصار إلى تلك الآراء ، نرجو من القارئ أن يتذكر ما قدمناه فى صدر بحثنا من أن الشاعر كان ملتويا فى التعبير عن آرائه ، لمـا كانت تتضمنه

(١) لنا عود إن شاء الله تعالى الى هذه النظرية

أحيانا من مهاجمة الخلفاء والوزراء ، ولذلك كان من الصعب أن يصل مؤرخو الأدب إلى أغراض الشاعر الحقيقية ، إلا إذا توفروا على دراسته دراسة تحليلية، وأوتوا الزمن الكافى لمثل تلك الدراسة ، وذلك مالم يحظ به الشاعر من قبل ، وهكذا عاش شاعرنا مجهولا حتى أمس القريب ، لا يعرف عنه الناس إلا أنه كان زاهدا ، وذلك ما نرجو أن ينتهى هذا البحث إلى نفيه عن الشاعر نفيا تاما

ومع أننا قد اعتمدنا فى تكوين رأينا عن الشاعر على دراسة بيئته وطفولته ثم أشعاره دراسة هادئة مطمئنة ، فإننا نظلم القدماء إذا لم نذكر أنهم أيضا قد أوردوا بعض لمحات يمكن أن يهتدى بها السارى فى دياجى تلك الحياة المعقدة الغامضة ، ونعنى حياة شاعرنا . من ذلك ما أورده الأغانى من محاورات دارت مع الشاعر أو دارت حوله ، أو أبيات شعرية قيلت فيه من أعدائه ومنافسيه ، وكل ما يقال عن تلك الأخبار أنها كانت سلبية ، ونعنى بذلك أنها عا أكدته من بخل الشاعر الشديد وحرصه العظيم على جمع المال ، قد نفت أن يكون الشاعر قد نهج نهجه الجديد فى الحياة ، الذى يبدأ عام ١٨٠ هجرية تحت تأثير ميل حقيقى إلى الزهد كما نعرفه نحن ، ولـكنهـا تقف مكتوفة اليدين عند ذلك الحد ، فلا تذكر لماذا إذن لبس ملابس الزهاد وأكثر القول فى الزهد

من ذلك تلك المحاورة التى دارت بينه وبين ثمامة بن أشرس حينما قال الشاعر :

ألا إنما مالى الذى أنا منفق ... وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى ... يحق وإلا استهلكته مهالكه

فقال له ثمامة : إن كنت تؤمن بما تقول ، فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة فى دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكى ، ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك ؟ فقال يا أبا معن والله إن ما قلت لهو الحق ، ولـكنى أخاف الفقر والحاجة . ومن ذلك أيضا ما رواه صاحب الأغانى عن العباس بن عبيد الله قال : كنا عند قثم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية ينشد فى

الزهد فقال قثم : ياعباس اطاب الساعة الجماز(١) حيث كان وإلك عندي سبق فطلبته ، وحين حضر مجلس قثم وجد أبا العتاهية مازال ينشده فى الزهد ، فأنشأ الجماز يقول :

ما أقبح التزهيد من واعظ   يزهد الناس ولا يزهد
لو كان فى تزهيده صادقا   أضحى وأمسى بيته المسجد
يخاف أن تنفد أرزاقه   والرزق عند الله لا ينفد

فلو علم قثم أن أبا العتاهية صادقا فى التعبير عن شعوره حينما يقول فى الزهد لما عبث به كل ذلك العبث ؛ ولما أغرى الجماز به

ولكن إبراهيم بن المهدى يخطو خطوة إلى الأمام ، فيذكر بعض ما كان يدفع الشاعر إلى القول فى الزهد :

لا يعجبنك أن يقال مفوه   حسن البلاغة أو عريض الجاه
إنى رأيتك مظهرا لزهادة   تحتاج منك لها إلى أشياء

فهو يبدى شكه الشديد فى صدق الشاعر فيما يدعيه من زهد ، ويعتقد أنه إنما يقول ما يقول كى يبنى له جاها بين العامة الذين يستهويهم كل ما يدور حول الدين من أحاديث . أو لعله يشير إلى ما كان للشاعر من نفوذ وصولة نتيجة لاتصاله بالفضل بن الربيع وزبيدة

ولعل أكثر الناس معرفة بأسلوب أبى العتاهية فى الحياة هو أبو العلاء المعرى ، وقد دون رأيه فيه فى مقطوعتين من الشعر يقول فى إحداها :

الله يرفع من يشا ء رتبة من بعد رتبه
أظهر المتاهى نسكا وتاب عن حب عتبه
والخوف ألزم سفيا ن أن يحرق كتبه

فأنت ترى شك أبى العلاء فى نسك أبى العتاهية وسخريته منه واضحة فى البيتين الأولين ، ويزيد البيت الثالث ذلك الشك تأكيدا بما يعتقده من مقارنة بين حال شاعرنا وحال سفيان الثورى الذى دفعه خوفه من الخليفة إلى تحريق (٢) كتبه . وكأن أبا العلاء يريد أن يشير إشارة لطيفة إلى أن أبا المتاهية إنما تظاهر بالزهد ، وأكثر من القول فيه ليستر ما كان يضمره للخليفة من بغض ، وأنه كان يعنى الخليفة نفسه بكثير مما كان يقوله فى ذلك الباب على نحو ما سنشرحه بعد

وفى المقطوعة الأخرى يقول أبو العلاء :

أرى ابن أبى إسحق (٣) أسحقه الردى
وأدرك عمر الدهر نفس أبى عمرو
تباهوا بأمر صيروه مكاسبا
فعاد عليهم بالخسيس من الأمر
بكسوة برد أو باعطاء بلغة
من العيش لا جم العطاء ولا غمر
فلا يضع الله المساعى فى التقى
فمن يسع فيها لا يخف غبن الدهر

أما ما قاله الكوفى (٤) فى الزهد مثل ما
تغنى به البصرى فى صفة الخمر

فأبو العلاء يدعو أهل العلم والأدب هنا أن يسموا بأدبهم فوق حاجات بطونهم وأجسادهم ، وأن يهدفوا فيما يقولون إلى أغراض أسمى وأنبل من أغراض هذه الحياة الفانية . وبيته الأخير ظاهر فى تأييد ما ندعو إليه خاصا بزهد أبى العتاهية ، إذ لا يرى فرقا كبيرا بين زهديات أبى العتاهية ، وخمريات أبى نواس ، حيث أن كلا منهما كان يجرى بشعره وراء غرض مادى ، وإن اختلفا فى الطريقة والمذهب

أما المستشرقون فهم فى نفس الحيرة والاضطراب التى كان فيها الأوائل حول مقاصد الشاعر ، ويقترب نيكلسون منا اقترابا شديدا ، حين يشير إشارة خفيفة فى هامش كتابه L.h.A ، إلا أن أبا العتاهية ربما كان قد ترك مجلس الخليفة ومال إلى الزهد لكراهيته للحياة التى كان يحياها شعراء البلاط فى ذلك الوقت

محمد عبد العزيز الكفراوى

(١) الجماز بن أخت سلم الخاسر ، وقال هذه الأبيات انتقاما لخاله الذى قال فيه أبو العتاهية
تعالى الله يا سلم بن عمرو   أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) ذكر صاحب تاريخ بغداد أن سفيان أخفى كتبه حين تخوف الخليفة

(٣) أبو إسحق وأبو عمرو كانا عالمين بالعربية طال بينهما اللجاج والخصومة الأدبية

(٤) الكوفى أبو العتاهية والبصرى أبو نواس

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان .. ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية لتقطيم الذي يوشك أن يضل .. والحيوية لشعب الذى يأبى أن يموت ... »

« الزيات بك »

— ١ —

يقال إن التاريخ يخلق العظماء ... إذ يتيح لهم فرص الزعامة ... ويمهد لهم سبل العظمة ... كما يقال إن الزعماء يخلقون التاريخ ... لأنهم يغيرون اتجاهاته ، ويؤثرون فى أحداثه ... ويعملون على تكوينه وخلقه بصورة جديدة ...

والواقع أن للزعامة أسباباً عامة ... متصلة بتاريخ الأمة ... وأسباباً خاصة متصلة بحياة الزعيم ، بحيث لا نستطيع أن نرجعها إلى تاريخ الأمة وحده ، أو لظروف داخلية معينة ... كما أن تاريخ الدول — قديمها وحديثها — متأثر بسياستها الداخلية ... وظروفها الدولية ... لهذا يتأثر التاريخ بحياة العظماء ... ولكن العظماء ليسوا كل شئ فى تاريخ الدول ...

* * *

وزعماء التاريخ يظهرون فى غالب الأحيان ... حينما تشتد ببلادهم الأزمات ... ويتعقد الموقف السياسى ، ويختل الميزان الاجتماعى والاقتصادى ... وتنحرف الأمور عن سيرها المستقيم ... حينئذ يشعر الزعماء بآلام شعوبهم أكثر مما تشعر ... ويدركون الأخطار المحيطة بها أكثر مما تدرك ... ويفكرون التفكير العميق فى معرفة أسباب الداء ... ووصف الدواء ... ثم يأخذون بيد بلادهم ... وينيرون أمامها السبيل ... ويهدونها إلى الحق وإلى صراط مستقيم ...

وتاريخ الشعوب فى مختلف العصور والأزمان . . . حافل بكثير من الزعماء والقادة . . . سواء كانوا زعماء سياسة ، أو قادة فكر ، أو أبطال حرب .. وهؤلاء جميعاً ساهموا بنصيب كبير ، وقسط وافر فى نهضة بلادهم ...

ولقد ظهر فى العصر الحديث — فى الشرق والغرب على السواء — زعماء كثيرون . . اتصف معظمهم بالجرأة والحزم .. وسرعة البت فى الأمور . . وكان لكل منهم أثره فى تكوين الأمور .. وتشكيل الحوادث .. وتوجيه الأمم .. من بين هؤلاء مصطفى كمال فى تركيا .. وهتلر فى ألمانيا .. وموسولينى فى إيطاليا ..

* * *

ظهر مصطفى كمال فى تركيا بعد الحرب الأولى .. وقد خرجت منها مهزومة ذليلة .. ولم تكن الهزيمة فى تلك الحرب أول الكوارث التى لحقت بتركيا .. فقد انتزعت القوات البريطانية من الأتراك سوريا وفلسطين والعراق خلال الحرب .. كما سبقتها هزائم الحروب مع إيطاليا ودول البلقان .. كما سبقتها أزمات إنشاء الحكومة النيابية .. وقد زاد فى حرج الحالة بعد انتهاء الحرب .. احتلال اليونانيين لكثير من الولايات التى كانت تابعة لتركيا ، ونزولهم فى أزمير ...

كان العالم كله يتوقع أن الأتراك وهم على هذا الحال من الضعف .. لن تقوم لهم قائمة قبل عشرات السنين . وإذا بهم يخيبون ظن الدول .. ويعملون على إحياء تركيا وبعثها من جديد ... وكان ذلك بفضل زعيمها العبقرى « مصطفى كمال ... »

رأى مصطفى كمال ... أن من الواجب العمل على قيام حركة قومية نضالية ... تهدف إلى الاستقلال والحرية والكرامة .. وتعمل على توحيد قوى الأمة .. ومقاومة كل حركة أجنبية .. لذلك ترك القسطنطينية .. مركز الدولة العثمانية .. ورفع علم القومية العثمانية فى أنقرة .. بعيداً عن مرمى مدافع الحلفاء .. وهاجم جيوش اليونان .. فردهم على أعقابهم خاسرين .

وكان مصطفى كمال يؤمن كل الإيمان بحيوية الأمة التركية .. واستعدادها للنضال فى سبيل الحرية والكرامة والعزة .. وكان إيمانه بوطنه أكبر مشجع له على العمل .. وخير دافع له

للنهوض ببلاده .. لذلك أثار حربا دامت ثلاث سنوات من سنة ١٩١٩ — ١٩٢٢ م .. استطاع بعدها أن يملى شروطه على الدول الأوربية الكبرى .. فمزق معاهدة « سيفر » التى كانت الحكومة الشرعية قد قبلتها .. وأجلى اليونان من الولايات التى كانت قد احتلتها ، وأرغم الدول على التسليم باستقلال الوطن التركى فى معاهدة «لوزان» ، وبذلك كانت تركيا الدولة الوحيدة التى رفضت صلحا يملى عليها إملاء . . أو معاهدة تفرض عليها فرضا .. ولم يكن تخليص الوطن التركى من المستعمرين إلا مقدمة لسلسلة الإصلاحات الجريئة التى قام بها أتاتورك .. والتى أعطت لتركيا مظاهر الدولة المتمدينة العصرية

— ٢ —

ولد مصطفى كمال سنة ١٨٨١ م ... فى مدينة سالونيك ... وهى بلدة إغريقية الأصل ، وكان أبوه «على رضا» موظفا صغيراً فى الجمارك .. وأمه « السيدة زبيدة » من أسرة محافظة تتمسك ما استطاعت بالتقاليد الموروثة ، لذلك كانت أمنيتها الكبرى .. أن ترى وحيدها مصطفى فى مدرسة دينية إسلامية حتى يصير شيخا من شيوخ الدين ...

أما والده فكان يرغب فى أن يثقف ولده ثقافة غربية .. وكان الفوز لأبيه فى النهاية ، فدخل المدرسة وعمره سبع سنوات وقد غادر أبوه بعد ذلك وظيفته .. استعدادا للحياة الجديدة ، وما تتطلبه من نفقات — فاشتغل تاجر أخشاب ... ولم يلبث إلا قليلا حتى مرض مرضه الأخير ومات قبل أن يرى ولده فى المدرسة العالية ...

* * *

وجدت الأم نفسها وحيدة فى « سالونيك » ولم يكن هناك من يرعى شؤونها ، ويتولى أمورها .. بعد أن فقدت زوجها وعائلها .. وكان معها من هو أحق منها بالعناية والرعاية .. لذلك وجدت نفسها مرغمة — أمام قسوة الحياة — لأن تنتقل مع صغيرها .. إلى منزل أخيها .. وكان مزارعا فى قرية قريبة من المدينة ..

وهناك فى وسط الحقول .. نسى مصطفى المدرسة والعلم وأقبل على حياته الجديدة . وعاش كما يعيش صبيان القرية فى أحضان الطبيعة .. ونعم بحرية لم ينعم بها من قبل فى « سالونيك »

وظل هكذا عامين كاملين حتى بلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، اكتسب فيهما خشونة الفلاحين فى طباعه ، كما اكتسبها فى بنائه الجسمى ، ولم يعد يرضخ لمشيئة أمه كما كان حاله من قبل

وكان مصطفى على الرغم من عناده وصلابته ، شديد الذكاء قوى الملاحظة — وكانت أمه تنظر إلى حياته الجديدة ، فتشعر بالأسف العميق لأنها لم تستطع أن تحقق الأمنية التى أرادها له أبوه ، وهو أن يدخل المدرسة العالية ، كما أنه — فى نظرها — لم يخلق للقرى والحقول ، والسير طول حياته وراء الماشية ، لذلك ظلت تبذل جهودها حتى التحق ولدها بالمدرسة من جديد . .

وجعل مصطفى يتابع عمله فى المدرسة بجد وعناية حتى أكمل تعليمه بها ، فاقترح عمه أن يلحقه بالمدرســـة العسكرية فى سالونيك ، وكان مصطفى ميالا بطبيعته لحياة الجندية ، يقول فى مذكراته عن هذه الفترة « كان يسكن فى البيت المجاور لنا — طالب بالكلية الحربية يدعى « أحمد » ، وكنت أحسده كلما التقيت به ، على هندامه الجميل ، وكذلك كنت كلما التقيت فى الطريق بضابط يسير مرتديا ثيابه الزاهية الخلابة ، أقف مبهوتا ، وأنا أتابعه بنظرى ، لذلك ما كدت أنتهى من دراستى الابتدائية حتى صممت على أن أدخل الكلية العسكرية لأصبح ضابطا أزين جسمى بالملابس العسكرية الجميلة .. »

التحق مصطفى بالمدرسة العسكرية ، فأظهر نبوغاً وتفوقاً على أقرانه ، مما جعل أساتذته يوصون بنقله إلى مدرسة حربية أخرى ولما أكمل علومه بالمدرسة الجديدة ، التحق بمدرسة أركان الحرب فى القسطنطينية حيث تخرج فيها برتبة « يوزباشى »

وكان مصطفى خلال هذه الفترة قد تطور تطوراً غريبا ، فلم يعد ذلك الطفل الصغير الذى يلهو عابثاً فى الحقول ، أو يتشاحن مع أحد أقرانه لأمر تافه بسيط ، فقد تعلم الفرنسية أثناء دراسته وقرأ كثيراً من الكتب الثورية مع صديق له يدعى « فتحى » قرأ فولتير وروسو ، وهوبز ، وجون ستيوارت ميل ، كما اشترك فى جمعية « الوطن » وهى جمعية سرية تعمل على محاربة الاستبداد

من يسمع؟

مهداة الى الأستاذ الحوماني

للاستاذ خليل رشيد

تفضل الأستاذ الحوماني قبل هنيهة من الزمن فأولاني ثقته لشرف المساهمة في كتابه من يسمع؟ وها أنا أجيب دعوة الأستاذ الحوماني شاكراً له ثقته الغالية، راجيا تفضله بالقبول:

من يسمع؟

من يسمع عنوان جديد لكتاب جديد من مبدعات الأستاذ الحوماني وضعه بعد خروجه عن ألف فكرة لألف رجل في كتابه مع الناس. وللأستاذ الحوماني فكرة واحدة يعتز بها هي إيمانه بقول المنقذ الأعظم صلى الله على ذاته الزكية: لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها..

والكتاب فكرة لم تولد بعد.. ولكننا نلمس روح الثورة والتمرد على المجتمع وعاداته المكبوتة في نفس الأستاذ التي ينبئ بها عنوان كتابه من يسمع؟ وأكاد أسمع بحة صوته وهو يبث شكاته وأذاته من صدى عنوان كتابه هذا. وأستطيع أن أرى سحنة وجهه وقد بدت عليها سورة الغضب. وثورة الأديب، وإني لأستشف قلبه وقد سطر عليه كلة من يسمع؟

أي نعم يا أستاذ

أصرخ ملء فك

اغضب ملء جمجمتك

تألم ملء قلبك

فليس هناك من يسمع. وإن تجد من يسمع. ولو أخرجت ألف كتاب وكتاب على غرار فلان (١)

من يسمعك.. من يصغي لصرير قلبك.. من يسمع قلمك القاسي المرير وهو ينشد أنشودة الإصلاح. ويرعف بدم الحق الذبيح صابا وعلقما على صفحات فلان؟

من يسمعك. وأنت ترجع لحنا حزينا. وتنشد نشيدا مؤلما فيه عنف الموت وصرامته على قيثار فلان؟

من يسمع هذا اللحن الحزين والسكل ثمل بكأس حواء (٢) يتغنون بوحي الدموع والنهود والقبل؟

وقد جن الناس بالثمر المجنون. فهم بين لاه بالثمر وعابث بالعفاف. ليس هناك من يسمع، أو يصغي لحديث فلان، وأنشودة فلان. وفيه صرامة الحق ومرارة الصراحة

من يسمع كلمة الحق وصرامة القول فيها. ومن يستسيغ مشرب كأس ملؤها صاب وعلقم. وأي مسمع لا ينبو النغم الشاكي الحزين؟

من يسمع كلة المصلح وهو يدعو إلى بيع موت عاجل بحياة آجلة؟ من يصغي لحديث الرشد وهو يدعو إلى قتل اللذة الرذولة وموت العاطفة وكبح الشهوات. والانضمام تحت راية العقل؟

من يسمع غرزة مبضع الجراح وهي تستأصل شأفة الداء. ولا تقزز نفسه؟

من يسمع نداء الضمير وهو يصرخ من الأعماق بمواساة السياسي، وتحطيم القيود الأجنبية، وأخذ يكتب النشرات الحماسية ناقداً فيها سياسة السلطان ورجال الدين وداعياً إلى تحطيم القيود، ومحاربة الظلم والاستبداد، على اختلاف صوره

كانت تركيا في ذلك الوقت تحت حكم السلطان «عبد الحميد» الذي وقف عقبة في سبيل الحركات الإصلاحية الكبرى، والذي ألغى مجلس النواب ليصبح الحاكم المطلق في تركيا — والذي فرض رقابة شديدة على الشعب، حتى ذكروا أنه ما من ثلاثة تسكلموا معا في أمر من الأمور إلا وكان أحدهم جاسوسا للسلطان «عبد الحميد ...»

ولذلك لم تمض فترة طويلة حتى استطاع جواسيس السلطان القبض على زعماء جمعية الوطن، وتقديمهم إلى المحاكمة، وبذلك أبعد مصطفى كمال من القسطنطينية ونفي إلى بلاد الشام ...

(للكلام بقية) عبد الباسط محمد حسن

(١) فلان. ديوان شعر للاستاذ الحوماني

(٢) حواء ديوان شعر آخر للاستاذ الحوماني

مصادر التاريخ الحضرمى

للأستاذ أحمد عوض باوزير

تمهيد :

هناك حقيقة تاريخية ثابتة ينبغى مراجعتها ، قبل البدء فى الحديث عن « مصادر التـاريخ الحضرمى » . ومن المؤرخين المحدثين الذين فطنوا إلى أهمية هذه الحقيقة ، السيد علوى طاهر الحداد ، مؤلف كتاب « الشـامل » . فقد ورد فى رسـالة له أسماها « جنى الشماريخ » ما يفيد فى تقرير هذه الحقيقة

وفحوى هذه الحقيقة التـاريخية ، هو أن التـاريخ السياسى القديم ، لحضرموت لا يمكن دراسته منفصلا عن تاريخ اليمن الكبير ، أو عن تاريخ الإسلام فى الجزيرة العربية حتى إلى ما بعد نشوء الدول الـكثيرية ، فى أواخر القرن الثانى الهجرى . ويقال فى تعليل قيام بعض الحكومات القبلية ، واستقلالها أثناء هذه الفـترة الزمنية ، أن ذلك كان نتيجة لأحوال الضعف المـادى والأدبى ، فى حـكومات اليمن المتعاقبة ، أو فى عاصمة الخـلافة الإسلامية

ومما يفيد فى تقرير هذه الحقيقة كذلك انتشار الفرق الدينية فى حضرموت ، فإن ذلك الانتشار يعنى امتداد النفوذ السياسى والإدارى ، إلى هذه الرقعة من الجزيرة العربية . وأظهر هذه الفرق « الأباضية » ثم « القرمطية » . وكان ظهورها أيام اضطراب دول الزياديين فى اليمن ، فى أواخر القرن الرابع الهجرى و « الإسماعيلية »

ما هى مصادر التاريخ الحضرمى :

وإذا كنا قد أثبتنا هذه العـلاقة بين تاريخ حضر موت ، من جهة ، وتاريخ اليمن أو الجزيرة العربية ، من جهة ثانية . فيحسن بنا أن نتساءل . ما هى مصادر التاريخ الحضرمى إذن ؟ وما هى نوع العلاقة فى هذه الوحدة السياسية والاقتصادية ؟

والجواب على أولهما ، هو أن هنـاك كثير من المصـادر التاريخية ، بأقلام جهرة من الحضرميين النابهين ، غير أن أهمها قد ضاع ، ولم يبق منها غير مقتطفات ، أو شـذرات متفرقة . ومن هذه المصادر تاريخ « بازرعة » وتاريخ « حنبل » وكتاب « الفرج بعد الشدة فى إثبات فروع كندة » وتاريخ « الشبلى » و « شنبل » وغيرهم من المؤرخين . وحتى هذه المصادر لا يمكن أن تؤخذ على علاتهـا ، دون الرجوع إلى الأحوال العـامة ، فى تاريخ البلدان المجاورة التى يتصل تاريخها السياسى اتصالا وثيقا بسير الأحوال فى البلاد الحضرمية

أما عن نوع العلاقة ، فى هذه الوحدة السياسية والاقتصادية بين حضر موت وغيرها من الدويلات فى الجزيرة العربية ،

الضعيف وصلة الرحم ونصفة المظلوم . ونبذ العداوة والبغضاء ونزع ما فى الصدور من غل ؟

من يسمع كتاب الله وهو يدعو إلى ما فيه الخير والصلاح والنفع العميم للبشر ؟

من يسمع دعوة الرسل والمبشرين لطريق الهدى والصلاح . ومن يسمع دعوة الأديب وهو يدعو إلى ارتقاء المثل العليا ، والمثل العليا صعبة المرتقى ؟

من يسمع دعاة العقل والفضيلة وفيها ما فيهـا من جهد وكفاح ؟

نعم أيها الأستاذ ؟

لن تجد من يسمع لضياع الموازين وفقدان المقـاييس . وضيعة الأخلاق ..

لن تجد من يسمع . وليس هناك من يسمع ولن يسمع فلان . وليس هناك من يسمع فلان .. ما دام فلان .. لا يريد أن يسمع قول الحق . وكلمة الصراحة وكل الناس على شاكلة فلان حتى أنا وأنت :

وإن أبيت إلا أن تسمع هؤلاء الصم شكاتك . فاصرخ مل‌ء فمك حتى تتمزق رئتاك وحنجرتك وردد

من يسمع ؟

فلن تجد من يرد عليك غـير صدى بعيد من أغوار الماضى وأعماق التاريخ

لقد أسمعت إذ ناديت حيـا ولـكن لا حيـاة لمن تنادى

خليل رشيد

فذلك يعنى تفصيل الحكومات السياسية التى تعاقبت على اليمن منذ صدر الإسلام ، إلى وقت انفصال حضرموت نهائيا من حكومات اليمن فى أواخر القرن الحادى عشر كما نذهب إليه

ومن العسير جدا على الباحث فى تاريخ هذه الحكومات المتعاقبة ، أن يهتدى إلى تحديد هذه العلاقة ، تحديدا شاملا . فإن المجال لا يزال مفتوحا للدراسات التاريخية ، وهذا النقص يكاد يكون ملحوظا للمعنيين بدراسة تاريخ الجزيرة العربية : ولذلك فإننا عاجزون حتى الآن عن تحديد تلك العلاقة ؛ لأن ما لدينا من المباحث العلمية والمراجع التاريخية لا يكفى فى تقرير هذه الحقائق تقريرا صافيا ومفيدا

كيف ضاعت هذه المصادر :

ويذهب السيد الحداد برسالته « جنى الشماريخ » فى تعليل أسباب ضياع تلك المصادر التاريخية التى أشرنا إليها آنفا إلى انتشار البداوة والجهل بين سكان حضرموت ؛ لأن انتقال تلك المؤلفات إلى أيدى أولئك النفر من الجهلة ، معناه الإهمال والضياع

وربما كان هناك من يريد أن يسأل : كيف أمكن نبوغ تلك الفئة من المؤرخين ، وسط تلك الجهالة المتفشية . ولا إخال أن « الحداد » كان ينتظر بداهة هذا السؤال ، فقد أثبت فى موضع آخر من رسالته السابقة « أن الذين قدر لهم الإقبال على العلم منهم فى تلك الأزمة إنما تهيأت لهم أسباب خاصة ، تيسر لهم معها التفرغ لذلك »

وأنا وإن كنت أوافق « الحداد » فى بعض ما ذهب إليه فى تعليل أسباب ضياع المصادر التاريخية ، غير أنى أعتقد أن هناك سببا أقوى ، وهو أن المتأخرين من المتعصبة ، قد رأوا فى سيرة الأسلاف ما ينكرونه عليهم من المذاهب أو النحل . فعمدوا إلى إخفاء تلك المؤلفات وطمسها ، فى بعض الأحيان . وقد ذهب إلى مثل هذا الرأى بعض ذوى النظر والباحثين

محاولات فى التاريخ الحضرمى :

ظهرت فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، محاولات أولية فى تدوين التاريخ الحضرمى القديم ؛ وهى محاولات بدأت ضيقة ، ثم أخذت تتسع تدريجا ، فقد ظهر كتاب « الشامل » لمؤلفه السيد علوى الحداد . وكتاب « تاريخ حضرموت السياسى » للأستاذ صلاح البكرى ، وكتاب « تاريخ الدولة الكثيرية » للسيد محمد بن هاشم ، وكنت قد اطلعت على نسخة خطية ، بالمكتبة السلطانية بالمكلا من كتاب « التابوت » للسيد عبد الرحمن بن عبيد الله

وأستطيع أن أجزم أن هذه المؤلفات على الرغم من حداثتها لا تخرج عن سرد الحوادث سردا عاما دون تعمق أو تصويب . وقد اعترف السيد « ابن هاشم » فى كتابه « تاريخ الدولة الكثيرية » بهذه الحقيقة ، فقال فى مقدمة الكتاب : « وبعد فقد الزمنا على أنفسنا فى هذا الكتاب أن نكتب ما عثرنا عليه فى كتب التاريخ من أخبار القوم مجردة من الملاحظات والانتقادات والأخذ والرد والتحليل والتركيب »

ويحاول السيد ابن هاشم أن يبرر هذا المسلك التاريخى بقوله « ولست أجد لى حقا فى مؤاخذتى أشخاصا على سلوك سلكوه أناخت على علله وأسبابه السنون ، ودفنت مبرراته ومسوغاته طوال القرون »

ونحن لا نقر السيد « ابن هاشم » وهو الكاتب الأديب على هذا النحو من التفكير . وسواء أكانت المبررات التى زعمها صحيحة أم غير صحيحة فإننا كنا نتوقع أن يعمد إلى « المعول » لنبش الحقائق وغربلتها ، وأن يبرأ من تلك الشفقة والرحمة ، لأنها لا تجدى فى منطق الوقائع التاريخية أو لا تفيد كثيرا

وأود فى ختام هذا الحديث القصير أن أشيد بأسلوب « ابن هاشم » فى الكتابة : ذلك الأسلوب الأدبى الرصين الذى يطالع القارئ من حين لآخر ، فى أكثر من مكان من الكتاب

هذه فذلكة من « مصادر التاريخ الحضرمى » أقدمها فى أنسب الأوقات وأصلحها ، لعلها تفيد فى إنارة السبيل للمعنيين بدراسة التاريخ الحضرمى القديم وتعين على فهم الحقائق التاريخية الكبرى

غيل باوزير — أحمد عوض باوزير

رد على نقد

حول «مذكرات واعظ أسير»

للأستاذ أحمد الشرباصي

شاء الكاتب الصديق الشيخ كامل السيد شاهين أن يملأ أكثر من ثلاث صفحات في «الرسالة» الغراء بالحديث عن كتابي الأخير: «مذكرات واعظ أسير». ومن حق القراء على الرسالة أن ينفسح صدرها لكلمة النقد كما ينفسح لكلمة التقدير؛ ولكن الواجب المسلم هو أن يكون الحديث ذابلا، وأن يكون النقد ناهضا على أساس متين من الحق والصدق، حتى يسلم من الهوى والظنة، ويرتفع عن السباب والمهاترة

ولقد بسط الشيخ شاهين رداء الحديث في صدر كلامه مادحا مطريا، ثم جمع أطرافه على وخزات من النقد يحسبها في الوضوح، ونراها مصطنعة ليبدو الكاتب وكأنه يعادل بين التأييد والتفنيد، حتى يقال له: ما أبرعك مادحا وقادحا؛ وهيهات!..

وعلى الرغم من مقدمة الكاتب العريضة المثمرة باستفادته من الكتاب وتأثره به، وعلى الرغم من أنه اعترف بأن «المآخذ» التي سيذكرها «لا تشين الكتاب» ولا تتناول موضوعه وفصوله، ولا تورث صورا إلا «كلفا من بعض الجوانب» فقد شاء له حرصه على الإفاضة في القول أن يملأ صفحتين بالدوران حول هذه الملاحظات التي لا تشين ولا تتصل بالموضوع

ويؤسفني أن أقرر أن أولى ملاحظاته ينقصها الصدق، فقد ادعى على أنني أكثرت في كتابي من ذكر «أني خطيب، وأن لي جهودا ملحوظة في نشر الدعوة، وأن لي أتباعا وأنصارا»..

وأين ذلك في الكتاب أيها الصديق؟ لعل حديثا جرى عن طريقة المؤلف في خطابته، وعن حرصه على وصل المنبر بالحياة الاجتماعية، وهذا لا ضير من تقريره، لأنه رسم طريقة وتحديد توجيه؛ وكل امرئ إذا كتب «مذكرات» تحدث عن مثل هذا وأضعافه، ولا يعاب ذلك ولا يذم... ولعل حديثا جرى على قلم صاحب «مذكرات واعظ أسير» من رواد مسجد المنيرة — على أيامه أطيب التحيات — وهؤلاء الرواد كانوا من غير شك يؤلفون مدرسة إسلامية متواضعة تحدث الناس عنها هنا وهناك... أما وصف المؤلف نفسه بأنه خطيب وبأنه عظيم المجهود وبأن له أتباعا وأنصارا، فحديث مصنوع أو موضوع!

وآلم السيد شاهين ما جاء في خاتمة الكتاب من تحايا الشعراء والأدباء للمؤلف بمناسبة الإفراج عنه والفرحة بعودته إلى حياة الحرية والانطلاق، وشاء أن يعبر عن ألمه بهذا الحكم الصارم — أو الوارم —: «فسائر هذه التقريظات غاية في الفثاثة والتفاهة» ومن السهل على كل إنسان أن يصدر مثل هذه الأحكام العامة التي ينقصها الرشد والتبصر. ولعل الكاتب لم ينس أن العرب اختصروا الطريق في حكمهم على القرآن المجيد فقالوا إنه «أساطير الأولين»!... ومن المؤسف مرة أخرى أن أذكر الشيخ شاهين بأن هذه التحايا لم تكن تقريظات، ولم يستكتبها أستاذ من طلبته كما زعم متجنيا، بل هي صور عواطف ومشاعر لإخوة كرام سبقوا بها قبل ظهور الكتاب بشهور ونشر أغلبها، وأصحابها لهم مكانتهم الأدبية وماضيهم الشعرى، ولذلك عنونت بعنوان «تحية وذكرى»، ومن الطريف — وليس مما يعاب كما توهمت — أن تسجل العواطف المتبادلة بين التلاميذ الأحباء والأساتذة الأوفياء — وبعد النظر عن غير هؤلاء فهم كالهباء —... وهل يعد غاية في الفثاثة والتفاهة قول أحد المحبين:

عفواً إذا زل مما قلته قلمي	برغم أن جنا زلاته الخطر
أوخذت ظلما وهذي رحمة سبقت	من أن تؤاخذ عدلا أيها القمر

وهل يعد غاية في التفاهة والفثاثة قول الثاني:

لبيك لو قبل المعاند فدية	أو لم يزعه ضميره المتغابي؟
إني لأذخر الثنــــاء لعالم	لاق الصعاب بعزمة الوثاب
متدرعا بالصبر، لا متراجعا	في الحق، أو مستهدفا لعتاب

لقد أبعدت أيها الصديق، وحملت هذه التحايا ما لا تطيق!

وكبرى الكبائر عندي أن يعتبر الشيخ شاهين دفاعي عن الأزهر الشريف المعمور «هفوة»! كبرت الكلمة منك أيها الصديق... الأزهر الذي رضعت لبانه وتنعمت بخيراته وسعدت بكنوزه وعلوت باسمه ينال منك هذا الجزاء؟.. ثم أنت

لا تقتصد فى النقد ، ولا تكتفى بالتوجيه ، ولا تقنع باللوم ، بل تجور وتجور . فتنال جبهة الأزهر الشماء بما تشاء ، ثم تسرف فتقول وبئس ما تقول : « ألا إنه قليل للأزهر أن يلام ، وقليل لرجاله أن يتهموا بالضعف والتدليس وحب الدنيا ، وإذا كانت فعلتهم فى التنكر ما هى ، فإنه لأنكر منها أن يدافع عنها ويوقف إلى جانبها » !!

أهذا كلام يقال ، ومن أزهرى ، ومن رجل يعمل تحت اسم الأزهر الشريف حتى اليوم ؟ ... دون ذلك يا صاحبى وتفترق طريقانا ... ثم إن هناك فرقا بين « الأزهر » و « الأزهريين » يا صاحبى ، فالأزهر معنى وفكرة ورسالة وتاريخ له جلاله وهيبته ، والأزهريون قوم يجوز عليهم الخطأ ، إذ ليسوا بمعصومين ، وإذا كان فيهم من فرط ، ففيهم أعلام جاهدوا ولا زالوا يجاهدون ، ومن الكفران أو الطغيان تعميم الحكم على الجميع بهذه الصورة القاسية ، وكدت أقول « النابية » ومعذرة إليك أيها الصديق ، فقد فتحت الباب !

ومن الذى قال لك إننى « أبدت » الأزهريين جميعا وبلا استثناء وعلى طول الخط ؟ .. ألم أنتقد شيخ الأزهر الأسبق على موقفه من اعتقالى ؟ (ص ١١) و (ص ٢٥) .. ألم أسرد رأى شاب ثائر فى علماء الأزهر وموقفهم من المحنة بعبارته الشديدة المكشوفة (ص ٢٨) ؟ ... وحتى فى دفاعى عن الأزهر والأزهريين قد أشرت إلى بعض العيوب الموجودة فى البيئة الأزهرية وذكرت أسباب ذلك ودوافعه ، ولما تطاول القول فى ذم الأزهر بلا إبقاء قلت (ص ٩٨) : « إن هذا لا يليق ، وليس من مصلحة أحد ، وليس هذا أوان الطعن ، والأزهر يجب أن يصان عن التحطيم والهدم ، وحبذا لو تركنا أخطاء الأزهريين لنقدة الأزهريين ، ويجب أن نتذكر أننا لوجردنا الأزهرمن كل حسناته لافتقد المعنى الإسلامى العظيم الذى يجعله حصنا يخيف المارقين »

ثم تأتى أعجوبة الأعاجيب ، وهى أن يعتبر الشيخ شاهين تفسيرى رثاء المتنبى لشبيب العقيلى بأنه « هفوة أدبية » والست أدرى أينا الذى هفا ، وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ؛ والحكم هنا هم القراء ، فليطالعوا كلامى فى كتابى وكلامك فى تهجمك . وليبدوا رأيهم .. إن تفسيرى لرثاء المتنبى على الوجه الذى أوردته ليس « تأويل نحاة » ولكنه ذوق أديب وفن بصير وحديث تاريخ ، فعد إلى ديوان المتنبى إن شئت لتفهم ، واقرأ ما كتبه الجارم فى « الشاعر الطموح » عن هذا الموقف بالذات لتعرف معنى الرثاء هنا على وجهه الذى أريد به

لقد فر المتنبى إلى مصر ، والفار يركب الصعب من الأمور ، وقد حسب المتنبى كافورا قبل أن يراه أشياء فلما رآه لم يجده شيئا ، ولكنه أصبح فى حماه وتحت سلطانه ، فليمدحه بما ليس بالحسن ، وليمدح العبد الخصى الذى لا تعاب ذات عبوديته ، ولكن يعاب عليك وهو عبد بين أحرار ، وليسخر به كما يسخر الناس قائلين « يا مولانا الأستاذ » .. يا سيدنا المدير ، يا ولى نعمتنا ، ولعنة الله على زمان يتولى السيادة فيه العبيد .. وشاهين يتخذ من مدح المتنبى لكافور شواهد على عظمة كافور ، فما رأيه فى أهاجيه التى خسف بها كافورا إلى أسفل سافلين ؟.. ما رأيه فى هذه الأهاجى التى جعلت العبد الخصى أضحوكة فى كل فم ؟ .. وهل بعد قول المتنبى هازئا : «لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب» ؟ .. وماذا يقول الإنسان عن « الأضحوكة » من الناس أو الحيوان غير هذا ياشيخ ؟.. وهلا أدركت مبلغ سخرية المتنبى فى قوله لكافور :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

نعم ولو كان « القمران » من أعداء كافور لوصفا بالذم ؟ وممن ؟.. من كل لسان .. ياسلام ياسلام ! .. أبعد هذه سخرية ؟

وسقط الشيخ سقطته حين توهم أن المتنبى أطال المديح فى شبيب بعد قتله ليرى الناس أن كافورا كان ينازل خصما قويا وأنه كان أقوى به فتغلب عليه وقهره .. إنما يصح هذا فى الأذهان يافلان لو كان كافور نازل شبيبا فى معركة ، أو صاوله مصاولة الأنداد ، ولكن لعلك لا تعرف أن كافورا قضى عليه بأسلوب الخسة واللؤم ، فدس عليه من سمه ، وتلك خطة الجبناء ، وذلك حيث يقول المتنبى :

وقد قتل الأعداء حتى قتلته بأضعف قرن فى أذل مكان

وأرجو أن تتمهل حتى تدرك مبلغ التعريض بكافور فى قول المتنبى عن شبيب :

وما كان إلا النار فى كل موضع   تثير غبارا فى مكان دخان
فنال حياة يشتهيها عدوه   وموتا يشتهى الموت كل جبان

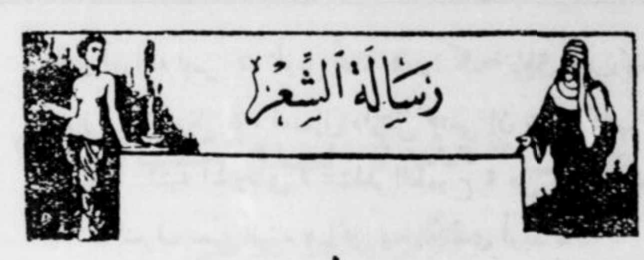
إن التعبير ينطق صارخا : يا كافور ، أيها الجبان ، إنك لن تنال شرف الميتة التى ماتها عدوك ، فأين أنت منه يا عدو البطل الراحل ؟

ويصف الشيخ شاعر العربية المتنبى بأنه « مداح فقط » وما أثقل كلمة « فقط » هذه .. فأين حكمة المتنبي إذن ، وأين خبرته بالنفوس ، وأين تصويره للطبائع البشرية ، وأين أحكامه الدقيقة العميقة على الحياة والأحياء ؟ .. وثالثة الأثافى أن يصف المتنبى بأنه « ضيق الباع » ! .. ما شاء الله ! . . رحم الله المتنبي يوم جلجل بصوته فردد أبياته التى اختتمها بقوله :

فياموت زر ، إن الحياة ذميمة   ويانفس جدى إن دهرك هازل !

أما بعد ، فللنقد أصوله وقواعده ، إذا توافرت فيه وجب الخضوع له والرجوع إليه ، وإذا عدمها كان تطاولا أو جهلا ؛ ولست أدرى مبلغ القواعد التى استند إليها أو نهض عليها نقد الكاتب الصديق . بعد ما قدمت من حديث وقل سلام !

أحمد الشرباصى



شعلة المجد

مرثية فقيد الوطنى المرحوم الدكتور عزيز فهمى

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

خل العزاء فما يفيد عزاء   ساد الظلام وغامت الأضواء
الشعلة انطفأت ، وكان وراءها   المدلجين الحائرين رجاء
خل العزاء ودع لدمعك سيله   متدفقا ، فهنا يطيب بكاء
خل العزاء فلست تملك منطقا   متماسكا إن هبت النكباء
الشعلة انطفأت ، وأية شعلة   كانت ؟ تبارك نورها الوضاء !
صك النعى مسامعى فأحالنى   شبحا تطير بلبه الأنباء
مات العزيز ، فمات جيل كامل   المجد تتبع خطوه العلياء
لهفى على الآمال يصدع ركنها   قدر ، ويهدم أسهن قضاء
يا راقداً فى حفرة محصورة !   كانت تضيق بروحك الأرجاء
أى المواهب فيك أبكى إنها   يعيا بحصر كمالها الإحصاء !
الشاعر الحى الشعور ، نشيده   من قلبه ذوب ومن إعانه الإيحاء
والكاتب العذب البيان ترسلا   يزهو بسحر بيانه الإنشاء
والمدره الطلق اللسان مدافعا   لا الجاه غايته ولا الإثراء
والنائب الحر العقيدة هاتفا   بالحق لا ضعف ولا استخذاء
تخذ الصراحة مبدأ وعقيدة   لم توحها حزبية عمياء
وطنية تسمو على أمثالها   ويكل عن إدراكها القرناء
ومجاهد ثبت الفؤاد مكافح   لم يثنه سجن ولا إيذاء
لهفى على تلك الخلال تضيعها   فى لحظة سيارة رعناء !
عوجلت والوطن الحزين بحاجة   لمواهب لم تذكها الأهواء
شقت عليك جيوبهن حرائر   وبكى لهول النكبة البؤساء
كم أدمع كفكفتها ، ومصائب   واسيتها ! والنبل فيك ثواء
تسمى إلى الخير العميم مطاطئا   هاماً ، فلا زهو ولا استعلاء
كنت الشباب مجملا برزانة   والمكرمات يزينهن حياء
كنت الإخاء التبر أصفى جوهرا   وأعز ما صدق الوفاء إخاء
حلو اللقاء سجية وطبيعة   ما فى خلالك صنعة ورياء
أدب كؤتلق الضياء عرفته   وشمائل علوية سمحاء
وإذا دعتك الحادثات تلقفت   يدك الدعاء ، فلا يخيب دعاء
متقدما الموت لا متهيبا   والموت عندك صنوه الإبطاء
ما زلت تسبقه إلى حوماته   حتى طفت فى الغفلة الهوجاء
فذهبت يا زين الشباب رواية   للناس أروع ما روى الندماء
كانت حياتك نفحة علوية   حسدت على النعمى بها الغبراء
ما طال عمرك فى الحياة وإنما   طال التحدث عنك والأصداء

أو بعد أن لجت بنا الظلماء   واستبهمت فى الظلمة والحيناء
وتحطمت فى الصخر كل سفينة   وتناثرت فى اللجة الاشلاء
وتألب الموج الغضوب فلا ترى   إلا جبالا ساقها الدأماء
لا الشط وضاح المعالم مشرق   أبداً ، ولا تتكشف الأنواء
نجد العزاء ! ونحن أعجب صورة   لا نحن أموات ولا أحياء
الشعلة انطفأت ، وأية شعلة   تهب الضياء ، ومالها أكفاء !
خل العزاء فنحن فى هول طغى !   فى كل أفق محنة وبلاء

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

حول محنة الأدب :

أثار الدكتور طه حسين باشا في « الأهرام » موضوع الركود الذي اعترى حياتنا الأدبية في السنوات الأخيرة، وذكر لهذا الركود ثلاثة أسباب قال إنه يقصر الكلام عليها وإن كان هناك غيرها، أولها الظروف السياسية وما تأتى به من فرض الرقابة على النشر، وقد استغرقت هذه الرقابة أكثر من خمس عشرة سنة في أقل من ربع قرن، والحرية قوام الحياة الأدبية الخصبة؛ فإذا ذهبت أجدب الأدب وعقم التفكير

أما السبب الثاني فيسأل عنه للأدباء والشيوخ أنفسهم ويسأل عنه الناشرون معهم، فكثير من الشباب يكتبون فلا يجدون قبولا من الناشرين ولا تشجيعا من شيوخ الأدب

وأما السبب الثالث فهو ضعف التعليم الأدبي في مصر، فالأدب يدرس في المدارس والمعاهد والجامعات على نحو يحزن أكثر مما يسر، وإنتاج الأساتذة ضعيف، والمتخرجون في أقسام اللغة العربية بالجامعات لا يعرف بعضهم كيف يبحثون في كتاب الأغاني لأنهم لم يسمعوا بفهرست الأغاني الذي وضعه جويدي

وعندي أن أهم الأسباب في محنة الأدب هذه الطبقة من رؤساء التحرير البعداء عن الأدب، فقد كان يشرف على تحرير الصحف في الأيام التي ترحم عليها العميد إذ كانت تتنافس فيها الصحف أيها يكون أشد عناية بالأدب — كان يشرف عليها أدباء أمثال أنطون الجميل وعبد القادر حمزة وحافظ عوض وأمين الرافعي، ثم خلف من بعدهم « شميط ومميط و ... » ممن حرموا نعمة الطبع الأدبي وبعدوا كل البعد عن الثقافة الأدبية وزعم هؤلاء أن القراء لا يريدون أدبا . . لأنهم أنفسهم

نشكو الصبابة في هوى أوطاننا ... وقلوبنا عصفت بها البغضاء !
متنابذين وحولنا أسد الشرى ... قد حددت أنيابها الزرقاء !
متغافلين عن الخطوب وقد سعت ... أشباحها الجنية السوداء !
سبعون عاما لم يعظنا هولها ... أبداً، ولم يتنبه الحكماء
نحن الأسارى في القيود نظنها ... حليا فتأخذنا بها الخيلاء
ماذا كسبنا بعد طول جهادنا ؟ ... الكسب غرم، والجهاد هباء !
حرية الوادي رواية ساخر ... كل الفصول شبيهة وسواء !
يا مصر حظك في الرجال مرزأ ... لا كانت الأدواء والأرزاء
أو كلما قدمت خطوة ظافر ... عادت تقهقر خطوك الشحناء !
أو كلما استكملت عدة مؤمن ... بالحق قص جناحك الأعداء !
يا مصر حظك عاثر، وعثاره ... أن ينطوي أبناؤك الأمناء
كان « العزيز » بطولة مذخورة ... لغد، ففات به غد ورجاء
قل النظير له وما أقصى المدى ... حتى يلوح مع الغد النظراء !
يا أمتي ! يا أمة الألم الذي ... بلغ المدى، لا مسك الضراء !
منذ اختلفنا في الجهاد طوائفا ... ما ضمنا في وحدة زعماء
حتى فقدت عزيزك الحر الهوى ... فتوحدت في النكبة الأنباء
يبكونه بدم القلوب موسداً ... نعيت به الحرية الشماء
كان الإباء مجسدا في رقة ... فثوى مع الخلق الرقيق إباء
كان الكفاح مبرأ ومنزها ... فقضى المكافح والضمير براء
للحق عاش، وفي سبيل قيامه ... مات المنافح عنه وهو فداء !

أأبا شهيد الحق إن فجيعة ... نزلت بساحك خطبها مشاء
في كل عين دمعة مهراقة ... وبكل قلب لوعة ورثاء
طوت المنون ذخيرة أعددتها ... لم يرحم القلب اللهيف قضاء
للمجد أنت نذرته ووهبته ... والنذر عند الله فيه جزاء
والمجد جسر متاعب رقدت على ... جنباته الرواد والشهداء
أنجبت للوطن الكريم فتى له ... في المكرمات صحائف غراء
ورث الشجاعة عنك وهي عزيزة ... في الناس حين تجابه الآراء
ورث النزاهة عنك وهي يتيمة ... في الناس حين تفاضل الأسماء
يا باكيا من قلبه ذهب الأسى ... بالناس حين أصابك البأساء
قلبي يذوب أسى على الطود الذي ... هزت قواعد بأسه اللأواء
ترنو إلى الأفق البعيد وقد خبا ... في الأفق هذا الكوكب اللألاء
وتجيب زفرتك الحزينة أمة ... محزونة فتعيدها الأصداء

حسين كامل الصيرفي

لا يريدون أدبا .. والقراء مظلومون ، ففيهم الأدباء والمتأدبون ومن يحبون القراءة الأدبية ولو لم يكونوا أدباء ولا متأدبين

وتقدم إلى أولئك المشرفين على الصحف صنف من الشباب الأدعياء ببضاعة أقلها تافه ، وأكثرها قشور منزوعة من الآداب الأجنبية مع معالجتها بالتحوير والتشويه .. وهم يختارون لها العناوين المثيرة والصور المغرية ، ويتقبل رؤساء التحرير هذه البضاعة ليجتذبوا بها القراء

وهم فى ذلك كمنتجى الأفلام والقصص التى يقدمونها ، بعضها كلام فارغ يؤلف هنا ، وكثير منها ممسوخ مما هناك . والمنتجون كرؤساء التحرير يبهر البريق أبصارهم ، وليس لهم بصائر ينفذون بها إلى جوهر الأدب والفن

ووراء كل ذلك أدب أصيل وملكات كامنة أشار إليها عميدنا فى مقاله الثانى إذ استدل بما كتب الكاتبون تعقيبا على مقاله الأول على أن فى أدبنا حياة كامنة تريد أن تظهر وخصبا مستترا يريد أن يملأ الجو العقلى سعة ورخاء ، مستشهدا بقول ابن الرومى :

وكمين الحريق فى العود تخفى
وكمين الرحيق فى المنقود

ولا يحتاج ذلك الأدب المستتر إلا إلى من يبرزه ويثيب عليه وينظم الملاقات بين أصحابه وبين طلابه من القراء

« كتاب فن الأدب » :

المؤلفات التى تتناول دراسة فن الأدب تستمد أصولها وقواعدها من أدبنا العربى الموروث فى منثوره ومنظومه ، وتتحدث عن بلاغته بما رسمه الجاحظ وعبد القاهر

فأما أدبنا الحديث ، أدب القصة والمقالة وخطرات النفس فى استجابتها للحياة ، فمازلنا نستمد أصوله ونتعرف ملامحه فيما كتبه أدباء الغرب ونقاده ، إذ نحن نقتبس تلك الألوان الأدبية من الفكر الغربى فى نهضتنا الحاضرة ، ونعالج تجربتها وتمثيلها فى طابعنا الشرقى وأدبنا العربى

وقد تجلت تلك التجربة وذلك التمثيل فى بضعة كتب ظهرت من قبل ، منها « أصول الأدب » و « دفاع عن البلاغة » للأستاذ أحمد حسن الزيات بك ، و « فن القصص » للأستاذ محمود تيمور بك ، و « النقد الأدبى » للأستاذ سيد قطب ، ولعل هذه الأربعة هى المؤلفات التى يعتد بها فى هذا المجال ، فما أعرف كذلك غيرها

وهذا هو الأستاذ توفيق الحكيم بك يخرج لنا اليوم كتاب « فن الأدب » حافلا بالآراء والأفكار والاتجاهات التى تصور لنا معالم فن

كشكول الأسبوع

□ احتجت السفارة الفرنسية لأن السلطات المصرية منعت البروفيسور رينيه كابيتان ، الأستاذ بمدرسة الحقوق الفرنسية ، من الدخول إلى مصر ، واعتبرت ذلك عملا غير ودى . . أما منع السلطات الفرنسية مدير معهد فاروق بالجزائر من السفر إلى مقر عمله فهو عمل لا يخالف روح المودة فى منطق الرقاعة الفرنسية

□ وافق مؤتمر اتحاد البريد الدولى المنعقد فى بروكسل على استعمال اللغة العربية إلى جانب اللغات الأوربية فى النقاش بالمؤتمرات القادمة

□ جاء من دمشق أن مصلحة الآثار السورية أصدرت بيانا ذكرت فيه أنها كشفت فى تدمر عن بناء مسرح مشيد على الطراز الرومانى ووجدت بعض أجزاء البناء سليمة

□ أتمت مطبعة دار الكتب المصرية طبع الجزأين الثانى عشر والثالث عشر من كتاب « الأغانى » والدار على وشك إصدارهما ، ومما يذكر أن الجزء الثالث عشر كان قد تم إعداده قبل الثانى عشر ولكن رئى تأخيره حتى لا يصدر قبل سابقه

□ قام الأستاذ أبو الفضل إبراهيم رئيس القسم الأدبى فى دار الكتب ، ببحث وصل منه إلى أن الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغانى مواده كلها موجودة فى مواطن متفرقة بأجزاء الكتاب الأخرى ، وعلى ذلك سيستغنى عنه فى طبعة دار الكتب

□ وتصدر الدار قريبا الأجزاء ١٦ و١٧ و ١٨ من « نهاية الأرب » وقد رئى إصدارها معا لأنها فى موضوع واحد وهو السيرة النبوية الكريمة

□ عثر القسم الأدبى أخيرا على نسخة من كتاب « نهاية الأرب » بخط مؤلفه « النويرى » الذى كان ناسخا . ومن الغريب أن هذه النسخة كانت موجودة فى دار الكتب ولم يرجع إليها فى تحقيق ما أصدرته الدار من أجزاء الكتاب

الأدب، أو الأدب الفني، يوحي مزاولته الخاصة، وبطابعه الخـاص

في هذا الـكتاب أكثر من سبعين فصلا في اثنى عشر بابا، مثل باب الأدب والفن، والأدب والدين، والأدب والمسرح، والأدب والصحافة، وهكذا إلى آخر الأبواب، وأهل المتتبعين لما يجرى به قلم الحـكيم يعرفون أن كثيراً من هذه الفصول سبق نشره، على أنها في هـذا الـكتاب الحافل ملتئمة الشمل، مستكملة الجوانب، منسقة تنسيق طاقات الأزاهير

وقد أجمل المؤلف رأيه في الفن والأدب، في تلك الـكلمة التي صدر به كتابه إذ يقول: «الأدب هو الـكاشف الحافظ للقيم الثابتة في الإنسان والأمة، الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في شخصية الأمة والإنسان، تلك الشخصية التي تتصل فيهـا حلقات الماضي والحاضر والمستقبل. والفن هو المطية الحية القوية التي تحمل الأدب خـلال الزمان والمـكان. والأدب بغير فن رسول بغير جواد في رحلة الخلود، والفن بغير أدب مطية سائبة بغير حمل ولا هدف. ولقد كان همي دائما محاولة الجمع بين الرسول وجواده. ولقد رأيت دائما الأدب مع الفن، والفن مع الأدب، لهذا سميت هذا الـكتاب: فن الأدب»

وهذا الـكتاب يجلو لنا شخصية الأستاذ «توفيق الحـكيم» وانعكاس نظرته على الأدب والفن، ولـكن الميزة الـكبرى فيه أن هذه الشخصية تعبير رائع عن روح شرقية صميمة في نظرتها إلى مشكلات الحياة وقضايا الفن والأدب. وهو بهذه الميزة يرتفع عن أن يكون تكراراً أو اقتباساً لتلك الدراسات الأدبية المقررة بين الـكتاب والنقاد الغربيين وغير الغربيين. وكثير من فصول هـذا الـكتاب لو ترجم إلى أية لغة أجنبية لبقيت له طرافته وجدته، ولبقيت له دلالته على شخصية صاحبه «الحـكيم» الأديب الشرقي الفنان

وقد حوى الـكتاب — على ما فيه من جد كثير — فصولا هي إلى التفكيه والترفيه أقرب، ولـكنها تطوى الحكمة والعبرة، ومن أجمل هـذه الفصول ذلك الفصل الذي تخيل فيه الأستاذ «الحـكيم» أن «شكسبير» ظهر في «مصر» اليوم، مصريا، لغته العربية، وتراثه الأدب العربي، ثم أخذ يفرش طريقه بالعوائق والمثبطات التي تعترض طريق الـكاتب المصري العربي الآن، وختم ذلك الخيال اللطيف بقوله: «حقا لو ظهر «شكسبير» اليوم لـكان فكره تبلبل، وعقله تحير، ولـكان عمله أعسر، وواجبه أكبر، وعقباته أضخم، ومجهوداته أضنى. من حسن حظه أنه ولد في «إنجلترا» في القرن السابع عشر...»

عباس خضر





١ — البيتان للمتنبي

كنت أطالع كتاب « نديم الخلفاء » عن حياة الحسين ابن الضحاك لمؤلفه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج فلفت نظرى فى الصفحة ١١٧ هذان البيتان اللذان نسبهما المؤلف للخليع

بأبى من وددته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولا فلما التقينا ... كان تسليمه على وداعا

فقد جاء فى الصفحة (٢٧٩) من الجزء الثانى من التبيان شرح ديوان أبى الطيب المتنبي لأبى البقاء العكبرى أنهما للمتنبي وقد قالهما ارتجالا فى صباه ..

وكذلك ورد فى جميع دواوين المتنبي

فما هو قول الأستاذ فراج ومن أى المصادر استقى نسبة البيتين للخليع ؟ هذا ما أرجو أن يشير إليه، ولا يفوتنى أن أقدم يدى للأستاذ أهنئه على كتابه الممتع الطريف وبحثه الحلو الجديد مع إعجابى وتحياتى

٢ — الموشح لابن الخطيب

نسب الأستاذ عمر الدسوقى الأستاذ بكلية دار العلوم فى الصفحة « ٤٤ » من الجزء الأول من كتابه « فى الأدب الحديث » الطبعة الثانية الأبيات التالية من الموشح المشهور

جادك الغيث إذا الغيث همى ... يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما ... بالكرى أو خلسة المختلس (١)

لابن سهل الإشبيلى عند كلامه عن المعلم بطرس كرامة وشعره، والحقيقة أن البيتين المذكورين هما من موشح للوزير « أبو عبد الله بن الخطيب » قاله معارضة لموشحة ابن سهل الأندلسى ومطلعها

هل درى ظبى الحمى أن قد حمى ... قلب صب حله عن مكنس
فهو فى حر، وخفق مثلما ... لعبت ريح الصبا بالقبس

والموشحتان موجودتان بكاملهما فى ديوان ابن سهل المطبوع فى مصر سنة ١٩٢٨ هذا ما لفت نظرى وأحببت أن أذكر به الأستاذ وفقه الله فى مجال العلم والتأليف

٣ — إلى الأستاذ كامل كيلانى

قرأت أمس مقالك القيم المنشور فى الصفحة « ١١٤٩ » من مجلة « الهلال » فى العدد الخامس الذى أصدرته عن « أبى نواس » وقد جاء فى مقالك « بين شوقى وأبى نواس » ما يلى :

« قالوا : إن أمير مصر، أعجب بمعارضة شوقى للبوصيرى فى قصيدته التى أسماها « طراز البردة » بمناسبة حج الأمير إلى الأقطار الحجازية

وقد مر الأمير على دار شاعره — بعد عودته من الحج — فأعجب بما رآه من بديع الزينة التى افتن فيها شوقى ليظن احتفاءه بعودة سيده فقال له الأمير :

« يا شوق لقد أعجبتنى قصيدتك، كما أعجبتنى زينتك »

فقال شوقى الأبيات التالية

زين الملوك الصيد مر ببابى ... كرما، وباب الله طاف ببابى
يا ليلة القدر التى بلغتها ... ما فيك بعد اليوم من مرتاب
ما كنت أهلا للنوال وإنما ... نفحات أحمد فوق كل حساب
لما بلغت الدول ليلة مدحه ... بعث الملوك يعظمون جنابى
بدران : بدر فى السماء منور ... وأخوه فوق الأرض نور رحابى

ثم

هذا ابن هانى نال ما قد نلت من ... حسب تدل به على الأحساب
قد كان يسعى للرشيد ببابه ... فسعى الرشيد إليه وهو ببابى

هذه الأبيات فقط هى التى ذكرتها من الشوقية الخالدة.. فهل لك يا سيدى وأنت المعجب بأميرنا الخالد أن تزف إلى عشاق شعره القصيدة بأكملها .. نحن ننتظر منك هذا الأثر القيم على صفحات الرسالة الزاهرة ..فهل نحن بالغون ما نريد

عبد القادر رشيد الناصرى

(١) ورد عجز البيت فى الديوان على هذه الصورة (فى الكرى أو خلسة المختلس)

التسول أمام بيوت الله

إن الذى لا ريب فيه أن التسول فى مصر قد أصبح حرفة من الحرف الثابتة الدعائم، ومهنة من المهن التى لهـا قدرها وخطرها، فلا نكاد نسير في شارع من الشوارع، أو نخطو فى ميدان من الميادين، أو نضع قدمك فى مركبة من المركبات العامة حتى يفاجئك سيل لا ينقطع من المتسولين والمتسولات، كل يدعى الحاجة أو يتصنع البؤس أو يزعم الفاقة

ولو أن قطعان التسول قد اقتصر نشاطها على الشوارع والميادين والمركبات العامة إذاً لهان الأمر، ولكن هذه القطعان تأبى أن ترحم بيوت الله من بلائها، وتصر على أن تزاحم المصلين بمناكبها دون أن تتفضل ولو بذرة واحدة من الحياء والخجل..

إننا حين نمر بمسجد مثل مسجد الحسين أو مسجد السيدة زينب أو مسجد الإمام الشافعى بالقاهرة مثلا، وحين نمر بمسجد أبى العباس والأباصيرى بالإسكندرية، وغير هذه المساجد فى المدن الكبرى، لابد أن تقع أعيننا على قطعان التسول وقد اتخذت عتبات هـذه المساجد أوكارا تنفث منها سمومهـا على المصلين فى كل وقت من ليل أو نهار

وكأن المسئولين فى مصر لا يكادون يفهمون أن هناك أجانب يزورون مصر؛ ويقصدون المساجد الكبيرة بالذات، ويعودون إلى بلادهم وفى مخيلتهم صورة فظيعة لفوضى التسول فى مصر، وإلا فلم يغضون الطرف عن هذه الوصمة التى تلطخ جبين الوطن بالعار! إننا نرى هذه المناظر المنكرة فنتميز من الغيظ، وتتزج فى صدورنا الآلام والحسرات: ولكننا لا نستطيع أن نفعل شيئا لأننا لا نملك من الأمر شيئا

إذا كان ولاة الأمور يعجزون عن أن يطهروا مصر بأسرها من وصمة التسول، فلا أقل من أن يصونوا بيوت الله منها ليحفظوا عليها جلالها ووقارها!

رمل الاسكندرية — نفيسة عبد اللطيف الشيخ

عبيد الناس:

بات كثير من الناس يخشون بعضهم كخشية الله أو أشد خشية، ويحرصون على إرضائهم وطاعتهم أكثر من حرصهم على إرضاء الله وطاعته .. مما زعزع إيمانهم، وأوهن عقائدهم، فاعتقدوا أن مصيرهم مرتبط بمصير هؤلاء الذين يخشون .. وأن حياتهم رهن إرادتهم، إن شاءوا أسعدوهم ورفعوا درجاتهم، وإن شاءوا نبذوهم فطردوا من جنة الخلد التى يوعدون! ..

ما زال بيننا الكثيرون من عبدة الأصنام .. وأعتقد أننى أسيء إلى عبدة الأصنام إذا شبهت هؤلاء المارقين بهم .. يؤلهون الأشخاص، ويكادون يعبدونها من دون الله، ويخرون لها سجدا! ..

نسوا الله فنسيهم، وأنساهم أنفسهم، ونضب معين التقوى من قلوبهم، وزلزل الخوف أوصالهم، يمشون فى ركاب ذوى الجاه، ويوقفون كل جوارحهم على طاعتهم، يزينون لهم القبيح ويقبحون لهم الطيب، مردوا على النفاق، تعرفهم بسيماهم، وبأساليبهم، يخادعون الله ويخادعون الناس، ويحسبون أنهم مهتدون! ..

يعبدون الله على حرف، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم، إذ يبيتون مالا يرضى من القول، ولو أنهم خشوا ربهم كخشيتهم أنفسهم لاستقامت أمورهم، وانصلح حالهم، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم!.

عجباً لهم، أيخشون الناس والله أحق أن يخشوه!.

أين هم من الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل، لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم..

عيسى متولى
بنك مصر القاهرة



خمسة أعوام في عذاب

عن الإنكليزية

ليس في وسع إنسان مهما يكن شعوره بالفضل وبالترفع أن يفاخر بأنه لا يعبأ بالمغريات وبدوافع الشر أو بأنه يحتقرها. فالإنسان لا يعرف كم تتغير نفسه تحت أحكام المؤثرات

وإني لأروى على سبيل الاستشهاد على صدق هذه النظرية القضية الآتية التي سمعتها من أحد رجال البوليس السري في لوندرا

ماتت زوجة تاجر غنى لم يكن له إلا ولد واحد، فتزوج من أرملة في منتصف العمر. وكان ابنه شابا فلم يرض عن هذه الزوجة. وكان يشتغل في غير المدينة التي فيها أبوه، فامتنع عن مراسلته بعد هذا الزواج. ولكن الأب كان راضيا بهذا الثمن، وهو غضب ابنه في مقابل تلذذه هو واستمتاعه مدة العام الذي بدأ بالزواج وانتهى بوفاته

ولأسباب لم تظهر قط كان الجزء الأخير من هذا العام كله ريبة وسوء ظن ودسائس في هذا البيت، لأن الخدم الثلاث كن يرتبن في مقاصد الزوجة. وكانت أقدمهن وقد قضت في خدمة المنزل بضعة أعوام تمد نفسها في موضع الجاسوس على كل أعمال الزوجة. وقد كانت تنصت فسمعت زوجها يتوعدها عدة مرات بأن يغير الوصية ويحذف منها اسمها بتاتا. فكانت تجيبه بأنها تجد الفقر أخف عبئا من معاشرته على وفرة غناه

وكانت تلك الخادم تستدعي زميلتيها ليسمع ثلاثتهن مثل هذا الوعيد. وقد فهمن جميعا علة الخلاف بين الزوجين. فلما مات الرجل انتظرن أن تكشف الوصية لهن عن جلية أمر الخلاف

وقد كانت دهشتهن عظيمة عندما جاء المحقق وتبين أن الوصية تحرم ابنه من الميراث وتعطى الزوجة ألفي جنيه في كل عام وهي كل إيراده طول حياتها

وكان من الطبيعي أن تشعر الزوجة بالراحة والاطمئنان عند ما صارت مالكة لهذا الإيراد. وزالت الحزازة التي كانت تشعر بها أيام حياته. وبعد يومين من الوفاة جلست أمام مكتبها تكتب الردود على التعازي.. وقد فرغت سريعا من هذا الواجب ثم أخذت تقلب أوراق زوجها وهي لا تزال مبتسمة. ولكنها لم تكد تقرأ اثني عشر سطراً حتى قطبت جبينها وعرتها رهشة، لأن الذي كانت تقرؤه إنما هو النص الأخير لوصية زوجها؛ وهو يحرمها كل شيء ويهب تركته كلها لابنه. وكان تاريخ هذا النص قبل أسبوع واحد من الوفاة، وعلى الوصية توقيعات شهود من الأحياء. فجلست تفكر فيما سيؤول إليه أمرها لأن البقية الباقية من ذلك العمر ستكون حياة فقر مدقع. ولذلك كان الاغراء الذي تجد نفسها تحت تأثيره قويا جدا، فهو ليس بين الشرف وبين انعدامه، ولكن بين الغنى وبين الفقر. وكان عمرها إذ ذاك خمسين عاما وهي لا تستطيع الكسب بوجه من الوجوه. ورأت أنه إذا لم يكن أحد ليذيع أمر هذه الوصية فلماذا لا تلزم الصمت؟

وحملت الوصية في يدها ومشت إلى الموقد ولكنها وجدته خالياً. وكانت من قبل ذاهلة عن ذلك وعن أن الليل كان قد انتصف. وكادت تمزق الوصية ولكن الخادم في هذه اللحظة دخلت ووقفت واجمة فسألتها: «ماذا تريدين؟»

ابتسمت الخادم ولم تجبها فقالت: «ما الذي تعنين؟»

فحاولت المرأة أن تضحك ولكنها لم تستطع. وقبل أن تتحرك أية حركة كانت الخادم قد اختطفت من يدها الورقة التي ستتركها في فقر مدقع فصرخت تلك صرخة يأس، وحاولت أن تسترد الوصية

وعلى الرغم من التفاوت في السن فإن الخادم كانت أقوى المرأتين فاستطاعت التغلب على سيدتها. وتلت الوصية في هدأة ثم قالت بعد الفراغ من ذلك: «لقد فهمت الآن»

قالت الأرملة : « لقد وجدت هذه الورقة منذ دقيقة فقط وأردت أن ... » فقالت الخادم مقاطعة : « أردت أن تحرقيها لو كان في الموقد نار »

ثم مضت فترة صمت قالت بعدها الخادم : «من حسن حظك أني أكره المستر وليم ابن سيدي المرحوم ، فإذا سلكت مسلكا حكيما فإنه لن يعلم أحد بأمر هذه الوصية »

سمعت المرأة هذه الكلمات فأثلجت صدرها لأنها كانت شديدة الخوف من الفقر ، فاستدعت الخادم وأجلستها بجانبها وعرضت عليها اقتسام الثروة بينهما وأن تدفع لها ألف جنيه مقدما

فلما تم الاتفاق على ذلك قالت الأرملة : « والوصية ؟ هل تمزقينها » فقالت الخادم : « كلا بل ستبقى معي إلى الأبد »

ورأت الأرملة أن خادمتها لا تقبل المناقشة في الأمر فأذعنت.

ومن ذلك اليوم أصبحت الخادم هي السيدة الحقيقية في المنزل فبدأت بطرد سائر الخدم واختارت آخرين ؛ وكان ثاني عمل أتته أن أحضرت ابنها إلى المنزل وأطلقت عليه لقب السكرتير لتلك الأرملة فكان يلازمها في الصباح وفي المساء

صارت الحياة مؤلمة في نظر السيدة لأنها أصبحت تشعر بعد إخفاء الوصية بأنها ارتكبت جريمة منكرة وبأنها باتفاقها مع الخادم قد وضعت نفسها في مركز ذليل ، ولكنها احتملت حالتها خمسة أعوام في صمت ؛ وفي بدء العام السادس ذهب الخدم ليقدموا الشاى إلى كبيرتهم التي يعرفونها أنها السيدة الحقيقية فعادوا يصرخون ويعلنون أنها ماتت

وظنت الأرملة أن الحظ عاد إلى الابتسام ؛ ولكن سرعان ما أخفق أملها لما أمرت ابن تلك الخادم بأن يترك خدمتها فتنكر لها وهددها بإظهار الوصية

ولما رأت أن حالة الذل ستبقى كما هي بل ستزداد لأن خضوعها لهذا الرجل سيكون أشد إيلاما لنفسها من خضوعها لأمه - لما رأت ذلك ملكها اليأس وذهبت إلى إدارة البوليس ؛ ولكن جهلها بالقانون جعل رجل البوليس يضحك منها لأن الوصية التي تخشى شرها قد بطل مفعولها بعد وفاة ابن زوجها عن غير وارث وأصبحت هي من تاريخ الوفاة مالكة للتركة

كانت إذن في الأعوام الثلاثة الأخيرة تقبل الذل خشية من ظهور وصية تجعلها هي المنفردة بالمال

ع . ا

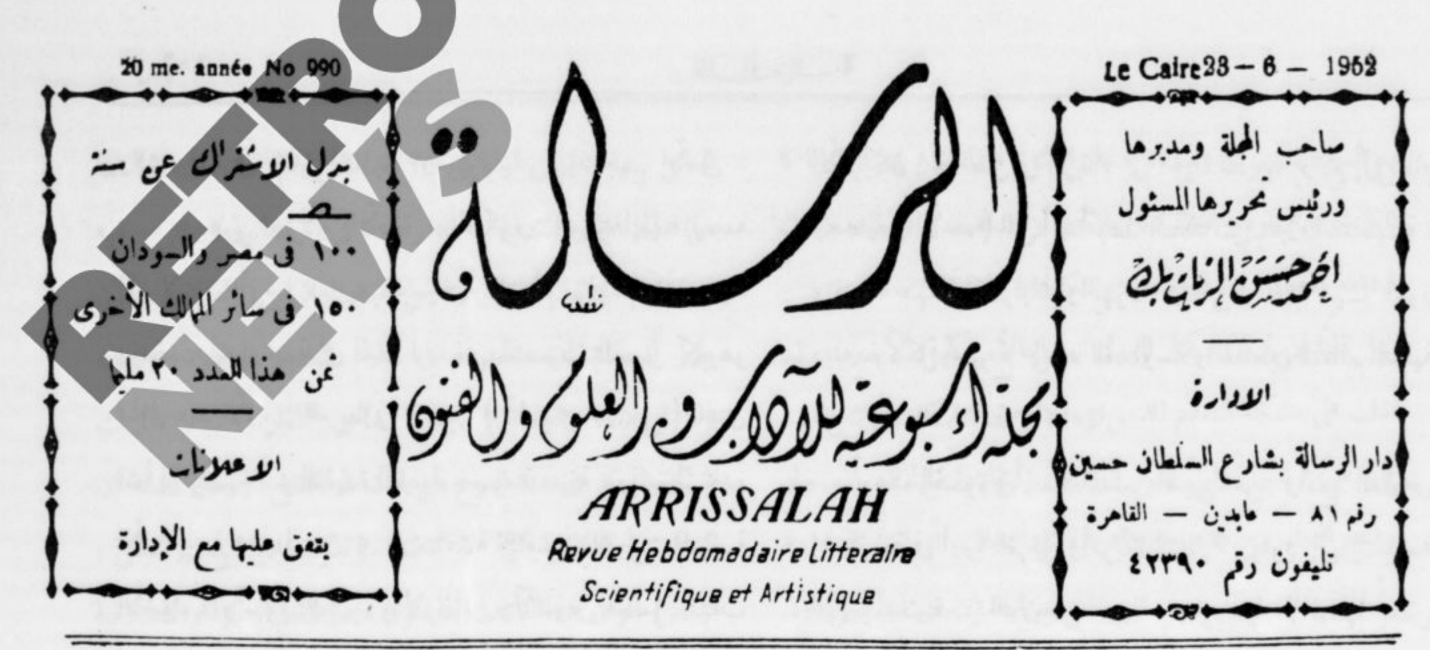




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون




20 me. année No 990

Le Caire 23 – 6 – 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٠ «القاهرة في يوم الاثنين أول شوال سنة ١٣٧١ — ٢٣ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

البعث الديني في الغرب

للدكتور عمر حليق

يتساءل الدكتور «رايتهولد نايبور»، أحد أقطاب اللاهوت البروتستنتي في أمريكا، عما إذا كان المجتمع الغربي يمر الآن في بعث ديني كفيل بأن يتسرب إلى صميم السلوك السياسي والاقتصادي للشعوب المسيحية في الغرب، فيضع حداً لهذه الأخطاء الشنيعة التي تشوب سلوك الإنسانية، وتدون صحف التاريخ بأحرف النار والدمار

وجواب هذا القطب البروتستنتي عن القسم الأول من هذا التساؤل، أن هناك اتجاهات واضحة في الانتاج الفكري، وفي السلوك اليومي للشعوب الغربية، تدل بوضوح على أن هناك بعثاً دينياً تزداد مظاهره جلاء يوماً بعد يوم. ولكن صاحبنا يعترف بأن من الصعب عليه — وعلى أي كان من المراقبين المعاصرين لحاضر السلوك الديني في أمريكا وأوربا الغربية — أن يقدم البراهين القاطعة على هـذا البعث الديني، براهين تستند إلى حركة جديدة ثابتة الأركان كتلك التي سجلها عن حركات البعث الديني، وحدد أزمانها ومعالمها وأقطابها وأهدافها ومبادئها. ويعترف هذا الزعيم البروتستانتي كذلك بأنه قد يكون مخطئاً في تفسيره لمظاهر هذا البعث الديني الجديد. فقد تكون هذه المظاهر ليست إلا سحابة صيف عابرة، لا تستطيع أن تحيي موات الأرض

وقد عالج الدكتور نايبور هـذه الناحية في حاضر الثقافة المسيحية في بحوث عديدة منها كتابه «الإيمان والتاريخ Faith and history» ودراسة حديثة للعنصر الديني في تاريخ أمريكا المعاصر the Irony of American history، وفصول وكتب أخرى تدرس في أكبر معاهد الديانة البروتستانتية في أمريكا

ويستشهد هذا العالم البروتستانتي للدلالة على أن الغرب يمر في فترة إحياء ديني بأمرين:

أولهما نجاح نفر من الوعاظ المسيحيين في أمريكا وبريطانيا برد آلاف من الرعية إلى حظيرة الكنيسة، كما تدل على ذلك إحصاءات الهيئات الكنسية

ثانيهما هذه الظاهرة القوية التي أخذت في السنوات الأخيرة تتسرب إلى الانتاج الأدبي والفني في أوربا وأمريكا، ظاهرة تجد الخلاص في منشأ كل النفس وأزمات الضمير في الإيمان[1] والرجعة إلى الدين. ويشترك في هذه الرجعة نفر من الكتاب

(١) يستعمل كاتب هذه السطور كلمة (الايمان) بمعناها اللغوي

والشعراء في ثنايا المنظوم والمنثور من إنتاجهم الأدبي .

وبعض هؤلاء الأدباء والمفكرين يدعو إلى الرجعة إلى الإيمان بأوسع معانيه ، مسيحيا كان أم بوذيا أم كنفوشيا، وتتخذ هذه الرجعة إلى الدين لونا من التصوف العميق كما هو الحال عند الأديب البريطاني الشهير (آلدوس هكسلي) الذي نشأ في بيت خاصم العقيدة الدينية خصومة عنيفة ، واشترك جده الأكبر مع « داروين » في مناقشة التفسير الديني بطبيعة الأشياء ، وأصول النشوء والارتقاء . ولآلدوس هكسلي كتاب يعالج فلسفة التصوف في الشرق والغرب ، في تحبب وإعجاب ولون من الإيمان العميق بها

وجدير بالذكر أن الاتجاه نحو التوسع في نشر التعليم الديني قد عم معظم الأوساط الجامعية في أمريكا الشمالية ، كما أشار إلى مؤتمر رؤساء الجامعات الأمريكية ، وهيئات الخريجين الذي انعقد مؤخرا في شيكاغو

فإلى ما قبل سنوات قليلة كان التعليم الديني مقصورا على موضوع أو موضوعين ، يعالجان التوراة والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) من ناحية أدبية بحتة ، تتعمد تربية الذوق الأدبي والثروة اللغوية أكثر مما تهدف إلى شرح التعاليم الدينية ودقائقها

وللشعب في أمريكا يتحدث الآن عن ذيول القرار الخطير الذي أصدرته منذ بضعة أسابيع فقط محكمة العدل العليا بواشنطون ، وهي أهم مرجع قضائي في الولايات المتحدة الأمريكية، وأقرت به الحق لطلبة المدارس الحكومية ، الابتدائية والثانوية ، في أن يختاروا حصة معينة من جدول الدراسة الأسبوعي ، يتلقون خلالها دروسا دينية ، كل حسب المذهب الذي ينتمي إليه ويختاره له أبواه أو أولياء أمره . وجدير بالذكر أن التعليم الديني في المدارس الحكومية في أمريكا لا وجود له مطلقا . وإذا علمنا أن حوالي ٩٠ ٪ من الطلبة الأمريكان يتلقون علومهم الابتدائية والثانوية في مدارس الدولة أدركنا خطورة هذا الوضع على الحياة الروحية بين الأحداث الأمريكان ، والفضل في الإبقاء على الحياة الدينية يرجع إلى نظام (مدارس الأحد) التي أنشأتها الكنائس البروتستانتية ، واقتبسه عنها الكاثوليك واليهود ، ليتلقن الحدث فيها أمور دينه مرة كل أسبوع على يد القساوسة والحافظين للتعاليم الدينية من رواد الكنيسة وأتباعها

وهذه القسوة في إبعاد التعليم الديني عن برامج المدارس الحكومية في أوربا الغربية وأمريكا الشمالية ، يعود إلى السياسة التي تعمدت فصل الدين عن الدولة ، وهي سياسة اتبعتها بعض الدول المسيحية لتتفادى الصراع الطائفي بين مواطنيها ، فالبروتستانت والكاثوليك ، يعيشون جنبا إلى جنب في الدول المسيحية ، والصراع المذهبي بين الكاثوليكية والبروتستانتية كان ولا يزال على حدته المعهودة . فالبروتستانت تتهم الكاثوليك بالولاء لمركزية الفاتيكان وسلطة البابوية ، وهي سلطة يعتقد البروتستانت بأنها تتعارض في بعض الحالات مع المبادئ الديمقراطية وحق الجماعات الدينية ، بأن تواجه مشاكلها الروحية المختلفة على ضوء الأوضاع والظروف الخاصة التي تتميز بها الجماعات ، ولا موجب لأن يتقيد الناس بمركزية الفاتيكان وهي مركزية يعتقد البروتستانت بأنها صارمة

وقد كان للنفوذ اليهودي القوي في دخيلة الولايات المتحدة أثر في تقرير الاتجاه بفصل الدين عن الدولة . فالتعاليم المسيحية بروتستانتية كانت أم كاثوليكية ، تدين اليهود بصلب المسيح ، وألوان المشادة والتعذيب والتآمر والتنكيل التي صاحبت نشوء المسيحية بين العبرانيين . وإذا جردت برامج التعليم في المدارس الحكومية من نشر هذه التعاليم المسيحية ، أزيلت تدريجيا من أذهان الناشئة حقائق الصراع المذهبي بين المسيحية واليهودية من جهة ، وبين الكاثوليك والبروتستانت من جهة أخرى . وقد نجح اليهود في توحيد جهودهم مع البروتستانت في أمريكا وجعلها جهدا مشتركا للوقوف في وجه الفاتيكان . فتم فصل الدين عن الدولة في مظاهر رسمية على الأقل ، ومنها التعليم الحكومي . والواقع أن البروتستانت أكثر ميلا إلى تسامح

مع اليهود منهم إلى مصافاة الكاثوليك . فالفاتيكان يدرك إدراكا تاما خفايا اليهودية العالمية ومطامعها وأهدافها ، ولذلك فهناك صداقة مفقودة بين الفاتيكان وحكماء صهيون

قلنا إن قرار محكمة العدل العليا الأمريكية الأخير ، قد تغلب على مشكلة التعليم الديني في مدارس الدولة ، وذلك تلبية لحملة عنيفة شنها أولياء أمور الطلبة ، وأشاروا فيها إلى أن خلو برامج التعليم من الدروس الدينية قد خلف أزمات روحية وأخلاقية لم تعد تقوى أساليب التعليم الحديث على معالجتها دون معونة الدين ، وهذه الحملة من الأدلة التي يستشهد بها بعض زعماء الدين المسيحيين في معرض إشارتهم إلى البعث الديني الذي يعتقدون أنه أخذ ينمو في حاضر الغرب

ومما لا ريب فيه أن الثقافة الدينية تجد في أوربا — باستثناء منطقة النفوذ الشيوعي — مرتعا أكثر خصوبة ، منه في العالم الجديد

فللكاثوليك جذوع راسخة في ألمانيا وفرنسا ، فمدارس الفكر المتيدة التي تمثلها : مجلة فرانكفورتر هافتي في ألمانيا ، ويتزعمها في فرنسا جيلون وماريتان ، هي من دعائم الفكر الكاثوليكي في حاضر الثقافة الفرنسية خاصة ، والأوربية على وجه العموم

ويراقب الفاتيكان هذا النشاط الثقافي في إطار العقيدة الكاثوليكية مراقبة دقيقة ، فبين رجال الكهنوت في الكنيسة الكاثوليكية — وعلى الأخص في فرقتها المثقفة كجماعة اليسوعيين والبندكتيين — جماعة تفرغوا لحاضر الأدب والفن والفلسفة ، وساهموا في دراستها والتعقيب عليها ، ووفروا لأنفسهم نفوذا بالغا ، ساعدهم على تحقيق ما للفاتيكان من قوة في المواصلات الفكرية الحديثة ، في دور النشر والصحف ، وهيئات الإذاعة . وحين يلمس الفاتيكان شعوبية في التفكير بين المثقفين الكاثوليك من غير رجال الكهنوت ، يلجأ البابا إلى هذه المنشورات البابوية المعروفة بـ Encyclical التي تعبر في لغة دقيقة عميقة عن رأي الفاتيكان في شؤون الفكر والبحث العلمي . وقد أصدر البابا في ٢١ أغسطس عام ١٩٥٠ ، واحدا من هذه المنشورات الهامة بعنوان « في الإنسانية » شرح فيه موقف العقيدة الكاثوليكية من البحث العلمي ، الذي يعتمد أن يبرز المكتشفات الحديثة في علوم الطبيعة والذرة والفلك والتحليلات الفلسفية ، على أساس المقارنة مع التراث الكاثوليكي في هذا النوع من النشاط العقلي . وقال البابا إن الكنيسة الكاثوليكية لا تقف موقفا معاديا للبحث العلمي ، فبعض ألوان هذا البحث قد يكون متمما للقيم الدينية والأخلاقية التي تستند إليها الديانة المسيحية . ولكن الذي يخشاه الفاتيكان هو أن يتطور هذا النشاط العقلي ، فيتحمس لتشريح العقيدة الدينية بمبضع البحث العلمي ، فيفسد على النفوس اطمئنانها . فالإيمان بالعقيدة أمر يكتسب بالفطرة ، والتكوين الروحي العميق ، وبعض حقائق هذا الإيمان لا يمكن أن تفسر تفسيرا علميا كما يفسر التفاعل الكيماوي والحركة الميكانيكية ، فإذا كان القصد من تسليط أضواء البحث العلمي على العقيدة الدينية لتزداد قبولها بين الناس ، فحرى بالمتحمسين لهذا القصد أن يتريثوا قبل أن يشكل عليهم الأمر ، ويدفعوا إلى الشك والإلحاد . فكما أن لمقدرة الإنسان حدودا وقيودا تجعله في بعض الحالات عاجزا عن تحليل الأسرار العلمية وخفاياها ، فإن لمقدرة الفكر على تحليل الإيمان بالعقيدة الدينية ، حدودا وقيودا كذلك . فالتطرف في كلتا الحالتين ، يفسد على المرء إيمانه بالعلم وإيمانه بعقيدته الدينية

هذه الإرشادات التي تصدر من الفاتيكان بين آونة وأخرى هي وليدة دراسة دقيقة للاتجاهات الفكرية في الجماعات التي تؤلف المجتمع الكاثوليكي بأوسع معانيه . وهذه الإرشادات هي بمثابة فتاوى يشترك في وضعها أهل الاختصاص من الكرادلة والمتبحرين في علوم الكنيسة ، والذا كفون من كهنوتها على متابعة الأدب والفن والتيارات الثقافية المعاصرة

وليس للكنيسة البروتستانتية — بسبب تشعب فرقها — مركزية تشابه الفاتيكان . ولذلك فإن تسجيل الاتجاهات

الدينية بين البروتستانت يكون بنوع من الدراسات الإحصائية التي يغرم بها الأمريكان، وهم اليوم عماد العالم البروتستانتي.

وعلى كل فإن كانا الطائفتين — البروتستانتية والكاثوليكية — تمر الآن في نوع من البعث الديني، سواء تعرف عليه البروتستانت بطرق الإحصاء، أم سجله الكاثوليك في الفاتيكان بأساليبهم الخاصة

والمراقب للحياة الدينية في الغرب، لا يصح أن يعتمد في تسجيله لظواهر هذا البعث الديني على أقوال رجال الدين أنفسهم، فهم بحكم حماستهم وعلاقتهم المهنية بالدين، أميل إلى تجسيم الظواهر، منهم إلى معالجتها معالجة إيجابية

في الغرب أناس من غير رجال الدين، يلمسون ظواهر هذا الإحياء الديني، ولكنهم يفسرونها تفسيرا خاصا

فمنهم من يقول إن الرجعة إلى الكنيسة مبعثها «أزمة الأعصاب» التي تعترى الناس في أوربا وأمريكا، بعد أن أنت الحرب الأخيرة، والحرب الباردة الحالية على البقية الباقية من الاستقرار النفسي، الذي تركتها الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية الخانقة التي حلت بالغرب في فترة ما بين الحربين

وبعضهم يدعى بأن المجتمعات أميل إلى التعلق بلون من الإيمان الديني الثابت حين تداهمها ظروف حادة من الهستريا الشاملة التي تصاحب فترات القلق السياسي والاقتصادي، كهذه الفترة التي تمر بها المجتمعات في أوربا وأمريكا اليوم. فالرجعة إلى الكنيسة — في رأى هؤلاء البعض — مدفوعة بالرغبة في التخلص من المآرق النفسية والمادية التي هيمنت على ملايين الأنفس التي أخذت تكفر بالمبادئ الاقتصادية، بعد أن بليت بشرورها في الحرب الأخيرة وحرب كوريا، فرغبت في أن تتخذ لنفسها مخرجا في اختيار المبادئ الدينية

ومن الطريف أن طغيان العلم، وما خلقه من آلات الدمار الذرى وقنابل الجراثيم، قد وفر لرجال الدين في أوربا وأمريكا فرصة حسنة للدعوة وترويج المبادئ الدينية، فالوعي الباطني للمجتمعات في أوربا وأمريكا يرتجف هلعا من القنابل الذرية، والبحوث والإرشادات للوقاية من ويلات هذه القنابل وملحقاتها لم تبعث في هذه المجتمعات أملا في النجاة والوقاية التامة، وإنما زادت خوفهم خوفا، وحين يتطرق الواعظ الديني في كنيسته — على سبيل المثال — إلى موضوع القنبلة الذرية وأهوالها، ويقول لسامعيه بأن ابن آدم يعبث بآلات علمية، لا يدرى إلا الله مدى شرورها وأهوالها، وأن المخترعات الحديثة هي وليدة الصدفة، وليست وليدة العقل البشرى الجبار، والدليل على ذلك عجز هذا العقل البشرى عن استنباط الوقاية من هذه الشرور العلمية.

حين يتحدث الواعظ بمثل هذا المنطق يجد لدى سامعيه آذانا صاغية، وهذه الآذان لا يهمها في أكثر الحالات أن تدرك عظمة الألوهية بقدر ما ترغب في الخلاص من مخاوفها وقلقها. فإذا عجز العلم عن إزالة هذه المخاوف وإبادة هذا القلق، فلا مفر من أن يجد المرء السلوى في القضاء والقدر والعناية الإلهية

ومن هذه الظاهرة يلمس المراقب للحياة الدينية في الغرب الرغبة بين الأوساط الدينية البروتستانتية والكاثوليكية باقحام الدين في الحياة السياسية والنشاط الاقتصادي، وهي محاولة لا تعلن صراحة عن رغبتها في إعادة وصل الدين بالدولة، فالفكر الغربي قد وطد في أسسه الجوهرية مبدأ فصل الدين عن الدولة، وإنما ترغب في أن يتسرب التفكير الديني إلى صميم السلوك السياسي والاقتصادي، ليحاول صياغة سياسة الحرب والسلم بلون من الاشعاع الديني، بعد أن سيطرت عليه القوة المادية، قوة العلم وما خلفه من معاول للحرب والتوسع الاقتصادي

وبين البروتستانت والكاثوليك خلاف على أساليب الوصول إلى هذا الهدف؛ فالفاتيكان، وإن كان راغبا في توطيد السلم والاخاء، والحد من استعمال آلات الدمار الجهنمية التي استنبطها العلم؛ إلا أنه يفضل لو تم هذا السلام بعد القضاء على الشيوعية واقتلاع جذورها، ولو كانت الوسيلة إلى ذلك حربا عالمية جديدة، إلا أن البروتستانت — أو على الأقل طائفة من أبرز زعمائهم — يعتقدون بأن الحرب الطاحنة، إذا حلت بهذا العالم فإنها لن تقضى على الشيوعية فقط، بل إنها ستقضى على معالم الحضارة المسيحية الغربية كذلك؛ ولذلك فبين أقطاب البروتستانت — كجماعة الكويكرز مثلا — من يعتقد بإمكانية العيش لجميع النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة، إذا صفت النية، وساد جو العالم لون من الروحانية، والسلوك الديني القويم

نيويورك عمر حليق

شخصية الشافعى
على ضوء علم النفس الحديث

للأستاذ أنور الجندى

يتمثل لى الإمام « الشافعى[1] » حين أدرس سيرته ، رجلا نحيلا ، ضامر الجسد ، مقبول الطلعة ، على الرغم مما قيل عن ملامحه..فليست الملامح فى الحق هى كل شئ.. وقد تبدو غير متسقة ، ولكن يبرز من ورائها «روح» صاحبها غاية فى القبول والتقدير عند من يتصل به

وأرى فيه مظاهر الرجل الذى يصفه علم النفس بالانطوائى..، وكل الرجال الذين احتضنوا الأفكار والدعوات والمذاهب ، كانوا من هذا الصنف

وقد عرف الشافعى بأنه يحب العزلة أحيانا ، ويلجأ إلى الصمت أحيانا ، وأنه يمكن لنفسه بذلك من التأمل والدرس والمراجعة وهى عدة الفقيه والداعية

وأتاح له هذا الجسد النحيل ، القدرة على السفر والرحلة واحتمال مشقة الانتقال بين العراق ومكة واليمن ومصر

ولد فى مكة ، ورحل إلى المدينة ، ثم سافر إلى اليمن ، ثم حمل إلى بغداد ، ثم عاد إلى مكة ... وقصد إلى بغداد ثم إلى مصر ، حيث أقام فيها بقية حياته .. ، وقد أتاحت له هذه الرحلة ، وهذا التنقل المتصل ، خلال هذه المنطقة التى كانت تعد فى ذلك الوقت قلب العالم الإسلامى ، فرصة واسعة لدراسة طبائع الناس وأخلاقهم ومعرفة مصالحهم واتجاهاتهم ، وفهم الحياة ومشاكلها وقضاياها

وقد أنضجت الرحلة ذهن الشافعى وتفكيره ، وأمدته بقوة سيكولوجية رائعة ، وأتاح له ذكاؤه المتقد ، وقدرته العقلية الجبارة ، مرونة ولباقة جديرين بالتقدير . فهو قد غير مذهبه ، الذى وضع أصوله فى العراق ، حين استقر فى مصر ، ووضع بدلا منه مذهبه « الجديد » الذى ضمنه خلاصة تجاربه وملاحظاته ودراساته خلال تلك الفترة الطويلة التى قضاها متنقلا فى الأقطار الإسلامية .. ، وكانت تجارب الأئمة والفقهاء الذين التقى بهم ، وقرأ لهم ، قد تبلورت فى نفسه ، واستقرت ، فاختار منها ما رآه صالحا مع البيئة الجديدة التى استقر فيها

وإذا كان يقال إن أبا حنيفة قد شرع بروح العراق ، وإن مالكا قد شرع بروح الحجاز ، فإن الشافعى قد شرع بروح مصر . ويكاد الشافعى إلى ذلك أن يكون رابطة العقد بين فقهاء عصره ، فلقد ولد فى العام الذى مات فيه أبو حنيفة ، وتلقى العلم على مالك فى المدينة ، فبهره بجودة حفظه والمعية ذكائه ، . ثم كان ابن حنبل من تلاميذه

وقد التقى حين قدم العراق بأبى يوسف ووكيع ، وبذلك يمكن القول أن الشافعى قد أحاط بالفقه الإسلامى فى عهده واستوعبه استيعابا كان كفيلا بأن يجعله عميد الفقهاء وإمامهم فى عصره ، فهو الإمام الذى وضع الموازين والمقاييس ، وضبط الفقه ، بعد أن جادل الفقهاء وقارعهم وانتصر عليهم

فإذا تركنا الحديث فى فقه الشافعى للفقهاء ، وذهبنا نتقصى « شخصيته » الإنسانية وجدناها غاية فى القوة والسمو والحيوية ، وتعدد الجوانب وسمة الأفق ، وذلك بالإضافة إلى ما أثر عنه من براعة وذكاء

يتحدث الذين عاصروه عنه ، أنه كان محببا إلى نفوس عارفيه ، وكان إشعاعه ولباقته وحسن حديثه يكسبه حب الناس وثقتهم .. مما كان يزيد عدد أتباعه ومريديه يوما بعد يوم

وأنه قد توافرت له صفات الداعية ، صاحب المذهب ، هذه الصفات التى تتمثل فيما أثر عنه من طول أناة وحلم ، وابتسام ثغر ، وإشراق وجه وبعد عن الغضب ، وتواضع وخفض جناح وسلامة صدر ، وصفح عمن يسئ إليه .. وبعد عن التعصب وإملاء الرأى . . فقد كان يعذر مخالفيه فى الرأى ويقبل منهم

ويرجع ذلك إلى تلك الأصالة النفسية التى كونت « طابعه » طابع الزعامة ، فقد كان « رياضيا » تعلم الرماية وأغرم بها وأجادها ، وكان يرمى عشرة فى عشرة وقال عن نفسه « كانت همتى فى الرمى والعلم »

وقد نقل أسلوب الرياضيين ، من ميدان الرمى ، إلى حلبة

(١) أنظر خلاصة موجزة لهذا الفصل من مجلة الشرق الأدنى

الفقه ، فكان واسع الصدر إزاء معارضيه

وآية قدرته فى الإقناع على طريقة الرياضيين ، إقناعه الرشيد ببراءته وهو يخوض بحراً من الدماء ، فقد صرع أمامه تسعة ، استلت السيوف اللامعة أعناقهم ، فلما جاء دوره أعطته عارضته القدرة على أن يناقش الرشيد ويقنعه وهو فى هذا الجو العاصف ، وإزاء هذه الشخصية الجبارة

لقد اتهم بالعمل ضد الرشيد وحمل مقيداً من اليمن مع عشرة من أصحابه ، فلما جئ بهم إلى الرشيد ، وضع حداً لأجلهم ، أما هو فقد أقنع الخليفة .. قال له وهو بين النطع والسيف ..

« .. يا أمير المؤمنين ما تقول فى رجلين أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده .. أيهما أحب إلى ؟ قال الذى يراك أخاه ! قال : فذاك أنت يا أمير المؤمنين ». فلما وضع يده على الخيط .. مضى بقيته بقوة ، قال : إنكم ولد العباس وهم ولد على ، ونحن بنو عبد المطلب ، فأنتم ولد العباس تروننا إخوتكم ، وهم يروننا عبيدهم

... ونجا

وقد بلغ به حب الرماية أن لم يكن جلال السن والإمامة بمانع إياه عن أن يرمى

وقالوا عنه إنه كان يقتصد فى لباسه ، ولم تعرف له صغيرة ، وكان يجلس فى حلقته إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل « القرآن » فيسألونه ، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل « الحديث » يسألونه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا .. ثم تستوى الحلقة « للمناظرة » والمذاكرة ، فإذا ارتفع النهار تفرقوا ، ثم جاء أهل « العربية » والعروض والشعر والنحو حتى يأتى المساء .. والشافعى جالس فى حلقته لا يضيق بالعلم ولا بالناس

ولا عجب فقد كان الشافعى أديبا يتذوق الشعر ، ويقول أجوده ، ويقدر الجمال ويعجب به فى مختلف صوره النفسية والحسية، بل لقد كاد أن يكون أديبا خالصا أوفنانا خالصا ، لولا أن أتيحت له فرصة دراسة الفقه ، فمضى فيه ، حتى برز وبلغ القمة ...

وقد روى عن ذكائه وألمعيته وسرعة حفظه الكثير ، مما زاد فى قوة شخصيته أضف إلى ذلك ماروى من أنه إذا تكلم كان صوته أشبه بالصنج أو الجرس ، وكان إذا قرأ القرآن التف حوله الناس ، وعجوا بالبكاء .. قال بعض أتباعه « كنا إذا أردنا أن نبكى قلنا قوموا إلى هذا الفتى المطلبى الذى يقرأ القرآن .. فإذا أتينا استفتح القرآن فتساقط الناس بين يديه وكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته »

ومن هنا جاءت قوته كداعية، يستطيع أن يجمع الناس حوله وأن يحببهم إليه ، وتلك من الشمائل التى لا تتوافر للكثيرين ، وقديما كان الصوت الجميل وطلاقة اللسان من أدوات الداعية الفذ

ويرجع السر فى فصاحة « الشافعى » إلى أنه أقام بالبادية فلقن اللسان العربى

وفى المدينة وصل إليه علم « مالك » كله ، فقد لزمه حتى مات ، وفى بغداد وصل إليه علم « أبو حنيفة » كله بعد أن حمله محمد بن الحسن .. ومن ثم اجتمع له علمان : علم أهل الرأى ، وعلم أهل الحديث

وقد وصل الشافعى بعلمه وثقافته إلى درجة المجتهدين ، وارتفع من أن يكون من أتباع « مالك » ، أو تلامذته الذين يجرون فى حدود مذهبه ، فكان ذلك مصدر الخلاف بينه وبين المالكية فى مصر ، وقد لقى من ذلك عنتا شديدا

وتوافرت للشافعى كل وسائل « العالم » ، كما توافرت له كل وسائل « الداعية » فقد أثر عنه أنه كان يذهب إلى الصباغين يتساءل عن معاملاتهم ، ويرتاد السوق يحدث أصحاب الحرف ..

وبلغت به الثقة أن كان يعرف أن أهل مصر فرقتان : فرقة مالت إلى قول مالك وفرقة مالت إلى قول أبى حنيفة ، ولكنه كان يقول فى حماسة ظاهرة « أرجو أن أقدم إلى مصر فآتيهم بشئ أشغلهم به عن القولين جميعا .. »

وقد حدث ما توقعه .. غير أن الخلاف لم يلبث أن نشب بين أتباعه وأتباع مالك فلقيه فتيان ابن أبى السمح المالكى ليلا فضربه أحدهم بمفتاح حديد فشجه .. ، فلم يسعف بالعلاج فمات .. وقد مات فقيرا ، ولم يترك شيئا يذكر ، وكان قد أجهد نفسه فى الفترة التى قضاها فى مصر إجهاداً بلغ به غايته

أنور الجندى

٢ - جـــوته

للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تابع ما نشر في العدد ٩٨٦

غوته يعتزل الحياة السياسية :

وأخيراً وصلوا إلى النتيجة الحتمية فقال : « كم أكون أحسن حالا وأهدأ بالا إذا أنا نسيت المشاجرات السياسية ووجهت قواى للعلوم والآداب التي لأجلها ولدت . وكل من يحمل حياته للوظيفة — إلا إذا كان أميراً سيدا — فهو إما أن يكون سخيفاً أو مقتصبا أو مجنوناً » . وبمرور الزمن أصابت غوته الهموم وهاجمته الغموم ، فأصبح مريضاً مرة أخرى وأراد التخلص من هذا الوضع الذي تردى فيه فقرر الفرار ناجياً بأهابه . وكان سبب ذلك — على ما نعلم — حادث غرام سقط في شبكته وذلك بتعلقه بالآنسة (فون شتاين) تلك الفتاة الغامضة الخفية ، التي لم تخص من الجمال ولا من العاطفة بشيء يذكر . وقد كان لهذه الحادثة تأثير بالغ في حياته مدى جيــــل . ولو لم يفر بجلده لتحطمت حياته آنذاك ، وكانت إيطاليا في هذه المرة محط رحاله — تحت سماء بهيجة رائعة وفي وسط شعب جنوبي ، أما هــذه الرحلة من حياته فقد جعلها للتأمل في الفنون العظيمة ، وكانت بمثابة تجربة أفنى بمعانيها والطف في مدلولها من حادثة غرام تظاهر فيها الفروسية الكاذبة التي شاءت الصدف أن تفرض عليه فرضاً في (وايمر)

إن إدراك معنى هذه التجربة صعب جدا ليس علينا وحسب بل حتى على المؤرخين الأدباء ودارسى غوته ، فهم لا يعرفون عنها شيئاً ، وهم يعترفون بذلك صراحة . ومن اليسير علينا أن نشعر بما كان يشعر به من عواطف هي عواطف السعادة والتحرر والانعتاق ، والتي يعبر عنها بتعجب بأقواله « إنني ولدت ولادة ثانية ، ولادة حقيقية في اليوم الذي وصلت فيه روما » وأشعر « بشباب جديد ، شباب ثان ، إنسان جديد ، حياة جديدة » و « أشعر بتغيير في نخاع عظامى » . كل ذلك أظهره في رسائله التي بعث بها إلى (شارلوت فون شتاين) التي تركها بدون وداع

إن الشمول هو الغرض الأساسي الذي كان يسعى إليه جهد استطاعته ؛ والسكامة التي كانت لا تفارق شفاهه باستمرار في ذلك الوقت ، فالتاريخ الطبيعي والفن والأخلاق الخ أصبحت جميعاً منسجمة بنفسه ؛ وقد علق على ذلك بقوله « إني أشعر أن شمسي تسطع سطوعا باهرا » . أجل إن شمسه سطعت في تأملاته التي كان يخص بها الفنون القديمة ، وكان ينظر إليها لا كنظار رجل يدري شيئاً بعيدا عن نفسه ، بل كان ذلك طبيعة نامية فيه ؛ فقال عن نفسه « إن الطفل المريض والضعيف سابقاً يمكن أن يتنفس الحرية بطلاقة مرة أخرى »

ماذا عنت إيطاليا بعبقريته

ليس في مكنتنا سوى تخمين العوامل التي أثرت في شخصيته .. ومن هذه العوامل علاقته بجزات البحر الأبيض المتوسط ، التي كان لدمه بها صلة وكان لهذا العامل (اللاألماني) فوائد تحررية عليه ، فهي التي وسمت غريزة العظمة فيه ، وهذه الغريزة مستمدة من الغريزة التاريخية . وقد وضعت إيطاليا الصبغة النهائية على قسمات وجهه ، فأصبح الألماني المهذب ذا وجه ألماني بالنسبة إلى وطنه ، ووجه ثان هو أقرب إلى وجوه الوظفين الخجولين والمتظاهرين بالحشمة ، وفي الوقت نفسه تنير فيه كل شيء فأصبح متزنا كاملا مكتفياً بذاته ، منطويا في قرارة ذاته على نفسه وغدا اتصاله بالناس صعبا جدا ، ولم يبق من صلاته الصداقية القديمة شيء يذكر ، فشعر كل واحد من أصدقائه بالبرودة المتجمدة التي كانت تظهر عليه

وقد علق أحد أصدقائه بعد أن قضى معه ليلة من الليالي بما يلي : « وشعرنا وكأننا نعيش في محيط بارد جدا وكانت السآمة تخيم علينا بثقلها ، وأضحت شهامته ملاطفة وحشمته ظاهرية . أما (شلر) الذي لم يكن يلحظه غوته في غضون إقامته في أول شتاء قضاه في (وايمر) فقد حدثنا عنه بقوله « كانت له موهبة تأسر النـاس وتسحرهم سواء أكان ذلك في الأمور البسيطة أم الكبيرة ، على أنه كان يحتفظ بنفسه فوقهم ، وكان الناس يشعرون بوجوده بسرور بالغ ، ولكن وجوده كان كوجود الآله لا يعطى من نفسه »

ولـكن عملا منافيا اجترحه بعث الناس ذوو الأخلاق المالية والسلوك الحسن على الغضب عليه ، وتتلخص هذه الفعلة بإيوائه فتاة إلى سريره ، وكانت هذه الفتاة جميلة جدا وجاهلة جدا ، وكانت بائعة ورد واسمها (كريستيانا فولبيوس) ، وكانت هذه العلاقة علاقة دعارة استفزازية صارخة ، ومع ذلك فقد جملها بعد عدة سنين علاقة شرعية ، ولـكن المجتمع لم يغفر له ولا لها ، وولدت كرستيانا له عدة أطفال ، ولم يبق منهم في قيد الحياة إلا أوغست الذي وصل إلى منتصف العمر وأصبح ثقلا مرهقا على والديه بسلوكه المتوحش وأخلاقه الفظة وعاداته الذميمة وعربدته الشائنة

كان غوته يشبه في شبابه « أبولو » أو هرمز (الاهم إلا قصر ساقيه) يشبههما في رشاقته ، ولـكنه اكتسب سمنة عندما بلغ من الـكبر عتيا ، وكان ذلك في إيطاليا وفي بداية القرن الذي لازمه طويلا فأصبح وجهه بدينا كثيبا وخدوده متهدلة فتحول أبولو حتى غدا (جوبتر) بالذات ، رأس رائع وحاجبان بديعان بارزان يعلوهما شعر غزير ملفوف معتنى به ، وعينان سوداوان يشعان بالروح مظللتان بظلال التعب والـكلال ، كما أن لباسه كان يميل بمظهره ، إلى المحافظة ، أما خشونته التي طالما كان يفتخر بالتظاهر والتباهي بها في شبابه فقد اتخذت شكلا واقعيا في سيماء الرجل العجوز ، وهكذا اجتمعت فيه خشونة شكلية وتظاهر رسمي وخيلاء خادعة ، فحولت كلامه إلى حديث رجل متعلم عادي

غوته يصبح أسطورة العظمة

تمتاز الفترة بين السبعين والثمانين من عمر غوته بأنها فترة العظمة الأسطورية ، وبأنه أصبح المثل الحقيقي للثقافة الغربية في أوسع معانيها ، فشرع الناس يحجون إليه من جميع أنحاء العالم ، وكان غوته يكره النظر خلال النظارات ، ولذلك لم يكن يحظى لابسو النظارات بحفاوته ! أما الزائرون الذين زاروا أماكن غريبة أو شاهدوا مناظر بديعة فقد كانوا محط حظوته والتفاته ، وكانت أوامره إليهم تتلخص بـ « قف ! دعنا نقتل هذا الموضوع بحثا » . كانت فيه رغبة ملحة لمعرفة كل شيء ، وإرادة للتصرف على جميع الحقائق التي يمتلكها الآخرون ، وإذا ما أظهر أحد الزوار شيئا طريفا أو قدم معلومات ممتعة دعاه للعشاء معه ، فيقدم له ما يشاء من المأكولات والمشروبات على طريقة الملوك ، وربما سمح له بمشاهدة المجموعات النادرة من الزخارف النحاسية والأوسمة والآثار القديمة التي كان يحتفظ بها في قصره الفخم الذي أهداه إياه الدوق العظيم « قصر فراد بلات » ؛ إن الاحترام الهائل الذي حظى به الرجل كان راجعا بالدرجة الأولى إلى جلال كتاباته المبدعة ، ومامن شك في أن أسلوب حياته وما كان يهواه من العلوم والهوايات أضفت ستارا شفافا ساحرا على شهرته كحكيم ، ونسجت برودة من العظمة حول شخصه ، بحيث أن كل ذلك كان يبدو جليا في الرسائل التي كانت تعنون إليه ، فكان مراسلوه الفرنسيون يلقبونه بـ « السيد العظيم » وهو لقب الأمير ، كما أن إنـكلترا كتب إليه بعنوان (إلى صاحب السمو العاطر الأمير غوته في « وايمر » . وقد علق الرجل الشهم « غوته » على ذلك بقوله « لعل الناس عندما يخاطبونني بهذه اللهجة يقصدون الإمارة الشعرية »

ولما مضى الشاعر العظيم لحال سبيله « كان الرجل الألماني العادي والذي لم يقرأ شيئا من كتبه يخاطب صاحبه بقوله « هل سمعت أن غوته العظيم مات ؟ » وكثيرا ما أوصلته الأمراض الشديدة إلى حافة القبر ، ومن ذلك أنه في السنة الثانية والخمسين من عمره هوجم بمرض الحمرة البشرية ونوبة سعال شديدة ، وبعد مرور أربع سنوات انقض عليه مرض النومينيا مع نوبات حادة ، كما أن داء المفاصل ومرض الـكلى هاجماه فاضطر إلى الرحيل إلى بوهيميا . وما أن أقبلت سنة ١٨٢٣ ــ وقد بلغ عندها سنه الرابعة والسبعين ــ حتى نجده واهن القوى روحيا وجسديا . كان ذلك بمثابة رجمة لوداع الحب في (ماري باد) وعلى الرغم من أن المرض الذي أعقب ذلك كان صعبا وصفه ، ولـكنه كان قتالا في تأثيره

والخلاصة أن علاقته بالحياة أخذت تدريجيا تتعرض للخطر ، واشد ما كانت هذه العلاقة موضعا لإيثاره وحبه وغرامه ، فحاول جهد ما استطاع أن يتظاهر بالخشونة كي يلعب دوره الذي قدر له ، دور ابن الأرض القوى ، دور ابن شجرة النبق ،

وكثيراً ما كان يباهى بذلك . أما أسلوب حياته فكان صحياً ، ولكنه كان أكولا متحمساً ، وكان يميز شهيته الشيء الكثير من النفانه مع كراهية للكعك والحلويات

إن غوته يمكن أن يعتبر — بمقاييسنا الخاصة — مدمناً للخمر ، لأنه كان يشرب قنينة كاملة من الشراب في العشاء علاوة على عدة أقداح من الشراب الحلو في وقت الغداء ، وكانت عادته ذم الأشخاص الذين يفقدون حيويتهم بسرعة ، وقد أشار إلى ذلك في حديث طريف مع أحد أصدقائه ـ وقد بلغ آنئذ الحادية والثمانين ـ في معرض كلامه عن وفاة (سومرنغ) العالم الألماني الشهير في التشريح) فقال : « وسمعت بأن سومرنغ توفى في الخامسة والسبعين من عمره التعس وحسب . إن الناس جبناء فهم لا يملكون القوة الكافية للاحتفاظ بعمر أطول من ذلك ، وعليه فليس لي إلا أن أمدح صديق « بنتام » الاقتصادى الإنكليزى ، ذلك الراديكالى المجنون لأنه أكبر مني بأسابيع قليلة » فأضاف مشاركه في الحديث بقوله « ياصاحب الفخامة لو كنت ولدت في إنكلترة مثله لأصبحت راديكاليا مشابها له ولانتقدت معايب الحكومة كما فعل هو » فما كان من غوته ، وكانت سحنته تشبه سحنة (ميفتوفيلس) إلا أن يجيب « وماذا كنت تظن ؟ لو أنني ولدت في إنكلترة لأصبحت دوقاً أو مطراناً دخله ثلاثون ألف جنيه استرليني » إن هذا هو التفاخر بعينه ، والتبجح السافر ، والشعور الراسخ بالتفوق ، إنه كان يعتقد بصورة أسطورية بأنه لا يمكن له إلا أن يولد تحت أحسن الظروف ، وأن الانتقادات لا تصدر إلا من أناس ليسوا حائزين على امتيازات ومواهب خاصة

جوته في أوج قوته

كان غوته معجباً بشعار خاص هو (الجزاء الكامن) في هذا التعبير الذي لم يكن يقف (بصدد) أمام النطاق ، ولكنه كان يدعيا على شفتيه ، ماذا يعنى هذا التعبير ؟ إن الجزاء ليس كامناً ، إنه يحقق ويحصل عليه ، وكل شيء كامن ليس فيه للانسان فضل « اللهم إلا إذا فصلنا الكامنة من مضمونها الأخلاق » وهذا ما يقصده هو بالذات . إن هذا التعبير نحن واضح على الأخلاق ولكل نضال واجتهاد . وقد اعتاد غوته أن يقول مفسراً بذلك نظريته « يجب أن يكون الإنسان شيئاً كي ينتج شيئاً » أو بكلمة أخرى إن ما كان يعنيه لا يخرج عن كون الفضل والكرم في الوجود حاصلا بصفته وجوداً لا بصفته عملا ، وقد عبر عن عقيدته هذه بصور متنوعة ، ولكن الجملة التالية هي أحسن ما أراد أن يقوله « كثيراً ما سمعت الناس يقولون : آه لو أن التفكير لم يكن صعباً لهذه الدرجة ، ولكن الشيء المزرى ، أن أية كمية من التفكير لا تساعد الإنسان على التفكير ، بل يجب أن يكون تفكير الإنسان صحيحاً بالطبيعة كي تقف جميع أفكارك الجيدة أمامك ، كما يقف أبناء الله الأحرار قبالة دونك بقولهم : نحن ها هنا » . الطبيعة ! لم يكن غوته ـ في قلبه ـ ابن أبيه مطلقاً ، ولو أنه لحد ما يعيد بعض الميزات الأبوية ، ولكنه في الحقيقة ابن أمه ، ابن « فراد أجا » — بنت الفندهرى — تلك الفتاة ذات المزاج الشفاف ، وأكثر من ذلك كان في الحقيقة ابن الأم الكبيرة ، ابن الطبيعة نفسها . أما فكرته عنها فكانت الكمال بعينه وضرورة الوجود الذي كان متعلقاً به أشد التعلق ، ومفهومه له كان لا يتعدى عالماً حراً من الأسباب والتصاميم المتداخلة في عالم يعيش فيه الشر جنباً إلى جنب مع الخير ، وقد بين ذلك بصورة جلية بقوله « نحن نناضل في سبيل جعل الفن كاملا بذاته . أما هم « يعني الأخلاقيين » فيفكرون في التأثير الخارجي ، هذا التفكير الذي لا يهم الفنان الحقيقي كما لا يهم الطبيعة نفسها ، فهي عندما تبدع أسداً أو طيراً لا يهمها أن تلاحظ شيئاً من ذلك » . فوهبته البدعة كانت هبة من الطبيعة التي تحتضن الشر والخير سواء بسواء . فكما أن تأليهه للطبيعة كان المنبع الرئيسي لطيبته ، كذلك كان في نفس الوقت منبعاً للا مبالاته وقلة حماسته وسخريته من الأفكار وكراهيته للتجديد ، الذي كان يعتقد بأنه محطم للحياة نفسها . وهذه هي الأشياء الوحيدة التي كان ينتقد عليها . وعليه فليس غريباً أن نرى مقته للثورة الفرنسية مع أنه بشر بحوادثها ومهد لها بكتاباته ، أما مؤلفه « آلام فرتر » ، الذي أنتجه في عنفوان

شبابه ، والذي كانت فيه العاطفية واضحة بارزة ، فقد هز أسس النظام الاجتماعي القديم هزا عنيفا . إن موقفه هذا تجاه الثورة الفرنسية بعيد إلى الذاكرة موقف أرازموس تجاه « الإصلاح الديني » ، أرازموس ذلك الهولاندي العظيم الذي عمل جهده للتمهيد للاصلاح ، ولكنه تنكر له بتقزز وامتعاض . وقد جمع غوته نفسه هذين الحادثين « القلقين » ببيته المشهور لا في هذه الأيام ، أيام الاضطرابات ، رفضت الفالسية (١) الثقافة الهادئة ، كما فعلت اللوثرية ذلك في عهدها » . وهو كذلك ، وكذلك فعل عندما رفض القيمة الكاردينالية التي قدمها البابا إلى (الإنساني العظيم(٢)) وقد اعتذر عن ذلك بأعذار رقيقة ، فهو لم يرد أن يجعل من نفسه حليفا للنظام القديم الذي انهارت معظم قيمه ، ولا نصيرا للنظام الجديد الذي اعتبره غير مهذب ، ومع كل ذلك فسياسة غوته المحافظة كانت مزعزعة لا يركن إليها ولا يعتد بها . ولما أصدر (فريهر فون كاكدن) سنة ١٧٩٤ بيانه المعروف الداعي إلى توحيد المثقفين الألمان كي يضموا أقلامهم في خدمة (الصالح) — أي قضية المحافظين — ولكي نكون أكثر دقة ، إنشاء اتحاد ألماني لتخليص البلاد من الفوضى ، وقف غوته صديق كارل أوغست المخلص وشكر البارون لثقته به ، ولكنه اعتذر بقوله (إنه من المتعذر ربط الأمراء والكتاب في قضية واحدة) ، فانسحابه هذا ، ومحاولته الابتعاد عن كلا الجانبين ، ينطبقان تماما على إرازموس أيضا ، ولكن غوته كان إرازموس ولوثر متقمصين شخصا واحدا ؛ كان اتحادا لطيفا وشيطانيا في نفس الوقت ، وكان وجوده يمتاز بكونه مثالا وقدوة لغيره . كان مثالا بحتذيه الألمان ، وقد تمكن بنفسه من تحقيق المثالية الألمانية لا بل مثالية الإنسان ، ومع ذلك فقد وقف كثير من معاصريه وقد بلغ بهم الأذى والمرارة حدا جعلهم يكرهونه ، وقد عبر عن ذلك بورن بقوله (إن قوته كانت قوة تخريبية بدلا من أن تكون قوة إنشائية ، وقد كانت عائقا للتقدم وخصوصا جوده السياسي ، وطبيعته الكارهة للفكرة الديمقراطية الوطنية التي كانت تمثل العصر ، فكان يعارض حرية الصحافة وحرية التقدم والديمقراطية والقانون ، وكان يعتقد بأن كل شيء معقول في ظل الأقلية) . وكان يؤيد الوزير الذي كان يطابق خططه ضد رغبات الشعب ، وكان يشعر شعورا عميقا بالغرور الإنساني ، وقد اعترف يوما ، بأن مجرد النظر إلى وجهه يكفي للتخلص من الكآبة ، ولكنه لم يكن يؤمن إلا إيمانا ضئيلا بالإنسانية ومستقبلها الحسن ، فلا يمكن تعاليم الناس العقل والعدالة ، ولا يمكن إنهاء الحروب وإراقة الدماء والتذبذب في الشؤون العامة

(للكلام بقية) بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروت

(١) الفالسية هي الفرنسية نسبة إلى الغول : أجداد الفرنسيين

(٢) الإنسانية (humanism) : مبدأ أدبي في عهد الإصلاح وكانت الغاية منه نشر الفنون والآداب اليونانية والرومانية

نساء عرفن فى زمن النبى

للأستاذ ناصر سعد

هذه نبذة مختصرة عن نساء عرفن فى زمن محمد (ص) منهن من اشتهرن بعمل خير أفدنه به فتركن لأنفسهن أحمد الأثر بنفسه فأثنى عليهن .. ومنهن من دعون لإيذائه ومحاربة دينه الحنيف الجديد فتركن لأنفسهن أسوأ الأثر بنفسه وغضب الله عليهن ورسوله ؛ ولا ريب فى أن الخيرات منهن اندفعن وراء إخلاصهن للرسول العظيم ووراء إيمانهن بدينه الجديد فأتين بما يبهر من الأعمال وخلدن أسماءهن فرقين مكانة عالية فى الإسلام والتاريخ تحفز المرأة الحديثة إلى اقتفاء آثارهن والتحلى بصفاتهن الحميدة ؛ وأما الأخريات اللواتى دعون لإيذائه ونبذ دينه فقد اندفعن وراء عصبيتهن لغشاوة كانت ترين على قلوبهن حتى تبين للبعض منهن الحق من الباطل فيما بعد ، فتسرب الإيمان إلى قلوبهن وأسلمن وعدن يخدمن الإسلام مكفرات عما سلف من أعمالهن فعفا عنهن الرسول (ص) . ومن أولئك النساء :

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة أم النبى (ص) حملت به فكان كل ما فى الدنيا بهيجا بعينها ، تبتسم لها الحياة فتبتسم لها ، وليس يسعد المرأة أكثر من مولود تضمه بعد مشقة الحمل والولادة إذ يهون عليها كل ألم لابتسامة تنتظرها من مولودها الذى تضع فتحنو عليه وتحبه ، لأن هذا الحب سر الوجود والحياة ، وما زالت الحياة تبتسم لابنة وهب حتى ذهب عنها شريك حياتها عبد الله بن عبد المطلب وهى ما زالت تحمل جنينها — على أصح الأخبار — فبدت فى سماء حياتها سحابة سوداء أزالت عن ثغرها تلك الابتسامة والبهجة ، وملأت قلبها غماً وحزناً صممت بهما أن تربى مولودها المرتقب خير تربية ليمحو ما بقلبها من الحزن بدعابته وابتسامته ، فولدته وعلى محياه سيماء النبوة ، وأرضعته بلبان الشرف والسؤدد . ثم إنها إما لضعف اعترى صحتها أو لعادة كانت جارية آنذاك أرضعت وليدها من ثويبة مولاة أبى لهب التى أرضعت عمه حمزة (ض) ثم أرضعته أم كبشة حليمة بنت أبى ذويب السعدية التى أرضعت معه عمه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ولم تزل آمنة تجد بتربية ولدها بكفالة جده حتى ظهر من حسن خلقه وجمال طبعه — على صغر سنه — ما يدهش ويحير . فمن ذلك أنه لما كفله عمه أبو طالب بعد وفاة أمه وجده ، وعمره سبع سنوات ، كان حين يجلس مع صبيان البيت يكف عن النهب وتمتنع يداه ، على عكس لداته من الأطفال ، مما اضطر عمه أن يعزل له طعامه ، وليس لنا أن نقول إن ظهور هذا من محمد (ص) كان ليتمه وشعوره بالوحدة.. كلا فإنه تربى فى هذا البيت وألف صبيانه. وإنما ذلك سر إلهى ونتيجة للتربية الصحيحة التى نهجتها آمنة بتربية ولدها ؛ لأن للمرأة الأثر المباشر فى تربية وليدها وتنشئته ، هذا هو أثر آمنة بنت وهب فى حياة سيد البشر (ص)

ومنهن مرضعته حليمة السعدية التى مر ذكرها.. وهذه المرأة كانت على جانب عظيم من حسن الطبع وجمال الخلق ورقة القلب ؛ فرضعات بنى سعد كن يأتين مكة ليرضعن أبناء أشرافها لضيق ذات أيديهن ، ولم تجد حليمة غير يتيم عبد المطلب لترضعه فحركها العطف عليه وهى لا تنتظر من المال ما ينتظره صويحباتها اللواتى رافقنها إلى مكة لغرض الإرضاع ؛ فهى لو لم تكن ذات شرف وخلق قويم وقلب رقيق لم ترضع عبد المطلب حفيديه محمدا وأبا سفيان منها ، فهى من بنى أسد بن بكر بن هوازن وتنتهى لقيس عيلان .. بقى النبى (ص) عندها أربع سنوات ربته على المروءة والشهامة والصدق والأمانة ثم ردته إلى أهله وعمره خمس سنين وشهر واحد . وقد أحب النبى مرضعته حبا كثيراً حتى أنه لما أخبرته بعد فتح مكة إحدى نساء بنى سعد بوفاتها ذرفت عيناه عليها ثم قالت له الناعية : — (أخوالك وأختاك محتاجون) فأرسل إليهم ما يحتاجونه . فقالت له تلك الناعية : — (نعم والله المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرء كنت كبيراً عظيم البركة) .. لا ريب فى أن الذكريات تلك الساعة عادت برسول الله فتذكر أيام طفولته وحنو مرضعته عليه وإلفته مع إخوانه ، إنها لساعة حلوة مرة اختلطت بها ذكريات الطفولة السعيدة وجلال الموت . . هذه حليمة التى ذرف عليها دمع النبى (ص) تركت ولا شك أثراً عميقاً بقلبه الرقيق الحساس

ومنهن أم أيمن (بفتح ميمها) بركة الحبشية مولاة عبد الله أبيه، حضنت محمداً بعد وفاة أمه. ولاريب فى أن هذه المرأة وقد احتواها بيت عبد المطلب وخدمت ابنه عبدالله كانت امرأة بارة بمحمد، تعترف بجميل جده وأبيه، وتقدر أثر اليتم بنفس ربيبها وشعوره به، فأحاطته بعطفها وحنانها، وخففت عنه ذلك الألم وهو الطفل المرهف الحس فاعتاض بها عن أمه، كان لها جميل الأثر فى نفسه

ومنهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ابن كلاب المرأة الحكيمة الموسرة كلها أبو طالب فى أن توكل محمداً على تجارتها وهو الصادق الأمين، فتأملت وهى المرأة الرشيدة فآنست خيراً ووكلت محمداً واشترطت له كل سفرتين بقلوصين، فصار يذهب بتجارتها ويقدم إليها الربح الجزيل بأمانة وإخلاص، فلما أعجبها إخلاصه وأمانته وصدقه عزمت على التزوج منه ولم تكن معه على صلة متيسرة بدليل وساطة نفيسة بنت منية أو كما قيل بوساطة ميسرة مولاها بينهما. وكان أبوها خويلد يرغب عن تزويجها من محمد، فاحتالت بأن دعت قوماً من قريش فيهم أبوها وقدمت إليهم طعاماً وشراباً، فلما أكلوا وشربوا وثمل خويلد قالت له : — (إن محمد بن عبد الله يخطبنى فزوجنى إياه) فزوجها ورضى بذلك، فقامت إليه وألبسته وطيبته على عادة من يزوج ابنته آنذاك، ولما أفاق ورأى ما هو فيه سألها يقول : — (ما شأنى ؟) قالت : — (زوجتنى من محمد بن عبد الله). قال : ... (أنا أزوج يتيم أبى طالب ؟ لا لعمرى) قالت : — (ألا تستحي.. تريد أن تسفه نفسك عند قريش فتخبر الناس أنك كنت سكران ؟) ثم رضى بعد إلحاح وتم الأمر، وعمرها أربعون سنة ولمحمد من العمر خمس وعشرون سنة. . إن هذه الرواية لخير دليل على تعلق خديجة بمحمد وحبها إياه لما اتصف به من الخلق الحميد، وإلا فلا يعز عليها الرجال وهى الشريفة الموسرة .. وليس فضل خديجة على الإسلام بمجهول ولا مداراتها للنبى بمنكورة، فلقد كان لها رضى الله عنها أطيب الأثر بحياة الرسول قبل النبوة وبعدها إذ كانت تزوده بما يكفيه من الطعام فيذهب لغار حراء يقيم فيه الأيام والليالى متعبداً مفكراً فى أمر ربه . ولما جاءه الحق من ربه رجع لخديجة وهو يرجف ويقول : — (قد خشيت على عقلى) فشجعته وثبتته وقالت : — أبشر — والله — لا يخزيك الله أبداً .. إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر) ثم صدقته وأسلمت ؛ هذه سيدة قريش التى كان لها الأثر الفعال بحياة محمد (ص) والتى كانت أول أم المؤمنين

ومنهن أسماء بنت أبى بكر (ض) كانت ذكية الفؤاد شديدة الحرص والحساسية، بدليل تمكنها من نقل الزاد للنبى (ص) وأبيها (ض) وهما مختفيان فى الغار.. فلم يطلع على سرها أحد من قريش.. إذ لولا يقظتها لتمكنوا من معرفة مكان النبى وألحقوا به الأذى . إن تاريخ هذه المرأة فى الإسلام معروف، وإنما أوردنا عنها هذه النبذة لنتصور أثرها بقلب الرسول فى تلك الساعات الحرجة الرهيبة التى هدر بها دمه مذ صمم أهل مكة على قتله

ومنهن أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية، وهذه المرأة لما توجه النبى إلى المدينة وقد اقترب منها ونزل بيتها فقال عندها وظهر من آيات معجزاته ما أدهش أم معبد فقد مسح ضرع شاة لها فحلبت لبنا كثيراً وبقيت كذلك للسنة الثامنة عشرة بعد يوم الهجرة، ومن ذلك ظهور البركة فى الطعام الذى قدمته أم معبد للنبى فأكل منه وتزود وكان قليلا بعينها . هذه عاتكة الخزاعية هي التى صارت فيما بعد داعية للنبى ودينه الجديد تبشر به لإعجابها بسمو أخلاق نبيها وآيات معجزاته

ومنهن عائشة أم المؤمنين (ض) بنى بها النبىُّ فى المدينة بعد الهجرة بتسعة أشهر، وأثرها بحياة الرسول أشهر من أن نترجم له، فقد أحبها الرسول وصارت بعد وفاته ثقة برواية الحديث الشريف . وقد كانت من النساء اللواتى يعتنين بالمحاربين فى الغزوات فتقدم إليهم الماء والطعام محمولا على ظهرها

ومنهن عصماء بنت مروان الأموية كانت تكره النبى وتؤذيه وتحرض الناس وتؤلبهم عليه وتعيب دينه ، فكان لهذه المرأة وهى على هذا الوصف أسوأ الأثر بقلب النبى (ص) ولقد رأيناه يحمد من قتلها وفتك بها ، وذلك أن عمير بن عدى وهو أعمى من رهطها وكان موالياً للنبى.. حلف ليقتلنها إذ عاد النبى من بدر لأنها كانت تؤلب الأعداء عليه، فلما رجع ذهب إليها عمير ليلا فوجدها

نائمة ولها رضيع يرضعها فأبعده عنها وغرس سيفه فى صدرها فقتلها وخرج دون أن يعرف أحد بأمره، ولما كان الصبح جاء عمير إلى المسجد ليصلى مع النبى، ولما صلى وانصرف نظر إليه النبى وقال: — (أقتلت ابنة مروان ؟) قال: — (نعم يارسول الله) قال: — (نصرت الله ورسوله) فقال عمير: — (هل على شئ من شأنها يارسول الله ؟) فقال النبى: (لا ينتطح فيها عنزان).. هذه المرأة التى كانت تؤلب الأعداء على النبى وتدعو لإيذائه كانت ولا شك على وئام مع أعدائه الذين كان منهم اليهود فقبحها الله وقبح ما كانت تدعو له..

ومنهن سلافة بنت سعد بن الشهيد زوج طلحة بن أبى طلحة ؛ كانت من أعدى أعداء النبى ويكفى تبياناً لذلك تحريضها ذويها على المشاركة فى الحرب ضده فى غزوة أحد، وأنها وضعت مائة من الإبل جائزة لمن يأتيها به، وكان أن حمل زوجها طلحة راية المشركين بإحدى الحملات فى أحد فقتل ثم حملها بعده ابنها أبو شيبة فقتله حمزة (ض) وحملها بعده أخوها أبو سعد بن طلحة فقتله سعد بن أبى وقاص، فحملها بعده ابنها مسافع بن أبى طلحة فقتله عاصم بن ثابت، فحملها بعده ابنها الحارث فقتله عاصم أيضاً. هذه المرأة التى جملت بيتها بوتقة يغلى بها الحقد على رسول الله زاد هذا القتل فى حقدها عليه وعلى المسلمين معه فحلفت لتشربن الخمر فى قحف عاصم بن ثابت قاتل ولديها مسافع والحارث فأخذت تحث المشركين على الثبات وتدعو لحمل اللواء حتى تداول حمله كثيرون من قريش كان نصيبهم القتل، فحملت عمرة بنت علقمة الحارثية الراية بعدهم فتراجع المشركون يطلبون السلامة.. وفى ذلك يقول حسان بن ثابت (ض) معيراً إياهم

عمرة تحمل اللواء وطارت فى رعاع من القنا مخزوم
لم تطق حمله الزعانف منهم إنما يحمل اللواء النجوم

ومنهن فاطمة الزهراء وأثرها بحياة النبى غير خاف على أحد فهى حبيبة أبيها وأوثق الناس صلة به وأشفقهم عليه.. خرجت مع نساء من المدينة وهى تلهف على أبيها.. فقد جرح بأحد فلما رأت جراح وجهه احتضنته وعانقته وصارت تمسح الدم منه ثم أخذت ماء وغسلت وجهه .. ما أروعه من موقف خفق فيه قلب محمد بحب ابنته وحنوه عليها.. وكأنى بالزهراء (ع) تلك الساعة يترقرق الدمع من مآقيها ويخفق قلبها بالحب والحنان. هذه الزهراء وماأنصع حبها لأبيها وما أحسن إسلامها.. خرجت هى وأربع عشرة امرأة منهن أم سليم بنت ملحان وعائشة أم المؤمنين (ض) فحملت الماء فى قربة والزاد على ظهرها تطعم المؤمنين المحاربين وتسقيهم .. هذه الزهراء أم حفيدى الرسول تركت أجل الأثر فى قلب أبيها الحنون

ومنهن هند بنت عمرو بن حرام زوجة عمرو بن الجموح.. امتلأ قلبها بالإيمان وحب الدين الجديد، فلم تزل تحرض ذويها على قتال المشركين فى أحد حتى استشهد زوجها وهو يقاتل رغم عرج كان به.. واستشهد ابنها خلاد وأخوها عبد الله فحملتهم على بعيرها وأتت المدينة فرأتها أم المؤمنين عائشة (ض) بظاهرها وقد خرجت تتروح مع صويحبات لها.. فقالت لهند: — (عندك الخبر ..ماوراءك ؟) قالت هند: — (أمارسول الله فصالح وكل مصيبة بعده جلل) قالت عائشة: — (من هؤلاء ؟) قالت: (أخى وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح) قالت: — (فأين تذهبين بهم ؟) قالت هند: — (إلى المدينة أقبرهم)! ما أكبر هذا القلب قلب هذه المرأة وما أعمره بالإيمان! وأى رجل يحمل مثل هذا القلب وأية امرأة ... يا للعجب امرأة تفقد زوجها وابنها وأخاها فى يوم واحد فلا ترتجف لها قلب ولا تدمع لها عين! إنه حال مدهش والله ... ولكن لا عجب ولا دهشة فإن الإيمان بالله وحب الشهادة فى سبيل الدين لا يجعلان متنفذاً للحزن فى القلب .. ما أعظم هذه المرأة إذ قالت للرسول (ص) حين ذكر قتلاها: — (يا رسول الله أدع الله أن يجعلنى معهم) إنها لم تقل هذا جزعاً من الحياة بعد ذويها، بل قالته حبا بالشهادة فلعلها تنالها مدافعة عن دينها الذى آمنت به وطهر قلبها من كل رجس

البقية فى العدد القادم

ناصر سعد

مواكب القلوب

للأستاذ على محمد السرطاوى

علمت الشجرة المثمرة ، يا إلهى ، أن تملى من نضج الفاكهة التى تحملها أفنانها بين الأوراق الخضر ، بمعان من الألوان ، وكلمات من الأريج

وكسوت الورود والرياحين الغلائل المصبغة بألوان الشفق والفجر وقوس السحاب ، وجعلت لها ألسنة من العبير ، تهمس بها الأنسام فى أذن الفراشات الراقصة فى عرس الطبيعة ومواكب الربيع

وألبست الروابى ، والوهاد ، والمروج ، الحلل السندسية الخضر الموشاة بالألوان التى لا تحصى من الأزاهير ؛ تطل من ورائها الأسرار المتوارية وراء لسان الطبيعة الأبكم ، ونواميسها الأبدية الثابتة ؛ فراحت الأجناس من كل ما يدب على هذا البساط الأخضر ويتحرك ، مدفوعة نحو أجناسها ، فى جنون من العاطفة المشبوبة والحس المخدر ، إلى حيث تدرى أو لا تدرى ، فوق ألسنة من لهيب يحرق ولا يعيث، ووراء الصوت المدوى فى الأعماق ، والجوع الذى لا تشبعه النظرات ، والظمأ الذى لا يصل إليه الارتواء أبدا

وجعلت لقلب المرأة لسانين فصيحين بارزين فى أجل مكان من صدرها ؛ يصرخان فى ظمأ قاتل ، ويبحثان فى جهد لا يبلغه النصب عن طيف الحبيب المجهول ؛ بمعان من كبرياء الجمال ، وألفاظ من دلال الحسن ، وتعابير من اهتزاز ساحر عنيف وراء الغلائل الشفافة التى تكبح جماحهما ، كما تكبح اللجم الجياد ، فيتراءى من خلفهما جمال الربيع الدائم ومعانيه

سبحانك يا إلهى ! لقد أشعت فى الطبيعة الجمال البكر الفاتن ؛ يتجدد ولا يفنى ؛ واختصرت هذا الجمال الأبدى البديع فى أروع ما صنعت يداك ؛ فخلقت المرأة وجعلتها الرمز الخالد لأسرار الطبيعة وجمالها ، وجلالها ، وجبروتها ، وفتنتها ، فكانت المعجزة السرمدية الأولى والأخيرة التى شاءت قدرتك أن تكون صورة مصغرة لأروع وأجل ما فى الوجود ؛ جعلت الظلام الحالك شعرها حينا ، وذهب الأصيل حينا آخر ، والنور المشرق وجهها ، والبانة قوامها ، وعبير الأزاهير أنفاسها ، وحمرة الشفق وجنتيها ، واللؤلؤ ثناياها ، وأوراق الورود شفتيها ، ثم اختصرت كل هذا الجمال العبقرى المركز لتصنع به عينيها ؛ فتدافعت بالمناكب وراءها أطياف مجنحة من الماضى والمستقبل ونواميس الطبيعة وأسرار الغيب وجمال الوجود

وحين ترسل المرأة رسالة الحب الأولى إلى القلب الظامئ الخلى من أطراف عينيها ، إنما تبعث إليه بأطياف عابرة من سعادة السماء فى جنات الخلود وفردوس النعيم

وحين يحكم الحب القلب الإنسانى وتجلس حواء على عرش الحب فيه ، إنما تحمل إليه أقوى ما فى الطبيعة من جبروت العواصف العاتية ، والبراكين الثائرة ، والأنواء المزمجرة ، والبروق الخاطفة ، والرعود المقهقهة ، وتشيع فيه فتنة الربيع ، وجمال الشفق ، وسحر الفجر ، وخرير الأمواه ، وأغاريد الطيور

لقد أوشكت حواء يا إلهى أن تنازعك السلطان فى الأرض وتصرف عن حبك القلوب ؛ عبدها البشر فى طفولة الحياة الإنسانية ، وشادوا لتلك العبادة الهيا كل والمعابد ، وما زالت عبر العصور معبودة القلوب ؛ هيا كلها القصور الباذخة ، والأكواخ المتواضعة ، والخيام الساذجة ؛ تركع الحياة ذليلة على أقدامها ؛ تعز وتذل ، وترفع وتخفض ، وتهز الدنيا إذا شاءت بيسارها

والمرأة كالمرآة الصافية الأديم ؛ تظهر جوهر القلب الذى يحمل حبها ، فيتراءى فى ذلك الجوهر وراء الضباب الكثيف من الدم واللحم ، صافيا نقيا . ولذلك كان الحب محك الصفات ، وميزان السجايا ، ومقياس الضمير ؛ فلكم انخفضت نفوس وارتفعت أخرى حين اتصل بها حب المرأة فى الحياة

وكلما تحركت مواكب الربيع المعطار فى أعراس الطبيعة ؛ توقظ الحياة وتحركها فى مواعيدها التى لا تتبدل ، أقبلت مواكب القلوب الظامئة فى زوارق الشباب ، تعبر عباب الزمن إلى الضباب الكثيف وراء الأفق البعيد المجهول

لم تكن الفنون الجميلة فى حقيقتها إلا القرابين ؛ قدمتها القلوب راكعة أمام طيف المرأة الساحر المجهول فى عصور التاريخ :

فالموسيقى ، والشعر ، والرسم ، والنحت ، والتمثيل ، والغناء ، ليست غير الأنين القاتل انبعث من حناجر القلوب ، وهى ترفرف محترقة ، حائمة ، حول قلوب بنات حواء ، اللائى قد ألقى حولها ألسنة محرقة من لهيب الجحيم

شد ما يلقى القلب الذى تناديه المرأة للحب من عذاب فى حبها ؛ يراها فى أحلامه ، وترتسم وجهها الجميل على كل ما تبصر عيناه ، ويتردد اسمها مع الوجيب وراء ضلوعه ؛ فكأنما استطاعت نظرتها الأولى أن تحمله إلى عالم قفر لا يرى غيرها فيه

وتبقى الحياة لغزا مبهما غامضا أمام القلب الإنسانى حتى تشرق شمس الحب فيه من نظرة امرأة ؛ فإذا الدنيا غير الدنيا ، وإذا الحياة غير الحياة ، وإذا السماء تتلاقى مع الأرض لتملأ جوانبها بكل ما فيها من خير ونعيم

لقد كان العباقرة والشعراء والفنانون من صنع المرأة ، وكان المجرمون والمحتالون والأشرار من صنعها أيضا ؛ وكلما رأيت إنسانا قد رفعته الحياة على هامتها ، فابحث عن اليد الناعمة التى رفعته إلى ذلك المكان ؛ وإذا رأيت إنسانا آخر يهوى فى الجحيم ، ففتش عن القدم الناعمة التى سحقته تحتها ، فى غير ما رحمة إلى حيث لا يعود

والمرأة كتلة محترقة من الإحساس الدقيق المنيف ، متطرفة إلى أبعد غايات التطرف ، لا تعرف الاعتدال ولا ترى إلا عند الطرفين المتناقضين . فإذا اضطرم قلبها بالحب ضحت بكل شئ وبحياتها فى سبيل الحبيب ، وإذا خفق ذلك القلب بالبغض وعاش الحقد فيه ، انقلبت إلى عملاق لا يعرف الرحمة ولا يعرف الحدود فى طريق الحقد والانتقام والأذى

وحواء كالعاصفة لا تهدأ أبدا ؛ تهز كل ما حولها هزا عنيفا ، شأنها فى ذلك شأن الإعصار المدمر العاتى ، وهى كالنار تحرق نفسها ، وتحرق كل شئ حولها

وحين خلق الله وجه المرأة ، كما يقول الرافعى ، رضوان الله عليه ، طوى أشعة القمر بعضها إلى بعض فكون منها ذلك الوجه المشرق الجميل ، وانتزع من أعماق الشمس كتلة ملتهبة أودعها وراء ضلوعها فكانت قلبها ، وغدت بالفطرة فى سجيتها نورا ونارا ، نسمة وإعصارا ، بناء وتدميرا

لقد نزل بالأمس القريب فى سبيل المرأة ملك من عرش الأرض ليجلس على عرش الحب فى قلبها ، ولكن العواصف التى هبت عليه من بين جوانحها ، حالت بينه وبين الوصول إلى ذلك العرش الخالد ، فعاد أدراجه ، ينادى عليها فى الفلوات بعد أن أدبرت عنه ، ويجرى فى يأس قاتل وراء السراب فى فيافى الحب وصحراء الخيبة

أسعد إنسان فى الوجود ذلك الذى تفتح له المرأة قلبها على مصراعيه ثم تغلقه بعد أن تجلسه على عرش الحب فيه . وحين تغلق المرأة قلبها على حبيب ، لا تستطيع قوة فى الوجود أن تخرجه منه ، أو تضع إلى جانبه حبا جديدا

لقد تكون الدر فى أصدافه تحت أمواج البحر للمرأة ، والذهب والأحجار الكريمة فى طبقات الأرض للمرأة ، وكل ما تنبت الأرض من ورود ورياحين وطيب للمرأة ، وكل ما تنتجه العبقرية الفنية من صناعة ونسيج للمرأة ، وكل ما يشاد من قصور الرمر للمرأة

لقد شيدت قصور الحدائق المعلقة فى بابل القديمة لامرأة ، وتاج محل فى الهند لامرأة ، وقصر الحمراء فى الأندلس لامرأة ، وتهدمت طروادة بعد عشر سنوات من حروب دامية بسبب امرأة ، وامتدت يد لادى هاملتون فأزاحت الستار عن عبقرية الأميرال نلسون ؛ ويد جوزفين عن نابليون ، وبياتريس عن دانتى ، وكليوبطرة عن يوليوس قيصر ، وليلى عن المجنون

إن عين المرأة دائبة البحث فى الحياة عن مجنون يهيم بحبها ، ولكل امرأة فى حياة قلبها مجنون يهيم بها وتهيم به فى حب صحيح . والمرأة حين تبحث عن ذلك المجنون فلا تراه فى حياتها ، إنما يكون ذلك إيذانا بانهزامها من الحياة وفشلها ؛ وحين تفشل المرأة فى الحب ، يقودها الفشل إلى طريق القبر الموحش الحزين ؛ وتنطوى على نفسها فى صمت كئيب قاتل طويل ، يذهب ربيع الحب منه ، ويقبل الخريف عليها فيه فتذوى معه كما تذوى أوراق الدوح فى قبضة الأعاصير

الحب حياة المرأة ، وما أقسى تلك الحياة إذا لم تعثر المرأة فيها على الحبيب فى مسالك الوجود ! وما أشد تعاسة القلب تجمعه روابط الزواج بامرأة ، ويلاقيها فى أجل لهلة فى الحياة ،

زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل .. والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت .. »

« الزيات بك »

— ٣ —

انتقل مصطفى كمال إلى دمشق .. مبعدا عن القسطنطينية .. وكان السلطان يظن بذلك أنه لن يستطيع أن يواصل عمله ونشاطه .. وأن صلته بأقرانه قد انقطعت .. وأن جهوده قد توقفت — ولو إلى حين — !!

ولكن كيف تهدأ نفس « مصطفى » الثائرة ، وتخبو آماله العريضة ، وتسكن حركته المتدفقة !

لقد بدأ يواصل عمله ونشاطه فى دمشق وبيروت .. واتصل « بعقيد لطفى » وهو أحد زملائه القدامى .. فى المدرسة الحربية .. وأحد مؤسسى فروع الجمعية فى بلاد الشام .. كما اتصل بقائد ميناء « يافا » .. وكان مناصرا لأعضاء الجمعية .. وظل مصطفى يطوف بمختلف بلاد الشام .. داعيا إلى إصلاح الإمبراطورية العثمانية — مركز الخلافة الإسلامية

ولكن أهل هذه البلاد من العرب .. لم يحفلوا بدعوته .. وكان معظمهم ثائرين .. لا من أجل حرية تركيا .. ولكن من أجل حرية بلادهم .. ومنذ ذلك الحين بدأ مصطفى كمال ينظر إلى وطنه مستقلا عن بقية أجزاء الإمبراطورية .. ووضع أساس سياسته الذى سار عليه طول حياته « تركيا .. للأتراك »

وفى الوقت الذى أبعد فيه مصطفى كمال عن القسطنطينية .. تكونت عدة جماعات وطنية منها « جمعية الاتحاد والترقى » التى كان هدفها الرئيسى وضع دستور للبلاد .. فلما سمحت له الظروف بالعودة إلى وطنه .. أراد أن يشترك فى هذه الجمعية ولكنه لم يكن على وفاق مع زعمائها .. ولذلك فضل العمل بمفرده

وفى سنة ١٩٠٨ م .. قامت ثورة تركيا الفتاة .. التى انتهت بالحصول على الدستور ولم يكن لمصطفى نصيب فى هذه الثورة

وحينما نشبت الحرب بين إيطاليا وطرابلس .. رأى أن يتطوع لمعاونة القوات الوطنية التى تحارب الغزاة الإيطاليين .. وقد استطاع الوصول إلى ميدان الحرب .. رغم معارضة الحكومة العثمانية .. وتضييق الرقابة الإنجليزية .. المسيطرة على مصر فى ذلك الحين ... وظل يعمل فى الميدان الجديد إلى أن نشبت الحرب البلقانية .. ضد تركيا سنة ١٩١٢ م

وحينما نشبت الحرب الكبرى .. انضمت تركيا إلى ألمانيا . فاشترك مصطفى كمال فى هذه الحرب .. وقام بنصيب كبير فى الدفاع عن بلاده حتى وصل إلى مرتبة الزعامة الحربية .. رغم معارضة وزراء الحربية له . ووقوفهم فى وجهه .. وإبعاده فى كثير من الأوقات عن ميادين القتال .. وقد حاول الإنجليز مرتين اقتحام الدردنيل .. ولكنه استطاع أن يردهم المرة تلو المرة .. حتى تراجعوا فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩١٥ .. ولذلك أطلق عليه اسم « منقذ الدردنيل »

وكان مصطفى كمال يحمل على الألمان حملة شعواء .. ويقول .. « إنه من الحق والجنون أن نسمح للأجانب بالسيطرة على الجيش » وهو عدة الحياة لنا .. يجب علينا نحن الأتراك .. أن

وهى كالزنبقة البيضاء العاطرة فى ملابس عرسها ، على غير أساس من الحب الصحيح المجرد عن معانى التراب

الحب هبة السماء إلى الأرض ، وصفو الحياة ونعيمها ، وهو هبة القلب إلى القلب ، ولا يستطيع الذهب والجوهر المنثور عليه فى الدنيا

لقد ابتدأت الحياة بامرأة واستمرت بامرأة وستنتهى بامرأة حين تشاء القدرة أن يزول الوجود

على محمد سرطاوى

نهض بجيشنا .. وإنها لإهانة للوطن كله أن ندعو ضابطا بروسيا ليتولى عنا تنظيم جيشنا .. »

وحينما انتهت الحرب .. خرجت تركيا مهزومة ذليلة .. وكانت النكبة الكبرى على الدولة العثمانية احتلال اليونان لمنطقة أزمير — فقد كان ذلك يبعث في نفوس الأتراك ألما وحسرة وقلقا .. ويدعو إلى التشاؤم .. والخوف من المستقبل

خرجت تركيا من الحرب مهزومة ذليلة .. فانتهز اليونانيون الفرصة .. وطلبوا من الحلفاء أن يسمحوا لهم باحتلال أزمير

وفي اليوم الخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م .. بدأت الجيوش اليونانية تنزل أرض الأتراك — الذين كانوا بالأمس القريب سادة عليهم — وقد اقترن نزولهم في هذا الميناء بالوحشية والقسوة .. فاعتدوا على الأهالي المسالمين .. وقتلوا عددا كبيرا من الجنود الأتراك .. وقد رأت الكاتبة الفرنسية مدام جوليس ما حدث عند نزول اليونانيين في أزمير .. فتقول في مذكراتها :

« بدأ اليونانيون ينزلون إلى البر .. وقد انتظموا صفوفا يتقدمهم علم يوناني كبير .. وازدحمت على جانبي الطريق الخالي من الأتراك . جموع من الأروام .. وقفت تهتف للقائد اليوناني الكبير — فنزيلوس — وكانت وجهة المحتلين والمتظاهرين .. الثكنة العسكرية التركية .. التي آوى إليها جنود الحامية التركية مع عدد عظيم من الضباط..والشبان القادمين للاقتراع.. وكان جنود الحامية قد سلموا أسلحتهم تنفيذاً للأوامر .. وما هي إلا فترات قصيرة حتى أحاط الجيش المحتل بالبناء .. ثم دوت طلقة من أحد المتظاهرين كانت إيذانا بحركة فاجعة .. فقد صوب المحتلون مدافعهم .. فطارت مصاريع النوافذ الزجاجية .. وامتلأ الفناء بجثث القتلى والجرحى ..

وحاول الأتراك المحاصرون أن يدافعوا عن أنفسهم .. فأخذ أحدهم قطعة قماش رفعها .. وسار صائحا في إخوانه .. كي يتبعوه ، ولكن نيران المدافع كانت أقوى من بسالتهم ، فمات منهم كثيرون »

يقول المؤرخ الإنجليزي الكبير هربرت فشر « قد يحتمل الأتراك احتلال أية دولة لأزمير ، أما أن تخفق الراية اليونانية الحقيرة المزدراة فوق أي صقع من أصقاع آسيا الصغرى ، فكان يعد من جانب كل تركي وطني صميم إهانة لا تغتفر ولا تطاق ، ولذا أثار نزول الجيش اليوناني في أزمير موجدة الترك ، وأهاج حفيظتهم ، وأذكى في نفوسهم تصميما على مقارعتهم ، وأتاح لمصطفى كمال ، منقذ الدردنيل وأنبغ قواد الجيش التركي ، الفرصة لخلق دولة تركية مستقلة جديدة »

* * *

نظر مصطفى كمال إلى الحالة السيئة التي وصلت إليها بلاده .. فلقد أبعد الأتراك عن قناة السويس .. وطردوا من العراق وسوريا وفلسطين .. وألقى الأسطول الإنجليزي مراسيه في مضيق الدردنيل .. وغدا السلطان دمية في أيدي الساسة البريطانيين .. ولم يبق للأتراك سوى آسيا الصغرى التي احتل اليونانيون جزءاً منها .. وبدأ مواطنوه يخضعون للحكم الأجنبي ، ويفقدون الثقة في حاضرهم ومستقبلهم .. ولا يفكرون في وسائل الخلاص !!

ومع هذا الفساد في الحكم .. والتشاؤم من المستقبل المظلم .. بدأ مصطفى كمال يفكر تفكيرا جديا في تحرير وطنه .. وتخليص بلاده .. وبعث الشعور القومي من جديد

وكان برنامجه يقضي بالعمل على استقلال تركيا استقلالا كاملا .. ثم تنظيم الحياة القومية تنظيما مستمدا من أصول الحضارة الغربية

أخذ مصطفى كمال يبث الدعوة إلى فكرته ، ويجمع المخلصين حولها .. وكان مما حدث أن قابل السلطان — وحيد الدين — وحدثه عن آلامه .. وحاول أن يبث فيه الجرأة والصلابة .. ولكن السلطان خاف على مركزه ونفوذه .. وخشي أن يغضب الدول الكبرى .. ولذلك رفض مساعدة مصطفى كمال

وحينما شعر الراقبون الأجانب ، بهذه المساعي التي يبذلها ، والجهود التي يقوم بها .. خشوا أن يكون لحركاته أثر في القسطنطينية عاصمة الدولة .. ومصدر توجيه الأمة .. ولذلك عملوا على محاربته « ومقاومة حركته » وذلك بإبعاده عن العاصمة ..

البقية في العدد القادم

عبد الباسط محمد حسن

أبو العتاهية

للدكتور محمد عبد العزيز الكفراوى

تابع

انتهينا من بيان الأسباب الرئيسية التى أدت إلى ما حدث من انقلاب فى حياة شاعرنا سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وعرفنا أن أهمها هو شعوره بالضعة لما كان من وضاعة آبائه وأجداده، وما استتبع ذلك من حقد على ذوى الجاه والنفوذ فى عصره ، وسخط على الحياة والأحياء عامة . وثانيها نقمته على هارون وبغضه له . وثالث تلك الأسباب هو تدخل الفضل بن الربيع وزبيدة وتشجيعهما للشاعر على الثورة ضد الخليفة

واليوم تبدأ المرحلة الثانية فى دراستنا وهى القيام بجولة فى شعره لنرى مدى انطباق ما قدمناه من نظريات على تلك الأشعار، ولنبدأ بما كان من شعر الشاعر خاصا بهارون . ولعل القارئ الكريم يتوقع مما ذكرناه آنفا أن يرى لأبى العتاهية فى هارون نوعين مختلفين من الشعر : شعر ينبعث من نفس مليئة حقدا على الخليفة لما كان من تثاقله فى أمر عتبة ثم ما كان من حبسه للشاعر فى غير جريرة اللهم إلا استعماله لحقه الطبيعى من الامتناع عن الغزل . وشعر من نوع آخر لا ينفس به الشاعر عن نفس مغيظة أو عواطف مكبوتة، ولكن يحاول فيه أن يفى للفضل وزبيدة بما أخذه على نفسه من تسخير ملكته الشعرية لخدمتهما

وقد كان النوع الأول يتمثل فى تأليب الناس على الخليفة أملا فى تقويض ملكه وزوال سلطانه ، ويتمثل أيضا فى تلك الأشعار الكثيرة التى كان يرجو فيها للخليفة موتا عاجلا يريحه ويريح منه ، فمن ذلك تلك الأبيات التى أرسلها الشاعر إلى خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد الأكفاء والتى يقول فيها :

ألا إن تقوى الله أفضل نسبة ... تسامى بها عند الفخار كريم
إذا ما اجتنبت الناس إلا على التقى ... خرجت من الدنيا وأنت سليم
أراك امرأ ترجو من الله عفوه ... وأنت على مالا يحب مقيم
تدل على التقوى وأنت مقصر ... أيا من يداوى الناس وهو سقيم
وأذللت نفسى اليوم كيما أعزها ... غدا حيث يبقى العز لى ويدوم

والأبيات كما هى الآن مجردة من تعليق الرواة لا توحى بأن وراءها معنى خاصا ، وما هى إلا كغيرها من القصائد الكثيرة التى يمر بها القارئ فى ديوان أبى العتاهية ويأخذها على أنها نوع من الوعظ لم تقصد به شخص بذاته ولا يهدف إلى غرض بعينه حتى أن جامع الديوان قدم لها بقوله (وقال فى تقوى الله وحسن منافعها وحميد عاقبتها) والآن انظر المناسبة التى قيلت فيها حتى تعرف بالتحديد قصد الشاعر بها : وإليك ما يرويه الأغانى فى بيان تلك المناسبة : (حدث حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه قال : كنت فى مجلس خزيمة نجرى حديث مايسفك من الدماء فقال : والله مالنا عند الله عذر ولا حجة إلا رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عز السلطان وكراهة الذلة وأن أصير بعد الرياسة سوقة وتابعا بعد ما كنت متبوعا ما كان فى الأرض أزهد ولا أعبد منى. فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برقعة من أبى العتاهية مكتوب فيها الأبيات السالفة فغضب خزيمة وقال : والله ما المعروف عند هذا المعتوه الملحف من كنوز البر فيرغب فيه حر . فقيل له . وكيف ذاك ؟ فقال : لأنه من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله)

يظهر أن خزيمة كان يجلس إلى نفر من الشيعة أو غيرهم من الطوائف التى كانت تنقم من هارون ميله لسفك الدماء، ويظهر أنهم لاموا خزيمة فى تعاونه مع هارون على ما يرتكبه الأخير من مظالم . والأبيات واضحة فى معناها وفيها يثبط الشاعر خزيمة عن مناصرة الرشيد ويذكره بآخرته ويبين له أن الفخر إنما هو فى التقوى والعز الحقيقى إنما هو عز الآخرة لا الدنيا

وإليك أبيات أخرى من قصيدة قالها الشاعر وهو فى سجن الخليفة وفيها يقول .

أما والله إن الظلم لؤم ... وما زال المسىء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم فى الحساب إذا التقينا ... غـدا عند الإله من الملوم
سينقطع التروح عن أناس ... من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنيـــة يا نؤوم

تموت غداً وأنت قرير عين   من الغفلات فى لجج تعوم

ومع أن القصيدة تسعة عشر بيتاً فنحن نعتقد أن الشاعر إنما أرسل منها إلى الرشيد الأبيات الأخيرة فقط واحتفظ بالباق لنفسه، لا كما يذكر الرواة من أنه أرسل القصيدة بتمامها إلى هارون، ولو أنه فعل لاستوجب سفك دمه . والأبيات الأخيرة التى أرسلها تروى هكذا :

ألا يا أيها الملك المرجى   عليه نواهض الدنيا تحوم

أقلنى زلة لم أجر منها   إلى لوم وما مثلى ملوم

وخلصنى تخلص يوم بعث   إذا للناس برزت الجحيم

وشبيه بذلك تلك الأبيات التى يقول فيها الشاعر :

أراك لست بوقاف ولا حذر   كالحاطب الخابط الأعواد فى الغلس

أنى لك الصحو من سكر وأنت متى   تصح من سكرة يغشاك فى نكس

ما بال دينك ترضى أن تدنسه   الدنيا وثوبك مغسول من الدنس

ويروى أبو الفرج أن أبا العتاهية أنشد الرشيد بعض أبيات هذه القصيدة حين قال له الأخير : عظنى فقال الشاعر . أخافك فقال له أنت آمن فأنشد :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس   إذا تسترت بالأبواب والحرس

واعلم بأن سهام الموت قاصدة   لكل مدرع منها ومترس

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها   إن السفينة لا تجرى على اليبس

ووجه الشبه بين القصيدتين أن كلا منهما تحتوى على أبيات فيها اعتدال، ولذا أمكن إنشادها للرشيد وأخرى لم ينشدها الشاعر لما فيها من مظاهر الحقد والضغينة ولكنها فى الوقت نفسه تبين لنا رأى الشاعر فى الخليفة وعواطفه نحوه، وإننا لنرجح أن الشاعر قد قال فى هارون مقطوعات شعرية غير التى أسلفنا عبر فيها عن بغضه له وحقده عليه، ولكن الرواة لم يهتدوا إلى غرض الشاعر منها حيث أنها لم تقترن بما يميزها من ظروف وملابسات على نحو ما حدث فى الأمثلة السابقة ، فنحن مثلا لا نشك فى أن أبا العتاهية كان يقصد الرشيد حين قال :

حتى متى تصبو ورأسك أشمط   أحسبت أن الموت فى اسمك يغلط

أم لست تحسبه عليك مسلطا   وبلى وربك إنه لمسلط

ولقد رأيت الموت يفرس تارة   جثث الملوك وتارة يتخبط

إلى آخر ما قاله فى تلك المقطوعة ، وإنما ذهبنا هذا المذهب لأن هارون الرشيد كان إذ ذاك الشخص الوحيد الذى له من السلطان والسطوة ما يمكن معه أن يشك فى تسلط الموت عليه إن حق لشخص ما أن يشك فى تلك القضية ، كما أن ذكر الملوك فى البيت الثالث يرجح أنه كان يعنى بما يقول واحداً منهم ، على أن الشاعر يبدى لنا رأيه فى الرشيد بصراحة وذلك فى أبيات يبدؤها بقوله :

إن الملوك بلاء حيثما حلوا   فلا يكن لك فى عيش لهم ظل

ومما يحمل على الاعتقاد بأن أبا العتاهية إنما كان يعنى بما يقول هارون ما أخذه الشاعر على الملوك من الملل حين يتحدث إليهم متحدث ، واتهامهم الناصح بالغش وذلك يمثل حال الشاعر مع الرشيد بالذات ، لأنه الخليفة الوحيد الذى كانت علاقته بالشاعر تسمح بمجالسة أحدهما للآخر ؛ ومن ثم تمطى فرصة لحديث معاد مملول أو نصيحة غير مقبولة

والآن وقد وقف القارئ الكريم على طبيعة ما كان بين أبى العتاهية والرشيد من علاقة يسرنا أن نشركه معنا فى تدبر القصة التالية : يروى أبو الفرج أن رسول ملك الروم قدم إلى الرشيد فسأل عن أبى العتاهية وأنشد شيئاً من شعره وكان يحسن العربية، فمضى إلى ملك الروم وذكره له فكتب ملك الروم إليه ورد رسوله يسأل الرشيد أن يوجه بأبى العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد، وألح فى ذلك، فكلم الرشيد أبا العتاهية فى أمر سفره فأباه ، واتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من شعر أبى العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته وهما :

ما اختلف الليل والنهار ولا   دارت نجوم السماء فى الفلك

إلا لنقل السلطان من ملك   قد انقضى ملكه إلى ملك

ألا توافقنا على أن فى هذه القصة شيئاً من الغرابة ؟ فإذا صح أن سفير الروم كان يعرف العربية وكان لذلك يتذوق شعر

أبى العتاهية فما بال ملك الروم يتطلع إلى سماع شعر أبى العتاهية هو الآخر؟ فهل كان يعرف العربية أيضاً؟

ومهما يكن من شىء فنحن نشك فى أنه كان متحمساً لشعر أبى العتاهية تحمساً يدعوه إلى أن يلح فى طلبه ذلك الإلحاح، وأكبر ظنى أنه كان يريد استغلال الشاعر استغلالاً سياسياً على نحو ما تفعل الدول اليوم من اجتذاب أحد أبناء الشعوب المشتبكة فى حرب معها إليها، وتسخيره للدعاية ضد الحكومة القائمة فى وطنه. فما من شك فى أن جواسيس كثيرة كانت تعمل إذ ذاك لصالح الروم وكانت تتخذ من بغداد مركزاً لنشاطها، وما من شك فى أن الروم كانوا على علم تام بأساليب تلك الدعاية وآثارها، ألا ترى أنهم استغلوا رجلاً آخر قبل أبى العتاهية وهو يونس بن أبى فروة الذى كتب لهم كتاباً فيما أخذه على الإسلام من معايب بزعمه. فما الذى يمنعهم حين علموا ما علموا عن بغض أبى العتاهية للرشيد من استقدامه إليهم وإعطائه فرصة كاملة لتسجيل ما كان يأخذه على الرشيد من ميل إلى اللهو وعكوف على اللذات واستهتار بالدين. وليس هناك أدنى شك فيما كان يمكن أن تحدثه تلك الأشعار من أثر سىء فى روح جيش الرشيد المعنوية، فقد كان كثير من أولئك الجنود يذهبون إلى حرب الروم والحماسة الدينية تملأ صدورهم لما يعتقدونه من عدالة القضية التى يدافعون عنها، ولكن حين يتضح لهم أن خليفة المسلمين وحامى حمى الإسلام وقائد تلك الحملات ما هو إلا رجل خليع مستهتر وليس له من مظاهر الدين إلا احتراف الحروب ضد الروم فستخبو حماستهم وتضعف عزائمهم وتتفرق كلمتهم. ونحن لا نستبعد أن يكون ملك الروم أعجب بالبيتين اللذين ذكرا فيما سبق لما يبشران به من موت الرشيد، ذلك الخصم العنيد الذى فشلت جيوش الروم فى صد غاراته أو وقف حملاته. هذا ويذهب البروفيسور[١] جيوم إلى أن ما أورده الأغانى خاصاً بما كان بين ملك الروم وأبى العتاهية من مكاتبات وما كان من أعجاب الأول بشعر الأخير ليس إلا محض اختلاق أراد به مختلقه أن يبرهن على أنه كان من بين ملوك المسيحيين من هو أشد حرصاً على سماع الموعظة الحسنة من ملوك الإسلام

وإنا إذ نترك الكلمة الأخيرة فى تلك المسألة إلى القارئ الكريم يسرنا أن نعود معه إلى تلك القصائد والمقطوعات التى كان الشاعر يهدف فيها إلى تنفير الرشيد من اللهو والعبث وفاء بما قطعه على نفسه للفضل وزبيدة من عهود. وأول ما يلاحظه الباحث على تلك المقطوعات هو كثرتها وتنوعها، وقد أدى إلى كثرتها وتنوعها على تلك الصورة ما كان من ميل الشاعر الطبيعى إلى ذلك النوع من الشعر الوعظى، فقد كان ذلك اللون من الشعر يستهوى العامة فيجمعهم حول الشاعر ويزيد فى حبهم واحترامهم له، وفى ذلك تعويض لما يحسه من ضعة نتيجة لضعة آبائه وأجداده

وقد كانت طريقة الشاعر فى وعظ الرشيد تختلف من وقت لآخر تبعاً للمناسبات، فهو حيناً ينهاه عن اللهو نهياً مباشراً وحيناً يذكره بما أصابه من شيب وأحياناً يبصره بما لا بد أنه ملاقيه من موت. وهكذا نعتقد أن الشاعر كان يخاطب الرشيد بكثير من المقطوعات التى تنهى عن اللهو واللعب كتلك التى تبدأ:

أنلهو وأيامنا تذهب ... ونلعب والموت لا يلعب

* * *

أسلك بنى مناهج السادات ... وتخلقن بأشرف العادات

على أنه إذا كان هيناً ليناً فى المقطوعتين السابقتين فقد يصل أحياناً إلى حد الإزعاج كما فى قوله:

أيا من بين باطية ودن ... وعود فى يدى غاو مغن

إذا لم تنه نفسك عن هواها ... وتحسن صونها فإليك عنى

فإن اللهو والملهى جنون ... ولست من الجنون وليس منى

وأى قبيح أقبح من لبيب ... يرى متطرباً فى مثل سنى

إذا ما لم يتب كهل لشيب ... فليس بتائب ما عاش ظنى

ولعلنا لا نكون قد ذهبنا بعيداً إذا ادعينا أن بعض تلك

(١) الأستاذ بجامعة لندن وأستاذ كاتب هذا المقال

للمقطوعات كان ينشد بصورة جمية ، ومن بدرى لعل زبيدة كان لديها من الجوارى من يقوم بإنشاد تلك الأشعار فى جانب من جوانب قصر الخلافة لترد بذلك على ما كان ينشد فى الجانب الآخر من أناشيد الحب والغزل ، ألا توحى موسيقى المقطوعتين التاليتين أنهما إنما أنشئتا لذلك الغرض

أنظر لنفسك يا شقى   حتى متى لا تتقى
أو ما ترى الأيام   تختلس النفوس وتنتقى

• • •

خير الرجال رفيقها   ونصيحها وشقيقها
والخير موعده الجنا   ن وظلها ورحيقها
والشر موعده لظى   وزفيرها وشهيقها

وليس ذلك بغريب على زبيدة ، ألا ترى أنها عهدت إلى مائة من جواريها بقراءة القرآن فى قصرها ليلا ونهارا ، وما نظن أن ذلك العمل كان خالصا لوجه الله تعالى وإنما كان للغرض الذى أشرنا إليه فى السطور السابقة

وقد اعتمد الشاعر فى تنفيره من الملاهي والملذات على مخالفتها للدين ومجانبتها للآداب العامة، وكان ينظر إليها فى بعض الأوقات نظرته إلى ضرب من ضروب الجنون الذى لا يليق بالعقلاء من أمثاله ! فكيف بخليفة رسول الله وابن عمه وولى أمر المسلمين من بعده . وأخيرا ينهى عنها لما تعقبه من حسرات أو تصيب به الجسم من فساد وتحطيم

أما شيب الرشيد المبكر فقد أعطى الشاعر فرصة كاملة لوعظه والإلحاح عليه فى ذلك إلحاحا مملا . فاللهو فى رأيه من شأن الشباب ؛ أما الشيوخ فالوقار والتدين أولى بهم ، ألم يجعل القرآن سن الأربعين الحد الفاصل بين حياة اللهو وحياة الجد إذ يقول « حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه » ولم لا والشيب نذير الموت بل هو الموت بعينه :

الشيب إحدى الميتتين تقدمت   إحداها وتأخرت إحداها

وزعم الشاعر أن المرء لا يشعر بالملذات فى شيخوخته كما كان يشعر بها فى شبابه، ففيم إذن يرتكب الآثام وينتهك الآداب:

وإذا كبرت فهل لنفسك لذة   ما للكبير بلذة متمتع

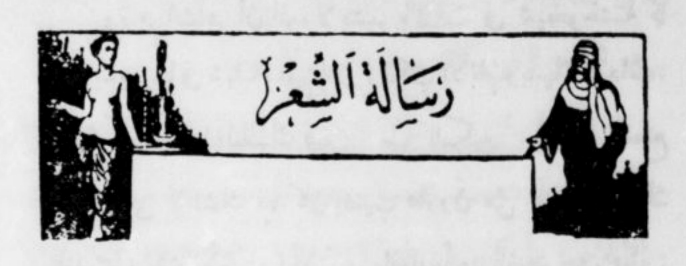
ونحن لا نشك فيما كان يصيب هارون من ضيق وارتباك عند سماع تلك الأشعار ؛ ألا ترى مافعله بأحد المغنين حين غناه :

وأرى الغوانى لا يواصلن امرأ   فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

وقد أمر الخليفة به فسحب على وجهه وأخرج من المجلس وقال له : يا ابن الفاعلة أتعرض بى فى غنائك ؟

وإنا إذ نختتم هذا المقال لنرجو أن نعود إلى استئناف الكتابة فى هذا البحث بعد أسابيع قلائل إن شاء الله تعالى

محمد عبد العزيز الكفراوى



موكب العيد ...

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

يا حبيبي أقبل العيد وضيء القسمات
وتجلى مشرق الطلعة حلو البسمات
كسماء تتلالا بالنجوم النيرات
أو كزهر ماج بالأشذاء فوق الربوات

فاستفق يا ناعس الطرف ويا حلو التثني
ومع الأطيار فوق الدوح هيا لنغني

* * *

يا حبيبي أي عيد طاف بالزوراء ضاح
عاطر الأنفاس كالبهجة منشور الجناح
أهو « الفطر » وذى ضجة أعراس الملاح
أم ترى موكب « آذار » تهادى في البطاح

هاتفاً بالفرحة الكبرى وبا للحن المرن
صادحاً في كل قلب ، هازجاً في كل أذن

* * *

يا « هناني » أنت لي عيد مع العيد سعيد
حبك اللهم لي فجر على شعري جديد
أنت هـذا الوتر الشادي بقلبي والنشيد
أنت هـذا النغم المسحور والنور الوليد

أنت أنغامي وأحـلامي وأقداحي ودني
أنت عطر عبق الشعر به بل كل فن

يا « هناني » سئم الليل اصطباري واشتياق
كم شربت السهد والشوق مميـ ـمر المذاق
ونديمي القمر الولهان ، والسلوان ساق
أعلاك على البعد ، فأهفو للتلاق

وأغني يا منى نفسي ما هـذا التجني ؟!
أو ما يكفيك تسهيدي وتشريدي وسجني

* * *

أو ما تكفيك آمالي على كفيك تطوى ؟
أو ما تشجيك أحلامي على النار تلوى ؟
أو يرضيك وأزهاري على الأشوك تذوى ؟
صرت من حبك مأساة على الأيام تروى

رددت أصداءها الأطيار من غصن لغصن
وإذا بي دمعة مخنوقة في كل جفن

* * *

غني يا « دجلة » أنغام الصبايا الفرحات
وانشري الفتنة في الوادي، وفوق الربوات
شاركي « بغداد » بالأنس ، وهاتي النغمات
نحن في عيد تحلى بالأماني النضرات

وتجلى فوق « بغداد » وضيئاً كالتمني
كيف لا يطرب سمع الكون من سحر التغني

* * *

هو عيد عم دنيا الشرق ، والشرق وضيء
فتجلى فيه نور من هداه قدسي
وهو عيد مثل أنغامي وأوتاري شجي
عيد عز كم غناه إلى الشرق الأبي

وكم اشتاقت إلى ضاحي سناه كل عين
فمتى يغمر وجه الشرق منه ومض حسن

عبد القادر رشيد الناصري



أسس الاصلاح العالمي

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني

للاستاذ منصور جاب الله

منذ أربعين عاماً أو تزيد ، والأستاذ محمد عبد الغني يعمل منافحاً لنشر الدعوة الإسلامية على حقيقتها داعيا إلى الأخذ بتعاليم الإسلام في كل شأن من شؤون الحياة ، مستصرخا الحكام وولاة الأمر أن يهبوا للاصلاح على أسس قويمة من الدين الحنيف والشريعة السمحة

وعلم الله أننا ما بصرنا بالأستاذ محمد عبد الغني متوانيا ولا متخاذلا في نشر رسالته رغم المعوقات والمخذلات التي وضعت في طريقه ، فهو على الدوام يخطب في المساجد والجوامع ، أو يراسل أولي الشأن في المهم من الأمور ، أو يحبر المقالات المطولة وينشرها في الصحف ، أو يؤلف الكتب حسبة لوجه الله لا يبغي كسبا ماديا ولا ربحا ماليا

ولقد قدمت لقراء « الرسالة » بعض مؤلفات الأستاذ محمد عبد الغني قبل سنوات ، وأبرزت النهج الفريد الذي اختطه المؤلف لنفسه ، وألمحت إلى جرأته الشديدة في عرض وجهة نظره غير مبال بما قد يلحقه من أذى الحكام أو أوصاب الحياة

واليوم يقدم لنا الأستاذ المجاهد أحدث مؤلفاته مختاراً له هذا العنوان « أسس الإصلاح العالمي على ضوء الهدى الإسلامي » ومن خلال العنوان يدرك القارئ الغرض السامي الذي يستهدفه مؤلفنا الفاضل ، ولندع المؤلف يتحدث في مقدمته حيث يقول :

« أي إنسان ينظر إلى الإنسانية لا بالمنظار المركزي ولا بالمنظار الجنسي والمذهبي، بل بالمنظار العالمي الإنساني ، يضع أمامه ذلك الاعتبار الذي وضعه الاسلام، اعتبار أن العالم كله على اختلاف ملله وأجناسه وأنواعه، وعلى تنائي دياره وأقطاره، يتصل بتلك الصلة الأولية العظيمة، صلة الأبوة والأمومة الأوليين، والذي يقدر تلك الوشائج الرحمية لا ينظر لأي أمة بالمنظار الأسود ، منظار التحيز الممقوت ، والتعصب الجنسي والوطني والإقليمي المرذول ، بل ينظر إليها كأنها أمة شقيقة لأمته ، وكأن أفرادها إخوة له في الإنسانية وفي الفضائل والكمالات البشرية ، وإذا تسامى عن التحيز والهوى تحاشى أن يندفع لاضرار بفرد مهما تكن تبعيته وملته وجنسيته ووطنيته ، وإنه إن غفل عن تقدير هذا الشعور وتحامل على من يخالفه في الاعتبارات الشخصية والمركزية فقد تجرد عن القيم الروحية ، تجرد عن الروح الإنسانية وانحدر إلى التعصب وإلى حضيض الوحشية »

بهذه الفكرة المتسامية بدأ المؤلف رسالته ، ثم تحدث عن شقوة هذا العالم الذي نعيش فيه وأورد بيانات إحصائية عن القتلى والجرحى والمنكوبين في الحربين العالميتين الماضيتين ، وفي الحروب التي وقعت بينهما والتي تلتهما ، واستطرد من خلال ذلك إلى أن ساسة العالم لو قد فاءوا إلى مثل روحية عليا لجنبوا الإنسانية كل هذه الموبقات

ثم تحدث المؤلف عن حرب الموبقات والشهوات وما ينفقه كل شعب على شهواته المتلفة كالخمر والمخدر وما إلى ذلك، ثم عطف من ذلك الحديث إلى الحديث عن عظمة الإسلام وشهادة العلماء الأعلام من غير المسلمين بروحانية هذا الدين الحنيف ، وكيف أنه الحصن الملاذ الذي يمكن أن يقي الناس جميعا من التردي في مهاوي التهلكة

ثم تدرج من ذلك إلى تبيان أنواع العبادات في الإسلام وبسطها بسطا فلسفيا يدعو إلى الإعجاب ، ووازن بينها وبين العبادات في الأديان الأخرى ، وخلص من ذلك إلى أن الإسلام

جماع الأديان كلها ، انتظم فضائلها وجمع أشتاتها ، فانصبت فيه الخلاصات الروحية بحسبه آخر الرسالات السماوية

وبعدئذ أنشأ المؤلف يسرد الأدواء التي حاقت بالإنسانية ويصف لكل داء ما يكفل شفاءه من آيات كتاب الله ، ولقد أوفى الأستاذ عبد الغني من ذلك على الغاية حتى أنه استعان بكل ما في القرآن الكريم من الآيات البينات ، وبدت تلك الكلمات القدسية كالوشى الصقيل على صفحة الخريدة الحسناء

وأنحى المؤلف إنحاء شديداً على المدنية الغربية التي فرقت الناس شيماً ، ونشرت روح التعصب الديني والطائفي ، ودعت إلى فض الخلافات بالقوة المسلحة ، فأوغرت الصدور ، وأرثت الحزازات ، وإذا العالم يسير في طريق الفناء والدمار

وعرج الكتاب بعد ذلك على مواقف السلف الصالح من أبناء الإسلام في تقويم المعوج ، ونشر الإصلاح والنصح للخلفاء والعمال

وختم المؤلف كتابه بمقترحات توجه بها إلى ولاة الأمور ، وأخص هذه المقترحات المطالبة بالرجوع إلى التشريع الإسلامي « فلو وفقنا للرجوع إلى الإسلام فقد وفقنا لإنقاذ الأمة مما تعانيه من الخطوب والكروب والويلات التي تستهدف معها لسخط الله وانصباب صواعق النقم على رءوسنا » إلى آخر ما قال الكاتب بجرأته التي تسترعي الانتباه

وفي مقدمة المقترحات التي عني بها صاحب « أسس الإصلاح » تأليف وزارة للشؤون الإسلامية تكون لها الولاية على إقامة الشعائر الدينية فتعاقب المسلم الذي يتوانى في أداء الفرائض من صلاة وزكاة وحج إن استطاع إليه سبيلا ، وكذا تتولى القضاء على هذه البوائق التي ارتكس فيها المسلمون مندفعين وراء تيار المدنية الكاذبة ، ويقوم على رأس هذه الوزارة — وزارة الشؤون الإسلامية — وزير يلقب بشيخ الإسلام — وهو غير شيخ الأزهر — « تكون له الهيمنة على شيوخ المعاهد وله السيطرة في الوزارة الإسلامية وعلى سائر الوزارات والهيئات فيما يتصل بالشؤون الدينية وتكون تحت إدارته قوة عسكرية لتنفيذ الأوامر الدينية » وبعد ذلك « يعين مجلس إسلامي أعلى تحت رياسة شيخ الإسلام لإعداد المؤلفات الدينية للرد على الطاعنين في الاسلام وعلى الطوائف الخارجة عنه » ثم اقترح « عقد مؤتمر إسلامي كل عام ينهض بالمسلمين » كما يرى حضرته « توسيع اختصاص المحاكم الشرعية على مثل الحكم الاسلامي في فجر الاسلام »

وبعد ، فإن الأستاذ عبد الغني مستحق ولا شك كل إعجاب لهذا المجهود الذي بذل ، وهذه الشجاعة الأدبية التي لم تتخل عنه في كل أطوار حياته ، جزاه الله عن الاسلام والمسلمين

منصور جاب الله

البريد الأدبي

بين أستاذين

جاءنا من الأستاذ كامل السيد شاهين رد على رد الأستاذ أحمد الشرباصي لا تلائم لهجته طبيعة الصداقة والزمالة بين الأستاذين الفاضلين ، فرأينا أن نطويه معتذرين ، ابقاء على المودة وا كتفاء بما نشر

وعاية الى الأستاذ علي الطنطاوي

... ما يمنعك يا سيدى من أن ترحل على بعير ، أو تقيم في خباء ... ما دمت تود مناجاة الرمال ، ومرافقة الوحشة ثلاثة أشهر تنفقهـا في سخاء بين « دمشق » و « بغداد » فما الذى يقف حجاز بينك وبين ما تريد ؟

لقد طوت المدنية الحديثة الأبعاد الفسيحة ، كما تطوى اليد الكبيرة السفر الصغير ، حتى جمعت العالم حول مائدة ، وإذا كانت الدنيا اليوم بين فكى صداع ، تلوكها أنياب التهديد والوعيد ، فإن البشر امل أمل كبير في انتصار السلام ، مادامت دعوات « العالمية » تلق النصير في « المواطن العالمى » ويذهب المؤمنون بالإنسان من المتفائلين — وهى خصلة نبوية ، إلى أن زمانا ستبزغ شمسه ، فيه تموت لغة الإقليم ، وتحيا لغة « الإنسان » ولكنك - ياسيدى - تبغي رجعة إلى عهد طفل ، تقطع رحلته بين الجن متجاورين في شتاء أوصيف ، وتتكلم فيه القبيلة بلغة ، بينما تتحدث أختها في أرضها ، وتحت شمسها ، وعلى بعد يسير جدا ، بلغة أخرى ، وعندنا مثل شعبي يقول « البعد جفاء »

ولا شك أن زمنا يقاس فيه الوقت بالصوت والنور ؟ خير من زمن يرخص الوقت فيه حتى يقاس بالمبهم كالحين والدهر

إن ما يدعو إلى العجب فيكم يا معشر الواعظين أن يقف الواحد منكم بغمره وهج « الكهرباء » وينشر كله على الناس « الميكرفون » ثم لا يعلو صوته إلا بصب اللعنات فوق رأس الحضارة الناهضة ، كأن الحضارة كثيب من ذر لا يلبث أن يطير من نفخ الهواء ؟ أو كأن حكم العاطفة المرتجلة ، والشعور

المتقلب ، أفضل من سيادة العقل ، وتجربة « المعمل »

بني سويف — بركات

في جوار الله تلميذ مهد تلاميذ الرسالة

نشأ الوجيه على مصطفى الزارع من أرباء طما محبا للعلم والأدب ، جعل من داره ندوة يسعى اليها كل شيخ وقور ، وشاب مثقف ، وطالب يحث في الأدب أو فقه في الدين ، وكان أكثر الساعين إلى ندوته الموظفون الغرباء ، فيجدون في رحابها كرما وجودا ، وفي مكتبتها ثقافة وأدباء وفي جلستها مرحا مهذبا يخفف عنهم لوعة الغربة وجفوة البعد

وكان (للرسالة) الغراء لدى الوجيه الأديب مكانة محفوظة ، وفي مكتبته الضخمة ركن ملحوظ ، ولا أظن أن عددا واحدا من الرسالة ظهر دون أن يشتريه ويستوعبه حرفيا ، ويناقش موضوعاته في ندوته ، كما لا أظن أن كتابا واحـدا ظهر لصاحب الرسالة دون أن يقتنيه مزينا به صدر مكتبتـه زافا بشراه إلى رواد ندوته — كان مشغوفا بالصحف على اختلاف ألوانها ومشاربها ومعنيا بها ، ولـكن شغفه بالرسالة وعنايته بها كانا يحملانه على الخروج من داره في يوم ظهورها ليستقبلها في نهاية الشارع أو في ميدان المحطة وقت مجئ القطار

ومنذ أيام قرأت في الصحف نبأ انتقاله إلى جوار الله فرثيته إلى نفسي ونعيته إلى قلبي ، فقد كان نعم الصديق الذى لا يعرف غير صفاء العشرة ، ونقاء الألفة ، ووفاء الأخوة ، وكرم الصحبة ، ورثيت لحال أسر نكبها الدهر وتنكرت لها الحياة ، كان لها معوانا ولنوائبها ملجأ ، ولآلامها مسكنا ، ولدموعها مجففا

ولم يمض يوم واحـد على نعيه في الصحف حتى تكشفت وفاته عن مأساة ترتجف لها القلم ألمـا ، وينعصر القلب دما ، فقد ظهر أن الوفاة لم تكن طبيعية ، وإنما كانت نتيجة اعتداء وحشى على الأديب الفقيد من أيد أثيمه لوثت بالجبن والنذالة ، انتهزت فرصة عزلته وأنهت حياته متحدية غضب السماء وسطوة القضاء ، غير آبهة بما ستخلفه المأساة من لجيعة في الأسر المنكوبة التى كان يعطف عليها ، وفي الأصدقاء الذين كان يوفى إليهم حقوق الصداقة والأخوة ، لقد تناقلت الصحف أن القتلة هم إخوته

طمعاً في الميراث الزائل لأن الفقيد لم يكتب عليه أن يؤذى إنساناً أو يسيء إلى أحد، كان يحب الخير للجميع، ويبذل الخير ما وسعه البذل للجميع، وكان انساناً بكل ماف هذه اللفظة من معنى، وما أعلم أن قلبا واحدا كان يضمر له ذرة من الكراهية لأن خلقه جمله جديرا بحب القلوب قاطبة، وكان أديبا شهماً وكريما حقا، ولكن هذه الصفات كلها لم ترحمه من عدوان الأيدى الأثيمة النذلة ... !

لقد ذهب صديق الرسالة أو فقيدها إلى جوار ربه وهو أكثر ما يكون رضا عن ربه، وبقيت الأيدى الأثيمة تنتظر في الدنيا سخط الرأى العام ونكال العدالة ... وفي الآخرة لعنة السماء ... !

محمد عبد الله السمان

كن جميلا :

قرأت بإعجاب مقال الأستاذ أحمد مصطفى حافظ بالعدد ٩٧٨ من الرسالة الغراء ولكنى فيما أعتقد لى مندوحة عن التسليم بكل ما عرضه الأستاذ على بساط البحث من آراء ...

فلقد استدل الأستاذ على أصالة الشاعرية وطبيعة الانفعال الفنى بأبيات من الشعر الكئيب الحزين .. وإنى لأفهم من هذا مشاركة الأستاذ — وجدانيا على الأقل — لهذا اللون من الأدب . . ومن رأينا أن رسالة الفن ليست الكآبة واليأس .. وأن جمال الكون وبهاء الوجود ليسا من الهوان على الشاعر الفنان الحق حتى يدعهما إلى الأفكار السوداء المتشائمة ... وأن العقاد الفيلسوف ليقول : (... ما زلت أعتقد وأزداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة، وأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غورا من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى، فالفرح أعمق من الحزن فى رأيى ولا مراء ! وليس الحزن قدرة بل هو انهزام أمام قدرة ... أما الفرح فهو القدرة والانتصار ...) فنحن لا نستحسن — مثلا — قول (الأديب المسترسل) حين يقف بين أحضان الطبيعة البهيجة : (إنى أرى الجبال هموما ثقيلة جاثمة فوق صدر الأرض .. بل نميل عن مثل هذا الأديب لنسمع من الآخر قوله :

الزهر حيانا بثغر باسم والنهر قابلنا بقلب صافى

ثم نسمع من الزهاوى قوله :

الناس تحيا بالمنى فما لها منها غنى
لولا المنى ماعشت أنت سالما ولا أنا
لا تدلهم أنفس لها من المنى سنا
ولا يرى ذو اليأس ما أمامه وإن رنا
اليأس نار تحرق الروح وتفنى البدنا
ويجعل العمر قصيرا ويطيل الشجنا
أمل حياة كلها طيب هناك أو هنا

أسمعت يا أستاذ أحمد :

أمل حياة كلها طيب هناك أو هنا

حاول أن تتدبر جيدا يا أخى مغزى هذا البيت ...

ثم انزل معى قول إيليا أبو ماضى :

أيها الشاكى وما بك داء كن جميلا تر الوجود جميلا

... وبعد فهذا هو الشعر الحى الممتلىء الأعطاف فى الحقيقة، الذى لا يتجاوز حاجة المقام الأسمى ... وقد كان الأخلق بسيادتك أن تستدل به، وبمثله ؛ وأخيرا هذه كلمة لوجه الحقيقة المجردة ... والله !

حسين كامل عزمى

جواز قراءة الأعداد المركبة من الشمال إلى اليمين :

أحال مجلس مجمع فؤاد الأول إلى لجنة الأصول ما طلبه حضرة العضو المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات بك من قراءة الأعداد المركبة مع المائة فصاعدا من الشمال إلى اليمين أسوة بقراءتها من اليمين إلى اليسار، وما أثير حول هذا الموضوع من نقاش فى المجلس

وقد رجعت اللجنة إلى كتب النحو للوقوف على ما كتبه النحاة فى هذا الموضوع، فوجدت فى شرح الكافية لنجم الأئمة محمد بن حسن الرضى المتوفى سنة ٦٨٤ ؟ أو سنة ٦٨٦ النص الآتى :



القاضي السعيد

للفيلسوف الروسي تولستوي

قام المليك ثملا من الرقص الفاتن على أنغام المزامير يرنو إلى جمال الراقصات الباسم ... ويصغي إلى أحاديث الندامى ترن في مسامعه مرجعة انباء الساحر الرهيب، ذي القوة الخارقة والسحر العجيب، وأقاصيص ذلك القاضي السعيد الفياضة بالغرائب، المملوءة بالأعاجيب!

وأيقظه نسيم السحر المرتعش، فنادى غلامه وقال: سمعت في العشية من صحبتك أن في أقصى المملكة قاضياً واسع الحيلة، عظيم الذكاء، يعرف الكاذب إذا رآه من الصادق، وله في ذلك نكات حلوة وطرائف طلية ... ولقد هفت نفسي إلى رؤيته فهيئ لي يا غلام جوادي، وأحضر لي زادي، وائت لي بلباس

« ... وتعطف المائة على ذلك العدد نحو أحد ومائة، واثنان ومائة، وثلاثة ومائة - أو تعطفه على المائة نحو: مائة وأحد. مائتان وأحد، ألف واثنان، في المعلوم معدوده وفي غير المعلوم مائة ورجل، ألف ورجلان، مائة وثلاثة رجال

والأول أي عطف الأكثر على الأقل أكثر استعمالا. ألا ترى أن العشرة المركبة مع النيف معطوفة عليه في التقدير، فثلاثة عشر في تقدير ثلاثة وعشرة وكذا ثلاثة وعشرون أكثر من عشرين وثلاثة الخ ... »

ومن الأمثلة التي ذكرها صاحب التصريح عند كلامه على العدد قوله: « كانوا تسعمائة وتسعين وتسعا فالفتهم. »

وقد انتهت اللجنة إلى جواز الأمرين على السواء. وأقرها مجلس المجمع على ما رأت.

لا يعرفني به أحد من رعيتي، كي أذهب فأرى صدقه من تدجيله

وبعد ساعة .. انطلق الملك يسري.. بين شعف الجبال وأحضانها، وهو يحث السير ويغذه؛ حتى إذا ما وصل إلى بلد القاضي - وقد ارتفعت الشمس وقاظ النهار - لقيه رجل قد قطعت ساقاه وتهشم وجهه وجحظت عيناه، فاقترب منه، وهو يتكئ على عصوين أسندهما إلى إبطيه .. وأخذ يقبل أقدامه ويطلب إحسانه. فتصدق الملك عليه؛ وهمز حصانه وسار على مهل

وفرح البائس إذ ضحكت له المنى ولكنه لحق بالمليك وأمسك بأثوابه لا يدعها، فغضب الملك وثار وقال له:

- ما شأنك أيها الرجل، وماذا تريد؟ طلبت فأعطيناك. وشكوت فرحمناك ..!

قال الرجل بصوت يشيع فيه الحزن واللوعة:

أوصلني يا سيدي إلى ساحة المدينة، فأنا بائس عاجز وأخاف أن تطأني الجمال بأقدامها إذ تمشي مشيها الوئيد .. أوصلني إليها يا سيدي والله يجزيك أحسن الجزاء

ورق قلب الملك له وأشفق عليه. فحمله بين يديه وأردفه. ثم انطلقا حتى أتيا ساحة المدينة الكبرى. قال الملك آنذاك:

- ها هي ذي ساحة المدينة أيها الرجل، فاهبط آمنا!

قال الرجل:

- وي! هذا حصاني فلم تريد اغتصابه مني؟ أهذا جزاء من يعطف عليك ويشفق؟ يالوقاحة! ويل لك من العذاب الذي سيصيبك! هيا. هيا. دع الحصان وامض إلى سبيلك. وإن لم تفعل فخير لك ولي أن نذهب إلى القاضي السعيد فنسأله، وهناك يظهر الحق ويزهق الباطل!

وشده الملك وعجب من هذا المحتال البائس. ثم ثار وغضب، وأرغى وأزبد، والتف حوله أهل المدينة، فساقوهما إلى القاضي ليحكم بينهما

وأتيا القاضي يجران وراءهما الناس، وقد جاءوا ليتسمعوا

إلى حكمه . واستوى القاضي على كرسي مزين بالذهب المتوهج ، وبدأ ينادي المتخاصمين فرداً فرداً

وجيء بسالم أصلع الرأس ، كث اللحية ، حاري الأذنين (١) وإلى جانبه قروي رث الهيئة ، ممزق الأثواب ، على وجهه أمارات الغباوة ، كانا يختصمان على امرأة حسناء على وجهها سحر وطلاوة ... هذا يدعي أنها خليلته ، وذاك يقول إنها حليلته . .

واستغرق القاضي في صمت عميق ... ثم قال :

— دعا حسناءكما عندي وتعاليا إلى غدا

وتقدم جزار إلى جانب بدال . وكان الجزار يرتدي ثوبا مليئا دماً ، وكان البدال يرتدي لباساً زين ببقع الزيت الحيية .

قال الجزار :

— لقد اشتريت من هذا الرجل يامولاي زيتاً ثم عمدت إلى قيصي فأخبأته تحت جيبه (٢) . ولكنه هجم علي ، وانتزعه مني ، فجئنا إليك يامولاي ، أنا أمسك بيدي دراهمي وهو يمسك بتلابيبي لئلا أفر ، ولكن الدراهم لي ، وما هو إلا سارق أثيم !

قال البدال

— كذب ما قاله يا سيدي وبهتان .. لقد جاء إلي ليبتاع من زيتي ، فملأت له وعاءه ، فلما أراد الانصراف طلب مني أن أبدل له قطعة ذهبية بقطع فضية ، فرحت أعطيه الدراهم ... ولكنه فر بها يا مولاي ، فلحقت به .. وأحضرته إليك ..

واستغرق القاضي في صمت عميق . ثم قال :

دعا الدراهم عندي وتعاليا إلى غداً .. !

ونودي الملك والسائل . قال الملك :

— أنا تاجر يا سيدي ، وهذا لقيني وأنا في طرف المدينة فرثيت له وأشفقت عليه ، ثم أعطيته ما يخفف من آله ويزيد في فرحه .. فلما انطلقت إلى ما أنا ماض من أجله ، لحق بي وطلب أن أوصله الساحة الكبرى . فأردفته . فلما كنا في الساحة الكبرى ، طلبت إليه أن يتركني فأبى ، وقال هذا حصاني جئت تنتزعه مني . فالتف حولنا الناس وساقونا إليك . هذه قصتي يا مولاي فاحكم بما تريد ! ...

قال السائل :

— يا للكذب يا مولاي ! إنه كذب وافترى ، فما أنا إلا صادق أمين ... كنت أجتاز المدينة ومعي الحصان فرأيته في بعض الطريق ... فطلب مني أن أوصله الساحة الكبرى فقد أنهكه السير الطويل . فلما أتيت به الساحة قال هذا حصاني ... فاحكم يا مولاي أيدك الله وأطال بقاءك !

وفكر القاضي وقدر ... ثم قال :

— سأعرف الكاذب من الصادق ... دعا الحصان لدي ، وارجعا إلى غداً

وتفرق الناس ، ومضى كل إلى سبيله ، وذهب الملك يفكر في هذا القاضي الذي سماه الناس « بالسعيد »

٭٭٭

أقبل الليل ، فجلس الملك يفكر في أمر ذلك البائس المسكين ويتذكره ، فملأ صوته المضطرب سمعه وفؤاده ، وهو يتساءل عن جزائه وكيف يكون . فلما أضناه التفكير أسلم نفسه للكرى . فنام نوماً عميقا ، رأى فيه من الأطياف مالا يحصر ، ومن الأشباح المرعبة مالا يحد ، وضحك النهار فاستيقظ الملك ... وأخذ يرتدي أثوابه ، ثم مضى إلى المدينة ليطوف في أسواقها فلما أجاز ساحة الحي وجد غريمه يتدحرج نحو دار القاضي

وكان الناس يأتون زرافات زرافات ، فقد أعجبوا بالقاضي ففدت نفوسهم في شوق ملح لكل ما يقول. وجاء المتخاصمون فتقدم العالم والقروي . فنظر القاضي إليهما وقال :

— أيها العالم ! إنها زوجتك فخذها وامض بها إلى دارك ...

---

(١) حاري الأذنين أي أن أذنيه كأذني الحمار . ويقال أيضا فيل الأذنين . ذكر المعري في رسالة غفرانه ص ٤٧ ما يلي : « وكان ببغداد رجل كبير الرأس فيل الأذنين ، اسمه قاذوه ... الخ » وقد قسنا الأولى على الثانية

(٢) جيب القميص طوقه : أي صدره : وهذا المعنى هو خلاف ما هو شائع عن معنى هذه الكلمة

أما أنت أيها القروى ، فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! ...

وانصرف العالم وزوجته، وأخذ القروى ليجلد

وجىء بالجزار وبائع الزيت ، فقال القاضى :

— أيها الجزار ! ها هى ذى دراهمك فخذها . أما أنت ... فجزاؤك خمسون جلدة تنالها فى الساحة الكبرى على ملأ من الناس ! ...

وأخذ الجزار دراهمه . ومضوا بالبدال ليجلدوه

وتقدم الملك والسائل . فقال القاضى للملك المتنكر :

هل تعرف حصانك جيدا ؟

— نعم يا مولاى !

— وأنت أيها السائل ؟

— وأنا أيضا يا سيدى !

— اتبعانى إذن ...

وانطلق القاضى بهما إلى الاصطبل وقد امتلأ بالجياد . فقال للملك : دلنى على حصانك ... فدله الملك ، ثم أخرجه وأدخل السائل ... فدله عليه أيضا ، فلما خرج القاضى قال: خذ حصانك أيها التاجر فهو لك ، أما أنت فستجلد خمسين جلدة فى الساحة الكبرى

وهم القاضى بالانصراف ... فتبعه الملك وقال له:

ـ أريد يا مولاى أن أعلم كيف استطعت أن تعرف أن المرأة كانت للعالم ، وأن الدراهم كانت للجزار ... وأن الحصان كان لى فقد حار عقلى فى فهم ذلك ... !

قال القاضى :

— أما المرأة ، فقد أتيت بها إلى دارى ، وقلت لها ضعى فى هذه المحبرة مداداً . فأخذت الدواة فنظفتها ، ثم ملأتها مداداً . فعلمت أنها تعلم ذلك من قبل ، والدواة لا توجد إلا عند العالم . فحكمت أنها امرأة العالم وليست خليلة القروى . أما الدراهم فقد وضعتها فى إناء ملئ بالماء ، وقلت لنفسى ، إن كانت لبائع الزيت فلا بد أن تطفو على صفحة الماء قطرات من الزيت جاءت إليها من يديه . ولكن الماء بقى صافياً ، فعلمت أن الدراهم ليست لبائع الزيت وإنما هى للجزار

وصمت القاضى قليلا ، فلما طال صمته قال الملك :

— والحصان يا سيدى ؟

قال القاضى :

لقد قلبت الأمر بين يدى فلم أجد حيلة أنفع من أن تدلانى على الحصان ؛ فعرفته أنت كما عرفه السائل ، ولكنى رأيت الحصان أدار وجهه نحوك ، ورفع أذنيه عند ما دنوت منه . فلما جاء السائل أرخى أذنيه ورفع إحدى رجليه يريد رفسه ، فعلمت أن الحصان لك

فابتسم الملك ضاحكا ، ثم تقدم من القاضى فقال له :

أيها القاضى ! نعم العدل بك عيناً ، لست بتاجر ، ولكننى الملك !

ودهش القاضى وارتجف رهبة ثم انحنى وقال :

— عفوا يا مولاى ... أنا عبدك

— قم أيها القاضى وسل ...

— إن ثناءك على لمكافأة لى يا مولاى ،وانحنى ليقبل قدميه

— قم ... قم أيها القاضى السعيد ... فلقد صدقت بك ... وآمنت ... لقد صدقت وآمنت ... ومنذ الغد ستكون لى وزيراً !

صى م

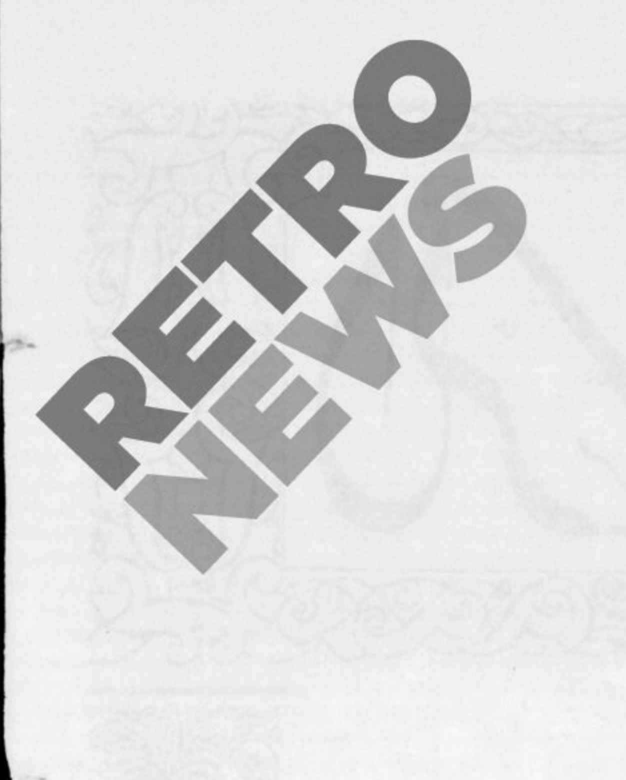
مطبعة الرسالة

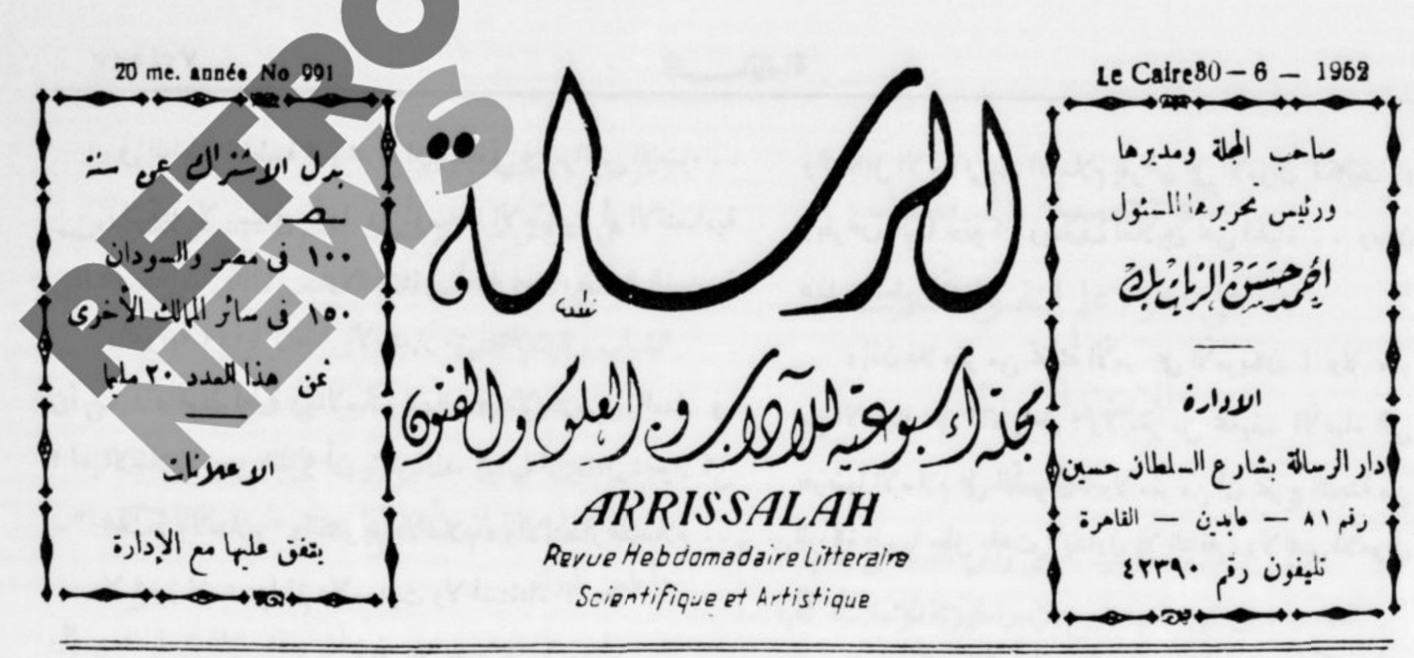




فهرس العدد

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون





20 me. année No 991 — Le Caire 30 - 6 - 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٧١ — ٣٠ يونية سنة ١٩٥٢» — السنة العشرون

إسلام أمريكاني

للأستاذ سيد قطب

الأمريكان وحلفاؤهم مهتمون بالإسلام فى هذه الأيام .

إنهم فى حاجة إليه ليكافح لهم الشيوعية فى الشرق الأوسط ، بعد ما ظلوا هم يكافحونه تسعة قرون أو تزيد ، منذ أيام الحروب الصليبية ! إنهم فى حاجة إليه كحاجتهم إلى الألمان واليابان والطليان الذين حطموهم فى الحرب الماضية ، ثم يحاولون اليوم بكل الوسائل أن يقيموهم على أقدامهم ، كى يقفوا لهم فى وجه الغول الشيوعى . وقد يعودون غدا لتحطيمهم مرة أخرى إذا استطاعوا !

والإسلام الذى يريده الأمريكان وحلفاؤهم فى الشرق الأوسط ، ليس هو الإسلام الذى يقاوم الاستعمار ، وليس هو الإسلام الذى يقاوم الطغيان ، ولكنه فقط الإسلام الذى يقاوم الشيوعية ! إنهم لا يريدون للاسلام أن يحكم ، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم لأن الإسلام حين يحكم سينشىء الشعوب نشأة أخرى ، وسيعلم الشعوب أن إعداد القوة فريضة ، وأن طرد المستعمر فريضة ، وأن الشيوعية كالاستعمار وباء ، فكلاهما عدو وكلاهما اعتداء !

الأمريكان وحلفاؤهم إذن يريدون للشرق الأوسط إسلاما أمريكانيا ، ومن ثم تنطلق موجة إسلام فى كل مكان .. فالكلام عن الإسلام ينطلق فى صحافة مصر هنا وهناك ، والمناقشات الدينية تغرق صفحات بأكملها فى صحف لم يعرف عنها فى يوم ما حب الاسلام ولا معرفة الاسلام . ودور النشر — ومنها ماهو أمريكاني معروف — تكتشف فجأة أن الاسلام يجب أن يكون موضوع كتبها الشهرية . وكتاب معروفون ذوو ماض معروف فى الدعاية للحلفاء ، يعودون إلى الكتابة عن الاسلام ، بعد ما اهتموا بهذا الإسلام فى أيام الحرب الماضية ثم سكتوا عنه بعد انتصار الحلفاء ! والمحترفون من رجال الدين يصبح لهم هيل وهيلمان ، وجاه وسلطان ، والمسابقات عن الاسلام والشيوعية تخصص لها المكافآت الضخام

أما الاسلام الذى يكافح الاستعمار — كما يكافح الشيوعية — فلا نجد أحدا يتحدث عنه من هؤلاء جميعا . وأما الاسلام الذى يحكم الحياة ويصرفها ، فلا يشير إليه أحد من هؤلاء جميعا ..

إن الاسلام يجوز أن يستفتى فى منع الحمل ، ويجوز أن يستفتى فى دخول المرأة البرلمان ، ويجوز أن يستفتى فى أمر الصيام

فى المناطق القطبية ؛ ويجوز أن يستفتى فى نواقض الوضوء . . ولكنه لا يستفتى أبدا فى أوضاعنا الاجتماعية أو الاقتصادية أو نظامنا المالى . ولا يستفتى أبدا فى أوضاعنا السياسية والقومية ، وفيما يربطنا بالاستعمار من صلات

والديمقراطية فى الاسلام ، والبر فى الاسلام ، والعدل فى الاسلام . . من الجائز أن يتناولها كتاب أو مقال . ولكن الحكم بالاسلام ، والتشريع بالاسلام ، والانتصار للاسلام . . لا يجوز أن يمسها قلم ولا حديث ولا استفتاء !

* * *

وبعد فقد حدث أن هذا الاسلام الأمريكانى قد عرف أن فى الاسلام شيئا يقال له « الزكاة » وعرف أن هذه الزكاة قد تقاوم التيار الشيوعى لو أخذ بها فى الشرق من جديد . . ومن هنا اهتمت « حلقة الدراسات الاجتماعية » التى عقدت فى مصر فى العام الماضى بدراسة حكاية « الزكاة » هذه ، أو بدراسة مسألة « التكافل الاجتماعى فى الاسلام »

ولما كانت أمريكا من وراء حلقة الدراسات الاجتماعية ، فإن ذوى الشأن فى مصر لم يروا أن يقفوا فى وجه حكاية الزكاة ؛ كما وقفوا فى وجهها يوم فكر فيها عبد الحميد عبد الحق باشا وهو وزير للشؤون الاجتماعية ! إن ذوى الشأن يستطيعون الوقوف فى وجه الزكاة يوم يكون الآمر بها هو الله . أما يوم أن يكون الآمرون بها هم الأمريكان ، فليس أمامهم إلا الخضوع والإذعان !

وعلى ذلك ألفت فى مصر لجنة من بعض أساتذة الشريعة فى الجامعة ، وبعض رجال الأزهر ، وبعض الباشوات ، لدراسة مسألة «التكافل الاجتماعى فى الاسلام» وبخاصة حكاية الزكاة ، لا لوجه الله ، ولا لحساب الوطن ، ولكن لوجه الأمريكان ، ولحساب حلقة الدراسات الاجتماعية

وهنا بدا وجه الخطر . . إن الأمريكان لو عرفوا حقيقة التكافل الاجتماعى فى الاسلام لفرضوه فرضا على الشرق الأوسط ، لأنهم لن يجدوا سدا أقوى منه فى وجه الشيوعية .

والتكافل الاجتماعى فى الاسلام يفرض على الأموال تكاليف ، ويفرض عليها حقوقا ، ويعترف للملايين بحق الحياة . . ودون هذا وتتقطع الأعناق . .

وإذن فلا مفر من تخبئة الأمر على الأمريكان ! ولا مفر من الاحتيال على النصوص ؛ ولا مفر من تخفيف الأعباء التى يفرضها الاسلام على الأموال ؛ ولا مفر من أن تخرج اللجنة من الزكاة نفسها بظل باهت لايتناول إلا التافه ، ولا يمس الأموال إلا بقفاز من حرير

إنه لو كان الأمر أمر الله والدين لهان ، ولكنه أمر الأمريكان ! إن ما تقرره الشريعة الاسلامية شئ ، وما تقرره حلقة الدراسات الاجتماعية شئ آخر ! إن حلقة الدراسات الاجتماعية لا يجوز أن تعرف سر الاسلام الذى لا نعرفه ، وإلا فرضته على أهل الاسلام !

ولكن بعض أعضاء اللجنة من المعاندين المكابرين الذين لا يعرفون كيف يكتمون النصوص ؛ ولا يعرفون كيف يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ؛ ولا يعرفون كيف يشترون بآيات الله ثمنا قليلا . .

هؤلاء الأعضاء ما يزالون متشبثين بأن يطلعوا الأمريكان على السر الخطير ، ومازال الأعضاء الآخرون يلاوون من تشبثهم عنتا ، ولا يدرى إلا الله كيف تسير الأمور !

* * *

إنها مهزلة . بل إنها لمأساة . . ولكن العزاء عنها أن للاسلام أولياءه . أولياؤه الذين يعملون له وحده ، ويواجهون به الاستعمار والطغيان والشيوعية سواء ، أولياؤه الذين يعرفون أن الاسلام يجب أن يحكم كى يؤتى ثماره كاملة . أولياؤه الذين لا تخدعهم صداقة الصليبيين المدخولة للاسلام ، وقد كانوا حربا عليه تسعمائة عام

إن أولياء الاسلام لا يطلبون باسمه برا وإحسانا ، ولكن يطلبون باسمه عدالة اجتماعية شاملة كاملة ؛ ولا يجعلون منه أداة لخدمة الاستعمار والطغيان ، ولكن يريدون به عدلا وعزة

شخصية الرشيد

على ضوء علم النفس الحديث

للاستاذ أنور الجندى

يقف « هارون الرشيد » على رأس القمة التى بلغتها الدولة العباسية ، بل التى بلغها تاريخ الإمبراطورية الإسلامية كلها .. ، هذا المجد الذى لم يلبث طويلا بعد ذلك ، والذى كان خلال عهد المأمون امتدادا للدفعة القوية التى بلغها الملك فى عهد الرشيد . وحسبك بالخليفة الذى روى عنه أنه قال للسحابة المارة « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك »

اختلف المؤرخون حول الرشيد اختلافا شديدا ، فذهب بعضهم إلى أنه كان يصلى مائة ركعة كل يوم ، وأنه كان يتصدق بمائة ألف درهم ؛ وأنه كان يحج عاما ويغزو عاما .. وذهب البعض الآخر إلى القول بأن قصره كان صورة صحيحة لقصص « ألف ليلة » ، وأنه كان مرحا طروبا يقيم مجالس الغناء والأنس تنتظمها أكواب الراح ، وأنه كان يقضى غالب وقته بين الغناء والموسيق ، والمغنيات والقيان

على أنه ليس من الغريب أن يجمع الرشيد بين الصورتين المتباعدتين اللتين يجمعهما دلاله الشخصى القوى الحيوية، الدافق الشباب ، البالغ الفتوة

وليس على الرشيد من بأس على ضوء طبعه هذا من أن يعيش هاتين الحياتين معا، ويمزجهما على نحو من الاعتدال فهما ؛ قريبان جدا ، يلتقيان دائما ، إذا بعدت عنهما مبالغات القصاص وأحاجى الرواة

وليس على الرشيد من ضير أن يعقد مجالسه فيستمع إلى السمر والغناء والموسيق .. ، ولا يمنعه ذلك من أن يصلى لله مائة ركعة ؛ وأن يمضى إلى الحج عاما والغزو عاما

.. وكل وقائع حياة الرشيد الصحيحة التى بين أيدينا ، تدل على أنه أمضى حياة جادة كل الجد فقد حفلت حياته القصيرة بالغزو والجهاد ، فما كان ينتهى من غزاة حتى يفترع أخرى ، .. كذلك كان منذ شبابه الغض إلى اليوم الأخير من حياته

وأبرز ظاهر حياته أنه رجل حرب وقتال ، أشربت روحه بالجهاد وقيادة الجيوش ونضال العدو ، وكانت أغلب غزواته فى أرض الدولة البيزنطية ، فلما ولى الملك نظم الشواتى والصوائف وحرض على إرسالها ، ثم خرج بنفسه إلى قتال الروم بعد أن نقضوا المعاهدة ، ومنعوا الجزية

وقد كان حفيا بمنازلة الخصوم والأعداء ، لا يهدأ ولا يستريح إلا لنصر يكسبه من وراء نصر ، فلا يلبث أن ينتهى من صراع الأعداء على حدود الدولة البيزنطية حتى يعاود الصراع مع العلويين الذين يظهرون هنا أو هناك محاولين الفتنة أو منازعين على الملك ، ... وهو فى هذا كله صلب العزيمة ، قوى العود ، على غاية من البسالة والحيوية ..، وهى صفات لا تجعل صاحبها بحال فى صف المنقطعين للهو أو العاكفين على الهوى ..

وفى هذا يقول الشاعر :

ومن يطلب لقاءك أو يرده فنى الحرمين أو أقصى الثغور

وكرامة ؛ ولا يتخذون منه ستارا للدعاية ، ولكن يتخذونه درعا للكفاح فى سبيل الحق والاستعلاء

أما دور العلن الذى يعلن بالاسلام فى هذه الأيام ؛ وأما المتجرون بالدين فى ربوع الشرق الأوسط، وأما الذين يسترزقون من اللعب به على طريقة الحواة ، أما هؤلاء جميعا فهم الزبد الذى يذهب جفاء عندما يأخذ الله طريقه، وسيأخذ الله طريقه سريعا ، أسرع مما يظن الكثيرون ، إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا . « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم . وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » . . . صدق الله العظيم

سيد قطب

٣٨٠٥٢

وقد بدت هذه النفسية المصارعة الجارفة .. على أوضح صورها وأقواها حين استبان له غدر البرامكة .. فصرعهم فى ليلة واحدة ، على أسلوب غاية فى الجرأة والحسم والبتر ، ولم يقبل فيهم شفاعة ، حتى شفاعة ظئره التى أرضعته وربته .. وكانت عنده فى مقدمة الشافعين المشفعين

وليس شك أن هذا التصرف الجرئ بالنسبة للبرامكة .. بعد أن أطلق أيديهم فى أمور الملك سبعة عشر عاما ، حتى بلغوا مكانا عاليا ، واستطار اسمهم ، وعلا صيتهم .. وفى الوقت الذى كان يعلم أنهم هم الذين أوصلوه إلى الملك ومكنوا له منه ، لدليل أكيد على قوة نفسية الرشيد ، قوة تزرى بما عرف عن جده المنصور.. وإن ظلت نفس الرشيد تحتفظ بطابعها الخالص من السماحة والرقة واللين والمرح والاشراق

.. وآية ذلك الذى نذهب إليه فى نفسية الرشيد ، أنه فى رحلته الأخيرة إلى خراسان ، حمل إليه أحد الخوارج ، وكان فى أشد حالات المرض ، وفى سكرات الموت ، فأمرهم بقتله أمامه ، وظل يملأ نظره من دمه المهدر ، وهو مسجى على وشك أن يبلغ الأجل من علته ..

وكان الرشيد خلال حياته التى لم تتجاوز الخامسة والأربعين ، حامل لواء الحضارة الاسلامية فى الشرق — بالإضافة إلى منصبه كخليفة للامبراطورية — ، فقد احتضن الثقافة والفن ، وشجع رجال الشعر والموسيقى والغناء .. وأفسح لهم ومكنهم من الابتكار والتجديد والإبداع ، وعنى بالتأليف ، وأعان الفقهاء ، وفتح لهم أبواب البحث والقضاء ، وعقد لهم مجالس البحث والمساجلة والمناقشة فى مختلف المسائل

.. واتصل بعميد الغرب فى عهده ، شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وإيطاليا .. وأرسل إليه وفداً ..، وأهدى إليه مفاتيح بيت المقدس ، علامة على الود بين الغرب والشرق ، وبين الاسلام والمسيحية

٭٭٭

ثلاث نجوم : كانت تدور فى فلك الرشيد ، أمه الخيزران ، وزوجه زبيدة ، ووزيره جعفر

أما الخيزران فقد كرهت الهادى . لأنه كان يصرفها عما تبغى من مظاهر السلطة والنفوذ ، وأما الرشيد فقد أباح لها ما تشاء منه ، وإليها يرجع بعض الفضل فى أن يقفز إلى الخلافة قبل أن يجئ دوره فى ترتيب الوراثة وولاية العهد

وأما زبيدة فزوجه الأولى ، التى كان يؤثرها على كل زوجاته وسراريه وجواريه . وهى أم الأمين ، وكانت ذات رأى وتدبير، فكان الرشيد لايرى بدا من أن يأخذ بمشورتها ، وأن يطلق يدها فى إنشاء القصور وتعمير المساجد وحفر العيون المعروفة باسمها ..

وأما جعفر فكان محببا إلى نفسه غاية الحب ، حتى لقد روى بعض المؤرخين أنهما كانا يدخلان فى ثوب واحد ، وهو إن قيل على أنه ضرب من المجاز ، يصور مدى ما كان بينهما من الحب الصادق والود الأكيد

وروى أن جعفر تصرف باسم الرشيد فى أمور غاية فى الدقة فأقره الرشيد وقبل منه ورضى عنه ، ولم يمنع هذا جعفرا من أن يقع به ما وقع عندما قضى فيه الرشيد بأمره

وتلك شميلة من شمائل الرجل الفذ ، تثبت فى وضوح قوة عارضته ؛ ولو كان كما روى عنه من الاسراف فى الترف لما استطاع أن يحسم أمره بالقوة والبراعة والحكمة فى الوقت المناسب

فإذا أخذ عليه بعد ذلك أمر ، فهو أنه بايع للأمين بولاية العهد والمأمون بخراسان وللقاسم بولاية العهد بعد المأمون .. فى عقد واحد ، وكان هذا الذى فعل الرشيد بعيد الأثر من بعده، وهذا خطأ من أخطاء العاطفة المتحمسة، والعقل الراغب فى حسم الأمور ، الذى يظن أنها تنقاد من بعده وفق سلطانه.. وإرادته

وهو أشبه بما قيل عن رضائه عن صداقة جعفر والعباسة ، وجمعهما فى حضرته وإنفاذ أمره بزواجهما ، دون أن يلتقيا كما يلتقى الأزواج ..

فإذا صح ماذهبنا إليه من أمر الرشيد الذى عاش حياته مقسما بين الحرب والحج ، ومغالبة الأعداء والخصوم من الروم، والعلويين، والبرامكة .. ، فلا يمنع هذا الطبع المشبوب بالحماسة والقوة والحيوية ، من أن يرد موارد المتاع بالسمر ومجالس

السلام العالمي والاسلام

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

الإسلام حرب والمسلمون متعصبون

هذا هو الحبل الذي شنقنا به أنفسنا كثيراً . وشنقنا به المستعمرون كثيراً ؛ ولا زلنا كل يوم نجده قريباً من أعناقنا للساعة التي نريد أن ننتقم من أنفسنا فيها أو ينتقم منا فيها غيرنا

وإذا كان من صالح الدول الغربية الاستعمارية وغيرها ، أن تباعد بيننا وبين ماضينا ومعتقداتنا ، فإنه ليس من صالحنا نحن أن نباعد عنا هذا الماضي وهذه المعتقدات . والأمم الغربية كلها مردت على الإفلات من قبضة الدين حتى ما تستطيع الرجوع إلى حظيرته مرة أخرى ، وهي تريدنا على أن نكون مثلها ، فنخلع عنا هذه الروحانية العالية والتوجيه السامي والإرشاد المنير حتى تجد فينا مرتعاً خصباً ، تحقق فيه آمالها ورغائبها ، لأنها تعلم حق العلم ، أن ديننا — هذا الدين الإسلامي الحنيف — يقف دونها ، ويحول بينها وبين ما تبغي ، ولا يكاد يفسح لها طريق الاستغلال والاحتكار والإذلال والاستعمار

وطالما سعت الأمم الغربية إلى هذه الغاية ، والعصور الماضية لا زالت تتراءى لنا في صفحاتها المليئة بالعظات والأخبار الحروب الصليبية المتكررة ، والهجمات المتتابعة من الغرب على الشرق في محاولات كثيرة لتشويه الدين الإسلامي ، وتسفيه العقلية الإسلامية ، والاستيلاء على بلاد الإسلام

وقد اشتبك الغرب بالشرق — منذ الاسلام — اشتباكات كثيرة ، كتب النصر في بعضها للشرق ، وكتب النصر في بعضها للغرب . على أن نصر الشرق كان مرجعه في كل مرة إلى الاستمساك بعقائده الرفيعة ، ومثله العالية ، ودينه الرباني الحنيف . ويوم انتصر الغرب على الشرق ، كان ذلك بعد أن تخلينا عن ديننا ، وغلبنا على أنفسنا ، وسعينا وراء رغائب الحياة الذليلة ومثلها الهابطة ، نفنى أعمارنا وقوانا ، ونجعل منها سداً منيعاً يحرمنا الاسترواح في ظل رسالتنا ، وطرائقها الحيوية ، وأهدافها

لقد استعمر الغرب بلادنا ، واستولى على مواردنا ، واحتكر مجالات النشاط الاقتصادي ، وساقنا إلى حروب لاشأن لنا بها ! غير أن أعظم ما فعله خطراً ، هو تلك الطائفة « المسلمة ! » التي رباها ونشأها وأعدها لحكم البلاد ، ووقف هو من وراء ستار يملي عليها ويدفعها إلى ما يريد

هذه الطائفة « المسلمة ! » تقتل الاسلام وتقتل المسلمين بأسلوب استعماري غير مباشر ، بعد أن فرغ الاستعمار من كل

الطرب ، فذلك يتمشى مع طابعه ولا يتعارض معه بحال من الأحوال

وقد أداه طبعه السياسي الواضح هذا إلى أن يرسم الخطط للأمور التي يمكن أن تقع بعد عهد طويل .. ولا بأس عليه من أن يخطئ . . خطأ المجتهد ، في أن ينظم المملكة من بعده على صورة متابعة طويلة المدى لأولاده ، أو أن يقتل الخارجي ، وهو على وشك الموت ..

ولا شك أن تصرفه في كسب صداقة شارلمان ، وإهدائه إياه مفاتيح بيت المقدس ، هو من وعى السياسي النابه الذي يريد أن يحول بين عادية الصراع بين الشرق والغرب ، وهو ما امتحنت به المملكة الاسلامية بعد ذلك

وجملة القول في الرشيد أنه كان من أبرع ساسة الشرق ، وخلفاء الاسلام ، وأنه لم يكن بالمترف اللين الناعم كما صوره صاحب الأغاني ، أو كاتب ألف ليلة ، ولكنه كان قاسياً جباراً ، فيه روح المجاهد المحارب ، وعاطفة الشباب الفوار ، الذي لا يحب الهزيمة ، والذي يتعقب خصومه ويفتك بهم ، والذي يحب مجالس العلم ، ومجالس الفن ، ويلقاها مرحاً مبتسماً طلقاً ، وإن طوى النفس على عزيمة ماضية تبرز في قوة حين يتصل الأمر بشخصه أو سلطانه

أنور الجندي

ما يطبق في هذه السبيل بأسلوبه المباشر ، واخترع لنا هؤلاء جميعا فكرتي السلطة الدينية والسلطة الزمنية اللتين اعترف بهما الغرب لتنحسر ظلال الدين عن مرافق الحياة ، وحاولوا أن يوهمونا بأن السياسة شيء والدين شيء آخر . وارتفعت أصواتهم المتخاذلة هنا وهناك لتنتشر في الشعوب المستكينة هذا المبدأ الخبيث

نحن في بلادنا ، وقد انطلقت إلينا الدول الغربية من بلادها ، فزقت العالم الإسلامي مزقا ، وعذبت المسلمين في كل قطر حلت به ، وضربتهم بالذل والفقر والفساد ، وكلما بدت محاولة لارجاعنا إلى مبادئنا الدينية حتى ننهج في الحياة نهجا صحيحا ، أذاع المستعمرون بيننا بلسانهم أو بلسان عملائهم، أن الاسلام حرب وأن المسلمين متعصبون ، وأنه لا دين مع سياسة ، ولا سياسة مع دين

لذلك تجدنا في حاجة إلى تصحيح هذه الأوضاع الخاطئة التي جرت عليها السنون أذيالها ، والتي تبدو الآن لكثير من الناس حقيقة لا مفر منها ، في حاجة إلى فهم ديننا على حقيقته ، والرجوع به إلى مصادره الأولى ، يوم كان سياسة عملية زاكية، تعمر ولا تخرب ، وتهدي ولا تضل ، وتعدل ولا تظلم ، وتحسن ولا تسيء ، في حاجة إلى فهم أن ديننا سياسة، وأن سياستنا دين ، وأن حياتنا في أنفسنا ومع غيرنا لابد أن تقوم على هذا الأساس . في حاجة إلى فهم قيمة عقيدتنا في الحياة ، ومعرفة أسلوبها في فض مشا كل الناس ومشا كل الأمم ، ودراسة أهدافها ، دراسة موضوعية صحيحة . في حاجة لأن نفهم هل الإسلام حقيقة دين حرب ! وهل المسلمون بالتالي متعصبون !

في هذا كله أخرج الأستاذ سيد قطب كتابه الرائع « السلام العالمي والاسلام » وهو من أول سطر فيه يسجل وظيفة العقيدة الدينية « فعمر الانسان محدود ، وأيامه على الأرض محدودة ، وهو ــ بالقياس إلى هذا الكون الهائل الذي يعيش فيه ــ ذرة تائهة لا مستقر لها ولا قيمة ، وعمره بالقياس إلى الزمن الهائل من الأزل إلى الأبد ومضة برق أو غمضة عين ولكن هذا الفرد الفاني . . . عملك في لحظة أن يتصل بقوة الأزل والأبد ، أن يمتد طولا وعرضا في ذلك الكون الهائل ، أن يرتبط به في أعماقه وأمشاجه بوشائج من القربى لاتنفصم ، أن يشعر أنه من تلك القوى الهائلة وإليها ، أنه يملك أن يصنع أشياء كثيرة ، وأن ينشئ أحداثا ضخمة ، وأن يؤثر في كل شيء ويتأثر . . . يملك أن يحس الوجود في الماضي والاستقرار في الحاضر ، والامتداد في الآتي ، يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التي لاتنضب ولاتنحسر ولا تضعف ، وإنه القادر إذن على مواجهة الحياة والأحداث والأشياء بمثل قوتها ، فما هو بالتي الضائع ، ولا بالفرد العاجز ، وهو يستند إلى قوة الأزل والأبد وإلى ما بينه وبينهما من وشائج

تلك وظيفة العقيدة الدينية ، وذلك أثرها في النفس والحياة والعقيدة الاسلامية تنظر إلى الانسان ككل ، دون تفرقة بين سلوكه وأهدافه ونوازعه ودوافعه ، ودون تفرقة بين روحه وعقله وجسده « فهي تشمل كل نشاط الانسان في كل حقول الحياة ، فلا تقصر مهمتها على حقل دون حقل ، ولا على اتجاه دون اتجاه . إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، فما لقيصر ، وقيصر ذاته ، في العقيدة الاسلامية ــ كله لله . وما لقيصر حق ليس للفرد من رعاياه ، وإنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده ، أو تتولى شعائره ، وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره وتهمل سلوكه ، وإنها لا تتولاه فردا وتهمله جماعة ، ولا تتولاه في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته

« والاسلام يعد الحياة وحدة ، وحدة من ناحية الزمن متماسكة الحلقات ، متدرجة الخطوات ، متضامنة الأجيال ، متعاقبة الأطوار . وحدة من ناحية الفطرة ؛ متماسكة النوازع والأشواق ، ممتزجة المادة والروح ، قابلة للارتفاع إذا حسن توجيهها وتزكيتها ، مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها »

وإذا كان الانسان ينظر إليه ككل ، وإذا كانت الحياة ينظر إليها كوحدة ، وإذا كانت الحياة قابلة

للهبوط إذا ساء التوجيه، ومستعدة للارتفاع إذا حسنت التزكية، إذا كان ذلك كذلك فإن الاسلام يرسم طريقة فذة لتربية هذا الشكل الذي هو الانسان، وللارتقاء بهذه الوحدة التي هي الحياة. فسلام الضمير، وسلام البيت، وسلام المجتمع - كل هذه أهداف سمى إليها الاسلام على طريق معبدة وبوسائل عملية مثمرة، حتى يطمئن الفرد فيطمئن البيت، وإذا ما اطمأن البيت أمن المجتمع. وبعد هذا كله تظالل الحياة والأحياء أعلام الأمن والسلام

إن الاسلام يرى أن سلام الأمم والجاعات إنما هو من ذات الفرد الذي يكون الأمم والجاعات، فالفرد هو اللبنة الأولى التي إن صلحت صلح البناء كله، وإن فسدت وكانت واهية ضعيفة انهدم البناء كله من أساسه. الفرد ذو قيمة، لأنه هو الذي يكون الأمم، وهو الذي ينشر المحبة والسلام، وهو الذي يسعى بما شب عليه إلى نظام في الحياة أمثل، ولذلك رعاه الاسلام حق الرعاية، وهداه ووجهه وأرشده، ورسم له الحدود التي يبدأ منها والغايات التي ينتهي إليها. هذا وهو فرد، أما إذا كان في مجتمع صغير — مجتمع الأسرة، فقد وضع له القوانين والنظم، وراعى في ذلك حياة فرد آخر أو أفراد آخرين، ليكونوا أداة عاملة في رقي الحياة. فشرع الرباط المقدس يربط بين الزوجين، وحرم الاختلاط والتبرج؛ وسن الحدود لحماية الأعراض. وأحل الطلاق وهو أبغض حلال إلى الله. وأباح تعدد الزوجات ليمكن مواجهة أحداث الزمن ونوازله. ثم جعل العائلة كلها متكافلة في السراء والضراء؛ في حال القدرة يفيض بعض أفرادها على بعض، وفي حال اليأس يمين القادر المحتاج

وإذا خرج الفرد إلى المجتمع الأكبر لم يتركه الاسلام، بل يسن له من القوانين والمبادئ والنظم ما يكفل لهذا المجتمع حياة صحيحة، وما يدفع به في ثقة وأمن لتحقيق إرادة الله وكلمته، تلك الكلمة التي بها نزلت الشرائع من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فالرسل جميعا في هذه الكلمة سواء: وهم مكلفون دعوة الناس إليها، وهم مكلفون هم ومن معهم الدفاع عنها والتضحية في سبيلها

لم يغفل الإسلام في هذا المجتمع الأكبر الأدب الاجتماعي النفساني. ولم يقصر في بذر بذور الحب والرحمة، وفرصة التعاون والتضامن. وشرع أهدافا عاليا يسمى إليها المجتمع السليم. ونظم الحكم، وضمن العدالة القانونية. وضمن الأمن والسلامة. وضمن الحياة المعيشية. وعادل بين الطوائف والأفراد اجتماعيا. وقرر في المال أصولا قيمة تضمن سلامة المجتمع

الله واحد. صدر منه كون واحد. بكلمة منه واحدة. وهداه بشريعة واحدة. كل هذا ليأمرنا بالوحدة والمحبة والتعاون، وتحقيق كلمة الله التي أرادها على مر الأيام والدهور، من صدق وعطف ورفع ظلم، وإحسان وتعاون وإيثار، ووقوف في وجه الطغيان، ومحاربة الاستغلال الفردي والجماعي، والتزام الجادة، والنأي عن كل ما يحط الإنسان والإنسانية

هذه هي رسالة الله التي جاء بها موسى وعيسى ومحمد. فلسنا نخرج على أمم الغرب ودوله بجديد حين ندعو إلى هذه الأهداف السامية، لأنها من صميم رسالتهم من قبل أن يحرفوا الكلم عن مواضعه، ومن قبل أن يفصلوا الدين عن الدولة. ومع ذلك فهم يرونها شيئا غريبا عنهم، لأنهم مردوا على النفاق والاستغلال والشهوة، ومردوا على مقاطعة رسائل الوحي ومخاصمة الأنبياء، إذ في هذه الرسائل حد من طغيانهم وعبثهم ولهوهم واستغلالهم الأمم والشعوب

الإسلام دين سلام لا دين حرب. وهو يقاوم الحروب في كل مظاهرها إلا فيما يتفق ورسالته العالمية؛ فهو لا يرضى الحرب العنصرية، ولا يرضى الحرب الدينية كما يفهمها الأوربيون، ولا يرضى حرب الاستعمار والاستغلال، ولا يرضى حرب الأمجاد الزائفة للملوك والأبطال، ولا حرب المغانم والأسلاب؛ إنما هي حرب واحدة يرضاها، ليقر السلم والعدل في الأرض، ولينعم الناس بالهدوء والأمن، ولينسموا أنسام الحرية والتقدير. وهي الحرب التي يعلنها على الظلم في جميع صوره وأشكاله، فلا يهادن قوة ظالمة على وجه الأرض، سواء تمثلت هذه القوة في صورة فرد يتجبر على الأفراد والجماعات، أو في صورة طبقة تستذل الطبقات، أو في صورة دولة تستذل الدول والشعوب. إنها كلها صورة واحدة في عرف الإسلام، صورة

منافية لمبادئه الأساسية ، وعليه أن يجاهدها ما استطاع ، وعليه ألا يهادنها إلا ريثما يتجمع لكفاحها ، ولا يعاونها ولا يقف في صفها بحال من الأحوال « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »

هل الدين الذي يسمى إلى هذه الغاية دين حرب ؟ هل الدين الذي لا يفرض نفسه عقيدة على الناس دين قتال ؟ هل الدين الذي يحرم الاكراه في العقيدة دين عسف ؟ وهل المسلمون المتمثلون لهذه الغايات الشريفة متعصبون ؟ نعم متعصبون ! ونعم هو دين حرب ! في رأى هذه الدول الغربية التي رفضت الخضوع لدينها الصحيح ! وفي رأى بعض « المسلمين » المحسوبين على الاسلام ظلما وعدوانا !

هذا الكتاب الجليل الرائع من صفحته الأولى إلى صفحته الأخيرة لتقرير السلم العالمية في رأى الاسلام . هذه السلم التي تتمثل في دفع الظلم وإقرار العدالة الاجتماعية وحسب . هذه السلم التي تبدأ من ضمير الفرد وتنتهي إلى هذا العالم الأوسع . وقد قدمت حقائق هذا الكتاب مؤيدة كلها بالأسانيد القرآنية والنبوية ومأثورات السلف الصالح

وحين كنت أطالع هذا الكتاب ، كان يقوم بنفسي اعتراض أو رأى أو حاجة ، فما هي إلا بضعة سطور أو بضع صفحات حتى أجد ما أحب وأرجو ، كأنما كنت معه على ميعاد غير منظور

وإن السلام الذي ننشده بهذا الكتاب ، وبدعوتنا الربانية المشرقة ، ليحملنا على التدقيق في كل ما نكتب وما نقول . وإنه قد حاك بنفسي شائك من هذه العبارة « ويسكب الاسلام في النفس السكينة والأمن والسلام ، بالركون إلى الله والاطمئنان إلى جواره ، والثقة في رحمته ورعايته وحمايته . وهي خاصية العقيدة الدينية التي يشارك الاسلام فيها سائر العقائد السماوية . وإنما يتميز الاسلام بأن العلاقة فيه مباشرة بين الرب والعبد ، لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس ، ولا تتعلق بإرادة مخلوق في الأرض ولا في السماء »

وأنا أحسب أن العلاقة المباشرة بين الرب والعبد ليست مقصورة على الاسلام ، إنما هي في الديانات السماوية كلها ، من آدم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد بن عبد الله ، ولكن الوغول في هذه العلاقة حدث على أيدى المحترفين بالدين من الكهان والقسس الذين بدلوا في كلم الله ، ولا شك عندي أن الأستاذ المؤلف يقصد بعض الديانات التي زورها أهلها وانحرفوا بها عن سياستها الإلهية المرسومة

ويقول الأستاذ المؤلف « حتى الجريمة لا يجوز إثباتها بتسور البيوت والتجسس على الناس في مأمنهم . وقد حدث أن مر عمر بن الخطاب في إحدى جولاته الليلية ببيت سمع فيه صوت رجل وامرأة لعله رابه ، فتسور الحائط لينظر ، فإذا رجل وامرأة ومعهما زق خمر . فقال عمر . ياعدو الله ! أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصيته ! فقال الرجل : ياأمير المؤمنين : أنا عصيت الله في واحدة وأنت في ثلاث . فالله يقول « ولا تجسسوا » وأنت تجسست علينا . والله يقول « وأتوا البيوت من أبوابها » وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه . والله يقول « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » وأنت لم تفعل

وهكذا لم يجد عمر أنه يملك عقابه ، فاستتابه ! »

وأحسب أن الاسلام يبيح التجسس فيما هو من صالح الرعية والقيام على حياطة القوانين . وعمر رضى الله عنه ما خرج إلا متجسسا مستطلعا . ويبدو لي أن هذه القصة وضعت وحملت على عمر . وإلا فإنها لكبيرة من هذا الفارغ الوقح أن يجابه عمر هذه المجابهة : رجل معه امرأة ، ومعه زق خمر ، وصوت الرجل والمرأة يدعو من يسمعه عرضا إلى الاسترابة به ، فإذا ما استشرف أمير المؤمنين لينظر ما رابه يناظره هذا الفارغ الوقح في أصول الدين ! إن عمر لم يعاقبه لو كانت القصة حقيقية ، لا لأنه تجسس ، ولا لأنه أتى البيت من غير بابه ، ولا لأنه لم يستأنس ولم يسلم ، ولا لأن حجة هذا الفارغ فلجت حجة عمر ، بل لأن شروط العقاب لم تتوفر ، فلم يبق إلا التعزير وهذا ما فعله عمر

إن الكتاب كتاب إسلامي قرآني . وإني أراه يمتاز بمميزات ثلاثة : الأولى وحدة موضوعة . الثانية أنه سد في نفوسنا حاجة ماسة في هذه الفترة من الزمن . الثالثة بيانه المشرق وتعبيره الرائق

محمود عبد العزيز محرم

جـــوته

للأستاذ يوسف عبد المسيح ثروت

تابع

حاجته للغضب والعنف :

طبيعى أن أقوال جوته هذه هى عين التشاؤم ، ولكنه أساساً كان راضياً بالوضع القائم ؛ لأن روح المسالمة كانت بعيدة عنه . وعلى النقيض من ذلك كان يشعر شعوراً جارفاً بالقوة والنضال « كى يتمكن الإنسان أن يتفوق على أخيه » وهذا يذكرنا بقول (فاكنر) : « عند ما تتحرك القوة بدون خوف يعجبنى المجلس الحربى كثيراً » . زد على ذلك أنه كان يعترف بذلك جهاراً وهو القائل « إننى أشعر بالتعاسة عند ما أكون متصالحاً مع الآخرين » وهناك شواهد كثيرة يمكن استنتاجها من قناعته وسروره بالعنف والعقاب واستعداده لاسكات الآخرين بالقوة الناشمة « ونبذ أضراب هؤلاء الناس من المجتمع المتمدن »

إن الشئ التعس حقا والمزعج للوطنيين الذين كانوا يسعون لتثقيف ألمانيا وتحريرها سياسيا أن يكون الشاعر فى طليعة المناهضين لهم والمقاومين لمكرتهم التحررية ، وما أن وافاه الأجل المحتوم حتى شعر الناس براحة بالغة وتنفسوا الصعداء لخلاصهم من هذا الكابوس ، وعلى الرغم من اعتقاده بأن الحرية لا يمكن أن تمنى شيئاً للأرقاء ؛ فإنه سمح لنفسه بالمزيد منها بصورة لا محدودة ولا موصوفة ولا مدركة ، حرية كاملة ، حرية كانت تتشكل بجميع الأشكال وكانت تطالب بالاطلاع على كل شئ وأن تدرك كل شئ ، وعلينا أن نتذكر أنه لم يكن كتابا بل إنسانا مفعما بالتناقضات ، إنسانا عظيما ذا متناقضات هائلة وقد أحب أن يدعو نفسه « مناهضاً للمسيحية بعناد وتصميم » . ولم يترك فرصة لا يظهر فيها وبأسلوب الوثر.. كراهية الوثنية « للصليب » كما فعل نقشه بعاطفيته الشديدة ضد الأخلاق المسيحية ، ولو أن ذلك لا يمنعنا من ملاحظة طبيعته الطيبة ، وكذلك الحال مع فوته الذى ناصر الوثنية ، وهذا الانتصار للوثنية لا يمكن أن يعارض حقيقة وجوده الروحى ، والتى كانت تقر بالثورة الادراكية . ولعل خير دليل على ذلك قوله « إن كل نوع من الألم فيه عنصر إلهى » . وطبيعى أن نقول أن الرجل الذى يتكلم بمثل هذه اللغة لا يمكن إلا أن يكون مسيحيا ، بالرغم من أنه عارض ذلك مئات المرات وقال : « إن الانخذال والتألم ليسا من طبيعته فى شئ » وقد أعلن بلهجة شديدة قاسية ذات يوم « أن الإنسان له حرية فى الحياة بأن يكون إما مطرقة أو سندانا » .. وقوله « يظهر لى أنه من الخير أن يكون الإنسان مطرقة من أن يكون سندانا » وهو أمر مألوف منه ، ولكن الذى يدعو إلى التمعن لرضاه « تحمل الضربات المتوالية الأبدية » .

والآن ننتقل إلى شعاره الجديد والمعروف بـ « النفور » فقد ظل ملازماً لكتاباته كما كانت « الحرية » شعار (شلر) و« الفداء » شعار واكنر ، وكل شئ يدعونا للتردد باعتبار هذا الشعار شعاراً وثنيا على الرغم من إيمانه بالقوة والنضال لأن قوله : « أن الحرب فى الحقيقة مرض عجز عن معالجته نطس الأطباء وهى مخالفة للسنن الطبيعية » رد بليغ على إيمانه بالقوة . أما مسيحيته كعامل ذى أهمية كبرى فى تكوين شخصيته فقد كانت تعود بالدرجة الأولى إلى تربيته البروتستانتية .. وقد استرعى انتباهه بصورة جدية ترجمة لوثر للكتاب المقدس فعلق على ذلك بقوله « إننى أتمكن أن أضيف على ترجمة لوثر ولكن بصورة أحسن » ولكن البروتستانتية لم تثبت أمام حدة نقده بل نراه ينبذ ذلك ويلتجئ مرة إلى مدح القوة البدنية أو يلتجئ إلى الكاثوليكية للوحدة الديمقراطية مرة أخرى فيقول « يجب أن يكون الإنسان كاثوليكيا كى يتمكن أن يشارك العامة فى عيشه وأن يختلط بهم ويتعرف على مشاكلهم وأن يكون واحداً منهم يشاركهم فى السراء والضراء

سريان التناقض فى جميع أعماله ومؤلفاته :

ضمه أينما شئت من طبقات التفكير أو الوجود — استناداً على الشواهد التى لا تقبل الجدل — فستجده حتما فى الطبقة المناهضة المعارضة ، وهذا من مميزاته حتى فى مواقفه الخلقية مثلا ، وموقفه فيما يتعلق بالزمن نفسه لا يختلف عن ذلك فى شئ .

فتراه متباطئاً متكاسلا حيناً وتراه مراعيا جهده الوقت حيناً آخر تحت شعاره المألوف « ما أغنى إرثى وما أروعه . إن الوقت هو ملكى وأرض حصادى » . أما من الناحية الفنية فقد كانت مؤلفاته تناقضاً غريباً بحدذاتهـا ، فبينما نراه يمثل نفسه تمثيلا موضوعيا « أبوليا » فى سخريته ، نجده فى الوقت ذاته غنائيـا واعترافيا ، يرسم بأغانيه صورة نفسه ويعبر عنها أحسن التعبير .

ولعلنـا بوصفنا إياه كمعترف ومكفر عن ذنوبه نصيب كبد الحقيقة من أن نصفه بأية صفة أخرى ، ولنا الآن أن نتصرف على ذلك بصورة إجمالية، كيف كان يشرح حياته ويبين الأهواء التى كانت تتنازعه ؟ يمكننا الإجابة على هذا السؤال باطلاعنا على نقاط الضعف فى حياته وكتبه : — فانتحار (فرتر) وخيانة (كلافيكو) وهسترية (تاسـو) ودعارة (إدوارد) وخبث (فرناندو) فى مؤلفه (استيلا) دلائل ناطقة على سلوكه

إن الإنسان ليعجب عند ما يلاحظ تهوره وسخريته من أدب (المستشفى) ورغبته فى تغيير ذلك بأدب روحي سام عوضاً عنه . ومع ذلك فقد كان له (مستشفاه) الخاص ، وفى (مستشفاه) هذا نجد اعترافه وضعفه الإنسـانى باديين بكل جلاء . حتى أن مؤلفيه (مايستر) و (فاوست) يبدوان وكأن الوهن قـد أصابهما فى جوهريهما وهما لا يعدان شيئاً بالقياس إلى الرجولة المثالية التى امتلكت على الشاعر مشاعره

وعلى الرغم من أن ميزة الرجـولة لا تظهر بوضوح فى كل هذا النتاج المتنوع كما هى الحال مع (شلر) إلا أن النزعة الروحية الإنسانية بادية فى كل ما كتبه بصراحة تدعو إلى الإعجاب وبأمانة تفوق الوصف وبدقة لا متناهية ، وفى كل ما كتبه يظهر طابع سحر شخصيته بصورة بارزة ، بحيث يمكننا أن نقول وبحق أن الابداع الأدبى جميعاً قديمه وحديثه لا يوازيه بقوته وسحره . وكمثال على ذلك أحب أن استعرض تمثيليته (أكونت) .. هذه التمثيلية التى كانت مثاراً للنقد من الناحية الدرامانيكية وحتى الناحية الفنية المحضة . ومع خروج هذه التمثيلية على جميع نظم المسرح إلا أنها تتسم بجمال فتان ، بأخلاق بطلها ، ذلك البطل صاحب النزعة الأرستقراطية والشعبية معاً . وما من شك أن روح اللامبالاة الرقيقة التى تسرى فى مسارب هذه التمثيلية تظهر

غوته على حقيقته بجميع رغائبه وشخصيته ، والتى هى فى نظرى أوج الكمال التى ارتقى إليه سحر غوته — نجد ذلك فى أكثر مؤلفاته كما نجدها فى علاقته اللاعاطفية مع (كلارجن) ؛ تلك الفتاة الصغيرة التى كانت من عامة الشعب وأخت (كرجن) التى عرض لها نفسه بلباسه الملكى الاسبانى وهو يحمل الدالية الذهبية لمجرد غرامه بآهاتها وواهاتها .. وهنا نجد (نرجسيته)[1] التى تتمثل فى حبه للفتيات الساذج اللائى كان يعتقد بأنهن يمثلن عالم الروح والحب ، ولم يربط نفسه بهن إلا برباط الغرام المؤقت ، هذا الرباط الذى لم يكن إلا طارئاً ينثره غبـار الزمن فينحل وكأنه لم يكن. أما فكرة الزواج فكانت هى نفسها فكرة خيالية عابرة كحبه

هباته الغرامية :

كانت حياة غوته فى الحب فصلا غريباً ، والمتتبع للثقـافة العامة مجبر على التصرف بشؤونه الغرامية لكى يكون انطباعه عنها صحيحاً لا تشوبه شائبة ، فألمانيا فى الأيام — التى نحن بصددها — كانت مثاراً لهذه الحوادث ، وليس لدارسى غوته إلا تمداد هذه الحوادث كما كان يفعل (زيوس) . إن هذه الحوادث أضحت الآن تماثيل فى (كاندرائية) الانسانية ، وأما ركوعه وخضوعه أمام (فردريكا) و (مريانه) و (لوته) وتذلله أمام أقدامهن — وهن ما هن عليه من سيطرة ونفوذ — فلم يدم طويلا لأنه رأى فى كل ذلك إهانة لنفسهـا وحطا من قدرها ، فتمرد على هذه العواطف الهوج وخرج مما تورطه به مفعماً شهامة وبأساً ، وربما كان فى هذه الحوادث مايعوض عن تناقضه الذى كان ينتابه وولاؤه الذى كان أبداً ما ئلا إلى الانهيار . لأن حبه — فى الحقيقة — لم يكن إلا ضرورة ووسيلة لغاية ، تلك الغاية التى تتمثل فى عمله الأدبى

كتب مرة إلى (لوته) قائلا « إنك لا تشعرين بفرتر كما يجب وإنما الذى تشعرين به هو أنا ونفسك . وإذا كان فى إمكانك أن تشعرى بواحد من ألف ممـا يعنيه فرتر إلى آلاف القلوب لقدرت المتاعب التى تحملتها فى سبيل التعبير عنه » .

(١) صحبة الفتيات الصغار وهو شذوذ جنسى

وطبيعي ألا تفهمه النساء ولكنهن تحملن عبثه اضطرارا

نظم غوته الشعر منذ البداية على الطريقة الفرنسية والإيقاع اليوناني القديم، وكان شعره موهوبا منسجماً مع روح العصر ، فيه خفة ورقة وعذوبة . وقد أصبح بتطور الزمن شاعراً يشار إليه بالبنان في دسترا سبورغ، بتأثير هردر . وكان لاتصاله بهوميروس واسيان وشكسبير ، وخصوصاً بالأخير الذي كان معجباً به أشد الإعجاب في جميع أدوار حياته ، وولعه بالكتاب المقدس وبالغناء الشعبي أثر هائل في توجيه حياته الأدبية وتنمية روح الطلاقة والانطلاق والصفاء فيه . أصبح هردر بفضل تملله وعمق إدراكه وغريزته النقدية القائد الأدبي للثورة التي طفت على ألمانيا سنة ١٧٧٠ ؛ ولكنه كان يعوزه سر العظمة الملهمة والسحر الأدبي واللطف الإنساني ، التي كان تلميذه غوته يتمتع بها جميعا ، وهذا هو الذي جعل الشاب اليافع يبز أستاذه ويتفوق عليه . وإني أعتقد أن هردر شعر بذلك ولم يتمكن من مغالبته المرارة التي أحدثتها تصاريف الأيام في نفسه . ليس في إمكاننا الآن أن نشعر بمقدار الاستفزاز الذي حدث في ربيع العبقرية ، والعاصفة التي أثارتها قصيدته (مرحباً وإلى اللقاء) وكيف أن سياق القوافي وتيارها الجارف بعثر ما تبقى من رماد زيف الشاعر الواقعي هردر ، كما أن قصته (غوتس فون بيرلنجن) كان لها الوقع نفسه ، تلك القصة التي هزت المسرح بأسلوبها الشكسبيري وبعرضها الألماني القديم ، وقد وصفها فردريك الكبير بقوله « إنها جنون لا شكل له » ونبذها ، ولكنها مع ذلك حازت سمعة هائلة باستفزازها وتحديها لجميع النظم الشعرية وسخريتها بما تواطأ عليه الشعراء ، فوصفها غوته نفسه بأنها أحدثت رضا شعبيا شاملا وذلك في كتابه « الشعر والحقيقة » . ثم نأتي بعد ذلك إلي بعض المشاهد الأولى من (فاوست) فنجد أصدقاءه يصفقون والمداد لم يكد يجف ، ويتحدثون بفرح متزايد « عن الشخص الذي ينمو بصورة منظورة »

أما (آلام فرتر) تلك القصة التي انطبعت بطابع الرسائل فلم تقتصر على أصدقائه والمقربين إليه أو مدرسته الخاصة ولا حتى على بلاده ألمانيا ، بل تعدتها إلى العالم فاحتضنها كما احتضنته هي . ولا ريب أن العاطفية الواهنة الخجلة التي أبدع في جلائها هذا الكتاب الصغير ، هي التي جلبت إلى مؤلفه مقت الأخلاقيين بالرغم من إخلاصها الطبيعي، وأثارت في الوقت نفسه عاصفة من الاستحسان اللامحدود من قبل الشباب . إنها كانت كالشهاب الذي سقط في مستودع مفرقعات فأحدث انفجاراً للقوى الخطرة التي كانت متحفزة للانطلاق . ويبدو أن الرأي العام في جميع الأقطار كان ينتظر — وبصورة سرية — هذا الكتاب من شاب ألماني مغمور في المدينة الإمبراطورية .. ومن الغريب أن نابليون نفسه كان يحتفظ بالترجمة الفرنسية لهذا الكتاب في الحملة المصرية . لم يتمكن غوته أن يجرب نجاحاً عاصفاً كما جربه في هذا الكتاب ، فإنتاجه الذي شغله طوال حياته لم يقابل بمثل الحماسة التي قوبل بها هذا الكتاب

أما كتابه (ولهلم مايستر) فقد لاقى رواجا كبيرا وعد من وجهة النظر الفنية — أي من وجهة النظر الرومانسية — بمصاف الثورة الفرنسية ونظرية (فخته) في العلوم . وعلى أي حال فإن هذا التأثير يمتد إلى (ستر فتر) و (كلر) و (الجبل السحري) ولكنه يعد الثاني بالنسبة إلى (فرتر) في مدى نجاحه ، وهذا ينطبق بالفعل وبصورة أوسع على كتابه (القرابة المنتخبة) وأشخاص روايته هذه يمثلون رموزاً ويبادون في لعبة ثقافية تدعو إلى التفكير العميق ... أما كتابه (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي) والذي احتوى على مالا يثمن من جواهر غوته فقد ظلت طبعته الأولى في المكتبات مكدسة بدون أن تلاقي أي رواج يذكر

أنهى غوته القسم الثاني من فاوست بجهد جهيد وتعب شديد ، لأن قوته البدنية كانت في تدهور مستمر ؛ وقال بخصوص ذلك ما يلي : « إن هذه الأوقات مخيفة جدا لدرجة أنها أقنعتني بأن جميع مجهوداتي المضنية الخلصة سوف لا تجازى ، بل سيرمي بها على ساحل البحر ! وستحطم هناك إلى أن تغطى برمال الشرف » ..

تأثير فاوست العالمي

نشرت بعض القطع من القسم الثاني من فاوست في حياة

فوته وخصوصاً ملحمته (هيلين) التى نشرت فى جميع المجلات الفرنسية والأسوجية والروسية، وقد علق على ذلك غوته بقوله: «إن الأدب الوطنى لم يعد له مكان يذكر فى عصر الأدب العالمى، وإن كل شخص يجب أن يبذل جهده للاسراع بايصال هذا العصر إلى ذروة قوته»

كيف أدمج العالم بذاته؟ وكيف أثر فيه؟ ماذا أعطته كل من إنكلترا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والشرق الأقصى وأمريكا؟ وكيف أثر فى الحياة الثقافية لهذه البلدان جميعا؟ كل ذلك وأكثر من ذلك يشرحه لنا المؤرخ الأدبى (فرتز ستريخ) فى كتابه (غوته والأدب العالمى) «والذى[1] لايزال أكبر مصدر فى دراسة غوته.» وقد قال أمرسون بخصوص فاوست ما يلى: «إن الشئ البارز فى هذا الكتاب هو الذكاء الهائل. إن ذكاء هذا الانسان محلل جبار للعصور القديمة والحاضرة على السواء، بما فيها من الأديان والسياسة وأساليب التفكير؛ محلل لها إلى عناصرها وأفكارها المبسطة». فهذا الذكاء الهائل وهذه الإحاطة الشاملة والتنظيم الدقيق والعقل الممتزج بالشاعرية، كانت تمثل فكره الجبار الذى كان ينبض بمشاعر المستقبل بشجاعة خارقة. ومن الغرابة أن نتصوره وقد تحدى الموت بادرا كه المستقبل وبتوقه له، وهو لا يزال فى دور الصيرورة والتكوين، ليس فى الناحية الاخلاقية والظاهرية وحسب، بل حتى فى الناحية العملية، هذا التوقع الذى كان واجب كل شخص الإسراع باعداده والتهيؤ لاستقباله والعمل على إبرازه إلى حيز الوجود. وفى الحقيقة فإن كتابه (رحلة ولهلم مايستر) الذى وضعه فى أواخر أيامه ـ يتضمن فكرته الأساسية وهى (النفور) . أما مثله الأعلى المتقمص فى فكرة (الشخصية الكونية) فنراها تذبل تدريجاً حتى تسقط نهائيا من مؤلفاته الأخيرة فيحل محلها العصر الإجتماعى، وأما ما نجده فى هذا الكتاب فهو عدم أهلية الفرد للقيام بما يتطلبه المجتمع منه كفرد، ولذا فاجتماع الناس هو الذى يكون مفهوم الانسانية، وعلى ذلك يصبح الانسان بمثابة عمل وأهميته تبرز لكونه يقوم بدور فعال فى سبيل الثقافة الاجتماعية،

وكذلك يظهر مفهوم الجماعة بوضوح وجلاء عن طريق إحلال العلاقة الاجتماعية محل الفردية الضيقة

وليس من شك فى أن عمره الطويل — على وقاره — لم يتطرق إليه الجفاف ولا التصلب، فقد كان مفعما بالحساسية والدهشة والاستمتاع بالحياة ورفع شأن الأفكار العصرية. وقد كان الحديث الدائر على مائدة سيد القرن الثامن عشر لا يتعدى نطاق الأفكار الطوبائية والمشاريع العمرانية، كحفر قنال لايصال المحيط المادى بخليج المكسيك وحفر قناة أخرى لايصال البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر. وقد كان يؤكد دائماً ذلك بقوله: «وإن تحقيق هذه الأشياء يستحق فى العيش خمسين سنة أخرى». أما ثقته بالمستقبل فقد كانت تحتضن العالم كله، وأما حماسته فكانت نتيجة لشعوره بالقيمة العملية للحقائق العلمية وتأثيرها فى نبذ الأفكار الغيبية التى كان العالم متأثراً بها ومريضا بسببها فسعى جهده لتخليصه منها. وقد نظم كل هذه المشاعر ببيته التالى «إى أمريكا! إن حياتك أحسن من حياتنا هنا فى القارة، فأرضك لا تموقها الصخور ولا القباب القديمة الخربة» وجميع هذه القباب هى من آثار (السخافة القديمة[1]) التى يمقتها أشد المقت، وكان يصر على تهديمها كى يحب الانسان الحياة على اعتبار هذه الآثار من الناحية المعنوية — كانت تمثل فى نظره الرجعة العاطفية (السخافة) التى كانت تقف حجر عثرة فى سبيل التقدم البشرى، وقد ناضل شاعرنا منذ فجر حياته لتحطيم أحزاب هذه السخافات لما لها من تأثير فى العقول؛ يبدو ذلك من قوله فى كتابه ولهلم مايستر (إنهم لا يخافون شيئا كخوفهم من الفطرة السليمة، ولكن عليهم أن يخشوا السخافة التى هى الهول بعينه: ولكن الفطرة السليمة تعرقل مساعيهم لتحقيق مآربهم فعلها السلام ولتترك جانبا، ولتقدم السخافة ما يحلو لها وما عليك إلا أن تجلس وتنتظر)

ومع ذلك فجوته لم يجلس ولم ينتظر بل صمد (وقف) بشجاعته وبأسه يجالد ويناضل فى سبيل إبادة هذه السخافة، وفى سبيل تثبيت أركان الفطرة السليمة. أليس اتجاه السخافة هذه

(١) من كلام المترجم

(١) يقصد المؤلف أموراً ما وراء الطبيعة (المترجم)

أقباس من الكتاب

المؤمنون الفائزون

للاستاذ نور الدين الواعظ المحامى

« قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

قرآن كريم

أخى المؤمن :

إن مثل الإيمان فى القلوب ، كمثل النور فى الظلام ، فكما أن النور ينير ديجور الظلام ، ويبدد أشباحه ، ويزيل مخاوفه ، ويبعث الطمأنينة فيه ، ويطرد أوهامه ، فإن الإيمان ينير القلوب ويبعث الحياة فيها ، ويكشف عنها أغطيتها الكثيفة ، ويقذف الانشراح فيها .. فتصبح القلوب المؤمنة « كالربيع » فى جمالها و « كالسماء » فى صفائها ، فتنجلى أسرارها ، وتنكشف خفاياها ، فتبدو لماعة تسر الناظرين ، ملهمة تبهر بصيرة المتدبرين . يفيض منها الطهر ويتدفق منها الصدق والإخلاص . تلك هى القلوب التى نعى ونفقه ، وتدرك وتبصر : وإن مثل المؤمن كمثل المصباح ، فكما أن المصباح يزداد ضياء وشعاعاً بزيادة النور فيه ، فكذلك المؤمن ، يزداد طهراً ، وصدقاً وإخلاصاً ، بزيادة الإيمان فى قلبه ، ويزداد انصياعاً للحق ، وانقياداً للحقيقة ، بقوته فيه ؛ لأن الإيمان إذا استقر فى قلب ، فإنه يغذيه بالمكارم ، ويسقيه بالفضائل ، ويعده بالأعمال الصالحة .. فيكون صاحبه مؤمناً ، كريماً ، فاضلا ، يعمل الصالحات ، ويتواصى بالحق ، ويتواصى بالصبر . ذلك هو الإيمان الحق .. وذلك هو المؤمن الصادق

ولكى تنمو شجرة ذلك « الإيمان » فى قلب امرئ ما .. وتثمر .. لا بد من ارتباط القلب بقوة مبدعة عظيمة . . والانقياد لها فى الحركة والسكون .. والمنشط والمكره ، حتى يكتسب القلب « رهبة المراقبة » من تلك القوة المبدعة ، السرمدية ، الحكيمة الأزلية التى هى علة الوجود وسره الذى لا يدرك كنهه » وخير وسيلة لارتباط القلب بإرادة تلك القوة المبدعة هو « التمثل » بين الواحد الأحد .. الذى لم يلد ولم يولد ، فى الصلاة ، بخشوع صادر من القلب ، منبعث من جوانحه ، لأن الصلاة هى معراج الروح إلى الملأ الأعلى .. بها تغرس بذرة الإيمان فى القلب ، وبالاستمرار فيها تنمو شجرته ، وبالإكثار منها تثمر .. « الذين هم فى صلاتهم خاشعون » كما لا بد من إيتاء الزكاة تزكية للأموال من الدنس . وإيفاء لحقوق السائلين « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » لأن الحق يستلزم ايفاءه ، والممتنع عن إيفائه عاص يجب محاربته وعقابه . إذ لا تهاون فى الحق لسمو منزلته وعلو مكانته ، وخطورته ، لأن فى ضياع الحقوق اختلال توازن العدالة ، وتحكم الظلم فى مصير الناس . ولا بقاء للملك مع الظلم ، لأن العدالة أساس الملك .. ولا عدالة مع إنكار حقوق السائلين والمحرومين . « والذين هم للزكاة فاعلون » .ولكى تستمر شجرة ذلك « الإيمان » فى النمو والحياة . . لابد من ترفع عن كل ماهو باطل وضلال ، وفسق وفجور ، وإعراض عن المعاصى وابتعاد عنها وسمو عن اللغو ، وإغراق فى حب الحكمة ، صيانة للوقت الذى هو كالحياة .. وترفعاً عما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال.

بذاته يهدد الإنسانية اليوم ؟

أجل إن ذلك لم يخف على بصيرة جوته فعرفها وشعر بها وهى تنمو ؛ ولذا وجدناه بطلا مغواراً فى مقارعته لها ، وهذه القوة هى التى جالدها لا الثورة ولا الدستور ولا حرية الصحافة ولا الديمقراطية . ولقد قيل إن آخر كلمة صدرت من فمه قبل أن يغمض عينه الإغماضة الأخيرة (دعوا ضياء أكثر يدخل على) ولكن هذا القول لا يمكن الاعتماد عليه بصورة قطعية ، ولكن الشئ الذى قاله حقيقة فى كلمته الأخيرة ، الكلمة التى ناضل طول حياته فى الدفاع عنها هى (وأخيراً إن الشىء المهم هو التقدم !)

بعقوبة ترجمة — يوسف عبد المسيح ثروت

« والذين هم عن اللغو معرضون » . كما لا بد من اجتناب الفحشاء والمنكر ، صيانة للنسل ، وحفظاً لحدود الرحمن تعظيماً له ، وإكباراً لما أمرنا به من التزام الخلق العظيم ، لأن الإنسان مكرم لسيطرة العقل على شهواته ، واعتداله بين ما تتطلبه الروح والجسم ، لأن انطلاق الشهوات قتل للنفوس ، وهدم لأسس الاجتماع ، ونهبة الأمر إباحية لاتبقى ولا تذر . وفى كبح جماحها تكريم للنفوس وحفظ لها ، وبناء لأسس الاجتماع وتهذيب له .. « والذين هم لفروجهم حافظون » . ولكى تبقى شجرة ذلك الإيمان فى حرز من الجفاف والذبول .. لابد من اتصاف المؤمن بصفة الأمان ، إذا اؤتمن لم يخن بل يؤدى الأمانات إلى أهلها ، وإذا عاهد أو عاقد أوفى بعهده وعقده ولم يخالف . لأن الأمان والعهد والعقد التزامات تترتب فى الذمة يجب إيفاؤها ، من دون إهمال ، لأن فى ذلك زعزعة لمبدإ « الثقة » ونقض لدستور الفطرة السليمة « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » . كما لا بد من صفة المواظبة على الصلاة فى مواقيتها ، لأنه سئل الرسول (ص) يارسول الله ، أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة فى وقتها . ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ؛ لأن المواظبة على الصلاة فى وقتها دليل على تعلق القلب بها ومحبته إياها .. حتى تنقلب إلى قرة العين كما يقول الرسول (ص) .. وفى تعلق القلب بالصلاة ومحبته إياها .. امتزاج لطيف بمشاعر روحية سامية لا يدركها إلا العارفون « والذين هم على صلواتهم يحافظون » .

أيها الأخ الحبيب ..

إن نداء يرن فى أذنى وينبئنى « بأنك مشتاق لتكون من المؤمنين الفائزين فى الدنيا والآخرة » لأن الفوز غذاء الروح وأن الإنسان قد جبل على حب الفوز والفلاح ، ولكنه كثيراً مايجهل سبيل الفوز وطريق الفلاح .. فيصد عن سواء السبيل ، فتعالى معى .. وقلوبنا متعانقة .. وأرواحنا ممتزجة ، نتدبر آيات الذكر الحكيم ونتأمل فيها ، كى ترسم لنا سبيل الفوز ، وترشدنا إلى طريق الفلاح .. إنها تهمس فى آذاننا ، وتقول : يلزمكم كى تكونوا من المؤمنين : —

١ — إيمان طافح مع خشوع قلبى ، فى الصلاة . وحفظ لمواقيتها ومواظبة عليها

٢ — إعراض عن اللغو ، وترفع عنه ، وحب للحق والحكمة

٣ — أداء للزكاة ، إيفاء لحقوق السائلين والمحرومين

٤ — طهر كامل ، واجتناب للفحشاء وصيانة للنسل . وحرص على الشرف

٥ — رعاية للعهد ، والتزام للعقد ، وحفظ للأمانات

هذه هى سبيل الفوز — أيها الأخ المؤمن — فهل أنت مستعد لاتباعها وسلوكها ؟ « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

نور الدين الواعظ المحامى

كركوك — عراق



زعماء التاريخ :

مصطفى كمال أتاتورك

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

« لم يكن مصطفى كمال . رجلا من رجال المصادفة والحظ .. يرفعه الى البطولة خلو الميدان . ويدفعه الى الزعامة غباء الأمة . وإنما كان من الصفوة المختارة الذين يضع الله فيهم الهداية للقطيع الذى يوشك أن يضل . . والحيوية للشعب الذى يأبى أن يموت .. »

« الزيات بك »

— ٥ —

انتقل مصطفى كمال إلى الأناضول ..مبعدا عن القسطنطينية ، وكان عليه أن يعمل على تسريح جيش الأناضول ، وحل جمعية الاتحاد والترقى ، بناء على رغبة السلطان وحيد الدين

وقد اشترط مصطفى كمال قبل انتقاله أن تكون له صفة رسمية ، وأن يكون تحت أمره فيلقان كبيران ، يتبعهما أربع فرق ، كما يكون له الحق فى إصدار الأوامر والتعليمات للقرى المجاورة لمنطقته ، ولو لم تدخل فى دائرة تفتيشه ، وكذلك الاتصال بجميع قوات وولاة الأناضول

ومع أن هذه الشروط أثارت دهشة وزير الحربية ، وجعلته يتردد فى التوقيع ، إلا أن فكرة إبعاد مصطفى كمال عن القسطنطينية ، ونفيه إلى الأناضول كانت قوية ومستحكمة . . ولذلك وافق بعد طول تردد ، ومنحه الامتيازات التى أرادها لنفسه

* * *

وصل مصطفى كمال الأناضول فى اليوم التاسع عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٩ م ، وهو اليوم الذى يعتبره مؤرخو النهضة بداية للحركة الكمالية ، ثم بداية للعهد التركى الحديث

وكان مصطفى كمال قد حزم أمره على البقاء فى الأناضول إلى أن تظفر الأمة باستقلالها ، لذلك بادر بالاتصال بالقواد والولاة اتصالا وثيقا ، وأخذ يبث فى نفوسهم روح الثورة ، وعمل على تأليف مؤتمر وطنى للنظر فى أحوال الأمة التركية ، ولكن السلطان لم يقبل تأليف مثل هذا المؤتمر ، فقابل مصطفى كمال ذلك بالاستقالة من السلك العسكرى ، وحمل لواء الجهاد كزعيم قومى ...

وفى اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ م وقع ميثاقا يقضى بمواصلة الحرب إلى أن تتحرر أرض الوطن من العدو الدخيل ، فانضوى تحت لوائه كل من دبت فى قلوبهم الحياة ، وانبعثت من نفوسهم الحمية والغيرة على الوطن التركى الذليل !

وكانت أهم القرارات التى أصدرها المؤتمر الوطنى . . « أن جميع أجزاء الوطن بحدوده القومية كل لا يتجزأ ، وأن تكافح الأمة ضد أى احتلال أجنبى ، وتستمر فى كفاحها فى حالة انحلال الدولة العثمانية ، وأنه إذا عجزت الحكومة العثمانية عن الدفاع عن استقلال الوطن، فتؤسس حكومة مؤقتة فى الأناضول لهذه الغاية ، وهذه الحكومة تختار من قبل المؤتمر الوطنى . . وإذا لم يكن منعقدا ، فمن قبل هيئته التمثيلية . . »

ولذلك لم تمض فترة طويلة على قرارات المؤتمر ، حتى أقام حكومة جديدة ، واتخذ « أنقرة » عاصمة له ، وأعلن انفصاله عن السلطان

حينئذ أصبح مصطفى كمال — صاحب السلطة المطلقة ، فهو رئيس الحكومة الجديدة ، وقائد جيوش المقاومة ، وعليه يتوقف استقلال البلاد

وفى هذه اللحظات التى كانت البلاد أحوج ما تكون فيها إلى توحيد الجهود ، وجمع الصفوف . . أخذ السلطان يقاوم مصطفى كمال مقاومة فعلية ، فاستصدر فتوى أعلن فيها عصيانه وخيانته للسلطان .. وطبع منها آلاف النسخ ، وألقى بها من الطائرات فى جميع أنحاء الأناضول ، وكان لهذه الفتوى أثران كبيران :

أحدهما من جانب الشعب الذى بدأ يتخلى عنه ، والآخر من جانب اليونانيين الذين أرادوا أن يوسعوا منطقة احتلالهم ، فأخذوا فى التقدم والهجوم شرق ولاية أزمير . .

كان الموقف فى غاية الحرج ، والبلاد تحيط بها الأخطار من كل جانب ، لكن مصطفى كمال أظهر قوة وحزما وثباتا ، واستطاع فى نهاية الأمر أن يوحد قوى الأمة ، ويستعد للنضال من جديد

* * *

تقدم اليونانيون تقدما سريعا فى بلاد الأناضول ، فوقعت فى أيديهم كوتاهية وأفيون قره حصار ، وأخذت جيوشهم تتقدم قاصدة إسكى شهر ، حيث يعسكر الجيش التركى ، وكانت خطتهم تقضى بمحاصرة الجيش ومحاولة إفنائه ، حتى يستطيعوا الوصول إلى قلب الأناضول ، والقضاء على حركة المقاومة فى أنقرة ذاتها . .

وحينما شعر عصمت — قائد الجيش — بالخطر الذى يهدد البلاد ، بادر بالاتصال بمصطفى كمال ، ليتولى بنفسه قيادة الجيوش ومحاربة اليونانيين

فلما وصل مصطفى كمال أخذ يدرس الموقف دراسة تامة ، ثم أصدر أمره فى النهاية بإخلاء إسكى شهر ، والتراجع إلى الوراء ثلاثمئة كيلومترا والوقوف عند نهر سقاريا ، وقد كان لهذه الأوامر صدى كبير فى نفوس أفراد الشعب ، فبدأوا يغادرون أنقرة خوفا من تقدم الجيوش اليونانية ، كما لاقى مصطفى كمال معارضة شديدة من جانب نواب المؤتمر

وبعد فترة قصيرة بدأت المعارك من جديد ، واستمرت أربعة عشر يوما ، أظهر فيها الأتراك قوة وثباتا ، وكان يقال عن مصطفى كمال « إنه كان يعمل وكأنه صيغ من حديد ؛ وكان ينام أقل الوقت . . كما كان يجلس أكثر وقته إلى مصوراته الجغرافية ، وإلى ضباطه يعمل معهم فى جلد لا ينفد »

وقد كان لجهوده الجبارة وخططه البارعة أثر كبير فى ضعف قوى اليونانيين ، وتراجعهم عن المدينة ، مما جعل الناس فى كل مكان يهتفون بحياة الزعيم ، ويطلقون عليه منذ ذلك الحين لقب « الغازى »

ولم يكن هذا النصر ليكفى مصطفى كمال ، لأنه عقد العزم منذ البداية على أن يخلص البلاد نهائيا من اليونانيين ، ويشهد العالم والتاريخ على أن دولة الظلم لا تدوم ، وإن طال الأمد

استمر مصطفى كمال يواصل عمله ونشاطه ، فجند جميع الشبان القادرين على حمل السلاح ، واتفق مع فرنسا وروسيا ، حتى يضمن جانب الدول الكبرى . وفى ذلك الوقت حدثت سلسلة من الكوارث والاضطرابات فى داخل اليونان ، كان لها رد فعل فى الجبهة الآسيوية ، فلم يعودوا قادرين على الوقوف أمام الأتراك

وما كان للجيش اليونانى أن ينتظر عونا من الحلفاء ، بعد أن خرجت الدول الكبرى من الحرب ضعيفة محطمة ، وبعد أن اتفق الفرنسيون مع الأتراك

ولهذا ترك اليونانيون بمفردهم يجابهون العاصفة ، ويواجهون جيش المقاومة . وفى ١٧ أغسطس سنة ١٩٢٢ م ، أقام الزعيم مباراة كبرى لكرة القدم ، اشترك فيها رجال الجيش ، وأعلن أنه ذاهب لحضور المباراة ، وكان فى الواقع ذاهبا لإصدار أوامره لقواده وضباطه .. وعاد إلى أنقرة ، دون أن يثير الشبهات

وفى اليوم الرابع والعشرين من أغسطس .. دعا رجال أنقرة إلى حفلة راقصة .. استمرت طول الليل . . وأخبر ضيوفه أنه منهمك فى عمل هام .. ثم خرج من البيت قاصدا ميدان القتال ! وما هى إلا ساعات حتى اخترق الأتراك خطوط قوات الاحتلال .. وشطروها شطرين .. وكان مصطفى كمال يتنقل من فرقة إلى فرقة مشجعا الجنود وضاربا لهم أروع الأمثلة فى الجهاد غير عابئ بسيل الرصاص ينهال حوله من كل جانب . . وفى النهاية انجلت المعركة وانتهت بهزيمة اليونانيين ، وفرار البقية الباقية منهم إلى أزمير ... وقد أصدر مصطفى كمال أوامره إلى الأتراك قائلا لهم :

« أيها الجنود ... إن هدفكم هو البحر الأبيض ... فإلى الأمام ... »

واستمر يتتبع الجيش الهارب حتى قضى على معظمه .. وقد أنقذت سفن الحلفاء عددا كبيرا من المسيحيين الذين فروا أمام الجيش التركى المنتصر

ومنذ ذلك الوقت لم يبق فى تركيا كلها يونانى واحد ، وأصبح الأتراك وجها لوجه أمام الحلفاء الرابطين فى المضيقين ،

نساء عرفن فى زمن النبى

للأستاذ ناصر سعد

بقية ما نشر فى العدد الماضى

ومن هؤلاء النسوة هذه المرأة الفذة أم عمارة نسيبة بنت كعب العامر قلبها بالإيمان وحب الله ورسوله والدين الحنيف ذهبت هى وابناها عبد الله وحبيب من زيد بن عاصم وزوجها غزية بن عمرو فاشتركوا مع المسلمين فى وقعة أحد وشدت نسيبة ثيابها على وسطها تسقى الجرحى. ولما انهزم المسلمون أتت النبى وصارت بين يديه تدافع هى وذووها عنه بالسيف والقوس ، ولما جاء ابن قمئة المشرك يريد قتل النبى (ص) كانت أم عمارة مع من اعترضوه وردوه فضربها على عاتقها ضربة مبرحة — قيل وقد أصيبت أم عمارة هذه ذلك اليوم باثنى عشر جرحاً من سيف أو رمح أو سهم . ويكفيها فخرا أن الرسول أثنى عليها وقال : — (لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خـير من مقام فلان وفلان ، ما التفت يميناً ولا شمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى) هكذا كانت المرأة المسلمة عامرا قلبها بالإيمان لافرق بينها وبين الرجل إن سلما وإن حربا . وكم فضل النبى من أمثال نسيبة على الرجال عندما كان يتكلم السيف والرمح ! فأين المسلمات اليوم من أخواتهن فى ذلك العصر !

وهذه رفيدة أو — كعيبة — بنت سعد بن سعد الأسلمية التى بنت خيمة فى مسجد النبى فى غزوة الخندق وعرفت الخيمة باسمها، كانت تأتى بالجرحى إلى خيمتها فتعالجهم وتخدمهم وتصلح من شأنهم . كانت كرئيسة ممرضات تدير مستشفاها ذاك .. فما أعظمها من امرأة بارة بأخواتها المسلمين المحاربين ومالرحمها بهم، تسهر وتنصب فى توفير العلاج وتدبير الراحة لهم ! ومثل هذه المرأة يجب أن تكون قدوة المرأة الحديثة التى يجب أن تهزها الغيرة على الوطن والإيمان بحبه فتنخرط فى سلك المتطوعات المرفهات عن الجنود فى سوح الوغى ، والمرأة الغربية وإن كانت قد بزت نساء العصر الحديث فى هذا المضمار فالعربية قد سبقتها بأشواط وأشواط منذ أقدم الأزمان

ومنهن بنانة امرأة الحـكم القرظى كان زوجها اليهودى من ألد أعداء النبى (ص) فهو بعد العهود والمواثيق التى أبرمت بين النبى واليهود فى المدينة حرض امرأته تلك ، إذ أشار عليها بأن تلق رحي من حصن الزبير بن طاطا اليهودى على جماعة من المسلمين كانوا يستظلون بفيئه فشدخ رأس خلاد بن سويد فأمر النبى بقتلها وقتل كل من أنبت من ذكور اليهود ، هذه المرأة كان عملها هـذا من جملة ما أقلق بال النبى وأدى إلى إعلانه الحرب على اليهود الذين نقضوا العهود فاسـتحقوا غضب الله ورسـوله

ومنهن أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أسلمت بمكة وهى شابة لم تتزوج بعد، وكانت تخرج ببادية لها بها أهل ثم تعود لبيت أبيها ، فلما اشتاقت إلى اللحاق بالمهاجرين فى المدينة خرجت على عادتها كأنها تريد أهلها بالبادية فرآت راكبا حكت له أمرها وشوقها إلى معقل المسلمين فأركبها بعيره وسار بها حتى أوصلها المدينة فدخلت على أم سلمة زوج النبى (ص) فأخبرتها بما جرى لها خائفة من أن يردها النبى لقومها حسب شروطه وعهوده مع

وتأهب العالم لرؤية ما سيكون ، ولـكن سادت روح التبصر والحـكمة والاعتدال فى اللحظة الأخيرة ، ووقع الطرفان شروطا للصلح تقوم على أساس استقلال الوطن التركى ، وتخلى الحلفاء عما تمسكوا به من منع الأتراك من استرداد حكمهم فى أوروبا

* * *

وهكذا استطاعت تركيا أن تحصل على اسـتقلالها بفضل جهاد زعيمها العبقرى « مصطفى كمال »

ولم يكتف الزعيم بذلك، بل ألغى السلطنة والخلافة، وأعلن الجمهورية ، وقام بسلسلة من الاصلاحات الجريئة ، التى أعطت لتركيا مظهر الدولة المتمدينة ، والتى جعلت « مصطفى كمال » علما من أعلام الترك ، وزعيما لنهضتها الحديثة

عبد الباسط محمد حسن

دراسة وتحليل

الجواهرى شاعر العراق

للأستاذ محمد رجب البيومى

— ١ —

منذ عام نزل الشاعر العراق الكبير الأستاذ محمد مهدى الجواهرى ضيفا كريما على مصر ، وقدمته الصحف المصرية إلى قرائها تقديمـا ينبئ عن مكانته الأدبية الممتازة فى عالم الشعر ، وكنت أقابل كثيرا من الأدباء والمثقفين فى ربوع وادى النيل ، فأجدهم لا يروون شيئا من قصائد الشاعر العراق، ويتطلعون فى لهفـة وشوق إلى أثر من آثاره فلا يجدون ، إذ أن الصحف المصرية لم تنشر له قبل ذلك ما يصله بالقراء والمتأدبين . وأذكر أنى فتشت فى كثير من مجلاتنا الأدبية فلم أعثر على شئ يذكر ، إذا استثنيت ثلاث قصائد نشرت فى آماد بعيدة متفرقـة بأبولو والرسالة والكاتب المصرى . وزاد الطين بلة أن الكاتب الفاضل الأستاذ عبد الخالق طه قد نشر بمجلة الثقافة الغراء (يونية سنة ١٩٥١) مقالين كبيرين عن الشاعر العراق ، فأعطى القراء عصر عنه فكرة غير تامة ، إذ اعتمد فى بحثه على ديوان الشاعر الصادر فى أوائل سنة ١٩٣٥ مع أن الجواهرى لم يبرز فى مضمار الإبداع إلا بما قاله بعد صدور هذا الديوان من قصائد عامرة ممتازة تحتل مكانهـا اللائق فى الأدب والتاريخ . وكأن الكاتب قد أحس بتقصيره فوعد القراء أن يطالعهم ببحث جديد عن الشاعر فى عهده الأخير ، ومضى أكثر من عام دون أن يفى الأديب بمـا وعد؛ فرأيت لزاما على أن أقدم الشاعر للقراء من جديد

وقد طرق الجواهرى أبواب الشعر فنظم فى الغزل والرثاء والوصف والسياسـة والاجتماع ، غير أنه تبوأ مكانته الأدبية بقصائده السياسية التى عبرت تعبيرا صادقا عن مشاعر العرب فى شتى بقاع العربية . والحق أن الشعر السياسى قد ارتفع على يده إلى قمة عالية أعادت إليه سابق مجده فى مطلع هذا القرن، حين كان حافظ ونسيم والمصرى والكاشف ومحرم وعبد المطلب فى مصر،

أهل مكة قبل الفتح وكانت قريش قد نقضتها مرارا فلما رآها النبى رحب فيها ثم نزل بها من القرآن آية الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) ولما جاءها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة لم يعطها النبى إياها مستندا على نقض قريش العهود فبقيت أم كلثوم فى مكة حتى تزوجها فيما بعد زيد بن حارثة

ومنهن أميمة بنت بشر الأنصارى زوجة حسان بن الدحداح القرشى المشرك المعادى لرسول الله (ص) لما رأت أن عز الاسلام ارتفع وأن أهلها أسلموا بالمدينة وهى فى مكة مع زوجها فرت منه وأتت المدينة مشتاقة إلى الاسلام فلما وصلت هم النبى بأن يردها إلى زوجها لولا نزول آية الممتحنة تلك التى نزلت بحق أم كلثوم بنت عقبة التى مر ذكرها فزوجها الرسول مسهلا ابن حنيف فولدت له عبدالله بن سهل

وهذه زينب ابنة الحارث أخت مرحب الفتاة اليهودية التى حفزها البغض والحقد والطلب بالثأر فعملت شاة وسمتها وأت رحل النبى عندما كان بخيبر فلما جاء النبى رحله قدمت الشاة له وهو لا يعرفها فجلس هو وأصحابه ليأكلوا فمد يده الشريفة إلى ذراع الشاة فأخذ شيئا منه فلما مضغه وابتلعه وعرف ما به أمر من كانوا معه بالكف عن الأكل وقال : — (كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرنى أنها مسمومة) ولما مات بشر بن البراء من السم أمر النبى بإحضار زينب وقال لها :— (سممت الشاة؟ قالت : — (من أخبرك ؟) قال : — (الذراع) قالت : — (نعم) قال : — (فما حملك على ذلك ؟) قالت : — (قتلت أبى وعمى وزوجى ونلت من قومى مانلت فقلت إن كان نبيا فستخبره الشاة وإن كان ملكا استرحنا منه) فقتلها النبى . قيل ولما مرض مرضه الأخير (ص) قال : — (مازالت أكلة خيبر يصيبنى منها عداد حتى كان أوان أن تقطع أبهرى) وقبضه ربه إليه متأثرا من ذلك السم . كتبنا إليك هذا أيتها المرأة المسلمة كى تتخلق بأخلاق الخيرات المسلمات اللواتى كن يغمر الإيمان قلوبهن فضحين لدينهن كل غال ورخيص

العراق — ناصر سعد

والزهاوى والرصافى والكاظمى فى العراق، يهزون الشاعر هزا عنيفا بما يبدعونه فى هذا المضمار، فلم تكن تمر حادثة كبيرة أو صغيرة إلا رأيت لها صدى قويا يبعثه الشعر السياسى فى النفوس، وقد نضطر إلى إيجاد فارق هام بين ما قاله شعراء العراق فى الميدان السياسى وما قاله شعراء مصر، فأولئك كانوا قادة جماهير، وموجهى نفوس، بقصائدهم الحماسية، وهؤلاء كانوا صدى لما يتجاوب فى الميدان السياسى فحسب، فهم ينظرون إلى اتجاه الشعب وميوله ثم يعبرون عن مشاعره، دون أن يسبقوه بإيقاظ وتوجيه، وقد بقى هذا الفارق إلى يومنا هذا، فلديك فرق شاسع بين ما يقوله الجواهرى فى قصائده السياسية، وبين ما نطالعه لشعرائنا المصريين فى الأفق السياسى على قلته وندرته، بل أخشى أن أقول إن الشعر السياسى قد مات موتا على يد هؤلاء الهائمين فى آفاق الخيال، ومتاهات الذهول. ولولا كارثة فلسطين وحوادث القتال الدامية لما سمعت لهم شيئا يذكر على الإطلاق. وسيجد القارئ لشاعر العراق سبقا ظاهرا حين يستعرض خرائده الجياد، ونحن نجمل هنا الحديث عنه فى أغراض محدودة، كيلا تتشعب بنا الدراسة إلى مناحٍ شاسعة لا نستطيع أن نحيط بعوالمها الرحبة الفسيحة، ونبدأ أولا بالحديث عن فلسطين الشهيدة! فمأساتها الفاجعة أحرى بكل تقديم

لا جدال فى أن فلسطين قد هزت عواطف العرب هزا عنيفا، فترقرقت دموعهم حارة ملتهبة، واتقدت جذوات الحزن والحسرة فى جوانحهم المشتعلة، وقام الشعراء فى شتى الحواضر العربية بتخليد المأساة واستنهاض الهمم، وقد طالعت أكثر ما قيل فى هذه الكارثة الدامية، فوجدت ما ينبئ عن صدق الشعور، ولوعة الإحساس، فى طراز باهت لا يخرج عما قيل منذ قرون فى مأساة الأندلس، وكأن الشعر قد رجع بأصحابه إلى الوراء فلم يتقدم خطوة واحدة، عما كان عليه منذ ضياع هذا الفردوس البهيج، فقصارى كل شاعر أن يسترجع ويولول دون أن يشرح البواعث الأصلية للنكبة، ويحلل الكوامن المقنعة من وراء الحجب والأستار، وقد ربأ الجواهرى بأدبه أن يقف عند الصراخ والعويل، فاندفع ينقب عن الضلال الخبيثة التى نهشت هذا العظم الرميم، ونفثت سمها القاتل فى الجسم الهامد فخر صريعا لا حراك به. ورد النكبة إلى ثلاثة عوامل بارزة كانت السبب الحقيقى فى وقوع المأساة، وأقوى هذه العوامل إنجلترا الغادرة! فقد لبست ثياب الدهاء فأظهرت الوقوف على الحياد حاشدة وراءها جيشا عنيفا من الحقد والنفاق والابتسام! مغلفة أسرارها الخبيثة عن الأغرار من القادة والزعماء، وقد وجدت أمامها — لسوء الحظ — فريقا يهيم بحبها فى كل واد، وينزل على إرادتها فى كل مطلب، يهادن إذ تطلب الهدنة، ويحارب حين تدفع به إلى الخراب والوبال، وقد مد له فى الذهب اللامع، فملأ خزائنه، وضاعت فلسطين شهيدة على يده، وهذه حقيقة مرة يفصح عنها الشاعر فى شجاعة ويقظة إذ يصيح

حماة الدار لولا سم غاو ... أساغ شرابه فرط التمادى
ولوغ فى دم الخل المصافى ... فقل ماشئت فى الجنف المصادى
ولباس على ختل وغدر ... ثياب الواقفين على الحياد
وخب لا يريك متى يواتى ... فتأمن شره ومتى يعادى
تطلع إذ تطلع فى رخى ... وتقرع حين تقرع فى جماد
ولولا نازلون على هواه ... سكارى فى المحبة والوداد
نسوا إلا نفوسهمو وهاموا ... غراما حيث هام بكل واد
أجرهمو على ذهب فجروا ... فلسطينا على شوك القتاد
وقادوها له كبش افتداء ... صنيع الهاربين من التفادى
لكنتم طب علتها، وكانت ... بكم تحدى على يد خير حاد

فإذا ترك إنجلترا الداهية وأذنابها الضعفاء، لجأ إلى العامل الثانى، فتساءل عن سر من أسرار النكبة فى رأيه، وجهر بالحقيقة سافرة حين أعلن أن هذه المنكوبة لم تضع بددا بحيلة ساحر، أو غضبة قدر لا مرد له، ولكن لأنها — وأخواتها — مسترقة مستذلة قد خيم فوقها الثالوث الأشأم، فلم يبرحها الجهل والفقر والمرض، لحظة من اللحظات، وقد منيت جميعها بفريق من الطغاة، قضوا على المواهب العالية، وحاصروا العقائد والمبادئ، ووضعوا الأبرياء فى الأصفاد والأغلال، وقام فى كل قطر

شقيق حجاج طاغ بزيف إرادته ، وزياد باطش يعصف بحميته ، بينما علا بديه من الذهب السائل، ويرسل شهواته مطلقة الأعنة ، فلاتنذر من شىء أتت عليه، ويفتح أبواب السجون لشهداء الرأى والوطنية والاستقلال ، حتى خمدت النخوة العربية ، وغرق الشرق العربى فى لجج الاستعباد والهوان ... ذلك ما يفصح عنه إذ يقول :

حماة الدار ما النكسات سر … ولا شىء تلفف فى بجاد
ولا لغز بحار العقل فيه … فيجهل ما ضداس من أحاد
ولكن مثلما وضحت ذكاء … ونور حاضر منها وباد
فما ذهبت فلسطين بسحر … ولا كتب الفناء بلا مداد
وما كانت فلسطين اتبق … وجيرتها يصاح بها بداد
وست جهاتها أخذت بجوع … وجهل واحتقار واضطهاد
شعوب تسترق فما يبقى … على أثر لها ذل الصفاد
تساط بها المواهب والمزايا … وتحتجز العقائد والمبادى
وتطلع بين آونة وأخرى … (بحجاج) بزيف أو (زياد)
فيذوى الخوف منها كل خاف … ويصمى الجور منها كل باد
وتنهب البلاد ، ومن بنيها … يؤوب الناهبون إلى سناد
وتنطلق المطامع كاشرات … تهدد ما تلاق بازدراد
وتنطبق السجون مزمجرات … على شبه وظن واجتهاد

والعامل الثالث فى رأى الشاعر هو ما لدى اليهود من منعة وعتاد ، فقد جذبوا الرأى العالمى والصحافة العربية بما توفر لديهم من حذق وإخلاص ، وقد ربوا تربية صالحة قوية، فحذقوا العلوم والصناعات ، وساهمت المرأة لديهم فى البيت والمصنع والمعبد والقتال ، فليس فيهم من فقير يستجدى الأكف ، ولا ملق بقارعة الطريق تحمله أمه فى الكور بجهد جهيد ، ولا زعيم خائن ينصب المال والجاه على حساب الضحايا والأبرياء ، ولا تماسيح مشوهون قد حطمهم السغب والكلال !! هؤلاء جميعا لا يوجد أحد منهم لدى الأعداء، مع أننا لا نجد غيرهم فى جيوشنا الواهنة المتخاذلة !! فكيف تتعادل الكفتان !؟ وبتحقق الحال ، هذا ما يصرح به الشاعر إذ يقول :

جيل نصرم مذ أبدى نواجذه … وعد لبلفور فى تهديدها قطعا
والساهرون عليه ، كل منتخب … يبنى ويهدم إن أعطى وإن منعا
تهوى العروش على أقدامهم ضرعا … وتحتمى سادة الدنيا بهم تبعا
مررت بالقوم (شذاذا) فما وقعت … عينى على متمن غيره ضرعا
ولا بعاق وأهليه بقارعة … ولا بحاملة فى الكور من رضعا
ولا بجن بجرس الناطور أرجلهم … مهروءة سحبات للكلاب منتزعا
وعند سلطته تصغى البنون لنا … نغل — ونرخصها فى الأزمة - السلما
وجدتها عندهم زهوا منورة … البيت والبحر والأسواق والبيعا
بينا تراقص بالأنغام صاحبها … إذا بها توسع الألغام مزدرعا
ونحن ما نحن إ قطعان بعذابة … تساقطت فى يدى رعيانها قطعا
فى كل يوم زعيم لم نجد خبرا … عنه ولم ندر كيف اختير واخترعا
أعطاهمو ربهم فيما أعد لهم … من الولائم صفوا فوقها التمعا
كأسين ، كأسالهم بالشهد مترعة … وللجماهير كأس سمها نقعا
قتالة ، خوف ألا تستاغ لهم … أوصاهمو أن يسقوهم بها جرعا

وينطلق الشاعر فى الحديث من هؤلاء المتزعمين ! وكيف زودهم الاستعمار بوصاياه الخارقة ، فصبوا على الشعوب كؤوس الصاب مترعة بالسم الناقع ، وقد أدركوا بعض الحذق ، فلم يصبوا الكأس مرة واحدة، فتقضى على الشعوب القضاء السريع،

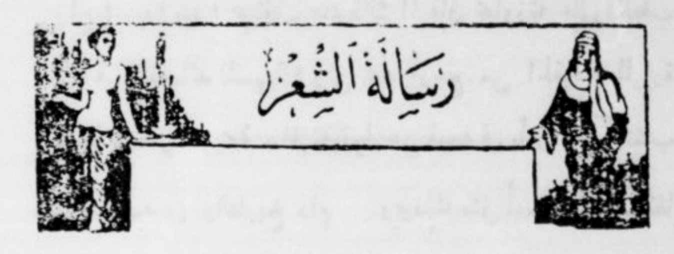
بل ساقطوا الجرع السامة نقطة نقطة ، ليأخذ وقتا طويلا فى التنويم والتخدير ، بينما أعدت لهم كأس مترعة بالرحيق السلسال فنهلوا منها وعلوا كما يشاءون، ولبس الزعماء جميعا طرازا واحدا، ففيهم من خلعت نبته وكان قصاراه أن تدمع عينه ثم يمسح دموعها بمنديله الرقيق !! وهو على إخلاصه لا يرضى الشاعر ! إذ يريد المتحفز الوثوب الكاشر للصائل ، وأنت تعجب له حين يدعو فى مطلع قصيدته إلى اليأس ، فيخلق له الحسنات المتتابعة ، فهو ذو حد يقف لديه الأمل الحالم ، وهو مصحر الأرجاء لا يعد الظل على اللصوص والأوشاب !! ولكن أى يأس ذاك ؟ ! إنه اليأس من الوعود الكاذبة ، والآمال المزعومة ، إنه اليأس الذى طوح بالباستيل فاقتلعه من أغواره ، وقذف بطارق إلى النصر بعد أن حطم سفينه ، ووقف من وراء البحر ، وأمام العدو ، فكان لا بد من النصر فى تلك الحنادس الحالكات

وإن من حسنات اليأس أن له   حدا إذا كل حد غيره قطعا
وأنه مصحر الأرجاء ، لا كنفا   لن يلص ولا ظلا لمن رتعا
اليأس أطعم بالأشلاء مفصلة   عدلا وطوح بالباستيل فاقتلعا
وطارق منه أعطى النصر كوكبه   زرا وعدى إلى الإسبان فاندفعا

ورغم الظلمة الداجية التى تكتنف الشاعر فى حديثه عن المأساة ، ورغم شعوره بالعلل الأصيلة للنكبة ، وإلمامه بالأوضاع الشائنة التى جلبت هذه الكارثة المروعة ، رغم ذلك كله يتملل بالنصر القريب — بعد أن يئس من الوعود البارقة — ويمد خيوط الأمل للشباب المتوثب ، ويدعو إلى الممات فى سبيل الحياة المرتقبة ؛ ويفسح الصدور للرصاص ، ويحذر من الخوف والخور والقنوط ، كما ينتقل بريشته الملهمة إلى طبيعة فلسطين ، فيصور الفجر المترقرق فوق الروابى الخضر كوشاح فضى لامع ، ويحمل إلى القارىء أنفاس المروج العاطرة ، ويسمعه ألحان الوحى فى مرابعه المقدسة ؛ وغناء داود مع الطيور فى أورشليم الحالمة ؛ ثم يدعو الشباب الفلسطينى المكافح إلى الاعتماد على نفسه ؛ فالشعوب العربية لا تجيد غير العويل والبكاء ؛ فهى تدق من الأسى راحا براح ! ويدا بيد ! ثم تقف عند ذلك !! فإن تجاوزته فإلى الخطب الرنانة والقصائد المسهبة ؛ ولن تجد أوجع من الحقيقة المريرة يعلنها الشاعر صريحة سافرة فيقول عن قومه فى يأس واكتئاب

أأم القدس والتاريخ دام   ويومك مثل أمسك فى الكفاح
فلا تتخبطى ، فالليل داج   وإن لم يبق بد من صباح
ولا تمنى يدا إنا بكاة   نمدك بالعويل وبالصياح
ولا تمنى يدا ، فالفعل جو   مغيم عندنا والقول صاح
وإن تجدى كأبانا نصيرا   يدق من الأسى راحا براح
ولا قوما يردون الدواهى   وقد خرست بألسنة فصاح

(يتبع)   محمد رجب البيومى



موشح

اللؤلؤ المنحدر

للأستاذ محمد زكي الدباغ

زارني والليل في طرته
ومحيا البدر من غرته
يتجلى الحب في نظرته
قلت أستقبل عندي قمرا   يزدري في برده بالقمر

***

خائفا لاذ بصدري ورنا
خلفه — من خشية الواشي بنا
خافق القلب اضطرابا وأنا
خافق القلب عليه حذرا   وسرورا باللقا والظفر

***

كلما البدر علينا طلعا
خبأ الوجه بصدري جزعا
وإذا تغريد طير سمعا
أتلع الجيد ومد البصرا   متبعا أوهامه بالنظر

***

يحسب النجم عيونا تنظر
ونسيم الروض عينا يخطر
وإذا صبرته — لا يصبر
وهو إن يأنس قليلا نفرا   وبكى باللؤلؤ المنحدر

خده المشرق حسنا وجمالا
شب جمر الوجد فيه فتلالا
كلما قبلته زاد اشتعالا
أتراه في فؤادي استعرا   أم فؤادي منه في مستعر

***

يا حبيبي ما الذي قد أفزعك
أنت في ثوب الحيا ما أبدعك
عادت الأفراح للروح معك
فابتسم لي فالهناء استترا   في ثنايا الكوثري العطر

***

مل على صدري فالغصن يميل
ألصق الخد بخدي يا جميل
واسقني من مرشف كالسلسبيل
ذوب شهد فوق قلبي قطرا   كالندى يقطر فوق الزهر

***

وإذا ما الثغر بالثغر اتصل
هز أوتار فؤادي بالقبل
واستمع منه أغاريد الأمل
فهو قيثار غرام طهرا   مطرب اللحن شجي الوتر

***

زال عنه خوفه فابتسما
وبدا في وجده ما كتما
فاغتنمناها وكانت نعما
قد حلت وردا وطابت صدرا   لم يشبها غير بعض الحذر

محمد زكي الدباغ



السقامات ..

قصة طويلة ليوسف السباعى

للأستاذ كارنيك جورج ميناسيان

لعل الأستاذ السباعى من أكثر الأدباء المصريين إنتاجاً ، فهو ينتج بمعدل أربعة كتب فى العام الواحد عدا القصص القصيرة الأخرى التى يكتبها للصحف . ونحن لا نحاسب الكاتب على كثرة نتاجه أو قلته ، وإنما نحاسبه عن النتاج نفسه ، وعن قيمته الفنية والأدبية والاجتماعية

لو تأملنا كتابات السباعى السابقة ثم تأملنا كتابه الأخير لوضعنا الكتب السابقة كلها فى كفة ، وكتاب السقامات فى كفة أخرى . ! فالكاتب فى كتبه السابقة كان يتأرجح بين أساليب شتى . لا تربطه صفة واحدة ، ولا يميز مؤلفاته أسلوب خاص ! كان يكتب لمجرد الكتابة . كان يكتب كى يمد (مسامرات الجيب) بقصة كل أسبوع ، ولا شك أن هذا (الروتين) فى الإنتاج الأدبى قد يجعل الكاتب يغض النظر عن القيم الفنية بعض الشئ ، فيحصر اهتمامه فى إعداد قصة قبل الوقت المعين !

أما فى (السقامات) فقد ظهر للقارئ بأسلوب مميز خاص . وبقلم الكاتب المتمكن المتعمق . فالكتاب يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع المتوسط . فليس تأليفه إذن من السهولة بمكان ! فالشوط الطويل الذى قطعه السباعى قد تقصر دونه الأنفاس ، وتكل الأيدى ، وتجهد الأذهان ؛ لكن أنفاس السباعى لم تقصر ، ويده لم تكل ، وذهنه لم يجهد ! فقد مضى بكل اعتداد، وبكل جرأة ، وخطا الخطوة الأولى.. حتى انتهى إلى الخطوة الأخيرة . ومن هذه الناحية استحق كل إعجاب

نعود إلى الكتاب فنتأمله بعين فاحصة ، فنراه يشمل قصة محلية ، من الجو المصرى القديم . قصة شبيهة بقصة (زقاق المدق) لنجيب محفوظ . من حيث البيئة، وتعدد الأبطال، والفكرة المستترة وراء الحوادث.. وهى إعطاء صورة صادقة للجو المحلى القديم فى مصر. فالقصة قصة بيئة. لا قصة أسرة. قصة جماعة من الناس جمعتها الحياة فى صعيد واحد ، ولونتها الحياة بلون واحد . فكل أفرادها من الطبقة الفقيرة التى تكدح طول النهار، ولا تكاد تظفر باللقمة التى تشبع !

لقد حاول الكاتب محاكاة نجيب محفوظ ، كما هو واضح فى رسم الشخصيات ، ولكن محاولته لم تنجح مثل نجاح محفوظ . فهو فى بداية قصته تطرق إلى شخصيات كثيرة ، حشرها ضمن محور القصة ، وجعلها من أبطالها الأولين ، كما فعل محفوظ . لكنه لم يكد يخطو خطوات ، حتى ترك أكثرها فى حالها .. واقتصر على قسم منها محدود ! فى حين نرى محفوظ لا يترك شخصية واحدة تفلت من نطاق قصته..إنه يسيطر عليها سيطرة تامة ، فيحصرها حصرا ، ويجعلها فى القصة ذات أثر فعال

مجمل القصة : السقا شوشة يعيش مع ولده وأم زوجه المتوفاة ، عيشة راضية ، وهو إذ يتغدى ذات مرة ، عند (الحاجة زمزم) المرأة المخيفة ! يصادق (شحاته أفندى) الذى كان قد جاء إلى (مسمط زمزم) ليأكل على الحساب .. بناء على دعوة من الحاجة اعتبرها دعوة حب . . وغرام ! كان جيبه فارغا ، لذا فقد كادت الحاجة زمزم تجرده من ثيابه بعد أن عجز عن دفع ثمن ما أكل . فتدخل شوشة فى الموضوع ودفع الثمن منقذاً الأفندى من براثن الحاجة ! وبعد ذلك نرى شحاته الذى يعمل فى توديع الأموات إلى قبورها يعيش مع شوشة ، كما نراه يأخذ شوشة إلى قهوته ، ويعرفه بأصحابه ويبسط له مهنته . ! حتى ينام شحاته أفندى ذات يوم على أمل أن يستيقظ فيذهب إلى موعد فرامى اشتراه بخمسين قرشا من (تاجر الأعراض) الذباح ! ينام الرجل فلا يستيقظ ! لا يستيقظ أبدا . ولا يلبث المعلم شوشة أن يأخذ مكانه فى المهنة ، مستعملا نفس البدلة التى كان يستعملها المتوفى ، لأنه يريد أن يتعرف إلى سر الموت ! الموت الذى خطف منه زوجه ، وتركه وحيدا محروما . وتقبل

عليه الدنيا فيرتقى إلى رئيس للسقايين . يتحكم فى توزيع المياه على الزبائن ، ولكنه لا يترك مهنة المتوفى . حتى يفاتحه ولده بمخاوفه ، طالباً إليه أن يكف عن توديع الموتى ، فيعده الرجل ، لكنه فى اليوم التالى لا يغادر فراشه ، فيحمل ولده محله فى توزيع المياه ! وما أن ينتهى من ذلك ويعود إلى أهله ، حتى يجد البيت قد انهار وقضى على أبيه ! فلا يلبث الابن أن يسرع فيرتدى بدلة شحاته أفندى ، الخاصة بمودعى الأموات .. فيمضى أمام نعش أبيه ليودعه المقر الأخير ، إنه أيضا يريد أن يكشف عن الموت سره ..!

.. وتنتهى القصة والابن قد أصبح أبا ، وتربع على عرش المياه مكان أبيه ، وقد وضع بالقرب منه لافتة فيها هذه الآية الكريمة (والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

والغريب أن الكتاب يبدأ بهذه الآية وينتهى بها ، كما أنها تتردد فى حوار القصة أربع مرات تقريباً دون أن يكون بينها وبين القصة صلة ما . ! لعل المؤلف يريد أن يعزى أبطاله ويصح على مصائبهم وهم فى غير حاجة إلى ذلك . فالآية مفروضة فرضاً ، محشوة حشواً ! فالصلة بعيدة بينها وبين مغزى القصة كما قلت ، فأين الصابرون ؛ بل أين الفواجع التى صبروا عليها ؟ الحوادث كلها بسيطة عادية . لا تدعو إلى الصبر ، لأنها توحى بالقناعة . وبالأحرى من أناس مثل أولئك الفاسقين الراضين ، وإن كان المؤلف قد افتعل موت الرجلين افتعالا ، إذ حرمهما الموت الطبيعى و ذلك لم يتمكن أن يجعل أبطاله من الصابرين المؤمنين ، لأنه جعلهم يشعرون أن الموت جاء بالمصادفة وأن القدرة الخفية لا دخل لها فيه

لقد فاجأنا المؤلف بموت شحاته افندى فى منتصف القصة وشحاته هو الوحيد الذى يسيطر على انتباه القارىء وجذب اهتمامه ، لأنه الوحيد — حتى ذلك الوقت — الذى كان يسعى إلى هدف فيجمل للقصة مسحة من التشويق ، فاجأنا بموته ، وبذلك ماتت عقدة القصة ، وتلاشى التشويق ، وكأنما انتبه الكاتب إلى خطئه ، فكشف للقارىء عن عقدة أخرى .. كانت مختفية عنه حتى ذلك الوقت ، وبشكل هذه العقدة شخصية شوشة .. الذى أخذ يسعى إلى كشف سر الموت واستجلاء أمده !

ولنا ملاحظة أخرى بشأن شحاته افندى . فقد جعل له المؤلف شخصية ماجنة عابثة تتأثر حين ترى أمامها امرأة . فهو يتغزل حتى فى الحاجة زمزم ، الضخمة الخفيفة . ! ثم عاد — المؤلف — وأسكنه مع المعلم شوشة ، ونحن نعلم أن هناك ، فى أعلى شقة هذا الأخير تقطن أسرة (على الخشت) أن لهذه الأسرة فتاة ناضجة ، تتردد على أسرة شوشة فتساعد الضريرة أم آمنة فإذا ما نزل شحاته عند شوشة لم تعد ترى أثراً للفتاة ! وكان المتوقع أن يراها شحاته ، وأن تحدث بينهما أشياء .. ! فما الذى جعل الفتاة تختفى من مسرح الحوادث بمجرد ظهور شحاته ؟

وهناك أمر آخر . فإن شوشة بعد موت شحاته أخذ مكانه وصار هو الآخر من (الأفندية) يودع الموتى إلى المقر الأخير فى وقت أصبح فيه موظفاً فى تصريف المياه . أى أنه يجب عليه أن يعمل طول النهار فى وظيفته ثم يزاول مهنة شحاته بعد ذلك أى عند المساء . وهنا بعض التناقض . لأننا رأينا شحاته قد تأخر قليلا ذات صباح فزجره الحانوتى الرئيس ! فكيف لا يتأخر شوشة ؟ وهو لا يزاول هذه المهنة إلا ليلا ، مع العلم أن الموتى لا يدفنون إلا فى النهار !

لقد اهتم المؤلف برسم شخصية (الحاجة زمزم) اهتماما كبيرا حتى جاء رسمه بليغا رائعاً مثيرا ؛ فحسبنا أن لها أثراً كبيراً فى القصة أو أنها هى البطلة الأولى فيها ؛ ولكننا وجدناها تختفى تماما عن مسرح القصة ، ثم تعود قبيل النهاية ؛ عودة قصيرة ؛ تخيب آمال القارىء وهى مع ذلك عودة مفتعلة ! جاءت على إرسال الأب ابنه إليها ليطالبها بالريال المتبقى له عندها ، لأنه لا يملك شيئا أبداً ! وهنا الكثير من الضعف ، لأن الأب قد أقبلت عليه الدنيا ، وأصبح رئيساً للسقايين . كما أنه يعمل سرا فى دفن الموتى ، وأن الموتى كثيرون كما قال المؤلف ! وقد رأيناه فى الليلة السابقة فى الحمام مع ابنه يدفع المال بسخاء ، فكيف بنا نجده فى الصباح خالى الجيب تماما ! كان الأوفق للكاتب ألا يكلف نفسه إعادة الحاجة زمزم ؛ وأن يجعل له حيلة أخرى لإبعاد الابن من أبيه كما ينهدم البيت وهو عنه بعيد !



فى مقال لعميد الأدب :

نشرت « الأهرام » الغراء فى عددها الصادر فى الخامس عشر من الشهر الجارى مقالا لعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين باشا بعنوان « بين الأدب والصحافة » جاء فيه قوله « والغريب أنها — (ويعنى الصحافة) — تقدم الكتب إلى القراء تقرظها حيناً وتنقدها حيناً آخر » وأقول : يقال فى اللغة : نقد الدراهم وانتقدها : أخرج منها الزيوف، وماز بين الدرهم الزيف والدرهم الوازن غير المخلوط . وفى اللسان : النقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها. أنشد سيبويه :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة نفى الدنانير (تنقاد) الصياريف

ونقد الكتاب : إظهار عيوبه ومحاسنه ، ومن ثم فلا و اقول عميد الأدب « تقرظها حينا » لأن النقد — كما سبق القول — يشمل المحاسن والعيوب . قال الشاعر :

والموت (نقاد) على كفه جواهر يختار منها الجياد

وإذا كان الشئ بالشئ يذكر فأذكر أن المؤلفات العربية التى تعنى بالنقود قليلة ولا نعرف منها إلا أربعة : الأول للبلاذرى فى آخر مصنفه (فتوح البلدان) والثانى (رسالة فى النقود الإسلامية) للعلامة المقريزى عنى بنشره فارس الشدياق فى مطبعته الجوائب . والثالث : هو الجزء المشرون من (الخطط التوفيقية الجديدة) لعلى باشا مبارك . والرابع : رسالة مخطوطة أشار إليها الأب أنستاس مارى الكرملى فى كتاب (النقود العربية وعلم النميات) للامام العلامة المحدث المؤرخ تقى الدين أحمد بن عبد القادر المقريزى الشافعى ، وهو مطبوع فى المطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٩

والنميات : علم يستدل به على أنواع النقود والرصائع التى ضربت فى أزمنة مختلفة وبلاد شتى ، وفى أيام ملوك وقياصرة وأباطرة متنوعة ، واحدها النمى . القاموس : « النمى : صنجة الميزان ... والفلوس أو الدراهم التى فيها رصاص أو نحاس . . والجمع نماى » . والرصائع — فى اللسان — زر عروة المصحف . والرصيعة : عقدة فى اللجام عند المذر كأنها فلس ، وقد رصعه . والرصيعة : الحلقة المستديرة ، وسيف مرصع : أى محلى بالرصائع وهى حلق يحلى بها . الواحدة رصيعة

قال الفرزوق :

وجئن بأولاد النصارى إليكمو حبالى وفى أعناقهن « الرواصع »

وبعد : فأذكر أن عميد الأدب كان دعا الأدباء والكتاب فى مقاله (محنة الأدب) إلى أن يشفقوا على أنفسهم فى الغوص

وفى الكتاب بعض الأخطاء النحوية والإملائية التى لا إخالها إلا وليدة السرعة أو وليدة المطبعة. فقد جاء فى (ص ٩٩) (... وكان الثلاثة ...) فى حديثه عن ثلاث نساء ! وقد تكرر هذا الخطأ فى (ص ١٠١) وفى (ص١٠٢) (كانت النساء الثلاث فى الفناء تتجاذبن الحديث) وفى (ص ٤٦٧) (لم تشمره جدته ولا أبيه) !

وهناك أخطاء طفيفة لا تؤثر فى قيمة الكتاب . ويجب ألا أنسى أن السباعي قد أبدع فى (ص ٢٩٠) حتى (ص ٣٠٠) فى الكلام من الموت على لسان شحاته أفندى ، فقد جاء ذلك الكلام مطابقا شخصية شحاته كل المطابقة

والكتاب بعد هذا يتأرجح بين العامية والفصحى . وهذا ما يؤكد أن الكاتب عاجز عن التعبير الكامل بالفصحى ، بالرغم من أنه يبرر مسلكه فى المقدمة قائلا : (إن الغلبة — فى الحوار — للعامية ، لأنه من المستثقل الممجوج أن نحاول إنطاق أشخاص باللغة العربية فى القصة ، وهم لا يعكلمون فى حياتهم الطبيعية أن ينطقوا بها) . إنك يا أستاذ يجب أن تصور أولئك الأشخاص تصويرا فنيا ، لا أن تنقل أقوالهم كما هى ، فالفنان هو الذى يضيف على الحوادث العادية مسحة من الجمال والسمو، ولا يرضى أن ينقلها كما هى ، ولا أن يصورها كما تصور آلة التصوير المناظر الطبيعية

فارنيك جورج ميناسيان

على فرائد اللغة وأسرار البلاغة ، وها نحن نستمع إلى نداء الأديب العميد فنكتب كلنا ملبين الدعوة منبهين إلى ما يحسن التنبيه إليه ، وهو سبق قلم . والسلام

هرناله

نسبة البيتين :

فى العدد رقم ٩٨٩ من الرسالة الغراء ١٦ يونيو سنة ١٩٥٢ كتب حضرة الأستاذ الفاضل عبد القادر رشيد الناصرى يطلب منى أن أشير إلى المصدر الذى استقيت منه نسبة ما يأتى للحسين الخليع فى كتابى نديم الخلفاء

بأبى من وددته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

فافترقنا حولا فلما التقينا كان تسليمه على وداعا

فقد جاء فى شرح العكبرى لديوان أبى الطيب المتنبى وفى جميع دواوين المتنبى نسبتها للمتنبى وقالها ارتجالا فى صباه

وقد تفضل حضرة الأستاذ الكريم عبد القادر الناصرى فهنأنى وحيانى مبديا إعجابه بكتابى وإنى أشكر لحضرة الأخ الفاضل هذا التقدير وأحيى فيه ذلك الشعور النبيل نحو المؤلفين . لا أنكر أن البيتين نسبا للمتنبى فى المصادر السابقة وهى فى حقيقتها مصدر واحد هو ديوان المتنبى، أما المصدر الذى نسبهما للحسين بن الضحاك فهو زهر الآداب ج ٣ ص ١٦٣ . وعلى الرغم مما راجعته من مصادر لم أجد ما يرجح نسبة البيتين لأحد منهما، وقد اعتمدت نسبتهما للخليع لأنه أولا أسبق، والغالب أن ينسب للاحق ما هو للسابق ثانيا، أنهما لرقتهما للخليع أقرب ، وثالثا لأن شعر الحسين . بن الضحاك ضاع أكثره ونسب إلى غيره من شعره كثير . ومشكلة تنازع الأبيات فى الكتب الأدبية تحتاج إلى دراسة طويلة وجهود ضخمة وعلى الأخص كل ما فيه « قال الشاعر ، وقال آخر ، وقال غيره ويقول القائل . الخ »

ومن أمثلة التنازع هذه الأبيات :

لا وحبيك لا أصافح بالدمع مدمعا

من بكى شجوه استراح وإن كان موجعا

كبدى فى هواك أسقم من أن تقطعا

لم تدع سورة الضنى فى للسقم موضعا

نسبت فى الأغانى ومعجم الأدباء وابن خلكان ومسالك الأبصار للحسين بن الضحاك ، ونسبت فى مصارع العشاق ص ٤٢٥ لأعرابى ونسبت فى زهر الآداب ج ١ ص ٢٥٠ إلى محمد بن يزيد الأموى

وكنت أحسب أن وجود البيت أو الأبيات فى ديوان يقطع بصحة بنسبتها إلى صاحبه ، ولكنى وجدت مثلا هذا البيت

فلو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

نسب فى الأغانى ج ١٣ ص ٣٥ إلى عبد الله بن الزبير الأسدى وهو شاعر أموى ، وفى شرح ديوان زهير بن أبى سلمى أن نسخته انفردت بنسبته إلى زهير وهو أقدم من سابقه ، ونسب لبكر بن النطاح فى شرح ديوان أبى الطيب للواحدى ص ١٩٨ ودلائل الإعجاز ص ٣٨٧ والإبانة عن سرقات المتنبى ص ٤٦ والوافى بالوفيات المجلد الأول من الجزء الثالث وفوات الوفيات ترجمة بكر بن النطاح، ونسب فى كتاب التحف والأنوار ص٧٦ لدعبل.. أما فى شرح المضنون ص ١٥٦ ومسالك الأبصار ج ٩ وديوان أبى تمام فقد نسب لأبى تمام هذا، ودعبل وبكر بن النطاح متعاصران ومات أبو تمام قبل دعبل وولد بعده وهم جميعا عباسيون. وهناك من أمثاله كثير ولا يخفى ذلك على الأستاذ الفاضل عبد القادر الناصرى . وأكرر شكرى له وتحياتى وتقديرى

عبد الستار أحمد

خطأ نحوى

نشرت جريدة « الراية » الموصلية الغراء قصيدة مزدوجة القوافى للسيد زكى الجادر فى العدد « ٢٩ » من سنتها الأولى منها هذان البيتان

إيه يا زهرة الحياة مضى الأ مس فكنا من بعده عشاق

جئتك اليوم فى فؤادى حنين وبعينى لهفة واشتياق

فقافية البيت الأول منصوبة لأنها خبر كان، وقافية البيت الثانى مرفوعة معطوفة على لهفة وهى مرفوعة. وهذا مثل من التجديد فى الشعر العراقى الذى تدعو إليه الجريدة التى يشرف على تحريرها السيد شاذل طاقة أستاذ الأدب العربى فى مدارس الموصل ...

عبد القادر رشيد الناصرى



السكيرة

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

وقفت العربة ذات الحصان الواحد أمام مزرعة الأم « ماكوار » تحمل المعلم « شيكو » خمار « دي به فيل » وهو رجل في العقد الرابع خشن المعارف هائل الخلقة أحمر الوجه بطين سمين ، على وجهه سيما الخبث والمكر

هبط الرجل سلم العربة ، ثم ربط حصانها بخشبة معترضة ومشى إلى ساحة الدار

كانت الأم «ماكوار» تمتلك أرضاً تجاور مزرعته، طالما تشوفت نفسه إلى ابتياعها منها، وضمها إلى أرضه لولا أن كان يصده عن هذه الرغبة تعصب من العجوز عنيد وتصلب شديد . وكانت تقول :

— إني ولدت في هذه الأرض ، وستجنني تربتها ...

ففي هذا الصباح ألفي العجوز ، وهي درديس في الثانية والسبعين من عمرها ، أمام باب منزلها معنية بتقشير « البطاطس » كانت منكمشة الجلد ، جافة اللحم ، منضوخة الوجه . وبرغم ذلك كانت دائبة على عملها وكأنها في ربيع العمر

تقدم منها المعلم «شيكو» وربت على كتفها في دعابة ثم قال

— وصحتك أيتها الأم ، هل هي جيدة وأبداً جيدة ؟

— أحمد الله ، وأنت أيها المعلم ؟

— بخير ، ولولا قليل من الألم لكنت هانئاً راضياً

— جد مليح . ثم لاذت بالصمت وأخذت تقشر البطاطس وتديرها في حذق ومهارة ، بين أصابع يابسة عقداء معروقة ، تشبه أرجل السراطين ، وفي يدها اليمنى سكين عتيقة منثلمة لا تكاد تقطع الجبن

وحين فرغت من البطاطس ، وأضحت لماعة صفراء ، ألقت بها في قدر مملوءة ماء . فإذا دجيجات وأفرخ تسعى إليها ناقة مقوقئة ، ثم تختلس ما تبقى في حجرها من قشور البطاطس ، وتتراكض في خبث عنها وفي منقار كل منها ما غنمت من قشور

كان المعلم « شيكو » يرقب هذا المنظر في سأم وضيق وفي نفسه أمر، وعلى لسانه كلام يجهد في انتزاعه، وأخيراً وفق فقال

— ألا خبريني أيتها الأم « ماكوار »

— وما عساي مخبرتك به ؟

— ألا زلت ترفضين بيعي مزرعتك ؟

— هذا أمر قد فرغت منه أيها المعلم « شيكو » فلم إقلاق به مطلع كل صباح ومهبط كل ليل ؟

— ولكني يا سيدتي وجدت حلا للمسألة إن رضيت به خرج كلانا راضياً بصفقته غير أسف ولا مغبون

— وما هو هذا الحل ؟

تبيعينني أرضك ثم تحتفظين بحق استثمارها ما بقيت على قيد الأحياء ، أفلا يرضيك هذا أيضا ؟

فشغلت العجوز عن تقشير البطاطس ، وراحت ترمي الرجل بنظر حاد عنيف تحت جفنين خلقين أجمدين . ثم قال الرجل مفسراً :

— إنك إن ترضي بهذه الصفقة تتسلمي في منتهى كل شهر مائة وخمسين فرنكا أحملها إليك في عربتي . أتقدرين قولي ؟ أتفقهين حديثي ؟ مائة وخمسون فرنكا ثم لا تتبدل لك حال ، ولا تتغير حياة ؛ فستظلين في حقلك آمنة السرب رافهة العيش لا يدينك أحد ولا تدينين لأحد ، ولا تمملين أمراً ، ولا تنصبين نفسك لعمل . إلا أن يكون استلام مائة وخمسين فرنكا ، مطلع كل شهر ، عملا شاقا يكد وينصب . قال هذا وطفق ينظر إليها فرحاً مستبشرا وعلى وجهه الطيبة والصلاح والمسكنة ... والعجوز تلحظه حذرة متيقظة . وقد كبر في وهمها أنه خادع لها وناصب لاصطياد مزرعتها أحبولة من ألفاظ منمقة مزورة . على أنها سألته في خبث :

إنك لتؤكد لي أن المزرعة ستظل في حوزتي فهل بلغ من أريحيتك أن تتبرع لامرأة عجوز بهذا الراتب الضخم دون فائدة تعود عليك؟ قال المعلم شيكو وقد أدرك ما تنطوي عليه غمزة العجوز

لا أثقل عليك يا سيدتي في شأن الأرض ، فلسوف تغلين خيراتها وتنتفعين بثمراتها ما مد الله في حياتك العزيزة . غير أني

أرجوك أن تكتبي لي صكا شرعيا ، يخولني حق امتلاكها بعد عمرك الطويل إن شاء الله . ولبثت المرأة وهي تصغى لقول المعلم مأخوذة دهشة حائرة لا تملك لرأيها إبراما ولا انقضا ، ولا لموقفها من الرجل إجابة ولا رفضا ، وأخيرا قالت :

إنه لا يسعني رفض اقتراحك ، فلو أنظرتني أسبوعا آخر أتبصر أمري وأروى رأيي . فأطاع المعلم « شيكو » ثم غادر الأم فرحا فخورا ، كأنه الملك الجبار ، استولى على بلد عدوه بالحديد والنار ... أما الأم « ماكوار » فقد أمضت أيامها ساهمة حالمة ، لا يستقر جنبها على مضجع ، ولا يزور جفنها سنة من نوم . ثم استشرت بها حميا التردد وعصفت نار الحيرة فكادت توطن نفسها على الرفض التام ، لولا أن ذكرى المائة والخمسين فرنكا الطنانة البراقة ، التي توشك أن تتدحرج في حجرها مطالع كل شهر ، كانت تلهب رغبتها الخامدة وتذكي أطماعها الهامدة

وأرادت أن تضع لترددها حدا ، فمضت إلى الموثق الشرعي تنفض له جلة حالها وتستنصحه في أمرها . فأشـار إليها بالاطمئنان ونصح لها بالرضا بحل المعلم « شيكو » ، ولكنه اشترط عليها لذلك ، أن يضاعف لها الراتب فيجعله ثلثمائة بدلا من مئة وخمسين فرنكا لأن مزرعتها تساوى في أقل ثمن ١٦٠ ألف فرنك ، ثم قال لها في أضعاف حديثه :

— لئن عمرت خمسة عشر عاما ، فلن ترزئي صاحبك أكثر من أربعين ألف فرنك — فاستقلت جسم العجوز هزة من الطمع حين ذكرت الثلثمائة فرنك التي سوف تحظى بها رأس كل شهر ولكنها على ذلك ظلت حذرة مبلبلة الخاطر ، تنوشها الهواجس ، وتتوزعها الوساوس فهي تتوقع حينا مفاجأة مفجعة وآنا مكيدة مستورة ، لا تبصرها ولكنها تحسها ، ولبثت حتى المساء تناقش المسألة بكل حل ، وتواجه المقترح من كل جهة . ثم . ثم لم تستقر على عزم ولم تتوجه جهة من الرأى

وجاءها المعلم شيكو يستطلع رأيها ويستعلم غرضها الأخير فأنهت إليه قرارها النهائي ، بلزوم رفع مرتبها الشهرى ، وحين رأت هزة الإخفاق تركب أوصاله ، ونار الغيظ تحتدم في عينيه ، وبوادر الرفض تتوافد على لسانه ، أظهرته على قاعة السنين التى يمكن أن تعيشها بعد هذه الصفقة فقالت :

— إني من الوهن ورقة العظم واشتعال الشيب بحيث لا أستطيع الانتقال إلى سريرى إلا مستندة إلى الأذرع ، أو محمولة على الظهور

ومهما يمتد بي خيط الهرم ، فإنه كخيط العنكبوت وشيك الانبتات سريع الانقطاع . وهل بعد الثلاثة والسبعين عاما التى توقر كاهلي حياة ترجى أو عيش ينتظر ؟ وقاطعها المعلم مغيظا فقال .

— إنها لمحاولة فاشلة منك ياسيدتي أن تصطنعى العجز وتتظاهرى بانقطاع المنة . ثقي أن منجل الموت لا يعرف سبيله إلى شجرتك قبل أربعين سنة في أقل تقدير ، وإني أراهن على أنك أنت التى ستتولين دفني ، فما هذا الخوف والفزع من الموت ؟

وتصرم عمر النهار في الجدل والنقاش والأخذ والرد ، وجهد المعلم « شيكو » الجهد كله ليقنع العجوز بالنزول عن طلبها الجائر المرهق فما عاد بطائل . وحين لم يجد مندوحة من إجابتها رضى مكرها بدفع الثلاثمائة فرنك ... وعبرت سنين ثلاث وصاحبتنا العجوز كالمروة العتيقة لا يزيدها الدق إلا صلابة وجلدا على الأيام ، حتى يئس المعلم من موتها وخيل إليه أنه مرغم على دفع مرتبها الضخم نصف قرن أو يزيد ، وأن صفقته كانت هي الخاسرة المغبونة ، وأنه لا بد موف على الخراب صائر إلى الإفلاس إن ظلت معاهدة الصداقة والود بين العجوز وعزرائيل متينة العرى

كان يتردد على المرأة الفينة بعد الفينة بحجة السؤال عن نضوج الحنطة ، أو الاستفسار عن موعد الحصاد ؛ فكانت تستقبله في خبث ، وفي قلبها الشماتة والتشفي ، وفي معارف وجهها صورة الافتخار والزهو للدور المضحك المسلي الذى لعبته على مسرح بلاهته وغفلته . فكان يرتد سريعا إلى عربته ويجمجم :

— وإذن فليس في نية هذه البهيمة أن تموت ؟ فلم يكن يعرف لمشكله حلا ولا لعقدة أزمته فكاكا . فكانت تمر به ساعات يود فيها لو أهوى على عنق العجوز فخنقه ، وروحها فأزهقه ، مما في نفسه منها من الغيظ والحنق والموجدة ، وظل زمنا يلتمس وجهة الحيلة للخلاص من طامة العجوز المشؤومة . وأخيرا ظفر بما يرجو ؛ فغدا عليها يوما يطفر من البشر والسعادة ، ويصفق بيديه من الفرح والمرح ، وبعد أن ناقلها برهة حديث المجاملة والود قال :

— ألا قولي لي أيتها الأم ماكوار فيم امتناعك عن زيارة

منزلى حين مرورك على حانة « إيدى فيل » ؟ إن الحديث فيه ليلذ ويمتع ، وأنا هناك يا للأسف مقطوع الصلة من الصديق ، منبت الوشيجة من القريب ، لا يؤنس وحشتى زائر ، ولا يمر على عابر . فزورينى إن تكرمت وكلى ما طاب لك فلست مرزئك مالا ولا مكافئك دفع طعام أو شراب . زورينى ففى زيارتك تشيع البهجة فى قلبى وينتشر السرور فى دارى

وفى الغد لم تتكلفه الأم إعادة الاستزارة ، فراحت إليه فى عربتها ، والشمس لم تغادر خدرها الوردى ، وحين بلغت الحانة ربطت حصان العربة فى الاصطبل ، ثم دخلت عليه طالبة الغداء الموعود

لم يكد يصدق عينيه المعلم شيكو ، وراح ينشط فى خدمتها ويجتهد فى مرضاتها ، كأن أمامه سيدة نبيلة لا قروية بخيلة ، ثم أخذ يفتن فى تقديم فاخر الأطعمة والآكال وغريض اللحم ، من الطير البهر ، والدجاج المحمر ، ولحم الخنزير المشوى ، وأصناف من الخضار والفواكه والتوابل ، ولكنها لم تصب من هذه الآكال الدسمة إلا ما يوافق معدتها العجوز التى اعتادت الاكتفاء بحساء اللحم الرقيق ، أو قطع الخبز المغموسة بالزبد ، وألح الرجل وعزم عليها . ولكنها لم تأكل مضغة ولم تشرب جرعة حتى القهوة امتنعت من تناولها . وأخيراً قال لها وهو يناولها قدحاً من « الكونياك » :

— أو ترفضين أيضاً هذا القدح ؟

— أما هذا فأقبله دون أن أقول لا . فرجت أركان الحانة بصوت المعلم يقول :

— « روزالى » أيتها المزوزة . اعطى لنا كل فاخر معتق من الكونياك . وظهرت الخادمة تضم إلى صدرها زجاجة طويلة ممشوقة ازدانت فوهتها بطابع الكونياك الفاخر . فتناولها المعلم شيكو وأفرغ منها قدحين ، ثم عاطى العجوز أحدهما . قائلا :

— إنه لكنياك لذيذ شهير ، أفلا تذوقينه ياسيدتى ؟

فتناولته الأم « ما كاوار » شاكرة وطفقت تتحساه جرعات صغيرات ، وما أن فرغت من القدح الأول حتى أفرغ لها المعلم قدحاً ثانياً ، فأعرضت عنه أولا ثم أكرها المضيف بالقول اللطيف والتجمل الظريف والنكتة المستملحة . وكان عازما على إردافه بثالث ورابع لولا أن عالنته برفضها وامتناعها

— ولكن هذا يا سيدتى ليس خمراً ، إن هو إلا حليب مصفى ، أبتلع عشرة أقداح منه دون أن يتعقبنى السكر أو تذهب بوقارى النشوة ، لا يكاد يستقر فى الجوف كالسكر الذاب حتى يتبخر فى الجسم دون أن يجد طريقه إلى الرأس . وليس كمثله شئ لصحة الجسم وابتعاث النشاط . فدعا ذلك العجوز إلى أن اجترعت نصف الكأس الثالثة ، ولم تجرؤ على استنفادها لأنها شعرت بفعل السكر بأطرافها ، وتلاعب الخمر بأعطافها . فأهرعت إلى عربتها ومضت ... وغدا عليها صاحبنا فى عربته ذات الحصان الواحد وحين استقر بهما المجلس أخرج من جوف العربة برميلا صغيرا ، فيه خمر الأمس ، ثم جلسا يعيدان سيرة البارحة ، ولما استقر فى جوف كل منهما ثلاثة أقداح ، غادرها المعلم قائلا :

— ما أرانى بحاجة لأقول لك إن الخمر التى أبقيتها لك تكفيك مدة ، فإذا فرغت منها فعندى لك اللذيذ المتق لا أبخل عليك به ، وكلما ألححت فى الطلب ألح على السرور وطبت نفساً . .

وآب إليها بعد أيام أربعة ، فألفاها على الباب معنية بتقطيع الخبز الذى تمده للحساء ، فاقترب منها أنفاً لأنف وبدرها بتحية الصباح ، فنفحته منها رائحة « الكحول » وملأت خياشيمه ، هنالك أضاء وجهه بنور البشر والفوز ثم قال :

— ألا تقدمين إلى قدحاً من الكونياك ... ؟ وجلس الاثنان يعاقران الخمر ويشرب كل منهما نخب صاحبه ... ولم يطل الأمر بالأم « ما كاوار » حتى شاع عنها أنها تعاقر الخمرة متخلية لنفسها وفى الحق كان الجيران يلقونها إما مستلقية أمام مطبخها أو ساحة دارها لا تعى ، أو منطرحة فى الطرق والشوارع لا تحس ، فيحملونها إلى بيتها جثة لا حراك فيها ولا وعى ...

ولم يعد المعلم شيكو يتردد على بيتها ، فكان يقول للجيرة راثيا :

— إنه لما يبعث الأسى أن تدمن هذه العجوز الشراب وهى فى أرذل العمر ، مع أن الخمر تعجل خطواتها إلى القبر

وفى الحق لقد وجدها أهل القرية ميتة على بساط الثلج صباح عيد الميلاد عقب سكرة إنكليزية أبلت فيها البلاء الحسن وورث المعلم « شيكو » أرضها كما خوله الصك ، فكان يقول :

— لو لم تتلف هذه العجوز البلهاء صحتها بسموم الخمر ، لعاشت عشر سنين أخر !

ك . م

مطبعة الرسالة